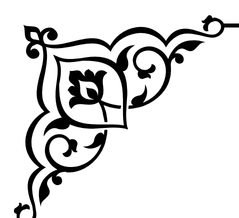



خطر المنافقين

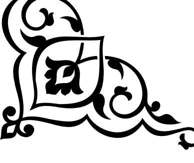
وقواعد شرعية في التعامل معهم

«بحث محكم»

إعداد

عبدالله بن علي الغامدي

المجلد الأول



هذا البحث تم إعداده لنيل درجة الدكتوراه ١٤٣٥هـ

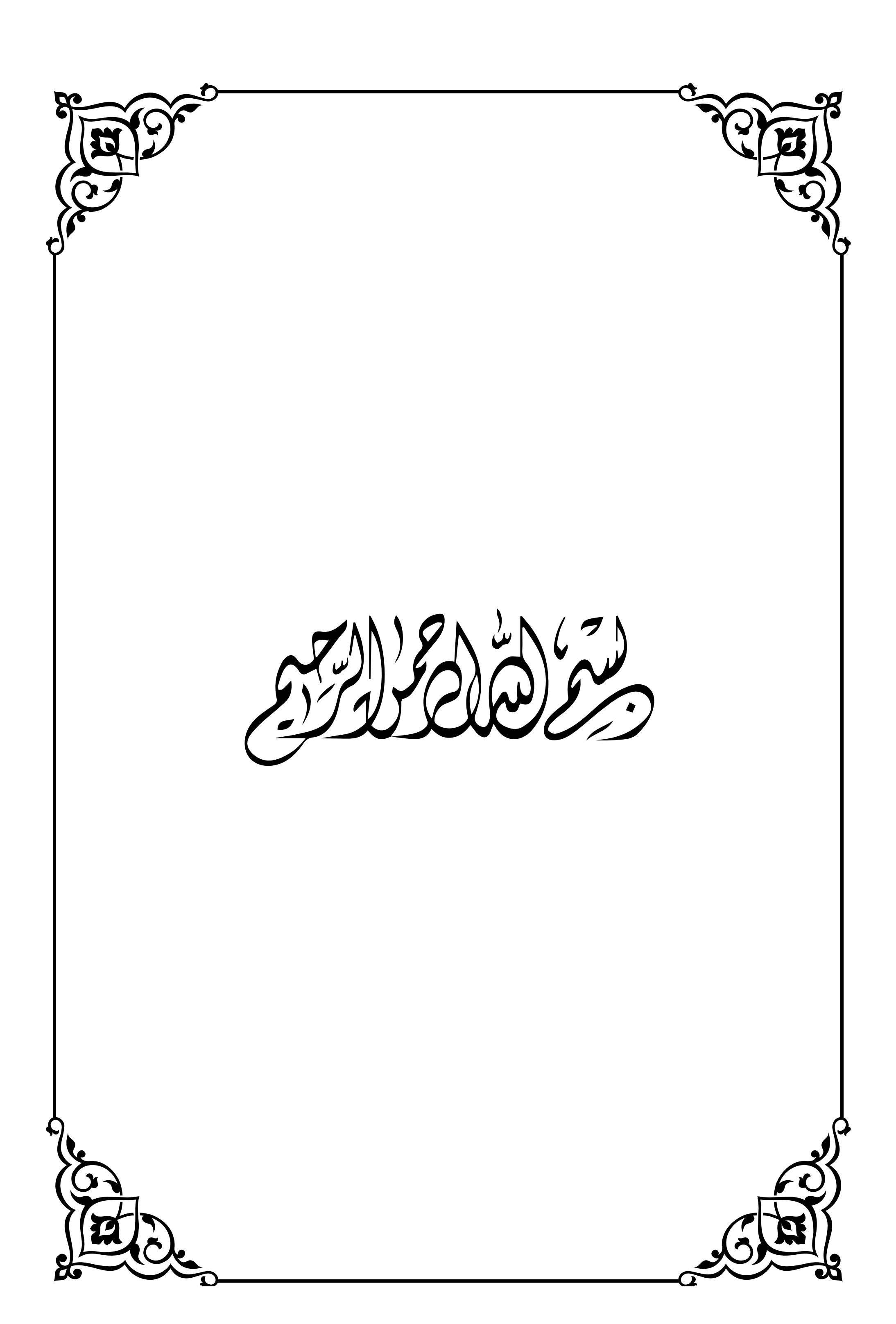
للتواصل:

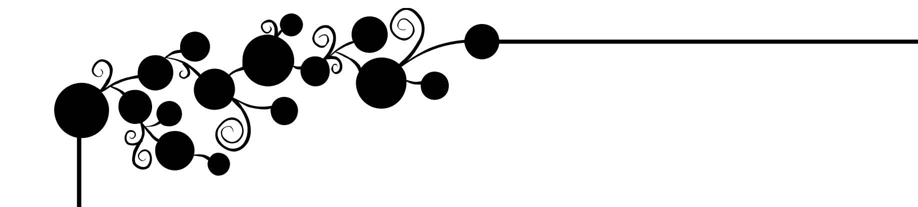
جوال وواتساب: ٠٠٩٦٦٥٠٥٧١٣٥٣٤

بريد الكتروني: aba1382@hotmail.com

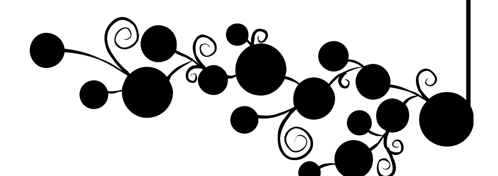
خطر المنافقين

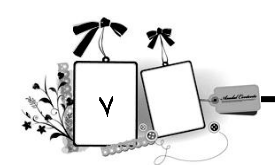
وقواعد شرعية في التعامل معهم


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة





بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله، تُحشر الخلائِقُ بين يديه وتُساق، فلا وَلِيَّ لهم من دونه ولا واقٍ، أَبَانَ سبحانه خبيئَةَ مَنْ تلبَّسوا بالنِّفاق، وسَعَوا بين الصَّفِّ بالفُرْقة والشِّقاقِ، فلا عهدَ لهم ولا ذِمَّةَ ولا ميثاقَ، قد انْطَوَتْ نفوسُهم على رديءِ الأَخلاق، فلهم في مضامير الشَّرِّ والفتنةِ سِباقٌ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [سورة محمد:٢٣].

والصَّلاةُ والسَّلامُ على من نَالَ من ربِّه القُرْبَ وفَاقَ، صلَّى الله عليه وعلى رُسُل الله وأنبيائِه جميعًا، ورضي الله عمَّن سار على هديهم واقتفى أَثَرَهُمْ إِلَى يوم الدِّين، وسلم تسليمًا كثيرًا، أَمَّا بعد:

فعن أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ[١] قال: كُنْتُ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢]

(١) هو: أبو عثمان النهديُّ، الإمام الحجَّة شيخ الوقت، عبد الرَّحمن بن مل، وقيل: ابن ملي بن عمرو بن عديٍّ البصريُّ، مخضرم، معمِّر، أدرك الجاهليَّة والإسلام، وغزا في خلافة عمر وبعدها غزوات، كان من سادة العلماء العاملين، قال الحافظ أبو نصر الكلاباذيُّ: أسلم أبو عثمان النهديُّ على عهد النبي ﷺ ولم يَرَه، لكنَّه أدَّى إلى عمَّاله الزكاة. انظر في ترجمته: «سير أعلام النُّبلاء»، للذَّهبيِّ (٤/ ١٧٥) وما بعدها، و«أسد الغابة» (٣/ ٣٢٤)، و«تاريخ بغداد» (١٠/ ٢٠٢).

(٢) هو: الصَّحابيُّ الجليل عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هو أمير المؤمنين وثاني الخلفاء الرَّاشدين الفاروق عمر بن الخطَّاب بن نفيل بن عبد العزَّى بن رباح، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، أسلم بدعوة دعا بها النبيُّ ﷺ في السنة السادسة من البعثة، عرف في الجاهليَّة بالفصاحة والشَّجاعة، روى عن النَّبيِّ ﷺ (٥٣٧) حديثًا، واعتزَّ به الإسلام، دامت خلافته عشر سنين وستة أشهر، توفي سنة (٢٣هـ) بطعنة مسمومة في صلاة الفجر على يد أبي لؤلؤة المجوسي. انظر =

فَسَمِعْتُه يَقُولُ فِي خُطْبَتِه: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلَّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ»(١).

وفي رِوايةٍ عن أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ قال: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهُوَ عَلَى مِنبَرِ رَسُولِ الله ﷺ أَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ أَصَابِعِي هَذِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُنَافِقُ عَلِيمُ اللِّسَانِ». قِيلَ: وَكَيْفَ يَكُونُ الْمُنَافِقُ الْعَلِيمُ؟ قَالَ: «عَالِمُ اللِّسَانِ، جَاهِلُ الْقَلْبِ وَالْعَمَلِ»(٢).

إِنَّهم الفِئَةُ -المنافقون- التي ما لُدِغَ المسلمون مِنْ جُحرٍ هو أَشَدُّ مِنْ جُحرهم، ولا أَنْكىٰ مِنْ لدْغِهم، طائِفةٌ رديئَةُ السَّريرة، عفنةُ السُّلوك، تَقْتَاتُ علىٰ نشر الباطل وإِشَاعةِ الفاحشة، كَمْ أَوْهَنَتْ مِنْ عزائِمَ وزَعْزعتْ مِنْ ثِقَةٍ، وخَلْخلتْ مِنْ صفٍّ، أَحْسنُ النَّاس أجسامًا وأَخْلبُهم لسانًا، وأَلْطفُهم بيانًا؛ أَرْبابُ خِداعٍ وتلبيسٍ، وتخذيلٍ وتدليسٍ؛ كالخُشُبِ المُسنَّدة، لا ثمرَ لها ولا نفعَ فيها.

قدْ فرِحوا بمقعدهم خِلافَ رَسُولِ الله صلواتُ الله وسلامُه عليه، فأَدْركتْهم ثقلةُ الأَرْض؛ فحرِصوا علىٰ الرَّاحة وشحُّوا بالنَّفقة، ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ٨١﴾ [سورة التوبة:٨١]، رَأْسُ مالِهم الخديعةُ والمكرُ،

= في ترجمته: «الطبقات الكبرىٰ»، ابن سعد (٤/ ٢٦٥)، و«الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر (٤/ ٥٨٨)، و«معرفة الصحابة»، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسىٰ بن مهران الأصبهاني (المتوفىٰ: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزَّازيُّ، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م (١/ ٥٩١)، و«عصر الخلافة الراشدة»، لأكرم ضياء العمريِّ (٦٦).

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٤٣)، والبزَّار في «مسنده» (٣٠٥)، «المقصد العليُّ في زوائد أبي يعلىٰ» (٩١)، والفريابيُّ في «صفة النِّفاق وذمِّ المنافقين» (٢٤) والحديث إسناده صحيح. ينظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة»، محمد ناصر الدين الألباني (١٠١٣).

(٢) أخرجه المروزيُّ في «تعظيم قدر الصلاة» (٦٨٣)، والفريابيُّ في «صفة النِّفاق وذمِّ المنافقين» (٢٦)، ينظر: «السِّلسلة الصَّحيحة»، للألبانيِّ (١٠١٣).



وبِضاعتهم الكِبْرُ والخَترُ[١]، إنْ خاصَم أَحَدُهم فجَر، وإنْ عاهَد غدَر، وإنْ حدَّث كذبَ، وإنْ وعد أَخْلف، وإن ائْتُمِنَ خان.

فللَّه كمْ مِنْ معقلٍ للإسْلام هدموه؟! وكمْ مِنْ حِصْنٍ له خربوه؟! وكمْ مِنْ عِلْم قدْ طمسوه؟! وكمْ مِنْ لِواءٍ مرفوعٍ قدْ وضعوه ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [سورة المنافقون:٤].

ولعظم خطَرِهم ونِفاقِهم جَاءَ الحديثُ عنهم في القرآن في سبع عشرة سورة مدنية، واستغرق بيان ما هم عليه من خبث ومكر قرابة الثلاثمائة والأربعين آية.

ولهذا قال ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٢]: «كاد القرآنُ أَنْ يكونَ كلُّه في شأْنِهم؛ لكثْرتِهم

---

(١) الختر: شبه الغدر، ورجل ختَّار: غدَّار، وهو أسوأ الغدر. ينظر: «العين»، للفراهيديِّ (٤/ ٢٣٦)، «تهذيب اللغة» (٧/ ١٣٠).

(٢) هو: العلَّامة شمس الدِّين محمَّد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز أبو عبد الله الزّرعيُّ ثم الدِّمشقيُّ الفقيه الحنبليُّ، بل المجتهد المطلق، المفسِّر النَّحويُّ الأصوليُّ، المتكلِّم، الشَّهير بابن قيِّم الجوزيَّة (ولد: ٦٩١هـ، توفي ٧٥١هـ).

قال ابن رجب: شيخنا. ولد سنة إحدى وتسعين وستِّمائة، وسمع من الشِّهاب النَّابلسيِّ وغيره، وتفقَّه في المذهب، وبرع، وأفتى، ولازم الشَّيخ تقيَّ الدِّين ابن تيميَّة، وأخذ عنه، وتفنَّن في علوم الإسلام. وكان عارفًا بالتَّفسير، لا يجارى فيه، وبأصول الدِّين، وإليه فيه المنتهى، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه، لا يلحق في ذلك، وبالفقه، وأصوله، والعربية، وله فيها اليد الطُّولى، وبعلم الكلام، وغير ذلك، وعالمًا بعلم السُّلوك وكلام أهل التَّصوُّف وإشاراتهم ودقائقهم، له في كلِّ فنٍّ من هذه الفنون اليد الطولى.

قال الذَّهبيُّ: في «المختصِّ»: عني بالحديث ومتونه وبعض رجاله، وقد حُبِسَ مدَّة؛ لإنكاره شدِّ الرِّحال إلى قبر الخليل، وتصدَّر لنشر العلم. ينظر: «شذرات الذَّهب» (٨/ ٢٨٧)، «المعجم المختصُّ بالمحدِّثين»، المؤلِّف: شمس الدِّين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذَّهبيُّ (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: د/ محمَّد الحبيب الهيلة، الناشر: مكتبة الصِّدِّيق، الطَّائف، الطَّبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م (ص: ٢٦٩)، «الوافي بالوفيات» (٢/ ٢٧٠- ٢٧٢)، «المقصد =

علىٰ ظَهر الأَرْضِ وفي أَجْواف القُبور»(١).

سمِع حُذَيْفَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢) رجُلًا يقول: اللَّهمَّ أَهْلِكِ المُنافِقين. فقال: يا ابْنَ أَخِي لوْ هلَكَ المنافقون لَاسْتَوْحَشْتُمْ في طُرُقاتكم مِنْ قِلَّة السَّالك(٣).

ولقدْ كان عَبْدُ اللهِ بنُ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ (٤) رأْسُ المنافقين، ومَنْ معه مِنْ زعامات

= الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد»، المؤلِّف: إبراهيم بن محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدِّين (المتوفَّىٰ: ٨٨٤هـ)، المحقِّق: د عبد الرَّحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة الرُّشد - الرِّياض - السُّعوديَّة، الطَّبعة: الأولىٰ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م (٢/ ٣٨٤- ٣٨٥)، «ذيل طبقات الحنابلة»، المؤلِّف: زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلاميُّ، البغداديُّ، ثمَّ الدِّمشقيُّ، الحنبليُّ (المتوفىٰ: ٧٩٥هـ)، المحقِّق: د عبد الرَّحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان - الرِّياض، الطَّبعة: الأولىٰ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م (٢/ ٤٤٧- ٤٥٢).

(١) ينظر: «مدارج السَّالكين»، ابن القيِّم (١/ ٣٦٤).

(٢) هو: الصَّحابيُّ الجليل حذيفة بن اليمان، أبو عبد الله العبسيُّ اليمانيُّ، من أعيان المهاجرين، صاحب سرِّ رسول الله ﷺ، كان النَّاس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، ويسأله هو عن الشَّرِّ؛ مخافة أن يدركه، مات بالمدائن بعد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سنة (٣٦هـ). انظر في ترجمته: «الجرح والتَّعديل» (٣/ ٢٥٦)، و«حلية الأولياء» (١/ ٢٧٠-٢٨٣)، و«أسد الغابة» (١/ ٤٦٨)، و«كنز العمَّال» (١٣/ ٣٤٣).

(٣) «مدارج السَّالكين»، لابن القيِّم (١/ ٣٦٤).

(٤) هو: عبد الله بن أبيِّ بن سلول، هو: عبد الله بن أبيِّ بن مالك، منسوب للخزرج، إحدىٰ قبيلتي العرب في المدينة؛ الأوس والخزرج، كان عملاقًا جميلًا ممتلئًا بهيَّ الطَّلْعَة، يُكنىٰ بأبي الحباب، رأس المنافقين وزعيمهم، هو من تولَّىٰ كبر الإفك، نزل في ذمِّه آيات كثيرة، مرض في شوَّال عام تسعة للهجرة، وفي ذي القعدة منها كانت وفاته. انظر: «تاريخ الخميس» (٢/ ١٤٠)، و«طبقات ابن سعد» (٣/ ٢٩٠)، «الإصابة في تمييز الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» (٢/ ٣٣٦)، و«الكامل في التَّاريخ»، ابن الأثير أبو الحسن عليُّ ابن أبي الكرم الشَّيبانيُّ، مطبعة دار صادر، دار بيروت للطِّباعة والنَّشر (١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥م)، (٢/ ١٩٩)، و«البداية والنِّهاية» (٢/ ٣٤) وغيرها كثير. انظر في سيرته غير العطرة مبحثًا كاملًا (صـ ٦٠٩).

النِّفاق، كالجد بنِ قَيْسٍ(١)، والجلاس بن سويد(٢)، ونبتل بن الحارث(٣)، ومربع ابن قيظي(٤) وغيرِهم، ومَنْ شايَعَهم وسار على نَهْجِهم، هم صورةُ النِّفاق في الصَّدرِ الأَوَّلِ.

ولكنَّنا حين نتجاوز نِطاقَ الزَّمان وحُدودَ المكان، نجِد هذه الأَسْماءَ نماذجَ مُكرَّرةً في أَجْيال البشريَّة المُتعاقبةِ، يسيرون على خطْوِهم، ويتعقبون أَثَرَهم، وينخرون من الدَّاخل، ومَنْ ظنَّ أَنَّ المجتمعَ الإِسْلاميَّ سيخلو منهم يومًا فقدْ أَفْرط في الخيال ورَجَمَ بالغيب.

قال شيخُ الإِسْلام ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٥): «وإِذَا كانوا موجودين على عهدِ

---

(١) هو: الجدُّ بنُ قيسِ بن صخرٍ، بن خنسَاء الأنصاري السلمي؛ يكنى أبا عَبْد الله، كان ممن يُظنُّ فيه النفاق من أصحاب رسول الله ﷺ...، وكان قد ساد في الجاهلية جميع بني سلمة، فانتزع رسول الله ﷺ سؤدده، وسود فيهم عمرو بن الجموح...، يقال: إنه مات في خلافة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. ينظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (١/ ٢٦٦).

(٢) هو: الجُلاسُ بنُ سُوَيْد بنِ الصَّامت، الأَنصاري؛ كان مُتَّهمًا بالنِّفاق...، وكان ممن تخلف من المسلمين عن غزوة تبوك، وكان يثبط الناس عن الخروج...؛ فتاب الجلاس، وحسنت توبته وراجع الحقَّ. ينظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (١/ ٢٦٤).

(٣) هو: نَبْتَل بنُ الحَارث، بن قيس بن زيد بن ضبيعة، الأَنصاري، الأَوسي؛ ذكره أبو عبيد القاسم في كتاب «النَّسب» مقرونا بأَخيه أَبي سفيان، وقد ذكره ابن الكلبيّ، ثم البلاذريّ في المنافقين...، وذكره محمد بن إسحاق في «السّيرة النبويّة» أنه الذي نزل فيه: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة ٦١]. ينظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» (٦/ ٣٢٩).

(٤) قال عنه ابن حجر: عدّ في المنافقين، ويقال: تاب. ينظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» (٦/ ٣٥).

(٥) هو: شيخ الإسلام تقيُّ الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن تيميَّة الحَرَّانيُّ، نزيل دمشق، وُلد بحرَّان، الإثنين، الموافق ١٠/ ٣/ ٦٦١هـ، ونشأَ في أسرة اشتهرت بالعلم، كان حريصًا على العلم وطلبه منذ صغره، مجدًّا في تحصيله.

يقول الإمام البزَّار: «وقلَّ كتاب من فنون العلم إلاَّ وقف عليه، وصار من كبار العلماء، ولمَّا يبلغ العشرين»، وقد منحه الله التَّبحُّرَ في سائر الفنون.

يقول الإمام الصَّفديُّ: «وكان إذا تكلَّم أغمض عينيه، وازدحمت العبارة على لسانه، فرأيت العجب العجيب، والحبر الذي ما له مشاكل في فنونه ولا ضريب، والعالم الذي أخذ من كلِّ شيء بنصيب .. إلخ.

=

رَسُولِ اللهِ ﷺ، وفي عِزِّ الإِسْلام وعِزِّ ظهورِ أَعْلام النُّبوَّة، ونورِ الرِّسالة، فهُمْ مع بُعدِهم عنها أَشَدُّ وجودًا»[١].

أَمَا إِنَّكَ لوْ جُلْتَ بطَرْفِكَ في سورةٍ واحدةٍ من بين سُوَرٍ كثيرةٍ ذكرتْ صفاتِهم وأَظْهرتْ عوارَهم، حَذِرَ المنافقون أَنْ تُنـزَّلَ فنزلتْ؛ هي الفاضحةُ المُبَعْثِرةُ، المُقَشْقشةُ المُخْزِيةُ، المُثيرةُ الحافرةُ، المُنكِّلةُ المُدَمْدِمةُ؛ إِنَّها سورةُ التَّوبة[٢]، جَاءَ فيها مِنْ صفات وسِمات القومِ ما لوْ نظرْتَ بعدها إِلَىٰ واقعنا وزمانِنا لأَيْقنْتَ أَنَّ لابْنِ سَلُولٍ أَحْفادًا وذُرِيَّةً، ولابْنِ سَبَأٍ[٣] أَتْباعًا وخَلفًا، أَمَا قرأْتَ قولَه سبحانه: ﴿ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾ [سورة التوبة:٦١] ، فيسخرون بسُنَّته ويستهزِئُون بشمائِله.

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [سورة التوبة:٥٨] ، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ﴾ [سورة التوبة:٤٩] ، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن

= كان ذا عبادة قلَّ أن يُسمع بمثله، زاهدًا ورعًا متواضعًا، جوادًا كريمًا شجاعًا مقدامًا، امتحن وابتلي وسجن وثبت وصبر وعفىٰ وسامح، تآليفه من الكثرة والإتقان بما لا يزيد عليه، توفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ليلة الإثنين، الموافق: ٢٠/ ١١/ ٧٢٨هـ. انظر ترجمته في: «طبقات علماء الحديث»، لابن عبد الهادي، في (٤/ ٢٧٩)، «تذكرة الحفَّاظ»، لمحمَّد بن أحمد بن عثمان الذَّهبيِّ، دراسة وتحقيق: زكريَّا عميرات، دار الكتب العلميَّة، بيروت- لبنان، الطَّبعة الأولىٰ، سنة (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، (٤/ ١٤٩٦)، «البداية والنِّهاية»، (١٤/ ١٤١)، «البدر الطَّالع بمحاسن مَنْ بعد القرن السَّابع»، لمحمَّد بن عليٍّ بن محمَّد الشَّوكانيِّ، تحقيق: محمَّد بن محمَّد زبارة، دار المعرفة، بيروت، (١/ ٦٣). وقد أفرد علماء ترجمة خاصَّة له في مصنَّفات لهم مثل: «العقود الدُّرِّيَّة»، لابن عبد الهادي، و«الأعلام العليَّة»، للبزَّار، و«الكواكب الدُّرِّيَّة»، لمرعيٍّ الكرميِّ.

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٢٠٢).

(٢) انظر هذه الأسماء وغيرها لسورة التَّوبة في «تفسير القاسميِّ» (٨/ ١٢١).

(٣) هو: الذي ينسب إليه السبئية، وهم الغلاة من الرافضة، أصله من أهل اليمن، كان يهوديًّا وأظهر الإسلام، وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ويدخل بينهم الشر، وقد دخل دمشق لذلك في زمن عثمان بن عفان. ينظر: «تاريخ دمشق» (٢٩/ ٣) (٣٣٠٦).

فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [سورة التوبة:٧٥] ، ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٠﴾ ﴾ [سورة محمد:٣٠].

إِنَّ خبايا قلوبِهم، ودواخلَ صدورِهم لَتظْهَرُ على فَلَتَاتِ أَلْسِنَتِهم، وفي ثنايا كِتاباتِهم، وفي أَقْوالهم وتصريحاتِهم، وعلى موائِد أَشْعارِهم وقصائِدِهم، وفي قراراتِ وتوصياتِ مُؤَامراتِهم، فما دام هناك إِسْلامٌ وكُفْرٌ وحقٌّ وباطلٌ؛ فسيُوجَدُ منهم فِئَامٌ وطوائِفُ، وفِرَقٌ وأَحْزابٌ، كلٌّ بما لديهم فرِحون.

سيُوجد -وبلا شك- من جِلْدتنا وممَّن هُمْ دُخلاءُ على دِيننا وشرْعِنا مَنْ يسيرون بين الصَّفَّيْنِ، قد حملوا الطَّبيعتَيْنِ، مُذَبْذَبِيْنَ لا إِلَى هؤلاء ولا إِلَى هؤلاء.

إِنَّهم أَقْوام عجزوا أَنْ يُواجهوا الحقَّ بالإِيْمان الصَّحيحِ، وجَبُنوا عنْ أَنْ يُقابلوا الحقَّ بالكُفْرِ الصَّريح، فاتَّخذوا لأَنْفُسهم طرائِقَ قِدَدًا، فحاربوا الدِّينَ والشَّرْعَ بالطَّعْنِ والغَمْزِ واللَّمْزِ، والتَّنقُّصِ والتَّعييرِ والوقيعةِ، وبثِّ قالةِ السُّوءِ، وإِثَارةِ الزَّوبعاتِ والاتِّهاماتِ، وتلمُّسِ الثَّلْمِ والمثالبِ وإِبْدائِها وإِشَاعتِها، حربٌ شعواءُ وحيَّةٌ رقطاءُ لا يأْتُون إِلَّا بكلِّ عوراءَ.

لا يكيدون لهذا الدِّينِ مباشرةً، وإِنَّما مِنْ خِلال دُعاته وحَمَلَتِه وعلمائِه، كما فعَل ابْنُ سَلُولٍ مع رَسُولِنا ﷺ وأَهْلِ بيتِه وصحابتِه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أَلَيْس أَتْباعُه هم القائِلون: ما رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنا هؤلاء أَرْغبَ بطونًا ولا أَكْذبَ أَلْسنًا ولا أَجْبنَ عند اللِّقاءِ.[1] فلمَّا وُوجِهوا بذلك قالوا: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلۡعَبُۚ قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ ﴾ [سورة التوبة:٦٥-٦٦].

---

(١) أخرجه الطَّبريُّ في «تفسير الطَّبريِّ» = «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، المؤلِّف: محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآمليِّ، أبو جعفر الطَّبريُّ (المتوفَّى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدُّكتور عبد الله بن عبد المحسن التُّركيُّ، بالتَّعاون مع مركز البحوث والدِّراسات الإسلامية بدار هجر، النَّاشر: دار هجر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع والإعلان، الطَّبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م (١١/ ٥٤٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ١٨٢٩)، والواحديُّ في «أسباب النُّزول» (١/ ٢٥٠)، وانظر: «الصَّحيح المسند من أسباب النُّزول» (١/ ١٠٨).

إِنَّها الطريقةُ نفسُها والمشربُ ذاتُه، فإِذَا بنا نسمع وقدْ نقرأُ مَنْ يقولون: أَمَّا دِينُنا السَّمحُ، أَمَّا شريعتُنا الغرَّاءُ فلا نقول فيها شيئًا، لكنَّ المشكلةَ تكمُن فيمَنْ يسِيئُون للدِّين باسْم الدِّين.

فيا سُبْحَانَ الله! ما أَحْرَصَهم علىٰ الدِّين وهُمْ دُعاةُ التَّحرُّر، وما أَخْوَفَهم علىٰ الشَّريعة وهُمْ أَبْوَاقُ التَّبعيَّة، وما أَعْظَمَ حِمايتَهم للإِسْلام وهُمُ المُطالِبون بنبذ القديم (أي شرائِع الدِّين) والانعتاقِ من كلِّ عتيقٍ إِلَىٰ عالَمٍ بلا قُيودٍ.

إِنَّها شِنْشِنَةٌ لَطالَمَا سمعناها مِنْ أَخْرق، فباسْم الدِّين يُكادُ ويُنالُ مِنَ الدِّين، وبدَعْوىٰ الحُرِّيَّة تُهدَم القِيَمُ وتَتحلَّلُ الأَخْلاقُ، شعاراتٌ جوفاءُ وادِّعاءاتٌ شوهاءُ!! إِنَّهم جُبَنَاء أَنْ يقولوها صريحةً واضحةً؛ خوفًا علىٰ ذَوَاتِهم ومصالِحِهم، وحَذرًا مِن انقشاع أَقْنِعَةٍ علىٰ وُجوهِهم!! كما الشَّأْنُ فيمَنْ سبَق مِنْ أَسْلافهم، إِلَّا أَنَّهم في الآوِنة الأَخِيرةِ بدَأتْ تظْهَر منهم علاماتُ الجُرْأَةِ والمكاشفةِ، والمُجاهرةِ والمُجادلةِ، و«مَن أَمِنَ العُقوبةَ أَسَاءَ الأَدبَ»، لقدْ شرَّقوا بالحقِّ فلم يتَّبعوه، وجَبُنوا عنه فلم يُواجِهوه، إِنَّهم صَرْعَىٰ أَهْوائِهم ومُتَّبِعو شهواتِهم: ﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧﴾ [سورة النساء:٢٧][١].

○ الأسباب الدَّاعية للبحث:

إِنَّ الأَسْبابَ الدَّاعيةَ لبحث هذا الموضوعِ ودراستِه كثيرةٌ منها:

[١] حاجةُ الأُمَّة إِلَىٰ معرفة المنهجِ الشَّرْعيِّ في التَّعامُل مع هذه الفِئَةِ التي لا يخلو منها زمانٌ ولا مكانٌ.

[٢] وجودُ هذه الفِئَةِ بيننا ممَّا يتعيَّن علىٰ المسلم معرفةَ كيفيَّةِ التَّعامُل معهم، مِنْ خِلال القواعد الشَّرعيَّةِ.

---

(١) لابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ خطبة عصماء في وصف المنافقين وبيان حقيقتهم في «مدارج السَّالكين» (١/ ٣٥٤- ٣٦٦).

[٣] البيانُ الشَّرعيُّ الوافي للمُجتمَع؛ حتَّى لا يحصُل إفْراطٌ ولا تفريطٌ في التَّعامُل مع هذه الفِئَةِ.

[٤] تحذيرُ المُجتمَع مِن مكائِدِ المنافقين، وأَخْذُ الحيطة مِن مصائِدِهم، وعدمُ مَنْحِهم الثِّقَةَ حال التَّعامُل معهم، وعدمُ الرُّكون إلَيهم والاغْتِرارِ بمُخادعاتِهم وتلبيساتِهم؛ فهُمُ العقْربُ السَّامةُ والحيَّةُ اللَّدوغُ.

[٥] التَّحذيرُ منهم في كلِّ محفلٍ ومُناسَبةٍ وعلى صعيد كلِّ وسيلةٍ مواتيةٍ، وهتْكُ أَسْتارِهم، وكشفُ خباياهم وإِيْضاحُ طُرُقِ كيدِهم، وإِظْهارُ صفاتِهم، وبيانُ أَساليبِهم حتَّى لا ينخدعَ بهم غافلٌ ويعرفَ حقيقتَهم الجاهلُ ويحتاطُ منهم المُتعامِلُ.

❍ الدِّراسات السَّابقة:

النِّفاق والمنافقون من المواضيع التي عُنِيَ السَّلَفُ والخَلَفُ بالتَّأْليف فيها، فهناك العديدُ من الكتُبِ والدِّراساتِ، بلْ والرَّسائِلِ الجامعيَّةِ وغيرِها. وهي على قِلَّتها إِلَّا أَنَّها من خِلال اطِّلاعي المحدودِ عليها قدْ تناولتْ جوانبَ منها:

أ - بيان صفاتِهم مثل:

♦ «صفة النِّفاق وذمّ المنافقين» للإِمَامِ الفريابيِّ[١].

♦ «صفةُ النِّفاق ونعتُ المنافقين من السُّنن المأْثُورةِ عنْ رَسُولِ الله ﷺ» لأَبِي نَعِيْمِ الأَصْفهانيِّ[٢].

---

(١) هو: جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض، أبو بكر الفريابي تركي الأصل. من أهل فرياب (من ضواحي بلخ) حدث بمصر وبغداد. ورحل رحلة واسعة.وولي القضاء بالدينور مدة، وكان يحضر مجلسه نحو عشرة آلاف، (ولد: ٢٠٧ هـ - وتوفِّي: ٣٠١ هـ)، روى عن علي بن المديني، وأبي جعفر النّفيلي وطبقتها، وأول سماعه سنة أربع وعشرين ومائتين. ينظر: « شذرات الذهب»، لابن العماد (٤/ ٦)، «الأعلام »، للزركلي (٢/ ١٢٨).

(٢) هو: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق، أبو نعيم، الأصبهانيُّ، حافظ، مؤرِّخ، من الثِّقات في الحفظ =

ب - أو بيانُ شُعَب النِّفاق مثل:

♦ «المنافقون وشُعَبُ النِّفاق» لحَسَن عَبْدِ الغَنِيِّ.

ج- أَوْ كتُبٍ ودراسات عُنيت بِهم من خِلالِ ما ورَد عنهم في القرآن الكريم مثل:

♦ «المنافقون في القرآن الكريم» دكتوراة للشَّيخ عَبْدِ العَزِيزِ الحميديِّ.

د - أَوْ ذِكْرُ ماورَد في شأْنِهم في السُّنَّة مثل:

♦ «النِّفاقُ والمنافقون في ضوءِ السُّنَّةِ النَّبويَّةِ المُطَهَّرةِ» ماجستير للشَّيخ عَبْدِ الرَّحْمَنِ القصَّاص.

هـ - أَوْ دراساتٌ عنيت بهم مِنْ جهةِ خطَرِهم على العقيدة مثل:

♦ «النِّفاق وخطَره على العقيدة» ماجستير للدكتور عَبْدِ العَزِيزِ الشَّهوان.

ح - أَوْ بيانُ أَدْوارهم الدَّنيئَةِ في مواجهة الدَّعوةِ الإِسْلاميَّةِ مثل:

♦ «النِّفاقُ والزَّنْدقةُ وأَثَرُهما في مواجهة الدَّعوة الإِسْلاميَّةِ قديمًا وحديثًا». ماجستير للدكتور عَطِيَّةَ الزَّهرانيِّ.

= والرِّواية، الجامع بين الفقه والتَّصوُّف. واستجاز له أبوه طائفة من شيوخ العصر، أجاز له من الشَّام خيثمة بن سليمان ومن بغداد جعفر الخلديُّ، وسمع من عبد الله بن جعفر بن أحمد والقاضي أبي أحمد محمَّد بن أحمد العسَّال وأحمد بن محمَّد القصَّار وغيرهم (ولد: ٣٣٦ هـ - وتوفِّي: ٤٣٠هـ). قال أبو بكر الخطيب: لم أر أحدًا أطلق عليه اسم الحفظ غير رجلين: أبو نعيم الأصبهانيُّ وأبو حازم العبدويُّ الأعرج. من تصانيفه: «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»، و«معرفة الصَّحابة»، و«طبقات المحدِّثين والرُّواة»، و«دلائل النُّبوَّة»، و«المستخرج على الصَّحيحين».

ينظر: «طبقات الشَّافعيَّة الكبرى»، لابن السُّبكيِّ (٤/ ١٨)، و«سير أعلام النُّبلاء»، للذَّهبيِّ (١٧/ ٤٥٣ - ٤٦٤).



ط - أَوْ بيانُ خبائِثِهم عبْر التَّاريخ مثل:

♦ «ظاهرةُ النِّفاق وخبائِثُ المنافقين في التَّاريخ» لعَبْدِ الرَّحْمَنِ حبنكة الميدانيِّ(١).

وهناك العديدُ من المُؤَلَّفات والكُتيباتِ الأُخرىٰ حول الموضوع، وإنْ كانتْ قليلةً إِلَّا إِنَّني لمْ أَعْثُرْ -حتَّىٰ الآن- علىٰ دراسةٍ اهتمتْ ببيان القواعدِ الشَّرعيَّةِ التي علىٰ ضوئِها يُمْكِن تحديدُ طبيعةِ التَّعامُلِ السَّديدِ مع هذه الفِئَةِ.

إِلَّا أَنَّني لمَّا شارفْتُ علىٰ إِنْهاءِ رسالة الدَّكْتوراة عثرْتُ علىٰ بَحْثَيْنِ مُخْتصرَيْنِ:

أَحَدُهما: للدَّكتور مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ المُسْنِد بعُنْوان: «التَّعامُل مع المنافقين دراسةً قرآنيَّةً».

والآخَرُ: بحْثٌ تكميليٌّ لنيل درجة الماجستير، للدَّكتور عَبْدِ العَزِيزِ الدَّاوُدِ بعُنْوان: «السِّياسةُ الشَّرعيَّةُ في تعامُل النَّبيِّ ﷺ مع المنافقين».

والحقُّ أَنَّني استفدْتُ منهما فائِدَةً كبيرةً؛ فجزاهما الله عنِّي خيرَ الجزاءِ.

ولقدْ حفلَتْ سِيرةُ المصطفىٰ ﷺ ومنْ بعده السَّلَفِ الصَّالِح بمواقف كثيرةٍ كانتْ تحكي طبيعةَ التَّعامُل مع هذه الشَّريحة من المجتمع، ما بين مدٍّ وجزرٍ، وترغيبٍ وترهيبٍ، وتبكيتٍ ومُؤاخذةٍ، وعفْوٍ ومُسامحةٍ، وإِغْلاظٍ ومُلايَنةٍ، ممَّا دعتِ الحاجةُ إِلَىٰ ضبْطِه بقواعدَ شرعيَّةٍ تحكُمه وترسُمُ معالِمَه، مِنْ أَجل ذلك توجهْتُ لبحثِ ودراسةِ هذا الموضوع وما توفيقي إِلَّا بالله.

---

(١) هو: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني، الدمشقي؛ ولد في دمشق (١٣٤٥هـ - ١٩٢٧م)، درس في معهد التوجيه الإسلامي الذي أنشأه والده رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ثمَّ درس الشيخ في الأزهر الشريف، وعمل بعد تخرُّجه في مديريَّة التعليم الشرعيِّ التابعة لوزارة الأوقاف السوريَّة، ثمَّ عضوًا لهيئة البحوث في وزارة التربية والتعليم في سوريا، وعمل أستاذًا في جامعة الإمام محمَّد بن سعود في الرياض، ثمَّ أستاذًا في جامعة أمِّ القرىٰ في مكَّة قرابة ثلاثين عامًا؛ توفي (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م). «موقع المكتبة الشاملة».

ولأَنَّ العديدَ من الدِّراسات الجامعيَّةِ المُتأَخِّرةِ قدْ أَخَذَتْ مسارَ بيانِ القواعِدِ الشَّرعيَّةِ في مجالاتٍ شتَّى:

١- ففي القضايا الماليَّةِ: «القواعدُ والضَّوابطُ الفِقْهيَّةُ عند ابنِ تَيْمِيَّةَ في المعاملات المالية» لإِبْرَاهِيمَ الشَّال.

٢- وفي العلاقات الأُسَرِيَّةِ: «القواعدُ والضَّوابطُ الفِقْهيَّةُ عند ابْنِ تَيْمِيَّةَ في فقْه الأُسْرة» لُمحَمَّدٍ السَّواط.

٣- وفي معرفة البِدَع كـ: «قواعد معرفة البِدَع» لُمحَمَّدٍ الجيزانيِّ.

ونحو ذلك ممَّا قدْ يطول المقامُ بذِكْر شواهدِه، فقدْ رَأَيْتُ أَنَّ مِثْلَ هذا المنحى من الدِّراسات يضبط المسارَ ويحكم العلاقةَ ويُضِيءُ جوانبَ الطَّريق.

~~~
~~~

خطة البحث

المقدِّمة:

تمهيد:

تعريف القاعدةِ الشَّرعيَّةِ.

تعريف النِّفاق لُغةً وشرعًا.

البابُ الأَوَّلُ: ويشتمل على فصلَيْنِ:

الفصلُ الأَوَّلُ: أَنْواعُ النِّفاق، وفيه مبحثان:

المبحثُ الأَوَّلُ: النِّفاق الاعتقاديُّ (الأكبر).

المبحثُ الثَّاني: النِّفاق العمليُّ (الأَصْغر) وأَنْواعُه.

الفصلُ الثَّاني: فيه مبحثان:

المبحثُ الأَوَّلُ: أَقْسامُ المنافقين وشُعَب النِّفاق.

المبحثُ الثَّاني: نشأَةُ النِّفاق وأَسْبابُ ظُهورِه.

البابُ الثَّاني: ويشتمل على ثلاثةِ فصولٍ:

الفصلُ الأَوَّلُ: صفاتُ المنافقين ويشتمل على:

المبحثُ الأَوَّلُ: صفاتُ المنافقين حال تعامُلهم مع النَّبِيِّ ﷺ.

المبحثُ الثَّاني: صفاتُ المنافقين حال تعامُلهم مع المُؤْمِنِين.

الفصلُ الثَّاني: وفيه ثلاثة مباحثَ:



المبحثُ الأَوَّلُ: مُوالاةُ المنافقين للكافرين.

المطلبُ الأَوَّلُ: مُوالاةُ المنافقين لإِخْوانِهم الذين كفروا مِنْ أَهْل الكتاب.

المطلبُ الثَّاني: مُوالاتُهم للمشركين.

المطلبُ الثَّالثُ: صُوَرٌ مِنْ مُوالاة المُؤْمنين بعضهم بعضًا.

المطلبُ الرَّابعُ: مجالات مُوالاة المنافقين في زماننا لأَعْداءِ الدِّين.

المبحثُ الثَّاني: مُشابهةُ المنافقين والرَّافضةِ لليَهُودِ.

المبحثُ الثَّالثُ: المنافقون في تشبيهات الوَحْيِ وعند سلف الأُمَّة.

الفصلُ الثَّالثُ: ويشتمل على ثلاثةِ مباحث:

المبحثُ الأَوَّلُ: عقيدة المنافقين في خالقهم.

المبحثُ الثَّاني: موقفُ المنافقين من القرآن الكريم.

المبحثُ الثَّالثُ: موقفُ المنافقين من الجِهاد.

البابُ الثَّالثُ: ويشتمل على ثلاثةِ فُصولٍ:

الفصلُ الأَوَّلُ: رَأْسُ المُنافقين وزَعِيمُهم ابْنُ سَلُولٍ.

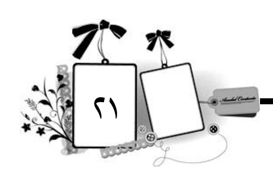
المبحثُ الأَوَّلُ: وفيه خمسةُ مطالبَ:

المطلبُ الأَوَّلُ: اسْمُه وكُنْيَتُه وأُسْرتُه وجواريه.

المطلبُ الثَّاني: مواقفُ ابْنِ سَلُولٍ من النَّبِيِّ ﷺ.

المطلبُ الثَّالثُ: مواقفُه من الغزوات.

المطلبُ الرَّابعُ: مواقفُ متفرقة لابْنِ سَلُولٍ.



المطلبُ الخامسُ: مرضُ ابنِ سَلُولٍ ونهايتُه.

المبحثُ الثَّاني: بعضُ زعاماتِ المنافقين الآخَرِين وفيه أَرْبعةُ مطالبَ:

المطلبُ الأَوَّلُ: زعاماتُ المنافقين من غير اليهود.

المطلبُ الثَّاني: زعاماتُ المنافقين من أَحْبَارِ اليهود.

المطلبُ الثَّالثُ: مَنْ تاب مِنَ المنافقين.

المطلبُ الرَّابعُ: المنافقات مِنَ النِّساء.

الفصلُ الثَّاني: ويشتمل على ثلاثةِ مباحثَ:

المبحثُ الأَوَّلُ: أَبرزُ زعامات المنافقين في عهد الخِلافة الرَّاشدة.

المطلبُ الأَوَّلُ: عَبْدُ الله بْنُ سَبَأٍ اليهوديُّ.

المطلبُ الثَّاني: فرقةُ السَّبَئِيَّة.

المطلبُ الثَّالثُ: دورُ ابْنِ سَبَأٍ في الفتنة زمن عُثْمانَ (١) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

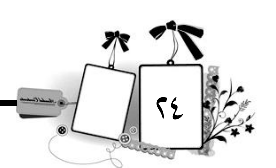
المطلبُ الرَّابعُ: دورُ ابْنِ سَبَأٍ في الفتنة زمن عَلِيٍّ (٢) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

المطلبُ الخامسُ: أَشْهرُ أَتْباع عَبْدِ الله بنِ سَبَأٍ.

---

(١) هو: عثمان بن عفان بنِ أَبِي العَاصِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عَبْدِ شمس، أمير المؤمنين، أبو عمرو، وأبو عبد الله، القرشي الأموي...؛ أحد السابقين الأولين، وذو النورين، وصاحب الهجرتين، وزوج الابنتين. قدم الجابية مع عمر. وتزوج رقية بنت رسول الله ﷺ قبل المبعث، فولدت له عبد الله، وبه كان يكنى، وبابنه عمرو. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٤٩).

(٢) هو: علي بن أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أمير المؤمنين، أبو الحسن القرشي الهاشمي؛... وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف الهاشمية، وهي بنت عم أبي طالب، كانت من المهاجرات، توفيت في حياة النبي ﷺ بالمدينة؛... كان من السابقين الأولين، شهد بدرا وما بعدها، وكان يكنى أبا تراب. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٩٥).



منهجي في البحث

١- أَوْرَدْتُ بعضَ وقائِعَ وأَحْداثٍ من مُؤَلَّفات السِّيرة لعلمائِنا من السَّلف، واستفدْتُ من كتُب السِّيرةِ المُعاصرةِ؛ ذلك لأَنَّ عددًا منها مُحَقَّقٌ ومُخَرَّجةٌ أَحاديثُه.

٢- كررْتُ في مواضعَ من البحث شواهدَ ومواقفَ للمُنافقين؛ لكونها تشتمل على العديد من الدُّروس والعِبَر؛ ممَّا يستدعي إِيْرادَها هنا وهناك.

٣- اجتهدْتُ على أَلَّا أُورِدَ من الأَحَاديثِ إِلَّا ما كان في درجة الصَّحيح أَو الحسَنِ قدْرَ الإِمْكان، فإِنْ ورَد ما هو ضعيفٌ فإِنَّما للتَّعضيد والتَّأْيِيدِ دون اعتباره حُجَّةً أَوْ دليلًا يُبنى عليه حُكْمٌ مع تبْيين ضعفه.

٤- أَسْنَدْتُ الآياتِ إِلَى سُوَرِها والأَحَاديثَ إِلَى مصادرها.

٥- حرصْتُ على تشكيل الأَلْفاظ العسرةِ بالحركات مع بيان معانيها.

٦- حاولْتُ جاهدًا ربْطَ الوقائِعِ والأَحْداثِ بعصرنا الحالي؛ لأَنَّ التَّاريخَ يُعيد نفسَه وما أَشْبهَ اللَّيلةَ بالبارحة، وإِنْ تعدَّدَتِ الأَسْماءُ وتنوَّعتِ الأَساليبُ إِلَّا أَنَّ المقصدَ واحدٌ والغايةَ مشتركةٌ.

٧- ذيَّلْتُ البحثَ بفهارسَ للآيات، والأَحاديثِ، والمراجعِ، والتَّراجِمِ.

٩- تمَّ تحديدُ جغرافيةِ بعضِ المواقع الواردِ ذِكْرُها في البحث.

شكر وتقدير

وفي الختام: فإنِّي أَحْمَدُ اللهَ تعالى حمدَ شاكرٍ لنَعْمائِه، وأَشْكُره وأُثْنِي عليه بما هو أَهْلُه، لا أُحْصي ثناءً عليه، هو كما أَثْنى على نفسه سُبْحَانَهُ حيث وفَّقني لاختيار هذا الموضوع الذي شعُرْتُ بفائِدَتِه الكبيرةِ مُنْذُ أَنْ بدَأْتُ فيه ؛ فقدْ تعرَّفْتُ على العديد من كتُبِ التَّفسير والسِّيرةِ، والدَّعوةِ والتَّخصُّصاتِ الأُخرى المُفيدةِ والنَّافعةِ.

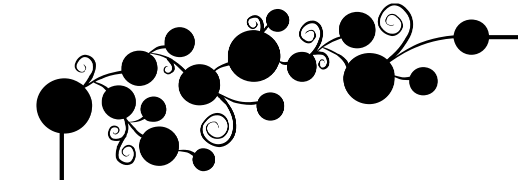
وأَحْمَدُ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عونه وتوفيقِه لإِتْمام هذا البحثِ، حيثُ سهَّل لي صعْبَه، وذلَّل أَمَامِي عقَباتِه، وهيَّأَ لي من عباده الصَّالحين والعلماءِ النَّاصحين مَنْ أَخَذُوا بيدي، وأَخْلصوا في توجيهي وإِرْشادي.

سائِلًا المولى سُبْحَانَهُ أَنْ ينفعَ بهذا البحثِ، وأَنْ يكونَ حليفَ كاتبِه الإِخْلاصُ في القولِ والعملِ، فما كان فيها مِنْ صوابٍ فمِن الله، وما كان فيها مِنْ خَطَأٍ وتقصيرٍ فمِنْ نفسي والشَّيْطانِ.

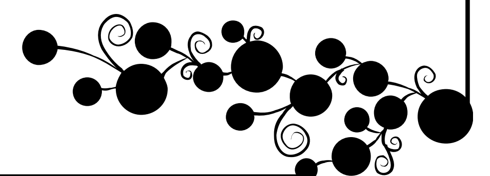
وآخِرُ دعوانا أَنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالَمِيْن

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعلى رُسُلِ الله وأَنْبِيَائِه ومَلَائِكَتِه جميعًا ، ورَضِيَ اللهُ عمَّنْ سارَ على هدْيِهم إِلى يوم الدِّين.





التمهيد





تمهيد

يحسن هنا قبل تعريف النِّفاق أَنْ نُعرِّفَ القواعدَ الشَّرْعِيَّةَ.

❍ تعريف القاعدة لغة واصطلاحًا:

القاعدة لُغةً:

تأْتِي مادةُ «قعد» في اللُّغة لِمعانٍ عديدةٍ منها:

١- الاسْتِقْرارُ: فمِنْ ذلك المُقعد وهو المريض، لا يستطيع القيام، سُمِّيَ بذلك لِقراره بالأَرْض، والإِقْعاد والقعاد: داءٌ يُصيب الإِبِلَ في أَوْرَاكِها فيُقعدها بالأَرْض(١).

وقِعْدةُ الرَّجُل: مقدارُ ما أَخَذَ من الأَرْضِ قُعودُه(٢)، وقعيدةُ الرَّجُل: امْرَأَتُه القاعدةُ في بيته، سُمِّيتْ بذلك لكثرة قرارها(٣).

وقعدتِ الفسيلةُ: إِذَا ثبتتْ في الأَرْضِ، وصار لها جِذْعٌ تقعَد عليه(٤).

---

(١) ينظر: «جمهرة اللُّغة»، أبو بكر محمَّد بن الحسن الأزديُّ البصريُّ المعروف بابن دريد، مجلس دائرة المعارف العثمانيَّة – حيدر أباد الدكن، الطَّبعة الأولى، سنة (١٣٤٥هـ)، (٢/ ٦٦١)، «تهذيب اللُّغة»، أبو منصور محمَّد بن أحمد الأزهريُّ، حقَّقه: د/ عبد الحليم النَّجَّار - وراجعه: الأستاذ محمَّد بن عليٍّ النَّجَّار، الدَّار المصريَّة للتَّأليف والنَّشر والتَّرجمة، بدون رقم طبع أو سنة نشر، (١/ ٢٠٤)، «لسان العرب»، المؤلِّف: محمَّد بن مكرم بن عليٍّ، أبو الفضل، جمال الدِّين ابن منظور الأنصاريُّ الرُّويفعيُّ الإفريقيُّ (المتوفى: ٧١١هـ)، النَّاشر: دار صادر – بيروت، الطَّبعة: الثَّالثة - ١٤١٤ هـ (٣/ ٣٥٨).

(٢) ينظر: «لسان العرب» (٣/ ٣٥٧).

(٣) ينظر: «جمهرة اللُّغة» (٢/ ٦٦٢)، «مختار الصِّحاح»، محمَّد ابن أبي بكر الرَّازي، دار الكتاب العربيِّ – بيروت–لبنان، سنة (١٤٠١-١٩٨١)، (٢/ ٢٥٦). وهذا يدلُّ على أنَّ الأصل في شأن المرأة المسلمة القرار في البيت؛ ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [سورة الأحزاب:٣٣].

(٤) ينظر: «تهذيب اللُّغة» (١/ ٢٠٢)، «لسان العرب» (٣/ ٣٥٨).

٢- الأَسَاسُ: فقاعدةُ كلِّ شيءٍ أَسَاسُه، ومِنْ ذلك قولُه تعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [سورة البقرة:١٢٧] ، وقولُه تعالىٰ: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ [سورة النحل:٢٦].

ومِنْه قواعد الهَوْدَجِ، وهي أَخْشابٌ أَرْبعٌ مُعترضةٌ في أَسْفلِه تُركَّبُ عِيْدانُ الهَوْدَجِ فيها.

وتُطْلَقُ القاعدةُ علىٰ الأُمُورِ الحِسِّيَّةِ والمَعْنَوِيَّةِ؛ فالحِسِّيَّةُ كما مرَّ، وأَمَّا المعنويَّةُ فكقواعدِ الدِّين والعلومِ(١).

تعريف القاعدة اصْطلاحًا:

غالبُ مَنْ بحَث في التَّعريفِ الاصْطلاحيِّ للقاعدة هُمُ الأُصُوليُّون والفقهاءُ، لذا فقدْ ذهَب الأُصُوليُّون إِلَىٰ أَنَّ القاعدةَ: قضيَّةٌ كلِّيَّةٌ مُنْطَبِقَةٌ علىٰ جميع جُزْئِيَّاتِها، كما عند الجُرْجانيِّ(٢) والمناويِّ(٣) ....

(١) ينظر: «معجم مقاييس اللُّغة» (٢/ ١٤٠).

(٢) ينظر: «التَّعريفات»، عليِّ بن محمَّد بن عليٍّ الجرجانيِّ، المطبعة الوهبيَّة – مصر، سنة (١٢٨٣هـ)، (١/ ١١).

والجرجانيُّ: شيخ العربيَّة أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرَّحمن الجرجانيُّ، الأديب النَّحويُّ، والفقيه الشَّافعيُّ، والمتكلِّم الأشعريُّ، شرح كتاب «الإيضاح»، في النَّحو، في ثلاثين مجلَّدًا، وكان ورعًا قانعًا، كان آية في النَّحو، توفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٤٧١هـ)، وقيل: سنة (٤٧٠هـ). انظر في ترجمته: «نزهة الألباب في الألقاب»، أحمد بن عليِّ بن محمَّد المشهور بابن حجر العسقلانيِّ، تحقيق: عبد العزيز محمَّد بن صالح السديريِّ، مكتبة الرُّشد – الرِّياض، سنة (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م)، (٣٦٣-٣٦٤)، إنباء الرُّواة (٢/ ١٨٨-١٩٠)، «فوات الوفيات»، محمَّد بن شاكر بن أحمد، تحقيق: إحسان بن عبَّاس، دار الصَّادر – بيروت، (٢/ ٣٦٩-٣٧٠)، «النُّجوم الزَّاهرة في ملوك مصر والقاهرة»، المؤلِّف: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهريُّ الحنفيُّ، أبو المحاسن، جمال الدِّين (المتوفَّىٰ: ٨٧٤هـ)، الناشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، =



في «التوقيف»(١)، وقريبًا من ذلك عند سَعْدِ الدِّين التَّفْتازانيِّ(٢).

= مصر (٥/ ١٠٨) وغيرها.

المناويُّ: هو الإمام الحافظ المحدِّثُ الفقيه الأصوليُّ زين الدِّين عبد الرءوف بن تاج العارفين الحدَّاي المناويُّ، نسبة إلى بلدة بمصر تسمَّى ـ مُنية ابن خصيب ـ المصـريُّ الشَّافعيُّ، ولد سنة (٩٥٢هـ)، تلقَّى العلم حتَّى برز، فأصبح يأتي إليه أجلاَّء العلماء يأخذونَ عنه، ويتتلمذون بين يديه، ومع ذلك لم يكن يَسْلَمُ من طاعن وحاسد، حتى دُسَّ عليه السُّمُّ، فتوالى عليه بسبب ذلك نقص في أطرافه وبدنه من كثرة التَّداوي، توفِّي سنة (١٠٣١هـ) عن عمر ناهز (٧٩) عامًا، وترك من التَّآليف ما يزيد عن (٩٠) مصنَّفًا في فنون مختلفة. انظر في ترجمته: الأعلام، للزِّركليِّ (٣/ ٦٥)، «سير أعلام النُّبلاء»، شمس الدِّين محمَّد بن أحمد الذَّهبيُّ، حقَّقه: شعيب الأرناؤوط، مؤسَّسة الرِّسالة – بيروت، سنة (١٤١٠- ١٩٩٠م)، (١٧/ ٤٠٥)، «فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات»، عبد الحيِّ بن عبد الكبير الكتَّانيُّ، إحسان عبَّاس، دار الغرب الإسلاميِّ – بيروت، الطَّبعة الثانية، سنة (١٩٨٢م)، (٢/ ٥٦٠)، «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» (٢/ ٤١٢).

(١) ينظر: «التَّوقيف على مهمَّات التَّعاريف»، محمَّد عبدالرءوف بن تاج العارفين بن عليٍّ، المناويُّ، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب القاهرة، سنة (١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، (ص٥٦٩).

(٢) ينظر: «شرح التَّلويح على التَّوضيح لمتن التَّنقيح في أصول الفقه»، سعد الدِّين مسعود بن عمر التَّفتازانيّ الشَّافعيِّ، زكريَّا عميرات، دار الكتب العلميَّة، بيروت – لبنان، الطَّبعة الأولى، سنة (١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م)، (١/ ٣٥).

وهو: مسعود بن عمر بن عبد الله التَّفتازانيُّ الشَّافعيُّ، كان إمامًا علاَّمة، عارفًا بالأصلين العربيَّة وغيرها، انتهت إليه معرفة العلوم بالمشرق، مات بسمرقند في صفر سنة (٧٩١هـ)، من مؤلَّفاته: «التَّلويح على التَّوضيح»، «الإرشاد في النَّحو»، «شرح الشَّمسيَّة في المنطق»، وغيرها. انظر في ترجمته: «الدُّرَر الكامنة في أعيان المائة الثَّامنة»، أحمد بن عليِّ بن حجر العسقلانيُّ، حقَّقه وقدَّم له ووضع فهارسه: محمَّد سيِّد جاد الحقِّ، دار الكتب الحديثة – القاهرة، الطَّبعة الثَّانية، سنة (١٣٨٥هـ-١٩٦٦م)، (٤/ ٣٥٠)، «إنباء الغمر بأبناء العمر في التَّاريخ»، أحمد بن عليِّ بن حجر العسقلانيِّ، تحقيق: د/ محمَّد عبد المعيد خان، دار الكتب العلميَّة – بيروت- لبنان، الطَّبعة الثَّانية، سنة (١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م)، (٢/ ٣٧٧)، «بغية الوعاة في طبقات اللُّغويِّين والنُّحاة»، جلال الدِّين عبد الرَّحمن السُّيوطيُّ، تحقيق: محمَّد أبي الفضل إبراهيم، النَّاشر المكتبة العصريَّة لبنان / صيدا، (٢/ ٢٨٥)، «شذرات الذَّهب»، عبد الحيِّ بن أحمد بن العماد العكريِّ، دار =

والمُلاحَظ لَمَنْ تأمَّل تعاريفَ القوم يجد أَنَّ نعتَ القاعدة بالكُلِّيَّة يُمثِّل قيدًا ضروريًّا عندهم.

وأَمَّا تعريفُ القاعدة عند الفقهاءِ فغالبُهم يرىٰ أَنَّ القاعدةَ الفِقْهِيَّةَ: «حُكْمٌ أَكْثريٌّ لا كُلِّيٌّ ينطبق علىٰ أَكْثر جُزْئِيَّاتِه لتُعرَفَ أَحْكامُها منه»، ومِنْ هؤلاء الإِمَامُ شِهَابُ الدِّين الحمويُّ[(١)]، ومُحَمَّدُ هِبَةُ الله التَّاجيُّ[(٢)]، ومن المعاصرين الدَّكتور أَحْمَدُ بنُ عَبْدِ الله بنِ حُمَيدٍ، والدَّكتور عَبْدُ الله العجلان وغيرُهم[(٣)].

وهذا الذي سينطبق علىٰ ما في هذه الرِّسالةِ؛ إِذِ القواعدُ الشَّرعيَّةُ في التَّعامُل مع المنافقين ما هي إِلَّا حُكْمٌ أَكْثريٌّ لا كُلِّيٌّ؛ لارتباط هذه القواعدِ عند تنزيل التَّعامُل

= المسيرة – بيروت، سنة (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م)، (٨/ ٥٤٧).

(١) شهاب الدِّين الحمويُّ: هو أحمد بن محمَّد الحسينيُّ الحمويُّ الحنفيُّ، من علماء الحنفيَّة، تولَّىٰ التَّدريس بالمدرسة السُّليمانيَّة بالقاهرة، وتولَّىٰ إفتاء الحنفيَّة، مات سنة (١٠٩٨هـ)، من مؤلَّفاته: «غمز عيون البصائر شرح الأشباه والنَّظائر»، «كشف الرَّمز عن خبايا الكنز»، «دُرَر العبارات وغُرَر الإشارات في تحقيق معاني الاستعارات». انظر في ترجمته: «تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار»، عبد الرَّحمن بن حسن الجبرتيُّ، دار الجيل – بيروت، (١/ ١١٤)، «هدية العارفين» (١/ ١٦٤)، معجم المطبوعات (٣٧٥).

(٢) هو: محمد هبة الله بن محمد بن يحيىٰ بن عبد الرحمن بن تاج الدين، ولد في دمشق (١١٥٣هـ- ١٧٣٩م)، حفظ القرآن الكريم وتلقىٰ علومه في دمشق، ثم رحل مع والده إلىٰ القاهرة فقرأ علىٰ علمائها، ثم سافر مع والده إلىٰ إستانبول وأخذ العلم الشرعي عن علمائها؛ عمل بالتدريس تحت قبة النسر بعد عودته من تركيا، وعيَّنه الوزير محمد درويش (١٧٨٣م) مفتيًا لمدينة بعلبك بلبنان، فأقام ستة أشهر عاد بعدها إلىٰ دمشق؛ توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الآستانة (١٢٢٤هـ - ١٨٠٩م). «موقع معجم البابطين».

(٣) استفدت هذا من رسالة: «القواعد والضَّوابط الفقهيَّة عند ابن تيميَّة في فقه الأسرة»، للشَّيخ: محمَّد بن عبد الله الصواط، مكتبة دار البيان الحديثة – الطَّائف، الطبعة الأولىٰ، سنة (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م).



بها مع هذه الطَّائِفة بالمصالح العُلْيا للأُمَّةِ المسلمةِ، واعْتِبارِ ضعفِها وقُوَّتِها، وتقديرِ المصالحِ والمفاسدِ وسائِرِ القواعدِ الشَّرعيَّةِ التي يجب الأَخْذُ بها عند التَّعامُل مع المنافقين .

○ تعريف النفاق لغة وشرعًا:

- لغةً:

مأْخُوذٌ مِنْ مادَّة «نفق» التي تدور علىٰ معانٍ منها:

⇐ النَّفاذُ والفناءُ: تقول: نفق الطَّعامُ؛ إِذَا نفذ، ونفقتِ الدَّابَّةُ نفوقًا؛ إِذَا ماتتْ.

⇐ وضِدُّه الرِّبْحُ والرَّواجُ: تقول: نفق البيعُ نفاقًا. إِذَا راج، ونفقتِ الأَيِّمُ نفاقًا. إِذَا كثُر خطابُها[١].

● **أَمَّا أَصْلُه**، فأَهْل اللُّغةِ فيه علىٰ قولَيْنِ مشهورين:

أَحَدِهما: أَنَّه مأْخُوذٌ مِنْ نافُقاء اليَرْبُوعِ، وهو أَحَدُ بابَيْ جُحْرِه؛ وهو قول عامَّةِ أَهْلِ اللُّغة[٢].

ووَجْهُ التَّشابُهِ بين فِعْلِ المُنافق وفِعْلِ اليَرْبُوعِ ظاهرٌ؛ فاليَرْبُوعُ يحفِر جُحْرَه ويجعلُ له بابَيْنِ: يُسمَّىٰ أَحَدُهما القاصُعاءُ والآخرُ النافُقاءُ، فإِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ الأَوَّل فرَّ إِلَىٰ الثَّاني، فضَربه برَأْسِه ثُمَّ خرج منه، فيُقال قدْ نفَق، وكذلك المنافق فإِنَّه يدخل في الإِسْلام باللَّفْظ ويخرجُ منه بالعَقْدِ[٣].

---

(١) ينظر: «جمهرة اللُّغة» (٣/ ١٥٥-١٥٦)، «لسان العرب»، لابن منظور (١٠/ ٣٥٧ -٣٦٠)، «الصِّحاح» للجوهريِّ (٤/ ١٥٦٠).

(٢) المراجع السَّابقة .

(٣) ينظر: «تفسير غريب القرآن»، لابن قتيبة (ص٢٩)، «القاموس المحيط»، محمَّد بن يعقوب الفيروزآبادي (ص١١٩٦)، «لسان العرب» (١٠/ ٣٥٨)، «مقاييس اللُّغة» (٥/ ٤٥٥).

الثَّاني: أَنَّ لفظَ النِّفاق مأْخُوذٌ مِنْ نَفَقٍ؛ وهو: السَّرَبُ في الأَرْضِ. وهو قولُ أَبِي عُبَيْدٍ[(١)] ومنه قولُه تعالىٰ: ﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الأنعام:٣٥][(٢)]، وذلك أَنَّ اليَرْبُوعَ يَخْتَبِئُ ويستترُ في هذا النَّفَقِ، وكذلك المنافق يستر كُفْرَه ويُداريه عن النَّاس.

إِلَّا أَنَّ القولَ الأَوَّلَ أَظْهرُ كما قال ابنُ مَنْظُورٍ [(٣)]؛ يُقالُ: نافق يُنافق مُنافَقةً

---

(١) المراجع السَّابقة. وأبو عبيد الهرويُّ: هو العلاَّمة أبو عبيدة أحمد بن محمَّد بن محمَّد بن عبد الرَّحمن الهرويُّ، الشَّافعيُّ، اللُّغويُّ، المؤدِّب، صاحب «الغريبين» «الجمع بين غريبي القرآن والحديث»، أخذ علم اللِّسان عن الأزهريِّ، وغيره، روىٰ الحديث عن بعض علمائه، وقد حدَّث عنه أبو عثمان الصَّابونيُّ، توفِّي في (٦/ ٧/ ٤٠١هـ). انظر ترجمته في: «معجم الأدباء» = «إرشاد الأريب إلىٰ معرفة الأديب» المؤلِّف: شهاب الدِّين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرُّوميُّ الحمويُّ (المتوفَّىٰ: ٦٢٦هـ)، المحقِّق: إحسان عبَّاس، النَّاشر: دار الغرب الإسلاميِّ، بيروت، الطَّبعة: الأولىٰ، (١٤١٤ هـ - ١٩٩٣) م (٤/ ٢٦٠-٢٦١)، و«طبقات ابن الصَّلاح» (١٤٠ أ)، و«وفيات الأعيان» (١/ ٩٠-٩٦)، و«طبقات الشَّافعيَّة الكبرىٰ»، الإمام العلاَّمة تاج الدِّين بن عليِّ بن عبد الكافي السُّبكيِّ، تحقيق: د/ محمود محمَّد الطَّناحيِّ، ود/ عبد الفتَّاح محمَّد الحلو، دار النَّشر: هجر للطِّباعة والنَّشر والتَّوزيع - (١٤١٣هـ)، الطبعة: الثانية (٤/ ٨٤)، و«البداية والنِّهاية»، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيُّ البصريُّ ثمَّ الدِّمشقيُّ (المتوفَّىٰ: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التُّركيِّ، النَّاشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولىٰ، (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧) م، سنة النشر: (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) (١١/ ٣٤٤-٣٤٥)، و«شذرات الذَّهب» (٣/ ١٦١).

(٢) «لسان العرب»، لابن منظور (١٠/ ٣٥٩).

(٣) «لسان العرب» (١٠/ ٣٥٩). وهو: محمَّد بن مكرم بن عليٍّ الأنصاريِّ الإفريقيِّ (أبو الفضل) ولد سنة ٦٣٠هـ في محرَّم، وكان مغرمًا باختصار كتب الأدب المطوَّلة؛ فقد اختصر الأغاني والعقد الفريد ... إلخ.

قال الصَّفديُّ: لا أعرف في الأدب وغيره كتابًا مطوَّلًا إلاَّ وقد اختصره. قال: وقد أخبرني ولده قطب الدِّين أنَّه ترك بخطِّه خمسمائة مجلَّدة، وتوفِّي سنة ٧١١ هـ، وكان عنده تشيُّع بلا رفض. يُنظر في ترجمته: «الدُّرر الكامنة» (٢/ ١٠٧)، «الأعلام»، للزِّركليِّ (٦/ ١٢٣).

ونِفاقًا، وهو مأْخُوذٌ مِنَ النَّافُقاء، لا مِنَ النَّفَقِ، وهو: السَّرَبُ الذي يستتر فيه لستر كُفْرِه.

وممَّا تقدَّم يظهرُ أَنَّ مبنى كلمةِ النِّفاقِ في اللُّغة يعتمد على السَّتْر والإِخْفاءِ والخِداعِ، واخْتلافِ الحال بين السِّرِ والعلانيةِ(١).

- **أَمَّا النِّفاقُ شرعًا:**

النِّفاقُ لفظٌ إِسْلاميٌّ لم تعرفْه العربُ قبل الإِسْلام، بمعنى التَّظاهرِ بالإِسْلام وادِّعاءِ الإِيمان كذبًا ومخادعةَ المُؤْمنين، وقدْ قال الإِمَامُ الحَسَنُ البصريُّ (٢):

---

(١) ينظر: «جامع العلوم والحكم»، أبو الفرج عبد الرَّحمن بن أحمد بن رجب الحنبليُّ، دار المعرفة – بيروت، الطَّبعة الأولى، سنة (١٤٠٨هـ)، (ص٤٢٩)، «فتح الباري شرح صحيح البخاريِّ»، أحمد بن عليِّ بن حجر أبو الفضل العسقلانيُّ الشَّافعيُّ، تحقيق: د/ عبد الرَّحمن عبد الجبَّار الفريوائيُّ، دار المعرفة – بيروت، سنة (١٣٧٩هـ)، (١/ ٨٩).

(٢) هو: الحسن ابن أبي الحسن يسار أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان سيِّد زمانه علمًا وعملًا، فقيهًا، ثقة، حجَّة، مأمونًا، عابدًا، ناسكًا، فصيحًا، جميلًا، وسيمًا، وكان من الشَّجاعة بمكان.

عن الرَّبيع بن أنس قال: اختلفت إلى الحسن عشر سنين أو ما شاء الله، فليس من يوم إلاَّ أسمع منه ما لم أسمع قبل ذلك، وقد قيل عنه إنَّه الَّذي يشبه كلامه كلام الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام، من مواعظه: (يا ابن آدم إنَّما أنت أيَّام، كلَّما ذهب يَوْمٌ، ذهب بعضك)، (إذا رأيت الرَّجل ينافسك في الدُّنيا، فنافسه في الآخرة). توفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١١٠هـ)، وله من العمر (٨٨)سنة. انظر في ترجمته: «تهذيب الكمال في أسماء الرِّجال»، يوسف بن الزكيِّ عبد الرَّحمن أبو الحجَّاج المزيُّ، تحقيق : د/ بشَّار عوَّاد معروف، مؤسَّسة الرِّسالة – بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م) ، (صـ ٢٥٦)، «الطَّبقات الكبرى»، المؤلِّف: أبو عبد الله محمَّد بن سعد بن منيع الهاشميُّ بالولاء، البصريُّ، البغداديُّ، المعروف بابن سعد (المتوفَّى: ٢٣٠هـ)، المحقِّق: إحسان عبَّاس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م (٧/ ١٥٦)، «تاريخ البخاريِّ»، محمَّد بن إسماعيل البخاريُّ، دراسة: عادل بن عبد الشَّكور الزرقيُّ، دار طويق– الرِّياض، سنة (١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م)، (٢/ ٢٨٩)، «أخبار القضاة»، أبو بكر محمَّد بن خلف بن =

كان يُقال النِّفاقُ: اختلافُ السِّرِّ والعلانيةِ، والقولِ والعملِ، والمدخلِ والمخرجِ(١).

ومحصِّلةُ أقوالِ العلماءِ يُمكِن إرجاعُها إلَى أنَّ النِّفاقَ هو: إظهارُ الإيمانِ وإبطانُ الكُفْرِ(٢).

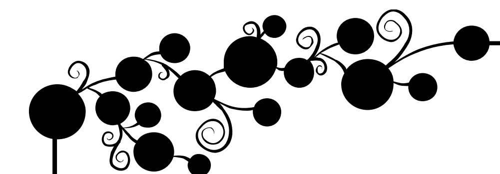
قال شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالمنافقُ هو الذي خرج مِنَ الإيمان باطنًا بعد دُخولِه فيه ظاهرًا، وقيَّد النِّفاقَ بأنَّه نِفاقٌ مِنَ الإيمان، ومِنَ النَّاس مَنْ سمَّى مَنْ خرَج عن طاعةِ الملِك مُنافِقًا عليه، لكنَّ النِّفاقَ الذي في القرآن هو النِّفاقُ على الرَّسُولِ ﷺ، فخِطابُ الله ورَسُولِه للنَّاس بهذه الأَسْماءِ كخِطابِ النَّاس بغيرها، وهو خِطابٌ مقيَّدٌ خاصٌّ لا مُطْلَقٌ يحتمل أنواعًا»(٣).

= حيَّان بن صدقة الضَّبِّيُّ البغداديُّ الملقَّب بـ: وكيع، صحَّحه وعلَّق عليه وخرَّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغيُّ، النَّاشر: المكتبة التِّجاريَّة الكبرى، بشارع محمَّد عليٍّ بمصر، لصاحبها: مصطفى محمَّد، الطَّبعة الأولى، سنة (١٣٦٦هـ-١٩٤٧م)، (٢/ ٣)، «طبقات الفقهاء»، أبو إسحاق الشِّيرازيُّ - هذَّبهُ: محمَّد بن جلال الدِّين المكرم (ابن منظور)، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار الرَّائد العربي، بيروت، الطبعة الأولي، سنة (١٩٧٠م)، (٨٧)، «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»، أبو العبَّاس شمس الدِّين أحمد بن محمد ابن أبي بكر بن خلِّكان - المحقِّق: إحسان عبَّاس، دار صادر - بيروت، (٢/ ٦٩)، «سير أعلام النُّبلاء»، للذَّهبيِّ (٤/ ٥٦٣).

(١) أخرجه الخرائطيُّ في «مساوئ الأخلاق» (١٠٨)، والفريابيُّ في «صفة النِّفاق وذمِّ المنافقين» (٤٨)، وأبو نعيم في «صفة النِّفاق ونعت المنافقين» (١٢٩)، من طريق: معاوية بن مروان الفزَّاريِّ، عن عوف ابن أبي جميلة، عن الحسن، به.

(٢) «معجم المقاييس» (٥/ ٤٥٥)، «لسان العرب» (١٠/ ٣٥٩).

(٣) «مجموع الفتاوى»، تقيُّ الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن تيميَّة الحرَّانيُّ، تحقيق: أنور الباز - عامر الجزَّار، دار الوفاء، الطَّبعة الثالثة، سنة (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، (٧/ ٣٠٠).



الباب الأول

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: أنواع النفاق ... وفيه مبحثان: ....

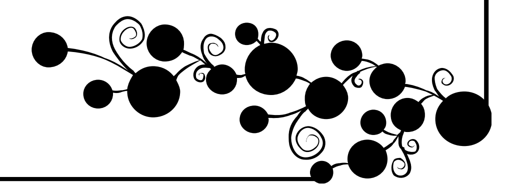
المبحث الأول: النفاق الاعتـقادي (الأكبر).

المبحث الثاني: النفاق العملي (الأصغر) وأنواعه.

الفصل الثاني: فيه مبحثان:

المبحث الأول: أقسام المنافقين وشعب النفاق.

المبحث الثاني: نشأة النفاق وأسباب ظهوره





الفصل الأول

أنواع النفاق

هذا المطلبُ من المطالب التي لم يخلو كتابٌ ولا رسالة ولا بحث عن النِّفاق إلا وغالبًا ما يشار إليه، بل ويطول فيه التقسيم والتفريع، مثله مثل مبحث صفات المنافقين:

- فمنهم من جعله على نوعين:

أ - النِّفاق الاعتقَادي (الأكبر).

ب - النِّفاق العملي (الأصغر)(١).

ومنهم من قسَّم الأنواع باعتبار وضع النفاق عند نشأته، ومنهم من قسَّمه باعتبار موقعه من الكُفر، وهذان التقسيمان وردا عند الدكتور عبد الرحمن حبنكة الميداني في كتابه: «ظاهرة النفاق»(٢).

- وخلاصةُ القُول:

هو أن النِّفاقَ على قسمين: النِّفاق الاعتقادي، والنفاق العملي، قال الإمام الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مشيرًا إلى ذلك في أقدم نصٍّ في هذا الشأن حيث قال: «النفاق نفاقَان: نفاقُ العمل ونفاقُ التكذيب»(٣).

---

(١) ومن هؤلاء الدُّكتور عبد الرَّحمن قصَّاص، مؤلِّف رسالة الماجستير: «النِّفاق والمنافقون في ضوء السُّنَّة المطهَّرة»، ومنهم د/ عادل الشدِّيُّ مؤلِّف رسالة الماجستير: «دراسة قرآنيَّة في النِّفاق وأثره في حياة الأمَّة»، وكذلك د/ عبد العزيز الحميديُّ مؤلِّف رسالة الدُّكتوراة: «المنافقون في القرآن الكريم»، وكذا طائفة من الكتب والكتيِّبات في هذا الموضوع.

(٢) «ظاهرة النِّفاق وخبائث المنافقين في التَّاريخ»، عبد الرَّحمن بن حسن حبنكة الميدانيُّ.

(٣) أخرجه ابن بطَّة في «الإبانة الكبرى» (٩٣٩)، وأبو نعيم في «صفة النِّفاق ونعت المنافقين» (١٢٧)، وينظر: «سنن التِّرمذيِّ» (٥/ ١٩)، «مجموع الفتاوى» (١١/ ١٤٠).

المبحثُ الأوَّلُ

النِّفاقُ الاعتقاديُّ (الأكبر)

وسُمِّي بالنِّفاقِ الأكْبرِ ونفاقِ الكُفْرِ، قال عنه الإِمَامُ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالنِّفاقُ الأكْبرُ يُوجب الخلودَ في النَّار في دركِها الأسْفلِ، وهو أَنْ يُظهرَ للمسلمين إِيْمانَه بالله وملائِكَتِه، وكتُبِه ورُسُلِه واليومِ الآخِرِ، وهو في الباطن مُنسلِخٌ من ذلك كلِّه مُكذِّبٌ به»(١).

وممَّا جاء في مناظرة شيخِ الإِسْلام ابنِ تَيْمِيَّةَ مع ابنِ المرحل(٢) قولُه: «والنِّفاق

(١) «مدارج السَّالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين»، محمَّد ابن أبي بكر أَيُّوب الزَّرعيُّ أبو عبد الله، تحقيق: محمَّد حامد الفقي، دار الكتاب العربيِّ – بيروت، الطَّبعة الثَّانية، سنة (١٣٩٣–١٩٧٣)، (١/ ٣٤٧).

(٢) هو: محمَّد بن الشَّيخ الإمام مفتي المسلمين زين الدِّين عمر بن مكِّيِّ بن عبد الصَّمد أبو عبد الله، المعروف بابن المرحل، وبابن الوكيل، شيخ الشَّافعيَّة في زمانه، وأشهرهم في وقته (ولد: ٦٦٥هـ، وتوفِّي: ٧١٦هـ)، وقد أجاد معرفة المذهب والأَصْلَيْنِ، ولم يكن بالنَّحو بذاك القويِّ، قال السُّبكيُّ: كان إمامًا كبيرًا بارعًا في المذهب والأَصْلَيْنِ، يُضْرَبُ المَثَلُ باسمه، فارسًا في البحث، نظَّارًا، مفرط الذَّكاء، عجيب الحافظة، كثير الاشتغال، حسن العقيدة في الفقراء، مليح النَّظم، جيِّد المحاضرة.

وقال ابن كثير: وكان له أصحاب يحسدونه ويحبُّونه وآخرون يحسدونه ويبغضونه، وكانوا يتكلَّمون فيه بأشياء ويرمونه بالعظام، وقد كان مسرفًا على نفسه، قد ألقى جلباب الحياء فيما يتعاطاه من القاذورات والفواحش وكان ينصب العداوة للشَّيخ ابن تيميَّة ويناظره في كثير من المحافل والمجالس، وكان يعترف للشَّيخ تقيِّ الدِّين بالعلوم الباهرة، ويثني عليه، ولكنَّه كان يجاحف عن مذهبه وناحيته وهواه وينافح عن طائفته.

وقد كان شيخ الإسلام ابن تيميَّة يثني عليه، وعلى علومه وفضائله، ويشهد له بالاسلام إذا قيل له عن أفعاله وأعماله القبيحة، وكان يقول: كان مخلطًا على نفسه متبعًا مراد الشَّيطان منه يميل إلى الشَّهوة والمحاضرة، ولم يكن كما يقول فيه بعض أصحابه ممَّن يحسده ويتكلَّم فيه هذا أو ما هو في معناه. ينظر: «البداية والنِّهاية» (١٤/ ٨٠)، «طبقات الشافعيَّة الكبرى»، للسُّبكيِّ (٩/ ٢٥٣).



يُطلق علىٰ النِّفاقِ الأَكْبرِ الذي هو إِضْمارُ الكُفْر، وعلىٰ النِّفاقِ الأَصْغرِ الذي هو اختلافُ السِّرِّ والعلانيةِ في الواجبات»(١).

ومِنْ هنا يُعلم أَنَّ نفاقَ الاعتقاد هو الذي وقَع علىٰ عهد النَّبيِّ ﷺ من قِبَلِ المنافقين، الذين كان زعيمُهم عَبْدَ الله بنَ أُبيِّ بنِ سَلُولٍ (٢).

وقد ذكر شيخُ الإِسْلام ابنُ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- مُبيِّنًا شأْنَ المنافق الذي يُبطِن الكُفْرَ، كأَنْ يُظهِرَ تكذيبَ الرَّسُولِ أَوْ جحودَ بعضِ ما جَاءَ به أَوْ بُغْضَه أَوْ عدمَ اعْتِقادِ وُجوبِ اتِّباعِه أَوْ المسرَّةَ بانخفاض دِينِه أَوْ المساءَةَ بِظُهور دِينِه، ونحوَ ذلك ممَّا لا يكون صاحبُه إِلَّا عدوًّا لله ورَسُولِه ﷺ.

وعلىٰ هذا القِسْمِ مدارُ ما ورَد مِنْ نصوص القرآنِ الكريمِ في شأْنِ النِّفاق، وكثيرٍ ممَّا جَاءَ في أَحَاديثِ المُصْطَفَىٰ ﷺ.

وجزاءُ مَنْ هذا حالُه الخُلودُ في النَّار -والعياذ بالله- قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ﴾ [سورة النساء:١٤٥].

ومَنْ تتبَّع ما ورَد في القرآن مِنْ صفات المنافقين وبيانِ أَحْكامِهم، وتعريةِ فِعالِهم الدَّنيئَةِ، يَجِدُ أَنَّ المقصودَ هو النِّفاقُ الاعتقاديُّ، لا العمليُّ؛ لعظم خُطورتِه، وفداحةِ خَطْبِه(٣).

• فمِنْ شرائحِ النَّاس في هذا النِّفاقِ الاعتقاديِّ مايلي:

١- مَنْ دخل الإِسْلامَ كاذبًا بدافعِ الخوف من المسلمين، أَوْ بدافعِ الطَّمَعِ في

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (١١/ ١٤٠).
(٢) وسيأتي لهذا المنافق مبحث مستقلٌّ بإذن الله. انظر (صـ ٦٠٩).
(٣) «دراسة قرآنيَّة في النِّفاق وأثره في حياة الأمَّة»، د/ عادل الشدِّيُّ، دار الوطن للنَّشر، الطَّبعة الأولىٰ، سنة (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م)، (ص٤٦).

المغانم، أَوْ لغرضِ الإِفْسادِ والفتنةِ والإِضْرارِ، أَوْ بغير ذلك من الغاياتِ الدُّنْيويَّةِ، أَوْ الغاياتِ الخبيثةِ الضَّارَّةِ.

٢- مَنْ أَسْلَمَ صادقًا أَوَّلَ الأَمْرِ، ثُمَّ ارتدَّ في نفسه دون أَنْ يُعلِنَ عن رِدَّتِه وبقِي مُتظاهِرًا بالإِسْلام، فهذا منافقٌ ذو نفاقٍ طارئٍ، بعد إِسْلامٍ لمْ يكُنْ فيه كاذبًا مخادعًا.

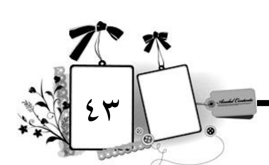
٣- وينطبق أيضًا على مَنْ ورِث اسْمَ الإِسْلامِ وِراثةً نَسَبِيَّةً عن طريق أَبَوَيْه أَوْ أَحَدِهما، ولمَّا بلَغ وأَدْرَكَ سِنَّ التَّكليف جحَد بقلبه أَرْكانَ القاعدةِ الإِيْمانيَّةِ، كلِّها أَوْ بعضِها، وظلَّ مُحافظًا في الصُّورةِ الظَّاهرةِ على أَنَّه مُسْلِمٌ مُعلِنٌ إِسْلامَه.

إِنَّ الإِسْلامَ لدى هؤلاء النَّاس ليس انتماءً إِرَادِيًّا، إِنَّما هو إسلامٌ وِراثيٌّ، يُساير الواحدُ منهم فيه المُجْتَمَعَ بإِطْلاق اسْمِ (مسلمٍ) عليه، دون أَنْ يكونَ في ذاته قدْ أَسْلَمَ حقًّا بإِرَادته بعد معرفته الإِسْلام.

ونظرًا إِلَى أَنَّه يُبطن الكُفْرَ، إِذْ يجحَد أَرْكانَ الإِيْمان كلِّها أَوْ بعضِها، أَوْ يَأْبَى أَنْ يكونَ مُسْلِمًا لله ورَسُولِه ﷺ مُطيعًا، فهو منافقٌ.

إِنَّه لا يريد أَنْ يمسحَ عن نفسه الاسْمَ الدِّينيَّ الذي ورِثه، مع أَنَّه يعتقد عقائِدَ مُناقِضةً لعقائِدِ هذا الدِّينِ، ولو أَنَّه أَعْلَنَ جحودَه بالقاعدةِ الإِيْمانيَّةِ كلِّها أَوْ بعضِها، لكان كافرًا من أَهْلِ الرِّدَّة عن الإِسْلام، والصَّحيحُ أَنَّه إِذَا استبطن العقائِدَ الفاسدةَ ولوْ لمْ يُظهر ذلك بلْ اعتقدها فإِنَّه يكفُر.

وما أَكْثرُ المنافقين الذين يُطلق عليهم في البِطاقةِ الشخصيَّةَ اسْمُ مُسْلِمٍ، وهُمْ مِنْ هذا القِسْمِ!



٤- ومِنَ المنافقين قومٌ ورِثوا النِّفاقَ عن أُسَرِهم أَوْ بيئَاتِهم الخاصَّةِ، ومِنْ هؤلاء أَسَرٌ وجماعاتٌ يهوديَّةٌ، تظاهرتْ بالدُّخول في الإِسْلام، وظلَّتْ هذه الأُسَرُ والجماعاتُ مُحافظةً على يهوديَّتِها سِرًّا، وصارتْ ذراريها تَرِثُ عنها النِّفاقَ، ضِمْنَ خِطَّةِ كيدٍ ضِدَّ الإِسْلام والمسلمين، ذات نَفَس طويلٍ، ومِنْ هؤلاء أَيْضًا أُسَرٌ نصرانيَّةٌ أَوْ مجوسيَّةٌ، دخلتْ في الإِسْلام نفاقًا ضِمْنَ خُطَّةِ كيدٍ مُشابِهةٍ لخُطَّة الكيد اليهوديَّةِ(١).

---

(١) «ظاهرة النِّفاق وخبائث المنافقين في التَّاريخ»، عبد الرَّحمن بن حسن حبنكة الميدانيُّ، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، (١/ ٥٤-٥٥) بتصرُّف.

المبحثُ الثاني

النِّفاقُ العمليُّ (الأصغر) وأنواعُه

عرَّفه ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١) فقال: «هو أَنْ يُظهر الإِنْسانُ علانيةً صالحةً ويُبطن ما يُخالِف ذلك»(٢).

ويُعرِّفه شيخُ الإِسْلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيقول: «هو اخْتِلافُ السِّرِّ والعلانيةِ في الواجبات(٣)، وهذا النِّفاقُ يكون في الأَعْمالِ الظَّاهرةِ، وشاهدُ ذلك ما رواه عَبْدُ الله بنُ عَمْرو بنِ العَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا(٤) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ

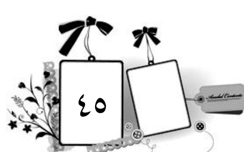
---

(١) ابن رجب الحنبليُّ، هو الإمام الحافظ العلاَّمة زين الدِّين عبد الرَّحمن بن أحمد السلاميُّ، البغداديُّ، ثمَّ الدِّمشقيُّ، الحنبليُّ، الشَّهير بابن رجب، الفقيه، العمدة، محدِّثٌ زاهد، ورع واعظ، ولد عام (٧٣٦هـ) ببغداد، له مؤلَّفات عديدة، منها «شرح علل التِّرمذيِّ»، و«اختيار الأولى في شرح اختصام الملأ الأعلى»، و«بيان فضل علم السَّلف على الخلف»، ومن أشهرها «جامع العلوم والحكم»، مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٧٩٥هـ). انظر في ترجمته: «ذيل طبقات الحفَّاظ»، للسُّيوطيِّ (٣٦٧-٣٦٨)، و«شذرات الذَّهب» (٧/ ٢٥٣)، و«الضَّوء اللاَّمع» (٣/ ٢١٢)، و«إنباء الغمر» (٣/ ١٧٦)، و«المقصد الأرشد» (٢/ ٨١)، و«لحظ الألحاظ» (١٨٠).

(٢) «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب الحنبليِّ (ص٣٧٥).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١١/ ١٤٠).

(٤) عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، هو عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل، الإمام الحبر العابد، صاحب رسول الله ﷺ وابن صاحبه، أبو محمَّد، وقيل: أبو عبد الرَّحمن، ذكر أنَّه أسلم قبل أبيه، وقيل: كان اسمه العاص، فلمَّا أسلم غيَّره النَّبيُّ ﷺ بعبد الله، له مناقب وفضائل وعلم وعمل، حمل عن النَّبيِّ ﷺ علمًا جمًّا؛ فقد جاء يستفتي رسول الله ﷺ في شأن الكتابة عنه قائلًا: أَكْتُبُ كلَّ ما أسمع؟ قال: نعم. قال: في الرِّضا والغضب؟ قال: نعم؛ فإنِّي لا أقول في ذلك إلاَّ حقًّا، مات رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سنة (٦٣هـ). انظر في ترجمته: «طبقات ابن سعد» (٢/ ٣٧٣) و(٤/ ٢٦١-٢٦٨)، «الجرح والتَّعديل» (٥/ ١١٦)، و«حلية الأولياء وطبقات الأصفياء»، المؤلِّف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهانيُّ (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ثمَّ صوَّرتها عدَّة دُورٍ (١/ ٢٨٣)، و«الاستيعاب» (٩٥٦)، و«أسد الغابة» (٣/ ٣٤٩-٣٥١)، «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر(٢/ ٣٥١)، و«سير أعلام النُّبلاء»، للذَّهبيِّ (٣/ ٧٩)، وغيرها.



كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[(١)].

قال الحافظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[(٢)]: «والنِّفاقُ لغةً مخالفةُ الباطنِ للظَّاهر، فإِنْ كان في اعتقاد الإِيْمان فهو نفاقُ كُفْرٍ، وإِلَّا فهو نفاق العمل، ويدخل فيه الفعلُ والتَّرْكُ، وتتفاوت مراتبُه»[(٣)].

والمسلمُ المُتَّصفُ بهذه الصِّفاتِ أَوْ بعضِها لا يخرج من المِلَّةِ ولا يكفُر، إِنَّما ينقُص مِنْ إِيْمانه بقَدْرِ تلك الخَصْلةِ القبيحةِ.

وهنا أَمْران يجب أَخْذُهما بعيْنِ الاعتبار[(٤)]:

١- أَنَّ النِّفاقَ الأَصْغرَ وسيلةٌ وذريعةٌ إِلَى النِّفاقِ الأَكْبرِ، كما أَنَّ المعاصي بريدُ الكُفْر وكما أَنَّه يُخشى على مَنْ أَصَرَّ على المعصية أَنْ يُسلبَ الإِيْمانَ عند الموت، كذلك يُخشى على مَنْ أَصَرَّ على خِصال النِّفاق أَنْ يُسلبَ الإِيمانَ فيصير منافقًا خالصًا[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاريُّ في «الإيمان»، باب: علامة المنافق (١/ ١٦/ ٣٤)، مسلم في «الإيمان»، باب: بيان خصال المنافق (١/ ٧٨/ ٥٨).

(٢) ابن حجر العسقلانيُّ، هو أحمد بن عليِّ بن محمَّد الكنانيُّ العسقلانيُّ الشَّافعيُّ، أبو الفضل شهاب الدِّين، أصله من عسقلان بفلسطين، مولده عام (٧٧٣هـ) بالقاهرة، رحل في طلب الحديث ونبغ، فقصده الناس، قال السَّخاويُّ: «انتشرت مصنَّفاته في حياته وتهادتها الملوك والأكابر، ولي قضاء مصر مرَّات ثمَّ اعتزل، من مصنَّفاته: «الدُّرَرُ الكامنة في أعيان المائة الثَّامنة»، و«تهذيب التَّهذيب»، و«تقريب التَّهذيب»، و«فتح الباري شرح صحيح البخاريِّ»، و«الإصابة في تمييز الصحابة»، وغيرها، مات بالقاهرة (٨٥٢هـ).

انظر في ترجمته: «البدر الطَّالع» (١/ ٨٧-٩٢)، و«دائرة المعارف الإسلاميَّة» (١/ ١٣١).

(٣) «فتح الباري» (١/ ٨٩) باب علامة المنافق.

(٤) «النِّفاق والمنافقون في ضوء السُّنَّة النَّبويَّة المطهَّرة» - رسالة لم تطبع بعد- للشَّيخ عبد الرَّحمن القصَّاص (ص ٢٨).

(٥) «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٤٩٢-٤٩٣).

٢- النِّفاقُ الأَكْبرُ -غالبًا- ما يتضمَّن النِّفاقَ الأَصْغرَ؛ لأَنَّ مَنْ كان كافرًا في باطنه ظهرتْ آثارُ نِفاقِه -غالبًا- على سلوكه(١).. إلخ.

وعليه فالمُتأَمِّل لما سبَق يجد أَنَّ كلَّ مَنْ خالف ظاهرُه باطنَه فإِنَّه مِنَ النِّفاق بمكانٍ؛ فإِنْ أَظْهَرَ الإِسْلامَ وأَبْطَنَ الكُفْرَ، فقدْ خرَج من المِلَّةِ، وهو النِّفاقُ الاعتقاديُّ، ومَنْ أَبْدىٰ للنَّاس محاسنَ الفِعال وكريمَ الأَخْلاق وأَخْفىٰ خِلافَ ذلك، فهو النِّفاقُ العمليُّ الأَصْغر.

أنواع النِّفاقِ العمليِّ:

١- عليمُ اللِّسان: عن أَبِي عُثْمانَ النَّهدِيِّ قال: كُنْتُ عِنْدَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي كُلَّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ»(٢).

وقدْ أَوْضَحَ هذا المعنىٰ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قال: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيكُمُ المُنافِقَ العليمَ». قالوا وكيف يكون المنافق عليمًا؟ قال: «يتكلَّم بالحِكْمةِ ويعملُ الجَوْرَ -أَوْ قال- المُنْكَر»(٣).

---

(١) «المنافقون في القرآن الكريم»، د. عبد العزيز بن عبد الله الحميديُّ، دار المجتمع، الطبعة الأولىٰ، سنة (١٩٨٩م-١٤٠٩هـ)، (ص ١٦).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٤٣)، والبزَّار في «مسنده» (٣٠٥)، والفريابيُّ في «صفة النِّفاق وذمِّ المنافقين» (٢٤) والحديث إسناده صحيح. ينظر: «سلسلة الأحاديث الصَّحيحة»، محمَّد ناصر الدِّين الألبانيِّ (١٠١٣).

(٣) أخرجه عبد بن حميد في «منتخبه» (١١)، والمروزيُّ في «تعظيم قدر الصَّلاة» (٦٨٥)، والبيهقيُّ في «شعب الإيمان» (١٦٤١)، وسنده صحيح كما قال العراقيُّ في «تخريج إحياء علوم الدِّين» (١/ ١٩٥).

وسُئِلَ حُذَيفَةُ بنُ اليمانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنِ المنافقُ؟ قال: «الَّذي يصِف الإِسْلامَ ولا يعملُ به»(١).

ومَنْ هذا حالُه وشأْنُه فقدْ عدَّه شيخُ الإِسْلام رَحِمَهُ اللَّهُ فاسقًا، فقدْ قال: «يُسمّى الفاسقُ منافقًا النِّفاقَ الأَصْغرَ لا النِّفاقَ الأكْبرَ»(٢). ثُمَّ قال مُؤَكِّدًا ذلك: «وإِنْ أَظْهر أَنَّه صادقٌ أَوْ مُوفٍ أَوْ أَمِينٌ وأَبْطن الكذبَ والغدْرَ والخِيانةَ ونحوَ ذلك، فهذا هو النِّفاقُ الأَصْغرُ الذي يكون صاحبُه فاسقًا»(٣).

فمَنْ يُبطن خِلافَ ذلك فقدْ أَشْبه المُنافقَ في إِظْهاره شَأْنًا حسنًا وإِخْفائِه أَمْرًا قبيحًا؛ فالمنافقُ نِفاقًا أَكْبرَ إِنَّما فعَل ذلك حَقْنًا لدَمِه وصيانةً لمَالِه وحمايةً لأَهْلِه وذَوِيْه.

والمنافقُ نفاقًا أَصْغرَ تلبَّس بذلك أَمْنًا من العقوبةِ وحفاظًا على سُمْعَتِه وحياطةً لشَرَفِه أَنْ يُنتقصَ أَوْ يُحقَّرَ، ولرُبَّما كان مِنْ دوافعه ابْتغاؤُه مقاصدَ دُنْيويَّةً مستغلًا انْخداعَ النَّاس مِنْ حولِه بظاهِرِه: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾ [سورة البقرة:٩]، وما أَكْثرُ هذا الصِّنْفِ في زماننا ممَّنْ تصدَّروا المنتدياتِ ومنابرَ الإِعْلام، وتولَّوا مناصبَ وإِدَاراتٍ، هُمْ مِنْ بني جِلْدتِنا ويتكلَّمون بأَلْسِنَتِنا، فِئَامٌ منهم حقَّقوا في شُعوبِهم مآربَ أَعْدائِهم وأَمَانيهم. فمَنْ أَظْهر منهم الإِسْلامَ وأَبْطَنَ الكُفْرَ فقدْ خرَج من المِلَّةِ، وهو النِّفاقُ الاعتقاديُّ، ومَنْ أَبْدى للنَّاس محاسنَ الفِعالِ وكريمَ الأَخْلاقِ وأَخْفى خِلافَ ذلك، فهو النِّفاقُ العمليُّ.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنَّفه» (٣٧٤١٥)، والمروزيُّ في «تعظيم قَدْرِ الصَّلاة» (٦٨٢)، والفريابيُّ في «صفة النِّفاق وذمِّ المنافقين» (٦٥)، وأبو نعيم في «طبقات الأولياء» (١/ ٢٨١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١١/ ١٤٣).

(٣) المرجع السَّابق (١١/ ١٤٣).

٢-الكَذِبُ.

٣- والخِيانةُ.

٤- والغَدْرُ.

٥- وإخلافُ الوَعْد: دليلُ ذلك ما ورَد في حديث عَبْدِ الله بنِ عَمْرِو بنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «أَرْبعٌ مَنْ كُنَّ فِيْهِ كَانَ مُنَافِقًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيْهِ خُلَّةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيْهِ خُلَّةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا؛ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»(١).

٦- الخروجُ من المسجد بعد النِّداءِ: لِمَا رواه أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢) قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا يَسْمَعُ النِّدَاءَ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَحَدُكُمْ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا لِحَاجَةٍ ثُمَّ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ إِلَّا مُنَافِقٌ»(٣).

وهذا النَّهيُ ليس قاصرًا علىٰ الخروج بعد الأَذَان من المسجدِ النَّبويِّ فحسب، بلْ هو لكلِّ مسجدٍ؛ لوُرود رِواياتٍ أُخرىٰ للحديث تُفيد العُمومَ(٤).

---

(١) تقدم تخريجه (صـ ٤٥).

(٢) أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، اختلفت في اسمه واسم أبيه الروايات علىٰ أقوال أرجحها أنه عبد الرَّحمن بن صخر الدَّوسيُّ، كان مقدمه وإسلامه سنة (٧هـ)، صحب النبي ﷺ أربع سنين، وكان من أكثر النَّاس رواية عن النبي ﷺ حيث روىٰ (٥٣٧٤) حديثًا، توفِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة (٥٧هـ) وله من العمر (٧٨) عامًا. انظر في ترجمته: «أسد الغابة» (١/ ٧٠٠)، «الاستيعاب» (١/ ٢٩٢)، «الإصابة في تمييز الصَّحابة»، لابن حجر(٤/ ٣١٦).

(٣) أخرجه الطَّبرانيُّ في «الأوسط» (٣٨٤٢)، وأبو نعيم في «صفة النِّفاق» (٦٠)، وذكره الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» (٢/ ٥)، وقال: رواه الطَّبرانيُّ في «الأوسط»، ورجاله رجال الصَّحيح، وصحَّحه الألبانيُّ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (٢٥١٨).

(٤) ينظر: «السُّنن»، المؤلِّف: محمَّد بن يزيد أبو عبد الله ابن ماجة القزوينيُّ (المتوفَّىٰ: ٢٧٣هـ)، المحقِّق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عبد اللَّطيف حرز الله، =

وقدْ رَأَىٰ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مَنْ خرَج من المسجد بعد الأَذان فقال: «أَمَّا هذا فقَدْ عصىٰ أَبَا القَاسِمِ ﷺ»(١).

قال الإِمَامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ(٢): «وفيه كراهةُ الخروج من المسجدِ بعد الأَذَان حتَّىٰ يُصلِّي المكتوبةَ إِلَّا لعُذْرٍ، والله أعلم»(٣).

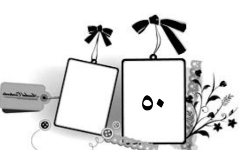
وقدْ وصَم النَّبيُّ ﷺ مَنْ هذا شأْنُه بالنِّفاق؛ لأَنَّه وإِنْ كان مسلمًا إِلَّا أَنَّ فيه شبهًا بالمنافقين الَّذين تثقل عليهم الصَّلاةُ ولا يَأْتُونَهَا إِلَّا وَهُمْ كُسالىٰ، وفوق ذلك يُراءُون النَّاسَ ولا يذكرون اللهَ إِلَّا قليلًا، فهُمْ يضيقون ذرعًا بالمساجد وبانْتِظارِ الصَّلاة بعد الصَّلاة، بخِلاف ما عليه حالُ المُؤْمنين ممَّنْ تعلّقتْ قلوبُهم بالمساجد، لا يُلْهيهم عن صلاتهم وأَدائِها بَيْعٌ ولا تِجارةٌ، أَمَّا مَنْ نِفاقُه اعْتِقاديٌّ فليس هذا بمُستغرَبٍ منه؛ لأَنَّ قلبَه قد انْطوىٰ علىٰ بُغْض هذا الدِّينِ وشعائِره، فهو ممَّنْ يتحيَّن فُرْصةَ انشغالِ عمَّارِ بُيوتِ الله مِنَ المُؤْمنين بالصَّلاة والذِّكْرِ والدُّعاءِ ونحوِ ذلك، ثُمَّ

= الناشر: دار الرِّسالة العالميَّة، الطَّبعة: الأولىٰ، (١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩) م (١/ ٢٤٢)، «موطَّأ مالك» (١/ ١٦٢)، «صحيح التَّرغيب والتَّرهيب»، للألبانيِّ، برقم (٢٥٥-٢٥٦-٢٥٧-٢٥٨).

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه»، المؤلِّف: مسلم بن الحجَّاج أبو الحسن القشيريُّ النَّيسابوريُّ (المتوفَّىٰ: ٢٦١هـ)، المحقِّق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت : كتاب المساجد/ باب: النهي عن الخروج من المسجد إذا أذَّن المؤذِّن (١/ ٤٥٣/ ٦٥٥).

(٢) النَّوويُّ، هو الإمام العلاَّمة القدوة الصوَّام القوَّام محيي الدِّين أبو زكريَّا يحيىٰ بن شرف النَّوويُّ الشَّافعيُّ، ولد في (٦٣١هـ) بقرية نوىٰ من قرىٰ الشَّام، نشأ في طاعة الله وحفظ القرآن الكريم صغيرًا، وكان من أحرص النَّاس علىٰ وقته لا في ليل ولا في نهار حتَّىٰ في الطَّريق، وكان يقرأ كلَّ يوم اثني عشر درسًا علىٰ المشايخ شرحًا وتصحيحًا، وقد توفِّي رَحِمَهُٱللَّهُ سنة (٦٧٦هـ) ومن أشهر تصانيفه «شرح مسلم»، و«رياض الصَّالحين»، و«الأذكار»، و«الأربعين النَّوويَّة»، و«المجموع شرح المهذَّب»، وغيرها. انظر في ترجمته: «مقدِّمة شرح صحيح مسلم»، و«طبقات الشَّافعيَّة» (٥/ ١٦٥)، «الأعلام» للزِّرِكْلِيِّ (٩/ ١٨٥)، و«النُّجوم الزَّاهرة» (٧/ ٢٧٨).

(٣) «شرح النَّوويِّ علىٰ مسلم» (٥/ ١٢٩).



يتسلَّل لِواذًا غيرَ آبهٍ بما عصىٰ اللهَ به، ناهِيكَ عن كونِ الحَذر قدْ يُؤتىٰ مِنْ مَأْمَنِه فقدْ يراه بعضُ المُؤْمِنين فيفْضَحُه اللهُ(١).

٧-تَحِيَّتُهم لعنةٌ(٢).

٨-طعامُهم نهْبةٌ(٣).

٩-غنِيمتُهم غُلولٌ(٤).

١٠-لايقربون المساجدَ إِلَّا هجْرًا(٥).

١١-لا يَأْتون الصَّلاةَ إِلَّا دُبْرًا(٦).

١٢-مُسْتكْبِرون.

١٣-جُفاةٌ.

١٤-خُشُبٌ باللَّيل(٧).

١٥-صُخُبٌ بالنَّهار(٨).

---

(١) وقريبًا من هذا ما يلحظه المسلمون علىٰ الشِّيعة، خصوصًا في مكَّة والمدينة؛ فتراهم إذا ما حان وقت صلاة الفريضة يخرجون رجالًا ونساءً من الحرمين مخالِفِينَ للمؤمنين الذَّاهبين إليهما، ولذا سيأتي مبحث بإذن الله حول مشابهة الرَّافضة للمنافقين.

(٢) اللَّعْنُ: هو الطَّرْدُ والإبعاد عن رحمة الله، ومن الخَلْقِ: السَّبُّ والدُّعاء. انظر: «النِّهاية في غريب الحديث والأثر»، لأبي السَّعادات المبارك بن محمَّد الجزريِّ بن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزَّاوي ومحمود الطَّناحي، المكتبة العلميَّة – بيروت، (٤/ ٢٥٥).

(٣) النَّهبُ: الغارة والسَّلب والاختلاس. انظر: «المرجع السَّابق» (٥/ ١٣٣).

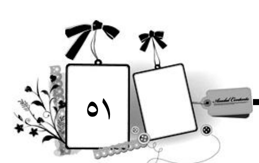
(٤) الغلول: الخيانة في المَغْنَم والسَّرقة من الغنيمة قبل قِسْمَتِهَا. انظر: «المرجع السَّابق» (٣/ ٣٨٠).

(٥) يريد التَّرك لها، والإعراض عنها. «المرجع السَّابق» (٥/ ٢٤٥).

(٦) أي: يأتون الصَّلاة حين يدبر –يفوت– وقتُها «المرجع السَّابق» (٢/ ٩٧).

(٧) أي: ينامون باللَّيل، كأنَّهم خُشُبٌ مُطَّرَحَةٌ لا يصلُّون فيه. «المرجع السَّابق» (٢/ ٣٢).

(٨) أي: صيَّاحون فيه متجادلون. «المرجع السابق» (٣/ ١٤).



هذه الأوصافُ جَمَعَهَا ما رواه أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «إِنَّ لِلْمُنَافِقِينَ عَلامَاتٌ يُعْرَفُونَ بِهَا؛ تَحِيَّتُهُمْ لَعْنَةٌ وَطَعَامُهُمْ نُهْبَةٌ وَغَنِيمَتُهُمْ غُلُولٌ وَلَا يَقْرَبُونَ الْمَسَاجِدَ إِلَّا هُجْرًا وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا دُبْرًا، مُسْتَكْبِرِينَ لَا يَأْلَفُونَ وَلَا يُؤْلَفُونَ خُشُبٌ بِاللَّيْلِ وَصُخُبٌ بِالنَّهَارِ». وقال يزيد مرة: «سُخُبٌ(١) بالنهار»(٢).

صفات المنافقات النفاق الأصغر:

١٦ - مُتبرِّجاتٌ.

١٧ - مُختلِعاتٌ.

١٨ - مُتخيِّلاتٌ.

ومن النِّفاقِ العمليِّ ما ورَد في شأْن المُتبرِّجاتِ المُختلِعاتِ من النِّساءِ؛ فعنْ عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣) قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَإِنَّ الْمُخْتَلِعَاتِ وَالْمُنْتَزِعَاتِ(٤)

---

(١) سُخُبٌ: أي: إذا جَنَّ عليهم اللَّيل سقطوا نيامًا كأنَّهم خشب، فإذا أصبحوا تساخبوا على الدُّنيا شحًّا وحرصًا، والسُّخُبُ والصَّخَبُ بمعني: الصِّياح. ينظر: «غريب الحديث»، لابن الأثير (٢/ ٣٤٩).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٧٩٢٦)، والبزَّار في «مسنده» (٨٤٤٤)، والبيهقيُّ في «شعب الإيمان» (٢٧٠٢)، قال الشَّيخ أحمد شاكر: «وإسناده حسن».

(٣) عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو الإمام المقرئُ أبو عبس، صاحب النَّبيِّ ﷺ، كان عالمًا مقرئًا فصيحًا فقيهًا فرضيًّا شاعرًا كبير الشَّأن، وكان البريد إلى عمر بفتح دمشق، شهد صفِّين مع معاوية، وشهد فتح مصر وَوَلِيَهَا، مات سنة (٥٨هـ). انظر في ترجمته: «تاريخ ابن معين» (٤٠٩)، و«طبقات بن سعد» (٤/ ٣٤٣-٣٤٤)، و«التَّاريخ الكبير» (٦/ ٤٣٠)، و«الجرح والتَّعديل» (٦/ ٣١٣)، و«الاستيعاب» (٢/ ١٠٧٣)، و«أسد الغابة» (٤/ ٥٣)، و«سير أعلام النُّبلاء»، للذَّهبيِّ (٢/ ٤٦٧).

(٤) أي: الجاذبات أنفسهنَّ من أزواجهنَّ؛ بأن يُرِدْنَ قطع الوصلة بالفراق، ويحتمل أنَّ المراد النِّساء اللاَّتي يأبين التَّزوُّج من قومهنَّ، ويُؤْثِرْنَ عليهنَّ الأجانب. ينظر: «فيض القدير شرح الجامع الصَّغير» (٢/ ٣٨٧).

هُنَّ الْمُنَافِقَاتُ»(١)، وعنْ عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(٢) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْمُخْتَلِعَاتُ وَالْمُتَبَرِّجَاتُ هُنَّ الْمُنَافِقَاتُ»(٣).

عنْ أَبِي أُذَيْنَةَ الصدفِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(٤) أَنَّ رَسُولَ الله قَالَ: «خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْوَدُودُ الوَلُودُ الْمُوَاتِيَةُ الْمُوَاسِيَةُ(٥) إِذَا اتَّقَيْنَ اللهَ، وَشَرُّ نِسَائِكُمُ الْمُتَبَرِّجَاتُ الْمُتَخَيِّلَاتُ(٦) وَهُنَّ الْمُنَافِقَاتُ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلَّا مِثْلَ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ»(٧)(٨).

ولعلَّ سائلًا يسأَلُ: ما وجْهُ الشَّبَه بين مَنْ هذه صفاتُهنَّ وبين النِّفاق؟! فقدْ أَوْردتِ الأَحَاديثُ الْمُخْتلِعاتِ - والْمُنتزِعاتِ والْمُتبرِّجاتِ والْمُتخيِّلاتِ.. فأَمَّا

---

(١) أخرجه الطَّبرانيُّ في «الكبير» (١٧/ ٣٣٩)، والطَّبريُّ في «تفسيره» (٢/ ٤٦٧)، وذكره الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» (٥/ ٥): «رواه الطَّبرانيُّ، وفيه قيس بن الرَّبيع، وثَّقه الثَّوريُّ وشعبة، وفيه ضعف، وبقيَّة رجاله رجال الصَّحيح»، وصحَّحه الشَّيخ الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (١/ ٣٩٢).

(٢) هو الصَّحابيُّ الجليل: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذليُّ، أبو عبد الرَّحمن. (توفِّي سنة: ٣٢ أو ٣٣ هـ). ينظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البرِّ (ج٣، ص ٩٨٧)، و«الإصابة في تمييز الصَّحابة» لابن حجر (ج٤، ص ٢٣٣).

(٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٧٥-٣٧٦)، والخطيب البغداديُّ في «تاريخه» (٣/ ٣٥٨)، وقال أبو نعيم: «غريب من حديث الأعمش والثَّوريِّ تفرَّد به وكيع واللَّفظ له»، وقد صحَّحه الشَّيخ الألبانيُّ في «السِّلسلة الصَّحيحة» برقم (٦٣٢).

(٤) أبو أذينة الصَّدفيُّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، من أهل مصر، روى عن النَّبيِّ ﷺ حديثًا واحدًا، وهو: «خير نسائكم الودود الولود المواتية المواسية إذا اتَّقين الله، وشرُّ نسائكم المترجِّلات المختلعات من المنافقات، لا يدخل منهنَّ الجنَّة إلاَّ مثل الغراب الأعصم»، في «صحيح الجامع» (٣٣٣٠). انظر في ترجمته: «الإصابة في تمييز الصَّحابة»، لابن حجر(١١/ ٨-٩)، و«الثِّقات»، لابن حبَّان (٣/ ٤٥٥).

(٥) أي: الموافقة للزَّوج. «فيض القدير» (٣/ ٤٩٢).

(٦) أي: المعجبات المتكبِّرات. «المرجع السَّابق» (٣/ ٤٩٣).

(٧) هو الأبيض الجناحين. وقيل: أبيض الرِّجلين. «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٢٤٩).

(٨) أخرجه البيهقيُّ في «الكبرى» (٧/ ١٣١)، وصحَّحه الألبانيُّ في «الصَّحيحة» (١٨٤٩).



المُختلِعاتُ والمُنتزِعاتُ فهُنَّ بمعنى واحدٍ، ووَجْهُ شَبَهِهِنَّ بالمنافقين أَنَّ اللهَ قدْ أَكْرَمَهنَّ بأزْواجٍ ما بهم مِنْ بَأْسٍ في حياتِهِنَّ معهم استقرارٌ وراحةٌ وسعادةٌ، ولرُبَّما رُزِقوا منهم بَنِينَ وحفدةً، ومع ذلك أَبَيْنَ إلَّا أَنْ يُخالِعْنَ أَزْواجَهنَّ ويكْفُرْنَ نِعْمةَ الله عليهنَّ، فعنْ ثَوْبانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١) عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «أَيُّما امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقَهَا مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ»(٢).

ثُمَّ إنَّ في زواج الرَّجُلِ والمَرْأَةِ اسْتِكمالَ كلٍّ منهما لنِصْف دِينه، عنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣) أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ نِصْفَ الْإِيمَانِ فَلْيَتَّقِ اللهَ فِي النِّصْفِ الْبَاقِي»(٤).

---

(١) ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مولى رسول الله ﷺ سُبِيَ من أرض الحجاز، فاشتراه النَّبيُّ ﷺ وأعتقه، فلزم النَّبيَّ ﷺ وَصَحِبَه، وحفظ عنه كثيرًا من العلم، وطال عمره، واشتهر ذكره، يُكنى بأبي عبد الله، ويُقال أبو عبد الرَّحمن، نزل حمص وسكن الرَّملة، وكان من ناحية اليمن، شهد فتح مصر، مات بحمص (٥٤هـ). انظر في ترجمته: «طبقات ابن سعد» (٧/ ٤)، و«طبقات خليفة» (١٥ ، ٢٧١٠)، و«تاريخ البخاريِّ» (٢/ ١٨١)، «الجرح والتَّعديل» (٢/ ٤٦٩)، «أسد الغابة» (١/ ١٨٠-٣٥٠)، «الإصابة في تمييز الصَّحابة»، لابن حجر (٩٦٧)، و«شذرات الذَّهب» (١/ ٥٩).

(٢) أخرجه أبو داود في «الطَّلاق»، باب: في الخلع (٢٢٢٨)، والتِّرمذيُّ في «الطَّلاق»، باب: المختلعات (١١٨٧). وصحَّحه ابن حبَّان في «صحيحه» (٤/ ٣٣٨)، والألبانيُّ في «صحيح التَّرغيب والتَّرهيب» (٢٠١٨).

(٣) أنس بن مالك بن النَّضر الأنصاريُّ الخزرجيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أتت به أمه أمُّ سليم وله عشرة أعوام حين قدم النَّبيُّ ﷺ المدينة، فقالت: يا رسول الله، هذا أَنَسٌ غُلامٌ يخدمك. فدعا له النَّبيُّ ﷺ وقال: «اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ وَأَدْخِلْهُ الجَنَّةَ»، قال أنس: فرأيت اثنتين وأنا أرجو الثَّالثة، فلقد دفنت لصُلْبي سوى ولد ولدي مائة وخمسة وعشرين، وإنَّ أرضي لتثمر في السَّنة مرَّتين، نزل البصرة، ومات فيها سنة (٩٠هـ). انظر ترجمته: «طبقات ابن سعد» (٧/ ١٧)، و«التَّاريخ الكبير» (٢/ ٢٧)، «الجرح والتَّعديل» (٢/ ٢٨٦)، «ومشاهير علماء الأمصار، ت ٢١٥هـ»، و«الاستيعاب» (١٠٨)، و«شذرات الذَّهب» (١/ ١٠٠-١٠١)، «مرآة الجنان» (١/ ١٨٢)، و«سير أعلام النُّبلاء»، للذَّهبيِّ (٣/ ٣٩٥).

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧٦٤٧)، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٥٢) وقال: =



فَكُنَّ كالمنافقين شبهًا، حيثُ قدْ رزقهم اللهُ ومنَّ عليهم ببعثة مُحَمَّدٍ ورِسالتِه ﷺ، وتنزُّلِ القرآن بين ظَهرانِيهم، واسْتَبانَ لهم النُّورُ، وانقشعتْ عنهم الغِشاوةُ، فأَبَوا إلَّا الكُفْرَ والضَّلالَ، واختاروا لأَنْفُسِهم طريقَ الغواية بدَل الهِداية، شأْنُهم كشأْنِ قومِ ثَمُودَ الَّذين قال اللهُ فيهم: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [سورة فصلت:١٧].

وأَمَّا المُتبرِّجاتُ السَّافراتُ مِمَّنْ نزعْنَ جِلْبابَ الحَيَاءِ والحشمةِ، وكنَّ على الأُمَّة فتنةً وبلاءً، فقدْ روى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما قَالَه في حقِّهنَّ ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»(١). وفي روايةٍ: «وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ»(٢).

ونَعَتُ النَّبِيِّ ﷺ لهنَّ بالنِّفَاق لوُجودِ شبهِ النِّفَاق فيهنَّ؛ إِذِ النِّفَاقُ -كما مرَّ في تعريفه- أَنَّه اخْتِلافُ السِّرِّ والعلانيةِ، وهو إِظْهارُ الإِيْمان وإِبْطانُ الكُفْر، فكذلك المُتبرِّجاتُ لهنَّ ظاهرٌ وباطنٌ؛ إِذْ هنَّ كما قال المناويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «نساءٌ كاسياتٌ

= «رواه الطبراني في الأوسط بإسنادين، وفيهما يزيد الرقاشي، وجابر الجعفي، وكلاهما ضعيف، وقد وثقا»، وحسَّنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٣٠).

(١) أخرجه مسلم في «اللباس»، باب: النساء الكاسيات العاريات (٥٧٠٤).

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» (١٩٠٨)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٠٨٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٤١٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٥٩٨٨). وورد روايات أخرى بلفظ: «من مسيرة سبعين عامًا»، «من مسيرة أربعين عامًا»، ينظر: «صحيح الجامع» (٦٤٤٨) (٦٤٥٧).

(٣) هو: محمَّد عبد الرءوف ابن تاج العارفين بن عليِّ بن زين العابدين الحداديُّ ثمَّ المُنَاوِيُّ القاهريُّ، زين الدِّين (ولد: ٩٥٢، وتوفِّي: ١٠٣١ هـ) من كبار العلماء بالدِّين والفنون. انزوى للبحث =

في الحقيقة عارياتٌ في المعنى؛ لأنَّهنَّ يلبسْنَ ثيابًا رقاقًا تصِف البَشَرَة، أَوْ كاسياتٌ من لِباسِ الزِّينة عارياتٌ من لِباسِ التَّقْوى، أَوْ كاسياتٌ من نِعَمِ الله عارياتٌ من شُكْرِها، أَوْ كاسياتٌ من الثِّياب عارياتٌ مِنْ فعل الخير، أَوْ يسترْنَ ويكشِفْنَ بعضَه إِظْهارًا للجمال»(١).

ووجهُ الشَّبَه أَنَّ المنافقَ كما له ظاهرٌ هو الإِسْلامُ وباطنٌ هو الكفرُ فكذلك المُتبرِّجاتُ، هنَّ في الظَّاهر كاسياتٌ ولكنَّهنَّ في الحقيقة عارياتٌ من اللِّباس بموضاتِه الحاسرةِ عن أَعْضاءِ الجسد ومفاتنِ الأُنُوثةِ، المُتجرِّداتُ من الحَيَاءِ والعِفَّةِ والطُّهْرِ.

روى الشَّيْخان عن حَارِثَةَ بنَ وَهْبٍ الخُزاعيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢) عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٌ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لَأَبَرَّهُ(٣)، أَلَا

= والتَّصنيف، وكان قليل الطَّعام كثير السَّهر، فمرض وضعفت أطرافه، فجعل ولده تاج الدِّين محمَّد يستملي منه تآليفه.

له نحو ثمانين مصنَّفًا، منها الكبير والصَّغير والتَّامُّ والنَّاقص، عاش في القاهرة، وتوفِّي بها، من كتبه «كنوز الحقائق» في الحديث، و«التَّيسير» في شرح الجامع الصَّغير، مجلَّدان، اختصره من شرحه الكبير: «فيض القدير». ينظر: «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر»، المؤلِّف: محمَّد أمين بن فضل الله بن محبِّ الدِّين بن محمَّد المحبِّي الحمويُّ الأصل، الدِّمشقيُّ (المتوفَّى: ١١١١هـ)، النَّاشر: دار صادر - بيروت (٢/ ٤١٢ - ٤١٦)، «البدر الطَّالع» (١/ ٣٥٧)، «الأعلام»، للزِّركليِّ (٦/ ٢٠٣).

(١) «فيض القدير» (٤/ ٢٠٩).

(٢) هو: حارثة بن وهب، هو حارثة بن وهب الخزاعيُّ، أمُّه أمُّ كلثوم بنت جرول الخزاعيَّة، كانت تحت عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فولدت له عبد الله بن عمر، روى عنه أهل العراق والحجاز. انظر في ترجمته: «الإصابة في تمييز الصَّحابة»، لابن حجر(٢/ ١٩١)، و«الاستيعاب» (٢/ ٢٧٣)، و«الثِّقات» لابن حبَّان» (٥/ ٤٣٤).

(٣) أي: مغمور لا يُعْرَفُ ولا يلتفت إليه.



أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ (١) جَوَّاظٍ (٢) مُسْتَكْبِرٍ» (٣).

أَمَّا الْمُتخيِّلاتُ الْمُتعَجْرِفاتُ كِبْرًا وزَهْوًا فلعلَّهنَّ أَشْبَهْنَ المنافقين في صفة الكِبْر؛ فعنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلْمُنَافِقِينَ عَلَامَاتٍ يَعْرِفُونَ بِهَا، تَحِيَّتُهُمْ لَعْنَةٌ، وَطَعَامُهُمْ نَهْبَةٌ، وَغَنِيمَتُهُمْ غُلُولٌ، وَلَا يَقْرَبُونَ الْمَسَاجِدَ إِلَّا هُجْرًا وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا دُبْرًا مُسْتَكْبِرِينَ، لَا يَأْلَفُونَ وَلَا يُؤْلَفُونَ، خُشُبٌ بِاللَّيْلِ، صُخُبٌ بِالنَّهَارِ» (٤).

ففيهنَّ كِبْرٌ وعُجْبٌ وتشبُّعٌ بما ليس فيهنَّ، يحسبْنَ أَنَّهنَّ على شيءٍ ولسْنَ كذلك، سواءً بسواءٍ كما المنافق الذي تعاظَم في نفسه واخْتَال في مشْيَتِه، قدْ زهِد في الحقِّ واسْتكبر على الخلْق، وقدْ أَبَانَ لنا النَّبِيُّ ﷺ عن حقيقة الكِبْر حيث روى ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ». قال رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قال: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ» (٥).

و لا يخفى ما رواه ابنُ عَبَّاسٍ (٦) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ الْمُخَنَّثِينَ

---

(١) العُتُلُّ: هو الشَّديد الجافي، والفَظُّ من النَّاس. «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ١٨٠).

(٢) هو الجَمُوعُ المَنُوعُ، وقيل: كثير اللَّحم المختال في مشيته، وقيل القصير البطين. «النهاية في غريب الحديث» (١/ ٣١٦).

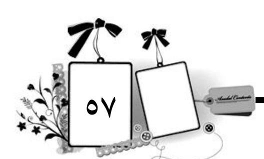
(٣) أخرجه البخاريُّ في «الأدب»، باب: الكبر (٨/ ٢٠/ ٦٠٧١)، ومسلم في «الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها»، باب: النَّار يدخلها الجبَّارون والجنَّة يدخلها الضُّعفاء (٤/ ٢١٩٠/ ٢٨٥٣).

(٤) سبق تخريجه (صـ ٥١).

(٥) أخرجه مسلم في «الإيمان»، باب: تحريم الكبر وبيانه (٩١).

(٦) هو الصَّحابيُّ الجليل: عبد الله بن عبَّاس بن عبد المطَّلب، قرشيٌّ هاشميٌّ، حبر الأمَّة، وترجمان القرآن، أسلم صغيرًا ولازم النبيَّ ﷺ بعد الفتح وروى عنه، (توفِّي بالطَّائف: ٦٨ هـ).

كان الخلفاء يجلُّونه، شهد مع عليٍّ الجمل وصفِّين، وكفَّ بصره في آخر عمره، كان يجلس للعلم، =



مِنَ الرِّجَالِ، وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ. قَالَ: فَقُلْتُ: مَا الْمُتَرَجِّلَاتُ؟ قَالَ: الْمُتَشَبِّهَاتُ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ»(١)، وَغالبُ مَنْ هذا وَصْفُها يكون الكِبْرُ لازمٌ لها، وطافحٌ على سلوكها وأَخْلاقياتِها .

قال الْمُتَّقي الهِنْدِيُّ(٢) مُؤَلِّف كتاب «كنز العُمَّال» واصفًا الْمُتشبِّهاتِ من النِّساءِ

= فيجعل يومًا للفقه، ويومًا للتَّفسير، ويومًا للمغازي، ويومًا للشِّعر، ويومًا لوقائع العرب، وله مفردات ليست لغيره من الصَّحابة؛ لاتساع علمه، وكثرة فهمه، وكمال عقله، وسعة فضله، ونبل أصله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.

وأمُّه أمُّ الفضل لبابة بنت الحارث، وصحب النَّبيَّ ﷺ ولزمه وأخذ عنه وحفظ وضبط الأقوال والأفعال والأحوال وأخذ عن الصَّحابة علمًا عظيمًا ومع الفهم الثَّاقب والبلاغة والفصاحة والجمال والملاحة والأصالة والبيان.

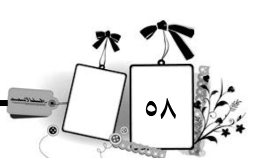
وعن طاووس قال: أدركت نحوًا من خمس مائة من الصَّحابة إذا ذكروا ابن عبَّاس فخالفوه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لم يزل يقرِّرهم حتَّى ينتهوا إلى قوله .. كان أسفل عينيه مثل الشِّراك البالي من البكاء. ينظر: «تهذيب الكمال في أسماء الرِّجال» (١٥/ ١٥٤) ، «تهذيب التَّهذيب» (٥/ ٢٧٦)، «سير أعلام النُّبلاء»، للذَّهبيِّ (٣/ ٣٣١ ـ ٣٣٣).

(١) أخرجه البخاريُّ في «اللِّباس»، باب: إخراج المتشبِّهين بالنِّساء من البيوت (٥٨٨٦)، وأحمد في «مسنده» (٢٢٩١)، واللَّفظ له.

(٢) هو: عليُّ بن عبد الملك حسام الدِّين ابن قاضي خان القادريُّ الشَّاذليُّ الهنديُّ ثمَّ المدنيُّ فالمكِّيُّ، علاء الدِّين الشَّهير بالمتَّقي (ولد: ٨٨٨، توفِّي: ٩٧٥ هـ) فقيه، من علماء الحديث. أصله من جونفور، ومولده في برهانفور (من بلاد الدكن، بالهند) علت مكانته عند السُّلطان محمود صاحب كجرات، وسكن المدينة، ثمَّ أقام بمكَّة مدَّةً طويلة، وتوفِّي بها.

له مؤلَّفات في الحديث وغيره، منها «كنز العمَّال في سنن الأقوال والأفعال» ثمانية أجزاء، و«مختصر كنز العمَّال» و«منهج العمَّال في سنن الأقوال» و«جوامع الكلم في المواعظ والحكم».

قال صدِّيق حسن خان: وللشَّيخ عبد الوهَّاب المتَّقي كتاب سمَّاه: «إتحاف التَّقي في فضل الشَّيخ: عليٍّ المتَّقي» أبان فيه عن فضائله الكثيرة وهو حقيق بذلك، وقد وقفت على تواليفه فوجدتها نافعة مفيدة ممتعة تامَّة. ينظر: «شذرات الذَّهب» (١٠/ ٥٥٤)، «أبجد العلوم»، المؤلِّف: أبو الطيِّب محمَّد صدِّيق خان بن حسن بن عليٍّ ابن لطف الله الحسينيُّ البخاريُّ القِنَّوجيُّ =



بالرِّجال فقال: يتشبَّهنَ بالرِّجال في زِيِّهم وهيْأَتِهم؛ فأَمَّا في العلم والرَّأْيِ فمحمودٌ، ويُقالُ: امْرَأَةٌ رَجُلَةٌ؛ إِذَا تشبَّهتْ بالرِّجال في الرَّأْيِ والمعرفةِ، ومنه الحديث: «إِنَّ عَائِشَةَ كَانَتْ رَجُلَةَ الرَّأْيِ»(١).

أَمَّا في زمانِنا فكثُر المُترجِّلاتُ من النِّساءِ اللَّاتِي خرَجْنَ عن وظيفتِهنَّ التي جبلهُنَّ اللهُ عليها، وخُضْنَ غِمارَ الوظائِفِ والأَعْمالِ جنبًا إِلَىٰ جنبٍ مع الرِّجال، وعلَتْ صيحاتٌ تُنادي بمُساواتِهنَّ بهم في كلِّ شأْنٍ مِنْ شُؤُون الحياة، يؤزُّ ذلك ويَشْحُنُه ويُغذِّيه مُؤْتمراتٌ عالميَّةٌ وإِقْليميَّةٌ ومحليَّةٌ تعقد بين الفَيْنَةِ والأُخْرىٰ، لا تُخْتَمُ إِلَّا بتوصياتٍ داعيةٍ بمجموعها إِلَىٰ انْحلال المرْأَةِ المُسلمةِ وانْحرافِها وهَتْكِ عِرْضِها وتدنيسِ شرَفِها، أَرادَها الرَّجُل أُلْعُوبةً في أَيْدي الرِّعاع، تُباعُ وتُشْترىٰ كسَقْطِ المتاع، وما تدري أَنَّ عاقبتَها الأَنِينُ والضَّياعُ.

بعضُ توصياتِ مؤتمراتِ المرأةِ العالميّة:

١ - الدَّعْوةُ إِلَىٰ ما سُمِّي بتحسين دور المَرْأَةِ ودَمْجِها الكاملِ في المُجْتَمَع.

٢ - الدَّعْوةُ إِلَىٰ مساواة المرأة بالرَّجُل مطلقًا، مع التَّماثُلِ التَّامِّ بينهما في كلِّ شيءٍ.

٣- الدَّعْوةُ إِلَىٰ الإِقْرار بالعلاقاتِ الجِنْسيَّةِ خارجَ نِطاق الأُسْرة.

٤- الإِقْرارُ بالأَشْكالِ المُخْتلِفةِ والمُتعدِّدةِ للأُسْرَةِ: كزَوَاجِ الرَّجُل مِنَ الرَّجُل، والمَرْأَةِ من المَرْأَةِ، و...

= (المتوفَّىٰ: ١٣٠٧هـ)، النَّاشر: دار ابن حزم، الطبعة الأولىٰ (١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢ م) (ص: ٦٩٦)، «النُّور السَّافر عن أخبار القرن العاشر»، المؤلِّف: محيي الدِّين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس (المتوفَّىٰ: ١٠٣٨هـ)، النَّاشر: دار الكتب العلميَّة – بيروت، الطبعة: الأولىٰ، (١٤٠٥) (٣١٥-٣١٩) «الأعلام»، للزِّركليِّ (٤/ ٣٠٩).

(١) أخرجه ابن حذلم في «مشيخته» (٣٧). ينظر: «كنز العمَّال» (٦/ ١٢٩٠).

٥- إِبَاحةُ الإِجْهاض.

٦- الدَّعْوةُ إِلَىٰ الحُرِّيَّةِ الجِنْسيَّةِ والإِبَاحيَّةِ بين الجِنْسيْنِ، وخصوصًا بين المُراهقين والمُراهقاتِ، والتَّبْكيرُ بها، مع تَأْخير سِنِّ الزَّواج.

٧- إِبَاحةُ الشُّذُوذِ الجِنْسيِّ كاللِّواط والسَّحاقِ، بلْ تجريمُ القوانين التي تعتبر ذلك جريمةً يُعاقب عليها.

٨- سلْبُ قوامة الرِّجال علىٰ النِّساءِ.

٩- نشرُ وسائِلِ منْعِ الحملِ ذاتِ النَّوعيَّةِ الجيدةِ. هكذا زعموا.

١٠- تشجيعُ التَّعليمِ المُخْتلط.

١١- القضاءُ علىٰ التَّمْييز ضِدَّ الأَشْخاص المُصابِين بالإِيْدز.

١٢- الدَّعْوةُ إِلَىٰ قتل الأَجِنَّة داخلَ الأَرْحام؛ بحُجَّة أَنَّه غيرُ مرغوبٍ فيهم.

١٣- الدَّعْوةُ إِلَىٰ خروج المَرْأَةِ للعمل المُخْتلط(١).

هذه بعضُ توصياتِ تلك المُؤْتمرات، والتي يصِحُّ أَنْ يُقالَ عنها: «مُؤَامراتٌ علىٰ المَرْأَة»(٢).

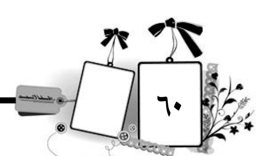
---

(١) انظر: «وقفات حول معاناة الأيدي العاملة النَّاعمة»، خالد بن عبد الرَّحمن الشَّايع، دار بلنسية، الطَّبعة الأولىٰ، سنة (١٤٢٥هـ)، (ص٣١ :٤٠)، «العدوان علىٰ المرأة في المؤتمرات الدَّولية»، د/ فؤاد بن عبد الكريم، رسالة دكتوراة حصل عليها من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة بالرِّياض؛ فهي جديرة بالقراءة والاطِّلاع، وكتاب «وثيقة مؤتمر السُّكَّان والتنمية رؤية شرعيَّة»، للدُّكتور/ الحسينيِّ سليمان جاد، ضمن سلسلة «كتاب الأمَّة»، الصَّادرة عن وزارة الأوقاف والشُّئون الإسلاميَّة بقطر.

(٢) من هذه المؤتمرات العالميَّة:

أ. «مؤتمرات مكسيكو»، ورسالته: «المساواة والتَّنمية والسِّلم»، وهو أَوَّل مؤتمر عن المرأة عام (١٩٧٥م)، وشارك فيه (٣٣) دولة.

=



آثار مؤتمرات المرأة:

كان مِنْ ثمرات تلك المُؤْتَمرات وآثارِها أَنْ خرجتِ المَرْأَةُ من قَلْعَتِها، وخلَّفتْ وراءَها مملكتَها وعرينَها، وشقَّتْ طريقَها مُشمِّرةً عن سوقِها لنيل حقوقِها المزعومةِ، واستردادِ مكانتِها الموهومةِ، وزاحمتِ الرَّجُلَ في مصنعه، وصارتْ جُنْديَّةً وضابطةً، وقادةَ القِطار والطَّائِرةِ، وعملتْ في المناجمِ والمطاعمِ والفنادقِ والنَّوادي والبُنُوكِ والمَوانئِ، وطالبتْ بحقِّها في الانتخاباتِ والتَّمثيلِ النِّيابيِّ، وخرجتْ كمُذيعةٍ ومُمثِّلةٍ وفنَّانةٍ وراقصةٍ ورياضيَّةٍ ومُدرِّبةٍ، وانخرطتْ في سِلْك المباحث والاِسْتِخْباراتِ، تُراقبُ وتتجسَّسُ وتجمعُ المعلوماتِ، ومع مُرور الأَيَّام أَصْبحتْ سفيرةً ووزيرةً ومُديرةً ومُمثِّلةً لبلدها في المُؤْتمرات، إِلَىٰ أَنِ اسْتَنْعَجَ الرِّجالُ، وتَرجَّل النِّساءُ، فكان منهنّ الرَّئِيسةُ والزَّعيمةُ، وصدق المُصْطَفَىٰ ﷺ يوم قال: «مَا أَفْلَحَ قَوْمٌ وَلَّوا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً»(١) كلُّ ذلك لتقولَ للرَّجُل: هآنذا رجُلٌ مِثْلُك.

اعترافات المرأة الغربيَّة:

وتتوالىٰ مِنَ الغرب الصَّيحاتُ والنِّداءَاتُ، ويجوبُ النِّسْوةُ الغربياتُ الشَّوارعَ

= ب. ثمَّ انعقد المؤتمر الثَّاني عام (١٩٧٩م)، وعنوانه: «القضاء علىٰ كافَّة أشكال التَّمييز ضدَّ المرأة»، وانضمَّت إلىٰ اتِّفاقيَّة هذا المؤتمر (١٣٣) دولة.

ج. ثمَّ انعقد مؤتمر «كوبنهاجن»، بالدَّنمارك عام (١٩٨٠م).

د. ثمَّ انعقد مؤتمر «نيروبيِّ»، عام (١٩٨٥م).

هـ. ثمَّ انعقد مؤتمر «بكِّين»، عام (١٩٩٥م)، وقد انعقد قبله بسنة في القاهرة: «المؤتمر الدَّوليُّ للسُّكَّان والتَّنمية»، وهكذا توالت هذه المؤتمرات في تركيا عام (١٩٩٦م)، وفي نيويورك عام (٢٠٠٠م).

(١) رواه البخاريُّ، ك: المغازي، باب: كتاب النَّبيِّ ﷺ إلىٰ كسرىٰ وقيصر (ح/ ٤١٦٣) والنَّسائيُّ في «سننه»، ك: آداب القضاء، باب: النَّهي عن استعمال النساء في الحكم (ح/ ٥٣٨٨).



مُتظاهِراتٍ أَنْ عُودُوا بنا إِلَىٰ منازلنا وبين أَطْفالنا، وإِلَيك أَخِي طرفًا من هذه الاعترافاتِ والشَّهاداتِ من أَفْواهِ القوم:

هذه مقالةٌ عُنْوانُها «المَرْأَةُ الأَمْريكيَّةُ تكتشف أَنَّ مكانَها هو البيت» وهاهي الكاتبةُ الفرنسيَّةُ الشهيرةُ مَرْيَمُ هاري تنشر خِطابًا جَاءَ فيه -وكان مُوجَّهًا لنِساءِ المسلمين وكان عُنْوانُه «الأَحاريمُ الأَخِيرة»: يا أَخواتي العزيزاتِ، لا تحسدْنَنَا نحن الأُوروبِّياتِ ولا تقتدِيْنَ بنا، إِنَّكنَّ لا تَعْرِفْنَ بأَيِّ ثَمَنٍ مِنْ عبوديَّتنا الأَدبيَّةِ اشْترَيْنا حُرِّيَّتَنا المزعومةَ، إِنِّي أَقُول لكُنَّ إِلَىٰ البيت كُنَّ حلائِلَ، ابْقَيْنَ أُمَّهاتٍ.

وهذه عُضْوةٌ في المجلس البريطانيِّ تقول: لقدْ دخلت المَرْأَةُ البَرْلمان ونزلت الحياةَ العامَّةَ، ولكنْ صدِّقونِي إِنَّها لنْ تنجحَ، وثبتَ أَنَّ مكانَها الذي تصلح له هو البيتُ[١].

وها هي أرنون الكاتبةُ الإنجليزيَّةُ تقول: لأَنْ تشتغل بناتُنا في البيوت خوادمَ أَوْ كالخوادم، خيرٌ وأَخفُّ بلاءً من اشتغالهنَّ في المعامل[٢].

ثُمَّ تهتف المَرْأَةُ الغربيَّةُ مرةً أُخْرىٰ لتقولَ: أَلَا ليْتَ بلادَنا كبلاد المسلمين، فيها الحشمةُ والعَفافُ والرِّداءُ، إِنَّه عارٌ علىٰ بلاد الإنجليز أَنْ تجعلَ بناتِها مثلًا للرَّذائِل بكثرة مخالطة الرِّجال... إلخ[٣].

أَمَّا التَّقاريرُ الصَّحفيَّةُ في اليابان فقدْ نشرتْ: أَنَّه بالرَّغْم من التقدُّم الحضاريِّ في

(١) «المرأة بين البيت والعمل»، سليمان بن فهد العودة، دار المسلم، الطبعة الأولىٰ، سنة (١٤١٣هـ)، (ص٢٥).

(٢) «المرأة بين تكريم الإسلام ودعاوىٰ التحرير»، محمد بن ناصر العرينيُّ، دار سفير، الطبعة الثانية، سنة (١٤٢٠)، (ص٢٧).

(٣) «المرأة بين البيت والعمل»، د/ سليمان العودة، (ص٢٤).



اليابان، ومشاركةِ المَرْأَةِ في كلِّ وجوه النَّشاط هناك، إِلَّا أَنَّه ما زال في أَعْماق الرَّجُل اليابانيِّ صوتٌ داخليٌّ يتمنى أَنْ يكونَ مكان المَرْأَةِ في البيت.

وفي أَلْمَانِيَا أُجرِيَتْ إحصائِيَّةٌ ضخمةٌ بين السَّيدات اللَّاتي تقلَّدْن المراكزَ الكبيرةَ في الشَّرِكات والمصالحِ، وسُئِلَتْ كلُّ واحدةٍ منهنّ: هل تُفضِّل نجاحَها في العمل أَمْ نجاحَها في حياتِها الزَّوجيَّةِ؟ فكانتِ الإِجَاباتُ كلُّها واحدةً: بل النَّجاحَ في الحياة الزَّوجيَةِ الأُسَرِيَّةِ(١).

وقد حصَل مثْلُ ذلك في فَرَنْسَا وبِرِيطَانِيَا وأَمِرِيكَا، فكان أَغْلبُهنَّ يفضِّلْنَ العودةَ إِلَى منازلهنَّ، لكنْ لعدم وُجود مَنْ يعولهنَّ بَقِيْنَ عاملاتٍ.

أَمَّا المُظاهراتُ النِّسائِيَّةُ فقدْ نُظِّم العديدُ منها، وخرجتِ المَرْأَةُ فيها تُطالب بعودتِها وقرارِها في بيتها؛ ففي أَلْمَانيَا قامتْ مُظاهرةٌ نِسائِيَّةٌ تدعو إِلَى تحرُّرِ المَرْأَةِ مِنَ العمل، وتفرُّغِها للبيت وشُؤُونِه، ونادَيْنَ فيها أَنْ يُنصَّ عند عقْد الزَّواج على عدم مُزاولة المَرْأَةِ للعمل، وأَنْ تكونَ رِسالتُها هي الزَّوجيَّةَ والأُمومةَ، لا مزاحمةَ الرِّجال في المكاتب والمصانعِ والمرافقِ الحكوميَّةِ.

وفي فَرَنْسَا قامتْ مظاهرةٌ أُخرى نسائِيَّةٌ طَالَبْنَ فيها بالعودة إِلَى منازلهنَّ وأَطْفالهنَّ.. فهل بقِيَ صَمَمٌ في أُذُنِ عَلْمانِيٍّ أَوْ مستغربٍ أَوْ ليبراليٍّ أَوْ صاحبِ فِكْرٍ مُنحرِفٍ بعد هذا السَّيلِ من الاعْتِرافاتِ بشهادة مَنْ ذَاقُوا المراراتِ وعاشوا انْتكاسةَ الفِطْرة وانْقلابَ الموازين؟!

لقدْ أَسْهَبْتُ وما كان لي، وما بقي من النُّقولات كثيرٌ وكثيرٌ، لعلَّ المخدوعين بالحضارة الغربيَّةِ -وهُمْ أَرْبابُ الأَقْلام والمقالاتِ المناديةِ بالتَّحرُّر ومقصدُهم

---

(١) انظر بعض هذه الإحصائيَّات في كتاب: «وقفات حول معاناة الأيدي العاملة النَّاعمة»، خالد الشَّايع، (ص ١٤٢ : ١٥٠).

التَّحلُّلُ، السَّائِرُون في ركاب الغرب وما علموا أَنَّ مكرَهم إِلَىٰ تبابٍ- أَنْ يثوبوا إِلَىٰ رُشْدهم وأَنْ يقلعوا عن غيِّهم.

والحمدُ لله لسنا بحاجةٍ إِلَىٰ اعتراف أَحَدٍ أَوْ شهادتِه؛ لأَنَّ لنا في الوحْيَيْنِ غنيةٌ، فهما مصدرُ التَّشريع ومُسْتقىٰ الأَحْكامِ ومُؤْلُ السَّعادة في الدَّارين، مَنْ تمسَّك بهما فلنْ يضلَّ أَبَدًا.

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾ [سورة الأحزاب:٣٢-٣٣].

وسبحان الله! تَأَمَّلْ معي أخي المُؤْمِنَ ﴿لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ ﴾ [سورة الطلاق:١] ، ﴿ وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [سورة الأحزاب:٣٤] ، ﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [سورة الأحزاب:٣٣] إِنَّ البُيوتَ للأَزْواج لا لهنَّ، ومع ذلك ذكَر المفسرون أَنَّ الإِضَافةَ هنا ليستْ للتَّمليك، بلْ إِضَافةُ «إسكان» لأَنَّه مستقرُّها وفيه غالبُ إِقَامَتِها، فإِنْ خرجتْ فلحاجةٍ مُلحَّةٍ ولضرورةٍ قائِمَةٍ.

والعاقلُ من وُعِظ بغيره، وهنيئًا لمن اعْتبَرَ بسواه، وبَدَأَ من حيث انتهىٰ الآخَرون، مُتأَمِّلًا العواقبَ متجنبًا الأَخْطاءَ والمزالقَ؛ فها هي المَرْأَةُ في جميع البلاد العربيَّةِ وغيرِها قدْ خرجتْ وتحرَّرتْ كما زيَّنوا لها، فما التَّقدُّم الذي أَحْرَزَتْه تلك الدُّولُ، وما المَجْدُ الذي من وراءِ ذلك نالتْه، وما العِزُّ الذي عاد إِلَيها بعد أَنْ فقدتْه، فليت نِسَاءَ قومي يَعْلَمْنَ ما يُحاك لهنَّ وما تتكشف عنه خبايا مَنْ تظاهر لهنَّ بالدِّفاع عن حُقوقهنَّ، وهُمْ ذِئَابٌ في لحمان بَشَرٍ.

ابنُ القيِّمِ يُحذِّرُ مِنَ الاختلاط:

قال ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّ وَلِيَّ الأَمْر يجب عليه أَنْ يمنعَ مِنَ اخْتِلاط الرِّجال بالنِّساءِ في الأَسْواق والفُرَجِ ومجامعِ الرِّجال؛ فالإِمَامُ مسئُولٌ عن ذلك، والفتنةُ به عظيمةٌ. روىٰ أُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(١) قولَ النَّبِيِّ ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَىٰ الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»(٢).

وتَأَمَّلْ حديثَ حَمْزَةِ بنِ أَبِي أَسَيْدِ الأَنْصاريِّ(٣) عن أَبِيْهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(٤): أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ خَارِجٌ مِنَ الْمَسْجِدِ فَاخْتَلَطَ الرِّجَالُ بِالنِّسَاءِ في الطَّرِيقِ

---

(١) أسامة بن زيد بن حارثة الكلبيُّ، كان أبوه مولىٰ للنبيِّ ﷺ وَهَبَتْهُ له خديجة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا فأعتقته، ولد أسامة في الإسلام قبل الهجرة بنحو ثمان سنين، أمَّره النَّبيُّ ﷺ قبيل وفاته علىٰ جيش عظيم إلىٰ الرُّوم، فيهم كبار المهاجرين والأنصار، وأقسم ﷺ أنَّه كان خليقًا للإمارة، وعقد له اللِّواء بيده، وتوفِّي ﷺ قبل مسيره، فنفذه أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، اعتزل الفتن ومات بالمدينة سنة (٥٤ أو ٥٩هـ). انظر في ترجمته: «طبقات ابن سعد» (٤/ ٦١-٧٢)، و«الجرح والتعديل» (٢/ ٢٨٣)، و«الاستبصار» (٣٤)، و«الاستيعاب» (١/ ٧٥)، و«تهذيب التهذيب» (١/ ٥٠)، و«الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر(١/ ٥٤)، و«سير أعلام النبلاء»، للذَّهبيِّ (٢/ ٤٩٦) .

(٢) أخرجه البخاري في «النكاح»، باب: ما يتَّقىٰ من شؤم المرأة (٧/ ٨/ ٥٠٩٦)، ومسلم في «الرِّقاق»، باب: أكثر أهل الجنَّة الفقراء، وأكثر أهل النَّار النِّساء (٤/ ٢٠٩٧/ ٢٧٤٠).

(٣) هو حمزة ابن أبي أسيد مالك بن ربيعة أبو مالك السَّاعديُّ المدنيُّ الأنصاريُّ. ذكر ابن حجر في «الإصابة» أنَّه صحابيٌّ ولد في زمن النَّبيِّ ﷺ، وتوفِّي زمن الوليد بن عبد الملك. انظر في ترجمته: «تهذيب التَّهذيب» (٣/ ٢٦)، و«الإصابة في تمييز الصَّحابة»، لابن حجر (١/ ٣٥٣)، و«تهذيب الكمال في أسماء الرِّجال» (٧/ ٣١١)، و«تقريب التَّهذيب» (١/ ٢٤٠).

(٤) هو الصَّحابيُّ الجليل: مالك بن ربيعة بن البدن بن عَمْرو، ويُقال: عامر بْن عوف بْن حارثة بْن عَمْرو بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج، أَبُو أُسَيْدٍ السَّاعِدِيُّ الأنصاريُّ، ويُقال: مالك بْن ربيعة بْن البدي، ويُقال: إنَّ البديَّ وهم، والصَّواب البدن، (مشهور بكنيته، مِنْ كُبَرَاءِ الأَنْصَارِ، شَهِدَ: بَدْرًا، وَالمَشَاهِدَ، روىٰ له : البخاريُّ - مسلم - أبو داود - التِّرمذي - النَّسائي - ابن ماجه، وقد ذهب بصره في أواخر عمره، مات: سنة أربعين، وهو قول ابن سعد، وخليفة.

وقال المدائني: توفي سنة ستين - وهذا بعيد -. وأشذ منه: قول أبي القاسم بن مندة: سنة خمس وستين، وقال أبو حفص الفلاس: مات سنة ثلاثين. انظر في ترجمته: «تهذيب الكمال في أسماء الرِّجال» (٢٧/ ١٣٨)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبيِّ (٢/ ٥٣٨).

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِلنِّسَاءِ: «اسْتَأْخِرْنَ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكُنَّ أَنْ تُحَقِّقْنَ الطَّرِيقَ، عَلَيْكُنَّ بِحَافَّاتِ الطَّرِيقِ». فَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تَلْتَصِقُ بِالْجِدَارِ، حَتَّىٰ إِنَّ ثَوْبَهَا لَيَتَعَلَّقُ بِالْجِدَارِ مِنْ لُصُوقِهَا بِهِ(١).

ويجب علىٰ وَلِيِّ الأَمْرِ مَنْعُ النِّساءِ من الخروجِ مُتزيِّناتٍ مُتجمِّلاتٍ، ومَنْعُهنَّ من الثِّيابِ التي يكُنَّ بها كاسياتٍ عارياتٍ؛ كالثِّيابِ الواسعةِ والرقاقِ، ومَنْعُهنَّ من حديث الرِّجال في الطُّرُقات، ومَنْعُ الرِّجال مِنْ ذلك.

ثُمَّ يقول ابنُ القَيِّم: «وله أَنْ يحبِسَ المَرْأَةَ إِذَا أَكْثرتِ الخروجَ مِنْ منزلها -ولا سِيَّما إِذَا خرجتْ مُتجمِّلةً- بَلْ إِقْرارُ النِّساءِ علىٰ ذلك إِعَانةٌ لهنَّ علىٰ الإِثْمِ والمعصيَةِ، واللهُ سائِلٌ وَلِيَّ الأَمْرِ عن ذلك».

وقدْ منَع أَمِيرُ الْمُؤْمِنين عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النِّساءَ من المَشْيِ في طريق الرِّجال والاِخْتلاطِ بهم في الطَّريق(٢)، فعلىٰ وليِّ الأَمْر أَنْ يقتديَ به في ذلك.

وقال الخَلَّالُ(٣) في «جامعه»: «أخبرني مُحَمَّدُ بنُ يَحْيَىٰ الكَحَّالُ(٤) أَنَّه قال لأَبِي

---

(١) أخرجه أبو داود في «أبواب النَّوم»، باب: مشي النِّساء مع الرِّجال في الطَّريق (٤/ ٣٦٩/ ٥٢٧٢)، والبيهقيُّ في «شعب الإيمان» (١٠/ ٢٤٠)، والطَّبرانيُّ في «الكبير» (١٩/ ٢٦٢)، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٤٥٩).

(٢) انظر: «الحسبة في العصر النَّبويِّ وعصر الخلفاء الرَّاشدين»، د/ فضل إلهي، إدارة ترجمان الإسلام (سي/ ٣٣٦)، ستيلائيت تاؤن جحرا نواله، باكستان، الطبعة الثانية، سنة (١٤١٩-١٩٩٨)، (ص٢٤).

(٣) الإمام العلاَّمة الحافظ الفقيه شيخ الحنابلة وعالمهم، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الخلاَّل، ولد سنة (٢٣٤هـ) أو في التي تليها، رحل إلىٰ فارس والشَّام والجزيرة يتطلب فقه الإمام أحمد وفتاويه وأجوبته، وجمع فأوعىٰ، ثمَّ صنَّف كتابه «الجامع في الفقه»، قريبًا من عشرين مجلَّدًا، ومن كتبه «السُّنَّة»، توفِّي في شهر ربيع الأوَّل سنة (٣١١هـ) وله سبع وسبعون سنة، وقيل: عاش أكثر من ذلك.

انظر في ترجمته: «تذكرة الحفَّاظ» (٣/ ٧٨٥-٧٨٦)، و«البداية والنهاية» (١١/ ١٤٨)، «طبقات الحفاظ» (٣٢٩-٣٣٠)، و«شذرات الذهب» (٢/ ٢٦١)، و«سير أعلام النبلاء»، للذهبي (١٤/ ٢٩٧).

(٤) أبو جعفر البغدادي المتطبِّب. قال أبو بكر الخلاَّل: كانت عنده عن الإمام أحمد مسائل كثيرة مشبعة وكان من كبار أصحاب أبي عبد الله وكان يقدِّمه ويكرمه. انظر في ترجمته «طبقات =

عَبْدِ الله(١) أَرَىٰ الرَّجُلَ السُّوءَ مع المَرْأَةِ؟ قال صِحْ بِهِ».

وقد صحَّ في حديث أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(٢) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ فَمَرَّتْ عَلَىٰ قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ»(٣)، ويُمنع

= الحنابلة»، المؤلِّف: أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: ٥٢٦هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة - بيروت (١/ ٣٢٥).

(١) هو الإمام حقًّا وشيخ الإسلام صدقًا، أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانيُّ المروزيُّ ثمَّ البغداديُّ، ولد رَحِمَهُٱللَّهُ في ربيع الأوَّل (١٦٤هـ) ببغداد، وقيل: بل ولد بمرو، وكان مقام أسرته بالبصرة وما حولها، وقد نشأ نشأة علميَّة في سنٍّ مبكِّرة، وطلب الحديث وهو ابن ست عشرة سنة، وقد رحل في طلب العلم.

قال الشَّافعيُّ: خرجت من بغداد وما خلَّفت بها أحدًا أتقىٰ ولا أورع ولا أفقه من أحمد بن حنبل. قال أبو زرعة لعبد الله بن أحمد: أبوك يحفظ ألف ألف حديث، من أهمِّ مؤلَّفاته: «المسند»، «فضائل الصَّحابة»، «العلل»، و«معرفة الرِّجال»، «الرَّد علىٰ الجهميَّة»، «مسائل أحمد»، بعدَّة روايات، وغير ذلك من المؤلَّفات، ثبت علىٰ الحقِّ في فتنة خلق القرآن، توفِّي رَحِمَهُٱللَّهُ يوم الجمعة (١٢/ ٣/ ٢٤١هـ) وله سبع وسبعون سنة.

انظر في ترجمته: «الجرح والتعديل» (١/ ٢٩٢-٣١٣ و٢/ ٦٨)، و«تاريخ بغداد» (٤/ ٤١٢)، و«طبقات الحنابلة» (١/ ٤-٢٠)، و«سير أعلام النبلاء»، للذهبيِّ (١١/ ١٧٧)، وهناك كثير من الكتب الأخرىٰ التي ترجمت له.

(٢) هو عبد الله بن قيس الأشعريُّ القحطانيُّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قدم علىٰ النَّبيِّ ﷺ في مكَّة، فأسلم ورجع إلىٰ قومه ثمَّ قدم في خمسين منهم إلىٰ النَّبيِّ ﷺ في المدينة عند فتح خيبر، وكان حسن الصوت بالقرآن، ولاَّه النبيُّ ﷺ علىٰ اليمن، شهد فتوح الشَّام، ثمَّ استعمله عمر علىٰ البصرة، فافتتح الأهواز وأصبهان، ثمَّ عزله عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن البصرة، فتحوَّل إلىٰ الكوفة، فولاَّه عثمان عليها، فمات فيها سنة (٤٤هـ) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

انظر في ترجمته: «التَّاريخ» لابن معين (٣٢٦)، و«الجرح والتعديل» (٥/ ١٣٨)، و«الاستيعاب» (٣/ ٩٧٩)، و«أسد الغابة» (٣/ ٣٦٧)، و«طبقات القراء» (١/ ٤٤٢-٤٤٣)، و«الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر(٦/ ١٩٤)، و«سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٢/ ٣٨٠).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٩٥٧٨)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٦٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٣٠) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٤٤٦٦).

المَرْأَةُ إِذَا أَصَابتْ بخورًا أَنْ تشهد عِشاءَ الآخِرة في المسجد، فقدْ روىٰ ابنُ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «المَرْأَةُ عَوْرَةٌ، وَإِنَّهَا إِذَا خَرَجَتْ، اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ(١)، وَإِنَّهَا لَا تَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى اللهِ مِنْهَا فِي قَعْرِ بَيْتِهَا»(٢).

ولا ريبَ أَنَّ تمكينَ النِّساءِ من اختلاطِهِنَّ بالرِّجال: أَصْلُ كلِّ بليَّةٍ وشرٍّ، وهو مِنْ أَعْظم أَسْباب نُزولِ العُقوباتِ العامَّةِ، كما أَنَّه مِنْ أَسْباب فسادِ أُمُور العامَّةِ والخاصَّةِ. واختلاطُ الرِّجال بالنِّساءِ سببٌ لكثرة الفواحش والزِّنا، وهو مِنْ أَسْباب الموت العامِّ، والطَّواعين المُتَّصلةِ. ولَمَّا اخْتَلط البغايا بعسكر مُوسَىٰ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ وفشتْ فيهم الفاحشةُ، أَرْسَلَ اللهُ عليهم الطاعونَ، فمات في يومٍ واحدٍ سبعون أَلفًا. والقِصَّةُ مشهورةٌ في كتُب التَّفاسير.

فمِنْ أَعْظم أَسْباب الموت العامِّ: كثرةُ الزِّنا بسبب تمكين النِّساءِ من اختلاطِهِنَّ بالرِّجال، والمَشْيِ بينهم مُتبرِّجاتٍ مُتجمِّلاتٍ، ولوْ علِم أَوْلياءُ الأَمْر ما في ذلك مِنْ فساد الدُّنْيا والرَّعيَّةِ قبل الدِّين لكانوا أَشَدَّ شيءٍ منعًا لذلك.

قال عَبْدُ الله بنُ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(٣): «إِذَا ظَهر الزِّنا في قريةٍ أَذِنَ اللهُ

---

(١) قوله: «استشرفها الشَّيطان»؛ أي: زيَّنها في نظر الرِّجال. وقيل: نظر إليها؛ ليغويها، ويغوي بها – انظر تحفة الأحوذيِّ بشرح جامع التِّرمذيِّ (٤/ ٢٨٣) – للمباركفوريِّ، الناشر دار الكتب العلميَّة – بيروت.

(٢) أخرجه الترمذي في «أبواب الرَّضاع»، باب: منه (٣/ ٤٦٨/ ١١٧٣)، وابن خزيمة في «صحيحه» (١٦٨٥)، والطبرانيُّ في «الأوسط» (٨٠٩٦)، وفي «الكبير» (٩/ ٢٩٥)، وصحَّحه الألبانيُّ في «السِّلسلة الصَّحيحة» (٢٦٨٨).

(٣) هو: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ الهذليُّ الإمام الحبر، فقيه الأمَّة، أبو عبد الرَّحمن الهذليُّ، المكِّيُّ، المهاجريُّ، البدريُّ، حليف بني زهرة، كان من السَّابقين الأوَّلين، ومن النُّجباء العالمين، شهد بدرًا، وهاجر الهجرتين، وكان يوم اليرموك على النَّفل، ومناقبه غزيرة، روىٰ علمًا كثيرًا، حدث عنه: أبو موسىٰ، وأبو هريرة، وابن عبَّاس، وابن عمر، =

بِهلاكِها»(١).

رحمكَ الله يا ابْنَ الْقَيِّم! ما أَحْكَمَ عقلَك! وما أَبْعَدَ نظرَك! فلَكأَنَّما تنظر حالَنا وتعيشُ بيننا، فقدْ نصحْتَ وبلَّغْتَ، فهل مِنْ مُسْتجيبٍ؟

وفي الجملة، فما كان مِنْ صفات المنافقين أَوْ شُعَبِه في أَحَدٍ من النَّاس:

١٩- كالتَّهاوُنِ بالصَّلاة.

٢١- والخِداعِ والمُراوغةِ.

٢٢- وإِذَاعةِ أَسْرار المُؤْمِنين.

٢٣- والأَمْرِ بالمُنكَر والنَّهيِ عن المعروف.

٢٤- وإِشَاعةِ الفاحشة في الذين آمنوا.

= وعمران بن حصين، وجابر، وأنس، وأبو أمامة، في طائفة من الصَّحابة، وعلقمة، والأسود، ومسروق، وعبيدة، وأبو واثلة، وقيس ابن أبي حازم، وزرُّ بن حبيش، والرَّبيع بن خثيم، وطارق بن شهاب، وزيد بن وهب، وولداه؛ أبو عبيدة، وعبد الرَّحمن، وأبو الأحوص عوف بن مالك، وأبو عمرو الشَّيبانيُّ، وخلق كثير.

وروى عنه القراءة: أبو عبد الرَّحمن السلميُّ، وعبيد بن نضيلة، وطائفة. اتَّفقا له في «الصَّحيحين» على أربعة وستِّين.

وانفرد له البخاريُّ بإخراج واحد وعشرين حديثًا، ومسلم بإخراج خمسة وثلاثين حديثًا، وله عند بقي بالمكرَّر ثماني مائة وأربعون حديثًا. قال قيس ابن أبي حازم: رأيته آدم، خفيف اللَّحم.

وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: كان عبد الله رجلًا نحيفًا، قصيرًا، شديد الأدمة، وكان لا يغيِّر شيبه. قال الذَّهبيُّ: كان معدودًا في أذكياء العلماء. ينظر: «سير أعلام النُّبلاء»، للذَّهبيِّ (١/ ٤٦٢).

(١) «الطُّرق الحكميَّة في السِّياسة الشَّرعيَّة»، محمَّد ابن أبي بكر أيُّوب الزرعيُّ أبو عبد الله، تحقيق: د/ محمد جميل غازي، مطبعة المدني- القاهرة، (ص٢٨٠)، وأوضح من ذلك حديث النبيﷺ الذي قال فيه: «إذا ظهر الزِّنا والرِّبا في قرية، فقد أحلُّوا بأنفسهم عذاب الله». قال عنه الشيخ الألبانيُّ في «غاية المرام» (٣٤٤): «حديث حسن».

٢٥- وقِلَّةِ الفقه في الدِّين.

٢٦- والشُّحِ.

إلَىٰ غير ذلك من الصِّفات والخصائِصِ التي إنْ تَوافَقَ معها انعقاد القلبَ علىٰ الكُفْر بالله وبُغْضِ الشَّريعة ومُعاداةِ الدِّين فهو النِّفاقُ الأكْبرُ، أَمَّا مَنْ تلبَّس بشيءٍ من هذه المُوبقاتِ أَوْ المعاصي وهو علىٰ الإِيمان؛ ففيه شَبَهٌ بالمنافقين بقَدْرِ ما فيه من صفاتِهم، وهو النِّفاقُ العمليُّ؛ لذا قال شيخُ الإِسْلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُسمَّىٰ الفاسقُ منافقًا النِّفاقَ الأَصْغرَ لا الأكْبرَ»[1].

لطيفة: ما معنى كان مُنافقًا خالصًا؟

هذه مسأَلَةٌ تناولها العلماءُ بالبحث أَلَا وهي: تخريجُ ما ورَد في حديث عَبْدِ الله بنِ عَمْرِو بنِ العَاصِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا...». الحديث[2]، فقد استوقفهم قولُه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا».

قال الإِمَامُ التِّرمِذِيُّ [3] بعد أَنْ ساق بسنده حديثَ ابنِ عُمَرَ [4] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا

---

(١) «فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيميَّة» (١١/ ١٤٣).

(٢) تقدم تخريجه (صـ ٤٥).

(٣) هو: محمَّد بن عيسىٰ بن سورة السلمي البوغي الترمذي، أبو عيسىٰ، من أئمَّة علماء الحديث وحفَّاظه، من أهل ترمذ، علىٰ نهر جيجون، تلميذ للبخاريِّ، شاركه في بعض شيوخه، كان يضرب به المثل في الحفظ، (ولد: ٢٠٩ - توفي: ٢٧٩ هـ). من تصانيفه: «الجامع الكبير»، المعروف بـ «سنن الترمذيِّ»، أحد الكتب السِّتَّة المقدمة في الحديث عند أهل السُّنَّة، و«الشَّمائل النَّبويَّة»، و«التَّاريخ»، و«العلل في الحديث». ينظر: «سير أعلام النُّبلاء»، للذَّهبيِّ (١٣/ ٢٧٠ - ٢٧٧) و«تهذيب التَّهذيب» (٩/ ٣٨٧ - ٣٨٩).

(٤) هو عبد الله بن عمر بن الخطَّاب بن نفيل القرشيُّ العدويُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أسلم مع أبيه وهاجر، ولم يشهد بدرًا وأحدًا؛ لصغر سنِّه، وأجيز في غزوة الخندق، قدم الشَّام والعراق والبصرة وفارس غازيًا.

تقول عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: ما رأيت أحدًا ألزم للأمر الأوَّل من ابن عمر. قال ابن المسيَّب: كان ابن عمر يوم مات خير من بقيٍّ، وقال طاووس: ما رأيت أورع من ابن عمر، كان حريصًا علىٰ تتبُّع آثار رسول الله ﷺ ومن خلقه أنَّه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لم يلعن خادمًا إلا مرَّة فأعتقه. =

المُتقدِّمَ في خِصال النِّفاق: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ، وإِنَّما معنىٰ هذا عند أَهْلِ العلم نِفاقُ العمل، وإِنَّما كان نِفاقَ التَّكْذيب علىٰ عهد رَسُولِ الله ﷺ(١).

هكذا رُوِيَ عن الحَسَنِ البصريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيثُ قال: «النِّفاقُ نفاقان: نِفاقُ العمل، ونِفاقُ التَّكْذيب(٢).

وقال الحافظُ ابنُ حَجَر: «والنِّفاقُ لُغَةً مُخالفةُ الباطنِ للظَّاهر، فإِنْ كان في اعتقاد الإِيْمان فهو نِفاقُ كُفْرٍ، وإِلَّا فهو نِفاقُ العمل، ويدخل فيه الفعلُ والتَّرْكُ، وتتفاوت مراتبُه»(٣).

وقال ابنُ العَرَبِيِّ (٤) بعد أَنْ أَوْرد الحديث: «روتْه الصِّحاحُ والأَئِمَّةُ، وتباين النَّاسُ فيه حَزْقًا، وتفرَّقوا فِرَقًا، بسبب أَنَّ المعاصي بالجوارح لا تكون كُفْرًا عند أَهْلِ الحقِّ، ولا في دليل التَّحقيق.

وظاهرُ هذا الحديثِ يقتضي أَنَّه إِذَا اجتمعتْ فيه هذه الخِصالُ، صحَّ نِفاقُه،

= توفِّي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في مكَّة سنة (٧٣هـ). انظر في ترجمته: «الجمع بين رجال الصَّحيحين» (١/ ٢٣٨)، و«المعرفة والتَّاريخ» (١/ ٢٤٩-٤٩٠)، و«الجرح والتَّعديل» (٥/ ١٠٧)، و«جامع الأصول» (٩/ ٦٤)، و«أسد الغابة» (٣/ ٢٢٧)، و«الإصابة في تمييز الصَّحابة»، لابن حجر (٢/ ٣٤٧)، و«شذرات الذَّهب» (١/ ٨١)، و«سير أعلام النُّبلاء»، للذهبيِّ (٣/ ٢٠٤).

(١) ينظر: «سنن التِّرمذي» (٥/ ١٩).

(٢) تقدم تخريجه (صـ ٣٩).

(٣) «فتح الباري»، لابن حجر (١/ ٨٩).

(٤) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن العربيّ الأندلسيُّ الإشبيليُّ، صاحب التَّصانيف، وُلِدَ سنة (٤٦٨هـ)، الفقيه المفسِّر المؤرِّخ، من مؤلَّفاته: «أحكام القرآن»، و«العواصم من القواصم»، و«عارضة الأحوذيِّ»، كان ثاقب الذِّهن عذب المنطق مقبلًا علىٰ نشر العلم وتدوينه، توفِّي سنة (٥٤٣هـ) بمدينة فاس.

انظر ترجمته: «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٩٦-٢٩٧)، و«نفح الطِّيب» (٢/ ٢٥-٤٣)، و«البداية والنِّهاية» (١٢/ ٢٢٨-٢٢٩)، و«كشف الظُّنون» (٥٥٣-٥٥٩)، و«تاريخ بروكلمان» (٦/ ٢٧٥-٢٧٦)، و«سير أعلام النُّبلاء»، للذَّهبيِّ (٢٠/ ١٩٧).

وخَلُص، وإِذَا كان فيه منهنَّ واحدةٌ، كانتْ فيه من النفاق خَصْلةٌ، وخَصْلةٌ من النِّفَاقِ نِفاقٌ، وعُقْدَةٌ من الكُفْر كُفْرٌ، وعليه يشهد ظاهرُ هذه الآيةِ بما قال فيه من نَكْثِه لعَهْده، وغَدْرِه المُوجِبِ له حُكْمَ النِّفَاق.

فقالتْ طَائِفَةٌ: إِنَّ ذلك إِنَّما هو لَمَنْ يُحَدِّث بحديثٍ يعلم كذِبَه، ويعهَد بعهدٍ لا يعتقد الوفاءُ به، وينتظر الأَمَانَةَ للخِيانة فيها.

وتعلَّقوا فيما ذهبوا إِلَيه من ذلك بحديثٍ خرَّجه البزّارُ(١)، عن سَلْمَانَ الفارسيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢): قال: دخل أَبُو بَكْرٍ(٣) وعُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على رَسُولِ الله ﷺ فقال:

---

(١) هو: أحمد بن عمرو بن عبد الخالق، أبو بكر البزَّار الحافظ، صاحب «المسند» المشهور (توفِّي سنة: ٢٩٢ هـ). قال الدَّارقطنيُّ: ثقة يخطئ ويتَّكل على حِفْظه، قال الخطيب: وَكَانَ ثِقَةً حافظًا، صنَّف «المسند»، وتكلَّم على الأحاديث وبيَّن عِلَلَهَا.

قال ابن يونس: قدم مصر وحدَّث بها، وكان حافظًا للحديث، توفِّي بالرَّملة. ينظر: «تاريخ بغداد» (٥/ ٥٤٨)، «تاريخ الإسلام»، للذَّهبيِّ (٦/ ٨٨٦)، «الثِّقات ممَّن لم يقع في الكتب السِّتَّة»، المؤلِّف: أبو الفداء زين الدِّين قاسم بن قُطْلُوبَغَا السُّوْدُوْنِيُّ (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشَّيخونيِّ) الجماليُّ الحنفيُّ (المتوفَّى: ٨٧٩هـ)، دراسة وتحقيق: شادي بن محمَّد بن سالم آل نعمان، النَّاشر: مركز النُّعمان للبحوث والدِّراسات الإسلاميَّة وتحقيق التُّراث والتَّرجمة، صنعاء، اليمن، الطَّبعة: الأولى، (١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م) (١/ ٤٤٤).

(٢) هو الصَّحابيُّ الجليل: سلمان الخير الفارسيُّ، أبو عبد الله ابن الإسلام؛ يقال: سلمان بن الإسلام، وسلمان الخير، أبو عبد الله، ولا يعرف اسم أبيه بفارس، أصله من رامهرمز، كان يسمِّي نفسه سلمان الإسلام، خرج إلى يثرب بإشارة بعضهم، فأسر واسترقَّ، وقدم النَّبيُّ ﷺ المدينة، فأسلم، وجاهد معه.

وكان ذا رأي، وهو الَّذي أشار بحفر الخندق، ثمَّ شهد المشاهد وبعض الفتوح، ولي إمرة المدائن حتَّى توفِّي، عاش عمرًا طويلًا، وقرأ كتب الفرس والرُّوم واليهود.

وقال الذهبيُّ: ظهر لي أنه ما جاوز (٨٠)، (توفِّي سنة ٣٤ هـ) . ينظر: «الاستيعاب» (٢/ ٦٣٤)، «الإصابة في تمييز الصَّحابة» (٣/ ١٤١)، و«تهذيب الكمال في أسماء الرِّجال»، للمزيِّ (١١/ ٢٤٥).

(٣) هو: الصَّحابيُّ الجليل عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو القرشيُّ التميميُّ ابن أبي قحافة. كان =

«مِنْ خِلَالِ الْمُنَافِقِينَ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ»، فقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَفَلَا سَأَلْتُمَاهُ؟ فَقَالَا: هِبْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ. قَالَ: لَكِنِّي سَأَسْأَلُهُ. فَدَخَلَ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فقَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ وَعُمَر وَهُمَا ثَقِيلَانِ. ثُمَّ ذَكَرَ مَا قَالَا، فَقَالَ: «قَدْ حَدَّثْتُهُمَا، وَلَمْ أَضَعْهُ عَلَىٰ الْمَوْضِعِ الَّذِي يَضَعُونَهُ، وَلَكِنَّ الْمُنَافِقَ إِذَا حَدَّثَ وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنَّهُ يَكْذِبُ، وَإِذَا وَعَدَ وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنَّهُ يُخْلِفُ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنَّهُ يَخُونُ»(١).

قال القاضي الإِمَامُ: «هذا ليس بمُمْتنعٍ لوجهين: أَحَدِهما ضعفُ سَنَدِه. والثَّاني أَنَّ الدَّليلَ الواضحَ قدْ قام علىٰ أَنَّ مُتعمِّدَ هذه الخصالِ لا يكون كافرًا، وإِنَّما يكون كافرًا باعتقادٍ، يعود إِلَىٰ الجهل بالله وصفاتِه أَوْ التَّكْذيبِ به»(٢).

= يُقال له: (عتيق)؛ لحسن وجهه، وجماله، وطيب أصله، وُلد بعد حادثة الفيل بسنتين وستَّة أشهر، نشأ في كنف والده الَّذي أسلم عام الفتح، لم يشرب الخمر في الجاهليَّة، وكان أنسب العرب وعالمًا بتفسير الرُّؤىٰ، أوَّل من أسلم، وصاحب الهجرة، أسلم علىٰ يديه خَلْقٌ كثير من الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

أوَّل الخلفاء الرَّاشدين، ورد فيه أحاديث كثيرة في فضائله الجليلة، وقد قام بعتق عدد من الأرقَّاء، توفِّي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة (١٣هـ)، لثمان ليال بقين من جمادىٰ الآخرة، ودُفِنَ بجوار النَّبيِّ ﷺ. انظر في ترجمته: «إسعاف المبطأ» (١/ ٣١)، «الإصابة في تمييز الصَّحابة»، لابن حجر(١/ ٨١)، «التَّاريخ الكبير» (٣/ ٥٢٥)، «الطَّبقات الكبرىٰ» (٣/ ١٦٩).

(١) أخرجه البزَّار في «مسنده» (٢٥٤٤)، والطَّبرانيُّ في «الكبير» (٦/ ٢٧٠)، وذكره الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» (٢/ ١٦٦) وقال: «رواه الطَّبرانيُّ في «الكبير»، وفيه أبو النُّعمان عن أبي وقَّاص، وكلاهما مجهول – قاله التِّرمذيُّ – وبقيَّة رجاله موثَّقون»، وقال الألبانيُّ في «السِّلسلة الضَّعيفة»، المؤلِّف: محمَّد ناصر الدِّين الألبانيُّ، النَّاشر: مكتبة المعارف - الرِّياض (١٤٤٧): «وجملة القول أنَّ الحديث ضعيف؛ للجهالة والاضطراب».

(٢) «أحكام القرآن»، أبو بكر ابن العربيِّ، تحقيق: محمَّد بن عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، سنة (١٤٢٤هـ)، (٢/ ٩٨٤).



أَمَّا الإِمَامُ النَّوَوِيُّ فله تعليقٌ كافٍ شافٍ بعد أَنْ أَوْرَدَ الحديثَ الذي أَخْرجه الإِمَامُ مُسْلِمٌ[١] بإِسْناده حيث قال: «هذا الحديثُ ممَّا عدَّه جماعةٌ من العلماءِ مُشْكِلًا من حيث إِنَّ هذه الخِصالَ تُوجَد في المسلمِ المُصدِّقِ الذي ليس فيه شكٌّ، وقدْ أَجْمع العلماءُ على أَنَّ من كان مُصدِّقًا بقلبه ولسانِه وفَعَلَ هذه الخِصالَ لا يُحكَمُ عليه بكُفْرٍ، ولا هو مُنافقٌ يُخلَّد في النَّار؛ فإِنَّ إِخْوةَ يُوسُفَ عليهِمُ صلواتُ الله وسلامُه جمَعوا هذه الخصالَ، وكذا وُجِدَ لبعض السَّلَفِ والعلماءِ بعضُ هذا أَوْ كلُّه، وهذا ليس فيه -بحمد الله تعالى- إِشْكالٌ.

ولكنِ اختلف العلماءُ في معناه؛ فالذي قاله المحقِّقون والأَكْثرون -وهو الصَّحيحُ المختارُ- أَنَّ معناه أَنَّ هذه الخِصالَ خِصالُ نِفاقٍ، وصاحبُها شبيهٌ بالمنافقين في هذه الخِصالِ، ومُتخلِّقٌ بأَخْلاقهم؛ فإِنَّ النِّفاقَ هو إِظْهارُ ما يُبْطَنُ خِلافُه، وهذا المعنى موجودٌ في صاحب هذه الخِصالِ، ويكون نفاقُه في حقِّ مَنْ حدَّثه، ووَعَدَه وائْتَمَنَه وخَاصَمَه وعَاهَدَه من النَّاس، لا أَنَّه منافقٌ في الإِسْلام؛ فيُظْهِره وهو يُبطِن الكُفْرَ، ولم يُرِدِ النَّبيُّ ﷺ بهذا أَنَّه منافقٌ نفاقَ الكُفَّار المُخلَّدين في الدَّرْكِ الأَسْفلِ من النَّار، وقولُه ﷺ: «كَانَ مُنافِقًا خَالصًا» معناه شديدُ الشَّبَهِ بالمنافقين بسبب هذه الخِصالِ.

قال بعضُ العلماءِ: «وهذا فيمَنْ كانتْ هذه الخصالُ غالبةً عليه، فأَمَّا مَنْ يَنْدُرُ ذلك منه فليس داخلًا فيه، فهذا هو المُختارُ في معنى الحديث»[٢].

---

(١) مسلم: هو مسلم بن الحجَّاج بن مسلم القشيريُّ أبو الحسين النَّيسابوريُّ الإمام الحافظ، صاحب «الصحيح»، ولد سنة ٢٠٤ - وتوفِّي سنة ٢٦١ هـ. ينظر: «الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب السِّتَّة» لأبي عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز شمس الدِّين الذَّهبيِّ (ج٢ ص٢٥٨). تحقيق: محمَّد عوَّامة/ ط: دار القبلة للثَّقافة الإسلاميَّة، مؤسَّسة علو - جدَّة/ ط:١. (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م). و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (ج١٠ ص١١٣).

(٢) انظر: «مسلم بشرح النَّوويِّ» (٢/ ٤٠٧).

لكنَّ الحَافِظَ ابنَ حَجَرٍ تعقَّب النَّوَوِيَّ في جوابه بأَنَّ المرادَ شدَّةُ الشَّبَهِ بالمنافقين، فيقول: «ومُحصلُ هذا الجوابِ الحَمْلُ في التَّسْمية على المجاز؛ أَيْ: صاحبُ هذه الخِصالِ كالمنافق، وهو بِناءً على أَنَّ المرادَ بالنفاق نفاقُ الكُفْر، وقدْ قيل في الجواب عنه: إِنَّ المُرادَ بالنِّفاق نفاقُ العمل -كما قدَّمناه- وهذا ارتضاه القُرْطُبِيُّ [(١)].

واستدلَّ له بقول عُمَرَ لحُذَيْفَةَ: هل تعلم فيَّ شيئًا من النِّفاق؟ فإِنَّه لم يُرِدْ بذلك نفاقَ الكُفْرِ وإِنَّما أَرَادَ نفاقَ العمل، ويُؤَيِّده وَصْفُه بالخالص في الحديث الثَّاني بقوله: «كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا». وقيل: المرادُ بإِطْلاق النِّفاق الإِنْذارُ والتَّحْذيرُ مِن ارْتِكاب هذه الخِصالِ، وأَنَّ الظَّاهرَ غيرُ مُرادٍ، وهذا ارْتَضاهُ الخَطَّابِيُّ[(٢)]، وذكَر أَيْضًا أَنَّه يحتمل أَنَّ المُتَّصفَ بذلك هو من اعْتَادَ ذلك وصار له دَيْدَنًا.

---

(١) هو: محمد بن أحمد ابن أبي بكر بن فَرح -بإسكان الرَّاء والحاء- الأنصاريُّ الخزرجيُّ الأندلسيُّ، أبو عبد الله، القرطبيُّ: المفسِّر.

كان من عباد الله الصَّالحين والعلماء العارفين الورعين الزَّاهدين في الدُّنيا المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، أوقاته معمورة ما بين توجُّه وعبادة وتصنيف. رحل إلى الشَّرق واستقر بمنية بن خصيب (في شماليِّ أسيوط، بمصر) وتوفِّي فيها.

من كتبه «الجامع لأحكام القرآن» و«التذكار في أفضل الأذكار»، و«التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة». (توفِّي سنة ٦٧١ هـ).

ينظر: المؤلف: إبراهيم بن عليِّ بن محمَّد، ابن فرحون، برهان الدِّين اليعمريّ (المتوفَّى: ٧٩٩هـ)، تحقيق وتعليق: الدُّكتور محمَّد الأحمديِّ أبو النُّور، النَّاشر: دار التُّراث للطَّبع والنَّشر، القاهرة، «طبقات المفسِّرين»، لعبد الرَّحمن ابن أبي بكر السُّيوطيِّ، (ص ٧٩). تحقيق: علي محمَّد عمر. ط: مكتبة وهبة - القاهرة. (ط١). سنة: (١٣٩٦م).

(٢) هو حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي أبو سليمان. فقيه محدِّث من نسل زيد بن الخطاب أخي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. من كتبه: «معالم السُّنن في شرح سنن أبي داود»، ـ و«إصلاح غلط المحدِّثين»، و«شرح البخاريِّ»، توفِّي سنة (٣٨٨هـ).

انظر في ترجمته: «الوفيات» (١/ ١٦٦)، «يتيمة الدَّهر» (٤/ ٢٣١)، و«الأعلام» للزِّركليِّ، (٢/ ٢٠٤).



قال: «ويدلُّ عليه التَّعْبيرُ بـ «إِذَا»؛ فإِنَّهَا تدلُّ علىٰ تكرُّر الفعل. كذا قال: والأَوْلىٰ ما قال الكرمانيُّ[1] :أَنَّ حذفَ المفعول مِن «حدَّث» يدلُّ علىٰ العموم، أَيْ إِذَا حدَّث في كلِّ شيءٍ كذَب فيه، أَوْ يصير قاصرًا؛ أَيْ إذَا وجد ماهيَّة التَّحْديث كذَب وقيل: هو محمولٌ علىٰ مَنْ غلبتْ عليه هذه الخِصالُ، وتهَاوَنَ بها، واسْتَخَفَّ بأَمْرها؛ فإِنَّ مَنْ كان كذلك، كان فاسدَ الاعتقاد غالبًا.

وهذه الأَجْوبَةُ كلُّها مبنيَّةٌ علىٰ أَنَّ اللَّامَ في المنافق للجِنْس، ومنهم من ادَّعىٰ أَنَّها للعَهْد فقال: إِنَّه ورَد في حقِّ شخصٍ معيَّنٍ، أَوْ في حقِّ المنافقين في عهد النَّبِيِّ ﷺ. وتمسَّك هؤلاء بأَحَاديثَ ضعيفةٍ جَاءَتْ في ذلك لو ثبَت شيءٌ منها، لتعيَّن المصيرُ إِلَيه. وأَحْسَنُ الأَجْوبةِ ما ارْتَضَاهُ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ. والله أَعْلم»[2].

و الذي ارتضاه القُرْطُبِيُّ هو أَنَّ المرادَ بالنِّفَاق في هذا الحديثِ نفاقُ العمل، لا نفاقُ الكُفْر، ولعلَّ هذا القولَ هو أَرْجحُ الأَقْوالِ الواردةِ في هذه المَسْأَلَةِ وأَقْربُها إِلَىٰ الصَّواب؛ لقُوَّةِ أَدِلَّتِه، وكثرةِ القائِلِينَ به مِنْ علماءِ السَّلف المُعتدِّ بِهم.

وهذا التَّوجيهُ هو الأَسَاسُ الذي مِنْ أَجْله تمَّ تقسيمُ النِّفاق إِلَىٰ نوعَيْنِ اثْنَيْنِ هما: نفاقُ الاعتقادِ، ونفاقُ العملِ، وبالتَّالي فإِنَّ كلَّ مُتَّصِفٍ بخَصْلةٍ من الخِصالِ

---

(١) هو: محمَّد بن يوسف بن عليِّ بن سعيد الْكِرْمَانِيُّ ثمَّ البغداديُّ شمس الدِّين، الإمام العلاَّمة في التَّفسير والحديث والفقه، وكانت ولادته في سنة سبع عشرة وسبعمائة في شهر جمادىٰ الآخرة، عالم بالحديث، أصله من كرمان، اشتهر في بغداد.

قال ابن حجِّيٍّ: تصدَّىٰ لنشر العلم ببغداد ثلاثين سنة. قال ابن قاضي شهبة: فيه أوهام وتكرار كثير، ولا سيَّما في ضبط أسماء الرُّواة، وُلِدَ سَنَةَ (٧١٧ هـ)، وتوفِّي: (٧٨٦هـ) ببغداد. ينظر: «طبقات الشَّافعيَّة»، لابن قاضي شهبة (٣/ ١٨٠)، «الدُّرَر الكامنة»، لابن حجر (٥/ ٧٧)، «بغية الوعاة» (١/ ٢٧٩)، «النُّجوم الزَّاهرة»، لابن تغري بردي (١١/ ٣٠٣)، «طبقات المفسِّرين»، للدَّاوودِيِّ (٢/ ٢٨٥).

(٢) «فتح الباري» (١/ ٩٠).

الأَرْبعِ المذكورةِ في الحديث يلتحق بالمنافقين نفاقًا عمليًّا في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، وليس الأَمْرُ مقصورًا علىٰ المنافقين الذين عاصروا التَّنْزيلَ وجمعوا إِلَىٰ نفاق الاعتقادِ نفاقَ العملِ بكذبِهم في الحديث علىٰ رَسُولِ الله ﷺ، وخِيانتِهم لسرِّه الذي ائْتَمَنَهم عليه، وإخلافِهم لوعْدهم له بالنُّصْرة، كما قال بعضُ المُؤَوِّلين[1].

فقد ردَّ الإمامُ ابنُ رَجَبٍ عليهم بقوله: «وهذا الحديثُ قدْ حمله طائِفَةٌ ممَّن يميل إِلَىٰ الإِرْجَاءِ علىٰ المنافقين الذين كانوا في عهد النَّبِيِّ ﷺ؛ فإِنَّهم حدَّثوا النَّبِيَّ ﷺ فكذَبوه، وائْتَمَنَهم علىٰ سرِّه فخانوه، ووعدوه أَنْ يخرجوا معه في الغَزْوِ فأَخْلفوه»[2].

وعلىٰ هذا فيُمْكن القولُ: إِنَّ من كان منافقًا في باطنه واعتقادِه فسوف يظهر أَثَرُ نفاقِه علىٰ سلوكه؛ فقدْ يكْذِب في حديثه، أَوْ يُخلِف في وعده، أَوْ يخون في أَمَانتِه، أَوْ يفجُر في خصومتِه؛ وقدْ يجمع تلك الخصالَ الأَرْبعَ فيكمل له خلوصُ النِّفاق[3].

إذًا فالنِّفاقُ الاعتقاديُّ يشمَل ويتضمَّن النِّفاقَ العمليَّ ولا عكس؛ فإِنَّ المنافقَ نفاقًا عمليًّا يُعدُّ مسلمًا ناقصَ الإِيمان، لكنَّه لم يصلْ أبدًا إِلَىٰ مرحلة الشَّكِّ أَوْ التَّكْذيبِ والجحودِ التي تَقَعُ من المنافق نفاقًا اعتقاديًّا، ولو وصَل إِلَىٰ هذه المرحلةِ، لَما صحَّ لنا أَنْ نُسمِّيَه منافقًا نفاقًا عمليًّا، بلْ يُصار إِلَىٰ تسميته بالنِّفاقِ الاعتقاديِّ المُخْرِجِ من المِلَّةِ، والمُتضمِّن للنِّفاقِ العمليِّ الذي يظهر علىٰ الجوارحِ والأَعْمالِ، وهكذا فإِنَّنا نلحظ جليًّا مدىٰ تحذير الشَّارع الحكيمِ من هذا النَّوعِ من النِّفاق، وأَعْني به النِّفاقَ العمليَّ؛ فقدْ اعْتبَرَ النَّبِيُّ ﷺ مَن جمع هذه الخِصالَ الأَرْبعَ منافقًا خالصًا.

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٩٠).

(٢) «جامع العلوم والحكم»، لابن رجب الحنبلي (ص٤٣٠).

(٣) «دراسة قرآنية في النفاق وأثره»، د/ عادل الشدي، (ص٥٤).



وحَسْبُك بهذا زجرًا عن الاتِّصاف بهذه الخِصالِ القبيحةِ، ومُنفِّرًا عنها، باعتبارها طريقًا إِلَىٰ النِّفاقِ الخالصِ الذي يُطمس به علىٰ قلب صاحبِه، ثُمَّ إِنَّ كلَّ خَصْلةٍ من هذه الخِصالِ المذمومةِ قدْ جَاءَ النَّهْيُ عنها والتَّنْفيرُ منها، والأَمْرُ بضِدِّها في مواضعَ مُتعدِّدةٍ من كتاب الله وسُنَّةِ نَبيِّه ﷺ.

ولعلَّ مِنْ أَسْباب التَّلْبس بالنِّفاقِ الأَصْغر:

١- ليَأْمَنَ العقوبة.

٢- ويُحافِظَ علىٰ سُمْعته.

٣- ويحتاطَ لشَرَفِه أَنْ ينتقص.

٤- ولَرُبَّما كان دافعُه ابْتغاءَ مصالحَ دُنْيويَّةٍ، مُستغِلًّا انْخِداعَ النَّاس به، وغفلتَهم عن حقيقة ما هو عليه: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩﴾ [سورة البقرة:٩].

مِنْ صُوَرِ النِّفاقِ الأصغرِ:

صاحبُ هذا النِّفاقِ لا يكون كافرًا خارجًا عن الإِسْلام في حقيقته؛ لأَنَّ نفاقه ليس في أَصْلِ الدِّين، وإِنَّما يُسمَّىٰ عاصيًا أَوْ فاسقًا، أَوْ مُحْبِطًا بنِفاقِه عملَه الذي هو مِنْ أَعْمال الطَّاعة لله[١]، فمِنْ صُوَرِ ذلك النِّفاقِ:

أ- الرِّياءُ:

عُرِّف عند العلماءِ بتعاريفَ كثيرةٍ مُتقارِبةٍ في المعنىٰ، مِنْ أَبْرزها:

تعريفُ الحافِظِ ابنِ حَجَرٍ حيث قال: «هو إِظْهارُ العبادة لقصْدِ رُؤْيَةِ النَّاس،

---

(١) «ظاهرة النفاق»، د/ حنبكة الميداني، (١/ ٧٣) بتصرف يسير.

فيحمَدوا صاحبَها».[(١)] ؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة الكهف:١١٠]، وهو كما لا يخفىٰ مِنْ خصائِصِ المنافقين؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [سورة النساء:١٤٢] ، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ [سورة فاطر:١٠] .

قال مُجاهِدٌ[(٢)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هُمْ أَهْلُ الرِّياءِ[(٣)] الذي أَشارَ الْمُصطَفَىٰ ﷺ إِلَىٰ خُطورتِه في أَحاديثَ منها:

عن أَبِي سَعِيْدٍ الْخُدْرِيِّ [(٤)] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٣٣٦).

(٢) الإمام شيخ القرَّاء والمفسِّرين مولىٰ السَّائب ابن أبي السَّائب المخزوميُّ، وقيل: مولىٰ لغيره. روىٰ عن ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن والتَّفسير والفقه.

قال قتادة: أعلم من بقي بالتَّفسير مجاهد، ولا غرو؛ فقد عرض القرآن علىٰ ابن عبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ثلاث عرضات يوقفه عند كلِّ آية يسأله: فيم نزلت؟ وكيف كانت؟ توفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٢٠٤هـ).

انظر في ترجمته: «تذكرة الحفَّاظ» (١/ ٨٦)، و«تهذيب التَّهذيب» (٤/ ٢٢)، و«البداية والنِّهاية» (٩/ ٢٢٤)، (٧/ ١٣٢)، و«الإصابة في تمييز الصَّحابة»، لابن حجر (٨٣٦٣)، و«طبقات الحفَّاظ» (٣٥)، و«سير أعلام النُّبلاء»، للذَّهبيِّ (٤/ ٤٤٩) .

(٣) «الزَّواجر»، لابن حجر (١/ ٣١).

(٤) هو سعد بن مالك بن سنان الخدريُّ الأنصاريُّ الخزرجي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، غزا مع النَّبيِّ ﷺ ثنتي عشرة غزوة، أوَّلها غزوة الخندق، وكان قبلها صغيرًا، حفظ عن النَّبيِّ ﷺ علمًا كثيرًا، توفِّي سنة (٧٤هـ)، ودُفِنَ بالبقيع رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

انظر ترجمته في: «مشاهير علماء الأمصار» (٢٦)، و«الجمع بين رجال الصَّحيحين» (١/ ١٥٨)، و«أسد الغابة» (٢/ ٢٨٩)، و(٥/ ٢١١)، «تهذيب الكمال في أسماء الرِّجال» (٤٧٦)، «الوافي بالوفيات»، المؤلِّف: صلاح الدِّين خليل بن أيبك بن عبد الله الصَّفديُّ (المتوفَّىٰ: ٧٦٤هـ)، المحقِّق: أحمد الأرناءُوط، وتركي مصطفىٰ، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر: (١٤٢٠هـ– ٢٠٠٠م) (١٥/ ١٤٨)، و«الإصابة في تمييز الصَّحابة»، لابن حجر (٢/ ٣٥)، وغيرها .

نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟»، قال: فقُلْنَا بَلَىٰ يَا رَسُولَ الله. قال: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ»[(١)].

ومِمَّا يدلُّ علىٰ خُطورتِه وعِظَم جُرْمِ صاحبِه أَنَّه -والعياذ بالله- أَوَّلُ مَنْ تُسعَّر به النَّارُ يومَ القيامة، ومِمَّن يدور تندلق أَقْتاب بطنه فيها كما يدور الحِمارُ في الرَّحَىٰ.

وعن جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٢)] قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ»[(٣)] . ومعناه: مَنْ أَظْهر للنَّاس العملَ الصَّالحَ ليعظُمَ عندهم، أَظْهر اللهُ سريرتَه علىٰ رُؤُوس الخلائق.

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رَسُولُ الله ﷺ: «قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»[(٤)].

ب- إِرَادَةُ الإِنْسان بعملِه الدُّنْيا:

و المرادُ به أَنْ يعمل الإِنْسانُ أَعْمالًا صالحةً يريد بها الدُّنْيا، إِمَّا لمقصد المالِ أَوِ الجاه، كالذي يُجاهِد ليَأْخُذَ مالًا أَوْ يتعلَّم العلم لينالَ منصبًا، أَوْ يحوزَ مالًا يصْدُق

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١١٢٥٢)، وابن ماجة في «الزُّهد»، باب: الرِّياء والسُّمعة (٢/ ١٤٠٦/ ٤٢٠٤)، وحسَّنه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (١٢٠٣).

(٢) هو جندب بن عبد الله بن سفيان الإمام أبو عبد الله البجليُّ العلقيُّ صاحب النَّبيِّ ﷺ نزل الكوفة والبصرة، توفِّي رَحِمَهُ اللَّهُ ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة (٧٠هـ).

انظر في ترجمته: «طبقات ابن سعد» (٦/ ٣٥)، و«الجرح والتَّعديل» (٢/ ٥١٠)، و«الاستيعاب» (٢٥٦)، و«أسد الغابة» (١/ ٣٠٤)، و«الإصابة في تمييز الصَّحابة»، لابن حجر(١/ ٢٤٨)، و«سير أعلام النُّبلاء»، للذَّهبيِّ (٣/ ١٤٧) وغيرهم.

(٣) أخرجه البخاريُّ في «الرِّقاق»، باب: الرِّياء والسُّمعة (٨/ ١٠٤/ ٦٤٩٩)، ومسلم في «الزُّهد والرَّقائق»، باب: من أشرك في عمله غير الله (٤/ ٢٢٨٩/ ٢٩٨٦).

(٤) أخرجه مسلم في «الزُّهد والرَّقائق»، باب: من أشرك في عمله غير الله (٤/ ٢٢٨٩/ ٢٩٨٥).

عليه قولُ الشَّاعر:

صلَّىٰ المُصلِّي لأَمْرٍ كان يَطْلُبُه   فلمَّا انْقضىٰ الأَمْرُ لا صلَّىٰ ولا صاما

الفرقُ بين مَنْ أَرَادَ بعملِه الدُّنْيا وبين الرِّياءِ:

أَنَّ المُرائِي إِنَّما يعمل لأَجْلِ المدْحِ والثَّناءِ، والمُرِيدَ بعملِه الدُّنْيا إِنَّما عمِل ليُصيبَ مالًا أَوْ منصبًا[(١)][(٢)]؛ قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ [سورة هود:١٥-١٦] .

قال قَتَادَةُ[(٣)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُوضِّحًا معنىٰ الآية ومُفسِّرًا لها: «مَنْ كانت الدُّنْيا هَمَّه وطِلْبَته ونيَّتَه، جازاه الله بحسناتِه في الدُّنْيا، ثُمَّ يُفضي إِلَىٰ الآخِرة، وليس له حسنةٌ يُعطىٰ بها جزاءً، وأَمَّا المُؤْمِن فيُجازىٰ بحسناتِه في الدُّنْيا، ويُثاب عليها في الآخِرة.

---

(١) «بعض أنواع الشِّرك الأصغر»، د .عوَّاد بن عبد الله المعتق، رسالة جامعيَّة - مكتبة الرُّشد – الرِّياض، الطَّبعة الأولىٰ، سنة (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، (ص٣١).

(٢) «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض، (ص٤٧٥).

(٣) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز، حافظ العصر، قدوة المفسِّرين والمحدِّثين، أبو الخطاب السدوسيُّ البصريُّ الضَّرير الأكمه. وُلِدَ سنة (٦٠هـ).

قال الإمام الذَّهبيُّ: كان يرىٰ القدر - نسأل الله العفو- ومع هذا ما توقَّف أحد في صدقه وعدالته وحفظه، ولعلَّ الله يعذر أمثاله ممَّن تلبَّس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه، ثمَّ إنَّ الكبير من أئمَّة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحرِّيه للحقِّ، واتَّسع علمه، وظهر ذكاءُه، وعُرف صلاحه وورعه واتِّباعه، يُغفر له زللهُ، ولا نُضلِّله، ونرجو له التَّوبة.

قال معمر: سمعت قتادة يقول: ما في القرآن آية إلاَّ وقد سمعت فيها شيئًا، وقال: إنَّه ما سمع شيئًا إلاَّ حفظه. توفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (١١٨هـ). انظر في ترجمته: «ميزان الاعتدال» (٣/ ٣٨٥)، و«جمهرة الأنساب» (٣١٨)، و«تذكرة الحفَّاظ» (١/ ١٢٢)، و«طبقات المفسِّرين» (٢/ ٤٣)، و«طبقات القرَّاء» (٢/ ٢٥)، و«سير أعلام النُّبلاء»، للذَّهبيِّ (٥/ ٢٦٩).

وقدْ سُئِل الشَّيخُ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١) عن هذه الآيةِ، فأَجَابَ بما مُلَخَّصُه: «ذُكِرَ عن السَّلف في معنىٰ هذه الآيةِ أَنْوَاعٌ ممَّا يفعله النَّاسُ اليوم ولا يعرفون معناه: العملُ الصَّالحُ الذي يفعله كثيرٌ من النَّاس ابتغاءَ وجهِ الله من صدقةٍ وصلاةٍ وإِحْسانٍ إِلَىٰ النَّاس، وتركِ الظُّلم ونحوِ ذلك ممَّا يفعله الإِنْسانُ أَوْ يتركُه خالصًا لله، لكنَّه لا يُريد ثوابَه في الآخرة إِنَّما يُريد أَنْ يُجازيه اللهُ بحفظ مالِه وتنميتِه، أَوْ حفظِ أَهْلِه وعيالِه أَوْ إِدَامةِ النِّعْمةِ عليهم، ولا همَّةَ له في طلب الجنَّة والهربِ من النَّار، فهذا يُعطىٰ ثوابَ عملِه في الدُّنْيا، وليس له في الآخرة مِنْ نصيبٍ، وهذا النَّوعُ ذكَره ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

وهو أَكْبرُ من الأَوَّلِ وأَخْوفُ، وهو الذي ذكَره مُجَاهِدٌ في الآية أَنَّها نزلتْ فيه، وهو أَنْ يعملَ أَعْمالًا صالحةً، ونيَّتُه رياءُ النَّاس، لا طلبُ ثوابِ الآخرة؛ أَنْ يعملَ أَعْمالًا صالحةً يقصد بها مالًا؛ مثل أَنْ يحُجَّ لمال يَأْخُذُه، أَوْ يهاجرَ لدُنْيا يُصيبها، أَوِ امْرَأَةٍ يتزوَّجُها، أَوْ يُجاهد لأَجْل المَغْنَمِ؛ فقد ذُكر هذا النَّوعُ أيضًا في تفسير هذه الآية.

وكما يتعلَّم الرَّجُلُ لأَجْل مدرسةِ أَهْلِه أَوْ مكتبِهم أَوْ رِئَاسَتِهم، أَوْ يتعلَّم القُرْآنَ ويُواظبُ علىٰ الصَّلاة لأَجْل وظيفةِ المسجد، كما هو حالُ كثيرين.

---

(١) هو العلاَّمة المجدِّد محمَّد بن عبد الوهَّاب بن سليمان التَّميميُّ، ولد في العُيَيْنَةِ في وسط الجزيرة العربيَّة سنة (١١١٥هـ) نشأ في أسرة فاضلة ذات علم، فوالده من علماء نجد المعروفين، وجدُّه من المشهورين بالفقه والفتوىٰ، حفظ القرآن دون العاشرة، وأخذ عن كثير من علماء بلده، صنَّف العديد من المؤلَّفات في فنون كثيرة، من أشهرها «كتاب التَّوحيد»، «كشف الشُّبُهات»، «ثلاثة الأصول»، «مختصر السِّيرة»، «مسائل الجاهليَّة»، «مختصر زاد المعاد». توفِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أواخر عام (١٢٠٦هـ) عن عمر ناهز (٩١سنة). انظر في ترجمته: «الإعلام» (٦/ ٢٥٧)، و«معجم المؤلِّفين» (١٠/ ٢٦٩)، و«الدُّرر السَّنيَّة» (٩/ ٢١٥)، و«كشف الظُّنون» (٦/ ٣٥٠).

أَنْ يعملَ بطاعةِ الله مُخْلِصًا في ذلك لله وَحْدَهُ لا شريكَ له، لكنَّه على عملٍ يُكفِّره كفرًا يخرج عن الإِسْلام، مثل اليَهُودِ والنَّصَارَىٰ إِذَا عبدوا اللهَ أَوْ تصدَّقوا أَوْ صاموا ابْتِغاءَ وَجْهِ الله والدَّارِ الآخرة، ومثلُ كثيرٍ من هذه الأُمَّةِ الذين فيهم كُفْرٌ أَوْ شِرْكٌ يُخْرِجُهم مِن الإِسْلام بالكُلِّية، إِذَا أَطَاعُوا اللهَ طاعةً خالصةً يُريدون بها ثوابَ الله في الدَّار الآخرة لكنَّهم على أَعْمالٍ تُخْرِجُهم من الإِسْلام وتمنعُ قبولَ أَعْمالِهِم، وهذا النَّوعُ أَيْضًا قدْ ذُكِر في هذه الآيةِ عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيرِه.

وكان السَّلف يخافون منها؛ قال بعضُهم: لو أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ تقبَّل منِّي سجدةً واحدةً، لتمنَّيْتُ الموتَ؛ لأَنَّ اللهَ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة المائدة:٢٧][(١)] والآيتان تتناولان هذه الأَنْواعَ الأَرْبعةَ؛ لأَنَّ لفظَها عامٌّ، لذا يجب الحَذَرُ مِنْ أَنْ نطلبَ بعملِ الآخرة طمعَ الدُّنْيا»[(٢)].

ومِنَ السُّنَّة:

١- ما رُوِيَ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «تَعِسَ[(٣)] عَبْدُ الدِّيْنَارِ، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيصَةِ[(٤)]، تَعِسَ عَبْدُ الخَمِيلَةِ[(٥)]؛ إِنْ أُعْطِي رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ[(٦)]، وَإِذَا شِيكَ[(٧)] فَلَا انْتَقَشَ[(٨)]»[(٩)].

---

(١) انظر: «تيسير العزيز الحميد» (ص ٤٧٥-٤٧٦).
(٢) انظر: «الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرَّدُّ على أهل الشِّرك والإلحاد»، صالح بن فوزان الفوزان، دار ابن خزيمة – الرِّياض (ص ١٠٢-١٠٣).
(٣) تعس: أي سَقَطَ. والمراد هنا: هَلَكَ.
(٤) الخَمِيصَة: الكِسَاءُ المربَّع.
(٥) الخميلة: هي القطيفة، وهي ثوب له خمل من أيِّ شيء كان. انظر: «فتح الباري» (١١/ ٢٥٤).
(٦) وانتكس: أي عاوَدَه السُّقوط.
(٧) إذا شيك: أي دَخلَتْ فيه شوكة.
(٨) فلا انْتَقَشَ: لم يَجِدْ من يُخْرِجُهَا بالمِنْقَاشِ. انظر: «فتح الباري» (١١/ ٢٥٤-٢٥٥).
(٩) أخرجه البخاريُّ في «الجهاد»، باب: الحراسة في الغزو (٤/ ٣٤/ ٢٨٨٦).

والحديثُ -كما نرى- دعاءٌ على مَنْ جعَل الدُّنْيا قصدَه وهمَّه بالتَّعاسةِ، والانْتِكاسِ، وإصَابتِه بالعجز عن انْتِقاشِ الشَّوكِ مِنْ جسدِه، ولا بُدَّ أَنْ يجدَ أَثَرَ هذه الدَّعْواتِ كلُّ من اتَّصَفَ بهذه الصِّفةِ الذَّميمةِ؛ فيقع فيما يَضُرُّه في دُنْياه، وآخِرتِه، كما أَنَّها ذمٌّ له بتسميته عَبْدَ الدِّيْنارِ والدِّرْهمِ.

وسمَّاه ﷺ عبدًا لهذه الأَشْياءِ؛ لأَنَّها أَسَرتْ قلبَه، واسْتَعْبَدَتْه؛ فلا همَّ له إِلَّا جَمْعُها، والحصولُ عليها؛ ليُرْضِيَ نفسَه وهواه، فصار فيه شُعْبَةٌ من العبادةِ لغير الله، ولم يبقَ معه حقيقةُ العبادة لله، ولا حقيقةُ التَّوكُّلِ عليه[1].

٢- عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ تعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ الله عَزَّوَجَلَّ لَا يَتعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيْبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[2]؛ أَيْ: رَائِحَتَها.

٣- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؓ أن رَسُولَ الله ﷺ قال: «مَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ، جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»[3].

---

(١) «العبوديَّة»، تقيُّ الدِّين أبو العبَّاس أحمد بن عبد الحليم بن تيميَّة الحرَّانيُّ، تحقيق: محمَّد زهير الشَّاويش، المكتب الإسلاميُّ – بيروت، الطَّبعة السَّابعة، سنة (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، (ص ٢٧٨)، «تيسير العزيز الحميد» (ص٤٧٨)، «الإرشاد» (ص١٠٣).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٨٤٥٧)، وأبو داود في «العلم»، باب في طلب العلم لغير الله (٣/ ٣٢٣/ ٣٦٦٤)، وابن ماجة في «المقدِّمة»، باب: الانتفاع في العلم والعمل (١/ ٩٢/ ٢٥٢)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح الجامع» (٢٠٤٩).

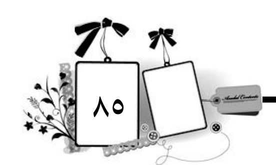
(٣) أخرجه التِّرمذيُّ في «أبواب صفة القيامة والرَّقائق»، باب: منه (٤/ ٦٤٢/ ٢٤٦٥)، والطَّبرانيُّ في «الأوسط» (٨٨٨٢)، وصحَّحه الألبانيُّ في«صحيح الجامع» (٦٥١٦).

والحديثان الأَخِيران -كما نرى- وعيدٌ لمَنْ أَرَادَ بعملِه الدُّنْيا؛ فالأَوَّلُ بأَنَّه لا يجِد عَرْفَ الجَنَّةِ يوم القيامة، والثَّاني وعيدٌ بالفَقْر، وتَشْتِيْتِ الأَمْرِ. أَعَاذنا اللهُ والمسلمين مِنْ ذلك.

وقد اقْتَصرْتُ هنا على الرِّياءِ ومَنْ أَرَادَ بعملِه الدُّنْيا؛ لتطابُقِهما مع معنى النِّفاق؛ فالظَّاهرُ في كِلَيْهِما طاعةٌ وعبادةٌ، وأَمَّا الباطنُ فعلى نقيض ذلك، وإِلَّا فالشِّرْكُ الأَصْغرُ له صُوَرٌ أُخْرى ليس المقامُ محلًّا للتَّفْصيل فيها.

مثالُ ذلك: الحلفُ بغيرِ الله دُونَ أَنْ يُعظِّمَ المحلوفُ به، كتعظيم الله، والتَّطيُّرِ، والاستسقاءِ بالنُّجوم، لا على أَنَّها التي تُنزِّل علينا الغَيْثَ، وقولُ: مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتُ. ونحوُ ذلك.

~~·~~·~❀~·~~·~~



الفصل الثَّاني

وفيه مبحثان:

المبحثُ الأوَّلُ

أقْسامُ المنافقين، وشُعَبُ النِّفاق ومراحلُه:

❍ أقسام المنافقين:

لشيخِ الإِسْلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تقسيمٌ في هذا الشَّأْنِ قال فيه: «والمقصودُ أَنَّ هؤلاء المنافقين قسمان:

١- أَئِمَّةٌ وسادةٌ يدعون إِلَىٰ النَّار وقدْ مَردوا علىٰ النِّفاق.

٢- وأَتْباعٌ لهم بمنزلةِ الأَنْعامِ والبهائِمِ؛ فأُولئِك زنادقةٌ مستبصرون، وهؤلاء زنادقةٌ مُقلِّدون»(١).

وهذا التَّقْسيمُ يجري علىٰ كلِّ فِرْقةٍ ومِلَّةٍ، وهو السَّائِدُ في حقِّ المشركين وأَعْداءِ الرُّسُل والرِّسالاتِ عمومًا، وقدْ أَشَارَ إِلَىٰ ذلك القُرْآنُ الكريمُ في مواضعَ عديدةٍ؛ فمرَّةً يَصِفُهم بالمستكبرين والمستضعفين؛ قال سبحانه: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ ۖ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾﴾ [سورة إبراهيم:٢١]، وفي أُخرىٰ يَأْتي نعتهُم بأَنَّهم سادةٌ مستكبرون، وأَتْباعٌ رِعاعٌ طائِعُون، حيث يقول عَزَّوَجَلَّ:

---

(١) «اجتماع الجيوش الإسلاميَّة علىٰ غزو المعطِّلة والجهميَّة»، محمَّد ابن أبي بكر أَيُّوب الزرعيُّ أبو عبد الله ابن القيِّم الجوزيَّة، دار الكتب العلميَّة – بيروت، الطَّبعة الأولىٰ، سنة (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م)، (١/ ٣٠).

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا ﴿٦٨﴾﴾ [سورة الأحزاب:٦٧-٦٨].

وفي مواضعَ أُخَرَ ورَد ذِكْرُهم بمُسمَّىٰ المَلأِ، وهُمْ رُؤَسَاءُ القومِ وأَشْرَافُهم وعِلْيَتُهم؛ ما ذُكِرُوا في القُرْآنِ قطُّ إِلَّا علىٰ سبيل الذَّمِّ؛ إِذْ قدِ اجْتَمَعُوا علىٰ الصَّدِّ عن سبيل الله ومُحاربةِ الرُّسُل ودَعْوَتِهم عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ؛ يتصدَّرون المجالسَ، ويُعظَّمون في العيون، عليهم تَعْقِدُ الخناصرُ، وتُشِيرُ الأَصَابعُ؛ يقولون فلا مُعقِّبَ لقولهم، ويتكلمون فتُلْجَمُ أَفْواهُ غيرِهم، ليس وراءَ رَأْيِهم لأَحَدٍ رَأْيًا، يَظلِمون فيكون بَغْيُهم عَدْلًا، ويتسلَّطون علىٰ حُرِّيات النَّاس وأَعْراضِهم ومُمْتلكاتِهم فيكون ذلك حقًّا لهم وحلالًا عليهم؛ نصَّبُوا أَنْفُسَهم دُعاةَ ضلالةٍ، قدْ قعَدوا بكلِّ صراطٍ يُوعِدون ويصدُّون عن الهُدىٰ، وما بُعث نَبِيٌّ من الأَنْبياءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ إِلَّا كانوا لدَعْوَتِه مُحارِبين، وبالتَّعويقِ عن سبيل الله مُجاهِرين.

ودُونَكَ الآياتِ التي تُبين عن ذلك بجلاءٍ؛ فهاهُمْ في زَمَنِ نُوحٍ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ قال تعالىٰ في شَأْنِهم: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة هود:٢٥-٢٧].

وهاهُوَ نَبِيُّ الله هُودُ عليه الصلاة والسلام يَهْزَأُ به المَلأُ ويَسْخَرون؛ قال سُبْحَانَه: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة الأعراف: ٦٥-٦٦] ، وما اكْتَفُوا بذلك، بلْ توجَّهوا إِلَىٰ قومهم بقولهم: ﴿وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [سورة المؤمنون:٣٤].

وكذا المَلأُ مِنْ قوم صَالِحٍ صلواتُ الله وسلامُه عليه اسْتكْبَرُوا وكَفَرُوا، فقال سُبْحانَه: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة الأعراف: ٧٥-٧٦].

وجرى الحالُ مِنَ المَلأِ على المِنْوال ذاتِه في زَمَنِ شُعَيْبٍ ومُوسَى ومُحَمَّدٍ، بلْ وسَائِرِ الأَنْبياءِ صلواتُ الله وسلامُه عليهم(١) إِلَّا أَنَّ نَبِيَّنَا ﷺ واجَهَ أَصْنافًا عديدةً مِنْ هؤلاء المَلأِ؛ فمَلأُ اليَهُودِ (بنو قَيْنُقَاعَ - وبنو النَّضِير - وبنو قُرَيْظَةَ ومَلأُ المشركين؛ فهُمْ على السَّجيَّة ذاتِها، قدْ أَنَفتْ نفوسُهم وشمَّختْ أُنُوفُهم عنْ أَنْ يُؤْمنوا بالنَّبيِّ ﷺ لأنَّهم زَعمُوا أَنَّ مَنْ حولَه سُفهاءُ؛ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة البقرة:١٣].

ومِنْ هؤلاء مَلأُ المنافقين الذين مِنْ زَعاماتِهم في زمن النُّبُوَّةِ: عَبْدُ الله بْنُ أُبَيِّ بْنِ سَلُولٍ، وأَبُو عَامِرٍ الفاسقُ (٢)، وخُزَامُ بْنُ خَالِدٍ (٣)، ومِرْبَعٌ القَرظيُّ،

---

(١) انظر: مقالتين للشَّيخ عثمان جمعة ضميريَّة في «مجلَّة البيان»، في العددين(٤-٥)، بعنوان: «تعريف الملأ في الفكر الإسلاميِّ».

(٢) قال ابن إسحاق: اسم أبي عامر: عمرو بن صيفي بن زيد بن أمية بن ضبيعة. ويقال: اسم أبي عامر: عبد عمرو بن صيفي بن زيد بن أمية بن ضبيعة...، وكان أبو عامر وعبد الله بن أبي بن سلول قد حسدا رسول الله ﷺ على ما من الله به عليه، فأما عبد الله بن أبي فأضمر النفاق، وأما أبو عامر فخرج إلى مكة، ثم قدم مع قريش يوم أحد محاربا، فسماه رسول الله ﷺ: الفاسق؛ وأقام بمكة فلما فتحت هرب إلى هرقل والروم فمات كافرا هنالك سنة تسع، وقيل: سنة عشر. «أسد الغابة في معرفة الصحابة» لابن الأثير (٢/ ٨٥).

(٣) هو: خزام بن خالد من بني عبيد بن زيد أحد بني عمرو بن عوف، من العشرة الذين بنو مسجد ضرار، ومن داره أخرج مسجد الشقاق. ينظر: « السيرة النبوية »، لابن هشام(٥/ ٢١٢)، «إمتاع الأسماع»، للمقريزي (٢/ ٧٨).

والأَخنَسُ بْنُ شريق الثَّقفيُّ(١) وغيرُ هؤلاء كثيرٌ ممَّنْ سيأتِي بيانُ أَحْوالِهِم والتَّعريفُ بهم في مبحثٍ مُسْتقلٍّ بإِذْنِ الله تعالىٰ(٢).

❍ شُعَبُ النِّفاق:

يقول شيخُ الإِسْلام ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكلُّ واحدٍ من الإِيمانِ والكُفْرِ والنِّفاقِ له دَعَائِمُ وشُعَبٌ كما دلَّتْ عليه دلائِلُ الكتابِ والسُّنَّةِ»(٣).

ولقد نصَّتْ بعضُ أَحَادِيثَ عن المُصْطَفَىٰ ﷺ علىٰ بعض ذنوبٍ وآثامٍ وكبائِرَ علىٰ أَنَّها مِنْ شُعَبِ النِّفاق، وهذا لا يعني الحصْرَ، بلْ هي مِن الشَّواهِدِ والأَمْثلةِ، وإِلَّا فإِنَّ كلَّ صفةٍ أَوْ خَلَّةٍ للمنافقين فهي في الحقيقة شُعْبَةٌ مِنْ شُعَبِه، فمِنْ ذلك: ١. البذاءُ ٢. البيانُ.

عن أَبِي أُمَامَةَ(٤) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ(٥) شُعْبَتَانِ مِنْ

(١) هو: الأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزىٰ ابن غيرة بن عوف بن ثقيف الثقفي، أبو ثعلبة، حليف بني زهرة؛ اسمه أبيّ، وإنما لقب بالأخنس لأنه رجع ببني زهرة من بدر لما جاءهم الخبر أن أبا سفيان نجا بالعير، فقيل: خنس الأخنس ببني زهرة. فسمي بذلك. ثم أسلم الأخنس فكان من المؤلفة، وشهد حنينا، ومات في أول خلافة عمر. «الإصابة في تمييز الصحابة» (١/ ١٩٢).

(٢) وللعلم فالدُّكتور عبد الرَّحمن حبنكة الميدانيُّ في كتابه «ظاهرة النفاق» قد أطال النَّفَسَ في ذكر تقسيمات عديدة للمنافقين يحسن الرُّجوع إليها (١/ ٥٦).

(٣) «الفتاوىٰ» لشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ (٢٨/ ٤٣٤).

(٤) هو أبو أمامة صديُّ بن عجلان بن الحارث الباهليُّ، مَشْهُورٌ بِكُنْيَتِهِ، صحابيٌّ سكن الشَّام، روىٰ علمًا كثيرًا، كان مع عليٍّ في صفِّين، مات سنة (٨٦هـ)، وقيل: سنة (٨١هـ) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأرضاه.
انظر في ترجمته: «الجرح والتَّعديل» (٤/ ٤٥٤)، و«جمهرة أنساب العرب» (٢٤٧)، و«الاستيعاب» (٧٣٦)، و«أسد الغابة» (٣/ ١٦) و(٦/ ١٦)، و«البداية والنِّهاية» (٩/ ٧٣)، و«الإصابة في تمييز الصَّحابة»، لابن حجر (٢/ ١٨٢)، و«سير أعلام النُّبلاء»، للذَّهبيِّ (٣/ ٣٥٩).

(٥) العِيُّ: سكون اللِّسان تحرُّزًا عن الوقوع في البهتان، لا عيُّ القلب، ولا عيُّ العمل، ولا عيُّ اللِّسان لِخَلَلٍ. «فيض القدير» (٣/ ٤٢٨).



شُعَبِ الْإِيمَانِ وَالْبَذَاءُ[١] وَالْبَيَانُ[٢] شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ»[٣].

ولهذا الحديثِ صِلَةٌ بما خافَهُ النَّبيُّ ﷺ على أُمَّته مِنْ هذا النَّوعِ من المنافقين؛ لِما يحمله مِنْ تأْثِيرٍ على المُجْتَمعِ الإسْلاميِّ.. فعن أَبِي عُثْمانَ النَّهديِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: إِنِّي لَجالسٌ تحت مِنْبَرِ عُمَرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو يخطب النَّاسَ فقال في خُطْبته: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ كُلَّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ»[٤].

٣. تركُ الجِهاد:

وممَّا ورَد النَّصُّ فيه أَنَّه مِنْ شُعَبِ النِّفاق تثاقُلُ النَّفسُ عن الجِهاد في سبيل الله وعدمُ المشاركة في ميادينه؛ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَيْسَ فِي نَفْسِهِ مَاتَ عَلَىٰ شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ»[٥].

وهذه الشُّعْبةُ مِنْ أَظْهرِ شُعَبِ النِّفاق، ومِنْ أَخصِّ علاماتِه؛ إِذِ الجِهادُ مظنَّةُ القتْل والجراحِ، والمنافقون مِنْ أَحْرصِ النَّاس على حياةٍ؛ قال سبحانه واصفًا حالَهم: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [سورة آل عمران:١٦٧].

---

(١) البذاء: من المباذاة؛ المفاحشة. «النِّهاية» (١/ ١١٠).

(٢) البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وأراد به الذَّمَّ؛ للتَّعمُّق في النُّطق، والتَّفاصح، وإظهار التَّقدُّم فيه على النَّاس، وكأنَّه نوع من العُجْبِ والكِبْر. «النِّهاية» (١/ ١٧٤، ١٧٥).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٢٣١٢)، والتِّرمذيُّ في «البرِّ والصِّلَة»، باب العيِّ (٤/ ٣٧٥/ ٢٠٢٧)، وصحَّحه الألبانيُّ في «صحيح التَّرغيب والتَّرهيب» (٢٦٢٩).

(٤) سبق تخريجه (صـ ٨).

(٥) أخرجه مسلم في «الإمارة»، باب: من مات ولم يغز ولم يحدِّث نفسه بالغزو (٣/ ١٥١٧/ ١٩١٠).

والإِشَارةُ هنا إِلَىٰ عَبْدِ الله بنِ أُبَيٍّ بنِ سَلُولٍ وأَتْباعِه يومَ أَنِ انْصَرَفَ بهم يومَ أُحُدٍ، وكانوا ثُلُثَ الجيش، فاتَّبَعَهم رجالٌ مُؤْمِنون يحرِّضونَهم علىٰ الإِتْيان للقتال والمساعدةِ وتكثيرِ سَوَادِ المسلمين؛ ﴿قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ﴾ [سورة آل عمران:١٦٧].

ولم يكتفوا بذلك، بلْ كانوا فوق قعودهم عن القتال، وعدمِ انْبعاثهم من المُثبِّطين المُخذِّلين؛ حيث يقول سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨﴾ [سورة آل عمران:١٦٨] ، وقال عزَّ في عُلاه: ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ١٨﴾ [سورة الأحزاب:١٨]، وسيأْتي بإِذْن الله تفصيلُ هذه المعانىٰ عند القواعد في التَّعامُل معهم حالَ الجِهاد. هذه بعضُ صفاتِ المنافقين ممَّا ورَد النَّصُّ بأَنَّها مِنْ شُعَبِه، وإِلَّا فكما ذُكِر سلفًا فكلُّ صفةٍ أَوْ خَلَّةٍ أَوْ علامةٍ للنِّفَاق فهي مِنْ شُعَبِه.

○ مراحلُ النِّفاق

١- في عهد النَّبِيِّ ﷺ.

٢- إِظْهارُ النِّفاق عَلَنًا كفِرَقِ الباطنيَّةِ والتَّقِيَّةِ عند الرَّافضةِ، بلْ إِنَّ شيخَ الإِسْلام ابْنَ تَيْمِيَّةَ نصَّ علىٰ أَنَّ الفِرَقَ الكلاميَّةَ «النِّفاقُ فيهم كثيرٌ، كالجهميَّة والمعتزلةِ والكلابيَّةِ والماتريديَّةِ والأَشاعرةِ والصُّوفيَّةِ بشتَّىٰ طوائِفِها وطُرُقِها وغيرِهم»(١).

٣- المذاهبُ المعاصرةُ:

وممَّا لاشكَّ فيه أَنَّ عالَمَنا الإِسْلاميَّ قد انْتَشر في أَرْجائِه وبين جنباتِه فكرٌ

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٤/ ٥٤).

علمانيٌّ(١) ومنهجُ ليبراليٌّ(٢) ومعتقدٌ وجوديٌّ(٣)، ومبادئُ قوميَّةٌ وشعوبيَّةٌ(٤) وانتماءاتٌ بعثيةٌ ماركسيةٌ(٥) ورَأْسماليَّة(٦) ....

---

(١) العلمانيَّة: لفظ العلمانيَّة لا صلة له بالعلم ومشتقَّاته على الإطلاق، والتَّرجمة الصَّحيحة للكلمة هي (اللاَّدينيَّة) أو (الدُّنيويَّة)، لا بمعنى ما يُقَابِلُ الأخرويَّة فحسب، بل بمعنى أخصَّ هو ما لا صِلَةَ له بالدِّين. ينظر: «العلمانيَّة نشأتها وتطوُّرها وآثارها في الحياة الإسلاميَّة المعاصرة»، للشَّيخ سفر الحوالي (ص ١٣).

(٢) اللِّيبراليَّة: مصطلح أجنبيٌّ معرَّبٌ مأخوذٌ من (Liberalism) في الإنجليزيَّة، و(Liberalisme) في الفرنسيَّة، وهي تَعْنِي «التَّحرُّريَّة»، كتاب: «حقيقة اللِّيبراليَّة وموقف الإسلام منها»، للشَّيخ د/ عبد الرَّحيم بن صمايل السلميِّ (ص ١٠١ ـ ١٠٢).

(٣) الوجوديَّة: هي إحدى مظاهر القَلَق والضَّياع الَّذي يعانيه المجتمع الأورُوبِّيُّ المتمرِّد على الله تعالى، ومضمونها : أنَّ الإنسان لا يوجد لكي يتَّبع مشرِّعًا أو منهجًا موضوعًا له من قبل، بل وجوده نفسه هو الَّذي يحدِّد المنهج الَّذي يسير عليه، والسُّلوكَ الَّذي يتخلَّق به، وكلُّ فرد حُرٌّ في الاختيار والتَّحديد، ولهذا فالوجوديَّة تمثِّل ثورةً على كلِّ الأديان والقِيَم والأنظمة.
انظر: «المعجم الفلسفيُّ» (١/ ٤٦١ ، ٤٦٥) ، Encyclopedia American Academic liberalism ، «أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية»، للشَّيخ سفر الحوالي (١٣٦ ـ ١٣٨) .

(٤) القومية العربية: هي حركة سياسيَّة فكريَّة متعصِّبة تواطأت الصُّهيونيَّة العالميَّة والدُّول الصَّليبيَّة لبعثها؛ لتمزيق دولة الخلافة العثمانيَّة، وتفكيك رابطة العقيدة الإسلاميَّة، تدعو هذه الحركة إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحَّدة على أساس من رابطة الدَّم والقربى واللُّغة والتَّاريخ، وإحلالها محلَّ رابطة الدِّين. انظر: «الموسوعة الميسَّرة في الأديان والمذاهب المعاصرة»، ص (٤٠١)، والثَّاني من كتاب «أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكريَّة»، للشَّيخ سفر الحوالي ص (١١٨).

(٥) حزب البعث: هو حزب قوميٌّ علمانيٌّ يقوم على ثلاثة مبادئ: الوحدة والحرِّيَّة والاشتراكيَّة، ويدعو إلى الانقلاب الشَّامل في المفاهيم والأفكار والعقائد والقِيَم؛ لصهرها وتحويلها إلى المذهب الاشتراكيِّ.
شعار هذا الحزب: (أمَّة عربيَّة واحدة ذات رسالة خالدة) مؤسِّسه: ميشيل عفلق، ومعه صاحبه وزميله البيطار، من كتاب «حزب البعث تاريخه وعقائده» للشيخ سعيد بن ناصر الغامديِّ، طبعته: دار الوطن -١٤١١هـ (ص ٩ ، ١٤).

(٦) الرأسماليَّة: نظام اقتصاديٌّ ذو فلسفة اجتماعيَّة وسياسيَّة يقوم على أساس تنمية الملكيَّة الفرديَّة والمحافظة عليها متوسِّعًا في مفهوم الحرِّيَّة، كم ذاق العالم من هذا النِّظام ويلاتٍ وَنَكَبَاتٍ وضغوطًا وتدخُّلاتٍ سياسيَّةً واجتماعيَّةً وثقافيَّةً. من كتاب «الموسوعة الميسَّرة في الأديان والمذاهب المعاصرة» ص (٢٣١).

والتَّغْريب[(١)]، إِلَىٰ غير ذلك ممَّا يستجدُّ في عصرنا يومًا بعد يومٍ.

وهؤلاء جميعُهم ومَنْ كان علىٰ شاكلتِهم غالبُ لبوسِهم الإِسْلامُ ولكنَّ حقيقتَهم التي تظهرها مقالاتُهم وحواراتُهم وأَطْروحاتُهم وبعضُ مُؤَلَّفاتِهم وما يجري في دهاليز التَّآمرِ وأَرْوِقَة الكَيْد والمَكْر وأَقْبية الفساد والإِفْساد، كلُّها طافحةٌ بصريح ما عليه فُؤَادُ كلٍّ منهم ممَّا انطوتْ عليه نفسُه، واصطبغتْ به رُوحُه، فكانوا منافقين، ولكنْ بزيٍّ عصرانيٍّ.

نفاقُ الدُّوَل. وأَسْبابُ ذلك ارْتباطُهم بدُوَلٍ عُظْمىٰ لها مصلحةٌ في وجود النِّفاق. ومن ذلك مبدأُ الميكافيلية القائِمُ علىٰ أَنَّ (الغاية تُبَرِّر الوسيلة) هذا المبدأ يدعو كلَّ أَمِيرٍ وحاكمٍ وذي سُلْطانٍ أَنْ يكون منافقًا ولكنْ باحْترافيَّةٍ عاليةٍ ودهاءٍ عميقٍ حتَّىٰ لا يفتضِحَ أَمَامَ الجماهير.

○ مسألة: هل النِّفاقُ يتبعَّض ويزيدُ وينقص؟

قال شيخُ الإِسْلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والنِّفاقُ يتبعَّض والكُفْرُ يتبعَّض ويزيدُ وينقُصُ كما أَنَّ الإِيْمانَ يتبعَّض ويزيد وينقص»[(٢)].

---

(١) التَّغريب: تيار كبير ذو أبعاد سياسيَّة واجتماعيَّة وثقافيَّة، يرمي إلىٰ صبغ حياة الأمم بعامَّة والمسلمين بخاصَّة بالنَّمَطِ الغربيِّ، وجعلهم أسرىٰ التَّبعيَّة الكاملة للحضارة الغربيَّة.

وحركة التَّغريب هذه عبارة عن دعوىٰ كاملة لها نظمها وأهدافها ودعائمها تخدمها مؤسَّسات كثيرة، أهمُّها: التَّنصير، ويسمُّونه (التَّبشير والاستشراق)، وقد قامت هذه الحركة أساسًا كمحاولة لتغيير المفاهيم في العالم الإسلاميِّ.

انظر: «الموسوعة الميسَّرة» ص (١٤٥)، «الصَّحوة الإسلاميَّة»: الأستاذ أنور الجنديُّ، دار الاعتصام ص (٣٧٧ ، ١٤٣)، و«العصرانيُّون بين مزاعم التَّجديد وميادين التَّغريب»، محمَّد النَّاصر، ص (٩٥).

(٢) «الفتاوىٰ»، لشيخ الإسلام (١٩/ ١٨٨).

وبناءً علىٰ هذه القاعدةِ يُعامَلُ النَّاسُ ولاءً وبراءَ وحبًّا وبُغْضًا بقدْر ما فيهم مِنْ إِيْمانٍ وطاعةٍ، وبقدْر ما فيهم مِنْ عِصْيانٍ ونِفاقٍ، وهذا مِنْ تمام العدل الذي تميَّز به منهجُ أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعةِ.

وهذا المعنىٰ- أَيِ العدلَ في الحُكْم والتَّعامُلِ مع الآخَر - قريبٌ منه ما ورَد في كتاب الله الكريمِ؛ فهو النِّبْراسُ والتَّربيةُ والتَّشريعُ.. دُونَك هذا الشَّاهدَ والشَّواهدُ كثيرةٌ... فها هي أُمَّةُ يَهُودٍ الذين زعموا لله الولدَ وقالوا عنه إِنَّه فقيرٌ وهُمْ أَغْنياءٌ، وكفروا بالأَنبياءِ عليهم صلواتُ ربِّ الأَرْضِ والسَّماءِ، بلْ وقتلوا طائِفَةً منهم، وحرَّفوا الكتابَ، واشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا، إِلَىٰ غير ذلك مِنْ عقائِدِهم وأَخْلاقِهم وفعالِهم التي لا مزيدَ عليها بغيًا وظُلْمًا وعُدْوانًا وكُفْرًا وتكذيبًا وشَطَطًا.

ومع ذلك كلِّه تأَمَّلِ العدلَ الرَّبَّانيَّ المُتمثِّلَ في قوله تعالىٰ: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٤﴾ [سورة آل عمران:١١٣-١١٤] ، وقال عزَّ في عُلاه: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾ [سورة آل عمران:٧٥].

فهلْ بعد هذا الإِنْصافِ والعدلِ من عدلٍ؟ إِنَّها التَّربيةُ القُرْآنيَّةُ لهذه الأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ علىٰ أَنْ تقومَ بالعدل، وتحكُمَ بالقِسْط، حتَّىٰ مع أَلَدِّ الأَعْداءِ وأَشدِّهم عداوةً.



المبحثُ الثاني

نشْأةُ النِّفاق وأسْبابِ ظهورِه

❍ أولًا: نشْأة النِّفاق:

اتفق كثيرٌ من الباحثين لموضوع النِّفاق على أنَّ نشأَته كانتْ في المَدِيْنَةِ؛ ففيها ظَهر، وأَصْبَحَ له زعامةٌ وكيانٌ، يُحيك المُؤامرات، ويستغلُّ الأَحْداثَ، ويُعرقِلُ مسيرةَ الدَّعْوة.

إلَّا أَنَّ بعضَ الباحثين المتأخِّرين قدْ أَشاروا إلىٰ وجوده بمَكَّةَ، فعلىٰ سبيل المثال ذكَر الدكتور/ عَبْدُ الْعَزيزِ الحميديُّ (١) عند قوله تعالىٰ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ﴾ [سورة العنكبوت:٢-٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [سورة العنكبوت:١٠-١١].

بيانُ مَنْ نزلتْ فيه الآياتُ:

نقَل ابنُ جَرِيرٍ الطَّبريُّ (٢): عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قولُه: «كان قومٌ مِنْ أَهْل

---

(١) «المنافقون في القرآن الكريم»، د/ عبد العزيز بن عبد الله الحميديُّ (٩٩-١٠١)، وممَّن ذهب إلىٰ ذلك الشَّيخ ابن سعديٍّ، انظر: «تفسيره» (٢/ ١٢٠-١٢١).

(٢) هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر، من أهل طبرستان، استوطن بغداد وأقام بها إلىٰ حين وفاته، من أكابر العلماء، كان حافظًا لكتاب الله، فقيهًا في الأحكام، عالمًا بالسُّنَن وطرقها، عارفًا بأيَّام النَّاس وأخبارهم، رحل من بلده في طلب العلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وجمع من العلوم ما لم يشركه فيه أحد.

عرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبىٰ، له اختيار من أقاويل الفقهاء، وقد تفرَّد بمسائل حفظت عنه، سمع من محمَّد بن عبد الملك وإسحاق ابن أبي إسرائيل وإسماعيل بن موسىٰ السديِّ وآخرين. =

مَكَّةَ أَسْلَمُوا وكانوا يستخفُّون بإِسْلامهم، فأَخْرجهم المشركون يوم بَدْرٍ معهم، فأُصِيبَ بعضُهم، وقُتِل بعضٌ، فقال المسلمون: كان أَصْحابُنا هؤلاء مسلمين وأُكرِهوا، فاستغفروا لهم. فنزلتْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾ [سورة النساء:٩٧] إِلَىٰ آخِرِ الآية.

قال: فكتبوا إِلَىٰ مَنْ بقي بمَكَّةَ من المسلمين بهذه الآيةِ: أَنْ لا عُذْرَ لهم، فخرجوا، فلحِقهم المشركون، فأَعْطوهم الفتنةَ فنزلتْ فيهم هذه الآيةُ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [سورة العنكبوت:١٠] إِلَىٰ آخِرِ الآية، فكتَبَ المسلمون إِلَيهم بذلك فخرجوا وأَيِسُوا مِنْ كلِّ خيرٍ، ثُمَّ نزلتْ فيهم ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [سورة النحل:١١٠] فكتبوا إِلَيهم بذلك: إِنَّ الله قدْ جعَل لكم مخرجًا، فخرجوا فأَدْرَكَهم المشركون فقاتلوهم حتَّىٰ نجا مَنْ نجا، وقُتِل مَنْ قُتِل»(١).

وظاهرٌ من هذه الرِّوايةِ أَنَّ هذه الآياتِ قدْ نزلتْ في طائِفَةٍ مِنْ أَهْل مَكَّةَ أَسْلَمُوا ولمْ يُهاجروا مع قُدْرَتِهم علىٰ الهجرة، بلْ بقوا في مَكَّةَ مستخفِّين بإِسْلامهم فاعْتبَرَهم اللهُ سبحانه مُؤَاخِذين علىٰ إِقَامَتِهم في بلد يُفتنون فيه علىٰ يد الكُفَّار فلا يستطيعون إِقَامةَ شعائِرِ الإِسْلام، واعْتبَرَ الذين استجابوا للفتنة واعتبروا عذابَ النَّاس كعذاب الله منافقين حينما كانوا في وقت الرَّخاءِ يظهرون الإِيْمانَ(٢).

= روىٰ عنه أبو شيب الحَرَّانيُّ والطَّبرانيُّ وطائفة. وقيل: إنَّ فيه تشيُّعًا يسيرًا، وموالاةً لا تضرُّ. من تصانيفه: «اختلاف الفقهاء»، و«كتاب البسيط في الفقه»، و«جامع البيان في تفسير القرآن»، و«التبصير في الأصول». ينظر: «تذكرة الحفَّاظ» (٢/ ٢٥١)، و«البداية والنِّهاية» (١١/ ١٤٥)، و«الأعلام»، للزِّرِكْلِيِّ (٦/ ٢٩٤).

(١) أخرجه الطَّبريُّ (٢٠/ ١٣٣) وابن أبي حاتم (١٧١٧٠). قال الهيثميُّ في «مجمع الزَّوائد» (٧/ ١٠) بعد أن عَزَاهُ للبزَّار: ورجاله رجال الصَّحيح غير محمَّد بن شريك، وهو ثقة.

(٢) «المنافقون في القرآن الكريم»، د.عبد العزيز بن عبد الله الحميديُّ (٩٩-١٠١).

ومَنْ تأَمَّل يجد أَنَّ سورةَ العنكبوت مِنْ أَوَاخِر التَّنْزيل بمَكَّةَ؛ إِذْ لم ينزلْ بعدها إِلَّا سورةُ المطفِّفين، وعليه فقدْ ترجَّح عند كثيرٍ من المُفسِّرين أَنَّ سورةَ العنكبوت مَكِّيَّةٌ إِلَّا الإِحْدىٰ عشرة آيةً الأُولىٰ منها(١)، ومنهم مَنْ قال: كلُّها مَكِّيَّةٌ، ومَنْ قال: كلُّها مَدَنِيَّةٌ.

يقول الدكتور الميدانيُّ عند قول الله تعالىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [سورة العنكبوت:١٠-١١].

يتناول هذا النَّصُّ بداياتِ ظاهرةِ النِّفاق في المُجْتَمَعِ الإِسْلاميِّ، وكانتْ مع أَوَاخِر المرحلةِ المَكِّيَّةِ وبدْءِ ظروف المرحلةِ المَدَنِيَّةِ بعد الهجرة وإِلْزامِ المُؤْمنين في مَكَّةَ بالهجرة إِلَىٰ دار الإِسْلام في المَدِيْنَةِ، وكان سببُ هذا النِّفاقِ الذي نجمَتْ بداياتُه في مَكَّةَ ضَعْفَ الإِيْمانِ والحِرْصَ علىٰ الأَمْوال والمساكِنِ والمصالحِ الدُّنيوِيَّةِ في مَكَّةَ التي كانتْ يومئذٍ دارَ كُفْرٍ يُسيطِر عليها المشركون، فكان المسلمون فيها يتعرَّضون للأَذَىٰ والاضْطِهادِ، أَمَّا أَهْلُ الإِيْمانِ القويِّ الرَّاسخِ، فقدْ زادهم ذلك صمودًا وثباتًا وتحدِّيًا، ومُعْظَمُهم هاجر في سبيل الله.

وضَعُفَ آخرون، فأَعْطوا ما يُريد المشركون منهم في ظاهرِ القولِ، أَمَّا قلوبُهم فكانتْ مُطْمَئِنَّةً بالإِيْمان، وهؤلاء قدْ عَذَرَهُمُ اللهُ فقال سبحانه في سورة النحل: ﴿ مَن

(١) «الجامع لأحكام القرآن» = «تفسير القرطبيِّ»، المؤلِّف: أَبُو عبد اللَّه مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر بن فرح الأنصاريُّ الخزرجيُّ شمس الدِّين القرطبيُّ (المتوفَّىٰ: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردونيِّ، وإبراهيم أطفيش، النَّاشر: دار الكتب المصريَّة – القاهرة، الطَّبعة: الثَّانية، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م) (١٣/ ٢١٤)، و«محاسن التَّأويل»، محمَّد بن محمد سعيد بن قاسم القاسميُّ، تحقيق محمَّد فؤاد عبد الباقي، تصحيح هشام سمير البخاريِّ، دار إحياء التُّراث العربيِّ، بيروت، (١٤١٥/ ٩٤-١٩٩٥)، (٨/ ١٣٥) وغيرهما.

كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ [سورة النحل:١٠٦].

ومِنَ الذين أَعْطوا المشركين ما أَرَادُوا في ظاهِرِ القولِ تقيَّةً عَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ [١] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمَّا قلبُه فكان مُطمئِنًّا بالإِيمان.

❍ **تنبيهٌ:**

أَمَّا الرِّوايةُ التي تكرَّر إِيرادُها عند أَهْل التَّفْسير والسِّيَرِ عن مُحَمَّدِ بنِ عَمَّارِ بنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [٢] قال: أَخَذَ المشركون عَمَّارًا فلم يتركوه حتَّىٰ نال مِنْ رَسُولِ الله ﷺ وذكَر

(١) هو عمَّار بن ياسر بن عامر بن مالك أحد السَّابقين الأوَّلين والأعيان البدريِّين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأمُّه سميَّة مولاة بني مخزوم من كبار الصَّحابيَّات وأوَّل شهيدة في الإسلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، كان يُعذَّب حتَّىٰ لا يدري ما يقول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكذا صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيهم نزلت: (والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا) [النحل: ٤١]، كان ﷺ يمرُّ علىٰ أسرة آل ياسر وهي تعذَّب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلا يقول إلاَّ: «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ؛ فإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الجَنَّةُ». استأذن عمَّار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ النَّبيِّ ﷺ فقال: من هذا؟ قال : عمَّار. قال: «مَرْحَبًا بِالطَّيِّبِ المُطَيَّبِ». «السِّلسلة الصَّحيحة» (٨٠٧)، وفي حديث آخر قال ﷺ: «عمَّار مليءٌ إيمانًا إلىٰ مشاشه». «صحيح الجامع» (٤١٠٣) وقال عليه الصَّلاة والسَّلام: «تَقْتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ». «صحيح الجامع» (٣١)، عاش (٩٣ سنة)، وقد قتل في معركة صفِّين سنة (٣٧هـ).

انظر في ترجمته: «الجرح والتَّعديل»، أبو حاتم محمَّد بن عبد الرَّحمن التَّميميُّ الرَّازي، دار إحياء التُّراث العربيِّ - بيروت (١٣٧١ - ١٩٥١)، (٦/ ٣٨٩)، و«تاريخ بغداد أو مدينة السَّلام منذ تأسيسها»، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغداديُّ، دار الفكر، (١/ ١٥٠-١٥٣)، «أسد الغابة»، ابن الأثير، تحقيق: محمَّد بن إبراهيم البنَّا وآخرين، دار الفكر، بيروت، مصوَّرة من طبعة دار الشَّعب بالقاهرة، (٤/ ١٢٩)، و«العقد الثَّمين في تخريج أحاديث الوصاية لأمير المؤمنين»، تخريج الباحث: خليفة بن أرحمة بن جهام آل جهام الكواريِّ، (٦/ ٢٧٩-٢٨١)، و«الإصابة في تمييز الصَّحابة»، أحمد بن عليِّ بن حجر أبو الفضل العسقلانيُّ الشَّافعيُّ - تحقيق : عليِّ محمَّد البجاويِّ، دار الجيل - بيروت، الطَّبعة الأولىٰ، (١٤١٢)، (٧/ ٦٤)، و«سير أعلام النُّبلاء»، للذَّهبيِّ (١/ ٤٠٦).

(٢) هو محمَّد بن عمَّار بن ياسر مولىٰ بني مخزوم، مقبول من الثَّالثة، قُتِلَ بعد السِّتِّين من الهجرة. انظر ترجمته في «تقريب التَّهذيب» (٢/ ١١٦).

آلهتَهم بخيرٍ، فلمَّا أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ قال ما وراءَك؟ قال شرٌّ يا رَسُولَ الله، والله ما تُركتُ حتَّىٰ نلتُ منك وذكرتُ آلهتَهم بخيرٍ، قال ﷺ: «كَيْفَ تَجِدُ قَلْبَكَ» قَالَ: مُطْمَئِنٌّ بالإِيمانِ قال: «فَإِنْ عَادُوا فَعُدْ»[١] فقد ذكر الشَّيخُ الألبانيُّ[٢] رَحِمَهُ اللَّهُ أَنَّها لا تصحُّ[٣].

---

(١) أخرجه عبد الرَّزَّاق في «تفسيره» (٢/ ٣٦٠)، وابن جرير الطَّبريُّ (١٤/ ١٨٢)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٨٩)، ومن طريقه البيهقيُّ في «السُّنن» (١٦٦٧٣)، وصحَّحه الحاكم، وقال ابن حجر في «الفتح» (١٢/ ٣١٢): مرسل، ورجاله ثقات.

(٢) هو: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن نوح نجاتي بن آدم الألباني الدمشقي ثم الأردني.

ولد عام ١٣٣٣ هـ الموافق ١٩١٤ م في مدينة أشقودرة. هاجر بصحبة والده إلىٰ دمشق الشام للإقامة الدائمة بعد انحراف أحمد زاغو ببلاده نحو الحضارة الغربية العلمانية. لقىٰ تعليمه في دمشق علىٰ يد عدد من الشيوخ وكبار رجال العلم. حبب الله، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إليه علم الحديث النبوي الشريف، فعكف علىٰ دراسته طوال سني عمره، وتفوق فيه علىٰ جميع معاصريه. بدأ التأليف منذ مطلع شبابه حتىٰ بلغ عدد مؤلفاته أكثر من مائة كتاب، وطبع نحو سبعين منها ومن أبرز كتبه: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل؛ سلسلة الأحاديث الصحيحة؛ سلسلة الأحاديث الضعيفة، حاز الألباني علىٰ جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام(١٤١٩هـ، ١٩٩٩م)توفي عام (١٤٢٠هـ - الموافق ١٩٩٩م). ينظر: «محمد ناصر الدين الألباني محدِّث العصر وناصر السنَّة»، لإبراهيم محمد العلي (ص ١١)، «حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه»، لمحمد بن إبراهيم الشيباني، (١/ ٤٤، ٤٥).

(٣) قال الشَّيخ الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: في ثبوت هذا السِّياق نظر، وعلَّته الإرسال. أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٢-١١٣) وأبو نعيم (٩-١٤٠) وأبو بكر الجصَّاص في «أحكام القرآن» (٣-٢٣٦) من طريق أبي عبيدة بن محمَّد بن عمَّار بن ياسر؛ قال: أخذ المشركون عمَّارًا، فلم يتركوه حتَّىٰ سَبَّ رسول الله ﷺ وذكر آلهتهم بخير... الحديث.

وأخرجه الحاكم (٢-٣٥٧) عن أبي عبيدة هذا، عن أبيه. ثمَّ قال: (صحيح علىٰ شرط الشَّيخين). ووافقه الذَّهبيُّ. كذا قالا، وقد كنت قديمًا اغتررت بقولهما، والآن تبيَّن لي خطأُهما؛ إذ إنَّ الجماعة رووه عن أبي عبيدة. وهب أن قوله (عن أبيه) (صحيح) فأبوه تابعيٌّ، وليس بصحابيٍّ؛ فالحديث مرسل إن لم يكن معضلًا.

ثمَّ إنَّ أبا عبيدة وأباه لم يخرِّج لهما الشيخان شيئًا، بل إنَّ الأول قال فيه ابن أبي حاتم (٤/ ٢-٤٠٥) عن =



ثُمَّ أَشَارَ مُبيِّنًا حالَ فِئَةٍ ثالثةٍ هي المقصودةُ بالنِّفاق عادوا إِلَىٰ الكفر بعد إِيْمانٍ تحت قَهْرٍ وتعذيب وإِيْذاءِ المشركين وفتنتِهم لهم، ولكنَّهم مع كفرهم باطنًا حافظوا علىٰ ظاهرِ إِسْلامِهم، وكان لذلك عِدَّةُ دوافعَ:

⇐ كي لا يُوصموا بالارْتِداد عن الإِسْلام بعد دُخولِهم فيه.

⇐ حتَّىٰ يكونوا محسوبين مع المسلمين فيما لو انْتَصَرُوا واسْتقرَّتْ لهم دولةٌ في المَدِيْنَةِ وأَخَذَتْ تتَّسع.

⇐ حتَّىٰ يكونوا في حالةِ سِلْمٍ وأَمْنٍ مِنْ قِبَلِ دولةِ الكُفْرِ بمَكَّةَ، ودولةِ الإِسْلام بالمَدِيْنَةِ. فجَاءَ هذا النَّصُّ مِنْ هذه السُّورةِ كاشفًا مُجْلِيًا موقفَ هؤلاء المنافقين، ومُلوِّحًا لهم بالوعيد؛ أَيْ: إِذَا لم يتوبوا ويعودوا إِلَىٰ الإِيْمان صادقين مُخْلِصين(١).

● الرِّوايةُ الصَّحيحةُ لهجرة عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَخْرجَ ابنُ هِشَامٍ (٢)عن ابْنِ إِسْحَاقَ (٣) خَبَرَ بعضِ هؤلاء الذين فتَنهم كُفَّار

= أبيه منكر الحديث، ووافقه ابن معين وغيره؛ فأنَّىٰ للحديث الصِّحَّة، بله علىٰ شرطها! نعم إنَّما يصحُّ منه نزول الآية: في عمَّار؛ لمجيء ذلك من طرق ساقها ابن جرير، والله أعلم. انظر: «فقه السِّيرة النَّبويَّة»، محمَّد الغزاليُّ، دار إحياء التُّراث العربيِّ - بيروت - لبنان، بدون رقم طبعة ولا تاريخ، (ص ١٠٨).

(١) «ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ»، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميدانيُّ، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولىٰ (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)، (١/ ١٤٨-١٥٠) بتصرُّف يسير.

(٢) هو: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين: مؤرخ، كان عالما بالأنساب واللغة وأخبار العرب. ولد ونشأ في البصرة، وتوفي بمصر سنة(٢١٣هـ). ينظر: «وفيات الأعيان»، لابن خلكان (٣/ ١٧٧)، «الأعلام»، للزركلي (٤/ ١٦٦).

(٣) هو: محمَّد بن إسحاق بن يسار، أبو بكر المطلبيُّ المدنيُّ، مولىٰ قيس بن مخرمة بن المطَّلب بن عبد مناف، تابعيٌّ، رأىٰ أنس بن مالك (توفِّي: ١٥٠ ويقال بعدها)، قال ابن حجر: «هو أحد الأئمَّة الأعلام».

روىٰ عن سعيد ابن أبي هند والمقبريِّ وعطاء ونافع وطبقتهم، وروىٰ عنه الحمَّادان وإبراهيم بن =



مَكَّةَ حيث قال: «حدَّثني نَافِعٌ مولىٰ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ [(١)] عن عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ عن أَبِيهِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قَالَ: اتعدتُ لَمَّا أَرَدْنا الهِجْرةَ إِلَى المَدِينَةِ أَنَا وعَيَّاشُ بنُ أَبِي رَبِيْعَةَ[(٢)]، وهِشَامُ بنُ العَاصِ بنِ وَائِلٍ السَّهميُّ [(٣)]، التَّنَاضبَ -

---

= سعيد وزياد البكائيُّ وآخرون. كان أحد أوعية العلم، حبرًا في معرفة المغازي والسِّيَر، وثَّقه غير واحد، ووهَّاه آخرون.

قال ابن حجر العسقلانيُّ في شأنه: إمام المغازي، صدوق يدلِّس، ورمي بالتَّشيُّع والقَدَر. من تصانيفه: «السِّيرة النَّبويَّة» المشهورة بسيرة ابن إسحاق، الَّتي هذَّبها ابن هشام. ينظر: «تهذيب الكمال» للمزيِّ (٢٤/ ٤٠٥)، و«تهذيب التَّهذيب» لابن حجر (٩/ ٣٤).

(١) الإمام المفتي الثَّبت الثِّقة عالم المدينة أبو عبد الله القرشيُّ العدويُّ ثمَّ العُمريُّ مولىٰ ابن عمر وراويته، توفِّي رَحِمَهُٱللَّهُ سنة (١١٧هـ)، وقيل: (١١٩هـ). انظر في ترجمته: «التاريخ الصَّغير»، للبخاريِّ، تحقيق محمود بن إبراهيم بن زايد، فهرس أحاديثه يوسف المرعشي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، (٢/ ٥٩)، و«الجرح والتَّعديل» (٨/ ٤٥١)، و«طبقات الحفَّاظ» (٤٠)، و«شذرات الذَّهب» (١/ ١٥٤)، و«سير أعلام النُّبلاء»، للذَّهبيِّ (٥/ ٩٥) .

(٢) أتىٰ النَّبيَّ ﷺ قبل الهجرة بمكَّة وأسلم، لكنَّه خاف أن يظهر الإسلام لأهله، فخرج هاربًا إلىٰ المدينة، وتحصَّن في أطم من آطامها (الأطم: المكان المرتفع - النِّهاية، لابن الأثير ١/ ١٣٠) فجزعت أمُّه لذلك جزعًا شديدًا، فرجع إليها في ثنايا قصَّة عجيبة قد وردت في أصل الرِّسالة، وكان أخا أبي جهل من الرَّضاعة، وقيل: كان أخاه لأمِّه، وكان ممَّن دعا له النَّبيُّ ﷺ من بين من عجزوا عن الهجرة إلىٰ المدينة، فكان يقول: «اللَّهمَّ أنج الوليد بن الوليد، اللَّهمَّ أنج سلمة بن هشام، اللَّهمَّ أنج عيَّاش بن ربيعة». البخاريُّ (١٠٠٦).

انظر في قصَّته وترجمته: «تفسير السِّراج المنير»، محمَّد بن أحمد الشِّربينيُّ، شمس الدِّين، دار الكتب العلميَّة ـ بيروت، (١/ ٢٦٢)، و«تفسير الخازن» المسمَّىٰ «لُبَابَ التَّأويل في معاني التَّنزيل»، علاء الدِّين علي بن محمَّد بن إبراهيم البغداديُّ، الشَّهير بالخازن، دار الفكر - بيروت ، لبنان، (١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م)، (٤/ ١١٨).

(٣) هشام بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنهُ السهميُّ الرَّجل الصَّالح المجاهد ابن أخت أبي جهل، كان قديم الإسلام بمكَّة، وهاجر إلىٰ الحبشة، ثمَّ ردَّ إلىٰ مكَّة؛ إذْ بلغه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قد هاجر؛ ليلحق به، فحبسه قومه بمكة، ثم قدم بعد الخندق مهاجرًا، وشهد ما بعدها. قُتل شهيدًا رَضِيَٱللَّهُعَنهُ يوم اليرموك أو غيره. =

جمع تنضيب وهو شجر- من أضاة- موضعٌ على عشرة أَمْيالٍ مِنْ مَكَّةَ بني غفار، فوق سَرِف - وادي متوسط الطُّول مِنْ أَوْدِيَةِ مَكَّةَ - وقُلْنا: أَيُّنا لم يُصبحْ عندها فقدْ حُبِسَ فلْيمضِ صاحبُه. قال: فأَصْبحْتُ أَنَا وعَيَّاشُ ابنُ أَبِي رَبِيعَةَ عند التَّناضب، وحُبِسَ عنَّا هِشَامٌ، وفُتِنَ، فافْتَتَنَ.

فلمَّا قدمنا المَدِينَةَ نزلنا في بني عَمْروِ بنِ عَوْفٍ بقُبَاءٍ، وخرَج أَبُو جَهْلٍ ابنُ هِشَامُ[1] والحَارِثُ بنُ هِشَامٍ [2] إِلَى عَيَّاشِ ابنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وكان ابنَ عمِّهما وأَخَاهُما

= انظر في ترجمته: «طبقات ابن سعد»، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصريُّ الزهريُّ، دار صادر - بيروت، (٤/ ١٩١)، و«طبقات خليفة»، أبي عمرو خليفة بن خياط، دراسة وتحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، (١٤٨ و٢٨٢١)، و«الجرح والتعديل»، أبو حاتم الرازي (٩/ ٦٣)، و«المستدرك» (٣/ ٢٤٠)، و«الاستيعاب» (٥٣٩)، «الإصابة في تمييز الصحابة»، ابن حجر (٣/ ٦٠٤)، و«سير أعلام النبلاء»، للذَّهبيِّ (٣/ ٧٧).

(١) أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله المخزوميُّ القرشيُّ، كنيته (أبو الحكم) كان زعيم الكفر، وله القيادة والرِّيادة بمكَّة، ناصب دعوة النَّبيِّ ﷺ العداء، وأظهر الكراهية والحقد مدَّة خمسة عشر عامًا، حتَّى قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ، كان من ذرِّيَّته عكرمة ابن أبي جهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

انظر في ترجمته: «الأعلام»، للزِّرِكْلِيِّ (٨/ ٨٨)، و«بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشُّعَبِ، تهذيب لكتاب شُعَبِ الإيمان» للبيهقيِّ، هذَّبه: محمَّد خلف سلامة، (٣/ ٢١٥)، و«الكامل في التَّاريخ» (١/ ٥٩٢) وغيرها، وقد صنَّف الأستاذ ياسين بن إبراهيم كتابًا مستقلًا بعنوان: «أبو جهل دراسة تحليليَّة تاريخيَّة»، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة (١٤١١)هـ.

(٢) أخو أبي جهل، أسلم يوم الفتح، وحسُن إسلامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان شريفًا كبير القدر، وهو الذي أجارته أمُّ هانئ فقال ﷺ: «قد أجرنا من أجرت»، أعطاه النبيُّ ﷺ مائة من الإبل يوم غنائم حنين، وتوجَّه غازيًا إلى الشَّام، فأصيب شهيدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

انظر في ترجمته «الإصابة في تمييز الصَّحابة»، لابن حجر (١٥٠٤)، و«الاستيعاب»، لابن عبد البرِّ (٤٤٠)، و«أسد الغابة»، لابن الأثير (١/ ٤٢٠)، و«خلاصة تذهيب التَّهذيب» (٦٩)، و«سير أعلام النُّبلاء»، للذَّهبيِّ (٤/ ٤١٩).



لأُمِّها حتَّىٰ قَدِما علينا المَدِينَةَ ورَسُولُ الله ﷺ بمَكَّةَ، فكلَّماه، وقالا له: إِنَّ أُمَّكَ قدْ نذرَتْ أَنْ لا يمسَّ رَأْسَها مِشْطٌ حتَّىٰ تراك، ولا تستظلَّ مِنْ شمسٍ حتَّىٰ تراك. فرقَّ لها، فقُلْتُ له: يا عَيَّاشُ، إِنَّه والله إِنْ يريدك القومُ إِلَّا ليفتنوك عن دِيْنك فاحْذَرْهُمْ، فوالله لوْ قدْ آذىٰ أُمَّكَ القُملُ لَامْتشطتْ ولوْ قد اشْتدَّ عليها حرُّ مَكَّةَ لَاسْتظلَّتْ.

قال: فقال أَبَرُّ قسَمَ أُمِّي، ولي هناك مالٌ فآخُذُه. قال: فقلت والله إِنَّك لتعلم أَنِّي لِنْ أَكْثر قُرَيشٍ مالًا، فلك نصفُ مالي، ولا تذهبْ معهما. قال: فأَبَىٰ عليَّ إِلَّا أَنْ يخرُجَ معهما، فلمَّا أَبَىٰ إِلَّا ذلك قال: قلت له أَمَّا إِذَا قدْ فعلْتَ ما فعلْتَ فخُذْ ناقتي هذه؛ فإِنَّها ناقةٌ نجيبةٌ ذلولٌ، فالْزَمْ ظهرَها، فإِنْ رَابَكَ من القوم ريبٌ، فانْجُ عليها.

فخرج عليها معهما حتَّىٰ إِذَا كانوا ببعض الطَّريق قال له أَبُو جَهْلٍ: يا ابنَ أَخِي والله لقد استغلظْتُ بعيري هذا، أَفَلا تُعْقِبُني علىٰ ناقتك هذه؟ قال: بلىٰ، قال: فأَنَاخَ وأَنَاخا؛ ليتحوَّل عليها، فلمَّا اسْتَوَوا بالأَرْض عدوا عليه فأوثقاه رباطًا ثُمَّ دخلا به مَكَّةَ وفتناه فافْتَتَنَ»[(١)].

قال ابنُ إِسْحَاقَ: «وحدَّثني نَافِعٌ عن عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ عن عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في حديثه قال: فكُنَّا نقول ما اللهُ بقابلٍ مِمَّن افْتُتِن صرفًا ولا عدلًا[(٢)] ولا توبةً، وقومٌ

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٢١)، ومن طريقه البيهقيُّ في «الدلائل» (٢/ ٤٦١)، صحَّح الرِّواية إبراهيم العليُّ في كتابه «صحيح السِّيرة النَّبويَّة» (١٦٥) - الطبعة ٥ - دار النفائس - الأردن - (١٤٢١-٢٠٠٠). وقد أوردها د/ أكرم ضياء العمري في كتابه «السِّيرة النَّبويَّة الصَّحيحة» (١/ ٢٠٦) الطبعة ٣ - مكتبة العبيكان - الرياض (١٤١٨ - ١٩٩٨).

(٢) قال ابن الأثير في «النهاية»: قد تكرَّرت هاتان اللَّفظتان في الحديث؛ فالصَّرف التَّوبة، وقيل: النَّافلة، والعدل: الفدية، وقيل: الفريضة. وذكر الزُّبَيْدِيُّ في «تاج العروس» أنَّ ذلك مَثَلٌ يُضْرَبُ =



عرفوا اللهَ ثُمَّ رجعوا إِلَىٰ الكفر لبلاءٍ أَصابَهم قال: وكانوا يقولون ذلك لأَنفسهم.

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الزمر:٥٣-٥٤].

قال عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ: فكتبْتُها بيدي في صحيفة وبعثْتُ بها إِلَىٰ هِشَامِ بنِ العَاصِ، قال: فقال هِشَامُ بنُ العَاصِ: فلمَّا أَتَتْني جعلْتُ أَقْرأُها بذي طُوًىٰ[(١)] أَصْعد بها فيه، وأَصوب، ولا أَفْهمُها حتَّىٰ قلْتُ: اللَّهُمَّ فهِّمْنيها، قال: فأَلْقىٰ اللهُ تعالىٰ في قلبي أَنَّها إِنَّما أُنزلتْ فينا وفيما كنَّا نقول في أَنْفسنا ويقال فينا. قال: فرجعْتُ إِلَىٰ بعيري، فجلسْتُ عليه، فلحِقْتُ برَسُولِ الله ﷺ وهو بالمَدِينَةِ»[(٢)].

لطيفةٌ: هذه الرِّوايةُ الصَّحيحةُ تُخالف الحديثَ المشتهرَ لدىٰ النَّاس مِنْ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قدْ هاجر علانيةً وقال للمشركين: مَنْ أَرادَ أَنْ تُثْكِلَهُ أُمُّهُ أَوْ تُرمِلُ عليه زوجتُه فلْيَلْقَنِي وراءَ هذا الوادي[(٣)].

= فيمن لم يُؤَخذْ منه الشَّيْءُ الَّذي يجب عليه وأَلزم أكثر منه، وذكر أنَّ أصله أنَّ العرب إذا قتلوا بالقتيل رجلًا واحدًا، فهو العدل عندهم؛ لأنَّهم كانوا يقتلون بالقتيل الرَّجلين والثَّلاثة، وإذا عدلوا عن ذلك إلىٰ الدِّيَةِ فهو الصَّرف عندهم، وهذا هو الظَّاهر، أمَّا تفسير الصَّرف بالتَّوبة فغَيْرُ ظاهر؛ لأنَّها قد ذكرت في الحديث. «النِّهاية في غريب الحديث والأثر»، لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير (٢/ ٢٤).

(١) ذو طُوًىٰ: موضع بأسفل مكَّة، كما ذكر في «الرَّوض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام»، للإمام السُّهَيْلِيِّ (٤/ ١٩١).

(٢) «السيرة النبوية»، لابن هشام (٢/ ٩٥-٩٨)، وقد صحَّح الحديث ابن حجر. انظر: الإصابة (٣/ ٦٠٤) وصحَّحه كذلك إبراهيم العليُّ في كتابه «صحيح السِّيرة النَّبويَّة» ص (١٦٥).

(٣) أخرجه في «تاريخ دمشق»، لأبي القاسم عليِّ بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفَّىٰ: ٥٧١هـ)، المحقِّق: عمرو بن غرامة العمرويِّ، النَّاشر: دار الفكر للطباعة والنَّشر والتوزيع، عام النشر: (١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م) (١٢/ ٢٥٨)، وابن الأثير في «أسد الغابة» (٤/ ١٦٤).

قال الشَّيخُ الألْبانيُّ: «في إِسْنادها ثلاثةُ مجاهيلَ لم يذكرْهم أَحَدٌ من علماءِ الجرحِ والتَّعْديلِ مطلقًا»(١).

ممَّا سبق يتَّضح أَنَّ النِّفاقَ المقصودَ ظهورُه بمَكَّةَ إنْ قيل به، فهو متوجِّهٌ على الفِئَةِ الثَّالثةِ التي استبدلت الإِيْمانَ بالكُفْر، ورضيتْ بالشِّرْك بعد الإِسْلام، أُولئِك الذين شرحوا بالكُفْر صدرًا.

نعمْ لقدْ كان صحابةُ النَّبِيِّ ﷺ يلاقون مِنْ أَذى قُريشٍ وتعذيبِها ما كشَّروا به عن أَنْياب غيظِهم وحِقْدِهم، وساموهم أَلْوانَ العذابِ والنِّكالِ... إِنَّها الغُربةُ القاسيةُ التي عاناها كلُّ مسلمٍ ومسلمةٍ، بدءًا بالرَّسُولِ الكريمِ ﷺ ثُمَّ كبارِ صحابتِه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ ذوي المكانةِ في قومهم ثُمَّ المستضعفين الذين كانتْ قُريشٌ تصهرهم في رَمْضَاءِ مَكَّةَ الحارَّةِ، وتلقي عليهم الصخراتِ العِظامَ، وتكوي جلودَهم بالنَّار، وتقيِّد بعضَهم بالقيود، ثُمَّ فوق ذلك وبعده يُعطونهم للصِّبْيان يجرُّونَهم ويرمونَهم بالحِجَارة.

عن سَعِيدِ بنِ جُبَيْرٍ (٢) قال: قلْتُ لابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: يا أَبَا العَبَّاسِ! أَكان المشركون يبلغون من المسلمين في العذاب ما يُعذرون به في ترك دِيْنِهم؟ فقال: نعمْ

(١) «الغرباء الأوَّلون»، للشَّيخ د/ سلمان العودة (١/ ١١٧).

(٢) سعيد بن جبير الأسديُّ بالولاء الكوفيُّ أبو عبد الله التَّابعيُّ، كان أعلمهم على الإطلاق، كان حبشيَّ الأصل، أخذ العلم عن عبد الله بن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكان ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألونني وفيكم ابن أمِّ دهماء؟ يعني سعيدًا، لمَّا خرج عبد الرَّحمن بن محمَّد بن الأشعث على عبد الملك بن مروان، كان سعيد معه إلى أن قتل عبد الرَّحمن، فذهب سعيد إلى مكَّة، فقبض عليه واليها (خالد القسريّ) وأرسله إلى الحجَّاج، فقتله بمدينة واسط.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: قَتَلَ الحجَّاج سعيدًا وما على وجه الأرض أحدٌ إلاَّ وهو مُفْتَقِرٌ إلى علمه، وُلِدَ عام (٤٥هـ) وتوفِّي سنة (٩٥هـ). انظر في ترجمته: «الأعلام» (٣/ ٩٣).

والله.. إنْ كانوا ليضربون أَحدَهم، ويُجيعونه، ويُعطِّشونه، حتَّىٰ ما يقدر علىٰ أَنْ يستويَ جالسًا من شدَّة الضُّرِّ الذي به، حتَّىٰ إِنَّه ليعطيهم ما سَأَلُوه مِنَ الفتنة، وحتَّىٰ يقولوا: اللَّاتَ والعُزَّىٰ إلهُكَ من دون الله؟ فيقول: نعمْ، وحتَّىٰ إِنَّ الجُعَلَ لَيَمُرُّ به، فيقولون: أَهذا الجُعَلُ[1] إلهُكَ مِنْ دون الله؟ فيقول: نعمْ؛ افتداءً منهم لِمَا يبلغون مِنْ جهده (هذه الرِّوايةُ ضعيفةٌ)[2].

قال شيخُ الإِسْلام ابنُ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمهاجرون لم يكن فيهم منافقٌ وإِنَّما كان النِّفاقُ في بعض مَنْ دخَل من الأَنْصار، وذلك أَنَّ الأَنْصارَ هُمْ أَهْلُ المَدِينَةِ، فلمَّا أَسْلَمَ أَشْرافُهم وجُمْهورُهم احْتَاجَ الباقون أَنْ يُظهروا الإِسْلامَ؛ نفاقًا لعزِّ الإِسْلام وظهورِه في قومِهم، وأَمَّا أَهْلُ مَكَّةَ فكان أَشْرافُهم وجُمْهورُهم كُفَّارًا، فلم يُظهر الإِيمانَ إِلَّا مَنْ هو مُؤْمِنٌ ظاهرًا وباطنًا؛ فإِنَّه كان مَنْ أَظْهَرَ الإِسْلامَ يُؤْذَىٰ ويُهجَرُ، وإِنَّما المنافقُ يُظهر الإِسْلامَ لمصلحةِ دُنْياه»[3].

وهذا هوالرّاجحُ، وممَّا يدلُّ علىٰ ذلك ما أَكَّده شيخُ الإِسْلام في موضعٍ آخرَ عن نشأَةِ النِّفاق بالمَدِينَةِ فقال: «فإِنَّه مِنْ حينِ هاجَر النَّبِيُّ ﷺ صار النَّاسُ ثلاثةَ أَصْنافٍ إِمَّا مُؤْمِنٌ وإِمَّا كافرٌ مُظْهِرٌ للكُفْر وإِمَّا منافقٌ بخلاف ما كانوا عليه وهُمْ بمَكَّةَ فإِنَّه لم يكنْ هناك منافقٌ، ولهذا قال الإِمَامُ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَلٍ وغيرُه لم يكنْ مِنَ المهاجرين منافقٌ؛ وإِنَّما كان النِّفاقُ في قبائِلِ الأَنْصار؛ فإِنَّ مَكَّةَ كانتْ للكُفَّار مستولين عليها، فلا يُؤْمِنُ ويُهاجرُ إِلَّا مَنْ هو مُؤْمِنٌ، فليس هناك داعٍ يدعو إِلَىٰ

---

(١) الجُعَلُ: حيَوانٌ معروف كالخُنْفُسَا.

(٢) وهذه الرِّواية ضعيفة، رواها ابن هشام في «السِّيرة النَّبويَّة»، من طريق ابن إسحاق (٢/ ١٦٣)، ومن طريقه البيهقيُّ في «السُّنَن الكبرىٰ» (١٦٦٧٥)، وفي السَّنَدِ حكيم بن جبير، ضعيف، وابن إسحاق مدلِّس.

(٣) «الفتاوىٰ»، لشيخ الإسلام (٣٥/ ٦٣).



النِّفاق، وأَمَّا المَدِينَةُ فقدْ آمن بها أَهْلُ الشَّوكةِ، فصار للمُؤْمِنِين بها عزٌّ ومنعةٌ بالأنصار، فمَنْ لم يُظهر الإِيمانَ آذوه، فاحْتاج المنافقون إِلَى إِظْهار الإِيمان مع أَنَّ قلوبَهم لم تُؤْمِنْ»(١).

وكان رَأْسُ هؤلاء عَبْدُ الله بنُ أُبَيٍّ بنِ سَلُولٍ وقد نزل فيه وفي أَمْثالِه من المنافقين آياتٌ(٢)، ونَشْأَةُ النِّفاق لم تكنْ قاصرةً على الأنصار بالمَدِينَةِ، بلْ تجاوز ذلك إِلَى الأَعْراب مِنْ حولها؛ قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ١٠١﴾ [سورة التوبة:١٠١].

قال الإِمَامُ القُرْطُبِيُّ: «أَيْ: قومٌ منافقون -يعني مُزَيْنَةَ وجُهَيْنَةَ وأَسْلَمَ وغِفَارَ وأَشْجَعَ- ﴿مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ [سورة التوبة:١٠١]؛ أَيْ: أَقَامُوا ولَمْ يتوبوا. عن ابنِ يزيدٍ: وقال غيرُه لجُّوا فيه وأَبوا غيرَه، والمعنى متقاربٌ، وأَصْلُ الكلمة من اللِّين والملامسةِ والتَّجرُّدِ، فكأَنَّهم تجرَّدوا للنِّفاق»(٣).

ولعَظَمِ جِرْمِهم ونِفاقِهم توعَّدهم اللهُ بأَنْ يُعذِّبَهم مرَّتين، وتعدَّدت هنا الرِّواياتُ في بيان هذا العذاب؛ فابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بالأَمْراضِ في الدُّنْيا وعذابِ الآخِرة، وقيل: العذابُ الأَوَّلُ الفضيحةُ بإِطْلاع النَّبِيِّ عليهم ﷺ والعذابُ الثَّاني في القبر.

ومِنْ أَحْسن التَّفاسير في ذلك أَنَّ العذابَ الأَوَّلَ بالمصائِبِ في أَمْوالهم

---

(١) «الفتاوى»، لشيخ الإسلام (٧/ ٢٠١).

(٢) رواه ابن اسحاق في «السيرة والمغازي» (١٩٢-١٩٣)، ورواه ابن هشام في «سيرته»، ورجال إسناده كلِّهم ثقات، خلا ابن إسحاق.

(٣) «تفسير القرطبيِّ» (٨/ ٢٤٠).



وأَوْلادِهم؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [سورة التوبة:٥٥] ، والعذابُ الثَّاني في القبر، ووَرَدَ أَنَّه في النَّار يومَ القِيامة(١) والعياذُ بالله.

وإِنْ كانت هذه القبائِلُ مِمَّن حول المَدِينَةِ قَدْ أَسْلمتْ بعد ذلك وحسُن إِسْلامُها فللَّه الحمدُ والمِنَّةُ؛ فعن أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال مُبيِّنًا فضلَهم: «أَسْلَمُ وَغِفَارُ وَأَشْجَعُ وَمُزَيْنَةُ وَجُهَيْنَةُ وَمَنْ كَانَ مِنْ بَنِي كَعْبٍ مَوَالِيَّ(٣) دُوْنَ النَّاسِ، واللهُ وَرَسُولُهُ مَوْلَاهُمْ(٤)» (٥).

وهذا الحديثُ لا يُناقض ما جَاءَ في تفسير الآيةِ السَّابقةِ، وذلك لأُمُورٍ منها:

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير»، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيِّ البصريِّ ثمَّ الدِّمَشْقِيِّ (المتوفَّى: ٧٧٤هـ)، تحقيق الشَّيخ مقبل بن هادي الوادعيِّ، دار الرَّاية - الرِّياض، ط١ (١٤١٤ - ١٩٩٣)، (٤/ ١٤٤)، والقرطبيُّ (٨/ ١٥٣).

(٢) هو : الصَّحابيُّ الجليل خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف، ويقال: ابن عمرو بن عبد عوف بن غنم، أبو أيُّوب الأنصاريُّ الخزرجيُّ. شهد بدرًا، والعقبة، والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ ونزل عليه رسول الله ﷺ حين قدم المدينة شهرًا حتَّى بنيت مساكنه ومسجده، ولمَّا غزا يزيد القسطنطينيَّة في خلافة أبيه معاوية، صحبه أبو أيوب غازيًا، فحضر الوقائع ومرض، فأوصى أن يوغل به في أرض العدوِّ، فلمَّا توفِّي دُفِنَ في أصل حصن القسطنطينيَّة (توفِّي سنة ٥٠ هـ، وقيل: بعدها).

ينظر: «تهذيب الكمال في أسماء الرِّجال»، للمزيِّ (ج ٨ ص ٦٦)، «الاستيعاب»، لابن عبد البرِّ (٢/ ٤٢٤)، «أسد الغابة»، لابن الأثير (٢/ ٩٤)، «الإصابة في تمييز الصَّحابة»، لابن حجر (٣/ ٥٦).

(٣) أي: أنصاري، وأحبابي.

(٤) أي: نصيرهم.

(٥) رواه البخاريُّ، كتاب: المناقب، باب: ذكر أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع، برقم: (٣٣٢١)، ومسلم، كتاب: فضائل الصَّحابة، باب: من فضائل غفار وأسلم وأشجع ومزينة وتميم ودوس، برقم: (٢٥١٩).

أَنَّ بعضَ شُرَّاحِ الحديث قالوا: والمرادُ الأَكْثرُ والأَغْلبُ[١] وهذا يُفهم منه أَنَّ مِنْ هذه القبائِلِ مَنْ ظلَّ على نفاقه، كما في قبائِلِ الأَنْصار ممَّن نصروا اللهَ ورَسُولَه ﷺ، ومِنْهم مَنْ بقِي على نفاقِه وكُفْرِه...

هناك بعضُ رواياتٍ أُخرىٰ للحديث تُؤَكِّدُ بحمد الله هذا المعنىٰ، كما في الحديث الذي رواه أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ قولَه ﷺ: «أَسْلَمُ وَغِفَارُ وَشَيْءٌ مِنْ مُزَيْنَةَ وَجُهَيْنَةَ خَيْرٌ عِنْدَ اللهِ مِنْ أَسَدٍ وَتَمِيمٍ وهَوَازِنَ وَغَطَفَانَ»[٢]، ولذا فقدْ ذكَر بعضُ شُرَّاحِ الحديث كالعينيِّ[٣] قال: «هذه قبائِلُ كانتْ في الجاهليَّة في القُوَّةِ والمكانةِ دون غيرِها مِنَ القبائِلِ، فلَمَّا جَاءَ الإِسْلامُ كانوا أَسْرعَ النَّاس دخولًا فيه، فصار الشَّرفُ إِلَيهم بسبب ذلك»[٤].

ولعلَّ سائِلًا يقول: هل هناك تحديدٌ دقيقٌ لبداية نَشْأَةِ النِّفاق؟

فالجواب: جَاءَ في رواية الإِمَامِ البُخَارِيِّ [٥] رَحِمَهُ اللَّهُ، عن أُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ

---

(١) انظر «تحفة الأحوذيِّ شرح سنن التِّرمذيِّ» (١٠/ ٣٤٠).

(٢) رواه البخاريُّ، كتاب: المناقب، باب: ذكر أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع، برقم: (٣٣٢٦)، ومسلم، كتاب: فضائل الصَّحابة، باب: من فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطيِّئ (٢٥٢١).

(٣) هو: محمود بن أحمد بن موسىٰ بن أحمد أبو محمد، بدر الدين العيني الحنفي. مؤرخ علاَّمة من كبار المحدِّثين، أصله من حلب، ومولده في «عين تاب» وإليها نسبته، ولِّي في القاهرة الحِسْبَةَ وقضاء الحنفيَّة ونظر السُّجون، ثمَّ صُرف عن وظائفه، وَعَكَفَ علىٰ التَّدريس والتَّصنيف إلىٰ أن توفِّي في القاهرة.

من مؤلَّفاته: «عمدة القاري في شرح البخاري» (في أحد عشر مجلَّدًا)، «مغاني الأخيار في رجال معاني الآثار» (مجلَّدين)، «العلم الهيِّب في شرح الكلم الطيِّب»، وغيرها. ولد عام (٧٦٢هـ). وتوفِّي (٨٥٥هـ). انظر في ترجمته: «الأعلام»، للزِّرِكْلِيِّ (٧/ ١٦٣).

(٤) «عمدة القاري شرح صحيح البخاري»، بدر الدِّين العينيِّ الحنفيِّ، (١٦/ ٨١).

(٥) هو: محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم، أبو عبد الله، البخاريُّ. حَبْرُ الإسلام، والحفَّاظ؛ لحديث =



رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في الحديثِ الطَّويلِ- ومنه قولُه: فلمَّا غزا رَسُولُ الله ﷺ بَدْرًا فقتل اللهُ بها مِنْ صناديد الكُفَّارِ وسادةِ قُرَيْشٍ، فقفَل رَسُولُ الله ﷺ وأَصْحابُه منصورين غانمين معهم أَسَارَىٰ مِنْ صناديد الكُفَّار وسادةِ قُرَيْشٍ.

قال ابنُ أَبِي سَلُولٍ ومَنْ معه مِنَ المشركين عبدةِ الأَوْثان: هذا أَمْرٌ قد توجَّه، فبايعوا رَسُولَ الله ﷺ علىٰ الإِسْلام، فأَسْلموا[1].

يتَّضح مِنْ هذه الرِّوايةِ الصَّحيحةِ أَنَّ البِدايةَ الفعليَّةَ لهذا الطَّابورِ الخامسِ كانتْ بعد هذه الغزوةِ العظيمةِ التي أَعزَّ اللهُ فيها حِزْبَه وأَوْلِيَاءَه، وأَذَلَّ الشِّرْكَ وأَعْوانَه.

❍ ثانيًا: أسْبابُ ظهورِ النِّفاق:

إِنَّ مَنْ يَسْبُرُ غَوْرَ النِّفاق ويتملَّىٰ جوانبَه ويقف طويلًا مع وقائِعِه وأَحْداثِه وحياةِ رُموزِه وأَعْلامِه ويقْرَأُ مراحلَه وأَطْوارَه، يجِدْ أَنَّ الأَسْبابَ الدَّاعيةَ لظهوره المُؤَدِّيَةَ إِلَىٰ وجوده كطابور خامسٍ بين صفوف المُسْلمين لا ينفكُّ عنهم في حِقْبةِ زمانٍ ولا بُقْعةِ مكانٍ.. كثيرةٌ متعدِّدةٌ، لعلَّها تندرج تحت محاورَ ثلاثةٍ:

١ـ نفسيَّة قلبيَّة:

وهذا شأنٌ قدْ أَشَارَ إِلَيه القُرْآنُ في مواضعَ، منها قولُه تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا ﴿١٣٧﴾ ﴾

= رسول الله ﷺ. ولد في بخارىٰ، ونشأ يتيمًا، وكان حادَّ الذَّكاء مبرزًا في الحفظ، رحل في طلب الحديث، وسمع من نحو ألف شيخ بخراسان والشَّام ومصر والحجاز وغيرها، جمع نحو ٦٠٠ ألف حديث، اختار ممَّا صَحَّ مِنْهَا كتابه «الجامع الصَّحيح» الَّذي هو أَوْثَقُ كتب الحديث، وله أيضًا «التَّاريخ»؛ «الضُّعَفَاء»، و«الأدب المفرد»، وغيرها.

ينظر: «تهذيب الكمال في أسماء الرِّجال»، للمزيِّ (٢٤/ ٤٣٠)، و«تهذيب التَّهذيب»، لابن حجر (٩/ ٤٧)، و«سير أعلام النُّبلاء»، للذَّهبيِّ (١٢/ ٣٩١).

(١) رواه البخاري كتاب: الأدب، باب: كنية المشرك، برقم: (٥٨٥٤).

[سورة النساء:١٣٧] ؛ فالتَّذَبْذُبُ وانْعدامُ الشَّخْصيَّةِ والرِّيْبةُ الكامنةُ في نفوسهم مع ما يُخالط ذلك مِنْ خورٍ وفسادِ طويةٍ وضَعْفٍ في اتِّخاذ القرار، جعَلهم مُتردِّدين في مواقفهم منهزمين في ذواتِهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة التوبة:٤٥] .

لذا كانتْ نفوسُهم في صراعٍ دائمٍ؛ فالرُّؤيةُ الفِكْريةُ الواعيةُ ومشاعرُ البَصيرةِ الوِجْدانيَّةِ ولَمَّةُ المَلَك في داخلهم تَجْذِبُهم إلَى جانب الإِيمان والمُؤْمنين... وأَهْواءُ قلوبِهم وغلبةُ شهواتِهم وتعلُّقُهم بالدُّنْيا ووَساوِسُ شياطينِ الإِنْس والجِنِّ تنزعِ بهم إِلَى جانب الكُفْر والكافرين[١] .

يقول سيِّد قُطْبٍ[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإِذَا لمْ تتجرَّد النَّفْسُ لله.. لمْ تتحرَّر أَبَدًا مِنْ ضغْط القِيَم والأَوْضاعِ... والضَّروراتِ والمصالحِ والحِرْصِ والشُّحِّ، ولمْ ترتفعْ أَبَدًا على المصالحِ والمغانم والمطامعِ والمطامحِ... ومِنْ هنا تَبْذِرُ بَذْرَةَ النِّفاق... وما النِّفاقُ في حقيقته إِلَّا الضَّعفُ والانْهزاميَّةُ عن الإِصْرار على الحقِّ في مواجهة الباطل، وهذا الضَّعفُ هو ثمرةُ الخوفِ والطَّمَع وتعليقِها بغير الله، وثمرةُ التَّقيُّد بملابسات الأَرْض ومواضعاتِ النَّاس في عُزْلَةٍ عن منهج الحياة»[٣] .

---

(١) «ظاهرة النفاق»، للدكتور حنبكة الميدانيِّ (١/ ٦٢٠).

(٢) هو: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، أديب ومفكر إسلامي مصري، ولد بقرية موشة بمحافظة أسيوط في صعيد مصر، وبها تلقى تعليمه الأوّلي وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بمدرسة المعلمين الأولية (عبدالعزيز) بالقاهرة، ونال شهادتها والتحق بدار العلوم وتخرج عام ١٣٥٢هـ، ١٩٣٣م. عمل بوزارة المعارف بوظائف تربوية وإدارية، وابتعثته الوزارة إلى أمريكا لمدة عامين وعاد عام ١٣٧٠هـ، ١٩٥٠م. انضم إلى حزب الوفد المصري لسنوات وتركه على أثر خلاف عام ١٣٦١هـ، ١٩٤٢م. وفي عام ١٣٧٠هـ، ١٩٥٠م انضمّ إلى جماعة الإخوان المسلمين، وحوكم بتهمة التآمر على نظام الحكم وصدر الحكم بإعدامه، وأعدم عام ١٣٨٥هـ، ١٩٦٦م.موقع المكتبة الشاملة.

(٣) «في ظلال القرآن»، المؤلف: سيِّد قطب إبراهيم حسين الشَّاذلي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) النَّاشر: دار =

لقدْ رَضُوا لأَنفسهم الهوانَ والذُّلَّ، فلمْ يكنْ بينهم وبين الشَّجاعةِ نسَبٌ ولا سبَبٌ حتَّى يصرِّحوا بمُعْتَقَدِهم ويظهروا على حقيقتهم.. وفي حديث ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا خيرُ شاهدٍ على ذلك؛ إِذْ يقول النَّبيُّ ﷺ: «مَثَلُ المُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ[1] بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ؛ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً»[2].

٢ـ الخوفُ الشَّديدُ والجُبْنُ الأَكِيدُ:

ويبدو أَنَّ هذا هو السَّببُ الأَكْبرُ والدَّافعُ الأَعْظمُ الذي أَدَّى بهم إِلَى نَهْج مَسْلَكِ النِّفاق، ثُمَّ هُمْ بعد ذلك يتفاوتون في الدَّواعي التي دفعتْهم إِلَى هذا الخوفِ، فمنهم مَنْ كان خوفُه على:

١- نفسه أَنْ يُقتَل أَوْ يُطرَد.

٢- أَوْ على ماله أَنْ يُؤْخذ منه.

٣- أَوْ على سُمْعته ومكانتِه بين بنِي قومِه أَنْ تتأَثَّر أَوْ تتلاشى[3].

وهذا واضحٌ وجليٌّ في شأْنِ رَأْسِ النِّفاق عَبْدِ الله بْنِ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ؛ فقدْ أَوْرَدَ بعضُ كتابُ السِّيرةِ أَنَّ الأَوْسَ والخَزْرَجَ لَمَّا سَئِمُوا القتالَ وأَنْهكتْم الحروبُ اتَّفقوا بينهم على تتْويج عَبْدِ الله بنِ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ ليكون مَلِكًا على المَدِينَةِ، فلمَّا بعَث اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ وبايَعه الأَنْصارُ البيْعتَيْنِ، ورحَّبُوا بمَقْدَمِه المَدِيْنَةَ لديهم، وتعهَّدوا له

= الشُّروق - بيروت- القاهرة، الطَّبعة السَّابعة عشر - (١٤١٢ هـ) (٢/ ٧٧٩)، وانظر كذلك: «دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة». د/عادل الشديِّ، دار الوطن للنَّشر، الطَّبعة الأولى: (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، (ص٦٢) ومابعدها.

(١) العائرة: أي المتردِّدة. انظر: «النِّهاية في غريب الحديث والأثر»، لأبي السَّعادات المبارك بن محمَّد الجزريِّ بن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزَّاوي، ومحمود الطناحيِّ، المكتبة العلميَّة - بيروت، (٣/ ٣٢٨).

(٢) رواه مسلم، كتاب: صفات المنافقين، باب: بدون، برقم: (٢٧٨٤).

(٣) «دراسة قرآنية في النِّفاق وأثره»، د/ عادل الشديِّ، (ص٦٢).

بالحِمايةِ والنُّصرةِ، فما هو إِلَّا أَنْ هاجر إِلَيهم صلواتُ الله وسلامُه عليه حتَّىٰ اجْتمعوا حولَه وآمنوا به وانْصرفوا عن عَبْدِ الله بنِ أُبَيٍّ بنِ سَلُولٍ [١].

فأَكَلَ ذلك مِنْ نفسه غيظًا وحَنَقًا وحَسَدًا وكراهيَةً كلَّ مأْكَلٍ، حتَّىٰ إِذَا أَيْقَنَ عندها أَنَّ أَزِمَّةَ الزَّعامةِ قدْ أَفْلتتْ مِنْ يدِه.. وأَنَّ آمالَه العراضَ قدْ تبدَّدتْ كالسَّراب، وأَنَّ أَحْلامَه وأَمَانيه قدِ اعْتورها الفشلُ والخُسْرانُ؛ كلُّ هذا لمْ يكنْ ليزيدَه إِلَّا عِنَادًا وكُفْرًا، فأَخَذ يجمع حولَه مَنْ كانوا جبهةً مُعارِضةً من اليَهُودِ والمشركين؛ ليُحيك بِهم المُؤَامرات، ويُشعِلَ بهم نارَ الفِتْنة والفُرْقةِ والدَّسيسةِ، ويسعىٰ بِهم ومِنْ خلالِهم في المَدِيْنَةِ فسادًا[٢].

حتَّىٰ إِذَا ما تعاقبتِ الأَيَّامُ ونصَر اللهُ المؤمنين في غزوة بَدْرٍ، وكسَر ما كان للمشركين مِنْ شوكةٍ، عندها قال عَبْدُ الله بنُ أُبَيٍّ بنِ سَلُولٍ ومَنْ معه مِنَ المشركين وعَبَدَةِ الأَوْثان: هذا أَمْرٌ قد توجَّه. فَبايعوا رَسُولَ الله ﷺ علىٰ الإِسْلام، فأَسْلموا[٣]؛ لأَنَّ في إِشْهارهم الإِسْلامَ ما يحقِنون به دماءَهم، ويعصمون به أَموالَهم، ويُحافظون به علىٰ مكتسباتِهم.

٣ـ الكيدُ للإِسْلام ومحاربةُ أَهْلِه.

تمثَّل ذلك جليًّا في مواقفهم وجرائِمِهم وتَأْلِيبِهم علىٰ المُؤْمنين وإِثَارتِهم للقلاقل والفِتَنِ وتخريبِهم ونخرِهم مِنَ الدَّاخل مستثمرين كلَّ حدثٍ، ومبتهلين كلَّ فُرْصةٍ مع سبْق

(١) «وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفىٰ ﷺ»، للعلاَّمة السَّمْهُورِيِّ، تحقيق: محمَّد بن محيي الدِّين بن عبد الحميد، دار إحياء التُّراث العربيِّ - بيروت، (١/ ١٥٥)، وكذلك «ابن خلدون» (١/ ٢٩٠-٢٩٢)، و«سيرة ابن هشام» (٢/ ١٦٦)، وما بعدها.

(٢) انظر بتصرُّف: «حديث الإفك كما جاء في سورة النُّور وأثر المنافقين فيه»، لعبد الحكيم العبد اللَّطيف، من إصدارات نادي القصيم الأدبيِّ ببريدة، الطَّبعة : (١)، (ص ١١٥).

(٣) «فتح الباري»، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلانيُّ الشَّافعيُّ (٨/ ٧٩).

الإِصْرار والتَّرصُّدِ والتَّجسُّسِ والخِيانةِ مُتفيِّئِين مِنْ وراءِ ذلك أَنَّ ظاهرَهم يحكي أَمَامَ النَّاس الإِسْلامَ، وبواطنَهم قدِ انطوتْ على الكُفْرِ الصُّراحِ.. وصدق الله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾ [سورة البقرة:٩] ، ويقول عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝١٥﴾ [سورة البقرة:١٤-١٥].

٤ـ دورُ اليَهُودِ في نَشْأَةِ النِّفاق:

هناك مَنْ يُشير إِلَى أَنَّ مَنْشأَ فِكْرةِ النِّفاق في المجتمع المَدَنِيِّ هُمُ اليَهُودُ، بدليل قولِه تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٧٢﴾ [سورة آل عمران:٧٢] ؛ فهذه الآيةُ مَدَنِيَّةٌ[1] وفي هذا دلالةٌ على أَنَّ اليَهُودَ هُمْ سرُّ هذه النَّشْأَةِ، ولذلك كان مِنْ أَنْصار وأَتْباعِ ابنِ أُبَيٍّ بنِ سَلُولٍ يَهُودٌ مِنْ يَهُودِ المَدِينَةِ، فلا غَرْوَ أَنْ نجدَ ابنَ أُبَيٍّ بنِ سَلُولٍ يُواليهم ويذودُ عنهم ويضعُ نفسَه وإِيَّاهم في خندقٍ واحدٍ؛ عداءً للإِسْلام وأَهْلِه، وصدًّا عن سبيل الله.

تأَمَّلْ على سبيل المثال قولَه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝١١ لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١٢﴾ [سورة الحشر: ١١- ١٢] .

قال ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «يُخبِر تعالى عن المنافقين كعَبْدِ اللهِ بنِ أُبَيٍّ وأَضْرابِه،

---

(١) انظر «الدُّرُّ المنثور في التَّفسير بالمأثور»، عبد الرَّحمن بن الكمال جلال الدِّين السُّيوطيُّ، دار الفكر - بيروت، ١٩٩٣، (٢/ ٣)، و«الجامع لأحكام القرآن»، للقرطبيِّ، (٤/ ١)، فقد حكى الإجماع على ذلك .. و«فتح القدير»، للشَّوكانيِّ (١/ ٣١١).

(٢) هو: إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير، أبو الفداء، البصرويُّ، ثمَّ الدِّمَشْقيُّ الشَّافعيُّ، المعروف بابن كثير. مفسِّر، محدِّث، فقيه، حافظ، (ولد: ٧٠١ – توفي: ٧٧٤ هـ). =

حين بعثوا إِلَىٰ يَهُودَ بني النَّضير يَعِدُونَهم النُّصرة مِنْ أَنْفسهم، فأَنْزل تعالىٰ هذه الآياتِ»(١).

عن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خرَج رَسُولُ الله ﷺ يعود عَبْدَ الله بنَ أُبَيٍّ في مرضه الذي مات فيه، فلمَّا دخل عليه عرف فيه الموت، قال: «قَدْ كُنْتُ أَنْهَاكَ عَنْ حُبِّ يَهُودَ». قال: قدْ أَبْغَضَهم أَسْعَدُ بنُ زُرَارَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢) فمَهْ؟ وفي رواية «فمَاتَ»(٣). حتَّىٰ وهُوَ علىٰ فراش الموت كانتْ نفسُه تَأْبىٰ إِلَّا محبةَ يَهُودٍ؛ لِمَا بينهم مِنْ لُحْمَةٍ في الشَّرِّ ومَضَاءٍ في معاداة الله ورَسُولِه ﷺ والمُؤْمنين.

= قال العينيُّ وابن حبيب: كان قدوة العلماء والحفَّاظ، عمدة أهل المعاني والألفاظ، وسمع وجمع وصنَّف ودرَّس وألَّف. وكان له اطِّلاع عظيم في الحديث والتَّفسير والتَّاريخ، واشتهر بالضبط والتَّحرير، وانتهت إليه رياسة العلم في التَّاريخ والحديث والتَّفسير. من تصانيفه: «شرح تنبيه أبي إسحاق الشيرازي»، و«البداية والنِّهاية»، و«شرح صحيح البخاريِّ»، و«تفسير القرآن العظيم»، و«الاجتهاد في طلب الجهاد»، و«الباعث الحثيث إلىٰ معرفة علوم الحديث»، و«جامع المسانيد»، جمع فيه أحاديث الكتب السِّتَّة والمسانيد الأربعة.

ينظر: «الدُّرَر الكامنة في أعيان المائة الثَّامنة» لابن حجر (ج١ ص ٤٤٥). و«طبقات الحفَّاظ» للسُّيوطيِّ (ص ٥٣٣)، «شذرات الذَّهب»، لابن العماد (٦/ ٢٣١).

(١) انظر: «تفسير ابن كثير»، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشيُّ البصريُّ ثمَّ الدِّمشقيُّ، (٨/ ١٠٠)، وكذلك «محاسن التَّأويل»، محمَّد بن محمد سعيد بن قاسم القاسميُّ (٩/ ١٠٦) وغيرهما.

(٢) هو: أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النَّجَّار الأنصاريُّ، السَّيِّد، نقيب بني النَّجَّار، أبو أمامة الأنصاريُّ، الخزرجيُّ، من كبراء الصَّحابة، توفِّي شهيدًا بالذَّبحة، فلم يجعل النَّبيُّ -ﷺ- بعده نقيبًا علىٰ بني النَّجَّار، وقال: (أنا نقيبكم)، فكانوا يفخرون بذلك.

قال ابن إسحاق: توفِّي والنَّبيُّ -ﷺ- يبني مسجده قبل بَدْرٍ. قال أبو العبَّاس الدغوليُّ: قيل: إنَّه لقي النَّبيَّ -ﷺ- بمكَّة قبل العقبة الأولىٰ بسنة، مع خمسة نفر من الخزرج، فآمنوا به. «سير أعلام النُّبلاء»، للذَّهبيِّ (١/ ٢٩٩)، «الطبقات الكبرىٰ» (٣/ ٦٠٨).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب: الجنائز، باب: في العيادة، برقم: (٣٠٩٤)، وأحمد (٥/ ٢٠١)، وضعَّفه الألبانيُّ في «الضعيفة» (٦٥٩٨).

- براءةُ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١] مِنَ اليَهُودِ وتولِّي ابنِ سَلُولٍ لهم:

جاءَ عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ الأَنصاريُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢] إِلَى رَسُولِ الله ﷺ قائِلًا: يا رَسُولَ الله: إِنَّ لِي مَوَالِيَ مِنْ يَهُودٍ، كثيرٌ سِلاحُهم، قويَّةٌ أَنفُسُهم، شديدةٌ شوكتُهم، وإِنِّي أَبرأُ إِلَى الله ورَسُولِه مِنْ وِلَايَةِ يَهُودٍ، وأَتولَّى اللهَ ورَسُولَه والمُؤمِنين[٣].

هكذا يُعلِنها صريحةً واضحةً بلا مداهنةٍ ولا ملاينةٍ ولا التِقَاءٍ على مفترق الطُّرُق تحقيقًا وتصديقًا وتطبيقًا لرُكْن الولاءِ والبراءِ.. أَمَّا ابنُ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ فقدْ أَعْلَنَها هُوَ الآخَرُ صريحةً وبلا مُواربةٍ ولا تخفٍّ ولا اسْتِحْياءٍ مُظهِرًا ما انْطوتْ عليه خبيئَةُ نفسِه الآثمةِ وما يكِنُّه صدرُه مِنْ شغَفٍ بيَهُودَ وحدبٍ عليهم ومُوالاةٍ لهم فقال: إِنِّي رجلٌ أَخْشَى الدَّوائِرَ، ولا أَبرأُ مِنْ وِلايةِ مواليَّ؛ أَيْ يَهُودَ[٤].

كلُّ هذه الدَّلائِلِ والقرائِنِ تُشير إِلَى قوَّة قولِ مَنْ قال: إِنَّ أَصْلَ النَّشْأَةِ المنافقيَّةِ كان وراءَ فكرتِها وسَقْيِ نَبْتَتِها الخبيثةِ اليَهُودُ[٥].

---

(١) هو: عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاريُّ الخزرجيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان من النُّقباء الَّذين بايعوا رسول الله ﷺ ليلة العقبة، وشهد غزوة بدر وما بعدها، وخلع حلف بني قينقاع، وتبرَّأ إلى الله ورسوله ﷺ من حين نقضوا العهد الذي بينهم وبين النبي ﷺ.

بعثه عمر مع معاذٍ وأبي الدَّرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلى الشَّام؛ ليعلِّموا أهلها القرآن، ويفقِّهوهم في الدِّين، فأقام في فلسطين، وكان أوَّل من تولَّى القضاء فيها، ومات بالرَّملة سنة (٣٤ هـ). انظر في ترجمته: «أسد الغابة»، لابن الأثير (٣/ ١٦٠) و«الاستبصار» (١٨٨ - ١٨٩)، «تاريخ الإسلام»، للذَّهبيِّ (٢/ ١١٨)، «شذرات الذَّهب»، لابن العماد الحنبليِّ (١/ ٤٠ - ٦٢) «الإصابة في تمييز الصَّحابة»، لابن حجر (٥/ ٣٢٢)، «سير أعلام النُّبلاء»، للذَّهبيِّ (٢/ ٥) و«مجمع الزَّوائد» (٩/ ٣٢٠).

(٢) انظر «جامع البيان في تأويل القرآن»، أبو جعفر محمد بن جرير الطبريُّ، دار الكتب العلميَّة - بيروت، الأولى (١٤١٢ - ١٩٩٢)، (٦/ ١٧٧)، و«تفسير البغوي» لسورة المائدة، آية (٥١).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٣٠١)، والطبريُّ في «تفسيره» (٦/ ٢٨٧) من طريق عطيَّة العوفيِّ مرسلًا.

(٤) انظر: «السيرة» لابن هشام (٢/ ٤٩).

(٥) انظر تفصيل ذلك في «السِّيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية»، د/ مهدي رزق الله، دار إمام الدعوة للنشر والتوزيع - ١٤٢٤هـ، الطبعة: الثانية، (١/ ٤٥١-٤٥٢-٤٥٣-٤٥٤).

ويشهد لهذه العلاقةِ الوثيقةِ بين رَأْسِ المنافقين واليَهُودِ شفاعتُه لهم لَمَّا نقَض بنُو قَيْنُقَاعَ العهدَ والميثاقَ(١) ، فقدِم ابنُ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ على النَّبيِّ ﷺ بعد أَنْ أَمْكَنَه اللهُ مِنْ يَهُودِ بنِي قَيْنُقَاعَ، وكتَّفهم الصَّحابةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ انتظارًا لحُكْمه فيهم ﷺ فقال: يا مُحَمَّدُ أَحْسِنْ في موالي - وكانوا حُلَفاءَ الخَزْرَجِ - قال: فأبْطأَ عليه رَسُولُ الله ﷺ فقال: يا مُحَمَّدُ أَحْسِنْ في موالي. قال: فأَعْرَضَ عنه، فأَدْخَلَ رَأْسُ المنافقين يدَه في جَيْبِ دِرْعِ رَسُولِ الله ﷺ فقال له النَّبيُّ الكريمُ ﷺ: «أَرْسِلْنِي».

وغضِب رَسُولُ الله ﷺ حتَّى رَأَوْا لوَجْهِه ظُلَلًا ثُمَّ قال: «وَيْحَكَ أَرْسِلْنِي»، قال: لا والله لا أُرْسِلُك حتَّى تحْسُنَ في موالي، أَرْبعمِائَةِ حاسرٍ وثلاثِ مائَةِ امْرِئٍ، أَخْشى الدَّوائِرَ. قال: فقال رَسُولُ الله ﷺ: «هُمْ لَكَ». (هذه الرِّوايةُ ضعيفةٌ)(٢).

وعلى هذا يظلُّ القولُ بأَنَّ طابورَ النِّفاق بالمَدِيْنَةِ إنَّما كانتْ نَشْأَةُ فِكْرتِه مِنْ قِبَلِ يَهُودٍ قولٌ له اعْتبارُه ووجاهتُه وقُوَّتُه.

٥ـ حادثةُ تحويلِ القِبْلَة عن بيت المَقْدِسِ إلَى الكَعْبَةِ.

إنَّ المُؤْمِنَ المصدِّقَ بوعد الله وموعودِه لا تزيده الأَحْداثُ الكبارُ إلَّا رُسوخًا في الإيْمان وثباتًا على المَبْدَأِ؛ فلا يجعل لـ (لِمَ وكيف) سُلْطانًا على قلبه، بلْ يتلقَّى جميعَ الأَوَامِرِ والنَّواهي والتَّشريعاتِ بالتَّسْليمِ الكاملِ، والانْقيادِ التَّامِّ.

---

(١) انظر من قالوا بهذا الرأي وذهبوا إليه: كالشيخ/ عبد الرحمن قصاص في رسالته الماجستير «النفاق والمنافقون في ضوء السنة النبوية»، وكذلك إبراهيم علي السالم في «كتابه النفاق والمنافقون» (ص٧٦).

(٢) أخرجه ابن هشام في سيرته (٢/ ٤٨)، و«المغازي النبوية»، محمد بن عمر الواقدي، عالم الكتب، الطبعة الثالثة (١٤٠٤هـ)، (٢/ ٤٨)، ومن طريقه «الطبقات الكبرى»، لأبي عبد الله محمد بن سعد البصري، دار صادر - بيروت - لبنان، (١٤٠٥-١٩٨٥)، (٢/ ٢٩)، ومن طريقهما الطبري في «تاريخه» (٢/ ٤٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ١٧٤)، وضعفه علوي السقاف في تخريجه لـ «الظلال» (ص٢٥٤).

أَمَّا المُنافقُ الذي لمْ تُخالط قلبَه بشاشةُ الإيمان فلا تزيده الأَحداثُ إِلَّا اضْطِرابًا وتَذَبْذُبًا؛ فقدْ جعَل قلبَه مقرًّا للإِيرادات والشُّبُهاتِ، فلا يسْلَمُ مِنْ فتنةٍ إِلَّا ويقعُ في غيرها.

هذا ولقد كانتْ حادثةُ تحويلِ القِبْلة مِنْ بيت المَقْدِسِ إِلَىٰ الكَعْبَةِ المُشرَّفةِ اخْتبارًا وابْتِلاءً مِنَ الله عَزَّوَجَلَّ لطوائِفِ البَشَر؛ ليتميَّز المُؤْمِنُ مِنَ المنافقِ والكافرِ والمُشْرِكِ؛ فأَهْلُ الإِيمان قالوا: سمعْنا وأطعْنا، بلْ إِنَّ بعضَهم تحوَّل في صلاته مِنْ بيت المَقْدِسِ إِلَىٰ الكَعْبَةِ بعد أَنْ نادىٰ مُنادٍ بذلك وهُمْ في صلاتِهم، أَمَّا المنافقون واليَهُودُ والمشركون فقدِ اختلفتْ إِيراداتُهم علىٰ هذه الحادثةِ، إِلَّا أَنَّها جميعًا تتَّفق علىٰ الكُفْرِ والضَّلالِ والحيرةِ والتَّكْذيبِ.

أَخْرَجَ الطَّبَرِيُّ مِنْ طريق أَسْبَاطِ بنِ نَصْرٍ(١) عن السديِّ(٢) قال: «كَانَ النَّبِيُّ

---

(١) هو: أسباط بن نصر الهمداني، أبو يوسف، ويقال: أبو نصر الكوفي. روىٰ عن: إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، وجابر بن يزيد الجعفي، والحكم بن عبد الملك، وسماك بن حرب، ومنصور بن المعتمر، وميسرة الأشجعي.
روىٰ عنه أحمد بن المفضل الحفري الكوفي (د س)، وإسحاق بن منصور السلولي، والحسن بن بشر البجلي، قال حرب بن إسماعيل : قلت لأحمد: كيف حديثه؟ قال: ما أدري. وكأنه ضعفه. وقال أبو بكر ابن أبي خيثمة، عن يحيىٰ بن معين: ثقة . وقال أبو حاتم : سمعت أبا نعيم يضعف أسباط بن نصر، وقال: أحاديثه عامته سقط مقلوب الأسانيد. وقال محمد بن مهران الجمال : سألت أبا نعيم عنه، فقال: لم يكن به بأس، غير أنه كان أهوج. وقال النسائي: ليس بالقوي. «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي (٢/ ٣٥٧)، «تاريخ الإسلام»، للذهبي (٤/ ٣٠٤).
(٢) هو: إسماعيل بن عبد الرحمن ابن أبي كريمة السدي أبو محمد القرشي الكوفي الأعور، مولىٰ زينب بنت قيس بن مخرمة، وقيل: مولىٰ بني هاشم، أصله حجازي، سكن الكوفة، وكان يقعد في سدة باب الجامع بالكوفة، فسمي السدي، وهو السدي الكبير.
روىٰ عن: أنس بن مالك، وغيره. روىٰ عنه أسباط وغيره. قال عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الدورقي، عن يحيىٰ ابن معين: السدي صاحب التفسير اسمه إسماعيل بن عبد الرحمن ابن أبي =

ﷺ يُصلِّي قِبَلَ بيتِ المَقْدِسِ فنسختْها الكَعْبَةُ، فلمَّا وُجِّه قِبَلَ المسجدِ الحرامِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فكانوا أَصْنافًا: فقال المنافقون: ما بالُهم كانوا على قِبْلةٍ زمانًا ثُمَّ تركوها وتوجَّهوا إِلَىٰ غيرها؟ وقال المسلمون: ليتَ شعرنا عن إِخْواننا الذين ماتوا وهُمْ يُصلُّون قِبَلَ بيتِ المَقْدِسِ هلْ تقبَّل اللهُ منَّا ومنهم أَوْ لا؟

وقالتِ اليَهُودُ: إنَّ مُحَمَّدًا اشْتَاقَ إِلَىٰ بلد أَبِيه ومولِده، ولوْ ثبَت علىٰ قِبْلَتِنا لَكُنَّا نرجو أَنْ يكونَ هو صاحبَنا الذي كنَّا ننتظر. وقال المشركون من أَهْلِ مَكَّةَ: تحيَّر علىٰ مُحَمَّدٍ دِينُه فتوجَّه بِقِبْلَتِه إِلَيكم، وعلم أَنَّكم كنتم أَهْدىٰ منه، ويُوشك أَنْ يدخل في دينكم. فأَنْزل اللهُ – جلَّ ثناؤُه – في المنافقين: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً

= كريمة. وقال علي بن المديني، عن يحيىٰ بن سعيد: لا بأس به، ما سمعت أحدا يذكره إلا بخير، وما تركه أحد.

وقال أبو طالب، عن أحمد بن حنبل: السدي ثقة. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل : سألت يحيىٰ بن معين عن السدي وإبراهيم بن مهاجر، فقال: متقاربان في الضعف. قال: وسمعت أبي، قال: قال يحيىٰ بن معين يومًا عند عبد الرحمن بن مهديٍّ، وذكر إبراهيم بن مهاجر والسدي، فقال يحيىٰ: ضعيفان، فغضب عبد الرحمن وكره ما قال.

وقال عمرو بن علي: سمعت رجلًا من أهل بغداد من أهل الحديث، ذكر السدي، يعني لعبد الرحمن بن مهدي – فقال: ضعيف. قال عبد الرحمن: وقال سفيان الثوري: سألت يحيىٰ بن معين عن السدي، فقال: في حديثه ضعف. وقال أبو أحمد ابن عدي: سمعت ابن حماد يقول: قال السعدي: هو كذاب شتام؛ يعني السدي.

وقال أيضًا: حدثنا محمد بن صالح بن ذريج، قال: حدثنا جبارة، قال: حدثنا عبد الله بن بكير، عن صالح بن مسلم، قال: مررت مع الشعبي علىٰ السدي، وحوله شباب يفسر لهم القرآن، فقام عليه الشعبي، فقال ويحك، لو كنت نشوان (أي سكران) يضرب علىٰ استك بالطبل، كان خيرا لك مما أنت فيه. «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي (٣/ ١٣٢)، «لسان الميزان» ت: أبي غدة (٩/ ٢٦٠).

وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ﴾ [سورة البقرة:١٤٢-١٤٣]، وأنزل اللهُ في آخرين الآيات التي بعدها»(١).

وفي هذه الرِّوايةِ جاءَ التَّصْريحُ بأنَّ الآيةَ نزلتْ في المنافقين، كما أنَّها أَوْضَحَتْ التَّبايُنَ بين موقفِ المُسْلِم والمنافقِ مِنْ أَمْثال هذه الأَحْداثِ؛ فالمنافق يَعُدُّ ذلك اضْطِرابًا في التَّشْريع؛ لأَنَّه غير مُؤْمِنٍ به في الأَسَاسِ، فيظهر نفاقُه، ويتَّضح، ويفْتَضِح عِنْدَ أَمْثالِ هذه الحادثةِ، أَمَّا المُؤْمِنُ فيزداد إِيمانًا وتسليمًا، ولا يتساءَلُ إِلَّا عن قَبول الله لصلاةِ إِخْوانِه الذين ماتوا وهُمْ يُصلُّون إِلَى بيت المَقْدِسْ.

قال ابنُ تَيْمِيَّةَ: «فتبيَّن أَنَّ من المنافقين مَنْ كان آمنْ ثُمَّ كفَر باطنًا، وهذا ممَّا اسْتفاض به النَّقْلُ عند أَهْل العلم بالحديث والتَّفْسير والسِّير؛ أَنَّه كان رجالٌ آمنوا ثُمَّ نافقوا، وكان يجري ذلك لأَسْبابٍ، منها أَمْرُ القِبْلةِ؛ لَمَّا حُوِّلتِ، ارْتدَّ عن الإِيمان لأَجْل ذلك طائِفَةٌ، وكانتْ مِحْنَةً امْتَحَنَ الله بها النَّاسَ؛ قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ﴾ [سورة البقرة:١٤٣].

قال: «أَيْ إِذَا حُوِّلت، والمعنى أَنَّ الكَعْبَةَ هي القِبْلةُ التي كان في علمنا أَنْ نجعلَها قِبْلَتكم؛ فإِنَّ الكَعْبَةَ ومسجدَها وحرمَها أَفْضلُ بكثيرٍ مِنْ بيت المَقْدِسِ، وهي البيتُ العتيقُ، وقِبْلةُ إِبْرَاهِيمَ وغيرِه من الأَنْبِيَاءِ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ ولمْ يَأْمِرِ اللهُ قطُّ أَحَدًا أَنْ يُصلِّيَ إِلَى بيت المَقْدِسِ لا مُوسَى ولا عِيْسَى ولا غيرَهما صلَّى الله عليهم جميعًا لنجعلَها لك قِبْلَةً دائِمةً ولكنْ جعلْناها أَوَّلًا قِبْلةً لنَمْتحنَ بتحويلك

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢/ ١٢) وقال ابن حجر في «العجاب» (١/ ٣٩٨): وأخرجه من طريق عبد الرحمن بن زيد بن أسلم نحوه.

عنها النَّاس، فيتبيَّن مَنْ يتَّبعُ الرَّسُولَ ممَّن ينقلَّب علىٰ عَقِبَيْهِ، فكان في شرعِها هذه الحِكْمةُ»(١).

وهذا ما حصَل بالفِعْل؛ فقدِ انقَلَبَ المنافقون علىٰ أَعْقابِهم، وكانتْ حادثةُ تحويلِ القِبْلَةِ سببًا مِنْ أَسْبابِ ظهور النِّفاق علىٰ عهد النَّبيِّ ﷺ.

٦ ـ هزيمةُ المسلمين يومَ أُحُدٍ:

وكذلك فإنَّ مِنَ الأَسْباب التي أَدَّتْ إِلَىٰ ظهور النِّفاق في عصر التَّنْزِيل هو ما حدث للمسلمين في غزوةِ أُحُدٍ من كَسْرٍ وهزيمةٍ. لقدْ كان انْتِصارُ المسلمين العظيمُ في بَدْرٍ سببًا كافيًا لجعْلِ كثيرٍ مِنْ مشركي المَدِيْنَةِ يتظاهرون بالولاءِ لهذه القُوَّةِ المسلمةِ الوليدةِ التي تغلَّبت علىٰ أَقْوىٰ قبائِلِ الجزيرةِ العربيَّةِ في وقعةٍ مشهودةٍ، ولكنْ لم تمض سنةٌ كاملةٌ حتَّىٰ امْتَحَنَ اللهُ تعالىٰ سائِرَ مَنْ يُظهرون الإِيمانَ بالله والنُّصْرةَ لدِينه بهزيمة المسلمين يوم أُحُدٍ، فتبيَّنَ المُؤْمنون حقًّا، وتبيَّن المنافقون حقًّا الذين ظَهر نفاقُهم بسبب هذه الحادثةِ العظيمةِ التي أَنْزَلَ اللهُ فيها قولَه سبحانه: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ [سورة آل عمران:١٦٦-١٦٧].

قال ابنُ تَيْمِيَّةَ: «كذلك لَمَّا انهزم المسلمون يوم أُحُدٍ وشُجَّ وجهُ النَّبيِّ ﷺ وكُسِرت رُباعيَّتُه، ارتدَّ طائِفَةٌ نافقوا؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [سورة آل عمران:١٣٩-١٤٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ»، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (٧/ ٢٧٨).

نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [سورة آل عمران:١٦٦-١٦٧].

فقولُه سبحانه: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٧] ظاهرٌ فيمن أَحْدَثَ نفاقًا، وهو يتناول مَنْ لمْ يُنافِقْ قبلُ، ومَنْ نافق ثُمَّ جدَّد نفاقًا ثانيًا، وقولُه: ﴿هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾ [سورة آل عمران:١٦٧] بيَّن أنَّهم لمْ يكونوا قبلَ ذلك أَقْربَ منهم، بلْ أَنْ يتساووا أَوْ أَنْ يكونوا للإيمان أَقْربَ، وكذلك كان؛ فإِنَّ ابنَ أُبِيٍّ انْخَذَلَ عن النَّبيِّ ﷺ يوم أُحُدٍ، فانْخَذَلَ معه ثُلُثُ النَّاس. قيل: كانوا نحو ثلاثمائةٍ[(١)]، وهؤلاء لم يكونوا قبل ذلك كلُّهم منافقين في الباطن؛ إِذْ لمْ يكنْ لهم داعٍ إِلَى النِّفاق»[(٢)].

ومن المعلوم أَنَّ المنافقين إِنَّما اضْطُرُّوا قبل ذلك لكتم مُعْتَقَدَاتِهم؛ لما يرونه مِنْ قُوَّةِ المسلمين وانْتِصاراتِهم، لكنَّهم لَمَّا رَأَوْا ما حلَّ بالمسلمين يوم أُحُدٍ تصوَّروا أَنَّ الباطلَ سينتصر، وأَنَّ الحقَّ سيندحر، فظهر منهم النِّفاقُ، واستبان أَمْرُهم، فكانتْ هزيمةُ المسلمين في أُحُدٍ سببًا مِنْ أَسْباب ظهورِ النِّفاق في عصر التَّنْزيل. والله أَعْلَمُ[(٣)].

بعد هذا العرضِ لأَسْباب ظهور النِّفاق دونك مُلخَّصَها:

١ - نفسيَّةٌ قلبيَّةٌ.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٤/ ٩)، ومن طريقه الطبري في «التفسير» (٤/ ١٦٨)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٧٦٣٨).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ»، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، (٧/ ٢٧٩).

(٣) «دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة»، د/ عادل بن علي الشدي، (٦٩).

٢- الخوفُ الشَّديدُ والجُبْنُ الأَكِيدُ.

٣- الكيدُ للإِسْلام ومحاربةُ أَهْلِه.

٤- دورُ اليَهُودِ في نَشْأَةِ النِّفاق.

٥- تحويلُ القِبْلة.

٦- انتصار المسلمين يوم الفرقان يوم التقى الجمعان .

٧- هزيمةُ المسلمين يوم أُحُدٍ.

ثالثا: كثرة المنافقين وخفاؤهم:

أَمَّا في زمن النُّبوَّةِ فكان لهم ثِقَلٌ ووَزْنٌ وأَتْباعٌ وشوكةٌ، والدَّليلُ أَنَّهم انصرفوا يوم غزوة أُحُدٍ وكانوا ثُلُثَ الجيش، ثُمَّ إِنَّهم بزعمهم الكاذبِ بنصرتهم لحلفائِهم من اليَهُودِ ما يدلُّ على اعتزازهم بكثرتهم الكاثرة؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة الحشر: ١١].

أَمَّا بعد وفاة النَّبيِّ ﷺ فقد تلاشتْ أَعْدادٌ كبيرةٌ منهم، وإِلَّا لَمَا تردَّدوا لحظةً واحدةً عن انتهاز الفُرْصةِ التَّاريخيَّةِ لهم مُمَثَّلةً في ارتداد قبائِلِ العرب عن دَفْعِ الزَّكاة وقِلَّةِ عدد المسلمين في مَكَّةَ والمَدِينةِ، بلْ إِنَّه لمْ يكنْ لهم وُجودٌ في الحوار الذي كان بين الخليفةِ الأَوَّلِ وبقيَّةِ الصَّحابة الذين كانوا يُعارِضونه في أَوَّل الأَمْر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ لَمَّا أَرادَ قتالَ مانعي الزَّكاة!!

ولسائِلٍ أَنْ يَسْأَلَ: فهل تبخَّرت أَعْدادُ المنافقين بمُجرَّدِ وفاة النَّبِيِّ ﷺ؟

ونقتبس الإِجابَةَ من مُحْكَمِ التَّنْزيل؛ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ



بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾ [سورة النساء:١٤٥-١٤٦].

فبابُ التَّوبةِ المفتوحُ قد اتَّسع لكثيرٍ ممَّن كانوا منافقين ثُمَّ آمنوا واستقاموا، تمامًا كما قال حُذَيْفَةُ بنُ اليمانِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حديثه لبعض التَّابعين في حَلْقَةِ عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

والحديثُ هو ما رواه الأَسْوَدُ بنُ يَزِيدٍ النَّخَعِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١) قال: «كنَّا في حَلْقَةِ عَبْدِ الله بنِ مَسْعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فجاءَ حُذَيْفَةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حتَّى قام علينا فسلَّم ثُمَّ قال: لقدْ أُنزِلَ النِّفاقُ على قومٍ خيرٍ منكم، فقُلْنَا: سُبْحَانَ الله!! فإِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة النساء:١٤٥]، فتبسَّم عَبْدُ الله وجلس حُذَيْفَةُ في ناحية المسجد فقام عَبْدُ الله وتفرَّق أَصْحابُه، فرماني بالحصباءِ فأَتَيْتُه فقال

(١) هو: الأسود بن يزيد بن قيس النخعي، أبو عمرو، ويقال: أبو عبد الرحمن الكوفي، أخو عبد الرحمن بن يزيد، وابن أخي علقمة بن قيس، وكان أسن من علقمة، ووالد عبد الرحمن بن الأسود، وخال إبراهيم النخعي، قال أبو طالب، عن أحمد ثقة، من أهل الخير. قال الذهبي: وكان من العبادة والحج على أمر كبير؛ فروى شعبة، عن أبي إسحاق قال: حج الأسود ثمانين من بين حجة وعمرة. وقال ابن عون: سئل الشعبي، عن الأسود بن يزيد، فقال: كان صوامًا قوامًا حجاجًا.

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثنا عبد الله بن صندل، قال: حدثنا فضيل بن عياض، عن ميمون، عن منصور، عن إبراهيم، قال: كان الأسود يختم القرآن في رمضان في كلِّ ليلتين، وكان ينام بين المغرب والعشاء، وكان يختم القرآن في غير رمضان في كلِّ ستِّ ليال.

وقال يحيى بن سعيد القطَّان: حدَّثنا يزيد بن عطاء، عن علقمة بن مرثد قال: كان الأسود يجتهد في العبادة؛ يصوم حتى يخضرَّ ويصفرَّ، فلمَّا احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟ فقال: ما لي لا أجزع، والله لو أتيت بالمغفرة من الله لأهمني الحياء منه مما قد صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين آخر الذنب الصغير، فيعفو عنه، فلا يزال مستحييًا منه. «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزيِّ (٣/ ٢٣٣)، «تاريخ الإسلام» (٢/ ٧٩٠).

حُذَيْفَةُ: عَجِبْتُ مِنْ ضَحِكِهِ وقدْ عَلِم ما قُلْتُ، لقدْ أُنزِلَ النِّفاقُ على قومٍ كانوا خيرًا منكم ثُمَّ تابوا فتاب اللهُ عليهم»(١).

وما مِنْ ريبٍ في أَنَّ:

١- هلاكَ رَأْسِ النِّفاقِ في المدينة: ابنِ أُبَيٍّ بنِ سَلُولٍ في السَّنةِ التَّاسعةِ للهِجْرة.

٢- وفتحَ مَكَّةَ في رَمَضَانَ من السَّنةِ الثَّامنةِ.

٣- ودخولَ العرب في دِين الله أَفْواجًا قُبيلَ انْتِقالِ النَّبِيِّ الكريم ﷺ إلى جِوارِ ربِّه.

كلَّها كانت عواملَ تُؤَازِرُ هذا الخطَّ، حتَّى قال الرَّسُولُ ﷺ في حديثٍ رواه مُسْلِمٌ عن جَابِرِ بنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢) مرفوعًا: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِن فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»(٣).

وهناك دليلٌ آخَرُ على قِلَّتِهم وتناقُصِهم في قوله تبارك وتعالى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار)، برقم: (٤٣٢٦).

(٢) هو جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شهد العقبة وغزا مع النبي ﷺ جميع غزواته سوى غزوتي بدر وأحد منعه أبوه من المشاركة فيها؛ ليكون عند أخواته، فلما استشهد أبوه في أحد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا تزوج امرأة ثيِّبًا تكون عند أخواته فلم يتخلف بعدها عن غزوة، روى عن المصطفى ﷺ أحاديث كثيرة وله في مسجد النبي ﷺ حلقة يلقي فيها الحديث والعلم، توفي في المدينة سنة (٧٤هـ). انظر في ترجمته الجرح والتعديل (٢/ ٤٩٢) ومشاهير علماء الأمصار (٢٥) و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر (٢١٩) و«تهذيب التهذيب» (١/ ٩٩)، «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر (١/ ٢١٣)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٣/ ١٨٩).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس، برقم: (٧٢٨١).



يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ [سورة الأحزاب:٦٠-٦١]

فمِنَ الثَّابت أَنَّ الله ما أَغْرىٰ نَبِيَّه ﷺ بِهم، فلم يُخْرِجْهم ﷺ من المَدِيْنَةِ، ولم يقتُلْهم، وهو ما يُؤَكِّدُ انْتِفاءَ شرطِ الوعيدِ الإلهيِّ الجازمِ المُقترِنِ بالقَسَمِ، وهو ما تَأَكَّدَ في الوعيد للمنافقين بأَنْ يقاتلوا في حروب الرِّدَّة، وإِلَّا فإِنَّ اللهَ سيُعذِّبُهم عذابًا شديدًا: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ [سورة الفتح:١٦]، ولم يتخلَّفْ عن قتال المُرتدِّين ومانعي الزَّكاةِ أَحَدٌ ممَّن كان يظهر إِسْلامه!!

من مجموع هذا يتبيَّن أَنَّ الحِكْمةَ من لائِحَةِ أَسْمائِهم مع حُذَيْفَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، هي أَنَّ المنافقين باتوا قِلَّةً لا يُؤْبَه بها، فما كانوا لينكشفوا مِثْلَما انكشفوا مرارًا في العهدِ النبويِّ، عند تخلُّفِهم عن الغزوات، أَوْ نكوصِهم في أَثْناءِ الطَّريق إِلَيها، ليثبطوا من عزيمة المُؤْمِنين، أَوْ عندما يُهيِّئون مسجدَ الضِّرارِ لتمزيق وحْدَةِ الصَّفِّ المسلم.. فكانتْ وظيفةُ حُذَيْفَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنْ يفضحَ هؤلاء القِلَّةِ إِذَا ما حاولوا إِثَارةَ الفِتَن، أَوِ التَّصدِّي لمواقع قيادية، أَوْ ممارسةَ التَّحريف في أَيِّ شكلٍ مِنْ أَشْكاله[1].

وفي بعض الرِّوايات ما يُشير إِلَىٰ تناقُصِهم:

ففي «صحيح البُخَارِيِّ» قال زَيْدُ بنُ وَهْبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ

(١)«براءة الصحابة من النفاق»، لمنذر الأسعد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة:١، (١٤١٧ - ١٩٩٧)، (٧٤-٧٥)، بتصرف يسير.

(٢) هو زيد بن وهب الجهني أبو سليمان الكوفي مخضرم ثقة جليل لم يصب من قال في حديثه خلل، أدرك الجاهلية وأسلم في حياة النبي ﷺ وهاجر إليه فبلغته وفاته في الطريق، سكن الكوفة =

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: مَا بَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ هذه الآيةِ يعني: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾ [سورة التوبة:١٢] إِلَّا ثَلَاثَةٌ، وَلَا بَقِيَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ إِلَّا أَرْبَعَةٌ. فقال أَعْرَابِيٌّ: إِنَّكُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ تُخْبِرُونَنَا أَخْبَارًا لَا نَدْرِي مَا هِيَ؟! تَزْعُمُونَ أَنْ لَا مُنَافِقَ إِلَّا أَرْبَعَةٌ، فَمَا بَالُ هؤلاء الَّذِينَ يَبْقِرُون بُيُوتَنَا - أَيْ يفتحونها ويُوسِعونها - ويَسْرِقُون أَعْلَافَنَا؟ قال: أُولَئِكَ الفُسَّاقُ، أَجَلْ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا أَرْبَعَةٌ أَحَدُهُمْ شَيْخٌ كَبِيرٌ لَوْ شَرِبَ الْمَاءَ لَمَا وَجَدَ بَرْدَهُ»(١).

قال ابنُ حَجَرٍ: أَيْ لِذهاب شهوتِه وفسادِ مَعِدَتِه، فلا يفرِّق بين الأَلْوانِ ولا الطُّعومِ.

ومِن الرِّوايات ما جاءَ في «صحيح مُسْلِمٍ» أَنَّ قَيْسَ بنَ عُبَّادَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢) قال:

= وصحب عليًّا ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مات بعد الثمانين. وقيل: سنة ٧٦هـ. انظر في ترجمته «التقريب» (٢٢٥) و«أسد الغابة»، لابن الأثير (١/ ٤٠٧).

(١) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: (فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم)، برقم: (٤٣٨١).

(٢) هو: قيس بن عباد الضبعيُّ أبو عبد الله البصريُّ، ثقة، من الثانية، مخضرم، عداده في الشَّاميِّين، روى عن: عمر، وعليٍّ، وأُبيِّ بن كعب، وأبي ذرٍّ، وعمَّار بن ياسر، وجماعة. روى عنه: الحسن، وابن سيرين، وأبو مجلز لاحق بن حميد، وأبو نضرة المنذر بن مالك، وغيرهم.

وكان كثير العبادة والغزو، ولكنَّه شيعيٌّ، وقد رحل إلى المدينة، وصلى مع عمر. وروى الحكم بن عطية، عن النضر بن عبد الله: أن قيس بن عباد وفد إلى معاوية، فكساه ريطة من رياط مصر، فرأيتها عليه قد شق علمها. وقال ابن سعد: كان ثقة قليل الحديث. وقال يونس المؤدب: حدثنا عبيد الله بن النضر، عن أبيه، عن قيس بن عباد: أنه كانت له فرس عربية، كلما نتجت مهرًا حمل عليه - إذا أدرك - في سبيل الله، وكان إذا صلى بهم الغداة لم يزل يذكر الله حتى يرى السقائين قد مروا بالماء، مخافة أن يصير أجاجًا أو يصير غورًا، أو حتى تطلع الشمس من مطلعها، مخافة أن تطلع من مغربها. انظر في ترجمته «الإصابة» (٥/ ٥٣٥)، «أسد الغابة»، لابن الأثير (١/ ٩٢٢) و«التقريب» (٤٥٧هـ).



«قُلْتُ لعَمَّارٍ: أَرَأَيْتُمْ صَنِيعَكُمْ هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمْ فِي أَمْرِ عَلِيٍّ، أَرَأْيًا رَأَيْتُمُوهُ أَمْ شَيْئًا عَهِدَهُ إِلَيْكُمْ رَسُولُ الله ﷺ؟ فقال: مَا عَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ شَيْئًا لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَلَكِنْ أَخْبَرَنِي حُذَيْفَةُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَعْلَمَهُ اثْنَيْ عَشَرَ مُنَافِقًا مِنْهُمْ ثَمَانِيَةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، وَأَرْبَعَةٌ لَمْ أَحْفَظْ مَا قَالَ شُعْبَةُ فِيهِمْ»(١).

وفي روايةٍ: «ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ تَكْفِيكَهُمُ الدُّبَيْلَةُ». سراجٌ من النَّار يظهر في أكتافِهم حتَّى يَنْجُمَ في صُدُورِهم(٢).

ثُمَّ عاد النِّفاقُ في مرحلتِه الثَّانيةِ وطورِه الجديدِ، فكانتْ بداياتُ انْبعاثِه وتفاقُمِه في أَوَاخِرِ خِلافةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على يَدِ عَبْدِ الله بنِ سَبَأٍ اليَهُودِيِّ وما كان له مِنْ دورٍ بارزٍ في إِثَارة الفتنة التي عصفتْ بالمَدِينَةِ النَّبوِيَّةِ، وبخليفةِ المسلمين عُثْمَانَ بنِ عفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتَّى كانتْ نهايتُها أَنِ استُبِيح دمُه، وقُتِل شهيدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

نعمْ، لقدْ سلك عَبْدُ الله بنُ سَبَأٍ الطَّرِيقَ ذاتَه الذي كان عليه ابْنُ أُبَيٍّ بنِ سَلُولٍ، فأَظْهر الإِسْلامَ، وأَبْطن الكُفْرَ، وكان قَاتَلَهُ الله يُذْكِي نارَ الفِتْنة ويزيدُ في حَطَبِها ويتحرَّكُ هنا وهناك، فقدْ ظهر في الحِجازِ قبل سنةِ ثلاثين هجريَّةً ثُمَّ توجَّه للبَصْرَةِ ثُمَّ الكُوفَةِ ثُمَّ رحل إِلَى الشَّام ثُمَّ غادر إِلَى مِصْرَ كلُّ ذلك ليَنْظِمَ عِقْدَ المُؤامَرة، ويَفْتِلَ حَبْلَ الفُرْقة، ويزْرَعَ بُذُورَ الشِّقاق جاهدًا جُهْدَه في تكثير أَتْباعِه، وإِنْفاذِ خُطَطِه، وتحقيقِ أَهْدافه(٣).

ولعلَّك تلحظ أَخِي الكريمُ أَنَّه نبتةٌ يهوديَّةٌ، وهذا يعود بنا إِلَى ما ذُكِر سابقًا مِنْ كون اليَهُودِ هُمْ مناخَه الوَخِيمَ في زمن الرِّسالة، كما هُمْ تربته الرَّدِيئَةُ في طورِه الجديدِ.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: صفات المنافقين، باب: بدون، برقم: (٢٧٧٩).
(٢) أخرجه مسلم، كتاب: صفات المنافقين، باب: بدون، برقم: (٢٧٧٩/ ٢).
(٣) انظر مبحثًا كاملًا عن سيرة ابن سبأ.

وتأمَّلْ معي ما ذكَره ابنُ إِسْحَاقَ في سيرته حيث قال: «ونصبتْ عند ذلك أَحْبارُ اليهود لرَسُولِ الله ﷺ العداوةَ بغيًا وحسدًا وأَضَافَ إِلَيهم رجالٌ من الأَوْسِ والخَزْرَجِ، فكانوا أَهْلَ نفاقٍ، وكان هَوَاهُمْ مع يهود»[1].

وقد ذكَر ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة البقرة:١٤] ، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وشياطينُهم سادتُهم وكُبَرَاؤُهم ورُؤَساؤُهم مِنْ أَحْبار اليَهُودِ ورُؤُوسِ المشركين والمنافقين»[2].

لذا قال الحَسَنُ البصريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لولا المنافقون لاسْتَوْحَشْتُمْ في الطُّرُقات»[3].

وقال ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كاد القُرْآنُ أَنْ يكون كلُّه في شأْنِهم؛ لكثرتهم على ظهر الأَرْض، وفي أَجْواف القبور، فلا خلتْ بقاعُ الأَرْض منهم؛ لئَلَّا يستوحشَ المُؤْمنون في الطُّرُقات، وتتعطَّلَ بهم أَسْبابُ المعايش، وتَخْطَفَهم الوُحوشُ والسِّباعُ في الفَلَوات»[4].

لذا كان للمنافقين ذُرِّيَّةٌ وأَحْفادٌ يتعاقبون على مرور الأَزْمان جِيلًا بعد جِيلٍ يسيرون على خُطى أَسْلافِهم بوسائِلَ معاصرةٍ وأَسَاليبَ مُبْتكرةٍ.

من ذلك ماكان مِنْ شَأْنِ: الفِرَق الباطنيَّةِ المُظْهِرةِ للإِسْلام المُبْطِنةِ للكُفْر:

⇐ كالقرامطة[5].

---

(١) «السيرة النبوية»، ابن هشام، (٢/ ١٣٥) .

(٢) «تفسير ابن كثير»، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، دار الفكر، (١/ ٥١).

(٣) أخرجه الفريابي في «صفة النفاق وذم المنافقين» (١١٦)، وسنده حسن إلا أن ابن شوذب لم يسمع من الحسن. ورواه ابن أبي الدنيا في «الإشراف» (٢١٧) من وجه آخر.

(٤) «مدارج السالكين» (١/ ٣٥٨).

(٥) هم فرقة باطنيَّة ينتسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، كانت بداية ظهورهم عام (٢٧٨هـ) اتَّسمت دعوتهم بالمرحليَّة: فالأولى منها نادوا بالتَّشيُّع لآل البيت، وفي الثَّانية قالوا بالرَّجعة، وأنَّ =

⇐ والعُبيديِّين ويُسَمّونَ بالفاطميِّين [١].

⇐ والنصيريَّةِ [٢].

= عليًّا يعلم الغيب، وثالثة الأثافي يدَّعون بطلان ما عليه أهل ملَّة النبيِّ ﷺ، وقد تلطَّخت أياديهم بسفك دماء المسلمين؛ فقد دخلوا الكوفة عام (٢٩٣هـ) وأوقعوا بأهلها مذبحة عظيمة، وفي عام (٢٩٤هـ) اعترضوا قافلة الحجاج فقتلوا الرجال وسبوا النساء، وفي عام (٣١١هـ) وصل أبو طاهر القرمطيُّ البصرة، ووضع السَّيف في أهلها، وفي عام (٣١٧هـ) وصل أبو طاهر وليس بطاهر إلى مكَّة يوم التروية فقتل الحجيج في المسجد الحرام، واقتلع الحجر الأسود الذي بقي في حوزتهم حتى عام (٣٣٥هـ) .. إلخ.

انظر: كتاب «وجاء دور المجوس» لعبدالله الغريب (٦٩-٧٠-٧١)، وكذلك «مقالات الإسلاميِّين واختلاف المصلِّين»، عليُّ بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، تحقيق: هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة، (ص١٠١)، وكذلك «ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ»، عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، (٢/ ٥٧٥).

(١) أما العبيديون الفاطميون فينتسبون إلى عبد الله بن ميمون القدَّاح بن ديصان المجوسي، وقد بدأ حكمهم في المغرب عام (٢٩٦) ثم فتحوا مصر ثم الشام حتى أصبحوا أكبر قوة في العالم الإسلاميِّ، ومن أبرز حكام العبيديِّين الحاكم بأمر الله الذي ادَّعى الألوهيَّة، وبثَّ دعاته يجوبون سائر أنحاء مملكته يبشِّرون بمعتقدات المجوس، كالتَّناسخ والحلول، وظلَّت هذه الدولة الباطنية الباغية تروِّع المسلمين وتستبيح دماءهم حتى قيض الله لزرعهم يدًا من الخير حاصدة ذلك هو صلاح الدين الأيوبيُّ عام ٥٦٨هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى فقضى عليهم واستأصل شأفتهم. انظر: «وجاء دور المجوس»، لعبد الله الغريب، (٧٥-٧٦-٧٧).

(٢) أما النصيريُّون فأتباع محمد بن نصر، ويسمَّون بالعلويِّين. نشأة فرقتهم الباطنية في القرن الثالث الهجري، من معتقداتهم: تناسخ الأرواح وقدم العالم وإنكار البعث والجنة والنار، وربهم علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ومحمد الحجاب ﷺ وسلمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الباب .. وكانوا -قاتلهم الله- سببًا في احتلال النصارى لبلاد الشام في الحروب الصليبية. اطلع على أعداد «مجلة المجتمع الكويتية»، رقم (٤٩٣-٤٥٢-٤٩٥-٤٩٧)؛ لتعلم كم الجرائم التي ارتكبها النظام النصيري هناك في حماة وحلب وغيرها، ناهيك عما عليه حال إخواننا الآن في الشام من بغي وقهر واعتداء بكل أسلحة الدمار الشامل والعياذ بالله على يد بشار المجرم الذي يصدق فيه المثل القائل: «من أشبه أباه فما ظلم» .. من فرقهم: الشمالية والقمرية والحيدرية والغيبية. =



⇐ والدروز[(١)].

⇐ والبهائِيَّة[(٢)].

= قال عنهم شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هم أكفر من اليهود والنصارى، بل أكفر من المشركين، وضررهم على أمّة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفّار المحاربين»، وقد ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن دماءهم وأموالهم مباحة – ثم قال: «ولا ريب أن جهاد هؤلاء وإقامة الحدود عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات». انظر: «مجموع الفتاوى»، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٥/ ١٤٥). و«النصيرية» لسهير محمد علي. «وجاء دور المجوس»، لعبد الله الغريب، (٨٥).

(١) أما الدروز فأتباع حمزة بن علي الزوزني (٣٧٥هـ- ت٤٣٠) وقد أعلن ألوهية الحاكم سنة (٤٠٨هـ) ودعا إليها، نشأت هذه الفرقة في مصر لكنها لم تلبث أن هاجر أتباعها إلى الشام وأصبح لهم وجود قائم في كل من لبنان وسورية وفلسطين، وتطوّع عدد من أبناء هذه النحلة في جيش الدفاع الإسرائيلي، ألقي القبض على العديد من شبكاتهم التجسسية لصالح اليهود. من معتقداتهم القول بألوهية الحاكم بأمر الله، والرجعة، وإنكار النبوات، ويزعمون نسخ ديانتهم لجميع الديانات، ويقولون بتناسخ الأرواح، وينكرون البعث والجنة والنار، من زعمائهم المعاصرين: كمال جنبلاط ووليد جنبلاط والدكتور نجيب العسراوي وعدنان بشير ... إلخ.
انظر: «الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة»، الندوة العالمية للشباب الإسلامي – الرياض، الطبعة الثانية (١٤٠٩-١٩٨٩)، (ص٢٢٣) وما بعدها، وكذلك «وجاء دور المجوس»، لعبد الله الغريب، (ص٨٦-٨٧)، وغيرها .

(٢) أما البهائية ففرقة من الفرق الباطنية ظهرت في إيران في القرن الثالث عشر للهجرة على يد مؤسسها: حسين بن علي المازندراني الملقب بالبهاء .. وقد قامت هذه الفرقة على أنقاض البابية بعد اعتقال زعيمها لإكمال فصول المسرحية، ولد مؤسس الفرقة حسين بن علي سنة (١٢٣٣هـ) وتلقى العلوم الشيعية منذ صغره وعاشر الصوفية وأخذ من السبئيين اليهود فكرة الحلول، ومن الزردشتية فكرة الباب. وقد وَجَدَت البهائية كلَّ عون من الإنجليز. من توجهاتهم الخروج على سائر الأديان بزعم أنها زرعت الشحناء والبغضاء بين الناس، وهذه الفكرة متلقاة من الصوفية الغلاة كابن عربي الذي قال:

وقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي ... إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
لقد صار قلبي قابلًا كل صورة ... فمرعى لغزلان ودير لرهبان =

⇐ والقاديانيَّة(١)... إلخ.

= وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآني

أدين بدين الحب أنىٰ توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني

ومن أفكار البهائيين القول بوحدة الأديان، فقد قالوا بوحدة الأوطان، فالوطن عندهم عبارة عن العالم كله، وقالوا بوحدة اللغة لأنها ستؤدي إلىٰ التفاهم المشترك بين الشعوب، أما عقائدهم فمنها، التأويل الباطني والتناسخ والحلول والمكاشفة.

ولمزيد توسع واطلاع انظر: «البهائية»، لمحمد بن إبراهيم الحمد، و«الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة»، الندوة العالمية للشباب الإسلامي – الرياض، (ص٦٣)، «وجاء دور المجوس»، لعبد الله الغريب (٨٣)، وغيرها.

(١) القاديانية: هي فرقة نشأت أوائل القرن الرابع عشر الهجري في الهند، وهم أتباع مرزا غلام أحمد القادياني، ويسمّون بالأحمدية تلبيسًا علىٰ المسلمين، ولد مرزا غلام عام (١٢٥٦هـ) وأصيب في شبابه بلوثة عقلية ونوبات عصبية وكان يتداوىٰ منها ببعض المسكرات.. من ضلالاته زعمه: (أن روح المسيح قد حلّت فيه، وأن مايُلهمه من الله هو كالقرآن والتوراة والإنجيل، وأن المسيح سينزل آخر الزمان في قاديان، وأن قاديان بلدة مقدسة منزلتها الثالثة بعد الحرمين والحج إليها فريضة، وقال بكفر من يكذبه).

أما عقائد القاديانية فمنها: (اعتقدوا أن الله يصلي ويصوم ويصحو ويكتب ويصيب ويخطئ ويجامع ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [سورة الكهف:٥]، لا يؤمنون بعقيدة ختم النبوة بمحمد ﷺ، واعتقدوا أن غلام أحمد أفضل من جميع الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه، وزعموا أن رفقاء غلام أحمد بمنزلة الصحابة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ – ويفضّلون قاديان علىٰ مكة والمدينة) وكانت نهاية غلام أحمد نتيجة مباهلة دارت بينه وبين الشيخ المبارك: ثناء الله الآمرتسري، بعد أن تناظرا عدّة مرات، وكانت المباهلة دعاء كليهما بأن يقبض الله روح الكاذب منهما في حياة صاحبه ويسلط عليه داء مثل داء الطاعون يكون فيه حتفه، وفعلًا تباهلا وبعد ثلاثة عشر شهرًا وعشرة أيام مات مرزا بالمرض الذي تباهلا به وهو مرض الكوليرا، ولمزيد توسع واطلاع انظر كتاب «القاديانية»، لأبي الحسن ابن علي الحسني الندوي، وأبي الأعلىٰ المودودي، ومحمد الخضر حسين، وكذلك «القاديانية»، لمحمد إبراهيم الحمد، دار القاسم – الرياض (١٤١٧-١٩٩٦)، و«الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة»، الندوة العالمية للشباب الإسلامي – الرياض، (٣٨٧).



وممَّا يدلُّ على كثرة المنافقين آخِرَ الزَّمان ما جاءَ في رواياتٍ منها: «عن عَبْدِ الله بنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لَيَأْتِيَنَّ عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَجْتَمِعُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ لَيْسَ فِيهِمْ مُؤْمِنٌ»[(١)]، وعن الحَسَنِ قال: «لا تقوم السَّاعةُ حتَّى يَسُودَ كلَّ قومٍ منافقوها»[(٢)].

ولَكَأَنَّ الإِمَامَ الحَسَنَ البصريَّ رَحِمَهُ اللَّهُ يُشير بذلك إِلَى الحديث الذي رواه أَبُوهُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن المُصْطَفَى ﷺ أَنَّه قال: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ سَنَوَاتٌ خَدَّاعَاتٌ، يُصَدَّقُ فِيهَا الْكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الْخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الْأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ» قيل: وما الرُّوَيْبِضَةُ؟ قال: «الرَّجُلُ التَّافِهُ يَتَكَلَّمُ فِي أَمْرِ الْعَامَّةِ»[(٣)].

وهذا - واللهُ المستعانُ - هو الذي نراه في زماننا؛ إِذْ تُعقد حواراتٌ ولقاءَاتٌ وتستكتب أَقْلامٌ وتُجرى مُقابَلاتٌ مع مَنْ لا صلةَ لهم بعلوم الشَّريعة، ولا حتَّى بواقع النَّاس وأَحْوالِهم، فيُدلون بآرائِهم، ويتطاولون بالحديث في قضايا لَوْ كان شيءٌ منها في زمن عُمَرَ وهو المُلْهَمُ والمُحدَّثُ، لجمَع لها الأَشْياخَ مِنْ أَهْل بَدْرٍ.

منافقو اليوم شرٌّ من منافقي الأَمْس:

فعن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «المنافقون الذين فيكم اليومَ شرٌّ من المنافقين الذين

(١) أخرجه الفريابي في «صفة النفاق وذم المنافقين» (١٠٨، ١٠٩) من طريقين عن الأعمش عن خيثمة عن عبد الله بن عمرو موقوفًا، وروي مرفوعًا، أخرجه ابن عديٍّ في «الكامل» (٣/ ١٧٨)، لكن في السند رواد بن الجراح ضعيف، وروايته عن الثوري فيها ضعف شديد، وهذا الحديث منها.

(٢) أخرجه الفريابي في «صفة النفاق وذم المنافقين» (١١٧) سنده حسن لولا أن ابن شوذب لم يسمع من الحسن.

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب: الفتن، باب: شدة الزمان، برقم: (٤٠٣٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»، برقم: (٣٢٦١).



كانوا على عهد رَسُولِ الله ﷺ قال: فقُلْنَا: يا أَبَا عَبْدِ الله وكيف ذاك؟ قال: إِنَّ أُولَئِكَ كانوا يُسرُّون نفاقَهم وإِنَّ هؤلاء يُعلِنون[١]. وعنه أيضًا قال: إِنَّ المنافقين اليومَ شرٌّ منهم على عهد رَسُولِ الله ﷺ فأَمَّا اليومَ فإِنَّما هو الكُفْرُ بعد الإِيمان[٢].

قُلْتُ: هذا كلامُ خبيرٍ عالمٍ بأَحوال المنافقين، كيف وهو أَمِينُ سِرِّ رَسُولِ الله ﷺ ومَنْ اسْتَوْدَعَه رَسُولُ الله ﷺ أَسْماءَهم؛ إِذْ كان مَنْ أَدْرَكَ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من المنافقين بعد الرَّسُولِ ﷺ شرٌّ مِمَّنْ أَخْبَرَه بِهم الرَّسُولُ ﷺ فماذا يقول رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لو أَدْرَكَ منافقي زمانِنا؟

فإِذَا كان النِّفاقُ سَرَى في النَّاس زَمَنَ أَصْحابِ الرَّسُولِ ﷺ أَفَلا يستفْحِلُ خطَرُه ويستشري ضررُه زمَنَ الطَّواغيت، وغربةِ الدِّين، وكلَّما ازدادتْ غُرْبةُ الدِّين وقلَّ أَنْصارُه، كلَّما كثُر النِّفاقُ والعياذُ بالله؟

لكنَّ النِّفاقَ اليومَ اتَّخذ أَشْكالًا مُنظَّمةً على هيئَةِ مُؤَسَّساتٍ وجَمْعِيَّاتٍ ونوادٍ وشبكاتِ إِعْلامٍ، غيَّرتْ مِنْ أَسْمائِها لتضليل النَّاس، وما جمعيَّاتُ الروتاري والليونز والمُؤَسَّساتُ التي تدَّعي الإِنْسانيَّةَ والرَّحْمةَ على الإِنْسان والحيوانِ إِلَّا امْتدادٌ لسَرَطَانِ النِّفاق الذي تدعمه دُوَلٌ عُظْمى بأَسْماءٍ ما أَنْزلَ اللهُ بها مِنْ سُلْطانٍ، وإِنَّما هي مُؤَسَّساتٌ يهوديَّةٌ تريد سَلْخَ الأُمَّةِ مِنْ دِينها وهُوِيَّتِها لتعمل على خِدْمةِ يَهُودٍ والتَّمْكينِ لهم، فاللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ[٣].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٧٣٩٦)، ومن طريقه الفريابي في «صفة النفاق وذم المنافقين» (٥٣)، وسنده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الفتن، باب: إذا قال عند قوم شيئًا ثم خرج فقال بخلافه، برقم: (٦٦٩٧).

(٣) «المنافقون في الكتاب والسنة»، د/ محمد موسى نصر، (ص٩٧-٩٨).

وهنا ملحظٌ لابُدَّ من الإشَارة إلَيه وتجليةِ اللَّبْسِ الذي قدْ يترتَّب عليه، ألَا وهو أَنَّ عُقْبَةَ بنَ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «أَكْثَرُ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا»(١).

قال الإِمَامُ المناويُّ في «فيض القدير»: «أَكْثَرُ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا» أَي: الذين يتأَوَّلونه علىٰ غير وَجْهِه، ويضعونه في غير مواضعه، أَوْ يحفظون القُرْآنَ تقيَّةً لدفْع التُّهمة عن أَنْفسهم، وهُمْ مُعْتَقِدون خِلافَه، وهذه صفةُ المنافقين في العهدِ النَّبَوِيِّ.

وقال الزَّمَخْشَرِيُّ (٢): «أَرَادَ بالنِّفاق الرِّياءَ؛ لأَنَّ كلًّا منهما إِرَادتُه في الظَّاهر خِلافُ ما في الباطن. وقيل: أَرَادَ نفاقَ العملِ لا الاِعْتِقادِ، ولأَنَّ المنافقَ أَظْهَرَ الإِيْمانَ بالله، وأَضْمَرَ عِصْمةَ دمِه ومالِه، والمُرائِي أَظْهَرَ بعمله الآخِرةَ، وأَضْمَرَ ثناءَ النَّاسِ وعرضَ الدُّنْيا، والقارئُ أَظْهَرَ أَنَّه يريد اللهَ وحْدَه وأَضْمَرَ حظَّ نفسِه وهو الثَّوابُ، ويرىٰ نفسَه أَهْلًا له، وينظرُ إِلَىٰ عمله بعينِ الإِجْلال، فأَشْبَهَ المنافقَ، واسْتويا في مخالفة الباطنِ والظَّاهرِ».

ولذلك قال الإِمَامُ الغَزَالِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «احْذَرْ مِنْ خِصال القُرَّاءِ الأَرْبعةِ: الأَمَلِ، والعَجَلَةِ، والكِبْرِ، والحَسَدِ».

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٥)، من حديث عبد الله بن عمرو، وأخرجه أيضًا (٤/ ١٥١) من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، وصححه الألباني في «الصحيحة»، برقم: (٧٥٠).

(٢) هو: كبير المعتزلة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي النحوي صاحب «الكشاف» و«المفصّل» كان مولده بزمخشر في رجب سنة (٤٦٧هـ) وكان رأسًا في البلاغة والعربية والمعاني والبيان وكان نسَّابة، مات ليلة عرفة سنة (٥٣٨هـ). قال الإمام الذهبي: وكان داعية إلىٰ الاعتزال الله يسامحه. انظر في ترجمته «الأنساب» (٦/ ٢٩٧ - ٢٩٨) و«معجم الأدباء» (١٩/ ١٢٦ - ١٣٥) و«ميزان الاعتدال» (٢٠/ ٧٨) و«تذكرة الحفاظ» (٤/ ١٢٨٣) و«مفتاح السعادة» (٢/ ٩٧)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٢٠/ ١٥١).

(٣) هو: زين الدين أبو حامد محمد بن محمد الطوسي الغزالي صاحب التصانيف والذكاء المفرط فقيهًا عالمًا بالسلوك والأخلاق زاهدًا، لقّب بحجة الإسلام، ولد عام (٤٥٠هـ) كان من كبار =

تراه يستعجل على الخير، فيُقطع عنه، وتراه يحسد نُظَرَاءَه على ما آتاهم اللهُ مِنْ فضله، فربَّما يبلغ مبلغًا يحمله على فضائِحَ وقبائِحَ لا يُقْدِمُ عليها فاسقٌ ولا فاجرٌ.

ولهذا قال الإِمَامُ النَّوويُّ: «ما أَخَافُ على ذِمِّيٍّ إِلَّا القُرَّاءَ والعُلماءَ. فاستنكروا منه ذلك، فقال: أَنَا ما قُلْتُه، وإِنَّما قَالَهُ إِبْرَاهِيمُ[١] النَّخَعِيُّ»[٢].

وقال عَطَاءُ ابنُ أَبِي رَبَاحٍ[٣]: «احْذَرُوا القُرَّاءَ، واحْذَرُوني معهم؛ فلوْ خالفتَ

= الشافعية، ومن عظماء الفلاسفة والصوفية، لكنّ خاتمته كانت إلى خير إن شاء الله حيث ذكر أنه مات و«صحيح البخاري» بين يديه، وذكر أنه بعد إيغاله عمرًا من الزمن في شعاب الفلسفة وأودية التصوف ومفازات المنطق وعلم الكلام رجع من كل ذلك بخفَّي حنين. أقبل على طلب الحديث ومجالسة أهله .. مات سنة (٥٠٥هـ). انظر في ترجمته «طبقات ابن الصلاح» (٢/ ٢١ - ٢٣) و«وفيات الأعيان» (٤/ ٢١٦ - ٢١٩) و«المختصر في أخبار البشر» (٢/ ٢٣٧) و«عيون التواريخ» (١٣/ ٢٦٢ - ٢٦٧)، «معجم المؤلفين» (١١/ ٢٦٦ - ٢٦٩) و«المجدِّدين في الإسلام» (١٨١ - ١٨٤)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (١٩/ ٣٢٣).

(١) هو: الإمام الحافظ فقيه العراق أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعي اليماني ثم الكوفي مفتي أهل الكوفة هو والشعبي في زمانهما، وكان رجلًا صالحًا فقيهًا، وكان متخفِّيًا من الحجاج.
قال أبو حنيفة عن حماد: قال بشّرت إبراهيم بموت الحجاج، فسجد ورأيته يبكي من الفرح. قال ابن حجر: ثقة إلا أنه يرسل كثيرًا، من الخامسة، مات سنة (٩٦هـ)، وهو ابن خمسين أو نحوها. ينظر: «وفيات الأعيان» (١/ ٢٥) و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٦٩) و«البداية والنهاية» (٩/ ١٤٠)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٤/ ٥٢٠).

(٢) لم أجد من خرجه، ولكن ذكره المناوي في «فيض القدير» (٢/ ٨١).

(٣) هو: عطاء ابن أبي رباح، أسلم القرشي مولاهم الإمام شيخ الإسلام مفتي الحرم أبو محمد القرشي مولاهم المكي، ولد في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ونشأ في مكة وقد أدرك مائتين من أصحاب رسول الله ﷺ من شمائله قوله: (إن الرجل ليحدثني بالحديث فأنصت له كأني لم أسمعه وقد سمعته قبل أن يولد ..). توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٧هـ). انظر في ترجمته «ميزان الاعتدال» (٣/ ٧٠) و«طبقات القراء» (١/ ٥١٣) و«النجوم الزاهرة» (١/ ٢٧٣) و«طبقات الحفاظ» (٣٠٩)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٥/ ٧٨).

أَحَدَهم في رُمَّانة أَقُولُ: إِنَّهَا حُلْوَةٌ ويقول إِنَّها حامضةٌ، ما أَمِنْتُه أَنْ يسعىٰ بدَمِي إِلَىٰ سُلْطَانٍ جائِرٍ»[١].

وقال الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ [٢] لِابْنِه: «اشتروا دارًا بعيدةً عن القُرَّاءِ، ما لي والقومُ؟!! إِنْ ظهرتْ منِّي زلَّةٌ قَتَلُونِي، وإِنْ ظهرتْ عليّ حسنةٌ حَسَدُونِي»[٣]، ولذلك ترىٰ الواحدَ منهم يتكبَّر علىٰ النَّاس، ويستخفُّ بهم، مُعبِّسًا وَجْهَه، كأَنَّما يمُنُّ علىٰ النَّاس بما يُصلِّي زيادةَ ركعتين، أَوْ كأَنَّما جَاءَهُ مِنَ الله منشورٌ بالجَنَّةِ، والبَرَاءَةِ مِن النَّار، أَوْ كأَنَّه اسْتَيْقَنَ السَّعادةَ لنفسه، والشَّقاوةَ لسائِرِ النَّاس، ثُمَّ مع ذلك يَلْبَسُ لِباسَ المتواضعين، ويَتَماوَتُ، وهذا لا يليق به التَّكبُّرُ والتَّرفُّعُ، ولا يُلائِمُه، بلْ يُنافيه، ولكنَّ الأَعْمَىٰ لا يُبْصِرُ. ا.هـ»[٤].

---

(١) لم أجد من خرجه، ولكن ذكره المناوي في «فيض القدير» (٢/ ٨١).

(٢) هو: الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر الإمام القدوة الثبت شيخ الإسلام أبو علي التميمي الخراساني المجاور للحرم. ولد بسمرقند، كان شاطرًا يقطع الطريق علىٰ المسلمين، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فبينما هو يرتقي الجدران إليها إذ سمع تاليًا يتلو: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الحديد:١٦]، فلما سمعها قال: بلىٰ يارب، قد آن. فرجع، فآواه الليل إلىٰ خرابة، فإذا فيها سابلة، فقال بعضهم: نرحل. وقال بعضهم: حتىٰ نصبح؛ فإن فضيلًا علىٰ الطريق يقطع علينا.

قال: ففكرت وقلت أنا أسعىٰ بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين هاهنا يخافونني، وما أرىٰ الله ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام.

قال إبراهيم بن شمّاس: رأيت أفقه الناس وأورع الناس وأحفظ الناس وكيعًا والفضيل وابن المبارك .. قال ابن المبارك: إن الفضيل صدق الله فأجرىٰ الحكمة علىٰ لسانه فمن ذلك: (أمس مثل واليوم عمل وغدًا أمل) وقال: (بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله). مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (١٨٧هـ)، وقيل: قبلها. انظر في ترجمته: «التاريخ الكبير» (٧/ ١٢٣) و«حلية الأولياء» (٨/ ٨٤) و«وفيات الأعيان» (٤/ ٤٧ - ٥٠) و«ميزان الاعتدال» (٣/ ٣٦١)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٨/ ٤٢٢) وغيرها.

(٣) لم أجد من خرجه، ولكن ذكره المناوي في «فيض القدير» (٢/ ٨١).

(٤) «فيض القدير شرح الجامع الصغير»، للمناوي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولىٰ (١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م)، (٢/ ٨٠-٨١).

قُلْتُ: وهذا الحديثُ عَلَمٌ مِنْ أَعْلامِ نُبُوَّتِه ﷺ فقدْ رَأَيْنَا هؤلاء القُرَّاءَ والذين نصَّ عليهم الحديثُ ممَّن ابْتُلِيَتِ الأُمَّةُ الإِسْلاميَّةُ بِهم، قُرَّاءٌ أَتْقنوا الأَلْفاظَ والحروفَ، ولم يُحْسِنُوا العملَ، بلْ فرَّطوا في العمل، وكثيرٌ منهم ابْتُلِيَ بسماع الغِناءِ، وشُرْبِ الدُّخان، وربَّما الحشيش - والعياذ بالله- تَاجَرُوا بكتاب الله، واشْتَرَوا بآياتِه ثمنًا قليلًا، يتأكَّلون بالقُرْآنِ في كلِّ مُناسَبةٍ، عند فَرْحةٍ، وعند دَمْعةٍ.

القُرْآنُ عندهم للتَّغنِّي والتَّرنُّم فحسب، لا للتَّدبُّر والعمل، بلْ إِنَّ أَحَدَهم يقول مُتبجِّحًا ويا لسوءِ ما قال: إِنَّ أَشْرطتي تُبَاعُ في أَمريكَا؛ على الوَجْهِ الأَوَّلِ صوتي، وعلى الوَجْهِ الثَّاني صوتُ المُطْرِبةِ فُلانة، ويفخر بأَنَّه يظهر في الأَفْلام، ويُسمَعُ صوتُه، وأَنَّه لقِي تشجيعًا بذلك.

أُولئِك هُمُ الذين يقرأُون القُرْآنَ لا يُجاوِز حناجرَهم، يفعلون كلَّ ذلك ويحسبون أَنَّهم يُحْسِنون صُنْعًا، أَمَّا أُولئِك - وهُمْ قِلَّةٌ - الذين يقرأُون القُرْآنَ ويتلونه حقَّ تلاوته، يُحِلُّون حلالَه، ويُحرِّمون حرامَه، ويعملون بمُحْكَمِه، ويُؤْمِنُون بمُتشابِهِه، ويُحْيُون به اللَّيلَ، ويعملون به في النَّهار، أَخَذُوه بقوَّةٍ، فدَرَسُوه وتعلَّموه وعمِلوا به، أُولئِك هُمْ أَهْلُ الله وخاصَّتُه، وأُولَئِك هُمْ أَهْلُ القُرْآنِ حقًّا، جعَلَنا اللهُ منهم، وحشَرَنا في زُمْرَتِهم»[(١)].

عن مالك بن دينار [(٢)] قال: «إِنَّ الشَّيطانَ لَيَلْعَبُ بالقُرَّاءِ، كما يلعب الصِّبْيانُ

(١) انظر: «المنافقون في الكتاب والسنة»، د/ محمد موسى نصر (ص٦١).

(٢) هو: عَلَمُ العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف، ولد في أيام ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا له أقوال مفعمة بالحكمة والوعظ والتوجيه، فمن ذلك: من تباعد من زهرة الدنيا، فذاك الغالب هواه. وقال: خرج أهل الدنيا من الدنيا ولم يذوقوا أطيب شيء فيها. قيل: وما هو؟ قال: معرفة الله تعالى. توفي رحمه سنة (١٢٧هـ) وقال ابن المديني: (١٣٠هـ).

انظر في ترجمته: «تهذيب التهذيب» (١٠/ ١٤) و«الجرح والتعديل» (٨/ ٢٠٨) و«ميزان =



بالجَوْزِ[(١)]، ودُونَكَ الوَصْفَ النَّبويَّ الدَّقيقَ الذي تعرف به القارئَ الَّذي لا يبتغي بقِراءَتِه إِلَّا وَجْهَ الله، لا رياءً، ولا سُمْعةً.

فعن جَابِرِ بنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال، قال رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْآنِ، الَّذِي إِذَا سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ رَأَيْتَ أَنَّهُ يَخْشَى اللهَ»[(٢)].

مِنْ مجموع ما سبق يتبيَّن أَنَّ المقصودَ مِنْ حديث المُصْطَفَى ﷺ «أَكْثَرُ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا»[(٣)] هُم الَّذين لا يَبْتَغُون بتِلاوتِه وَجْهَ الله وطَلَبَ المثوبةِ، وبالتَّالي لا يعملون بأَحْكامه، ولا ينقادون لشَرْعِه كما أَمَرَ الله وأَوْجَبَ وأَلْزَمَ.

ولذا كان مِنْ ثمرات هذا الحديثِ العديدُ من الفوائِدِ منها:

- عدمُ الاِغْتِرارِ بالمظاهر وبحُسْنِ أَصْوات القُرَّاءِ وجمالِ تلاوتِهم، حتَّى نَزِنَ أَحْوالَهم وفِعالَهم بميزان الشَّرْعِ.
- وفي الحديث توجيهٌ للمُؤْمِنِين أَلَّا يكونوا مِنْ هؤلاء الكَثْرةِ، وليُخْلِصوا تِلاوتَهم وطَلَبَهم العِلْم لوَجْهِ الله تعالى، لا أن يطلبوا القُرْآن ليُقال؛ ففي الحديث الذي رواه أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يُدْعَو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فيَقُولُ اللهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ بِمَا عَلِمْتَ؟

= الاعتدال» (٣/ ٤٢٦) و«تاريخ الفسوي» (٢/ ٩٦)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٥/ ٣٦٢) وغيرها.

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٧٥)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخه» (١٢/ ٥٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب: في حسن الصوت بالقرآن، برقم: (١٣٣٩)، وقد حكم بصحته الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٥)، من حديث عبد الله بن عمرو، وأخرجه أيضًا (٤/ ١٥١) من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وصححه الألباني في «الصحيحة»، برقم: (٧٥٠).

قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ وَتقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللهُ لَهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ قارئٌ فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ.

وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فيقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ، وأَتَصَدَّقُ. فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ. وتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ. وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جوَادٌ، فقَدْ قِيلَ ذَلِكَ.

وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ الله، فَيَقُولُ اللهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ. فيَقُولُ اللهُ لَهُ: كَذَبْتَ. وَتَقُولُ لَهُ الْمَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ. وَيَقُولُ اللهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ فُلَانٌ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ.

يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ الله تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (١).

• وفيه تحذيرٌ للسَّلاطين والأُمَراءِ أَلَّا ينخدعوا بِهؤلاء القُرَّاءِ أَوْ علماءِ النِّفاق؛ فلا يُقرِّبوهم، ولا يتَّخذوا منهم بطانةً، ولا مستشارين، ولْتُغْلَقْ دون مطامعِهم وتحقيقِ مآربِهمُ السُّبُلُ والأَبْوابُ (٢).

رابعًا: إنكارُ المرجئةِ للنفاق والردُّ عليهم

أَنْكَرَ طوائفُ مِنَ الْمُرجِئَةِ (٣) وجودَ النِّفاق في الأُمَّة، وهذا القولُ أَغْربُ الأَقْوالِ وأَعْجبُها، كيف وقد نصَّ على ذلك القُرْآنُ في مواطنَ كثيرةٍ، وكذا السُّنَّةُ المطَهَّرةُ؟

---

(١) أورده الألباني في «صحيح الجامع» وحكم بصحته (٢٥٩٣)، وأصل الحديث في مسلم، كتاب: الإمارة، باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، برقم: (١٩٠٥).

(٢) انظر مزيدًا من الفوائد في رسالة «النفاق والمنافقون في ضوء السنة المطهرة»، للدكتور: عبدالرحمن قصاص (ص٢٥٠-٢٥١).

(٣) انظر: رسالة الدكتوراة للشيخ سفر الحوالي «ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي».

قيل للحَسَنِ البصريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إِنَّ قومًا يزعمون أَلَّا نفاق، ولا يخافون النِّفَاقَ، فقال الحَسَنُ: «والله لأَنْ أَكُونَ أَعْلم أَنِّي بريءٌ من النِّفَاقِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طِلاع[1] الأَرْض ذهبًا»[2]، وقال سُفْيَانُ الثَّورِيُّ: «خلافُ ما بيننا وبين المُرْجِئَةِ ثلاثٌ - وذكر منها - نحن نقول: النِّفَاق، وهُمْ يقولون: لا نفاق[3]، وحمَل أُولَئِكَ المُرْجِئَةُ حديثَ عَبْدِ الله بنِ عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا»[4]، علىٰ المنافقين الذين كانوا علىٰ عهد رَسُولِ الله ﷺ حيثُ تَلَبَّسُوا بهذه الخِصالِ الأَرْبعِ[5].

وليس لهم أَنْ يحتجُّوا بما أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ عن حُذَيْفَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حيثُ قال: «إِنَّما كان النِّفَاقُ علىٰ عهد النَّبِيِّ ﷺ فأَمَّا اليومَ فإِنَّما هو الكُفْرُ بعد الإِيمان[6]». حيث قال الحافظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والذي يظهر أَنَّ حُذَيْفَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لَمْ يُرِدْ نَفْيَ الوقوع، وإِنَّما أَرَادَ نَفْيَ اتِّفَاقِ الحُكْم؛ لأَنَّ النِّفَاقَ إِظْهَارُ الإِيمان وإِخْفاءُ الكُفْرِ، ووجودُ ذلك مُمْكن في كلِّ عصرٍ، وإِنَّما اخْتلف الحُكْمُ؛ لأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يتأَلَّفُهُم ويقبل ما أَظْهَرُوه مِنَ الإِسْلام، ولو ظَهَر منهم احْتِمالُ خِلافِه، وأَمَّا بعده فمَنْ أَظْهر شيئًا فإِنَّه يُؤَاخَذُ به، ولا يُتْرَكُ لمصلحة التَّأَلُّفِ؛ لعدم الاِحْتِياج إِلَىٰ ذلك»[7].

---

(١) طلاع: أي ملء الأرض.

(٢) أخرجه الفريابيُّ في «صفة النفاق وذم المنافقين» (٧٢، ٨٥) من طريقين عن الحسن.

(٣) أخرجه الفريابي في صفة النفاق (٩٣)، ومن طريقه الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٦٢).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، برقم: (٣٤)، ومسلم، كتاب الإيمان: باب: بيان خصال المنافق، برقم: (٥٨).

(٥) انظر «جامع العلوم والحكم»، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبليُّ (٢/ ٤٨٠).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب: الفتن، باب: إذا قال عند قوم شيئًا ثم خرج فقال بخلافه، برقم: (٦٦٩٧).

(٧) «فتح الباري شرح صحيح البخاري»، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (١٣/ ٧٤).

زِدْ علىٰ ذلك أَنَّ حُذَيْفَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قدْ نصَّ علىٰ وقوع النِّفاق بعد عهد النُّبُوَّةِ في عِدَّةِ أَقْوالٍ، ومن ذلك قولُه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «المنافقون الذين فيكم شَرٌّ من المنافقين الذين كانوا علىٰ عهد الرَّسُولِ ﷺ فقيل له: وكيف ذاك؟ فقال: إِنَّ أُوْلَئِكَ كانوا يُسِرُّون نفاقَهم، وإِنَّ هؤلاء يُعْلِنون». (١).

وجاءَ رجلٌ مِنَ المُرجِئَةِ لأَيُّوبِ السَّخْتِيانِيِّ (٢) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال: إِنَّما هو الكُفْرُ والإِيْمانُ، فقال أَيُّوبُ: «أَرَأَيْتَ قولَه: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة التوبة:١٠٦] ، أَمُؤْمِنُون هُمْ أَمْ كُفَّارٌ؟ فسكَت الرَّجُلُ، فقال أَيُّوبُ: اذْهَبْ فاقْرأِ القُرْآنَ؛ فكلُّ آيةٍ في القُرْآنِ فيها ذِكْرُ النِّفاق فإِنِّي أَخافُها علىٰ نفسي» (٣).

ولعلَّ هذا الأَثَرُ يكشف سببَ إِنْكار أُولَئِكَ المُرجِئَةِ للنِّفاق؛ فهذا المُرجِئُ يقول: إِنَّما هو الكفرُ والإِيْمانُ، ومقصودُه أَنَّ الإِيْمانَ شيءٌ واحدٌ، إِذَا أُثْبِتَ، أُثْبِتَ جميعُه، وإِذَا زَالَ بعضُه، زَالَ جميعُه، فلا يجتمع عندهم في العبد إِيْمانٌ وكفرٌ، أَوْ نفاقٌ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٧٣٩٦)، ومن طريقه الفريابي في «صفة النفاق وذم المنافقين» (٥٣)، وسنده صحيح.

(٢) هو: أبو بكر بن أبي تميمة كيسان العنزي مولاهم، البصري، الآدمي، ولد عام توفي ابن عباس، سنة ثمان وستين. روىٰ عنه شعبة ومعمر بن راشد والحمادان والسفيانان، وابن علية والأعمش ومالك بن أنس ويحيىٰ بن أبي كثير، وخلق كثير. قال فيه حماد بن زيد: هو أفضل من جالسته وأشدهم اتباعا للسنة. قال أيوب: لا يستوي العبد -أو لا يسود العبد- حتىٰ يكون فيه خصلتان اليأس مما في أيدي الناس، والتغافل عما يكون منهم. وعن حماد بن زيد قال: سئل أيوب عن شيء فقال: لم يبلغني فيه شيء فقال: قل فيه برأيك، فقال: لم يبلغه رأيي. مات في الطاعون سنة إحدىٰ وثلاثين ومائة. ينظر: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٦/ ١٦).

(٣) أخرجه الطبري في «تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار»، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفىٰ: ٣١٠هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، الناشر: مطبعة المدني - القاهرة (١٠١٥) والفريابي في «صفة النفاق وذم المنافقين» (٩٢)، وسنده صحيح.

أَصْغرُ، ولذا احتجَّ عليه أَيُّوبُ بالآية الكريمةِ: ﴿ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ ﴾ [سورة التوبة:١٠٦].

فهذا صِنْفٌ جمعوا بين إيْمانٍ ومعاصٍ، وخلطوا عملًا صالحًا، وآخر سيِّئًا، فأَمْرُهم إِلَىٰ الله تعالىٰ، فليسوا مِنْ أَهْل الإِيْمانِ المُطلقِ التَّامِّ، كما أَنَّهم ليسوا كُفَّارًا بإِطْلاقٍ.

وقدْ غلِط المُرْجِئَةُ في ذلك؛ فليس الإِيْمان شيئًا، أَوْ شُعْبَةً واحدةً، بلْ إِنَّ الإِيْمانَ شُعَبٌ مُتعدِّدةٌ - كما في حديث شُعَبِ الإِيْمان - وكذلك الكفرُ والنِّفاقُ شُعَبٌ مُتعدِّدةٌ.

ويدلُّ علىٰ ذلك ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيْهِ فَهُوَ مُنَافِقٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وِإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ». فقال رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله، ذَهَبَتِ اثْنَتَانِ، وَبَقِيَتْ وَاحِدَةٌ؟ قال: «فَإِنَّ عَلَيْهِ شُعْبَةٌ مِنْ نِفَاقٍ مَا بَقِيَ مِنْهُنَّ شَيْءٌ»(١).

قال الإِمَامُ الذَّهبيُّ (٢): «وفيه دليلٌ علىٰ أَنَّ النِّفاقَ يتبعَّض ويتشعَّب، كما أَنَّ الإِيْمانَ ذو شُعَبٍ ويزيدُ وينقصُ»(٣).

(١) أخرجه الفريابي في صفة النفاق (٤)، ومن طريقه الذهبي في«سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٦٢)، وقال: هذا حديث حسن الإسناد.

(٢) هو: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الفارقي الأصل الدمشقي ابن الذهبي الشافعي، محدِّث العصر وخاتمة الحفَّاظ، ومؤرخ الإسلام. طلب الحديث وله ثماني عشرة سنة، فسمع الكثير، ورحل، وعني بهذا الشأن، وتعب فيه، وخدمه إلىٰ أن رسخت فيه قدمه، ولد سنة ثلاث وسبعين وستمائة وتوفي ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ودفن من الغد بمقبرة الباب الصغير من دمشق رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ ينظر: «طبقات الشافعية الكبرىٰ»، للسبكي (٩/ ١٠٠)، « الرد الوافر »، لابن ناصر الدين (ص: ٣١).

(٣) «سير أعلام النبلاء»، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (١١/ ٣٦٣).

وقال شيخُ الإِسْلام: «وكلٌّ واحدٍ من الإِيمان والكفرِ والنِّفاقِ له دعائِمُ وشُعَبٌ، كما دلَّت عليه دلائِلُ الكتاب والسُّنَّة»(١).

وأَمْرٌ آخَرُ وهو أَنَّ مقالَةَ الكراميَّةِ - وهم مِنْ طوائِفِ المُرجِئَةِ- بأَنَّ الإِيمانَ قولٌ باللِّسان قدْ تكون سببًا في إِنْكارهم النِّفاقَ ونفيِه؛ فالمنافقُ - عندهم - مُؤْمِنٌ بالنِّسْبة إِلَى أَحْكام الدُّنْيا، مع أَنَّ اللهَ تعالى قدْ نفى الإِيمانَ عن المنافق بقوله سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ٨﴾ [سورة البقرة:٨].

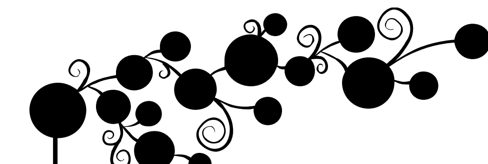
كما أَنَّ غُلاةَ المُرجِئَةِ الجهميَّةَ ومَنْ تبِعهم يُنكرون الأَعْمالَ القلبيَّةَ، فيخرجونها عن مسمَّى الإِيمان، فالإِيمانُ - عندهم - معرفةٌ أَوْ تصديقٌ بلا عملٍ قلبيٍّ، وهذا لا يُعدُّ إِيمانًا صحيحًا ولا مقبولًا، فالتَّصديقُ بلا نيَّةٍ أَوْ عملٍ قلبيٍّ نفاقٌ(٢)، فجعلوا الإِيمان مُجرَّدَ هذا التَّصْديق، ومِنْ ثَمَّ سيُنكِرون النِّفاقَ، والله أَعْلم(٣).

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى»، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (٢٨/ ٤٣٣).

(٢) انظر «الفتاوى»، اللجنة الدائمة لهيئة كبار العلماء ببلاد الحرمين (٧/ ١٧١).

(٣) هذا المبحث مستفاد من كتاب: «الفسق والنفاق»، د . عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، مدار الوطن للنشر – الرياض – الطبعة : الأولى (١٤٢٤-٢٠٠٣)، (٣٧ -٤٠).



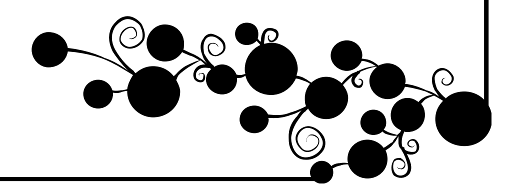
البَابُ الثَّانِي

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصلِ الأَوَّلِ : صفاتُ المنافقين.

الفصلِ الثَّاني : وفيه ثلاثةُ مباحث.

الفصلِ الثَّالثِ : ويشتمل على ثلاثةِ مباحث



الفصل الأوَّل

صفاتُ المنافقين

إنَّ كلَّ باحثٍ في موضوع النِّفاق مُسْتَتْبِعٍ لكتُبه ومُؤَلَّفاتِه ورسائِلِه وإِصْداراتِه يجِد أنَّه لا يكاد يخلو شيءٌ منها مِنَ الحديث عن هذا المبحث صفات المنافقين.

كما أنَّه في المقابل لا غنى لكلِّ مَنْ تناول موضوعَ النِّفاق عن الحديث عنه، وهذا المبحثُ قد استوفتْه كثيرٌ مِنَ التَّآليف عن النِّفاق تبيانًا وإِيْضاحًا، أَدِلَّةً وشواهدَ، وذلك لأَهَمِّيَّته وضرورتِه[1].

ويكفينا أَنَّ القُرْآنَ والسُّنَّةَ قدْ أَشَارَا إِلَى كثيرٍ مِنْ صفاتٍ وعلاماتِ المنافقين.. ولكنِّي هنا حاولتُ أَنْ أَتناوَلَ هذا المبحثَ مِنْ زاويةٍ جديدةٍ لم أَجِدْ لها فيما طوَّفْتُ فيه مِنْ مراجعَ ذِكْرًا..

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يكونَ مُثْمِرًا ومُفيدًا، وسيعرض مِنْ خلال المباحث التَّالية:

---

(١) فمن ذلك: «النفاق والمنافقون في ضوء الكتاب والسنة النبوية»، رسالة ماجستير للشيخ عبدالرحمن قصاص، (ص٥١) وما بعدها، «النفاق وأثره في حياة الأمة»، رسالة ماجستير للشيخ عادل الشدّي، (ص٨٠) وما بعدها، «المنافقون في القرآن الكريم»، رسالة دكتوراه للشيخ عبد العزيز الحميدي (ص٤٤١)، «ظاهرة النفاق»، للشيخ د/ عبدالرحمن الميداني (١/ ١٠٧) وما بعدها.

المبحثُ الأوَّلُ

صفاتُ المنافقين حال تعامُلِهم مع الرَّسُولِ ﷺ

قد يلحظ القارئُ لهذا المبحثِ أَنَّ هناك أَوْجُهَ تشابُهٍ في بعض صفاتِ وسلوكيَّاتِ تعامُلِ المنافقين مع النَّبِيِّ ﷺ وما هي عليه مع المُؤْمِنين، فسيَأْتِي في هذا المبحثِ تفصيلُها، ويُكتفى هناك بالإشارة إِلَيها - بإِذْن الله- فمِنْ ذلك:

١ـ دعاواهم الكاذبة وأيمانهم الفاجرة:

قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ①﴾ [سورة المنافقون:١]. قال ابْنُ كثيرٍ وذكَر قريبًا مِنْ ذلك عددٌ من المُفسِّرين رحمهم الله: يقول سبحانه مخبرًا عن المنافقين أَنَّهم إِنَّما يتفوَّهون بالإِسْلام إِذَا جاءُوا النَّبِيَّ ﷺ، فأَمَّا في باطن الأَمْرِ فليسوا كذلك، بلْ على الضِّدِّ مِنْ ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ﴾ [سورة المنافقون:١].

أَيْ: إِذَا حضروا عندك، واجهوك بذلك، وأَظْهروا لك ذلك، وليسوا كما يقولون.. ثُمَّ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [سورة المنافقون:١] أَيْ: فيما أخبروا به، وإِنْ كان مطابقًا للخارج؛ لأَنَّهم لم يكونوا يعتقدون صِحَّةَ ما يقولون، ولا صِدْقَه، ولهذا كذبهم بالنِّسبة إِلَى اعْتِقادِهم[1]، ولذلك لَمَّا جاءُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُهْرَعُونَ يقولون: نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ الله، كذَّبَهم اللهُ.

قال الإِمَامُ الشَّنْقِيطِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[2]: «شهِد عليهم بالكَذِبِ مع أَنَّ ظاهرَ قولِهم

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٥٠)، وينظر: «تفسير القرطبي» (١٨/ ١٢٠)، «تفسير الطبري» (٢٨/ ١٠٠).

(٢) الشنقيطي: الإمام محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي صاحب «أضواء البيان»، لا =



حقٌّ؛ لأَنَّ بواطنَهم تُكذِّب ظواهرَهم، ولأَنَّ الأَعْمالَ بالنِّيَّاتِ. ثُمَّ قال: فلم تواطئْ قلوبُهم أَلْسِنَتَهم علىٰ تصديقك، واعْتِقادُهم أَنَّك غيرُ رَسُولٍ؛ فهُمْ كاذبون عند الله، وعند مَنْ عرف حالَهم، أَوْ كاذبون عند أَنْفُسِهم»[(١)].

وقدْ نقَل ابنُ الجَوزِيِّ [(٢)] في «تفسيره» في هذه الآيةِ قولَ الإِمَامِ أَبِي حَنِيْفَةَ [(٣)]،

= يتمارىٰ اثنان ممن عرفه أو سمعه أو قرأ في كتبه في أنه أصولي فحل مفسّر لا يجارىٰ، فقيه متبحر جمع الله له علم الآلة، درّس في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ودرس في المسجد النبوي، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ضحىٰ الخميس ١٧/ ١٢/ ١٣٩٣هـ ، وكانت وفاته بمكة. ينظر: «مقدمة أضواء البيان»، للشيخ عطية محمد سالم، ورسالة الماجستير «سلالة الفوائد الأصولية والشواهد والتطبيقات القرآنية والحديثية للمسائل الأصولية في أضواء البيان»، المؤلف: د/ عبد الرحمن السديس، طبعته: دار الهجرة وغيرهما .

(١) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، (٨/ ٣٩٥).

(٢) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، علامة عصره في التاريخ والحديث. وصاحب التّصانيف المشهورة فِي أنواع العلوم من التفسير، والحديث، والفقه، والوعْظ، والزُّهد، منها: «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»، و«تلبيس إبليس»، و«الضعفاء والمتروكين». (ولد سنة ٥٠٨ هـ- وتوفىٰ سنة ٥٩٧ هـ). ينظر: «تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام» للذهبي (ج١٢ ص ١١٠٠). و«طبقات الحفاظ» للسيوطي (ص ٤٨٠).

(٣) أبو حنيفة: الإمام فقيه الملَّة عالم العراق أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي، مولىٰ بني تميم الله، ولد سنة (٨٠هـ)، في حياة صغار الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، كان خزَّازًا يبيع الخزَّ، قال ابن معين: «كان أبو حنيفة ثقة لا يحدث بالحديث إلا بما يحفظه»، وقيل لمالك: هل رأيت أبا حنيفة؟ قال: «نعم رأيت رجلًا لو كلَّمك في هذه السَّارية أن يجعلها ذهبًا لقام بحجَّته»، كان من أحسن النَّاس صورة وأبلغهم نطقًا، وأعذبهم نغمة، كثير التعطر، كان ورعًا تقيًّا طويل الصَّمت كثير العقل، قال الشافعيُّ: «الناس في الفقه عيال علىٰ أبي حنيفة». توفِّي شهيدًا مسقيًّا (أي السُّمَّ في العسل) في سنة (١٥٠هـ)، وله سبعون سنة. انظر في ترجمته: «طبقات خليفة» (١٦٧-٣٢٧)، «تاريخ البخاري» (٨/ ٨١)، «الجرح والتعديل» (٨/ ٤٤٩-٥٠)، «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣٢٣)، «وفيات الأعيان» (٥/ ٤١٥-٤٢٣)، «النجوم الزاهرة» (٢/ ١٢)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٦/ ٣٩٠).

وأَحْمَدَ، والأَوْزَاعِيِّ [(١)] ، والثَّورِيِّ[(٢)] : «أَنَّ أَشْهَدُ وأُقْسِمُ وأَعْزِمُ وأَحْلِفُ كلُّها أَيْمانٌ».

ومِنْ هنا نخلص إِلَىٰ أَنَّ مِنْ سمات المنافقين حالَ لُقْيَاهُمُ النَّبِيِّ ﷺ وجلوسِهم معه هو ادِّعاؤُهم الكاذبُ بشهادتِهم الفاجرةِ، أَنَّهم يُقِرُّون برسالتِه، وليسوا كذلك.

٢ـ خفرُهم لعهودهم ونقضُهم لمواثيقهم:

فالمنافقون لا يرعون ذمَّةً، ولا يوفُّون بِعَهْدٍ، بَلْ إِنَّ مِنْ أَبْرزِ سماتِ تعامُلِهم مع

---

(١) الأوزاعي: عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد شيخ الإسلام وعالم أهل الشام أبو عمرو الأوزاعي. قيل: كان مولده بعلبك، ولد سنة (٨٨هـ) وكان خيِّرًا فاضلًا مأمونًا غزير العلم حجَّة وكان يتيمًا فقيرًا في حجر أمِّه تنقله من بلد إلىٰ بلد، وكان خفيف اللحم به سمرة، قال الخريبيُّ: كان الأوزاعيُّ أفضل أهل زمانه. قال الأوزاعيُّ: من أطال قيام الليل هوَّن الله عليه وقوف يوم القيامة.

وقال: من أكثر من ذكر الموت، كفاه اليسير، ومن عرف أن منطقه من عمله قلَّ كلامه. وقال: من أخذ بنوادر العلماء، خرج من الإسلام. مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (١٥٧هـ). انظر في ترجمته: «حلية الأولياء» (٦/ ١٣٥-١٤٩)، «العبر»، للذهبي (١/ ٢٢٦)، «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٧٨-١٨٥)، «شذرات الذهب» (١/ ٢٤١-٢٤٢)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٧/ ١٠٧).

(٢) الثوري: هو سفيان بن سيد الثوري أبو عبد الله هو أمير المؤمنين في الحديث كان سيّد زمانه في علوم الدين والتقوىٰ، ولد سنة (٩٧هـ)، ونشأ في الكوفة، وأراده المنصور علىٰ القضاء، فأبىٰ وسكن مكة والمدينة، فطلبه، فتوارىٰ، وانتقل إلىٰ البصرة، فمات بها مستخفيًا، من كتبه «الجامع الصغير» و«الجامع الكبير» كلاهما في الحديث، وكتاب في الفرائض.

وقد قيل: إن شيوخه بلغوا الستمائة، قال عن نفسه ما استودعت قلبي شيئًا قطُّ فخانني. قال ابن عباس الدوري: رأيت يحيىٰ بن معين لا يقدم علىٰ سفيان أحدًا في زمانه في الفقه والحديث والزهد وكل شيء، وقد سمي بأمير المؤمنين في الحديث. توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (١٦١هـ).

انظر في ترجمته: «وفيات الأعيان» (٢/ ٣٨٦-٣٩١)، «تاريخ بغداد» (٩/ ١٥١-١٧٤)، «الكامل لابن الأثير» (٦/ ٥٦)، «تهذيب التهذيب» (٤/ ١١١-١١٥)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٧/ ٢٢٩) .

النَّبيِّ ﷺ أَنَّهم أَهْلُ أَعْذارٍ وخَتْرٍ ونَكْثٍ وخِيانةٍ؛ فكمْ هِيَ المشاهد ناطقةٌ، والمواقف ناصعةٌ، تُشير بمجموعها إِلَىٰ مرضِ هاتيكم الأَنْفُسِ وانْتِكاسِ فِطَرِها!

ومِنْ تلك الأَمْثِلَةِ: ما ذكَره اللهُ عنهم في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة النور:٥٣].

إِنَّ المتأَمِّلَ لحال المنافقين في هذه الآيةِ ليجد أَنَّهم لم يكتفوا بأَنْ يَعِدُوا الرَّسُولَ ﷺ بالطَّاعة إِنْ أَمَرَهم أَنْ يخرجوا للقتال، أَوْ يُنْفِقوا من الأَمْوالِ، بلْ أَكَّدُوا هذا الوَعْدَ بأَبْلَغِ الأَيْمانِ وأَشَدِّها، لكنَّهم عند التَّطْبيق يتلاشىٰ كلُّ ذلك، ويضْمَحِلُّ.

إِنَّ مِنَ المُجرَّبِ في سُلُوكِ النَّاس أَنَّ مَنْ بَالَغَ في أَقْوالِه الحماسيَّةِ حالَ الرَّخاءِ وقبلَ الاِمْتِحَانِ الفعليِّ، كان أَكْثَرَ النَّاسِ تخاذُلًا ومعصيةً وتولِّيًا عند النُّزول للمَيْدان، وخُصوصًا حال الجِهَادِ الذي تُبْذَلُ فيه المُهَجُ والأَرْوَاحُ، كيف وهُمْ أَحْرَصُ النَّاس علىٰ حياةٍ، والسَّببُ في ذلك أَنَّ المنافقَ حالَ الرَّخاءِ يريد أَنْ يكون له مكانةٌ ساميةٌ، بما يتظاهر به من حماسةٍ زائِفَةٍ، انْسِجامًا مع مُقْتَضَياتِ نفاقِه.

ومِنْ أَعْظمِ الدَّلائِلِ علىٰ نقضِ المنافقين لعهودهم، ونكْثِهم لمواثيقهم، ماأَعْطىٰ المنافقون مِنْ أَنْفُسِهم لرَسُولِ الله ﷺ من العهود والمواثيقِ علىٰ نُصْرتِه إِنْ لاقىٰ عَدُوًّا، وعلىٰ طاعته إِنْ اسْتَنْهَضهم لِقِتَالٍ، إِلَىٰ غير ذلك ممَّا كانوا يُؤَكِّدُونَه بالأَيمانِ المُغَلَّظَةِ، والحلفِ الكاذبِ. فمِنْ ذلك: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة النور:٥٣].

قال الإِمَامُ القُرْطُبِيُّ: «عاد إِلَىٰ ذِكْر المنافقين؛ فإِنَّه لَمَّا بيَّن كراهتَهم لحُكْم النَّبِيِّ ﷺ أَتَوْهُ قالوا: والله لوْ أَمَرْتَنا بالجِهاد، لجَاهدْنا. فنزلت هذه الآية [(١)]، ثُمَّ ردَّ اللهُ عليهم قولَهم: ﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ [سورة النور:٥٣]؛ أَيْ: لا تحلفوا؛ فإِنَّ

---

(١) «تفسير القرطبي» (١١/ ٢٩٦).

طاعتكم معروفةٌ، إِنَّما هي قولٌ، لا فعلَ معه، وكلَّما حَلَفْتُمْ، كَذَّبْتُمْ، كما قال تعالىٰ: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْ﴾ [سورة التوبة:٩٦].

وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [سورة المجادلة:١٦]؛ فسجيَّتُهم الكذبُ، حتَّىٰ فيما يختارونه»(١).

وروىٰ ابنُ جَرِيرٍ عن مُجَاهِدٍ(٢) أَنَّه قال في الآية: «قد عَرفتُ طاعتكم إِلَيَّ أَنَّكم تكذبون»(٣). ممَّا سبق يتبيَّن أَنَّ المنافقين ما شيءٌ أَيْسرُ علىٰ أَلْسِنَتِهم ولا أَسْهلُ علىٰ نفوسهم مِنْ أَنْ يُعاهدوا فيغدروا ويَعِدوا فيُخْلِفوا ويقولوا فيكذبوا.

إِنَّه النِّفاقُ الذي لا ينكشف عَوَارُ مَنْ تلبَّس به وامْتَطىٰ صَهْوَتَه إِلَّا عند حلول الأَزَمات واشْتِدادِ المِحَنِ، عندها تظهر الحقائِقُ، وترتفع الأَقْنِعَةُ، ويُمحَّص ما في الصُّدور.

انظرْ لحال المنافقين - أَيْ عهودهم ومواثيقهم - يوم الأَحْزاب والصَّحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قد نزل بهم مِنَ الشِّدَّةِ والبلاءِ وتكالب الأَعْداءِ ما لا يعلمه إِلَّا اللهُ، والمنافقون لا همَّ لأَحَدِهم إِلَّا الأَعْذَارَ الواهيَّةَ، والادِّعاءَاتِ الكاذبةِ ليُؤْذَن لهم مِنْ جرَّائِها بالانْصراف.

ففي غزوة الأَحْزاب تكشَّفتْ خباياهم.. وظهروا علىٰ حقيقتهم حيث انْسَحِبُوا مِنَ الجيشِ الإِسْلاميِّ وزاد خوفُهم حتَّىٰ قال معتّبُ بنُ قُشَيْرٍ أَخُو بني عَمْرِو بنِ عَوْفٍ(٤) كان مُحَمَّدٌ يعِدُنا أَنْ نَأْكُلَ كنوزَ كِسْرىٰ وقَيْصَرَ، وأَحَدُنا لا يَأْمَنُ علىٰ نفسه

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٢٩).

(٢) سبقت ترجمته (صـ ٧٨).

(٣) «تفسير الطبري» (٩/ ٣٤١).

(٤) هو: معتّب بن قشير: بقاف ومعجمة مصغّرًا، ابن مليل بن زيد بن العطاف بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن الأوس الأنصاريّ الأوسيّ ذكروه فيمن شهد العقبة. وقيل: إنه كان منافقًا، وإنه الّذي قال يوم أحد: ﴿لَوْ كانَ لَنا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ما قُتِلْنا هاهُنا﴾ [آل عمران: ١٥٤] وقيل: =

أَنْ يذهب إِلَىٰ الغائِطِ[(١)] فقال العليمُ بأَحْواهِم ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة الأحزاب:١٢]. وتأَمَّلْ قولَه تعالىٰ: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة الأحزاب:١٣].

«ويكفي أَنَّ زعيمَهم رَأْسَ النِّفاقِ عَبْدَ الله بنَ أُبَيٍّ بنِ سَلُولٍ قدِ انصرف بثُلُثِ الجيش يوم أُحُدٍ[(٢)]؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ ﴾ [سورة آل عمران:١٦٧].

عندما وصل جيشُ المسلمين الشَّوطَ[(٣)] انْسَحَبَ زعيمُ المنافقين ابنُ سَلُولٍ بثلاثمائَةٍ مِنْ أَتْباعِه بحُجَّةِ أَنَّه لن يقعَ قتالٌ مع المشركين، ومعترضًا علىٰ قرار القتال خارجَ المَدِيْنَةِ قائلًا: أَطَاعَ الولدان ومَنْ لا رأي له، أَطَاعَهم وعَصَاني، علامَ نقتل أَنْفُسَنا؟[(٤)] وكان هدفُه الرَّئِيسُ مِنْ هذا التَّمرُّدِ إِحْداثَ بَلْبَلَةٍ واضطرابٍ في الجيشِ الإِسْلاميِّ؛ لتَنْهَارَ نفسيَّتُه، وتنهزم معنويَّتُه»[(٥)].

= إنه تاب. وقد ذكره ابن إسحاق فيمن شهد بدرًا. «معرفة الصحابة» (٥/ ٢٥٩٣)، «الطبقات الكبرىٰ» (٣/ ٤٦٣)، «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر(٦/ ١٣٧).

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٣٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٤٣٥).

(٢) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٤/ ٩)، ومن طريقه الطبري في «التفسير» (٤/ ١٦٨)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٧٦٣٨).

(٣) اسم حائط – بستان – بين المدينة وأحد. انظر : «المدينة بين الماضي والحاضر»، مؤرخ المدينة الشريف إبراهيم بن علي العياشي (ت: ١٤٠٠هـ) ، طبعة: المكتبة العلمية بالمدينة المنورة – لصاحبها محمد سلطان النمنكاني، الطبعة الأولىٰ: سنة: (١٣٩٢هـ) (ص٣٦٩).

(٤) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٤/ ٩)، ومن طريقه الطبري في «التفسير» (٤/ ١٦٨)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٧٦٣٨).

(٥) «غزوة أحد دراسة دعوية»، محمد بن عيظة بن سعيد بامدحج، دار إشبيليا – الرياض، الطبعة الأولىٰ، سنة (١٤٢٠-١٩٩٩)، (ص٨٤).



وقد حاول عَبْدُ الله بنُ حرام[1] والدُ جَابِرِ بنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إِقْناعَ المنافقين بالعودة فأَبَوا، فقال: يا قوم أُذكِّركم اللهَ أَلَّا تخذلوا قومَكم ونَبِيَّكم عندما حَضَرَ مِنْ عدوِّهم. فقالوا: لو نعلم أَنَّكم تُقاتلون لَمَا أَسْلَمْناكم، ولكنَّا لا نرىٰ أَنَّه يكون قتالٌ. فلمَّا استعصوا عليه وأَبَوا إِلَّا الانْصِرافَ عنهم، قال: أَبْعَدَكُمُ اللهُ أَعْداءَ الله، فسيغني اللهُ عنكم نبيَّه ﷺ[2].

ولمَّا رجع ابنُ سَلُولٍ وأَصْحابُه، همَّتْ بنو سَلَمَةَ وبنو حَارِثَةَ أَنْ ترجعا، ولكنَّ الله ثبَّتها وعصمها، وفي ذلك نزل قولُه تعالىٰ: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآبِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [سورة آل عمران:١٢٢][3].

من هذا الموقفِ -وأَمْثالُه كثيرٌ- يتبيَّن حالُ المنافقين، وكيف أَنَّه لا يُعتدُّ بهم في قتالٍ ولا يُعْتَمَدُ عليهم في تحمُّل تكاليفٍ ولا يُركَن إِلَيهم في النُّهوض بأَعْباءٍ.

ولعلَّ مَنْ يَتَأَمَّلُ في موقف ابنِ سَلُولٍ يجد أَنَّه كان بإِمْكانه أَلَّا يخرج إِلَى الغَزْوَةِ ابتداءً؛ أَلَيْسَ القائِلُ: أَطاع الولدان ومن لا رأي له، أَطاعهم وعصاني. فلِمَاذَا لم

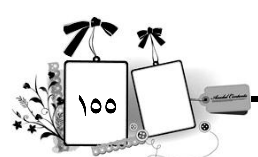
---

(١) هو: عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، وأمه الرباب بنت قيس بن القريم بن أمية بن سنان بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة، وهو أبو جابر بن عبد الله، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار في روايتهم جميعًا، وهو أحد النقباء الاثني عشر، وشهد بدرًا، وأحدًا وقتل يومئذ شهيدًا.

قال جابر: لما قتل أبي يوم أحد، جعلت أكشف عن وجهه، وأبكي، وجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينهونني، وهو لا ينهاني، وجعلت عمتي تبكيه، فقال النبي ﷺ: «تبكيه أو لا تبكيه، ما زالت الملائكة تظلله بأجنحتها حتىٰ رفعتموه». ينظر: «الطبقات الكبرىٰ» (٣/ ٦٢٠)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (١/ ٣٢٤).

(٢) ابن إسحاق في «السيرة» (ص٣٠٤)، وابن هشام في «السيرة» (٣/ ٦٤)، «تفسير الطبري» (٣/ ٥١٠).

(٣) رواه البخاري في «التفسير»، باب: سورة آل عمران (٤٢٨٢).



يقْعُدْ عن القتال هو ومَنْ معه من المنافقين؟ لكنَّه إنَّما أَرَادَ أَنْ يكونَ رجوعُه وعَوْدُه في ساعةٍ المسلمون فيها أَحْوَجُ ما يكونون إِلَى رصِّ صفوفِهم، وملاقاةِ عدوِّهم.

٣ـ إعلانهم الطاعة واستسرارهم المخالفة:

ومِن سمات المنافقين والتي لها صلةٌ بجانب الكذب لا تنفكُّ عنهم ما ورَد في قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ﴾ [سورة النساء:٨١] . هكذا يتعاملون مع المُصْطفَى ﷺ.

قال الإِمَامُ ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نزلتْ في المنافقين؛ كانوا يُؤْمِنُون عند رَسُولِ الله ﷺ ليأْمَنوا، فإِذَا خرجوا، خالفوا. هذا قول ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا والفَرَّاءِ»(١).

قال ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه حقيقتُهم التي يُحاولون إِخْفاءَها دائمًا؛ فهُمْ إِذَا خرجوا وتَوَارَوا عن النَّبِيِّ ﷺ وعن المُؤْمِنين، استسرُّوا ليلًا فيما بينهم بغير ما أَظْهَرُوهُ لك.. ولكنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ على تَبْييتِهم وما يسرُّون ﴿وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾ [سورة النساء:٨١] ؛ أَيْ: يعلمه، ويكتبه عليهم، والمعنى في هذا التَّهديد أَنَّه تعالى يُخْبِرُ بأَنَّه عالمٌ بما يضمرونه ويسرُّونه فيما بينهم، وما يتَّفقون عليه ليلًا مِنْ مخالفة الرَّسُولِ ﷺ وعصيانِه، وأَنَّهم كانوا قدْ أَظْهَرُوا له الطَّاعةَ والموافقةَ وسيجزيهم على ذلك»(٢).

---

(١) هو: يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الأسلمي الديلمي الكوفي، النحوي، صاحب الكسائي. مولى بني أسد، الفارسي الأصل، يُكنى بأبي زكريا، واشتهر بالفرّاء، ولم يعمل في صناعة الفراء، قيل: لأنه كان يفري الكلام، ومن آثاره: اللغات والمصادر في القرآن، آلة الكتاب، الوقف والابتداء، المقصور والممدود، الجمع والتثنية في القرآن، ما تلحن فيه العامة، معاني القرآن، واختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف وغيرها مات بطريق مكة سنة سبع ومائتين، وله ثلاث وستون سنة . ينظر: «سير أعلام النبلاء»، (١٠/ ١٢١)، «غاية النهاية»، لابن الجزري (٢/ ٣٧١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٨٠) بتصرف يسير.

لهم قلوبٌ لا يفقهون بها:

ومِنْ سِمَاتِ المنافقين في تعامُلِهم مع النَّبِيِّ الكريمِ ﷺ أَنَّهم إِذَا حضروا مجلسه يُصغون بآذانهم دون أَنْ تفقهَ قلوبُهم؛ قال الإِمَامُ السَّعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «ومن المنافقين ﴿مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ [سورة الأنعام:٢٥] ما تقول استماعًا عن قبولٍ وانقيادٍ، بل مُعْرِضَةٌ قلوبُهم عنه، ولهذا قال سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ [سورة محمد:١٦] ، مستفهمين عمَّا قُلْتَ، وما سمعوا ممَّا لم يكن لهم فيه رغبةٌ ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ [سورة محمد:١٦]؛ أَيْ: قريبًا.

وهذا في غاية الذَّمِّ لهم؛ فإِنَّهم لو كانوا حريصين على الخير، لأَلْقَوا إِلَيه أَسْمَاعَهم، ووعتْه قلوبُهم، وانقادتْ له جوارحُهم، لكنَّهم بعكس هذه الحال. ولهذا قال سبحانه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ [سورة النحل:١٠٨]؛ أَيْ ختم عليها وسدَّ أَبْوابَ الخير التي تصل إِلَيها بسبب اتِّباعهم أَهْواءَهم التي لا يهوون فيها إِلَّا الباطل»[2].

---

(١) هو الشيخ العلامة أبو عبد الله عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي من قبيلة تميم ولد بعنيزة وذلك في محرم ١٣٠٧هـ وتوفيت أمه وله أربع سنين وتوفي والده وعمره سبع سنين فتربّى يتيمًا وكانت نشأته حسنة، حفظ القرآن وأتقنه وعمره أحد عشر سنة وطلب العلم وكان متواضعًا يتكلم مع كل فرد بما يناسبه وكان عفيفًا نزيهًا من مصنفاته : «تفسير القرآن الكريم» المسمّى (تيسير الكريم المنان)، «الخطب العصرية»، «القواعد الحسان لتفسير القرآن»، «مختصر في أصول الفقه»، «الرياض الناضرة»، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (١٣٧٦هـ) بعد عمر قدره (٦٩) عامًا.

ينظر: «المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين»، المؤلف: أعضاء ملتقى أهل الحديث، مصدر الكتاب: ملتقى أهل الحديث، أعده للموسوعة الشاملة خالد لكحل (١/ ٢٠٥)، «مقدمة تفسيره تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان».

(٢) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م)، (ص: ٧٨٦).

قال سَيِّدُ قُطُبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وسُؤَالُهم بعد استماعهم للرَّسُولِ ﷺ يدلُّ على أَنَّهم كانوا يتظاهرون تظاهرًا بأَنَّهم يُلقون سمعَهم وبالَهم للرَّسُول ﷺ وقلوبُهم لاهيةٌ غافلةٌ، أَوْ مطموسةٌ مغلَّفةٌ، كما أَنَّه قد يدلُّ من جانبٍ آخرَ على الغمزِ الخفيِّ اللَّئيمِ؛ إِذْ يريدون أَنْ يقولوا بسُؤَالِهم هذا لأَهْل العلم أَنَّ ما يقوله مُحَمَّدٌ لا يُفْهَمُ.

فهاهم أُولاءِ مع اسْتِماعِهم له، لا يجدون له فحوًى، ولا يمسكون منه بشيءٍ، كذلك قد يعنون بهذا السُّؤَالِ السُّخْرِيَّةَ من احْتِفاءِ أَهْل العلم بكلِّ ما يقوله مُحَمَّدٌ ﷺ وحرصِهم على اسْتِيْعاب معانيه وحِفْظِ أَلْفاظِه كما كان حالُ الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ مع كلِّ كلمةٍ كان يتلفظ بها رَسُولُهم الكريمُ ﷺ. كلُّ هذه احْتِمالاتٌ تدلُّ على اللُّؤْمِ والخُبْثِ والاِنْطِماسِ والهوى الدَّفين»[(١)].

ويزداد إِعْراضُ المنافقين بقلوبهم عن تفهُّمها وتدبُّرِها لكلام رَسُولِ الله ﷺ عندما يعرِّض بأَعْمالهم غيرِ السَّارَّةِ، أَوْ يُذْكَرُ شَأْنُ القتال، وما يلزم مِنْ تكاليفه الشَّاقَّةِ، أَوْ يدعو إِلَى بَذْلِ المال والنَّفَقَةِ؛ لأَنَّ طبيعتَهم النِّفاقيَّةَ لا تُطيق ولا تتحمَّل مثلَ تلك التَّبِعات، ولا هي بالَّتي لها في ذلك مبادراتٌ.

إِنَّما هُمْ أَقْوالٌ بلا أَفْعالٍ، وآذانٌ بلا قلوبٍ، وهُمْ بهذا ينطبق عليهم حالُ مَنْ وصفَهم اللهُ بقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [سورة الأعراف:١٧٩] ، وليس هذا شَأْنُهم فحسب مع كلام رَسُولِ الله ﷺ إِعْراضًا عنه والتفافًا وتصامُمًا عن الانتفاع به، بلْ هو حالُهم كذلك مع القُرْآنِ الكريمِ.

---

(١) «في ظلال القرآن»، سيد قطب، دار الشروق – بيروت، (٦/ ٣٢٩٤).

وتأمَّلْ قولَه تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة محمد:٢٠-٢٤].

قال الإمامان الضَّحَّاكُ [(١)] والسَّدِّيُّ: «هُمُ المنافقون[(٢)] ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ﴾ [سورة النساء:٧٨] »

ومِنْ أَسْوَإِ ما كان المنافقون يتعاملون به مع النَّبِيِّ ﷺ لَمْزُهم إِيَّاه، ونِسْبتُهم إِلَيه ما يحلُّ بالنَّاس مِنْ شدَّةٍ وبلاءٍ، أَوْ ما نزل بالمسلمين مِنْ هزيمةٍ، وهذه الخَصْلةُ مِنْ أَقْوىٰ الشَّواهدِ علىٰ عدم إِيْمانهم، وأَنَّهم قد اسْتَبْطَنُوا الكُفْرَ، ورَضُوا به مَرْتَعًا ومقامًا، ولذا كانتْ أَلْسنتُهم مغاريفَ قلوبِهم، يظهر علىٰ فلتاتها وتصريحاتِها ما يُنْبِئُ عمَّا غلتْ به قدورُ قلوبِهم، وما أَكنُّوه في صدورِهم؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ [سورة النساء:٧٨].

فالمنافقون في حالة ظَفَرِ المُؤْمِنين بما يحبُّون مِنْ حسناتِ نصرٍ وغنيمةٍ يقولون: هذه مِنْ عند الله. أَيْ: مِنْ محْضِ فضلِ الله في عطائِه، ولم يكن لِحِكْمة الرَّسُولِ في إِدَارتِه وسياستِه وقيادتِه وأَمْرِه بقتال العدوِّ سببٌ في إِكْرام الله لهم بالنَّصْر

---

(١) الضحّاك أبو محمد وقيل أبو القاسم صاحب التفسير كان من أوعية العلم قيل إنه مات (١٠٢هـ) وقيل (١٠٥هـ)، انظر في ترجمته: «تاريخ البخاري» (٤/ ٣٣٢)، «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٦١٨)، «ميزان الاعتدال» (٢/ ٣٢٥)، «البداية والنهاية» (٩/ ٢٢٣)، «شذرات الذهب» (١/ ١٢٤)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٤/ ٥٩٨).

(٢) «فتح القدير» (٥/ ٤٥).

والغنيمةِ، وهذه في المنافقين بين المسلمين، وهُمْ في باطنهم مُشْرِكُون يُؤْمِنون بالرَّبِّ الخالقِ ويُشرِكون به ولا يُؤْمِنون بالرَّسُولِ، نظيرُ مقالةِ المادِّيِّين المُلْحِدين الذين يجحدون الرَّبَّ الخالقَ؛ إِذْ يقولون عمَّا يناله المُؤْمِنُون مِنْ فضلِ الله: هذا قد جَاءَ علىٰ سبيل المُصادفةِ.

والمنافقون في حالة إِصَابةِ المسلمين بما يكرهون مِنْ سيِّئَاتِ قَتْلٍ أَوْ جُرْحٍ أَوْ خسارةٍ أَوْ هزيمةٍ، يُلْقُونَ تَبِعَةَ ذلك علىٰ الرَّسُولِ ﷺ وأَنَّه قدْ كان بإِدَارتِه أَوْ قيادتِه، أَوْ أَمْرِه بالخروج إِلَىٰ قتال العَدُوِّ، هو السببُ فيما نزل بالمسلمين مِنْ سيِّئاتٍ يكرهونها.

هذا ما يدلُّ عليه سِياقُ النَّصِّ، ولا يمنع أَنْ تكون هذه الظَّاهرةُ مِنَ الظَّواهر التي تكون أَيْضًا في الأَحْوال العاديَّةِ، عند نزول النِّعَمِ والمصائِبِ التي يُصرِّفها اللهُ كيف يشاءُ في عباده للابْتِلاءِ، أَوِ التَّرْبِيَّةِ، أَوِ الجزاءِ، فحين تتنزَّل النِّعَمُ يقول المنافقون: هذه مِنْ عند الله؛ أَيْ: هي عطاءٌ مِنْ خزائِنِ مُلْك الله.

وحين تنزل المصائِبُ يقول المنافقون مُتطيِّرين بالرَّسُولِ ضِمْنَ خُرافةِ التَّشاؤُمِ بالأَشْخاص ذوي الإِدَارةِ والسُّلْطانِ والحُكْمِ: هذه مِنْ عندك؛ أَيْ: من الشُّؤْم الذي هو عندك، الجالبِ للمصائِبِ والمكارِه.

وهذا كلامٌ لا يقوله إِلَّا المنافقون، وأَهْلُ الرَّيْبِ الذين رَجَحَتْ لديهم كِفَّةُ التَّكْذيب علىٰ كِفَّةِ التَّصْدِيقِ، وهذه الطِّيَرةُ معروفةٌ في النَّاس قديمًا، ولا سيَّما أَهْلُ الكفر بالله وبحِكْمتِه.

فمِنْ أَمْثلتِها ما كان يقوله آلُ فِرْعَونَ في عهد مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو ما ذكَره اللهُ بقوله: ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾



فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ [سورة الأعراف: ١٣٠-١٣١] [١].

وهذه المقولةُ تتكرَّر عبْرَ قُرونِ الأُمَمِ وأَجْيالِ التَّاريخ مِنَ الفِئَةِ نفسِها مُنافقي كلِّ عَصْرٍ؛ حيث يقولون: إِنَّ سببَ تخلُّف المسلمين وتأَخُّرِهم عن مصافِّ الرُّقيِّ والتَّقدُّمِ هو مِنْ جرَّاءِ دِيْنِهم، وتمسُّكِهم بشريعة خالقِهم.

- فعلىٰ سبيل المثال:

١- يقول طه حُسَيْنٍ [٢] في دعوة صارخةٍ ولهجةٍ مستعليةٍ مُبيِّنًا موقفَه من الدِّين ونظرتَه للغرب: «ولكنَّ السبيلَ إِلَىٰ ذلك واحدةٌ.. وهي أَنْ نسيرَ سَيْرَ

---

(١) «ظاهرة النفاق» (١/ ٥٥٠).

(٢) طه حسين: الكاتب والمفكر العلماني المشهور تخرّج من الجامعة المصرية ثم درس في جامعة السوربون في باريس حيث عاد بالمناهج الغربية ليقوم ببثها في بلاد المسلمين تولى عمادة كلية آداب القاهرة ثم وزارة التعليم، ألّف كتبًا عديدة من أشهرها «مستقبل الثقافة في مصر» الذي نفىٰ فيه أن تكون مصر جزءًا من البلاد العربية بل هي عنده جزء من أوربا، وكتابه في «الشعر الجاهلي» الذي أثار ضجة كبيرة ورد عليه جملة من المسلمين ، عرف عنه شغفه باليونان وبالحياة الغربية وسعيه الشديد في إلحاق بلاد المسلمين بالغرب ..ومن طوامه المخرجة له من ملة الإسلام قوله: «للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عنهما أيضًا، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة والقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي، فضلًا عن إثبات هذه القضية التي تحدثنا بهجرة إسماعيل بن إبراهيم إلىٰ مكة ... ونحن مضطرون أن نرىٰ في هذه القصة نوعا من الحيلة في إثبات الصلة بين اليهود والعرب من جهة، وبين الإسلام واليهود والقرآن والتوراة من جهة أخرىٰ». نقلًا عن كتاب «طه حسين حياته وفكره في ميزان الإسلام» لأنور الجندي صـ (٨)، توفي بالقاهرة (١٣٩٣هـ).

انظر في ترجمته: «الأعلام» (٣/ ٢٣١)، «الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرهم دراسة نقدية شرعية»، دكتوراه للأستاذ د/ سعيد الغامدي، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولي، سنة (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣)، (١/ ١٠٠).

الأُوروبِّيِّين، ونسلكَ طريقَهم؛ لنكون لهم أَنْدادًا، ولنكون لهم شُرَكاءَ في الحضارة خيرِها وشرِّها حُلْوِها ومُرِّها ما يُحَبُّ منها وما يُعاب»[(١)].

٢- ويقول أَحَدُ دُعاةِ العصرانيَّةِ المعاصرين: «فالسِّياسةُ والحُكْمُ والقضاءُ وشُئُونُ المُجْتَمَعِ ليستْ دِينًا وشرعًا يجب فيها التَّأَسِّي والاهتداءُ بما في السُّنَّةِ مِنْ وقائِعَ؛ لأَنَّها عالجتْ مصالحَ هي بالضَّرورةِ متطوِّرةٌ متغيِّرةٌ»[(٢)].

وليس هذا بغريب عليه؛ فهو القائِلُ: «أَمَّا إِسْلامُنا فهو علمانيٌّ، ومِنْ ثَمَّ فإِنَّ مصطلحَ العلمانيَّةِ لا يُمثِّل عدوانًا علىٰ دِيننا، بلْ علىٰ العكس؛ يُمثِّل العودةَ بدِيننا إِلَىٰ موقفه الأَصيلِ»[(٣)].

٣- بلْ إِنَّ أَحَدَهم بلغ به الشَّطَطُ الفكريُّ والانْحرافُ العقديُّ إِلَىٰ أَنْ يُصرِّح بقوله: إِنَّ البشريَّةَ قدْ بلغتْ سِنَّ الرُّشْدِ، وقد آنَ لها أَنْ تُباشرَ شُئُونَها بنفسها بعيدًا عن وصاية السَّماءِ[(٤)]، مُتجاهلًا هذا وأَمْثالُه أَنَّه قدْ جاءَ في مُحْكَمِ التَّنْزيل: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [سورة المائدة:٥٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٤٤﴾ [سورة المائدة:٤٤].

٤- أَمَّا الكاتبةُ الأَدِيبةُ نَظِيْرَةُ زَيْنِ الدِّين فتقول: «إِنَّ أَوَّلَ درجةٍ في سُلَّمِ الرُّقِيِّ هو السُّفُور، وتُضيف موضِّحةً المقصودَ بجلاءٍ: إِنَّ الأُمَمَ التي نبذتْ الحِجابَ أُمَمٌ

(١) «مستقبل الثقافة في مصر»، طه حسين، مطبعة المعارف- مصر، سنة (١٩٣٨م)، (٢/ ٣٩).

(٢) «الإسلام والسلطة الدينية»، محمد عمارة، طبعة: دار الشروق، الطبعة الأولىٰ - ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م (ص١٢٠).

(٣) «الإسلام والسلطة الدينية»، محمد عمارة، (ص١٢٠).

(٤) «الإسلام وقضايا العصر»، محمد عمارة، طبعة: دار الوحدة ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة: الأولىٰ (١٩٨٠ م) (ص١٥)، «الأسس القرآنية للتقدم»، محمد أحمد خلف، الناشر: مطبعة إخوان مورافتلي، الطبعة: الأولىٰ - ١٩٨٤ م (ص٤٤).

راقيةٌ في العقل والمادَّة رقيًّا ليس للأُمَم المُتحجِّبةِ مثلُه؛ فالأُمَمُ السَّافرةُ هي التي اكتشفتْ بالبحثِ والتَّنْقيبِ أَسْرارَ الطَّبِيعةِ»(١).

٥- وها هو مُحَمَّدُ حُسَيْنِ هَيْكَلٍ يقول: «وبلا مُواربةٍ أَوْ مُجاملة: ولقد خيِّل إِلَيَّ زمنًا كما لا يزال يُخيَّل إِلَىٰ أَصْحابي أَنَّ نقلَ حياةِ الغرب العقليَّةِ والرُّوحيَّةِ سبيلُنا إِلَىٰ هذا النُّهوضِ»(٢).

ويُمْعِنُ في الإِيْغال مَنِ انتكستْ فطرتُه، وحاد منهجُه، أَغَا أَوْغَلِي أَحْمَدَ، أَحَدُ دُعاةِ الكماليِّين في تُرْكِيَا حيث قال: «إِنَّا عَزَمْنَا علىٰ أَنْ نَأْخُذَ كلَّ ما عند الغربيِّين، حتَّىٰ الالتهابات في رئتِهم، والنَّجاساتِ التي في أَمْعائِهم»(٣).

نعوذ بالله وبه نستجير مِنْ هذه الهُوَّةِ السَّحيقةِ والمُنْحَدَرِ المخوفِ، حتَّىٰ النَّجاساتِ ترغبُ في تلقُّفها وحيازتِها. هذا نَزْرٌ مِنْ كثيرٍ، وقَطْرَةٌ مِنْ خِضَمٍّ، ممَّا يُشير إِلَىٰ الاِمْتداد النِّفاقيِّ لأَحْفاد عَبْدِ الله بنِ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ، ومَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فما ظَلَم.

٤- سوءُ أدبهم لدى مُخاطبتِهم النَّبيِّ ﷺ:

إِنَّ سُوءَ أَدَبِ المنافقين في تعامُلِهم مع النَّبِيِّ ﷺ استهزاءً به وسُخْرِيَةً منه واتِّهامًا له بما لا يليق، ونِسْبَتَهم الشَّرَّ إِلَيه، والاسْتِخْفافَ بِقَدْرِه.. له شواهدُه العديدةُ، وصُوَرُه المُستفيضةُ..

---

(١) «أسس التقدم عند مفكرة الإسلام»، فهمي جدعان، دار الشروق عمان، الطبعة الثالثة، سنة (١٩٨٨م) (ص٤٩١).

(٢) «في منزل الوحي»، محمد حسين هيكل، المطبعة: دار المعارف بمصر، الطبعة السادسة، سنة (١٩٧٤م) (ص٢٢).

(٣) «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر»، د/ محمد محمد حسين، بيروت، ، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة، سنة (١٤٠٣- ١٩٨٣م)، (٢/ ٢٢١).

أ – يقولون: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ١٢﴾ [سورة الأحزاب:١٢]:

لقد ذُكر سابقًا ما وَصَفوا به اللهَ وما نَعَتوا به رَسُولَه ﷺ مِن الوعدِ الكاذبِ؛ زعموا ﴿ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ١٢ ﴾ [سورة الأحزاب:١٢].

ب- ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ﴾ [سورة التوبة:٦١]:

وهاهم في موضع آخر يتَّهمونه ﷺ بأنَّه أُذُنٌ؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦١ ﴾ [سورة التوبة:٦١]؛ فهم يصفون رَسُولَ الله ﷺ بالبلاهةِ والغَفْلةِ وضعفِ الإِدْراك، وحاشاه بأَبِي هُوَ وأُمِّي ﷺ ومُرادُهم – قاتلهم اللهُ – أَنَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ يسمع كلَّ ما يُقال له ويُصدِّق ذلك؛ فهو لا يفرِّق بين مَنْ يَصدُقُه القولَ، ومَنْ يفتري عليه الكَذِبَ.

أَخْرج ابنُ إِسْحاقٍ وابْنُ المُنْذِرِ [(١)] وابنُ أَبِي حَاتِمٍ [(٢)] عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قال: «كان نَبْتَلُ بنُ الحَارِثِ يَأْتِي رَسُولَ الله ﷺ، فيجلس إِلَيه، فيسمع منه، ثُمَّ ينقل حديثَه إِلَىٰ المنافقين، وهو الذي قال لهم: إِنَّما مُحَمَّدٌ أُذُنٌ، مَنْ حَدَّثه شيئًا صدَّقه. فأَنْزلَ اللهُ فيه ﴿ وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ ﴾ [سورة التوبة:٦١] [(٣)] ».

---

(١) هو: الإمام، الحافظ، العلامة، شيخ الإسلام، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري الفقيه، نزيل مكة، ولد: في حدود موت أحمد بن حنبل، وتوفي بمكة(٣١٩ هـ) ينظر: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (١٤/ ٤٩٠)، «الأعلام»، للزركلي (٥/ ٢٩٤).

(٢) هو: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس أبو محمد بن أبي حاتم الرازي أحد الحفاظ صاحب كتاب «الجرح والتعديل» (ولد: ٢٤٠هـ، وتوفىٰ ٣٢٧ هـ). ينظر: «الإرشاد في معرفة علماء الحديث/ انتخاب أبي طاهر السلفي»، لأبي يعلىٰ الخليلي خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني (ج٢ ص٦٨٣)، المحقق: محمد سعيد عمر إدريس/ ط: مكتبة الرشد – الرياض. ط١. ١٤٠٩هـ. و«تاريخ دمشق» (٣٥/ ٣٥٧).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٣٩٩) من طريق ابن إسحاق. وستأتي ترجمة لهم في مبحث =

وأَخْرَجَ ابنُ أَبِي حَاتِمٍ عن السَّدِّيُّ قال: «اجتمع ناسٌ من المنافقين فيهم جُلَّاسُ بنُ سُوَيْدِ ابنِ صَامِتٍ، ومَخْشَنٌ -ويُقال: مخشي- بنُ حمير [(١)]، ووديعَةُ بن ثَابِتٍ [(٢)]، فأَرَادُوا أَنْ يقعوا في النَّبِيِّ ﷺ فنهىٰ بعضُهم بعضًا وقالوا: إِنَّا نخاف أَنْ يبلغ مُحَمَّدًا فيقع بِكُمْ.

وقال بعضُهم: إِنَّما مُحَمَّدٌ أُذُنٌ نَحْلِفُ له فيُصدِّقنا. فنزل: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ [سورة التوبة:٦١] الآية [(٣)]، فردَّ اللهُ عليهم هذا القولَ الأَثِيمَ، وبيَّن أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ وإِنِ استمع إِلَىٰ هذا وهذا فإِنَّه يعرف الصَّادقَ مِنَ الكاذب، والحقَّ من الباطل. ولكنَّه كان يعرض عن المنافقين لأَمْرِ الله له بذلك، وإِنْ كان يعلم حقيقةَ أَمْرِهم» [(٤)].

قال الحافظُ ابنُ كَثِيرٍ: «يقول تعالىٰ: ومن المنافقين قومٌ يُؤْذُون رَسُولَ الله ﷺ بالكلام فيه، ويقولون: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾؛ أَيْ: مَنْ قال له شيئًا صدَّقه فينا، ومَنْ حدَّثه صدَّقه، فإِذَا جِئْنَاه وحَلَفْنَا له صدَّقَنَا.

= بعض أسماء المنافقين.

(١) هو: مخشي بن حمير الأشجعي، حليف لبني سلمة من الأنصار، كان من المنافقين، وسار مع النبي ﷺ إلىٰ تبوك حين أرجفوا برسول الله ﷺ وأصحابه، ثم تاب وحسنت توبته، وسمي عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتله شهيدا. لا يعلم مكانه، فقتل يوم اليمامة، فلم يوجد له أثر. ينظر: «الاستيعاب»، لابن عبد البر (٣/ ١٣٨١).

(٢) هو: وديعة بن ثابت أخو بني أمية بن زيد، من بني عمرو بن عوف، من رؤساء المنافقين الذين ابتلي بهم النبي ﷺ وعانىٰ منهم الأمرين. كان يوالي الكفار والمشركين خصوصًا بني النضير، وكان عينا لهم علىٰ النبي ﷺ والمسلمين. وكان من مؤسسي مسجد الضرار، وأخرج قسمًا منه من داره. لكثرة إيذائه للنبي ﷺ دعا عليه ولعنه. ينظر: «تهذيب الكمال»، للمزي (٥/ ٥٠٣- ٥٠٤)، «تاريخ الإسلام»، للذهبي (١/ ٤٣١).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٣٠٠).

(٤) «دراسة قرآنية في النفاق وأثره»، د/ عادل بن علي الشدي (ص١٨٩).

ورُوي معناه عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ومُجَاهِدٍ وقَتَادَةَ؛ قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [سورة التوبة:٦١]؛ أَيْ: هُوَ أُذُنُ خيرٍ يعرف الصَّادقَ مِنَ الكاذب ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة التوبة:٦١]؛ أَيْ: ويُصدِّقُ المُؤْمِنِين ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ [سورة التوبة:٦١]؛ أَيْ: وهو حجَّةٌ علىٰ الكافرين، ولهذا قال: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [سورة التوبة:٦١] »[١].

جـ- تحيَّتُهم للنَّبيِّ ﷺ دعاءٌ عليه:

ومِنْ شواهد سُوءِ أَدَبِهم مع المُصْطَفَىٰ ﷺ أَنَّهم كانوا يُحَيُّونَه بتحيَّةِ إِخْوانِهم من اليَهُودِ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾ [سورة المجادلة:٨] .

قال العُوفِيُّ[٢] عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عند قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ [سورة المجادلة:٨] ، قال: كان المنافقون يقولون لرَسُولِ الله ﷺ إِذَا حيَّوه: سامٌّ عليك. قال الله: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾﴾ [سورة المجادلة:٨][٣].

وقد ذكَر الشَّيْخُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَنَّ هؤلاء المذكورين إِمَّا أُنَاسٌ من المنافقين يُظْهِرون الإِيمانَ ويُخاطبون الرَّسُولَ ﷺ بهذا الخِطابِ الذي يُوهمون أَنَّهم أَرَادُوا به خيرًا، وهُمْ كَذَبَةٌ في ذلك، وإِمَّا أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الكتاب.... إلخ»[٤].

وقد أَكَّد الدكتور حبنكةُ الميدانيُّ في أَنَّ المقصودَ المنافقون فقال: وانصرف ذِهْنُ كثيرٍ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ إِلَىٰ أَنَّ النَّصَّ نزل بشَأْنِ اليَهُودِ، علىٰ خلاف ما يدلُّ عليه

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٠٢).

(٢) هو: عطية بن سعد بن جنادة العوفي، الكوفي، أبو الحسن؛ من مشاهير التابعين، ضعيف الحديث؛ روىٰ عن ابن عباس وأبي سعيد وابن عمر، وكان شيعيا؛ توفي: سنة إحدىٰ عشرة. «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٢٦).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٤٤) وعبد الرزاق وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٨/ ٨٠).

(٤) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (٧/ ٣١٥).

السِّياقُ؛ تأثُّرًا بما صحَّ في ذلك من رِواياتٍ، بلْ نقول: إنَّ المنافقين الذين نزل بشأنِهمُ النَّصُّ تعلَّموا هذه التَّحيَّةَ مِنَ اليَهُودِ؛ لأَنَّ المنافقين هُمُ المطلوبُ منهم بحسب ظاهرِ انْتِمائِهم أَنْ يحيُّوا الرَّسُولَ ﷺ بما حيَّاه اللهُ به، وهو لفظُ السَّلام(١)، ولا يبعد أَنْ يقعَ من المنافقين مثلُ هذه التَّحيَّةِ: السَّامُ عليكم - أَيِ الموتُ - فقدْ كان لهم مِن المقولات ما هو أَشْنَعُ من ذلك وأَقْبَحُ، ولا يغيب عن الذِّهْنِ أَيضًا أَنَّ نفرًا - أَوْ قُلْ عددًا - لا بَأْسَ به هُمْ في الأَصْل يهودُ.

عن أُمِّ المُؤْمِنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ قال ﷺ: «وَعَلَيْكُمْ»، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ واللَّعْنَةُ. فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ». قالتْ: أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: «قَدْ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ»(٢).

وفي روايةٍ: «يَا عَائِشَةُ لَا تَكُونِي فَاحِشَةً». فقَالَتْ: مَا سَمِعْتَ مَا قَالُوا؟ قال: «أَوَلَيْسَ قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْهِمُ الَّذِي قَالُوا؛ قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ»(٣).

٥- استهزاؤهم به ﷺ ووصفُهم إِيَّاه بأقبح النُّعوت:

وهذا بابٌ ولِج منه المنافقون، فلمْ يقِفْ بهم المطافُ عند حدٍّ.. حيث تنوَّعتْ في ذلك أَسَالِيبُهم وتعدَّدتْ وَسَائِلُهم، ينتهزون كلَّ فُرْصَةٍ ويقتنصون كلَّ موقفٍ لنَفْثِ ما اعْتَلَجَ في نفوسهم، ولإِخْراج ما انْطَوتْ عليه صدورُهم، وما أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بالبَارِحَة؛ فإِنَّ صُوَرَ الاستهزاءِ بالنَّبِيِّ ﷺ ووصفِه بالبلاهةِ والاسْتِغْفالِ مُتكرِّرٌ عبْرَ عُصورٍ وأَزْمانٍ مُتلاحقةٍ، ومِنْ ذلك ما نشرتْه إِحْدىٰ الصُّحُف في لُبْنان عن

(١) «ظاهرة النفاق»، د/ حبنكة الميداني، (٢/ ٩٣-٩٤) بتصرف يسير.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الأدب، باب: الرفق في الأمر كله، برقم: (٥٦٧٨)، ومسلم، كتاب: السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، برقم: (٥٧٨٤).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، برقم: (٥٧٨٤/ ٣).



مَسْئُولٍ كبيرٍ قوله: إِنَّ الرَّسُولَ مُحَمَّدًا ﷺ كان بسيطًا يُسافر كثيرًا عَبْرَ الصَّحراءِ العربيَّةِ ويستمع للخُرافاتِ البسيطة السَّائِدَةِ، وقدْ نقَل تلك الخُرافاتِ إِلَى القُرْآنِ(١).

ولأَنَّ الحديثَ مُنْحصرٌ في جانب سُوءِ أَدَبِ المنافقين حالَ تخاطُبِهم مع النَّبِيِّ ﷺ اقتصرْتُ على هذا الشَّاهِدِ ممَّا هو قريبٌ في أَلْفاظه مِنْ أَلْفاظ المنافقين زَمَنَ النُّبُوَّةِ، وإِلَّا فإِنَّ صُوَرَ الاستهزاءِ بالنَّبِيِّ ﷺ كثيرةٌ ومتعدِّدةٌ، ولعلَّ حديثًا يَأْتِي عنها بإِذْنِ الله – تعالى – وصدَق اللهُ: ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾ [سورة البقرة:١١٨]، ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٣٠﴾ [سورة التوبة:٣٠].

وسأَقْتَصِرُ في هذا الموضعِ على بعضِ الشَّواهد والمواقفِ، وإِلَّا فهي كثيرةٌ لِمَنِ استتبعها واستقرأَها.. فمِنْ ذلك:

ما حدث في غزوة المريسيع:

وتسمَّى – غزوة بني المُصْطَلِقِ – من مقولة عَبْدِ الله بنِ أُبَيٍّ بن سَلُولٍ، كما رواها شيخُ المُفسِّرين عن قَتَادَةَ:... فقال رجلٌ من المنافقين وهو ابنُ أُبَيٍّ: يا بني الأَوْسِ، يا بني الخَزْرَجِ، عليكم صاحبَكم وحليفَكم – يعني الأَنْصار– ثُمَّ قال: والله ما مثلُنا ومثلُ مُحَمَّدٍ إِلَّا كما قال القائِلُ: سمِّنْ كلبَكَ يَأْكُلْكَ. والله لَئِنْ رجعْنَا إِلَى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ منها الأَذَلَّ(٢).

وكان في القوم الذين خاطبهم ابنُ أُبَيٍّ بهذا القول زَيْدُ بنُ أَرْقَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣)

(١) صحيفة الشهاب اللبنانية بتاريخ ٢٣/ ٢/ ١٣٩٤هـ.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٤٠٣)، وعبد الرزاق (٣/ ٢٩٣)، والطبري (١٠/ ١٨٦) في تفاسيرهم، وهو مرسل، قاله ابن حجر في الفتح (٨/ ٦٥٠).

(٣) هو : زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان الأنصاري الخزرجي نزل الكوفة، من مشاهير الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شهد غزوة مؤتة وغيرها، توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة (٦٦هـ).

انظر في ترجمته «طبقات ابن سعد» (٦/ ١٨) و«التاريخ الكبير» (٣/ ٣٨٥) و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر (٥٣٥)، «أسد الغابة»، لابن الأثير (٢/ ٢١٩)، «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر (١/ ٥٦٠)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٣/ ١٦٥).

وكان غلامًا حَدَثَ السِّنِّ لم يعبأْ به رَأْسُ النِّفاق، فأَخْبَرَ الغلامُ النَّبيَّ ﷺ فحلف ابنُ أُبَيٍّ ما قال ذلك، فأَنْزَلَ اللهُ تصديقَ زَيْدٍ، وتكذيب عَبْدِ الله بْنِ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ في سورة المنافقون(١) .

وهذا يُشير إِلَىٰ زاويةٍ رَئِيْسَةٍ من زوايا تعامُلِ المنافقين مع النَّبيِّ ﷺ، ولقدْ أَرَادَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قتلَه؛ قال: يا رَسُولَ الله، دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هذا المنافِقِ. فقال النَّبيُّ ﷺ: «دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»(٢) .

وقال غيرُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثلَ ذلك، فقال له ابْنُه عَبْدُ الله بنُ عَبْدِ الله بنِ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والله لا تنقلب حتَّىٰ تُقِرَّ أَنَّكَ الذَّلِيلُ، ورَسُولُ الله ﷺ العزيزُ. فَفَعَلَ(٣) .

ما حدث في غزوة تبوك: قال قَتَادَةُ عند قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [سورة التوبة:٦٥] ، فبينما النَّبيُّ ﷺ في غزوة تبوك وركْبٌ من المنافقين يسيرون بين يديه، فقالوا: يظنُّ هذا أَنْ يفتحَ قُصُورَ الرُّوم وحُصُونَهَا، هيهات هيهات، فأَطْلَعَ اللهُ نَبِيَّهُ علىٰ ما قالوا، فقال: «عَلَيَّ بِهؤلاء النَّفَرِ». فدعاهم، فقال: «قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا». فحلفوا ما كُنَّا إِلَّا نخوضُ ونلعبُ(٤) .

وروىٰ ابنُ جَرِيرٍ عن مُجَاهِدٍ في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ [سورة التوبة:٦٥] قال: قال رَجُلٌ من المنافقين: يُحدِّثنا مُحَمَّدٌ أَنَّ ناقةَ فُلانٍ بوادي كذا وكذا، في يوم كذا وكذا، وما يدريه ما الغَيْبُ(٥) .

---

(١) رواه البخاري ك: التفسير باب: سورة المنافقون (ح/ ٤٦٢٢)، ومسلم (٨/ ١٩ ك): البر والصلة والآداب، باب: نصر الأخ ظالمًا ومظلومًا (ح ٦٧٤٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب قوله: (سواء عليهم أستغفرت لهم)، برقم: (٤٦٢٢)، ومسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا، برقم: (١/ ٢٥٨٤)، من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب: ومن سورة المنافقين، برقم: (٣٣١٥).

(٤) أخرجه عبد الرزاق (٢/ ٢٨٢)، والطبري (١٠/ ١٧٣) في تفسيريهما.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٠٤٨)، والطبري (١٠/ ١٧٣).

لقد آذاني نتْنُ حمارِك:

ومن ذلك أَيْضًا ما رواه أَنَسُ بنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قيل للنَّبِيِّ ﷺ لو أَتَيْتَ عَبْدَ الله بنَ أُبَيٍّ – في روايةٍ – عن أُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِنَّما خرج لعِيَادةِ سَعْدِ[1] بنِ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [2] قال فانطلق إِلَيه وركِب حمارًا ﷺ وانْطَلَقَ المسلمون وهي أَرْضُ سَبْخَةٍ، فلمَّا أَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ قال مستهزئًا: إِلَيْكَ عنِّي، فواللهِ لقد آذَانِي نَتْنُ حِمَارِكَ.

قال: فقال رَجُلٌ هو عَبْدُ اللهِ بنُ رَوَاحَةَ [3] مِنَ الأَنْصار: واللهِ لَحِمَارُ رَسُولِ الله

---

(١) هو: سعد بن عبادة بن دليم أبو قيس الأنصاري الخزرجي الساعدي المدني سيّد الخزرج وكان عقبيًا نقيبًا سيِّدًا جوادًا، كانت جفنته التي من ثريد ولحم أو ثريد بلبن أو غيره يبعث بها كل يوم إلى بيوتات النبي ﷺ منذ أن قدم المدينة، شهد بدرًا توفي سنة (١٥هـ) أو (١٦هـ). انظر في ترجمته «الإصابة» (٤/ ١٥٢ – ١٥٣) و«الاستبصار» (٩٣ – ٩٧) و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر (٤/ ١٥٢)، «أسد الغابة»، لابن الأثير (٢/ ٣٥٦)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (١/ ٢٧٠).

(٢) وقد حاول الجمع بين الروايتين ابن حجر رحمه فقال: «يحتمل اتحادهما بأن يكون الباعث له عيادة سعد بن عبادة فاتفق مروره بعبدالله ابن أبي بن سلول فقيل له حينئذ لو أتيته فأتاه». انظر: «فتح الباري» (٥/ ٢٩٨).

(٣) هو: عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر بن مالك الأغر بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج. ويقال: عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر الأنصاري الخزرجي، أبو محمد، ويقال: أبو رواحة، ويقال: أبو عمرو المدني، صاحب رسول الله ﷺ. وأمه كبشة بنت واقد بن عمرو بن الإطنابة بن عامر بن زيد مناة بن مالك الأغر. شهد بدرًا والعقبة، وهو أحد النقباء بها، وشهد المشاهد كلها إلا الفتح وما بعده، فإنه قتل يوم مؤتة، وهو أحد الأمراء فيها. روى عن النبيِّ ﷺ (س)، وعن بلال المؤذن. وقال أنس: نعى رسول الله ﷺ إلى الناس جعفرا، وابن رواحة، وزيدا، وعيناه تذرفان. ومناقبه وفضائله كثيرة جدًّا. ذكره عروة بن الزبير فيمن قتل من الأنصار يوم مؤتة. وقال الواقدي: كانت مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان من الهجرة. «الطبقات الكبرى»، لابن سعد (٣/ ٥٢٥)، «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي (١٤/ ٥٠٦).

ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ، قال: فغضِب لعَبْدِ الله رَجُلٌ من قومِه قال: فغضِب لكلِّ واحدٍ منهما أَصْحابُه قال: فكان بينهم ضَرْبٌ بالجريد وبالأَيْدي وبالنِّعالِ، قال أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فبلغنا أَنَّها نزلتْ فيهم: ﴿وَإِن طَآيِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟﴾ [سورة الحجرات:٩](١).

وهذا الاستهزاءُ مُتكرِّرٌ عَبْرَالقرون وحُقُبِ التَّاريخ من أَعْداءِ الله الكُفَّار، وممَّن ينتسبون إِلَى الإِسْلام، وهو منهم براءٌ.

فمِن ذلك الهجمةُ الشَّرِسةُ الأَخِيرةُ التي تَمالَأَتْ عليها دُوَلٌ غربيَّةٌ مِنْ خلال صُحُفِها علىٰ نشر كريكاتيرات ساخرةٍ بالمُصْطَفَىٰ ﷺ ومُسْتهزِئَةٍ به، ابْتَدَأَتْ بذلك صحافةُ الدَّنْمارك، ثُمَّ تَلَتْها أَلْمَانِيَا وفَرَنْسَا وإِسْبَانِيَا، فكرَّرت عَرْضَ تلك الرُّسوماتِ المشينةِ، حيث عرَضوا رَسْمًا له - بأَبِي هُوَ وأُمِّي - وهو ذو لحيةٍ كثَّةٍ وعليه عمَّةٌ بمنظرٍ مخيفٍ مع أَنَّه أَجْمَلُ الخَلْق ﷺ وفوق ذلك بيده خنجرٌ وعن يمينه وشماله امْرَأَتان مُنقَّبتان إِلَىٰ غير ذلك، ممَّا هزَّ للعالم الإِسْلاميِّ كِيانَه، وزَلْزَلَ في أَنْحائِه أَرْكانَه، وحرَّك في أَوْصالِه معاني النُّصْرةِ بشتَّىٰ صُوَرِها ووَسَائِلِها، والَّتي علىٰ رَأْسِها المُقاطعةُ المباركةُ.

وإِنْ عَجِبَ المُؤْمِنُ من هذه الإِسَاءَاتِ التي لمْ تَرْعَ نُظُمًا عَالَمِيَّةً وحقوقيَّةً وأُمَمِيَّةً نصَّتْ عليها قراراتُ هيئَاتِهم الدَّوليَّةِ مِنَ احْتِرامِ الأَدْيان وعدمِ مساس أَحَدٍ بمُقدَّساتِ دِيْنٍ من الأَدْيانِ، إِلَّا أَنَّ العَجَبَ لا ينقضي مِنْ شِنْشناتٍ عَلَتْ أَصْواتُها، وطفَح قَيْحُ أَقْلامِها، تُنادي أَنْ نتعاملَ كمُسْلمين مع حَدَثٍ كهذا، بِهُدُوءِ نَفْسٍ، وَرَبَاطَةِ جَأْشٍ، وأَنْ نُظْهِرَ لِلغَرْبِ أَنَّنَا أَسْمىٰ وأَعْلىٰ في تعامُلِنا منهم، وأَنْ

(١) رواه البخاري كتاب: الصلح باب: ماجاء في الإصلاح بين الناس، برقم: (٢٥٤٥)، ومسلم كتاب: الجهاد والسير، باب: في دعاء النبي ﷺ وصبره علىٰ أذىٰ المنافقين، برقم: (٤٧٦٢).

نُبْرِزَ لهم سماحةَ الإِسْلام، وأَلَّا تُسيطِرَ علينا رُدُودُ الأَفْعال إِلَىٰ غير ذلك ممَّا يتنافى مع أَيْسَرِ أَسْبابِ نُصْرَةِ المُصْطَفَىٰ ﷺ.

الطابورُ الخامسُ:

أَتَدْرِي مَنْ هؤلاء؟ إِنَّهم أَحفادُ عَبْدِ الله بنِ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ، إِنَّهم سُلالةُ النِّفاق.. ولا غَرْوَ؛ فمِنْ بين هؤلاء الدَّاعين إِلَىٰ الصَّفْحِ والمسامحةِ مَنْ له كتاباتُ سُخِرَ فيها بربِّنا سُبْحَانَهُ وهو مِنْ بني جِلْدَتِنا ويتكلَّم بلسانِنا، بلْ ومِنْ أَرْضِ الحَرَمَيْنِ الشَّريفين ومَبْعَثِ الرِّسالة، أَخَذَ يتبجَّحِ بالكُفْرِ الصُّراحِ فيقول: اللهُ والشَّيْطانُ وَجْهانِ لعُمْلةٍ وَاحِدَةٍ[1].

بلْ إِنَّه وصَف اللهَ عزَّ في عُلاه بأَنَّه حيوانٌ غريبٌ[2] تعالىٰ اللهُ عمَّا يقول عُلُوًّا كبيرًا، ناهيك عن فضائِحَ حَوَتْها رواياتُه وخطَّها قلمُه وطفَحَتْ بها مُقابَلاتُه. وعلىٰ شاكلته مَنْ أَلْقَىٰ قصيدتَه في مَهْرَجَانِ المِرْبَدِ بالعِراقِ ونشرتْها جريدةُ اليمامة[3] حيث يقول أَخْرَسَ اللهُ لِسانَه:

أَرْضُنَا البِيْدُ غارقةٌ في الظَّلام طوَّق اللَّيْلُ أَرْجاءَها
وكَسَاهَا بعَسْجُدِه الهَاشميِّ فدَانَتْ لعاداتِه معبدًا[4]

يزعم أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ جاءَ بعاداتٍ وتقاليدَ باليةٍ غرقتْ فيها أَرْضُه البِيْدُ في ظلامٍ، مُتنكِّرًا جاحدًا لِدِينٍ سماويٍّ، وقُرْآنٍ ربَّانيٍّ، وسُنَّةٍ نبويَّةٍ، وشريعةٍ إِيمانيَّةٍ، ثُمَّ إِنَّ المُصْطَفَىٰ

---

(١) «الكراديب»، تركي الحمد، طبعته: دار مدارك السلسلة - مجلد واحد.، الطبعة: ٧ - ٢٠١٢ م (ص١٣٧).

(٢) المرجع السابق (ص٢٢-٢٦).

(٣) مجلة اليمامة السعودية عدد(٨٨٧)، بتاريخ ٢٧/ ٤/ ١٤٠٦هـ.

(٤) انظر : «الحداثة في ميزان الإسلام»، عوض القرني، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولىٰ، سنة (١٤٠٤هـ- ١٩٨٨م)، (ص ٦٩- ٧٠).

جاءَ بالسِّراجِ المُبينِ والنُّورِ والهُدىٰ الَّذي انْقَشَعَتْ به دَيَاجِيْرُ الظُّلُماتِ، وانْزَاحَتْ وانْدَاحَتْ به وَثَنِيَّاتُ الشِّرْكِ وأَصْنامُ الضَّلالة، ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ١٥﴾ [سورة المائدة:١٥] ، ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى﴾ [سورة الحديد:٩] ، ولكن صَدَقَ الله: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٢٣﴾ [سورة الجاثية:٢٣].

وهذه الشَّواهدُ ما هي إِلَّا قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرٍ، وإِلَّا فمَنْ يستعرض شِعْرَ ونَثْرَ الحداثيِّين وأَذْنابِ المستغربين مِنْ بني قومِنا وعشيرتِنا، يجدها كثيرةً سَوَّدُوا بها كتبُهم، كما اسْودَّتْ بها وُجُوهُهم وقلوبُهم مِن أَمْثال: مَحْمُودِ درويٍّ،[1] ويُوسُف خالٍ،[2] وعزيز العظمة[3]، وإِسْماعِيْل أَمِيْنٍ، وحَسَنِ حنفيٍّ، وصَلَاحٍ

(١) محمود درويش شاعر فلسطيني حداثي شيوعي، عضو في الحزب الشيوعي الإسرائيلي راكاح، وعضو المجلس الوطني التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية العلمانية، يسمونه شاعر الأرض المحتلة، له دواوين شعر مليئة بالمضامين الحداثية المنحرفة. انظر: تاريخ الشعر العربي الحديث: (ص: ٦٢٦)، والحداثة في ميزان الإسلام (ص: ٩٤).

(٢) يوسف الخال ولد في قرية عمار الحصن في وادي النصارىٰ غرب سوريا عام (١٣٣٨هـ/ ١٩٢٠م)، وتعلم الفلسفة في الجامعة الأمريكية ببيروت، هاجر إلىٰ أمريكا وسكن نيويورك، ثم عاد إلىٰ لبنان وفتح دارا للنشر سماها دار «مجلة شعر»، وبعد عودته من أمريكا بسنتين وذلك في عام (١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م) أصدر بيان الشعر الذي اعتبره الحداثيون العلامة البعيدة لوعي مغاير، وكانت مجلة شعر تمول من قبل منظمة تابعة للمخابرات الأمريكية، وقامت هذه المجلة وأصحابها وعلىٰ رأسهم الخال وأدونيس وأنس الحاج بدور كبير في ترسيخ الانحرافات العقدية والسياسية والاجتماعية، وكانوا يحملون حقدًا شديدًا علىٰ الإسلام واللغة العربية، وينادون بإلحاق بلاد العرب بالغرب، كما أن يوسف الخال لم يتخل عن نصرانيته، هلك وما زال أتباعه يقتفون أثره ومنهم رياض نجيب الرَّيِّس صاحب مجلة النَّاقد. انظر: «تاريخ الشعر العربي الحديث» ص (٣٠٧)، و«رأيهم في الإسلام»: (ص٢٣)، وأسئلة الشعر: ص (١٤٧).

(٣) عزيز العظمة كاتب من سورية، خبيث المعتقد، معاد للإسلام وأهله شديد العداء مظهر لذلك، ولد في دمشق ودرس في بيروت وتوبنغن وإكسفورد، ثم درس في عدة جامعات عربية =



عَبْدِ الصَّبُورِ،(١) ونِزَارِ قبَّانِيٍّ(٢)(٣).

٦ـ لمزُهم النَّبيَّ ﷺ في الصَّدَقات:

قال تعالىٰ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [سورة التوبة:٥٨].

روىٰ البُخَارِيُّ بسنده -في توزيع الغنائِمِ يومَ حُنَيْنٍ- عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قال: بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يُقَسِّمُ، جَاءَ عَبْدُ الله بنُ ذِي الْخُوَيْصِرَةِ التَّمِيمِيُّ(٤) فقال: اعْدِلْ

= وبريطانية، وله كتب بالعربية والإنجليزية، ومن عجائب أحوال الردة المعاصرة أن المترجم له أستاذ للدراسات الإسلامية في جامعة إكسترا في بريطانيا. انظر: الإسلام والحداثة، (ص٤١٧)، ومجلة الناقد عدد (٩) (ص ١٠).

(١) صلاح عبدالصبور شاعر من مصر، ورائد من رواد الحداثة، مليء شعره بالمضامين الحداثية المنحرفة، كما في قصيدته «الناس في بلادي»، و«مأساة الحلاج»، وغيرها، تأثر بشعراء الغرب خاصة أليوت وكافكا وغيرهما، وبذل جهدًا كبيرا في نشر المضامين الحداثية والعلمانية، وكانت خاتمته الموت بالسكتة أثناء ليلة رقص وخمر في منزل أحمد عبدالمعطي حجازي، لما عوتب عن موقفه الموالي لدولة اليهود ومسايرته للسادات في ذلك، وكان ذلك سنة (١٤٠١هـ/ ١٩٨١م). انظر: «تاريخ الشعر العربي الحديث» (ص ٦٦٥)، «قضايا الشعر الحديث»، (ص ٥٥٧، ٢٦٢-٢٦٨)، و«رفاق سبقوا»: (ص ٢٤١-٢٥٠، ٢٧٠-٢٧٢).

(٢) نزار قباني شاعر سوري، ولد سنة (١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م)، درس الحقوق وتخرج سنة (١٣٦٦٤هـ/ ١٩٤٥م)، وعمل في بعثة دبلوماسية في القاهرة ثمَّ تركيا ثمَّ لندن وبكين، من رواد الحداثة، اشتهر بأنه شاعر المرأة، حيث جعل منها مجرد جسد، وإناء لتفريغ الشهوة الجنسية، يركز على أعضاء الجنس، والملابس الداخلية للنساء، ويأتي بعبارات صارخة مكشوفة جنسيًّا، ويجاهر بالإلحاد، والتَّهكُّم بالله ورسوله ﷺ والدين والشريعة، ويبغض العرب؛ لفرط شعوبيَّته. انظر: «الصراع بين القديم والجديد» (٢/ ١٢٦٩)، و«تاريخ الشعر العربي الحديث» (ص: ٦٣٥).

(٣) وللاطلاع بتوسع انظر رسالة الدكتوراة: «الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها»، للدكتور: سعيد بن ناصر الغامدي، فقد ذكر العديد من أسمائهم ونقل كثيرًا من مقولاتهم التي فاح كثير منها بالكفر الصراح .

(٤) هو: عبد الله ذو الخويصرة التميمي اليماني، كان رجلًا جافيًا على رسول الله ﷺ رأس الخوارج، =

يَا رَسُولَ الله. فقال: «وَيْلَكَ وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟» قال عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ: دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَهُ، قال ﷺ: «دَعْهُ؛ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ[(١)] كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ[(٢)]، يُنْظَرُ فِي قُذَذِهِ[(٣)] فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ[(٤)] فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ

= قتل بالنهروان وهو الذي قال لرسول الله ﷺ في قسمة غنائم حنين (اعدل) قال ﷺ: «ويحك ومن يعدل إذا لم أعدل؟!» قال عنه ﷺ: «إنه يخرج من ضئضئي هذا قوم يَتْلُونَ كتاب الله رطبًا لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السَّهم من الرَّميَّة». «صحيح الجامع» (٢٤٢٧)، كان محلوق الرأس مشمَّر الإزار كثَّ اللِّحية. قيل: إنَّ اسمه حرقوص بن زهير. انظر في ذكر بعض مواقفه: «غوامض الأسماء المبهمة» (٢/ ٥٤٥)، «أسد الغابة»، لابن الأثير (١/ ٣٤٢)، «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر(٢/ ٤١١).

(١) المروق: الخروج. ومنه المرق؛ وهو الماء الذي يستخرج من اللحم عند الطبخ؛ للائتدام به. ينظر: «الفائق في غريب الحديث والأثر»، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة – لبنان، الطبعة: الثانية (٣/ ٣٥٥).

(٢) الرمية: الهدف والغرض الذي يُرمى إليه السَّهم لإصابته، وهي: كلُّ دَابَّة مرميَّة. ينظر:«الفائق في غريب الحديث» (٣/ ٣٥٥).

(٣) القُذَذ: ريش السَّهم، كلُّ ريشة قُذَّة، وَمِنْه حَذْو القذَّة بالقذَّة؛ أَي: كَمَا تقدر كلُّ قُذَّة عَلَى صاحبتها يضْرب مثلا للشَّيئين يستويان. ينظر: «غريب الحديث»، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥ (٢/ ٢٢٦).

(٤) النَّصْلُ: هو حديدة السَّهم، وحديدة الرُّمح أيضًا؛ وهو السِّنُّ، وفي الحديث الآخر: «في رجب مُنْصِل الأسنَّة» - بضمِّ الميم وكسر الصَّاد وسكون النُّون - تفسيره في الحديث؛ لأنه من الأشهر الحرم التي كانت لا تقاتل فيها العرب، فكانت تنزع أسنَّة الرِّماح، ونصولها إلى وقت الحاجة؛ يقال: نَصَلْتَ السَّهْمَ والرُّمْحَ؛ إذا جَعَلْتَ له نصلًا، وأنصلته؛ إذا أزلت نصله. ينظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار»، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، دار النشر: المكتبة العتيقة، ودار التراث (٢/ ١٤).



إِلَىٰ رِصَافِهِ[١] فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَىٰ نَضِيِّهِ[٢] فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيْءٌ، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ[٣] وَالدَّمَ[٤]، آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَىٰ يَدَيْهِ – أَوْ قَالَ ثَدْيَيْهِ – مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، -أَوْ قَالَ- مِثْلُ الْبَضْعَةِ[٥] تَدَرْدِرُ[٦] يَخْرُجُونَ عَلَىٰ حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ».

---

(١) الرصاف: جمع رصفة وهي عصبة من الأوتار، ويقال لها: عقبة تلوىٰ فوق مدخل أسفل نصل السهم في عوده، وتشد لتثبيت النصل، وقال أبو عبيد: ثم نظر في الرصاف: وهي العقب التي فوق الرعظ – والرعظ مدخل النصل في السهم – فلم يَرَ دما واحدة الرصاف رصفة. ينظر: «غريب الحديث»، المؤلف: أبو عبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفىٰ: ٢٢٤هـ)، المحقق: د/ محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة: الأولىٰ، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م (١/ ٢٦٦).

(٢) ثم ينظر إلىٰ نَضِيِّه: نضيُّ السَّهم هو ما بين ريشه ونصله، النَّضيُّ: الْقدح قبل أَن ينحت. ينظر: «الفائق في غريب الحديث» (٣/ ٣٥٥).

(٣) قال ابن فارس: الفاء والراء والثاء أصيل يدل علىٰ شيء متفتت. يقال فرث كبده: فتها. وَالْفَرْثُ: مَا فِي الْكَرِشِ. ويقال علىٰ معنىٰ الاستعارة: أفرث فلان أصحابه، إذا سعىٰ بهم وألقاهم في بلية. ينظر: «معجم مقاييس اللغة» (٤/ ٤٩٨).

(٤) سَبَقَ الفَرْثَ والدَّمَ: أي مر سريعًا في الرمية وخرج منها لم يعلق منها بشيء من فرثها ودمها لسرعته، شبَّه به خروجهم من الدِّين ولم يعلقوا بشيء منه. ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ٣٣٨).

(٥) البَضْعَةُ: بالفتح وقد تكسر: القطعة اسم من بَضَعَ اللَّحْمَ يَبْضَعُهُ بَضْعًا؛ أي: قطعة من اللحم المجتمعة. والفتح هو الأفصح والأكثر، كما في الفصيح وشروحه. انتهىٰ. قلت: ويدل علىٰ أن الفتح هو الأفصح قول الجوهري: والبَضْعَةُ: القطعة من اللحم، هذه بالفتح وأخوتها بالكسر مثل القطعة، والفلذة. ينظر: «تاج العروس من جواهر القاموس»، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو لفيض، الملقب بمرتضىٰ، الزبيدي (المتوفىٰ: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية (٢٠/ ٣٣٤).

(٦) تَدَرْدَرُ: أَي تَمَزْمَزُ وتَرَجْرَجُ: تجيء وتذهب، والأَصل تَتَدَرْدَر، فحذف إحدىٰ التاءين تخفيفا.ودَرْدَرَ البُسْرَةَ : دلكها، وتَدَرْدَرَتِ اللحمة: اضطربت، ويقال للمرأة إذا كانت عظيمة الأليتين فإذا مشت رَجَفَتَا: هي تدردر. ينظر: «تاج العروس» (١١/ ٢٨٧).

قال أَبُو سَعِيدٍ: «أَشْهَدُ سَمِعْتُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيًّا قَتَلَهُمْ وأَنا معه، جِيءَ بالرَّجُل علىٰ النَّعت الذي نَعَتَه النَّبِيُّ ﷺ». قال: فنزلتْ فيها ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [سورة التوبة:٥٨](١).

والمرادُ مِنْ هذا البيانِ التَّفصيليِّ أَنَّه لم يَعلق في السَّهم من الرَّمِيَّةِ التي هي الصَّيْدُ شيءٌ؛ لأَنَّه مَرَقَ منها بسرعةٍ فائِقَةٍ؛ أَيْ: لم يبقَ فيهم من الإِسْلامِ شيءٌ(٢).

وقدْ ظَهَر هؤلاء القوم في خلافة عَلِيِّ ابنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهُمُ القومُ الذين خرجوا عليه وقَاتَلَهم، واسْتَأْصَلَ مُعْظَمَهم، وقتَل آيتَهم؛ أَيِ: العلامةَ التي تدلُّ عليهم، وهو رَجُلٌ منهم، ولَمَّا بحثوا عنه في القَتْلىٰ وجدوا أَنَّه علىٰ الوصف الذي جاءَ في كلام الرَّسُولِ ﷺ، ولَمَّا رآه عَلِيُّ ابنُ أَبِي طَالِبٍ كبَّر شكرًا لله، وسرورًا بأَنَّهم الذين وصفَهم الرَّسُولُ ﷺ في حديثه.

وإِلَيك تصويرُ الموقف:

عندما سار النَّبِيُّ ﷺ لقتال هَوَازِنَ وثَقِيفَ يومَ حُنَيْنٍ، كان معه عددٌ من زُعَمَاءِ مَكَّةَ، وزُعَمَاءِ القبائِلِ العربيَّةِ، وكان بعضُهم قد آمن بالإِسْلام إِيمانًا ضعيفًا، وبعضُهم لم يُؤْمِنْ بَعْدُ، فلمَّا نصَر اللهُ نبيَّه ﷺ علىٰ أَعْدائِه وظَفِر منهم بالغنائِمِ العظيمةِ، أَعْطىٰ عددًا مِنْ وجوه بعض القبائِلِ العربيَّةِ عطايا كبيرةً يتأَلَّفُهم بذلك للإِسْلام.

وقد ذكَر ابنُ إِسْحَاقَ عددًا ممَّنْ أَعْطاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ، كأَبِي

---

(١) رواه البخاري كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم باب: من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه، برقم: (٦٥٣٤)، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم: (١٠٦٤/ ٥).

(٢) «ظاهرة النفاق» (٢/ ٢٦٨-٢٦٩).

سُفْيَانَ بنِ حَرْبٍ [(١)] وسُهَيلِ بنِ عَمْرٍو [(٢)] وصَفْوَانِ بنِ أُمَيَّةَ [(٣)]، ومِمَّنْ أَعْطَى مِنْ زُعَماءِ القبائِلِ العربيَّةِ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنٍ [(٤)] زَعيمُ بني فَزَارَةَ، والأَقْرَعُ بنُ حَابِسٍ [(٥)] زعيمُ بني تَمِيمٍ، وعَبَّاسُ بنُ مَرْدَاسٍ زعيمُ بني سُلَيمٍ.

---

(١) هو: أبو سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي كنيته (أبو حنظلة) كان أسنّ من النبي - ﷺ - بعشر سنين وقيل غير ذلك أسلم عام الفتح وشهد حنيناً والطائف وكان من المؤلفة قلوبهم، تزوج النبي - ﷺ - ابنته أم حبيبة قبل أن يسلم، كان من دهاة العرب وقيل أنه توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة (٣٢) أو (٣٣) أو (٣٤هـ) وله نحو التسعين من عمره. انظر في ترجمته «الجرح والتعديل» (٤/ ٤٢٦)، «أسد الغابة»، لابن الأثير (٣/ ١٦٧)، «تهذيب التهذيب»، لابن حجر (٤/ ٤١١ - ٤١٢) و«مجمع الزوائد» (٩/ ٢٧٤)، «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر(٥/ ١٢٧)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٢/ ١٠٥).

(٢) هو: سهيل بن عمرو أبو يزيد، كان خطيب قريش ومن أشرافهم لَمَّا أقبل في شأن الصلح قال النبي ﷺ : «سهل أمركم»، تأخر إسلامه إلى عام الفتح ثم حسن إسلامه كان كثير الصلاة والصيام والصدقة خرج مجاهدًا إلى الشام واستشهد يوم اليرموك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه. انظر في ترجمته «نسب قريش» (٤١٧ - ٤١٩) و«التاريخ الكبير» (٤/ ١٠٣ - ١٠٤)، «أسد الغابة»، لابن الأثير (٢/ ٤٨٠)، «شذرات الذهب»، لابن العماد الحنبلي(١/ ٣٠)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (١/ ١٩٤).

(٣) هو: صفوان بن أمية بن خلف القرشي الجمحي، أسلم بعد الفتح وحسن إسلامه وشهد اليرموك، كان من كبراء قريش، توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة (٤١هـ). انظر في ترجمته «الجرح والتعديل» (٤/ ٤٢١) و«الاستبصار» (٩٣)، «أسد الغابة»، لابن الأثير (٣/ ٢٣) و«تهذيب الكمال» (٦٠٨)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٢/ ٥٦٢).

(٤) هو: عُيَيْنَة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة الفزاري أبو مالك (توفي: ٢٣ - ٣٥ هـ)، من قيس عيلان، واسم عيينة: حذيفة، فأصابته لقوة فجحظت عيناه، فسمي عيينة، ويكنى أبا مالك، وهو سيد بني فزارة وفارسهم.قال أبو نعيم: من صناديد العرب، استألفه النبي ﷺ على الإسلام، وكان من المؤلفة، ذكره في حديث أبي سعيد الخدري، وعمرو بن عبسة السلمي.

قال الواقدي: فلما انكشف الأحزاب رد عيينة إلى بلاده، ثم أسلم قبل الفتح بيسير. وأعطى النبي ﷺ عيينة من الغنائم مائة من الأبل. ينظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٤/ ٢٢٤٧)، «تاريخ الاسلام»، للذهبي (٢/ ١٩٠).

(٥) هو : الأَقْرَعُ بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وكان في وفد بني تميم الذين قدموا على رسول الله ﷺ، فأسلم، وكان =



أَعْطَىٰ كُلَّ واحدٍ منهم مِائَةً من الإِبِلِ، وأَعْطَىٰ دون ذلك أُنَاسًا آخَرِين(١)، ولَمْ يُعْطِ رَسُولَ الله ﷺ الأَنْصارَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ شيئًا، فوجدوا في أَنْفُسِهم، كما أَخْرَجَ الشَّيخان عن عَبْدِ الله بنِ زَيْدِ بنِ عَاصِم؛ قال: لَمَّا أَفاءَ اللهُ علىٰ رَسُولِه ﷺ يومَ حُنَيْنٍ، قسَّم في النَّاس في المُؤَلَّفة قلوبُهم، ولَم يُعْطِ الأَنْصارَ شيئًا، فكأَنَّهم وَجَدُوا إِذْ لم يُصِبْهم ما أَصَابَ النَّاسَ ...(٢).

هل أَعْطىٰ النَّبيُّ ﷺ المُؤَلَّفة قلوبُهم مِنْ أَصْل الغنيمة أَمْ من الخُمُسِ؟ علىٰ قولين:

الأَوَّلِ: أَنَّه من الخُمُسِ. وبهذا قال القُرْطُبِيُّ؛ حيث قال في «المفهم»: «الإِجْراءُ علىٰ أُصول الشَّريعة أَنَّ العطاءَ المذكورَ كان من الخُمُسِ، ومنه كان أَكْثَرُ عطاياه، وقدْ قال في هذه الغزوةِ للأَعْرابيِّ: ما لي ممَّا أفاءَ اللهُ عليكم إِلَّا الخُمُسَ، والخُمُسُ مردودٌ فيكم». أَخْرجه أَبُو دَاوُدَ(٣) والنَّسائِيُّ(٤) من حديث عَبْدِ الله بنِ عَمْرٍو(٥)، وذكَره ابنُ حَجَرٍ(٦).

= ينزل أرض بني تميم ببادية البصرة وشهد فتح مكة وحنينا والطائف وهو من المؤلفة قلوبهم وقد حسن إسلامه وكان حكما في الجاهلية أعطاه النبي - ﷺ - من غنائم حنين مائة من الإبل. ينظر: «الإصابة» (١/ ١٠١)، «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٧/ ٣٧).

(١) «سيرة ابن هشام» (٤/ ١٧٨-١٧٩).

(٢) رواه البخاري كتاب: المغازي، باب:غزوة الطائف، برقم: (٤٠٧٥).

(٣) أبو داود: هو أبو داود سليمان بن الأشعث بن شداد الأزدي السجستاني الإمام الحافظ المحدث، صاحب «السنن». (ولد سنة ٢٠٢ - وتوفىٰ سنة ٢٧٥ هـ). ينظر: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (١٣/ ٢٠٣)، «تهذيب التهذيب»، لابن حجر (١٠/ ٧٥).

(٤) النسائي: هو أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار أبو عبد الرحمن النسائي صاحب «السنن» (ولد سنة ٢١٥ - وتوفىٰ سنة ٣٠٣ هـ). ينظر «سير أعلام النبلاء» للذهبي (ج١٤ ص١٢٥). و«طبقات الحفاظ» لعبد الرحمن ابن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ص/ ٣٣٩). ط: دار الكتب العلمية - بيروت/ ط:١. ١٤٠٣هـ.

(٥) أخرجه أبو داود، كتاب: الجهاد، باب: في الإمام يستأثر بشيء من الفيء لنفسه، برقم: (٢٧٥٥)، من حديث عمرو بن عبسة، وأخرجه النسائي، كتاب: قسم الفيء، برقم: (٤١٣٩)، من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. قال الألباني: حديث حسن.

(٦) «فتح الباري» (٨/ ٤٨).

الثَّاني: أَنَّه مِنْ أَصْل الغنيمة. وقد اختاره ابنُ حَجَرٍ وقال: هو المُعْتَمَدُ. واستشهد لذلك بِما وقَع في رواية الزُّهْرِيِّ [١] عن أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقالوا: يغفر اللهُ لرَسُولِه؛ يُعْطِي قُرَيْشًا، ويتْرُكُنا وسيوفُنا تَقْطُرُ مِنْ دمائِهم [٢].

وبما في رواية هِشَامِ بنِ زَيْدٍ [٣] عن أَنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: إِذَا كانت شديدةً فنحن نُدعى ويعطي الغنيمةَ غيرَنا [٤]. وقال في موضعٍ آخَرَ وإِسْنادُه على شرط مُسْلِمٍ [٥].

وبناءً على هذا القولِ يكون تصرُّفُ النَّبِيِّ ﷺ في توزيع هذه الغنائِم مَبْنِيًّا على مراعاتِه مَصْلحة الإِسْلام آنذاك؛ فهذا الحادثُ مِنْ باب السِّياسةِ الشَّرْعيَّةِ للأَمْرِ العارضِ، وقد أَقْنَعَ النَّبيُّ ﷺ الصَّحابةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ الَّذين هُمْ أَصْحابُ الحقِّ في ذلك المالِ بالتَّنازُلِ عن حقِّهم؛ مراعاةً لمَصْلحة الدَّعْوةِ الإِسْلاميَّةِ في تلك الفترةِ.

أَمَّا المنافقون فقد اتَّخذوا من ذلك وسيلةً لِعَيْبِ النَّبِيِّ ﷺ والطَّعْنِ في عدالته،

---

(١) هو أبو بكر محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري، أحد الفقهاء والمحدثين، ومن أعلام التابعين ومن أهل المدينة وهو أول من دوّن الحديث وروى عنه جماعة من الأئمة أمثال: مالك بن أنس وسفيان بن عيينة وسفيان الثوري، قال فيه ابن حجر: متفق على جلالته وإتقانه، مات سنة (١٢٤هـ) «وفيات الأعيان» (٤/ ١٧٧)، «التقريب» (٢/ ٢٠٧)، «الأعلام» (٧/ ٣١٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب:غزوة الطائف، برقم: (٤٠٧٦)، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام، برقم: (١٠٥٩/ ١).

(٣) هو: هشام بن زيد بن أنس بن مالك الأَنْصارِيّ، رَوَى عَن جدِّه أنس بْن مالك. رَوَى عَنه: حماد بن سلمة، وشعبة بن الحجاج، وعبد اللَّه بْن عون، وعزرة بن ثابت. قال إسحاق بن منصور، عَنْ يحيى بْن مَعِين: ثقة. وَقَال أبو حاتم : صالح الحديث. ينظر: «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٣٠/ ٢٠٤).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب:غزوة الطائف، برقم: (٤٠٨٢).

(٥) رواه البخاري ك: الخمس باب: ماكان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم (ح/ ٢٩٧٨).



وانْتَهزوا هذه الفُرْصةَ لتشويه سُمْعَتِه في ذلك المجمعِ العظيمِ؛ حيث اتَّهموه بالجَوْرِ سرًّا وعلانيةً؛ فإِنَّ منهم مَنْ جهَر بنقده وعيبِه أَمَامَ النَّاس، كما سبق في خبر ذي الخُوَيْصِرَةِ التَّميميِّ.

ومنهم مَنْ أَسَرَّ ذلك كما أَخْرج الشَّيْخان عن عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لَمَّا كان يومُ حُنَيْنٍ آثر النَّبيُّ ﷺ ناسًا، أَعْطى الأَقْرَعَ بنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الإِبلِ، وأَعْطَى عُيَيْنَةَ مثلَ ذلك، وأَعْطَى ناسًا، فقال رَجُلٌ: ما أُرِيدَ بهذه القِسْمةِ وَجْهُ الله. فقُلْتُ: لأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ ﷺ. قال: «رَحِمَ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»(١).

وقولُه - فقال رَجُلٌ - قال ابنُ حَجَرٍ في رواية الأَعْمَشِ: فقال رَجُلٌ مِنَ الأَنْصار - وفي رواية الوَاقِدِيِّ (٢) أَنَّه مُعْتِبُ بنُ قُشَيْرٍ مِنْ بني عَمْرِو بنِ عَوْفٍ وكان من المنافقين(٣) ولقد ظهرتْ آثارُ ما قصَده النَّبِيُّ ﷺ مِنْ تَأْلِيف النَّاس للإِسْلام جليَّةً واضحةً....

فمِمَّنْ أَسْلَم بعد ذلك مَالِكُ بنُ عَوْفٍ النصريُّ سَيِّدُ هَوَازِنَ، وقد كان النَّبِيُّ ﷺ منَّ عليه بأَهْلِه ومالِه، وأَعْطاه مِائَةً مِنَ الإِبلِ بعد أَنْ وعَده بذلك إِنْ جاءَ مسلمًا، فأَسْلم، وحسُن إِسْلامُه، وولَّاه النَّبِيُّ ﷺ على مَنْ أَسْلَمَ من قومِه، فكان يُقاتل بهم

---

(١) رواه البخاري كتاب: الخمس، باب: ماكان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم، برقم: (٢٩٨١)، ومسلم كتاب: الزكاة، باب: إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتَصَبّر من قوي إيمانه، برقم: (٢٤٩٤).

(٢) هو محمد بن عمر بن واقد الأسلمي، مولاهم الواقدي المدني القاضي، صاحب التصانيف، وأحد أوعية العلم على ضعفه. ولد سنة ثلاثين ومائة، ومات وهو على القضاء سنة سبع ومائتين في ذي الحجة، واستقر الإجماع على وهن الواقدي. ينظر: «ميزان الاعتدال» (٣/ ٦٦٢ - ٦٦٦)، «تهذيب الكمال» (٢٦/ ١٨٠ - ١٩٣).

(٣) ينظر: «فتح الباري» (٨/ ٥٦).



ثقيفًا لا يخرج لهم سرحُ - ماشيةٍ من بهيمة الأنعام - إلَّا أغارَ عليه، حتَّى ضيَّق عليهم، كما ذكَر ابنُ إسْحَاقَ (١)، وذلك قبلَ أَنْ يَأْتُوا إِلَى المَدِيْنَةِ مسلمين، ولعلَّ ذلك كان مِنْ أَسْبابِ انْقِيادهم للإِسْلام.

وممَّن أَسْلَم صَفْوَانُ بنُ أُمَيَّةَ، وكان قد طلَب من رَسُولِ الله ﷺ يومَ فَتْحِ مَكَّةَ أَنْ يجعلَه بالخِيار في الإِسْلام شَهْرَيْنِ، فقال: أَنْت بالخِيار فيه أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ. كما ذكَر ابنُ إِسْحَاقَ (٢).

وقدْ قال عن نفسه بعدما أَسْلَمَ: والله لقدْ أَعْطاني رَسُولُ الله ﷺ ما أَعْطاني، وإِنَّه لأَبْغَضُ النَّاس إِلَيَّ، فما برِح يُعْطيني حتَّى إِنَّه لَأَحَبُّ النَّاس إِلَيَّ(٣).

٧ـ ما أكثرهم عند الطمع وما أقلهم عند الفزع:

إِنَّهم المنافقون؛ يقِلُّون عند الفزَع، ويَكْثُرون عند الطَّمَع، لذا كانتْ لهم هاتان الطَّبيعتان، أَمَّا عند الجِهاد فمُرْجِفُون ومخذِّلون وقاعدون؛ رَضُوا بأَنْ يكونوا مع الخوالف، قدْ مَلأَ الخوفُ أَجْوافَهم، يحسبون كلَّ صَيْحَةٍ عليهم، هم العَدُوُّ، أَهْلُ معاذير، لَطَالَمَا اسْتَأْذَنُوا النَّبيَّ ﷺ فرارًا مِنْ مُلاقاةِ العَدُوِّ، لا يَصْمُدُون في موقفٍ، بلْ أَيْسَرُ ما عليهم الانْخِذَالُ والانْسِحابُ؛ ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ۝٥٧﴾ [سورة التوبة:٥٧]، إِلَى غير ذلك مِنْ سمات الجُبْنِ والخَوْر وحُبِّ الدُّنْيا وكراهيَةِ الموت.

وفي المُقابِلِ لا ينفكُّون عن طبيعة الطَّمَعِ والجَشَعِ والمزاحمةِ عند توزيعِ وتقسيمِ

(١) «سيرة ابن هشام» (٤/ ١٦١).
(٢) «سيرة ابن هشام» (٤/ ٥٠-٥١).
(٣)«صحيح مسلم» كتاب: الفضائل، باب: ما سئل رسول الله ﷺ شيئا قط فقال لا، برقم: (٢٣١٣).

الغنائِمِ؛ فسوادُهم يتكاثر، وتوافدهم يشتدُّ؛ ليُحْمَدُوا بما لمْ يفعلوا، وليُعْطَوْا ما لا يستحقُّون؛ ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [سورة التوبة:٥٨] .

قال الشَّيْخُ ابنُ سعديٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَيْ ومِنْ هؤلاء المنافقون مَنْ يعيبك في قِسْمة الصَّدَقات، وينتقدُ عليك فيها، وليس انتقادُهم فيها وعيبُهم لقصدٍ صحيحٍ، ولا لرَأْيٍ رجيحٍ، وإنَّما مقصودُهم أَنْ يُعْطَوا منها(١)؛ ﴿فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ ﴾ [سورة التوبة:٥٨]؛ أَيْ: قدر ما يريدون. ﴿رَضُواْ﴾ فجعلوه عدلًا، ﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [سورة التوبة:٥٨] فيجعلونه جَوْرًا(٢).

قال ابنُ سَعْديٍّ: وهذه حالةٌ لا ينبغي للعَبْدِ أَنْ يكونَ رِضاه وغضبُه تابعًا لهوىٰ نفسِه الدُّنْيويِّ، وغرضِه الفاسدِ، بل الذي ينبغي أَنْ يكون لمرضاةِ ربِّه، كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ»(٣)، وقال هنا: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ [سورة التوبة:٥٩]؛ أَيْ: أَعْطاهم مِنْ قليلٍ وكثيرٍ.

﴿وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ﴾ [سورة آل عمران:١٧٣]؛ أَيْ: كافينا الله؛ فنرضى بما قسَمَه لنا، وليُؤَمِّلُوا فضلَه وإِحْسانَه إِلَيهم، بأَنْ يقولوا: ﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة التوبة:٥٩]؛ أَيْ: متضرِّعون في جلْب منافعنا، ودفعِ مضارِّنا.

يقول سيِّد رَحِمَهُ ٱللَّهُ مُبيِّنًا دواعي تُهَمَتِهم النَّبِيَّ الكريمَ ﷺ ولَمْزِهِمْ إِيَّاه: وهُمْ لا يقولون ذلك غضبًا للعَدْل، ولا حماسةً للحقِّ، ولا غَيْرَةً علىٰ الدِّينِ، إِنَّما يقولونه لِحساب ذَوَاتِهم وأَطْماعِهم، وحماسةً لمنفعتِهم وأَنَانِيَتِهم(٤).

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٣/ ٢٥١).
(٢) «محاسن التأويل»، للقاسمي (٨/ ٢٣٨) بتصرف يسير.
(٣) انظر: «شرح السنة»، للإمام البغوي (١/ ٢١٣)، قال في تخريجه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إسناده ضعيف؛ لضعف نعيم بن حماد».
(٤) ينظر: «في ظلال القرآن»، سيد قطب (٣/ ١٦٦٧).

لا يعتذرون إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ ويَأْنفُونَ مِنَ اسْتِغْفارِه لهم؛ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة المنافقون:٥]، ويقول سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [سورة النساء:٦٤].

إِنَّه الكِبْرُ والغَطْرَسَةُ والتَّعالي مع الإِعْراض والصُّدُودُ؛ سمةُ مَنْ زاغ قلبُه، وضلَّ فُؤَادُه، وحاد مَنْهجُه، وفسَدَتْ طَوِيَّتُه، وهكذا هُمْ في تعامُلِهم مع المُصْطَفَىٰ ﷺ يُدْعَون إِلَىٰ المغفرة فيرفضون، وإِلَىٰ الرَّحْمة فيجمحون، وإِلَىٰ العَفْوِ عنهم فيعرضون.

أَمَّا نفورُهم وتولِّيهم فهي صفةٌ لازمةٌ لهم؛ فها هو العالِمُ بأَحْوالِهم وخبايا صُدُورِهم يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [سورة النساء:٦١] ، يصدُّون عن قبول الحقِّ، وسماعِ القُرْآنِ، والاِسْتِجابةِ للرَّسُولِ ﷺ، يصدُّون عن الصَّدَقاتِ، والجِهادِ، وعن سَائِرِ ما يُقرِّبُ إِلَىٰ الله، يصدُّون عن التَّحاكُم لشَرْعِ خالقِهم، ونزولِهم علىٰ حُكْمِ رَسُولِهم ﷺ.

قال ابنُ سَعديٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ [سورة البقرة:١١]؛ أَيْ: لهؤلاء المنافقين ﴿تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [سورة المنافقون:٥] عمَّا صدَر منكم؛ لتحسُنَ أَحْوالُكم، وتُقْبَلَ أَعْمالُكم، امْتَنعُوا مِنْ ذلك أَشدَّ الاِمْتِناع، ولوَّوا رُءُوسَهم امتناعًا عن طلب الدُّعاءِ من الرَّسُولِ ﷺ ﴿وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ عن الحقِّ؛ بُغْضًا له ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عن اتِّباعه، بغيًا، وعنادًا.

وهذا مِنْ لُطْفِ لله وكرامتِه لرَسُولِه ﷺ؛ حيث لم يَأْتُوا إِلَيه فيستغفر لهم[(١)]؛ بلْ إِنَّهم

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (٧/ ٣٨٧).

يُؤَكِّدُون إِعْرَاضَهم بليِّ رُؤُسِهم؛ استهزاءً وسُخْرِيَةً ممَّا دُعوا إِلَيه مِنَ اسْتِغْفار الرَّسُول لهم، فكان جزاءُهم مِنْ جِنْسِ عَمَلِهم؛ قال سُبْحَانَه: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٦﴾ [سورة المنافقون:٦].

وكما تكرَّر مِنَ المنافقين الإِعْرَاضُ والتَّولِّي فقدْ تكرَّر كذلك نَهْيُ الله لنبيِّه ﷺ بعدم الاِسْتِغْفار لهم؛ قال جلَّ في عُلاه: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٨٠﴾ [سورة التوبة:٨٠].

٨ـ عِصْيانهم للنَّبيِّ ﷺ:

وليس هذا مِنَ المنافقين بمُسْتَغْرَبٍ.. فمَنْ كفَر باللهِ في سَرِيرَتِه وجحَد شريعتَه في داخلة نفسِه، فإِنَّ ثمرةَ ذلك العِصْيانُ والتَّمرُّدُ والتَّسلُّلُ لواذًا والفرارُ خُفْيَةً والتَّحجُّجُ بالدَّعاوىٰ الكاذبةِ إِلَىٰ غير ذلك..

فمِنْ صُوَرِ ذلك وبيِّناته ما ذكَره اللهُ تعالىٰ في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ٨١﴾ [سورة النساء:٨١].

قال الإِمَامُ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ﴾ يُخْبِرُ تعالىٰ عن المنافقين بأَنَّهم يُظْهِرُون الموافقةَ والطَّاعةَ ﴿فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ﴾ [سورة النساء:٨١]؛ أَيْ: خرَجوا وتَوَارَوا عنك ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ﴾ [سورة النساء:٨١]؛ أي استسرُّوا ليلًا فيما بينهم بغير ما أَظْهَرُوه، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ﴾ [سورة النساء:٨١]؛ أَيْ: يعلمُه ويكتبُه عليهم...(١).

وإِنَّ مِنَ الإِشَاراتِ والفوائِدِ المُهِمَّةِ في قوله تعالىٰ: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ﴾

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣١٩-٣٢٠).



[سورة النساء:٨١] ما يلي:

أ- أَنَّ التَّبِيتَ لا يكون إِلَّا ليلًا؛ فهو مَرْتعُ التآمر، ومُنْتَجعُ تدبير المكائِدِ.. الظَّلام الذي لا يعيش فيه إِلَّا خفافيشُ المنافقين.

ب- أَنَّ هذا التَّبِيتَ يُوحِي بأَنَّ المَلأَ من المنافقين لهم اجْتماعاتُهم الخاصَّةُ السِّرِيَّةُ التي يَنْظُمون فيها خَرْزَ المُؤَامَراتِ، ويَحيكون فيها خُطَطَ الكيدِ، ويتكافئون فيها أَدْوارَ الصَّدِّ والتَّعويق عن دِيْن الله.

ومن قوله تعالى: ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ [سورة النساء:٨١] ما يدلُّ على أَنَّ مَنْ وراءَهم من المنافقين إِنَّما هُمْ قطيعٌ كقطيع الماشية تتَّجه حيث تُسَاقُ، وتسيرُ حيث تُؤْمَرُ.

٩ـ محاولتهم قتلَ النبيِّ ﷺ:

إِنَّ مِنْ أَبْرَزِ السِّمات التي تكنُّها صدورُ المنافقين هي رَغْبَتُهم الأَكِيدةُ في اسْتِئْصالِ شَأْفَةِ المُصْطَفَى ﷺ، وفي هذا الخُلُقِ شَبَهٌ وثيقٌ بين اليَهُودِ والمنافقين، وسيَأْتِي بيانُ ذلك في مبحثٍ قريبٍ بإِذْنِ الله.

فمِنْ ذلك حُذَيْفَةُ بنُ اليَمانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنتُ آخِذًا بخُطَامِ ناقةِ رَسُولِ الله ﷺ وعَمَّارُ بنُ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسوقُ النَّاقةَ، حتَّى إِذَا كُنَّا بالعَقَبَةِ إِذَا باثْنَي عشَرَ رَجُلًا قد اعْتَرَضُوه فيها، قال: فأَنْبَهْتُ رَسُولَ الله ﷺ فصرخ فيهم، فولَّوا مُدْبِرين، فقال رَسُولُ الله ﷺ: «هَلْ عَرَفْتُمُ الْقَوْمَ؟» قُلْنَا: لا يَا رَسُولَ الله، قَدْ كَانُوا مُتَلَثِّمِيْنَ، قال: «هؤلاء الْمُنَافِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مَاأَرَادُوا؟» قُلْنَا: لَا. قال: «أَرَادُوا أَنْ يَزْحَمُوا رَسُولَ الله فِي الْعَقَبَةِ، فَيَلْقُوهُ مِنهَا»، قُلْنَا: أَوَ لَا تَبْعَثُ إِلَى عَشَائِرِهِمْ حَتَّى يَبْعَثَ إِلَيْكَ كُلُّ قَوْمٍ بِرَأْسِ صَاحِبِهِمْ؟ قال: «لَا، أَكْرَهُ أَنْ يَتَحَدَّثَ الْعَرَبُ أَنَّ مُحَمَّدًا قَاتِلُ بِقَومِهِ، حَتَّى إِذَا أَظْهَرَهُ اللهُ بِهِمْ، أَقْبَلَ عَلَيهِمْ يَقْتُلُهُمْ» وَدَعَا عَلَيْهِمْ.

وفي روايةٍ قال: فسَأَلَ عَمَّارٌ رَجُلًا مِنْ أَصْحابِ النَّبيِّ ﷺ فقال: نَشَدْتُكَ بالله، كَمْ تعلم كان أَصْحابُ العَقَبَةِ؟ قال: أَرْبعةَ عَشَرَ رَجُلًا. فقال: إِنْ كُنْتُ فيهم، فقدْ كانوا خَمْسَةَ عَشَرَ. قال: فعذِر رَسُولُ الله منهم ثلاثةً، قالوا: ما سَمِعْنَا منادي رَسُولِ الله ﷺ، وما عَلِمْنَا ما أَرادَ القومُ. فقال عَمَّارٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَشْهَدُ أَنَّ الاثْنَيْ عَشَرَ الباقين حربٌ لله ولرَسُولِه في الحياةِ الدُّنْيَا، ويومَ يقومُ الأَشْهاد(١).

إِنَّها مُؤَامَرةٌ قدْ تَواطَأَ فيها هؤلاء عن سبق إِصْرارٍ وترصُّدٍ، إِلَّا أَنَّ اللهَ قد ردَّ كيدَهم في نُحُورِهم ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [سورة فاطر:٤٣] ، بلْ إِنَّ تَبْيِيْتَ قتلِ النَّبيِّ ﷺ ومَنْ معه مِنَ الصَّحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانتْ عزيمةً مُبكِّرةً في نفوس القوم؛ فقدْ بَادَرَ زُعَماءُ مَكَّةَ في إِعْلانِ الحَرْبِ على المسلمين، والسَّعْيِ بشتَّى الطُّرُق لإِحْداث حربٍ أَهْلِيَّةٍ داخلَ المَدِيْنَةِ، فأَرْسَلُوا إِلَى عميلِهم عَبْدِ الله بنِ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ - وكان إِذْ ذاك مُشْرِكًا بصفتِه رَئِيْسَ المَدِيْنَةِ قبلَ الهِجْرَةِ - فقدْ كادَ الأَوْسُ والخَزْرَجُ أَنْ يجعلوه مَلِكًا عليهم لولا هِجْرةُ النَّبيِّ ﷺ.

كتبوا إِلَى ابنِ سَلُولٍ ومَنْ خَلْفَه من المنافقين في كلماتٍ تَنُمُّ عن شدَّةِ الحَنَقِ والغَيْظِ على المسلمين:

إِنَّكم آوَيْتُم صاحِبَنا! وإِنَّا نُقْسِمُ بالله لَتُقَاتِلَنَّه، أَوْ لَتُخْرِجَنَّهُ، أَوْ لَنُسَيِّرَنَّ إِلَيكُمْ بأَجْمَعِنَا، حتَّى نقتلَ مقاتلتَكم، ونستبيحَ نساءَكم.

فلمَّا بلغ ذلك عَبْدَ الله بنَ أُبَيٍّ ومَنْ كان معه مِنْ عَبَدَةِ الأَوْثانِ، اجْتَمَعُوا لقتال النَّبيِّ ﷺ، فلمَّا بلَغ ذلك النَّبِيَّ ﷺ، لقِيَهُم، فقال: «لَقَدْ بلَغ وَعِيْدُ قُرَيْشٍ منكم

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٤٥٣) قال محققوه: إسناده قوي على شرط مسلم، وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ١٩٥): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح.



المَبالغَ! ما كانتْ تكيدكم بأَكْثَرَ ممَّا تُريدُون أَنْ تكيدوا به أَنْفُسَكُم، تُرِيدُونَ أَنْ تُقاتِلُوا أَبْناءَكم وإِخْوانكم؟!».. فلمَّا سمِعُوا ذلك من النَّبِيِّ ﷺ، تفرَّقوا[1] .

وهنا تظهر عظمةُ القَائِدِ الحكيمِ المُرَبِّي ﷺ حيث قضىٰ علىٰ هذه الفِتْنَةِ في مَهْدِها، وَضَرَبَ علىٰ وَتَرِ العِزَّةِ القبَلِيَّةِ؛ فقدْ كان يُدْرِكُ أَغْوارَ النَّفْسِ البشريَّةِ التي يتعامل معها، ولذلك كان خطابُه مُؤَثِّرًا في نفوس مُشْرِكي أَهْلِ يَثْرِبَ.

تأَمَّلْ كيف تفرَّق الشَّرُّ وهدَأَتِ النُّفوسُ المشحونةُ بالحِقْدِ، وسلِمتِ المَدِينَةُ من حَرْبٍ كادتْ تَطْحَنُ أَهْلَها وجُدْرانَها.. كلمةٌ يسيرةٌ هادِئَةٌ أَعادتِ السُّيوفَ إِلىٰ أَغْمادِها، وأَعَادتِ العُقولَ إِلىٰ رُشْدِها.. كلمةٌ خذلتْ قُرَيْشًا واليَهُودَ الَّذين كانوا لا شكَّ يترقَّبون خَلْفَ شُقُوقِ الأَبْوابِ.

١٠- إعْراضُهم عن التَّحاكم إلى النَّبيِّ ﷺ:

إِنَّ مِنْ أَخصِّ خصائِصِ المنافقين تحاكمَهم إِلىٰ زبالاتِ الآراءِ والأَهْواءِ والقوانين والمذاهبِ التي لا عدْلَ فيها ولا سَدادَ ولا رُشْدَ ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة المائدة:٥٠] .

والذي دعا لإِيْراد هذه المسأَلَةِ هاهنا أَنَّ أَهْلَ النِّفاق كانوا يتعاملون مع النَّبِيِّ ﷺ بوجهين، فإِنْ كان لهم الحقُّ، جاءُوا إِلَيه مُذْعِنِينَ، وإِنْ كان عليهم، حكَّموا سِوَاهُ، وقدْ وضَّح هذا المعنىٰ ما جاءَ في كتاب ربِّنا؛ قال سُبْحَانُه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [سورة النساء:٦٠].

---

(١) «الرحيق المختوم» (ص: ١٢٢).

إِنَّ المنافقَ كما تقدَّم شخصٌ لا مَبْدَأَ له، ولامَنْهج يضْبِطُ توجُّهاتِه وآراءه وتصرُّفاتِه ومصالحَه الذَّاتيَّةَ ومطامعَه الدُّنْيويَّةَ، فليس عنده مانعٌ مِنْ أَنْ يتحاكَمَ إِلَىٰ الشَّرْعِ إِنْ كان ذلك سيُحقِّقُ مَصْلحتَه، وكذلك لا مانعَ عنده من التَّحاكُمِ إِلَىٰ القوانين الكُفْريَّةِ، والطَّواغيتِ البشريَّةِ، إِنْ تحقَّقتْ بذلك مَصْلحتُه؛ فالأَمْرُ عنده سِيَّان.

قال ابنُ الجَوْزِيِّ عند قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ﴾ [سورة النساء:٦٠] في سبب نزولها أَرْبعةُ أَقْوالٍ:

«أَحَدُها: أَنَّها نزلتْ في رَجُلٍ من المنافقين كان بينه وبين يَهُودِيٍّ خصومةٌ، فقال اليَهُودِيُّ: انطلِقْ بنا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ. وقال المنافقُ: بلْ إِلَىٰ كَعْبِ بنِ الأَشْرَفِ، فأَبَىٰ اليَهُودِيُّ، فأَتَيَا النَّبِيَّ ﷺ، فقضىٰ لليَهُودِيِّ، فلمَّا خرجا قال المنافقُ: نَنْطَلِقُ إِلَىٰ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأَقْبلا إِلَيه، قصَّا عليه القِصَّةَ، فقال: رُوَيْدًا حتَّىٰ أَخْرُجَ إِلَيكُما. فدخَلَ البَيْتَ، فاشْتَمَلَ السَّيْفَ، ثُمَّ خرَج، فضربَ به المُنافقَ حتَّىٰ برَد، وقال: هكذا أَقْضِي بين مَنْ لمْ يَرْضَ بقضاءِ اللهِ ورَسُولِه. فنزلتْ هذه الآيةُ. رواه أَبُو صَالِحٍ عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(١)].

الثَّاني: أَنَّ أَبَا بُرْدَةَ الأَسْلَمِيَّ[(٢)] كان كاهنًا يقضي بين اليَهُودِ، فتنافر إِلَيه نَاسٌ من

(١) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٥٨٢) إلىٰ الثعلبي في «تفسيره»، وعزاه الزيلعي إلىٰ الثعلبي والواحدي في «أسباب النزول». قال ابن كثير في «تفسيره»: «وهذا الأثر غريب مرسل، وابن لهيعة ضعيف». (٢/ ٣٠٨) طبعة دار الشعب.

(٢) قال الحافظ ابن حجر: ذكره الثّعلبيّ في «التّفسير»؛ قال: دعاه النبي ﷺ إلىٰ الإسلام فأبىٰ. ثم كلمه ابناه في ذلك فأجاب إليه وأسلم، وعند الطبراني بسند جيد عن ابن عباس قال: كان أبو بردة الأسلمي كاهنًا يقضي بين اليهود، فذكر القصَّة في نزول قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [سورة النساء:٦٠]. انظر: «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر (٧/ ٣٢).



المسلمين، فنزلتْ هذه الآيةُ. رواه عِكْرِمَةُ [١]، عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا [٢].

الثَّالثُ: أَنَّ يهوديًّا ومنافقًا كانت بينهما خصومةٌ، فدعا اليَهُودِيُّ المنافقَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ؛ لأَنَّه لا يَأْخُذُ الرِّشْوةَ، ودعا المنافقَ إِلَىٰ حُكَّامِهِم؛ لأَنَّهم يَأْخُذون الرِّشْوةَ، فلمَّا اختلفا، اجْتَمَعا أَن يُحكِّما كاهنًا، فنزلتْ هذه الآيةُ [٣].

الرَّابعُ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ بني النَّضِيْرِ قتَل رَجُلًا مِنْ بني قُرَيْظَةَ، فاخْتَصَمُوا، فقال المنافقون منهم: انْطَلِقُوا إِلَىٰ أَبِي بُرْدَةَ الكاهنِ، فقال المسلمون مِنَ الفريقين: بلْ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ. فأَبَىٰ المنافقون، فانطلَقوا إِلَىٰ الكاهن، فنزلتْ هذه الآيةُ. هذا قول السدِّيِّ [٤].

وقد رَأَىٰ ابنُ كَثِيرٍ أَنَّ الآيةَ لا تشمل هؤلاء المنافقين فحسب، لكنَّها عامَّةٌ، تذمُّ كلَّ مَنْ أَعْرَضَ عن حُكْمِ الكتابِ والسُّنَّةِ، وعدل عنهما إِلَىٰ زبالات الآرَاءِ والقوانين والمذاهبِ، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا إِنْكارٌ من الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ مَنْ يدَّعي

(١) هو: « أبو عبد الله القرشي مولاهم، المدني، البربري الأصل، كان لحصين بن أبي الحر العنبري، فوهبه لابن عباس، رحل في طلب العلم إلىٰ مكة والمدينة، والبصرة واليمن والشام، ومصر، وبلاد المغرب العربي، وخراسان ، حدث عن: ابن عباسٍ، وعائشة، وأبي هريرة، وابن عمر، وعبدالله بن عمرٍو وغيرهم، وحدث عنه: إبراهيم النخَعي، والشعبي - وماتا قبله - وعمرو بن دينارٍ، وأبو الشعثاء جابر بن زيدٍ وغيرهم، توفي سنة خمسٍ ومائةٍ، وهو ابن ثمانين سنةً ». ينظر: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٥ / ٢٢٤)، « تهذيب الكمال»، للمزي (٢٠ / ٢٦٥)،«سير أعلام النبلاء »، للذهبي (٥/ ١٢- ١٣).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥٥٤٧)، ورواه الطبراني كما في «الإصابة في تمييز الصحابة» (٧/ ٣٧) وقال ابن حجر: «إسناده جيد».

(٣) أخرجه الطبري (٥/ ١٥٣) في «تفسيره»، وفي «تهذيب الآثار» (٧٧٠)، ومحمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٧١١)، وقال ابن حجر في الفتح (٥/ ٣٧): رواه إسحاق بن راهويه في تفسيره بإسناد صحيح.

(٤) أخرجه الطبري (٥/ ١٥٤)، وابن أبي حاتم (٥٥٤٩) في تفسيريهما.



الإِيمانَ بما أَنزل اللهُ علىٰ رَسُولِه ﷺ وعلىٰ الأَنبياءِ الأَقدَمين عليهم صلواتُ الله وسلامُه، وهو مع ذلك يُريد أَنْ يتحاكَمَ في فصل الخصومات إِلَىٰ غير كتاب اللهَ وسُنَّةِ رَسُولِه ﷺ وقوله تعالىٰ: ﴿يَصُدُّونَ عَنكَ﴾ [سورة النساء:٦١]؛ أَيْ: يُعْرِضُون عنك إعراضًا كالمستكبرين عن ذلك.

كما قال تعالىٰ عن المشركين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [سورة البقرة:١٧٠]، وهؤلاء بخلاف المُؤْمِنين الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ﴾ [سورة النور:٥١](١)، وقدْ رجَّح الشَّيْخُ مقبلُ الوادعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢) القولَ الثَّاني(١).

---

(١) ينظر: «تفسير القرآن العظيم»، لابن كثير (١/ ٥٦٩).

(٢) مقبل الوادعي، هو العلامة المحدث، المجاهد، مجدد الدعوة السلفية، باليمن الشيخ مقبل بن هادي بن مقبل بن قائدة الهمداني الوادعي من قبيلة آل راشد رَحِمَهُ ٱللَّهُ. كان سيفًا مسلولًا علىٰ أهل الباطل، من روافض، وشيوعيِّين، وصوفيَّة، وأحزاب منحرفة.

قام بالدَّعوة السَّلفيَّة في اليمن خير قيام، وأنشأ مدرسة علميَّة سلفيَّة بدماج، سمَّاها دار الحديث يفد إليها طلاب العلم من أنحاء اليمن، بل من بلدان كثيرة، عربية، وإسلامية، وأوروبية، وأمريكية. وتخرج علىٰ يديه علماء أنشأوا مدارس في عدد من مناطق اليمن، نفع الله بهم كثيرًا.

طلب العلم في اليمن، ثم بمعهد الحرم المكي، ثم بالجامعة الإسلامية، فدرس بكلية أصول الدين انتظامًا، وبكلية الشريعة انتسابًا، ثم واصل دراسته فيها حتىٰ حصل علىٰ الشهادة العالمية الماجستير، ثم أقبل علىٰ كتب السنة، والتفسير، وكتب الرجال، ينهل منها، ويستمد منها مؤلفاته القيمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

مشايخه: لقد تتلمذ الشيخ مقبل علىٰ يد عدد المشايخ، وفي مدارس متنوعة، وفنون متفرعة، كان من بينهم:

١ – العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٢ – العلامة الفقيه عبد العزيز بن عبد الله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ. =



وقولُه تعالىٰ: ﴿يَزْعُمُونَ﴾ يدلُّ علىٰ عدم إيمانِهم؛ فإنَّ الزَّعْمَ والزُّعْمَ لغتان، وأكْثَرُ ما يُسْتعملُ في قول ما لا تتحقَّق صِحَّتُه»(٢).

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله عزَّ في عُلاه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [سورة النساء:٦١] ، فجعَل الإِعْراضَ عمَّا جاءَ به الرَّسُولُ والالتفاتَ إِلَىٰ غيره هو حقيقةَ النِّفاق(٣).

وقال في موضعٍ آخَرَ: وفرْضُ تحكيمه لم يسقط بموته، بلْ ثابتٌ بعد موته، كما كان ثابتًا في حياته، وليس تحكيمُه مختصًّا بالعمليَّات دون العلميَّات كما يقول أَهْلُ الزَّيْغِ والإلْحادِ؛ قال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة النساء:٦٥].

= له من المؤلفات ما يربو على الأربعين منها:
١ - تحقيق وتخريج مجلدين من «تفسير ابن كثير» إلى سورة المائدة، والباقي يقوم به الطلاب.
٢ - «الصحيح المسند من أسباب النزول».
٣ - «الشفاعة».
٤ - «الجامع الصحيح في القدر».
٥ - «الصحيح المسند من دلائل النبوة».
٦ - «صعقة الزلزال لنسف أباطيل الرفض والاعتزال».
٧ - «السيوف الباترة لإلحاد الشيوعية الكافرة».
٨ - «رياض الجنة في الرد على أعداء السنة».
٩- «الطليعة في الرد على غلاة الشيعة».

(١) «الصحيح المسند من أسباب النزول»، مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، سنة (١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، (ص٦٩).

(٢) «تفسير زاد المسير في علم التفسير»، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثالثة، سنة (١٤٠٤هـ)، (٢/ ١٢٠).

(٣) «مختصر الصواعق»، محمد بن محمد بن عبد الكريم، طبعته: دار الحديث - القاهرة - مصر، الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م (٢/ ٣٥٣).

قد افْتَتَحَ سبحانه هذا الخَبَرَ بالقَسَمِ المؤَكَّدِ بالنَّفْيِ قبله، وأَقْسَمَ على انتفاءِ الإِيْمان منهم حتَّى يُحكِّموا رَسُولَ الله ﷺ في جميع ما تنازعوا فيه مِنْ دقيقِ الدِّين وجليلِه وفُرُوعِه وأُصُولِه، ثُمَّ لم يَكْتَفِ منهم بهذا التَّحكيم حتَّى ينتفي الحَرَجُ، وهو الضِّيقُ ممَّا حَكَمَ به؛ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [سورة النساء:٦٥] ، فتَنْشَرِحَ صدرُوهم لقبول حُكْمِه انشراحًا لايبقى معه حرَجٌ، ويُسلِّموا تسليمًا؛ أَيْ: ينقادوا لحُكْمِه[(١)].

بلْ لقد نصَّ سماحةُ الوالد الشَّيْخ عَبْدِ العَزيزِ بن بَازٍ[(٢)] رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله: «إِذَا عُلم أَنَّ التَّحاكُمَ إِلَى شرع الله مِنْ مقتضى شهادة أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُه، فإِنَّ التَّحاكُمَ إِلَى الطَّواغيت والرُّؤَساءِ والعرَّافين ونحوِهم ينافي الإِيْمانَ بالله عَزَّوَجَلَّ وهو كُفْرٌ وظُلْمٌ وفسوقٌ؛ قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة المائدة:٤٤]»[(٣)].

وإِنَّ مَنْ يتأَمَّلُ حالَ عالَمِنا الإِسْلاميِّ اليومَ في سائِرِ بُلْدانِه وحكوماتِه يجد أَنَّ تحكيمَ غيرِ شرعِ الله هو المَظْهرُ البارزُ، إِلَّا ما رَحِمَ اللهُ، حتَّى لم يَبْقَ لأَحْكامِ الشَّرِيعةِ

---

(١) ينظر: «تيسير العزيز الحميد»، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، (ص٥٦٢-٥٦٣) ينقله عن: «مختصر الصواعق» (٢/ ٣٥٢)، وعن «إعلام الموقعين» (١/ ٥٤).

(٢) هو: عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن بن محمد بن عبد الله ابن باز، ولد في الثاني عشر من ذي الحجة سنة ١٣٣٠هـ بالرياض، وكان بصيرا ثم أصابه مرض الجدري عام ١٣٤٦هـ وضعف بصره ثم فقده عام ١٣٥٠هـ، تولى مناصب عدة منها رئاسة هيئة كبار العلماء في المملكة، رئاسة المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، عضوية المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، رئاسة المجلس الأعلى العالمي للمساجد. توفي رَحِمَهُ اللَّهُ يوم الخميس ٢٧/ ١/ ١٤٢٠ هـ عن عمر يناهز ٨٩ سنة. ينظر: « جوانب من سيرة ابن باز »، محمد بن إبراهيم الحمد (ص: ١٩)، «علماء الحنابلة»، لبكر أبو زيد برقم : (٤٢٣٥).

(٣) ينظر: «وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه»، الشيخ عبد العزيز بن باز، طبعته: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الطبعة: ٥ - ١٤٠٩ هـ (ص ٨).

فيها إِلَّا ما ينظِّم العلاقات الزَّوجيَّة، والأَحوالَ الأُسَريَّة، وإِنْ كانتْ حتَّى هي طاف عليها طائِفُ التَّغْريب، فالقَضاءُ الرَّسْميُّ قانونُه فرنْسِيٌّ أَوْ إِيْطاليٌّ أَوْ غيرُ ذلك.

ففي مِصْرَ مثلًا جاءَ في المادة (٣٣٤) من القانون: (لا يُعاقبُ مَنْ يقدم على إِغْواءِ فتاةٍ يبلغ عمرُها ١٤ عامًا، ويتَّخذ منها خليلةً له مدَّةً من الزَّمَنِ؛ فإِنَّ أَعْمالَ الفاحشة في هذه الحالةِ لا يكون جريمةً يُعاقِب عليها القانون)[1].

أَمَّا القانون الأُرْدنيُّ والسوريُّ واللبنانيُّ ولربَّما غيرُهما فينصُّ القانون على أَنَّ الزَّوجَ لا عقوبةَ عليه مِنْ قِبَلِ القانون إِذَا زنا خارجَ بيت الزَّوجيَّة[2].

وأَمَّا ما وراءَ ذلك فمحاكمُ عسكريَّةٌ وعمَّاليَّةٌ وشَرِكاتيَّةٌ وحقوقيَّةٌ بعيدةٌ في روحها ومضمونها كلَّ البُعْدِ عن نسق الشَّريعةِ الرَّبانيَّةِ العادلةِ الشَّاملةِ الصَّالحةِ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ. فعن أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ مُبيِّنًا هذه الحالَ: «لَتُنقضنَّ عُرَى الإِسْلام عُرْوَةً عُرْوَةً، فكلَّما انتقضتْ عُرْوَةٌ، تشبَّث النَّاُس بالتي تليها، وأَوَّلُهنَّ نقضًا الحكم، وآخرُهنَّ الصَّلاة»[3].

وحتَّى لا يذهب بنا الحديثُ بعيدًا عن المنافقين فهُمْ والعياذ بالله قد جمعوا بين سَوْأَتَيْنِ: الأُولَى أَنَّهم تحاكموا إِلَى الطَّاغوت، والثَّانيةُ أَنَّهم إِذَا كان لهم الحقُّ جاءُوا إِلَيه مُذْعِنِين، ورَضُوا فيه حُكْمَ رَسُولِ الله ﷺ؛ فقضيَّتُهم قضيَّةُ اتِّباعٍ لمَا يخدم

(١) الموسوعة الجنائية لجندي عبدالملك – دار إحياء التراث العربي ببيروت (٢/ ٢٠٥) وانظر مجموعة القوانين والأنظمة الأردنية (٥٢١ – ٥٢٥) المطبعة الوطنية – عمان .

(٢) المرجع السابق .

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥١)، وابن حبان (٦٧١٥- الإحسان)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٠٤) وقال: الإسناد كله صحيح ولم يخرجاه.

مصالحهم، ويُحقِّق لهم مكاسبهم، أمَّا أنْ تكونَ المَسْألَةُ في حقيقتها إِذْعانٌ واستسلامٌ وانْقِيادٌ، فهذا الذي ليسوا مِنْ بابه في شيْءٍ(١).

يقول سَيِّدُ قُطْبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قالوها هكذا ﴿طَاعَةٌ﴾ جامعةً شاملةً مطلقةً؛ لا اعتراضَ، ولا استفهامَ، ولا استيضاحَ، ولا استثناءَ، ولكنْ ما إِنْ يخرجوا مِنْ عند رَسُولِ الله ﷺ حتَّىٰ تبيَّت طائِفَةٌ منهم غيرَ الذي تقول، وتروح فيما بينها تتآمر علىٰ عدم التَّنفيذ، وعلىٰ اتِّخاذ خِطَّةٍ للتَّخلُّص من التَّكْليف، وقد يَلْجَأُون إِلَىٰ الأَيْمانِ الكَاذِبَة؛ ليثبتوا مِنْ خِلالها أنَّهم مِنْ مُحبِّي الله ورَسُولِه ﷺ، لكنَّ اللهَ يقول: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة النور:٥٣] »(٢).

قال الإِمَامُ القُرْطُبِيُّ: «عاد إِلَىٰ ذِكْرِ المنافقين؛ فإِنَّه لَمَّا بيَّن كراهتَهم لحُكْم النَّبيِّ ﷺ أَتوهُ؛ قالوا: والله لو أَمَرْتَنَا أَنْ نَخْرُجَ مِنْ دِيَارِنا ونسائِنا وأَمْوالِنا، لخَرَجْنَا، ولو أَمَرْتَنَا بالجِهاد، لجَاهَدْنَا، فنزلتْ هذه الآيةُ؛ أَيْ: وأَقْسَموا بالله بأَنَّهم يخرجون معك ويطيعون، ثُمَّ ردَّ الله عليهم قولَهم: ﴿قُل لَّا تُقْسِمُوا۟ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ﴾ [سورة النور:٥٣] ؛ أَلَّا تحلفوا؛ فإِنَّ طاعتكم معروفةٌ، إِنَّما هي قولٌ لا فعلَ معه، وكلَّما حلفْتُم كذَبْتُم»(٣).

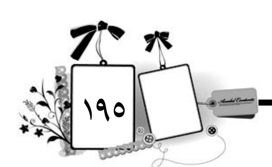
وممَّا يُبيِّنُ أَنَّ قلوبَ المنافقين مملوءَةٌ بإِضْمار الشَّرِّ للمُؤْمِنين، ما كانوا يتناجون به مِنَ الإِثْم والعُدْوانِ، والتَّآمُرِ علىٰ عِبَادِ الله، وتمنِّي نزولِ الضُّرِّ بهم؛ فقدْ بَيَّنَ تعالىٰ ذلك في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَـٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ [سورة المجادلة:٨].

---

(١) مسند الإمام أحمد برقم (٢٢١٦٠) قال محققوا المسند: إسناده جيد. وانظر لمزيد تفصيل «الحكم بغير ما أنزل الله»، للشيخ عبدالرحمن المحمود.

(٢) ينظر: «في ظلال القرآن»، سيد قطب (٢/ ٧٢٠).

(٣) ينظر: «دراسة قرآنية في النفاق»، د/ عادل الشدي، (ص٢٠٢).



قال القُرطُبِيُّ: قيل: «إنَّ هذا في اليَهُودِ والمنافقين، وقيل: في المسلمين. قال ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: نزلتْ في اليَهُودِ والمنافقين، كانوا يتناجون فيما بينهم، وينظرون للمُسْلمين وهُمْ يتغامزون بأَعْيُنِهم، فيقول المُؤْمِنُونَ: لعلَّه بلغهم عن إِخْوَانِنا وقرابتِنا مِنَ المهاجِرين والأَنْصارِ قَتْلٌ أو مصيبةٌ أَوْ هزيمةٌ، ويسوءُهم ذلك، فكثُرتْ شَكْوَاهُم إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فنهاهم عن النَّجْوى، فلم ينتهوا، فنزلتْ»[1]. وهناك قولٌ ثانٍ؛ أَنَّها نزلتْ في اليهود. قاله مُجَاهِدٌ، وقال ابنُ السَّائِب: نزلتْ في المنافقين[2].

والآيةُ تشير إِلَى ما في قلوب هؤلاء من حِقْدٍ ومحبَّةٍ لإِيْذاءِ المُؤْمِنِين؛ فقد نَهَاهُم رَسُولُ الله ﷺ عن تلك المناجاةِ دون المُؤْمِنِين؛ لأَنَّ ذلك ممَّا يُحزنهم، ويُخيفهم، وهُمْ مع ذلك يعودون لما نُهُوا عنه مِنَ المناجاة بالإِثْم والعُدْوانِ ومعصيةِ الرَّسُولِ ﷺ، ضاربين بنهي رَسُولِ الله ﷺ لهم عُرْضَ الحَائِطِ.

ولعلَّهم كانوا يتحجَّجون في ذلك أَيْضًا بأَنَّهم إِنَّما يتناجَون في شُئُونِهم الخاصَّةِ، ولا يقصدون بذلك إِيْذاءَ أَحَدٍ من المُؤْمِنين، كما هي عادتُهم في تعليلِ أَفْعالِهم بالعِلَلِ الواهيَةِ والشُّبَهِ المنقوضةِ.

ومِن شواهدِ عِصْيانِهم وتمرُّدِهم ما رواه مُعَاذُ بنُ جَبَلٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[3] مِنْ أَنَّهم

(١) «تفسير القرطبي» (١١/ ٢٩٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٢٩)، و«زاد المسير» (٨/ ١٨٨-١٨٩).

(٣) هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الخزرجي أبو عبد الرحمن البدري، شهد العقبة شابًّا أمرد أعلم الأمة بالحلال والحرام بعثه النبي ﷺ لأهل الكتاب في اليمن توفي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو ابن ثلاث وثلاثين أو أربع وثلاثين، وكانت وفاته سنة (١٧هـ)، وقيل: (١٨هـ) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

انظر في ترجمته: «حلية الأولياء» (١/ ٢٢٨ - ٢٤٤) و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر (١٠/ ١٠٤)، «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر(٩/ ٢١٩)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (١/ ٤٤٣).

خرَجوا مع النَّبيِّ ﷺ عامَ تبُوكَ، فكان رَسُولُ الله ﷺ يجمع بينَ الظُّهرِ والعَصْرِ، وبين المَغْرِبِ والعِشَاءِ.

قال: فأخَّر الصَّلاةَ يومًا، ثُمَّ خرَج فصلَّىٰ الظُّهرَ والعَصْرَ جميعًا، ثُمَّ دخَل، ثُمَّ خرَج، فصلَّىٰ المَغْرِبَ والعِشَاءَ جميعًا، ثُمَّ قال: «إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّىٰ يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّىٰ آتِيَ». قال: فَجِئْنَا وقدْ سَبَقَ إِلَيْهَا رَجُلَانِ والعَيْنُ مِثْلُ الشِّرَاكِ تَبُضُّ بشيءٍ من ماءٍ، فسَألَهُما رَسُولُ الله ﷺ: «هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئًا؟» قالا: نَعَمْ، فسَبَّهُما، وقال لهُما ما شاءَ اللهُ أَنْ يقولَ، ثُمَّ غَرَفُوا مِنَ العَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا، حتَّىٰ اجْتَمَعَ في شيءٍ، ثُمَّ غَسَلَ رَسُولُ الله فيه وَجْهَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فيها، فجَرَتِ العَيْنُ بماءٍ كثيرٍ، فاسْتَقَىٰ النَّاسُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَىٰ مَا هَا هُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا»(١).

وفي حديث حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «خرَجَ النَّبِيُّ ﷺ يومَ غَزْوَةِ تبُوكَ، فبلَغَهُ أَنَّ في الماءِ قِلَّةً، فأَمَرَ مُناديًا، فنادىٰ في النَّاس أَنْ لا يَسْبِقَنِي في الماءِ أَحَدٌ، فأَتَىٰ الماءَ، وقدْ سَبَقَهُ قومٌ فلَعَنَهُمْ(٢)، وفي روايةٍ عند مُسْلِمٍ قال: فَوَجَد قَوْمًا قدْ سَبَقُوهُ، فَلَعَنَهُمْ يَوْمَئِذٍ(٣))، وفي المقابل يُظْهِرُ اللهُ ويُجَلِّي حالَ المُؤْمِنِين الصَّادقين بقوله سُبْحَانَه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة النور:٥١].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: في معجزات النبي صلىٰ الله عليه وسل ﷺ، برقم: (٧٠٦).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٣٣٩٥) قال محققو المسند: إسناده قوي علىٰ شرط مسلم. وقال الهيثمي في «المجمع» (٦/ ١٩٥): رواه أحمد والبزار بنحوه، ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٣) رواه مسلم، ك صفات المنافقين وأحكامهم ولم يذكر اسم باب (٢٧٧٩).



١١ـ قذفهم عِرض النبيِّ ﷺ:

ومِنْ سِمات المنافقين في تعامُلِهم مع النَّبيِّ ﷺ اتِّهامُهم فِرَاش النَّبيِّ ﷺ بالخِيانة، وقذفُهم لأَحَبِّ نسائِه إِلَيه بالزِّنا، وهذا الشَّأْنُ ممَّا تنفَّستْ به قلوبُهم وجرىٰ علىٰ أَلْسِنَتِهم، وخصوصًا الذي تولَّىٰ كِبْرَ ذلك، وكان مِنْ ورائِه رَأْسُ النِّفاق وعمودُ خَيْمَتِه عَبْدُ الله بنُ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ، ومن فضل الله ورحمتِه كان خيرًا لِبيت النَّبيِّ ﷺ بلْ وللمُؤْمنين جميعًا.

ولعلِّي هنا أُشير إِلَىٰ أَبرزِ الدُّروس المستفادةِ مِنْ حادثة الإِفْك، والَّتي يتجلَّىٰ من ورائِها الخير العظيم الَّذي جناه المُؤْمنون: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ﴾ [سورة النور:١١]؛ أَيْ: لا تحسبوا يا أَيُّها المُؤْمنون وجودَ ظاهرةِ حديثِ الإِفْك في مجتمعكم الإِسْلاميِّ الأَمْثَلِ والرَّسُولُ ﷺ فيكم، شرًّا لكم، يُفسِد مجتمعَكم، ويكسر وحدتَكم، ويُمزِّق صَفَّكم.

والمعنىٰ: لا يقع في توهُّمكم هذا؛ ففِعْلُ «حسب» في القُرْآنِ لم يُستعمل إِلَّا في التَّوهُّم المردودِ الَّذي لا ينبغي أَنْ يُحسَبَ له حسابٌ.

بلْ هو خيرٌ لكم بسبب النَّتائِجِ التي نجَمَتْ بعد ذلك مِنْ وجود حديثِ الإِفْك فيكم، وهي نتائِجُ فيها خيرٌ عظيمٌ.

ومَنْ تأَمَّل هذه الحادثةَ علِم أَنَّ العِلَلَ الدَّاخليَّةَ، والأَمْراضَ الكَمِينةَ، إِذَا بقِيَتْ خفيَّةً، تَفَاقَمَ شرُّها، وعظُم ضَرَرُها، وصار مِنَ المُتعذِّر معالجتُها، واسْتِئْصَالُها؛ فمِنَ الخير ظهورُ آثارِها مع بداياتها؛ لتَدارك علاجِها، واسْتِئْصالِ دائِها.

وهذا ما حصَل فعلًا بالنِّسْبة إِلَىٰ ظهور حادثةِ الإِفْك؛ فقد كشفتْ للمسلمين بالنِّسْبة إِلَىٰ مجتمعِهم وظاهرتِه الاجتماعيَّةِ أَمْرَيْنِ:

- **الأَمْرُ الأَوَّلُ:** أَنَّ المنافقين لا يَفْتَأُون ينتهزون كلَّ حَدَثٍ للإِفْساد، وإِشَاعةِ البَلْبَلَةِ والاضْطِرابِ، وشقِّ صفوفِ المسلمين، وهدمِ وَحْدَتِهَا، وتمزيقِها، بما ينشرون مِنْ أَكَاذيبَ ومفترياتٍ وأَنْواعٍ من الإِفْكِ، وبما يُذيعونه ويُشيعونه من إِرْجافاتٍ.

فعلى جماعة المسلمين أَنْ يكونوا يَقِظِيْنَ حَذِرِيْنَ، لا يستجيبون لدسائِسِ المنافقين، ووَساوِسِ المُغْرِضِيْنَ، وهَمَسَاتِ الأَعْداءِ المخالطين.

- **الأَمْرُ الثَّاني:** أَنَّ المجتمعَ المسلم مَهْمَا عظُمَتْ تربيتُه الإِسْلاميَّةُ، وصلحَ حالُه، وارْتَقى فوق سائِر المجتمعات، فإِنَّه لا يخلو من وجود أَفْرادٍ فيه يتأَثَّرون بالشَّائِعات والأَكَاذيبِ، ويَبْنُون على الظُّنون الضَّعيفةِ، ويتَّبعون في تحرُّكاتِهم أَصْحابَ الأَغْراضِ الخاصَّةِ، وأَهْلَ الأَهْواءِ، ويستجيبون لوَسَاوِسِ المنافقين ودساِئسِهم ﴿وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة:٤٧].

وانكشافُ هذين الأَمْرينِ في المجتمع الإِسْلاميِّ الأَوَّلِ استدعى إِنْزال بياناتٍ وتشريعاتٍ ربَّانيَّةٍ، يحمي اللهُ بها المجتمعاتِ الإِسْلاميَّةَ القادمةَ مِنْ شرور هذين الأَمْرينِ، إِذَا الْتزَمُوا بهذه البياناتِ، وأَحْكام هذه التَّشْريعات، وعمِلوا بما جاءَ فيهما.. وهذا خيرٌ عظيمٌ جلَبه حدوثُ هذه الظَّاهرةِ الاجتماعيَّةِ في المجتمعِ الإِسْلاميِّ الأَوَّلِ؛ إِذْ كان رَسُولُ الله ﷺ فيه، وكانتْ آياتُ الله وشرائِعُه تنزل عليه.

وكان مِنْ حِكْمة الله أَنَّ الْمُتَّهَمَةَ في الحدَث مِنْ أَعَفِّ العفيفاتِ وأَطْهرِ الطَّاهراتِ، وهي زوجةُ الرَّسُولِ الْمُجْتَبى ﷺ، وأَنَّ الْمُتَّهَمَ فيه مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، ولم يَعْرِفِ النِّسَاءَ قطُّ، واستشهد بعد ذلك في سبيل الله، وسُئل عنه فوَجَدُوه رَجُلًا حصورًا، ما يَأْتِي النِّساءَ[1].

---

(١) «ظاهرة النفاق»، الميداني (ص١٠-١١).

«ومِنْ أَهمِّ الأُمُور التي كانتْ حادثةُ الإِفْك خيرًا بسببِها هو أَنَّه لَمَّا كانتْ ناحيةُ العِرْض حسَّاسةً بالنِّسْبة للمجتمعات التي تُحافظ عليها، وأَصْبح يقع بسبب انْتِهَاكِها قتلٌ وتفكُّكٌ في الأُسَرِ وتشويهٌ للسُّمْعة، حتَّىٰ تنحطَّ بعضُ الأُسَر بسببه مِنَ الشَّرَفِ والعُلُوِّ إِلَىٰ الحضيض، أَرَادَ اللهُ سبحانه بتقديره وقوعَ ذلك الحادثِ أَنْ يضربَ المَثَلَ للمُؤْمِنين بأَنَّ الاتِّهامَ الكاذبَ لم يبرأْ منه حتَّىٰ سيِّد البَشَرِ ﷺ.

وأُسْرَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَفْضلُ النَّاس بعد الأَنْبياءِ - عليهم صلواتُ الله وسلامُه - حتَّىٰ لا يتسرَّع المُؤْمنون في مُواجهة مِثْلِ هذا الحادثِ إِذَا ما وقعوا فيه، فيتصرَّفوا تصرُّفًا شائِنًا بالقتل أَوِ الطَّلاقِ بالنِّسْبة لَمَنْ وقعتْ عليهم التُّهمَةُ، أَوْ بإِشَاعة الخبر والظُّنونِ السَّيِّئَةِ بالنِّسْبة لَمَنْ سمِع به من المُؤْمِنين.

فقدَّر اللهُ وقوعَ هذا الحادثِ؛ ليتجمَّل مَنْ أُصِيبَ بمثل ذلك بالصَّبْر، ويتصرَّفَ بحِكْمةٍ ورَوِيَّةٍ، وليَظُنَّ المُؤْمنون بإِخْوانهم خيرًا، فيَكُفُّوا عن الخَوْضِ في مثل هذه الأُمُورِ التي تشتهي بعضُ النُّفوس الخوضَ فيها؛ حتَّىٰ يستقيمَ المُجْتمَعُ الإِسْلاميُّ، ويتطهَّرَ مِنْ إِشَاعة مثل هذه الأَخْبارِ السَّيِّئَةِ الَّتي تَحْطِمُ كيانَه الأَخْلاقيَّ؛ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور:١١].

فلا تحسبوا خَبَرَ الإِفْك شرًّا لكم أَيُّها المُؤْمنون، بلْ هو خيرٌ لكم وشرٌّ علىٰ مَنِ ارْتكَبَه؛ فإِنَّ لكلِّ امْرئٍ منهم جزاءَ ما تَحَصَّلَ له مِنَ الإِثْم في ذلك الاِفْتِرَاءِ الشَّنيعِ علىٰ قدر إِجْرامه فيه»(١).

وهكذا يقضي الله ويقدِّر في طيِّ هذه المِحْنَةِ مِنْحَةً، بلْ مِنَحًا كثيرةً؛﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ

(١) «المنافقون في القرآن»، د/ عبد العزيز الحميدي (ص٢٩٨).

وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة:٢١٦] ، ويأتي عَبْرَ قرونِ الزَّمانِ المتطاولةِ أَحفادُ شُؤْمٍ، وسُلالَةُ سُوءٍ؛ فإذا بهم على خُطَى مُنافقي العصرِ الأوَّلِ يسيرون، ولآثارِهم يقتفون، إنَّهم الرَّافضةُ الاثنى عشريَّةُ الذين تطاولوا على اثنتَيْنِ مِنْ أُمَّهات المؤمنين، فقذَفُوهما بالزِّنا وخيانةِ فِراشِ النَّبيِّ ﷺ كيف وقدْ نزَل في تبرِئَةِ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إحدى عشرةَ آيةً.. ممَّا يكشف عن حقيقة تكذيبهم القُرْآنَ وهذا هو الكفرُ بعَيْنِه؟

فقدْ زعموا -قاتلهم الله- عند قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ [سورة التحريم:١٠]، قالوا: هذا مَثَلٌ ضربه اللهُ لعائِشَةَ وحَفْصَةَ(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وقد فسَّر بعضُهم الخِيانةَ بالفاحشة؛ قال إمَامُهم القمِّيُّ (٢) عند تفسير هذه الآية: «والله ما عَنَى بقوله: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ إلَّا الفاحشةَ، وليُقِيمَنَّ الحدَّ على عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا» (٣).

قال ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أجمع أَهْلُ العلم رحمهم الله قاطبةً على أَنَّ مَنْ سبَّها

(١) هي حفصة بنت عمر بن الخطاب العدوية، أم المؤمنين، أمها زينب بنت مظعون أخت قدامة بن مظعون. قيل: إنها وُلِدَتْ قبل مبعث النبي ﷺ بخمسة أعوام. تزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث من الهجرة. (توفي سنة ٤٥ هـ). ينظر: «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للمزي (ج ٣٥ ص ١٥٣)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (ج ١٢ ص ٤٣٩).

(٢) هو: علي بن إبراهيم القمي أبو الحسن، الهالك في عام ٣٠٧هـ، والمشهور بتفسيره المسمى (بتفسير القمي) وهو من أبرز القائلين بتحريف القرآن ، ومن المكثرين فيه ، حيث ملأ تفسيره بالروايات الصريحة في ذلك ، كما صرح هو بذلك في مواضع من تفسيره. موسوعة فرق الشيعة، **ممدوح الحربي** (ص: ٦) (٤٦).

(٣) «تفسير القمي»، علي بن إبراهيم القمي، تصحيح وتعليق: طيب الموسوي الجزائري، الطبعة الحجرية، الطبعة الثالثة بيروت، (ص٣٤١) .

ورماها بما رماها به -أَيْ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا- بعد هذا الذي ذُكِرَ في الآية فإِنَّه كافرٌ؛ لأَنَّه معاندٌ للقُرْآنِ(١)، وقدْ حكى ذلك القُرْطُبِيُّ (٢) وغيرُ واحدٍ من السَّلف رحمهم الله جميعًا».

ولكنَّ السُّؤال يجيءُ هنا:

ما مقصودُ المنافقين في الزَّمَنِ الأَوَّلِ ومَنْ تبِعهم مِنَ الأَحْفاد جِيْلًا بعد جِيْلٍ مِنْ هذا القَذْفِ وهذا الاتِّهامِ الباطلِ؟!

لقد تعدَّدتْ عِلَلُ ذلك، وإنْ كان مِنْ أَبرزها إِشَاعَةُ الفاحشة بين المُؤْمنين؛ فما فَتِئَ أَعْداءُ الله في الدَّاخل والخارِجِ عن سَعْيٍ دَؤُوبٍ وفِكْرٍ متواصلٍ لتَّلْويثِ العَفَافِ وتَدْنِيْسِ الطُّهْرِ وهَتْكِ السَّتْرِ سِتْرِ الحَيَاءِ وتمزيقهم جلابيب الحِشْمة ووَأْدِهم معاني الشَّرَف والغيرةِ على الأَعْراض وإِخْمادِهم لجَذْوَةِ خوفِ الفضيحةِ والعارِ، فمهَّدوا للانْحِراف مناحيَه، وللسُّقوط مهاويَه، وللانْحِلال دواعيَه، دُعَاةً على أَبْوابِ جهَنَّمَ، مَنْ أَجابَهم إِلَيها، أَرْدُوه فيها.

نَعَمْ والله، إِنَّ في إِشَاعة القبائِحِ في أَجْواءِ الأُسَرِ والمجتمعاتِ لَباعثًا للنُّفوسِ المُتحرِّجةِ مِنَ ارْتكابِ الفِعْلَةِ إِلَى الوُلوغ في مُمارستِها؛ لشُعورِهم أَنَّ البِيْئَةَ المُحيطةَ بِهم قدْ تلوَّثتْ بها، وانْتَشَرَتْ فيها.

لقدْ تفنَّن أَعْداءُ الدِّين في سُبُلِ نَشْرِهم للسُّوءِ، وإِشَاعتِهم للفاحشة، فسلكوا فِجاجًا.. ونصبوا أَعْلامًا.. وأَنْفقوا أَموالًا، وسخَّروا أَذْنابًا، حتَّى عظُم بهم البلاءُ، ولاقتِ الأُمَّةُ منهم كلَّ عناءٍ، وما ازدادتْ بهم إِلَّا شَقاءً.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٨٩- ٢٩٠)، وانظر «الصارم المسلول على شاتم الرسول»، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري، طبعته: دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٧هـ) (٣/ ١٠٥٠).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٢/ ٢٠٦).

وإلَيك أَخِي نَزْرًا يسيرًا مِنْ وسائِلِهم الماكرةِ، وأَسَاليبِهم الدَّنيئةِ، لإِشَاعةِ المُنْكَرِ، وإِذَاعةِ الخُبْثِ؛ حَذَرًا مِنْ شِبَاكِهم، وتَنَائِيًا عن مصائِدِهم. فمِنْ ذلك:

إِشَاعتُهم للفحشاءِ عَبْرَ الشَّاشةِ الصَّغيرةِ والقَنَواتِ الفضائِيَّةِ والجريدةِ المُصوَّرةِ والمجلَّةِ المتداولةِ، وأَفْلامِ الفيديو المسجَّلةِ، وأَشْرطةِ الصَّوتِ المسموعةِ، ووسائِلِ التِّقْنيَةِ الحديثةِ، ومواقع الإنترنت الإِبَاحيَّةِ، ومسلسلاتِ حُبٍّ وغرامٍ وعِشْقٍ وهُيامٍ؛ لباسٍ حاسرٍ، وحياءٍ ساقطٍ، غرائِزٍ تُثار، وكوامنَ تُهيَّج، ونارٍ تُضْرم، ومغرياتٍ تُسعَّر، قدْ خالط ذلك كلَّه كلامٌ سافلٌ، وخلواتٌ مُحرَّمةٌ، وضحكاتٌ متبادلةٌ، وشواطئُ عاريةٌ، ومنتجعات آثمةٌ، ومشاهدُ فاتنةٌ.

فماذا بقِي إنْ لم يكن في مثل هذه المناظر ما فيها مِنْ إِشَاعَةٍ للرَّذِيلَةِ، وهدمٍ للفضيلة، فكيف والجِراحُ أَنْكىٰ والفَجِيعةُ أَخْزىٰ لمَنْ مشىٰ إِلَىٰ قنوات الفاحشة، فأَخَذَ بتَلابِيبِها، وأَدْخَلَها إِلَىٰ عُقْرِ داره، وسَمَا بها فوق فِنائِه، وجعَلها في متناول أَبْنائِه، وأَضْيافِه، ينهلون مِنْ مَوْرِدِها الكَدِرِ، ويتشبَّعون مِنْ زُعافِها العَفَنِ؟

فهلْ يا تُرىٰ يبقىٰ في النُّفوس للحياءِ والحِشْمةِ بقيَّةٌ، أَمْ يظلُّ للعِفَّةِ والطُّهْرِ والإِشَادةِ بالنَّزاهة والتَّحلِّي بالآداب عند الطَّرح قضيَّةَ؟ إِنَّها وسائِلُ الإِعْلام التي تعدَّدتْ وسائِلُها وتجدَّدتْ سُبُلُها، ذاتُ الأَثَرِ البالغ والسَّهمِ النَّافذِ، فمِنْ خِلالها وعلىٰ جميع أَصْعدتها نجِد القصيدةَ الولهىٰ والصُّورةَ المُغريةَ والقِصَّةَ الهابطةَ والمقالةَ الآثمةَ، والمُقابلةَ الخاويةَ، ممَّا يفِي مجموعُه بنشر الفاحشةِ وإِذَاعةِ الرَّذِيلة وتهوينِ الجريمةِ.

ومِنْ إِشَاعة الفاحشة ما يُسْمع ويُعرض مِنْ غِناءٍ قد تكسَّر وتمايل صانعوه، وتراقص ربَّما له سامعوه. الفاحشةُ قذفٌ للأَبرياءِ، واتِّهامٌ للبُرَآءِ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ

﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ [سورة الأحزاب:٥٨].

ومِنْ إِشَاعة الفاحشة المجاهرةِ بالسُّوءِ؛ روىٰ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: «قال رَسُولُ الله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًىٰ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْجِهَارِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ فيقول: عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سَتْرَ الله عَنْهُ»(١).

فَتَفَكُّهُ أَحَدِهم بلياليه العفنة أَمَامَ أَقْرانه جهرٌ بالسُّوءِ، وإِبْداءُ رسائِلِ الحُبِّ المتبادلةِ جهرٌ بالسُّوءِ، والحديثُ عن مكالمات المساءِ وما يدور فيها مِنْ مُنكَرِ القولِ جهرٌ بالسُّوءِ، وإِشَاعةُ الفحشاءِ واستحثاثُ المخاطبين بمجاراة الفعلِ والإِقْدام علىٰ المثل والتَّفاخُر بأَسْفار التَّنزُّه والسِّياحة وما يَعْتَوِرُها مِنْ مخازٍ وفضائِحَ مجاهرةٌ بالسُّوءِ، وإِفْشاءُ الزَّوج لسرِّ زوجتِه حالَ مواقعتِه لها جهرٌ بالسُّوءِ.

روىٰ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال، قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ الله مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَىٰ امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا»(٢).

وقدْ ضرَب النَّبِيُّ ﷺ لَمِنْ هذا حالُه مَثَلًا: فقد روىٰ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قولَ النَّبِيِّ ﷺ: «هَلْ مِنْكُمْ مِنْ رَجُلٍ إِذَا أَتَىٰ أَهْلَهُ، فَأَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ، وَأَلْقَىٰ عَلَيْهِ سِتْرَهُ، وَاسْتَتَرَ بِسِتْرِ الله؟» قالوا: نَعَمْ. قال: «ثُمَّ يَجْلِسُ بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ فَعَلْتُ كَذَا فَعَلْتُ كَذَا؟» فسَكَتُوا، ثُمَّ أَقْبَلَ علىٰ النِّسَاءِ فقال: «هَلْ مِنْكُنَّ مَنْ تُحَدِّثُ؟» فسَكَتْنَ، فجَثَتْ فَتَاةٌ كَعَابٌ(٣) علىٰ إِحْدىٰ رُكْبَتَيْها وتطاولتْ لرَسُولِ الله ﷺ لِيَراهَا ويَسْمَعَ

(١) رواه البخاري كتاب: الأدب، باب: ستر المؤمن علىٰ نفسه، برقم: (٥٧٢١)، مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه، برقم: (٢٩٩٠).
(٢) رواه مسلم كتاب: النكاح، باب: تحريم إفشاء سر المرأة، برقم: (٣٦١٥).
(٣) كَعَبت الجارية إذا بدا ثديها للنهود فهي كعاب .

كلامَها فقالتْ: يارَسُولَ الله إِنَّهُمْ لَيُحَدِّثُونَ وَإِنَّهُنَّ لَيُحَدِّثْنَ. فقال: «تَدْرُونَ مَا مِثْلُ ذَلِكَ؟ إِنَّمَا مِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ شَيْطَانَةٍ لَقِيَتْ شَيْطَانًا فِي السِّكَّةِ فَقَضَى حَاجَتَهُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ...». الحديث(١).

ومِمَّا يَحْزَنُ له المُسْلِمُ أَنَّ مِثْلَ هذه الأَحَادِيْثِ لاتزال قائِمَةً في بعض مجالس السَّمَرِ والسَّهَرِ والتَّنَزُّهِ والعياذُ بالله.

وهكذا يُسْدَلُ السِّتَارُ على حادثةِ الإِفْكِ ذاتِ الدُّروسِ العظيمةِ بخاتمة فيها التَّهديدُ والوعيدُ والزَّجْرُ والتَّنْديدُ لَمَنْ يُحِبُّون شُيوعَ الفاحشة في الذين آمنوا.. في أَخْلاقهم وسُلُوكِهم، في دُورِهم وأُسَرِهم، في بَنِيهم وبناتِهم.. تحذيرًا وتنكيلًا أَنْ يَأْتِيَ بعد ذلك في عَقِبِ الأُمَّة وأَجْيالِها مَنْ يسلك المَنْهجَ نفسَه، ويتَّخذَ المسارَ ذاتَه، فيُذيع الإِثْمَ، وينشر الفُحْشَ، ويَقْذِفَ الغافلاتِ، ويتَّهِمَ الأَبرياءَ، ويُشيعَ الرَّذيلةَ.

قال شيخُ الإِسْلام ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَنْ أَعَان على نشر الفاحشة وإِشَاعَتِها، فهو مِثْلُ القوَّاد الذي يقود النِّساءَ والصِّبْيانَ إِلَى الفاحشة»(٢).

١٢ـ فرحُهم بما يسُوءُ النَّبيَّ ﷺ وحزنُهم إنْ أصابته حسنة:

شاهدُ ذلك ما قاله عزَّ في عُلاه: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ [سورة التوبة:٥٠].

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: النكاح، باب: ما يكره من ذكر الرجل ما يكون من إصابته أهله، برقم: (٢١٧٤)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٠٣٧).

(٢) ينظر: «تفسير سورة النور»، المؤلف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد العلي بن عبد الحميد بن حامد، طبعته: الدار السلفية - بومباي - الهند، الطبعة الأولى - (١٤٠٨ - ١٩٨٧م) (ص٦٥) بتصرف يسير.

قال الإِمَامُ الشَّوكانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «وفي هذا بيانٌ لخُبْثِ ضمائِرِ المنافقين وسُوءِ فِعالِهِمن وإِخْبارٌ بعظيمِ عداوتِهم لرَسُولِ الله ﷺ وللمُؤْمنين؛ فإِنَّ المساءَةَ بالحسنة والفرحَ بالمصيبة مِنْ أَعْظم ما يدلُّ على أَنَّهم في العداوة قدْ بلغوا الغايَةَ»(٢).

هذا ما تيسَّر جَمْعُه من السِّماتِ النِّفاقيَّةِ ممَّا كان يتعامل به هذا الطابور الخامس مع النَّبيِّ ﷺ ولربَّما بقِي سِماتٌ أُخرى، ولكنْ لعلَّه يكفي مِنَ القِلادةِ ما أَحَاط بالعُنُقِ..

---

(١) هو: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ولد: ١١٧٣، توفي: ١٢٥٠ هـ)، فقيه مجتهد من كبار علماء صنعاء اليمن. ولد بهجرة شوكان (من بلاد خولان باليمن) ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة (١٢٢٩ هـ) ومات حاكمًا بها، وكان يرى تحريم التقليد، له (١١٤) مؤلفًا.
من مصنفاته: «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار» للمجد بن تيمية، و«فتح القدير» في التفسير، و«السيل الجرار» في شرح الأزهار في الفقه. و«إرشاد الفحول» في الأصول. ينظر: «البدر الطالع» (٢/ ٢١٤ - ٢٢٥)، «الأعلام» للزِّرِكْلِيِّ (٦/ ٢٩٨).
(٢) ينظر: «فتح القدير» (٢/ ٤٢٠) بتصرف يسير.

المبحثُ الثاني

صفاتُ المنافقين حالَ تعامُلِهم مع المُؤْمِنين

كما أَنَّ للمنافقين سِماتٍ وأَخْلاقياتٍ حالَ تعامُلِهم مع النَّبِيِّ ﷺ فلَهُمْ كذلك صفاتُهم وأَسَالِيبُهم المشينةُ حالَ تعامُلِهم مع المُؤْمِنين، ومُؤَدَّاها التَّحايُلُ والمُخادعةُ وإِذَاعتُهم للشَّائِعات وبَثُّهم للظُّنون المُرْجفةِ وإِفْشاؤُهم لأَسْرارِهم وتجسُّسُهم عليهم وتربُّصُهم بهم الدوائِرَ مع دَيْمومة السُّخْرِيَّةِ والاستهزاءِ واللَّمْزِ والغَمْزِ للمُؤْمِنين... إلخ.

فيالله كما لاقى المُؤْمنون مِنْ جرَّائِهم العَنَتَ والتَّخْذيلَ والمراراتِ التي لا تُطاق، كَمْ صدُّوا عن سبيل الله ووالوا أَعْداءَ الله وسَعَوا بالفُرْقة وتشتيتِ الشَّمْل! كَمْ أَوْهَنُوا مِنْ عزمٍ، وفتُّوا في عَضُدٍ، وكسروا مِنْ شوكةٍ، وأَلَّبُوا على المُؤْمنين، وأَشْعلوا مِنْ فتنةٍ، واتَّهموا بُرءَاءَ! قدْ سَفِهت حلومُهم، وطاشتْ من الخوف قلوبُهم، جُبْنُهم شديدٌ، ومَكْرُهم خطيرٌ، كفى الله المُؤْمِنين شُرُورَهم، وردَّ كيدَهم في نُحُورِهم.

هذا المطلبُ سيأْتِي - بإِذْنِ الله- على شيءٍ مِنْ هذه السِّمات النِّفاقيَّةِ التي تكشف طبيعةَ تعامُلِ هؤلاء مع المُؤْمنين، وذُو البصيرةِ والفهمِ سيُدرك شَبْهَ ما عليه شَأْنُ اللَّيْلةِ بالبارحةِ؛ فالنَّهجُ واحدٌ، وإِنْ اختلفت الرُّسومُ والأَسْماءُ. فمِنْ ذلك:

١ـ تمنِّيهم كُفْر المؤْمنين:

وفي ذلك مشابهةٌ منهم لإِخْوانهم مِنْ أَهْل الكتاب الذين قال اللهُ عنهم: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾

[سورة البقرة:١٠٩].



وكذلك قال الله عنهم مُبيِّنًا دواخلَ نفوسِهم، وما تتمنَّاه قلوبُهم: ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [سورة النساء:٨٨-٨٩].

ومَنْ تأَمَّلَ الآيتين يجد أَنَّ القُرْآنَ جاءَ بكلمةِ ﴿ودَّ﴾ لتُعبِّرَ عن مدىٰ التَّشابُه بلْ والتَّطابقِ بين حال مَنْ رَضُوا لأَنْفسهم الهوانَ والذُّلَّ والصَّغارَ فكانوا مع أَعْداءِ المِلَّة مِنْ أَهْل الكتاب حتَّىٰ كان وُدُّهم كودِّهم ورغبتُهم كرغبتِهم سَواءً بسواءٍ، ودلالةُ ذلك تُبين عن عداوةٍ للمُؤْمنين مُسْتحكمةٍ وضغينةٍ حاقدةٍ، وممَّا يُؤَكِّد وَجْهَ تَشَابُهِ القلوبِ بين أَهْل الكتاب والمنافقين وما اعْتَلَجَ في قلوبهم جميعًا قولُه تعالىٰ: ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [سورة آل عمران:٦٩].

وهذا الودُّ والتَّمنِّي لمْ يكنْ عملًا قلبيًّا فحسب، بلْ ترجمتْه فِعالُهم وصدَّقتْه أَقْوالُهم وحكاه واقعُهم. أَخْرجَ الإِمَامُ البُخَارِيُّ في سببِ نزولِ هذه الآية: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ [سورة النساء:٨٨] عن زَيْدِ بنِ ثَابتٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(١) قال: لمَّا خرج

---

(١) زيد بن ثابت: هو زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي، أبو خارجة: صحابي، من أكابرهم. كان كاتب الوحي. ولد في المدينة (١١ ق. هـ)، ونشأ بمكة، وقتل أبوه وهو ابن ست سنين. وهاجر مع النبي ﷺ وهو ابن (١١) سنة، وتعلم وتفقه في الدين، فكان رأسًا بالمدينة في القضاء والفتوىٰ والقراءة والفرائض.

وكان عمر يستخلفه علىٰ المدينة إذا سافر، فقلَّما رجع إلَّا أقطعه حديقة من نخل، وكان ابن عبَّاس - علىٰ جلالة قدره وسعة علمه - يأتيه إلىٰ بيته للأخذ عنه، ويقول: العلم يؤتىٰ ولا يأتي. وأخذ ابن عباس بركاب زيد، فنهاه زيد، فقال ابن عباس: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا، فأخذ زيد كفه وقبلها وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بآل بيت نبينا.

وكان أحد الذين جمعوا القرآن في عهد النبي ﷺ من الأنصار، وعرضه عليه. وهو الّذي كتبه =

رَسُولُ الله ﷺ إِلَىٰ أُحُدٍ، رجَع ناسٌ ممَّن خرَج، وكان أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ فِرْقَتَيْنِ، فِرْقَةً تقول نُقاتلُهم، وفِرْقَةً تقول لا نُقاتِلُهم، فنزلتْ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ [سورة النساء:٨٨-٨٩] ، وقال: إِنَّهَا طيبةٌ تنفي الذُّنوبَ كما تنفي النَّارُ خَبَثَ الحديد(١).

قال الإِمَامُ القاسميُّ (٢) في «تفسيره»: «فمالكم تفرَّقْتُم في أَمْرِ المنافقين ﴿فِئَتَيْنِ﴾؛ أَيْ: فِرْقَتَيْنِ، ولم تتَّفقوا علىٰ التَّبَرُّؤِ منهم، والاستفهامُ للإِنْكار، والنَّفْيُ والخطابُ لجميع المُؤْمنين، لكنَّ الذي فيه معنىٰ التَّوْبيخ مُتوجِّه لبعضهم، وذلك أَنَّ

= في المصحف لأبي بكر، ثم لعثمان حين جهز المصاحف إلىٰ الأمصار، وتوفي (٤٥ هـ) ولما توفي رثاه حسان بن ثابت، وقال أبو هريرة: اليوم مات حبر هذه الأمة وعسىٰ الله أن يجعل في ابن عباس منه خلفًا. له في كتب الحديث (٩٢) حديثًا. ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (ج٢، ص٤٢٦).

(١) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل المدينة، باب: المدينة تنفي الخبث، برقم: (١٧٨٥).

(٢) هو: جمال الدين (أو محمد جمال الدين) بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق، من سلالة الحسين السبط: إمام الشام في عصره، علمًا بالدين، وتضلُّعًا من فنون الأدب. مولده ووفاته في دمشق. كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد. انتدبته الحكومة للرحلة وإلقاء الدروس العامة في القرىٰ والبلاد السُّوريَّة، فأقام في عمله هذا أربع سنوات (١٣٠٨ - ١٣١٢ هـ) ثم رحل إلىٰ مصر، وزار المدينة.

ولما عاد اتهمه حسدته بتأسيس مذهب جديد في الدين، سموه (المذهب الجماليَّ) فقبضت عليه الحكومة (سنة ١٣١٣ هـ) وسألته، فرد التهمة، فأخلي سبيله، واعتذر إليه والي دمشق، فانقطع في منزله للتصنيف وإلقاء الدروس الخاصة والعامة في التفسير وعلوم الشريعة الإسلامية والأدب.

ونشر بحوثًا كثيرة في المجلات والصُّحف، اطَّلعت له علىٰ اثنين وسبعين مصنَّفًا، منها «دلائل التوحيد» و«ديوان خطب» و«الفتوىٰ في الإسلام» و«موعظة المؤمنين»، اختصر به إحياء علوم الدين للغزالي، و«قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث» و«محاسن التأويل» في التفسير، ولابنه الأستاذ ظافر القاسمي، كتاب «جَمَال الدين القاسمِي وعصره«. انظر: «الأعلام»، للزِّركليِّ (٢/ ١٣٥).



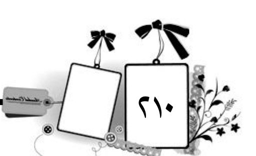
فِرْقَةً من المُؤْمنين كانتْ تميل إِلَيهم وتَذُبُّ عنهم وتُواليهم، وفِرْقَةً منهم تُبايِنُهم وتُعاديهم، فنُهُوا عن ذلك، وأُمِرُوا بأَنْ يكونوا على نَهْجٍ واحدٍ في التَّباين، والتَّبَرُّؤِ منهم؛ لأَنَّ دلائِلَ كُفْرِهم ونفاقِهم ظاهرةٌ جليَّةٌ؛ فليس لكم أَنْ تختلفوا في شَأْنِهم»(١).

أَمَّا الإِمَامُ السَّعديُّ فقدْ ذكَر تفسيرًا آخَرَ لهذه الآيةِ، وهو: «أَنَّ المرادَ بالمنافقين المذكورين في هذه الآيات: المنافقون المُظهرون إِسْلامَهم، ولمْ يُهاجروا مع كُفْرِهم. وكان قدْ وقع بين الصَّحابةِ رضوانُ الله عليهم فيهم اشتباهٌ؛ فبعضُهم تحرَّج عن قتالهم، وقَطْعِ موالاتِهم، بسبب ما أَظْهروه مِنَ الإِيْمان، وبعضُهم علِم أَحْوالَهم بقرائِنِ أَفْعالِهم، فحكَم بكُفْرِهم.

فأَخْبَرَ تعالى أَنَّه لا ينبغي لكم أَنْ تشتبهوا فيهم، ولا تشكوا، بلْ أَمْرُهم واضحٌ غيرُ مُشْكِلٍ؛ إِنَّهم منافقون قدْ تكرَّر كُفْرُهم، ووَدُّوا - مع ذلك - كفرَكم، وأَنْ تكونوا مِثْلَهم، فإِذَا تحقَّقْتُم ذلك منهم، فلا تتَّخِذوهم أَوْلياءَ، وهذا يستلزم عدمَ محبَّتِهم؛ لأَنَّ الوِلايةَ فرعٌ عن المحبَّة، ويستلزم أَيْضًا بُغْضَهم وعداوتَهم؛ لأَنَّ النَّهيَ عن الشيءِ أَمْرٌ بضِدِّه، وهذا الأَمْرُ مُؤَقَّتٌ بهجْرتِهم، فإِذَا هاجروا جرى عليهم ماجرى على المسلمين، فإِنْ لمْ يُهاجروا، وتولَّوا عنها، ﴿فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [سورة النساء:٨٩] ؛ أَيْ: في أَيِّ وقتٍ، وأَيِّ محلٍّ كان»(٢).

إِنَّ المنافقين ومَنْ شَايَعَهم مِنْ إِخْوانهم مِنْ أَهْل الكتاب لا يزالون على مرِّ عصورِ الزَّمان وتعاقبِ الأُمَم يجهدون جُهْدَهم لبلوغ أَمَانيهم؛ مِنْ كفر المُؤْمنين، وتبديلِ دِيْنِهم، وهُمْ يحسبون أَنَّهم قادرون على ذلك، ظانِّينَ أَنَّ هذا الدِّيْنَ قابلٌ للتَّبديلِ والتَّحْويرِ.

(١) «محاسن التأويل»، للإمام القاسمي (٣ / ٣٤٧) .
(٢) «تفسير السعدي» (٢/ ١٢٠-١٢١).



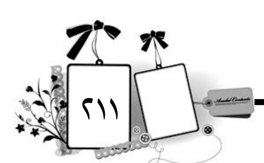
حتَّىٰ بدَأْنَا نسمع في السَّنواتِ الأَخِيرةِ عن «اليسار الإِسْلامي» الذي يُراد منه أَنْ يكون هَجِينًا مِنْ أَفْكار اليسار الشُّيوعي وأُخْرىٰ، وسمعنا مَنْ ينادون بـ«الإسلام الليبرالي»؛ ليكون متوافقًا مع رَأْسمالية الغرب، وثالثة يطرحون عَبْرَ كتاباتِهم ولقاءَاتِهم «الإسلام التَّنْويري» أَوْ «الإسلام الإِصْلاحي» أَوْ «الإسلام الوسطي» وآخر صيحاتِهم هو ما أَسْمَوه بتيار «الإسلام العلماني» فكيف يجتمعان؟ ومعنىٰ العلمانيِّ اللَّادِينيُّ[(١)].

وهكذا تتوالىٰ عبثيَّةُ القومِ لطَمْس ثوابت الدِّين، وتشويهِ معالِمه، وتزويرِ حقائِقه؛ ليبلغوا هدفَهم الذي أَخْبَرَنا الله عنه بقوله: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [سورة البقرة:١٢٠] ، وبلا شكٍّ لنْ يصِلوا إِلَىٰ ما يريدون إِلَّا علىٰ أَكْتاف المستغربين والعُمَلاءِ من بني جِلْدتنا، الذين تواطئوا مع أَعْداءِ هذا الدِّين.

والدَّليلُ أَنَّ تقريرَ مُؤَسَّسة راند التي هي أَكْبرُ مركزٍ فِكْريٍّ في العالَم مقرُّه الرَّئِيسُ في ولاية كالفورنيا الأَمريكيَّة، تُعنىٰ هذه المُؤَسَّسةُ بجَمْع أَكْبَرِ قدرٍ ممكنٍ من المعلومات، ومِنْ ثَمَّ تحليلِها، وإِعْدادِ التَّقارير والأَبْحاثِ التي تخدِم سياسةَ الحكومةِ الأَمريكيَّةِ، بلْ إِنَّها هي المُؤَثِّرةُ بشكلٍ كبيرٍ علىٰ المُؤَسَّسةِ الحاكمةِ في أَمريكا، وهي داعمةٌ في بحوثِها ودراساتِها أَنْصارَ مواجهة الإِسْلام والمسلمين.. يعمل بها ١٦٠٠ باحثٍ وموظَّفٍ، غالبيَّتُهم مِنْ حملة الشَّهاداتِ الأَكاديميَّة العالميَّة، ميزانيَّتُها سنويًّا تتراوح ما بين ١٠٠ – ١٥٠ مليون دولار أمريكيٍّ، جاءَ في تقرير هذه المُؤَسَّسةِ الأَمريكيَّةِ العالميَّةِ لعام ٢٠٠٧م: أَنَّه لا حلَّ إِلَّا إِذَا نظرنا إِلَىٰ المسلمين علىٰ أَنَّهم أَرْبعُ فِئَاتٍ هي: (مسلمون أُصوليُّون، ومسلمون تقليديُّون، ومسلمون حداثيُّون، ومسلمون علمانيُّون).

---

(١) «مجلة البيان»، العدد (٢٣٦)، (ص ٤).



وقد أَرادُوا بالفِئَتَيْنِ الأَخِيرتَيْنِ المسلمين التَّجديدِيِّين العصرانيِّين الذين على أَيْديهم -هكذا زعموا- سيخرج الإِسْلامُ المتوائِمُ وروحَ العصر الذي يُؤْمِنُ أَهْلُه وأَتْباعُه بتقارب الأَدْيان والإِيمان بالكونيَّةِ الإِنْسانيَّةِ وإِلْغاءِ ما يدعو إِلىٰ عَداءِ الآخَر أَيًّا كان، لا يُؤْمن بالجِهاد، ويتعامل بما سُمِّي بالدَّولةِ المَدَنِيَّةِ مقابلَ الحكومةِ الشَّرْعيَّةِ...إلخ(١).

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [سورة الصف:٨]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنفال:٣٦].

٢ـ تمنيهم لحوق الضرر والعنت بالمؤمنين:

قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [سورة آل عمران:١١٨- ١٢٠].

يذكُر الدُّكتور حبنكة الميدانيُّ حول هذه الآيات قولَه:

«اشتمل هذا النَّصُّ علىٰ تحذيرٍ شديدٍ للمُؤْمنين، مِن اتِّخاذ بِطانةٍ تطَّلع علىٰ أَسْرار المُؤْمنين، مِن المنافقين المخالطين للمُؤْمنين في الأَعْمالِ العامَّةِ، ومختلفِ أَنْواعِ

(١) «مجلة البيان»، العدد (٢٣٦) (ص ٨٥).

الحركاتِ والنَّشاطاتِ اليَّوميَّةِ، فضلًا عن الكافرين المجاهرين بكُفْرِهم وعداوتِهم، ويلحق بهم الذين لا يُؤمَنون علىٰ أَسْرارِ المسلمين من الذين في قلوبهم مرَضٌ دون النِّفاق، ومن الفاسقين الذين يسهُل عليهم بيعُ ضمائِرِهم للأَعْداءِ.

وقد بيَّن النَّصُّ أَسْبابَ هذا التَّحْذيرِ الشَّديدِ؛ فالمنافقون في هذه المرحلة التي نزلتْ فيها سورةُ آل عِمْرَانَ وهي مرحلةُ ما بعد غزوةِ أُحُدٍ، التي انْخذَلَ فيها المنافقون عن الرَّسُولِ ﷺ والمُؤْمِنين معه، بقيادة عَبْدِ الله بنِ أُبَيٍّ بنِ سَلُولٍ، هي مرحلةٌ بلغ المنافقون فيها مَبْلَغَ التَّكتُّلِ المستورِ، وتدبيرِ المكايدِ ضِدَّ المُؤْمنين في الخفاءِ، وقدْ طال بهم الانتظارُ، واشتدَّ غَيْظُهم.

○ أمَّا أَسْبابُ التَّحْذيرِ الشَّديدِ مِن اتِّخاذ المنافقين بِطانةً فهي كما يلي:

الأَوَّلُ: أَنَّهم لا يُقصِّرون ولا يُبطِئُون في إِفْساد أَحْوال المُؤْمنين، وإِنْزالِ الضَّرَرِ بهم، وتوهينِ قُواهم، وتمزيقِ صفوفِهم، ومُؤَازَرَةِ أَعْدائِهم؛ حتَّىٰ تطيبَ نفوسُهم باسْتِئْصَالِ شَأْفَتِهم.

الثَّاني: أَنَّهم يتمنَّون أَنْ ينزل بالمُؤْمنين كلُّ بلاءٍ وعَنَتٍ ومشقَّةٍ وضَرَرٍ، وهذا يدفعهم إِلَىٰ اتِّخاذ الوسائِلِ لتحقيق ما يتمنُّون، وإِلَىٰ تدبير المكايد ضِدَّ المُؤْمنين.

الثَّالثُ: أَنَّ أَماراتِ بُغْضِهم للمُؤْمنين قدْ ظهرتْ في أَفْواهم، وفلتاتِ أَلْسِنتَهم، ومَنْ وَهَبَه اللهُ الذَّكاءَ والفِطْنَةَ يستطيع أَنْ يكتشف ما في خبايا القلوبِ والنُّفوسِ، مِنْ معاريض الأَقْوال، وفلتات الأَلْسِنة.

الرَّابعُ: أَنَّ ما تُخْفيه صدورُهم مِنْ بَغْضاء للمُؤْمنين، وما تدفع إِلَيه هذه البَغْضاءُ مِنْ مَكْرٍ وكَيْدٍ، واتِّخاذِ الوسائِلِ للإِضْرار بالمُؤْمنين، هو أَكْبَرُ ممَّا ظهَر مِنْ أَمَارَاتِ البَغْضاءِ علىٰ أَلْسِنتَهم.

الخامسُ: أَنَّ منافقي اليهُودِ منهم، هُمْ أَخْطرُهم وأَخْبثُهم، وهُمْ مُوجِّهوهم، وقدْ كان المفروضُ أَنْ يكونوا أَخفَّ شرًّا وضررًا مِنْ منافقي المشركين، بسبب أَنَّ المسلمين المُؤْمنين الصَّادقين يُؤْمنون بكتُب الله كلِّها، ومنها التَّوراةُ، وبسبب أَنَّهم يُحبُّون هؤلاء المنافقين بدافع الأُخُوَّةِ الإِيمانيَّةِ، وبراءَةِ قلوبِهم ونفوسِهم تِجاههم؛ إِذْ يعامِلونهم بحسب ظاهرهم.

السَّادسُ: أَنَّهم يرقُبون أَحوالَ المُؤْمنين وما ينزل بهم تِباعًا، بعين عَدُوٍّ حاقدٍ ماكرٍ؛ فإِنْ تَمْسَسْهم حسنةٌ مَا ولوْ كان مسًّا رفيقًا، وبنسبةٍ قليلةٍ، ساءَهم ذلك، وإِنْ تُصِبْهم سيِّئةٌ، يفرحوا بها؛ لأَنَّ في قلوبهم ونفوسِهم عداءً للمُؤْمنين، وغَيْظًا منهم، وبُغْضًا لهم.

هذه بعضُ أَسْباب التَّحذير مِن اتِّخاذ المنافقين عامَّةً بِطانةً، ولا سيَّما منافقو اليهُودِ خاصَّةً؛ فهم الأَخبثُ، والأَشَدُّ كيدًا ومَكْرًا، وغَيْظًا وحَنَقًا، وعداوةً وبُغْضًا[١].

قال ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأَهْلُ النِّفاق لا شكَّ أَنَّهم مِنْ بِطانة الشَّرِّ التي ينبغي أَنْ تُطرد وتُقصىٰ. روىٰ الإِمَامُ البُخَارِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ تَعَالَىٰ»[٢][٣].

ومِنْ هنا يتبيَّن للمُؤْمنين ما عليه قلوبُ أَهْلِ النِّفاق مِنْ وُدِّ العَنَتِ لهم والمشقَّةِ النَّازلةِ بهم، يُقال في اللُّغة أَعْنَتَ فلانٌ فلانًا إِذَا أَوْقعه في مشقَّةٍ وشدَّةٍ[٤].

---

(١) ينظر: «ظاهرة النفاق»، للميداني (١/ ٢٨٥-٢٨٦-٢٨٧).

(٢) ينظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٢٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: القدر باب: المعصوم من عصم الله، برقم: (٦٢٣٧).

(٤) «ظاهرة النفاق»، للميداني (١/ ٢٩١).

أَمَّا قولُه تعالىٰ: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [سورة آل عمران: ١١٨] : لا يُقصِرون ولا يُبْطِئون في إِلْقاءِ الإِفْسادِ والإِضْرارِ بكم. وخبالًا: النُّقصانُ والهلاكُ والسُّمُّ القاتلُ، والخبال: فسادُ العقل والجنون»(١).

لطيفةٌ: أَلَا وهي أَنَّ اللهَ كما نهىٰ عن اتِّخاذ الكافرين أَوْلياءَ ووُزَرَاءَ ومستشارين وحُلَفاءَ، كذلك نَهىٰ عن اتِّخاذ المنافقين بِطانةً وعيبةَ نُصْحٍ وموضعَ سِرٍّ سواءً بسواءٍ.. وهذا الذي أُكِّد في غير ما موضعٍ من البحث بما يُشير إِلَىٰ أَنَّ المنافقين والكُفَّارَ علىٰ اختلاف شرائِعهم في خَنْدَقٍ واحدٍ ضِدَّ المُؤمنين. إِنَّ من القواعدِ المُسلَّمةِ أَنَّ ما تردَّد في الفُؤَادِ واسْتَجْمَعَتْه النَّفْسُ لابُدَّ وأَنْ يَظْهَرَ علىٰ الجوارحِ وقَسَماتِ الوَجْه وفلتاتِ اللِّسان.

يقول شيخُ الإِسْلام ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّ التَّشبُّهَ الظَّاهرَ في الزِّيِّ والشَّكلِ والسُّلوكِ والعاداتِ لا بُدَّ أَنْ يُورِثَ نوعَ مودَّةٍ ومحبَّةٍ وموالاةٍ بين المُتشابهين في الباطن، كما أَنَّ المحبَّةَ أَيْضًا في الباطن - وهذا هو الشَّاهدُ - قدْ تُورث تناسُبًا وتشاكُلًا في الظَّاهر»(٢).

يستخلص مِنْ هذه القاعدةِ: أَنَّ من أَضْمر شيئًا ظَهر، ومَنْ أَخْفىٰ دسيسةً استبانتْ، ومَنْ اسْتَبْطنَ عَنَتًا ومشقَّةً للمؤمنين طفحَتْ علىٰ صفحاتِ كلامِه، وبعضِ تصرُّفاتِه.

---

(١) «ظاهرة النفاق»، للميداني (١/ ٢٩٠).

(٢)«اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم»، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفىٰ: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م (١/ ٤٣) بتصرف يسير.

ومَهْمَا تكنْ عندَ امْرئٍ مِنْ خليقةٍ   وإنْ خَالَهَا تَخْفىٰ علىٰ النَّاس تُعْلَم

قال بعضُ السَّلف رحمهم الله: «ما أَسَرَّ العَبْدُ سريرةً إِلَّا أَظْهَرَهَا اللهُ علىٰ قسماتِ وَجْهِه، أَوْ فلتاتِ لِسانِه؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ [سورة محمد:٣٠](١)».

وقال يحيىٰ بنُ مُعَاذٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٢): «مَنْ خان اللهَ في السِّرِّ، هتَك سِتْرَه في العلانيَةِ»(٣).

وقال بعضُ السَّلف رحمهم الله: «ما أَسَرَّ العَبْدُ سريرةً إِلَّا كساه الله تعالىٰ رِداءَها؛ إِنْ خَيْرًا فخيرٌ، وإِنْ شرًّا فشرٌّ»(٤).

وكذلك في زماننا نجد أَنَّ أَمْثالَ هؤلاء كثيرٌ؛ فمَنْ تتبَّع كتاباتِهم وسَبَرَ غَوْرَ لِقاءَاتِهم وَجَدَ فيها مِنْ لحنِ القول ما يُوحِي بما تُكِنُّه القلوبُ... ويظهَر ذلك أَحْيانًا في تعرُّضِهم للذَّات الإِلهيَّةِ وفي استهزائِهم بالسُّنَّةِ النَّبويَّةِ وسُخْريتِهم بالمُؤْمنين ومناداتِهم بالتَّشبُّه بأَعْداءِ الدِّين، فما أَكْثرُ سَقَطَاتِهم في هذه الميادينِ! ويأْبىٰ اللهُ إِلَّا أَنَّه يهتِكُ سِتْرَهم ويُعرِّي خَبِيئَتَهم، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [سورة الأنعام:٥٥].

---

(١) «الذخيرة في إصلاح السريرة»، وليد محمد العباد، دار بلنسية – الرياض، الطبعة : الأولىٰ – (١٤١٦هـ) (ص٤٣-٤٤) .

(٢) هو: يحيىٰ بن معاذ الرازي، الواعظ، من كبار المشايخ، له كلام جيد، ومواعظ مشهورة، توفي سنة (٢٥٨هـ)، من أقواله: لست أبكي علىٰ نفسي إن ماتت، إنما أبكي علىٰ حاجتي إن فاتت. لا يفلح من شممت رائحة الرياسة منه. مسكين ابن آدم؛ قلع الأحجار أهون عليه من ترك الأوزار. لا تستبطئ الإجابة وقد سددت طريقها بالذنوب. الدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة، وهو يسألك عن جناح بعوضة. ينظر: «حلية الأولياء» (١٠/ ٥١ – ٧٠)، «تاريخ بغداد» (١٤/ ٢٠٨ – ٢١٢).

(٣) «صفة الصفوة»، ابن الجوزي، تحقيق : محمود فاخوري، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة الثانية، سنة (١٣٩٩-١٩٧٩م)، (٢/ ٣٠٤).

(٤) «الذخيرة في إصلاح السريرة»، لوليد العباد (ص٥١).

٣ـ كراهيتهم للمؤمنين:

وأفضلُ ما يكشف حقيقةَ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [سورة آل عمران:١١٨] ، وقولُه عزَّ في عُلاه: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [سورة آل عمران:١١٩].

قال ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [سورة آل عمران:١١٨]: «أَيْ قد لاح علىٰ صفحاتِ وُجُوهِهِم وفَلَتَاتِ أَلْسِنَتِهِم مِنَ العداوة – مع ما هُمْ مشتملون عليه في صدورهم مِن البَغْضاءِ للإِسْلام وأَهْلِه – ما لا يخفىٰ مثلُه علىٰ لَبِيبٍ عاقلٍ»(١).

وقال الشَّوكانيُّ: «والمعنىٰ: أَنَّها قد ظهرتْ البَغْضاءُ في كلامهم؛ لِمَا خَامَرَها مِنْ شدَّةِ البُغْض والحَسَدِ، أَظْهرتْ أَلْسِنَتُهم ما في صدورهم، فتركوا التَّقِيَّةَ، وصرَّحوا بالتَّكذيب. أَمَّا اليهودُ فالأَمْرُ في ذلك واضحٌ.

وأَمَّا المنافقون فكان يظهر مِنْ فَلَتَاتِ أَلْسِنَتِهِم ما يكشف عن خُبْثِ طوِيَّتِهم. وهذه الجملةُ لبيان حالهم ﴿وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [سورة آل عمران:١١٨] ؛ لأَنَّ فَلَتَاتِ أَلْسِنَتِهِم أَقلُّ ممَّا تكِنُّه الصُّدورُ، بلْ تلك الفلتاتُ بالنِّسْبة إِلَىٰ ما في الصُّدور قليلةٌ جِدًّا.

❍ ﴿عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [سورة آل عمران:١١٩].

قدْ يسأَلُ سائِلٌ فيقول ما موقعُ ﴿عَلَيْكُمُ﴾ في الآية مع أَنَّه كان يكفي أَنْ يُقالَ: وإِذَا خَلَوا عضُّوا الأَنَامِلَ مِنَ الغَيْظِ، والجوابُ هو أَنَّهم في موقفٍ مِنَ العجزِ والقُصورِ عن إِلْحاق النِّكاية بالمُؤْمنين، وإِنْزالِ المصائِبِ بهم، فإِذَا ما خَلَوا بأَنْفُسِهم

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٢٩).

بعيدًا عن عَيْنِ الرَّقيبِ من المُؤْمنين، تتحرَّك أَعْضاؤُهم للتَّعبير عمَّا في نفوسهم وقلوبِهم ضِدَّ المُؤْمنين؛ فتخيُّلُهم يسبقهم إِلَىٰ تصوُّرِهم القَبْضَ علىٰ المُؤْمنين، وافتراسِهم بأَسْنانِهم عضًّا ونهشًا، فيُبادرون علىٰ أَنَامِلِهم بالعضِّ بحركةٍ لا إِرَاديَّةٍ، بَيْدَ أَنَّ نفوسَهم مِنْ داخلها تعضُّكم أَنْتُم، فاجتمعتْ الحركتان الحِسِّيَّةُ الظَّاهرةُ والنَّفْسِيَّةُ الباطنةُ»(١).

وهذا المشاهدُ والمتكرَّرُ ممَّا هو مِنْ شَأْنِ عُصْبةِ النِّفاق في كلِّ حينٍ وزمانٍ، فكمْ لهم مِنْ قلوبٍ دفينٍ حِقْدُها، وصدورٍ قدْ أَوْغَرَتْها الضَّغِيْنَةُ علىٰ المُؤْمنين إِذَا تسنَّموا مراتبَ العزِّ وسبقوا إِلَىٰ مناشط الخير واجْتمعتْ عليهم أَرْواحُ العباد وعقَد النَّاسُ عليهم بعد الله الآمالَ وسحَب مِنْ تحت أَقْدام المنافقين البِساط، فكانوا كسَقْطِ المتاع لا وَزْنَ لهم ولا اعتبارَ، فيا لله كمْ حَنَقُهم علىٰ العلماءِ الرَّبَّانيِّين والدُّعاةِ المُخْلصين وطلبةِ العلم النَّاصحين! يَسُوءُهم انتشارُ حلَق القُرْآنِ الكريمِ، وتعدُّدُ مناشطِ مكاتبِ الدَّعْوة، ويَحْزُنُهم كثرةُ إِقْبال النَّاس علىٰ مجالس العلم، ويُؤْلِمُهم ذيعانُ وشيوعُ الشَّريط الإِسْلاميِّ، بلْ ويتضوَّرون حَسْرَةً علىٰ رُؤْيَتِهم للطَّبيبِ المسلمِ والمهندسِ المُتديِّنِ والطيَّارِ المُحافظِ والمرأَةِ المُحجَّبةِ.

ناهيك عنْ كَمَدٍ ولهَفِ أَكْبادِهم علىٰ توسُّع قنوات الفضاءِ الهادفةِ، وتزايُدِ جمعيات البِرِّ ومُؤسَّساتِ الدَّعْوة ومراكزِ الإِغَاثة المباركةِ، بلْ وانعطافِ فِئَامٍ كثيرٍ من الشَّبابِ والفتياتِ عن مسالك الهوىٰ ومزالقِ الإِثْم، وإِقْبالِهم علىٰ دِينهم، وتمسُّكِهم بهَدْي نبيِّهم ﷺ، لذا قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١١٩].

---

(١) «ظاهرة النفاق»، للميداني (١/ ٢٩٩) بتصرف يسير.



قال ابنُ عَاشُورٍ(١): «والدُّعاءُ عليهم بأَنْ يموتوا بغَيْظِهم، صريحُه طلبُ موتكم بسبب غَيْظِهم وهو كِنايةٌ عن ملازمته لهم طُولَ حياتِهم»(٢).

٤- فرحهم بمصاب المؤمنين وحزنهم بحسنة ينالونها:

وهذه السِّمةُ كغيرها من السِّمات التي تفضح وتهتك أَسْتارَ قلوب الطابور الخامس الذي مرِض منه الفُؤَادُ، وعمِيتْ له البصيرةُ...

قال تعالىٰ مُبيِّنًا ما تعتلج به ضغائِنُهم: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [سورة آل عمران: ١٢٠].

قال الإِمَامُ الطَّبَرِيُّ شيخُ المُفسِّرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنْ تنالوا أَيُّها المُؤْمنون سرورًا بظهوركم علىٰ عدوِّكم، وتتابع النَّاسُ دخولًا في دينكم، وتصديقِ نَبِيِّكم، ومعاونتِكم علىٰ أَعْدائِكم، يَسُؤْهم، وإِنْ تَنَلْكم مساءَةٌ، بإِخْفاقِ سريَّةٍ لكم، أَوْ بإِصَابة عدوٍّ لكم منكم، أَوِ اختلافٍ يكون بين جماعتِكم، يَفْرَحُوا بِها.

---

(١) هو: محمد الطاهر بن عاشور (ولد: ١٢٩٦، وتوفي: ١٣٩٣ هـ)، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عين (عام ١٩٣٢) شيخًا للإسلام مالكيًّا. وهو من أعضاء المجمعين العربيَّين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها «مقاصد الشريعة الإسلامية» و«أصول النظام الاجتماعي في الإسلام» و«التحرير والتنوير» في تفسير القرآن، ، و«الوقف وآثاره في الإسلام» و«أصول الإنشاء والخطابة» و«موجز البلاغة»، ومما عني بتحقيقه ونشره «ديوان بشار بن برد» أربعة أجزاء. وكتب كثيرا في المجلات. ينظر: «الأعلام» (٦/ ١٧٤).

(٢) «التحرير والتنوير»، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس، سنة (١٩٩٧م)، (٤/ ٦٧).

ثُمَّ روىٰ قولَ قَتَادَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي جاءَ فيه: «فإِذَا رَأَوْا مِنْ أَهْلِ الإِسْلام أُلْفةً وجماعةً وظهورًا علىٰ عدوِّهم، غَاظَهُم ذلك وسَاءَهُمْ.

وإِذَا رَأَوْا مِنْ أَهْلِ الإِسْلام فُرْقةً واختلافًا، أَوْ أُصِيبَ طرْفٌ مِنْ أَطْراف المسلمين، سَرَّهُم، ذلك، وأُعْجبوا به، وابْتَهَجُوا به؛ فَهُمْ كلَّما خرَج منهم قرنٌ، أكذب الله أُحْدوثته، وأَوْطَأَ محلَّته، وأَبْطَلَ حُجَّته، وأَظْهَرَ عورته، فذاك قضاءُ الله فيمَنْ مضىٰ منهم، وفيمَنْ بقِي إِلَىٰ يوم القيامة»(١).

ثُمَّ تَأْتِي المعالجةُ والمدافعةُ؛ تثبيتًا للمُؤْمنين وتطمينًا لهم: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [سورة آل عمران:١٢٠].

قال الإِمَامُ الشَّوكانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ﴾ [سورة آل عمران:١٢٠] : «علىٰ عداوتهم أَوْ علىٰ التَّكاليف الشَّاقةِ، وتتَّقوا موالاتهم، أَوْ ما حرَّمه الله عليكم ﴿لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ﴾ [سورة آل عمران:١٢٠] »(٢).

فمَهْمَا تَعَاظَمَ كَيْدُهم واسْتَفْحَلَ وعظُم وجودُهم وتكاثر، إِلَّا أَنَّ كيدَهم في تباب وسعيَهم في خسارٍ، ولذا تولَّىٰ الله إِبْطالَ كيدِهم فقال سبحانه في مواضعَ: ﴿ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [سورة الأنفال:١٨] ، ﴿وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ [سورة غافر:٢٥] ، ﴿أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ﴾ [سورة الطور:٤٢].

٥- توقعهم هلاك المؤمنين وسوء ظنهم بوعد الله.

وهذه كذلك سِمةٌ دنيئةٌ تقودنا إِلَىٰ تحفُّزِهم وترقُّبِهم وتوقُّعِهم هلاك المُؤْمنين،

---

(١) «تفسير الطبري» (٤/ ٤٤) .

(٢) «تفسير الشوكاني» (١/ ٣٧٦) .

وفوق ذلك سوءُ ظنِّهم بالله عَزَّوَجَلَّ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ﴾ [سورة الفتح: ٦].

قال الإِمَامُ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَيْ يتَّهمون الله تعالىٰ في حُكْمه، ويظنُّون بالرَّسُولِ ﷺ وأَصْحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَنْ يُقتلوا ويذهبوا بالكُلِّية»(١).

وأَمَّا الإِمَامُ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فزاد الأَمْرَ إِيْضاحًا حين قال: «يعني ظنَّهم أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لا يرجع إِلَىٰ المَدِيْنَةِ، ولا أَحَدَ مِنْ أَصْحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حين خرَجَ إِلَىٰ الحُدَيْبِيَةِ، وأَنَّ المشركين يَسْتَأْصِلُونَهم كما قال سبحانه: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ [سورة الفتح:١٢].

ولذلك قال الله تعالىٰ: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ﴾ [سورة الفتح:٦] في الدُّنْيا بالقتل والسَّبْيِ والأَسْرِ، وفي الآخرة بجَهَنَّمَ»(٢).

«وفوق ذلك ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ﴾ [سورة الفتح:٦]؛ أَيْ: أَبْعَدَهم مِنْ رحمته»(٣)، ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة الفتح:٦].

هذا ما حسبوه في خروج النَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ الحُدَيْبِيَةِ، ولقد تكرَّر هذا الظَّنُّ الآثمُ كذلك في غزوات منها غزوةُ أُحُدٍ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ﴾ [سورة آل عمران:١٥٤].

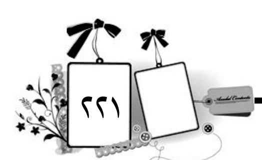
قال ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ واصفًا حالَهم - أَيِ المنافقين - يومَ أُحُدٍ: «وهكذا هؤلاء اعتقدوا أَنَّ المشركين لما ظهَروا تلك السَّاعة، أَنَّها الفيصلةُ، وأَنَّ الإِسْلامَ قدْ بَادَ،

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٩٥).

(٢) «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٦٥).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٩٥).



وأَهْلُه، وهذا شَأْنُ أَهْلِ الرَّيْبِ والشَّكِّ إِذَا حصَل أَمْرٌ مِنَ الأُمُورِ الفظيعةِ، تحصُل لهم هذه الظُّنونُ الشَّنيعةُ»(١).

قال ابنُ إِسْحَاقَ فيما يرويه عن الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ (٢) بسنده: «لقد رَأَيْتُنِي مع رَسُولِ الله ﷺ حين اشْتدَّ الخوفُ علينا، أَرْسل الله علينا النَّومَ، فما مِنَّا مِنْ رَجُلٍ إِلَّا ذَقَنُه على صدره. قال: فوالله إِنِّي لَأَسْمَعُ قولَ مُعَتِّبِ بنِ قُشَيْرٍ، ما أَسْمَعُهُ إِلَّا كالحُلْمِ يقول: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [سورة آل عمران:١٥٤] ، فحفظتُها منه، وفي ذلك أَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾ [سورة آل عمران:١٥٤] لقول مُعَتِّبٍ(٣)، ومُعَتِّبُ بنُ قُشَيْرٍ مِنْ زعامات النِّفاق».

كذلك برَز سُوءُ ظَنِّهم وظهَر جليًّا في غزوة الأَحْزابِ؛ حيث حكى الله حالَهم، ووصَف حقيقةَ ما انْطوتْ عليه قلوبُهم، فقال سبحانه: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [سورة الأحزاب:١٠].

قال الإِمَامُ القُرْطُبِيُّ: «قال الحَسَنُ(٤): ظنَّ المنافقون أَنَّ المسلمين يُستأْصِلون، وظنَّ المُؤْمنون أَنَّهم ينصرون. وقيل: هو خِطابٌ للمنافقين؛ أَيْ: قلتم هلَك مُحَمَّدٌ وأَصْحابُه(٥).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٥١).

(٢) هو: الصحابي الجليل الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزي بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب القرشي الأسدي، أبو عبد الله. حواري رسول الله ﷺ، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب وأحد العشرة. (توفى سنة ٣٦ هـ). ينظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (ج٢ ص ٥١٠)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر (ج٣ ص ٢٧٤).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٤/ ١٤٣)، وابن راهويه في «المسند» كما في «المطالب» (١٧/ ٣٤٧)، و«الضياء من طريق ابن مردويه» (٣/ ٦٠) كلهم من طريق ابن إسحاق.

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٣١).

(٥) «تفسير القرطبي» (١٤/ ١٤٥).

ثُمَّ قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [سورة الأحزاب:١١] ، وكان هذا الابتلاءُ بالخوف والقتالِ والجُوعِ والحَصْرِ والنِّزالِ؛ ليتبيَّنَ المُؤْمِنُ من المنافقِ، فعند الابتلاءِ تظهر معادنُ النُّفوس، وكان معدنُ المنافقين مِنْ أَخسِّ المعادن: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [سورة الأحزاب:١٢] ؛ أَيْ: باطلًا من القولِ»(١).

إِنَّه التَّكذيبُ وسوءُ الظَّنِّ بالله.

قال الشَّوكَانيُّ: «وكان القائِلُون بهذه المقالةِ نحوَ سبعين رَجُلًا مِنْ أَهْلِ النِّفاقِ والشَّكِّ، وهذا القولُ المحكي عن هؤلاء هو كالتَّفْسير للظُّنُونِ المذكورةِ؛ أَيْ: كان ظنُّ هؤلاء هذا الظَّنَّ، كما كان ظنُّ المُؤْمنين النَّصْرَ، وإِعْلاءَ كلمة الله»(٢).

وقال القُرْطُبِيُّ: «وذلك أَنَّ طُعْمَةَ بنَ أُبَيْرِقٍ، ومُعَتِّبَ بنَ قُشَيْرٍ، وجماعةً، نحوًا مِنْ سبعين رَجُلًا قالوا يومَ الخَنْدَقِ: كيف يعِدنا كُنُوزَ كِسْرَىٰ وقَيْصَرَ، ولا يستطيع أَحَدُنا أَنْ يتبَرَّزَ؟!»(٣)، وهذه كلمةٌ لا تصدر إِلَّا عن قلبٍ أَظْلم بالتَّكْذيبِ والنِّفاقِ وسُوءِ الظَّنِّ بمَوعُودِ الله تعالىٰ، وبنَصْرِه عباده، وإِدَالَةِ الدَّائِرَةِ علىٰ الكفرِ وأَهْلِه، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [سورة غافر:٥١].

ولقدْ ظهرت شماتةُ هؤلاء لَمَّا قُتِلَ مَنْ قُتِلَ من المسلمين يومَ أُحُدٍ وقالوا في سُخْرِيَةٍ واستهزاءٍ: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾ [سورة آل عمران:١٦٨].

وهذا أَيْضًا من سُوءِ ظَنِّهم بالله، وعدمِ إِيمانِهم بما أَعَدَّه الله لهؤلاء الأَبرارِ من

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٤/ ١٤٧).

(٢) «فتح القدير» (٤/ ٣٠٦) .

(٣) «تفسير القرطبي» (١٤/ ١٤٧).

النَّعيم في دار المقام. قال الأُستاذُ سَيِّدُ قُطْبٍ: «إِنَّ هذه العقيدةَ تعلِّم أَصْحابَها- فيما تعلَّم -أَنْ ليس لهم في أَنفُسِهم شيءٌ؛ فهُمْ كلُّهم لله، وأَنَّهم حين يخرجون للجِهاد في سبيله يخرجون له، ويتحرَّكون له ويُقاتِلون له، بلا هدفٍ آخَرَ لذواتِهم في هذا الجِهاد، وأَنَّهم يُسلِّمون أَنْفُسَهم لقَدَرِه، فيتلقون ما يَأْتِيهم به هذا القَدَرُ في رِضًا وفي تسليمٍ كائِنًا هذا القَدَرُ ما يكون»(١).

فهلْ كان المنافقون على هذا المستوى من التَّجرُّدِ والبذلِ؟ كلَّا، فقدْ كانت قلوبُهم تَهتزُّ مِنْ أَقَلِّ صَيْحةٍ، وكانت الأَحْداثُ تعصِف بِهم، والرُّعْبُ يَمْتَلِكُهم، والخوفُ يُسَيْطِرُ عليهم، فيُسِيئُون الظَّنَّ بربِّهم، ويتكلَّمون بغير الحقِّ، ويُعرِّضون برَسُولِ الله ﷺ وبالمُؤْمنين ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [سورة آل عمران:١٥٤].

٦- تربُّصُهم بالمؤمنين الدَّوائر:

وهذه السِّمةُ تندرج كما أَخْواتِها تحت عباءَةِ مظاهرِ عداوةِ المنافقين للمُؤْمنين؛ قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾ [سورة النساء:١٤١].

هكذا المنافقُ دائِمًا في تَرَدُّدٍ واضْطِرابٍ وعدمِ ثباتٍ على مَنْهجٍ واضحٍ وهدفٍ سامٍ ورُؤْيَةٍ رشيدةٍ، وإِنَّما يتغيَّر ويتلوَّن تبعًا للمواقفِ والأَحْداثِ ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء:١٤٣].

---

(١) «في ظلال القرآن» (١/ ٤٩٥، ٤٩٦).



ويَصْدُقُ فيهم مارواه ابنُ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ -الْمُتَرَدِّدَةِ الْحَائِرَةِ- بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً»(١) وفي لفظٍ: «تَكُرُّ فِي هَذِهِ مَرَّةً، وفي هَذِهِ مَرَّةً»(٢).

﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ [سورة النساء:١٤١] ، قال الإِمَامُ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: «يعني المنافقين؛ أَيْ: ينتظرون بكُمُ الدَّوَائِرَ».

وقال الفَخْرُ الرَّازِي (٣): «أَيْ ينتظرون ما يحدُث مِنْ خيرٍ أَوْ شرٍّ، فإِنْ كان لكم فَتْحٌ - أَيْ ظهورٌ على اليهود - قالوا للمُؤْمنين: أَلَمْ نكنْ معكم؟ أَيْ: فاعطُونا قِسْمًا مِن الغنيمة، وإِنْ كان للكافرين -يعني اليَهُودَ- نصيبٌ - أَيْ ظفرٌ على المسلمين - قالوا: أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عليكم؟ يقال: اسْتَحْوَذَ على فلانٍ؛ أَيْ: غلَب عليه. قال: وفي تفسير هذه الآية وجهان:

الأَوَّلُ: أَنْ يكون بمعنى أَلَمْ نغلبْكم ونتمكَّنْ من قتلِكم وأَسْرِكم، ثُمَّ لَمْ نفعلْ شيئًا من ذلك، ونمنعْكم من المسلمين بأَنْ ثبَّطْنَاهم عنكم، وخيَّلْنَا لهم ما ضعُفتْ به قلوبُهم، وتوانينا في مظاهرتِهم عليكم؟ فهاتوا لنا نصيبًا ممَّا أَصَبْتُمْ.

(١) أخرجه مسلم كتاب :صفات المنافقين، باب: بدون، برقم: (٢٧٨٤).

(٢) مخرج في الذي قبله.

(٣) هو: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين. (ولد في الري بطبرستان: ٥٤٤ هـ، وتوفي في هراة: ٦٠٦هـ)، أخذ العلم عن كبار علماء عصره، ومنهم والده، حتى برع في علوم شتى واشتهر، فتوافد عليه الطلاب من كل مكان. كان الرازي عالمًا في التفسير وعلم الكلام والفلك والفلسفة وعلم الأصول وفي غيرها. ترك مؤلفات كثيرة تدل على غزارة علمه وسعة اطلاعه أبرزها تفسيره الكبير المعروف بـ «مفاتيح الغيب»، وهو تفسير جامعٌ لمسائل كثيرة في التفسير وغيره من العلوم التي تبدو دخيلة على القرآن الكريم، وقد غلب على تفسيره المذهب العقلي الذي كان يتبعه المعتزلة في التفسير، فحوى تفسيره كل غريب وغريبة كما قال ابن خلكان. ينظر: «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٤٩)، «تاريخ الإسلام» (١٣/ ١٣٧).



الثَّاني: أَنْ يكون المعنى أَنَّ أُولَئِكَ الكُفَّارَ واليَهُودَ كانوا قد همُّوا بالدُّخول في الإِسْلام، ثُمَّ إِنَّ المنافقين حذَّرُوهم مِنْ ذلك، وبَالَغُوا في تَنْفيرِهم عنه، وأَطْمَعُوهم أَنَّه سيضعُف أَمْرُ مُحَمَّدٍ وسيَقْوى أَمْرُكم، فإِذَا اتَّفقتْ لهم صولةٌ على المسلمين قال المنافقون: أَلَسْنَا غلبْناكم على رَأْيِكم في الدُّخول في الإِسْلام ومنعْناكم منه، وقُلْنَا لكم بأَنَّه سيَضْعَفُ أَمْرُه ويَقْوى أَمْرُكم؟ فلمَّا شاهدْتُم صَدَقَ قولُنا، فادْفَعُوا إِلَيْنا نصيبًا ممَّا وجدْتُم.

والحاصلُ أَنَّ المنافقين يمنُّون على الكافرين بأَنَّا نحن الذين أَرْشَدْنَاكُمْ إِلَى هذه المصالحِ، فادْفَعُوا إِلَينا نصيبًا ممَّا وجدْتُم»(١).

وهذه الصورةُ تُبيِّن حقيقةً هي أَنَّ المنافقين لا مَبْدَأَ لهم، ولا وَجْهَةَ، يميلون مع كلِّ رِيحٍ تبعًا لمصالحهم الدُّنْيويَّةِ، ومآربِهم الشَّخْصيَّةِ، ولذلك فهُمْ يتربَّصون بالمُؤْمنين، يلقون المسلمين بوَجْهٍ، ويلقون الكُفَّارَ بوَجْهٍ، ويمسكون العصا مِنْ وسطِها، ويتلوون كالدِّيْدَانِ والثَّعابين(٢).

وقدْ أَخْبَرَ الله تعالى أَنَّ مِنَ الأَعْراب مَنْ يتربَّصُ بالمُؤْمنين الدَّوائِرَ؛ قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ [سورة التوبة:٩٨] ؛ أَيْ: ينتظر بكم الحوادثَ والآفاتِ(٣).

والدَّوائِرُ: جمعُ دائِرَةٍ، وهي الحالةُ المُنْقلِبةُ عن النِّعْمة إِلَى البَلِيَّةِ، وأَصْلُها: ما يُحيط

(١) «مفاتيح الغيب = التفسير الكبير»، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الريِّ (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ (١١/ ٦٥، ٦٦).

(٢)«في ظلال القرآن» (٢/ ٧٨١).

(٣) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٤٥١) .



بالشَّيءِ. ودَوَائِرُ الزَّمانِ: نوَبُه وتصاريفُه ودُوَلُه، وكأَنَّها لا تُستعمل إِلَّا في المكروه(١).

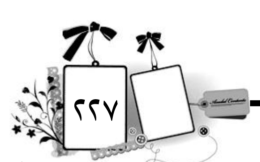
فهؤلاء المنافقون ينتظرون مِحَنَ الزَّمان ونوَبه أَنْ تُصيبَ المُؤمنين؛ لتنكسر شوكتُهم، وتضعُف دولتُهم، ولكنْ غاب عن هؤلاء أَنَّ كلَّ بلاءٍ وفتنةٍ هُمْ أَحقُّ بِها وأَهْلُها، ولذلك قال تعالىٰ: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [سورة التوبة ٩٨] ؛ أَيْ: هذه المِحَنُ والبلايا التي ينتظرون إِصَابةَ المُؤمنين بها مُنْعكسةٌ عليهم؛ لأَنَّهم أَشْرارٌ، وهذه سُنَّةُ الله في أَهْلِ الشَّرِّ والفسادِ(٢).

ويوم القيامة يُنادي المنافقون المُؤمنين: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ﴾ [سورة الحديد: ١٤]، أَلَمْ نكنْ معكم في الدُّنْيا، نُصلِّي كما تُصلُّون، ونصومُ كما تصومون، ونتصدَّقُ ونُجاهدُ ونَحُجُّ كما كنتم تفعلون؟ فلِماذا كان مآلُنا إِلَىٰ النَّار ـ وبِئْسَ القَرارُ ـ وأَنْتُمْ في جنَّاتٍ ونعيمٍ؟ وهُمْ يحسبون أَنَّ حالَهم لا زَالَ خافيًا علىٰ المُؤمنين كما كان الأَمْرُ في الدُّنْيا، فيُجيبهم المُؤمنون: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾ لقد كنتم معنا كذلك في الظَّاهر إِلَّا أَنَّ قلوبَكم لمْ تُؤْمِنْ، بلْ كنتم تفعلون هذا الذي ذَكَرْتُمْ تقيَّةً ونفاقًا.

وأَمَّا قولُهم: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [سورة الحديد: ١٤] أَيْ: تربَّصْتُمْ بالنَّبيِّ ﷺ الموتَ وبالمُؤمنين الدَّوَائِرَ(٣).

ولقد أَمَرَ الله نبيَّه ﷺ أَنْ يُواجه القومَ بحقيقتهم، وهي التَّربُّصُ بالمُؤمنين الدَّوائِرَ، وانْتظارُ قوارعِ الدَّهْرِ أَنْ تُصيبَهم، فقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ

(١) «فتح القدير» (٢/ ٤٥١).
(٢) «دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة»، صـ (١٦) للشيخ عادل الشدي.
(٣) «تفسير القرطبي» (١٧/ ٢٤٦، ٢٤٧).



إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [سورة التوبة:٥٢].

قال الإِمَامُ الطَّبَرِيُّ: «يقول تعالىٰ ذِكْرُه لنبيِّه مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا مُحَمَّدُ لهؤلاء المنافقين الذين وَصَفْتُ لك صفتَهم، وبَيَّنْتُ لك أَمْرَهم: هلْ تنتظرون بنا إِلَّا إِحْدىٰ الخَلَّتَيْنِ اللَّتين هُما أَحْسَنُ مِنْ غيرهما، إِمَّا ظفرًا بالعَدُوِّ وفتحًا لنا بغَلَبَتِنَا لهم، ففيها الأَجْرُ والغنيمةُ والسَّلامةُ، وإِمَّا قتلًا مِنْ عَدُوِّنا لنا ففيه الشَّهادةُ والفوزُ بالجَنَّةِ والنَّجاةُ مِنَ النَّارِ، وكِلْتاهُما ممَّا نُحِبُّ ولا نَكْرَهُ ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾ [سورة التوبة:٥٢]؟

يقول: ونحن ننتظر بِكم أَنْ يُصيبَكم الله بعُقوبةٍ مِنْ عنده عاجلةٍ تُهْلِكُكُمْ، ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ ، فنَقْتُلُكُمْ، ﴿فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [سورة التوبة:٥٢] ؛ يقول: فانتظروا إِنَّا معكم منتظرون ما اللهُ فاعلٌ بِنا، وما إِلَيه صائِرٌ أَمْرُ كلِّ فريقٍ مِنَّا ومِنْكُمْ»(١).

والمنافقون يعتقدون أَنَّ الموتَ يعني النِّهايةَ والهزيمةَ؛ لأَنَّهم لا ينتظرون حياةً أُخرىٰ، فأَمَرَ الله نبيَّه ﷺ أَنْ يُخبِرهم ويُعلِمَهم بأَنَّ الموتَ في سبيل الله هو غايةٌ يتمنَّاها كلُّ مُؤْمِنٍ، وهو أُمْنِيَةٌ ينشُدها كلُّ مُوَحِّدٍ صادقٍ، فانتظروا يا أَهْلَ النِّفاقِ كثيرًا، وتربَّصوا؛ فإِنَّ العاقبةَ للمُتَّقِينَ(٢).

وهذا حالُ المنافقين في كلِّ زمانٍ وأَوَانٍ؛ فلا مكانَ لهم إِلَّا علىٰ قارعةِ الطَّريق يرقُبون المواقفَ ويُتابعون الأَحْداثَ ويرصُدون المُجْرياتِ، فإِنْ كانت الصَّولةُ والجولةُ للصَّحْوة المباركةِ وللعلماءِ والأَخْيارِ، لبِسوا لُبوسَ الضَّأْنِ وأَشَادُوا

---

(١) «جامع البيان» (٦/ ٣٨٨-٣٨٩).

(٢) «دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة»، (صـ١٦٦).

وبَارَكُوا الجُهودَ المُخْلِصةَ وتمسَّحوا بالصَّالحين وقاربوهم واقتربوا منهم لعلَّهم أَنْ يحظوا بشَرَفٍ أَوْ ينالوا جَاهًا أَوْ يفوزوا بغنيمةٍ..

وإِنْ كانت الأُخرىٰ وهي التي يُحبُّون ويَهْوُونَ قالوا لأَعْداءِ المِلَّة: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة البقرة:١٤] ومِنْ هنا يظهر كَمْ أُسْقِطَ في أَيْدي كثيرين مِنْ هؤلاء المنافقين من حداثيِّين وعلمانيِّين وليبراليِّين ومستغربين وعصرانيِّين لَمَّا رَأَوْا العالَمَ بأَجْمَعِه قدْ رمىٰ الغَرْبَ ومن ورائِه أَمِريكَا بقوسٍ واحدةٍ؛ لأَفْعالِهم المشينةِ وحُروبِهم الجائِرَةِ واعتداءَاتِهم الغاشمةِ وأَطْماعِهم الجَشِعَةِ، أُسْقِطَ في أَيْديهم لَمَّا رَأَوْهُمْ لا يحترمون قوانين دَوْليَّةً، ولا نُظُمًا أُمَمِيَّةً ولا قِيَمًا إِنْسانيَّةً ولا دساتيرَ عَالَمِيَّةً.

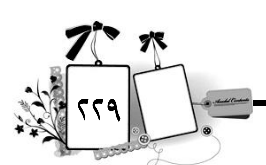
بلْ علىٰ العكْس للحيوان عندهم حُقوقٌ لا يَأْتِي علىٰ عشرِ مِعْشارِها بنو الإِنْسان، وشواهدُ ذلك كالشَّمْسِ في رَائِعة النَّهار في العِرَاقِ وفِلِسْطِيْنِ وأَفْغَانِسْتَانَ والشِّيْشَانَ والصُّومَالِ، وقبلَ ذلك في البُوسنَةِ والهرسك، جرائِمُ لم يَعْهَدْ لها التَّاريخُ مثيلًا، ولم يسطُر لها شبيهًا.

ومع ذلك كلِّه لا تزال طَائِفَةٌ منهم تُنادي باللُّهَاثِ وراءَ حضارتِهم البائِدَةِ وقِيَمِهم المزعومةِ، يطالبون أُمَمَهم المسلمةَ وحكوماتِهم أَنْ تلتقي مع الغَرْبِ وأَمِرِيكَا - بلْ وإِسْرَائِيْلَ - علىٰ طاولة المفاوضاتِ والمُؤْتمراتِ والمُؤامراتِ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بالله العليِّ العظيمِ.

وفي الآيات الكريمةِ لَفْتَةٌ بلاغيَّةٌ رائِعَةٌ، أَلَا وهي أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ جعَل ما يُصيبه المُؤْمنون في المعارك مِنْ عَدُوِّهم فتحًا منه، أَمَّا ما يُصيبه الكافرون مِنْ جماعةِ المُؤْمنين فهو نصيبٌ؛ أَيْ: حظٌّ مِنْ حُظوظ الدُّنْيا ومتاعِها الزَّائِلِ(١).

---

(١) «ظاهرة النفاق» (١/ ٦٣٢) للميداني.



ويأتي في ثنايا هذه الآياتِ طَمْأَنَةُ الله ووَعْدُه لعباده المُؤْمنين كما في آياتٍ من القُرْآنِ عديدةٍ: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء:١٤١]، ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [سورة الصافات:١٧١-١٧٣] ، ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ﴾ [سورة محمد:٣٥] ، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الروم:٤٧] ، والنُّصوصُ في هذا المعنى كثيرةٌ متوافرةٌ.

٧ـ تواصيهم بالحِصار الاقتصاديِّ على المؤمنين:

من السِّماتِ الخبيثةِ التي لا تَرْعَوِي أَنْفُسُ المنافقين عن التَّحلِّي بها والعملِ على تحقيقِها الحِصارُ الاقتصاديُّ، وهُمْ بهذا لهم شَبَهٌ بإِخْوانهم الذين كفروا مِنْ مشركي مَكَّةَ الذين حاصروا المُؤْمنين وحصروهم في شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ ثلاثَ سِنين.

ولهُمْ شَبَهٌ بإِخْوانهم من اليَهُودِ والنَّصارى في هذه الأَزْمان، والتي إِذَا رغَبَتْ دُوَلُهم الكافرةُ الجائِرَةُ اقْتِيادَ الشُّعوبِ وإِذْلالَ الحكوماتِ، حَاصَرُوهم اقْتِصاديًّا؛ بوضْع حبْلِ المِشنَقةِ في أَعْناقِهم، غير مُبالين بملايين الأَطْفالِ الذين يموتون مِنْ جرَّاءِ سوءِ التَّغْذيةِ، ولا بعَجَزَةٍ ومَرْضى ونساءٍ يهلكون لانْعدام الغذاءِ والدَّواءِ، بلْ حتَّى الماءِ.

وشاهدُ ذلك ماثِلٌ في العِرَاقِ وفِلَسْطِيْنَ وسُوريَا وبُورْمَا وغيرِها مِنْ دُوَلِ العالَم، وذلك بتواطُئِهم ضِمْنَ توصياتِ مُنظَّمةِ التِّجارةِ العالَمِيَّةِ على قطْع الصَّادرات إِلَى بلدٍ مُعيَّنٍ.

وحتَّى يُحكم الطَّوقُ على العُنُقِ تجويعًا وإِهْلاكًا أَنْشَأُوا البنكَ الدَّوْلِيَّ الذي يقرِض الحكوماتِ، ثُم يُرابي قُروضَه؛ لتُصبحَ الدَّوَلُ المُسْتَدِيْنَةُ تحت طائِلَةِ

سيطرتِه، ومِنْ ذلك إِلْزامُهم الدُّوَلَ الإِسْلاميَّةَ بعدم زِراعة المُنْتجاتِ الحيويَّةِ كالحُبوب ونحوِها إِلَّا بقدْرٍ محدودٍ؛ حتَّىٰ تبقىٰ بلادًا مستورِدَةً، كما هو حاصلٌ في مِصْرَ مثلًا في زِراعتها للقَمْح، ومِن ذلك ما هو مُسْطَرٌ في بُنُودِ وتوصياتِ مُؤْتمراتِ مُنظَّمةِ التِّجارةِ العالَميَّةِ؛ قال الله تعالىٰ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ [سورة المنافقون:٧].

يقول سَيِّدُ قُطْبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهي مقولةٌ يتجلَّىٰ فيها خُبْثُ الطَّبْعِ، ولُؤْمُ الطَّوِيَّةِ. وهي خُطَّةُ التَّجْويعِ التي يَبْدُو أَنَّ خُصومَ الحقِّ والإِيمانِ يتواصون بِها علىٰ اختلاف الزَّمانِ والمكانِ في حرْب العقيدةِ ومُناهضةِ الأَدْيان. ذلك أَنَّهم لِخِسَّةِ مشاعِرهم يحسبون لُقْمَةَ العيش هي كلَّ شيءٍ في الحياة، كما في حِسِّهم، فيُحاربون بِها المُؤْمنين.

إِنَّها خُطَّةُ قُرَيْشٍ، وهي تُقاطع بني هَاشِمٍ في الشِّعْبِ؛ لينفضُّوا عن نُصْرة رَسُولِ الله ﷺ ويُسلِّموا للمشركين! وهي خُطَّةُ المنافقين كما تحكيها هذه الآيةُ؛ لينفضَّ أَصْحابُ رَسُولِ الله ﷺ عنه تحت وَطْأَةِ الضِّيقِ والجُوعِ! وهي خُطَّةُ الشُّيوعيِّين في حِرْمان المُتديِّنين في بلادهم مِنْ بطاقات التَّمْوين؛ ليموتوا جُوعًا، أَوْ يكفُروا بالله، ويتركوا الصَّلاةَ! وهي خُطَّةُ غيرِهم ممَّن يُحاربون الدَّعْوةَ إِلَىٰ الله، وحركةَ البعثِ الإِسْلاميِّ في بلاد الإِسْلام، بالحِصار والتَّجْويعِ ومحاولةِ سدِّ أَسْبابِ العملِ والارْتزاقِ..

وهكذا يتوافىٰ علىٰ هذه الوسيلةِ الخَسِيْسةِ كلُّ خصوم الإِيمان، مِنْ قديم الزَّمان، إِلَىٰ هذا الزَّمان.. ناسين الحقيقةَ البسيطةَ التي يُذكِّرهم القُرْآنُ بِها قبلَ خِتام هذه الآيةِ ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [المنافقين: ٧] ، ومِنْ خزائِنِ الله في السَّماواتِ والأَرْضِ يرتزق هؤلاء الذين يُحاولون أَنْ يتحكَّموا في



أَرْزاق المُؤْمنين، فليسوا هُمُ الذين يخلقون رِزْقَ أَنْفُسِهم، فما أَغْباهم وأَقلَّ فِقْهِهم وهُمْ يُحاولون قطْعَ الرِّزْق عن الآخرين! »[1].

٨ـ لمزُهم المطوعين من المؤمنين في الصَّدقات:

ومِنَ السِّمات المُسْتَرذَلةِ لدى المنافقين المُسْتَقْبَحَةِ في تعامُلِهم مع المُؤْمنين، ما كان منهم في جانب النَّفقةِ والصَّدقةِ والبَذْلِ في سبيل الله، فلهُمْ في ذلك مسالكُ شتَّى وطرائِقُ قِددٌ.. فمِنْ تلك الوسائِلِ التي انْتَهَجُوها:

١- لَمْزُ المُصَّدِّقين من المُؤْمنين واحْتقارُ ما بذلوه إِنْ هُمْ أَنْفقوا قليلًا.. ويقولون: اللهُ غَنِيٌّ عن صدقةِ هذا.

٢- واتِّهامُهم لِمَنْ أَنْفق كثيرًا أَنَّه إِنَّما صنع ذلك رِياءً.

٣- بُخْلُهم وقَبْضُ أَيْديهم عن النَّفَقة، وإِذَا أَنْفقوا أَنْفقوا وهُمْ كارهون.

٤- وأَمْرُهم فوق ذلك النَّاسَ بالبُخْلِ.. أَشِحَّةً على الخير..

نادى النَّبيُّ ﷺ في النَّاس يوم غزوةِ تَبُوكَ يحُثُّهم على الصَّدقة والتَّبرُّعِ؛ لبُعْد المسافة، وقِلَّةِ الزَّاد وشِدَّةِ الحرِّ وجَلَدِ العَدُوِّ، فإِذًا بالصَّحابةِ الكرامِ يتوافدون كلٌّ يبذُل ما في وُسْعِه ومقدورِه حتَّى النِّساءِ تصدَّقْن مِنْ حُلِيِّهِنَّ أَسْوِرَةً وخَلَاخِلَ وأَقْرَاطًا.

روى البُخَارِيُّ بسَنَدِه عن أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2] قال: لَمَّا أُمِرْنَا بِالصَّدَقَةِ كُنَّا

---

(١) «في ظلال القرآن» (٦/ ٣٥٧٩)، لسيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.

(٢) هو: الصحابي الجليل عقبة بن عمرو بن ثعلبة، أبو مسعود، الأنصاري من الخزرج، صحابي مشهور بكنيته يعرف بأبي مسعود البدري؛ لأنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يسكن بدرًا شهد العقبة وأحدًا وما بعدها، واختلفوا في شهوده بدرًا فقال الأكثر نزلها فنسب إليها، وجزم البخاري بأنه شهدها، =



نَتَحَامَلُ - أيْ نعملُ حمَّالين بالأُجْرَةِ - فَجَاءَ أَبُو عَقِيلٍ بِنِصْفِ صَاعٍ، وَجَاءَ إِنْسَانٌ بِأَكْثَرَ مِنْهُ، فَقَالَ المُنَافِقُونَ: إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا، وَمَا فَعَلَ هَذَا الآخَرُ إِلَّا رِيَاءً. فنَزَلَتِ الآيَةُ[1].

وفي روايةٍ أَنَّ أَبَا عَقِيلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واسْمُه الحَبْحَابُ - أنْصاريٌّ بَدَرِيٌّ[2] - جاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا نَبِيَّ اللهِ بِتُّ أَجُرُّ الجَرِيرَ عَلَى صَاعَيْنِ مِنْ تَمْرٍ، فأَمَّا صَاعٌ

= وكان قد نزل الكوفة وسكنها، واستخلفه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خروجه إلى صفين عليها. انظر: «الاستيعاب»، لابن عبدالبر (٣/ ١٠٧٤)، «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر (٢/ ٤٩٠)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٢/ ٤٩٣ - ٤٩٥).

(١) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: قوله: (الذين يلمزون المطوعين)، برقم: (٤٣٩١).

(٢) قال أبو نعيم: أَبُو عَقِيلٍ المُتَصَدِّقُ بِالصَّاعِ، فلمزه المنافقون، مختلف في اسمه: حدثنا محمد بن محمد، ثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، ثنا محمد بن العلاء، ح، وحدثنا أبو عمرو بن حمدان، ثنا الحسن بن سفيان، ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، قالا: حدثنا زيد بن الحباب، ثنا موسى بن عبيدة الزيدي، ثنا خالد بن يسار، عن ابن أبي عقيل، عن أبيه، أنه بات يجر الجرير على ظهره على صاعين من تمر، فانقلب بأحدهما إلى أهله يتبلغون به، وجاء بالآخر، يتقرب به إلى الله عَزَّ وَجَلَّ فأتى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأخبره، فقال له: «انثره في الصدقة»، فقال المنافقون، وسخروا منه، فأنزل الله، عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة التوبة:٧٩].

وقال ابن منده: حبحاب أبو عقيل الأنصاري، روى عنه ابن مسعود، وفيه نزلت: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [سورة التوبة:٧٩] صاحب الصَّاع الذي تصدق به، فلمزه المنافقون.

قال ابن عبد البر: سمّاه قتادة، وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقٍ: أَبُو عقيل صاحب الصَّاع أحد بني أنيف الأراشيِّ، حليف بني عَمْرو بْن عوف. أتى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بصاع تمر، فأفرغه فِي الصدقة، فتضاحك به المنافقون، وقالوا: إن اللَّه لغنيٌّ عَنْ صاع أبي عقيل. قاله مجاهد وقتادة وعطية العوفي. «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم (٥/ ٢٩٧٤)، «معرفة الصحابة» لابن منده (ص: ٤٠٧)، «معجم الصحابة»، للبغوي (٢/ ١٦٦) ، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر (٤/ ١٧١٧).

فأَمْسَكْتُهُ لِأَهْلِي، وَأَمَّا صَاعٌ فَهَاهُوَ ذَا. فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: إِنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ لَغَنِيَّيْنِ عَنْ صَاعِ أَبِي عَقِيلٍ. فنزَلَتْ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ ﴾ [سورة التوبة:٧٩] الآية(١).

والمرادُ باللَّمْزِ تحريكُ الشَّفَتَيْنِ يعيب الرَّجُلُ الرَّجُلَ في وَجْهِه، وأَصْلُه الإِشَارةُ بالعَيْنِ والرَّأْسِ والشَّفَةِ، والمرادُ بالهَمْزِ ذمُّ الرَّجُلِ للرَّجُلِ بالعَيْبِ(٢).

إِنَّ المنافقين لا يزالون يعملون على تقويض دعائِمِ هذا الدِّينِ، وهدمِ أُصُولِه ومبانيه.. وهُمْ يعلمون أَنَّ المالَ عَصَبٌ رَئِيسٌ في دَعْمِ حركةِ البِناءِ والجِهادِ والنُّهوضِ بواجباتِ وتكاليفِ الدَّوْلةِ المسلمةِ، لذا كانوا واقفين بالمِرْصاد لصدٍّ أَوْ لمزٍ أَوْ غَمْزٍ أَوْ تحقيرِ مَنْ يبذُل أَوْيُنفق في سبيل الله.

﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ [سورة النساء: ٣٧] ؛ قال الإِمَامُ الشَّوكانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامًا نفيسًا في هذه الآيةِ، جاءَ فيه: «والبُخْلُ المذمومُ في الشَّرع هو الامتناعُ عن أَداءِ ما أَوْجَبَ الله، وهؤلاء المذكورون في هذه الآيةِ ضمُّوا إِلَىٰ ما وقعوا فيه مِن البُخْلِ - الذي هو أَشرُّ خِصالِ الشَّرِّ - ما هو أَقْبحُ منه وأَدَلُّ علىٰ سقوط نفسِ فاعلِه وبلوغِه في الرَّذالة إِلَىٰ غايتها، وهو أَنَّهم مع بُخْلهم بأَمْوالهم، وكتمِهم لمَا أَنْعم اللهُ به عليهم مِنْ فضله ﴿وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ [سورة النساء:٣٧] كأَنَّهم يجدون في صدورهم مِنْ جودِ غيرِهم بماله حرجًا ومضاضةً، فلا كثُر في عباده مِنْ أَمْثالكم، هذه أَمْوالُكم قدْ بخلتم بها

---

(١) أخرجه الطبري (١٠/ ١٩٥) في «تفسيره» عن قتادة مرسلا ، وقال ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٣٢١): «هذا مرسل ووصله الطبراني والبارودي والطبري من طريق موسى بن عبيدة عن خالد بن يسار عن بن أبي عقيل عن أبيه بهذا ولكن لم يسموه».

(٢) «لسان العرب» (٥/ ٤٠٦).



لكونِكم تظنُّون انْتِقاصَها بإِخْراجِ بعضِها في مواضعه، فما بالُكم بخلتم بأَمْوال غيرِكم، مع أَنَّه لا يلحقكم في ذلك ضَرَرٌ؟

وهلْ هذا إِلَّا غايةُ اللُّؤْم ونهايةُ الحُمْقِ وقُبْحِ الطِّباعِ وسُوءِ الاخْتيارِ.

وقدْ قيل: إِنَّ المرادَ بهذه الآيةِ اليَهُودُ؛ فإِنَّهم جمعوا بين الاختيالِ والفخرِ والبُخْلِ بالمال وكِتْمانِ ما أَنْزل الله في التَّوراة. وقيل: المرادُ بها المنافقون. ولا يخفى أَنَّ اللَّفْظَ أَوْسعُ مِنْ ذلك وأَكْثرُ شمولًا وأَعَمُّ فائِدَةً[1] ولقدْ بيَّن الله السَّبَبَ في عدم قَبُولِ نفقاتِهم بقوله سبحانه: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾ [سورة التوبة:٥٤] ، كان المتبادرُ بحسب مفهوماتِ النَّاس أَنْ يقال: وما منَع اللهُ أَنْ يقبلَ منهم نفقاتِهم إِلَّا أَنَّهم... إِلَى آخِر ما جاءَ في الآية.

لكنَّ اللهَ لا يمنعه شيءٌ لو شاءَ أَنْ يقبلَ منهم نفقاتِهم.. لكنَّهم هُم الممنوعون مِنْ أَنْ تُقبلَ منهم نفقاتُهم، فجاءَ التَّعبيرُ القُرْآنيُّ مُبيِّنًا أَنَّ كُفْرَهم في الباطن الذي تدلُّ عليه أَمَاراتُه في الظَّاهر، هو الذي كان مانعًا لهم مِنْ أَنْ تكون نفقاتُهم واصلةً إِلَى الله ومقبولةً عنده، إِنَّ ما كان لغير الله فهو لا يصِل إِلَى الله، فالمانعُ له مِنَ الوُصول إِلَى الله هو كونُه لغير الله، بسبب أَنَّهم كفروا بالله وبرَسُولِه ﷺ، والفاعلُ الحقيقيُّ في هذا المنعِ هو اللهُ عَزَّوَجَلَّ.

قد يقال: إِنَّ كفرَهم هو المانع مِنْ وصول نفقاتِهم إِلَى الله ومِنْ قبولها عنده، فَلِمَ عطَف عليه كونَهم لا يَأْتون الصَّلاةَ إِلَّا كُسالى، ولا ينفقون إِلَّا وهُمْ كارهون؟ فهل المانعُ مركَّبٌ من هذه الثَّلاثةِ؟ ويمكن أَنْ نُجيبَ بأَنَّ حرفَ العطفِ الذي هو

---

(١)«فتح القدير» (١/ ٥٢٣).

«الواو» في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَ﴾ [سورة التوبة:٥٤] هو بمعنى «الفاء»؛ فقدْ ذكر علماءُ اللُّغةِ العربيَّةِ أَنَّ «الواو» تأْتي أَحيانًا بمعنى «الفاء».

فالمعنى على هذا: المانعُ هو كفرُهم الذي ترتَّب عليه في سلوكهم أنَّهم لا يأْتون الصَّلاةَ إلَّا في حال أَنَّهم كُسالى، ولا يُنفقون طوعًا أَوْ كرهًا إلَّا في حال أنَّهم كارهون أَنْ يُنفقوا، غيرَ راغبين في البذل، وقدْ جاءَ هذا البيانُ لإِعْلام المُؤْمنين بأَنْ يستدلُّوا بظواهر السُّلوك وأَمَاراتِ هذه الظَّواهرِ على ما في الضَّمائِرِ[1]، بلْ إنَّ من المنافقين مَنْ عاهد اللهَ لئِنْ رزقه ووسَّع عليه ليصَّدَّقنَّ؛ قال سبحانه: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾[سورة التوبة: ٧٥- ٧٧].

قال ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى: ومن المنافقين مَنْ أَعْطى اللهَ عَهْدَه وميثاقه لئِنْ أَغْناه مِنْ فضله ليصَّدَّقنَّ مِنْ ماله، وليكوننَّ مِن الصَّالحين، فما وفَّى بما قال، ولا صدق فيما ادَّعى، فأَعْقبهم هذا الصَّنيعُ نفاقًا سكَن في قلوبهم إلَى يوم يَلْقَون اللهَ عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة عياذًا بالله مِنْ ذلك»[2].

«ولعلَّ الضَّميرَ في «أعقبهم» عودُه على البُخل؛ أَيْ: فأَعْقبهم البُخْلُ بما عاهدوا اللهَ عليه نفاقًا كائِنًا في قلوبهم إلَى يوم يَلْقَونَ بُخْلَهم؛ أَيْ: جزاءُ بُخْلِهم»[3].

وبضِدِّها تتميَّز الأَشْياءُ.. فها هُمُ المُؤْمنون الصَّادقون كعُثْمانَ بنِ عفَّانَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جهَّز جيشَ العُسْرة[4] وها هو عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[5] يُنفق أَلْفي دِرْهَمٍ

(١) «ظاهرة النفاق» (٢/ ٢٥٨-٢٥٩) للميدانيِّ.
(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤١١).
(٣) «فتح القدير» (٢/ ٤٢٨).
(٤) أخرج البخاري في كتاب: (فضائل الصحابة)، باب: (مناقب عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ)، أن النبي ﷺ قال: «من جهَّز جيش العسرة فله الجنَّة»، فجهَّزه عثمان. (ح ٢٧٧٧).
(٥) هو: الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة القرشي، =

وهي نِصفُ مالِه(١) وعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَأْتِي مُتصدِّقًا بِمائَةِ أُوقِيَّةٍ(٢) وهكذا بقيَّةُ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم(٣).

ومَنْ تأمَّلَ في أَحْوال الأَعْداءِ في زمانِنا مِنَ الكفرةِ ومَنْ شَايَعَهم مِن المنافقين يجِد أَنَّ هجماتِهم على التَّبرُّعات وقطع سُبُلِ الصَّدقاتِ وتحجيرَهم على الجمعيَّاتِ الإِسْلاميَّةِ قدْ حَمِيَ وَطِيسُها واشْتدَّ أُوارُها؛ إِذْ قاموا بتجميد حِساباتٍ خيريَّةٍ، ومصادرةِ أَمْوالٍ إِغَاثيَّةٍ، بلْ ضيَّقوا تضييقًا بالغًا على الوسائِلِ المتعدِّدةِ لجَمْعِ التَّبرُّعاتِ، فجعلوا أَرْصدةَ وحساباتِ تلك الجمعيَّاتِ والمُؤَسَّساتِ تحت المُراقبةِ الشَّديدةِ، بحُجَّة أَنَّ ذلك كلَّه يصبُّ في تمويل الإِرْهابِ ودعمِ المُتطرِّفين -زعموا- تمثَّلت هذه الإِجْراءَاتُ في العديد مِن الخُطُوات.

حصارُ أعداءِ الله للقطاع الخيريِّ:

١- الرَّفْعُ بجميع وثائِقِ الهَيْئَاتِ الخيريَّةِ والتِّجاريَّةِ.

٢- الطلبُ بتقديم أَفْرادِ بعضِ الجمعيَّاتِ للتَّحقيق معهم.

٣- تجميدُ الأَمْوال، فعلى سبيل المثال طلبتْ وَاشُنْطُنْ مِنْ أُورُوبَّا تجميدَ أَمْوال ١٢ سعوديًّا بدعوى تمويلِ الإِرْهاب.

= أبو محمد الزهرى أحد العشرة، ولد بعد الفيل بعشر سنين، توفي: (٣٢ هـ) وقيل غير ذلك، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا، وأحدًا، والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ. وكان له من الأخوة: عبد الله، والأسود، وكان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة، ويقال: عبد عمرو فسماه النبي ﷺ: عبد الرحمن.

ينظر: «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزيِّ (١٧/ ٣٢٤)، «تهذيب التهذيب»، لابن حجر (٦/ ٢٤٦)، «الاستيعاب»، لابن عبد البر (٦/ ٦٨ - ٨٤).

(١) روى ذلك الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٣٨٢ -٣٩١)، وإن كانت الروايات التي ساقها ضعيفة إلا أنها بمجموعها تتعاضد فتصبح حسنًا لغيره.

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢/ ٢٨).

(٣) انظر: «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية» (٢/ ١٩٤) للدكتور مهدي رزق الله أحمد .



٤- إِرْسالُ وُفودٍ مِنْ أَمِرِيْكَا وغيرِها لوضْعِ آلياتِ الإِشْراف على الجمعيَّات الخيريَّةِ.

وهناك خامسًا وسادسًا وسابعًا كلُّ ذلك لنْ يتمَّ تنفيذُه ومتابعةُ تطبيقِه إِلَّا إِذَا حُرِّكَ الطابور الخامسُ الدَّاعمُ من الدَّاخل لقرارات الدُّوَلِ المتنفذةِ عالميًّا(١).

ويَأْتِي خِتامُ الآيةِ الكريمةِ مُبيِّنًا عقوبةً أُخرى، بأَنْ جعَل النِّفاقَ مُرْتكِزًا في قلوبهم، ومُتَربِّعًا عليها، فقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة:٧٩].

قال ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا من باب المقابلة على سوءِ صنيعِهم واستهزائِهم بالمُؤْمنين؛ لأَنَّ الجزاءَ مِنْ جِنْس العمل، فعامَلَهم مُعاملةَ مَنْ سخِر منهم؛ انْتِصارًا للمُؤْمنين في الدُّنْيا، وأَعَدَّ للمنافقين في الآخِرة عذابًا أَلِيمًا»(٢).

ويا لِهَوْلِهَا سُخْرِيَةً، ويا لِهَوْلِها عاقبةً، فَمِنْ شِرْذِمَةٍ صغيرةٍ هزيلةٍ من البَشَرِ الضِّعافِ الفانين، وسخريَةُ الخالق الجبَّار تَنْصَبُّ عليهم، وعذابُه يترقَّبُهم، أَلَا إِنَّه لَلْهولُ المُفْزِعُ الرَّهِيبُ(٣).

٩ـ قذفهم المؤمنين:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب:٥٨]، وبلا شكٍّ أَهْلُ النِّفاق يدخلون في

---

(١) لمزيد اطلاع انظر كتاب: «القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب»، وكتاب «ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب»، وكلاهما للدكتور محمد بن عبد الله السلومي.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٤١٣).

(٣) «في ظلال القرآن» (٣/ ١٦٨١).

وعيد هذه الآيةِ دخولًا أَوَّليًّا، ويكفي في حقِّهم ما افْتَرَوْهُ زُورًا وبُهْتانًا في حادثة الإِفْكِ، وما زعموه مِنْ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا الطَّاهرةَ العفيفةَ قدْ خانتْ فِراشَ رَسُولِ الله ﷺ.

وقريبٌ مِنْ هذه الآيةِ قولُه تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [سورة النساء:١١٢] ، جاءَ في سبب نزولها أَنَّ قَتَادَةَ بنَ النُّعْمَانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(١) قال: «كان أَهْلُ بيتٍ مِنَّا يُقال لهم بنو أُبَيْرِقٍ بِشْرٍ وبَشِيْرٍ ومُبَشِّرٍ، وكان بَشِيْرٌ رَجُلًا منافقًا، يقول الشِّعْرَ يَهْجُو به أَصْحابَ رَسُولِ الله ﷺ، ثُمَّ يُنحله لبعضِ العرب، ثُمَّ يقول: قال فُلانٌ: كذا وكذا وقال فُلانٌ: كذا وكذا، فإذَا سمِع أَصْحابُ رَسُولِ الله ﷺ ذلك الشِّعْرَ، قالوا: واللهِ ما يقول هذا الشِّعْرَ إِلَّا هذا الرَّجُلُ الخبيثُ، أَوْ كما قال الرَّجُلُ، وقالوا: ابنُ الأُبَيْرِقِ قالها، قالوا: وكانوا أَهْلَ بيتِ حاجةٍ وفاقةٍ في الجاهليَّة والإِسْلام.

وكان النَّاسُ إِنَّما طعامُهم بالمَدِيْنَةِ التَّمْرُ والشَّعيرُ، وكان الرَّجُلُ إِذَا كان له يسارٌ فقدمتْ ضافطةٌ(٢) من الشَّامِ من الدَّرْمَكِ(٣) ابْتاعَ الرَّجُلُ منها، فخصَّ بها نفسَه،

---

(١) هو: قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر بن سواد بن ظفر، أبو عمرو، الأنصاري الأوسي الظفري، صحابي بدري، من شجعانهم، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وقال الواقدي: كانت معه يوم الفتح راية بني ظفر. روىٰ عن النبي ﷺ. وعنه ابنه عمرو وأخوه لأمه أبو سعيد الخدري ومحمود بن لبيد وعبيد بن حنين وغيرهم. وحكىٰ ابن شاهين عن ابن أبي داود أنه أول من دخل المدينة بسورة من القرآن وهي سورة مريم. ينظر: «الإصابة» (٣/ ٢٢٥)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر (٣/ ١٢٧٤)، «أسد الغابة»، لابن الأثير (٤/ ٨٩)، «تهذيب التهذيب»، لابن حجر (٨/ ٣٥٧).

(٢) ضافطة؛ أي: حمولة. انظر «القاموس المحيط» (٨٧٣).

(٣) الدرمك: هو الدَّقيق الحواري والتُّراب النَّاعم. انظر: «القاموس المحيط» (١٢١٢) والأول هو المراد .

وأَمَّا العيالُ فإنَّما طعامُهم التَّمْرُ والشَّعيرُ، فقدمتْ ضافطةٌ من الشَّامِ، فابْتاعَ عمِّي رِفَاعَةُ بنُ زَيْدٍ (١) حملًا مِن الدَّرْمَك، فجعَله في مشربةٍ له، وفي المشربةِ(٢) سِلاحٌ ودِرْعٌ وسيفٌ، فعُدي عليه مِنْ تحت البيت، فنُقبت المشربةُ، وأُخِذَ الطَّعامُ والسِّلاحُ.

فلمَّا أَصْبح أَتَاني عمِّي رِفَاعَةُ قال: «يا ابنَ أَخِي، إنَّه قد عُدي علينا في ليلتنا هذه، فنُقبتْ مشربتُنا، فذهب الطَّعامُ والسِّلاحُ، قال: فتحسَّسْنا في الدَّار، وسَأَلْنا، فقيل لنا: قد رَأَيْنا بني أُبَيْرِقٍ استوقدوا في هذه اللَّيلةِ، ولا نرىٰ فيما نرىٰ إلَّا علىٰ بعض طعامِكم. قال: وكان بنو أُبَيْرِقٍ قالوا ونحن نَسْأَلُ في الدَّار: والله ما نرىٰ صاحبَكم إلَّا لَبِيْدَ بنَ سَهْلٍ(٣) -رجلًا منَّا له صلاحٌ وإِسْلامٌ- فلمَّا سمِع لَبِيْدٌ اخْتَرَطَ سيفَه وقال: أَنَا أَسرِقُ؟! واللهِ ليُخالطنَّكم هذا السيفُ أَوْ لتُبيِّننَّ هذه السَّرِقةَ. قالوا: إِلَيك

---

(١) هو: رفاعة بن زيد بن عامر بن سواد بن كعب، وهو ظفر بن الخزرج بن عمرو ابن مالك بن الأوس الأنصاري الظفري، عم قتادة بن النعمان، هو الذي سرق سلاحه وطعامه بنو أبيرق فتنازعوا إلىٰ رسول الله ﷺ فنزلت في بني أبيرق: (ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم). ينظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر (٢/ ٤٩٩)، «الإصابة في تمييز الصحابة» (٢/ ٤٠٧)، «الوافي بالوفيات» (١٤/ ٩٢).

(٢) المَشْرَبَةُ، بالوَجْهَيْن: الغُرْفَةُ؛ قال في «الأَسَاس»: لأَنَّهم يَشْرَبُون فِيهَا. وعن سيبويه: جَعَلُوه اسْمًا كالغُرْفَة. وفي الحَدِيثِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ في مَشْرُبَة لَه؛ أَي كَانَ في غُرْفَةٍ، وجَمْعُها مَشْرَبَاتٌ ومَشَارِبُ. ينظر: «تاج العروس» (٣/ ١١٧).

(٣) هو: لبيد بن سهل بن الحارث بن عروة بن رزاح بن ظفر الأنصاري . وقال ابن عبد البرّ: لا أدري هو من أنفسهم أو حليف لهم. انتهىٰ. وقد نسبه ابن الكلبيّ إلىٰ القبيلة كما ترىٰ، لكن قال العدوي: إنه وهم من ابن الكلبي، وإنما هو أبو لبيد بن سهل رجل من بني الحارث بن مازن بن سعد العشيرة من حلفاء الأنصار. ينظر: «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم (٥/ ٢٤٢٢)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر (٣/ ١٣٣٨)، «أسد الغابة»، لابن الأثير (٤/ ٤٨٥)، «الإصابة في تمييز الصحابة» (٥/ ٥٠٤).

عنَّا أَيُّها الرَّجُلُ فما أَنْت بصاحبِها، فسَألْنا في الدار حتَّىٰ لم نشكَّ أَنَّهم أَصْحابُها فقال لي عمِّي: يا ابنَ أَخِي لو أَتَيْتَ رَسُولَ الله ﷺ فذكرتَ ذلك له.

قال قَتَادَةُ: فأَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ، فقلتُ: إِنَّ أَهْلَ بيتٍ منَّا أَهْلَ جفاءٍ، عمدوا إِلَىٰ عمِّي رِفَاعَةَ بنِ زَيْدٍ فنقبوا مشربةً له، وأَخَذُوا سِلاحَه وطعامَه، فليردُّوا علينا سِلاحَنا، فأَمَّا الطَّعامُ فلا حاجةَ لنا فيه.

فقال النَّبيُّ ﷺ: «سَآمُرُ فِي ذَلِكَ». فلمَّا سمِع بذلك بنو أُبَيرِقٍ أَتَوْا رجلًا منهم يُقال له أُسَيْدُ بنُ عُرْوَةَ فكلَّموه في ذلك، فاجتمع في ذلك أُنَاسٌ مِنْ أَهْل الدَّارِ فقالوا: يا رَسُولَ الله، إِنَّ قَتَادَةَ بنَ النُّعْمان وعمَّه عمدا إِلَىٰ أَهْلِ بيتٍ منَّا أَهْلِ إِسْلامٍ وصلاحٍ يرمونهم بالسَّرِقَةِ مِنْ غير بيِّنةٍ ولا ثبْتٍ. قال قَتَادَةُ: فأَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ، فكلمتُه، فقال: «عَمَدْتَ إِلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ ذُكِرَ مِنْهُمْ إِسْلَامٌ وَصَلَاحٌ، تَرْمِيهِمْ بِالسَّرِقَةِ عَلَىٰ غَيْرِ ثَبْتٍ وَلَا بَيِّنَةٍ».

قال: رجعتُ ووَدِدْتُ أَنِّي خرجتُ من بعضِ مالي ولمْ أُكلِّم رَسُولَ الله ﷺ في ذلك، فأَتَاني عمِّي رِفَاعَةُ فقال: يا ابنَ أَخِي ما صنعتَ؟ فأَخبرتُه بما قال لي رَسُولُ الله ﷺ فقال: اللهُ المستعانُ. فلم نلبثْ أَنْ نزَل القُرْآنُ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ [سورة النساء:١٠٥]؛ يعني بني أبيرق، ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ﴾؛ أَيْ: ممَّا قلت لقَتَادَةَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا﴾ [سورة النساء:١٠٦-١٠٧]، إِلَىٰ قوله: ﴿شَآءَ﴾؛ أَيْ: لو استغفروا اللهَ لغفر لهم ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ﴾ [سورة النساء:١١١]، إِلَىٰ قوله: ﴿وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾ قوله للبيد ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ [سورة النساء:١١٣]، إِلَىٰ قوله: ﴿فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [سورة النساء:٧٤][1]، فلمَّا نزَل القُرْآنُ أَتىٰ رَسُول الله ﷺ بالسِّلاح، فردَّه إِلَىٰ رِفَاعَةَ.

---

(١) كذا هنا وآخر الآية: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ﴾ [سورة النساء:١١٣].



قال قَتَادَةُ: لَمَّا أَتَيْتُ عمِّي بالسِّلاح وكان شيخًا قد عمِي أَوْ عشِي في الجاهليَّةِ وكنتُ أَرَىٰ إِسْلامَه مدخولًا، فلمَّا أَتَيْتُه بالسِّلاح قال: يا ابنَ أَخِي هي في سبيل الله. فعرفتُ أَنَّ إِسْلامَه كان صحيحًا، فلمَّا نزَل القُرْآنُ، لِحق بَشِيْرٌ بالمشركين، فنزل علىٰ سُلَافَةَ بِنْتِ سَعْدِ بنِ سُمَيَّةَ[1] فأَنْزل الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء: ١١٥- ١١٦].

فلمَّا نزل علىٰ سُلَافَةَ رماها حَسَّانُ بنُ ثَابِتٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[2] بأَبْياتٍ مِنْ شِعْرٍ، فأَخذَتْ رَحْلَه، فوضعتْه علىٰ رَأْسِها، ثُمَّ خرجتْ به، فرمتْ به في الأَبْطَحِ، ثُمَّ قالتْ: أَهْدَيْتَ لي شِعْرَ حَسَّانَ، ما كُنْتَ تَأْتيني بخيرٍ[3].

---

(١) كذا هنا: «ابن سمية»، وهي: سُلَافَةُ بِنْتُ سَعْدِ بْنِ شُهَيْد -بالضم- الأنصارية، والدة عثمان بن طلحة. قال الحافظ ابن حجر: لها ذكرىٰ في «مغازي الواقديِّ» في فتح مكة. ينظر: «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر (٨/ ١٨١)، «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٣/ ٤٦٢)، «المؤتلف والمختلف»، للدارقطني (٣/ ١٤٢٧)، «توضيح المشتبه»، لابن ناصر الدين الدمشقي (٥/ ٣٧٤).

(٢) هو الصحابي الجليل: حسان بن ثابت بن المنذر، أبو الوليد، الخزرجي الأنصاري. الصحابي شاعر النبي ﷺ، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الإسلام(توفي: ٥٤هـ)، روىٰ عن النبي ﷺ. وعنه البراء بن عازب وسعيد بن المسيب، وأبو سلمة بن عبد الرحمن وزيد بن ثابت وغيرهم. لم يشهد مع النبي ﷺ مشهدًا لعلة أصابته، وكانت له ناصية يسدلها بين عينيه. وتوفي في المدينة. ينظر: «أسد الغابة»، لابن الأثير (٢/ ٦)، «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر (١/ ٣٢٦)، و«تهذيب التهذيب»، لابن حجر (٢/ ٢٤٧).

(٣) أخرجه الترمذي، كتاب: تفسير القرآن، باب: من سورة النساء، برقم: (٣٠٣٦) ، قال عنه الألباني: حَدِيثٌ حسن.

وآثارُ النِّفاق واضحةٌ في هذه الحادثةِ؛ فهذا البيت - بنو أُبَيْرِقٍ - فيه منافقٌ وهو شاعرٌ ولا يبعُد أَنْ يكون هو المُحرِّك لهذه الواقعةِ، ثُمَّ إِنَّهم جميعًا سُرَّاقٌ وكَذَبَةٌ، فأَيُّ شيءٍ سيكون عليه نتاج هذا الخليط؟![1]

والحالُ في زماننا كما الحال في الزَّمن الأَوَّلِ، فكمْ للمنافقين مِنْ أَدْوارٍ خبيثةٍ في اتِّهام العلماءِ والدُّعاةِ والمصلحين بما هم منه براءٌ؛ حسدًا مِنْ عند أَنْفُسِهم! لمَا عليه أُولئِك مِنْ خيرٍ ونفعٍ وصلاحٍ وإِصْلاحٍ، وتعويقٍ منهم لمسيرة الدَّعْوة وتلطيخٍ لسُمْعَتِهم وكرامتِهم، حتَّىٰ يعزف النَّاسُ عنهم وينصرفوا إِلَىٰ غيرهم..

إِنَّها تُهَمٌ كمْ قيل في زماننا مثلُها في حقِّ علماءَ ربَّانيِّين، فاتُّهِموا بأَنَّهم علماءُ سُلْطةٍ، وكمْ رُمِيَ دُعاةٌ مُصلِحون فاتُّهِموا بأَنَّ لهم علاقاتٍ مشبوهةً، بلْ كمْ رُمِيَ أَبْرياءُ بأَنَّهم ساعون لقلب نظام الحُكْم، وكمْ قيل عنْ جمعيَّاتِ تحفيظٍ للقُرْآنِ الكريم أَنَّها تُفرِّخ الإِرْهاب، وكمْ قُذِفتْ مُؤَسَّساتٌ دعويةٌ بأَنَّ التَّبَرُّعاتِ التي تأْتِيها إِنَّما هي تمويلٌ لفكر التَّفْجير والتَّدْميرِ والتَّكْفيرِ، ولقدْ راق لي مرَّةً عُنْوانٌ رَأَيْته في إِحْدىٰ المجلَّات الإِسْلاميَّةِ كان مُعبِّرًا صادقًا «المُؤَسَّساتُ الإِسْلاميَّةُ الخيريَّةُ بين شرَف المُهِمَّة وجَوْرِ التُّهَمَة»[2].

بلْ كمْ أُوْدِعَ السُّجونَ مِنْ صالحين وأَئِمَّةِ جوامعٍ ومحفظي قُرْآنٍ ودُعاةِ إِصْلاحٍ في بلادٍ عربيَّةٍ وإِسْلاميَّةٍ بتُهَمٍ مُلْفَّقةٍ ومعايبَ مُزوَّرةٍ.. أَعدَّت سلطاتُ الأَمْن فيها ملفَّاتٍ جاهزةً للتَّوقيع.. فإِذَا بالمُتَّهم أَمَامَ خِيار التَّوقيع علىٰ ما لمْ تقترفه يداه ولمْ يقدم عليه، أَوْ يُسام سوءَ العذاب، حتَّىٰ إِنَّ الحالَ قدْ يصِل إِلَىٰ انْتِهاكِ الأَعْراضِ وتدنيسِ الشَّرَفِ لانْتِزاع الاعْتراف الذي هو منه بريءٌ براءَةَ الذِّئْب مِنْ دم يُوسِفَ، وحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيْلُ..

---

(١) «دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة»، صـ (١٨٤) للدكتور/ عادل الشدي.

(٢) مجلة «الشقائق» العدد (٥٢) شوال (١٤٢٢) صـ (١٤).



بلْ بلَغ الحالُ مبلغًا خطيرًا ألَا وهو أَنَّ المُؤْمِنَ بمُجرَّد التزامِه ببعض سُنَنٍ وواجباتِ الدِّين الظَّاهرةِ تجعله محلَّ النَّظر والمتابعةِ، فإذَا ما حافظ على الصَّلواتِ الخَمْسِ أيَّامًا ذواتِ العدد في المسجد، فهو موضعُ استدعاءٍ وتحقيقٍ، ولربَّما أُوْدِعَ غياهبَ السِّجْن دونما تُهمةٍ واضحةٍ، وكذلك المَرْأَةُ المسلمةُ إِذَا ما تلفَّعت بحِجابها وكانت عفيفةً مُحتشِمةً في لِباسها، فإنَّها تكون عُرْضةً كذلك للإِيْذاءِ والاتِّهامِ والاستدعاءِ .. ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة البروج:٨-٩].

وصُوَرُ الإِيْذاءِ متعدِّدةٌ، فمنها ما لحِق المُؤْمنين والمُؤْمناتِ في مدارسهم وجامعاتِهم ووظائِفِهم ومُؤَسَّساتِهم، بلْ وفي أَمْواهِم، ومُمْتلكاتِهم، وما سلِم مِنْ ذلك عِرْضُهم وشَرَفُهم وسُمْعَتُهم، ولكنْ لهم بحمد الله رُكْنٌ شديدٌ يَأْوون إِلَيه، ولهم مِن الله سندٌ يتوكَّلون عليه؛ ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يوسف:٢١] ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [سورة غافر:٥١].

١٠ـ سُخْريتهم واستهزاؤهم بالمؤمنين:

مِنْ أَبرزِ السِّمات التي كانتْ عليها أَخْلاقيَّاتُ المنافقين حالَ تعامُلِهم مع المُؤْمنين الاستهزاءُ والسُّخْريَّةُ والتَّندُّرُ بِهم؛ فمَنْ طال استهزاؤُهم خالقَهم وآياتِه ورَسُولَه ﷺ ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة التوبة:٦٥] ، فمِنْ باب أَوْلى أَنْ تَلْحَقَ تلك السُّخْريَةُ صحابةَ النَّبيِّ ﷺ في كلِّ موقفٍ، وعند كلِّ حادثةٍ.

ذاك دَيْدَنُهم، وتلك سَجِيَّتُهم؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة البقرة:١٣-١٤].

قال ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَيْ إِنَّما نحن نستهزئُ بالقوم ونلعبُ بهم. وقال الضَّحَّاكُ عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قالوا: إِنَّما نحن مُسْتهزِئُون ساخرون بأَصْحاب مُحَمَّدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ» (١).

وقد عبَّروا بقولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة البقرة:١٤] جاءوا هنا بأُسْلوب القَصْر الذي يدلُّ على الغايةِ في الفعل(٢).

وللمنافقين درجةٌ قُصْوىٰ في الاستهزاءِ والتَّهكُّمِ بالمُؤْمنين تتجاوز حدودَ السُّخْريَةِ الكلاميَّةِ ممَّا يجري عليه حالُ بعضِ النَّاس تِجاهَ بعضِهم.. ذلك أَنَّهم يظهرون أَنَّهم آمنوا حتَّىٰ يَرْكَنَ المُؤْمنون إِلَيهم، ويَطْمَئِنُوا لهم، وبناءً عليه تُتاح لهم فُرْصةُ ترصُّدِ غرَّاتِهم للإِيْقاع بهم أَوِ التَّخلِّي عنهم أَوْ مظاهرةِ عَدُوِّهم عليهم.. إلخ(٣).

وقدْ أَشْبَهَ المنافقون أَسْلافًا لهم مِنْ قبلُ مِنْ مشركي الأُمَمِ الماضيَّةِ الذين مافَتِئُوا يَسْخَرُون ويتهكَّمون بالمُؤْمنين، بلْ ويَحْتَقِرُونَهم، ويَزْدَرُونَهم، فها هُمْ قومُ نُوحٍ - وخصوصًا المَلأُ منهم - ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [سورة الشعراء:١١١].

وكذا قال مشركو قُرَيْشٍ لرَسُولِ الله ﷺ حيث طالبوه بطَرْدِ فُقراءِ المُؤْمنين عن مَجْلسِه؛ حتَّىٰ يتَّبعوه، أَوْ علىٰ أَقَلِّ تقديرٍ يكون له بِهِمُ اجْتماعٌ طبَقيٌّ خاصٌّ، فأَنْزل الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام:٥٢]، ولذا كان مصيرُ كِلا الفريقين مِن المشركين والمنافقين يومَ القيامة واحدًا؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [سورة النساء:١٤٠].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٧٧).

(٢) «دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة»، صـ (١٢٨) د/ عادل الشدي.

(٣)«ظاهرة النفاق» (١/ ١٧٠) للميداني، بتصرف يسير.

عن زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ (١) أَنَّ عَبْدَ الله بنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رجلٌ في غزوة تَبُوكَ في مجلس يومًا: ما رَأَيْتُ مثلَ قُرَّائِنا هؤلاء لا أَرْغب بطونًا ولا أَكْذب أَلْسِنةً ولا أَجْبن عند اللِّقاءِ. فقال رجلٌ في المجلس: كذَبْتَ، ولكنَّك منافقٌ، لأُخبِرَنَّ رَسُولَ الله ﷺ. فبلغ ذلك النَّبيَّ ﷺ ونزل القُرْآنُ، قال عَبْدُ الله: فأَنَا رَأَيْتُه مُتعلِّقًا بحَقَب(٢) ناقةِ النَّبيِّ ﷺ تَنْكُبُه الحِجارةُ وهو يقول: يا رسولَ الله إِنَّما كنَّا نخُوضُ ونلعَبُ ورَسُولُ الله ﷺ يقول: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة التوبة:٦٥] الآية [سورة التوبة:٦٥](٣).

وسُبْحَانَ الله! كيف صدَق فيهم المَثَلُ: رَمَتْنِي بدائِها وانْسلَّت، فلكأَنَّهم بهذه المقولةِ يُصوِّرونَ حالتَهم ويكشفون حقيقتَهم، أَلَيْسُوا الذين يكثرون عند الطَّمَعِ ويقلُّون عند الفَزَعِ؟ أَلَيْسُوا الذين لا يكذبون فحسب، بلْ ويُؤَكِّدون كذِبَهم بالأَيمانِ الفاجرةِ قاتَلَهم الله أَنَّي يُؤْفكون؟

فها هُمْ في الغزوة ذاتِها -غزوةِ تَبُوكَ- قال قَتَادَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بينما النَّبيُّ ﷺ في غزوة تَبُوكَ ورَكْبٌ مِن المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا: يظنُّ هذا أَنْ يفتحَ قُصورَ الرَّومِ وحُصونَها هَيْهاتَ هَيْهاتَ، فأَطَّلع الله نبيَّه ﷺ على ما قالوا فقال: «قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا» فحلَفوا ما كنَّا إِلَّا نخُوض ونلعَبُ(٤).

---

(١) هو: زيد بن أسلم الإمام الحجة القدوة أبو عبد الله العدوي العُمري المدني الفقيه، قال أبو حازم الأعرج لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم أربعين فقيهًا أدنى خصلة فينا التواسي بما في أيدينا وما رأيت في مجلسه متماريين ولامتنازعين في حديث لا ينفعنا، توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة ١٣٦هـ. انظر في ترجمته «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٣٢ - ١٣٣) و«الجرح والتعديل» (٣/ ٥٥٤)، «تهذيب التهذيب»، لابن حجر(٣/ ٣٩٥)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٥/ ٣١٦).

(٢) الحَقَبُ بالتحريك: الحِزامُ الذي يَلِي حَقْوَ البَعِير. وقيل هو حَبْلٌ يُشَدُّ به الرَّحْلُ في بَطْنِ البَعِير مما يلي ذيلَه . «لسان العرب» (١/ ٣٢٤).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٧٢).

(٤) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٧٣)، عن قتادة مرسلا، وانظر الصحيح المسند من أسباب النزول صـ (١٠٨) للشيخ مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى .

وهكذا شأنُهم دائِمًا يستترون خلْف أَيمانِهم الفاجرةِ، وما علِموا أَنَّ الله مُحيطٌ بِهم، وعالمٌ بأَحْوالهم، أَلَيْسَ القائِلَ سبحانه: ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ [سورة التوبة:٦٤].

إِنَّ مَنْ يسبُر حالَ المنافقين عبْر عقودِ التَّاريخ يجِد أَنَّ سِمةَ الاستهزاءِ والسُّخْرِيَّةِ والازْدِراءِ قدْ تجذَّرت فيهم جِيلًا بعد جِيلٍ، وأَخَذُوا يُعملونها لمْزًا وغَمْزًا وتندُّرًا عبْر كتاباتِهم وحِواراتِهم ولِقاءَاتِهم وكريكاتيراتِهم.... إلخ.

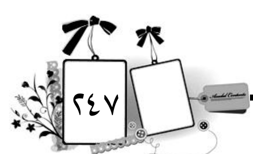
ولم تقفْ سُخْرِيَتُهم عند حدٍّ، بلْ طالت المُؤمنين في سائِرِ جوانبِهم وأَحْوالِهم، فترَاهُمْ حِينًا يسخَرون مَنْ سُنَنٍ للمُصْطَفَى ﷺ تمسَّكوا بها، وتارةً يهزأون مِنْ شعائِرِ دِينِهم وأَحْكامِ خالقهم، وثالثةً يصِمُونَهم بالدَّرْوَشَةِ والغفلةِ والسَّذاجةِ ويصِفونَهم بالمُعقَّدين والرَّجْعيِّين، وباخْتصارٍ لم يكونوا ليَدَعُوا مسْلكًا ولا مجالًا ولا فُرْصةً للسُّخْرِيَةِ والاستهزاءِ إِلَّا اهْتبَلُوها واقْتَنَصُوها، بلْ أَعْملوا أَقْلامَهم وأَلْسِنَتَهم حتَّى في الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كما فعَل آباؤُهم من قبل...

بعضُ مظاهر الاستهزاء:

إِنَّ أَحْوالَ وصُوَرَ ونماذجَ هذا الاستهزاءِ والتَّنَقُّصِ كثيرةٌ جِدًّا، بلْ ومُتعدِّدةُ الجوانب، وسأَقْتَصِرُ هنا على شواهدَ يسيرةٍ تدلُّ على ما وراءَها:

أ- الاستهزاءُ بالصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

نجومُ الدُّجى ومصابيحُ الهُدى؛ ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ [سورة الفتح:٢٩]، عن عَبْدِ الله بنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «من كان مستنًّا فليستنَّ بمَنْ قدْ مات؛ فإِنَّ الحيَّ لا تُؤْمَنُ عليه الفِتْنةُ، أُولئِك أَصْحابُ مُحَمَّدٍ ﷺ كانوا أَفْضلَ هذه الأُمَّةِ، وأَبَرَّها قلوبًا، وأَعْمقَها عِلْمًا، وأَقَلَّها تكلُّفًا، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيِّه ﷺ وإِقَامةِ دِينِه، فاعْرِفوا لهم



فضلَهم، واتَّبِعوهم في آثارِهم، وتمسَّكوا بما استطعتم مِنْ أَخْلاقهم ودِينِهم، فتشبَّهوا بأَخْلاقِهم وطرائِقِهم؛ فهُمْ أَصْحابُ مُحمَّدٍ ﷺ فإنَّهم كانوا على الهُدىٰ المستقيمِ[(١)].

فهلْ مثلُ هذا الرَّعِيلِ الأوَّلِ خيرِ القرون يُسخر به ويُستهزأ بشيءٍ مِنْ أَعْمالِه أَوْ صفاته؟!

ولم يقفِ الحالُ عند مُجرَّد تنقُّصِه، بلْ نِيلَ منه لعْنًا وقذْفًا واتِّهامًا ونحوَ ذلك: فهاهُمُ الرَّافضةُ - قَاتَلَهم الله - يُصوِّرون عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ هَيْئَةِ صُورةٍ مُجسَّمةٍ تجسيمًا كاملًا، وقدْ زيَّنوه بثيابٍ فاخرةٍ، قدْ أَلْبَسُوه عمامةً، وجعَلوا له لِحْيَةً، وذيلًا، يستهزِئُون به في مجالسِهم، ويرقُصون حوالَيْهِ، ويلعنونَه، ثُمَّ يأْتون بولدٍ له مِنَ العُمْرِ عشرون عامًا، ثُم يأْتي مطوِّعُهم ليعْقِد للشَّابِّ علىٰ عُمَرَ كما يُعقدُ علىٰ النِّساءِ[(٢)].

هذا صنيعُ الرَّافضةِ الذين يُظهرون الإسْلامَ ويُبطنون الكفرَ، وقدْ كانوا مِنْ أَشَدِّ الفِرَقِ نِكايةً في الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وبُغْضًا لهم؛ فعقيدتُهم فيهم قائِمةٌ علىٰ اللَّعْنِ والقَذْفِ والدُّعاءِ عليهم وتكفيرِهم[(٣)].

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (١/ ١٦٦).

(٢) انظر لمزيد اطلاع حول معتقد الشيعة في صحابة النبي ﷺ:

أ- «منهاج السنة النبوية» لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ.

ب- «مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة» - للدكتور ناصر القفاري.

ج- «مختصر التحفة الإثنىٰ عشرية» لشاه الدهلوي.

د- «حتىٰ لا ننخدع» - لعبد الله الموصلي.

هـ- «ربحت الصحابة ولم أخسر آل البيت» - لعلي القضيبي.

و- «أغلوٌ في بعض القرابة وجفاء في الأنبياء والصحابة» - د/ عبد المحسن العباد.

(٣) ينظر: «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» (صـ ٤٦٦).

ومن صور الاستهزاءِ بالصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ما طَعَنَ به محمود أَبُو رَيَّةَ [(١)] في الصَّحابيِّ الجليلِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حيثُ تدور مطاعنُه حولَ احْتِقارِه وازْدِراءِ شخصيَّتِه واتِّهامِه بعدمِ الإِخْلاص في إِسْلامه وعدمِ الصِّدْق في حديثِه عن رَسُولِ الله ﷺ وحُبِّه لبَطْنِه وللمالِ وتشيُّعِه لبني أُمَيَّةَ إِلَىٰ غير ذلك...

وأَشْهَدُ أَنَّ أَبَا رَيَّةَ كان أَفْحشَ وأَسْوأَ أَدَبًا من كلِّ من تكلَّم في حقِّ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من المعتزلةِ والرَّافضةِ والمُسْتَشْرقين قديمًا وحديثًا؛ ممَّا يدلُّ علىٰ دُخْنِ وسُوءِ عقيدةٍ، وخُبْث طويَّةٍ، وسيجزيه الله بما افْتَرَىٰ وازْدَرَىٰ وحرَّف وشوَّه مِن الحقائِقِ، وسيُلقىٰ ذلك في صحيفته يومَ يرِد علىٰ الله... [(٢)].

ب - الاستهزاءُ بحجاب المؤمنات.

فها هي أَمِينَةُ السَّعِيْد [(٣)] تقول: «هل مِن الإِسْلام أَنْ ترتدي البناتُ في الجامعة ملابسَ تُغطِّيهنَّ تمامًا وتجعَلهنَّ كالعفاريت، وهل لا بُدَّ من تكفين البنات بالملابس وهُنَّ علىٰ قيد الحياة حتَّىٰ لا يُرىٰ منها شيءٌ وهي تسير في الشَّارع» [(٤)].

---

(١) قال الشيخ مصطفىٰ السباعي: «أبو رية هذا قد فشل في دراسته الثانوية وتركها، وكان يقف علىٰ قارعة الطريق يتحرَّش بطلاب الأزهر، فيبدي لهم استهزاءه واستخفافه؛ لانقطاعهم إلىٰ تعلم الدين وشرائعه، ويرىٰ ذلك دليلًا علىٰ سخف عقولهم... قال ذلك من كان يعرفه من علماء مصر وأدبائها والمطلعين علىٰ حياته عن قرب». انظر: المرجع السابق (ص ٧٤).

(٢)«عودة الحجاب» (١/ ١٢٦) لمحمد بن أحمد بن إسماعيل.

(٣) تلميذة وفيّة لأستاذها طه حسين، ترأست مجلة (حواء)، لا تألو جهدا في صدِّ بنات جنسها عن دين الله ... كم هاجمت الحجاب في العديد من المواقف والأحداث، انظر: «عودة الحجاب» (١/ ١٢٥) لمحمد بن أحمد بن إسماعيل.

(٤) «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» (صـ٣٢٠). وانظر «العصرانيون» (ص١٣٩) محمد حامد الناصر.



إِنَّها دعواتٌ طفَح كيلُها، واحْتدَّ أُوارُها منذ عقودٍ من الزَّمن، كلُّ ما مِنْ شأْنِها إِخْراجُ المَرْأَةِ المسلمةِ عن دورها الرَّئِيس ووظيفتِها الرَّبَّانيَّةِ، وإِغْراءها بنزْع حِجابها، وسفورِها، وتبرُّجِها، لتكون مرْتعًا خِصْبًا للذِّئَابِ البشريَّةِ التي لا يرْوِي عطشُها ولا يُطفِئُ غلواءَها إِلَّا أَنْ ينهَشوا عفافَها، ويدنِّسوا شرَفَها، ويمرِّغوا في الأَوْحال كرامتَها.

معركةٌ تطاوَلَ عهدُها منذ عهْد الهَالِكِ كَمالِ أَتَاتُورك الذي لم يُسْقطْ عن المَرْأَةِ حجابَها فحسب، بلْ هدَم كلَّ معالمِ ومظاهرِ الإِسْلام في تُرْكِيَا، ثُمَّ حمَل اللِّواءَ بعد ذلك مَنْ نَهَضُوا في مِصْرَ بحركات تحريرِ المَرْأَةِ، كرِفَاعَةَ طَهْطاوِيٍّ، وسَعْدِ زَغْلُولٍ، وقَاسِمِ أَمِيْنٍ، ولطفي السَّيِّد، وطه حُسَيْن، وهُدَىٰ شعراويٍّ، وأَمِيْنَةَ سَعِيْدٍ، وغيرِهم.. ومن ثَمَّ شاع الدَّاءُ، وسرىٰ البلاءُ في سائِر أَرْجاءِ الوطن العربيِّ المسلمِ.

وكانت الجمعيَّات النِّسويَّة كالاتِّحاد والترقي في تُرْكِيَا ثُمَّ في غيرها والابتعاثِ والإِعْلامِ مِنْ أَبرزِ وسائِلِهم لتحقيق مآربِهم، والوصولِ إِلَىٰ غاياتِهم، مع أَنَّ نظرةً فاحصةً لحال الغرب الذي سبق إِلَىٰ هذا السفور والتبرُّجِ والاختلاطِ والحُرِّيَّةِ... إلخ، لتشفي وتكفي في بيان خطَر المَزْلَق وهُوَّةِ المُنْعطف، فكانت النتائِجُ:

شذوذٌ وجرائِمُ وفواحشُ وقتْلٌ وتحرُّشاتٌ وأَمْراضٌ وعزوفٌ عن الزَّواج الشَّرعيِّ إِلَىٰ الزَّواجِ المثليِّ وموات الغيرة وكثرة اللُّقَطاءِ وأَبْناءِ السِّفاح والانْتِحار.

وعليه فقد تعالتْ صيحاتُ نساءِ الغرب أَنْ عُودُوا بنا إِلَىٰ أُسَرِنا وبيوتِنا وأَزْواجِنا، أَخْرجونا مِنْ هذا الجحيم الذي اصطلينا بناره، بلْ توالتْ هذه الدَّعواتُ حتَّىٰ في بلادِنا المسلمةِ[1].

---

(١) انظر لمزيد الاطلاع:
=

ج - السُّخْرِيَةُ مِنْ جَبَلِ عَرَفَاتٍ:

يقول أَحَدُ هؤلاء المنافقين مِن بني جلدتِنا ساخرًا مُتهكِّمًا بشعيرةٍ من شعائِرِ الإِسْلام: بعضُهم يُفكِّر جِدِّيًا في شراءِ سُور الصِّين وجلب جليدٍ من القُطبِ الشَّماليِّ؛ لتحويل جبل عَرَفاتٍ إِلَى ملعب للتَّزلُّج، هؤلاء العرب البراميل الذين اخْتَرَعُوا الإِبِلَ والشِّعْرَ والنِّساءَ والفتوحاتِ حتَّى وصلوا إِلَى الصفر[1].

د - السُّخْرِيَةُ مِنْ خُطْبَة الجُمُعَةِ.

ويستهزئُ نِزَارُ قبَّانيٍّ بالجُمُعة وبالمُؤْمنين فيقول: «وخُطْبة الجُمُعَةِ لا تفوتني يا سادتي الكرام مِنْ رُبْعِ قرْنٍ وأَنَا أُمارسُ الرَّكُوعَ والسُّجودَ.. قضيتُ عشرين سنةً أَعِيش في حظيرة الأَغْنام؛ أُعْلف كالأَغْنام، أَنَامُ كالأغنام، أَبُول كالأَغْنام، أَدُورُ كالحبَّة في مِسْبحةِ الإِمَامِ... أُجْلَدُ كلَّ جُمُعةٍ بخُطْبةٍ غرَّاءَ»[2].

هـ - السُّخْرِيَةُ مِنْ بعض أَحْكام المَرْأَةِ الشَّرعيَّةِ.

ويتابع نِزَارُ قبَّانيٍّ سخافاتِه ويهْذي بسُخرياتِه فيقول: «حقنونا بسخيف القول ليلًا ونهارًا، درسونا: رُكْبَةُ المَرْأَةِ عورةٌ، ضحكةُ المَرْأَةِ عورةٌ، صوتُها مِنْ خلْف ثُقْبِ الباب عورةٌ.. إلخ»[3].

= أ- «ثمرات التحرر بين الوهم والحقيقة»، لمصطفى الشيخ.
ب- «عودة الحجاب» (٣) أجزاء، لمحمد بن أحمد إسماعيل.
ج- «من أجل تحرير حقيقي للمرأة»، لرشيد العويد.
د- «المرأة وكيد الأعداء» د/ عبد الله بن وكيل الشيخ.
وغيرها من الكتب والكتيبات والمواقع على الإنترنت ونحوها ...

(١) مقال في مجلة الناقد عدد (٨/ ٢٢) لعام (١٤٠٩هـ) لكاتبه فرج العشقة.
(٢) «الأعمال الشعرية» (٣/ ١٣٠-١٣٥) لنزار قباني.
(٣) «الأعمال الشعرية» (١/ ٢٠٧).



و - السُّخْرِيَةُ مِن الصَّلاة:

ها هو أدونيس[(١)] الذي يعتبر الصَّلاةَ غُبارًا وغرقًا وموتًا؛ يقول: «في غبار الصَّلوات غرِق الفجرُ، ومات[(٢)]، وتقول نَازِكُ الملائِكة[(٣)]: «ما كان يا أَمَّ الجميع ستهرمين ولا يكون.. قوافلُنا بلا نجمٍ وقد كنَّا نُعيد صلواتِنا الخرساءَ للصُّبح البعيدِ كنَّا نُعيد»[(٤)].

---

(١) أدونيس، علي أحمد سعيد أسبر النصيري الباطني الملحد، ولد سنة ١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م في جبال العلويين في سوريا، تسمى بأدونيس نسبة إلى وثن الخصب اليوناني، سمّاه بذلك أنطون سعادة زعيم الحزب القومي السوري الذي كان أدونيس أحد أعضائه، شارك في تأسيس مجلة شعر، ورأس تحريرها ثم أسس مجلة مواقف، عمل استاذًا للأدب العربي في الجامعة اللبنانية، وما زال، نال شهادة الدكتوراة من جامعة القديس يوسف في بيروت، وكانت أطروحته بعنوان (الثابت والمتحول) وهو تلمود الحداثة، اهتم فيه بهدم الدين الإسلامي واللغة العربية.

يعتبر أدونيس أستاذًا للحداثيين وقدوة لهم وكبيرًا من كبرائهم يحتذون أثره ويتبعونه في تقديسٍ وإجلال كبيرين عقيدته خليط من من العقائد النصيرية والإلحادية، مغرم بكل عدو للإسلام، ومبغض بحقد طافح لدين الله وكل ما يتعلق به من قضايا، مجاهر بذلك غير مستتر به، ويرى أن الحداثة لا تقوم إلا على هذه الأسس وهو باختصار أكبر طواغيت هذا الزمن، وأشهر عتاة الإلحاد وأظهر عداة الدين والإيمان، وقد انتحل مجموعة من الأعمال الغربية ونسبها لنفسه.

انظر في ترجمته «تاريخ الشعر العربي الحديث» ص (٦٩٨) و«الإسلام والحداثة» ص (٤١٥) و«رأيهم في الإسلام» ص (٣١) و«الصراع بين القديم والجديد» (٢/ ١٢٣٣) و«أدونيس منتحلًا» لكاظم جهاد، و«الثابت والمتحول» (٣/ ٢٦٨) و«الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها» (١/ ١٠٥).

(٢) «الأعمال الشعرية» (٢/ ١٤٢-١٤٣) لأدونيس.

(٣) نازك الملائكة، ولدت في بغداد عام (١٣٤٢هـ/ ١٩٢٣م لأبوين شاعرين درست في دار المعلمين العالمية، ثم توجهت إلى أمريكا لدراسة الإنجليزية وآدابها، تجيد عدة لغات وعندها عدة شهادات، وعملت أستاذة في كلية التربية في جامعة البصرة، تعتبر من رواد الحداثة ومن أوائل الذين رسخوا الشعر الحر، ولكنها ما لبثت بعد أن اكتشف فداحة الجناية الحداثية ـ أن نقدت الحداثة وخاصة في شقها الفني. انظر في ترجمتها «تاريخ الشعر العربي الحديث» ص (٦٧٧)، و«الصراع بين القديم والجديد» (٢/ ١٢٧٧)، و«الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها» (١/ ١٩١).

(٤) «ديوان نازك الملائكة» (٢/ ٤٦٣).



ز - السُّخْرِيَةُ مِنْ تشريعِ الزَّواج:

جاءَ في مقالةٍ لأَحَدِهم: إِنَّ نظامَ الزَّواج في وطننا العربيِّ هو نظامٌ مُضْحِكٌ يدعو إِلَىٰ السُّخْرِيَةِ.. مهْرٌ... وعقْدٌ... و... مظاهرُ جوفاءُ تُقتل فيها الإِرَادةُ، وتُقْتَلُ المشاعرُ الإِنْسانيَّةُ(١).

أَمَّا مُحَمَّدُ شكريّ فقدْ حكىٰ عن نفسه أَنَّه عقَد بين رجلٍ وامْرَأَةٍ عقَد نكاحٍ إِباحيٍّ سخِر فيه من عقد النِّكاحِ الشَّرعيِّ، ومن طريقته عند المسلمين، ومارس باعترافه دَوْرَ القوَّاد والمُحلِّلِ والماجنِ العابث بالدِّين والأَعْراض(٢).

ح – السُّخْرِيَّةُ من الكعبة.

يقول البياتي(٣) ساخرًا: «إِذَا كان البعضُ يحُجُّ إِلَىٰ كعبته كلَّ عامٍ، فأَنَا أَحُجُّ إِلَىٰ كعبةٍ في كلِّ كلمة أَكْتُبُها»(٤).

ويقول الفيتوريُّ(٥): «والرِّجالُ أُسُودٌ يحتضرون حولَ الكَعْبَةِ السَّوْداءِ،

---

(١) «مجلة الجامعة الإسلامية» (١٣٩٥هـ - ١٣٩٦هـ) صـ (١٢٨).

(٢) انظر: «الشطار» صـ (٦٤-٦٥).

(٣) شاعر وأديب عراقي (١٩٢٦ - ١٩٩٩) ويعد واحدًا من أربعة أسهموا في تأسيس مدرسة الشعر العربي الجديد في العراق (رواد الشعر الحر) وهم على التوالي: نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وشاذل طاقه، تخرج بشهادة اللغة العربية وآدابها (١٩٥٠ م)، واشتغل مدرسًا من عام (١٩٥٠-١٩٥٣م).

مارس الصحافة عام (١٩٥٤م) في مجلة «الثقافة الجديدة» لكنها أغلقت، وفصل من وظيفته، واعتقل بسبب مواقفه الوطنية. فسافر إلى سورية ثم بيروت ثم القاهرة، وزار الاتحاد السوفييتي ما بين عامي (١٩٥٩ و١٩٦٤ م)، واشتغل أستاذًا في جامعة موسكو، ثم باحثًا علميًّا في معهد شعوب آسيا، وزار معظم أقطار أوروبا الشرقية والغربية. وفي سنة (١٩٦٣ م) أسقطت منه الجنسية العراقية، ورجع إلى القاهرة (١٩٦٤ م) وأقام فيها إلى عام (١٩٧٠ م).

(٤) «تجربتي الشعرية ١١» للبياتـي.

(٥) هو محمد مفتاح الفيتوري، شاعر حداثي سوداني الأب مصري الأم، ليبي الجنسية، أسود البشرة قصير القامة دميم الوجه أثّر ذلك عليه نفسيًا فعاد بإحباط عليه وتعصب للزنجية وغنّى للعنصر =



والصُّورُ التي تَنْهارُ فوق قواعد الصُّلْبان»[(١)].

ويتواصل مُسَلْسَلُ الاستهزاءِ بالمُؤْمنين وبشعائِرِ دِينهم؛ فها هي جريدةُ السِّياسَة الكويتيَّة[(٢)] ينشر فيها كاتبٌ مقالًا له حشوه الباطلُ والكذبُ والسُّخْرِيَةُ فيقول: «في هذه الأَيَّام برَز جِيْلٌ من المُلْتحين لا يعرفون أَنَّ الدِّينَ المُعاملةُ، ويجهلون أَنَّ الدِّين النَّصيحةُ... إِلَى أَنْ قال: نسُوا كلَّ محاسنِ الإِسْلام، وتمسَّكوا باللِّحْية، وكأَنَّ الإِسْلام لِحْيَةٌ... ونسُوا أَنَّ أَحْبارَ اليَهُودِ ورُهْبانَ النَّصارىٰ وكُفَّارَ قُرَيْشٍ والهِنْدوس والشُّيُوعيِّين يُلْتَحون، وكذلك البدائِيُّون من الخلْق»[(٣)].

لقد آثرتُ عدم التَّعليق علىٰ هذه المقاطع رغبةً في الاختصار ولأَنَّها -بحمد الله- تحكي حالَ من تكلَّموا بها وصاغوها بأَنَّهم قد مرقوا مِن رِبْقة الإِسْلام وأَنَّهم قد أَقْبلوا بخيلِهم ورَجِلِهِمْ علىٰ كثيرٍ من شعائِرِ الإِسْلام وأَهْلِه بهزءٍ قبيحٍ وسُخْرِيَةٍ وقِحَةٍ وتندُّر خبيثٍ لم يبلغه كثيرٌ مِنْ أَعْداءِ المِلَّة من اليَهُودِ والنَّصارَىٰ، حتىٰ إِنَّ نِزارَ قبَّانِيٍّ قدْ بلغتْ به الجُرْأَةُ والاستخفافُ والاستهزاءُ ليقولَ وبصوتٍ مُرْتفعٍ: «مِنْ بعد موت الله مشنوقًا علىٰ باب المَدِيْنَةِ، لم تبْقَ للصَّلوات قِيمةٌ لم يبقَ للإِيْمانِ أَوْ للكُفْرِ قيمةٌ»[(٤)][(٥)] نستجير بالله مِنْ هذا الكفر الصُّراحِ..

= الأسود بعنصرية، ولد عام (١٣٤٨هـ/ ١٩٣٠م)، درس في الكتّاب وحفظ القرآن ودخل الأزهر، له ديوان شعر حداثي مليء بالعنصرية السوداء ثم اليسارية الرعناء يقال أنه تاب أخيرًا من الحداثة والله أعلم بحاله الآن. انظر في ترجمته «تاريخ الشعر العربي الحديث» ص (٦٦٨ - ٦٦٩) و«الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها» (١/ ٢٣١).

(١) «ديوان محمد الفيتوري» (٢/ ٥١٠).

(٢) «جريدة السياسة الكويتية» عدد (٥٦٣٦) بتاريخ (١٦/ ٧/ ١٤٠٤هـ).

(٣) «الرد علىٰ من أجاز تهذيب اللحية» صـ (٣٣)، للشيخ حمود التو يجري.

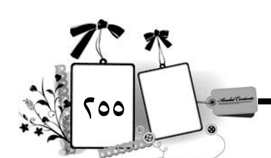
(٤) «الأعمال الشعرية» (٣/ ٣٤٢) لنزار قباني.

(٥) ولمزيد اطلاع ومعرفة فليقرأ كتابًا مباركًا نفيسًا عبارة عن رسالة دكتوراه بعنوان «الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها» للدكتور سعيد بن ناصر الغامدي.

ولَمَّا هلَكَ نِزَارُ رَثَتْهُ القصائِدُ، وبكتْ على فراقه الأَشْعارُ ممَّن صاغوها لوعةً على جُثْمَانِهِ، وحُزْنًا على وفاته، أَمَّا الدكتور عَبْدُ الرَّحْمَنِ العشماويُّ فقد أَجَادَ وأَفَادَ في قصيدة عبَّرتْ عن حال وفاته وتُراثِه جاءَ فيها:

أَمِـن المنـون وريبهـا تتـذمَّرُ ... والمـوتُ لـيس بتـاركٍ مَـنْ يفْجُـرُ
هــذا الَّــذي مَــلأَتْ عفونــةُ شِــعْره ... أَنَــفَ الفضــيلةِ وهْــوَ لا يتــأَثَّرُ
هــذا الَّــذي هجَــر المكــارمَ ... وانْتَحَـى عنهـا بأَرْديـةِ الخَنَـا يتـدثَّرُ
لم يُبْكِـه العُظَمـاءُ لكـنَّ الَّـذي ... سـالتْ محـاجرُه الغَـويُّ الأَصْـغَرُ
لم يشْـغَل الفُضَـلاءُ لكـنَّ الَّـذي ... مـلأَ الصَّـحائِفَ مُـتْرفٌ مُتحـرِّرُ
لم ترْثِـه ذاتُ العَفـاف وإنَّمـا ... ترْثِيـه مَـنْ هِـيَ بالفضـيلة تسْـخَرُ
لم يرْثِـه الكُرَمـاءُ لَمَّـا أَيْقنـوا ... أَنَّ الفُسـوقَ شِـعارُه والمَخْـبرُ
يـا شـاعرًا ذبَـح العفـافَ كـأَنَّما ... للفِسْـق مِـنْ شَرَفِ الفضـيلةِ يَثْـأَرُ
خَمْـرٌ وغانيـةٌ وأَنْـت مُغيَّـبٌ ... وقِـراءُ آنِيَـةٍ وليـلٌ مُقْمِـرُ
باسْـم الفُنـون أَهَنْـتَ كـلَّ عفيفـةٍ ... ودمُ الحيـاءِ نجيعُـه يتحـدَّرُ
عُشَّـاقُ شِـعْرك مُـتْرفٌ ومُراهِـقٌ ... ضـلَّ الطَّريـقَ ففِكْـرُه مُتحـيِّرُ
ونَشَـرْتَ شِـعْرَك للغُـواةِ مُخـدِّرًا ... كالسُّـوس يعْبَـثُ في العقـولِ ويَنْخَـرُ
يـا وَيْـحَ أُمَّتِنـا يمـوت كِرامُهـا ... لا يُـذكَرُون وذو المجـونِ يُشَـهَّرُ
يـا وَيْـحَ أُمَّتِنـا يُمثِّـل فِكْرَهـا ... أَدَبُ السُّـقوط بـما يُـذِيع ويُنْشَرُ
يـا حـاملي قلـم النِّفـاق تريَّثـوا ... قبـلَ الكتابـةِ سـاعةً وتفكَّـرُوا
مـا بالُهـا رَخُصَـتْ دُمـوعُ عُيُـونِكم ... والعَهْـدُ أَنَّ قُلـوبَكم تتحجَّـرُ
مـا ذا العَويْـلُ لهالـكٍ نثَـر الأَذَى ... بالحِقْـدِ كـان فُـؤَادُه يتفطَّـرُ
مـا ذي الملاحـمُ في رثـاءِ فُوَيْسِـقٍ ... دُنْيـاهُ أُغْنِيَـةٌ وليـلٌ أَحْمَـرُ
أَمَّـا نِـزَارُ فقـدْ مضى لسـبيلِه ... يَلْقَـى أَحِبَّتَـه وفِـيهِمْ يُحْشَرُ(١)

(١) قصيدة للشاعر/ عبد الرحمن العشماوي نشرها في إحدى الصحف السعودية بتاريخ (١٣/ ١/ ١٤١٩هـ).



وإن تعجبْ فعجبٌ أَنْ تجِدَ أَمْثالَ هؤلاء السَّقطة الفجرةِ الخَونةِ المرتزقةِ يُسْتضافون في أُمْسياتٍ ومُنْتدَياتٍ واحتفالاتٍ ومُؤْتمراتٍ، بلْ ويلقون ثناءً عطرًا وتَرْحابًا مُعبِّرًا... مع أَنَّ أَدْنىٰ إِطْلالةٍ علىٰ زاويةٍ أُخْرىٰ من زوايا حداثتِهم وأَشْعارِهم وكتاباتِهم ورِواياتِهم تكشف مدىٰ إِيْغالهم وسُقوطِهم في مستنقع الرَّذيلةِ الآسنِ، ووحْل الدَّعارةِ الماجنِ، وقدْ نُزِع مِنْ أَقْلامِهم الحياءُ والعفَّةُ، وغادر نفوسَهم الطُّهْرُ والزَّكاءُ، فشغفُهم مُنْقطِعُ النَّظير ببُيوت الدِّعارةِ، وعَرْبَدةِ الجِنْس، وثَلْمِ كُئُوسِ الخمْر، وتعاطي الحشيشةِ والمُخدِّرات، ناهيك عن مُتْعتِهم بوصْف فاحشةِ اللِّواط والسِّحاق وزنىٰ المحارم.. فماذا بقِي بعد هذا مِن دِيْنٍ ودِيانةٍ وخُلُقٍ وحشْمةٍ وعِفَّةٍ وأَدَبٍ؟!

وصدق الله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة: ٧٧]، ﴿أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سورة الزخرف: ٤٠].

فما أَشْبهُ منافقي اليوم بأَسْلافِهم الذين خلَوا مِنْ قبلُ؟ وما هذا الغُصْنُ إِلَّا مِنْ تلك الشَّجرة.. طعمُها مُرٌّ، ورائِحتُها خبيثةٌ.

١١- أذيتهم لنساء المؤمنين:

إِنَّ مَنْ لَاكَ لسانُه عِرْضَ النَّبيِّ ﷺ في أَحبِّ نسائِه إِليه بعد خَدِيْجةَ رضي الله تعالىٰ عنهن جميعًا، وهانتْ عليه نفسُه أَنْ يجرحَها بالقذْف، وأَنْ يرميَها بالزِّنا، لنْ يرعوي عن أَذَىٰ مِنْ دون أُمَّهات المُؤْمنين من النِّساءِ؛ قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩ ۞ لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ٦٠ مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ

تَفۡتِيلٗا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا ﴾ [سورة الأحزاب:٥٩- ٦٢].

رُوي عن غير واحدٍ أَنَّ الحُرَّةَ والأَمَةَ كانتا تخرجان ليلًا لقضاءِ الحاجة في الغيْطان وبين النَّخيلِ من غيرِ امتيازٍ بين الحرائرِ والإماءِ، وكان في المَدِينَةِ فُساقٌ يتعرَّضون للإماءِ، وربَّما تعرَّضوا للحرائرِ، فإذَا قيل لهم يقولون حسبناهنَّ إِمَاءً فأُمِرَتْ الحرائرُ أَنْ يُخالِفْنَ الإماءَ بالزِّيِّ والتَّستُّرِ؛ ليحتشِمْنَ، ويُهَبْنَ، فلا يُطمع فيهنَّ(١).

جاءَ في بعض الرِّوايات أَنَّ هؤلاء المُؤْذِين لنِساءِ المُؤْمنين ناسٌ من المنافقين(٢)، وقدْ أَخْرج ابنُ سَعْدٍ(٣) في «طبقاته» وابنُ جَرِيرٍ في «تفسيره» بعض هذه الرِّواياتِ والآثارِ عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وعن مُجَاهِدٍ وعن قَتَادَةَ.

تنبيهٌ:

لكنَّ هذه الرِّواياتِ جميعَها ضعيفةٌ سَنَدًا(٤)، وضعيفةٌ مَتْنًا.

---

(١) «تفسير الألوسي» (٢٢/ ٤٩) للألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

(٢) «الدر المنثور» (٦/ ٦٥٨).

(٣) هو: محمد بن سعد بن منيع الزهري، مولاهم، أبو عبد الله: مؤرخ ثقة، من حفاظ الحديث. ولد في البصرة، وسكن بغداد، فتوفي فيها. وصحب الواقدي المؤرخ، زمانًا، فكتب له وروى عنه، وعرف بكاتب الواقدي.

قال الخطيب في تاريخ بغداد: محمد بن سعد عندنا من أهل العدالة وحديثه يدل على صدقه فإنه يتحرى في كثير من رواياته.

أشهر كتبه «طبقات الصحابة»، يعرف بطبقات ابن سعد. (ت٢٣٠هـ).ينظر: «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٦٦)، رقم (٨٦٥)، «وفيات الأعيان» (٤/ ٣٥١)، «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٢٥/ ٢٥٥)، «تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام»، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م (٥/ ٦٧٢).

(٤) ففي سند بعضها محمد بن عمر الواقدي وهو متروك وبعضها مرسل وهكذا. وانظر «المنافقون في القرآن» صـ(٢٦١). د/ عبد العزيز الحميدي.



لأَنَّها تُخالف تعاليمَ الشَّريعةِ؛ إِذْ في هذه الآثارِ ما يُشير إِلَى الإِقْرار بالإِذْن في أَنْ يتعرَّض الفُسَّاقُ للإِماءِ، وهذا غيرُ جائِزٍ؛ فلا يصحُّ شرعًا ولا دِينًا التَّعرُّض للنِّساءِ، سواءٌ كنَّ حرائِرَ أَوْ إِمَاءً..

ولقدْ أَوْضح الإِمَامُ الشَّنْقِيْطِيُّ في «أَضْوائِه» هذه المَسْأَلَةَ فقال: «إِنَّ عامَّةَ المُفسِّرين مِنَ الصَّحابة فمَنْ بعدهم فسَّروا الآيَةَ مع بيانهم سببَ نزولِها، بأَنَّ نساءَ أَهْلِ المَدِيْنَةِ كنَّ يخْرُجنَ باللَّيل لقضاءِ حاجتهنَّ خارجَ البُيوت، وكان بالمَدِيْنَةِ بعضُ الفُسَّاقِ يتعرَّضون للإِمَاءِ، ولا يتعرَّضون للحرائِرِ، وكان بعضُ نساءِ المُؤْمنين يخْرُجنَ في زِيٍّ ليس مُتميِّزًا عن زِيِّ الإِماءِ، فيتعرَّض لهنَّ أُولئِك الفُسَّاقُ بالأَذَىٰ؛ ظنًّا منهم أَنَّهنَّ إِمَاءٌ، فأَمَر الله نبيَّه ﷺ أَنْ يأْمُرَ أَزْواجَه وبناتِه ونساءَ المُؤْمنين أَنْ يتميَّزْنَ في زِيِّهنَّ عن زِيِّ الإِمَاءِ، وذلك بأَنْ يُدْنِيْنَ عليهنَّ مِنْ جلابيبِهنَّ، فإِذَا فَعَلْنَ ذلك ورءآهن الفُسَّاقُ، علِموا أَنَّهن حرائِرُ، ومعرفتُهم بأَنَّهن حرائِرُ لا إِمَاءٌ هو معنىٰ قوله ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾ [سورة الأحزاب:٥٩]؛ فهي معرَّفةٌ بالصِّفة، لا بالشَّخْص، وهذا التَّفْسير مُنسجِمٌ مع ظاهر القُرْآنِ كما ترىٰ.

فقوله: ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [سورة الأحزاب:٥٩] لأَنَّ إِدْناءَهنَّ عليهنَّ مِنْ جلابيبهنَّ يُشْعِرُ بأَنَّهنَّ حرائِرُ؛ فهو أَدْنىٰ وأَقْربُ لأَنْ يُعْرَفْنَ: أَيْ يُعْلَمُ أَنَّهنَّ حرائِرُ، فلا يُؤْذَيْنَ مِنْ قِبَلِ الفُسَّاقِ الذين يتعرَّضون للإِمَاءِ، وهذا هو الذي فسَّر به أَهْلُ العلم هذه الآيَةَ، وهو واضحٌ، وليس المرادُ منه أَنَّ تعرُّضَ الفُسَّاقِ للإِمَاءِ جائِزٌ، بلْ هو حرامٌ، ولا شكَّ أَنَّ المتعرِّضين لهنَّ مِن الَّذين في قلوبهم مَرَضٌ، وأَنَّهم يدخلون في عموم قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [سورة الأنفال:٤٩] في قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب:٦٠] إلىٰ قوله: ﴿وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾.

وممَّا يدلُّ على أَنَّ المتعرِّضَ لما لا يحلُّ من النِّساءِ مِن الَّذين في قلوبهم مَرَضٌ قوله تعالى: ﴿تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [سورة الأحزاب:٣٢] الآية، وذلك معنًى معروفٌ في كلام العرب، ومنه قولُ الأَعْشَى (١):

حافظٌ للفرج راض بالتُّقَى لَيْسَ ممَّنْ قلبُه فِيْهِ مَرَض (٢)

---

(١) الأعشى: ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير: من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات.

كان كثير الوفود على الملوك من العرب والفرس، غزير الشعر، يسلك فيه كل مسلك، وليس أحد ممن عرف قبله أكثر شعرًا منه. وكان يغنّي بشعره، فسمِّي (صنَّاجة العرب) قال البغدادي: كان يفد على الملوك، ولا سيما ملوك فارس، ولذلك كثرت الألفاظ الفارسية في شعره. عاش عمرًا طويلا، وأدرك الإسلام ولم يسلم، ولقِّب بالأعشى؛ لضعف بصره، وعمي في أواخر عمره، مولده ووفاته في قرية (منفوحة) باليمامة قرب مدينة (الرياض) وفيها داره، وبها قبره.

إلا أن أستاذ الأدب العربي بجامعة الملك سعود بالرياض والمشرف على كرسي المانع لدراسات اللُّغة العربية وآدابها د.عبد العزيز المانع أثبت إسلام الأعشى مدعمًا ذلك بما ورد في بعض قصائده المادحة للإسلام وبما عرضه من عدم صحة مرويات الوفادة.

أخباره كثيرة، جمع بعض شعره في ديوان سمي «الصبح المنير في شعر أبي بصير» وترجم المستشرق الألماني جاير Geyer بعض شعره إلى الألمانية، ولفؤاد أفرام البستاني «الأعشى الكبير» رسالة . ينظر: «طبقات فحول الشعراء« ، المؤلف: محمد بن سلّام (بالتشديد) بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٣٢هـ)، المحقق: محمود محمد شاكر، الناشر: دار المدني - جدة (١/ ٥٢)، «تاريخ دمشق»، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م (٦١/ ٣٢٧)، «الأعلام»، للزركلي (٧/ ٣٤١)، «ديوان الأعشى الكبير»، شرح وتعليق د/ محمد محمد حسين. مؤسسة الرسالة بيروت ط (٧/ ١٩٨٣).

(٢) ينظر البيت في: «الإتقان في علوم القرآن»، المؤلف: عبد الرحمن ابن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م (٢/ ٧٥).



وفي الجُمْلة: فلا إِشْكالَ في أَمْرِ الحرائِرِ بمخالفة زِيِّ الإِمَاءِ؛ ليهابُهُنَّ الفُسَّاقُ، ودفعُ ضَرَرِ الفُسَّاقِ عن الإِمَاءِ لازمٌ»[١].

ولقد رَاقَ لي كثيرًا لَمَّا وجدتُ روايةً عند الجلال السُّيوطيُّ [٢] في «دُرِّه المنثورِ» جاءَ فيها: «وكان رجالٌ يجلسون على الطَّريق للغزل، فأَنْزل الله مُبيِّنًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [سورة الأحزاب:٥٩]»[٣].

فقلتُ سُبْحَانَ الله إِنَّ مَنْ يُؤْذون بنات المسلمين بالمغازلة عند خروجِهِنَّ مِنْ مدارس أَوْ جامعاتٍ أَوْ يتعرَّضون لهنَّ في الأَسْواق والمجامعِ العامَّةِ بالْمُعاكساتِ أَوْ يُحادثونهنَّ عبْرَ غُرَفِ الإِنْتَرنَتِّ أَوِ الجوَّالات، بلْ يتراسلون صُوَرَهم فيما بينهم إِلَىٰ غير ذلك .. إِنَّما يَحْذُون حَذْوَ مَنْ كانت هذه أَخْلاقُه وتلك سوآتُه من المنافقين في الزَّمن الأَوَّلِ.

ولئِنْ كان لتبرُّجِ وسفورِ النِّساءِ أَثَرٌ كبيرٌ في وقوع مِثْلِ هذه المخالفاتِ

---

(١) «أضواء البيان» (٦/ ٥٨٧) للشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

(٢) هو: عبد الرحمن ابن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين أبو الفضل (ولد: ٨٤٩ – توفي: ٩١١ هـ). أصله من أسيوط، ونشأ بالقاهرة يتيمًا. وقضىٰ آخر عمره ببيته عند روضة المقياس حيث انقطع للتأليف. كان عالمًا شافعيًّا مؤرِّخًا أديبًا، وكان أعلم أهل زمانه بعلم الحديث وفنونه والفقه واللغة.

كان سريع الكتابة في التأليف، ولما بلغ أربعين سنة أخذ في التجرد للعبادة، وترك الإفتاء والتدريس، وشرع في تحرير مؤلفاته، فألف أكثر كتبه. اتهم بالأخذ من التصانيف المتقدمة ونسبتها إلىٰ نفسه بعد إجراء التقديم والتأخير فيها.

مؤلفاته تبلغ عدتها خمسمائة مؤلف؛ منها «الأشباه والنظائر» في فروع الشافعية؛ و«الحاوي للفتاوىٰ»، و«الإتقان في علوم القرآن». ينظر: «شذرات الذهب» (٨/ ٥١)، «الضوء اللامع» (٤/ ٦٥).

(٣) انظر: «الدر المنثور: ٦٥٨» للإمام السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ.

والتَّحرُّشاتِ والخلَواتِ، إِلَّا أَنَّ ظاهرةَ المعاكساتِ والابتزازِ والتَّحرُّشِ قد استشرىٰ في المجتمعاتِ الإِسْلاميَّةِ بلاؤُها، واسْتَفْحَلَ داؤُها.. فكَمْ مِنْ جرَّائِها عِرْضٍ تَدَنَّس، وشَرَفٍ لُطِّخَ، وطُهرٍ لُوِّثَ!

كَمْ وقَع في شِباكها مِنْ زوجةٍ مصونةٍ.. وفتاةٍ عفيفةٍ.. اسْتَدْرَجَها ذِئْبٌ ماكرٌ حتَّىٰ إِذَا ما تمكَّن من فَرِيْسَتِه نَهَش العفافَ ومرَّغ الحياءَ! وقدْ زاد أُوَارُ هذه النَّار اشْتِعالًا وسُعارًا ما يُشاهده الشَّبابُ والفتياتُ مِنْ قنوات الرَّذِيْلةِ ومواقعِ الفحشاءِ التىٰ تُدمِّر الأَخْلاقَ وتهدِم الفضيلةَ وتقوِّض بُنيانَ الحِشْمةِ، ناهيك عن دُورِالسِّينما والمراقصِ اللَّيْليَّةِ والحفلاتِ الغِنائِيَّةِ... إلخ.

لطيفة:

أَوْرَدَها الإِمَامُ السُّبْكِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1] في «طبقاته» قال: «إِنَّ أَحْمَدَ بنَ عِيْسَىٰ [2]

---

(١) هو عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي تاج الدين شافعي، فقيه أصولي مؤرخ أديب ناظم، ولد بالقاهرة وقدم دمشق مع والده، ولزم الذهبي، وتخرج به، وولي بها القضاة وخطابة الجامع الأموي، له: «طبقات الشافعية، ورفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، وشرح منهاج الأصول للبيضاوي، وجمع الجوامع»، ولد (٧٢٧) وتوفي (٧٧١هـ).

انظر في ترجمته: «الدرر الكامنة» (٢/ ٤٢٥)، «شذرات الذهب»، لابن العماد الحنبلي(٦/ ٢٢١) و«البدر الطالع» (١/ ٤١٠) و«معجم المؤلفين» (٦/ ٢٢٦).

(٢) هو: أَحْمد بن عِيسَىٰ بن رضوَان بن القليوبي شارح التنبيه، لقبه كمال الدين، وكنيته أبو العباس، وكان يكتب بخطه ابن العسقلاني، وهو ولد الشيخ ضياء الدين، كان كمال الدين هذا فقيهًا صالحًا سليم الباطن حسن الاعتقاد كثير المصنفات أخذ عن والده وغيره وروىٰ عن ابن الجميزي وعندي بخطه من مصنفاته: «نهج الوصول في علم الأصول»، مختصر صنفه في أصول الفقه و«المقدمة الأحمدية في أصول العربية»، وكتاب «طب القلب ووصل الصب».

قال السبكي: وقال شيخنا الذهبي إنه توفي سنة تسع وثمانين وستمائة، قلت: وليس كذلك، بل قد تأخر عن هذا الوقت؛ فقد رأيت طباق السماع عليه في العلم الظاهر مؤرخة بسنة إحدىٰ وتسعين وستمائة، بعضها في جمادىٰ الأولىٰ، وبعضها في رجب، وعليها خطه بالتصحيح، وكان حاكمًا بمدينة المحلة إذ ذاك، ولابن القليوبي شرح علىٰ «التنبيه» مبسوط. «طبقات الشافعية الكبرىٰ» للسبكي (٨/ ٢٣).



مِنْ فقهاءِ الشَّافعيَّةِ اسْتَنْبَطَ مِنْ هذه الآيةِ أَنَّ ما يفعله العلماءُ والسَّاداتُ مِنْ تغيير لِباسِهم وعَمائِمِهم أَمْرٌ حسنٌ، وإِنْ لمْ يفعلْه السَّلف(١)؛ لأَنَّ فيه تمييزًا لهم حتَّى يُعْرَفُوا، فيُعْمَلَ بأَقْوالِهم.. وهو استنباطٌ لطيفٌ(٢)، وهذا مشروطٌ بشرطين:

الأَوَّلِ: أَلَّا يكونَ هذا التَّميُّزُ بثوبِ شُهْرَةٍ؛ لمَا رواه ابنُ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ لَبِسَ ثَوبَ شُهْرَةٍ فِي الدُّنْيَا، أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ أَلْهَبَ فِيْهِ نَارًا»(٣).

الثَّاني: أَلَّا يكونَ بسَرَفٍ وخُيَلَاءَ؛ للنَّهيِ عن ذلك؛ فقد روى عَمْرُو بنُ شُعَيْبٍ(٤) عن أَبِيْهِ(٥) عن جَدِّهِ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «كُلُواْ واشْرَبُوْا وتَصَدَّقُواْ والْبَسُوا مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافٌ أَوْ مَخِيلَةٌ»(٦).

---

(١) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٨/ ٢٣).

(٢) «تفسير الألوسي» (٢٢/ ٤٩).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب: النكاح، باب: في لبس الشهرة، برقم: (٤٠٠٤)، وابن ماجة، كتاب: اللباس، باب: من لبس شهرة من الثياب، برقم: (٣٦٠٧) من حديث ابن عمر، وحسنه الألباني في «مشكاة المصابيح»، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة (١٤٠٥ – ١٩٨٥) (٤٣٤٦).

(٤) هو: عمرو بن شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص، أبو إبراهيم، السهمي القرشي، أحد علماء زمانه، توفي سنة: (١١٨هـ). روى عن أبيه، وطاوس، وسليمان بن يسار، والربيع بن معوذ الصحابية وغيرهم.

وعنه عطاء، وعمرو بن دينار، وهما أكبر منه، والزهري، ويحيى بن سعيد، وغيرهم، ووثقه ابن معين، وابن راهويه، وصالح جزرة.

وقال الأوزاعي: ما رأيت قرشيًّا أكمل من عمرو بن شعيب. وكان يسكن مكة، وتُوفي بالطائف. ينظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٦/ ٢٣٩)، «تهذيب التهذيب» (٨/ ٥١).

(٥) هو شعيب بن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي السهمي الحجازي، والد عمرو بن شعيب، وقد ينسب إلى جده. ينظر: «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي (ج١٢ ص ٥٣٤)، و«تقريب التهذيب» لابن حجر (ص ٢٦٧).

(٦) أخرجه النسائي، كتاب: الزكاة، باب: الاختيال في الصدقة، برقم: (٢٥٥٩)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٤٣٨١).

١٢ـ تجسُسُهم على المسلمين وإفشاؤهم لأسْرارهم:

إِنَّ جِسْرَ المودَّة والمحبَّة وقَنْطَرَةَ المُوالاةِ والمَعَزَّةِ وحَمِيْمَ الرَّابطةِ والعُصْبة بين المنافقين وأَعْداءِ المِلَّةِ لَكافيةٌ في كون التَّجسُّسِ ونقْلِ الأَسْرارِ وإِفْشاءِ دواخلِ المُؤْمنين وتدابيرِهم لأَعْداءِ الله مِنْ إِفرازَاتِ تلك العلاقة الآثمةِ، بلْ هي ثمرةٌ مِنْ ثمرات التَّواصل اللَّامحمودِ بينهم خِيانةً من المنافقين لخالقِهم وغدْرًا منهم وخديعةً للمُؤْمنين.

إِنَّ حفظَ الأَسْرار لَمِنْ شِيَمِ الرِّجال وسِمات أُولِي الإِرَادةِ والصَّبْرِ والشَّجاعةِ، قال الإِمَامُ المَاوَرْدِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «وليس يصِحُّ الصَّبْرُ في الأُمور بالتَّسرُّع إِلَيها دون كِتْمان السِّرِّ فيها؛ فهو أَقْوى أَسْبابِ الظَّفَرِ بالمطالب، وأَبْلغُ في كيْدِ العَدُوِّ المُوارِبِ»[2].

إِنَّ مِنْ أَخْطَرِ الأُمُور على الدَّوْلةِ المسلمةِ وجودَ مَنْ يتجسَّس عليها، ويُفْشِي للعَدُوِّ أَسْرارَها، سواءٌ العسكريَّةُ أَوْ الاقتصاديَّةُ أو التِّقَنِيَّةُ أَو... ولقدْ كان ﷺ في هذه الحِياطة والحَذَرِ مَثَلًا يُحْتَذَى في كتمانه أَسْرارَ المسلمين، وخصوصًا العسكريَّ منها..

---

(١) الإمام العلامة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي صاحب التصانيف. ولي القضاء في بلدان شتى، ثم سكن بغداد، من مؤلفاته: «الحاوي»، «النكت في تفسير القرآن»، «أدب الدنيا والدين»، و«الأحكام السلطانية»، توفي في ربيع الأول (٤٥٠هـ). انظر في ترجمته «طبقات الفقهاء» للشيرازي (١٣١) «المنتظم» (٨/ ١٩٩ - ٢٠٠) و«لسان الميزان» (٤/ ٢٦٠ - ٢٦١)، «شذرات الذهب»، لابن العماد الحنبلي(٣/ ٢٨٥)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٨/ ٦٤).

(٢) «تسهيل النظر وتعجيل الظفر».ص (٨٩) للماوردي.

فقدْ بعَث النَّبِيُّ ﷺ سَرِيَّةً بقيادة عَبْدِ الله بنِ جَحْشٍ الأَسَدِيِّ [(١)] وبعَث معه ثمانيةَ رَهْطٍ من المهاجرين ليس فيهم مِنَ الأَنْصارِ أَحَدٌ؛ للقيام بواجبات اسْتطلاعيَّة، وتوجَّهتْ تلك السَّرِيَّةُ نحوَ هدفِها في رَجَبٍ على رَأْسِ سَبْعَةَ عشرَ شَهْرًا مِنْ مهاجرةِ رَسُولِ الله ﷺ، وكان مع قائِدِها رسالةٌ مكتومةٌ أَمَرَهُ الرَّسُولُ ﷺ أَلَّا يفتحَها إِلَّا بعد يومين مِنْ مسيره، فإِذَا فتحها وفهِم ما فيها، مضى في تنفيذها غير مُسْتكرِهٍ أَحَدًا مِنْ أَفْراد سَرِيَّتِه على مُرافقتِه.

كان مضمونُ تلك الرِّسالةِ المكتومةِ: إِذَا نظرتَ في كتابي هذا فامْضِ حتَّى تنزل نخلةً بين مَكَّةَ والطَّائِف، فتربَّصْ بها قُرَيْشًا، وتعلم لنا مِنْ أَخْبارهم.

وبعد يومين مِنْ مسير عَبْدِ الله بنِ جَحْشٍ مِنْ قاعدة المسلمين المَدِينَةِ المُنَوَّرةِ فتَح الرِّسالةَ (المكتومةَ)، وأَطْلَعَ رِجالَه على كتابة النَّبِيِّ ﷺ وأَخْبَرَهم بأَنَّه ﷺ نَهاه أَنْ يَسْتكْرِهَ أَحَدًا منهم على مُرافقتِه؛ فلم يتخلَّفْ رَجُلٌ مِنْ رجاله، وسارعوا إِلَى تنفيذها فورًا[(٢)].

---

(١) هو: عبد الله بْنُ جَحْشٍ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَسَدِيُّ، شهد بدرًا، واستشهد بأحد، من مهاجرة الحبشة، وهو من أسد بن خزيمة حليف بني أمية، أخو أبي أحمد، سأل ربه عَزَّوَجَلَّ الشهادة فاستجيبت دعوته، وهو أول أمير أمره رسول الله ﷺ، فغنم من المشركين غنيمة، فبعثه إلى نخلة يتحسس أخبار قريش، فكانت غنيمته أول غنيمة غنمها المسلمون من المشركين، وفيه وفي أصحابه نزلت: (إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم).

نزل هو وأخوه أبو أحمد حين قدما المدينة مهاجرين على عاصم بن ثابت ابن أبي الأقلح، كان صهر رسول الله ﷺ، أخته زينب بنت جحش تحت رسول الله ﷺ، كانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم، روى عنه: سعد بن أبي وقاص. ينظر: «معرفة الصحابة»، (٣/ ١٦٠٦)، و«سير السلف الصالحين»، المؤلف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)، تحقيق: د/ كرم بن حلمي بن فرحات بن أحمد، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض (ص: ٥١٥).

(٢) أخرج نحوه ابن جرير في «تفسيره» (٢/ ٣٤٧)، والبيهقي في «الكبرى» (١٧٧٦٨)، وابن هشام في «تهذيب السيرة=السيرة النبوية»، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، =

لقد ابتكر الرَّسُولُ ﷺ أُسْلوبَ الرَّسائِلِ المكتومةِ؛ للمحافظة على السَّرِّيَّةِ الشَّديدةِ، ولِحِرْمان أَعْداءِ المسلمين مِنَ الحصول على المعلومات التي تفيدهم عن حركات المسلمين وأَهْدافِهم، وبذلك أَخْفَى نيَّاتِه عن العَدُوِّ والصَّدِيقِ(١).

وقد تنوَّع أُسْلوبُ الرَّسُولِ ﷺ في كِتْمان أَسْرارِ الدَّوْلةِ العسكريَّةِ، ومنها كتمانُ أَنْباءِ الأَشْخاص الذين يُمْكن اسْتِثْمارُهم فيما يعود على المسلمين بالنَّفْع، ككِتْمان إِسْلام نُعَيْمِ بنِ مَسْعُودٍ الغطفانيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢) في غزوة الأَحْزاب عن قومه وقُرَيْشٍ وبني قُرَيْظَةَ، فقال له النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّما أَنْتَ رَجُلٌ وَاحِدٌ، فَخَذِّلْ عَنَّا مَا اسْتَطَعْتَ؛ فَإِنَّ الْحَرْبَ خُدْعَةٌ»(٣). فاسْتطاع نُعَيْمٌ بعد ذلك - بتوفيق من الله - التَّفْريقَ بين صفوفِ الأَحْزاب، ونزعَ الثِّقَةِ مِنْ نفوسهم.

ومنها أَيْضًا الكِتْمانُ بالأُسْلوب، كما فعَله ﷺ في غزوة بني لَحْيَانَ دون أَنْ يعرفوا تحرُّكاتِه إِلَيهم(٤).

= أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، (١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م) (١/ ٦٠١) عن عروة بن الزبير مرسلًا. قال ابن حجر في «تغليق التعليق» (٢/ ٧٦): مرسل جيد قوي الإسناد، وقد صرح فيه ابن إسحاق بالسماع.

(١) محمود شيت «دروس في الكتمان» (ص٢١).

(٢) هو الصحابي الجليل: نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن هلال بن خلاوة بن سبيع بن بكر بن أشجع بن ريث بن غطفان، أبو سلمة الغطفانى، ثم الأشجعى، له صحبة، أسلم زمن الخندق، وهو الذى خذل بين الأحزاب، وكان يسكن المدينة، وكذلك ولده من بعده توفي: آخر خلافة عثمان أو أول خلافة على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. ينظر: «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٢٩/ ٤٩١)، «تهذيب التهذيب»، لابن حجر (١٠/ ٤٦٦).

(٣) أخرجه الطبري في «تهذيب الآثار» (٣/ ١٣٠)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥/ ٢٦٦٨)، وابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٢٧٨)، وغيرهم. وقال الألباني في «الضعيفة» (٣٧٧٧): ضعيف جدًا.

(٤) «سيرة ابن هشام» (٣/ ٣٨٧).



ومن الأَسَاليبِ التي اتَّخذها الرَّسُول ﷺ في كِتْمان أَسْرارِ الدَّوْلةِ الإِسْلاميَّةِ تقليلُ عدد المُطَّلعين علىٰ أَسْرار الدَّوْلة، كما فعَل الرَّسُولُ ﷺ في كِتْمان أَسْرارِ المنافقين، فاختار حُذَيْفَةَ بنَ اليمانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للاطِّلاع علىٰ سرِّ المنافقين، لا يعلمهم أَحدٌ غيرُه.

كما جعَل الرَّسُولُ ﷺ السِّرِّيَّةَ في سياسة الدَّوْلة من الأَرْكانِ الأَسَاسيَّةِ للدَّوْلةِ الإِسْلاميَّةِ في عهده؛ حيث حصَر الرَّسُولُ ﷺ خُطَّةَ العملِ في مُحيط القِيادة العامَّةِ للعمل، وأَنْ يجهَلَ الأَشْخاصُ في العمل السِّرِّيِّ بعضُهم بعضًا من حيث التَّكاليفِ والمهامِّ، وأَنْ يعلَم كلُّ واحدٍ في العمل مُهِمَّتَه دون غيرِه، فلا تخرُج معلوماتُ مهامِّ عَمْرٍو إِلَىٰ زَيْدٍ بحالٍ من الأَحْوال(١).

وقد حرِص صحابةُ رَسُولِ الله ﷺ علىٰ حفْظِ أَسْرارِ الدَّوْلة؛ فها هو أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُوصي قائِدَ جَيْشِه: وإِذَا قدِم عليك رُسُلُ عَدُوِّك فأَكْرِمْ مثواهم، وأَقْلِلْ حَبْستَهم حتَّىٰ يخرُجوا مِنْ عندك وهُمْ جاهلون ما عندك؛ فالمُحافظةُ علىٰ أَسْرار الدَّوْلة عسكريًّا أَوْ صِناعيًّا أَوِ اقْتِصاديًّا مِنْ أَهَمِّ أَسْبابِ انتصارِ المسلمين الأَوَائِلِ في حَرْبهم مع عَدُوِّهم، والأُمَّةُ التي لا تكتم أَسْرَارَها الحَرْبيَّةَ، هي الأُمَّةُ التي لا يُمْكِنُ أَنْ تنتصرَ(٢).

وإِذَا كان الكِتْمانُ في الحروبِ القديمةِ ضروريًّا للدَّوْلة، فإِنَّ الكِتْمانَ في وقتِنا الحاضرِ أَعْظَمُ ضرورةً؛ نظرًا لاخْتراع أَجْهزةِ التَّصَنُّتِ والوسائِلِ العلميَّةِ المُذْهِلةِ لجَمْعِ المعلوماتِ كطائِرَاتِ التَّجسُّس التي تطير بدُوْنِ طيَّارٍ وكبعضِ مُركَّباتِ الفضاءِ التَّجسُّسيَّةِ وكذلك الأَجْهزةُ اللَّاسِلْكيَّةُ النَّاقلةُ للمعلومات إِلَىٰ العَدُوِّ بسرعةٍ خاطفةٍ.. إلخ(٣).

---

(١) حسين بن محمد بن علي جابر «الطريق إلىٰ جماعة المسلمين» (ص١٩٠).

(٢) محمود شيت، «دروس في الكتمان » (ص٤٨).

(٣) «كتمان السر وإفشاؤه في الفقه الإسلامي» (ص٨٢)، لشريف بن أدول بن إدريس، طبعة: دار النفائس (١٩٩٧) بتصرف يسير.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ﴾ [سورة المائدة:٤١].

ذكر ابنُ كَثِيرٍ (١) وأَبُو السُّعُودِ(٢) والبَيْضَاوِيُّ (٣) والأَلُوسِيُّ (٤) وغيرُهم

---

(١) ينظر: «تفسير القرآن العظيم» (١/ ١١٥).

(٢) ينظر: «تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت (٣/ ٣٦)، وأبو السعود هو: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، فقيه حنفي، وأصولي ومفسر وشاعر، ولد بموضع قرب القسطنطينية.

كان عارفًا باللغات العربية والفارسية والتركية، درس ودرس في بلاد متعددة، وتقلد القضاء في بروسة فالقسطنطينية فالروم إيلي، وأضيف إليه الإفتاء سنة (٩٥٢هـ). انتهت إليه رئاسة الحنفية في زمانه، وكان حاضر الذهن سريع البديهة. من تصانيفه: «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» في تفسيرات القرآن، و«تهافت الأمجاد» في فروع الفقه الحنفي، و«تحفه الطلاب» و«رسالة في المسح على الخفين». ينظر: «شذرات الذهب» (٨/ ٣٩٨)، «الأعلام»، للزركلي (٧/ ٢٨٨).

(٣) ينظر: «أنوار التنزيل وأسرار التأويل»، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى (١٤١٨ هـ) (٢/ ٣٢٤).

(٤) ينظر: «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني»، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤١٥ هـ)، (٦/ ٥٣١).

والألوسي هو: محمود بن عبد الله، شهاب الدين، أبو الثناء الحسيني الآلوسي (ولد: ١٢١٧ – توفي: ١٢٧٠ هـ). مفسر، محدث، فقيه، أديب، لغوي، مشارك في بعض العلوم. من أهل بغداد، كان سلفي الاعتقاد مجتهدًا، تقلد الإفتاء ببلده سنة (١٢٤٨هـ)، وعزل، فانقطع للعلم. =

رحمهم الله أَنَّ هذه الآيَةَ نزلتْ في نَفَرٍ من المنافقين كانوا يجلسون إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ ليعلموا خَبَرَ ما عنده، وما عزَم عليه، ثُمَّ يعودوا بتلك الأَخْبار إِلَىٰ اليَهُودِ ينقلون إِلَيهم سِرَّ النَّبِيِّ ﷺ وسواءٌ أَكَان هؤلاء منافقين يَهُودَ أَوْ غيرَ يَهُودَ، وسواءٌ أُمِرُوا أَنْ يفعلوا ذلك تجسُّسًا علىٰ النَّبِيِّ ﷺ وإِفْشاءِ سرِّه أَوْ هُمْ صنَعوا ذلك ابْتداءً مِنْ تِلْقاءِ أَنْفُسِهم، فلا فرْقَ.

قال ابنُ كَثِيرٍ: «فلَمَّا أَخْبرَ الله نبيَّه ﷺ قطَع ذلك عَنْهم، فلم يكونوا يدخلون»(١)؛ لأَنَّ المنافقين ليس بكثيرٍ عليهم فعْلُ ذلك، ولا بغريبٍ منهم؛ لأَنَّ ولاءَهم وموالاتَهم لإِخْوانهم اليَهُودِ، وسيَأْتِي -بإِذْن الله- فيما يتعلَّق بشَأْنِ اتِّخاذهم مسجدًا ضِرارًا أَنَّ مِنْ بين مراميهم وأَهْدافِهم منه هو الاجْتماعُ فيه؛ لنسْج المُؤَامراتِ، والتَّجسُّسِ علىٰ المسلمين(٢).

ولقد مرَّ عَبْرَ قُرونِ الدَّوْلة المسلمةِ مَنْ كانوا لأَعْداءِ المِلَّة أَعْيُنًا وجواسيسَ خفَروا ذِمَمَهم.. وخانوا أُمَّتَهم.. وباعوا بثَمَنٍ بَخْسٍ دِيْنَهم، وكان مِنْ بين هؤلاء:

أ- ابنُ العَلْقَمِيِّ الرَّافِضِيُّ:

ذكَر عنه ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّه كان شِيْعِيًّا جَلدًا ورافضيًّا خبيثًا تولَّىٰ الوزارةَ للخليفةِ العباسيِّ المُسْتَعْصِمِ أَرْبعةَ عشر عامًا، مَالَأَ خِلالها علىٰ الإِسْلام وأَهْلِه أَنْواعَ الكُفَّارِ، حتَّىٰ فعَلوا بالإِسْلام وأَهْلِه ما فعلوا.

= من تصانيفه: «روح المعاني» في تفسير القرآن، و«الأجوبة العراقية والأسئلة الإيرانية»، و«الخريدة الغيبية»، و«كشف الطرة عن الغرة». انظر: «معجم المؤلفين» (١٢/ ١٧٥)، و«الأعلام» (٨/ ٥٣).

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ١١٥).

(٢) «المعوقون للدعوة الإسلامية» ص (٣٣٩) د/ سميرة بنت محمد جمجوم.

ففي عام ٦٥٦هـ كاتَب الوَزِيْرُ الشِّيْعيُّ ابنُ الْعَلْقَمِيِّ مَلِكَ التَّتَارِ هُولَاكُو: أَنَّكَ تحضِر إِلَى بَغْدَادَن وأَنَا أُسلِّمها لك، فردَّ عليه هُولَاكُو قائِلًا: إِنَّ عساكِرَ بَغْدَادَ كثيرةٌ، فإِنْ كنتَ صادقًا فيما قُلْتَه وداخلًا في طاعتنا، ففرِّق عساكرَ بَغْدَادَ، ونحن نحضِر.

عندها أَشَارَ الوَزِيْرُ الرَّافضيُّ على الخليفةِ العبَّاسيِّ الْمُسْتَعْصِمِ بتسريح أَكْبَرِ عددٍ من الجُنْدِ والعساكِرِ المرابطين في عاصمة الخِلافة بَغْدَادَ، ولَمَّا وافق الخليفةُ على ذلك خرَج هذا الوَزِيْرُ على الفورِ، ومحا اسْمَ خمسةَ عَشَرَ أَلْفًا مِنْ عَسْكرِ بَغْدَادَ، ثُمَّ نفاهم مِنْ بَغْدَادَ، ومنعهم مِن الإِقَامة بِها، ثُمَّ بعد شهرٍ فعَل مِثْلَ فِعْلَتِه الأُوْلَى، ومحا اسْمَ عشرين أَلْفًا مِنْ دِيْوان الجُنْدِ، واستمرَّ هذا الوَزِيْرُ الخبيثُ يجتهد في صَرْفِ جُيُوشِ أَهْلِ السُّنَّةِ، وإِسْقاطِ أَسْمائِهم مِنْ دِيْوان الجُنْدِ، حتَّى أَصْبَحَ عددُ المُسجَّلين في دِيْوان الجُنْدِ عَشَرَةَ آلافٍ بعدَ أَنْ كانوا في آخِر أَيَّامِ الخليفة الْمُسْتَنْصِرِ مِائَةَ أَلْفِ مُقاتلٍ(١).

ولقد اسْتخدم هذا الْمُجْرِمُ في مُكاتباتِه لهُولَاكُو شتَّى الحِيَلِ، وبلَغ نِهايةَ المَكْرِ؛ فقدْ حُكي أَنَّه لما كان يُكاتب التَّتَارَ تحيَّل مرَّةً إِلَى أَنْ أَخَذَ رَجُلًا وحلَق رَأْسَه حلقًا بليغًا، وكتَب ما أَرَادَ عليه بوَخْزِ الإِبَرِ كما يُفعل بالوَشْم، ونفَض عليه الكُحْلَ، وترَكه عنده إِلَى أَنْ طلَع شَعْرُه، وغطَّى ما كتَب، فجهَّزه وقال: إِذَا وصلْتَ التَّتَرَ، فمُرْهُمْ بحلْق رَأْسِك، ودَعْهم يَقْرأُون ما فيه. وكان في آخِر الكلام قطَعوا الوَرَقَةَ، فضُرِبَتْ عُنُقُه، وهذا غايةُ المَكْر والخِزْي(٢).

عندها قصَد هُولَاكُو بَغْدَادَ مِنْ جِهة البَرِّ الشَّرْقيِّ، وأَحَاط ببَغْدَادَ، فأَشَارَ الوزيرُ الرَّافضيُّ على الخليفةِ بمُصانعتِهم، وقال له: أَخْرُجُ أَنَا إِلَيهم مِنْ أَجْل الصُّلْح.

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى (١٣/ ٢١٤).

(٢) «الوافي بالوفيات» (١/ ١٨٦) للصفدي.

فخرَج وتوثَّق لنفسِه ورجَع إِلَىٰ الخليفة قائِلًا: إِنَّ السُّلْطانَ يا مولانَا أَمِيْرَ المُؤْمنين قدْ رغِب في أَنْ يُزوِّج ابْنتَه بابْنِك الأَمِيْرِ أَبِي بَكْرٍ، ويُبْقيك في مَنْصِب الخِلافة.

فخرَج إِلَيه الخليفةُ العبَّاسيُّ المُسْتَعْصِمُ المُغرَّر به بنفسه ومعه سبعُمِائَةِ راكبٍ مِن القُضاةِ والفقهاءِ والأُمراءِ ورجالِ الدَّوْلة وأَعْيانِ العاصمة، فلمَّا اقتربوا مِنْ مكان إِقَامة السَّفَّاح هُولَاكُو حُجِبُوا إِلَّا سبعةَ عشر نفسًا، فدخَل الخليفةُ بهؤلاء إِلَىٰ هُولَاكُو، وأُنْزِلَ الباقون مِنْ مراكبِهم، ونُهِبت، ثُمَّ قُتِلُوا عن آخِرِهم، ثُمَّ أُحْضِرَ أَبْناءُ الخليفة، فضُرِبت أَعْناقُهم.

أَمَّا الخليفةُ فقيل إِنَّه طلَبه ليلًا ثُمَّ أَمَر به ليُقتل فقال خواصُّ هُولَاكُو: إِنَّ هذا إِنْ أُرِيقَ دَمُه تُظلم الدُّنْيا، ويكون سببَ خرابِ دِيارِك؛ فإِنَّه ابْنُ عمِّ رَسُولِ الله ﷺ عندها هَابَ هُولَاكُو أَنْ يقتُلَه، فقام الخبيثُ الرَّافضيُّ نَصِيْرُ الدِّين الطوسيُّ وقال: يُقتل، ولا يُراق دَمُه. فوضعوه في بساطٍ ورَفَسُوه حتَّىٰ مات، وقيل: بلْ خُنِقَ. وقيل: بلْ أُغْرِقَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثُمَّ اجتاحَ التَّتارُ عاصمةَ الخلافةِ الإِسْلاميَّةِ بَغْدَادَ بمُساعدة الرَّافضيَّيْنِ الخبيثَيْن ابنِ العَلْقميِّ ونَصِيْرِ الدِّين الطوسيِّ، ودخلوا دارَ الخلافةِ، ونَهَبُوا كثيرًا من الذَّهَبِ والحُلِيِّ والمَصاغِ والجواهرِ والأَشْياءِ الثَّمينةِ.

ثُمَّ مالوا علىٰ أَهْل بَغْدادَ، فقتلوا جميعَ مَنْ قدَرُوا عليهم مِن الرِّجالِ والنِّساءِ والوِلْدانِ والمشايخِ والكُهولِ والشُّبَّانِ، حتَّىٰ دخَل كثيرٌ من المسلمين في الآبارِ، وأَمَاكنِ الحشوشِ والوَسَخِ، فكان النَّاسُ يجتمعون في الدَّار ويُغْلقون عليهم الأَبْوابَ، فيأْتِي التَّتارُ برِئَاسةِ الرَّافضيِّ ابنِ العَلْقَمِيِّ فيفتحونه؛ إِمَّا بالكَسْرِ، وإِمَّا بالنَّار، ثُمَّ يدخلون عليهم ويقتلونَهم، حتَّىٰ جرَت الميازيبُ مِنْ كثرة الدِّماءِ.

وقيل: إنَّ عددَ الذين قُتِلوا في بَغْدادَ بلَغ أَلْفَ أَلْفٍ وثمانِمائةِ أَلْفٍ[١] فلا حولَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بالله العليِّ العظيمِ، وإِنَّا لله وإِنَّا إِلَيه راجعون[٢].

ب- نَصِيْرُ الدِّين الطوسيُّ:

والصَّحيح أَنَّه نَصِيْرُ الكفرِ الطوسيُّ: هو مُحَمَّدُ بنُ الحَسَنِ الخوجه (٥٩٧ - ٦٧٢ هـ) المسؤُولُ مع عَدُوِّ الله ابنِ العلقميِّ ومستشارِه ابنِ أَبِي الحَدِيْدِ[٣] عن الذَّبْح العام الرَّهيب الذي ارْتَكَبه هُولَاكُو في أُمَّة مُحَمَّدٍ ﷺ سنة ٦٥٦ هـ وكان الطوسيُّ مِنْ أَخْبثِ رِجالِ عَلَاءِ الدِّين مُحَمَّدِ بنِ جَلَالِ حسن ملك الإِسْماعيليَّة[٤].

قال ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولَمَّا انتهتْ النَّوبةُ إِلَى نَصِيْرِ الشِّرْك والكفر المُلْحِدِ وزِيْرِ الملاحدةِ النَّصِيرِ الطوسيِّ وزِيْرِ هُولَاكُو، شفى نفسَه مِنْ أَتْباعِ الرَّسُولِ ﷺ وأَهْلِ دِيْنِه، فعرَضهم على السَّيف، حتَّى شفى إِخْوانَه من الملاحدةِ، واسْتَشْفى هُوَ، فقتَل الخليفةَ والقُضاةَ والفُقهاءَ والمُحدِّثينن واستبقى الفلاسفةَ والمُنجِّمين والطبائِعيِّين والسَّحَرَةَ.

---

(١) يعني: مليونًا وثمانمائة ألف مسلم موحِّد.

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير، بتصرف (١٣/ ٢١٤-٢١٥).

(٣) هو: عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن الحسين ابن أبي الحديد، أبو حامد، عز الدين (ولد: ٥٨٦ - توفي: ٦٥٦ هـ) عالم بالأدب، من أعيان المعتزلة، له شعر جيد واطلاع واسع على التاريخ. ولد في المدائن، وانتقل إلى بغداد، وخدم في الدواوين السلطانية، وبرع في الإنشاء، وكان حظيًّا عند الوزير ابن العلقميّ.

له «شرح نهج البلاغة» و«الفلك الدائر على المثل السائر» و«نظم فصيح ثعلب» و«القصائد السبع العلويات» توفي ببغداد. ينظر: «فوات الوفيات»، المؤلف: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، الجزء: (١ - ١٩٧٣م)، الجزء: (٢، ٣، ٤- ١٩٧٤م)، (١/ ٢٤٨) و«البداية والنهاية» (١٣/ ١٩٩).

(٤) حاشية محب الدين الخطيب «للمنتقى» ص (٢٠) بتصرف يسير.



ونقَل أَوْقافَ المدارسِ والمساجِدِ والرِّبَطِ إِلَيهم، وجعَلَهم خاصَّتَه وأَوْلياءَه، ونصَر في كتُبه قِدَمَ العالَم، وبُطْلانَ المَعاد، وإِنْكارَ صفات الرَّبِّ جل جلاله: مِنْ عِلْمِه، وقُدْرتِه، وحياتِه، وسَمْعِه، وبَصَرِه، وأَنَّه لا داخلَ العالَم ولا خارجَه، وليس فوق العرش إِلَهٌ يُعبد البتَّة.

واتَّخذ للملاحدةِ مدارسَ، ورَامَ جَعْلَ إِشَاراتِ إِمَامِ المُلْحدين ابنِ سِينَا (١) مكانَ القُرْآنِ فلمْ يقْدِر على ذلك. فقال: هِي قُرْآنُ الخواصِّ، وذاك قُرْآنُ العوامِّ. ورَامَ تغيير الصَّلاة، وجعْلَها صلاتين، فلمْ يتِمَّ له الأَمْرُ، وتعلَّم السِّحْرَ في آخِر الأَمْر، فكان ساحرًا يعبُد الأَصْنامَ.

---

(١) هو: الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات. أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى (توفي: ٤٣٨هـ عن ثمان وخمسين سنة).

ونشأ وتعلم في بخارى، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلد الوزارة في همذان، وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته، فتوارى، ثم صار إلى أصفهان، وصنف بها أكثر كتبه، وعاد في أواخر أيامه إلى همذان، فمرض في الطريق، ومات بها.

قال ابن قيم الجوزية: (كان ابن سينا - كما أخبر عن نفسه - هو وأبوه، من أهل دعوة الحاكم، من القرامطة الباطنيين) . وقال ابن تيمية: (تكلم ابن سينا في أشياء من الإلهيات، والنبويات، والمعاد، والشرائع، لم يتكلم بها سلفه، ولا وصلت إليها عقولهم، ولا بلغتها علومهم، فإنه استفادها من المسلمين، وإن كان إنما يأخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية، وكان أهل بيته من أهل دعوتهم، من أتباع الحاكم العبيدي الَّذي كان هو وأهل بيته معروفين عند المسلمين بالإلحاد).

انظر: «الرد على المنطقيين» (١/ ١٤٢) و«مجموع الفتاوى» (٩/ ١٢٤) لابن تيمية. صنَّف نحو مئة كتاب، بين مطوَّل ومختصر، ونظم الشعر الفلسفي الجيد، ودرس اللغة مدة طويلة حتى بارى كبار المنشئين. أشهر كتبه (القانون - ط) كبير في الطب، يسميه علماء الفرنج (Canonmedicina) بقي معولا عليه في علم الطب وعمله، ستة قرون، وترجمه الفرنج إلى لغاتهم، وكانوا يتعلمونه في مدارسهم، وطبعوه بالعربية في رومة وهم يسمون ابن سينا Avicenne وله عندهم مكانة رفيعة. ينظر: «معجم الأدباء» (٣/ ١٠٧٠)الأعلام للزركلي (٢/ ٢٤١).

وصارع مُحَمَّدُ الشَّهْرستانيُّ (١) ابنَ سِينَا في كتاب سمَّاه (المُصارعة)(٢) أَبطَلَ فيه قولَه بِقِدَمِ العالَم، وإِنْكارِ المَعاد، ونفْيِ عِلْمِ الرَّبِّ تعالىٰ، وقُدْرَتِه، وخلْقه العالَم، فقام له نَصِيْرُ الإِلْحاد وقعَد، ونقَضه بكتابٍ سمَّاه (مُصارعةُ المُصارعة) ووقَفْنا علىٰ الكتابين، وفيه أَنَّ الله تعالىٰ لم يخلُق السَّماواتِ والأَرْضَ في سِتَّةِ أَيَّامٍ، وأَنَّه لا يعلَم شيئًا، وأَنَّه لا يفعل شيئًا بقُدْرَتِه واختيارِه، ولا يبعث مَنْ في القبور.

وبالجُمْلة فقد كان هذا المُلْحِدُ هو وأَتْباعُه من المُلْحدين الكافرين بالله وملائِكتِه وكتُبِه ورُسُلِه واليومِ الآخِر(٣).

---

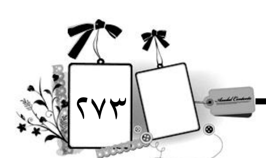
(١) هو: محمد بن عبد الكريم بن أحمد، أبو الفتح بن أبي القاسم الشهرستاني، المتكلم، ويلقب بالأفضل. [المتوفىٰ: ٥٤٨ هـ]، كان إمامًا، مبرزًا في علم الكلام والنظر، تفقه علىٰ أحمد الخوافي، وبرع في الفقه، وقرأ الكلام والأصول علىٰ أبي نصر ابن القشيري، وأخذ عنه طريقة الأشعري، وقرأ الكلام أيضًا علىٰ الأستاذ أبي القاسم الأنصاري، وصنف كتاب «الملل والنحل»، وكتاب «نهاية الإقدام»، وغير ذلك.

وكان كثير المحفوظ، مليح الوعظ، دخل بغداد سنة عشر وخمسمائة، وأقام بها ثلاث سنين، ووعظ بها، وظهر له قبول عند العوام، وقد سمع بنيسابور من: أبي الحسن علي بن أحمد المديني، وغيره.

قال ابن السمعاني: كتبت عنه بمرو، وقال لي: ولدت بشهرستان في سنة سبع وستين وأربعمائة، وبها توفي في أواخر شعبان، غير أنه كان متهمًا بالميل إلىٰ أهل القلاع، يعني الإسماعيلية، والدعوة إليهم، والنصرة لطاماتهم، وقال في «التحبير»: هو من أهل شهرستانة، كان إماما أصوليًّا، عارفًا بالأدب والعلوم المهجورة، وهو متهم بالإلحاد والميل إليهم، غال في التشيع، ثم ذكر نحوًا مما تقدم، لكن قال في مولده سنة تسع، بدل سبع، فالله أعلم. «تاريخ الإسلام» (١١/ ٩٤١)، «الشافعيين» (ص: ٦٣٥).

(٢) «كتاب المصارعة»، المؤلف : محمد بن عبد الكريم ابن أبي بكر أحمد الشهرستاني، طبعته: دار النمير للطباعة والنشر - الطبعة الأولىٰ - مجلد واحد.

(٣) ينظر: «إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان»، محمد ابن أبي بكر الشهير بابن القيم الجوزية - تحقيق محمد عفيفي، المكتب الإسلامي-بيروت ومكتبة الخاني- الرياض، الطبعة :٢ - بتاريخ (١٤٠٩ - ١٩٨٩٢ / ٢٦٣).



هذا هو نَصِيرُ الكفرِ الطُّوسيِّ الذي يترحَّم عليه الخُمينيُّ، ويذكُر عنه أنَّه قدَّم خدماتٍ جليلةٍ للإسْلام(١).

ولقد مرَّت عهودُ الأُمَّةِ المسلمةِ عَبْرَ تاريخِها بمنافقين كثيرٍ لهم في الشَّرِّ مضاءٌ وفي الخُبْثِ دهاءٌ وفي الخِيانات عطاءٌ.. ومِنْ أَعْظم الخِيانات النِّفاقيَّةِ التي مرَّتْ بالأُمَّةِ المسلمةِ ما كان في قضيَّةِ فِلَسْطِيْنِ وما كان في طيَّاتِها مِنْ معارك بين الدُّوَلِ العربيَّةِ واليَهُودِ، وما أَعْقَبَ ذلك مِنْ مُؤْتمراتٍ ككامب ديفيد ومدريد وأوسلو.. وغيرِها..(٢).

وكَمْ هُمُ الذين تبيَّن فيما بعدُ أَنَّ لهم علاقاتٍ مشبوهةً بالحركة الماسُونيَّةِ اليَهُوديَّة، بلْ كان بعضُهم أَعْضاءً ومُمثِّلين فيها ممَّن طعَنوا أُمَّتَهم في خاصرتها..

١٣ـ إشاعتهم الفاحشة.

إِنَّ سعي المنافقين في هذا الشَّأْنِ عظيمٌ، وفي هذا المِضْمار جسيمٌ.. إِذْ به يُقوِّضون في المُجْتمَعِ الإسْلاميِّ أَرْكانَ طُهرِه وحِشْمَتِه وعِفَّتِه وحيائِه.. وبالتَّالي تنتشر دُورُ البغاءِ، ومواخير الدِّعارة، وجرائِمُ الفحشاءِ والمُنْكَر.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي ٱلدُّنْيَا

---

(١) انظر: «الحكومة الإسلامية» (ص١٤٢) للزعيم الهالك الخميني، طبعة: وزارة الإرشاد بجمهورية إيران. ولمزيد اطلاع عن خيانات المنافقين كابن العلقمي والطوسي انظر:

١ – «كيف دخل التتار بلاد المسلمين» ص (٥٣) للدكتور سليمان بن فهد العودة.

٢ – «وجاء دور المجوس» ص (١٤٢) لعبد الله الغريب.

٣ – «سراب في إيران» ص (٣٩) للدكتور أحمد الأفغاني.

٤ – «الشهب الحارقة على الشيعة المارقة» ص (١٢٩) لممدوح الحربي.

(٢) انظر بتفصيل في هذه القضية كتاب «وا أقصاه» للغريب الهاشمي الأثري.

وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة النور:١٩]، ثُمَّ جاءَ قولُه تعالىٰ: ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ﴾ [سورة النور: ٣٣].

روىٰ مُسْلِمٌ في «صحيحه» عن جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كان عَبْدُ الله بنُ أُبَيٍّ بنِ سَلُولٍ يقول لجاريةٍ له: اذْهَبِي فابْغِينا شيئًا. فأنزل اللهُ هذه الآيةَ»(١).

وفي روايةٍ أُخرىٰ لمُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ جاءَ فيها: «أَنَّ جاريةً لعَبْدِ الله بنِ أُبَيٍّ بنِ سَلُولٍ يُقال لها مُسَيْكَةُ وأُخرىٰ يقال لها أُمَيْمَةُ، كان يُكرهها علىٰ الزِّنا، فشَكَتَا ذلك إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فأنزل اللهُ الآيةَ»(٢).

قال ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان أَهْلُ الجاهليَّةِ إِذَا كان لأَحَدِهم أَمَةٌ أَرْسَلَها تزني، وجعَل عليها ضريبةً يَأْخُذُها منها كلَّ وقْتٍ، فلمَّا جاءَ الإِسْلامُ نَهىٰ اللهُ المُؤْمنين عن ذلك، وكان سببُ نزول هذه الآيةِ الكريمةِ فيما ذكَر غيرُ واحدٍ من المُفسِّرين مِنَ السَّلَفِ والخَلَفِ في شَأْنِ عَبْدِ الله بنِ أُبَيٍّ بنِ سَلُولٍ؛ فإِنَّه كان له إِمَاءٌ، فكان يُكْرِهُهُنَّ علىٰ البغاءِ؛ طلبًا لخراجِهنَّ، ورَغْبَةً في أَوْلادِهنَّ، ورياسةً منه فيما يزعم»(٣).

وقدْ أَشَارَ سيِّدُ قُطْبٍ إِلَىٰ أَنَّ هذه الآيةَ تنتظم في سلْك الآياتِ الأُخرىٰ التي تُشكِّل خُطَّةً متكاملةً عُنِي بها القُرْآنُ الكريمُ؛ لتطهير البيئةِ الإِسْلاميَّة، وإِغْلاقِ السُّبُل القذِرةِ للتَّصْريف الجِنْسيِّ: ذلك أَنَّ وجودَ البغاءِ يُغْري الكثيرين لسُهولته، ولوْ لمْ يجِدوه، لانْصَرَفُوا إِلَىٰ طلبِ هذه المُتْعةِ في محلِّها الكريمِ النَّظيفِ.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: التفسير، باب: في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ﴾، برقم: (٣٠٢٩/ ١).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: التفسير، باب: في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ﴾، برقم: (٣٠٢٩/ ١).

(٣) «تفسير ابن كثير»، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ (٣/ ٣١٧).



ولا عِبْرَةَ بما يُقال مِنْ أَنَّ البِغاءَ صمامُ أَمَانٍ، يَحْمي البُيُوتَ الشَّريفةَ، لأَنَّه لا سبيلَ لمُواجهةِ الحاجةِ الفِطْريَّةِ إِلَّا بهذا العِلاجِ القَذِرِ عند تعذُّرِ الزَّواج، أَوْ تهجُّمِ الذِّئابِ المسعورةِ على الأَعْراض المصونةِ، إِنْ لمْ تجِد هذا الكَلَأَ المُباحَ(١).

وهذه شُبْهةٌ ساقطةٌ؛ فدُوَلُ الغَرْب بها مواخيرُ الزِّنا، وبيوتاتُ الدِّعارة، ومع ذلك تزداد مُعدَّلاتُ الاغْتصاب يومًا بعد يومٍ.

ولا غرابةَ في أَنْ يكونَ رَأْسُ المنافقين هو قائِدَ حركةِ البِغاءِ، حتَّى بعد تحريمِ الإِسْلام له؛ فالنِّفاقُ يسعى إِلَى تحصيل المكاسبِ الماديَّةِ مِنْ أَيِّ طريقٍ كان؛ فالهدفُ أمامَ المنافق واضحٌ لا غَبْشَ فيه: ﴿لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [سورة النور ٣٣] بما تحصِّلونه مِنْ خراجٍ ومهُورٍ وأَوْلادِ البغايا، وقدْ نهى رَسُولُ الله ﷺ عن مَهْرِ البَغيِّ؛ وذلك لخُبْثِه وقذارتِه(٢).

ولقد شاعتْ في مجتمعاتٍ إِسْلاميَّةٍ كثيرةٍ جريمةُ البِغاءِ، حتَّى أَصْبحت مُقنَّنةً، ولها بِطاقاتٌ خاصَّةٌ، ومِهْنةً يُتكسَّب مِنْ ورائِها.

أُتِيح مجالُ هذه المِهْنة الدَّنِيئَةِ والفاحشةِ المُحرَّمةِ على يد حُكَّامٍ قَسَرُوا شُعوبَهم على الرِّضا بالقوانين الوَضْعيَّةِ التي تدور على محْورٍ رَئِيْسٍ وزاويةٍ مُحدَّدةٍ، أَلَا وهي أَنَّ جريمةَ الزِّنا إِذَا وقعتْ حالَ رِضا الطَّرفين فليستْ جريمةً يُعاقِب القانونُ عليها.

شروطُ البِغاءَ في قانون بعض الدُّوَل العربيَّةِ:

⇐ أَلَّا يكونَ -أَيِ الزِّنا والبِغاءَ- اسْتِغْلالًا مادِّيًّا، كما هو في صُورةِ الدِّعارة.

---

(١) «في ظلال القرآن» (٤/ ٢٥١٦) لسيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

(٢) روى البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في «صحيحه» (٢٢٣٧) عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي وحلوان الكاهن.

⇐ أَلَّا يكونَ عن إِكْراهٍ واغْتِصابٍ.

⇐ أَلَّا يقعَ الزِّنا علىٰ صغيرةٍ؛ لأَنَّه لا يُتصوَّر منها الإِذْنُ.

⇐ أَلَّا تُنتَهكَ به حُرْمةُ الزَّوجيَّةِ(١).

بعضُ توصياتِ مُؤْتمراتِ المَرْأَةِ العالَمِيَّةِ:

⇐ الدَّعْوةُ إِلَىٰ حُرِّيَّة العلاقةِ الجِنْسيَّةِ المُحرَّمةِ، واعْتبارُ ذلك مِنْ حُقوقِ المَرْأَةِ الأَساسيَّةِ.

⇐ نشرُ مفهومِ الجِنْدَر (النَّوعِ الاجْتِماعيِّ) كبديلٍ عن مصطلح الجِنْس؛ بمعنىٰ إِبْطال مفهوم الذَّكرِ والأُنْثىٰ، والاعْترافِ بالشُّذُوذِ بجميع أَنْواعه.

⇐ نشرُ وسائِلِ منْع الحَمْل.

⇐ الاعْترافُ بحقوق الزُّناةِ والزَّواني.

⇐ الاعترافُ بالشُّذوذِ الجِنْسيِّ.

⇐ التَّنْفيرُ من الزَّواجِ المُبكِّرِ.

⇐ الدَّعْوةُ إِلَىٰ أَنْ يكونَ الإِجْهاضُ حقًّا من حقوقِ المَرْأَةِ، وإِلْغاءُ القوانين العِقابيَّةِ ضِدَّ المَرْأَةِ التي تُجري إِجْهاضًا غير قانونيٍّ(٢).

أَليستْ كلُّ هذه التَّوصياتِ الدَّوْليَّةِ الآثمةِ دعوةً صريحةً لنشْر الفسادِ في الأَرْض وإِشَاعةِ العلاقاتِ المُحرَّمةِ.. مِنْ أَجْل ذلك ارْتفعتْ مُعدَّلاتُ الزِّنا وجرائِمُه، وظهرتْ مِنْ جرَّاءِ ذلك الأَمْراضُ التي لمْ تكنْ في أَسْلافنا.

---

(١) «حكم الزنا في القانون وعلاقته بمبادئ حقوق الإنسان في الغرب». ص (٢٥)، د/ عابد السفياني.

(٢) «العدوان علىٰ المرأة في المؤتمرات الدولية» ص (٦٠-٦١)، للدكتور فؤاد بن عبد الكريم.



جاءَ في رواية أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خِصَالٌ خَمْسٌ إِنِ ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ ونَزَلْنَ بِكُمْ - وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ - لَمْ تَظْهَرِ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّىٰ يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ فِي أَسْلَافِهِمْ، وَلَمْ يُنقِصُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا القَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَا نَقَضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سُلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوٌّ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَيَأْخُذُ بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ إِلَّا جُعِلَ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ»(١).

وصدَق رَسُولُ الله ﷺ فها هي الأَمْراضُ الخبيثةُ بدَأَتْ تَنْخَرُ في مجتمعاتنا مِنْ جرَّاءِ جريمةِ الزِّنا ونحوِها من الفواحش؛ مثْلِ أَمْراضِ: الهربس والزهريِّ والسَّيلان والإيدز وغيرِها؛ فمُنْذُ عام ١٩٨١م حتَّىٰ نهاية عام ٢٠١٤م بلَغ عددُ الوفياتِ من جرَّاءِ مرض الإيدز قرابةَ ٣٩ مليون، أَمَّا في عام ٢٠١٣م وحْدَه فقدْ بلغتْ الوفيات قريبًا مِنْ مليون ونصفٍ، أَمَّا عدد المُصابين في هذا العام ٢٠١٣م ٣٥ مليون.

وتقول مراكزُ الأَبحاثِ في الأُمَمِ المُتَّحدةِ أَنَّها بحلول عام ٢٠١٥م بحاجةٍ للتَّصدِّي لمرض الإيدز لما بين ٢٢ – ٢٤ مليار دولار(٢)، وأَصْبحتْ تجارةُ الرَّقيقِ الأَبيضِ وغير الأَبيض لها سوقُها ورَواجُها ورُوَّادُها والعياذُ بالله..

والمنافقون ممَّن يُروِّجون للفاحشة لهم في ذلك سبقٌ وباعٌ طويلةٌ، وهُمْ ينتهزون الأَزَماتِ، ويقتنصون الشَّدائِدَ ومناطقَ الحُروبِ؛ لتَرْويجِ هذا الفسادِ، واسْتِثْمار ظُروفِ النَّاس، ومُعاناتِهم في مثل ذلك.

---

(١) أخرجه ابن ماجه، كتاب: باب: العقوبات، برقم: (٤٠١٩)، من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٢٤٦).

(٢) تقرير «الفجوة» الصادر عن برنامج الأمم المتحدة للإيدز لعام (٢٠١٤).

ففي العِرَاقِ مثلًا وعلى الحُدُودِ تحديدًا بدَأَتْ عملِيَّاتُ التِّجارةِ الدَّنِيْئَةِ بَدْءًا بالسِّلاح وانْتِهاءً باللَّحْمِ الأَبيضِ - كما يُقال- ووقَع في ذلك فتياتٌ جامعيَّاتٌ وغيرُهنَّ.. وكان مِنْ بين حِيَل المَكْر والتَّغْرِيرِ خِداعُ أُولئِك الفتياتِ والنِّساءِ بالعمل في دُوَلٍ خليجيَّةٍ، ثم لا تلْبَثُ القضيَّةُ أَنْ تكونَ دعارةً وتِجارةً(١) ممَّا يُذكِّرك بعَبْدِ الله بنِ أُبَيٍّ بنِ سَلُولٍ.. وكيف أَنَّ أَحْفادَه يتناسلون وعلى خَطْوِه وخُطَاه يسيرون..

١٤ـ شحيحون مالا وعملا:

ومِن السِّمات التي يتعامَلُ بها المنافقون مع المُؤْمنين وهي مِنْ صفاتِهم الجليَّةِ الواضحةِ أَنَّهم من البُخْلِ والشُّحِّ بمكانٍ، ومِنْ وراءِ ذلك يقعدون عن العمل، لا ينبعثون لأَداءِ واجبٍ، ولا يتحمَّلون تبِعَةً، ولا يدعمون مسيرةً، ولا يُنجِزون دورًا.. بلْ يتسلَّلون لِواذًا، ويَنْخذِلون خُفْيةً، ويتحجَّجون بالمعاذير الواهيَّةِ، وخيرُ شاهدٍ لمِثْلِ ذلك ما كان في غَزْوَةِ الأَحْزابِ من حفْرٍ للخَنْدَقِ، وفي غزوة تَبُوكَ من شُحٍّ في النَّفَقة، ولَمْزِ المُطَّوِّعين من المُؤْمنين في الصَّدقات، والانْخذالِ عن الجيش بعد الخروج مع الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وفوق ذلك يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بما لمْ يفعلوا؛ يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [سورة الأحزاب:١٨-١٩].

(١) نشر ذلك في بعض القنوات يوم الثلاثاء (٢٨/ ٤/ ١٤٢٨هـ) ولمزيد اطلاع ففي الإنترنت مواقع رسمية عالمية لهذه الإحصاءات.



قولُه تعالىٰ: ﴿أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۚ﴾ أَيۡ: بُخلاءُ عليكم، لا يعاونونكم بحَفۡرِ الخَنۡدق، ولا بالنَّفقة في سبيل الله. قال مُجَاهِدٌ وقَتَادَةُ: وقيل «أَشِحَّةً بالقتال معكم. وقيل بالنَّفقة علىٰ فُقرائِكم ومساكينكم. وقيل أَشِحَّةً بالغنائِم إِذَا أَصَابوها»(١).

وقد وُفِّق ابنُ جَرِيرٍ الطَّبريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال: «إِنَّ الشُّحَّ في الآيةِ مُطلقٌ غيرُ مُخصَّصٍ»(٢) ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ﴾ [سورة الأحزاب:١٩]؛ أَيۡ: أَشِحَّةً علىٰ الغنيمةِ إِذَا ظَفَر المُؤۡمنون(٣).

قال قَتَادَةُ: «إِذَا كان وقتُ قِسۡمة الغنيمة بسَطوا أَلۡسِنَتَهم فيكم، يقولون أَعۡطُونا، فلستم أَحَقَّ بها منَّا، فأَمَّا عند البَأۡسِ فأَجۡبَنُ قومٍ، وأَخۡذَلُهُ للحقِّ، وأَمَّا عند الغنيمة فأَشَحُّ قومٍ»(٤).

ولأَنَّ الشُّحَّ مُتجذِّرٌ في قلوبهم ومُتأَصِّلٌ في نفوسهم، كرَّره الله في وصفِ حالِهم مرَّتَيۡنِ؛ فهُمۡ أَشِحَّةٌ نَفَقَةً وعملًا، ومِنۡ قُبۡح شُحِّهم لا يرغبون في نفقةِ غيرِهم ومعاونتِهم إِيَّاكم.

قال سيِّدُ قُطۡبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا الأُنۡموذجُ من النَّاس لا ينقطع في جِيلٍ، ولا في قبيلٍ؛ فهو موجودٌ دائِمًا، وهو شجاعٌ فصيحٌ بارزٌ حيثُما كان هناك أَمۡنٌ ورَخاءٌ، وهو جبانٌ صامتٌ مُنۡزَوٍ حينما كان هناك شدَّةٌ وخوفٌ، وهو شحيحٌ بخيلٌ علىٰ الخير وأَهۡلِ الخير لا ينالهم منهم إِلَّا سلاطةُ اللِّسان»(٥).

---

(١) «فتح القدير» (٤/ ٣١٠).
(٢) «جامع البيان» (١٠/ ٢٧٦).
(٣) المرجع السابق (١٠/ ٢٧٦).
(٤) أخرجه الطبري عن قتادة (٢١/ ١٤١) وسنده حسن.
(٥) «في ظلال القرآن» (٥/ ٢٨٤٠).



لذا كان جزاؤُهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ [سورة الأحزاب:١٩]؛ فهم البُعَداءُ عن مهابط رحمات الله عَزَّوَجَلَّ لا يقبل الله منهم صَرْفًا ولا عدْلًا.

١٥ـ سِماتهم حالَ الجهاد:

إِنَّ من المواقف التي تظهَر فيها حقيقةُ المنافقين وتنكشفُ من ورائِها دواخلُهم ما يكون من شَأْنِهم حالَ الجِهاد والغَزْوِ، لذا تبْرُز لهم سِماتٌ عديدةٌ، وتتبدَّىٰ نفوسُهم عن خِلالٍ دنيئَةٍ. فمِنْ ذلك:

أ – تخلُّفُهم عن القتال مع المُؤْمنين وفَرَحُهم بذلك:

قال تعالىٰ: ﴿فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة:٨١].

لقد جاءَتْ غزوةُ تَبُوكَ مواتيةً لحَرٍّ شديدٍ وبُعدِ مسيرٍ وبَأْسِ عَدُوٍّ؛ إِذْ جولةُ الصِّراع والاقتتالِ هذه المرَّةِ ليستْ مع قُرَيْشٍ أَوْ قبائِلِ العَرَبِ، بلْ مع الرُّومِ أَقْوىٰ قُوَّتين في ذلكم الزَّمان.. وانْضَافَ إِلَىٰ كلِّ هذه الشَّدائِدِ والصِّعابِ قِلَّةُ المَؤُونَةِ والزَّادِ والرَّاحلةِ، فنادىٰ النَّبيُّ ﷺ للجِهاد وللصَّدقة، فتَوَافَدَ المُؤْمنون الصَّادقون يَبْذُلون أَمْوالَهم، ويحملون علىٰ أَكُفِّهم أَرْواحَهم رَخِيْصةً في سبيل الله، وطَمَعًا في رِضْوانه.

وكعادةِ المنافقين جاءُوا ليُؤْذَنَ لهم، وقعَدوا عن الغَزْوِ، وتخلَّفوا عن القتال، ورَضُوا لأَنْفسهم المهانةَ والهوانَ والجُلوسَ مع النِّسْوان، بلْ وفَرِحُوا واغْتَبَطُوا بذلك؛ حيثُ طابتْ ثِمارُ المَدِيْنَةِ، ونخيلُها، وأَيْنعتْ بأَنْواع تمرِها ورَطْبِها، وليستْ هذه الحالُ من المنافقين بمُستغرَبةٍ، بلْ هي المُتوقَّعةُ الأَكيدةُ..

البكَّاءُون السَّبْعة:

إِنَّهم نفرٌ من المُؤْمنين عجَزوا عن النَّفقة؛ لفَقْرِهم، وعن مركوبٍ يُجاهدون عليه؛ لمَسْغبتِهم، فجاءُوا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ لا ليأْذَنَ لهم في التَّخلُّف، وأَتُوا مَسْجدَه، لا ليَعذُرهم، فيقعدوا مع القاعدين، ولكنْ لعلَّه يجدُ ما عليه يَحْمِلُهم، وللغَزْوِ معه يُبلِّغُهم؛ ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة التوبة:٩٢].

سمَّاهم بعضُ العلماءِ بالبكَّائِين السَّبْعةِ الَّذين حزِنوا وهُمْ صادقون، وبَكُوا وهُمْ مُخلِصون، حتَّىٰ بلَغ الحالُ بعُلْبَةَ بنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١) أَحَدِ البكَّائِين أَنْ صلَّىٰ مِنَ اللَّيْلِ وهو يبكي ويقول: اللَّهُمَّ إِنَّك قدْ أَمَرْتَ بالجِهاد ورغَّبْتَ فيه، ولمْ تجعَلْ عندي ما أَتقَوَّىٰ به مع رَسُولِك، وإِنِّي أَتصدَّق علىٰ كلِّ مُسْلمٍ بكلِّ مَظْلمةٍ أَصابَتْني في جسدٍ أَوْ عِرْضٍ.

فأَخْبَرَهُ النَّبيُّ ﷺ أَنَّه قَدْ غُفِرَ لَهُ(٢)، فكان جزاءُهم وثوابُهم ما رواه أَنَسُ بنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «إِنَّ بالمَدِيْنَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيْرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ» قالوا: يا رَسُولَ الله، وهُمْ بالمَدِيْنَةِ؟! قال: «وَهُمْ بِالْمَدِيْنَةِ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ»(٣).

---

(١) هو: علبة بن زيد بن عمرو الأنصاري الأوسي كان أحد البكائيين في غزوة تبوك وكان ممن تصدق بعرضه على من نال منه يوم أن لم يجد ما يتصدق به رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر في ترجمته «الإصابة» (٢/ ٥٠٠).

(٢) انظر: «المجتمع المدني» (٢٣٥) لأكرم العمري.

(٣) البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: من حبسه العذر عن الغزو، برقم: (٤١٦١).



كره الله انبعاثَهم فثبَّطهم:

أَمَّا المنافقون فصدَق فيهم قولُه تعالىٰ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٦٧] . كان هذا المشهدُ مُمَثِّلًا لحال تخاذُلِهم وقعودِهم عن الغزو يوم أُحُدٍ، وأَمَّا في غزوةِ تبُوكَ فقدْ كشَف الله ما انعقدتْ عليه قلوبُهم من الرِّضا بالدُّون والهوانِ والقُعودِ عن الجِهاد، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ۝٤٥ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ﴾ [سورة التوبة:٤٥-٤٦].

إِنَّ مَنْ عزَم على الجهاد جهَّز له، ومَنْ عقَد النِّيَّةَ على الغزو بادَر إِليه، ومَنْ رَغِبَ في الشَّهادة سعى لمظانِّها، ومن اشْتمَّ ريحَ الجَنَّةِ شمَّر إِليها..

أَمَّا المنافقون فليسوا مِنْ ذلك في شيءٍ.. بلْ نفوسُهم مُتردِّدةٌ، وعزائِمُهم نخِرةٌ، وأَرْواحُهم جبانةٌ مُنْهزِمةٌ، وهذه الثَّمرةُ الطَّبيعيَّةُ المُتوقَّعةُ لأَنْفُسٍ لمْ يجِد الإِيمانُ بين جوانبها موضعًا، ولأَفْئِدَةٍ لم يجِد القُرْآنُ إِلىٰ شَغافِها سبيلًا، فأَنَّى لمَنْ هذا شَأْنُه وهاتيكمو سِمَتُه أَنْ يبْذُلَ أَوْ يُنفقَ أَوْ يُجاهدَ أَوْ يُساندَ..

ولمَّا كانت تلك حالةُ المنافقين جاءَ القُرْآنُ صارمًا في التَّعامُلِ معهم: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ﴾ [سورة التوبة:٨٣].

إِنَّه القرارُ الحكيمُ مِنْ لَدُنْ عليمٍ خبيرٍ، فلا خروجَ مع المُؤْمنين أَبدًا، ولا قتالَ؛ فليسوا أَهْلًا لذلك؛ فهُمْ أَحْرص النَّاس على حياةٍ، وفوق ذلك لو خرَجوا مع المسلمين ما زادوهم إِلَّا خبالًا وتخذيلًا... إلخ.

ولأنَّهم جُبناءُ خوَّارون يحسبون كلَّ صيحةٍ عليهم، يجيءُ البيانُ القُرآنيُّ موضِّحًا حالتَهم هذه في قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۚ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ﴾ [سورة الأحزاب:١٩]؛ ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ﴾ [سورة الأحزاب:٢٠].

أَيْ: يودُّون إِذَا جاءَتِ الأَحْزابُ لقتال المسلمين أَلَّا يكونوا حاضرين في المَدِينَةِ، بلْ في البادية يسألُون عن أَخْبارِكم، وما كان مِنْ أَمْرِكم مع عَدُوِّكم ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الأحزاب:٢٠].

ولو كانوا بين أَظْهُرِكم لمَا قاتَلوا معكم إِلَّا قليلًا؛ لكثرة جُبْنِهم، وذِلَّتِهم، وضَعْفِ يقينِهم، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ العالمُ بهم(١).

ب- تحايُلُهم للانْسحاب والفرارِ من الزَّحْف:

ومِن سِماتِهم عدمُ ثباتِهم في المواقف والأَزماتِ، بلِ الفرارُ من الجِهاد مسلكُهم، والتَّولِّي يوم الزَّحْف دَيْدَنُهم؛ قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَـٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ۝٥٦ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [سورة التوبة:٥٦-٥٧].

والمَلْجأُ: المكانُ المُحصَّنُ كقَلْعَةٍ وحِصْنٍ.

والمغاراتُ: جَمْعُ غارٍ وهو الجوفُ الفارغُ في داخل جبلٍ.

والمُدَّخلُ -بتشديد الدَّال: مكانٌ يختبئُ فيه الخائِفُ؛ كحُفْرةٍ في الأَرْض، أَوْ فراغٍ بين صخرتين، أَوْ جِدارين.

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٠).

ويَفْرَقون -بتخفيف الرَّاء: يفزعون، ويخافون خوفًا شديدًا.

ويجْمَحُون: الجموحُ: الفرسُ الخارجُ عن طاعة سيِّدِه. ومن الرِّجال هو المُنطلق بعُنُفٍ ومعاندةٍ، مع ركوبِ هوًى(١).

هذه حالُ المنافقين؛ فهُمْ من شدَّة خوفِهم وهلعِهم وجزَعِهم يبحثون عن مَوْضِعٍ يسترهم، أَوْ مَخْبأٍ يُؤْوِيهم؛ فرارًا من العَدُوِّ وهربًا من الموت وبُعْدًا عن الهلكة، وهذا معنى ﴿لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [سورة التوبة:٥٧] وفي قولِه تعالى بيانٌ يجلِّي تولِّيهم وفرارَهم ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًاۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور:٦٣].

التَّسلُّلُ: الذِّهاب بخُفية دون إِحْداثِ جَلَبةٍ أَوْ حركةٍ تَلْفِتُ الأَنْظارَ، كما تُسْتَلُّ الشَّعرَةُ مِنْ العَجِين.

لِواذًا: مصدرُ «لَاوَذَ» بمعنى اسْتَتَرَ وحَادَ ورَاوَغَ مُنْفتِلًا بغير إِذْنٍ منصرفًا بدون عِلْمِ النَّبِيِّ ﷺ(٢).

وأَهْلُ التَّفْسير على قولَيْنِ في بيان شَأْنِ التَّسلُّل:

١ـ فمِنْهُمْ مَنْ قال هو مغادرتُهم المجالسَ العامَّة للنَّبِيِّ ﷺ وخصوصًا التي يكونُ فيها تكاليفُ ومهامٌّ يُطْلَبُ من المُؤْمنين النُّهوضُ بها وأَدَاءُها، فنجد المنافقين يضِيقون بهذه المجامعِ ذَرْعًا، وتمتلئُ قلوبُهم بها حرجًا، وتثقل عليهم، فلا صَبْرَ لهم على المُكْثِ فيها مع المُؤْمنين، ولا حِيْلةَ لهم إِلَّا أَنَّهم يتسلَّلون بخُفْيةٍ؛ مخافةَ

(١) «ظاهرة النفاق» (٢/ ٢٦٤)، للميداني.

(٢) المرجع السابق (٢/ ٤٥).



التَّكْليف، ويخرُجون خِلْسةً؛ حذرًا من تحمُّل واجبٍ، أَوْأَداءِ مُهِمَّةٍ، كلُّ ذلك دُونَ اسْتِئْذانٍ، ولا عِلْمٍ من النَّبيِّ ﷺ.

وقدْ أَنْزل اللهُ قولَه تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النور:٦٢].

إِنَّه أَدَبٌ كريمٌ وخُلُقٌ نبيلٌ يحمل في طيَّاتِه التَّقديرَ والإِجْلالَ للنَّبيِّ ﷺ أَوْ لمَنْ كان قائِمًا علىٰ ذلك الشَّأْنِ، وفي ذلك تربيةٌ وتدريبٌ علىٰ الانْضباط.

قال الإِمَامُ الطَّبَرِيُّ: «ما المُؤْمنون حقَّ الإِيمان إِلَّا الَّذين صدَقوا اللهَ ورَسُولَه ﷺ ﴿وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ [سورة النور:٦٢]؛ أَيْ: علىٰ أَمْرٍ يجمع جميعَهم مِنْ حرْبٍ حضرتْ أَوْ صلاةٍ وجبتْ أَوْ تشاوُرٍ في حادثةٍ نزلتْ؛ قال مَكْحُولٌ [(١)]: «أَيْ يومَ الجُمُعَةِ لم ينصرفوا عمَّا اجْتمعوا له من الأَمْر حتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوا رَسُولَ الله ﷺ» [(٢)].

٢- وذهَب بعضُ المُفسِّرين إِلَىٰ أَنَّ المرادَ تسلُّلُ المنافقين، وانْصرافُهم خِلْسةً عن المشاركة في الجِهاد والغَزْوِ؛ إِمَّا قبل الخروج لملاقاة العَدُوِّ بذكرهم المعاذيرَ الكاذبةَ والعِلَلَ الواهيَةَ، وإِمَّا بعد خروجهم مع المُؤْمنين، ثُمَّ نُكُوصِهم علىٰ رُءُوسِهم، وتَراجُعِهم القَهْقَرىٰ. وهذا ما سيأْتي بيانُه فيما يلي..

---

(١) مكحول: هو مكحول الشامي، أبو عبد الله، ويقال أبو أيوب، ويقال أبو مسلم (والمحفوظ الأول)، الدمشقي الفقيه. (توفي سنة ١٠٠ هـ وبضع عشرة). ينظر: «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي (٢٨/ ٤٦٤)، «تهذيب التهذيب»، لابن حجر (١٠/ ٢٥٨).

(٢) «تفسير الطبري» (١٨/ ١٣٣).



جـ - حلفهم الأَيمانَ الفاجرةَ للانْصراف بأَعْذارٍ واهيةٍ:

قال تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة التوبة:٤٢]؛ صدر منهم ذلك في غَزْوةِ تبُوك، ثُمَّ بَدَرَ منهم مثل ذلك يوم الأَحْزاب: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [سورة الأحزاب:١٣].

أعذارُ المنافقين:

إِنَّ المُتأَمِّل في أَعْذار المنافقين الواهيَةِ الكاذبةِ عن المشاركة في الجِهاد، يجِدها تنحصر تقريبًا فيما يلي:

١- زعمُهم أَنَّ بيوتَهم عورةٌ:

كما قال الله تعالى: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [سورة الأحزاب: ١٣]، وهذا في غزوة الأَحْزاب.

٢- زعمُهم أَنَّ المُؤْمنين لن يلقوا عَدُوًّا.

قال عزَّ في عُلاه: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [سورة آل عمران:١٦٧]، وهذا في غزوة أُحُدٍ بعد تولِّيهم وانْصرافِهم بثُلُثِ الجيش.

٣- زعمُهم أَنَّهم يخافون على أَنفُسِهم فتنةَ النِّساءِ:

كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة التوبة:٤٩].

ذكَر بعضُ المُفسِّرين أَنَّها نزلتْ في الجَدِّ بنِ قَيْسٍ حين سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ القعودَ عن



الجهاد، واعتذر بأنَّه لا صبرَ له إنْ رأىٰ نساءَ بني الأصْفَر -الروم-(١) وهو عُذْرٌ واهٍ؛ لأنَّه وإنْ كان كما ذكَر لا يصبر علىٰ نساءِ بني الأصْفر؛ فإنَّ ساحةَ القتالِ وما يحدث فيها من تلاحُمٍ بين الصُّفوف وتراشقٍ بالسِّهام وضربٍ بالسُّيوف، كفيلةٌ بأنْ تُنْسيَه ذلك بالكُلِّيَّةِ.

ثُمَّ إنَّ الانْفرادَ بالنِّساءِ في هذه المواقف أَمْرٌ عسيرٌ إلَّا علىٰ من مَلأَ المَرَضُ قلبَه، وتمكَّن الدَّاءُ من نفسه، أَمَّا قعودُه في المَدِيْنَةِ ولا يُوجَد في بيوتِها إلَّا النِّساءُ وبعضُ ذوي الأعْذار مِن الشُّيوخ والوِلدانِ والمَرْضى والفُقراءِ، ففتنةُ النِّساءِ هنا أَقْربُ إلَيه من هناك، ولذلك لـم يقبل الله عُذْرَه فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة التوبة:٤٩].

فلو أَنَّ هذا المنافقَ صادقُ الإيْمان والتَّوجُّهِ والولاءِ لواجه الفِتْنَةَ اليسيرةَ؛ فرارًا من الفتنةِ العظيمةِ، وهي فتنةُ الكُفْرِ والنِّفاقِ، التي تُوصِلُه إلَىٰ جَهَنَّمَ وبِئْسَ القرارُ(٢).

٤- زعمُهم أنَّه لا مالَ عندهم وإلَّا لشاركوا في الجِهاد:

قال تعالىٰ: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة التوبة:٤٢] والمعنىٰ: لو قدَرْنا، وكان لنا سعةٌ من المال، لخَرَجْنا معكم ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾ [سورة التوبة:٤٢] بالكذبِ والنِّفاقِ ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة التوبة:٤٢] ؛ لأنَّهم كانوا أَغْنياءَ ولم يخرجوا(٣) وذلك في غزوة تَبُوكَ، والدَّليلُ علىٰ غِناهم ما قاله تعالىٰ: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [سورة التوبة: ٨٦] ،

(١) «تفسير الطبري» (١٠/ ١٠٤) و«تفسير ابن كثير» (٤/ ١٤١).
(٢) «دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة»، (ص٢٣٢-٢٣٣) د/ عادل الشدي.
(٣) «زاد المسير» (٣/ ٤٤٤) بتصرف يسير.



وأُولُوا الطَّول؛ أَيِ: الغِنى. وقولُه سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة التوبة:٩٣]، وهذا في غزوة تَبُوكَ.

٥ - زعمُهم أَنَّ أَمْوالَهم وأَهْلِيهم قد شغلتْهم عن الخروج للجهاد:

قال سبحانه: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾ [سورة الفتح:١١].

نقَل القُرْطُبِيُّ عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّهم غِفارُ ومُزَيْنَةُ وجُهَيْنَةُ وأَسْلَمُ وأَشْجَعُ والدَّيلُ، وهم الأَعْرابُ الذين كانوا حولَ المَدِينَةِ. قال الإِمَامُ القُرْطُبِيُّ بعد ذلك: وهذا هو النِّفاقُ المحضُ»[1].

خرَج النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عام الفتح إِلَى مَكَّةَ وقد أَحْرَمَ بعُمْرَةٍ، وساق الهَدْيَ؛ ليعلمَ النَّاسُ أَنَّه لا يريد حربًا، فتثاقلوا عنه، وتعلَّلوا بأَنَّه قد شغَلهم عن الخروج معه معالجتُهم لأَمْوالهم، وإِصْلاحِ معايشهم، والقيام بأَهْليهم[2]؛ ﴿شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ﴾ [سورة الفتح: ١١].

هذا ما أمكن حصْرُه من هذه الأَعْذار الواهيَةِ الكاذبةِ، ولعلَّ غيرَها كثيرٌ..

د - تخذيلُهم المُؤْمنين ببثِّ الشَّائِعات بينهم قبلَ الغزوات:

والإِرْجافُ خاصٌّ بنقل الأَخْبار السَّيِّئَة المتضمِّنة للشَّرِّ. والإِشَاعةُ تشمل نقلَ الأَخْبار، سَيِّئِها، وحَسَنِهَا[3].

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٦٨).

(٢) «تفسير الطبري» (٢٦/ ٤٨)، «تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٦٨).

(٣) «المرجفون»، أحمد بن ناصر الخطاف ... طبعة: دار طيبة للنشر والتوزيع ... الطبعة الأولى - (١٤٢١ هـ) (ص٦).

لقد درج المنافقون في تعامُلِهم مع المجتمع المسلمِ على بثِّ رُوحِ الهزيمةِ، وإِشَاعةِ الدِّعاياتِ الكاذبةِ، والأَرَاجيفِ الباطلةِ؛ زَعْزَعَةً للصَّفِّ، وتوهينًا للقُوىٰ، وكسرًا للشَّوكة، وتقويضًا للعزائِم..

لذا كانتْ هذه السِّمةُ من أَبرزِ خصائِصِ وخِلال المنافقين، بلْ مِنْ أَظْهَرِ سِهَامِهم ورِمَاحِهم الَّتي يُوجِّهونها للجسد المسلمِ، فكان ذلك منهم علىٰ أَحْوالٍ مُتعدِّدَةٍ، وأَوْجُهٍ مُخْتلفةٍ، منها:

إِرْجافُهم المُؤْمنين قبل خروجهم للغزوات:

أ. مواقفُ توهينِهم وتخذيلِهم للمُؤْمنين قبلَ غزوة الأَحْزاب:

فهاهُمْ في غزوة الأَحْزاب يحكي الله حالَهم وتخذيلَهم وتعويقَهم للمُؤْمنين؛ حتَّىٰ يصدُّوهم عن الخروج مع النَّبيِّ ﷺ ومشاركتِه في لُقْيا عَدُوِّه:

قال سبحانه: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ﴾ [سورة الأحزاب:١٨-١٩].

أَوْرَدَ الإِمَامُ القُرْطُبِيُّ في تفسيره لهذه الآيةِ ثلاثةَ أَقْوالٍ جاءَ فيها:

أَحَدُها: أَنَّهم المنافقون؛ قالوا للمسلمين: ما مُحَمَّدٌ وأَصْحابُه إِلَّا أَكَلَةُ رَأْسٍ، وهو هالكٌ ومن معه، فهَلُمَّ إِلَينا.

الثَّاني: أَنَّهم اليَهُودُ من بني قُرَيْظَةَ؛ قالوا لإِخْوانهم من المنافقين: هلُمَّ إِلَينا؛ أَيْ: تعالوا إِلَينا، وفارقوا مُحَمَّدًا؛ فإِنَّه هالكٌ، وإِنَّ أَبَا سُفْيَانٍ إِنْ ظفِر، لم يُبْقِ منكم أَحدًا.

الثَّالثَ: ما حكاه ابنُ زَيْدٍ: أَنَّ رجلًا مِنْ أَصْحاب النَّبيِّ ﷺ كان بين الرِّماح والسُّيوف، فقال أَخُوه وكان من أُمِّه وأَبِيه: هلُمَّ إِلَيَّ، قد تُبع بك وبصاحبك؛ أَيْ:



قد أُحِيط بك وبصاحبك. فقال له: كذَبْتَ، والله لأُخْبِرَنَّه بأَمْرِك. وذهَب إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ ليُخْبِرَه، فوجده قدْ نزَل عليه جِبْرِيْلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بقوله تعالىٰ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [سورة الأحزاب:١٨] . ذكَره الماوَرْدِيُّ والثَّعْلَبيُّ (١) أَيْضًا.

ولفظُه: «قال ابنُ زَيْدٍ: هذا يوم الأَحْزاب، انْطَلَق رجلٌ مِنْ عند النَّبيِّ ﷺ فوجد أَخَاهُ بين يديه رغيفٌ وشِواءٌ ونبيذٌ، فقال له: أَنْتَ في هذا ونحن بين الرِّماح والسُّيوف؟ فقال: هلُمَّ إِلَيَّ هذا، فقد تُبع لك ولأَصْحابك، والذي تحْلِف به لا يستقلُّ بها مُحَمَّدًا أَبدًا. فقال: كذَبْتَ، فذهَب إِلَىٰ النَّبيِّ ﷺ يُخْبِرُه، فوجده قدْ نزَل عليه جِبْرِيْلُ بهذه الآيةِ: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الأحزاب:١٨] ، خوفًا من الموت. وقيل: لا يحضرون القتالَ إِلَّا رِياءً وسُمْعةً»(٢).

وتأَمَّلْ هنا أَنَّ المنافقين لا يكفيهم تخلُّفُهم عن الغَزْوِ، وقعودُهم عن المشاركة، بلْ إِنَّهم فوق ذلك يجهدون في تَثْبِيط وتَقْعِيدِ مَنِ استطاعوا تخذيلَه من المُؤْمنين، وتوهينِهم بمزاعمهم في مشاركتهم للنَّبيِّ ﷺ .

(١) هو: أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الثعلبي، النيسابوري، المفسِّر المشهور، (توفي: ٤٢٧ هـ)، كان أوحد زمانه في علم التفسير، وصنَّف «التفسير الكبير» الذي فاق غيره من التفاسير، وقال السمعاني: يقال له: الثعلبي والثعالبي وهو لقب لا نسب، روىٰ عن جماعة، وكان حافظًا عالمًا بارعًا في العربية موثَّقًا، أخذ عنه أبو الحسن الواحدي، وذكره عبد الغفار بن إسماعيل الفارسي في «تاريخ نيسابور» وأثنىٰ عليه، وقال: وهو صحيح النقل موثوق به، حدَّث عن أبي طاهر ابن خزيمة، والإمام أبي بكر بن مهران المقرئ، وكان كثير الحديث كثير الشيوخ، توفِّي سنة سبع وعشرين وأربعمائة.
ينظر: «وفيات الأعيان» (١/ ٧٩- ٨٠)، «الوافي بالوفيات» (٧/ ٣٠٧)، «معجم الأدباء» (٥/ ٣٦)، السبكي في «طبقات الشافعية الكبرىٰ» (٤: ٥٨-٥٩).

(٢) «تفسير الإمام القرطبي» (١٤/ ١٠٠).

ب ـ مواقفُ توهينِهم وتخذيلِهم للمُؤْمنين قبل غزوةِ تبُوكَ:

فمنها ما ذكَره الله بقوله سبحانه: ﴿ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴾ [سورة التوبة:٨١]؛ إِنَّه مسلكُ المنافقين الأَرْعَنُ؛ فهاهُمْ قبل غزوةِ تَبُوكَ وأَثْناءَ مُناداةِ النَّبيِّ ﷺ للمُؤْمنين للخروج والصَّدقةِ، كانوا هُمْ في المقابل يُثبِّطون النَّاس، ويقولون: لا تَنْفِرُوا في الحَرِّ.

جاءَ في سيرة ابنِ هِشَامٍ أَنَّ أُنَاسًا من المنافقين كانوا يجتمعون في بيت سُوَيْلَمٍ اليَهُودِيِّ يُثبِّطون النَّاس عن رَسُولِ الله ﷺ في غزوة تَبُوكَ، فبعَث إِلَيهِمُ النَّبيُّ ﷺ طَلْحَةَ بنَ عُبَيْدِ الله (١) في نَفَرٍ من أَصْحابِه، وأَمَرَه أَنْ يُحرِّقَ عليهم بيتَ سُوَيْلَمٍ، ففعَل، فاقْتحم الضَّحَّاكُ بنُ خَلِيْفَةَ مِنْ ظَهْر البيت، فانْكسرتْ رِجْلُه، واقْتَحَمَ أَصْحابُه، فأَفْلتوا، وكان منهم ابنُ أُبَيْرِقٍ (٢).

---

(١) هو: طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو القرشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أبو محمد، صحابي، شجاع. وهو أحد العشرة المبشرين، وأحد الستة أصحاب الشورى، وأحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، ويقال له «طلحة الجود» و«طلحة الخير» و«طلحة الفياض» وكل ذلك لقبه به رسول الله ﷺ في مناسبات مختلفة.

شهد أحدًا وثبت مع رسول الله - ﷺ، وبايعه على الموت، فأصيب بأربعة وعشرين جرحًا، ووقى النبي ﷺ بنفسه، واتقى النبل عنه بيده حتى شلت أصبعه، شهد الخندق وسائر المشاهد، وكانت له تجارة وافرة مع العراق.

روى عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيرهم. وعنه أولاده: محمد وموسى ويحيى وعمران وعائشة، ومالك بن أوس بن الحدثان وغيرهم. (توفي: ٣٦ هـ، يوم الجمل).

ينظر: «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر(٢/ ٢٢٩)، «الاستيعاب» (٢/ ٧٦٤)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (١/ ٢٣).

(٢) رواه ابن هشام (٤/ ٢١٧-٢١٨). وقال عنه صاحب «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية دراسة توثيقية تحليلية»: إسناده منقطع؛ فهو ضعيف. (٢/ ١٩٩) د/ مهدي رزق الله.

وتظلُّ سياسةُ المنافقين ماضيةً في إِحْداث البَلْبَلَةِ، وتقويضِ الهِمَمِ، يَنْتَهِزُون الفُرَصَ، يستثمرون الأَحْداثَ؛ ففي غزوة تَبُوكَ نفسِها يذكُر ابنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- كما ذكَر غيرُه من أَصْحاب السِّيَرِ شَأْنَ أُولئِك الرَّهْط من المنافقين، منهم وَدِيْعَةُ بنُ ثَابِتٍ أَخُو بني عَمْرِو بنِ عَوْفٍ، ومنهم رَجُلٌ من أَشْجَعَ حليفٌ لبني سَلَمَةَ يُقال له: مَخْشِيٌّ (١) بنُ حُمَيِّرٍ (٢)(٣).

قال بعضُهم لبعض: والله لكأنَّا بكُمْ غدًا مُقرَّنين في الحبال إِرْجافًا وتَرْهِيبًا للمُؤْمنين. فقال مَخْشِيٌّ بنُ حُمَيِّرٍ: والله لوَدِدْتُ أنِّي أُقَاضَى على أَنْ يُضرَبَ كلٌّ منَّا مِائَةَ جلدةٍ، وأنَّا ننفلتُ أَنْ ينزل فينا قُرْآنٌ لمقالتِكم هذه.

قال رَسُولُ الله ﷺ لعَمَّارِ بنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَدْرِكِ الْقَوْمَ؛ فإِنَّهُمْ قَدِ احْتَرَقُوا، فَسَلْهُمْ عَمَّا قَالُوا؟ فإِنْ أَنْكَرُوا، فَقُلْ: بَلْ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا»، فانْطَلَقَ إِلَيهم عمَّارٌ، فقال لهم ذلك، فأَتَوا رَسُولَ الله ﷺ يعتذرون إِلَيه، فقال وَدِيْعَةُ ابنُ ثَابِتٍ: كُنَّا نخُوضُ ونلعبُ. فأَنْزل الله فيهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [سورة التوبة:٦٥].

---

(١) قال ابن ماكولا: مخشي بسكون الخاء وكسر الشين المخففة وبعدها ياء. ينظر: «الإكمال» (٧/ ١٧٦).

(٢) حميِّر: ياءه مشددة مكسورة. ينظر: «الإكمال» (٢/ ٥١٧).

(٣) هو: مخشي بن حميّر الأشجعي، حليف لبني سلمة من الأنصار، كان من المنافقين له ذكر في مغازي ابن إسحاق في غزوة تبوك، وفي «تفسير ابن الكلبي» بسنده إلى ابن عباس، وبسند آخر إلى ابن مسعود أنه ممن نزل فيه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [سورة التوبة: ٦٥] قال: فكان ممن عفي عنه مخشي بن حمير، فقال: يا رسول الله، غير اسمي واسم أبي، فسماه عبد الله بن عبد الرحمن، فدعا مخشي ربه أن يقتل شهيدًا حيث لا يعلم به، فقتل يوم اليمامة، ولم يعلم له أثر.

ينظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر (٣/ ١٣٨١)، «أسد الغابة»، لابن الأثير (٥/ ١٢٠)، «الإصابة في تمييز الصحابة» (٦/ ٤٤).



فقال مَخْشِيُّ بنُ حُمَيِّرٍ: يا رَسُولَ اللهِ! قَعَدَ بِيَ اسْمِي واسْمُ أَبِي. فكان الذي عُفي عنه في هذه الآية، وتَسمَّىٰ عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وسأَلَ اللهَ أَنْ يُقتَل شهيدًا لا يُعلم بمكانه، فقُتل يوم اليمامَةِ، فلمْ يُوجَدْ له أثرٌ[(١)].

ولم يقتصر إِرْجافُ المنافقين علىٰ الجماعةِ المسلمةِ، بلْ تعدَّاه إِلَىٰ أَفْرادها؛ فها هُوَ النَّبيُّ ﷺ قدْ خلَّف عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ أَهْلِه، وأَمَره بالإِقَامة فيهم، فأَرْجَفَ به المنافقون، وقالوا: ما خلَّفه إِلَّا اسْتِثْقالًا له، وتخفُّفًا منه.

فلمَّا قال ذلك المنافقون أَخذَ عَلِيُّ ابنُ أَبِي طَالِبٍ رضوانُ الله عليه سِلاحَه، ثُمَّ خرَج حتَّىٰ أَتَىٰ رَسُولَ الله ﷺ وهو نازلٌ بالجُرُف[(٢)] فقال: يا نَبِيَّ الله، زعَم المنافقون أَنَّك إِنَّما خلَّفْتني أَنَّك اسْتَثْقَلْتني، وتخفَّفْتَ منِّي. فقال: «كَذَبُوا، وَلَكِنِّي خَلَّفْتُكَ لِمَا تَرَكْتُ وَرَائِي، فَارْجِعْ، فَاخْلُفْنِي فِي أَهْلِي وَأَهْلِكَ، أَفَلَا تَرْضَى يَا عَلِيُّ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي». فرجَع عَلِيٌّ إِلَىٰ المَدِينَةِ، ومضىٰ رَسُولُ الله ﷺ علىٰ سفره[(٣)].

هذا شَأْنُ المنافقين، وذاك دَيْدَنُهم، ممَّا يُفرِّق الصَّفَّ، ويُوغِرُ الصُّدُورَ، ولكنَّ الله ردَّ كيدَهم في نُحورهم، وباءُوا بسُوءِ مقولتِهم وإِرْجافِهم؛ إِذْ أَخْبَرَ النَّبيُّ ﷺ بهذه المنقبةِ وتلك المنزلةِ وأَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منه كما هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ عليهما الصَّلاةُ والسَّلامُ.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٠٤٠٢)، وسنده حسن كما قال العلي في «صحيح السيرة النبوية» صـ (٦٠٤)، وانظر: «زاد المعاد» (٣/ ٥٣٦).

(٢) الجرف علىٰ ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام كما في «معجم البلدان» (٢/ ١٧٨).

(٣) أخرجه ابن هشام في «السيرة النبوية» (٤/ ٢٢١). وهذه الرواية عند البخاري بلفظ مقارب: ك فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ب مناقب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٣٧٠٦)، وعند مسلم: ك فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ب فضائل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٤٠٤).

هـ- تخذيلُ المنافقين للمُؤمنين، وترويجُهم للشَّائِعات أثْناءَ الغزوات:

إِنْ لمْ يُفلح المنافقون في تعويق الصَّفِّ المسلمِ وكسْرِ عزيمتِه عن الجهاد قبل الغزواتِ والمعارِكِ، فإِصْرارُهم وتماديهم يجعلهم يُمارسون المُحاولاتِ ذاتَها في أَحْلك الظُّروف وأَصْعبِ المواقف، وذلك قُبَيْلَ ملاقاة العَدُوِّ، ونشوبِ القتال.

وليس هذا منهم بعجيبٍ، ولا بمُسْتغرَبٍ؛ فمَنْ قد رَضُوا لأَنفُسِهم الانْسحابَ - أَوْ قُلِ الفرارَ - بثُلُثِ الجيش يوم أُحُدٍ، وببعض الجيش يوم تَبُوكَ، لا يُعجِزهم أَنْ تَنْطَلِقَ أَلْسِنَتُهم في زَعْزعةِ الأَنْفسِ، وإِشَاعةِ الرُّعْبِ، وبثِّ الأَرَاجيف، فمن ذلك:

١- ما كان منهم في غزوة بَدْرٍ:

لَمَّا عَزَمَ النَّبِيُّ ﷺ وصحابتُه الكرامُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على ملاقاة عَدُوِّهم، فإِذَا بأَعْناقٍ منهم تَشْرَئِبُّ؛ ليقولوا: ﴿غَرَّ هَٰؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٣].

أَيْ: ما جاءَ في دِينِهم من الوَعْد بالنَّصْر والتَّمْكينِ. قالوا ذلك لتهتزَّ صفوفُ المُؤْمنين في هذه اللَّحظاتِ الحَرِجةِ، وليَسْأَلَ ضِعافُ النُّفوس كيف سنُقابل هذه الجموعَ ولا سِلاحَ لنا ولا عَتَادَ؟!

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران:١٧٣][(١)].

قال الشَّوكانيُّ: «المرادُ بالنَّاس هنا: نُعَيْمُ بنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما سيأْتِي بيانُه. وقيل: المرادُ بالنَّاس رَكْبُ عَبْدِ الْقَيْسِ الَّذين مرُّوا بأَبِي سُفْيَانَ. وقيل: هُمُ المنافقون»[(٢)].

---

(١) انظر: «دراسة قرآنية في النفاق»، ص (١٥٤) د/ عادل الشدي.

(٢) «فتح القدير» (١/ ٤٤٥) للإمام الشوكاني رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى.



وقال الفَخْرُ الرَّازِي مُوضِّحًا - أَيْضًا - هذه الأَقوالَ: وفي المراد بقوله: ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [سورة آل عمران:١٧٣] وجوه:

الأَوَّلُ: أَنَّ هذا القائِلَ هو نُعَيْمُ بنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كما ذكرنا في سبب نزول هذه الآيةِ، وإِنَّما جاز إِطْلاقُ لفظِ النَّاس على الإِنْسانِ الواحدِ؛ لأَنَّه إِذَا قال الواحدُ قولًا وله أَتْباع يقولون مثلَ قولِه أَوْ يرضون بقوله، حَسُنَ حينئِذٍ إِضَافةُ ذلك الفعل إِلَى الكلِّ؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَءْتُمْ فِيهَا﴾ [سورة البقرة: ٧٢] ، ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [سورة البقرة:٥٥]، وهُمْ لم يفعلوا ذلك، وإِنَّما فعَله أَسْلافُهم، إِلَّا أَنَّه أُضِيفَ إِلَيهم؛ لُمتابعتِهم لهم على تصويبهم في تلك الأَفْعال. فكذا ههنا؛ يجوز أَنْ يُضافَ القولُ إِلَى الجماعةِ الرَّاضين بقول ذلك الواحِدِ.

الثَّاني: وهو قولُ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، ومُحَمَّدِ بنِ إِسْحَاقَ: «أَنَّ ركبًا من عَبْدِ الْقَيْسِ مرُّوا بأَبِي سُفْيَانَ، فدسَّهم إِلَى المسلمين؛ ليَجْبُنُوهم، وضمِن لهم عليه جُعْلًا».

الثَّالثُ: قال السِّدِّيُّ: «هُمُ المنافقون؛ قالوا للمسلمين حين تجهَّزوا للمسير إِلَى بَدرٍ لميعادِ أَبِي سُفْيَانَ: القومُ قد أَتَوكُمْ في دياركم، فقتلوا الأَكْثرين منكم، فإِنْ ذهبْتُم إِلَيهم لم يبقَ منكم أَحدٌ»(١).

وعلى اعْتبار هذا القولِ الثَّالثِ فقدْ قام المنافقون بتخذيل المسلمين عمَّا كتَبه الله عليهم مِنْ ملاقاة الأَعْداءِ؛ ليقضيَ الله أَمْرًا كان مفعولًا، فتَنْكسِرَ شوكةُ الكُفْر في هذه الفترةِ المُبكِّرةِ من الدَّعْوة(٢).

---

(١) «التفسير الكبير» (٩/ ٨١) للرازي.
(٢) «دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة»، ص(١٥٤) د/ عادل الشدي.

٢ - ما كان منهم في غزوة الأَحْزابِ:

ودُونَكَ الآياتِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [سورة الأحزاب:٩-١٠].

لقد أَحَاطَ الكفَّارُ بالمُؤمنين إِحَاطةً تامَّةً، وهذه الكنايةُ ترسُم في النَّفس صُورةَ جُنودِ الأَحْزاب يوم الخَنْدَقِ، وقدْ بلَغ عددُهم اثْنَيْ عشر أَلْفًا، وقد انْحدروا علىٰ المسلمين كأَنَّهم السَّيْلُ المُنْهَمِرُ، من فوق الرُّءُوس، وتحت الأَقْدام، فضاقتْ عليهم الأَرْضُ بما رحُبتْ، وزاغتْ منهم الأَبْصارُ، وكثُرت الهواجسُ والظُّنونُ، وبلَغ منهم الخوفُ مبْلغَه، وهذا السِّياقُ كقوله تعالىٰ في آيةٍ أُخْرىٰ في وصف عذاب جَهَنَّمَ للكافرين: ﴿يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ﴾ [سورة العنكبوت:٥٥].

أَيْ أَنَّ جَهَنَّمَ قدْ أَحَاطَتْ بِهِم، إِحَاطةَ السِّوارِ بالمِعْصم، وكأَنَّ العذابَ حِمَمٌ تَقْذِفُهم به السَّماءُ من فوقِ رُءُوسِهم، أَوْ براكينُ ملتهبةٌ نارًا تتفجَّر من تحت أَقْدَامِهم[(١)].

أَمَّا الأَبْصارُ فزائِغَةٌ دَهَشًا وحيرةً تدُور في محاقنها، وأَمَّا القلوبُ فقد بلَغتِ الحناجرَ، وهذه أَبْلغُ حالاتِ الخوفِ والِاضْطِرابِ.

في ظِلِّ هذه الأَجْواءِ المُتأَزِّمةِ والعَدُوُّ المُتربِّصُ يتنفَّس النِّفاقَ؛ فهذه أَجْواءُه، وتلك مناخاتُه؛ ليُظهرَ مكنوناتِه، وخبيئَةَ نفسِه، فإِذا بالكلمةِ الآثمةِ تنطلق، ثُمَّ لا تَلْبَثُ أَنْ تشيعَ، حتَّىٰ بلَغ بِهم سُوءُ ظنِّهم بالله عَزَّوَجَلَّ وبرَسُولِه ﷺ أَنْ يقولوا: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ

(١) «غزوة الأحزاب في ضوء القرآن الكريم عرض وتحليل»، المؤلف: أ. د/ سعود بن عبد الله الفنيسان، طبعة: دار إشبيليا، الطبعة الأولىٰ: (١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م) (ص١٦٤).

وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [سورة الأحزاب: ١٢]، ثُمَّ يتعاقبون الأَدْوَارَ، فإِذَا بطائِفَةٍ أُخرىٰ مُخذِّلين مُرْجِفين يُنادون المُؤْمنين المُرابطين الصَّابرين قائِلين لهم: ﴿يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ﴾ [سورة الأحزاب:١٣] .

فهُمْ يُحرِّضون أَهْلَ المَدِيْنَةِ علىٰ ترك الصُّفوف، والعودةِ إِلَىٰ بُيوتِهم، بحُجَّةِ أَنَّ إِقَامتَهم أَمَامَ الخَنْدَقِ مُرابطين هكذا، لا موضعَ لها ولا محلَّ، وبيوتُهم مُعرَّضةٌ للخطَرِ من ورائِهم، وهي دعوةٌ خبيثةٌ تَأْتي النُّفوسَ من الثَّغْرةِ الضَّعيفةِ فيها، ثغرةِ الخوفِ علىٰ النِّساءِ والذَّراري، والخطَرُ مُحْدِقٌ، والهولُ جامحٌ، والظُّنونُ لا تثبُت ولا تستقرُّ(١).

وتتوالىٰ أَرَاجيفُ المنافقين في كلِّ موطنٍ، وعند كلِّ مُنْعَطَفٍ؛ فها هُوَ النَّبِيُّ ﷺ أَثْنَاءَ حَفْرِ الخَنْدَقِ يُبشِّر أَثْنَاءَ تَكْسيرِه لصخرةٍ عظيمةٍ اسْتَعَصَتْ علىٰ المُؤْمنين بفتْح المسلمين للشَّام واليَمَنِ وفَارِسَ..

وتأَمَّلْ هنا كيف أَنَّ الرَّسُولَ الكريمَ يبعَث الأَمَلَ، ويزرَعُ الثِّقةَ، ويُحفِّز بوَعْدِ الله، ويُطَمْئِنُ الأَرْواحَ التي اعْتَوَرَها الخوفُ، وفي المقابل تمامًا تجِدُ مَنْ يُحطِّم المعنويَّاتِ، ويُهشِّم التَّطلُّعاتِ، فيسرع بمقولته: أَلَا تعجبون مِنْ مُحَمَّدٍ؟ يُمنِّيكم ويعِدُكم الباطلَ، ويُخْبِرُكم أَنَّه يبصُر قُصورَ الحِيْرةِ، ومدائِنَ كِسْرَىٰ، وأَنَّها تُفْتح لكم، وإِنَّما أَنْتُمْ تَحْفِرون الخَنْدقَ من الفَرَق - أَيِ الخوف- لا تستطيعون أَنْ تبرزوا(٢).

و- إِرْجافُ المنافقين وبثُّهم للشَّائِعات بعد الغزوات:

يا سُبْحَانَ الله إِنَّ العجبَ يكاد أَلَّا ينقضيَ مِنْ هؤلاء المنافقين الَّذين لهم في

(١) «في ظلال القرآن» (٥/ ٢٨٣٨) لسيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٣٢).

مِضْمار الشَّرِّ خيلٌ لا تَتْعَبُ وأَنْفُسٌ لا تكلُّ، فها هُمْ حتَّى بعد المعارك والغزوات لا ينفكُّون عن نفْث أَرَاجيفِهم وبثِّ شُكوكهم والشَّواهدُ لمثل هذا كثيرةٌ منهم:

أ. ما كان منهم بعد غزوة بَدْرٍ:

فها هُوَ النَّبيُّ ﷺ يُرسِل بعد انْتِصارِه في بَدْرٍ عَبْدَ الله بنَ رَوَاحَةَ وزَيْدَ بنَ حَارِثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[١] مُبشِّرين لأَهْلِ المدينةِ بسلامةِ الرَّسُولِ ﷺ وقتلِ المشركين، فجاءَ رَجُلٌ من المنافقين لأَبِي لُبَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢] فقال: تفرَّق أَصْحابُكم تفرُّقًا لا يجتمعون

---

(١) هو الصحابي الجليل: زيد بن حارثة بن شراحيل، أبو أسامة، الكلبي، مولى رسول الله ﷺ. صحابي (توفي: ٨ هـ)، شهد المشاهد كلها وكان من الرماة المذكورين، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين حمزة بن عبد المطلب الله عنهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

قال سالم بن عبد الله: كنا ندعو زيد بن محمد حتى نزلت آية: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ وهو من أقدم الصحابة إسلامًا. وكان النبي ﷺ لا يبعثه في سرية إلا أمره عليها، وكان يحبه ويقدمه، وجعل له الإمارة في غزوة مؤتة، فاستشهد فيها.

روى عن النبي ﷺ، وعنه ابنه أسامة والبراء بن عازب وابن عباس وغيرهم. ولهشام الكلبي كتاب «زيد بن حارثة» في أخباره.

ينظر: «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر(١/ ٥٦٣)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (١/ ٢٢٠)، «تهذيب التهذيب» (٣/ ٤٠٢).

(٢) هو الصحابي الجليل: أبو لبابة بن عبد المنذر الأنصاري المدني، قال الزهري، وخليفة بن خياط : اسمه بشير بن عبد المنذر .وقال أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبو زرعة، ومسلم : اسمه رفاعة بن عبد المنذر، وقيل: إن رفاعة بن عبد المنذر، ومبشر بن عبد المنذر أخواه، مات في خلافة علي، وقيل بعد الخمسين، وقال خليفة: مات بعد مقتل عثمان).

صحابي، شهد بدرًا، ويقال: إن النبي ﷺ حين خرج إلى بدر من الرَّوحاء، استعمله على المدينة، وضرب له بسهمه، وآجره، فكان كمن شهدها. ثم شهد ما بعدها، وهو أحد النقباء، شهد العقبة.

روى عن النبي ﷺ وعمر بن الخطاب، وعنه ولداه السائب، وعبد الرحمن، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وسالم بن عبد الله بن عمر، ونافع وغيرهم. ينظر: «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٣٤/ ٢٣٢)، «تهذيب التهذيب» (١٢/ ٢١٤).

بعده أَبَدًا، قد قُتل مُحَمَّدٌ وغالبُ أَصْحابِه، وهذه ناقتُه عليها زَيْدُ بنُ حارثةَ لا يدري ما يقول من الرُّعْب، قال أُسَامَةُ: فجِئْتُ حتَّىٰ خلوتُ بأَبِي لُبَابَةَ، وسَأَلْتُه عمَّا أَسرَّه الرَّجُلُ، فأَخْبَرَني بما أَخْبَرَه به، فقلتُ: أَحقًّا ما تقول؟ قال: إِيْ والله حقٌّ ما أقول يا بُنَيَّ. فقويتْ نفسي، ورَجَعْتُ إِلَىٰ ذلك المنافقِ، فقلت: أَنْتَ المُرْجِفُ برَسُولِ الله ﷺ، لنُقدِّمنَّك إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ إِذَا قدِم، فيضربُ عُنُقَك. فقال: إِنَّما هو شيءٌ سَمِعْتُه من النَّاس يقولونه[1].

ولا زال أَهْلُ النِّفاق يتشبَّثون بهذه الحُجَّةِ الواهيةِ في سائِرِ الأَزْمانِ والعصورِ حين تنكشف أَرَاجيفُهم ويظهَر كذِبُهم، فيقول قائِلُهم: إِنَّما هو شيءٌ سمعتُ النَّاس يقولونه فقلتُه.

١. ما كان منهم بعد غزوة أُحُدٍ:

وحينما تعرَّض المسلمون للهزيمة يوم أُحُدٍ بسببِ مُخالفة أَمْرِ رَسُولِ الله ﷺ، سارَع المنافقون في بثِّ الأراجيف التي تُؤَكِّد أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قد قُتِل، وأَنَّ أَصْحابَه قد صُفِّدوا في الأَغْلال عند قُرَيْشٍ؛ ليُوهنوا من عزائِمِ المسلمين، ويشمتوا بِهم.

بلْ لقد بلغت شماتتُهم وسعيُهم لتحطيم معنويَّاتِ المسلمين أَنْ قالوا: ما مُحَمَّدٌ إِلَّا طالبُ مُلْكٍ، ما أُصِيب بمِثْلِ هذا نبيٌّ قطُّ؛ أُصِيب في بَدَنِه، وأُصِيب في أَصْحابِه.

ويقولون: لو كان من قُتل منكم عندنا ما قُتل[2]؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [سورة آل عمران:١٦٨].

---

(١) «البداية والنهاية» (٣/ ٣٧١).

(٢) «السيرة الحلبية» (٢/ ٥٤٩)، «سبل الرشاد في هدي خير العباد» (٤/ ٢٣٠).

٢. ما كان منهم بعد غَدْرِ عَضَلٍ، والقَارَةِ بالصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ولَمَّا غدرتْ عَضَلٌ والقَارَةُ بالصَّحابة السِّتَّة الذين أَرْسَلَهم النَّبيُّ ﷺ ليُفقِّهوهم في الدِّين ويُعلِّموهم القُرْآن، فقتلوا منهم أَرْبعةً، وسلَّموا الباقين إِلَىٰ قُرَيْشٍ[1]، سارَع المنافقون إِلَىٰ القيام بدَوْرِهم الخبيثِ، فأَخَذُوا يُطلقون الأَرَاجيفَ، ويسعون في تحطيم معنويَّاتِ المُؤْمنين.

قال ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَمَّا أُصِيبتِ السَّرِيَّةُ التي بالرَّجيع قال رجالٌ من المنافقين: يا وَيْحَ هؤلاء المفتونين الَّذين هلَكوا هكذا، لا هُمْ قعَدوا في أَهْليهم، ولا هُمْ أَدَّوا رسالةَ صاحِبِهم[2].

وتأَمَّلْ قولَهم «صاحبهم»؛ ممَّا يُشير إِلَىٰ تكذيبهم بالنَّبيِّ ورسالتِه ﷺ؛ إِذْ لم يقولوا: رَسُولُنا، أو نبيُّنا.

وقد ذكَر الإِمَامُ البَغَوِيُّ [3] عند قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ﴾ [سورة النساء:٨٣] ؛ أَيْ: أَشَاعُوه، وأَفْشَوه؛ ذلك أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كان يبعث

---

(١) «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٤٧)، والأربعة الذين قتلوهم: مرثد ابن أبي مرثد الغنوي، وخالد بن البكير الليثي، وعاصم بن ثابت ابن أبي الأفلح، وعبد الله بن طارق، وأما خبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة فقد باعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا.

(٢) «سيرة ابن هشام» (٣/ ٢٤٨).

(٣) هو: الحسين بن مسعود بن محمد، الفرَّاء (أو ابن الفَرَّاء)، أبو محمد البَغَوي الشافعي، الملقب بمُحيي السُّنَّة، ولد سنة: (٤٣٦هـ). من مصنفاته: «التهذيب»، في فقه الشافعية، و«شرح السنة»، في الحديث، و«معالم التنزيل»، في التفسير. توفي سنة: (٥١٠ هـ). ينظر: «طبقات الشافعية الكبرىٰ»، لابن السبكي (٧/ ٧٥)، «طبقات الشافعية»، للحسيني (ص: ٢٠٠)، «وفيات الأعيان»، لابن خلكان (٢/ ١٣٦ - ١٣٧)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (١٩/ ٤٣٩).



السَّرَايَا، فإِذَا غَلبوا أَوْ غُلبوا، بادَر المنافقون يستخبرونه عن حالهم، فيُفْشونه، ويُحَدِّثون به قبل أَنْ يُحدِّث به رَسُولُ الله ﷺ فيُضعفون به قلوبَ المُؤْمنين(١).

قال الفَخْرُ الرَّازي: «اعلم أَنَّه تعالىٰ حكىٰ عن المنافقين في هذه الآيةِ نوعًا آخَرَ من الأَعْمالِ الفاسدةِ؛ وهو أَنَّه إِذَا جاءَهم الخبرُ بأَمْرٍ من الأُمُورِ - سواءٌ كان ذلك الأَمْرُ من باب الأَمْنِ أَوْ من باب الخوفِ - أَذَاعُوه، وأَفْشوه، وكان ذلك سببَ الضَّرر من وجوه:

الأَوَّلُ: أَنَّ مثلَ هذه الإِرْجافاتِ لا تنفكُّ عن الكذِب الكثيرِ.

الثَّاني: أَنَّه إِنْ كان ذلك الخبرُ في جانب الأَمْن زَادُوا فيه زياداتٍ كثيرةً، فإِذَا لم تُوجَد تلك الزِّياداتُ، أَوْرَثَ ذلك شُبْهةً للضُّعفاءِ في صدق الرَّسُولِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأَنَّ المنافقين كانوا يروون تلك الإِرْجافاتِ عن الرَّسُولِ، وإِنْ كان ذلك في جانب الخوف تشوّش الأَمْر بسببه علىٰ ضعفاءِ المسلمين، ووقعوا عنده في الحَيْرَةِ والاِضْطرابِ، فكانت تلك الإِرْجافاتُ سببًا للفِتْنَة من هذا الوجه.

الثَّالثُ: وهو أَنَّ الإِرْجافَ سببٌ لتوفير الدَّواعي علىٰ البحثِ الشَّديدِ، والاسْتقْصاءِ التَّامِّ، وذلك سببٌ لظهور الأَسْرار، وذلك ممَّا لا يُوافق مصلحةَ المَدِيْنَةِ.

الرَّابعُ: أَنَّ العداوةَ الشَّديدةَ كانتْ قائِمَةً بين المسلمين وبين الكفَّار، وكان كلُّ واحدٍ من الفريقين في إِعْداد آلاتِ الحَرْبِ، وفي انْتهاز الفُرَصِ فيه، فكان ما كان أَمْنًا لأَحَدِ الفريقين، كان خوفًا للفريق الثَّاني.

---

(١) ينظر: «معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي»، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفىٰ: ٥١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) (٢/ ٢٥٤-٢٥٥).

فإِنْ وقَع خبرُ الأَمْن للمسلمين وحصولِ العسكر وآلاتِ الحربِ لهم، أَرْجَفَ المنافقون بذلك، فوصَل الخبرُ في أَسْرع مُدَّةٍ إِلَىٰ الكفَّار، فأَخَذُوا في التَّحصُّن من المسلمين، وفي الاحترازِ من استيلائِهم عليهم، وإِنْ وقع خبرُ الخوف للمسلمين، بالغوا في ذلك، وزادوا فيه، وألقوا الرُّعْبَ في قلوب الضَّعَفة والمساكين، فظهَر من هذا أَنَّ ذلك الإِرْجافَ كان منشًا للفتن والآفاتِ من كلِّ الوُجوه، ولَمَّا كان الأَمْرُ كذلك، ذمَّ الله تلك الإِذَاعةَ وذلك التَّشْهيرَ، ومنعَهم منه[1].

منافقون مِنْ بني جلدتنا ويتكلَّمون بأَلْسنَتِنا:

إِنَّ تعامُلَ المنافقين مع المُؤْمنين بهذه السِّمة لم يكنْ قاصرًا علىٰ عَهْدِ النُّبُوَّة وما بعده، وإِنَّما امْتدَّ وتعاقبَ إِلَىٰ أَنْ رَأَينا ذلك في عصرنا الحاضرِ، فنجد مِنْ فصيل هذا الطابور الخامسِ من يُخوِّفنا من عَدُوِّنا، ويُرْهِبُنا منه.

بلْ ويقتلون في الأَنْفُس رُوحَ الإِيمان والجِهادِ بقولهم: إِنَّهم يملكون الأَسْلحةَ الفتَّاكة، والقنابلَ المُدمِّرةَ، بل والسِّلاحَ النَّوويَّ، وكأَنَّهم يقولون: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ﴾ [سورة الأحزاب:١٣] ، أَوْ يُردِّدون مُخذِّلين مُرْجفين: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ [سورة آل عمران:١٧٣]، أَوْ يقولون كما قال الذين من قبل: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ﴾ [سورة البقرة:٢٤٩]، ومن هؤلاء وهؤلاء قديمًا وحديثًا من ذكَر الله لنا ما عليه شَأْنُهم، وما تكنُّه دواخلُ أَفْئِدَتِهم؛ ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [سورة المائدة:٥٢].

وترىٰ بعضَهم هجيراه الحديثُ عن أَهْل الخير زاعمًا أَنَّهم لم يعُدْ لهم مكانٌ، وأَنَّ

---

(١) «تفسير الرازي» (١٠/ ١٩٨).

دعوتَهم محاصرةٌ، وأَنَّ جهودَهم مضيَّق عليها، وأَنَّ أَهْلَ الباطلِ هُمُ المُسيطرون، وأَصْحابُ الكلمةِ، وملَّاكُ القرار، وهو بهذا يبعَث الوَهْنَ، ويُوهِنُ العزائِمَ..

وتراه يلُوك الجمعيَّاتِ الخيريَّةَ، وحِلَق القُرْآنِ، والمُؤَسَّساتِ الدَّعويَّةَ، ويزرَع هنا وهناك مقولةً أَنَّها تُفرِّخ الإِرْهابَ، وتُورِّث فِكْرَ التَّكْفير، وتدعم المُتطرِّفين..

ويبدأُ يُثيرُ حولَها الشُّكوكَ، ويقذف بالتُّهم، ويلصق المعايبَ؛ حتَّىٰ يُزهِّدَ النَّاس في المشاركة فيها، أَوْ دَعْمِهم لها.

ومنهم مَنْ يُعطيك نُبْذةً مُوجزةً وأُخرىٰ مُطوَّلةً عن التَّراجع والانتكاسِ في صفوف الشَّبابِ الصَّالحين، مِنْ كثرةِ الفِتَن المحيطةِ بهم، والحربِ الكلاميَّةِ ضِدَّهم، فيُعمِّم هذا الدَّاءَ حتَّىٰ يظنَّ السَّامعُ من خِلالِ هذا الإِرْجاف أَنَّ النَّاجين قليلٌ، والهَلْكىٰ كثيرٌ، وبلا شكٍّ هو بهذا يُثبِّط ويُعوِّق عن الالتزام، ويُزهِّد في الاستقامة؛ شَعَرَ أَوْ لم يَشْعُرْ...

ومنهم مَنْ لسانُه سليطٌ، وقلمُه مُسلَّطٌ علىٰ جهاز هَيْئَةِ الأَمْرِ بالمعروفِ والنَّهيِ عن المُنْكَرِ، يلُوك أَعْراضَ المُحتسبين، ويُضخِّم أَخْطاءَهم، ويتَّهم نيَّاتِهم، ويُحقِّر مِنْ شَأْنِهم، ويعصِف حولهم برِياح الأَقَاويلِ، ويهزُّ شجرتَهم بأَكَاذيبَ وأَرَاجيفَ؛ رغبةً منه في القضاءِ عليهم، وإِلْغاءِ وُجودهم وأَثَرِهم في المجتمع[1].

١٦ـ يقِلُّون عند الفزَع ويكثُرون عند الطمَع:

وقد ذُكرتْ هذه السِّمةُ عنهم في تعامُلِهم مع المُصْطَفَىٰ ﷺ إِلَّا أَنَّ الزِّيادةَ هنا مُتعلِّقةٌ برغْبَتِهم الشَّديدةِ في مشاركة المُؤْمنين لغزو قومٍ ضُعفاءَ، من السَّهل الانتصارُ عليهم، ولديهم غنائِمُ كثيرةٌ تُنال بأَضْعف مُواجهةٍ، فإِذَا لم يُؤْذنْ لهم،

(١) «المرجفون» (١٠-١١-١٢) بتصرف يسير، لأحمد بن ناصر الخطاف.

انْبرتْ أَلْسِنتُهم الحِدادُ بالنَّقْد والتَّثْريبِ جرَّاءَ منعِهم من المشاركة؛ عقوبةً لهم على تخلُّفِهم عن الخروج حينما كانوا يرون العَدُوَّ ذا بَأْسٍ شديدٍ، ومن الصَّعب الانْتِصارُ عليه، والظَّفرُ من غنائِمه(١).

قال تعالى: ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴾ [سورة التوبة:٨٣].

ومن يتأَمَّل حال المنافقين يجِدْهم مُتَذَبْذِبِينَ؛ لا إِلَى هؤلاء، ولا إِلَى هؤلاء؛ فهُمْ في بَرْزَخٍ بين الفريقين، فمِنْ طَمَعِهم في الغنائِمِ تجِد أَنَّهم يرصدون المعركةَ، ويرقبون الغَزْوَةَ، فإِنْ كانت الكِفَّةُ للكافرين قالوا: نحن صدَدْنَاهم عنكم وكنَّا معكم، وإِنْ كانت الغلبةُ للمُؤْمنين زعَموا أَنَّهم منهم وفيهم وإِلَيهم، فأَعْطُونا نصيبَنا من الغنائِم.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَـٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾ [سورة النساء:١٤١].

ما أشبه الليلة بالبارحة:

كذلك العلمانيُّون والحداثيُّون والتَّغريبيُّون في زماننا هُمْ مع العَدُوِّ إِذَا ما غلَب وانتصر، فإِذَا كانتِ العاقبةُ للمُؤْمنين، تمَسَّحوا بلبوس الإِسْلام، وتقمَّصوا أَقْنعةَ المَكْر والخديعةِ... ظهَر ذلك جليًّا في غزو أَمِريكَا ومن حالفَها للعِراقِ... لما ظهَر للعالم كلِّه عُدْوانُ الجوْر، وظُلْم التَّسلُّط، وانتهاكُ حقوق الإِنْسان، وتدنيسُ المُقدَّسات من مساجدَ ومصاحفَ وما دار في جنبات سِجْن أَبِي غريبٍ ومُعْتقل غوانتانامو، وما استخدموه من أَسْلحةِ الدَّمار الشَّاملِ المحرَّمةِ دوليًّا..

---

(١) «ظاهرة النفاق» (١/ ١٣١) لحنبكة الميداني.

عندها تكسَّرتْ للمنافقين رماحُهم، وجفَّت عن مدادها أَقْلامُهم، وخرستْ عن الكلام أَلْسِنتُهم، إلَّا ما كان من كتاباتِ بعضِهم، وتصريحاتِهم على اسْتِحْياءٍ، وبخيفةٍ، وخُفْيَةً من النَّاس.

وقُلْ مثلَ ذلك في دَعْم دَوْلةِ الكفر أَمريكا اللَّامحدودِ لإسْرائِيْلَ مُتعاميةً عن عُدْوانِها الغاشمِ، وجرائِمِها الوحشيَّةِ ضِدَّ إِخْواننا في فِلَسْطِيْن... فلا كثَّر الله في العالمين سَوادَهم، ولا أَمَدَّ لهم في أَعْمارهم.

١٧ـ كلامُهم المقذع في المؤْمنين:

وتظهَر هذه السِّمةُ وتتجلَّى حالَ ذِهاب الخوفِ وانْجلاءِ الغُمَّة.. قال تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [سورة الأحزاب:١٩].

﴿سَلَقُوكُم﴾ من السَّلَقِ: وهو في اللُّغة الصِّياحُ، وشدَّةُ الصَّوت، ومعناها أَيْضًا المبالغةُ في الإِيْذاءِ بكلامٍ عنيفٍ مُقْذِعٍ، وإِسْماعُ الخَصْم ما يكرَه.. مع المبالغة في الخصومة.

﴿بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾: أَيْ جارحةٌ قويَّةٌ كالسُّيوف والسَّكَّاكين المُحدَّدةِ المُسنَّنةِ(١).

هكذا المنافقون هُمْ بين المنزلتين، ويتعاملون بالوجهين؛ إمَّا إِرْجافٌ وتخذيلٌ حال المعركة وقبلها، وإِمَّا إِقْذاعٌ على المُؤْمنين، وغِلْظةٌ في القول بعدها تَعْلُو أَصْواتُهم، ويشتدُّ نكيرُهم مطالبين بأَوْفر الحظِّ والنَّصيبِ من الغنائِمِ، وكأَنَّهم أَصْحابُ الصَّولةِ والجَولةِ في القتال، يتبجَّحون ببُطولاتٍ زَائِفةٍ، ويتمدَّحون بمواقفَ كاذبةٍ(٢).

---

(١) «ظاهرة النفاق» (١/ ٣٨٩) للميداني.

(٢) المرجع السابق (١/ ٤٠٦) للميداني، بتصرف يسير.

١٨ـ خيانتهم للمؤمنين:

لقد درَج المنافقون على تواصلهم سرًّا بأعْداءِ المِلَّة من إخْوانهم الَّذين كفروا؛ نُصْرةً لهم على المُؤْمنين، ومساندتَهم للصدِّ عن دِيْن الله، وقد سبق التَّعريجُ على شواهدَ عديدةٍ في إفْشائِهم لأَسْرارِ المسلمين، وتواطُئِهم مع إخْوانهم المُعتدين؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [سورة الحشر: ١١].

لقد جاءَتْ سورةُ الحَشْر فاضحةً مُقَشْقِشَةً، حتَّى إنَّ ابنَ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا كان يُسمِّيها سُورةَ بني النَّضِيْر، كما روى البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ وغيرُهما(١).

معاهدةُ النَّبيِّ ﷺ لليهُود والمشركين لمَّا قدِم المَدِيْنَةَ:

إنَّ النَّبيَّ ﷺ لمَّا قدِم المَدِيْنَةَ، وقامتْ فيها النَّواةُ الأُولَى لدولة الإسْلام والمسلمين، كتَب لليهُودِ فيها عَهْدًا، أَمَّنهم فيه على أَرْواحِهم، وأَمْواِلهم، وأَعْراضِهم، وحُرِّيَّاتِهمُ الدِّينِيَّةِ، بشرط أَلَّا يغدروا، ولا يخونوا، ولا يُعينوا أَحَدًا على المسلمين، ولا يمُدُّوا يدًا بأَذًى، لكنَّهم ما لبِثوا حتَّى خالفوا في ذلك كلِّه(٢).

وهذا مختصرُ المعاهدة أَحبَبْتُ إيْرادَها هنا -مع طولها- ولأَنَّها غيرُ مذكورةٍ في كثيرٍ من كتُب السِّيرة؛ رغْبَةً في الاطِّلاع على مُفرداتها، وتدبُّرًا للكيفيَّة التي صاغ بها الرَّسُولُ ﷺ بُنُودَها، وكيف وفَّى بالتزاماتها.. وهي تحكي مرحلةً من مراحل السِّيرة لم تَأْخُذْ حظَّها من البحث والدِّراسةِ، فدُوْنكها أَخِي الكريمَ..

---

(١) «البخاري» (٦/ ١٨٣) و«مسلم» (٨/ ٢٤٥).

(٢) «ظاهرة النفاق» (٢/ ٧٠١) للميداني.

وقد كانتْ على محاورَ أَرْبعةٍ هي:

أ- بنودُ الصَّحيفة المُتعلِّقة بالمسلمين:

١- المُؤْمنون من قُرَيْشٍ ويَثْرِبَ ومن تبِعهم فلحق بهم وجاهد معهم أُمَّةٌ واحدةٌ من دون النَّاس.

٢- كلُّ فريقٍ من المؤمنين المهاجرين، بني سَاعِدَةَ، من الأَوْسِ.. على ربعتهم[1] يتعاقلون بينهم، وهم يَفْدُون عانيَهم[2] بالمعروف والقِسْط بين المُؤْمنين، وإِنَّ المُؤْمنين لا يتركون مُفْرَحًا[3] بينهم؛ أَنْ يعطوه بالمعروف في فداءٍ أَوْ عقْلٍ.

٣- المُؤْمنون المتَّقون على مَنْ بغى منهم، وإِنَّ أَيْديَهم عليه جميعًا، ولوْ كان ولدُ أَحَدِهم.

٤- ذِمَّةُ الله واحدةٌ، يُجير على المسلمين أَدْناهم، والمُؤْمنون بعضُهم موالي بعضٍ دون النَّاس.

٥- مَنْ تبع المُؤْمنين مِنْ يهود، فإِنَّ له النُّصْرةَ والأُسْوةَ، غيرَ مظلومين، ولا متناصرين عليهم.

ب- بُنودُ الصَّحيفةِ المُتعلِّقة بالمشركين:

١- لا يُجير مُشْرِكٌ مالًا لقُرَيْشٍ، ولا نفسًا، ولا يحول دونه على المُؤْمنين.

٢- لقُرَيْشٍ وحُلفائِها حقُّ الصُّلْحِ إِذَا طلبوه، إِلَّا مَنْ حارب منهم الإِسْلامَ.

٣- لا تُجارُ قُرَيْشٌ، ولا مَنْ نصَرها.

---

(١) الربعة: الحال التي جاء الإسلام وهم عليها.

(٢) العاني: الأسير.

(٣) المفرح: الكثير العيال والمثقل بالدين.

ج ـ بُنودُ الصَّحيفةِ المُتعلِّقة باليَهُودِ:

١- يُنفق اليَهُودُ مع المُؤمنين ما داموا محاربين.

٢- يَهُودُ بني عَوْفٍ أُمَّةٌ مع المُؤْمنين، لليَهُودِ دِيْنُهم، ومواليهم وأَنْفُسُهم، ولبقيَّة اليَهُودِ من بني النَّجَّار، ويَهُودُ بني الحارثِ ما ليَهُودِ بني عَوْفٍ.. وإِنَّ بطانةَ يَهُودٍ كأَنْفُسِهم.

٣- لا يخرُج مِنْ يَهُودٍ أَحدٌ إِلَّا بإِذْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

٤- علىٰ اليَهُودِ نفقتُهم، وعلىٰ المسلمين نفقتُهم، وإِنَّ بينهم النَّصْرَ علىٰ مَنْ حاربَ أَهْلَ هذه الصَّحيفةِ، وإِنَّ بينهم النُّصْحَ والنَّصْرَ للمظلوم(١).

د. بُنودُ الصَّحيفةِ المُتعلِّقةِ بالقواعد العامَّة:

١- يَثْرِبُ حرامٌ جوفُها لأَهْلِ الصَّحيفة، وإِنَّ الجارَ كالنَّفْس غيرَ مُضارٍّ ولا آثمٍ، وإِنَّه لا تُجارُ حرمةٌ إِلَّا بإِذْن أَهْلِها.

٢- ما كان بين أَهْلِ هذه الصَّحيفةِ من حدثٍ أَوِ اشْتِجارٍ يُخاف فسادُه، فإِنَّ مردَّه إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وإِلَىٰ مُحَمَّدٍ رَسُولُ الله ﷺ.

٣- وإِنَّ بينهم -أهل الصحيفة- النَّصْرَ علىٰ مَنْ دهَم يَثْرِبَ.

٤- مَنْ خرَج آمنٌ ومَنْ قعَد آمنٌ بالمَدِيْنَةِ إِلَّا مَنْ ظلَم أو أَثِمَ.

٥- وإِنَّ الله جارٌ لمَنْ برَّ واتَّقىٰ، ومُحَمَّدٌ رَسُولُ الله ﷺ(٢).

وممَّا يُؤَكِّد هذه المُعاهدة، ويدلُّ علىٰ أَنَّ لها أَصْلًا ثابتًا في سِيْرة المُصْطَفَىٰ ﷺ الإِشَاراتُ المُوجزةُ التي نجدها بين الفَيْنَةِ والأُخرىٰ في كتُب السُّنَّةِ المُطَهَّرةِ عنها، ومنها:

---

(١) «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية» (٣٦٠-٣٦٣).
(٢) «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية» (٣٦٠- ٣٦٣).

ما رواه البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ وغيرُهما بالسَّند إِلَى أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حالَف النَّبِيُّ ﷺ بين الأَنْصارِ وقُرَيْشٍ في داريَّ التي بالمَدِينَةِ(١). والحلف: هو المُعاقدةُ والمُعاهدةُ على التَّعاضُدِ والتَّساعُدِ والاتِّفاق(٢)(٣).

١٩ـ مخادعتهم لله وللمؤمنين.

إِنَّها صفةُ المُراوغةِ والمُخاتلةِ والمَكْرِ والمُخادعةِ التي طبعتْ عليها نفوسٌ مريضةٌ لها غوائِلُ تَبُثُّها، وحبائِلُ تَنْصِبُها، انْبَعَثَتْ مِنْ نوايا فاسدةٍ، وقلوبٍ سقيمةٍ. لذا قال سبحانه: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [سورة البقرة:٩].

قال ابنُ كَثِيرٍ: «وقولُه تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [سورة البقرة:٩] أَيْ: بإِظْهارِهم ما أَظْهروه من الإِيمان، مع إِسْرارِهم الكُفْرَ، يعتقدون بجهلهم أَنَّهم يَخْدَعُون الله بذلك، وأَنَّ ذلك نافعُهم عنده، وأَنَّه يَرُوجُ عليه، كما قدْ يَرُوجُ على بعض المُؤْمنين، كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيَحۡلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍۚ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ [سورة المجادلة:١٨].

ولهذا قابلَهم على اعتقادهم ذلك بقوله: ﴿وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾ [سورة البقرة:٩].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: ما ذكر النبي ﷺ على اتفاق أهل العلم...، برقم: (٦٩٠٩).

(٢) حمل بعض العلماء –كسفيان بن عيينة – معنى الحِلْف هنا على الإخاء فقط، (المسند ٣/ ١١١، الفتح ٤/ ٤٧٤) وكأنه بذلك أراد الجمع بين هذا الحديث وبين ما رواه مسلم (٤/ ١٩٦١) رقم (٢٠٦/ ٢٥٣٠) وغيره عن جبير بن مطعم عن النبي ﷺ.

(٣) «اليهود في السنة المطهرة»، د/ عبد الله بن ناصر الشقاري، طبعة: دار طيبة للنشر والتوزيع – مجلدان، الطبعة الأولى (١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م) (١/ ٢١٥ إلى ٢٢١). وللاطلاع على نصِّ الوثيقة دون اختصار فليقرأها في هذا المرجع المذكور آنفًا.

يقول: وما يَغُرُّون بصنيعهم هذا، ولا يخدعون إِلَّا أَنْفُسَهم، وما يشعرون بذلك من أَنْفُسِهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [سورة النساء:١٤٢](١).

قال الفَخْرُ الرَّازي: «وأَمَّا حدُّ المُخادعة فهو إِظْهارُ ما يُوهِم السَّلامةَ والسَّدادَ، وإِبْطانُ ما يقضي الإِضْرارَ بالغير، والتَّخلُّصَ منه؛ فهو بمنزلة النِّفاق في الكفر، والرِّياءِ في الأَفْعال الحسنةِ»(٢).

قال ابنُ جَرِيرٍ عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [سورة النساء:١٤٢]: فتَأْوِيلُ ذلك: «إِنَّ المنافقين يُخادعون الله، بإِحْرازهم بنِفاقهم دِماءَهم وأَمْوالَهم، والله خَادَعَهُم بما حكَم فيهم مِنْ منع دمائِهم، بما أَظْهَرُوا بأَلْسِنَتِهم من الإِيمانِ، مع علمِه بباطن ضمائِرهم واعتقادِهم الكُفْر؛ استدراجًا منه لهم في الدُّنْيا، حتَّى يَلْقَوه في الآخِرة، فيُورِدَهم بما استبطنوا من الكفر نارَ جَهَنَّمَ.

فقد ذكَر السِّدِّيُّ عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [سورة النساء:١٤٢] ، قال: «يُعطيهم يوم القيامة نورًا يمشون به مع المسلمين كما كانوا معهم في الدُّنْيا، ثُمَّ يَسْلُبُهُم ذلك النُّورَ فيُطْفِئُه، فيقومون في ظُلْمَتِهم، ويُضرب بينهم بالسُّور»(٣).

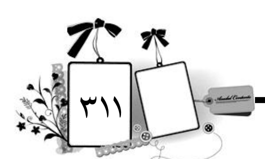
وقال الحافظُ ابنُ كَثِيرٍ: «ولا شكَّ أَنَّ الله لا يُخادَع؛ فإِنَّه العالمُ بالسَّرائِرِ والضَّمائِرِ، ولكنَّ المنافقين - لجهلهم وقِلَّةِ علمِهم وعقلِهم- يعتقدون أَنَّ أَمْرَهم كما راج عند النَّاس وجرت عليهم أَحْكامُ الشَّريعة ظاهرًا، فكذلك يكون حُكْمُهم عند الله يوم

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٥١).

(٢) «التفسير الكبير»، الفخر الرازي (٢/ ٥٧).

(٣) «جامع البيان» (٤/ ٣٣٢).



القيامة، وأَنَّ أَمْرَهم يروج عنده، كما أَخْبَرَ تعالىٰ عنهم أَنَّهم يوم القيامة يَحْلِفون له أَنَّهم كانوا علىٰ الاستقامةِ والسَّدادِ، ويعتقدون أَنَّ ذلك نافعٌ لهم عنده، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [سورة المجادلة:١٨] الآية.

وقولُه: ﴿وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ أَيْ: هو الذي يستدرجهم في طُغْيانهم وضلالهِم ويَخْذُلُهم عن الحقِّ والوُصولِ إِلَيه في الدُّنْيا، وكذلك يوم القيامة[١].

وقال السِّدِّيُّ وابنُ جُرَيْجٍ [٢] والحَسَنُ وغيرُهم من المُفسِّرين: «إِنَّ هذا الخِداعَ هو: أَنَّ الله تعالىٰ يُعطي لهذه الأُمَّةِ يوم القيامة نورًا لكلِّ إِنْسانٍ مُؤْمنٍ أَوْ مُنافقٍ، فيفرَحُ المنافقون، ويظنُّون أَنَّهم قد نَجُوا، فإِذَا جاءُوا إِلَىٰ الصِّراط طَفِئَ نُورُ كلِّ مُنافِقٍ، ونهَض المُؤْمنون بذلك، فذلك قولُ المنافقين: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [سورة الحديد: ١٣] ، وذلك هو الخِداعُ الذي يجري علىٰ المنافقين»[٣].

إِنَّها السِّمةُ التي لها جُذورٌ مُتأَصِّلةٌ في قلوب المنافقين، وقد جاءَ وَصْفُ القُرْآنِ لهم بها بصيغة المضارع؛ دلالةً علىٰ تجدُّدِها، وتكرُّرِها مع مُرورِ الأَزْمان.

الجزاءُ من جِنْسِ العمل:

وتلك عقوبةُ الله دائِمًا للمنافقين من جِنْس فِعْلِهم (وكما تَدِيْنُ تُدانُ) ودُوْنَك بعضَ الأَمْثلة:

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٦٢٦).

(٢) هو : عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الإمام، العلامة، الحافظ، شيخ الحرم، أبو خالد، وأبو الوليد القرشي، الأموي، المكي، صاحب التصانيف، وأول من دون العلم بمكة. وروىٰ الميموني، عن أحمد: «إذا قال ابن جريج: قال، فاحذره، وإذا قال: سمعت، أو سألت، جاء بشيء ليس في النفس منه شيء، كان من أوعية العلم». ومات: سنة خمسين ومائة، روىٰ له الجماعة. ينظر: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٦/ ٣٢٥ – ٣٣٤)، «تهذيب الكمال» (١٨/ ٣٣٨ – ٣٥٤).

(٣) «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٨٨). وانظر: «تفسير القرطبي» كذلك (٥/ ٤٢٢).

- قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة التوبة:٧٩].

- وقال سبحانه: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [سورة التوبة:٦٧].

- وقال عزَّ في عُلاه: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [سورة البقرة:١٤-١٥].

- ومنها قولُه جلَّ ثناؤُه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ [سورة البقرة:٨- ٩] .

- وفي الآيةِ الأُخرىٰ قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة النساء:١٤٢].

وهذه الصِّفاتُ لله عَزَّوَجَلَّ كالمكرِ والمُخادعةِ والاستهزاءِ والسُّخْرِيَّةِ ونحوِها من الصِّفاتِ التي لم يصِفْ الله بها نفسَه إلَّا على سبيل المُقابلةِ والتَّقْيِيد، ولا يُوصَف اللهُ بها سبحانه على إطْلاقها؛ فلا يُقال مثلًا: إنَّ الله ماكرٌ، لا على سبيل الخبر، ولا على سبيل التَّسْميَةِ، وعليه فيُقال: إنَّ اللهَ تعالىٰ ماكرٌ بمَنْ مكر به، أَوْ بالماكرين، خادعٌ لمَنْ يُخادعه، والاستهزاءُ كذلك؛ إذْ لا يصحُّ أَنْ نَصِفَ اللهَ به على سبيل الإطْلاق؛ لأَنَّه نوعٌ من اللَّعب.

قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ [سورة الأنبياء:١٦] ، لكنَّها صفةُ كمالٍ لله إذا كانتْ في مقابلةِ مَنْ يستهزئُ به(١) ولمَّا قيل لهم: آمنوا كما

(١) «شرح العقيدة الواسطية» (١/ ٢٨٧ -٢٩١) للشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



آمن النَّاسُ، تكبَّرُوا، وعَتُوا، وقالوا: أَنُؤْمِنُ كما آمن السُّفهاءُ؟

فكان جوابُ القُرْآنِ عليهم صارمًا وفاصلًا؛﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة:١٣] ، وكذلك كان الرَّدُّ عليهم مِنْ جِنْس ما اتَّهموا به المُؤْمنين في قضيَّةِ الإِفْساد؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [سورة البقرة:١١-١٢].

فهم دائمًا يُعامَلون بنقيضِ قصْدِهم، ولا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بأَهْلِه.



الفصلُ الثَّاني

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحثُ الأوَّلُ

موالاةُ المنافقين للكافرين:

إِنَّها القضيَّةُ الجازمةُ الحاسمةُ التي لا تَقْبَل التَّمْيِيعَ ولا المُداهنةَ ولاأَنْصاف وأَرْباعَ الحُلولِ، بلْ ولا مجالَ فيها للمُوادَدَةِ والمُلاينة.. إِنَّها قضيَّةُ الولاءِ والبراءِ.

التي قال عنها أَحَدُ أَئِمَّةِ الدَّعْوة المباركين الشَّيخُ حَمْدُ بنُ عَتِيْقٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس في كتاب الله حُكْمٌ فيه من الأَدِلَّةِ أَكْثرُ ولا أَبْيَنُ مِنْ هذا الحُكْم بعد التَّوحيد»(١).

أَمَّا القُرْآنُ الكريمُ فقد حسَم الأَمْرَ بلا مُواربةٍ، ولا تَأْويلٍ؛ فقال سبحانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [سورة المجادلة:٢٢] الآية.

وقال عزَّ في عُلاه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة المائدة:٥١].

ثُمَّ حدَّد سبحانه للمُؤْمنين مَنْ أَوْلياؤُهم فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [سورة المائدة:٥٥-٥٦] ، هكذا ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ﴾ [سورة المائدة:٥٥] – علىٰ وَجْهِ القَصْرِ والحَصْرِ– لأَنَّ المسأَلَةَ في صميمها مَسْأَلةُ عقيدةٍ وإِسْلامٍ؛ حتَّى لا تكون قضيَّةُ الإِيمان مُجرَّدَ عُنْوانٍ أَوْ كلمةٍ تُقال باللِّسانِ، أَوْ عبارةً عن دعايةٍ

(١) «النجاة والفكاك»، حمد بن عتيق (ص ١٤).



وإِعْلانٍ، أَوْ نسَبٍ ينتقل بالوِراثة، أَوْ وصفٍ يلحق المواطنين في بُقْعَةٍ من الأَرْض، كلَّا، ولكنَّه دِينٌ قويمٌ مستلزمٌ لرُكْنِ الولاءِ للمُؤْمنين والبراءَةِ من الكافرين(١).

وكما جاءَ تقريرُ هذه القضيَّةِ العُظْمىٰ في الذِّكْرِ الحكيمِ، فكذلك جاءَتِ السُّنَّةُ بتَثْبيتِ دعائِمِها وترسيخِ قواعدِها، فقال ﷺ: «أَوْثَقُ عُرَىٰ الْإِيمانِ المُوَالَاةُ في اللهِ، وَالمُعادَاةُ في اللهِ، وَالحُبُّ في اللهِ، والْبُغْضُ في اللهِ»(٢).

عن عَمْرِو بنِ العَاصِ (٣) قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «إِنَّ آلَ أَبِي فُلَانٍ

---

(١) خطبة جمعة للشيخ عبد الوهاب الطريري بعنوان: ولاؤنا لمن؟

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٦)، ابن أبي شيبة (٣٤٣٣٨)، والطيالسي (٧٤٧) من حديث البراء بن عازب، وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٣٤)، من حديث ابن مسعود، وأخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٤٢/ ٢٢٨)، من حديث جابر بن عبد الله، والحديث صححه الألباني في «الصحيحة» (٩٩٨).

(٣) هو: عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ويكنىٰ أبا عبد الله، أسلم بأرض الحبشة عند النجاشي، ثم قدم المدينة علىٰ رسول الله ﷺ مهاجرًا في هلال صفر سنة ثمان من الهجرة، وصحب رسول الله ﷺ، واستعمله علىٰ غزوة ذات السلاسل، وبعثه يوم فتح مكة إلىٰ سواع صنم هذيل فهدمه، وبعثه أيضًا إلىٰ جيفر وعبد ابني الجلندا وكانا من الأزد بعمان يدعوهما إلىٰ الإسلام، فقبض رسول الله ﷺ وعمرو بعمان، فخرج منها، فقدم المدينة، فبعثه أبو بكر الصديق أحد الأمراء إلىٰ الشام، فتولىٰ ما تولىٰ من فتحها.

وشهد اليرموك، وولاه عمر بن الخطاب فلسطين وما والاها، ثم كتب إليه أن يسير إلىٰ مصر، فسار إليها في المسلمين، وهم ثلاثة آلاف وخمسمائة، ففتح مصر، وولاه عمر بن الخطاب مصر إلىٰ أن مات، وولاه عثمان بن عفان مصر سنين، ثم عزله واستعمل عليها عبد الله بن سعد ابن أبي سرح، فقدم عمرو المدينة، فأقام بها.

فلما نشب الناس في أمر عثمان خرج إلىٰ الشام، فنزل بها في أرض له بالسبع من أرض فلسطين، حتىٰ قتل عثمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فصار إلىٰ معاوية، فلم يزل معه يظهر الطلب بدم عثمان، وشهد معه صفين، ثم ولاه معاوية مصر، فخرج إليها، فلم يزل بها واليا، وابتنىٰ بها دارًا، ونزلها إلىٰ أن مات بها يوم الفطر سنة ثلاث وأربعين، في خلافة معاوية، ودفن بالمقطم مقبرة أهل مصر، وهو سفح الجبل.

قال الذهبي: داهية قريش، ورجل العالم، ومن يضرب به المثل في الفطنة، والدهاء، والحزم. «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٣/ ٥٥)، «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٧/ ٤٩٣).



لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِي، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ»(١).

وفي حديثٍ آخَرَ رواه مُعاذٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ لِي الْمُتَّقُونَ؛ مَنْ كَانُوا وَحَيْثُ كَانُوا»(٢). ثُمَّ انْتَقَلَ ﷺ إِلَى بيان برامجَ عمليَّةٍ تُوضِّحُ وتَكْشِفُ حقيقةَ الأَخْذِ بِهذا الرُّكْنِ، والعملِ به، فمن ذلك:

ما رواه بَهْزُ بنُ حَكِيمٍ (٣) عن أَبِيهِ عن جَدِّهِ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «لَا يَقْبَلُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مِنْ مُشْرِكٍ بَعْدَمَا أَسْلَمَ عَمَلًا، أَوْ يُفَارِقُ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ»(٤).

ولَمَّا جاءَه جَرِيرُ بنُ عَبْدِ الله البَجَلِيُّ(٥) وجَدَّه يُبايعُ النَّاسَ فقال: يا رَسُولَ الله:

---

(١) رواه البخاري «كتاب الأدب»، باب: تبل الرحم ببلالها، برقم (٥٦٤٤)، ومسلم «كتاب الإيمان»، باب: موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم، برقم (٢١٥).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٢٠، برقم ٢٤١)، وصححه ابن حبان في «صحيحه» (٢/ ٤١٥-إحسان).

(٣) هو بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة أبو عبد الملك القشيري البصري. روى عن أبيه وزارة بن أوفى وهشام بن عروة وغيرهم. وعنه سليمان التيمي وجرير بن حازم وحماد بن زيد ويحيى القطان، وغيرهم. وثقه ابن المديني، ويحيى، والنسائي. قال أبو زرعة: صالح. وقال البخاري: يختلفون فيه، وقال ابن عدي: لم أر له حديثًا منكرًا. ينظر: «تهذيب التهذيب» (١/ ٤٩٨)، «ميزان الاعتدال» (١/ ٣٥٣).

(٤) رواه النسائي «كتاب الزكاة»، باب: من سأل بوجه الله عَزَّوَجَلَّ، (٢٥٦٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١٣٧٠٦).

(٥) هو جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك الأمير النبيل الجميل أبو عمرو. وقيل: أبو عبد الله البجلي القشري، من أعيان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال عنه يومًا ﷺ: (إنه سيدخل عليكم من هذا الفج من خير ذي يمن، ألا وإن على وجهه مسحة ملك)، قال جرير: فحمدت الله. صححه الألباني في «الأدب المفرد» (ح/ ١٨٨).

قال عنه عمر: جرير يوسف هذه الأمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، سكن الكوفة وقدم رسولًا من علي على معاوية، وقد اعتزل الفتنة بينهما، توفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة (٥٤هـ). انظر في ترجمته: طبقات ابن سعد (٦/ ٢٢)، «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر(٢/ ٧٦) و«الاستيعاب في معرفة =

ابْسُطْ يَدَكَ حتَّىٰ أُبَايِعَكَ، واشْتَرِطْ عليَّ؛ فأَنْتَ أَعْلَمُ. قال ﷺ: «أُبَايِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتُنَاصِحَ الْمُسْلِمِينَ، وَتُفَارِقَ الْمُشْرِكِينَ»(١).

أَمَّا في جوانب المُعاملة فقد أَشَارَ ﷺ فيما رواه عنه أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بقوله: «لَا تَبْدَأُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ بِالسَّلَامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ فِي طَرِيقٍ، فَاضْطَرُّوهُ إِلَىٰ أَضْيَقِهِ»(٢).

وفي شَأْنِ النِّفاق والمنافقين روىٰ عَبْدُ الله بنُ بُرَيْدَةَ (٣) عن أَبِيهِ قولَه ﷺ: «لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ؛ فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا، فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّوَجَلَّ»(٤).

= الأصحاب»، لابن عبد البر (١/ ٣٣٧) و«الجرح والتعديل» (٢/ ٥٠٢)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٢/ ٥٣٠).

(١) أخرجه النسائي، «كتاب البيعة»، باب: البيعة على فراق المشرك، برقم (٤١٧٧)، وأحمد (١٩٢٥٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، برقم (٢٥).

(٢) أخرجه مسلم، «كتاب السلام»، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، برقم (٢١٦٧/ ٢).

(٣) هو عبد الله بن بريدة بن الحصيب الحافظ الإمام شيخ مرو وقاضيها أبو سهل الأسلمي المروزي، ولد سنة (١٥هـ). انظر في ترجمته: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٥/ ٥٠) و«طبقات خليفة» (٢١١) و«الجرح والتعديل» (٥/ ١٣) «خلاصة تذهيب الكمال» (١٩٢).

(٤) أخرجه أبو داود «كتاب الأدب»، باب: لا يقول المملوك ربي وربتي، برقم (٤٩٧٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة»، برقم (٣٧١).

المطلبُ الأَوَّلُ

موالاةُ المنافقين لإِخْوانهم الَّذين كفروا من أَهْلِ الكتاب

إِنَّ مِنْ أَبْرزِ سِمات المنافقين ومِنْ أَوْضحِ صفاتِهم مُوالاتُهم لأَعْداءِ الله، ومدُّ الجُسور معهم، ومظاهرتُهم على المُؤمنين.. يتجلَّى ذلك في تقرير القُرْآنِ الكريمِ لهذه المَسْأَلَةِ؛ إِذْ يقول سبحانه: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [سورة النساء:١٣٨-١٣٩].

قال الإِمَامُ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثُمَّ وصَفهم بأَنَّهم اتَّخذوا الكافرين أَوْلِياءَ مِنْ دون المُؤْمنين، بمعنى أَنَّهم معهم في الحقيقة يُوالونهم، ويسرُّون إِلَيهم بالمودَّةِ، ويقولون لهم إِذَا خَلَوْا بِهم: إِنَّما نحن معكم، إِنَّما نحن مُسْتهزئون؛ أَيْ: بالمُؤْمنين في إِظْهارنا المُوافقة لهم»(١).

بلْ إِنَّ اللهَ أَبَانَ عن هذه المُوالاة واصفًا إِيَّاها بالأُخُوَّةِ؛ ممَّا يدلُّ على وثيقِ آصرتِها ورُسوخِ قواعدِها: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة الحشر:١١]؛ قال الإِمَامُ الشَّوْكانيُّ: «وجعَلهم إِخْوانًا لهم؛ لكَونِ الكُفْرِ قدْ جمَعهم، وإِنِ اخْتَلَفَ نوعُ كُفْرِهم»(٢).

قال ابنُ عَاشُورٍ: «والمرادُ بـ ﴿لِإِخْوَٰنِهِمُ﴾ بنو النَّضِيْرِ، وإِنَّما وصَفهم بالأُخُوَّة لهم؛ لأَنَّهم كانوا مُتَّحدين في الكُفْرِ برسالة مُحَمَّدٍ ﷺ، وليستْ هذه أُخُوَّةَ النَّسَبِ؛

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٨٤).
(٢) «فتح القدير» (٥/ ٢٣٥).

فإِنَّ بني النَّضِيْرِ من اليَهُودِ والمنافقين الذين بعثوا إِلَيهم من بني عَوْفٍ مِنْ عرب المَدِيْنَةِ، وأَصْلُهم من الأَزْدِ»(١).

ومن تأَمَّلَ الذِّكْرَ الحكيمَ يجِد أَنَّ قضيَّةَ تولِّي المنافقين للكافرين.. كان ينُصُّ فيها على المنافقين تحديدًا؛ لرفع كلِّ لَبْسٍ أو غَبْشٍ، وليعلمَ الذين آمنوا حالَهم وواقعَهم، ولأَنَّهم من أَحْرص النَّاس على حياةٍ؛ قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧﴾ [سورة التوبة:١٠٧] ﴿لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [سورة الحشر:١٢].

قال الإِمَامُ القُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتكرَّرتْ وعودُ المنافقين لأَعْداءِ الله بالمساعدة والنُّصْرةِ وبَذْلِ النَّصيحة، ويتكرَّر فضْحُ الله إِيَّاهم وهتْكُه لأَسْتارهم، فهاهُمْ يُمالِئُون أَهْلَ الكُفْر ويُوادُّونَهم فيقولون لهم: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ [سورة محمد:٢٦]؛ أَيْ: في مخالفة مُحَمَّدٍ ﷺ، والتَّظاهرِ على عداوتِه، والقُعودِ عن الجِهاد معه، وتوهينِ أَمْرِه في السِّرِّ»(٢).

أَمَّا في تدبير المكائِدِ ونصْبِ الشِّباك وإِفْشاءِ الأَسْرار وإِثَارة الفِتَن ونَشْرِ الشَّائِعات... فهم رجالُ هذه الحبائِلِ وفُرْسانُها، ممَّا يتآزرون ويتعاونون فيه مع إِخْوانهم الَّذين كفروا؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة البقرة:١٤].

وتتضِّح القضيَّةُ بشكلٍ أَكْبَرَ في ثنايا قولِه تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة المجادلة:١٤].

---

(١) «التحرير والتنوير» (٢٨/ ٩٩، ١٠٠).

(٢) «تفسير القرطبي» (٨/ ٢٥٠).

قال ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(يعني اليَهُودَ الَّذين كان المنافقون يُمالِئُونَهم ويُوالونَهم في الباطن، ثُمَّ قال تعالى: ﴿مَّا هُم مِّنكُمۡ وَلَا مِنۡهُمۡ﴾ [سورة المجادلة:١٤]؛ أَيْ: هؤلاء المنافقون لَيْسُوا في الحقيقية منكم أَيُّها المُؤْمنون[١].

بلْ وليسوا من الذين كفروا، بلْ مُذَبْذَبُون بين الفريقَيْنِ كما أَخْبَرَ اللهُ عنهم بقوله: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ [سورة النساء:١٤٣].

ومن صُوَرِ هذه المُوالاةِ ما ذكَره الله تعالى عن المنافقين بقوله سبحانه: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٍ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [سورة المائدة:٥٢].

واخْتَلف المُفسِّرون: مَنِ المقصودُ بهذه الآيةِ؟ قال بعضُهم عَبْدُ الله بنُ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ: رُوي ذلك عن عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ[٢] وغيرِه»[٣].

وقال آخرون: بلْ هُمْ قومٌ من المنافقين كانوا يُناصحون اليَهُودَ، ويَغِشُّون المُؤْمنين. رُوي ذلك عن الأَئِمَّةِ مُجَاهِدٍ وقَتَادَةَ والسُّدِّيِّ رحمهم الله جميعًا.

قال الإِمَامُ الطَّبَرِيُّ: «والصَّوابُ من القول في ذلك عندنا أَنْ يُقال: إِنَّ ذلك من الله خَبَرٌ عن نَاسٍ من المنافقين كانوا يُوالون اليَهُودَ والنَّصارىٰ، ويَغِشُّون المُؤْمنين، ويقولون: نخشىٰ أَنْ تدورَ دوائِرُ -إِمَّا لليَهُودِ والنَّصارىٰ، وإِمَّا لأَهْل الشِّرْك مِنْ عَبَدَةِ الأَوْثان، أَوْ غيرِهم- علىٰ الإِسْلام، أَوْ تنزل بهؤلاء المنافقين نازلةٌ، فيكون بنا إِلَيهم حاجةٌ، وقدْ يجوز أَنْ يكونَ ذلك كان من قولِ عَبْدِ الله بنِ أُبَيٍّ، ويجوز أَنْ يكونَ كان من قولِ غيرِه، غيرَ أَنَّه لا شكَّ أَنَّه من قولِ المنافقين»[٤].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٤٥).

(٢) قول عبادة أخرجه ابن أبي حاتم (٦٥٢١)، والطبري (٦/ ٢٧٨) في تفسيريهما.

(٣) المرجعان السابقان.

(٤) «جامع البيان» (٤/ ٦١٩).



لعلَّه بعد شيءٍ من التَّتبُّع اليَسير لجوانب مُوالاةِ المنافقين لإِخوانِهم الَّذين كفروا من أَهْلِ الكتاب يتبيَّن أَنَّها في مجالاتٍ عديدةٍ منها:

١ - نُصْرتُهم لهم حالَ نُشوبِ معركةٍ بينهم وبين المُؤْمنين - هكذا يزعمون -.

٢ - الخروجُ معهم من الدِّيارِ إِنْ كُتِب عليهم الجلاءُ - هكذا يزعمون - وإِنْ كان الله قد أَكْذبَهم، فلن ينصروهم، ولنْ يخرجوا معهم.

٣ - إِفْشاءُ سِرِّ المُؤْمنين إِلَيهم.

٤ - تَأْكيدُهم دائِمًا أَنَّهم معهم وفيهم ومنهم وإليهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [سورة البقرة:١٤].

٥ - مشابهتُهم إِيَّاهم في أَوْجُه المُعاداةِ للمُؤْمنين؛ ممَّا يدلُّ على وُجودِ ترتيباتٍ وخِطَطٍ سِرِّيَّةٍ ولِقاءَاتٍ خفيَّةٍ، تُنظَّم فيها الأَدْوارُ، وتُحاك فيها التَّدابيرُ، وتَتوزَّع فيها المهامُ، وهذا بإِذْنِ الله سيأْتي بسْطُه في مبحثِ مُشابَهتِهم لهم.

المطلبُ الثَّاني
موالاةُ المنافقين للمُشركين

وهنا سُؤَالٌ لم أَجِدْ له جوابًا صريحًا إِلَّا في ثلاثةِ مواضعَ، أَلَا وهو: هلْ كان هناك علاقةُ تآمُرٍ وتوافقٍ بين المنافقين وكُفَّارِ قُرَيْشٍ ضِدَّ المُؤْمنين، كما الحالُ والشَّأْنُ مع إِخْوانهم الَّذين كفروا من أَهْلِ الكتاب؟

والجواب فيما عَثَرْتُ عليه هو:

١- ظَهرتْ هذه النُّصْرَةُ والمُؤَازرةُ جليَّةً يوم أُحُدٍ يوم انْصَرف ابنُ سَلُولٍ رَأْسُ النِّفَاق بثُلُثِ الجيش؛ ليكْسِرَ في المسلمين معنويَّاتِهم، ويُخَلْخِلَ جمْعَهم، ويَفُتَّ في عَضُدِهم.

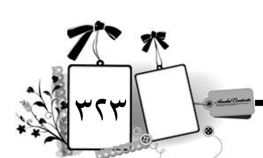
ما ذكَره الإِمَامُ ابنُ جَرِيْرٍ الطَّبَرِيُّ آنفًا عن قوله تعالىٰ: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ [سورة المائدة:٥٢] الآية، يقولون: نخشىٰ أَنْ تدورَ دوائِرُ علىٰ الإِسْلام، أَوْ تنزل بِهؤلاء المنافقين نازلةٌ، فيكون بنا إِلَيهم حاجةٌ؛ إِمَّا لليَهُودِ والنَّصَارَىٰ، وإِمَّا لأَهْلِ الشِّرْك مِنْ عَبَدَةِ الأَوْثان(١).

هذا كلُّه يعني أَنَّ مِنْ خصائِصِ المنافقين أَنَّهم كانوا لا يتورَّعون، ولا يَرْعَوُون عن وضْع أَيْدِيهم في يدِ كلِّ أَحَدٍ لحَرْبِ المسلمين، والمُمالَأَةِ عليهم.

٢- ويُمْكن القولُ بأَنَّ انْسحابَ ابنِ سَلُولٍ بثُلُثِ الجيش يوم أُحُدٍ وبطائِفَةٍ منه يوم تَبُوكَ هو في ذاتِه مُوالاةٌ لأَعْداءِ الله ورَسُولِه ﷺ والمُؤْمنين.

---

(١) «جامع البيان» (٤/ ٦١٩).



٣- ذَكَر الواحديُّ والقُشَيْرِيُّ والثَّعلبيُّ والمَاوَرْدِيُّ [(١)] وغيرُهم أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بنَ حَرْبٍ وعِكْرِمَةَ ابنَ أَبِي جَهْلٍ [(٢)] وأَبَا الْأَعْوَرِ عَمْرَوًا بنَ سُفْيَانَ[(٣)] نزلوا المَدِيْنَةَ علىٰ عَبْدِ الله بنِ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ رَأْسِ المنافقين بعد غَزْوَةِ أُحُدٍ، وقدْ أَعْطاهم النَّبِيُّ ﷺ الأَمَانَ علىٰ أَنْ يُكلِّموه، فقام معهم عَبْدُ الله بنُ سَعْدِ ابنِ أَبِي السَّرْحِ [(٤)]

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٤/ ١١٤).

(٢) هو: عكرمة ابن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي. الشريف، الرئيس، الشهيد، أبو عثمان القرشي، المخزومي، المكي. لما قتل أبوه، تحولت رئاسة بني مخزوم إلىٰ عكرمة، ثم إنه أسلم، وحسن إسلامه بالمرة .قال ابن أبي مليكة: كان عكرمة إذا اجتهد في اليمين قال: لا والذي نجاني يوم بدر. قال الشافعي: كان محمود البلاء في الإسلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال أبو إسحاق السبيعي: نزل عكرمة يوم اليرموك، فقاتل قتالا شديدًا، ثم استشهد، فوجدوا به بضعًا وسبعين من طعنة، ورمية، وضربة. وقال عروة، وابن سعد، وطائفة: قتل يوم أجنادين.«سير أعلام النبلاء»، للذهبي(١/ ٣٢٣).

(٣) هو: عمرو بن سفيان بن سعد بن قائف بن الأوقص بن مرة بن هلال بن فالج بن ذكوان، أبو الأعور السلمي. يقال له صحبة، وكان يوم اليرموك أميرًا علىٰ كردوس، وكان أمير الميسرة يوم صفين مع معاوية.

روىٰ عنه: قيس ابن أبي حازم، وأبو عبد الرحمن السلمي، وعمرو البكالي. وقال الوليد بن مسلم: حدثنا عثمان بن حصن، عن يزيد بن عبيدة، قال: غزا أبو الأعور السلمي قبرس ثانيًا سنة سبع وعشرين.

وعن سنان بن مالك أنه قال لأبي الأعور: إن الأشتر يدعوك إلىٰ مبارزته، فسكت طويلًا، ثم قال: إن الأشتر خفته وسوء رأيه حملاه علىٰ إجلاء عمال عثمان من العراق، ثم سار إلىٰ عثمان، فأعان علىٰ قتله، لا حاجة لي بمبارزته، توفي أبو الأعور في خلافة معاوية.

وقال ابن أبي حاتم: عمرو بن سفيان السلمي أبو الأعور شامي، أدرك الجاهلية، وليست له صحبة، وكان من أصحاب معاوية. ينظر: «تاريخ الإسلام» (٢/ ٤٤٦)، «الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة» (٧/ ٣٤٦).

(٤) هو: عبد الله بن سعد ابن أبي السرح بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري، يكنىٰ أبا يحيىٰ. كذا قال ابن الكلبي في نسبه حبيب بن جذيمة بالتخفيف.
=



وطُعْمَةُ بنُ أُبَيْرِقٍ (١) فقالوا للنَّبيِّ ﷺ وعنده عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ: ارْفُضْ ذِكْرَ آلهتِنا اللَّاتَ والعُزَّىٰ ومَنَاةَ وقلْ إِنَّ لها شفاعةً ومَنْعَةً لِمَنْ عبدها، ونَدَعُكَ ورَبَّك.

فشقَّ علىٰ النَّبِيِّ ﷺ ما قالوا، فقال عُمَرُ: يا رَسُولَ الله ائْذَنْ لي في قَتْلِهم. فقال ﷺ: إِنِّي قدْ أَعْطيتُهم الأَمَانَ، فقال عُمَرُ: اخْرُجوا في لَعْنة الله وغضَبِه. فأَمَرَ النَّبيُّ

= وقال محمد بن حبيب: حبيب بالتشديد، وكذا قال أبو عبيدة. أسلم قبل الفتح، وهاجر، وكان يكتب الوحي لرسول الله ﷺ، ثم ارتدَّ مشركًا، وصار إلىٰ قريش بمكة، فقال لهم: إني كنت أصرف محمدًا حيث أريد، كان يملي علي: ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فأقول: أو عليم حكيم؟ فيقول: نعم، كل صواب.

فلما كان يوم الفتح أمر رسول الله ﷺ بقتله، وقتل عبد الله بن خطل، ومقيس بن حبابة، ولو وجدوا تحت أستار الكعبة، ففر عبد الله بن سعد ابن أبي السرح إلىٰ عثمان، وكان أخاه من الرضاعة، أرضعت أمه عثمان، فغيبه عثمان حتىٰ أتىٰ به رسول الله ﷺ بعدما اطمأن أهل مكة، فاستأمنه له.

وأسلم عبد الله بن سعد ابن أبي السرح أيام الفتح، فحسن إسلامه، فلم يظهر منه شيء ينكر عليه بعد ذلك، وهو أحد النجباء العقلاء الكرماء من قريش، ثم ولاه عثمان بعد ذلك مصر في سنة خمس وعشرين، وفتح علىٰ يديه إفريقية سنة سبع وعشرين، وكان فارس بني عامر بن لؤي المعدود فيهم، وكان صاحب ميمنة عمرو بن العاص في افتتاحه وفي حروبه هناك كلها.

وولي حرب مصر لعثمان أيضًا، فلما ولاه عمان، وعزل عنها عمرو بن العاص، جعل عمرو بن العاص يطعن علىٰ عثمان أيضًا، ويؤلِّب عليه، ويسعىٰ في إفساد أمره، فلمَّا بلغه قتل عثمان وكان معتزلًا بفلسطين قال: إني إذا نكأت قرحة أدميتها، أو نحو هذا. ينظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر (٣/ ٩١٨).

(١) هو: طعمة بن أبيرق بن عمرو الأنصاري، ذكره أبو إسحاق المستملي في الصحابة، وقال: شهد المشاهد كلَّها إلا بدرًا. قال ابن حجر: وقد تكلم في إيمانه. انظر في ترجمته «المحبر» (١/ ٤٦٩)، «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر (٣/ ٥١٨)، «أسد الغابة»، لابن الأثير (١/ ٥٣٩)، «غوامض الأسماء المبهمة» (٢/ ٥٥٠).

ﷺ أَنْ يخرَجوا من المَدِينَةِ، فنزل قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [سورة الأحزاب:١].

فتأَمَّلْ أَيْنَ نزَل القومُ لَمَّا قدِموا المَدِينَةَ؟! وفي دار مَنْ؟! إِنَّ في هذا لدَلالةً على وثيقِ الرَّابطة والصِّلةِ بين الطَّرفينِ.

~~~~~~~
~~~~~~~

المطلبُ الثَّالثُ

صُوَرٌ من مُوالاة المُؤْمنين بعضِهم بعضًا

وبضِدِّها تتميَّز الأَشْياءُ؛ فهاهُم المُؤْمنون يحقِّقون -بلْ ويُتَرْجِمون- معاني هذا الرُّكْنِ بإِيْمانٍ وصِدْقٍ مع الله.

١- انْظُرْ إِلَىٰ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يجيءُ إِلَىٰ النَّبيِّ ﷺ قائِلًا: يا رَسُولَ الله: «إِنَّ لي مُواليَ مِنْ يَهُودٍ كثيرٍ سِلاحُهم قويَّةٌ أَنْفُسُهم، شديدةٌ شوكتُهم، وإِنِّي أَبْرَأُ إِلَىٰ الله ورَسُولِه مِنْ ولايةِ يَهُودَ، وأَتولَّىٰ الله ورَسُولَه والمُؤْمنين»(١).

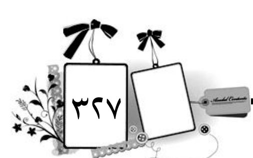
هكذا نطَق الإِيْمانُ، فبماذا نطَق النِّفاقُ! لقدْ أَبَانَ عن ذلك وأَفْصَحَ رَأْسُ المنافقين ابنُ سَلُولٍ فقال: إِنِّي رجلٌ أَخاف الدَّوائِرَ ولا أَبْرأُ من ولايةِ مواليَّ - أَيْ من اليَهُودِ - فأَنْزل الله تعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة المائدة:٥١].

٢- مِنْ أَعْظم الصُّوَرِ والمآثرِ التي تجسَّدتْ فيها معاني الولاءِ للمُؤْمنين ما كان من موقفِ المُؤَاخاة بين المهاجرين والأَنْصار. يقول ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ وبعد ذلك: «آخىٰ رَسُولُ الله ﷺ بين المهاجرين والأَنْصارِ في دار أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكانوا تسعين رجلًا نصْفُهم من المهاجرين، ونصْفُهم من الأنصار، آخىٰ بينهم علىٰ المُواساة، يتوارثون بعد الموت دون ذوي الأَرْحام إِلَىٰ حين وَقْعَةِ بَدْرٍ، فلمَّا أَنْزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ﴾ [سورة الأنفال:٧٥]، ردَّ التوارثَ إِلَىٰ الرَّحِم دون عقْد الأُخُوَّة»(٢).

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٢٣٠١)، والطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٨٧) من طريق عطية العوفي مرسلًا.

(٢) «زاد المعاد»، ابن القيم (٣/ ٦٣).



إِنَّ هذه الأُخُوَّةَ الإِيمانيَّةَ هي الوشيجةُ العُظْمىٰ، والرَّابطةُ الفريدةُ في علاقات البَشَر بعضِهم مع بعضٍ؛ فلقدْ أَحَسَّ كلُّ مُؤْمنٍ - كما قال الأُسْتاذُ مُحَمَّدُ قُطْبٍ- سواءً كان مهاجريًّا أَمْ أَنْصاريًّا، برباطٍ جديدٍ يَرْبِطُه بإِخْوَتِه في الله؛ فكلُّ واحدٍ منهم يُحِبُّ أَخَاه كحبِّه لنفسه، مع أَنَّه ليس من قبيلته، ولا بينهما آصرةُ دمٍ، بلْ إِنَّ آصرةَ الدَّم - حين كانتْ في الجاهليَّة - لم تكن تُنشئُ في نفس أَحَدِهم ذلكَ الحبَّ الصافي العجيبَ الذي يُحسُّه الآن لأَخِيه في العقيدة.

ترىٰ ما الفَرْق بين لقاءِ الجاهليَّة ولقاءِ الإِسْلام؟

لماذا لا تُوجَدُ هذه المشاعرُ إِلَّا علىٰ العقيدة؟

والجواب: أَنَّ الأَمْرَ ليس سرًّا، ولا سِحْرًا، ولكنَّه الإِسْلامُ يلتقي فيه النَّاس علىٰ العقيدة في الله؛ لأَنَّ كلًّا منهم يُحبُّ الله ورَسُولَه ﷺ، فلا تكون ذواتُهم بارزةً ولا متوفِّرةً لاقتناص المَصْلحة من الآخَر كما هي في العلاقات الجاهليَّةِ، وإِنَّما الجانبُ البارزُ هو الحُبُّ في الله[1]، لذا كانت الأُخُوَّةُ من أَسْمىٰ صُوَرِ المُوالاة بين المُؤْمنين.

٣- ومن هذه النَّماذج ما أَخْرج البَزَّارُ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «مرَّ رَسُولُ الله ﷺ بعَبْدِ الله بنِ أُبَيٍّ بنِ سَلُولٍ وهو في ظلِّ أُطُم[2] فقال ابنُ سَلُولٍ: غبَّر علينا ابنُ أَبِي كَبْشَةَ[3]. فقال ابْنُه عَبْدُ الله بنُ عَبْدِ الله بْنِ أُبَيٍّ بنِ سَلُولٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[4]:

(١) «منهج التربية الإسلامية»، محمد قطب (٢/ ٤٠ -٤١).

(٢) الأطم: البناء المرتفع . انظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٢٠).

(٣) أبو كبشة هو زوج حليمة السعدية مرضعة النبي ﷺ .

(٤) هو: عبد الله بن عبد الله ابن أبي بن مالك بن سلول الأنصاري الخزرجي والده رأس النفاق وزعيمه، شهد بدرًا وما بعدها وقد أصيب يوم أحد، فأمره النبي ﷺ أن يتخذ أنفًا من ذهب، استشهد يوم اليمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

انظر في تخريجه: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر (٦/ ٢٧٣)، «أسد الغابة»، لابن الأثير (٣/ ٢٩٦) ومشاهير علماء الأمصار (١٠٣)، «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر(٦/ ١٤٢)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (١/ ٣٢١).

يا رَسُولَ الله، والَّذي أَكْرَمَك لئِنْ شِئْتَ لآتِيَنَّكَ بِرَأْسِه؟ فقال: «لَا، وَلَكِنْ بَرَّ أَبَاكَ، وَأَحْسِنْ صُحْبَتَهُ»(١).

٤- وأَخْرج ابنُ أَبِي شَيْبَةَ: «أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ابنَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا(٢) قال لأَبِي بَكْرٍ: رَأَيْتُك يوم أُحُدٍ فصَدَفْتُ عنك. فقال أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لكنِّي لوْ رَأَيْتُك ما صَدَفْتُ عنك، وقد أَسْلَمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هُدْنَةِ الْحُدَيْبِيَةِ»(٣).

٥- ومن هذه الصُّوَرِ الكريمةِ استخدامُ الحصار الاقتصادي في الْموالاة في الله والْمُعاداة فيه: وذلك مثلُ ما فعَل ثُمَامَةُ بنُ أُثَالٍ مَلِكُ اليمامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٤) عندما

---

(١) أخرجه البزار في «مسنده» (١/ ٢٠٩)، وصححه ابن حبان في «صحيحه»، وأورده الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٣٢٢٣).

(٢) عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق شقيق أم المؤمنين عائشة، حضر بدرًا مع المشركين؛ ثم إنه أسلم، وهاجر قبيل الفتح. وأما جده أبو قحافة فتأخر إسلامه إلى يوم الفتح. وكان هذا أسن أولاد الصديق، وكان من الرماة المذكورين، والشجعان، قتل يوم اليمامة سبعة من كبارهم.

له أحاديث، نحو الثمانية، اتفق الشيخان على ثلاثة منها. روى عنه: ابناه؛ عبد الله وحفصة، وابن أخيه؛ القاسم بن محمد، وأبو عثمان النهدي، وعبد الرحمن ابن أبي ليلى، وعمرو بن أوس الثقفي، وابن أبي مليكة، وآخرون.

وهو الذي أمره النبي ﷺ في حجة الوداع أن يعمر أخته عائشة من التنعيم. قال مصعب الزبيري: ذهب إلى الشام قبل الإسلام، فرأى هناك امرأة يقال لها: ابنة الجودي الغساني، فكان يذكرها في شعره ويهذي بها. توفي: في سنة ثلاث وخمسين. قال الذهبي: هكذا ورخوه، ولا يستقيم.

وقال ابن سعد: إنه أسلم في هدنة الحديبية وهاجر، وأطعمه النبي ﷺ بخيبر أربعين وسقًا، وكان يكني أبا عبد الله، ومات سنة ثلاث وخمسين. ينظر: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٢/ ٤٧١)، «تاريخ الإسلام» (٢/ ٥٢٠).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٦٧٩٥) عن أيوب السختياني، وهو مرسل.

(٤) هو: ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدول بن حنيفة الحنفي. مر به رسول لرسول الله ﷺ فأراد ثمامة قتله، فمنعه عمه من ذلك، فأهدر رسول الله ﷺ =



أَسْلَم؛ فقدْ آذىٰ المسلمين في أَوَّلِ أَمْرِه، ثُمَّ أُسِرَ، فمنَّ عليه رَسُولُ الله ﷺ، وبعد أَنْ أَسْلم قال: يا رَسُولَ الله، والله ما كان علىٰ ظَهْر الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَض إِلَيَّ من وَجْهِك قبلَ أَنْ أَسْلَمَ، وقدْ أَصْبَحَ وَجْهُك الآنَ أَحبَّ الوجوهِ كلِّها إِلَيَّ، ووالله ما كان دِيْنٌ أَبْغَض إِلَيَّ مِنْ دِيْنِك، فأَصْبَحَ دِيْنُك أَحبَّ الدِّين كلِّه إِلَيَّ، ووالله ما كان بلدٌ أَبْغَض إِلَيَّ مِنْ بلدِك، فأَصْبَحَ بلدُك أَحبَّ البلاد كلِّها إِلَيَّ.

ثُمَّ قال: كُنْتُ أَصَبْتُ في أَصْحابِك دمًا، فما الذي تُوجِبُه عليَّ، فقال: النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكَ يَا ثُمَامَةَ؛ فَإِنَّ الْإِسْلَامَ يَجُبُّ ما قَبْلَهُ».

ثُمَّ ذهَب معتمرًا إِلَىٰ مَكَّةَ، وهو حديثُ عَهْدٍ بالإِسْلام، وأَقْبَلَ علىٰ قُرَيْشٍ بكلِّ عِزَّةٍ وكِبْرِيَاء، فثاروا في وجهه، ووصفوه بمُخْتلف الأَوْصاف، وكادوا يقتلونه؛ لأَنَّهم كانوا يعدُّونه سندًا ومعينًا لهم، ثُمَّ قال لقُرَيْشٍ: أُقْسِمُ بربِّ هذا البيت، إِنَّه لا يصِل إِلَيْكُمْ بعد عودتي إِلَىٰ اليمامة حبَّةٌ من قَمْحِها أَوْ شيءٌ من خيراتِها حتَّىٰ تتَّبِعوا مُحَمَّدًا عن آخِرِكم.

= دم ثمامة، ثم خرج ثمامة بعد ذلك معتمرًا، فلما قارب المدينة أخذته رسل رسول الله ﷺ بغير عهد ولا عقد، فأتوا به رسول الله ﷺ فقال: إن تعاقب تعاقب ذا ذنب، وإن تعف تعف عن شاكر، فعفا رسول الله ﷺ عن ذنبه فأسلم وأذن له رسول الله ﷺ في الخروج إلىٰ مكة للعمرة، فخرج فاعتمر، ثم انصرف، فضيق علىٰ قريش، فلم يدع حبة تأتيهم من اليمامة، فلما ظهر مسيلمة وادعىٰ النبوة، قام ثمامة بن أثال في قومه، فوعظهم وذكَّرهم وقال: إنه لا يجتمع نبيَّان بأمر واحد، وإنَّ محمَّدًا رسول الله لا نبي بعده، ولا نبي يشرك معه، وقرأ عليهم: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [سورة غافر: ١-٣]. هذا كلام الله. أين هذا من: يا ضفدع نقي لا الشراب تمنعين ولا الماء تكدرين، والله إنكم لترون أن هذا كلام ما خرج من إله. فلما قدم خالد بن الوليد اليمامة شكر ذلك له وعرف به صحة إسلامه. «الطبقات الكبرىٰ» (٥/ ٥٥٠)، «أسد الغابة»، لابن الأثير (١/ ٤٧٧).



وفعَل ما قال بكلِّ حَزْمٍ وقُوَّةٍ، حتَّىٰ فشا في قُرَيْشٍ الجُوعُ، واشْتدَّ عليهم الكَرْبُ، شَكوا إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ الأَمْرَ وقالوا: قَتَلْتَ الرِّجالَ بالسِّلاح، والأَطْفالَ والنِّساءَ بالجُوع، وكان الرَّسُولُ ﷺ مُشْفِقًا حتَّىٰ علىٰ أَعْدائِه، فكتَب ﷺ إِلَىٰ ثُمامَةَ بنِ أُثالٍ بأَنْ يُطْلِقَ ما منعه عنهم من المِيْرةِ من تمْرٍ وطعامٍ، ففعَل ذلك»[1].

٦- ومن صُوَرِ المُوالاةِ في الله: أَنْ يكون المسلمون كالجسدِ الواحدِ؛ إِذَا اشْتكىٰ منه عُضْوٌ، تداعىٰ له سائِرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحُمَّىٰ، وقدْ تحقَّق هذا في عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ وفي عَهْدِ الخُلفاءِ الرَّاشدين مِنْ بعده؛ فقدْ كان عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: لأَنْ أَسْتَنْقِذَ رجلًا من المسلمين مِنْ أَيْدِي الكُفَّارِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جزيرةِ العرب[2].

وقد رُوي أَنَّ أَحَدَ الجنودِ المسلمين وقَع أَسِيرًا في حَوْزَةِ الرُّومان، وأَنَّهم حمَلوه إِلىٰ إِمْبَراطُورِهم الذي حاوَل أَنْ يُكرِهَه علىٰ ترْكِ إِسْلامِه، ورفَض الأَسِيرُ المسلمُ وبقِي علىٰ عقيدته، فثار الإمبراطور، وأَمَرَ أَنْ تُفقأَ عيناه. وسمِع عُمَرُ بنُ عَبْدِ الْعَزِيْزِ رَحِمَهُ اللَّهُ[3] فكتَب إِلَىٰ مَلِكِ الرُّوم يقول: أَمَّا بعد. فقد بلغني ما صَنَعْتَ

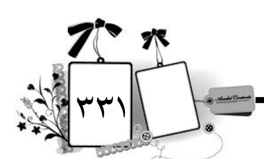
---

(١) أخرج نحوه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٥)، والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ٨١) وبعض هذه الرواية عند أبي داود (٢٤٠٢) وعند النسائي (١٨٩) وقال عنها الألباني: صحيحة.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٢٥٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٣٩٢٩).

(٣) هو: عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم (أبو حفص) القرشي الأموي، ولد سنة (٦١هـ) وهي السنة التي قتل فيها الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، نشأ في بيئة مترفة غنية طلب العلم شابًّا حتىٰ قال عنه مجاهد: أتينا عمر بن عبد العزيز نعلِّمه، فما برحنا حتىٰ تعلمنا منه.

وقال عنه ميمون بن مهران: عمر بن عبد العزيز معلِّم العلماء. وكان فصيحًا بليغًا ولاَّه الوليد بن عبد الملك علىٰ المدينة وهو ابن خمس وعشرين من عمره، وكان مستشارًا للخليفة سليمان بن عبد الملك، ثم ولي الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك وخطب فقال: ألا إني لست بخيركم ولكني رجلٌ منكم ... كان زاهدًا عابدًا ورعًا جهز العديد من الجيوش الغازية في سبيل الله .. توفي سنة (١٠١هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ. =



بالأَسِيْرِ المسلمِ. وإنِّي أُقْسِمُ بالله لئِنْ لمْ تُرْسِلْه إليَّ من فَوْرِك، لأَبْعَثَنَّ إليك مِنَ الجُنْد ما يكون أَوَّلُهم عندك، وآخِرُهم عندي(١).

وعندما وصَل الخِطابُ تراجع مَلِكُ الرُّوم أَمَامَ هذه العزيمةِ، وأَمَرَ بإِعَادة الأَسِيْرِ المسلمِ إِلَى أَهْلِه وقومِه(٢)؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [سورة التوبة:٧١] الآية.

ويكفينا في هذا الشَّأْنِ قُدْوةً وأُسْوةً الأَنْبِيَاءُ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ؛ حيث تجلَّتْ صُوَرُ ذلك في حياتهم؛ فها هو إِبْرَاهِيْمُ والَّذين آمنوا معه قال تعالىٰ في شأْنِهم: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [سورة الممتحنة:٤] الآية.

وقبل ذلك نُوحٌ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ مع ابْنِه الكافرِ؛ قال سبحانه: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة هود:٤٥-٤٧].

= انظر في ترجمته: «الأعلام» (٤/ ٢٨) و«سيرة عمر» لابن الجوزي، و«البداية والنهاية» (٦/ ١٩٢) و«وفيات الأعيان» (٣/ ١١٥) وسيرة عمر بن العزيز خامس الخلفاء الراشدين، وغيرها.

(١) أخرجه أبو العرب في «المحن» (ص٣٩٦)، عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم.

(٢) انظر: مجلة «الدعوة المصرية»، عدد (٤٧) عام (١٤٠٠هـ)، (ص٥٥) بقلم محمد الخطيب.

المطلبُ الرَّابعُ
مجالاتُ موالاةُ المنافقينَ في زماننا لأَعْداءِ الدِّين

إِنَّ نظرةً إِلَىٰ الواقع المعاصرِ لتكشف بكلِّ وُضوحٍ صُوَرَ وأَسَاليبَ المنافقين في مُوالاتهم ومُؤَازرتِهم لأَعْداءِ الله وتخَلِّيهم عن المُؤْمنين، ومختصرُ القولِ في هذا يندرج في هذه النِّقاط العجلىٰ:

أـ بعضُ صُوَرِ الموالاة في جانب العقيدة:

١ - موالاتُهم للكفَّار والتَّوددُ إِلَيهم والإِعْجابُ بِهم واستعطافُهم.

٢ - تقريبُهم ومعاشرتُهم واستعمالُهم في قضايا المسلمين العامة.

٣- إِتَاحةُ الفرصةِ لأَعْداءِ الله من اليَهُودِ والنَّصَارَىٰ أَوْ غيرِهم من الفِرَقِ الضَّالة والعقائِدِ المُنْحرفةِ بأَنْ يكون لهم صولةٌ وجولةٌ ومعابدُ وكنائِسُ في ديار المسلمين.

بـ بعضُ صُوَرِ الموالاة في مجال التَّنْظيم والتَّشريع:

١ - أَخْذُ قوانينهم الوضعيَّة لتكون هي الحاكمةُ في حياة النَّاس بدلًا من الشَّريعة، وقد بدا ذلك في مُنْتَصَف القرنِ العاشرِ الهِجْرِيِّ في عَهْدِ السُّلْطان العُثْمانِيِّ الَّذي كان يُسمَّىٰ بسُلَيْمانَ القانونيِّ[١] ثُمَّ اتَّسع انتشارُ تحكيمِها في أَقْطار المسلمين إِلَّا ما رَحِمَ الله.

---

(١) هو: سليمان ابن السلطان سليم الأول ابن السلطان بايزيد الثاني عاشر سلاطين آل عثمان، ولد بإسطنبول خلف والده علىٰ العرش سنة (٩٢٦هـ) بلغت الدولة العثمانية في عهده أوج الكمال والقوة سياسيًّا وثقافيًّا وعسكريًّا، كان ذا مقدرة كبيرة علىٰ التنظيم والتشريع، تمتَّع بمهارات عسكريَّة عالية، شارك بنفسه في ثلاث عشرة معركة عشر منها في أوروبا، وثلاث في آسيا، وكان من أبرز فتوحاته الحربية استيلاؤُه علىٰ بلجراد عاصمة الصِّرب عام (٩٢٧هـ) واستولىٰ علىٰ جزيرة رودس معقل فرسان القديس عام (٩٢٩هـ) وسحق المجر في معركة عظيمة وقضىٰ علىٰ =



٢- ومن صُوَرِ الولاءِ إِعْفاءُ الكفَّار المقيمين في دار الإِسْلام من القضاءِ الإِسْلاميِّ ومن التَّحاكم إِلَيه، بلْ لربَّما أُنشِئَتْ لهم محاكمُ خاصَّةً.

ج- بعضُ صُوَرِ الموالاةِ في مجال الفِكْرِ والثقافة:

١- أَخْذُ عُلُومِهم ومناهجِهم الفِكْريَّةِ برُمَّتِها، ونشرُها في المجتمعات المسلمةِ دون فَحْصٍ أَوْ انتقائِيَّةٍ أَوْ تهذيبٍ.

٢- ابتعاثُ أَبْنائِنَا -بل وبناتِنا- إِلَيهم وذلك مِنْ أَجْلِ الدِّراسة والتَّحصيلِ العِلْميِّ دون أَنْ يكون لذلك ضوابطُ شرعيَّةٌ ومعاييرُمرعِيَّة... إلخ.

د- بعضُ صُوَرِ الموالاةِ في مجال الأَخْلاقِ والآدابِ الاجْتماعيَّة:

١- إِتَاحةُ المجال لهؤلاء الكفرة بنشر فسادهم المُتمثِّلِ في موادِّهم الإِعْلاميَّةِ والفنيَّةِ.

٢- فتحُ باب السِّياحة لهم في بلاد المسلمين دون قُيودٍ أَوْ ضوابطَ... ممَّا يَنْجَرُّ عليه هَدْمٌ لأَخْلاقٍ وتقويضٌ لآدابٍ.

= نفوذ الشيعة كاليمن والجزائر وتونس ومراكش والعراق وليبيا.

في عهده أتيح للدول الغربية أن يكون لهم امتيازات أجنبية التي قاست منها البلاد الإسلامية كثيرًا، فكانت هذه الامتيازات سببًا في استغلال المسلمين وتضييع حقوقهم واستعلاء الأجانب عليهم، ولَمَّا سكت العلماء وقالوا: إن هذه القوانين المستحدثة والدساتير الوافدة لا تخرج في موادها عن فقه المذاهب الأربعة حتى لا يقال هذه القوانين كفر سميت بتنظيمات، في عهده جُدّد الحَرَمَان بناءً وتشييدًا، وأنشأ مكتبة عظيمة على مستوى العالم الإسلاميِّ، ولها فروعها، تسمَّى بالمكتبة السليمانيَّة، توفِّي عام (٩٧٤هـ) وبعده بدأت تضعف الدولة العثمانية.

انظر في ترجمته: «المفصل في أحكام الهجرة» (٤/ ٨)، و«شرح العقيدة الطحاوية» للشيخ سفر (١/ ٥٣٩) «لماذا نمزق القرآن الكريم» (١/ ٤٣) و«الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط» (١/ ٢٥٧) و«تاريخ المساجد الشهيرة» (١/ ٤٤)، و«الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل» (٥/ ٤٤).

٣- الإقبالُ علىٰ الزَّواج من الكافرات دون تحفُّظٍ ولا نظرٍ في عواقب الأُمور.. وقد تزوَّج بعضُهم مشركاتٍ ومُلحداتٍ -والعياذُ بالله- بلْ قد وُجِد من النِّساءِ المسلمات من تزوَّجْنَ كفَّارًا.

٤- أَمَّا المظاهرُ الاجتماعيَّةُ كالأَكْلِ واللِّباسِ والزَّواجاتِ وغيرِها فقد غُزينا بمظاهر التَّشبُّه بهم والسَّيْرِ علىٰ خُطاهم حَذْو القَذَّة بالقَذَّة.

هـ- صُوَرُ الموالاة في مجال السِّياسة.

فمن أَعْظم الأَبواب التي ظَهرتْ من خِلالِه أَوْجُه موالاة أَعْداءِ الدِّين ما رَضِيَتْ به دُوَلٌ عديدةٌ لنفسها من:

١- عقْدِ معاهداتٍ دوليَّةٍ سياسيَّةٍ دون اعتبار للقِيَمِ الإِسْلاميَّةِ.

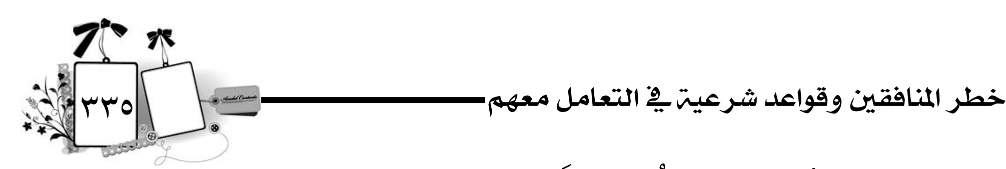
٢- المساواةُ لدىٰ القانون في الحُقوقِ والواجباتِ بين جميع طوائِفِ ومعتقداتِ بلدٍ واحدٍ وشَعْبٍ واحدٍ فلا فرْقَ بين مُسْلِمٍ ولا بُوذِيٍّ ولا يَهُودِيٍّ ولا نَصْرَانيٍّ ولا فرقَ بين مَسْجِدٍ ومَعْبَدٍ وكَنِيْسَةٍ... الخ.

و- بعضُ صُوَرِ الموالاة في مجال المالِ والاقتصاد:

تطبيقُ آرَائِهم ونظريَّاتِهم في هذا الشَّأْن دون تمحيصٍ وتدقيقٍ بما يتلاءَمُ وما جاءَ به الشَّارعُ الحكيمُ، وقدْ توجَّهوا الآن بالضَّغْط وبقُوَّةٍ ليحصلوا -أَيْ أَعْداءَ الله- علىٰ امتيازاتٍ أَجْنبيَّةٍ في البلاد الإِسْلاميَّة[1].

---

(١) اقتبست هذه المجالات من كتاب «التساهل مع غير المسلمين»، عبدالله الطريفي (ص١٢-٢٢) بتصرف يسير، وللتوسع في بيان خطر الامتيازات الأجنبية في البلاد الإسلامية انظر: «الاستثمار الأجنبي المباشر في الدول الإسلامية في ضوء الاقتصاد الإسلامي»، رسالة ماجستير للباحث محمد بن عبد العزيز بن عبد الله، «التمويل الأجنبي وموقف الإسلام منه»، رسالة دكتوراة للباحث د/ أحمد بن سعد الخطابي الحربي.



وهناك العديدُ من صُوَرِ المُوالاة لأَعْداء الله منها:

نُصْرتُهم وإِعَانتُهم على المسلمين وتوليَتُهم المناصبَ واتِّخاذُهم بِطانةً ومستشارين إِلَى غير ذلك[1] ممَّا يندرج تحته كلُّ معاني المُوالاة:

كالمحبَّة والمتابعةِ والنُّصْرةِ والقُرْبِ والاتِّخاذِ والتَّفْويضِ والطَّاعةِ والتَّأْييدِ والحليفِ والخاصَّةِ والبِطانةِ والاتِّحادِ والتَّجانسِ.

---

(١) «الولاء والبراء في الإسلام» (٧-١٦) للدكتور محمد بن سعيد القحطاني، ولمزيد الاطلاع والتوسع انظر: «حقيقة الولاء والبراء»، للدكتور سيد بن سعيد بن عبد الغني، «الموالاة والمعاداة»، للدكتور محماس بن عبد الله الجلعود، «الولاء والبراء بين أهل السنَّة ومخالفيهم»، للدكتور إبراهيم بن عثمان الفارس، «الولاء والعداء»، للدكتور عبد الله بن إبراهيم الطريقي.

المبحثُ الثاني
مشابهةُ المنافقين والرَّافضةُ لليهود

لقد ذُكِرَ - بحمد الله - في ثنايا ما مضىٰ من البحث بيانُ ما عليه حالُ المنافقين من وشيجةٍ وصِلَةٍ حميمةٍ فيما بينهم وبين اليَهُودِ، وأَنَّ جُذورَ هذه الرَّابطةِ واللُّحمةِ قد تجاوزتْ جانبَ المودَّةِ والمحبَّةِ، إِلَىٰ أَنْ أَصْبحَ الوضْعُ يحكي حياكةَ خِطَطٍ وتنسيقِ جهودٍ وتناوبِ أَدْوارٍ، ممَّا يجعلهم في خَنْدَقٍ واحدٍ لحرب الإِسْلام والمسلمين.

وممَّا يُؤَكِّد ذلك ويَفْضَحه ويُظْهِره للعيان قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة البقرة:١٤]، قال ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّ المرادَ بشياطينهم اليَهُودُ»(١).

وذهَب قبله الإِمَامُ ابنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إِلَىٰ أَنَّ الآيةَ أَعَمُّ وأَشْملُ فقال: «ولعلَّ الصَّوابَ هو التَّعْميمُ، واعْتبارُ ﴿شَيَٰطِينِهِمْ﴾ شاملةً لليَهُودِ وسائِرِ مِلَلِ الكُفْرِ المخالفةِ للإِسْلام، إِضَافةً إِلَىٰ إِخْوانِهم من المنافقين... ويشملُ ذلك رُءُوسَ النِّفاق وقادتَه»(٢).

وممَّا يُؤَكِّد آصرةَ ما بين المنافقين واليَهُودِ ما ذُكر سابقًا في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة الحشر:١١] الآية.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٩٣).

(٢) «تفسير الطبري» (١/ ١٦٣).

قال غيرُ واحدٍ مِنْ أَهْلِ التَّفْسيرِ: إنَّ قولَ المنافقين هذا كان لإِخْوانهم مِنْ يَهُودِ بني النَّضِيْرِ؛ تآزُرًا معهم، ونُصْرةً لهم، لَمَّا نقضوا العَهْدَ مع النَّبيِّ ﷺ فعزَم على إِجْلائِهم(١).

ومن ذلك قولُه تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [سورة النساء:١٣٨-١٣٩].

قال الإِمَامُ البَغَويُّ وغيرُ واحدٍ من أَهْلِ التَّفْسير بأنَّهم اتَّخذوا اليَهُودَ أَوْلِياءَ وأَصْفياءَ(٢).

ومثل ذلك قولُه سبحانه: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة المجادلة:١٤]. قال الإِمَامُ الطَّبَريُّ: «تولِّي المنافقين لليَهُودِ ومُناصحتُهم»(٣).

ومما يُسهِّلُ مُهِمَّةَ هذا التَّواصُلِ والتَّرابُطِ دخولُ عددٍ من اليَهُودِ في صُفوف المنافقين يُظْهِرون الإِسْلامَ ويُبطنون الكُفْرَ.

وقد ظَهَر في عهود المسلمين المتتابعةِ مَنْ كان يَهُودِيًّا، ثُمَّ تلبَّس بالإِسْلام ليَكِيدَه من داخله، ويُحقِّق ما يُريد مِنْ خِلال نِفاقِه، كمثلِ عَبْدِ الله بنِ سَبَأٍ اليَهُودِيِّ مِنْ يَهُودِ صَنْعَاءَ، ويُلقَّب بابنِ السَّوداءِ، أَسْلَمَ نفاقًا أَيَّام عُثْمانَ، وأَشْعَل نارَ الفِتْنَةِ التي انتهتْ بقتْله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عام ٣٥هـ(٤).

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٨/ ٤٣) و«الدر المنثور» (٨/ ١١٣) وغيرهما.

(٢) «تفسير البغوي» (٢/ ٣٠٠).

(٣) «جامع البيان»، للطبري (٢٨/ ٢٣).

(٤) «النفاق وخطره على العقيدة»، د/ عبد العزيز الشهوان (٢٤٥ – ٢٤٦).

وأَمَّا الشَّاهِدُ الآخَرُ فهو مَيْمُونُ بنُ دَيْصَانَ القَدَّاحُ. ذكَر بعضُ المحقِّقين أَنَّه يَهُودِيٌّ متعصِّبٌ ليَهُودِيَّتِه، كان حَبرًا مِنْ أَحْبارهم، وعالمًا بالفَلْسفةِ والنُّجومِ.

هذا المنافقُ اليَهُودِيُّ كمَنْ سبَقه ارْتدى لُبوسَ الإِسْلام، ومنه انطلقتْ الحركةُ الباطنيَّةِ التي ارْتكبتْ عبْر تاريخِها المُمْتدِّ مجازرَ داميَةً، وتبنَّت مناهجَ مُنْحرفةً، وتشعَّب عنها فِرَقٌ وطوائِفُ كلُّها لها في الإِثْم والشَّرِّ مضاءٌ، وفي البَغْيِ والإِفْسادِ لِوَاءٌ(١).

وأَمَّا مَنْ كان مِعْوَلَ هدَم ومِسْمارَ نعْشٍ في عَهْدِ الخلافة العُثْمانيَّة، فاليَهُودِيُّ المنافقُ الَّذي يُدعى سباباتِيُّ بنُ مورداخاي سيفي؛ تلبَّس بالإِسْلام زُورًا، وادَّعى النُّبُوَّةَ، وزعَم أَنَّه المسيحُ، وكان له الدَّورُ الأَكْبَرُ في كيان يَهُودِ الدُّونَمة الَّذين كانوا من الأَسْبابِ الكبيرةِ في تقويضِ الخلافة العُثْمانيَّةِ(٢).

هذه الحقائِقُ القُرْآنِيَّةُ في هذه الآياتِ وفي غيرها تُشير إِلَى عُمْق الرَّابطةِ بين هَذَيْنِ الفريقين، من أَجْلِ ذلك كان وَجْهُ الشَّبَهِ بينهما كبيرٌ، بلْ إِنَّك لا تكاد تجِد صفةَ ذَمٍّ في اليَهُودِ إِلَّا وفي المنافقين والرَّافضةِ(٣) مِثْلُها، إِلَّا ما نَدَر، وسَأَحْرِصُ هنا على اسْتِعراض أَهَمِّ وأَبْرَزِ الصِّفاتِ والسِّماتِ المُشْتركةِ بينهم؛ حتَّى لا يطول بنا المقام.

الصِّفات والسِّمات المشتركة بين اليهودِ والرَّافضة والمنافقين:

أولًا: النفاق:

أ- النِّفاقُ عند اليَهُودِ:

لقد كان مسلكًا من مسالك اليَهُودِ التي وَلَجُوها لتحقيق مآربِهم، وبُلوغِ

---

(١) المرجع السابق (٢٤٧)، و«ظاهرة النفاق» (٢/ ٥٧٥ - ٥٨٤).

(٢) لمزيد من الإطلاع راجع: «ظاهرة النفاق» (٢/ ٥٨٨)، وكذلك «بذل المجهود في مشابهة الرافضة لليهود» (١/ ٦١ - ١/ ٦٤).

(٣) انظر: مجموع كتاب «بذل المجهود في مشابهة الرافضة لليهود»، للشيخ/ عبد الله الجميلي.



غاياتِهم، وقد سرَد عددٌ من كُتَّابِ السِّيرةِ وغيرِهم بعضَ مَنْ نافق مِنْ يهُودَ، ممَّا يُثبت هذا المعنىٰ ويُؤَكِّده، ومن هؤلاء ممَّن هُمْ مِنْ يهُودِ بني قَيْنُقَاعَ:

١- سَعْدُ بنُ حُنَيْفٍ.

٢- نُعْمَانُ ابنُ أَبِي أَوْفَىٰ.

٣- عُثْمَانُ بنُ أَوْفَىٰ.

٤- رَافِعُ بنُ حُرَيْمَلَةَ، وهوالَّذي يوم مات قال بشَأْنِه الرَّسُولُ ﷺ: «قَدْ مَاتَ الْيَومَ عَظِيْمٌ مِنْ عُظَمَاءِ المُنَافِقِيْنَ»(١).

٥- رِفَاعَةُ بنُ زَيْدِ بْنِ التَّابُوتِ، وهو الَّذي قال الرَّسُولُ ﷺ بشَأْنِه حين هبَّت علىٰ المسلمين رِيْحٌ وهُمْ قافلون مِنْ غزوة بني المُصْطَلق فاشتدَّت عليهم حتَّىٰ أشفقوا منها: «لَا تَخَافُوا؛ فإِنَّما هبَّت لموت عَظِيْمٍ من عُظَمَاءِ الكُفَّارِ»(٢)، فلمَّا قدِموا المَدِيْنَةَ وجدوا رِفَاعَةَ بنَ زَيْدٍ ابنِ التَّابوت قدْ مات ذلك اليوم الَّذي هبَّتْ فيه الرِّيْحُ؛ فقدْ كان مِنْ عُظماءِ الكافرين، وكهفًا للمنافقين.

٦- سِلْسِلَةُ بنُ بَرْهَام.

٧- كِنَانَةُ بنُ صُورِيَا.

٨- زَيْدُ بنُ اللَّصِيْتِ، وهو الَّذي قال حين ضلَّت ناقةُ الرَّسُولِ ﷺ، وهو في الطَّريق إِلَىٰ غزوة تبُوكَ: أَلَيس مُحَمَّدٌ يَزْعُمُ أَنَّه نَبِيٌّ، ويُخْبِرُكُم عن خبَرِ السَّماءِ وهو لا يدري أَيْنَ ناقته؟ وكان في رَحْلِ عُمَارَةَ بنِ حَزْمٍ(٣)، بينما كان عُمَارَةُ عند

---

(١) انظر: «سيرة ابن هشام» (١/ ٥٢٧) والروض الأنف (٢/ ٣٨٤)، جوامع السيرة (١/ ٩٩).

(٢) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٦٤٦٦) وحكم الألباني بصحة الرواية.

(٣) عُمَارَةُ -بضم أوله- بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار الأنصاري، صحابي جليل كانت معه راية بني مالك بن النجار يوم فتح مكة شهد العقبة =

رَسُولِ الله ﷺ وفي ذلك الوقت قال الرَّسُولُ ﷺ وعُمارَةُ عنده: «إِنَّ رَجُلًا قال: هَذَا مُحَمَّدٌ يُخْبِرُكُمْ أَنَّه نَبِيٌّ وَيَزْعُمَ أَنَّه يُخْبِرُكُمْ بِخَبَرِ السَّمَاءِ، وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقتُهُ، وَإِنِّي والله لَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللهُ، وَقَدْ دَلَّنِي اللهُ عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي هَذَا الْوَادِي، فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا، قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا، فَانْطَلِقُوا حَتَّىٰ تَأْتُونِي بِهَا، فَذَهَبُوا فجَاءُوا بِهَا».

فرجع عُمارَةُ بنُ حَزْمٍ إِلَىٰ رَحْلِه، فقال: والله لعَجَبٌ من شيءٍ حدَّثَناه رَسُولُ الله ﷺ آنفًا عن مقالة قائِلٍ أَخْبَرَهُ اللهُ عنه بكَذَا وكَذَا، للكلام الَّذي قاله زَيْدُ بنُ اللَّصِيْتِ.

فقال رجلٌ ممَّن كان في رَحْل عُمارَةَ بنِ حَزْمٍ، ولم يكنْ عند رَسُولِ الله ﷺ: زَيْدٌ والله قال هذه المقالَةَ قبلَ أَنْ تَأْتِيَ.

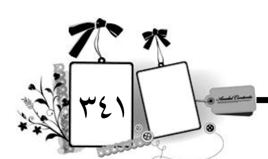
فأَقْبل عُمارَةُ علىٰ زَيْدٍ يضرب في عُنُقِه، ويقول: إِلَيَّ عبادَ الله، إِنَّ في رَحْلِي لداهيةً وما أَشْعُر، اخْرُجْ -أَيْ عَدُوَّ الله- مِنْ رَحْلي فلا تصحبني[1][2].

النِّفاقُ خُلُقٌ يَهُودِيٌّ اشتهروا به منذ القِدَم، حتَّىٰ أَصْبح سِمةً من سِمات تاريخِهم،

= وبدرًا وأحدًا والخندق وسائر المشاهد مع رسول الله (وخرج مع خالد لقتال أهل الردة فاستشهد باليمامة عام ١٢هـ وليس له عقب. انظر في ترجمته: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر (١/ ٣٥٣) و«الإكمال لرجال أحمد» (١/ ٣٠٣)، «أسد الغابة»، لابن الأثير (١/ ٦٩٩)، «تلخيص المتشابه في الرسم» (٢/ ٧١١).

(١) أخرجه ابن إسحاق في «سيرة ابن هشام» (٢/ ٥٢٣)، والطبري في «تاريخه» (٣/ ١٤٥) والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٢٣٢) قال إبراهيم العلي في: «صحيح السيرة النبوية» (٥٩٣): «إسناده رجاله ثقات فيكون صحيحًا».

(٢) انظر: «ظاهرة النفاق» (٢/ ٥٣١ - ٥٣٢)، و«السيرة النبوية»، لابن هشام (٢/ ١٦٦ - ١٦٧).



وقدْ أَخْبَرَ الله تعالىٰ في كتابه العزيزِ عن بعضِ صُوَرِ النِّفاقِ التي كان يُمارسها اليَهُودُ مع المسلمين في عَهْدِ الرَّسُول ﷺ.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [سورة آل عمران:١١٩]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾ [سورة المائدة:٦١]؛ فاللهُ تعالىٰ -وهو أَعْلَمُ بنفسيَّات اليَهُودِ- يذكُر عنهم هذا الخُلُقِ في أَكْثَرَ من موضعٍ من القُرْآنِ الكريمِ، ويَفْضَحُهم به؛ ليكونَ المسلمون علىٰ حَذَرٍ من أَسَاليبِ اليَهُودِ في النِّفاق والخِداعِ.

وفي الحقيقة إِنَّ المَرْءَ لتَأْخُذُه الدَّهْشةُ، ويذهَب به العَجَبُ كلَّ مذهبٍ؛ كيف أُشرِبَتْ قلوبُ هؤلاء النِّفاقَ، حتَّىٰ إِنَّه ليكاد يكون صفةً خَلْقيَّةً ملازمةً لهم في كلِّ عَصْرٍ ومِصْرَ؟

ولكنْ ما أَنْ يرجِع المَرْءُ إِلَىٰ كتُب اليَهُودِ -وبالأَخصِّ كتابَ التَّلْمُود- حتَّىٰ يجِدَ تَفْسير تَأَصُّلِ ذلك الخُلُقِ عند اليَهُودِ؛ فواضعو التَّلْمود قد زرَعوا النِّفاقَ في نفوسِ اليَهُودِ، وصبَغوه بصِبْغةٍ دِينيَّةٍ شرعيَّةٍ، وجعلوه واجبًا شرعيًّا، ووسيلةً من وسائِلِهم في تحقيق أَغْراضِهم الدِّينيَّةِ أَوِ الشَّخْصيَّةِ.

تعاليمُ التَّلْمود تزرَع النِّفاقَ في اليَهُودِ:

جاءَ ضِمْنَ تعاليمِ التَّلْمود: «مصرحٌ لليَهُودِيِّ أَنْ يُجامِلَ الأَجْنبيَّ ظاهرًا؛ ليتَّقي شرَّه، علىٰ أَنْ يضمر له الشَّرَّ والأَذَىٰ»(١).

ويقول أَحَدُ كَتَبَةِ التَّلْمود، ويُدعىٰ الحاخامُ بشَاي: «إِنَّ النِّفاقَ جائزٌ، وإِنَّ الإِنْسانَ -أَي اليَهُودِيَّ- يُمْكِنه أَنْ يكون مُؤَدَّبًا مع الكافر، ويدَّعي محبَّتَه كاذبًا، إِذا خاف وُصولَ الأَذَىٰ منه إِلَيه»(٢).

---

(١) «جذور البلاء»، عبد الله التل (ص٨٠).

(٢) «الكنز المرصود»، د/ روهلنج (ص٧٠).



وفي نصٍّ آخَرَ من نُصوصِ التَّلْمود: «يحقُّ لليَهُوديِّ أَنْ يَغِشَّ الكافرَ، ومَحْظورٌ عليه أَنْ يُحيِّي الكافرَ بالسَّلام، ما لمْ يخْشَ ضرَرَه، أَوْ عداوتَه، والنِّفاقُ جائزٌ في هذه الحالةِ، ولا بَأْسَ من ادِّعاءِ محبَّةِ الكافرِ إِذَا خافَ اليَهُودِيُّ مِنْ أَذاهُ»(١).

ويقول الحاخامُ أكيبا: «يلزم اليهوديَّ أَلَّا يُجاهرَ بقصْدِه الحقيقيِّ؛ حتَّى لا يضيعَ اعْتبارُ الدِّين أَمَامَ أَعْينِ باقي الأُمَمِ»(٢).

هكذا يُبيح حاخاماتُ اليَهُودِ لأَتْباعهم النِّفاقَ، ويرون أَنَّه جائِزٌ مع غيرِ اليَهُودِ، بلْ يعدُّونه ضرورةً دِينيَّةً، ومطلبًا شرعيًّا، على ما دلَّتْ عليه أَقْوالُ الحاخاماتِ المُتقدِّمةُ.

إِنَّ هؤلاء الحاخاماتِ لَمَّا قرَّروا مشروعيَّةَ النِّفاقِ والخِداعِ في دِينِهم، وجعلوه واجبًا دينيًّا، وضعوا الأَسَاليبَ التي ينبغي لليهوديِّ أَنْ يسلكَها في نِفاقه وخِداعِه للمُخالفين.

فمِنْ أَسَاليب اليَهُودِ في النِّفاق:

إِظْهارُ التَّودُّدِ والسُّرورِ لمخالفيهم؛ بمشاركتهم في أَفْراحِهم نفاقًا وخِداعًا.

وقد جاءَتْ وصايا الحاخاماتِ بهذا: «إِنْ أَنْتَ دخلْتَ قريةً ووجدتَ أَهْلَها يحتفلون بعِيدٍ، عليك التَّظاهرُ بمشاركتِهم الابْتِهاجَ العظيمَ؛ لكي تَكْتُمَ بَغْضاءَك»(٣).

وكذلك يُوصي الحاخاماتُ أَتْباعَهم بزيارة مَرْضى مُخالفي اليَهُودِ، وشُهودِ جنائِزِهم؛ للخِداع والنِّفاقِ.

---

(١) «إسرائيل والتلمود»، إبراهيم خليل (ص ٦٩).
(٢) «الكنز المرصود» (ص ٧٥).
(٣) «فضح التلمود»، آي. بي. برانايتس (ص ١٢٦).



جاءَ في التَّلْمود: «مصرَّح لليَهُودِ أَنْ يزوروا مَرْضى المسيحيِّين، ويدفنوا موتاهم، إِذَا خافوا وُصولَ الضَّرر والأَذىٰ إِلَيهم منهم»(١).

التَّظاهرُ باعْتِناق الأَدْيان الأُخْرىٰ لِخداع أَهْلِها والكيدِ لهم:

جاءَ في التَّلْمود: «إِذَا اسْتطاع يهوديٌّ مَا خِداعَ الوَثَنيِّين، بادِّعائِه أَنَّه مِنْ عُبَّاد النُّجوم، مسموحٌ له أَنْ يفعلَ ذلك»(٢).

وقدْ أَخْبَرَ الله تعالىٰ في كتابه عن هذا الأُسْلوبِ اليهوديِّ الذي كان يُمارسه اليَهُودُ مع المسلمين، وذلك بادِّعائِهم الإِيْمان إِذَا ما لَقُوهُمْ، وكيدِهم لهم إِذَا فارقوهم؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة:٧٦].

حَلِفُهمُ الأَيْمانَ الفاجرةَ: لقد أَبَاحَ الحاخاماتُ لأَتْباعهم تَأْكِيدَ نِفاقِهم بالأَيْمانِ الفاجرةِ؛ زيادةً في المَكْرِ والخَديعةِ، ولا يرىٰ اليَهُودُ في ذلك أَيَّ مَأْثمةٍ، إِذَا ما كانتْ هذه الأَيْمانُ مُقدَّمةً للأَجَانبِ، وتخدم المصالحَ اليهوديَّةَ.

جاءَ في التَّلْمود: «يجوزُ لليهوديِّ أَنْ يَحْلِفَ يميناً كاذبةً، وخاصَّةً في مُعاملته مع باقي الشُّعُوب»(٣).

وفي نصٍّ آخَرَ: «علىٰ اليهوديِّ أَنْ يُؤَدِّيَ عشرين يميناً كاذبةً، ولا يُعرِّض أَحَدَ إِخْوانِه اليَهُودِ لضررٍ مَا»(٤)، وكذلك المنافقون يحلفون الأَيْمانَ الكاذبةَ؛ لتمرير مطالِبِهم.

(١) «الكنز المرصود»، د/ روهلنج (ص٧١).

(٢) «فضح التلمود»، آي.بي. برانايتس (ص١٣٣).

(٣) «إسرائيل والتلمود» (ص٧٧).

(٤) «الكنز المرصود»، د/ روهلنج (ص ٩٥).



فهذه بعضُ الأَساليب التي رسمَها حاخاماتُ اليَهُودِ لأَتْباعِهم؛ لتكونَ منهجًا يسير عليه اليَهُودُ علىٰ مرِّ العصورِ والأَزْمانِ في نِفاقِهم وخِداعِهم لسائِرِ الشُّعوب.

والَّذي يتلخَّص مِنْ خلال عرضِ هذه النُّصوصِ عن تَأَصُّلِ النِّفاقِ عند اليَهُودِ، وأَنَّه ليس خُلُقًا يهوديًّا ترَعْرَعُوا عليه فحسب، بلْ هو دستورٌ دِينيٌّ، ومنهجٌ شرعيٌّ، وضعَه اليَهُودُ لأَنْفُسِهم عند تعامُلِهم مع باقي الأُمَمِ والشُّعُوبِ؛ فلا عجبَ أَنْ يتوارثَ اليَهُودُ هذا الخُلُقَ الذَّميمَ جيلًا بعد جِيلٍ، إِذَا ما عرفنا مكانتَه ومنزلتَه في دِيْنِهم[1].

ومِنْ هنا يتبيَّن أَنَّ المنافقين يومَ أَنْ نَهَجُوا هذا السَّبيلَ إِنَّما اسْتقوه مِنْ يَهُودَ، وهذا يعود بنا إِلَىٰ ما ذُكر في مبحثِ أَسْبابِ نَشْأَةِ النِّفاق، وكيف أَنَّ مَنْ قالوا إِنَّه من قِبَلِ يَهُودَ ومِنْ وصاياهم.. له وَجْهُ صوابٍ، وقُوَّةُ اسْتدلالٍ[2].

ب- النِّفاقُ عند الرَّافضة:

إِنَّ هذه النُّقولاتِ السَّابقةَ تُذكِّرنا بعقيدة التَّقِيَّةِ عند الرَّافضة؛ حيثُ يقول الكلينيُّ فيما يرويه عن جَعْفَرِ الصَّادِقِ أَنَّه قال: «التَّقِيَّةُ مِنْ ديني ودِيْنِ آبائِي، ولا إِيْمانَ لِمَنْ لا تقيَّةَ له»[3].

يقول الخُمَيْنيُّ: التَّقِيَّةُ معناها: «أَنْ يقولَ الإِنْسانُ قولًا مغايرًا للواقع، أَوْ يَأْتي بعملٍ مُناقضٍ لموازين الشَّريعة؛ وذلك حفاظًا لدَمِه أَوْ عِرْضِه أَوْ مالِه»[4].

---

(١) هذه النقولات بمجموعها نقلت من كتاب «بذل المجهود في مشابهة الرافضة لليهود» (٢/ ٦٣١ – ٦٣٥).

(٢) انظر: مبحث نشأة النفاق (صـ: ٩٤).

(٣) «أصول الكافي» (٢/ ٢١٩)، «المحاسن»، والبرقي (٢٥٥).

(٤) «كشف الأسرار» (١٤٧)، ولمزيد اطلاع يرجع إلىٰ كتاب: «عقائد الشيعة الاثنىٰ عشرية سؤال =



أَمَّا عن مكانةِ هذه العقيدةِ في دين الرَّافضةِ الإماميَّةِ، فهي عندهم ليستْ رُخْصَةً من الرُّخَصِ، بلْ هي رُكْنٌ من أَرْكان دِينِهم كالصَّلاة أَوْ أَعْظم.

قال شيخُهم ابنُ بابويه: «اعْتقادُنا في التقيَّةِ أَنَّها واجبةٌ، مَنْ تركَها بمنزلة مَنْ ترك الصَّلاةَ»[1]، وأَنَّ «تاركَ التَّقيةِ كتارك الصَّلاة»[2].

وقد عقَد إِمَامُهم الكلينيُّ في كتابه «الكافي» بابًا خاصًّا لهذه العقيدة بعُنْوان: «باب التَّقيَّة» ذكَر فيها (٢٣) حديثًا تُؤَيِّد هذه العقيدةَ الضَّالَّةَ، ثُمَّ أَلْحَق بابًا بعد باب التَّقِيَّة يُوضِّح هذه العقيدةَ، وعَنْوَنَ له بعُنْوان: «باب الكِتْمان»، وذكَر فيه (١٦) حديثًا كلُّها تَأْمُرُ الشِّيعةَ الإِمَاميَّةَ بكِتْمان دِيْنِهم وعقيدتِهم.

كما ذكَر شيخُهم المجلسيُّ في كتابه «بحار الأَنْوار» مِائَةً وتِسْعَ رواياتٍ تُقرِّر هذه العقيدةَ الخبيثةَ تحت بابٍ عقَده بعُنْوان: «باب التَّقية والمُداراة»[3].

ونسَبوا لأَبِي عَبْدِ الله أَنَّه قال: مَنْ صلَّى معهم في الصَّفِّ الأَوَّلِ - يقصد أَهْلَ السُّنَّةِ- فكأَنَّما صلَّى مع الرَّسُولِ ﷺ في الصَّفِّ الأَوَّلِ[4]، وقال: مَنْ صلَّى خلف المنافقين بتقيَّةٍ كان كمَنْ صلَّى خلف الأَئِمَّة[5]، والمقصودُ بالمنافقين هنا عندهم أَهْلُ السُّنَّةِ والجماعةِ.

= وجواب» (١٣٥ – ١٣٩)، وكذلك «الشيعة الإمامية الإثني عشرية»، ربيع السعودي (ص ٨٠-٨٨).

(١) «الاعتقادات» (١١٤).

(٢) «بحار الأنوار» (٧٥/ ٤١٢).

(٣) «من لا يحضره الفقيه» (١/ ٢٦٦).

(٤) «بحار الأنوار» (٧٥/ ٤٢١).

(٥) «المرجع السابق» (٧٥/ ٤١٢).



جـ- النِّفاقُ عند المنافقين:

فجميعُ ما في هذا البَحْثِ حول نِفاق المنافقين.

ثانيًا: الكَذِبُ:

أ- الكذِبُ عند اليهُودِ:

وممَّا أَشْبَهَ فيه المنافقون والرَّافضةُ إِخْوانَهم اليهودَ الكَذِبُ؛ إِذْ لا ينفكُّ عن كلٍّ منهم بحالٍ.

فأَمَّا اليَهُودُ فقدْ طال كذِبُهم خالقَهم ورازقَهم، وطال كذلك الأَنبِياءَ عليهم جميعًا صلواتُ ربِّ الأَرْضِ والسَّماءِ، والناسَ عمومًا؛ فقد زعموا أَنَّ الله فقيرٌ وهُمْ أَغْنياءُ، ونسبوا له عُزَيْرَ ولدًا، وقالوا: إِنَّ الله يَجْهلُ ويَحْزَنُ ويَنْدَمُ ويَلْعَبُ، بلْ ويُلْطَمُ، ويَبْكي، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عمَّا يقولون علوًّا كبيرًا.

وأَمَّا كذِبُهم وافْتراءُهم علىٰ الأَنبياءِ -صلواتُ الله وسلامُه عليهم- فقد اتَّهموا إِبْراهيمَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بأَنَّه قدَّم امْرَأَته سَارَّةَ إِلَىٰ فِرْعَونَ حتَّىٰ ينالَ الخيرَ بسببِها.

وقالوا عن لُوْطٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أَنَّ ابْنَتَيْه قد سَقَتَاه الخَمْرَ، فوقَع عليها، ورُزِقتَا منه الولدَ، ودَاوُدُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- زَنَىٰ بزوجةِ قائِدٍ من قُوَّادِ جَيْشِه، أَمَّا سُلَيْمَانُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فقد ارْتدَّ وعبَد الأَصْنامَ، كما عبَد هَارُونُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مع بني إِسْرائِيلَ العِجْلَ الذي صنَعه له وهم.. أَمَّا السَّارقُ منهم فيَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

ومُجْمَلُ القولِ أَنَّ الأَنبِيَاءَ -عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ- في عقيدة يَهُودَ مجموعةٌ من السُّرَّاق والخَمَّارين والزُّناة والمُرتدِّين... إلخ[1].

---

(١) «واقدساه»، د/ سيد حسين العفاني (٢/ ٣٣٤ -٣٣٧).



وإِذَا كانوا من الأَنبياءِ قد استحلُّوا الدِّماءَ عليهم صلواتُ ربِّ الأَرْضِ والسَّماءِ فلا غَرْوَ أَنْ يتطاولوا عليهم بالكذِبِ زُورًا وافْتِراءً.

ب. الكذبُ عند الرَّافضة:

إِنَّه لا أَدلَّ ولا أَصْرحَ على الكذِب عند الرَّافضة مِنْ أَنَّ التَّقيَّةَ رُكْنٌ مِنْ أَرْكان دِينِهم، والتي عمودُ خَيْمتِها الكذبُ، وكما سلَف ذِكْرُ تجويزِ اليهُودِ الحلفَ بالأَيمانِ الفاجرةِ كذبًا، فكذلك الرَّافضةُ؛ حيث أَجَازوا لأَتْباعهم من الشِّيْعة القسَمَ بالأَيمان المُغلَّظةِ الكاذبةِ أَمَامَ أَهْلِ السُّنَّةِ؛ ذلك لأَنَّ بابَ التَّقيَّة عندهم مُشْرَعٌ على مِصْرَاعَيْه.

فقد روى شيخُ فقهائِهم مُرْتَضى الأَنصاريُّ في رسالة التَّقيَّة[1] وإِمَامُهم أَبُو القَاسِمِ الخوئِيُّ حيث صحَّح الرِّوايةَ عن جَعْفَرٍ الصَّادِق أَنَّه قال: «ما صَنَعْتُم من شيءٍ أَوْ حَلَفْتُم عليه من يمينٍ في تقيَّةٍ فأَنْتُم منه في سَعةٍ»[2].

جـ. الكذبُ عند المنافقين:

وَمَنْ أَشْبَهَ مَنْ عَلَّمَهُ فما ظلَم؛ فها هُمُ المنافقون على نَهج إِخْوانِهم يسيرون، ولِحَذْوِهم يقتفون؛ فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال، قال ﷺ: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[3].

فأَوَّلُ شَأْنِهم في هذا الباب ادِّعاؤُهم الإِيمانَ كذبًا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة:٨]، بلْ إِنَّهم لا يكذبون فحسب، بلْ يُؤَكِّدون كذبَهم بالأَيمانِ الفاجرةِ؛ قال تعالى: ﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ

---

(١) «رسالة التقية»، مرتضى الأنصاري (٧٣).

(٢) «شرح العروة الوثقى»، لأبي قاسم الخوئي (٤/ ٢٧٨ – ٣٠٧).

(٣) سبق تخريجه (صـ ٤٥).

وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [سورة المجادلة:١٤] ، وقوله سبحانه: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ﴾ [سورة التوبة:٧٤].

وقد سبَق حديثٌ عن بعض سِماتهم في تعامُلِهم مع النَّبيِّ ﷺ ومع المُؤمنين، وكيف أَنَّ الكذبَ كان منهجًا لهم وسبيلًا يُراوِغون به في كلِّ محْفَلٍ، ويتدرَّعون به في كلِّ مَأْزَقٍ، ويستترون خَلْفَه عند كلِّ تكليفٍ اتَّخذوه مطيَّةً.. واعْتَلَوه رَاحلةً لتحقيق مآربِهم، وخلاصِهم من إِخْفاقاتِهم.. روىٰ ابنُ مَسْعُودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قولَ النَّبيِّ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبَ وَيَتَحَرَّىٰ الْكَذِبَ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»[1].

ثالثا: الحسَدُ:

بيَّن حقيقتَه شيخُ الإِسْلام فقال: «هو البُغْضُ والكراهيةُ لما يراه مِنْ حُسْنِ حالِ المحسود»[2].

روىٰ عَبْدُ الله بنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[3] قولَه ﷺ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ داءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ،

---

(١) أخرجه البخاري، «كتاب الأدب»، باب قوله تعالىٰ: (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)، برقم (٥٧٤٣)، ومسلم «كتاب البر والصلة والآدب»، باب: قبح الكذب وحسن الصدق وفضله، برقم (٦٨٠٥).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٠/ ١١١).

(٣) هو: عبد الله بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزىٰ بن قصي بن كلاب بن مرة، أمير المؤمنين، أبو بكر، وأبو خبيب القرشي، الأسدي، المكي، ثم المدني، أحد الأعلام، ولد الحواري الإمام أبي عبد الله، ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه. «مسنده» نحو من ثلاثة وثلاثين حديثًا. اتفقا له علىٰ حديث واحد، وانفرد البخاري: بستة أحاديث، ومسلم: بحديثين. كان عبد الله أول مولود للمهاجرين بالمدينة. ولد: سنة اثنتين. وقيل: سنة إحدىٰ، وله صحبة، ورواية أحاديث.

عداده في صغار الصحابة، وإن كان كبيرًا في العلم، والشرف، والجهاد، والعبادة، وكان فارس قريش في زمانه، وله مواقف مشهودة. قيل: إنه شهد اليرموك وهو مراهق، وفتح المغرب، وغزو =

الْحَسَدُ، وَالْبَغْضَاءُ، هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ». الحديث[١].

وقد نهى ﷺ عنه ذامًّا له مُبغضًا فيه فيما رواه عنه أَنَس بنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، ولَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا»[٢].

قال شيخُ الإِسْلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمقصودُ أَنَّ الحسدَ مرَضٌ غالِبٌ؛ فلا يخلُص منه إِلَّا قليلٌ من النَّاس، ولهذا يُقال: ما خَلَا جسدٌ مِنْ حسدٍ، لكن اللَّئِيمُ يُبديه، والكريم يُخْفيه»[٣].

«ويكفي الحسدُ شُؤْمًا ومقتًا أَنَّ من آثاره البَغْضاءُ والبَغْيُ والهجرانُ واضْمحلالُ الرَّأْفةِ والرَّحْمةِ بين المُؤْمنين والغِيْبةُ وترْكُ النَّصيحةِ»[٤].

الحسدُ شجرةٌ خبيثةٌ، ونَبْتةٌ رديئَةٌ، تُربتُها الخِصْبةُ النُّفوسُ المريضةُ، والقلوبُ

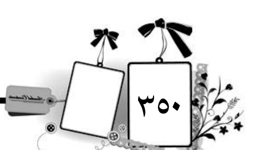
= القسطنطينية، ويوم الجمل مع خالته. وبويع بالخلافة عند موت يزيد سنة أربع وستين، وحكم على الحجاز، واليمن، ومصر، والعراق، وخراسان، وبعض الشام. ولم يستوسق له الأمر، (أي: لم ينتظم ويجتمع) ومن ثم لم يعده بعض العلماء في أمراء المؤمنين، وعد دولته زمن فرقة، فإن مروان غلب على الشام ثم مصر، وقام عند مصرعه ابنه عبد الملك بن مروان، وحارب ابن الزبير، وقتل ابن الزبير -رَحِمَهُ اللَّهُ- فاستقل بالخلافة عبد الملك وآله، واستوسق لهم الأمر. ينظر: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٣/ ٣٦٣).

(١) أخرجه الترمذي «كتاب صفة القيامة والرقائق»، بدون باب، برقم (٢٥١٠) من حديث الزبير بن العوام، وبين الترمذي أن الرواة اختلفوا في هذا الحديث، والحديث صححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥٩٥).

(٢) أخرجه البخاري «كتاب الأدب»، باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابر، برقم (٥٧١٨)، ومسلم «كتاب البر والصلة والأدب»، باب: تحريم التحاسد والتباغض والتدابر، برقم (٢٥٥٩).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٢٤ – ١٢٥).

(٤) انظر: بتوسع لهذه الآثار كتاب «تحاسد العلماء»، عبد الله حسين الموجان (ص١٠٨-١١١).



السَّقيمةُ.. لذا كان سِمةً مشتركةً بين الطَّوائِفِ الثَّلاثِ.. قد احترقتْ أَكْبادُهم، والْتاعَتْ صدورُهم؛ لِمَا عليه حالُ المُؤْمنين من نورٍ وإِيْمانٍ وأُلْفةٍ والْتِحامٍ وتآخٍ وإِيْثارٍ.

حسدوا أَهْلَ الإِسْلام؛ لأَنَّهم عرفوهم قبْلَه رُعاةَ غَنَمٍ، فإِذَا بِهم بعد أَنِ ارْتَضَوه دِينًا وتشريفًا بلْ ومِنْهاجَ حياةٍ قادةُ أُمَمٍ، حسدوا المُؤْمنين؛ لأَنَّ الإِيْمانَ جمَّعهم من شتاتٍ، وأَوْثق الصِّلةَ بينهم بعد افْتِراقٍ؛ قال تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ﴾ [سورة الفتح:٢٩].

حسدوهم على عزِّهم بعد ذُلٍّ، وعلى عِلْمِهم بعد جَهْلٍ، وعلى بصيرتِهم بعد عمًى، وعلى نُورِهم بعد ظُلُماتٍ.

أ. الحسدُ عند اليَهُودِ:

لقد أَوْضحَ الله لنا في كتابه العزيزِ ما تُكِنُّه غُلَواءُ تلك القلوب، وما تطْفَحُ به سُوَيداءُ هاتيكم الأَنْفُس حسدًا وحَنَقًا على المُؤْمنين فقال سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّۖ﴾ [سورة البقرة:١٠٩].

قال ابنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ: «حسدَكم أَهْلُ الكتاب على ما أَعْطاكم الله من التَّوفيق، وما وهَب لكم من الرَّشاد لدِينِه والإِيْمان برَسُولِه ﷺ، وخصَّكم به؛ إِذْ جعَل رَسُولَه إِلَيكم رجلًا منكم، رَؤُوفًا بكم، رحيمًا ولم يجعلْه منهم، فتكونوا تبعًا لهم»(١).

وعلى هذا المعنى جاءَتْ أَقْوالُ غالبِ أَهْلِ التَّفْسير، وقد بيَّن رَسُولُه ﷺ بعضَ أُمورٍ يحسدنا عليها يَهُودُ، فمِنْ ذلك:

---

(١) «تفسير الطبري» (٢/ ٥٠١).

١- السَّلامُ والتَّأْمينُ:

عن عَائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَا حَسَدَتْكُمُ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَىٰ السَّلَامِ والتَّأْمِينِ»(١).

٣- الجُمُعَةُ والقِبْلَةُ:

وعنها أَيْضًا رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، فقال: «إِنَّهُمْ لَمْ يَحْسُدُونَا عَلَىٰ شَيْءٍ كَمَا حَسَدُونَا عَلَىٰ الْجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَىٰ الْقِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَىٰ قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ آمِينَ»(٢).

بلْ لقدْ حسدونا علىٰ أَنَّ النَّبِيَّ الَّذي بُعِث فينا لمْ يكنْ منهم، وهُمْ كانوا يستفتحون به علىٰ الَّذين كفروا، وحسدونا علىٰ كلِّ خيرٍ وفضلٍ امتنَّ اللهُ به علىٰ هذه الأُمَّةِ.

ب. الحسدُ عند الرَّافضة:

إِنَّ تداعيَّاتِ الحسد وما ينبعث خلالَه مِنْ عَداءٍ مُسْتحكِمٍ وجَرائِمَ فظيعةٍ ونكايةٍ مقيتةٍ، وما يُثْمره من تدبيرِ مكائِدَ وقتلٍ وترويعٍ، لَهُوَ أَكْبَرُ دليلٍ علىٰ اعْتلاجِ الصَّدْر به، وأَنَّه قد اسْتَحَكَمَ في الفُؤَادِ، وأَطْبَقَ بظِلاله علىٰ الرُّوح.

ولذا مَنْ تأَمَّلَ تعاملاتِ وأَخْلاقيَّاتِ الرَّافضةِ مع أَهْل السُّنَّةِ يرىٰ ما يشيب له رَأْسُ الوَليدِ، ولا أَدلَّ علىٰ ذلك من تاريخهم الدَّمويِّ عبْر عُصورِ دُوَلِهم

---

(١) أخرجه ابن ماجة «كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها»، باب: الجهر بآمين، برقم (٨٥٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، برقم (٥٦١٣).

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ١٣٤)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥١٥).



وحُكوماتِهم، وحتَّى يومِنا هذا، وإلَى ما شاءَ الله أَنْ يكون؛ فقوافلُ الحجيج الَّتي سُلبتْ، وقيامُهم بقتل مَنْ فيها، واغْتيالُهم للعلماءِ والمشايخ والصَّالحين على مرِّ العصورِ والأَزْمان، وسفكُهم الذَّريع لدماءِ إِخْوانِنا في العِرَاقِ وسُوريَا واليَمَنْ وغيرِها، ناهِيكَ عمَّا صاحَب ذلك مِنَ انتهاك أَعْراضٍ وتدميرِ مساجدَ، وإِتْلافِ مصاحفَ، ليُجلِّي وبلا ريبٍ عن مدى تفاقُمِ حسدِ قلوبِهم وحِقْدِها وغيظِها.

ناهيك عن احْتراقِ نفوسِهم كَمَدًا على وُجودِ الحرمينِ بأَيْدي أَهْلِ السُّنَّة، فكمْ كادوا فخابوا وكمْ حاكوا ففشلوا، وكمْ خطَّطوا فدُحروا بحمد الله.

ج. الحسدُ عند المنافقين:

سبَق في مبحثٍ مضى ذِكْرُ صِفات المنافقين حالَ تعامُلِهم مع المُؤْمنين، وكان مِنْ بينها تمنِّيهم كُفْر المُؤْمنين حسدًا، شاهدُها قولُه تعالى: ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [سورة النساء:٨٨-٨٩].

قال الإِمَامُ الشَّوكانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا كلامٌ مُسْتَأْنَفٌ يتضمَّن بيانَ حالِ هؤلاء المنافقين، وإِيْضاحَ أَنَّهم يودُّون أَنْ يكفُرَ المُؤْمنون كما كفَروا، ويتمنُّون ذلك عنادًا وغلوًّا في الكُفْر وتماديًا في الضَّلال»(١).

مواضعُ حسد المنافقين للرَسُولِ ﷺ وللمؤمنين:

١- عند الهِجْرة: لمَّا قدِم النَّبيُّ ﷺ المَدِيْنَةَ مهاجرًا اجْتَمَعَ الأَنْصارُ حولَه وآمنوا به، فغاظ ذلك عَبْدَ الله ابنَ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ رَأْسَ النِّفاق؛ لشُعورِه أَنَّ مُلْكَه الَّذي كان

(١) «فتح القدير» (١/ ٤٩٥).



ينظُم له خِرْزَه، ويُسوَّد فيه على الأَوْسِ والخَزْرَجِ قد ذهَب وتلاشى.

٢- عند غزوة بَدَرٍ: ثُمَّ استوقدتْ أَضْلُعُ المنافقين حسدًا لِما منَّ الله به على المُؤْمنين من نصرٍ عظيمٍ يوم الفُرْقان يوم الْتقَى الجَمْعان، بعد أَنْ ظنَّ المنافقون أَنَّ هلاكَ المُؤْمنين محقَّقٌ لا محالة.

٣- وكذلك لَمَّا نصر اللهُ المُؤْمنين في غزوة الأَحْزاب.

ومُجْمَلُ القول أَنَّ المنافقين كانوا حسدةً للمُؤْمنين في كلِّ ما فيه فلاحٌ وعزٌّ وغنيمةٌ وعلوٌّ لهم، كما قال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [سورة آل عمران:١٢٠].

رابعًا: عدم الانتفاع بالعلم:

الجهلُ بلاءٌ وظُلْمةٌ، لكنَّ الَّذي أَعْظم منه وأَدْهى وُجودُ العلم مع عدم الانتفاع به، ووضوحُ سُبُلِ الهدايةِ ثُمَّ التنكُّب عنها، وهذه السِّمةُ مشتركةٌ بين الطوائفِ الثَّلاثِ؛ قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة فصلت:١٧].

أ. عدمُ انْتِفاعِ اليَهُودِ بالعلم:

قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الجمعة:٥] . قال ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يقول الله تعالى ذامًّا لليَهُودِ الَّذين أُعْطوا التَّوراةَ وحملوها للعمل بها ثُمَّ لم يعملوا بها، فمثلهم في ذلك كمثل الحِمار يحمل أَسْفارًا؛ أَيْ: كمثل الحِمار إِذَا حَمل كتُبًا لا يدري ما فيها.



وقد بيَّن النَّبيُّ ﷺ حالَ اليَهُودِ والنَّصارَىٰ وعدمَ انْتفاعِهم بالعلم:

* فها هو زِيَادُ بنُ لَبِيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1] يقول: ذكَر النَّبيُّ ﷺ شيئًا فقال: «ذَاكَ عِنْدَ أَوَانِ ذِهَابِ الْعِلْمِ». قلتُ: يارَسُولَ الله، وكيف يذهبُ العلمُ ونحن نَقْرَأُ القُرْآنَ، ونُقْرِئُه أَبْناءَنا، ويُقْرِئُه أَبْناؤُنا أَبْناءَهم إِلَىٰ يومِ القيامة؟! قال: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا زِيَادُ، إِنْ كُنْتُ لَأَرَاكَ مِنْ أَفْقَهِ رَجُلٍ بِالْمَدِيْنَةِ، أَوَلَيْسَ هَذِهِ الْيَهُود والنَّصَارَىٰ يُقْرِئونَ التَّورَاةَ وَالْإِنْجِيْلَ لَا يَعْمَلُونَ بِشَيْءٍ مِمَّا فِيْهَا».

مظاهرُ تحريفِ اليَهُودِ للتَّوراة وكِتْمانِهم للعلم:

لم يكتف اليَهُودُ بعدمِ انْتفاعِهم بالعِلْمِ، بلْ أَضَافوا إِلَىٰ ذلك سَوءَةً أُخْرىٰ، وهي كِتْمانُهم ما علِموه، وكان ذلك مشتهرًا في صُفوفِ أَحْبارِهم وعلمائِهم؛ فهُمْ بين تحريفٍ للتَّوراةِ وكَتْمٍ للعِلْمِ، وشواهدُ ذلك معلومةٌ منها:

١- كِتْمانُهم صفةَ النَّبيِّ ﷺ وصدقَ بعثتِه.

٢- تغييرُهم حدَّ الزِّنا إِلَىٰ التَّحْميم، والاكتفاء بالضَّربِ مع الطَّواف بمَنْ زَنَيَا علىٰ حِمارٍ متقابليْنِ.

وقد صحَّ عن أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قولُ النَّبيِّ ﷺ: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَتَبُوا كِتَابًا فَاتَّبَعُوهُ، وَتَرَكُوا التَّوْرَاةَ».

---

(١) هو: زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أمية بن بياضة ويكنىٰ أبا عبد الله، وكان لزياد بن لبيد من الولد عبد الله وله عقب بالمدينة وبغداد، وشهد زياد العقبة مع السبعين من الأنصار في روايتهم جميعا، وكان لبيبًا فقيهًا، وكان زياد لما أسلم يكسر أصنام بني بياضة هو وفروة بن عمرو، وخرج زياد إلىٰ رسول الله ﷺ بمكة فأقام معه حتىٰ هاجر رسول الله ﷺ إلىٰ المدينة فهاجر معه، فكان يقال: زياد مهاجري أنصاري، وشهد زياد بدرًا، وأحدًا، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٣/ ٥٩٨)، «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم (٣/ ١٢٠٤)، «تاريخ الإسلام»، للذهبي (٢/ ٤٠٨).



أَمَّا تحريفُهم التَّوراةَ فيكفي في بيان ذلك قولُه تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [سورة النساء:٤٦]، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [سورة المائدة:١٣].

ب. عدمُ انْتِفاعِ الرَّافضة بالعلم:

كَمْ أُقِيمتْ عليهم مِنْ حُججٍ وكَمْ عُقِدتْ مع أَئِمَّتِهم مناظراتٌ، وكَمْ أَلَّف العائِدون والتَّائِبون من علمائِهم كتبًا في بيان ضلالهم، مِنْ جهة العقيدة وتحريفِ القُرْآنِ والطَّعْنِ في الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، وتقديسِ الأَئِمَّة ونكاحِ المُتْعة والتَّقيَّةِ.....إلخ(١).

واسْتبان لهم العلمُ، وقامتْ عليهم الحُجَّةُ، فما كان حالُهم إلَّا كحال قومِ ثَمُودَ الَّذين قال اللهُ عنهم: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [سورة فصلت:١٧].

وصدَق فيهم قولُ الكريم سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٧٩].

ومِنْ بشائِرِ الخيرِ والحمد لله أَنَّ أَعْدادًا كبيرةً منهم بلَغوا الآلافَ قد عادوا إِلَى المَنْهج الحقِّ، عقيدةِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، خصوصًا مِنْ جِيل الشَّباب والفتياتِ والعامَّةِ، ونَسْأَلُ اللهَ للبقيَّة الهدايةَ والسَّداد(٢).

يعتقد الرَّافضةُ في القُرْآنِ الكريمِ أَنَّه مُحرَّفٌ ومُبَدَّلٌ، وأَنَّه زِيدَ فيه وأُنقِص منه

---

(١) لمزيد توسع واطلاع انظر: «الشهب الحارقة على الشيعة المارقة»، ممدوح الحربي.

(٢) بشّر بذلك الشيخ عثمان الخميس في بعض محاضراته، انظر: موقعه عن الشيعة عبر الشبكة العنكبوتية.



آياتٌ كثيرةٌ، وأَنَّ النَّاقصَ منه يُعادل ضِعْفي القُرْآنِ الموجودِ الآن.

ويعتقدون أَنَّ الصَّحابةَ وفي مُقدِّمتِهم الخلفاءُ الثَّلاثةُ أَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ وعُثْمانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ هُمُ الَّذين حرَّفوا القُرْآنَ وأَسْقَطوا منه هذا الجُزْءَ الكبيرَ.

ويرون أَنَّ الَّذي أُسقِط من القُرْآنِ يدور حولَ موضوعين رئِيْسين:

١- فضائِلُ آلِ الْبيت، وبالأَخصِّ عليَّ ابنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والنَّصُّ على إِمَامتِه في القُرْآنِ.

٢- فضائِحُ المهاجرين والأَنْصارِ، الَّذين يعدُّهم الرَّافضةُ منافقين لمْ يدخلوا في الإِسْلام إِلَّا للكيد له.

هذه هي عقيدةُ الرَّافضة في القُرْآنِ الكريمِ كما صرَّح بها كِبارُ علمائِهم في أَشْهَرِ كتُبِ التَّفْسير والحديثِ عندهم(١).

ج. عدمُ انْتِفاعِ المنافقين بالعلم:

سبق ذِكْرُ طرفِ حديثٍ حولَ هذا المعنى في مبحثِ تعامُلِهم مع النَّبيِّ ﷺ، حيثُ بُيِّن هناك أنَّ مِنْ سِماتهم عدمَ الانتفاع بالعلم، وخروجَهم مِنْ مجلسه ﷺ لا يفقهون علمًا ولا ينتفعون بفِقْهٍ؛ قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [سورة محمد:١٦].

قال الإِمَامُ الأَلُوسيُّ: «همُ المنافقون، كانوا يحضرون مجلسَ رَسُولِ الله ﷺ فيسمعون كلامَه ولا يعونَه ولا يرعَوْنه حقَّ رعايتِه، تَهاوُنًا منهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ [سورة محمد:١٦] أي: لأُوْلِي العلم مِنَ الصَّحابة

(١) «بذل المجهود في مشابهة الرافضة لليهود» ص (٣٨٦) ولمزيد اطلاع اقرأ إلى (٣٣٨).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وقيل: هُمُ الواعون لكلامه ﷺ، الرَّاعون له حقَّ رعايتِه مِنَ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ [سورة محمد:١٦] ومقصودُهم من ذلك الاستهزاءُ وإنْ كان بصورة الاستعلام، وجوَّز بعضُهم أَنْ يكونَ مرادُهم حقيقةَ الاستعلام؛ إذْ لم يُلْقُوا له آذانَهم؛ تهاونًا به، لذلك ذُمُّوا، والأَوَّلُ أَوْلىٰ»(١).

لقد كرَّر القُرْآنُ وأَعَاد وبيَّن وأَوْضحَ للمنافقين وغيرِهم سُبُلَ المعرفة وطُرُقَ العلم، مخاطبًا عقولَهم وقلوبَهم لعلَّهم يعقلون، أَوْ يتذكَّرون، أَوْ يتفكَّرون، أَوْ يُبْصرون، ولكنْ لقد أَسْمَعْتَ لو ناديتَ حيًّا، ولكنْ لا حياةَ لِمَنْ تُنادي، كَمْ حضروا للنَّبيِّ مِنْ خُطَبٍ ومواعظَ ومجالسَ علمٍ ولكنْ دون جَدْوىٰ؛ فمَنَافِذُ العلمِ لديهم مُوصَدةٌ، وتُرْبتُه في صحرائِهم مُجْدِبَةٌ، وصدَق الله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة المنافقون:٧] ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة المنافقون:٨].

وقد كتَم هؤلاء المنافقون العلمَ؛ لأَنَّه قد تقرَّر سابقًا أَنَّ من اليَهُودِ مَنْ دخَل في الإِسْلام نفاقًا؛ ليكون عينًا وجاسوسًا علىٰ المسلمين، وهُمْ يعلمون مِنْ صريحِ كتابِهم التَّوراةِ ما يُشير إِلَىٰ صدقِ نُبُوَّتِه ورسالتِه ﷺ.

خامسًا: الكِبْرُ وتقديسُ النَّفْسِ واحْتِقارُ الآخرين:

آفةٌ قاتلةٌ.. وخُلُقٌ ذميمٌ.. يدلُّ علىٰ خِسَّةٍ في النَّفس ودناءَةٍ في الطَّبْع.. ما الذي أَدْخل إِبْليسَ النَّارَ وجعَله مطرودًا مِنْ رحمةِ الله؟ ما الذي صدَّ فراعنةَ الأَرْضِ علىٰ مرِّ العصورِ عن الإِيْمان بدعوةِ الرُّسُل عليهمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ إِلَّا الكِبْرُ والعجَبُ والتَّرَفُّعُ المقيتُ؟

---

(١) «تفسير الأولوسي» (٦٢/ ٧٧).

قال ﷺ: «الكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ»[(١)] وبطرُ الحقِّ ردُّه، والإِعْراضُ عنه بعد استبانتِه ووُضُوحِه.

أ. الكِبْرُ والعجبُ عند اليَهُودِ:

يدَّعي اليَهُودُ أَنَّ اللهَ اصْطفاهم وأَنَّهم شَعْبُه الْمُخْتارُ، بلْ أَبْناءُ الله وأَحِبَّاؤُه ولنْ يدخُلَ الجَنَّةَ إِلَّا هُمْ، جاءَتْ بذلك نصوصٌ مُحَرَّفةٌ في كتُبِهم وتَلْمودِهم، فمِنْ ذلك:

جاءَ في التَّلْمود: «تتميَّز أَرْواحُ اليَهُودِ عن باقي الأَرْواح بأَنَّها جُزْءٌ من الله، كما أَنَّ الابْنَ جُزْءٌ مِنْ والدِه»[(٢)].

وفيه أَيْضًا: «وهو الذي خلَق كلَّ شيءٍ حيًّا؛ أَيْ: خلَق الإِسْرائِيْلِيِّيْن؛ لأَنَّهم أَبْناءُ الرَّبِّ الأَعْظمِ، ومنه تحدَّرتْ أَرْواحُهم»[(٣)].

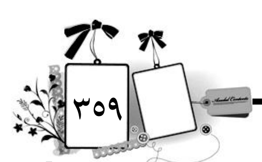
ومن العجائِبِ ما جاءَ في التَّلْمود أَيْضًا: «لو لمْ يخلُق اللهُ اليَهُودَ، لانْعدمتْ البَرَكةُ من الأَرْضِ، ولما خُلقتِ الأَمْطارُ والشَّمْسُ»[(٤)].

بلْ لقد بلَغوا بأَنْفُسِهم تقديسًا وتعظيمًا مبلغًا لا يصِلُ إِلَيه مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرْسلٌ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ.

جاءَ في تَلْمودهم: «الإِسْرائِيْلِيُّ مُعتبرٌ عند الله أَكْثرَ من الملائِكةِ، فإِذا ضرب أُمِّيٌّ إِسْرائِيْلِيًّا فكأَنَّما ضرب العزَّةَ الإِلَهِيَّةَ، ويستحقُّ الموتَ»[(٥)].

أَمَّا القُرْآنُ الكريمُ فقدْ أَشَارَ في مواضعَ منه إِلَى هذه النَّفْسيَّةِ الْمُسْتعليَةِ بغُرُورٍ،

(١) أخرجه مسلم «كتاب الإيمان»، باب: تحريم الكبر وبيانه، برقم (٩١/ ١).
(٢) «إسرائيل والتلمود»، إبراهيم خليل أحمد (ص ٦٧).
(٣) «فضح التلمود»، آي بي برانايتس (ص ٩٧).
(٤) «إسرائيل والتلمود»، إبراهيم الخليل أحمد (ص ٦٩).
(٥) المرجع السابق.



المَزْهوَّةِ بعجبٍ، فقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [سورة المائدة:١٨] الآية.

وقال عزَّ في عُلاه: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [سورة البقرة:١١١].

مظاهرُ من حِقْدِ وكراهيةِ اليَهُودِ لغيرهم:

فممَّا يعتقدونه أَنَّ:

- غيرَ اليَهُودِ كِلابٌ.. الأُمَمُ الخارجةُ علىٰ دِيْن اليَهُودِ ليستْ كلابًا فحسب، بلْ حميرًا أَيْضًا.
- بيوتُ غيرِ اليَهُودِ زرائِبُ للحيوانات.
- الذي يقتل أَجْنبيًّا -أَيْ غير يهوديٍّ- يُكافأُ بالخُلودِ في الفردوس.
- حياةُ غيرِ اليهوديِّ مِلْكٌ لليهوديِّ، فكيف بمالِه؟
- لليَهُودِ مُناسَبَتانِ دَمَوِيَّتان ترضيان إلهَنا يهوه: أَحَدُهما عِيْدُ الفطائِرِ المزوجةِ بالدِّماءِ البشريَّةِ، والأُخرىٰ مراسمُ خِتان أَطْفالنا.
- الخارجون علىٰ دِين اليَهُود خنازيرُ نجِسةٌ.

ولقد زعمتْ يَهُودُ أَنَّ إِسْرائِيْلَ سأَل إلهَه قائِلًا: لماذا خلقتَ غيرَ شَعْبِك المُخْتارِ؟ فأَجَابَه قائِلًا: لتركبوا ظُهورَهم، وتمْتصُّوا دِماءَهم، وتُحْرِقوا أَخْضرَهم، وتُلوِّثوا طاهرَهم، وتهدموا عامرَهم.

صوَّر التَّلْمودُ غيرَ اليَهُودِ بأَنَّهم حيواناتٌ في صورةِ إِنْسانٍ، هُمْ حميرٌ وكلابٌ وخنازيرُ، بل الكلابُ أَفْضلُ منهم؛ لأَنَّه مُصرَّحٌ لليهوديِّ في الأَعْياد أَنْ يُطْعِمَ

الكلْبَ، وليس مُصرَّحًا له أَنْ يُطْعمَ الأَجْنَبيَّ، وغيرُ مُصرَّحٍ له أَيْضًا أَنْ يُطْعمَهم لحمًا، بلْ يُعْطيه للكلبِ؛ لأَنَّه أَفْضلُ منهم(١).

ب. الكِبْرُ وتقديسُ النَّفْسِ عند الرَّافضة:

يدَّعي الرَّافضةُ كما ادَّعىٰ اليهودُ من قبلهم أَنَّهم خاصَّةُ الله وصفوتُه، وأَنَّه خلَق أَرْواحَهم مِنْ نُورٍ، وأَنَّ طِيْنتَهم أَصْلُها مكنونةٌ من تحت العرش، إِلَىٰ غير ذلك من التُّرَهاتِ والأَكَاذيب. فمِنْ شواهدِ ذلك:

جاءَ في «بصائِرِ الدَّرجات» عن أَبِي عَبْدِ الله أَنَّه قال: «إِنَّ الله جعَل لنا شِيْعةً، فجعَلهم مِنْ نوره، وصبَغهم في رَحْمَتِه، ومَنْ لم يَلْقَ اللهَ بما هُمْ عليه لم يتقبَّل الله منه حسنةً، ولم يتجاوزْ عنه سيِّئَةً»(٢). زعَم الرَّافضةُ أَنَّ اللهَ يوم القيامة يُخاطبُهم قائِلًا: يا أَحِبَّائِي(٣).

أَمَّا روايةُ عَمْرِو بنِ المِقْدَامِ الطَّويلةُ المحشوَّةُ كذبًا وافْتِراءً وتقديسًا للشِّيْعة وتعظيمًا، فقد جاءَ في ثناياها: «وأَنْتُم شِيْعةُ الله.. وأَنْتُم أَنْصارُ الله.. وأَنْتُم السَّابقون الأَوَّلون.... والسَّابقون في الآخرة إِلَىٰ الجَنَّةِ.. ولقد قال أَمِيْرُ المُؤْمنين لقَنْبُر خادمِه: يا قَنْبُرُ أَبْشِرْ وبشِّرْ واسْتَبْشر، فوالله لقدْ ماتَ رَسُولُ الله ﷺ وهو علىٰ أُمَّتِه ساخطٌ إِلَّا الشِّيْعةَ، أَلَا وإِنَّ لكلِّ شيءٍ عِزًّا، وعِزُّ الإِسْلام الشِّيعةُ»(٤).

بل الرَّافضة هُمْ أَعْداءُ الإِسْلام، وما أُوتي الدِّين تحريفًا وتزويقًا كما أُوتي مِنْ قِبَلِهم.

---

(١) انظر: «الكنز المرصود» (ص ٦٩، ٧٠، ٧٤، ٨٦، ٨٥)، و«الأفعىٰ اليهودية»، بمجموعه لعبد الله التل، و«حقيقة إسرائيل»، بمجموعه لشيت خطاب.

(٢) «بصائر الدرجات»، الصفَّار (ص ٧٠)، «بحار الأنوار»، المجلسي (ص ٦٧: ٧٤).

(٣) «تفسير فرات الكوفي» (ص ١١٤).

(٤) «روضة الكافي»، الكليني (٨/ ٢١٢ – ٢١٣)، «بحار الأنوار»، المجلسي (٦٨/ ٤٣ – ٤٤).



قال شيخُ الإِسْلام ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّهم شرٌّ مِنْ عامَّة أَهْلِ الأَهْواءِ»[(١)]، وقال أَيْضًا: «واتَّفق أَهْلُ العلم بدِينِ رَسُولِ الله ﷺ أَنَّهم أَبْعَدُ عن دِيْنه من اليَهُودِ والنَّصارىٰ»[(٢)].

إِنَّ الرَّوافضَ شرُّ مَنْ وَطِئَ الحَصىٰ مِنْ كلِّ إِنْس ناطِق أَوْ جَانِ[(٣)]

ج. التَّكَبُّرُ والعجبُ عند المنافقين:

كلُّ مَنْ أَعْرض عن الحقِّ وصدَّ عن سبيل الله لا ينفكُّ عن أَنَفةٍ يجدها في مَنْخِرَيْه، وتِيْهٍ تَنْتفِخُ به رِئَتَيْه، يميس اختيالًا، ويَتَبَخْتَرُ خُيلاءَ.. ومِنْ هؤلاء المنافقون وخصوصًا الزَّعامات منهم.. وقد طفَح هذا الخُلق منهم، وظهَر عليهم في مواقفَ عديدةٍ، منها:

أَلَيْسَ رَأْسُ النِّفاق وزعيمُه هو القائِلُ في ثنايا أَحْداثِ غزوة بني المُصْطَلِق (المُرَيْسِيع: والله لئِنْ رَجَعْنا إِلَىٰ المدينة ليخرجنَّ الأَعَزُّ منها الأَذَلَّ[(٤)]، وقصد بالأَعَزِّ نفسَه، وبالأَذَلِّ رَسُولَ الله ﷺ ؟

وممَّا يُشير إِلَىٰ عَجْرفةِ أَنْفُسِ المنافقين وخُيلائِها، ما وصَف الله به حالَهم في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة المنافقون:٥]، وقال عزَّ في عُلاه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [سورة النساء:٦٤].

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٤٨٢).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (٢٨/ ٤٨٣).

(٣) «نونية القحطاني» (٢١).

(٤) أخرجه البخاري «كتاب التفسير»، باب: سورة المنافقون، برقم (٢٦٢٢)، ومسلم «كتاب البر والصلة والآدب»، باب: نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا برقم (٦٧٤).

ومع ذلك يَثْنِي أَحَدُهم عِطْفَه، ويَلْوِي عُنُقَه، ويَنْأَىٰ بجانبِه عن أَنْ يَأْتِي مُذْعنًا.. مُنِيبًا.. تائِبًا.. ذَلِيلًا، بلْ يَتَعَالَىٰ عن الاستغفار لنفسه، وعن مجيئِه للرَّسُولِ ﷺ حتَّىٰ يستغفرَ له.

لذا كان جزاؤُه مِنْ جِنْسِ عملِه: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [سورة المنافقون:٦].

عِصْيانُهم النَّبيَّ ﷺ وهذا من دَلائِل كِبْرِهم وعُجبِهم.. قال تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ﴾ [سورة النساء:٨١].

إِنَّه التَّمرُّدُ المشوبُ بكِبْرٍ.. والعِصْيانُ الممزوجُ بعُجْبٍ، فكانت المعالجةُ هنا كما التي هناك مِنْ جزاءِ صنيعِهم، وما ربُّك بظلَّام للعبيد ﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ كما أَعْرَضُوا واسْتكْبَرُوا ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [سورة النساء:٨١].

وما صُوَرُ استهزائِهم بالمُؤمنين وسُخْريَتِهم منهم وازْدرائِهم لهم إِلَّا لونٌ مِنْ أَلْوانِ الكِبْرِ والفخرِ والإِعْجابِ بالنَّفس.

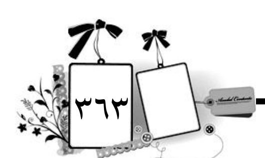
عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ لِلْمُنَافِقِينَ عَلَامَاتٍ يُعرَفُونَ بِهَا، تَحِيَّتُهُمْ لَعْنَةٌ، وَطَعَامُهُمْ نُهْبَةٌ، وَغَنِيمَتُهُمْ غُلُولٌ، وَلَا يَقْرَبُونَ المَسَاجِدَ إِلَّا هُجْرًا، ولا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا دُبْرًا، مُسْتَكْبِرِينَ، لَا يَأْلَفُونَ، وَلَا يُؤْلَفُونَ، خُشُبٌ بِاللَّيْلِ، صُخُبٌ بِالنَّهَارِ»(١).

هكذا نعَتهم النَّبيُّ ﷺ بأَنَّهم قومٌ مُسْتكبرون، ومعنىٰ هذا أَنَّهم يرون أَنْفُسَهم أَكْبَرَ مِنْ غيرهم إِعْجابًا بما هُمْ عليه مِنْ مالٍ أَوْحالٍ أَوْحسبٍ أَوْنسبٍ أَوْقُوَّةٍ أَوْعِزَّةٍ أَوْمَنَعَةٍ، وصفةُ الاستكبارِ من الصِّفاتِ المُتوعَّدِ عليها في الآخِرة بالعذاب(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٣)، قال الشيخ أحمد شاكر: «وإسناده حسن».

(٢) «النفاق والمنافقون في ضوء السنة النبوية» (ص١٤٧).



وفي الحديث عن النَّبيِّ ﷺ قال: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، وَلَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»، فقال الرَّجُلُ: يا رَسُولَ الله! إِنَّ الرَّجُلَ لَيُحِبُّ أَنْ يكونَ ثَوْبُه حسنًا، ونَعْلُه حسنةً؟! فقال:«إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ! الْكِبْرُ: مِنْ بَطَرِ الحَقِّ، وَغَمْطِ النَّاسِ»(١).

وروى الشَّيْخان عن حَارِثَةَ بنِ وَهْبٍ الْخُزاعيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَاعِفٍ(٢) لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لَأَبَرَّهُ(٣)، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ(٤) جَوَّاظٍ(٥) مُسْتَكْبِرٍ»(٦).

و قدْ نزَل الوَحْيُ على رَسُولِ الله ﷺ آمرًا له بالتَّواضع؛ فعن عِيَاضِ بنِ حِمَارٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٧) أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا؛ حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»(٨). والأَمْرُ بالتَّواضُعِ نَهْيٌ عن ضِدِّه، وهو الكِبْرُ.

---

(١) أخرجه ابن حبان (٥٤٤٢) وصححه الشيخ الألباني.

(٢) هو الذي يتضعفه الناس ويتجبرون عليه في الدنيا للفقر ورثاثة الحال. «النهاية» (٣/ ٨٨).

(٣) أبر الله قسمه: أي صدقه. انظر: السابق (١/ ١١٧).

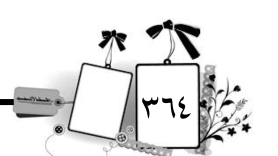
(٤) تقدم تفسيره في (صـ: ٥٦).

(٥) تقدم تفسيره في (صـ:٥٦).

(٦) أخرجه البخاري «كتاب التفسير»، باب: (عتل بعد ذلك زنيم)، برقم (٤٦٣٤)، ومسلم «كتاب الجنة ونعيمها»، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، برقم (٢٨٥٣/ ١).

(٧) عياض بن حمار المجاشعي التميمي، من بني مجاشع بْن دارم بْن مالك بْن حنظلة بْن مَالِك بْن زَيْد مناة بْن تميم. لهُ صُحبَةٌ، وهو عياض بْن حمار ابْن أَبِي حمار بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع. نسبه خليفة بْن خياط . عداده في أهل البصرة. وفد على النَّبيِّ ﷺ قبل أن يسلم ومعه نجيبة يهديها إليه، فقال: أسلمت؟ قال: لا. قال: إن اللَّه نهاني أن أقبل زبد المشركين. فأسلم فقبلها منه. رَوَى عَن النبي ﷺ. «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي (٢٢/ ٥٦٥)، «تاريخ الإسلام»، للذهبي (٢/ ٥٢٩).

(٨) أخرجه مسلم «كتاب الجنة وصفة نعيمها»، باب: الصفات التي يعرف بها الدنيا أهل الجنة وأهل النار، برقم (٢٨٦٥).



كما جاءَتِ الآياتُ القُرآنيَّةُ في وعيد كلِّ عنيدٍ بالعذاب .. قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ [سورة المدثر:١٦-١٧] ، وقال تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [سورة ق:٢٤] ، وقال عزَّوجلَّ: ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ [سورة إبراهيم:١٥].

ولقد ضرَب المنافقون أنْفُسُهم صُورًا عديدةً مِنْ سُلوكيَّاتِهم تُفْصِح عمَّا تنطوي عليه قلوبُهم من كِبْرٍ وعِنادٍ للحقِّ.

فعن جَابِرِ بنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رَسُولُ الله ﷺ : «مَنْ يَصْعَدُ الثَّنِيَّةَ(١)، ثَنِيَّةَ المِرَارِ(٢)، فَإِنَّه يُحطُّ (٣) عَنْهُ مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ»، قال: فكان أَوَّلُ مَنْ صَعِدَهَا خَيْلُنا، خَيْلُ بَنِي الْخَزْرَجِ، ثُمَّ تَتَامَّ(٤) النَّاسُ، فقال رَسُولُ الله ﷺ: «وَكُلُّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ إِلَّا صَاحِبَ الْجَمَلِ الْأَحْمَرِ(٥)». فأتَيْنَاهُ، فقُلْنَا لَهُ: تَعَالَ يَسْتَغْفِرْ لَكَ رَسُولُ الله ﷺ فقال: والله لَأَنْ أَجِدَ ضَالَّتِي(٦) أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي صَاحِبُكُمْ، قال: وكان رَجُلٌ يَنْشُدُ(٧) ضَالَّةً لَهُ(٨).

وعن زَيدِ بنِ أَرْقَمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خَرَجْنَا مع النَّبيِّ ﷺ في سفرٍ أَصَابَ النَّاسَ

(١) الثنية في الجبل كالعقبة فيه، وقيل: هو الطريق العالي فيه، وقيل: أعلى المسيل في رأسه. «النهاية» (١/ ٢٢٦).

(٢) قال النووي: المرار شجر مرّ، وثنية المرار عند الحديبية بين مكة والمدينة انظر: شرحه لمسلم (١٧/ ١٢٦)، وانظر: «النهاية» (١/ ٢٢٦).

(٣) حط الشيء يحطه إذا أنزله وألقاه. «النهاية» (١/ ٤٠٢).

(٤) تتامّ الناس: أي جاءوا متوافرين متتابعين. انظر: السابق (١/ ١٩٧).

(٥) قيل: إن هذا الرجل هو الجد بن قيس المنافق. انظر: «شرح مسلم للنووي» (١٧/ ١٢٦).

(٦) الضالة: هي الضائعة من كل ما يقتضى من الحيوان وغيره. «النهاية» (٣/ ٩٨).

(٧) ينشد ضالة له: أي يطلبها. انظر: السابق (٥/ ٥٣).

(٨) أخرجه مسلم، «كتاب صفات المنافقين وأحكامهم»، باب بدون، برقم (٧٢١٥).

فيه شدَّةٌ، فقال عَبْدُ الله بنُ أُبَيٍّ لأَصْحابه: لا تُنفقوا على مَنْ عند رَسُولِ الله حتَّى يَنْفضُّوا مِنْ حوله. وقال: لئِنْ رَجَعْنَا إِلَى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ منها الأَذَلَّ. فأَتَيْتُ النَّبيَّ ﷺ فأَخْبَرْتُه، فأَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ الله بنِ أُبَيٍّ، فسأَلَه، فاجْتَهَدَ يمينَه ما فعَل، قالوا: كذَب زَيْدٌ رَسُولَ الله ﷺ فوقَع في نفسِي ممَّا قالوا شدَّةٌ، حتَّى أَنْزلَ الله عَزَّوَجَلَّ تصديقي في ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [سورة المنافقون:١].

فدَعاهُم النَّبيُّ ﷺ ليستغفرَ لهم فلَوَّوْا رُؤُوسَهم، وقوله: ﴿خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ قال: كانوا رجالًا أَجْمل شيءٍ(١) وهكذا يبدو المنافقون وهُمْ يستكبرون عن الحقِّ والخلْقِ دائِمًا مُعاندين لهما(٢).

سادسًا: الأمرُ بالمنكَر والنَّهيُ عن المعروف:

جعَل الله الأَمْرَ بالمعروف والنَّهيَ عن المُنكَر قُطبَ الدِّين الأَعْظم.. وعليه مدارُ

---

(١) أخرجه البخاري، «كتاب التفسير»، باب: (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) ، برقم (٤٦٢٠)، ومسلم «كتاب صفات المنافقين وأحكامهم»، باب: بدون، برقم (٢٧٧٢).

(٢) وروى ابن اسحاق بالتحديث عن الزهري أنه قال: كان لعبد الله بن أبي مقام يقومه كل جمعة لا يتركه شرفًا له في نفسه وفي قومه وكان فيهم شريفًا، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجمعة يخطب قام، فقال: أيها الناس هذا رسول الله بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس، فلما قدم رسول الله ﷺ من أحد، وصنع المنافق ما صنع في أحد فقام يفعل كما كان يفعل فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا: اجلس يا عدوا الله لست لهذا المقام بأهل، قد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأني قلت هجْرًا أن قمت أشدد أمره.

فلقي رجلًا من الأنصار بباب المسجد، فقال: ويلك مالك، فقال قمت أشدد أمره، فقام رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني كأنما قلت هجرًا، فقال: ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ فقال المنافق: والله ما أبغي أن يستغفر لي. انظر: «سيرة ابن هشام» (٣/ ٥٧) و«الدلائل» للبيهقي (٣/ ٣١٨) بإسناد حسن، لكنه مرسل.

خيريَّة هذه الأُمَّةِ.. هو المُهِمُّ الذي ابْتَعث الله به النَّبِيِّين أَجْمعين عليهم صلواتُ ربِّ العالمين، بلْ هو مِنْ أَخَصِّ صفاتِ صفيِّه مِنْ خلقِه وخِيرتِه من عباده ﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [سورة الأعراف:١٥٧].

ثُمَّ جعَله الله سبحانه مِنْ أَجلِّ أَوْصافِ عبادِه المُؤْمنين، فقال جلَّ في عُلاه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ﴾ [سورة التوبة:٧١].

ولعلَّك تلحظ أَخِي المباركَ منزلةَ هذا الرُّكْن من الدِّين إِذَا علِمْتَ أَنَّ الله قدَّمه على الإِيْمان به كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ [سورة آل عمران:١١٠].

ولأَهَمِّيَّةِ هذا الرُّكْنِ.. يُعلم أَنَّه لو طُوي بساطُه وأُهْمِل عملُه، لفشتِ الضَّلالةُ، وشاعتْ الجهالةُ، واستشرى الفسادُ، وخربت البلادُ.. وهلَك العبادُ.

أ. أَمْرُ اليهود بالمُنكَر، ونَهْيُهم عن المعروف:

لقد كان مِنْ أَسْباب لَعْنِ بني إِسْرائِيلَ عدمُ أَمْرِهم بالمعروف، وسكوتُهم عن المُنكَر، قال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [سورة المائدة:٧٨-٧٩].

قال الإِمَامُ القُرْطُبِيُّ: ذُمُّوا؛ لتركهم النَّهْيَ، وكذا مِنْ بعدهم يُذمُّ مَنْ يفعل فعلَهم.. ثُمَّ أَوْرد قولَ ابنِ عَطِيَّةَ.الذي فيه: «والإِجْماعُ منعقدٌ على أَنَّ النَّهْيَ عن المُنكر فرضٌ لمَنْ أَطَاقه».



وقال حُذَّاقُ أَهْلِ العلم: وليس مِنْ شرط النَّاهي أَنْ يكون سليمًا مِنَ المعصية، بلْ ينهى العصاةُ بعضُهم بعضًا.

وقال بعضُ الأُصوليِّين: فرضٌ على الذين يتعاطون الكُؤوسَ أَنْ ينهى بعضُهم بعضًا. واستدلُّوا بهذه الآية؛ قالوا: لأَنَّ قولَه تعالى: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [سورة المائدة:٧٩] يقتضي اشتراكَهم في الفعل، وذَمَّهم على ترك النَّهي.

وفي الآية دليلٌ على النَّهي عن مجالسة المجرمين، وأمرٌ بتركهم وهجرانهم(١)، ولقد وبَّخ الله علماءَهم بتركهم هذا الواجبَ المُتحتِّمَ عليهم، فقال سبحانه: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [سورة المائدة:٦٣].

⇐ الرَّبَّانيُّون: هم علماءُ النَّصارى.

⇐ الأَحْبارُ: هم علماءُ اليَهُود(٢).

⇐ السُّحْتُ: الرَّشْوةُ التي كانوا يَأْخُذونها على حُكْمِهم بغير كتاب الله(٣).

قال الإِمَامُ القُرْطُبِيُّ: «دلَّتْ الآية على أَنَّ تركَ النَّهيِ عن المُنكَر كمُرْتكبِ المُنكَر»(٤).

ولم يقتصر اليَهُودُ -قَاتَلَهُمُ الله- على تركِ النَّهي عن المُنكَر بلْ أَمَرُوا به ونَهَوا عن المعروف وسيأْتي لذلك بيانُه فيما سَعَوا به في الأَرْض فسادًا.

---

(١) «تفسير القرطبي» (٦/ ٢٥٣).
(٢) «تفسير القرطبي» (٦/ ٢٣٦).
(٣) «تفسير الطبري» (٦/ ١٩٢).
(٤) «تفسير القرطبي» (٦/ ٢٣٦).



ب. أَمْرُ الرَّافضة بالمُنكَر، ونَهْيُهم عن المعروف.

إِنَّ تطوافةً يسيرةً في عالَم التَّشيُّع وسِيرِ أَئِمَّتِهم وملاليهم لكفيلةٌ ببيان ما عليه شَأْنُهم من منكراتٍ ظَهَرت على سُلوكيَّاتهم وزخَرت بها مُؤَلَّفاتُهم.. عرِّج على شيءٍ من عقائِدِ القوم الطافحةِ بالكُفْرِ البوَّاح وهُمْ يعلمون ثُمَّ لا يتناهون عن ذلك.. واقْرَأْ نَزْرًا يسيرًا مِنْ أَقْوالهم في القُرْآنِ الكريمِ تحريفًا وتبديلًا، ثُمَّ لا يتناهون عن ذلك.

وقُلْ مثلَ ذلك في عقيدةِ الرَّافضة في الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وفي قضايا الغيبيَّات يوم القيامة وعقيدتِهم في الغيبة[1] والرَّجعة[2] ... إلخ.

ج. أَمْرُ المنافقين بالمُنكر، ونَهْيُهم عن المعروف:

إِنَّ وصفَ الله للمنافقين بهذه الصِّفةِ لهُوَ أَبْلغُ حُجَّةٍ على أَنَّه معنىً قائِمٌ في واقعِهم يتعاملون به في سلوكهم؛ فنظرةٌ متأَمِّلةٌ لأَقْوال وأَفْعالِ المنافقين تدلُّ على ذلك، وتُشير إِلَيه؛ قال سبحانه: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [سورة التوبة:٦٧].

---

(١) يعتقد الرافضة أن إمامهم الحادي عشر الحسن العسكري قد وُلد له ولد (هو محمد بن الحسن العسكري هو الإمام الإثنى عشر، وأن هذا الولد قد دخل سردابًا في دار أبيه بمدينة (سُرَّ من رأى) وكان عمره خمس سنوات والرافضة يجتمعون كل ليلة بعد المغرب أمام باب السرداب ويهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم.. إلخ. انظر: «تثبيت دلائل النبوة» (١/ ١٩)، «كمال الدين»، للقمِّيِّ (١٣)، «بحار الأنوار»، للمجلسيِّ (١٠٢/ ١٠٢).

(٢) الرجعة عقيدة عند القوم فحواها أن الشيعة يزعمون عودة إمامهم الثاني عشر صاحب السرداب الملّقب بالحجة الغائبة ورجوع باقي أئمتهم إلى الدنيا، حيث إنهم يُحيون بعد موتهم.. فإذا حيي ورجع محمد بن الحسن فإنه يفعل من المنكرات والجرائم بزعمهم ما سيأتي حديث عنه في الإفساد في الأرض. انظر: «الرجعة»، للأحسائي (١٨٦-١٨٧)، «بحار الأنوار»، للمجلسي (٥٣/ ١٠٤- ١٠٥).

قال الإِمَامُ البَيْضاويُّ [(١)]: «﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ﴾ بالكُفْرِ والمعاصي، ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [سورة التوبة:٦٧] عن الإِيمانِ والطَّاعة» [(٢)].

إِنَّه لا معنى لقولهم: ﴿لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾ [سورة التوبة:٨١] إِلَّا أَمْرٌ بالمُنكرِ، وهو القعودُ عن الجهاد، ونَهْيٌ عن المعروف، وهو الخروجُ للقتال مع رَسُولِ الله ﷺ والمُؤمنين، وقولهم: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة المنافقون:٧].

أَلَيْسَ نَهيًا عن المعروف وهو الصَّدقة بِبَذْل المال في وجوه الخيرِ وعلى الفقراءِ والمساكين؟

---

(١) هو: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي (توفي: ٦٨٥هـ)، صاحب «الطوالع» و«المصباح» في أصول الدين، و«الغاية القصوى» في الفقه، و«المنهاج» في أصول الفقه، و«مختصر الكشاف» في التفسير، و«شرح المصابيح» في الحديث.

كان إمامًا مبرزًا نظارًا صالحًا متعبدًا زاهدًا، ولي قضاء القضاة بشيراز ودخل تبريز وناظر بها وصادف دخوله إليها مجلس درس قد عقد بها لبعض الفضلاء فجلس القاضي ناصر الدين في أخريات القوم بحيث لم يعلم به أحد، فذكر المدرس نكتة زعم أن أحدًا من الحاضرين لا يقدر على جوابها، وطلب من القوم حلَّها، والجواب عنها، فإن لم يقدروا فالحل فقط، فإن لم يقدروا فإعادتها.

فلما انتهى من ذكرها شرع القاضي ناصر الدين في الجواب فقال له: لا أسمع حتى أعلم أنك فهمتها. فخيره بين إعادتها بلفظها أو معناها، فبهت المدرِّس وقال: أعدها بلفظها. فأعادها، ثم حلها، وبين أن في تركيبه إيَّاها خللًا، ثم أجاب عنها، وقابلها في الحال بمثلها، ودعا المدرس إلى حلِّها، فتعذر عليه ذلك، فأقامه الوزير من مجلسه، وأدناه إلى جانبه، وسأله من أنت؟ فأخبره أنه البيضاويُّ، وأنه جاء في طلب القضاء بشيراز، فأكرمه وخلع عليه في يومه ورده وقد قضى حاجته . ينظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكيِّ (٨/ ١٥٧)، و«البداية والنهاية» (١٣/ ٣٠٩)، و«مرآة الجنان» (٤/ ٢٢٠).

(٢) «تفسير البيضاوي» (٣/ ١٥٥).



وقولهم: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ [سورة الأحزاب:١٣]. جميعُ هذه الأقوالِ وغيرِها من الفِعال مُندرجةٌ ضِمْنًا تحت هذا المعنىٰ.

وتأمَّلْ أَخِي في المقابل علوَّ منزلةِ مَنْ يَأْمُرُ بالمعروف وينهىٰ عن المنكر؛ فقد قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا يُعْطَونَ مِثْلَ أُجُورِ أَوَّلِهِمْ يُنْكِرُونَ الْمُنْكَرَ»(١).

قال الإِمَامُ المناويُّ: أَيْ يُثيبهم الله مع تَأَخُّرِ زَمَنِهِم مثلَ إِثَابة الأَوَّلين من الصَّدْرِ الأَوَّلِ الذين نصروا الإِسْلامَ، وأَسَّسوا قواعدَ الدِّين(٢).

وقد استنبط الحَسَنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [سورة آل عمران:٢١].

إِنَّ في الآية دلالةً علىٰ أَنَّ الآمِرَ بالمعروف والنَّاهِي عن المنكر تلي منزلتُه عند الله منزلةَ الأَنبياءِ صلواتُ الله وسَلامُه عليهِم، فلهذا ذكَرهم عقيبَهم(٣).

سابعًا: الفسادُ في الأرض:

سلوكُ مَنْ لا خلاق له.. ممَّنْ أَوْغَلَ في الشَّرِّ.. ولجَّ في البَغْيِ.. وغَشِيَ القبائِحَ.. وأُوْلِعَ بالإِجْرام.

أ. اليَهُودُ يسعون في الأَرْض فسادًا:

إِنَّهم بني صَهْيُونَ سفَّاكو الدِّماءِ.. وقتلةُ الأَنْبياءِ عليهم صلواتُ ربِّ الأَرْضِ والسَّماءِ.. كم انتهكوا مِنْ أَعْراضٍ.. وأَحْرقوا مِنْ مزارعَ.. وهدَّموا مِنْ مساجدَ..

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٦٢) عن عبد الرحمن الحضرمي عمن سمع النبي ﷺ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٢٤).

(٢) «فيض القدير» للإمام المناوي (٢/ ٦٨٠).

(٣) انظر: «التفسير الكبير» (٧/ ٢١٥)، و«اللباب في علوم الكتاب» (٥/ ١١٥)، لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي.



ودَنَّسُوا المسجدَ الأَقْصىٰ.. إِنَّه الوصفُ البليغُ.. والتَّعْبيرُ الأَتَمُّ لما ورَد في قوله تعالىٰ: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ﴾ [سورة المائدة: ٦٤].

نماذجُ مِنْ إِفْساد اليَهُودِ في الأَرْض:

الفسادُ بشتَّىٰ صُوَرِه وكافَّة مجالاته؛ فبِمُخطَّطات اليَهُودِ ومُنظَّماتِهم الشَّيْطانيَّةِ عمِلوا علىٰ شقاءِ البَشريَّةِ، وإِفْساد العالَمِ، حتَّىٰ صدَق فيهم قولُ أوسكار ليفي حين قال: «نحن اليَهُودُ لسْنَا إِلَّا مفسدو العالَمِ، ومُحرِّكو الفِتَنِ فيه، وجلَّادوه».

وقولُ موريس صموئيل: «نحن اليَهُودُ المُدَمِّرون لكلِّ شيءٍ... ولسوف نبقىٰ مُدَمِّرين للأَبَدِ»[١].

ومَنْ قَرَأَ برتوكولات حُكماءِ صَهْيُونَ يعلم مدىٰ تخطيطِ اليَهُودِ لإِفْساد العالَمِ بشتَّىٰ الوسائِلِ والمناحي؛ فلم يكتف اليَهُودُ بإِيْقاد الحروبِ العالَميَّةِ فحسب، بلْ كانوا وراءَ الفسادِ الفِكْريِّ أيضًا:

فهدَمُوا الدِّينَ واستبدلوه بالمذاهبِ القوميَّةِ والعُنْصريَّةِ، وهُمْ مروِّجو السِّحْرَ والتَّنْجيمَ، ولا أَدلَّ علىٰ ذلك مِنْ تحريف شَاءُولَ اليَهُودِيِّ المعروفِ ببولس لأُصُولِ الدِّيانةِ النَّصْرانيَّةِ، حتَّىٰ قال بأُلُوهيَّة المسيح، وأَحَلَّ التَّثْليثَ مكانَ التَّوحيد، وابْتدعَ قِصَّةَ الفِداءِ للتَّكْفير عن خطيئَةِ البَشَرِ[٢].

كما نشروا الإِلْحادَ بين الأُمَمِ، كما جاءَ في البروتوكولِ الرَّابعِ: «يجب علينا أَنْ ننزعَ فِكْرَةَ الله ذَاتَها مِنْ عقول غيرِ اليَهُودِ، وأَنْ نضَعَ مكانَها عمليَّاتٍ حسابيَّةً، ورَغَبَاتٍ ماديَّةً»[٣].

---

(١) «أخلاق اليهود» (٩٨).

(٢) «واقدساه» (٢/ ٣٩٢-٣٩٣).

(٣) «بروتوكولات حكماء صهيون» (١٣١).

وشهد شاهدٌ مِنْ أَهْلها: فقد جاءَ في مضابط مُؤْتمر بلغراد الماسونيِّ لعام ١٩٩٢م قولهم: «يجب أَلَّا ننسى بأَنَّنا نحن الماسونيِّين أَعْداءَ الدِّين. ومِنْ أَقْوالِهم: ستحلُّ الماسونيَّةُ محلَّ الأَدْيان، ومحافلُها ستقوم مقامَ المعابد»(١).

اليهودُ وراءَ المسرح وما فيه مِنْ دعارةٍ. يقول فاريل: «إِنَّ اليَهُودِيَّ هو القيِّمُ على المَسْرَحِ الأَمْرِيكيِّ»(٢).

وامتدَّ فسادُهم فطالَ الأَدَبَ برواياتِه المكشوفةِ ومجلَّاتِه السَّاقطةِ وكتُبِه وقِصَصِه الهابطةِ.. ناهيك عن الغِنَاءِ والموسيقى؛ فليستْ موسيقى الجاز إِلَّا اخْتِراعٌ يهوديٌّ، وما الحركاتُ والرَّقصاتُ المُثيرةُ القَذِرَةُ المُتناسقةُ مع النَّغَمات إِلَّا مِنْ عمل يَهُودٍ(٣).

واليهودُ تُجَّارُ الخمورِ في العالم، وقدْ ظَهر أَنَّ ٦٠٪ من صناعة تقطيرِ الوِيسْكي والاتِّجار به بالجُمْلة في أَيْدي اليَهُودِ، وهُمْ المُمْسِكون أيضًا بزِمام تِجارة السِّيجار...(٤).

أَمَّا المجازرُ وإِرَاقةُ الدِّماءِ فقدْ سطَر التَّاريخُ بمِدادِ الأَسَى والحُزْنِ تلك الصَّفحاتِ المصبوغةَ باللَّونِ الأَحْمرِ في دَيْرِ يَاسِيْن والشَّرفاتِ وقبيَّةَ وغَزَّةَ وهوسانَ وقَلْقيلِيَّةَ وكفرِ قاسمِ والعدوانِ الثُّلاثيِّ وخانِ يُونُسَ ورَفَحَ وتلِّ الزَّعْتر وصبرا وشاتيلا والمسجدِ الإِبْراهيميِّ وغيرِها(٥).

---

(١) «مكايد يهودية» (ص ٢٣٧).

(٢) «من يحكم واشنطن وموسكو»، المقدمة (ص ٤) بتصرف يسير لفريد مان ودنيس هافي.

(٣) «اليهودي العالمي» (ص ١٨٤).

(٤) مكايد يهودية وللتوسع انظر: كتاب «اليهود وراء كل جريمة»، لوليم كار، شرح وتعليق خير الله الطفاح.

(٥) انظر: بتفصيل: «واقد ساه» (ص ٢٥٧ – ٣١٠) للسيد العفاني.



كانت الاحصائِيَّاتُ المبدئِيَّةِ لأَعْداد مَنْ ذهَبوا ضحيَّةَ هذه الاعتداءَاتِ الغاشمةِ في فِلَسْطِيْنَ على النَّحْو التَّالي:

(٢٦١٠٠٠ قتيلٍ) و(١٨٦٠٠٠) جريحٍ و(١٦١٠٠٠ معوَّقٍ)، وهجرةُ خمسةِ ملايين للبُنَانَ وغيرِها. أَمَّا المنازلُ فالإِحْصائِيَّةُ الأَخِيرةُ أَشارَتْ إِلَى هدم ما يزيد عن ثمانية عشر أَلْفِ منزلٍ للفلسطينيِّين بدءًا مِنْ عام ١٩٦٧م وحتَّى الآن(١).

ولقد كانت الأَيَادي اليَهُودِيَّةُ الخفيَّةُ وراءَ الحروب العالَمِيَّة أَيْضًا؛ فقد كتَب أوسكار ليفي اليهوديُّ اللَّنْدنيُّ قائِلًا: «نحن معشرَ اليَهُودِ صنعْنا الحربَ العالَمِيَّةَ، نحن اليَهُودُ لسْنا إِلَّا مُضلِّلو العالَمِ، وحَارِقُوه، وقَاتِلوه، إِنَّ ثورتَنا الأَخِيرةَ لم تقمْ بعدُ»(٢).

صُوَرٌ مِنْ إِبْعاد اليَهُودِ وطَرْدِهم:

ولِفسادِ اليَهُودِ في الأَرْض وفضائِحِهم المشينةِ في أَيِّ بلدٍ يقطنونه أَوْ مدينةٍ يسكنونها تمَّ طرْدُهم مِنْ أُورُوبَّا وغيرِها.

ففي عام ١٢٥٣م طُردوا جميعًا مِن الأَرَاضي الفَرَنْسِيَّة؛ لمخالفتهم لقوانين البلاد.

ثُمَّ بدأَ الجلاءُ الكبيرُ لهم مِنْ أُورُوبَّا؛ إِذْ طردتْهم إِنْجِلْترا في عهد الملك إِدوارد الأَوَّلِ.

وفي عام ١٣٠٦م طردتْهم فَرَنْسَا مرَّةً ثانيةً، وبصورةٍ كاملةٍ.

---

(١) موقع الإسلام اليوم، رسائل الجوال نقلًا عن منظمة يهودية حقوقية.

(٢) «حكومة العالم الخفية» لشيريب سبيريدوفيتش، ترجمة مأمون أسعد. وانظر بتوسع كتاب واقد ساه (٢/ ٣٩٥ – ٤١٥) للسيِّد العفاني.

وتبعتْها سَكْسُونيا إِحْدىٰ الدُّوَلِ الجرمانيَّةِ عام ١٣٤٨م فطردتْ يهودَها أَيْضًا، ثُمَّ هنغاريا في عام ١٣٦٠م، وبَلْجِيْكا عام ١٣٧٠م، وسلوفاكيا عام ١٣٨٠م، والنمسا عام ١٤٢٠م، وهُولَنْدَة عام ١٤٤٤م، وأَسْبَانِيا في عام ١٤٩٢م، ثُمَّ إِيْطاليا في عام ١٥٤٠م، ثُمَّ باغلويا في عام ١٥٥١م[(١)].

ب. إِفْسادُ الرَّافضة في الأَرْض:

ليستِ الرَّافضةُ لِمَنْ تتبَّع تاريخَهم الدَّمويَّ والعقديَّ والإِجْراميَّ بأَقَلَّ شَأْنًا من اليَهُودِ فسادًا في الأَرْض وإِجْرامًا والتَّاريخُ خيرُ شاهدٍ.

فسادُهم في تضليل أَتْباعهم وجماهيرهم بعقائِدَ باطلةٍ ومناهجَ ضالَّةٍ لا علىٰ صعيد الفِقْه المُعْوَجِّ عن سبيل الحقِّ ولا في بِدَعٍ ما أَنْزل اللهُ بها مِنْ سُلْطانٍ، كأَعْمالهم المشينةِ في يوم عاشوراءَ وفي الأَعْياد المُحْدَثةِ وفي الشِّركيَّات عند القبور وفي المواسم... إلخ؛ إِفْسادُهم بنشر مذهبهم في أَقْطارٍ من العالَم متفرِّقةً لهم في ذلك جهودٌ تُبْذَلُ وأَمْوالٌ تُنْفَق، وكان الإِغْراءُ بمذهبهم ومعتقداتِهم عن طريق الجِنْس والمالِ، كما الشَّأْنُ عند اليَهُودِ سواءً بسواءٍ.

فمِنْ ذلك حِرْصُهم البالغُ علىٰ التَّغَلْغُل السُّكَّانيِّ والتِّجاريِّ والدِّينيِّ والتَّعْليميِّ والوزاريِّ في دُوَلٍ عديدةٍ، وعلىٰ وجهٍ أَخَصَّ دُوَلَ الخليجِ العربيِّ الذي يعتبرونه الخليجَ الفارسيَّ..

فهُمْ يقطنون في مُدُنٍ وبُلْدانٍ وأَحْياءٍ سكنيَّةٍ بكاملها حتَّىٰ أَصْبحتْ مشتهرةً بهم.. يُظهرون فيها شعائِرَهم وطقوسَهم ولهم بها مساجدُ وحُسَيْنيَّاتٌ ويُقيمون فيها وخارجَها مناسباتِهم احتفالًا بأَعْيادهم وزيجاتِهم الجماعيَّةِ وغيرِها..

---

(١) «اليهود وراء كل جريمة» (٦٤ – ٦٧).



يَبْرُزُ ذلك ويَظْهَرُ في يوم عاشوراءَ، بلْ إنَّ لهم خِطَّةً خَمْسِينيَّةً لتشييع المنطقة على غِرارِ بروتوكولات حُكَماءِ صَهْيُون.

جهودُ الرَّافضة في نشر مذهبهم وتكثيرِ سوادهم:

- عقدُهم للدَّوْرات وإِقَامتهم للدُّروس والمحاضراتِ وتَأْلِيفُهم للكتُب والكُتَيِّباتِ وإِنْشاؤُهم للقَنواتِ والإِذَاعاتِ ومواقعِ الإِنْترنت وإِعْدادُهم للدُّعاة، ولذا تجِدهم يستكثرون مِنْ طُلَّاب المِنَحِ المُبْتعثين إِلَيْهم؛ ليتمَّ إِعْدادُهم ليكونوا رُسُلًا للتشيُّع، وفي المقابل يُكثرون مِنَ ابتعاث شبابِهم وفتاياتِهم للخارج.

- بناؤُهم لمساجدهم وحُسَيْنِيَّاتِهم[1] التي هي أَشْبهُ ما تكون بمساجدِ الضِّرار؛ إِذْ بها تُعقد المُؤامراتُ، وتنطلق الأَعْمالُ، ويتخرَّج الملالي، ويُؤَهَّلُ الدُّعاةُ.. وتُبْرَمُ المُخطَّطاتُ، وتنطلق السَّرايا.

- ترقِّيهم في المناصب الإِدَاريَّةِ والتَّعْليميَّةِ والتِّجاريَّةِ: فلهُمْ في ذلك حقائِبُ وِزاريَّةٌ ومواقعُ استراتيجيَّةٌ، بلْ ونفوذٌ في التَّخصُّصاتِ العِلْميَّةِ يُمثِّلون نِسْبةً لا يُسْتهان بها في القطاعاتِ المَدَنِيَّةِ والعسكريَّةِ، أَمَّا التِّجارةُ فقد أَصْبح العديدُ -أَوْ قلِ الكثيرُ- مِنْ أَصْحاب رُءُوس الأَمْوال والأَثْرياءِ يملكون مصانعَ ومُؤَسَّساتٍ وشركاتٍ ومطابعَ وفنادقَ ومجمعاتٍ طِبِّيَّةً، ولهم شهرتُهم وتوغُّلُهم في أَسْواق الذَّهب والتُّمورِ والأَسْماكِ[2]... إلخ.

سَفْكُهم الدِّماءِ.. وقتلُهم الأَبرياءِ..

مِنْ أَعْظم جوانبِ إِفْسادِ الرَّافضة اسْتِحْلالُهم إِزْهاقَ الأَنْفُسِ المعصومةِ،

(١) انظر: بتفصيل واسع: «الشهب الحارقة على الشيعة المارقة» (ص ١٥٩).
(٢) مذكرة «الرافضة في بلاد التوحيد»، للدكتور ناصر العمر ص (٦).



وتاريخُهم القديمُ والمعاصرُ يشهد بمآسٍ وفضائحَ يشيب لها رَأْسُ الوليد.. فصُوَرُ التَّعْذيب ومشاهدُ التَّشْويه وجرائِمُ القَتْلِ لا تُذَكِّرُك إِلَّا بمحاكم التَّفْتيش التي وقعتْ علىٰ أَيْدي النَّصارىٰ كما في كتاب: دمِّروا الإِسْلامَ أَبِيدوا أَهْلَه(١).

فمِنْ هاتيكم الصَّفحاتِ المُخضَّبةِ بالدِّماءِ ما سبق ذِكْرُه مِنْ خيانتهم للمسلمين وحُلَفائِهم وتذليلِ سُبُلِ دخولِ الأَعْداءِ إِلَىٰ دِيارهم؛ ممَّا جرَّ علىٰ أُمَّة الإِسْلام في زمن المَغُولِ مذبحةً لمْ يشهَد لها التَّاريخُ مثيلًا.. ثُمَّ أَلَا يكفي أَنَّ مِنْ عقيدة القوم الرَّجْعة التي مفادُها أَنَّ إِمَامَهم الثَّاني عشر صاحبَ السِّرداب مُحَمَّدَ بنَ الحَسَنِ العسكريَّ سيَرْجِعُ هو وباقي أَئِمَّتِهم بعد موتهم؛ ليُؤَدُّوا بعضَ المهامِّ والأَعْمالِ التي منها كما زعموا:

أَنَّ أَبَا بَكْرٍ. وعُمَرَ. وعُثْمَانَ. رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ سيعودون أَحْياءَ، فيُصْلَبون؛ لاغْتِصابِهِمُ الخِلافَةَ مِنْ عَلِيٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا، وسيُقام الحدُّ علىٰ عَائِشَةَ؛ لقَذْفِهِمْ لها بالزِّنا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وسيُثْخن أَئِمَّتُهم المبعوثون مِنْ قبورهم في سَفْكِ دماءِ الحجيج، وينتزعون الحَجَرَ الأَسْوَدَ، ويحملونه معهم إِلَىٰ الكوفة، بلْ يهدم إِمَامُهم الثَّاني عشر الحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، ويُعيدهما علىٰ أَسَاسِهما الصَّحيح.

روىٰ المجلسيُّ قال: «ما بقِي بيننا وبين العرب إِلَّا الذَّبْحُ»(٢).

ولذا ورَد في بعض الرِّوايات أَنَّه يعظم إِفْسادُ هذا الإِمَامِ في الأَرْض سفكًا للدِّماءِ وإِزْهاقًا للأَرْواح حتَّىٰ يتمنَّىٰ النَّاسُ أَلَّا يَرَوْهُ وأَنَّه لمْ يخرج، ويقيم هذا الإِمَامُ المُنْتَظَرُ حُكْمَ آلِ دَاوُدَ، ويعمل به في النَّاس(٣).

---

(١) دمروا الإسلام أبيدوا أهله لجلال العالم.

(٢) «بحار الأنوار»، للمجلسي (٦٢/ ٣٤٩).

(٣) «لله ثم للتاريخ» (٨٧ – ٨٩).

أَمَّا جرائِمُهم الآن فشاهدُها أَرْضُ العِرَاقِ وسُوريَا واليَمَنِ، وأَمَّا أَحْوالُ أَهْلِ السُّنَّةِ في إِيْران فحدِّثْ عن ذلك ولا حَرَجَ؛ فمناظرُ الجُثَثِ وقد مُثِّل بها وشُوِّهتْ بالتَّعْذيب، وصُوِّر ثَقْبُ الأَجْساد، وقَطْعُ الأَعْضاءِ، إلخ، ممَّا لا تقوىٰ الأَنْفُسُ الأَبيَّةُ علىٰ رُؤْيتِه، ناهيك عن اغْتِصاب الحرائِرِ وصغيراتِ السِّنِّ[١].

لِمِثْل هذا يَذُوبُ القلبُ مِنْ كَمَدٍ إنْ كان في القَلْب إِيْمانٌ وإِسْلامُ

كَمْ تلطَّخت أَيْديهم بقتل خلفاءَ وعلماءَ وقُضاةٍ ودُعاةٍ ووُزراءَ ومُلوكٍ، بلْ لقد حاولوا نَبْشَ قبر المُصْطَفىٰ ﷺ وسرقةَ جسدِه الشَّريفِ، ونَبْشَ قبريْ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وحَرْقَهما بالنَّار[٢].

ولئِنْ كانت معاناةُ إِخْواننا في فِلَسْطين مِنْ يَهُودَ عظيمةً وبالغةً، فليست بالتي هي أَشَدُّ وأَنْكىٰ من التي كانتْ من قِبَلِ الرَّافضة المجوس؛ فها هي مجازرُ حِزْبِ أَمَلٍ وحِزْبِ الشَّيْطان الشِّيْعيِّين ناطقةٌ شاهدةٌ في حقِّ إِخْواننا في المُخيَّمات الفِلَسْطينيَّةِ في لُبْنانَ، وكذا مجزرةُ الشِّيْعة النّصَيريَّةِ في حماة وحلب وغيرِها[٣]، ناهيك عمَّا قاموا به من مسيراتٍ تِجَاهَ الحَرَمِ ومعهم السَّكاكين والسَّواطير عام ١٤٠٧هـ ومن تفجيرات عام ١٤٠٩هـ[٤]، فهلْ بقِي بعد هذا الإِفْسادِ مِنْ فسادٍ؟

قال شيخُ الإِسْلام ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ[٥]: «فلينظُرْ كلُّ عاقلٍ فيما يحدث في زمانه

---

(١) «أحوال أهل السنة في إيران»، بمجموعه لعبدالله الغريب، ولمزيد اطلاع فدونك بعض مواقع الإنترنت، كموقع البرهان وشبكة الدفاع عن السنة وغيرهما.

(٢) انظر: «الشهب الحارقة» (ص ١١٩ – ١٢٤).

(٣) المرجع السابق ص (١٣٤ – ١٣٥). ولبيان حقيقة حزب الشيطان وليس حزب الله انظر: «ماذا تعرف عن حزب الله في لبنان»، علي الصادق، «حزب الله وسقط القناع»، أحمد فهمي.

(٤) المرجع السابق (١٣٨).

(٥) تقدمت ترجمته (ص ١١).

وما يقرب مِنْ زمانه مِنَ الفِتَنِ والشُّرورِ والفسادِ في الإِسْلام؛ فإنَّه يجد مُعْظَمَ ذلك مِنْ قِبَلِ الرَّافضة، وتجِدهم مِنْ أَعْظم النَّاس فتنًا وشرًّا، وأنَّهم لا يقعدون عمَّا يُمكِّنهم من الفِتَنِ والشَّرِّ وإِيْقاعِ الفساد بين الأُمَّةِ»[١].

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكلُّ هذا ممَّا يُعلم بالاضطرار فسادُه مِنْ دِين الإِسْلام، وهو ممَّا يُبيِّن أَنَّ الذي ابْتَدَعَ مذهبَ الرَّافضة كان زِنْديقًا مُلْحدًا عدوًّا لدِين الإِسْلام»[٢].

وقال عنهم أيضًا: «ففيهم جهلٌ وظُلْمٌ، لا سيَّما الرَّافضةُ؛ فإنَّهم أَعْظمُ ذوي الأَهْواءِ جهلًا وظُلْمًا»[٣].

قال الإِمَامُ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإِنْ لم تَقْرَأْ نُسْخةَ القِرَدَةِ مِنْ وُجوههم، فلَسْتَ مِنَ المُتوسِّمين، واقْرَأْ نُسْخَةَ الخنازير في صُوَرِ أَشْباهِهم، ولا سيَّما أَعْداءُ خِيار خلْقِ الله بعد الرُّسُلِ، وهُمْ أَصْحابُ رَسُولِ الله ﷺ؛ فإِنَّ هذه النُّسْخَةَ ظاهرةٌ على وجوه الرَّافضة يَقْرَأُها كلُّ مُؤْمِنٍ، كاتبٍ، وغيرِ كاتبٍ، وهي تظهر وتخفى بحسب خنزيريَّةِ القلب وخُبْثِه؛ فإِنَّ الخنزيرَ أَخْبَثُ الحيوانات، وأَرْدَأُها طباعًا، ومن خاصيَّتِه أَنَّه يدع الطَّيِّباتِ، فلا يَأْكُلُها، ويقوم الإِنْسانُ عن رَجِيْعِه فيُبادر إِلَيه»[٤].

وقال أَيْضًا: «وأَخْرج الرَّوافضُ الإِلْحادَ والكُفْرَ والقَدْحَ في سادات الصَّحابة، وحِزْبِ رَسُولِ الله ﷺ وأَوْليَائهِ وأَنْصارِه في قالب محبَّةِ أَهْلِ الْبيْتِ والتَّعصُّبِ لهم وموالاتِهم»[٥].

---

(١) «منهاج السنة» (٦/ ٣٧٢).
(٢) «منهاج السنة» (٤/ ٣٦٣).
(٣) «منهاج السنة» (١/ ٢٠).
(٤) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٨٥ - ٢٨٦).
(٥) «إغاثة اللهفان» (٢/ ٧٥).

ج. إِفْسادُ المنافقين في الأَرْض:

أَلَا إِنَّ مِنْ أَعْظم فسادِ المنافقين وإِفْسادِهم ما كان مِنْ مدِّ يَدِ الغَدْرِ والخِيانةِ لأَعْداءِ المِلَّةِ حتَّى يُثْخنوا في المسلمين القَتْلَ والدَّمَارَ، وما كان مِنْ خِذْلانِهم لهم، وتخذيلِهم إِيَّاهُمْ حال ملاقاتِهم لعدوِّهم.. بلْ لقد تطاول بهم الحالُ إِلَى محاولتهم قَتْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ كما في حادثة العودة مِنْ غزوة بني المُصْطَلَقِ كما سبق ذِكْرُه(١).

أَيْ نَعَمْ لم يَرْصُدْ لنا التَّاريخُ في زمن النُّبوَّةِ أَنَّهم قتلوا مسلمين، أَوْ أَزْهقوا أَرْواحًا - علىٰ حدِّ عِلْمِي القاصر- ولكنَّ الذي هو ثابتٌ ما هو شبيهٌ بذلك قريبٌ منه، وهو ما ذُكِر مِنْ موالاةٍ وصِلَةِ هذا الطابور الخامس بأَعْداءِ الله، ونَقْلِ أَسْرارهم إِلَيهم، وتذليلِ سُبُلِ اسْتيلائِهم عليهم.

ومن هذا صنيعُه وتلك فعالُه فنكايتُه وبلاءُه أَعْظَمُ وأَشدُّ ممَّن بَاشَرَ الْقَتْلَ، وأَعْملَ في رقاب المسلمين السِّلاحَ، ولعلَّ عدمَ مباشرة المنافقين لقَتْلِ أَحدٍ من الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ هو المتلائِمُ مع تحقيق مآربهم وبلوغِ غاياتهم؛ إِذْ لو وقع منهم ذلك، لكان إِيْذانًا بزوالهم وقتلِهم وانكشافِ سريرتِهم وافْتِضاحِ حالهم.

وكما أَنَّ لليهود والرَّافضة وكلِّ فِكْرٍ مُنْحرفٍ ومنهجٍ باطلٍ مراكزَ ومُؤَسَّساتٍ وخبايا وزوايا ودهاليز وأَوْكارَ ينطلق منها ويَأْوي إِلَيها ويُخطِّط ويتآمر فيها، فكذلك المنافقون؛ إِذْ قد أَسَّسوا لهم مقرًّا ظاهرُه العبادةُ، وباطنُه الدَّسيسةُ، إِنَّه مسجدُ الضِّرار الذي شُيِّد ليكون أُسْلوبًا ومنهجًا فريدًا مِنْ نوعه في زمن النُّبوَّةِ.

---

(١) انظر: (صـــ).



❍ مسجدُ الضِّرار:

س ١ :ما قصَّةُ إِنْشائِه؟ س ٢: مَنْ صاحبُ الفكرة؟ س ٣: مَنِ الذي بناه؟

س ٤: ما الدَّواعي لإِقَامته؟ س ٥: مَنْ إِمَامُه؟ س ٦: هلْ له مثيلٌ على مرِّ التَّاريخ؟ س ٧: ما الموقفُ الشَّرْعيُّ منه وممَّا له شِبْهٌ به؟

س ٨: ما الدُّروسُ والعِبَرُ المستفادةُ مِنْ هذه الحادثة؟

إِنَّها أَسْئِلةٌ حريٌّ بنا الوقوفُ معها والتَّأَمُّلُ في إِجَاباتِها..

السؤالُ الأوَلُ: ما قصةُ إنشائِه؟

الجوابُ: كان في المدينة قبلَ مَقْدَمِ رَسُولِ الله ﷺ إِلَيها رَجُلٌ مِن الخَزْرَجِ يُقال له أَبُو عَامِرٍ الرَّاهبِ خرَجَ مع المشركين يوم أُحُدٍ لقتال المسلمين وعاد إِلَى مَكَّةَ بعدها ورَأَىٰ أَنَّ أَمْرَ النَّبيِّ ﷺ آخذٌ في الارتفاع والظُّهورِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فرَأَىٰ أَنْ يذهبَ إِلَىٰ هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّوْمِ يستنصره علىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ وصَحْبِه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ فوعَده ومنَّاه وأَقَام عنده وكتَب إِلَىٰ جماعةٍ من قومه من الأَنْصارِ مِنْ أَهْل النِّفاق والرَّيْبِ يعِدهم ويُمنِّيهم أَنَّه سيَقْدُمُ بجيشٍ يُقاتل به الرَّسُولَ ﷺ ويغلبه ويردُّه عمَّا هو فيه وأَمَرَهم أَنْ يتَّخذوا له معقِلًا يَقْدُمُ عليهم فيه ويكون مَرْصدًا له بعد ذلك فشرَع المُتآمرون معه في بناءِ مسجدٍ مُجاورٍ لمسجدِ قُبَاءٍ فكان مسجدَ الضِّرار.

السؤالُ الثاني: مَنْ صاحبُ الفِكْرة؟

الجواب: يتَّضح مِنْ ثنايا القصَّةِ أَنَّ أَبَا عَامِرٍ الرَّاهبَ هو مَنْشأُ الفكرةِ، وهو الذي أَشَادَ بها، وكاتبَ أَتْباعَه بالمدينة لتنفيذها، هذا هو الرَّجُلُ الثَّاني بعد عَبْدِ الله بنِ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ في الشَّرَف والمكانةِ في قومه وفي المَكْر والدَّهاءِ والعداءِ ضدَّ



المسلمين، وهو الذي قال للرَّسُولِ ﷺ يوم أُحُدٍ: لا أَجِدُ قومًا يقاتلونك إلَّا قاتلناك معهم. فلمْ يزل يفعلُ ذلك إِلَىٰ يوم حُنَيْنٍ، فلمَّا انهزمتْ هوازنُ يومئذٍ، ولَّي هاربًا إِلَىٰ الشام[1]، وأَبُو عَامِرٍ هذا هو والدُ حَنْظَلَةَ غسِّيلِ الملائِكَةِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[2] فسُبْحَانَ مَنْ يُخْرِجُ الحيَّ من الميِّت.

السُؤالُ الثالثُ: مَنْ باشر تنفيذه وشرع في تشْييْدِهِ؟

الجوابُ: أَمَّا الذي تولَّىٰ إِقَامتَه علىٰ سوقِه وأَسْهم في بنائِه، فقد ذكَر ابنُ هِشَامٍ كما جاءَ في السِّيْرة النَّبويَّةِ أَسْماءَ اثْنَيْ عشر مِن المنافقين، وهُمْ:

١. خُزَامُ بنُ خَالِدٍ من بني عُبَيْدِ بنِ زَيْدٍ أَحَدِ بني عَمْرِو بنِ عَوْفٍ.

٢. ثَعْلَبَةُ بنُ حَاطِبٍ أَوْ ثَعْلَبَةُ ابنُ أَبِي حَاطِبٍ. قال ابنُ عَبْدِ البَرِّ: وفيه نظرٌ؛ لأَنَّه شهِد بدرًا[3].

---

(١) «تفسير أبي السعود» (٤/ ٩٥).

(٢) هو: حنظلة ابن أبي عامر بن صيفي بن النعمان الراهب الأنصاري ثم الأوسي من بني ضبعة بن زيد بن مالك بن عمرو بن عوف غسيل الملائكة، استشهد بأحد قتله شداد بن الأسود، وكان أبوه في الجاهلية يعرف بالراهب، واسمه عمرو، ويقال عبد عمرو، وكان يذكر البعث ودين الحنيفية، فلما بعث النبي ﷺ عانده وحسده، وخرج عن المدينة وشهد مع قريش وقعة أحد، ثم رجع قريش إلىٰ مكة، ثم خرج إلىٰ الروم فمات بها سنة تسع، ويقال سنة عشر، وأعطىٰ هرقل ميراثه لكنانة بن عبد ياليل الثقفي.

وأسلم ابنه حنظلة فحسن إسلامه، واستشهد بأحد، لا يختلف أصحاب المغازي في ذلك.وروىٰ ابن شاهين بإسناد حسن إلىٰ هشام بن عروة عن أبيه، قال: استأذن حنظلة بن أبي عامر وعبد الله بن أبي ابن سلول رسول الله ﷺ في قتل أبويهما فنهاهما عن ذلك. ينظر: «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم (٢/ ٨٥٣)، «معرفة الصحابة»، لابن منده (ص: ٣٧٧)، «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر (٢/ ١١٩).

(٣) ينظر: «تفسير القرطبي» (٢/ ٢٥٢).

٣. مُعتِّبُ بنُ قُشَيْرٍ من بني ضَبِيعَةَ بنِ زَيْدٍ.

٤. أَبُو حَبِيبَةَ بنُ الأَزْعَرِ من بني ضَبِيعَةَ بنِ زَيْدٍ.

٥. عَبَّادُ بنُ حُنَيْفٍ أَخُو سَهْلِ بنِ حُنَيْفٍ من بني عَمْرِو بنِ عَوْفٍ

٦. جَارِيَةُ بنُ عَامِرٍ.

٧. مُجَمِّعُ بنُ جَارِيَةَ بنِ عَامِرٍ.

٨. زَيْدُ بنُ جَارِيَةَ بنِ عَامِرٍ.

٩. نَبْتَلُ بنُ الحَارِثِ من بني ضُبعية.

١٠. بَحْزَجٌ من بني ضُبعية.

١١. بِجادٌ بن عثمان من بني ضُبعية

١٢. وَدِيعَةُ بن ثابت من بني أميَّة بن زيد(١).

قال عكرمة: سأل عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رجلًا منهم: بماذا أعنت في هذا المسجد؟ قال: أعنت فيه بسارية. فقال: أبشر بها سارية في عنقك في جهنَّم(٢).

السؤال الرابع: ما الدواعي لإقامته؟

الجواب: أمّا الدواعي والأسباب وراء إقامته وإنشائه، فقد جاءت الآية الكريمة ببيان ذلك وتجليته. قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة التوبة:١٠٧].

---

(١) ينظر: «السيرة النبوية»، لابن هشام (٤/ ٢٣٧).

(٢)ينظر: «تفسير القرطبي» (٨/ ٢٥٢).



إن المعهود والمشروع في عمارة بيوت الله أنها للإيمان بالله، وإخلاص العبادة له، ولإقامة ذكره؛ ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [سورة النور:٣٦].

أَمَّا أن تتحوَّل بيوت الله لتكون أوكارًا تُدبَّر في زواياها المؤامرات الدَّنيئة.. وتُنسج فيها خيوط المكيدة والمكر، فهو منكر خطير وحرب شنيعة تحاك خلف أعمدتها في الليالي الظَّلماء ألوان الخديعة والصدِّ عن سبيل الله.. إنه لعمل لا يصوغ آلياته إلا ماكر خبيث، ولا يُجدِّد منطلقاته إلا ذكيٌّ لئيم(١).

فإلى بيان تلك الدواعي والأسباب، والتي منها: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾ [سورة التوبة:١٠٧].. أي كان قصد من أقاموه مضارَّة المؤمنين ومساءتهم.

قال الواحدي: قال ابن عبَّاس ومجاهد وقَتَادَةُ وعامَّةُ أَهْلِ التفسير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ: الذين اتَّخذوا مسجدًا ضرارًا بنوه يُضارُّون به مسجدَ قُباءٍ(٢).

روى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قولَ النَّبيِّ ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»(٣). وفي روايةٍ زاد: «مَنْ ضَارَّ ضَارَّهُ اللهُ، وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّهُ اللهُ»(٤).

---

(١) «موقف القرآن من النفاق والمنافقين»، بتصرف يسير (٩٥ – ٩٦) لأحمد الفورتيه.

(٢) «تفسير الرازي» (١٦/ ١٤٧).

(٣) أخرجه ابن ماجه، كتاب: ذكر القضاة، باب: من بنى في حقه ما يضر بجاره، برقم: (٢٣٤٠، ٢٣٤١)، من حديث عبادة بن الصامت وابن عباس، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه»، برقم: (١٨٩٦).

(٤) أخرجه ابن ماجه، كتاب: ذكر القضاة، باب: من بنى في قه ما يضر بجاره، برقم: (٢٣٤٢)، من حديث أبي صرمة، وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (١٨٩٧).

﴿وَكُفْرًا﴾.. أَيْ أَنْشَأه المنافقون بباعث الكفر الذي يُكِنُّونه في صدورهم، وليكونَ قاعدةً لنشر الكفر(١).. قال ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: يُريد به ضررًا للمُؤْمنين، وكفرًا بالنَّبيِّ ﷺ(٢).

﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة التوبة:١٠٧].

أَيْ: يُفرِّقون به جماعةَ المُؤْمنين ليتخلَّف أَقْوامٌ عن الصَّلاة مع النَّبيِّ ﷺ وهذا يُشير إِلَىٰ أَنَّ المَقْصدَ الأَكْبرَ والغَرْضَ الأَظْهرَ مِنْ وضع الجماعة تَأْليفُ القلوبِ والكلمةِ علىٰ الطَّاعة.. حتَّىٰ يقع الأُنْسُ بالمخالطة وتصفو القلوبُ من وَضَرِ الأَحْقاد(٣)، وقال غيرُ واحدٍ من أَهْلِ التَّفْسير: إِنَّ المرادَ بذلك تفريقُ المُؤْمنين؛ لأَنَّهم كانوا يُصلُّون جميعًا في مسجد قُباءٍ(٤).

﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [سورة التوبة:١٠٧].

الإِرْصادُ: الإِعْدادُ والتَّهيئةُ؛ يقال لغةً: أَرْصَدَ الجيشَ للقتال؛ إِذَا أَعَدَّه له. ويلزم من الإِعْداد والتَّهيئةِ الانتظارُ والتَّرقُّبُ لما أُعدَّ له، والمعنىٰ: هو أَنَّ هؤلاء المنافقين قد أَعَدُّوا مسجدَهم لقدوم مَنْ بُني بأَمْره، وهو أَبُو عَامِرٍ الرَّاهِبُ الذي كان قدْ حارب رَسُولَ الله ﷺ مع المشركين، وتآمر مع قَيْصَرَ الرُّوم أَنْ ينصُره بجيشٍ يُقاتل به الرَّسُولَ ﷺ والمُؤْمنين في المدينة.

والإِعْرابُ الملائِمُ للمعنىٰ المتبادرِ من اتِّخاذهم مسجدهم «ضرارًا وكفرًا وتفريقًا بين المُؤْمنين وإِرْصادًا لَمنْ حارب اللهَ ورَسُولَه، من قبل أَنْ تكون هذه

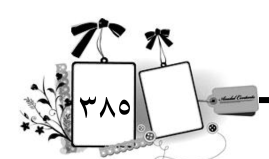
---

(١) «ظاهرة النفاق» (٢/ ٤٠٩).

(٢) «تفسير الرازي» (١٦/ ١٤٧).

(٣) «تفسير القرطبي» (٨/ ٢٥٢).

(٤) انظر: «الدر المنثور» (٤/ ٢٨٤) و«تفسير الألوسي» (١١/ ٦٢).



المصادرُ منصوبةً على أَنَّ كلًّا منها مفعولٌ لأَجْله؛ أَيْ: لأَجْل الإِضْرار والكفرِ والتَّفْريقِ والإِرْصادِ... إلخ» (١).

هذه القضايا بمجموعها هي الأَهْدافُ المبيَّتةُ لدى المنافقين الذين شيَّدوا المخدعَ، ورفعوا اللَّافتةَ، زاعمين أَنَّ سببَ بنائِهم لمسجد الضِّرار إِنَّما هو للضُّعفاءِ منهم، وأَهْلِ العلَّة والحاجةِ في اللَّيْلةِ المطيرةِ، وكعادة المنافقين أَرادُوا تأْكيدَ هذا المعنى وتلك الغايةَ تلبيسًا وتدليسًا بأَيْمانِهم الفاجرةِ ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [سورة التوبة:١٠٧]، لكنَّ اللهَ كان لهم بالمِرْصاد؛ بيانًا لنواياهم السَّيِّئَةِ، ومقاصِدِهم الخبيثةِ، فيأْتي الجوابُ الإلهيُّ كما في مواضعَ عديدةٍ بتكذيبهم، وإيضاحِ زَيْفِهم ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة التوبة:١٠٧].

إِنَّ مَنْ يتأَمَّل هذه المقاصدَ الأَرْبعةَ للمنافقين في إِنْشائِهم لمسجد الضِّرار يجِد أَنَّها أَتَتْ وحوتْ كلَّ جوانبَ الفساد والإِفْسادِ؛ فهو حجرةُ القيادة، وموضعُ الإِدارة، وقاعدةُ الانطلاقة، كما أَنَّه موئِلٌ وملجأٌ لكلِّ مَنْ مرِض له قلبٌ، واسْودَّ له ضميرٌ، تُحاك فيه المُؤامراتُ.. وتخرج منه جحافلُ التَّفريق بين المُؤمنين، وتوهينِ قوَّتِهم.

السُّؤالُ الخامسُ: مَنْ إِمامُه؟

الجواب: أَمَّا إِمَامُه فله قصَّةٌ ذكَرها بعضُ أَهْلِ السِّيَرِ جاءَ فيها:

«إِنَّ مُجَمِّعَ بنَ جَارِيَةَ (٢) كان غلامًا حدَثًا قد جمع من القُرْآنِ أَكْثَره، وكان يُصلِّي

(١) «ظاهرة النفاق» (٢/ ٤٠٩).

(٢) هو: مُجَمِّعُ بْنُ جارية - في الطبقات «حَارِثَةَ»، بالحاء المهملة والثاء المثلثة- بْنِ عَامِرِ بْنِ مُجَمِّعِ بْنِ الْعَطَّافِ بْنِ ضُبَيْعَةَ بْنِ زيد، وأمه نائلة بنت قيس بن عبدة بن أمية، فولد مجمع بن جارية يحيى وعبيد الله، قتلا يوم الحرة. وعبد الله وجميلة، وأمهم سلمى بنت ثابت بن الدحداحة بن نعيم بن غنم بن إياس من بلي.

قال محمد بن عمر وغيره: كان يقال لبني عامر بن الْعَطَّافِ بْنِ ضُبَيْعَةَ في الجاهلية: كِسَرُ الذَّهَبِ؛ لشرفهم في قومهم. قال محمد بن عمر: كان سعد بن عبيد القارئ من بني عمرو بن =

بهم فيه، ثُمَّ إنَّه لَمَّا خُرِّب المسجدُ وذهب رجالٌ من بني عَمْرِو بنِ عَوْفٍ كانوا يُصلُّون ببني عَمْرِو بنِ عَوْفٍ في مسجدهم، وكان زمانُ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فكلَّمه في مُجَمِّعٍ ليُصلِّي بهم، فقال: لا، أَلَيْسَ بإِمَامِ المنافقين في مسجد الضِّرار؟ فقال لعُمَرَ: يا أَمِيْرَ المُؤْمنين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ والله الذي لا إِلَهَ غيرُه، ما علمتُ بشيءٍ من أَمْرِهم، ولكنِّي كُنْتُ غلامًا قارئًا للقُرْآنِ، وكانوا لا قُرْآنَ معهم، فقدَّموني أُصلِّي بهم، وما أَرَىٰ مِنْ أَمْرِهم إِلَّا علىٰ أَحْسنِ ما ذكروا ـ وفي رواية ـ ولو علمتُ ـ أَيْ من حالِهم ـ ما صلَّيْتُ معهم. فعذرَه عُمَرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وصدَّقه وأَمَرَه بالصَّلاة بهم»[(١)].

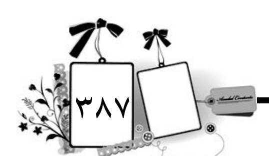
السُّؤالُ السَّادسُ: هلْ له مثيلٌ على مرِّ التَّاريخ؟

الجوابُ: ولمسجدِ الضِّرار علىٰ مرِّ التَّاريخ أَشْباهٌ ونظائِرُ؛ فعلىٰ سبيل المثال: كَمْ هي مساجدُ بُنيت علىٰ غير تقوَىٰ من الله تراها غايةً في التَّصْميم وروعةً في الإِنْشاءِ لكنَّها في حقيقتها مساجدُ ضرارٍ؟ ففيها قبورٌ تُعْبَد، وأَلْويةٌ لنشر البِدَع تُعقَد، تُقام فيها دروسُ الخُرافة، ومحاضراتُ تقديسِ الأَوْلياءِ، ومنها يتخرَّج المتشبِّعون بفكرٍ ضالٍّ، ومنهجٍ خاطئٍ، وطريقةٍ منحرفةٍ.

= عوف إمام مسجد بني عمرو بن عوف، فلما قتل بالقادسية، اختصم بنو عمرو بن عوف في الإمامة إلىٰ عمر بن الخطاب وأجمعوا أن يقدموا مجمع بن جارية، وكان يطعن علىٰ مجمع ويغمض عليه؛ لأنه كان إمام مسجد الضرار، فأبىٰ عمر أن يقدمه، ثم دعاه بعد ذلك، فقال: يا مجمع عهدي بك والناس يقولون ما يقولون، فقال: يا أمير المؤمنين كنت شابًّا، وكانت القالة لي سريعة، فأما اليوم فقد أبصرت ما أنا فيه وعرفت الأشياء.

فسأل عنه عمر فقالوا: ما نعلم إلا خيرًا، ولقد جمع القرآن وما بقي عليه إلاَّ سور يسيرة، فقدمه عمر، فصيره إمامهم في مسجد بني عمرو بن عوف، ولا يعلم مسجد يتنافس في إمامه مثل مسجد بني عمرو بن عوف، ومات مجمع بالمدينة في خلافة معاوية ابن أبي سفيان، وليس له عقب. «الطبقات الكبرىٰ» (٤/ ٣٧٢)، «أسد الغابة»، لابن الأثير (٥/ ٦١)، الإكمال، لابن ماكولا (٢/ ٢)، «المؤتلف والمختلف» للدارقطني (١/ ٤٤١).

(١) ذكره ابن هشام في «سيرته» (٣/ ٥٦).



وشبيهٌ بمساجِدِ الضِّرار كذلك المدارسُ العلمانيَّةُ والأَنْديةُ الحداثيَّةُ والمُؤَسَّساتُ الإِعْلاميَّةُ ذاتُ القنواتِ الفضائِيَّةِ والمحطَّاتِ الإِذَاعيَّةِ الهادمةِ للأَخْلاق والمروِّجةِ للرَّذيلة والجريمةِ.

كذلك المُنظَّماتُ النِّفاقيَّةُ كالبابيَّةِ والبهائِيَّةِ والقاديانيَّةِ[(١)] وسائِرِ الفِرَق الباطنيَّةِ[(٢)] التي لها كياناتٌ قائِمَةٌ وجمعيَّاتٌ موجَّهةٌ.. كالنَّصيريَّة[(٣)]

---

(١) قد سبق تعريف لهذه الفرق. انظر: (ص ١٣٠، ١٣١).

(٢) الباطنية: يطلق هذا الاسم «الباطنية»، على جملة من الفرق والحركات والاتجاهات الكفرية، ويجمعها جميعًا مبدأ التحلل من النصوص الشرعية في العقائد والأعمال، بدعوىٰ أن لكل ظاهرٍ باطنًا ولكل تنزيل تأويلًا، وجعلوا التأويل رسالة الأئمة، وراموا بذلك التحلل من نصوص الشرع كلها، وإدخال أديانهم الباطلة علىٰ الإسلام باسم الإسلام، وكلٌّ يتدين بدينه باسم الإسلام.

قال أبو حامد الغزالي(**) كما في «فضائح الباطنية»صـ (١١): (إن الباطنية إنما لقبوا بها لدعواهم أن لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجري في الظواهر مجرىٰ اللّب من القشر، وأنها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صورًا جلية، وهي عند العقلاء والأذكياء رموزٌ وإشارات إلىٰ حقائق معينة).

قال عبد القاهر البغدادي: (الذي يصح عندي من دين الباطنية أنهم دهرية زنادقة يقولون بقدم العالم وينكرون الرسل والشرائع كلها لميلها إلىٰ استباحة كل ما يميل إليه الطبع. انظر: «الفرق بين الفرق» لعبد القاهر البغدادي.

....

(**) محمد بن محمد الغزالي الملقب بحجة الإسلام، زين الدين الطوسي، ولد عام (٤٥٠هـ) كان من كبار الشافعية وعظماء الفلاسفة والصوفية، من مصنفاته: «إحياء علوم الدين»، «الوجيز»، «الوسيط»، «البسيط»، وغيرها. توفي عام (٥٠٥هـ).

انظر: «الأعلام» (٧/ ٢٢)، «وفيات الأعيان» (١/ ٤٦٣)، «طبقات الشافعية» (٤/ ١٠١)، «شذرات الذهب» (٤/ ١٠)، «مفتاح السعادة» (٢/ ١٩١)، «آداب اللغة» (٣/ ٩٧).

(٣) هي حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث الهجري أصحابُها يُعدُّون من غلاة الشيعة الزاعمين تأليه عليٍّ - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- أطلق عليهم الاستعمار الفرنسي في سوريا اسم العلويِّين تمويهًا وتغطية لحقيقتهم .. مؤسِّسها أبو شعيب محمد بن نصير النميريُّ (ت ٢٧٠هـ) ادَّعىٰ النبوة والرسالة، يعتقدون أنَّ عليًّا قد خلق محمدًا ﷺ وأنَّ محمدًا قد خلق سلمان الفارسي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قال ابن نصير بإباحة المحارم، وأحلَّ اللواط بين الرجال، يعظِّمون الخمرة، ويحتسونها، =

والدُّروز[(١)] والحشَّاشيَّةِ[(٢)] وغيرِهم.

وقد نَشأَتْ معظم هذه الفِرَق وتفرعتْ عن شجرة الرَّفْض الخبيثةِ، حيث لا ضابطَ مِنْ نقلٍ صحيحٍ، أَوْ عقلٍ صريحٍ، أَوْ دِينٍ رادعٍ، وإِنَّما هي أَهْواءٌ تتجارىٰ

= ويعظِّمون شجرة العنب من أجل ذلك، ويحرِّمون قطعها، يزعمون أن للعقيدة باطنًا وظاهرًا ... إلخ.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ: هؤلاء القوم المسمَّون بالنُّصيريَّة هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارىٰ، بل وأكفر من المشركين، وضررهم أعظم من ضرر الكفار المحاربين... وذكر أن دماءهم وأموالهم مباحة.

انظر: «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ١٤٥) كما اتفق علماء المسلمين علىٰ أنه لا تجوز مناكحتهم ولا تحلُّ ذبائحهم ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين. انظر: «موسوعة الأديان» (٥/ ٥).

(١) الدروز فرقة باطنية تؤلِّه الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، أخذت جلَّ عقائدها عن الإسماعيلية، وهي تنتسب إلىٰ نشتكين الدرزي، نشأت في مصر لكنها لم تلبث أن هاجرت إلىٰ الشام، عقائدها خليط من عدة أديان وأفكار، المؤسس الفعلي لهذه الحركة حمزة بن علي الزوزني (٣٧٥هـ - ٤٣٠) ألَّف كتب العقائد الدرزية.

ومن عقائدهم تأليه الخليفة الحاكم بأمر الله، ولما مات قالوا بغيبته ورجوعه. ينكرون الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام جميعًا، ويُلقبونهم بالأبالسة، يعتقدون نسخ ديانتهم لكل الشرائع، يؤمنون بتناسخ الأرواح، وينكرون الجنة والنار، يستبيحون دماء غيرهم وأموالهم وخصوصًا المسلمين، يعيش غالبهم اليوم في لبنان وسوريا. (انظر: موسوعة الأديان من ٢٢٣ – ٢٢٧).

(٢) الحشاشون : طائفة إسماعيلية فاطمية نزارية انشقت عن الفاطميين، تدعو إلىٰ إمامة نزار بن المستنصر بالله ومن جاء من نسله، ومؤسسها الحسن بن الصباح، تميزت هذه الطائفة باحتراف القتل والاغتيال لأهداف سياسية ودينية متعصبة، ومن أبرز عقائد القوم: تلتقي معتقداتهم مع معتقدات الإسماعيلية من حيث ضرورة وجود إمام معصوم.

قال بعض زعمائهم بتناسخ الأرواح، الحج لديهم ظاهره إلىٰ البيت الحرام وحقيقته إلىٰ إمام الزمان ظاهرًا أو مستورًا، قال عنهم المؤرّخ كمال الدين بن العديم : في عام (٥٧٢هـ) انخرط سكان جبل السماق في الآثام والفسوق وأسموا أنفسهم بالمتطهرين واختلط الرجال منهم بالنساء في حفلات الشراب ولم يمتنع رجل عن أخته أو ابنته وارتدت النساء ملابس الرجال ... إلخ. انظر: «موسوعة الأديان» (ص: ٢٠٣ - ٢٠٨).



بأَصْحابها كما يتجارى الكلبُ بصاحبه، ولكنَّ القومَ ادَّرعوا بغلالةٍ رقيقةٍ من الإِسْلام زورًا ونفاقًا؛ ليدفعوا عن أَنْفُسِهم غوائِلَ السُّوءِ، وإِلَّا فهم كما وصفَهم الغزاليُّ، وفضحَهم بقوله: ظاهرُ مذهبهم الرَّفْضُ، وباطنُه الكفرُ المحضُ(١).

ومِنْ أَشدِّ مساجِدِ الضِّرار خطرًا وأَنْكاها أَثرًا:

المُنظَّماتُ اليهوديَّةُ كالماسونيَّة(٢)، والتي مخرجاتُها نوادي الليونز الأَسْود(٣)

---

(١) «فضائح الباطنية» (٣٧).

(٢) الماسونية لغة: يقصد بها البنَّاؤون الأحرار أو البناء الحرّ وكان اسمها «القوة الخفية». أما اصطلاحًا: فهي منظمة يهودية سرية إرهابية غامضة محكمة التنظيم تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد، جل أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم.

قال الحاخام لاكويز: الماسونية يهودية في تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات السرِّ فيها، يهودية من البداية إلى النهاية.

أما عن تاريخ ظهورها فعلى خلاف شديد؛ لتكتمها الشديد، والراجح أنها ظهرت سنة (٤٣م)، ومن مبادئها: يكفرون بالله ورسله وكتبه وبالغيبيات، العمل على تقويض الأديان، السعي في إسقاط الحكومات الشرعية والسيطرة عليها ... إلخ، إباحة الجنس، يبثُّون الفرقة ويورثون العداوات ويبعثون روح الفوضى الفكرية والعصبيات الطائفية، العمل على السيطرة على رؤساء الدول لضمان تنفيذ أهدافهم، السيطرة على المنظمات الدولية بترؤسها من قبل أحد الماسونيين، كمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم، ومنظمات الأرصاد الدولية، وغيرها.

تسيطر على معظم وسائل الإعلام ودور الصحافة والنشر في العالم، لهم عصابات إرهابية تقوم بتنفيذ العمليات الإجرامية، تزعم الماسونيَّة ظاهرًا أن مبادئها الحرية والمساواة والإخاء. انظر: «موسوعة الأديان» من (٤٤٧ - ٤٥٤) وكذلك «المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها» للدكتور/ عبد الرحمن عميرة (٢١- ١٠٨).

(٣) نوادي الليونز الأسود: مجموعة نواد ذات طابع خيري واجتماعي في الظاهر، لكنها لا تعدو أن تكون واحدة من المنظمات العالمية التابعة للماسونية التي تديرها أصابعهم، مؤسسها «ملغن جونس»، بدأ فكرتها عام (١٩١٥م) بحيث تضم رجال الأعمال من مختلف أنحاء الولايات المتحدة، وكان أول ناد تأسس في مدينة سانت أنطونيو بتكساس، ومسَّاهم بالليونز الأسود =

والروتاري(١) وكذلك مُنظَّمةُ شهود يهوه(٢).

= رمزًا إلى القوة والجرأة.. تتجلى أنشطتهم الظاهرة في: - الدعوة للإخاء والحرية والمساواة. - نشر معاني الخير والتعاون بين الشعوب. - مساعدة المكفوفين ودعم المشروعات الخيرية. - العمل على نشر المعرفة بكل الوسائل الممكنة.

لكن خطورة هذه النوادي تكمن في : أ) نشاطاتها الخيرية الظاهرة كمصيدة تخفي وراءها أهداف الماسونية الحقيقية. ب) يجيدون جمع المعلومات المتعلقة بالشئون السياسية والدينية للبلد الذي يعملون فوق أرضه، ثم يُبعث بها إلى مركز المنظمة العالمي. ج) يرددون دائمًا شعار «الدين لله والوطن للجميع». انظر: «موسوعة الأديان» (٤٣١ – ٤٣٥).

(١) الروتاري: منظمة ماسونية تسيطر عليها اليهودية العالمية وقد جاء هذا الاسم من «التناوب»، تلك العبارة التي صاحبت الاجتماعات الأولى لأعضاء النادي الذين كانوا يعقدونها في مكاتبهم بشكل متناوب، ففي عام (١٩٠٥م) أسس المحامي «بول هاريس»، أول ناد للروتاري في مدينة شيكاغو .. ثم بعد وفاة المؤسس عام (١٩٤٧م) كانت قد امتدت الحركة إلى ثمانين دولة وأصبح لها (٦٨٠٠) ناد، وتضم (٣٢٧٠٠٠) عضوًا، وفي بلاد عربية وإسلامية بعض هذه النوادي، كفلسطين والجزائر ومرّاكش.

أهم الأفكار والمعتقدات: - عدم اعتبار الدين والوطن مسألة ذات قيمة ولا في اختيار العضو ولا في العلاقة بين الأعضاء. - تلقن نوادي الروتاري أفرادها قائمة الأديان المعترف بها لديها على قدم المساواة مرتبة أبجديًّا كالبوذية والمسيحية والمحمدية والهندوكية ... إلخ. -إسقاط اعتبار الدين يتيح لهم مجال التغلغل في أوساط المجتمعات ويوفر الحماية لليهود. - تتظاهر بالعمل الإنساني وفي الباطن تخدم مصالح اليهود. (انظر: موسوعة الأديان ٢٤٣- ٢٤٧) .

(٢) شهود يهوه : منظمة عالمية تقوم على سرية التنظيم وعلنية الفكرة دينية سياسية تدَّعي أنها مسيحية والواقع أنها تحت السيطرة اليهودية وتعمل لحسابهم، ظهرت في أمريكا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي، وتعرف باسم «جمعية العالم الجديد». أسسها الراهب تشارلز راسل (١٨٦٢م- ١٩١٦م) ثم خلفه في رئاستها فرانكلين رذرفورد (١٨٦٩م- ١٩٤٢م) الذي ألَّف كتاب (سقوط بابل) ويرمز ببابل لكل الأنظمة الموجودة في العالم.

الأفكار والمعتقدات: يؤمنون بيهوه إلهًا لهم وبعيسى رئيسًا لمملكة الله. يؤمنون بالكتاب المقدس للنصارى لكنهم يفسرونه حسب مصالحهم. طاعتهم العمياء لرؤسائهم. لا يؤمنون بالآخرة ولا بجنة ونار ... إلخ. يقولون بالتثليث، ويفسرونه «بيهوه – الابن – الروح القدس». جعلوا النجمة السداسية اليهودية رمزًا لهم. =



وهناك مساجدُ ضرارٍ من نوعٍ آخَرَ يصلح أَنْ يُطلق عليها مجالسُ الضِّرار؛ لأَنَّ دورَها وخطرَها يُشبه تمامًا مساجدَ الضِّرار؛ ذلك أَنَّ هذه المجالسَ وما تشتمل عليه من غِيْبةٍ ونميمةٍ وهتكٍ للحُرُمات وتتبُّعٍ للعَثَرات وقدحٍ في علماءِ الأُمَّة ودُعاتِها يقومون بتنفير كثيرين عن الدُّروس والمحاضراتِ، ولمْزٍ وغَمْزٍ لهيئَاتٍ خيريَّةٍ ومُؤَسَّساتٍ دعويَّةٍ، هي في حقيقتها مُؤَدِّيةٌ للنتيجة نفسِها، وللغايةِ ذاتِها.

فجُلَّاسُها يتأَوَّلون الأَقْوالَ، ويتَّهمون النِّيَّاتِ، قد سلِم منهم اليَهُودُ والنَّصارىٰ والهندوسُ والعلمانيُّون وغيرُهم، ونالوا بالتَّجْريح والتنقُّصِ والذَّمِّ أَهْلَ الإِسْلام والإِيْمانِ، أَلَيْسَ من ثمراتِ ذلك التَّفْريق بين المُؤْمنين وذهابِ قوَّتِهم وتمكينِ الأَعْداءِ، فكان من نتائِج ذلك تشويهُ صورةِ العملِ الإِسْلاميِّ وتعويقُ مسيرتِه؟

والمشكلةُ أَنَّ مَنْ هذا مسلكُه وتلك طريقتُه إِذَا ما تتبعْتَ أَحْوالَه، وجدْتَه خلوًا مِنْ كلِّ مشاركةٍ هادفةٍ، وبذلٍ مباركٍ، وجُهْدٍ موفَّقٍ، وعملٍ مُثْمِرٍ.. هدانا الله وإِيَّاهم والمسلمين للحقِّ والهُدَىٰ(١).

يقول سيِّدُ قُطُبٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا المسجدُ ـ مسجدُ الضِّرار الذي اتُّخِذ علىٰ عَهْدِ رَسُولِ الله ﷺ مكيدةً للإِسْلام والمسلمين – هذا المسجدُ ما يزال يتَّخذ صُوَرًا شتَّىٰ، يُتَّخذ في صورة نشاطٍ ظاهرُه الإِسْلام وباطنُه سحقُ الإِسْلام أَوْ تشويهُه، وتُتَّخذ في صورةِ أَوْضاعٍ ترفَع لافتةَ الدِّين عليها لتتترَّس وراءَها وهي ترمي هذا

= هرمجدون من أعظم المعارك قاطبة عندهم التي يزعمون أن المسيح سيقودها، وسيقتل الذين نسوا مدينة القدس .. إلخ. انظر: «موسوعة الأديان» (ص: ٢٩٣–٢٩٥) و«حمَّىٰ سنة ٢٠٠٠م» لعبد العزيز مصطفىٰ كامل من ص (١٦٦– ص ١٧٠).

(١) انظر: موقع الباحث الإسلامي ـ مجالس الضرار.

الدِّين في صورة تشكيلاتٍ وتنظيماتٍ وكتُبٍ وبحوثٍ تتحدَّث عن الإِسْلام؛ لتُخدِّر القَلِقين الذين يريدون الإِسْلامَ يُذبح ويُمْحق فتُخدِّرهم هذه التشكيلاتُ وتلك الكتُبُ بما تُوحيه لهم مِنْ أَنَّ الإِسْلامَ بخيرٍ، وأَنَّه لا داعيَ للخوف أَوِ القَلِق عليه[1].

ولذا يُلحظ أَنَّ المنافقين حرصوا علىٰ إِضْفاءِ الشَّرعيَّة علىٰ هذا البناءِ ليَأْخُذَ بافتتاح النَّبيِّ له ﷺ وصلاتِه فيه الصَّبغةَ الرَّسْميَّةَ.. وهذا أُسْلوبٌ ماكرٌ خبيثٌ قد ينطلي علىٰ كثيرٍ من النَّاس[2].

وهذا الأُسْلوبُ يتكرَّر في مواقف المنافقين كثيرًا عبرَ الأَزْمان، فما أَنْ ينتهوا مِنْ إِنْشاءِ معقلٍ لهم أَوْ مُؤَسَّسةٍ أَوْ مَقَرٍّ ممَّا ظاهرُه الخيرُ والإِصْلاحُ، إِلَّا ويقوموا باستضافة أَحَدِ العلماءِ أَوْ المشايخِ لافتتاحه؛ حتَّىٰ يجد له لدىٰ النَّاسِ قبولًا وطُمَأْنِينَةً وشرعيَّةً.

السُّؤالُ السَّابعُ: ما الموقفُ الشَّرعيُّ من مسجد الضِّرار؟ وممَّا هو على شاكلته؟!

الجوابُ: أَمَّا المنهجُ الشَّرعيُّ في التَّعامُلِ مع مسجد الضِّرار وما أَشْبهه فيتلخَّص فيما يلي:

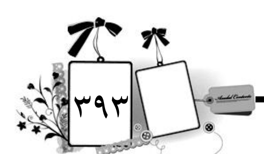
الهدمُ والإِتْلافُ: ورَد في الحديث أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ دعا مَالِكَ بنَ الدُّخْشَمِ[3] أَخا

---

(١) «في ظلال القرآن» (٣/ ١٧١٠- ١٧١١).

(٢) «السيرة النبوية» (٥٥٨) لعلي محمد الصلاّبي.

(٣) بضم المهملة والمعجمة بينهما خاء معجمة، ويقال بالنون بدل الميم، ويقال كذلك بالتصغير، وَيُقَالُ فِيهِ: الدّخَيْشُ، وَيُقَالُ فِيهِ: ابْنُ الدّخَيْشِ. ينظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» (٥/ ٥٣٤)، «الروض الأنف» (٥/ ١٩٣).



بني سَالِمِ بنِ عَوْفٍ(١) ومَعْنَ بنَ عَدِيٍّ العجلانيِّ (٢) فقال لهما: «انْطَلِقَا إِلَى هَذَا الْمَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ فَاهْدِمَاهُ، وَحَرِّقَاهُ». فخرجا مسرعين حتَّى أَتَيَا بني سَالِمِ بنِ

---

(١) هو: مالك بن الدخشم بن مالك بن الدخشم بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف. شهد العقبة في قول ابن إسحاق، وموسى، والواقدي. وقال أبو معشر: لم يشهد مالك بن الدخشم العقبة. وذكر الواقدي أيضا، عن إبراهيم بن إسماعيل ابن أبي حبيبة، عن داود بن الحصين، قال: لم يشهد مالك بن الدخشم العقبة. قال أبو عمر: لم يختلفوا أنه شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد. وهو الذي أسر يوم بدر سهيل بن عمرو، وكان يتهم بالنفاق.

وهو الذي أسر فيه الرجل إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «أليس يشهد أن لا إله الله!» فقال الرجل: بلى. ولا شهادة له! فقال رسول الله ﷺ: «أليس يصلي!» قال: بلى، ولا صلاة له. فقال رسول الله صلى الله عليه: «أولئك الذين نهاني الله عنهم».

والرجل الذي سار رسول الله ﷺ فيه هو عتبان بن مالك. وروى قتادة، عن أنس بن مالك، قال: ذكر مالك بن الدخشم عند النبي ﷺ فسبوه، فقال النبي ﷺ: لا تسبوا أصحابي. قال أبو عمر: لا يصح عنه النفاق، وقد ظهر من حسن إسلامه ما يمنع من اتهامه، والله أعلم. «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر (٣/ ١٣٥١)، «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم (٥/ ٢٤٦٤)، «الطبقات الكبرى» (٣/ ٥٤٩)، «الإصابة في تمييز الصحابة» (٥/ ٥٣٤).

(٢) هو: مَعْنُ بنُ عَدِيِّ بنِ الجدِّ بنِ العَجْلاَنِ العَجْلاَنِيُّ، العَقَبِيُّ، البَدْرِيُّ، من حلفاء بني مالك بن عوف، من سادة الأنصار، كان يكتب العربية قبل الإسلام ، وكان من صالحي الأنصار، لقي أبا بكر وعمر يوم السقيفة، من أهل العقبة، وبدر والمشاهد، وأخوه عاصم هو الذي رده رسول الله ﷺ من الروحاء في مخرجه إلى بدر.

قال ابن سعد: وله عقب اليوم. وروى الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس: أن معن بن عدي أحد الرجلين اللذين لقيا أبا بكر وعمر وهما يريدان سقيفة بني ساعدة، فقالا لأبي بكر وعمر: لا عليكم أن لا تقربوهم، واقضوا أمركم. قال عروة: بلغنا أن الناس بكوا على رسول الله -ﷺ- وقالوا: ليتنا متنا قبله، نخشى أن نفتتن بعده. فقال معن: لكني -والله- ما أحب أني مت قبله حتى أصدقه ميتًا، كما صدقته حيًّا.

قال ابن الأثير: معن بن عدي بن العجلان البلوي، حليف بني عمرو بن عوف، عقبي، بدري، مشهور. وكان معن ممن استشهد يوم اليمامة، سنة اثنتي عشرة. «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر (٤/ ١٤٤١)، «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم (٥/ ٢٥٤٠)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (١/ ٣٢٠).

عَوْفٍ وهُمْ رهطُ مِالِكِ بنِ الدُّخْشَمِ، فقال مَالِكُ لمَعْنٍ: انْظُرْني حتَّىٰ أَخْرُجَ إِلَيك بنارٍ مِنْ أَهْلي. ودخَل إِلَىٰ أَهْلِه، فأَخَذَ سَعْفًا من النَّخْلِ، فأَشْعل فيه نارًا، ثُمَّ خرَجا يشتدَّان حتَّىٰ دخلاه، وفيه أَهْلُه، فحرَّقاه، وهدماه، فتفرَّقوا عنه[١].

وقد بيَّن عددٌ من العلماءِ أَنَّ المسلكَ الشَّرعيَّ هو هدمُ مساجدِ الضِّرار، وما كان علىٰ غِرارها، كمشاهد الشِّرْك، وأَمَاكنِ المعاصي، وقد أَرَاقَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اللَّبَنَ الذي شِيبَ بالماءِ، واستدلُّوا علىٰ ذلك بتحريق العِجْل.. عِجْلِ بني إِسْرائِيل[٢]، ومن ذلك إِرَاقةُ وشقُّ وكسرُ آنيةِ الخَمْرِ، ولا يَضْمَنُها، وكذلك إِتْلافُ آلةِ السِّحْر وعزائِمه والأَوْثان والخنزيرِ وكتُبِ المُبْتدعةِ ونحوِها[٣].

قال ابنُ القَيِّمُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومنها تحريقُ أَمْكنةِ المعصية التي يُعصىٰ اللهُ ورَسُولُه ﷺ فيها وهدمُها كما حرَّق رَسُولُ الله ﷺ مسجدَ الضِّرار وأَمَرَ بهدمه، وهو مسجد يُصلَّىٰ فيه ويُذكَر اسمُ الله فيه، لَمَّا كان بناءُه ضرارًا وتفريقًا بين المُؤْمنين ومأوىً للمنافقين، وكلُّ مكانٍ هذا شَأْنُه فواجبٌ علىٰ الإِمَامِ تعطيلُه؛ إِمَّا بهدمٍ وتحريقٍ، وإِمَّا بتغييرِ صورتِه وإِخْراجِه عمَّا وُضع له.

وإِذَا كان هذا شَأْنَ مسجدِ الضِّرار، فمشاهدُ الشِّرْك التي يدعو سدنتُها إِلَىٰ اتِّخاذ مَنْ فيها أَنْدادًا من دون الله أَحقُّ بالهدم، وأَوْجبُ، وكذلك محالُّ المعاصي والفسوقِ، كالحانات، وبيوتِ الخَمَّارين وأَرْبابِ المُنْكَراتِ، وقد حرَّق عُمَرُ قريةً بكاملها يُباع فيها الخَمْرُ، وحرَّق حانوتَ رُوَيْشِدٍ الثَّقَفيِّ، وسمَّاه فويسقًا[٤]... إلخ»[٥].

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٥/ ٢١١)، ومن طريقه ابن جرير في «التفسير» (١١/ ٢٣).

(٢) «الفروع» (٤/ ٣٩٣) للإمام شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي.

(٣) «كشاف القناع عن متن الإقناع» (٤/ ١٣٣).

(٤) أخرج نحوه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠٠٥١، ١٧٠٣٥، ١٧٠٣٩)، والدولابي في «الكنىٰ» (٢/ ٥٨٥)، وابن شبة في «أخبار المدينة» (١/ ١٥٣)، وابن سعد في «الطبقات» (٥/ ٥٥)، وغيرهم بطرق مختلفة، وصحح الأثر الألباني في «تحذير الساجد» (ص٤٩).

(٥) «زاد المعاد» (٣/ ٥٧١).

ودونك هذا الاستدراك الكريمِ المسدَّدِ من الشَّيخ عَبْدِ الكَريمِ زيْدَان؛ حيث قال في تقرير قاعدةٍ لمعرفة ما يلحق بمسجد الضِّرار: «كلُّ ما يُتَّخذ ممَّا هو في ظاهره مشروعٌ ويريد مُتَّخذوه غرضًا غيرَ مشروعٍ فهو مُلحقٌ بمسجد الضِّرار؛ لأنَّه يحمل روحَه، وعناصرَه، وإِذَا أَرَدْنا الإِيجازَ، قُلْنَا في هذه القاعدةِ: كلُّ ما كان ظاهرُه مشروعًا ويريد مُتَّخذوه الإِضْرارَ بالمُؤْمنين فهو مُلْحقٌ بمسجد الضِّرار، وبناءً على هذه القاعدة يخرج مِنْ نطاق مسجد الضِّرار وما يُلحق به ما ذكَره الإِمَامُ ابنُ القَيِّمِ وغيرُه من مشاهد الشِّرْك وأَمَاكن المعاصي والفسوقِ وحانات الخمر والمنكراتِ ونحوِ ذلك؛ لأَنَّ هذه المنكراتِ ظاهرُها غيرُ مشروعٍ، فلا تُلْحق به، وإِنِ استحقَّت الإِزَالةَ، كمسجد الضِّرار، باعتبارها منكراتٍ ظاهرًا وباطنًا»(١).

وقد يقول قائِلٌ: لِمَ الهدمُ والتَّحريقُ؟ إِنَّه مبنًى لا ينفع ولا يضرُّ لو حيل بين مُؤَسِّسيه وبين ما يشتهون لقِيل: إِنَّ في بقائِه كسبًا مادِّيًّا للمسلمين، ربَّما خطَر هذا على بالِ بعضِ المسلمين الذين يقيسون الأُمُورَ بظواهرها، ويزنونها بنظر أَكْثر سطحيَّةً.. لكنَّ مَنْ يتأَمَّلُ خطَرَ هذه المواقعِ وكونَها وعاءً ورمزًا لمن اتَّخذها، يعلم أَنَّ في إزالتها اقتلاعًا لجذوره، واسْتِئْصالًا لأَرُومَتِه(٢).

مراعاةُ المصالحِ والمفاسدِ:

من الأَهَمِّيَّة بمكانٍ مراعاةُ جانبِ المصالح والمفاسدِ عند الإِقْدام على خُطْوةِ هدمِ مقار الكفر وبُؤَرِ النِّفاق ومُؤَسَّساتِه وجمعيَّاتِه وأَضْرحةِ الموتى ومزاراتِ الشِّرْك ونحوِ ذلك.. فتحريرُ هذه الخُطْوةِ بتوقيتها المناسبِ وظرفِها الملائِمِ مع اسْتِصْحاب

---

(١) ينظر: «المستفاد من قصص القرآن»، بتصرف يسير (٢/ ٥٠٦- ٥٠٧) للشيخ عبد الكريم زيدان.

(٢) ينظر: «موقف القرآن من النفاق والمنافقين» (٩٨) لأحمد جهان الفورتيه.

أَنَّ ما قد يصلح في مكانٍ الآن، قد لا يصلح في مكانٍ آخَرَ، فيجب مرعاةُ البِيئَاتِ المختلفةَ والأَحْوالَ المُتجدِّدةَ والظُّروفَ المحيطةَ، وهذا ولله الحمدُ والمِنَّةُ ليس بمُعْجِزٍ ولا عَسِرٍ، إِذَا تمَّت فيه مشاورةُ العلماءِ وذوي الرَّأْي والمشورةِ مِنْ أَهْل الحلِّ والعَقدِ..

إِنَّ الاجْتِهادَ الذي يُهمِلُ ملاحظةَ مقاصدِ الشَّريعة، ولا يُلقي بالًا لمآلات التَّصرُّفات هو في حقيقته جُهْدٌ غيرُ مُكْتملٍ، وقد يقَع صاحبُه في مناقضةِ مقاصد الشَّرْعِ، ويتسبَّب في إِحْداث المفاسد التي تنزَّهتِ الشَّريعةُ المُطَهَّرةِ عنها[1].

لا تَقُمْ فيه أَبَدًا:

جاءَ في «شرح كتاب التَّوحِيْدِ» أَنَّ حاصلَ كلامِ المُفسِّرين في الآيةِ أَنَّ الله نَهىٰ رَسُولَه ﷺ أَنْ يقومَ في مسجدِ الضِّرار بصلاةٍ أَبَدًا، والأُمَّةَ تبعًا له في ذلك، ثُمَّ حثَّه علىٰ الصَّلاة في مسجدِ قُباءٍ الذي أُسِّس مِنْ أَوَّلِ يوم بُني فيه علىٰ التَّقْوىٰ، وهي طاعةُ الله ورَسُولِه ﷺ وجمعًا لكلمة المُؤْمنين، ومعقلًا ومنزلًا للإِسْلام وأَهْلِه[2].

وقد قاس شيخُ الإِسْلام ابنُ تَيْمِيَّةَ علىٰ ذلك المُكْثَ والمقامَ والصَّلاةَ في أَمَاكِنِ من عُذِّبوا مثلَ أَرْض الحِجر وأَرْض بابل، والسُّنَّة الإِسْراع حالَ المرور بها؛ فقد روىٰ ابنُ عُمَرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّه صلَّىٰ ﷺ لمَّا مرَّ بالحجر قال: «لا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَلا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ؛ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلَ الَّذِي أَصَابَهُمْ». ثُمَّ قنَّع رَسُولُ ﷺ رَأْسَه، وأَسْرع السَّيْرَ، حتَّىٰ أَجَازَ الوادي[3].

---

(١) «اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات» رسالة جامعية للشيخ/ عبد الرحمن بن معمر السنوسي (٤٦٨- ٤٦٩).

(٢) «تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد» (١/ ١٦٣).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب المساجد، باب: الصلاة في مواضع الخسف، برقم: (٤٢٣)، =



وقد كان ﷺ يُسرِع السَّيْر بوادي محسّر صبيحةَ مُزْدَلِفَةَ، وسنَّ للحجيج الإِسْراعَ فيه؛ لأنَّه المكانُ الذي نزَل علىٰ أَهْل الفِيْلِ فيه العذابُ... إلخ[١].

يتَّضح ممَّا سبق كيف جاءَ الوَحْيُ بتشريع حاسمٍ لا هوادةَ فيه ولا مجاملةَ في التَّعامل مع مَنْ أَقَاموا مسجدَ الضِّرار؛ إذْ لا تنفع معهم المعالجةُ بمُسكِّناتٍ ومهدِّئاتٍ، لذا كان لهذا التَّصرُّفُ ثمارُه اليانعةُ، وآثارُه المباركةُ[٢].

السُّؤالُ الثامنُ: ماالدُّروسُ والعِبرُ والمسائِلُ الفِقهيَّةُ المستنبطةُ مِنْ هذا الحدثِ؟

الجوابُ: أَمَّا الدُّروسُ والعِبَرُ وبعضُ المسائِلِ الفِقْهيَّةِ فكثيرة، مِنْ أَبْرزِها:

ما ذكَره الشَّيْخُ ابنُ سَعْديٍّ حولَ آياتِ هذه الحادثةِ من الدُّروسِ والعِبَرِ:

١- أَنَّ العملَ وإِنْ كان فاضلًا تغيِّرُه النِّيَّةُ، فينقلب منهيًّا عنه.

٢- أَنَّ كلَّ حالةٍ يحصُل بها التَّفْريقُ بين المُؤْمنين، فإِنَّها من المعاصي التي يتعيَّن تركُها وإِزَالتُها.

٣- كما أَنَّ كلَّ حالةٍ مشروعةٍ يحصل بها جمعُ المُؤْمنين وائْتِلافُهم، يتعيَّن اتِّباعُها والأَمْرُ بها والحثُّ عليها؛ لأَنَّ اللهَ علَّل اتِّخاذَهم لمسجدِ الضِّرار بهذا المقصدِ المُوجِبِ للنَّهي عنه، كما يُوجب ذلك الكفرَ والمحاربةَ لله ورَسُولِه ﷺ.

٤- ومنها أَنَّ المعصيةَ تُؤَثِّرَ في البِقاع كما أَثَّرتْ معصيةُ المنافقين في مسجد الضِّرار، ونُهي عن القيام فيه، وكذلك الطَّاعةُ تُؤَثِّرُ في الأَمَاكِنِ، كما أَثَّرتْ في مسجد

= ومسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، برقم: (٢٩٨٠/ ١).

(١) «شرح العمدة في الفقه» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٥٠٨).

(٢) «السيرة النبوية» (٥٥٨- ٥٥٩) لعلي بن محمد الصلابي.

قُباءٍ، حتَّىٰ قال اللهُ فيه: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [سورة التوبة:١٠٨].

٥- ومنها النَّهيُ عن الصَّلاة في أَمَاكنِ المعصيَةِ، والبُعْدُ عنها، وعن قُرْبِها[(١)].

٦- من الدُّرُوسِ العظيمةِ في حادثة مسجدِ الضِّرار أَنَّ الكفرَ وإِنْ اختلفتْ مشاربُه واتِّجاهاتُه إِلَّا أَنَّه يظلُّ بسائِرِ أَطْيافِه لُحمةً واحدةً لحرب هذا الدِّين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [سورة الأنفال:٧٣]، فما هو إِلَّا أَنْ رَحَلَ أَبْوعَامِرٍ الفاسقُ إِلَىٰ هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّوْمِ مستنصرًا حتَّىٰ وجد التَّرْحابَ والحفاوةَ والوعدَ بالمُؤَازرة[(٢)].

٧- التَّعصُّبُ الأَعْمىٰ.. فأَبُو عَامِرٍ الرَّاهبِ قد قَرَأَ عِلْمَ أَهْلِ الكتاب وعَلِمَ ببشاراتِ قُرْب ظهورِ المُصْطَفَىٰ ﷺ والْتَقَىٰ به بعد بعثته وسمِع منه القُرْآنَ الكريمَ وقامتْ عليه الحُجَّةُ البالغةُ، فأَبَىٰ إِلَّا الجحودَ والمحاربةَ لله ولرَسُوله ﷺ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [سورة الأنعام:٣٣][(٣)].

ثامنًا: إِشاعة الفاحشة:

.. ما فتِئَ أَعْداءُ الله في الدَّاخل والخارجِ عن سَعْيٍ دَءُوبٍ ومكرٍ متواصلٍ في تلويثِهم العفافَ، وتدنيسهم الطُّهْرَ، وهتكهم سُتُرَ الحياءِ، وتمزيقِهم جلابيبَ الحِشْمَةِ، ووَأْدِهم لمعاني الغَيْرة علىٰ الأَعْراض، وإِخْمادهم لجَذْوَةِ خوفِ الفضيحةِ والعارِ، فمهَّدوا للانْحراف مناحيه، وللسقوط مهاويه، وللانْحلال دواعيه.

---

(١) «تفسير السعدي» (١/ ٣٥١).

(٢) «السيرة النبوية دراسة تحليلية»، محمد عبد القادر أبو فارس (٦١٣).

(٣) «السيرة النبوية دراسة تحليلية»، محمد عبد القادر أبو فارس (٦١٣).

قال شيخُ الإسْلام ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ أَعَانَ عَلَىٰ الْفَاحِشَةِ وإِشَاعَتِهَا، فَهُوَ مِثْلُ القوَّادِ الَّذِي يَقُودُ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ إِلَىٰ الْفَاحِشَةِ»(١).

إنَّ إِشَاعَةَ القبائِحِ والشَّهَوات في أَجْواءِ الأُسَرِ والمُجْتمعاتِ، لباعثٌ للنُّفوسِ المُتحرِّجةِ من ارْتكابِها، والوُلوغِ في ممارستِها؛ لشعورهم أَنَّ البِيْئَةَ المحيطةَ بهم قد تلوَّثتْ بها، وانتشرتْ فيها.

أ.إِشَاعةُ اليَهُودِ للفاحشة:

لقد كان لليَهُودِ الدَّورُ البارزُ في إِشَاعة الفاحشة وإِثَارةِ الجِنْس ونشوءِ دور البغاءِ وترويج أَفْلام الدِّعارة؛ وذلك لتحقيق أَغْراضهم، وتحقيقِ أَهْدافهم؛ فالفتاةُ اللَّعوبُ الفاتنةُ خيرُ مَنْ يُقْنِعُ الرِّجالَ، ويلوي أَعْناقَهم، ويُلغي عقولَهم، ويجعلهم جنودًا مُخْلصين لمَنْ وظفوها وأَرْسلوها.

إنَّ ليون بلوم يُعدُّ من أَوَائِلِ مَنْ روَّج لأَفْكار الفساد، ودعا للإِبَاحيَّة في العصر الحديثِ، فطالبَ بإِشَاعة الجِنْس الماسونيِّ اليَهُودِيِّ، وعمل هو ومجموعة من اليَهُود علىٰ نشر الإِبَاحيَّة في فَرَنْسَا، وأَلَّف ليون كتابًا أَسْماه الزَّواج يُعتبر مِنْ أَقْذر كتُبِ الجِنْس والدِّعارة.

ومَنْ نظَر إِلَىٰ شيءٍ من توراتهم المُحرَّفةِ يجد الجِنْسَ هو الطَّابع المُسيطرُ عليها، والذي يشغَل الكثيرَ من صفحاتها(٢)؛ فمِنْ نصوص التَّوراة:

يجوزُ لليهوديِّ أَنْ يغتصب أَيَّ امْرَأَةٍ غيرِ يهوديَّةٍ؛ ذلك لأَنَّها من نَسْلِ الحيوانات.

يجوز لليهوديِّ إِشَاعةُ الفاحشةِ والبَغْضاءِ في أَيِّ دولةٍ أُخْرَىٰ، بشرط أَلَّا يكونَ ذلك في دولةِ يهود(٣).

---

(١) «تفسير سورة النور»، شيخ الاسلام ابن تيمية (٦٥).
(٢) «المذاهب المعاصرة وموقف الاسلام منها»، عبد الرحمن عميرة (٦٩-٧٠-٧١).
(٣) منتدىٰ فلاشيات علىٰ الشبكة العنكبوتية ـ عن أعياد اليهود.

لقد ذُكر سابقًا في مبحث إِفْساد اليَهُودِ في الأَرْضِ كيف أَنَّهم سخَّروا وسائِلَ الإِعْلام وأَفْلامَ هوليود ونشر المجلَّاتِ والصُّحفِ الفاضحةِ وغير ذلك لترويج وإِشَاعةِ الفاحشة.

بلْ إِنَّهم أَوَّلُ مَنْ أَشَاعَ وقرَّر تعليمَ المناهجِ الجِنْسيَّةِ؛ لتسهيل وتيسير ولوغ الطُّلَّاب والطالباتِ في الفحشاءِ، والارتكاسِ في حَمْأَتِها.. وكان شَأْنُ الجِنْس وإِشَاعتِه من مبادئِ يهود، والذي أَصْبح بعد ذلك جُزْءًا مِنْ توصيات مُؤْتمرات المَرْأَةِ العالميَّةِ وغيرِها، فمن ذلك:

- تهوينُ العلاقاتِ الزَّوجيَّةِ والرَّوابطِ الأُسَريَّة عن طريق الدَّعوةِ الصَّارخةِ للخِيانات الزَّوجية.
- الدَّعوةُ إِلَىٰ العُقْم الاختياريِّ، وذلك بتنفير النِّساءِ من الحمل والولادِة وتربيةِ الأَطْفال.
- مطالبةُ الجِنْسَينِ بتعجيل قضاءِ وطرِهم الجِنْسيِّ بمجرَّد الإِحْساس به، بعيدًا عن تعقيدات الزَّواج الشَّرعيِّ[(١)]
- أَشَاعُوا الزَّواجَ المثليَّ، وبَدَأَتْ مطالباتُ الشَّاذِّين جنسيًّا بحقوقهم.

ولقد كان لليَهُودِ في العهدِ النبويِّ الكريمِ سابقتُهم في إِشَاعتهم للفحشاءِ، ونشرِهم للشَّهوات، فها هو كَعْبُ بنُ الأَشْرَفِ أَحَدُ زعاماتِ بني النَّضِير كان يُصرِّح بسبِّ الله وسبِّ رَسُولِه ﷺ وينشد الأَشْعارَ في هِجاءِ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ولم يكتف بذلك، بلْ تجاوز إِلَىٰ ما خرَج به عن أَدَبِ العرب وفِطْرَتِهم، سواءٌ في إِسْلامِهم، أَوْ جاهليَّتِهم، فأَخَذَ يتحدَّث بالفاحشة في قصائِدِه عن نساءِ المُؤْمنين،

(١) «المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها»، عبد الرحمن عميرة (٧٢).



فيُثير الغرائِزَ، ويُغري بالزِّنا، حتَّىٰ تمَّ بحمد الله قطف رَأْسِه، وإِزَالةُ هامتِه بأَمْرٍ من رَسُولِ الله ﷺ(١). ودونك في زماننا شواهدُ علىٰ نشرهم الفسادَ وإِشَاعتهم الرَّذيلةَ.

اليَهُودُ مديرو تجارةِ الرَّقيقِ الأَبيضِ في أُورُوبَّا وأَمْرِيكَا(٢).

إِسْرائِيلُ تتَّجر بالأَعْراض، وتُصدِّر الفتياتِ إِلَىٰ جميع مواخيرِ العالم(٣)، وإِلَىٰ البارات والملاهي والنَّوادي اللَّيْليَّة التي تشرف عليها جمعيَّاتٌ يهوديَّةٌ مُنظَّمةٌ.

وأَخْطَرُ جمعيَّةٍ لتوريد الفتيات الإِسْرائِيْليَّات لأَسْواق الرَّقيقِ الأَبْيَضِ يشرف عليها شلوموبير لشتين مِنْ أَعْضاءِ حِزْبِ المابام البارزين.

ومِنْ أَلْمَانيا وحْدَها ربحتْ فتياتُ إِسْرائِيلَ ثمانية عشر مِلْيون مارك أَلْمَانيٍّ، ويعترف شلومو بافْتِخار أَنَّ هذه التِّجارةَ تديرها الأُسَرُ الأرستقراطيَّةُ في المجتمع اليهوديِّ(٤).

وسرَتْ عدوىٰ الرَّذيلةِ إِلَىٰ العالم بأَسْره بواسطة اليهود، ممَّا يُنذر بتحطيم المجتمعات القائِمةِ، وهدمِ الكياناتِ الموجودةِ. فها هي فَرَنْسَا لم تستطع أَنْ تُقاوِمَ في الحربِ العالَميَّةِ الثَّانيةِ أَكْثر مِنْ أُسْبوعيْنِ؛ لأَنَّ جيلًا كاملًا من الفرنسيِّين قد ماتتْ رُوحُه بسبب الفِسْق واللَّهْوِ والرَّفاهيَةِ والتَّخنُّثِ والميوعةِ التي نشرها اليَهُودُ في فَرَنْسَا.

وفي أَمْريكا القائِمُون علىٰ الدِّعارة اليهودُ فهم سماسرتُها وتجَّارُها، ويكفي أَنْ

---

(١) انظر: «صحيح مسلم» (٣/ ١٤٢٥ - ١٤٢٦)، «فتح الباري»، برقم (٤٠٣٧).
(٢) «اليهودي العالمي»، هنري فورد، عرّبه خيري حمّاد (ص ١٣٦).
(٣) «من يحكم واشنطن وموسكو»، بنامين فريدمان، عرّبه: زهدي عبد الفتاح (ص ٧).
(٤) «جذور البلاء»، عبد الله التل (ص ١٧٣).



نعلمَ أَنَّ مَلِكةَ الدِّعارةِ في نيويورك طِوالَ خمسين سنةً هي اليهوديَّةُ بولي أدلر التي نُشِرتْ عنها كتُبٌ عدةٌ تُوضِّح كيف كانت تدير صناعةَ الفسق[1].

ونشر اليهود الشذوذَ الجِنْسيَّ في كهوف "السان جرمان" بباريس وأقبية البيكادلي وحي التبوهو في بريطانيا وبارات معروفة في نيويورك وهوليود ومُدُن السويد والنرويج وهولندا.

وفي بريطانيا استغلَّ اليهودُ فضيحةَ اللورد اليهوديِّ المُخنَّثِ الذي ضُبِط مع عشيقه، وقادوا حملةً تهدف إِلَىٰ إباحة الشُّذوذ الجِنْسيِّ، وكان قائِدُ الحملةِ يهوديًّا اسمُه ولفندن؛ حيث قدَّم مشروعَه للبرلمان سنة ١٩٥٧م وقد لبَّىٰ مجلسُ العموم البريطانيِّ رَغْبَتَهم، ووافق علىٰ مشروع قانون يُبيح الشُّذوذَ الجِنْسيَّ.

ونجِد اليَهُودَ يتولَّون نشرَ مجلَّات الجِنس والأَدبِ الخليعِ، ونلمس أَصَابعَهم وراءَ الأَفْلام الجِنْسيَّةِ التي تُعرض في السِّينما والتِّلْفاز.

وقد استغلَّ اليَهُودُ النِّساءَ للتوصُّل إِلَىٰ مراكزِ السُّلْطة، والضَّغْطِ علىٰ السِّياسيِّين، كما حدَث قبل الثَّورةِ الفرنسيَّةِ؛ فقد عمِل اليهودُ علىٰ اصْطياد دي ميرابو، وكان مِنْ كِبار رجالاتِ فَرَنْسَا، ومن النُّبلاءِ، وصديقًا للدوق دور ليان ابنِ عمِّ المَلِك، فقدَّم إِلَيه اليَهُودُ امْرَأَةً يهوديَّةً حسناءَ اسْمُها مدام هيوز، فلعِبتْ بلُبِّ الرَّجُل، حتَّىٰ أَمْستْ عشيقتَه، وهكذا أَغْرقه اليَهُودُ هو وصديقُه دورليان بالفاحشة، حتَّىٰ أَصْبح قصر الدوق دور ليان المُسمَّىٰ بقصر الباليه رويال مباءَةً للرَّذيلة، ومنبعًا لكافَّة الأَقَاصيص المُتضمِّنةِ لتحطيم الأَخْلاق.

وبذلك أَصْبح هذان الرَّجُلان مطيَّةً لليهود في تدمير الثَّورةِ الفَرَنْسيَّةِ التي كان الرَّابحُ الوحيدُ من ورائِها اليَهُودُ[2].

---

(١) المرجع السابق (ص ١٧٧).

(٢) «مكائد يهودية» (ص ٢٥٥ – ٢٥٧).



ب. إِشَاعةُ الرَّافضة للفاحشة.

لقد شاع وفشا عند الرَّافضة استحلالُ الفُروج علىٰ أَنَّه دِينٌ وقربىٰ يتعبَّدون اللهَ بذلك وبوَّابتُه عندهم المُتعةُ، والذي يحكي الزَّواجَ المُؤقَّتَ والاتِّفاقَ السرِّيَّ بين الرَّجُل والمَرْأَةِ علىٰ إِبَاحة الزِّنا بينهما شَرَطَ بعضُ ملالِيهم أَلَّا تكونَ بعِصْمة رَجُلٍ آخَرَ.

وهذا الزَّواجُ لا يحتاج إِلَىٰ شُهودٍ ولا إِعْلانٍ، بلْ ولا حتَّىٰ إِذْنِ وليِّها[١]، وقد أَلَّفوا في جواز ذلك رِواياتٍ، وكذَبوا في رفع بعضِها إِلَىٰ النَّبيِّ ﷺ فمِنْ ذلك زَعْمُهم أَنَّه قال ﷺ: «مَنْ تمَتَّعَ مَرَّةً، أَمِنَ سَخَطَ الجَبَّارِ، وَمَنْ تمَتَّعَ مَرَّتَيْنِ، حُشِرَ مَعَ الْأَبْرَارِ، وَمَنْ تمَتَّعَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، زَاحَمَنِي فِي الْجِنَانِ»[٢].

بلْ جاءَ عند الكاشانيِّ رِوايةٌ افْتَراها علىٰ المُصْطفىٰ ﷺ أَنَّه قال: مَنْ تمتَّع مرَّةً كانتْ درجتُه كدَرَجةِ الحُسَيْنِ، ومَنْ تمتَّع مرَّتينِ فدَرَجَتُه كدَرَجَةِ الحَسَنِ، ومَنْ تمتَّع ثلاثَ مرَّاتٍ فدرجتُه كدرجةِ عَلِيِّ ابنِ أَبِي طَالِبٍ، ومَنْ تمتَّع أَرْبعَ مرَّاتٍ فدرجتُه كدرجتي[٣].

بلْ مَنْ أَنْكر المُتعةَ فهو كافرٌ[٤].. ولقد بلَغ الحالُ بالرَّافضة إِرْواءً لسعارِهم الجِنْسيِّ وإِشْباعًا لنَزَقِهم الحيوانيِّ أَنْ أَوْردوا رِواياتٍ تُشير إِلَىٰ جواز الاستمتاع بالعذارىٰ والأَبْكار، بشرط أَلَّا يفضَّ بكارتَها؛ كراهيَّةَ أَنْ يُلحق العارُ بأَهْلِها[٥]..

---

(١) «النهاية»، للطوسي (ص ٤٩٠).
(٢) «من لا يحضر الفقيه»، لأبي جعفر بن علي بن الحسين (٣/ ٣٦٦).
(٣) «منهج القاصدين»، لفتح الله الكاشاني (٣٥٦).
(٤) المرجع السابق (٢/ ٤٩٥).
(٥) «الفروع»، للكليني (٢/ ٤٦).

وأَبَاحوا التَّمتُّعَ بالعاهرات البغايا، بلْ يرون فيه الأَجْرَ والمثوبةَ؛ لأنَّه بالمُتْعَةِ يخرجها من الحرام إِلَىٰ الحلال(١).

بلْ والعياذُ بالله أَحَلَّ خمينيُّهم وغيرُه من أَئِمَّةِ الشِّيْعة التَّمتُّعَ بالرَّضيعة والطِّفْلةِ الصَّغيرةِ ضمًّا وتفخيذًا(٢).

وقد أَبَاحوا لأَنفُسِهم النَّظَر إِلَىٰ عورات غيرِ المُسْلِماتِ(٣).. كما أَجَازُوا أَنْ يُعيرَ الرَّجُلُ جاريتَه إِلَىٰ صاحبه؛ ليستمتع بها، ثُمَّ يرُدَّها(٤).

قال الإِمَامُ العلَّامة محْمُودُ شُكريٍّ الأَلُوسيُّ: «مَنْ نظَر إِلَىٰ أَحْوال الرَّافضةِ في المُتْعة في هذا الزَّمان لا يحتاج في حُكْمه عليهم بالزِّنا إِلَىٰ بُرْهانٍ؛ فإِنَّ المَرْأَةَ الواحدةَ تزني عشرين مرَّةً في يومٍ وليلةٍ وتقول: إِنَّها قد هُيِّئَتْ عندهم أَسْواقٌ عديدةٌ للمُتْعةِ تُوقَفُ فيها النِّساءُ، ولهنَّ قوَّادون يَأْتُون بالرِّجال إِلَىٰ النِّساءِ، وبالنِّساءِ إِلَىٰ الرِّجال، فيختارون ما يَرْضُون، ويُعيِّنون أُجْرةَ الزِّنا، ويَأْخُذُون بأَيْديهم إِلَىٰ لعنةِ الله وغَضَبِه»(٥).

بل لقد جاوز الشِّيْعةُ فاحشةَ الزِّنا إِلَىٰ اللُّواط -والعياذُ بالله- ودونك هذه الفتاوىٰ: إِذَا لاط البالغُ بغلامٍ فأَوْقَبَ - أَيْ أَدْخل - حرُمتْ علىٰ الواطئِ أُمُّ الموطوءِ وأُخْتُه وابْنَتُه... إلخ(٦).

---

(١) «التهذيب»، للطوسي (٢/ ٢٤٩)، «وسائل الشيعة»، للحرّ العاملي (١٤/ ٤٥٥).

(٢) «تحرير الوسيلة»، للخميني (٢/ ٢٤٩).

(٣) «فروع الكافي» (٦/ ٥٠١).

(٤) المرجع السابق (٥/ ٤٧٠).

(٥) ينظر: «صب العذاب علىٰ من سب الأصحاب» (ص: ٢٢٩)، المؤلف: أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (المتوفىٰ: ١٣٤٢هـ)، دراسة وتحقيق: عبد الله البخاري، الناشر: أضواء السلف، الرياض، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٧ هـ-١٩٩٧م.

(٦) «المسائل المنتخبة»، للخوئي (٣٠٠).

وفتوى أُخرى تنصُّ على أَنَّه إِذَا تزوَّج الرجلُ امْرَأَةً ثُمَّ لاط بأَبِيها أَوْ أَخِيها أَوِ ابْنِها، لم تحرُم عليه[١].. ولهم من القبائِحِ في فتاويهم ما يُشعر بفشوِّ هذه الفضائِحِ في مجتمعاتهم وشيوعِها بين أَفْرادهم والعياذُ بالله[٢].

ج. إِشَاعةُ المنافقين للفاحشة:

ما فَتِئَ المنافقون في صدر الإِسْلامِ الأَوَّلِ وعلى مرِّ العصور مِنْ إِشَاعتِهم للفاحشة، ونشرِهم للرَّذيلة، وتهيئَتِهم للأَسْباب والوسائِلِ الدَّاعيَّةِ إِلَيْها.. فأَمَّا ما كان منهم في زَمَنِ البِعْثَة فقد كان له مساراتٌ ثلاثةٌ:

١. إِكْراهُ الإِمَاءِ على الزِّنا.

٢. حادثةُ الإِفْك.

٣. المعاكساتُ.

فأَمَّا إِكْراهُ الإِماءِ على الزِّنا.. فقد مرَّ في ذلك حديثٌ مفصَّلٌ في سِمَةٍ من سِماتِ تعامُلِ المنافقين مع المُؤْمنين، أَلَا وهي إِشَاعتُهم الفاحشةَ، وكيف أَنَّ عَبْدَ الله بنَ أُبِيِّ بنِ سَلُولٍ كان رَأْسًا في ذلك حيث كان يُكْرِهُ بعضَ إِمَائِه على الزِّنا ليتكسَّب من ورائِهنَّ.. وهو الذي نزَل فيه قولُه تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَـٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النور:٣٣][٣].

وأَمَّا حادثةُ الإِفْك فقد اهتبل المنافقون فُرْصَتَها، واغتنموا واقعتَها، فأَعْملوا

---

(١) «المسائل المنتخبة»، للسيستاني (٣٤٠).

(٢) لمزيد اطلاع انظر: «كتاب سياحة في عالم التشيع» (ص ١٠٦ – ١١٤).

(٣) انظر: لمزيد تفصيل: (ص: ١٩٧) في هذه الرسالة.



أَلْسِنَتِهم عبرَ مجالسهم، وفي منتدياتهم، وفي سائِرِ لقاءاتهم؛ نيلًا من عَائِشَةَ الطَّاهرةِ المُبرَّأَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقذفوها بالخِيانة لفراش النَّبيِّ ﷺ، وكان الذي تزعَّم ذلك وطار به في كلِّ زاويةٍ ابنُ سَلُولٍ؛ فهو الذي تولَّىٰ كِبْرَه منهم، وهذا ما أَجْمع عليه جُمْهُورُ العلماءِ.

وقد كانتْ مِحْنَةٌ عظيمةٌ أَلَمَّت بطُهْر البيتِ النَّبويِّ، وكذا آلمت وأَرَّقتْ نفوسَ الصَّحابة الذين ظلُّوا مع النَّبيِّ ما يزيد علىٰ الشَّهر وهُمْ في كربٍ شديدٍ وبلاءٍ كبيرٍ، إِلَىٰ أَنْ كشَفَ الله الغُمَّةَ، وانزاحتِ الظِّلَّةُ بنزول الآياتِ المُبَرِّئَةِ لأُمِّ المُؤْمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وحادثةُ الإِفْك كما روتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا أَرَاد أَنْ يَخْرُجَ أَقْرَعَ بيْن أَزْواجِه، فأَيَّتُهنَّ خرَج سهمُها خرَج بِها رَسُولُ الله ﷺ معه».

قالتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فَأَقْرَعَ بيننا في غزوةٍ غزاها[1] فخرَج سَهْمِي، فخرجتُ مع رَسُولِ الله ﷺ بعدما نزَل الحِجابُ، فأَنَا أُحمِلُ في هَوْدَجِي[2] وأُنْزِلُ فيه، فسِرْنا حتَّىٰ إِذَا فرَغ رَسُولُ الله ﷺ مِنْ غزوتِه تلك، وقفَل ودَنَوْنَا من المَدِينَةِ

(١) في غزوة غزاها : هي غزوة بني المصطلق كما عند ابن اسحاق من رواية عباد بن عبد الله بن الزبير وعمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة، ومن طريق ابن إسحاق أخرجها ابن جرير الطبري. وعند أبي يعلىٰ من رواية صالح بن كيسان عن الزهري عن عروة وابن المسيب وعلقمة وعبيد الله ولفظه (قالت عائشة كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع فخرج سهمي عليهن فخرج بي رسول الله ﷺ . انظر: «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٩٧)، «تاريخ الطبري» (٢/ ٦١١)، «تفسير الطبري» (١٨/ ٩٣)، «مسند أبي يعلي» (٤/ ٤٥٠)، «فتح الباري» (٨/ ٤٥٨).

(٢) الهودج : مركب النساء، انظر: «القاموس المحيط» (١/ ٢١٢)، وفي «فتح الباري» (٨/ ٤٥٨)، الهودج : بفتح الهاء والدال بينهما واو ساكنة وآخره جيم : محمل له قبة تستر بالثياب ونحوه، يوضع علىٰ ظهر البعير يركب فيه النساء ليكون أستر لهنّ .



قافلين، آذَنَ ليلةً بالرَّحيل، فقُمْتُ حين آذنوا بالرَّحيل، فمشيْتُ حتَّى جاوزتُ الجَيْش، فلمَّا قضيتُ شَأْنِي أَقْبلتُ إِلَىٰ رَحْلي، فإِذا عقْدٌ لي من جَزْعِ ظَفَارِ[١] قد انْقَطَعَ، فالْتَمَسْتُ عقدي».

وحبَسني ابْتِغاؤُه، وأَقْبَلَ الرَّهْطُ[٢] الذين كانوا يُرحِّلون لي، فاحتملوا هَوْدَجي،

---

(١) جزع ظفار: بفتح الجيم وسكون الزاي بعدها مهملة، في رواية فليح بن سليمان عن الزهري (من جزع أظفار) بزيادة ألف. انظر: «البخاري» كتاب: الشهادات باب تعديل النساء بعضهم بعضًا، (٣/ ١٥٢)، و«مسند أبي يعلي» (٤/ ٤٤٤)، قال ابن بطال: الرواية «أظفار»، بألف وأهل اللغة لا يعرفونه بألف ويقولون: «ظفار». وقال القرطبي: «وقع في بعض روايات مسلم «أظفار»، وهي خطأ.

قال ابن حجر معقبًا علىٰ هذا قلت: «لكنها في أكثر روايات أصحاب الزهري، حتىٰ إن في رواية صالح ابن أبي الأخضر، عند الطبراني «جزع الأظافير»، إلىٰ أن قال: «وإن ثبتت الرواية «أنه جزع أظفار»، فلعل عقدها كان من الظفر أحد أنواع القسط وهو طيب الرائحة يتبخر به فلعله عمل مثل الخرز، فأطلقت عليه جزعًا تشبيهًا به ونظمته قلادة إما لحسن لونه أو لطيب رائحته، وقد حكىٰ ابن التين: «أن قيمته كانت اثني عشر درهمًا وهذا يؤيد أنه ليس جزعًا ظفاريًا، إذ لو كان كذلك لكانت قيمته أكثر من ذلك». انظر: «فتح الباري» (٨/ ٤٥٩).

والجزع: «هو الخرز اليماني الصيني فيه سواد وبياض تشبه به الأعين وظفار (بوزن قطام) وهي مبنية علىٰ الكسر، اسم مدينة لحمير باليمن». انظر: «النهاية في غريب الحديث»، لابن الاثير (١/ ٢٦٩)، و«القاموس المحيط» (٣/ ١٢)، و«شرح مسلم»، للنووي (٥/ ٦٣٠)، و«فتح الباري» (٨/ ٤٥٩).

(٢) الرهط من الرجال ما دون العشرة وقيل إلىٰ الأربعين ولا تكون فيهم امرأة ولا واحد له من لفظه، ويجمع علىٰ أرهط وأرهاط وأراهط جمع الجمع. «النهاية في غريب الحديث»، لابن الأثير (٢/ ٢٨٣).

وقال ابن حجر: «لم أعرف منهم هنا أحدًا إلا أن في رواية الواقدي: أن أحدهم أبو موهوبة مولىٰ لرسول الله، وعند البلاذري: شهد أبو مويهبة غزوة المريسيع وكان يقود بعير عائشة، وكان من مواليد مزينة، وكأن الأصل أبو موهوبة ويصغر فيقال: أبو مويهبة». «فتح الباري» (٨/ ٤٥٩)، وانظر: «مغازي الواقدي» (٢/ ٤٢٦)، و«أنساب الأشراف»، للبلاذري (ص ٤٨٣).

فرحَّلوه على بعيري الذي كنتُ رَكِبْتُ وهُمْ يَحْسَبُون أَنِّي فيه، وكان النِّساءُ إِذْ ذاك خِفافًا لم يثقلهنَّ اللَّحْمُ، إِنَّما نَأْكُلُ العُلقةَ(١) من الطَّعام، فلم يستنكر القومُ خِفَّةَ الهَوْدَجِ حين رَفَعُوه، وكنتُ جارية حديثةَ السِّنِّ، فبعثوا الجملَ، وساروا، فوجدتُ عِقْدي بعدما استمرَّ الجيشُ، فجِئْتُ منازلَهم وليس بها دَاعٍ ولا مُجيبٌ، فأَمَّمْتُ منزلي الذي كنتُ فيه، وظَنَنْتُ أَنَّهم سيفقدوني، فيرجعون إِلَيَّ، فبينا أَنَا جالسةٌ في منزلي غلبتْني عيني، فنِمْتُ، وكان صَفْوَانُ بنُ المُعَطَّلِ السُّلميُّ(٢) ، ثُمَّ الذَّكوانيُّ من وراءِ الجيش، فأَدْلَجَ(٣) ، فأَصْبح عند منزلي.

فرَأَى سوادَ إِنْسانٍ نائِم، فأَتَاني، فعرَفني حين رآني، وكان رآني قبلَ الحِجاب، فاسْتَيْقَظْتُ باسْتِرْجاعِه(٤) حين عرَفني، فخَمَّرْتُ(٥) وَجْهِي بجِلْبابي، ووالله ما كلَّمني كلمةً، ولا سَمِعْتُ منه كلمةً غير اسْتِرْجاعِه، حتَّى أَنَاخَ راحلتَه، فوطئَ على يديْها، فركبتُها، فانْطَلَقَ يَقُودُ بي الرَّاحلةَ حتَّى أَتَيْنَا الجيشَ بعدما نزلوا مُوغِرِين(٦)

---

(١) العلقة : بضم المهملة وسكون اللام من الطعام؛ أي البلغة منه. «النهاية في غريب الحديث»، لابن الأثير (٣/ ٢٨٩).

(٢) صحابي جليل كان صاحب ساقة رسول الله ﷺ في غزواته.

(٣) فأدلج : بالتشديد سار آخر الليل.

(٤) أي بقوله: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٥) فخمّرت: أي غطيت. «النهاية»، لابن الاثير (٢/ ٧٧).

(٦) موغرين: الوغرة بسكون الغين المعجمة شدة الحر. «النهاية في غريب الحديث»، ابن الأثير (٥/ ٢٠٨) وكذا فسرها عبد الرزاق بقوله: الوغرة شدة الحر، عندما سأله عبد بن حميد بقوله: ما قوله موغرين؟ انظر: «صحيح مسلم» (٨/ ١١٨) كتاب التوبة، وفي رواية فليح بن سليمان: (معرسين) بدل موغرين. انظر: «البخاري» (٣/ ١٥٢) كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضًا. و«مسند أبي يعلى» (٤/ ٤٤٤).

وفي «غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٢٠٦) أن التعريس هو نزول المسافر آخر الليل، ولكن قال ابن حجر: وروى مغورين؛ والتغوير النزول وقت القائلة. انظر: «فتح الباري» (٨/ ٤٦١) =



في نَحْرِ الظَّهيرة[١]، فهلَكَ مَنْ هلَك، وكان الذي تولَّى الإِفْكَ عَبْدُ الله بنُ أُبَيٍّ بنِ سَلُولٍ.

أ. انْتِشارُ الدِّعاية بالمدينة:

فقَدِمْنَا المدينةَ، فاشْتَكَيْتُ حين قدِمْتُ شهرًا والنَّاسُ يُفيضون في قول أَصْحابِ الإِفْك، لا أَشْعُرُ بشيءٍ من ذلك، وهو يُريبني[٢] في وَجعي، أنِّي لا أَعْرِفُ من رَسُولِ الله ﷺ اللُّطْفَ الذي كنتُ أَرَىٰ منه حين أَشْتكي، إِنَّما يدخل عليَّ رَسُولُ الله ﷺ فيُسلِّم، ثُمَّ يقول: كيف تِيْكُمْ؟ ثُمَّ ينصرف، وذاك الذي يُريبني، ولا أَشْعُرُ بالشَّرِّ، حتَّىٰ خرجتُ بعدما نَقِهْتُ[٣].

= و(٤٦٤)، في «صحيح مسلم» كتاب التوبة، من طريق يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه عن صالح بن كيسان (٨/ ١١٨).

(موعرين) بعين وراء مهملتين. قال النووي: «روايته بالعين ضعيف». «شرح مسلم»، للنووي (٥/ ٦٣١)، لكن قال ابن حجر بأن رواية يعقوب بن إبراهيم عند مسلم إنما هي (موعزين) بعين مهملة وزاي؛ قال: ووجهها القرطبي بقوله: «كأنه من وعزت إلىٰ فلان بكذا أي تقدمت والأول أولىٰ ـ يعني موغرين ـ وصحَّفه بعضهم بمهملتين وهو غلط». «فتح الباري» (٨/ ٢٦٣).

قلت: الرواية في «صحيح مسلم» الموجود بأيدينا (موعرين) بعين وراء مهملين، وقول النووي: بأنه ضعيف أولىٰ من قول القرطبي بأنه تصحيف؛ وذلك أن في «القاموس المحيط» (٢/ ١٥٥) (وعر صدره) لغة في وغر.

(١) نحو الظهر: أولها؛ وهو وقت شدة الحر. «القاموس المحيط» (٢/ ١٣٩).

(٢) يريبني: يشككني. «النهاية»، ابن الاثير (٢/ ٢٨٦).

(٣) نقه المريض من باب طرب وخضع؛ إذا برأ وأفاق وكان قريب العهد بالمرض، ولم يرجع إليه كمال صحته وقوته، «النهاية في غريب الحديث»، ابن الأثير (٥/ ١١١) و«القاموس المحيط» (٤/ ٢٩٤)، و«مختار الصحاح»، ص (٦٧٨)، وعند ابن اسحاق حتىٰ نهقت من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة، «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٩٩).

فخرجتُ معي أُمُّ مِسْطَح قِبَلَ المناصع[(١)] وهو مُتَبرَّزُنا، وكنَّا لا نخرج إلَّا ليلًا إلَىٰ ليلٍ، وذلك قبل أَنْ نتَّخذَ الكُنُفَ[(٢)] قريبًا من بيوتنا، وأَمْرُنا أَمْرُ العربِ الأَوَّلِ في التَّبَرُّزِ قبل الغائِطِ، فكنَّا نَتَأَذَّىٰ بالكُنُفِ أَنْ نتَّخذَها عند بيوتنا، فانْطلقتُ أَنَا وأُمُّ مِسْطَحٍ، وهي ابْنَةُ أَبِي رُهْم بنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وأُمُّها بنتُ صَخْرِ بنِ عَامِرٍ خالةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وابنُها مِسْطَحُ بنُ أُثَاثَةَ[(٣)] فأَقْبَلْتُ أَنَا وأُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ بيتي، قد فَرَغْنَا من شَأْنِنا، فعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ في مِرْطِها[(٤)] فقالتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ، فقلتُ: بِئْسَ ما قلتِ، أَتَسُبِّيْنَ رجلًا شهد بَدْرًا؟

قالتْ: أَيْ هَنْتَاهُ[(٥)] أَوَلَمْ تسمعي ما قال؟ قلتُ: وما قال؟ فأَخْبَرَتْني بقول الإِفْك[(٦)] ، فازْدَدْتُ مرضًا علىٰ مرضي، فلمَّا رجعتُ إِلَىٰ بيتي ودخل عليَّ رَسُولُ الله

---

(١) المناصع : المواضع التي يُتخلىٰ فيها لقضاء الحاجة، واحدها منصع كمقعد، «النهاية في غريب الحديث»، ابن الأثير (٥/ ٦٥) و«القاموس المحيط»، للفيروز آبادي (٣/ ٨٩)، وفي «فتح الباري» (١/ ٢٤٩) والمناصع أماكن معروفة من ناحية البقيع.

(٢) الكنف: جمع كنيف؛ المكان الساتر، وأرادت به هنا المكان المعد لقضاء الحاجة، «القاموس المحيط» (٣/ ١٩٢)، و«مختار الصحاح»، ص (٥٨٠).

(٣) مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب، توفي في خلافة عثمان رضي الله عنهم جميعًا.

(٤) فعثرت في مرطها: أي وطئته برجلها فسقطت، والمرط: بكسر الميم؛ واحد المروط؛ وهي أكسية من صوف أو خز كان يؤتزر بها. «مختار الصحاح»، ص(٤١٢و٦٢١).

(٥) هنتاه: يا بلهاء كأنها نسبت قلة العقل المعرفة بمكائد الناس وشرورهم. «النهاية»، ابن الاثير (٥/ ٢٧٩-٢٨٠) .

(٦) قال ابن حجر: «طرق حديث الإفك مجتمعة علىٰ أن عائشة بلغها الخبر من أم مسطح لكن وقع عند البخاري في المغازي من حديث أم رومان ما يخالف هذا ولفظه: بينا أنا قاعدة أنا وعائشة إذ ولجت امرأة من الأنصار، فقالت: فعل الله بفلان وفعل، فقالت أم رومان: وما ذاك؟ قالت: ابني فيمن حدث الحديث. قالت: وما ذاك؟ قالت: كذا وكذا وفي قصة يوسف (قالت فعل الله بفلان وفعل قالت، فقلت لم؟ قالت إنه نمىٰ ذكر الحديث فقالت عائشة: أي حديث؟ فأخبرتها، قالت فسمعه أبو بكر ورسول الله ﷺ ؟ قالت: نعم، فخرت مغشيًّا عليها». انظر: «البخاري» كتاب: الأنبياء (٤/ ١٢٠)، وكتاب: المغازي (٥/ ١٠٠).

قال ابن حجر : «وطرق الجمع أنها سمعت ذلك أولًا من أم مسطح، ثم ذهبت لبيت أمها لتستيقن الخبر منها، فأخبرتها أمها بالأمر مجملًا بقولها: هوني عليك، وما أشبه ذلك، ثم دخلت =

ﷺ ـ تعني سلَّم ـ ثُمَّ قال: كيف تِيكُمْ؟ فقلت: أَتَأْذَنُ لي أَنْ آتي أَبَوَيَّ؟ قالتْ: وأَنَا حِينَئِذٍ أُريد أَنْ أَسْتَيْقِنَ الخبرَ من قِبَلِهِمَا.

قالتْ: فأَذِنَ لي رَسُولُ الله ﷺ فجِئْتُ أَبَوَيَّ، فقلتُ لأُمِّي: يا أُمَّتَاهْ، ما يتحدَّث النَّاسُ؟ قالتْ: يابُنَيَّةَ هَوِّنِي عليكِ، فوالله لقلَّما كانت امْرَأَةٌ قطُّ وضيئَةً[١] عند رجلٍ يُحِبُّها، ولها ضرائِرُ إِلَّا أَكْثَرْنَ عليها[٢]. قالتْ: فقلتُ: سُبْحَانَ الله، أَوقد تحدَّث النَّاسُ بهذا[٣]؟ فبكيتُ تلك اللَّيْلَةَ حتَّى أَصْبَحْتُ لا يَرْقَأُ لي دمعٌ[٤] ولا أَكْتحلُ بنومٍ حتَّى أَصْبَحْتُ أَبْكِي.

= الأنصارية، فأخبرتها بمثل ذلك بحضرة أمها، فقوي عندها القطع بوقوع ذلك، فسألت هل سمعه أبوها وزوجها؟ ترجيًا منها أن لا يكونا سمعا ذلك؛ ليكون أسهل عليها.

فلمَّا قالت لها أنهما سمعاه، غشي عليها، ثم قال ابن حجر: ولم أقف على اسم هذه المرأة الأنصاريَّة، ولا على اسم ولدها». انظر: «فتح الباري» (٨/ ٤٦٧).

(١) الوضاءة : الحسن والبهجة. «النهاية في غريب الحديث»، ابن الأثير (١٩٥) وفي رواية أبي أسامة عن هشام: «لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا حسدنها». البخاري «كتاب التفسير» (٦/ ٨٩)، والترمذي (٥/ ١٣)، و«تفسير الطبري» (١٨/ ٩٤)، وفي رواية ابن حاطب عن علقمة بن وقاص لقلّ رجل أحب امرأة قط إلا قالوا لها نحو الذي قالوا لك. «مسند إسحاق بن راهويه» (٤/ ١٣٤)، و«تفسير الطبري» (١٨/ ٩٤ -٩٥) .

(٢) إلا أكثرن عليها: أي القول في عيبها.

(٣) وفي رواية محمد بن ثور عن معمر عند الطبري في «التفسير» (١٨/ ٨٩-٩٢) قلت : سبحان الله أوقد تحدث الناس بهذا وبلغ رسول الله ﷺ ؟ قالت: نعم. وفي رواية أبي أسامة عن هشام بن عروة قلت: وقد علم به أبي؟ قالت: نعم، قلت: ورسول الله ﷺ ؟ قالت : نعم ورسول الله ﷺ. «البخاري» كتاب التفسير (٦/ ٨٩)، و«الترمذي» (٥/ ١٣)، و«تفسير الطبري» (١٨/ ٩٤)، وفي رواية ابن إسحاق: «قلت لأمي: يغفر الله لك، تحدَّث النَّاس بها تحدَّثوا به، ولا تذكرين لي من ذلك شيئًا». «سيرة ابن هشام» (٢/ ٢٩٩).

وفي رواية ابن حاطب: (ورجعت على أبوي أبي بكر وأم رومان فقلت: أما اتقيتما الله فيَّ ووصلتما رحمي، قد قال رسول الله ﷺ الذي قال، وتحدث الناس بما تحدثوا به. «مسند إسحاق بن راهويه» (٤/ ١٣٤)، و«تفسير الطبري» (١٨/ ٩٤-٩٥)، وفي رواية أبي أسامة عن هشام: فاستعبرت فبكيت فسمع صوتي أبو بكر وهو في البيت يقرأ فنزل، فقال لأمي: ما شأنها؟ فقلت: بلغها الذي ذُكر من أمرها، ففاضت عيناه، فقال: أقسمت عليك يا بنية إلا رجعت إلى بيتك. فرجعت. البخاري «كتاب التفسير» (٦/ ٨٩)، والترمذي (٥/ ١٣)، و«تفسير الطبري» (١٨/ ٩٤) .

(٤) لا يرقأ لي دمع : لا ينقطع ولا يسكت ـ «النهاية»، ابن الاثير (٢/ ٢٤٨) .

ب. اسْتِشارةُ رَسُولِ الله ﷺ بعضَ أَصْحابه عند تَأَخُّرِ نزولِ الوَحْيِ:

فدَعا رَسُولُ الله ﷺ عَلِيَّ ابنِ أَبِي طالبٍ وأُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حين اسْتَلْبَثَ[(١)] الوَحْيُ يستأْمِرُهما في فِراق أَهْلِه، قالت: فأَمَّا أُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ فأَشَارَ على رَسُولِ الله ﷺ بالذي يعلم مِنْ براءَةِ أَهْلِه، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الوُدِّ، فقال: يا رَسُولَ الله أَهْلُكَ ولا نعلم إِلَّا خيرًا، وأَمَّا عَلِيُّ ابنِ أَبِي طالبٍ فقال: يا رَسُولَ الله لم يُضيِّقِ اللهُ عليك، والنِّساءُ سواها كثيرٌ، وإِنْ تَسْأَلِ الجارِيَةَ تَصْدُقْكَ.

قالتْ: فدعا رَسُولُ الله ﷺ بَرِيْرَةَ فقال: «أَيْ بَرِيْرَةُ هَلْ رَأَيتِ مِنْ شَيْءٍ يُرِيْبُكِ؟» قالتْ بَرِيْرَةُ: لا والذي بعثَك بالحقِّ، إِنْ رَأَيْتُ عليها أَمْرًا أَغْمِصُه[(٢)] عليها أَكْثَرَ مِنْ أَنَّها جاريةٌ حديثةُ السِّنِّ تنامُ عن عَجِيْنِ أَهْلِها، فتَأْتِي الدَّاجِنُ[(٣)] فتَأْكُلُه،

---

(١) استلبث: وهو الإبطاء والتأخر ـ «النهاية»، ابن الاثير (٢/ ٢٤٨).

(٢) أغمصه عليها: أي أعيبها به وأطعن بها عليها، «النهاية في غريب الحديث»، ابن الأثير (٣/ ٣٨٦) وفي رواية أبي أسامة عن هشام: (وانتهرها بعض أصحابه، فقال: اصدقي رسول الله ﷺ حتى أسقطوا لها به – أي عنفوها بكلام ساقط – فقالت: سبحان الله والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر». البخاري (٦/ ٨٩) كتاب التفسير، والترمذي (٥/ ١٣) و«تفسير الطبري» (١٨/ ٩٤).

وفي رواية ابن حاطب: وسأل الجارية الحبشية فقالت: والله لعائشة أطيب من طيب الذهب، وما بها عيب إلا أنها ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل عجينها، ولئن كانت صنعت ما قال الناس، ليخبرنك الله قال: فعجب الناس من فقهها. «مسند إسحاق بن راهويه» (٤/ ١٣٤)، و«تفسير الطبري» (١٨/ ٩٥).

(٣) الداجن: هي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم، وقد يقع على غير الشاة من كل ما يألف البيوت من الطير وغيرها، «النهاية في غريب الحديث»، ابن الأثير (٢/ ١٠٢) قلت: والمراد به هنا: الشاة لرواية ابن حاطب التي مر ذكرها، ورواية أبي أسامة عن هشام بن عروة (والله ما علمت عليها عيبًا إلا أنها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل خميرها أو عجينها، «البخاري» (٦/ ٩٨) كتاب التفسير، و«مسلم» (٨/ ١١٨)، كتاب التوبة، و«الترمذي» (٥/ ١٣) كتاب التفسير، و«تفسير الطبري» (١٨/ ٩٤).



فقام رَسُولُ الله ﷺ فاسْتَعْذَرَ(١) يومئذٍ مِنْ عَبْدِ الله بنِ أُبَيٍّ بنِ سَلُولٍ، قالتْ: فقال رَسُولُ الله ﷺ وهو على المِنْبَرِ: «يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِيْنَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، فوالله مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا(٢) مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي»(٣). فقام سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ الأَنْصارِيُّ(٤) فقال:

يا رَسُولَ الله، أَنَا أَعْذِرُكَ منه، إنْ كان من الأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَه(٥)، وإِنْ كان من إِخْوانِنا من الخَزْرَجِ، أَمَرْتَنا، ففَعَلْنَا في أَمْرِكَ.

ج. آثارُ حادثةِ الإِفْكِ:

قالتْ: فقام سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ - وهو سيِّدُ الخَزْرَجِ ـ وكان قبل ذلك رجلًا صالحًا،

---

(١) فاستعذر: أي: قال من يقوم بعذري إن كافأته على سوء صنيعه. «النهاية»، ابن الاثير (٣/ ١٩٧).

(٢) هو صفوان بن المعطل السلمي.

(٣) زاد هشام بن عروة في روايته (ولا غبت في السفر إلا غاب معي) «البخاري» (٦/ ٨٩) كتاب التفسير، و«مسلم» (٨/ ١١٩) كتاب التوبة.

(٤) هو: سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس، أبو عمر، الأوسي، الأنصاري. صحابي من الأبطال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. السيد الكبير، الشهيد، أبو عمرو الأنصاري، الأوسي، الأشهلي، البدري، الذي اهتز العرش لموته. ومناقبه مشهورة في الصحاح، وفي السيرة، وغير ذلك. من أهل المدينة، كانت له سيادة الأوس، وحمل لواءهم يوم بدر. وشهد أحدًا، فكان ممن ثبت فيها. وكان من أطول الناس، وأعظمهم حيلة، ورمي بسهم يوم الخندق، فمات من أثر جرحه، وحزن عليه النبي.
وفي الحديث: «اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ». الإصابة (٢/ ٣٨)، «أسد الغابة»، لابن الأثير (٢/ ٢٢١)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي(١/ ٢٧٩).

(٥) في رواية صالح بن كيسان عند البخاري (٥/ ٩٨) كتاب المغازي باب حديث الإفك (ضربت عنقه) بإسناد الضمير إلى نفسه، قال ابن حجر : (إنما قال ذلك لأنه كان سيدهم، فجزم بأن حكمه فيهم نافذ) فتح الباري (٨/ ٤٧٢) .

ولكنْ اجْتَهَلَتْهُ الحَمِيَّةُ[(١)] ، فقال لسَعْدٍ: كَذَبْتَ، لَعَمْرُ الله لا تَقْتُلُه، ولا تَقْدِرُ على قَتْلِه. فقام أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ[(٢)] وهو ابنُ عَمِّ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ، فقال لسَعْدِ بنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ، لَعَمْرُ الله لنَقْتُلَنَّهُ؛ فإِنَّك منافقٌ تُجادل عن المنافقين. فتَثَاوَرَ الحيَّان[(٣)] الأَوْسُ والخَزْرَجُ، حتَّى همُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا، ورَسُولُ الله ﷺ قائِمٌ على المِنْبَرِ، فلم يزلْ رَسُولُ الله ﷺ يُخفِّضهم حتَّى سكتوا وسكت.

قالتْ: فبكيتُ يومي ذلك، لا يَرْقَأُ لي دمعٌ، ولا أَكْتحل بنومٍ، قالتْ: فأَصْبح أَبوايَ عندي، وقد بكيتُ ليلتين ويومًا لا أَكْتحل بنومٍ، ولا يَرْقَأُ لي دمعٌ، يظُنَّان أَنَّ البكاءَ فالقٌ كَبِدي. قالتْ: فبينما هما جالسان عندي وأَنَا أَبْكِي، فاستأذنتْ عليَّ امْرَأَةٌ من الأَنْصار، فأَذِنْتُ لها، فجلستْ تبكي معي.

قالتْ: فبينا نحن على ذلك إِذْ دخَل علينا رَسُولُ الله ﷺ فسلَّم ثُمَّ جلَس، قالتْ: ولم يجلسْ عندي مُنْذُ قيل ما قيل قبلها.

---

(١) اجتهلته الحمية : أي حملته الأنفة والغضب على الجهل ـ «النهاية»، ابن الاثير (١/ ٣٢٢) .

(٢) هو: أُسَيْدُ بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن عبد الأشهل الأنصاري، أبو يحيى، ويقال: أبو حضير، ويقال: أبو عتيك، ويقال: أبو عيسى، ويقال: أبو عتيق، ويقال: أبو عمرو الأشهلي، صاحب رسول الله ﷺ، أحد النقباء ليلة العقبة، واختلف في شهوده بدرًا.

كان شريفًا في الجاهلية والإسلام، من أهل المدينة، يعد من عقلاء العرب، وذوي الرأي فيهم. روى عن النبي ﷺ، وعنه أبو سعيد الخدري وأنس وأبو ليلى الأنصاري وكعب بن مالك وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم أجمعين.

شهد العقبة الثانية مع السبعين من الأنصار، وكان أحد النقباء الاثني عشر، وشهد أحدًا فجرح سبع جراحات، وثبت مع رسول الله ﷺ حين انكشف الناس عنه، وشهد الخندق والمشاهد كلها، وفي الحديث: «نعم الرجل أسيد بن الحضير». ينظر: «أسد الغابة» (١/ ١١٣)، «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي (٣/ ٢٤٦)، «تهذيب التهذيب»، لابن حجر (١/ ٣٤٧).

(٣) فثار الحيان : أي تناهضوا للنزاع والعصبية، شرح مسلم للنووي (٥/ ٦٣٥) .



د. مفاتحة الرَّسُولِ ﷺ لعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

وقد لبث شهرًا[(١)] لا يُوحىٰ إِلَيه في شَأْنِي، قالتْ: فتشهَّد رَسُولُ الله ﷺ حين جلس، ثُمَّ قال: أَمَّا بعد، يا عَائِشَةُ، فإِنَّه قد بلغني عنك كذا وكذا[(٢)] فإِنْ كُنْتِ بريئَةً فسيُبَرِّئُك اللهُ، وإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بذَنْبٍ فاستغفري اللهَ وتُوبي إِلَيه؛ فإِنَّ العبدَ إِذَا اعْتَرَفَ بذَنْبِه ثُمَّ تاب إِلَىٰ الله تاب الله عليه. قالتْ: فلمَّا قضىٰ رَسُولُ الله ﷺ مقالتَه قلَص[(٣)] دمعي، حتَّىٰ ما أُحِسُّ منه قَطْرَةً، فقلتُ لأَبِي: أَجِبْ رَسُولَ الله ﷺ فيما قال. قال: والله ما أَدْري[(٤)] ما أَقُولُ لرَسُولِ الله ﷺ فقلتُ لأُمِّي: أَجِيبي رَسُولَ الله ﷺ، قالتْ: ما أَدْري ما أَقُولُ لرَسُولِ الله ﷺ.

قالتْ: فقلتُ[(٥)] وأَنَا جاريةٌ حديثةُ السِّنِّ، لا أَقْرَأُ كثيرًا من القُرْآنِ[(٦)]، إِنِّي والله

(١) التقيد بالشهر فهو المدة التي أولها إتيان عائشة إلىٰ بيت أبويها. «فتح الباري» (٨/ ٤٧٥).

(٢) كناية عمَّا رميت به من الإفك.

(٣) قلص دمعي: أي ارتفع وذهب. «النهاية»، ابن الاثير (٤/ ١٠٠).

(٤) في رواية هشام بن عروة (فماذا أقول) «البخاري» (٦/ ٩٠) كتاب التفسير و«الترمذي» (٥/ ١٣).

قال النووي: قولها لأبويها (أجيبا عني) فيه تفويض الكلام إلىٰ الكبار، لأنهم أعرف بمقاصده واللائق بالمواطن منه، وأبواها يعرفان حالها، وأما قول أبويها: لا ندري ما نقول: فمعناه أن الأمر الذي سألاها عنه لا يقفان منه علىٰ زائد علىٰ ما عند رسول ﷺ قبل نزول الوحي من حسن الظن بها، والسرائر إلىٰ الله تعالىٰ. «شرح مسلم» للنووي (٥/ ٦٣٦).

وقال ابن حجر: قيل إنما قالت عائشة لأبيها ذلك مع أن السؤال إنما وقع عما في باطن الأمر، وهو لا اطلاع له علىٰ ذلك لكن قالته إشارة إلىٰ أنها لم يقع منها شيء في الباطن يخالف الظاهر الذي هو يطلع عليه، فكأنها قالت له: برئني بما شئت وأنت علىٰ ثقة من الصدق فيما تقول وإنما أجابها أبو بكر بقوله: لا أدري لأنه كان كثير الاتباع لرسول الله ﷺ فأجاب بما يطابق السؤال في المعنىٰ، ولأنه وإن كان يتحقق براءتها لكنه كره أن يزكي ولده وكذا الجواب عن قول أمها لا أدري، فتح الباري (٨/ ٤٧٥).

(٥) في رواية هشام بن عروة (فلما لم يجيباه) تشهدت فحمدت الله وأثنيت عليه بما هو أهله ثم قلت: (أما بعد). «البخاري» (٦/ ٩٠) كتب التفسير، والترمذي (٥/ ١٣) و«تفسير الطبري» (١٨/ ٩٤).

(٦) قال ابن حجر: قالت: هذا توطئة لعذرها؛ لكونها لم تستحضر اسم يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ. «فتح الباري» (٨/ ٤٧٥).

لقد علمتُ، لقد سمعتم هذا الحديثَ حتَّىٰ استقرَّ في أَنْفُسِكم وصدَّقْتُم به، فلئِنْ قلتُ لكم إِنِّي بريئَةٌ، واللهُ يعلم إِنِّي بريئَةٌ، لا تُصدِّقوني بذلك، ولئِنْ اعْتَرَفْتُ لكم بأَمْرٍ، واللهُ يعلم أَنِّي منه بريئَةٌ، لتُصدِّقنِّي، والله ما أَجِدُ لكم مثلًا إِلَّا قولَ أَبِي يُوسِفَ (١) قال: ﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [سورة يوسف:١٨].

قالتْ: ثُمَّ تحوَّلْتُ، فاضطجعتُ علىٰ فِراشي، قالتْ: وأَنَا حينئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بريئَةٌ، وأَنَّ اللهَ مُبْرِئِي ببَرَاءَتي، ولكنْ والله ما كنتُ أَظُنُّ أَنَّ اللهَ مُنْزِلٌ في شَأْنِي وَحْيًا يُتْلىٰ، ولشَأْنِي في نفسي كان أَحْقَرَ مِنْ أَنْ يتكلَّمَ اللهُ فِيَّ بأَمْرٍ يُتْلىٰ، ولكنْ كنتُ أَرْجُو أَنْ يرىٰ رَسُولُ الله ﷺ في النَّوم رُؤْيا يُبَرِّئُني اللهُ بِها.

هـ. براءَةُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

قالتْ: فوالله ما رامَ (٢) رَسُولُ الله ﷺ ولا خرَج أَحَدٌ من أَهْلِ البيت حتَّىٰ أُنْزِلَ

(١) في رواية الليث عن يونس عند البخاري (٦/ ٨٧) كتاب التفسير: (والله ما أجد لكم مثلًا إلا قول أبي يوسف .. وفي رواية هشام بن عروة وابن حاطب: (والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه)، المصدر السابق (٦/ ٩٠)، كتاب التفسير، و«الترمذي» (٥/ ١٣)، و«تفسير الطبري» (١٨/ ٩٥) وفي رواية ابن اسحاق: (ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره). سيرة ابن هشام (٢/ ٢٠٢)؛ فهذه الروايات تدل علىٰ أنها لم تستحضر اسم يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لكن وقع في حديث أم رومان: (مثلي ومثلكم كيعقوب وبنيه). فهذا تصريح منها باسم يعقوب. انظر: «البخاري» (٦/ ٤٦) كتاب التفسير، باب (بل سولت لكم أنفسكم أمرًا) لكن قال ابن حجر: إنها رواية بالمعنىٰ. وذلك للتصريح في حديث هشام وغيره بأنها لم تستحضر اسمه. «فتح الباري» (٨/ ٤٧٦).

(٢) ما رام: أي ما برح وما فارق مجلسه؛ يقال: رام يريم؛ إذا برح وزال من مكانه، وأكثر ما يستعمل في النفي. «النهاية في غريب الحديث»، ابن الأثير (٢/ ٢٩٠).

وفي رواية ابن إسحاق: فو الله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتىٰ تغشَّاه من الله ما كان يتغشاه، فسجىٰ بثوبه، ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فو الله ما فزعت ولا باليت؛ قد عرفت أني بريئة، وأن الله عَزَّوَجَلَّ غير ظالمي، وأما أبواي فوالذي =

عليه فأَخَذَهُ ما كان يَأْخُذُهُ من البُرَحَاءِ[(١)] حتَّىٰ إِنَّه ليتحدَّر منه مثلُ الجُمان[(٢)] من العَرَقِ، وهو في يوم شاتٍ من ثِقَلِ القول الذي ينزل عليه.

قالتْ: فلمَّا سُرِّيَ[(٣)] عن رَسُولِ الله ﷺ، سُرِّيَ عنه وهو يضحكُ، فكانتْ أَوَّلُ كلمةٍ تكلَّم بها: «يا عَائِشَةُ، أَمَّا اللهُ عَزَّوَجَلَّ فقد برَّأَكِ». فقالتْ أُمِّي: قُومِي إِلَيه. قالتْ: فقلتُ لا واللهِ لا أَقُومُ إِلَيه، ولا أَحْمَدُ[(٤)] إِلَّا الله عَزَّوَجَلَّ. فأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ:

= نفس عائشة بيده ما سرِّي عن رسول الله ﷺ حتىٰ ظننت لتخرجن أنفسهما فَرَقًا من أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس. «سيرة ابن هشام» (٢/ ٣٠٢).

وفي حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري عن عائشة قالت: رُميت بالذي رميت به وأنا غافلة بينما رسول الله ﷺ عندي جالس إذ أُوحي إليه، قالت: وكان إذا أوحي إليه أخذه كهيئة السُّبات، فأوحي إليه وهو جالس عندي، ثمَّ استوىٰ جالسًا، فمسح وجهه ثم قال: «يا عائشة أبشري»، فقلت: بحمد الله لا بحمدك. «مسند عبد بن حميد» (١٥١٨).

(١) البرحاء: شدَّة الكرب من ثقل الوحي. «النهاية»، ابن الاثير (١/ ١١٣).

(٢) الجمان: اللؤلؤ الصغار. وقيل: حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ. المصدر السابق (١/ ٣٠١).

(٣) سُرِّيَ: انكشف عنه ما يجده من الهمِّ والثِّقل. «مختار الصِّحاح»، ص (٢٩٧) وفي رواية هشام بن عروة: (فرفع عنه وإني لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه ويقول: أبشري) البخاري (٦/ ٩٠) كتاب التفسير.

وفي رواية ابن حاطب: فوالذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب، ما زال يضحك حتَّىٰ إني لأنظر إلىٰ نواجذه سرورًا، ثم مسح وجهه. «تفسير الطبري» (١٨/ ٩٥).

(٤) وفي رواية ابن حاطب: «قلت: بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد أصحابك». «تفسير الطبري» (١٨/ ٩٥)، وفي رواية هشام: «أبشري يا عائشة؛ فقد أنزل الله براءتك».

قالت: وكنت أشد ما كنت غضبًا، فقال لي أبواي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا أحمدكما، ولكن أحمد الله الذي أنزل براءتي، لقد سمعتموه فما أنكرتموه، ولا غيرتموه. «البخاري» (٦/ ٩٠)، كتاب التفسير، و«الترمذي» (٥/ ١٣).

قال النووي: قالت عائشة ما قالت إدلالًا عليه، وعتبًا؛ لكونهم شكُّوا في حالها، مع علمهم بحسن طرائقها، وجميل أحوالها، وارتفاعها عن هذا الباطل الذي افتراه قوم ظالمون، ولا حجة له، ولا شبهة فيه. =



﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [سورة النور:١١-٢٠].

و. موقفُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ممَّن تكلَّم في عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

فلمَّا أَنْزل اللهُ هذا في براءَتِي، قال أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان يُنفق علىٰ مِسْطَحِ بنِ أُثَاثَةَ لقرابتِه منه وفَقْرِه: والله لا أُنْفِقُ علىٰ مِسْطَحٍ شيئًا أَبَدًا بعد الذي قال لعَائِشَةَ ما قال. فأَنْزَلَ الله: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النور: ٢٢].

= قالت: وإنما أحمد ربي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي أنزل براءتي، وأنعم عليَّ بما لم أكن أتوقعه. كما قالت: ولشأني كان أحقر في نفسي من أن يتكلم الله تعالىٰ فيّ بأمر يُتلىٰ. اهـ. «شرح مسلم للنووي» (٥/ ٦٣٨).

وقال ابن حجر: يحتمل أن تكون تمسكت بظاهر قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها: «احمدي الله»، ففهمت منه أمرها بإفراد الله تعالىٰ بالحمد فقالت ذلك، وما أضافته إليه من الألفاظ المذكورة كان من باعث الغضب. «فتح الباري» (٨/ ٤٧٧).



قال أَبُو بَكْرٍ: بلى والله، إِنِّي أُحِبُّ أَنْ يغفرَ الله لي. فرجَّع إِلَى مِسْطَحٍ النَّفقةَ التي كان يُنْفِقُ عليه، وقال: والله لا أَنْزِعُها منه أَبَدًا. قالتْ عَائِشَةُ: وكان رَسُولُ الله ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْت جَحْشٍ (١) عن أَمْرِي، فقال: «يا زَيْنَبُ، مَاذَا عَلِمْتِ أَوْ رَأَيْتِ؟» فقالتْ: يارَسُولَ الله أَحْمِي (٢) سَمْعِي وبَصَرِي، ما علمتُ إِلَّا خيرًا. قالتْ: وهي التي كانت تُسامِيْنِي (٣) مِنْ أَزْواجِ رَسُولِ الله، فعصَمها الله (٤) بالوَرَعِ (٥)، وطَفِقَتْ (٦) أُخْتُها حَمْنَةُ (٧) تُحارِبُ لها، فهلكتْ فيمَنْ هلَكَ مِنْ أَصْحاب الإِفْكِ (٨).

---

(١) هي: زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمُرَ بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بْن دودان بْن أسد بْن خزيمة الأسدية أم المؤمنين أخت أبي أحمد بن جحش، وعبد الله بن جحش، وعُبَيد الله بن جحش، وحمنة بنت جحش، وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رَسُول اللَّه ﷺ. مِنَ المُهاجِرَات الأُوَلِ.

قال أبو عُبَيدة معمر بن المثنى، وخليفة بن خياط: تزوجها رسول الله ﷺ سنة ثلاث. وَقَال قتادة، والواقدي، وبعض أهل المدينة: تزوجها سنة خمس، وكانت قبله عند زيد بن حارثة الكلبي مولى رسول الله ﷺ، وهي التي أنزل الله عزوجل في شأنها: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [سورة الأحزاب: ٣٧].

روت عَن النَّبِيِّ ﷺ، روى عنها: القاسم بن مُحَمَّد ابْن أَبِي بكر الصديق. «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي (٣٥/ ١٨٤)، «الطبقات الكبرى»، لابن سعد (٨/ ١٠١)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٢/ ٢١١).

(٢) أحمي سمعي وبصري: أي أمنعها من العذاب بسبب الكذب. «النهاية»، ابن الاثير (١/ ٤٤٨).

(٣) تساميني: أي تعاليني وتفاخرني؛ أي: تطاولني عنده ﷺ. المصدر السابق (٢/ ٤٠٥).

(٤) عصمها: حفظها ومنعها.

(٥) الورع: الكف عن المحارم والتحرج منها. «النهاية»، ابن الاثير (٥/ ١٧٤).

(٦) طفقت: شرعت.

(٧) هي: حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ بن رياب تكنى أم حبيبة، أخت زينب بنت جحش زوج النبي ﷺ، كانت من المهاجرات، كانت يوم أحد تداوي الجرحى، وتسقي العطشى، كانت تحت طلحة بن عبيد الله، فولدت له عمران بن طلحة، وكانت حمنة عند مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف الدار فولدت له ابنة وقتل عنها يوم أحد، وهي التي كانت تستحاض. «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم (٦/ ٣٢٩٣)، «الطبقات الكبرى»، لابن سعد (٨/ ٢٤١)، «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي (٣٥/ ١٥٧).

(٨) «البخاري»: كتاب التفسير، باب (لولا إذ سمعتموه...) رقم (٤٧٥٠).



كانتْ قِصَّةُ الإِفْكِ حَلْقةً مِنْ سِلْسِلَةِ فُنُونِ الإِيْذاءِ والمِحَنِ التي لقِيَها رَسُولُ الله ﷺ من أَعْداءِ الدِّين، وكان لُطْفُ الله تعالى بنبيِّه وبالمُؤْمنين أَنْ كشَف اللهُ زَيْفَها وبُطْلانَها، وسجَّل التَّاريخُ بروايات صحيحةٍ مواقفَ المُؤْمنين مِنْ هذه الفِرْيَةِ، لا سيَّما موقفَ أَبِي أَيُّوبٍ، وأُمِّ أَيُّوبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وهي مواقفُ يتأَسَّى بها المُؤْمنون عندما تَعْرِضُ لهم في حياتهم مثلُ هذه الفِرْيَةِ؛ فقد انْقَطَعَ الوَحْيُ، وبقِيَتِ الدُّروسُ؛ لتكونَ عِبْرَةً وعِظَةً للأَجْيالِ، إلَى أَنْ يَرِثَ اللهُ الأَرْضَ ومَنْ عليها(١)(٢).

○ إيذاؤهم لنساء المؤمنين وجواريهم:

ومِنْ إِشَاعة المنافقين للفاحشة إِيْذاؤُهم لنساءِ المُؤْمنين وجواريهم بالمعاكسات، وهذا الشَّأْنُ هو ما قد سبقتِ الإِشَارةُ إِلَيه كذلك فيما مضى(٣) من كون بعضِ المنافقين كانوا يتعرَّضون ليلًا لنساءِ وإِمَاءِ المسلمين عند خروجهنَّ لقضاءِ الحاجة، فيتحرَّشون بهنَّ، ويعمدون للمغازلةِ والمعاكسةِ والمضايقةِ.. كما عليه الشَّأْنُ والحالُ في زماننا.

كلُّ هذه الجوانبِ سالفةِ الذِّكْر وغيرِها من وَسَائِلِ إِشَاعة المنافقين للفاحشة في الصَّدْرِ الأَوَّلِ، فكيف هي في عصورنا المُتَأَخِّرَةِ، حيث يُروَّج للفاحشة، وتُذلَّل سُبُلُ الوُلوغ فيها عَبْرَ قنواتٍ ومواقعَ ومجلَّاتٍ ومراقصَ وأَزْياءٍ وموضاتٍ وجوَّالاتٍ وسينما ونحوِ ذلك(٤).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النور:١٩].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية» (ص ٤٤٠).
(٢) فوائد هذه الحادثة وعِبَرُها قد سبق ذكرها ص (١٩٧) وبتفصيل أوسع ص (٤٠٦).
(٣) انظر لمزيد إيضاح ص (٢٥٥).
(٤) انظر كذلك ص (٢٥٩).

تاسعًا: التحاكمُ لغير شرعِ الله تعالى:

لقد زاغتْ أُمَمٌ في الأَرْض كثيرةٌ لَّمَّا رضيتْ لنفسِها وفي سائِرِ شُئُونِها قوانينَ يُضاهِئُون بها تشريعَ الإِسْلام، ويُضادُّون بها أَحْكامَ القُرْآنِ؛ ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الجاثية:٢٣].

والعجبُ من حكوماتٍ إِسْلاميَّةٍ دِينُها الرَّسْميُّ الإِسْلاميُّ، وقضاؤُها القانونُ الفَرَنْسِيُّ، أَوِ الإِيْطاليُّ، والأَنْكى من ذلك والأَدْهى هو حملُ رُؤَسَاءِ تلك الدُّوَلِ شُعوبَهم على التَّحاكم بها، والتَّقاضي إِلَيها؛ ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة سبأ:٢٠].

قال الشَّيْخُ العلَّامةُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ عفيفيٌّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ كان منتسبًا للإِسْلام عالمًا بأَحْكامه، ثُمَّ وضَع للنَّاس أَحْكامًا وهيَّأَ لهم نُظُمًا ليعملوا بها ويتحاكموا إِلَيها، وهو يعلم أَنَّها تُخالِف أَحْكامَ الإِسْلام، فهو كافرٌ خارجٌ مِنْ مِلَّةِ الإِسْلام، وكذا من يتولَّى الحُكْمَ بها، وطبَّقها في القضايا.. ومَنْ أَطاعَهم في التَّحاكُمِ إِلَيها باخْتياره مع علمه بمخالفتها للإِسْلام، فجميعُ هؤلاء شُرَكاءُ في الإِعْراض عَنْ حُكْم الله؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء:٦٠] »[1].

أ. تحاكُمُ اليَهُودِ لغير شَرْعِ الله:

نَبَذَ اليَهُودُ كتابَ ربِّهم وراءَهم، واتَّخذوه ظهريًّا، وكان لهذا الإِعْراض أَوْجُهه المتعدِّدةُ. فمِنْ ذلك:

(١) «شبهات حول السنة ورسالة الحكم بغير ما أنزل الله» للشيخ/ عبد الرزاق عفيفي، ص(٦٤-٦٥).

هجَروا التَّوراةَ، ولاَذُوا بالسِّحْرِ يتَّبعونَه ويُعلِّمونه؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة:١٠١-١٠٢].

وليس هذا علىٰ اليَهُودِ بمُسْتَغْرَبٍ؛ فقد سحر لبِيْدُ بنُ الأَعْصَمِ اليَهُودِيُّ رَسُولَ الله ﷺ؛ فقد روىٰ البُخَارِيُّ ومُسْلِمٌ وغيرُهما عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ واللَّفْظُ لمُسْلِمٍ: سحر رَسُولَ الله ﷺ يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بني زُرَيْقٍ يُقال له لَبِيْدُ بنُ الأَعْصَمِ.

قالتْ: حتَّىٰ كان رَسُولُ الله ﷺ يُخَيَّل إِلَيه أَنَّه يفعلُ الشَّيْءَ وما يفعله، حتَّىٰ إِذَا كان ذاتَ يوم أَوْ ذاتَ لَيْلَةٍ دعا رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ دعا ثُمَّ قال: «يَا عَائِشَةُ، أَشَعَرْتِ أَنَّ اللهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فيه؟ جَاءَنِي رَجُلَانِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي، وَالْآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلَّذِي عِنْدَ رِجْلِي أَوِ الَّذِي عِنْدَ رِجْلِي لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي: مَا وَجَعُ الرَّجُلِ؟ قال: مَطْبُوبٌ. قال: مَنْ طَبَّهُ؟ قال: لَبِيْدُ بنُ الأَعْصَمِ. قال: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قال: فِي مُشْطٍ ومُشَاطَةٍ[١]. قال: وجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ[٢]. قال: فَأَيْنَ هُوَ؟ قال: فِي بِئْرِ ذِي أَرْوَانَ[٣]».

---

(١) المشط: هو آلة تسريح الشَّعر، والمشاطة: هي الشَّعْرُ الذي يسقط من الرَّأس واللِّحية عند تسريحها. «الفائق» (٤/ ٣٣٣-٣٣٤).

(٢) هو وعاء طلع النَّخيل.

(٣) هي بِئْرٌ لبني زريق في نخلهم بالمدينة. «فتح الباري» (١٠-٢٢٩-٢٣٠).



قالتْ: فأَتَاها رَسُولُ الله ﷺ في أُنَاسٍ مِنْ أَصْحابه ثُمَّ قال: يا عَائِشَةُ! «وَالله لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِيْنِ، قالتْ: فقلتُ: يا رَسُولَ الله! أَفَلَا أَحْرَقْتَهُ؟ قال: لَا، أَمَّا أَنَا فَقَدْ عَافَاني اللهُ، وكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا فَأَمَرْتُ بِهَا فَدُفِنَتْ»(١).

ويَشْتَهِرُ في إِسْرَائِيلَ حاليًا عددٌ من الحاخامات الَّذين يُمارسون السِّحْرَ، حيثُ يحتاج المَرْءُ لتحديد موعدٍ مع أَحَدِ هؤلاء الحاخاماتِ إِلَى وَقْتٍ طويلٍ، وتُشاهد أَحْيانًا طوابير مِنَ النَّاسِ أَمَامَ مقرَّاتِهم بانْتِظارِ دَوْرِ الدُّخُول(٢)، كما أَنَّ التَّلْمُودَ يَمْتلئُ بطُقوس السِّحْرِ والشَّعوذةِ والعرافةِ والخُرافة.. يقول الحاخامُ راوهنا: «كلُّ منَّا يُوجَدُ عنْ شماله أَلْفٌ من العفاريت وعنْ يمينه عشرةُ آلاف، واليهودُ هُمْ أَصْلُ السِّحْرِ مُنْذُ القِدَمِ ولهم معه طُقُوسٌ وعزائِمُ وشعوذاتٌ(٣)، فعندهم كتابٌ لذلك يُسمَّى القبالةَ أَوْ الكبالةَ، وهو عبارةٌ عن عدَّة أَسْفارٍ، وهو على قِسْمينِ: عمليٍّ ونظريٍّ، ويحتوي كلٌّ منهما على معادلاتٍ سِحْريَّةٍ ورُموزٍ جبريَّةٍ وطُرُقٍ شيطانيَّةٍ، وبه رقى وعزائِمُ(٤)... إلخ.

ب- إِعْراضُهم عن كتابِ الله وإِيْمانُهم بالجِبْتِ والطَّاغوتِ..

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: السحر، برقم: (٥٤٣٣)، ومسلم، كتاب: السلام، باب: السحر، برقم: (٢١٨٩).

(٢) ينظر: «أثر الأسفار المقدسة في انحراف اليهود».. موقع على الإنترنت www.ebnmaryam.com/holyasfar/three.htm-٢٣k.

(٣) موقع أفق على الإنترنت (السحر والأسطورة في الفكر اليهودي) لعباس الحسيني، واستمع لمزيد اطلاع لشريط ممدوح الحربي (مشط ومشاطة).

(٤) «موقف الإسلام من السحر»، لحياة سعيد عمر، دار المجتمع – جدة، (١٤١٥-١٩٩٥)، (١/ ١٣٣-١٣٤).

وَالطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾[سورة النساء: ٥١- ٥٢]. والجِبْتُ: السِّحْرُ، والطَّاغوتُ: الشَّيْطانُ[١]، قال بذلك ابنُ عُمَرَ وابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأَبُو العَالِيَةَ ومُجَاهِدٌ وعَطَاءٌ وعِكْرِمَةٌ وسَعِيْدُ بنُ جُبَيْرٍ والشَّعْبِيُّ والحسنُ والضَّحَّاكُ والسُّدِّيُّ... وأَخْرج ابنُ جَرِيْرٍ وابنُ أَبِي حَاتِم عن ابنِ عَبَّاسٍ قال: الجِبْتُ: حُيَيُّ بنُ أَخْطَبٍ، والطَّاغوتُ: كَعْبُ بنُ الأَشْرَفِ[٢]. وقال الإِمَامُ مَالِكٌ: «هو ما يُعْبَدُ مِنْ دون الله تعالى»[٣].

وعليه فاليهودُ آمنوا بالسِّحْر واتَّبعوا الشَّيْطانَ وهجَروا واطَّرحوا كتابَ خالقِهم سبحانه فلَمْ يعملوا به ولَمْ يتحاكموا إِلَيه، ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [سورة النساء: ٤٦].

جـ- تفريطُهم في التَّوراة وتحريفُهم لها:

تعرَّضتِ التَّوراةُ للفقد والضِّياعِ بسببِ التَّفْريطِ والإِهْمال، فقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ لَعَنَّـٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَـٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ﴾ [سورة المائدة: ١٣] الآية، عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ومُجَاهِدٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَنَّ المرادَ بالنِّسْيان في الآيةِ الكريمةِ ـ أَيْ: نسيانُ الكتاب[٤] وجاءَ أَنَّ النِّسْيانَ هنا تُرك عن عَمْدٍ.

قال الإِمَامُ السَّعْدِيُّ: «فإِنَّهم ذُكِّروا بالتَّوراة وبما أُنزل على مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

---

(١) «فتح الباري» (٨/ ٢٥٢).

(٢) تفسير «الدر المنثور» (٤/ ٤٨٣).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١١٥-١١٧).

(٤) أما أثر ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره»، كما في «الدر المنثور» (٣/ ٤١)، وأما أثر مجاهد أخرجه ابن المنذر وعبد بن حميد كما في «الدر المنثور» في الموضع السابق.

فنَسُوا حظًّا منه، وهذا شاملٌ لنِسْيان علمِه وأَنَّهم نَسُوهُ وضَاعَ عنهم، ولمْ يُوجَدْ كثيرٌ ممَّا أَنْساهم اللهُ إِيَّاه عقوبةً منه لهم»[1].

د ـ تغييرُهم وتبديلُهم كلامَ الله:

ومِنْ تحريفهم للتَّوراة أَنْ قامتْ طائِفَةٌ من الأَحْبارِ والكَهَنَةِ بتغيير وتبديلِ كلامِ الله تعالىٰ ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [سورة النساء: ٤٦]، عن مُجَاهِدٍ أَنَّ المرادَ بالتَّحريف: تبديلُ اليهود للتَّوراة[2].

﴿عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ أَيْ عن أَمَاكِنِه ووُجوهِه التي هي وُجُوهُه[3] وقيل إِنَّ المرادَ أَنَّهم يتأَوَّلُون التَّوراةَ علىٰ غيرِ تَأْوِيلِها مُتعمِّدين[4]، أَمَّا مَنْ يعمد لهذا التَّحْريفِ والتَّبْديلِ إِمَّا لمعناه وإِمَّا للفظِه فهُمْ علماءُ الضَّلال من اليهود[5].

لذا قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٩١].

هـ ـ أَضَافوا إِلَىٰ التَّوراة وأَنْقصوا منها:

بما تمليه عليهم أَهْواؤُهم ثُمَّ يدَّعون أَنَّ ذلك وَحْيُ الله تعالىٰ.. قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٧٨].

---

(١) «تفسير السعدي» (١/ ٢٢٥).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم (٥٣٨٩) والطبري (٥/ ١١٨) في «تفسيريهما»، وإسناده صحيح.
(٣) «تفسير الطبري» (٨/ ٤٣٢).
(٤) «تفسير القرطبي» (٥/ ٢٤٣).
(٥) «تفسير السعدي» (١/ ١٨٠).

صحَّ في الحديث عنه ﷺ أنَّه قال: «إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ وَقَسَتْ قُلُوبُهُمُ اخْتَرَعُوا كِتَابًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمُ اسْتَهْوَتْهُ قُلُوبُهُمْ واسْتَحَلَّتْهُ أَلْسِنَتُهُمْ وَكَانَ الْحَقُّ يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ كَثِيرٍ مِنْ شَهَوَاتِهِمْ، حَتَّىٰ نَبَذُوا كِتَابَ الله وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ، فقال: اعْرِضُوا هذا الكِتَابَ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَإِنْ تَابَعُوكُمْ عَلَيْهِ فَاتْرُكُوهُمْ، وإِنْ خَالَفُوكُمْ فاقْتُلُوهُمْ. قال: لَا بَلِ ابْعَثُوا إِلَىٰ فُلَانٍ -رَجُلٍ مِنْ عُلَمَائِهِمْ- فَإِنْ تَابَعَكُمْ لَنْ يَخْتَلِفَ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَحَدٌ، فَأَرْسَلُوا إِلَيْهِ فدَعَوهُ فَأَخَذَ وَرَقَةً فكَتَبَ فِيهَا كِتَابَ الله ثُمَّ أَدْخَلَهَا في قَرْنٍ ثُمَّ عَلَّقَهَا في عُنُقِهِ ثُمَّ لَبِسَ عَلَيْهَا الثِّيَابَ ثُمَّ أَتَاهُمْ فعَرَضُوا عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فقَالُوا: تُؤْمِنُ بِهَذَا. فَأَشَارَ إِلَىٰ صَدْرِهِ يَعْنِي: الْكِتَابَ الَّذِي في الْقَرْنِ، فقال: آمَنْتُ بِهَذَا ومَا لِي لَا أُومِنُ بِهَذَا فخَلَّوا سَبِيلَهُ، قال: وكَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَغْشُونَهُ فلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ أَتوهُ فلَمَّا نَزَعُوا ثِيَابَهُ وَجَدُوا الْقَرْنَ في جَوْفِهِ الْكِتَابُ، فقالوا: أَلَا تَرَوْنَ إِلَىٰ قَوْلِهِ: آمَنْتُ بِهَذَا ومَا لِي لَا أُومِنُ بِهَذَا. فَإِنَّمَا عَنَىٰ بِهَذا هَذَا الكِتَابَ الَّذِي في الْقَرْنِ. قال: فاخْتَلَفَ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ بِضْعٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً خَيْرُ مِلَلِهِمْ أَصْحَابُ أَبِي الْقَرْنِ»(١).

وقد شهِد عليهم التَّاريخُ زمنَ بَعْثَةِ النَّبِيِّ ﷺ هذا التَّحريفَ والتَّحاكُمَ لغير شرع الله تعالىٰ.

فعن ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة المائدة: ٤٤] و﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة المائدة: ٤٩]، و﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [سورة المائدة: ٤٧].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٨٢٩)، والبيهقي في «الشعب» (٧٥٨٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم: (٢٦٩٤).

قال: ابنُ عَبَّاسٍ: «أَنْزلها اللهُ في الطَّائِفتين من اليهودِ وكانتْ إِحْداهما قد قهرتِ الأُخرىٰ في الجاهليَّةِ حتَّىٰ ارْتَضَوا أَوِ اصْطلحوا علىٰ أَنَّ كلَّ قتيلٍ قتلتْه العزيزةُ من الذَّلِيْلَةِ فدِيَتُه خمسون وَسْقًا، وكلَّ قتيلٍ قتلتْه الذَّليلةُ من العزيزةِ فدِيَتُه مِائَةُ وَسْقٍ، فكانوا علىٰ ذلك حتَّىٰ قدِم النَّبيُّ ﷺ المدينةَ، فذلَّتِ الطَّائِفَتان كِلْتاهما لَمَقْدَمِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ويومئذٍ لم يظهرْ ولم يُوطِئْهما عليه وهو في الصُّلْح فقتلتِ الذَّليلةُ من العزيزةِ قتيلًا، فأَرْسَلتْ العزيزةُ إِلَىٰ الذَّليلةِ أَنِ ابْعثُوا إِلَينا بمِائَةِ وَسْقٍ، فقالتْ الذَّليلةُ: وهلْ كان هذا في حَيَّيْنِ قطُّ دِيْنُهما واحدٌ ونَسَبُهما واحدٌ وبلدُهما واحدٌ دِيَةُ بعضِهم نِصْفُ دِيَةِ بعضٍ، إِنَّا إِنَّما أَعْطيناكم هذا ضَيمًا منكم لنا وفرقًا منكم، فأَمَّا إِذْ قَدِمَ مُحَمَّدٌ فلا نُعْطيكم ذلك، فكادتِ الحَرْبُ تَهِيْجُ بينهما ثُمَّ ارْتَضَوا علىٰ أَنْ يجعلوا رَسُولَ اللهِ ﷺ بينهم ثُمَّ ذكَرتِ العزيزةُ فقالت: واللهِ ما مُحَمَّدٌ بمُعْطيكم منهم ضِعْفَ ما يُعْطِيهم منكم ولقدْ صدَقوا ما أَعْطَوْنا هذا إِلَّا ضيمًا منَّا وقَهْرًا لهم فدُسُّوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ مَنْ يَخْبُرُ لكم رَأْيَه، إِنْ أَعْطاكم ما تريدون حكَّمتموه وإِنْ لم يُعْطِكم حَذِرْتُمْ، فلم تُحكِّموه فدَسُّوا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ ناسًا من المنافقين ليَخبُروا لهم رَأْيَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فلمَّا جاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَخْبَرَ اللهُ رَسُولَه بأَمْرِهم كلِّه وما أَرَادُوا، فأَنْزل اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟﴾ [سورة المائدة: ٤١-٤٧]، إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [سورة المائدة: ٤١-٤٧]. ولقد حكَم بينهم الرَّسُولُ ﷺ بالعَدْلِ، امْتِثالًا لأَمْرِ ربِّه عَزَّوَجَلَّ فساوىٰ بينهم في الدِّيَةِ»(١).

وقد أَشَارَ ابنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إِلَىٰ تلبيس الشَّيْطان عليهم فجعلهم يُعرضون عن كتابِ ربِّهم ويَذْهَبُون من وراءِ ذلك مذاهبَ شتَّىٰ.. فقال: «إنهم يزعمون أَنَّ الفقهاءَ منهم إِذَا أَحلُّوا لهم الشَّيْءَ صار حلالًا وإِذَا حرَّموه صار حرامًا وإِنْ كان

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٢٤٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة»، برقم: (٢٥٥٢).

نصُّ التَّوراةِ بخلافه، وهذا تجويزٌ منهم لنسْختِهم ما شاءُوا من شريعة التَّوراة فحجَروا على الرَّبِّ تعالى وتقدَّس أَنْ يُنْسخَ ما يريدُ من شريعتِه وجوَّزوا ذلك لأَحْبارِهم وعلمائِهم». وقوله: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة التوبة: ٣١]. وقوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾ [سورة التوبة:٣١].. وفي الحديثِ الصَّحيح أَنَّ النَّبيَّ ﷺ تلا هذه الآيةَ على عَدِيِّ بنِ حَاتِمِ الطَّائِيِّ[١]، فقال: يا رَسُولَ الله لَسْنَا نَعْبُدُهم. قال: «أَلَيْسَ يُحِلُّونَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ اللهُ فتُحِلُّونَهُ ويُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللهُ فتُحَرِّمُونَهُ؟» قال: بلى. قال النَّبِيُّ ﷺ: «فتِلْكَ عِبادَتُهُمْ»[٢].

كما نزهت النَّصارى بطاركتهم عن الصَّاحبةِ والولدِ ولم يتحاشوا مِنْ نِسْبة ذلك إِلَى الله سبحانه.. وكما نزهت الفِرْعُونيَّةُ من الجهميَّةِ الرَّبَّ سبحانه أَنْ يكون مستويًا على عرشه، لئَلَّا يلزم الحَصْرُ، ثُمَّ جعَلوه سبحانه في الآبارِ والحاناتِ وأَجْواف الحيوانات[٣].

و ـ لَبْسُهم الحقَّ بالباطل:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُواْ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٤٢] .. قال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «لا تخلطوا الحقَّ بالباطلِ والصِّدْقَ بالكذبِ»[٤]..

وقال أَبُو الْعَالِيَةَ: «لا تخلطوا الحقَّ بالباطلِ وأَدُّوا النَّصيحةَ لعباد الله مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ»[٥].

---

(١) هو أبو طريف، وقيل: أبو وهب عدى بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن حشرج بن امرئ القيس بن عدى بن ربيعة بن جرول كان نصرانيا فأسلم رُوى له عن رسول الله – ﷺ – ستة وستون حديثًا وتوفى بها سنة تسع وستين «الإصابة» (٤/ ٣٨٨)

(٢) أخرجه الترمذي، كتاب: التفسير، باب: سورة براءة، برقم: (٣٠٩٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة»، برقم: (٣٢٩٣).

(٣) «إغاثة اللهفان» (٢/ ٤٤٨-٤٤٩) لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٤) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١/ ٢٥٤) وفيه بشر بن عمارة ضعيف.

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٢٥٤).



إِنَّ المُتَأَمِّلَ للقضايا سالفةِ الذِّكْر يجِد أَنَّهَا بمجموعِها تُشير إِلَى تحكيم وتحاكُم أُمَّةِ يهودٍ لأَهْوائِهم وما تُمْلِيه عليهم شهواتُهم وما صدَّقوا واتَّبعوا فيه أَحْبارَهم فيما حرَّفوه وبدَّلوه ممَّا اشترَوا به ثمنًا قليلًا، ولقد شهِد علماءُ اليهودِ على أَنَّ التَّوراةَ التي بين أَيْديهم الآن قد طالها التَّحْريفُ والتَّغْييرُ.

يقول السَّمَوْأَلُ بنُ يَحْيىٰ[1] بعدما أَسْلَمَ ـ وقد كان من كِبار أَحْبارِهم ـ «علماؤُهم وأَحْبارُهم يعلمون أَنَّ هذه التَّوراةَ التي بين أَيْديهم لا يعتقد أَحَدٌ مِنْ علمائِهم وأَحْبارِهم أَنَّهَا المنزَّلةُ على مُوسَىٰ البتَّةَ لأَنَّ مُوسَىٰ صَانَ التَّوراةَ عن بني إِسْرَائِيلَ ولم يَبُثَّهَا فيهم، وإِنَّما سلَّمها إِلَى عشيرتِه أَوْلادِ ليوىٰ.. ولم يَبْذُلْ مُوسَىٰ من التَّوراةِ لبني إِسْرائِيلَ إِلَّا نِصْفَ سُورةٍ يُقال لها: ها أَزينو وهؤلاء الأَئِمَّةُ الهارونيُّون الذين كانوا يعرفون التَّوراةَ ويحفظون أَكْثرَها قتَلهم بُخْتُ نَصَّر[2] على دمٍ واحدٍ يوم فتْح بيت المَقْدِسِ ولم يكن حِفْظُ التَّوراة فرضًا ولا سُنَّةً، بلْ كان كلُّ واحدٍ من الهارونيِّين يَحْفَظُ فصْلًا من التَّوراة»[3].

وقال الإِمَامُ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واليهود تُقِرُّ أَنَّ السبعين كاهنًا اجتمعوا على اتِّفاقٍ مِنْ جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفًا من التَّوراةِ وذلك بعد المَسِيح، في عهدِ القياصرةِ الذين كانوا تحتَ قَهْرِهم، حيثُ زَالَ المُلْكُ عنهم ولم يبق لهم مَلِك يخافونه

(١) هو السموأل بن يحيىٰ بن عباس المغربي: مهندس رياضي، عالم بالطب والحكمة مصنّفاته وعدّتها خَمْسَة وَثَمَانُونَ مصنّفًا فِي الْحساب والمساحة والجبر والهندسة والنجوم والطبّ وَالْأَدب وتوفيّ فِي حُدُود سنة سِتّ وَسبعين وَخمس مائَة «الوافي بالوفيات» (١٥/ ٢٧٦)

(٢) هو بخت نصر بن بيت بن جوذرز الملك البابلي. دخل دمشق ومضىٰ منها إلىٰ بيت المقدس فخرّبها وسبىٰ أهلها وحملهم إلىٰ بابل وقيل إنه آمن بعد ذلك. وقال بعضهم: قتل الأنبياء، وحرّق الكتب، وخرّب بيت المقدس، فلن تقبل منه التوبة. «تاريخ دمشق» (٧١/ ٣٤٢)

(٣) «إفحام اليهود» ص (١٣٥-١٣٧).

ويَأْخُذُ علىٰ أَيْدِيهم ومَنْ رضِي تبديلَ موضعٍ واحدٍ مِنْ كتاب الله فلا يُؤْمَنُ منه تحريفُ غيرِه»(١).

ويقول نولدكه(٢): «جُمِعَت التَّوراةُ بعد مُوسَىٰ بتسعمِائَةِ سَنَةً وقد استغرق تَأْلِيفُها وجَمْعُها زمنًا متطاولًا تعرَّضتْ حيالَه للزِّيادة والنَّقْصِ، وإنَّه من العسيرِ أَنْ نَجِدَ كلمةً مُتكاملةً في التَّوراة ممَّا جاءَ به مُوسَىٰ، لأَنَّ التَّوراة لم تُدوَّنْ في عهده ولا في الجِيل الذي تلاه»(٣).

وجاءَ في دائرَةِ المعارفِ الفَرَنْسِيَّةِ تحت عنوان «توراة» : إِنَّ العلمَ العصريَّ ولا سيَّما النَّقد الأَلْماني قد أَثْبَتَ بعدَ أَبْحاثٍ مُستفيضُةٍ في الآثار القديمةِ والتَّاريخِ وعلم اللُّغات أَنَّ التَّوراةَ لم يَكْتُبْها مُوسَىٰ وإِنَّما كتَبها أَحْبارٌ لم يذكروا اسْمَهم عليها، أَلَّفوها علىٰ التَّعاقب معتمدين في تَأْلِيفِها علىٰ رِواياتٍ سماعيَّةٍ سمِعوها قبلَ أَسْرِ بابل»(٤).

ز. تحاكُمُ الرَّافضة لغير شرع الله تعالىٰ.

يزعم الرَّافضةُ أَنَّهم يَصْدُرُون عن الكتابِ والسُّنَّةِ في مجالِي العقيدةِ والشَّريعةِ.. كذلك يَصْدُرُونَ عن أَحاديثِ الأَئِمَّةِ من أَهْلِ البيت.. ويعتقدون حُجِّيَّةَ أَقْوالِهم

---

(١) «هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ»، ابن القيم الجوزية، تحقيق: مصطفىٰ أبو النصر الشلبي، مكتبة الوادي – جدة، الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٨–١٩٨٨، ص (١٠٦).

(٢) اسمه تيودور نولدكه من أكابر المستشرقين الألمان ولد في هاربورج (بألمانيا) سنة ١٢٥١هـ ١٨٣٦م وتعلم في جامعات غوتنجن وفِينَّه، وليدن، وبرلين، وانصرف إلىٰ اللغات السامية والتاريخ الإسلامي، وكان يجيد اللغات الشرقية كلها كالعربية والآرمية والعبرية والصابئية والحبشية وغيرها،... قال عنه الأب أنستاسي الكرملي: لم نجد بين حملة العلم المعاصرين من بلغ تحقيقه، توفي سنة ١٣٤٩هـ ١٩٣٠م الزركلي: «الأعلام» (٢/ ٩٦).

(٣) «اللغات السامية»، المؤلف: أ. ولفنسون، الناشر: بيروت،، دار القلم، ١٩٨٠ بواسطة «أضواء علىٰ اليهودية من خلال مصادرها»، د/ محمد أحمد دياب عبد الحافظ ط دار المنار ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م ص (١٤٥).

(٤) «دائرة المعارف الفرنسية» بواسطة د/ محمد أحمد دياب، «أضواء علىٰ اليهودية» ص(١٤٥).



وأَفْعالِهم وتقريراتِهم، ذلك لأَنَّهم وعاةُ عِلْم النَّبيِّ ﷺ وهُمُ العِتْرَةُ الطَّاهرةُ.. ومما يدلُّ على تحاكُمِ الشِّيْعة إِلَىٰ غير كتابِ الله وسُنَّةِ رَسُولِه ﷺ:

١ـ كتب منزلة:

لا شكَّ لدىٰ المسلمين جميعًا أَنَّ القُرْآنَ هو الكتابُ المُنَزَّلُ من عند الله علىٰ رَسُولِه ﷺ إِلَّا أَنَّ الرَّافضةَ قد زعموا أَنَّ كتُبًا أُخْرىٰ قد نزلَتْ هي الأُخْرىٰ علىٰ النَّبيِّ ﷺ وأَنَّه اخْتصَّ بها عَلِيًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فمِنْ هذه الكتُبِ.

أ ـ «الجامعة»: كتابٌ زعم الرَّافضةُ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ اخْتصَّ به عَلِيًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فعن أَبِي بَصِيرٍ [(١)]، عن أَبِي عَبْدِ الله [(٢)] قال: أَنَا مُحَمَّدٌ وإِنَّ عندنا الجامعةُ وما يُدريهم ما الجامعةُ؟! قال: قلتُ: جُعلتُ فِداك، وما الجامعةُ؟ قال: صحيفةٌ طولُها سبعون ذراعًا بذراع رَسُولِ الله صلَّىٰ الله عليه وآله، وقد خطَّ عَلِيٌّ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ بيمينه فيها كلَّ حلالٍ وحرامٍ، وكلَّ شَيْءٍ يحتاج النَّاسُ إِلَيه حتَّىٰ الأَرْشِ في الخَدْشِ... إلخ[(٣)].

هذه الجامعةُ يتوارثُها الرَّافضةُ جِيْلًا بعدَ جِيْلٍ ولسْتُ أَدْري إِذَا كانتْ الجامعةُ لها حقيقةٌ أَمْ لا.. ثُمَّ لِمَاذَا أُخْفِيَتْ وفيها كلُّ ما يحتاج النَّاسُ إِلَىٰ يوم القيامة أَلَيْسَ هذا كِتْمانًا للعلم..

---

(١) هو أبو بصير الصحابي، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: اسمه عتبة بن أسيد ، مشهور بكنيته، توفي في حياة رسول الله ﷺ ، وكانت وفاته بسيف البحر وهي ساحله في الموضع الذي أقام فيه، وجاءه المستضعفون، وكان هو، كبيرهم، وقصته مشهورة في صحيح البخاري وغيره. «الإصابة» (٤/ ٣٥٩) و«تهذيب الأسماء» (٢/ ١٨٠)

(٢) هو الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي أبو عبد الله المدني سبط رسول الله ﷺ وريحانته من الدنيا وأحد سيدي شباب أهل الجنة قتل الحسين يوم عاشوراء سنة إحدىٰ وستين «تهذيب التهذيب» (٢/ ٣٤٥)، و« موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام» للسقاف (٥/ ٣٠٣)

(٣) «الكافي» (١/ ٢٣٩) للكليني، و«بحار الأنوار» (٢٦/ ٢٢) للمجلسي.

ب ـ صحيفةُ «**النَّاموس**»: وفيها أَسْماءُ الشِّيْعة إِلَىٰ يوم القيامة وأَسْماءُ أَعْدائِهم(١).

فتأَمَّلْ -يا رعاك الله! مثلَ هذا الهُراءِ أَيُّ عقلٍ يَقْبَلُه.. فكمْ سنحتاج من الكمبيوترات والذَّاكراتِ حتَّىٰ يَسَعَها استيعابُ أَسْماءِ مَنْ سبَق ومَنْ بقِي مِنْ أَسْماءِ الرَّافضة وأَعْدائِهم...

ج ـ صحيفةُ «**العبيطة**»: وهي مُخْتصَّةٌ بقبائِلِ العَرَبِ(٢).

د ـ صحيفةُ «**ذُؤَابةُ السَّيْف**»: وهي التي فيها الأَحْرُف التي كلُّ حرفٍ منها يَفْتح أَلْفَ حرفٍ(٣).

هـ ـ «**الجفرُ**»: وهو نوعان: (أَبيضُ وأَحْمرُ).. عن أَبِي العلاءِ (٤) قال سمعتُ أَبَا عَبْدِ الله عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «إِنَّ عندي الجَفْرُ الأَبْيَضُ، قال فقلتُ: أَيُّ شَيْءٍ فيه؟ قال: زبورُ دَاوُدَ، وتوراةُ مُوسَىٰ، وإِنْجيلُ عِيْسَىٰ، وصُحُف إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والحلالُ والحرامُ.. وعندي الجَفْرُ الأَحْمَرُ. قال قلتُ: وأَيُّ شَيْءٍ في الجَفْرِ الأَحْمَرِ؟ قال: السِّلاحُ وذلك إِنَّما يُفتَحُ للدَّم يفتحه صاحبُ السَّيْفِ للقَتْل، فقال له عَبْدُ الله بنُ أَبِي اليَعْفُورِ (٥): أَصْلَحَكَ الله، أَيَعْرِفُ هذا بنو الحَسَنِ؟ فقال: أَيْ والله كما يعرفون

---

(١) «بحار الأنوار» (٢٥/ ١١٧).

(٢) «بحار الأنوار» (٢٦/ ٣٧).

(٣) «بحار الأنوار» (٢٥/ ٣٦).

(٤) هو الحسين" بن أبي العلاء الحفار ذكره الطوسي في رجال الصادق من الشيعة روىٰ عنه علي بن الحكم وروىٰ هو عن يحيىٰ بن القاسم وذكر في مصنفي الشيعة. «لسان الميزان» (٢/ ٢٩٩) وانظر: «الأصول من الكافي» (١/ ٢٤٠).

(٥) هو عبد الله بن أبي يعفور: وهو من ثقات الرافضة ويذكرون أن الصادق رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ قال فيه: "ما أحد أدىٰ إلينا ما افترض الله عليه فينا إلا عبد الله بن أبي يعفور" (رجال الكشي ٢١٥، تنقيح المقال ٢/ ١٦٦، معجم رجال الحديث ١٠/ ٩٩، جامع الرواة ١/ ٤٦٧).

اللَّيْلَ أَنَّه ليلٌ والنَّهارَ أَنَّه نهارٌ، ولكنَّهم يحملهم الحَسَدُ وطلبُ الدُّنْيا علىٰ الجُحودِ والإِنْكارِ، ولو طلبوا الحقَّ بالحقِّ لكان خيرًا لهم»(١).

وقد سَأَلْتُ مولانا الرَّاحلَ الإِمَامَ الخوئِيَّ (٢) عن الجفرِ الأَحْمر، من الذي يفتحه ودمُ مَنْ الذي يُراق؟ فقال: يفتحه صاحبُ الزَّمان عجَّل الله فرجَه، ويُريقُ به دِماءَ العامة النَّواصبِ -أَهْلِ السُّنَّةِ- فيُمزِّقهم شذْرَ مَذْرَ ويجعلُ دماءَهم تجري كدِجْلة والفُراتِ، ولَينتقمنَّ مِنْ صنميْ قُرَيْشٍ -يَقْصِدُ أَبَا بَكْرٍ وعُمَرَ- وابْنَتَيْهما -يَقْصِدُ عَائِشَةَ وحَفْصَةَ- ومِنْ نَعْثَلٍ -يَقْصِدُ عُثْمانَ- ومن بني أُمَيَّةَ والعبَّاسِ فينبش قبورَهم نبشًا، قلتُ إِنَّ قولَ الإِمَامِ الخوئِيِّ فيه إِسْرافٌ، إِذْ أَهْلُ البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أَجَلُّ وأَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَنْبُشُوا قبْرَ ميِّتٍ مضىٰ علىٰ موته قُرونًا طويلةً.

إِنَّ الأَئِمَّةَ -سلامُ الله عليهم- كانوا يُقابلون إِساءَةَ المُسِيءِ بالإِحْسان إِلَيه والعفوِ والصَّفْحِ عنه، فلا يُعْقَلُ أَنْ ينبُشوا قبورَ الأَمْوات لينتقموا منهم، ويقيموا عليهم الحدودَ، فالميِّتُ لا يقام عليه حدٌّ، وأَهْلُ البيت -سلامُ الله عليهم- عُرفوا بالوداعةِ والسَّماحةِ والطِّيبِ(٣).

وتعتقد الرَّافضةُ أَنَّ هذا الجفرَ مكتوبٌ علىٰ جِلْدِ المَعْزِ في خمس وثلاثين صحيفةً ويحتوي علىٰ ثمانية وعشرين بابًا أَوَّلُ أَبْوابِه مُتَّصلةٌ برموز الكواكب كما أَنَّ فيه ادِّعاءُ علم الغيب(٤).

---

(١) «أصول الكافي» (١/ ٢٤).

(٢) أبو القاسم الموسوي الخوئي يلقبونه بالإمام الأكبر والآية العظمىٰ، زعيم الحوزة العلمية، يعيش حاليًا في العراق، من تآليفه معجم رجال الحديث، البيان في تفسير القرآن « أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية » (١/ ٢٤٧) و« موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام» (٥/ ٣٨٥)

(٣) لله ثم للتاريخ (كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار)، للسيد حسين الموسوي من علماء النجف، بدون طبعة ولا تاريخ ص (٦٣-٦٤).

(٤) «الشهب الحارقة» (٤٤).

وبما أَنَّ هذا الكتابَ يدور علىٰ الطلاسم والشعوذاتِ والسِّحْرِ فهذا يُشير إِلَىٰ مدىٰ التَّشابُهِ بين الرَّافضةِ واليهودِ في هذا الباب..

والواقعُ أَنَّ عقيدةَ الشِّيْعة في الجفر قد تسرَّبتْ عن طريق اليهودِ وإِنْ كان أَصْلُها يرجع إِلَىٰ الفلسفة الفيثاغورسيَّةِ في الأَعْداد[(١)].

٢ـ لأئِمَّتهم حقُّ التّحْليل والتّحْريم:

فقد ذكَر الكلينيُّ[(٢)] والمجلسيُّ[(٣)]: «أَنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خلق مُحَمَّدًا وعَلِيًّا وفَاطِمَةَ فمكثوا أَلْفَ دَهْرٍ ثُمَّ خلَق جميعَ الأَشْياءِ فأَشْهَدَهم خلقَها وأَجْرىٰ طاعتَهم عليها وفوَّض أُمُورَهم إِلَيها فهم يُحِلُّون ما يشاءُون ويُحرِّمون ما يشاءُون»[(٤)].

وليس هذا بمُسْتغربٍ في حقِّ أَئِمَّتِهم إذْ يقول الخمينيُّ[(٥)]: «إِنَّ للإِمَامِ مقامًا محمودًا ودرجةً ساميةً وخلافةً تكوينيَّةً تخضَع لوَلَايَتِه وسيطرتِه جميعُ ذرَّات الكون».

---

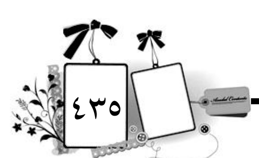
(١) «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب»، الندوة العالمية للشباب الإسلامي – الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٩-١٩٨٩، (٢/ ١٠٤٧ – ١٠٤٨).

(٢) هو محمد بن يعقوب الكليني، ولد في مدينة كُلين، وهي في إيران، يُعد، عندهم، من أفاضل حملة الأدب وفحول أهل العلم وشيوخ رجال الفقه وكبار أئمة الإسلام توفىٰ سنة ٣٢٩هـ، علىٰ خلاف عندهم وهو صاحب كتاب «أصول الكافي». «الكنىٰ والألقاب» (٣/ ٩٩)، «الاكمال» لابن ماكولا (٧/ ١٤٤).

(٣) هو محمد باقر بن محمد باقر المجلسي الثاني، الاصفهاني. محدث، فقيه، مؤرخ، مشارك في علوم. ولد وتوفي باصفهان. من تصانيفه الكثيرة : كتاب التوحيد و الحق اليقين في اصول الدين، «معجم المؤلفين» (٩/ ٩١)

(٤) «أصول الكافي» (١/ ٤٤١)، و«بحارالأنوار» (٢٥/ ٣٤٠).

(٥) هو آية الله الخميني: من رجالات الشيعة المعاصرين، قاد ثورة شيعية في إيران تسلمت زمام الحكم، وله كتاب كشف الأسرار وكتاب الحكومة الإسلامية. وقد قال بفكرة ولاية الفقيه هلك الخميني في عام ١٩٨٩م، «موسوعة فرق الشيعة» و«الثورة البائسة»للموسوي (١٤٧).



وقال في موضع آخَرَ: «إنَّ لنا مع الله حالاتٍ –أَيْ: الأَئِمَّةِ الإِثْني عشر– لا يَسَعُها لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرْسَلٌ»[(١)].

وجاءَ في «بحار الأنوار» عن الإِمَام الصَّادقِ[(٢)] أَنَّه قال: «والله لقد أُعْطينا عِلْمَ الأَوَّلين والآخرين. فقال له رجلٌ مِنْ أَصْحابه: جُعلتُ فِداك أَعِنْدَكُمْ عِلْمُ الغيب؟ فقال له: وَيْحَكَ إِنِّي لأَعْلَمُ ما في أَصْلاب الرِّجال وأَرْحامِ النِّساءِ... فنحنُ حُجَّةُ الله في خلْقه[(٣)].

وفي «الكافي» عن عَبْدِ الله بنِ بِشْرٍ[(٤)] عن أَبِي عَبْدِ الله أَنَّه قال: «إِنِّي لأَعْلَمُ ما في السَّمواتِ وما في الأَرْضِ وأَعْلَمُ ما في الجَنَّةِ وما في النَّارِ وأَعْلَمُ ما كان وما يكون... الخ»[(٥)].

فأَئِمَّةٌ يعلمون الغيبَ ولديهم أَسْماءُ أَهْلِ الجَنَّةِ والنَّارِ و... من باب أَوْلىٰ وأَحْرىٰ أَنْ يكونَ بأَزِمَّتِهم حقُّ التَّحْليل والتَّحْريم كما شاءُوا ومتىٰ شاءُوا..

قال شيخُ الإِسْلام ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والرَّافضةُ تزعم أَنَّ الدِّينَ مُسلَّمٌ للأَحْبارِ والرُّهْبانِ فالحلالُ ما حلَّلوه والحرامُ ما حرَّموه والدِّيْن ما شرَعوه»[(٦)].

---

(١) ينظر: «تحرير الوسيلة» (٥٢، ٩٤).

(٢) هو جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الهاشمي أبو عبد الله، المعروف بجعفر الصادق. قال عنه الذهبي: أحد الأئمة الأعلام، بر صادق كبير الشأن لم يحتج به البخاري. وقال أبو حاتم: ثقة لا يسأل عن مثله. توفي سنة (١٤٨ هـ). «ميزان الاعتدال» (١/ ١٩٢).

(٣) «بحار الأنوار» (٢٦/ ٢٧-٢٨).

(٤) هو كذا في جميع النسخ: بن بشر، بالشين المعجمة، ومثله في سنن ابن ماجه (٢ / ٩٣٩) . لكن أكثر كتب التراجم تسميه: ابن بسر، بالسين المهملة. وهو عبد الله بن بسر السكسكي الحبراني الحمصي، ضعيف، ضعفه أبو حاتم وجماعة «تهذيب التهذيب» (٥/ ١٥٩).

(٥) الكليني في «أصول الكافي» (١/ ٢٦١)، والمجلسي في «بحار الأنوار» (٢٦/ ٢٨).

(٦) ينظر: «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية»، شيخ الإسلام ابن تيمية، الطبعة الأولى، الطبعة الأميرية الكبرىٰ، بولاق، مصر (١٣٢١هـ) (١/ ٤٨٢).

٣ـ مصحف فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:

ممَّا يُشير إِلَى أَنَّ للشِّيْعة تشريعاتٍ وقضاءً ليس على هدْي مِنْ كتابٍ ولا سُنَّةٍ لأَنَّ عندهم ما يُسمُّونه بمُصْحف فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.. رَوَوْا عن عَلِيِّ بنِ سَعِيْدٍ (١) عن أَبِي عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّه قال: «مُصْحفٌ فيه مثلُ قُرْآنِكم هذا ثلاثَ مرَّاتٍ والله ما فيه مِنْ قُرْآنِكم حرفٌ واحدٌ قال: قلتُ: هذا والله العِلْمُ قال: إِنَّهُ العِلْمُ»(٢).

وفي هذا المصحفِ كما زعموا عِلْمُ الغيب وفِقْهُ الحدودِ والدِّياتِ والذي نزَل به جِبْرِيلُ وإِسْرَافِيلُ ومِيكَائِيلُ وهو اليوم عند إِمَامِهم الغائِبِ(٣).

٤. زعمُهم أنَّ القرآنَ مُحرّفٌ:

مِنْ أَعْظم الشَّواهد على أَنَّ مرجعيَّةَ الشِّيْعة ليس الكتابَ والسُّنَّةَ ما يلي:

لقد زعمت الرَّافضةُ أَنَّ القُرْآنَ الذي بأَيْدِينا قد طاله التَّحْريفُ والتَّبديلُ والحذفُ والزِّيادةُ، والذين أَقْدموا على ذلك بزَعْمِهم صحابةُ رَسُولِ الله ﷺ وفي مقدِّمتِهم أَبُو بَكْرٍ وعُمَر وعَثْمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمعين.

من علماءِ الشِّيْعة الذين قالوا بتحريف القُرْآنِ: القميُّ(٤) في مقدمة «تفسيره» (٣٦-٣٧)، ونعمةُ الله الجزائِرِيُّ (٥) في كتابه «الأنوار النعمانيَّة»، حيث يقول: «ولا

---

(١) هو علي بن سعيد بن مسروق الكندي أبو الحسن الكوفي. قال أبو حاتم: صدوق. وقال النسائي: ثقة. وفي موضع آخر: لا بأس. «تهذيب التهذيب» (٧/ ٣٢٦).

(٢) «أصول الكافي» (١/ ٢٣٩).

(٣) «الشهب الحارقة» (٤٦).

(٤) هو علي بن إبراهيم بن هاشم القمي (أبو الحسن) ، من مفسري الشيعة ومحدثيهم وفقهائهم، أخذ عنه الكليني. ومن آثاره: «تفسير القرآن» من أبرز القائلين بتحريف القرآن توفي ٣٢٤هـ. «الفهرست» لابن النديم (٣١١) و«الفهرست» للطوسي (١١٥)

(٥) هو: نعمة الله بن عبد الله الحسيني الجزائري الشيعي الإمامي. عالم، أديب، من أهل جزائر البصرة. =

تعجب مِنْ كثرة الأَخْبارِ الموضوعةِ فإنَّهم بعد النَّبيِّ ﷺ قد غيَّروا وبدَّلوا في الدِّين ما هو أَعْظمُ مِنْ هذا، كتغييرهم القُرْآنَ وتحريفِ كلماتِه وحذف ما فيه مِنْ مدائح آل الرَّسُولِ والأَئِمَّةِ الطَّاهرين وفضائحِ المنافقين وإِظْهارِ مساويهم كما سَيَأْتي بيانُه في نور القُرْآنِ»[١].

وللفائِدَةِ: إِذَا ذكَرت الرَّافضةُ المنافقين فلا يقصدون إِلَّا الصَّحابةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

والفيضُ الكاشانيُّ[٢] في كتابه «الصَّافي» وهو من كِبار مُفسِّريهم[٣].

فيا عجبًا كيف يزعم الشِّيْعةُ تحاكُمَهم للقُرْآنِ وقد زعموا أَنَّه محرَّفٌ مبدَّلٌ.. إِنَّه التَّناقُضُ الواضحُ.

كلُّ هذه الشَّواهدِ والدَّلائِلِ الماضيةِ تُبيِّن ما عليه حال الشِّيْعة من تحاكُمِهم لغير شرع الله المُطهَّرِ وسُنَّةِ نبيِّه ﷺ إِذْ كيف يتحاكمون إِلَىٰ سُنَّةِ المُصْطَفَىٰ ﷺ وهُمْ قد كَفَّروا نقلتَها ومُبلِّغيها إِلَىٰ الأُمَّةِ. بلْ إِنَّ ممَّا يُؤَكِّد أَنَّ للشِّيْعة شريعةً وقضاءً مستقلًّا عن الكتاب والسُّنَّةِ مطالبتُهم في السُّعوديَّة وغيرِها بمحاكم قضائِيَّةٍ خاصةٍ بِهم[٤].

= من تصانيفه: الأنوار النعمانية في معرفة النشأة الإنسانية، رياض الأبرار في مناقب الأئمة الأطهار. «معجم المؤلفين» (١٣/ ١١٠)، «روضات الجنات » للخوانساري (٨/ ١٥٠).

(١) «الأنوار النعمانية»، نعمة الله الموسوي الجزائري، مطبعة شركة جاب تبريز - إيران (١/ ٩٧).

(٢) هو محمد بن مرتضي المعروف بملا محسن الفيض الكاشاني، طعن عليه بعض شيوخ الشيعة واتهمه بالمروق والزندقة، وعظمه البعض الآخر، زعموا أن له (٢٠٠) مصنف منها: ، «قرة العيون» ، وغيرها. توفي في كاشان سنة ١٠٩١هـ. انظر: «لؤلؤة البحرين» (١٢١) ، «روضات الجنات» (٦/ ٧٩) .

(٣) انظر: لمزيد اطلاع «الشهب الحارقة» فقد أورد العديد من أسماء علمائهم القائلين بتحريف القرآن (٤١-٤٣).

(٤) «مذكرة الرافضة في بلاد التوحيد» للدكتور ناصر العمر. لم تطبع.

إِنَّ كلَّ من له أَدْنىٰ اطِّلاع علىٰ عقائِدِ الرَّافضة في توحيد الرُّبوبيَّةِ أَوْ الأُلُوهيَّةِ أَوْ الأَسْماءِ والصِّفاتِ أَوْ في الأَضْرحةِ وقبورِ الأَوْلياءِ أَوْ في الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَوْ في الأَئِمَّة الإِثْنيْ عشر أَوْ... إلخ، يجِد أَنَّ عقيدةَ القوم في وادٍ وعقيدة أَهْلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في وادٍ آخرَ، فالخلافُ بيننا وبينهم في الأُصُولِ ناهيك عن الفُرُوع، أَمَّا في التَّشْريعاتِ والأَحْكامِ فبُعْدُ ما بيننا وبينهم كما بين المَشْرِقِ والمَغْرِبِ، ولا أَدلَّ علىٰ ذلك ولا أَصْرَحُ مِنْ نكاحِ المُتْعَةِ الذي هو زِنًىٰ صريحٌ، ومِنْ جواز الشُّذوذِ الجِنْسِيِّ عندهم مع الصِّبْيان ونحوِ ذلك ممَّا لا تطيقه الأَقْلامُ ولا تقوىٰ علىٰ تَسْطِيره[1].

ج. تحاكمُ المنافقين لغير شرع الله تعالىٰ:

قد سبَق حديثٌ حولَ هذه القضيَّةِ ممَّا لا يَدَعُ مجالًا للشَّكِّ في تقاضي وتحاكمِ المنافقين إِلَىٰ الطَّاغوت إِلَّا في حالة كون الحقِّ لهم فإِنَّهم يجيئُون إِلَىٰ الشَّرْع مُذْعنين طائِعين.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء: ٦٠][2].

لقد كان المنافقون من الإِعْراضِ عن شرع الله بمكانٍ كيف لا وقلوبُهم لم تَطْمَئِنَّ بَعْدُ بالإِيْمانِ ولم يُخالِجْها الإِسْلام! كيف لا وهُمْ بعدُ لم يُقِرُّوا ولم يُذْعِنُوا ويَخْضَعُوا ويَسْتَسْلِمُوا لعَدْلِ وإِنْصافِ رَسُولِ الله ﷺ فيما سيقضي به بينهم! ﴿أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة النور: ٥٠].

وبضِدِّها تتميَّز الأَشْياءُ فها هُمُ المُؤْمنون حقًّا والموقنون صدقًا قد أَثْنىٰ عليهم

---

(١) انظر كتاب «سياحة في عالم التشيع» للإمام محب الدين الكاظمي من ص (١٠٥-١٠٨).

(٢) انظر من البحث ص (٩٣-٩٤-٩٥) حيث بيان أسباب النزول وكلام أهل التفسير حول الآية الكريمة.



المولى سبحانه بعد هذه الآية ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة النور:٥١].

يقول سماحةُ الوالدُ الشَّيخُ عَبْدُ العَزيزِ بنُ بَازٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَمَّا تحكيمُ القوانين والأَعْرافِ القبليَّةِ فهذا لا يجوز، والواجبُ التَّحاكمُ إِلَىٰ تحكيم شرْعِ الله كما قال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [سورة النساء: ٦٥]، والواجبُ علىٰ جميع الدُّوَلِ المدَّعية للإِسْلام أَنْ تُحكِّم شَرْعَ الله وأَنْ تدعَ تحكيمَ القوانين، وعلىٰ القبيلةِ أَيِّ قبيلةٍ أَنْ ترجعَ إِلَىٰ حُكْم الله ولا ترجع إِلَىٰ قوانينِها وأَعْرافِها وسوالفِ آبائِها»(١).

عاشرًا: الحقد والكراهية.

صفة لا تنمُّ إِلَّا عن نفسٍ مريضةٍ وفُؤَادٍ عليلٍ وبُغْضٍ دفينٍ وحسدٍ مُسْتحكمٍ..

الحِقْدُ والكراهيةُ قبحٌ طافحٌ وداءٌ عُضالٌ لا يستبطنه إِلَّا مَنْ عَرِي من الخير وتجرَّد من الإِحْسان ورضِي لنفسه الهَوانَ.. يظلُّ في القلب كامنًا حتَّىٰ إِذَا تعاظم وبلَغ مداه تنفَّس عن تصرُّفاتٍ آثمةٍ.. وفِعالٍ فاسدةٍ.. وتعامُلاتٍ ساقطةٍ.. وأَخْلاقيَّاتٍ سافلةٍ تُتَرجِمُ بمجموعِها ما اعْتَورَ في الفُؤَادَ وأَحاط به من حِقْدٍ وكراهيةٍ وحسدٍ وضغينةٍ وبَغْضاء وعداوةٍ.. وما سيرةٌ ناصعةٌ.. ولا شواهدُ جليَّةٌ تصلحُ أَنْ تكونَ مثالًا علىٰ ذلك وشاهدًا كما الذي عليه حالُ اليهودِ تُجاهَ المسلمين وغيرِهم وشَأْنُ الرَّافضة مع أَهْلِ السُّنَّةِ..

أ. حِقْدُ وكراهيةُ يَهُودٍ.

لقد تمثَّل هذا الخُلقُ في الشَّخْصيَّةِ اليهوديَّةِ حتَّىٰ كان لهم من الجرائِمِ ما يدلُّ علىٰ

---

(١) فتوىٰ للشيخ عبد العزيز بن باز في التحاكم إلىٰ القوانين العرفية والقبلية.



ذلك ويُشير إِلَيه فلم يُصبح مجرَّد داءٍ كامنٍ وعلَّةٍ مُستحكمةٍ.. وإِنَّما جرائِمُ مُنظَّمةٌ واعْتداءَاتٌ صارخةٌ ومُؤَامراتٌ مُتناهيةٌ وعداوةٌ مستحكمةٌ تُجاه كلِّ أَحَدٍ غيرِ يهوديٍّ.

حقْدُ اليهُود على شقَّيْنِ:

ما كان تُجاهَ أُمَمِ الأَرْض وأَجْناسِهم..

قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة المائدة: ٦٤].

في الآيةِ الكريمةِ إِشَارتان على المعنى المراد:

أ ـ إِيْقادُهم دائمًا نارَ الحروب والفِتَن والقلاقل بصفةٍ دائِمَةٍ وبشكلٍ متكرِّرٍ دون كَلَلٍ ولا مَلَلٍ بدليل قوله تعالى ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا﴾ [سورة المائدة: ٦٤] ممَّا يدلُّ على الاستمراريَّة والدَّيْمومةِ..

ب ـ ﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [سورة المائدة: ٣٣] بكلِّ ما تعنيه صُوَرُ الإِفْساد والشَّقاءِ في حقِّ البشريَّةِ وما بروتو كولات حكماءِ صهْيون والمحافلُ الماسونيَّة والإِعْلام اليهوديُّ والبنوكُ الرَّبويَّةُ العالميةُ اليهوديَّةُ ونشر الانحلال الخُلقيِّ والتعليميِّ والفكريِّ إِلَّا صُورةٌ من صُوَرِ الإِفْسادِ العارمةِ[1].

فعلى سبيل المثال: عملَ اليهودِ منذ عام ١٨٩٥م ـ ١٨٧٠م على وضْعِ مُخطَّطٍ عسكريٍّ لإِقَامة ثلاث حُرُوبٍ عالميَّةٍ.. فقد كتَب اليهوديُّ اللندنيُّ الدكتور أوسكار ليفي[2]: «نحن معشرَ اليهودِ صَنعْنَا الحربَ العالميَّةَ، نحن اليهودُ لسْنا إِلَّا مُضلِّلي العالَم وحارِقيه وقاتِليه إِنَّ ثورتَنا الأَخِيرةَ لم تَقُمْ بعدُ»[3].

---

(١) انظر لمزيد تفصيل ص (١٩٠) من هذا البحث.

(٢) هو أوسكار ليفي كاتب، وطبيب من المملكة المتحدة. ولد في ستارغارد. توفي في أكسفورد، عن عمر يناهز ٧٩ عامًا. «مختصر بروتوكولات حكماء صهيون».

(٣) «اليهود إخوان الخنازير والقرود» (٨٥) للسيد العفاني. مصر – بني سويف – مكتبة معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ط الأولى ١٤٢٢ – ٢٠٠٢ م

وقد أَكَّد هذا الصنيعَ والتَّخْطيطَ ماركوسُ رافاج الرومانيُّ حين قال: «نحن اليهودُ نقِف من وراءِ جميع حُروبِكم، وإِنَّ الحربَ الأُولى قامتْ لتحقيق سيطرتِنا على العالم»[١]. يُتَرْجِمُ هذا الحِقْدَ الذي انطوتْ عليه أَنْفُسُ يهودٍ ويحكيه ما كان مِنْ متاجرتِهم بالسِّلاح وتزويدِ كلِّ مَنْ هو ساعٍ في فتنةٍ أَوْ تفريقِ صَفٍّ أَوْ زعزعةِ أَمْنٍ أَوْ تخريبِ مُمْتلكاتٍ بما يحتاجه منه[٢].

إِنَّ مَنْ يَقْرَأُ نفسيَّةَ يَهُودٍ وما يُخطِّطون له، يُدرك تمامًا أَنَّ سعيَهم في الأَرْضِ بالفِتَن والمِحَنِ والحروبِ لم يَأْت مِنْ فراغٍ وإِنَّما مِنْ حُلُم يسعون إِلَى تحقيقه أَلَا وهو السَّيْطرةُ على العالم. واقْرَأْ إِنْ شِئْتَ (أَحْجارٌ على رُقْعة الشَّطْرَنْج)[٣].

أَقْسامُ النَّاس عند اليهود:

١- يهود.

٢- أُمِيُّون.

والأُمِيُّون هُمْ كلُّ مَنْ ليسوا بيهود[٤].. ويعتقد اليهودُ أَنَّهم هُم المُؤْمنون فقطْ، أَمَّا الأُمَيُّون فهُمْ عندهم كفرةٌ وثنيون لا يعرفون اللهَ تعالى. جاءَ في التَّلْمود: «كلُّ

---

(١) «الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام»، عبد الله التل، المكتب الإسلامي - الطبعة: الثانية، ص (٢٩). ولمزيد تفصيل مبارك اقرأ كتاب «واقدساه» للسيد العفَّاني ٢/ ٣٩٥ - ٤١٥. مصر - بني سويف - مكتبة معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ط الأولى ١٤٢٣-٢٠٠١.

(٢) المرجع السابق. ص (٢٩) ولمعرفة العديد من أوجه إفساد اليهود في الأرض فليرجع إلى مبحث بهذا العنوان ص (٢٨١).

(٣) «أحجار على رقعة الشطرنج» لوليم جاي كار، ترجمه: سعيد جزائرلي ـ وراجعه وحرره: م. بدوي، دار النفائس، الطبعة: (٩) ١٤٠٧ - ١٩٨٧.

(٤) انظر: «الكنز المرصود» - ترجمة من اللغة الفرنسية، د/ روهلنج، يوسف حنا نصر الله، الطبعة: الثانية - بيروت ١٣٨٨-١٩٦٨ ص (٤٢).

الشُّعوبِ ما عدا اليهودِ وَثْنِيُّون وتعاليمُ الحاخامات مطابقةٌ لذلك[1]. وحتَّىٰ المَسِيْح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يَسْلَمْ مِنْ تكفيرِهم، فقد جاءَ في التَّلْمود وصفُهم المَسِيْحَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنَّه: «كافرٌ لا يعرف اللهَ»[2].

وفي موضعٍ آخَرَ من التَّلْمود: «إِنَّ المَسِيْحَ كان ساحرًا ووثنيًّا فينتج أَنَّ المسيحيِّين وَثْنِيُّونَ أَيْضًا مِثْلُه»[3].

جاءَ في التَّلْمود: «النَّعيم مَأْوَىٰ أَرْواحِ اليهود، ولا يدخل الجَنَّةَ إِلَّا اليهود أَمَّا الجحيمُ: فمَأْوَىٰ الكُفَّارِ من المسيحيِّين والمسلمين ولا نصيبَ لهم فيها سوىٰ البكاء لما فيه مِنَ الظَّلام والعفونةِ»[4].

نظرة اليهود لغيرهم:

تقوم نظرةُ اليهود لغيرهم علىٰ أَنَّهم حلالُ الدَّم والمالِ والعِرْضِ. بلْ لقد جاءَتْ النُّصوصُ في أَسْفارهم المُقدَّسةِ وفي كتاب التَّلْمود بالحثِّ والتَّرْغيبِ علىٰ قتلِ كلِّ مَنْ ليس يهوديًّا وأَخْذِ ماله بأَيِّ وسيلةٍ كانتْ.

أ- استباحةُ اليهود قتلَ الأُمِّيِّين:

ومن النُّصوص علىٰ استباحتهم دماءِ غيرِهم: ما جاءَ في سفر التَّثْنية مِنْ وصايا الله لشَعْبِ إِسْرائِيلَ والتي منها: «حين تقرب من مدينةٍ لكي تُحاربَها استدعها إِلَىٰ

---

(١) د/ روهلنج: «الكنز المرصود» ص (١٠٠).

(٢) المصدر السابق ص (٩٩).

(٣) المصدر السابق ص (٩٩).

(٤) إسرائيل والتلمود: دراسه تحليلية، ابراهيم خليل أحمد، القاهرة،، دار المنار، ١٤١٠/ ١٩٩٠ ص (٦٧).

الصُّلْح، فإِنْ أَجَابتْك إِلَى الصُّلْح وفتحتْ لك فكلُّ الشَّعْبِ الموجودِ فيها يكون لك للتَّسْخير، ويستعبد لك وإِنْ لمْ تُسالِمْك بلْ عملتْ معك حربًا فحاصِرْها وإِذَا دفَعها الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى يدِك فاضْرِبْ جميعَ ذُكورها بحدِّ السَّيْف وأَمَّا النِّساءُ والأَطْفالُ والبهائِمُ وكلُّ ما في المدينة كلُّ غنيمتِها فتغنمها لنفسك، وتأْكل غنيمةَ أَعْدائِك التي أَعْطاك الرَّبُّ إِلهُكَ. وهكذا تفعل بجميع المُدُنِ البعيدةِ منك جدًّا، التي ليستْ من مُدُنِ هؤلاء الأُمَمِ هنا، وأَمَّا مُدُن هؤلاء الشُّعوبِ التي يُعْطيك الرَّبُّ إِلهُكَ نصيبًا فلا تستبقِ منهم نسمةً ما»[١].

هكذا تَأْمُرُهم أَسْفارُهم بقتل كلِّ الرِّجال واسترقاقِ الأَطْفالِ والنِّساءِ من كلِّ المُدُنِ البعيدةِ التي يفتحونها أَمَّا المُدُنُ القريبةُ منهم والتي يزعمون أَنَّ الله أَعْطاهم إِيَّاها، فيقتلون كلَّ ما فيها ولا يستبقون فيها أَحَدًا، وكذلك التَّلْمُود يُبِيحُ لليهود قتلَ المخالفين واسْتباحةَ دمائِهم..

يقول أَحَدُ كتبةِ التَّلْمود: «حتَّى أَفْضَل الغويم[٢] يجبُ قتلُه»[٣].

ويقول إِيالكوت سيموني[٤]أَحَدُ علماءِ التَّلْمود: «كلُّ من يَسْفِكُ دمَ شخصٍ غيرِ تقيٍّ غيرِ يهوديٍّ عملُه مقبولٌ عند الله كمَنْ يُقدِّم قُرْبانًا إِلَيه»[٥].

---

(١) الإصحاح العشرون فقرات (١٠- ١٧).

(٢) غويم: أي غوي، من الأسماء التي يطلقها اليهود على غير اليهودي وهم يسمون كل ديانة غير يهودية (غواياه) ويستخدم كتبة التلمود كلمة (غويم) للرمز لغير اليهود.. انظر: آي بي برانايتس: «فضح التلمود» ص (٨٢).

(٣) «فضح التلمود» – تعاليم الحاخامين السرية، آي. بي. برانايتس، إعداد: زهدي فاتح، دار النفائس ص (١٤٦).

(٤) هو أحد علماء التلمود «فضح التلمود» (١٤٦)

(٥) «فضح التلمود» ص (١٤٦)، آي. بي. برانايتس.



وفي التَّلْمود أَيْضًا: «اقْتُل الصَّالحَ من غير اليهود، ومُحَرَّمٌ على اليهوديِّ أَنْ يُنجي أَحَدًا من الأَجانب من هلاك أَوْ يُخْرجه من حُفْرةٍ يقع فيها، بلْ عليه أَنْ يسدَّها بحَجَرٍ»(١).

بل جاءَ في التَّلْمود: «إِنَّ مَنْ يقتل مسيحيًّا أَوْ أَجْنبيًّا أَوْ وثنيًا يُكافأُ بالخلود في الفِرْدوس»(٢).

ب- مالُ الأُمِّيِّ حلالٌ لليهوديِّ:

أَمَّا اسْتِباحتُهم للأَمْوال.. فقد جاءَ في التَّلْمود: «إِنَّ اللهَ سلَّط اليهودَ على أَمْوالِ باقي الأُمَمِ ودمائِهم»(٣).

وفي التَّلْمود كذلك: «أَمَرَنَا اللهَ بأَخْذِ الرِّبا من الذِّمِّيِّ وأَلَّا نُقرضَه شيئًا إِلَّا تحت هذا الشَّرط وبدون ذلك نكون ساعَدْنَاه، مع أَنَّ الواجبَ علينا ضَرَرُه».

ج- انْتِهاكُهم لأَعْراض الأُمِّيِّين:

أَمَّا انْتِهاكُهم للأَعْرَاض.. فالزِّنا مباحٌ عندهم بغير اليهوديَّةِ ويُعلِّلون ذلك بتعليلاتٍ غريبةٍ..

جاءَ في التَّلْمود: «اليهوديُّ لا يُخْطِئُ إِذَا اعْتدى على عِرْض الأَجْنبيَّةِ لأَنَّ كلَّ عقدِ نكاحٍ عند الأَجَانبِ فاسدٌ، لأَنَّ المَرْأَةَ غير اليهوديَّةِ تُعْتبَر بهيمةً والعقدُ لا يُوجَد بين البهائِمِ»(٤).

---

(١) «إسرائيل والتلمود» ص (٧٢). لإبراهيم خليل أحمد.

(٢) «الكنز المرصود» ص (٨٥) د/ روهلنج.

(٣) المرجع السابق ص (٧٢).

(٤) إبراهيم خليل: «إسرائيل والتلمود» ص (٧٥).

وفي نصٍّ آخَرَ: «لليهوديِّ الحقُّ في اغْتِصاب النِّساءِ غيرِ المُؤمنات أَيْ غير اليهوديَّات»(١).

وفي نصٍّ آخَرَ: «إِنَّ الزِّنا بغيرِ اليَهُودِ ذكورًا كانوا أَمْ إِنَاثًا لا عقابَ عليه لأَنَّ الأَجَانبَ مِنْ نَسْل الحيوانات»(٢).

هكذا يستبيح اليهودُ أَعْراضَ النَّاس، ثُمَّ يعلِّلونها بعِلَلٍ باطلةٍ واهيةٍ لا يصدقها شرعٌ ولا يستسيغها عقلٌ.

أَمَّا زواجُ اليهوديِّ بنساءٍ غيرِ يهوديَّاتٍ فإِنَّه مُحَرَّمٌ في التَّشْريعِ اليهوديِّ، ومن يُقْدِمُ على الزَّواج بغير يهوديَّةٍ فإِنَّه يكون آثمًا ومخالفًا للتَّعاليم اليهوديَّةِ.

حِقْدُهم الأَسْودُ على المسلمين..

قد أَبَانَ اللهُ لنا هذا في مواضعَ من القُرْآنِ الكريمِ فمنها:

قال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [سورة المائدة: ٥٩].

وقال سبحانه: ﴿وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١١٨]، وفي الآية التي تليها ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٩].

إِنَّ حِقْدَ يهودٍ قد برَز وظهرتْ آثارُه على صعيدِ الجرائمِ والمجازرِ والانْتهاكاتِ في حقِّ إِخْواننا في فلسْطِين(٣) وظهر ذلك الغَيْظُ والحنَقُ في أَعْمال نقضٍ وتقويضٍ

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق ص (٧٦).

(٣) انظر: مبحث (ويفسدون في الأرض) (صـ).

أَساسيَّاتِ المَسْجِدِ الأَقْصىٰ وإِحْراقِهِ عدَّةَ مرَّاتٍ واستمرارِ الحفريَّاتِ تحته رَغْبَةً في هدمه وبناءِ هيكل سُلَيْمانَ- المزعوم- مكانَه.

ومِنْ طعنٍ في الأَنْبياءِ عليهم صلواتُ ربِّ الأَرْض والسَّماءِ واتِّهامهم بالزِّنا وشُرْبِ الخَمْر والارْتداد عن الدِّين..فغيرُهم من النَّاس من باب أَوْلىٰ، بلْ حتَّىٰ الملائكة -عليهم صلواتُ الله وسلامُه- نَالهُمْ مِنْ بُغْضِ وحِقْدِ يهودٍ ما نَالهُمْ..

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ٩٧-٩٨].

عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أَنَّ عَبْدَ الله بنِ سَلَام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(١) أَتىٰ رَسُولَ الله ﷺ -مَقْدَمَهُ المَدِيْنَةَ- فقال: إِنِّي سائِلُك عن ثَلاثِ خِصالٍ لا يعلمهنَّ إِلَّا نبيٌّ قال ﷺ: «سَلْ» قال: ما أَوَّلُ أَمْرِ السَّاعة -أَوْ أَشْراطُ السَّاعة-؟ وما أَوَّلُ ما يَأْكُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ؟ ومِمَّ ينزعُ الوَلَدُ إِلَىٰ أَبِيه وإِلَىٰ أُمِّه؟ قال ﷺ: «أَخْبَرَنِي جِبْرِيْلُ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ بِهِنَّ آنِفًا» قال: جِبْرِيلُ؟ قال:«نعم» قال: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ من الملائِكَةِ، قال ﷺ:

«أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ -أَوْ أَمْرُ السَّاعَةِ- نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْمَشْرِقِ تَحْشرُ النَّاسَ إِلَىٰ الْمَغْرِبِ، وأَمَّا أَوَّلُ مَا يَأْكُل أَهْلُ الْجَنَّةِ فزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وأَمَّا مَا يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَىٰ

(١) هو: عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي، أبو يوسف حليف القواقلة، من بني عوف بن الخزرج، من الأنصار، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة. قيل: كان اسمه الحصين، فسماه رسول الله ﷺ: عبد الله، وشهد له بالجنة، وأنزل الله تعالىٰ فيه: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [سورة الأحقاف: ١٠]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [سورة الرعد: ٤٣]، وأنكر ذلك بعض المفسرين. روىٰ عن النبي ﷺ. قال الذهبي: الإمام، الحبر، المشهود له بالجنة، أبو الحارث الإسرائيلي، حليف الأنصار. من خواص أصحاب النبي ﷺ. «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي (١٥/ ٧٤)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٢/ ٤١٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٩/ ٩٧).



أَبِيْهِ وإِلَىٰ أُمِّهِ فإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدُ إِلَىٰ أَبِيْهِ وإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ مَاءَ الرَّجُلِ نَزَعَ الْوَلَدُ إِلَىٰ أُمِّهِ» فقال: أَشْهدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا الله وأَنَّك رَسُولُ الله قال: يا رَسُولَ الله! إِنَّ اليهودَ قومٌ بُهْتَةٌ اسْتَنْزِلْهُمْ وسَلْهُمْ أَيُّ رَجُلٍ أَنَا فِيْهِمْ -قبل أَنْ يعلموا بإِسْلامِي- فجاءَ منهم رَهْطٌ فسَأَلَهم النَّبيُّ ﷺ: «أَيُّ رَجُلٍ عَبْدُ الله بنُ سَلَامٍ؟» قالوا: خيرُنا وابنُ خيرِنا وسيِّدُنا وابنُ سيِّدِنا وأَعلَمُنا وابنُ أَعْلَمِنا فقَال لهم النَّبيُّ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ» قالوا: أَعَاذَهُ اللهُ مِنْ ذلك قال: فخرَج إِلَيهم عَبْدُ الله بنِ سَلَامٍ وقال: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَه إِلَّا الله. فقالوا: شرُّنا وابنُ شرِّنا قال: يقول عَبْدُ الله: هذا الَّذي كنتُ أَتخوَّفُ. الشَّاهدُ من الحديث: ذاك عَدُوُّ اليهود مِنَ الملائِكَةِ.

عقيدةُ اليهُودِ في جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عدوُّ اليهود من الملائِكَةِ كما يعتقدون، جاءَ ذلك في سُؤَالِهم النَّبي ﷺ عددًا من الأَسْئِلَةِ فأَجابَهم عنها ثُمَّ قالوا صدقتَ، إِنَّما بقِيتْ واحدةٌ وهي التي نُبايعك إِنْ أَخبرْتَنا بها فإِنَّه ليس من نبيٍّ إِلَّا له مَلَكٌ يَأْتِيه بالخبرِ فأَخْبِرْنا مَنْ صاحبُك قال: «جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ» قالوا: جِبْرِيلُ ذاك الذي ينزل بالحَرْبِ والقتالِ والعذابِ عدُوُّنا، لو قلتَ مِيكَائِيلُ الذي ينزل بالرَّحْمَةِ والنَّباتِ والقطر لكان.. فأَنْزَل اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [سورة البقرة: ٩٧] الآية.

وقد أَوْرَدَ أَهْلُ التَّفْسير آثارًا عن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعن غيرِه تُشير إِلَىٰ سببِ هذه العداوةِ مُلخَّصُها:

زعموا أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزل بالحربِ والقتالِ والعذابِ(١).

وعادوه لزَعْمِهم أَنَّه يُطلع مُحَمَّدًا علىٰ أَسْرارِهم وأَنَّه صاحبُ كلِّ عذابٍ وخسفٍ وسَنَةٍ وشدَّةٍ(٢).

---

(١) هذا مروي عن النبي مرفوعًا أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٢٧٤) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ورواه الترمذي مختصرًا (٣١١٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٨٧٢).

(٢) «تفسير الطبري» (٢/ ٣٨٢).



وزعموا أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أُمِر بجَعْل النُّبُوَّةِ فيهم فجعلها في غيرهم[١].

لقد عادىٰ اليهودُ كلَّ أَحَدٍ من الرُّسُلِ والملائِكَةِ عليهم صلواتُ الله وسلامُه من الذين يَأْمُرُون بالقِسْط من النَّاس ومن أُمَم الأَرْضِ جميعًا وما ذاك إِلَّا للحِقْدِ البَغيض الذي وقر في قلوبهم ولاعتقادِهم بأَنَّهم شَعْبُ الله المُخْتارِ.

ولذا كان من حِقْدِهم بناءُ أَكْبرِ شبكةٍ للبغاءِ والمُخدِّرات بالعِرَاقِ، وتصديرُ البغايا الإِسْرائِيْلِيَّاتِ والمُخدِّراتِ إِلَىٰ دُوَلٍ إِسْلاميَّةٍ عديدةٍ منها مِصْرُ وغيرُها، وكَمْ هي الشَّبكات التي تمَّ القبضُ عليها في هذا المجال..

ب. حِقْدُ وكراهيةُ الرَّافضةِ لأَهْلِ السُّنَّةِ.

ما حِقْدٌ دفينٌ ولا غِلٌّ مستحكمٌ في نفس أَحَدٍ كالذي هو في قلوب الرَّافضة تُجاه أَهْلِ السُّنَّةِ، ولبيان حقيقة ذلك بل شيءٍ منه تأَمَّلْ ما يلي[٢]:

أَقْوالُ أَئِمَّةِ الرَّافضة وعلمائِهم في:

١- استباحتُهم دماء المسلمين من أَهْلِ السُّنَّةِ:

أ- روىٰ المجلسيُّ عن ابنِ فَرْقَدٍ[٣] قال: «قلتُ لأَبِي عَبْدِ الله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ما تقول في قتل النَّاصب؟ قال: حلالُ الدَّم أَتَّقي عليك فإِنْ قدرتَ أَنْ تقلبَ عليه حائِطًا أَوْ تُغْرِقَه في ماءٍ لكي لا يشهَد به عليك فافْعَلْ قلتُ: فما ترىٰ في ماله؟ أَلْتِوهُ ما قدرتُ عليه»[٤].

---

(١) «تفسير البغوي» (١/ ١٢٤).

(٢) قد سبق حديث عن ذلك في مبحث «إفساد الرافضة في الأرض» ص (٣٧٤).

(٣) هو عمرو بن عتبة بن فرقد، السلمي الكوفي. وكان لأبيه عتبة صحبة. أحد المذكورين بالزهد والعبادة. كان ثقة قليل الحديث. ذكره ابن حبان في الثقات. استشهد وصلىٰ عليه علقمة «الطبقات الكبرىٰ» (٦/ ٢٠٦)، «الثقات» لابن حبان (٧/ ٢٢٧)

(٤) «بحار الأنوار» (٢٧/ ٢٣١) ومعنىٰ ألتوه: هو الهلاك. انظر: «القاموس المحيط» (٤/ ٢٨٢).



إِنَّ نظرةً فاحصةً لجرائِمِ القتلِ والسَّحلِ والتَّشْويهِ والحَرْقِ واستخدامِ وسائِلِ التَّعْذيب التي يَشِيْبُ لهَوْلِها الوِلْدان ممَّا ارْتكبتْه الرَّافضةُ ضِدَّ إِخْوانِنا أَهْلِ السُّنَّةِ في العِرَاقِ وسُوريَا واليَمَن وغيرِها، وما يجري لأَهْلِ السُّنَّةِ المسحوقين والمصادرةِ حُقُوقهم في إِيرَانَ لخَيْرُ شاهدٍ وأَوْضحُ دليلٍ على الحِقْدِ الدَّفينِ والغِّلِّ المستبطنِ المتجذِّرِ في قلوبهم والطَّافحِ به أَكْبادُهم..

لقد كانتْ عمليَّاتُ الاِغْتيال تجري في هزيعِ اللَّيل الآخِرِ باقْتِحام البُيوتِ السُّنِّيَّةِ الآمنةِ وبعد خروج أَئِمَّةِ الجوامع من صلاةِ الفَجْر حتَّى أَتَوا على دُعاةٍ وأَئِمَّةٍ وعلماءَ ومشايِخَ فَاقُوا المِئَاتِ بتَصْفِيَةٍ جسديَّةٍ نشرًا للرُّعْب والفَزَعِ وبثًّا للخوف والهَلَعِ حتَّى تعطَّلتْ مساجدُ من الصَّلاة فيها ولا حولَ ولا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ العليِّ العظيمِ(١).

ب ـ ومَنْ نظَر في عقيدة القوم في الرَّجْعة وما سيجري على يديْ إِمَامِهم المُنْتظَرِ الثَّاني عشر لعَلِمَ مدى الحِقْد المركوزِ في أَفْئِدتِهم والمُتَغَلْغِلِ في أَحْشائِهم، فدونك شيئًا مِنْ فِعالِه وتخريبه وسَفْكِه للدِّماءِ.. فإِنَّه كما زعموا يخرُج فيهدِمُ الحجرةَ النَّبويَّةَ وينزع الحجرَ الأَسْودَ وينقلُه إِلَى مدينتِهم المُقدَّسةِ الكوفةِ ويصلبُ الشَّيْخَيْنِ أَبَا بَكْرٍ وعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ويقيم الحدَّ على أُمِّ المُؤْمنين عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ويسفك دمَ الحجيج بين الصَّفَا والمَرْوَة ويسرق أَمْوالَ أَهْلِ السُّنَّةِ ويستولي عليها... إلخ(٢).

---

(١) انظر: موقع البرهان والدفاع عن السنة على الإنترنت فهنالك حقائق مصورة ومجريات أحداث دموية موثقة.

(٢) انظر: «الشهب الحارقة» من ص (٦٧-٧١) ولله ثم للتاريخ للسيِّد حسين الموسوي ص (٨٦-٨٧-٨٨-٨٩).

ج ـ التَّاريخُ ينطق والأَحداثُ الدَّمويَّةُ تشهَد عَبْرَ الأَزْمنة الماضيةِ والحاضرةِ ما أَحْدَثَتْه الرَّافضةُ من فظائِعَ وفضائِحَ، كَمْ هِمُ العلماءُ والأُمَراءُ والخلفاءُ والدُّعاةُ والرِّجالُ والنِّساءُ الذين اسْتُبِيحَتْ دماؤُهم وأُزْهِقَتْ أَرْواحُهم.. إِمَّا على أَيْدي الرَّافضة أَوْ من جرَّاءِ خِيانتهم وموالاتِهم لأَعْدائِهم، وما ذاك إِلَّا مِنْ حِقْدٍ يَغْلِي وضغينةٍ تَحْتَرِقُ.

٢- أَمْوالُ أَهْلِ السُّنَّةِ حلالٌ لهم:

وكما استباح الرَّافضةُ الدِّماءَ فكذلك الأَمْوال.. فها هو ذا خمينيُّهم يُفْتي الرَّافضةَ بإِبَاحة أَمْوالِ أَهْلِ السُّنَّةِ وأَخْذِها أَيْنما وُجدتْ وبأَيِّ وسيلةٍ[1].

وكما يعتقد اليهودُ أَنَّ أَخْذَ الرِّبا جائِزٌ من مخالفيهم فكذلك الرَّافضةُ، فقد نسبوا إِلَى الرَّسُولِ ﷺ زُورًا وبُهْتانًا قولَه: لَيْسَ بَيْنَنَا وبينَ أَهْلِ حَرْبِنا رِبًا، نَأْخُذ منهم أَلْفَ دِرْهَمٍ بدِرْهَمٍ ونَأْخُذُ منهم ولا نُعْطِيهم[2]..

وقد نقَل مُوسَى الجارُ الله[3] عن «الوافِيِّ» قولَه: «ليسَ بين الشِّيْعيِّ والذِّمِّيِّ ولا بين الشِّيْعيِّ والنَّاصبِ رِبًا»[4].

٣- عقيدةُ الرَّافضة في أَهْلِ السُّنَّةِ في الآخرة:

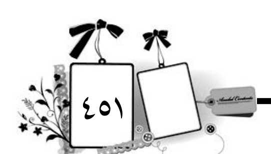
ولم يقتصرْ حِقْدُ الشِّيْعة على أَهْلِ السُّنَّةِ في الدُّنْيا فقطْ بلْ عبَّروا عنه حتَّى في

(١) «بذل المجهود في مشابهة الرافضة لليهود» (٢/ ٥٧٨-٥٧٨). المدينة النبوية – مكتبة الغرباء الأثرية – ط الثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٢) الكليني.. «فروع الكافي» (٥/ ١٤٧).

(٣) هو موسى جار الله، التركستاني القازاني التاتاري شيخ إسلام روسيا، ولد في روسيا. وتفقه بالعربية وتبحر في علوم الاسلام اضطربت عقيدته في أعوامه الاخيرة. ومرض في مصر، فدخل (ملجأ العجزة) بالقاهرة، وتوفي به. «الأعلام» (٧/ ٣٢١).

(٤) «الوشيعة في نقد عقائد الشيعة» (٥٧) لموسى الجار الله. تحقيق جماعة من كبار العلماء – مكتبة الكليات الأزهرية.



موقفِهم تجاهَهُم وحُكْمِهم عليهم في الدَّار الآخِرَة.. روى الصدوقُ[١] في: «عقاب الأعْمال» عن الصَّادق أَنَّه قال: «إِنَّ النَّاصبَ لنا أَهْلَ البيت لا يُبالي صَامَ أَمْ صلَّى، زَنَا أَمْ سَرَق، إِنَّه في النَّار، إِنَّه في النَّار»[٢].

وفي «المحاسن» عن علي الخدميِّ قال: «قال أَبُو عَبْدِ الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ الجارَ ليشفعُ لجارِه والحميمَ لحميمِه، ولو أَنَّ الملائِكَةَ المُقرَّبين والأَنْبياءَ والمرسلين شفَعُوا في نَاصِبٍ ما شُفِّعُوا»[٣].

وسبحان الله فكما أَنَّ اليهودَ يُبْغِضُون ويُعادُون جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فكذلك الرَّافضةُ.. فهُمْ يزعمون كما زعَم اليَهُودُ أَنَّ جِبْرِيلَ قد غلط وأَخْطأ فنزَل بالوَحْيِ على مُحَمَّدٍ ﷺ فاتَّخَذُوه عَدُوًّا فكذلك الرَّافضة[٤].

ويكفي في بيان حِقْد الرَّافضة على أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّه لا مانعَ لديهم أَنْ يُوالُوا ويتحالفوا مع يهودٍ أَوْ نصارى أَوْ وثنيِّين أَوْ شُيوعيِّين أَوْ كائِنًا مَنْ كان إِذَا كان في ذلك إِبَادَةٌ وسَحْقٌ لأَهْلِ السُّنَّة، وقد أُشِيرُ إِلَى شيءٍ من ذلك فيما مضى.

ج. حِقْدُ المنافقين وكراهيتُهم للمُؤْمنين.

إِنَّ الرَّاصدَ لمجموعِ أَفْعالِ وأَحْداثِ الرَّافضةِ لا يشكُّ لحظةً أَنَّها إِنَّما انْبعَثَتْ ووقعتْ لِمَا غلَتْ به قُدُورُ قُلوبِهم من حِقْدٍ وضغينةٍ، ابتداءً مِنْ غَيْظٍ وحَنَقِ ابنِ

---

(١) هو محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (أبو جعفر) ، زعموا أن له (٣٠٠) مصنف، وأنه ولد بدعاء القائم (مهديهم المنتظر) ومن كتبه: «من لا يحضره الفقيه» ، و «التوحيد» ، و «معاني الأخبار» وغيرها. توفي سنة ٣٨١هـ. انظر: الطوسي: «الفهرست» : (ص ١٨٤ – ١٨٦) و«موسوعة فرق الشيعة» (٦)

(٢) «ثواب الأعمال وعقاب الأعمال» ص (٢١٥) لأبي جعفر محمد بن علي القمِّي.

(٣) «المحاسن»، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، دار الكتب الإسلامية، الطبعة الثانية، (١٨٤).

(٤) «منهاج السنة النبوية» (١/ ٢٨-٣٤) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

سَلُولَ لَمَّا خسِر بهِجْرَةِ النَّبيِّ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ ما كان رُشِّحَ له من التَّولِّي على الأَوْسِ والخَزْرَجِ مرورًا بانْخِذَالِ المنافقين عن الجيش يوم أُحُدٍ وما كان منهم مِنْ إِرْجافٍ وتخذيلٍ واسْتِهْزاءٍ ولمْزٍ وغَمْزٍ للمُؤْمنين وموالاةٍ لليَهُودِ والمشركين وقَذْفِهم الصِّدِّيقةَ بِنْتَ الصِّدِّيقِ بالإِفْكِ.. حتَّى تعاظم حِقْدُهم وبلَغ حَنَقُهم مداه فهمُّوا بلْ نفَّذوا محاولةَ قَتْلِهم النَّبيَّ ﷺ لولا أَنَّ المولى -عزَّ في عُلاه- عصَم نبيَّه من كيدِهم وأَعْلَمَهُ بشَأْنِهم ودسيستِهم، ثُمَّ كان مِنْ آخِرِ ما دبَّروه وشرعوا فيه بناؤُهم لمَسْجِدِ الضِّرار الذي كان خاتمةُ العقد... فأَتَى اللهُ على بُنْيانِهم من القواعد وخرَّ بسَقْفِه عليهم.

كَمْ خطَّطوا فبَاءُوا! وكَمْ دبَّروا فخُذلوا! وكَمْ كَادُوا فما رَبِحُوا! وكَمْ أَضْمروا شرًّا ففَضَحُوا! وكَمْ أَسَرُّوا إِثْمًا فهُتِكوا! وكَمْ تَمَالَئُوا على الخِيانة والغَدْرِ والخديعةِ والخَتْرِ فدُحِرُوا!.. وكَمْ حَلَفُوا فكَذبُوا! وكَمْ عاهدوا فنكَثُوا!..

ولا شيءَ كالقُرْآنِ الكريمِ يُظهر حقيقةَ هذا الحِقْد والكيدِ ويجلِّي حنقَ صُدُورِهم وغلَّ قلوبِهم.. قال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٢٠].

وتأَمَّل الآيةَ الكريمةَ التي تُبْرِزُ مدى التَّرَصُّدِ ومتابعةِ المنافقين للأَحْداثِ التي تقَع للمُؤْمنين ممَّا يشعر بغِلَظِ حِقْدِهم: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ [سورة النساء: ١٤١] الآية. إِنَّهم يُعَرْقِلون المسيرةَ ويُعوِّقون الانْبعاثَ ويُثبِّطون المُبادرَة: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ [سورة الأحزاب:١٨].

ولَمَّا اشْتملتْ قلوبُهم على كيدٍ بغيضٍ وحِقْدٍ دفينٍ كانوا حَذِرين خائفين مِنْ هَتْكِ خَبايَاهُمْ وفضْحِ دَواخِلِهم.

﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ [سورة التوبة:٦٤].

وقوله: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴾ [سورة محمد:٢٩].

لكنَّ اللهَ المحيطَ بالضَّمائِرِ العالِمَ بالسَّرائِرِ هو القائِلُ: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴾ [سورة النساء: ٦٣].

وكفى بسورة التَّوبةِ فاضحةً مُبَعْثرةً مُثِيرَةً حافرةً مُقَشْقِشَةً باحثةً(١) لزوايا وخلجاتِ وسُويداء قُلوبِ المنافقين التي رَانَ عليها الصَّمَمُ وغلَب عليها العمى.

الحادي عشر: قسوة القلب.

يقول ابنُ القَيِّم طبيبُ القلوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما ضُرب عَبْدٌ بعقوبةٍ أَعْظَمَ مِنْ قَسْوَةِ القلب والبُعْدِ عن الله.. وأَبعدُ القلوب من الله القلبُ القاسي، لذا خُلقت النَّارُ لإِذَابَةِ القلوبِ القاسيةِ(٢)، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة الزمر: ٢٢]..

لذا روى أَبُو عِنبَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(٣) قولَ النَّبيِّ ﷺ: «إِنَّ لله تعالى آنِيَةً مِنْ أَهْلِ

---

(١) «زاد المسير» (٣/ ١٤٤).

(٢) «الفوائد» (١/ ٩٧) لابن القيم الجوزية.

(٣) هو: أبو عنبة الخولاني، مختلف في صحبته. قيل: اسمه عبد الله بن عنبة، وقيل: عمارة. كان يسكن حمص، وكان ممن أدرك الجاهلية، وأسلم في عهد النبي ﷺ. وقيل: إنه صلى القبلتين، وصحب معاذ بن جبل، وكان أعمى. روى عن النبي ﷺ، وعن عمر بن الخطاب، وشهد خطبته بالجابية. ذكره خليفة بن خياط ومحمد بن سعد وأبو القاسم البغوي وغير واحد في الصحابة. «تهذيب =



الْأَرْضِ وآنِيَةُ رَبِّكُمْ قُلُوبُ عِبَادِهِ الصَّالِحِيْنَ وأَحَبُّهَا إِلَيْهِ أَلْيَنُهَا وأَرَقُّهَا»[(١)].

قال ابنُ الْقَيِّمِ:... فذكَر القلبَ المريضَ وهو الضَّعيفُ المنحلُّ الذي لا تثبت فيه صُورَةُ الحقِّ والقلبَ القاسي اليابسَ الذي لا يَقْبَلُها ولا تَنْطَبِعُ فيه، فهذان القلبان شقيَّان مُعذَّبان[(٢)].

والقلوبُ القاسيةُ ذكَر الله أَنَّها ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧٤] ، فهي لا تخلو من أَحَدِ هذين الأَمْرينِ كما قال الشاعر:

فقلتُ لها شيْئَانِ لا بُدَّ منهما صدورُ رِماح أُشرعَتْ أَوْ سَلَاسِلُ[(٣)]

ولعلِّي أَخْتِمُ هذه المُقدِّمة بكلمةٍ لابنِ القَيِّم يقول فيها: «إِنَّ في القلب وَحْشَةً لا يُزِيلُها إِلَّا الْأُنْسُ بالله، وفيه حُزْنٌ لا يُذْهِبُه إِلَّا السُّرورُ بمعرفتِه وصدقِ مُعاملتِه،

= الكمال في أسماء الرجال»، للمزي (٣٤/ ١٤٩)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٣/ ٤٣٣)، «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم (٣/ ١٧٤٤)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر (٤/ ١٧٢٢)، «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٦٧/ ١٢٠)، «التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل»، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، دراسة وتحقيق: د/ شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، الناشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م (٣/ ٣٥٤).

(١) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٨٤٠)، وقال العراقي في تخريجه لـ«الإحياء» (١/ ٤٧٤): إسناده جيد. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٣٩٢١).

(٢) «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل»، لابن القيم الجوزية - خرَّج أحاديثه: مصطفى أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي - جدة، الطبعة: ١، ١٤١٢ - ١٩٩١، (١/ ١٠٦).

(٣) «الفوائد» (١/ ٢٠٦).

وفيه قَلَقٌ لا يَسْكُنُ إِلَّا بالاجْتِماع عليه والفِرارِ إِلَيه، وفيه نيرانُ حَسَرَاتٍ لا يُطْفِئُها إِلَّا الرِّضى بأَمْرِه ونَهْيِه وقضائِه والصَّبرِ على ذلك إِلَى وقتِ لقائِه»(١).

وفي موضعٍ آخَرَ قال: «فإِنَّ في القلب فاقةً لا يسدُّها شيءٌ سِوى الله أَبدًا، وفيه شعثٌ لا يلمُّه غيرُ الإِقْبالِ عليه، وفيه مَرَضٌ لا يَشْفِيه غيرُ الْإِخْلاصِ له وعبادتِه وحْدَه»(٢).

أ. قسوةُ قلوب اليَهُودِ:

لا أَصْرح في شَأْنِ اليهود ولا أَوْضَح في بيان قَسْوَةٍ تجذَّرتْ في قلوبهم وضربتْ بأَوْتادها في نياطِ أَفْئِدتِهم من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧٤].

مِنْ أَجْل ذلك كان جزاؤُهم ما أَخْبَرَ به اللهُ عنهم بقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ﴾ [سورة المائدة: ١٣].

ومَنْ نظَر بإِمْعان في شَأْنِ اليَهُودِ في غابر الأَزْمان وحاضِرِها يعلم يقينًا كَمْ هي الظُّلْمةُ والقَسْوةُ بل الجَدْبُ والقَحْطُ الذي رَانَ على قلوبهم واسْتولى على شغافها؟..

كم بُعِثَ فيهم من نبيٍّ ورَسُولٍ عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ!.. كَمْ أَبْصَرُوا مِنْ آياتٍ ومُعْجزاتٍ!.. كَمْ نجَّاهم اللهُ وآواهم!.. كم أُمْهِلوا وحُذِّرُوا وأُنْذِرُوا ورُغِّبُوا!..

كَمْ كشَفَ اللهُ لهم من بلاءٍ!.. كَمْ استنقذهم مِنْ هلكةٍ!.. كَمْ صفَح عنهم

---

(١) «مدارج السالكين» (٣/ ١٦٤).

(٢) «إغاثة اللفهان» (١/ ٧١).

سبحانه وعفى وأنزل عليهم المنَّ والسَّلْوىٰ وأحياهم بعد موتٍ!.. كلُّ ذلك وغيرُه كثيرٌ لم يجد إِلَىٰ قلوبٍ اسْتُغْلِقَتْ سبيلًا، ولا إِلَىٰ أَرْواحٍ أُظْلِمَتْ طريقًا، ولا إِلَىٰ أَفْئِدَةٍ عمِيَتْ مدخلًا.

لذا لم ينفعْ فيها ترغيبٌ وترهيبٌ ولا وَعْدٌ ولا وَعِيْدٌ.. حتَّىٰ إِنَّ اللهَ -عزَّ في عُلاه- طلَب من مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَنْ يُذكِّرهم بنِعَمِ الله عليهم التي لا تُحصىٰ، فقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [سورة إبراهيم:٥]. أَيْ ذكِّرْهم بنِعَمِ الله التي أَنْعَمَ بها عليهم: أَنْجاهم مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، وفلق لهم البَحْر، وظلَّل عليهم بالغَمَامِ[(١)]... إلخ.

يقول سيِّد قُطُبْ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وراح مُوسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يُؤَدِّي رسالتَه، ففي هذه الأَيَّامِ ما هو بُؤْسي فهو آيةٌ للصَّبْر، وفيها ما هو نعْمي فهو آيةٌ للشُّكْر وقد ذكَّرهم بأيَّامٍ لهم وأَيَّامٍ لأَقْوامِ نُوحٍ وعَادٍ وثَمُودَ والذين مِنْ بعدهم»[(٢)].

ولكنْ أَنَّىٰ لقلوب يَهُودٍ أَنْ تتَّعِظَ أَوْ لعقولِهم أَنْ تَعْتَبِرَ وقد اعْتَوَرَها مِنَ التَّكْذيب والجُحودِ والكِبْرِ وحُبِّ الذَّات ما اعْتَوَرَها..

ب. قَسْوَةُ قلوبِ الرَّافضة.

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبابِ قَسْوةِ القلبِ وقَحْطِه ويُبْسِه الإِغْرَاقَ في شهواتِ الجِنْسِ والمُتْعةِ الحرامِ، وكذلك تَقْديسُ الذَّاتِ والشُّعورُ بجُنُون العَظَمةِ، وثالثةُ الأَثَافِي الانْشراحُ والسُّرُورُ والاغْتِباطُ بسَفْكِ الدِّماءِ وتَشْويهُ وتعذيبُ المَأْسُورين أَوْ

---

(١) «تفسير الطبري» (١٦/ ٥٢٠-٥٢١).

(٢) «في ظلال القرآن» (٤/ ٣٨٩). بتصرف يسير.

المغلوبين كما هو حالُ الشِّيْعة مع أَهْلِ السُّنَّة في مناطقَ ودُوَل عديدة، كالعِرَاقِ ولبْنَانَ وسُوريَا.. إلخ

كلُّ هذه الأَسْبابِ وسِواهَا كثيرٌ من المَوانع الفولاذيَّةِ لرقَّة القلب وخُشوعِه ونداوتِه وخُضوعِه وإِخْباتِهِ وحياتِه..إنَّ قلبًا يرضى لصاحبه الطَّعْنَ في الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ويهوىٰ اسْتِحْلال الفُروجِ بنِكاح المُتْعة، وينتشي بالكَذِبِ والبُهْتانِ بمُسمَّىٰ التَّقِيَّة، ويُصدِّق بالسِّحْرِ والكهانةِ والشَّعوذةِ، بلْ ويُحرِّف القُرْآنَ ويزعُمُ أَنَّ هناك مَصْحفًا لفَاطمةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا كالقُرْآنِ ثلاث مرَّاتٍ ليس فيه ممَّا في كتاب ربِّنا حَرْفٌ واحدٌ إِلَىٰ غير ذلك، لحريٌّ به أَنْ يكونَ كجَلْمُودِ صَخْرٍ حطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلٍ.

كم عُقِدَتْ معهم المناظراتُ فما أَفَاقَتْ لهم قلوبٌ.. وأُقِيمَتْ معهم الحواراتُ بالحُجَجِ الدَّامغةِ فما اسْتيقظ فيهم ضميرٌ.

بلْ لقد أَلَّف وتحدَّث منهم علماءُ، ادَّكروا فرجَعوا، وأَبْصروا فتابوا، ونظَروا فاعْتبَروا، فإِذَا بهم يفْضحُون زَيْفَ مَنْهجِ الرَّافضة ومُعْتقدِهم مِنْ داخلِه وعُمْقِه.. ويَهْتِكُون سِتْرَ ضلالاتِهم وشِرْكيَّاتِهم في عُقْرِ دُورِهم وحسينيَّاتِهم ومزاراتِهم وأَضْرِحتِهم(١).

ومع ذلك كلِّه﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ [سورة الأعراف: ١٧٩].

---

(١) انظر: علىٰ سبيل المثال:

أ) «الشيعة والتصحيح» د/ موسىٰ الموسوي.

ب) «الثورة البائسة» د/ موسىٰ الموسوي.

ج) «الجمهورية الثانية» د/ موسىٰ الموسوي.

وللإِنْصاف فقدْ رجَع الآلاف من الشِّيْعة بحمد لله تعالىٰ، نصَّ علىٰ ذلك الشَّيْخُ عُثْمَانُ الخميس في محاضرةٍ له أَلْقاها في أَحديَّةِ مُحَمَّدٍ الجَبْرِ الرَّشِيْدِ في الرِّياض وكان عُنْوانُها (لماذا الطَّائِفِيَّة؟).

ج. قَسْوَةُ قلوبِ المنافقين.

إِنَّ مِنْ أَعْظمِ ما تميَّز به المنافقون قسوةَ قُلُوبِهم إِذِ النِّفاقُ لا يتمكَّن إِلَّا مِنْ قلبٍ قد غلِظ عن قبول الحقِّ وانْغَلَق، لذا قال سبحانه: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٦٨].

فقلوبٌ لا يُلينُها ذِكْرُ الله ولا تَطْمَئِنُّ به ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [سورة الرعد: ٢٨] ، ليس لها إِلَّا النَّار التي يلين فيها الصَّخْرُ والحجرُ والجزاءُ مِنْ جِنْسِ العمل.

بلْ إِنَّه لشِدَّةِ قساوةِ قلوبِهم التي لم تعد تتَّعظ وتعتبر وتتذكَّر وتتدبَّر أَنْ جعَل عقوبتَها لا في النَّار فحسب، بل في الدَّرْكِ الأَسْفَلِ منها.. قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ١٤٥].

والحظُّ يا رعاك الله! التَّشابُهُ بين اليهودِ والمنافقين حتَّىٰ في جزاءِ وعقوبةِ قسوةِ القلوب تجد تطابُقًا عجيبًا.

ففي حقِّ اليَهُودِ قال سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةًۖ﴾ [سورة المائدة: ١٣].

وفي حقِّ المنافقين قال سبحانه: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [سورة التوبة: ٧٧].

فجعَل اللهُ قلوبَ اليَهُودِ قاسيةً لا محيدَ لها عن ذلك ولا تحول ولا زوال.. كذلك أَلْبَسَ قلوبَ المنافقين نفاقًا لا تنفكُّ عنه ولا تَنْخَلِعُ منه وما ذاك إِلَّا لأَنَّها قلوبٌ عليها أَقْفَالها.

ثُمَّ لعنت اليهودُ لقَسْوَةِ قُلُوبِهم كما لعَن اللهُ المنافقين للسببِ ذاتِه ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٦٨].

ثُمَّ إِنَّ الآياتِ السَّابقةَ بمجموعها تُشير إِلَىٰ أَنَّ عقوبةَ قلوبِهم مستمرَّةٌ دائِمَةٌ إِلَىٰ يوم القيامة، قسوةً وإِعْراضًا وظلمةً وانغلاقًا..

وممَّا يجلِّي لنا مدىٰ قسوةِ قلوبِ المنافقين وبُعْدِها عن الله تعالىٰ ما قاله سبحانه: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [سورة التوبة: ١٢٦].

قال الإِمَامُ الطَّبَرِيُّ شيخُ المُفسِّرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَوَلَا يرىٰ هؤلاء المنافقون أَنَّ اللهَ يَخْتَبِرُهم في كلِّ عامٍ مرَّةً أَوْ مرَّتين... ثُمَّ هُمْ مع البلاءِ الذي يحلُّ بهم مِنَ الله والاختبارُ الذي يُعرَض لهم لا يُنيبون مِنْ نفاقِهم ولا يتوبون مِنْ كُفْرِهم ولا هم يتذكَّرون من حجج الله ويُعاينون مِنْ آياتِه فيتَّعظوا بها، ولكنَّهم مُصِرُّون علىٰ نفاقِهم»(١).

لا غَرْوَ بعد ذلك أَنْ يَرِدَ في القُرْآنِ الكريمِ أَنَّ المولىٰ -عزَّ في عُلاه- كافَأَهُمْ جرَّاءَ قسوةِ قلوبِهم أَنْ طبَع عليها وختَم، فلا تعرف معروفًا ولا تنكر منكرًا ولا تستجيبُ لِنداءٍ ولا ترعوي عن غيٍّ ولا تفيق مِنْ غفلةٍ ولا تحيا من مواتٍ ولا

(١) «تفسير الطبري» (١٤/ ٥٧٩).

تلين لذِكْر ولا تخشعُ لموعظةٍ ولا تَئُوبُ من عِنادٍ ولا تخضعُ في طاعةٍ ولا تذَكِرُ وتتدبَّر ولا تتفكَّر ولا تخشىٰ، ولا تَطْمَئِنُّ، فأنَّىٰ لقلوبٍ هذا شَأْنُها أَنْ يجِد الهدىٰ إِلَىٰ شغافها سبيلًا أَو الإِيْمان في جوانحها منزلًا أَو التَّقْوىٰ في مساربِها دليلًا.. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [سورة محمد: ١٦]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة المنافقون: ٣]، ﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة التوبة: ٨٧].

الثَّاني عشر: المتاجرةُ بالدِّين.

أَلَا إِنَّه الجرمُ الأَفْظعُ والذَّنْبُ الأَعْظَمُ أَنْ يصِلَ حالُ أَنْفُس منَّ الله عليها بدِين سماويٍّ وتشريعٍ إِلَهيٍّ يخرجهم به مولاهم من دَيَاجِير التَّخبُّطِ والضَّلالِ إِلَىٰ نور الهداية والإِيْمانِ، فإِذَا بطَمْعِ قلوبِهم وجَشَعِ أَنْفُسِهم يجعلهم يتأَكَّلون به ويتكسبون من ورائِه، فيبدِّلون أَحْكامَه ويُحرِّفون معانيه ويكتمون بعضَه ليتحصلُّوا علىٰ لعاعةٍ من الدُّنْيا زائِلَةٍ.. وعلىٰ عَرَضٍ مِنْ أَعْراضِها الفانيةِ.. فتراهم يشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا..وتعظم المصيبةُ.. ويتفاقمُ الإِثْمُ عندما يَصْدُرُ هذا الصَّنيعُ ممَّنْ هُمْ علىٰ علمٍ ودرايةٍ كأَحْبارِ اليهُودِ وقساوسةِ النَّصارىٰ ومشايخِ الفَتْوىٰ.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٧].

وجاءَ من الله تحذيرٌ وبيانٌ فقال سبحانه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة: ٣٤].

قال الإمَامُ ابنُ جَرِيْرٍ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالىٰ ذكره: يا أَيُّها الذين صدَّقوا الله ورَسُولَه ﷺ، وأَقرُّوا بوحدانيَّةِ ربِّهم إنَّ كثيرًا من العلماءِ والقُرَّاءِ من بني إِسْرَائِيلَ من اليهودِ والنَّصارىٰ ليَأْكُلُون أَمْوالَ النَّاس بالباطل، يقول يَأْخُذُون الرِّشَىٰ في أَحْكامهم ويُحرِّفون كتابَ الله ويكتبون بأَيْديهم كتُبًا، ثُمَّ يقولون: هذه مِنْ عند الله ويَأْخُذُون بها ثمنًا قليلًا من سُفْلَتِهم»(١).

ولم يقتصر شَرَهُ وطَمَعُ قساوسةِ النَّصارىٰ علىٰ شراءِ شيءٍ من الدُّنْيا زهيدٍ بدِين الله، بلْ تجاوزوا ذلك إِلَىٰ بيع أَرَاضٍ ومواقعَ في الجَنَّة بما شاع وانْتَشر في أَوْساطِهم من صُكُوكِ الغُفْران.. والتي تُمثِّل مهزلةً لم يعرف تاريخُ الأَدْيان لها مثيلًا وحماقةً يتَرفَّعُ عن ارْتِكابها مَنْ لديه مُسْكةٌ مِنْ عَقْلٍ أَوْ ذَرَّةٌ مِنْ إِيْمانٍ تلك هي توزيعُ الجَنَّةِ وعرضُها للبيع في مزادٍ علنيٍّ وكتابة وثائِقَ للمشترين تتعهَّد الكنيسةُ فيها بأَنْ تضمنَ للمشتري غُفْرانَ ما تقدَّم مِنْ ذَنْبِه وما تَأَخَّر وبراءَتَه من كلِّ جَرْمٍ وخطيئَةٍ سابقةٍ ولاحقةٍ.. فإذَا ما تسلَّم المشتري صكَّ غُفْرانِه فقد أُبيحَ له كلُّ محظورٍ وحلَّ له كلُّ حرامٍ، أَلَيْسَ المَسِيْحُ هو الذي منَحه إِيَّاه والمَسِيْحُ هو الذي يُدينُ النَّاسَ ويُحاسبُهم، أَتَرَاهُ يمنح النَّاسَ المَغْفرةَ ثُمَّ يُعاقبُهم علىٰ ذُنوبِهم!(٢).

أ- متاجرةُ اليَهُودِ بالدِّين.

لقد أَشَارَ اللهُ في كتابه العزيزِ في غير ما موضعٍ إِلَىٰ قضيَّةِ متاجرةِ اليَهُودِ بالدِّين وبيعِهم إِيَّاه بثمَنٍ بخْسٍ دراهمَ معدودةٍ وفي هذا غايةُ الامتهان والاستخفافِ بشرائِعِ دِيْنِهم وأَحْكامِه..

---

(١) «تفسير الطبري» (١٤/ ٢١٦).

(٢) «العلمانية»، د. سفر الحوالي – دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولىٰ ١٤٠٢-١٩٨٢، (١١٠-١١١).

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧٩].

قال الإِمَامُ الطَّبَرِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني بذلك الذين حرَّفوا كتابَ الله من يهودِ بني إِسْرائِيلَ وكتَبوا كتابًا على ما تأَوَّلوه من تَأْوِيلاتِهم، مخالفًا لما أَنْزل اللهُ على نبيِّه مُوسَى ﷺ ثُمَّ باعوه مِن قومٍ لا علمَ لهم بها ولا بما في التَّوراة جُهَّالٍ بما في كتُب الله لطلبِ عَرَضٍ مِن الدُّنيا خسيسٍ فقال الله لهم: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ۝٧٩﴾ [سورة البقرة:٧٩]»(١).

قال الإِمَامُ القُرْطُبِيُّ: «وصَف الله تعالى ما يَأْخُذُونَه بالقلَّة إِمَّا: لفَنَائِه وعدمِ ثباتِه، وإِمَّا لكونه حرامًا لأَنَّ الحرامَ لا بركةَ فيه ولا يَرْبُو عند الله»(٢).

وقد ذكَر عددٌ من المُفسِّرين أَنَّ المرادَ تغييرُ وتحريفُ صفةِ رَسُولِ الله ﷺ عن حقيقتِها التي جاءَتْ بها التَّوراةُ.. قال ابنُ إِسْحَاقَ(٣) والكلبيُّ (٤):كانتْ صفةُ رَسُولِ الله ﷺ في كتابهم: رَبْعَةً(٥) أَسْمَرَ، فجعلوه: آدَمَ(٦) سَبْطًا(٧) طويلًا،

(١) ينظر: «تفسير الإمام الطبري» (٢/ ٢٧٠).

(٢) ينظر: «تفسير القرطبي» (٢/ ٩).

(٣) هو محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار الأخباري العلامة، الحافظ، الأخباري، أبو بكر رأى: أنس بن مالك بالمدينة، كان ثقة، حسن الحديث. قال قتادة: لا يزال في الناس علم ما عاش محمد بن إسحاق. سكن بغداد فمات فيها، ودفن بمقبرة الخيزران أمّ الرشيد «النبلاء» (٧/ ٣٣)

(٤) هو: الكلبي محمد بن السائب بن بشر، العلامة، الأخباري، أبو النضر، محمد بن السائب بن بشر الكلبي؛ المفسر، وكان أيضا رأسا في الأنساب، إلا أنه شيعي، متروك الحديث...؛ وكان الثوري يروي عنه ويدلسه فيقول: حدثنا أبو النضر. توفي سنة ست وأربعين ومائة. «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٤٨).

(٥) أي: معتدل القامة ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردِّي، انظر: «تهذيب السيرة النبوية» (٣٦) للنووي تحقيق خالد الشايع.

(٦) أي: لم يكن أمهق شديد البياض ولا آدم أسمر اللون، بل كان بياضه إلى السمرة مشربًا بالحمرة، المرجع السابق (٣٦).

(٧) أي: كان شعره ليس بالجعد الملتو ولا السبط شديد الاسترسال والنعومة، بل كان بينهما، المرجع السابق (٣٦).

وقالوا لأَصْحابِهم وأَتْباعِهم: انْظُروا إِلَىٰ صفةِ النَّبيِّ ﷺ الذي يبعث في آخِرِ الزَّمان ليس يُشْبِهُه نعتُ هذا، وكانت للأَحْبار والعلماءِ رياسةٌ ومكاسب فخافوا إِنْ بيَّنوا أَنْ تذهبَ مآكلُهم ورياستُهم فمِنْ ثمَّ غيَّروا»(١).

لذا سمَّىٰ اللهُ هذا الشِّراءِ بمُسمَّيات منها:

- قال سبحانه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾ [سورة البقرة: ٨٦].

- وقال عزَّ في عُلاه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [سورة البقرة: ١٧٥].

وإِنَّ مِنْ أَفْدحِ المصائِبِ والمصائِبُ جمَّةٌ أَنْ يُطوَّع دِيْنُ الله مِن قِبَل علماءِ اليَهُودِ بما يتوافق ورغبات وأَهْواءِ الزعاماتِ والرُّؤَساءِ.

قال مُحَمَّدُ بنُ كَعْبٍ القرظيُّ (٢): «نزلتْ في علماءِ بني إِسْرائِيْلَ الذين كتَموا

---

(١) ينظر: «تفسير القرطبي» (٢/ ٩) وكذا قال غيره من المفسرين.

(٢) هو: محمد بن كعب بن حيان بن سليم بن أسد القرظي، أبو حمزة، وقيل: أبو عبد الله المدني، من حلفاء الأوس بن حارثة. وكان أبوه من سبي قريظة. سكن الكوفة ثم تحول إلى المدينة فسكنها، واشترىٰ بها مالًا. قال الذهبي: الإمام، العلامة، الصادق، أبو حمزة -وقيل: أبو عبد الله- القرظي، المدني، من حلفاء الأوس. قيل: ولد محمد بن كعب في حياة النبي ﷺ ولم يصح ذلك. قال زهير بن عباد الرؤاسي: عن أبي كبير البصري، قالت أم محمد بن كعب القرظي له: يا بني! لولا أني أعرفك طيبًا صغيرًا وكبيرًا، لقلت: إنك أذنبت ذنبًا موبقًا؛ لما أراك تصنع بنفسك. قال: يا أماه! وما يؤمنني أن يكون الله قد اطلع عليَّ، وأنا في بعض ذنوبي، فمقتني، وقال: اذهب، لا أغفر لك، مع أن عجائب القرآن ترد بي علىٰ أمور حتىٰ إنه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي. قال أبو معشر، وجماعة: توفي سنة ثمان ومائة. وقال الواقدي، وخليفة، والفلاس، وجماعة: مات سنة سبع عشرة. قال الواقدي، وجماعة: وهو ابن ثمان وسبعين سنة. وقال محمد بن عبد الله بن نمير: سنة تسع عشرة. وقال ابن المديني، وابن معين، وابن سعد: سنة عشرين ومائة. وأخطأ من قال: سنة تسع وعشرين. وهو يرسل كثيرًا، ويروي عمن لم يلقهم. قال ابن سعد: كان ثقة، عالمًا، كثير الحديث، ورعًا. وقال ابن المديني، وأبو زرعة، والعجلي: ثقة. وقال ابن حبان: كان من أفاضل =

الحقَّ وآتوا ملوكَهم من العلم ما يُوافقهم في باطلهم ﴿لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [سورة البقرة: ٧٩] أَيْ بما أَعْطاهم الملوكُ مِنَ الدُّنْيا، فقال الله لنبيه ﷺ: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٨٨](١).

وقال الضَّحَّاكُ (٢): «إِنَّ اليَهُودُ كانوا يقولون للملوك إِنَّا نجد في كتابنا إِنَّ اللهَ يبعث نبيًّا في آخِر الزَّمان يختم به النُّبُوَّة فلمَّا بعَثه الله سَأَلَهُمُ الملوكُ أَهُوَ هذا الذي تجدونه في كتابِكم؟ فقال اليَهُودُ طمعًا في أَمْوال الملوك: هو غيرُ ذلك. فأَعْطاهم الملوكُ الخزائِنَ، فقال الله تعالىٰ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ [سورة آل عمران: ١٨٨] الملوك من الكَذِبِ حتَّىٰ يَأْخُذُوا عَرَضَ الدُّنْيا(٣).

بلْ لقد تاجر اليَهُودُ بدِينِهم لَمَّا حرَّفوه وبدَّلوا حدودَه الشَّرعيَّةَ بما يتوافقُ ونَزَوَاتِ وشهواتِ أَكَابرِهم وعِلْيَةِ القوم فيهم.. كما في قصَّة الزِّنىٰ التي رواها الإِمَامُ مُسْلِمٌ في صحيحِه عن البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال مُرَّ علىٰ النَّبيِّ ﷺ بيهوديٍّ مُحَمَّمًا مجلودًا فدعاهم ﷺ فقال: «هكذا تجدون حدَّ الزَّاني في كتابكم؟» قالوا: فدعا رجلًا من علمائِهم فقال: «أَنْشِدُكَ بالله الذي أَنْزل التَّوراةَ علىٰ مُوسَىٰ، أَهَكَذَا تجدون حدَّ الزَّاني في كتابكم؟» قال: لا، ولولا أَنَّكَ نَشَدْتَنِي بهذا لم أُخْبِرْكَ، نجده الرَّجْمَ، ولكنَّه

= أهل المدينة علمًا وفقهًا. ينظر: «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» للمزي (٢٦/ ٣٤٠)، «تهذيب التهذيب» (٩/ ٤٢١)، «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٥/ ٦٥).

(١) أخرج نحوه ابن أبي حاتم (٤٦٤٤)، وسنده حسن.

(٢) هو الضحاك بن مزاحم البلخي، الهلالي لخراساني (أبو القاسم (٢» مفسر، محدث حدث عن ابن عباس وابي سعيد الخدري وانس بن مالك وغيرهم، وكان يؤدب االاطفال.له كتاب في التفسير.«معجم المؤلفين» (٥/ ٢٧) «الأعلام» (٣/ ٢١٥) «ميزان الاعتدال» (٢/ ٣٢٥)

(٣) تفسير القرطبي (٤/ ٣٠٦).



كثُر في أَشْرافِنا، فكنَّا إِذَا أَخذْنَا الشَّريفَ تركْنَاهُ وإِذَا أَخَذْنَا الضَّعيفَ أَقَمْنا عليه الحدَّ، قلنا تعالوا: فلنجتمعُ على شيءٍ نُقيمُه على الشَّريفِ والوضيعِ فجعلنا التَّحْميمَ والجَلْدَ مكانَ الرَّجْمِ، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إِني أَوَّلُ مَنْ أَحيا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ»، فأُمِرَ به فرُجِمَ.. فأنزَلَ عزَّوَجَلَّ: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ [سورة المائدة: ٤١][1].

وقد ذكَر الرَّازيُّ: أَنَّ كلَّ مَنْ لمْ يُبيِّن للنَّاس وكتَم شيئًا منه لغرضٍ فاسدٍ، من تسهيل على الظَّلَمة وتطييبٍ لقلوبهم أَوْ لجرِّ منفعةٍ أَوْ لتقيَّةٍ وخوفٍ أَوْ لبُخْلٍ بالعلم دخَل تحت هذا الوعيد[2] ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٨].

إِنَّ اليَهُودَ عبَّادُ دِيْنارٍ ودِرْهمٍ فللحُصُولِ عليه والتَّوصُّلِ إِلَيه لا يُبالون بقِيَمٍ ولا دِيْنٍ ولا أَخْلاقيَّاتٍ إِذِ الغايةُ عندهم تُبرِّرُ الوسيلةَ.. ولذلك تجدهم يتاجرون بالجِنْسِ أَفْلامًا وغِنَاءً وفجورًا ونساءً ويُرابون ويملكون أَزِمَّةَ بنوكٍ ربويَّةٍ عالميَّةٍ ويشترون بآيات الله ثمنًا قليلًا كلُّ ذلك لتكثير الأَمْوالِ والأَرْصِدَةِ غيرِ آبِهين في سبيل ذلك بأَيِّ شريعةٍ ربَّانيَّةٍ ولا قِيْمةٍ إِنْسانيَّةٍ.

ب. متاجرةُ الرَّافضة بالدِّين.

إِنَّ مِنْ أَوْضَحِ الدَّلائِلِ على متاجرة الرَّافضة بدِيْنِهم ما ابْتدَعُوه مِنْ تشريعاتٍ

---

(١) رواه مسلم ك: الحدود باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنا (ح/ ٤٥٣٦) وفي مسند أبي يعلى (ح/ ٢٠٣٢).

(٢) «تفسير الرازي» (٥/ ٥).

وأَحْدَثُوهُ مِنْ أَحْكامٍ تتوافق ورَغباتِهم الجِنْسيَّة والمذهبيَّة وقبل ذلك العقديَّة فمِنْ ذلك:

المتاجرةُ بالعقيدة:

فيجوز في مذهبِهم ونحْلَتِهم موالاةُ الكافر والتَّآزُر معه في خنْدقٍ واحدٍ عُدْوانًا على المسلمين وإِزْهاقًا لأَرْواحِهم حِرْصًا منهم على رِياساتهم وتأَكُّلًا من وراءِ ذلك بما قد ينالونه مِنْ أَعْدائِهم من دراهِمَ ومناصبَ جرَّاءَ خياناتٍ يُحدِّثونها وغَدْرٍ يقومون به، والتَّاريخُ شاهدٌ..

ومن ذلك تحريفُهم للقُرْآنِ كما حرَّف اليهودُ التَّوراةَ.. وكما كتَب اليهودُ كتابًا بأَيْدِيهم زعموا أَنَّه من عندِ الله فكذلك الرَّافضةُ زعموا أَنَّ عندهم مُصْحفَ فَاطِمَةَ وصحيفةَ الجامعة والنَّاموسَ والعبيطةَ والجفرَ[1].

المتاجرةُ بالدِّين لإِشْباع شهواتِهم.

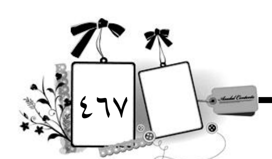
وما شيءٌ هو أَبْشَعُ ولا أَقْبحُ من تشريع نِكاحِ المُتْعَةِ عند الرَّافضة إِذْ هُوَ الزِّنى المُغلَّفُ والاسْتِحْلالُ لما حرَّم اللهُ باسْم الدِّين، يزعمونه نكاحًا وهو والله سِفاحٌ، ناهيكَ عن شذوذاتٍ جِنْسيَّةٍ أُخْرى أَبَاحَها بعضُ علمائِهم كاللُّواط ونحوِ ذلك ممَّا هو خُبْثٌ وفاحشةٌ ودناءَةٌ وخسَّةٌ.

المتاجرةُ بالدِّين بما يُسمَّى بالتَّقيَّة.

فهي رُكْنٌ عندهم من أَرْكان دِيْنِهم ومذهبهم فلا تثريبَ عندهم أَنْ تُصانعَ بالكُفْرِ أَو الإِلْحاد أَوْ نحو ذلك مَنْ تخشاه، ولا حرجَ عندهم أَنْ تتخلَّى عن دِيْنِك وتتنازلَ عن مبادِئِك وتتحلَّل من قِيَمِك لأَجْل موقفٍ وُجِدْتَ فيه أَوْ بلدٍ أَقَمْتَ به أَوْ... إلخ.

---

(١) لله ثم للتاريخ (٦١-٦٢-٦٣-٦٤).



وعليه فلا اعْتِبارَ لِدِينٍ ولا تشريعٍ في سبيل تحقيقِ مرادٍ أَوْ بلوغِ حاجةٍ.

صكُوكُ الغُفْرانِ عند الرَّافضة:

وقد شابَهتْ الرَّافضةُ النَّصارىٰ فيما يُسمَّىٰ بصُكُوك الغُفْران التي يمنحونَها لأَتْباعِهم فالملائِكَةُ تُقابل زُوَّارَ قَبْرِ الحُسَيْنِ، وتبلغُهم سلامَ الله وتُوزِّع عليهم صكوكَ الغُفْرانَ!!(١).

ج. متاجرةُ المنافقين بدِيْنِهم.

لقد شدَّد اللهُ النَّكيرَ في مواضعَ عديدةٍ من كتابه الكريم وقبَّح ما عليه شَأْنُ بني إِسْرائِيلَ مِنْ شرائِهِمْ بآيات الله ثمنًا قليلًا.. وفي ذلك تنبيهٌ للمُؤْمنين وتحذيرٌ لهم مِنْ أَنْ يسلكوا السَّبِيلَ ذاته وينهجوا الطَّريقَ نفسَه، لأَنَّ كلامَ الله ودِيْنَه وشَرْعَه أَعَزُّ وأَسْمىٰ وأَجَلُّ وأَعْلىٰ مِنْ أَنْ يُباعَ بعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيا قليلٍ، ولذا جاءَتِ النُّصوصُ النَّبويَّةُ مُؤَكِّدةً هذا الوَعِيد علىٰ من تسوِّل له نَفْسُه أَنْ يتأَكَّلَ بدِين الله أَوْ يتطلَّبَ مِنْ ورائِه مكانةً أَوْ منصبًا أَوْ رِئاسةً فقد روىٰ ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبيِّ ﷺ قوله: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُبَاهِي بِهِ الْعُلَمَاءَ وَيُمَارِي بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ فَهُوَ فِي النَّارِ»(٢).

ونَهىٰ الشَّارعُ الحكيمُ عن حَبْسِ العِلْم وكِتْمانِه فقدْ روىٰ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ قولَه ﷺ: «أَيُّما رَجُلٍ آتَاهُ اللهُ عِلْمًا فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»(٣).

---

(١) «كامل الزِّيارات»: (ص١٣٢)، «وسائل الشيعة»: (١٠/ ٣٤٢)، وانظر: «ثواب الأعمال» (ص٥١).

(٢) رواه ابن ماجة في «سننه» (١٠٩) وقال عنه الشيخ الألباني: صحيح لغيره.

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب: العلم، باب: كراهية منع العلم، برقم: (٣٦٥٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، برقم: (٦٢٨٤).

وجهُ الشَّبَه بين المنافقين واليَهُودِ في المتاجرةِ بالدِّين:

وهذا المعنى لدى المنافقين جليٌّ وواضحٌ.. فكما أَنَّ اليَهُودَ يتاجرون بالدِّين مُبدِّلين أَحكامَ الله وحُدُودَه كما في الزِّنى إِرْضاءً لأَشْرافِهم.. فكذلك المنافقون يَرْضونَ لإِمَائِهم الزِّنَى، بلْ ويُرْغِمُونهنَّ على ذلك رَغْبَةً في المال كما في قصَّةِ عَبْدِ الله بنِ أُبَيِّ بنِ سَلُولَ رَأْسِ المنافقين الذي نَزَلَ فيه قولُه تعالى ﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُواْ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [سورة النور: ٣٣].

وفي المنافقين مَنْ خفَر ذِمَّتَه وخانَ أَمَانَتَه وابْتاع دِيْنَه وتاجر به بموالاتِه لليَهُودِ والمشركين غيرَ آبهٍ ولا مُكْتَرِثٍ بعقيدةٍ أَوْ مَبْدَإٍ أَوْ... ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة الحشر: ١١].

إِنَّ المُؤْمنَ الصَّادقَ في ولائِه لله ولرَسُولِه ﷺ وللمُؤْمنين يُجاهد في سبيل الله تعالى وهمُّه في ذلك إِعْلاءُ كلمةِ الله وفي سبيلِ هذا الهَدَفِ يَبِيع رُوحَه ومالَه لمولاه طيِّبةً بذلك نفسُه تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة: ١١١] الآية.

أَمَّا المنافقُ فهو يتاجر أَيْضًا ولكنْ مع شيطانه ونفسِه وهواه فهو حين يدَّعي الإِيْمانَ ويُعْلِنُ الولاءَ لله ولرَسُولِه ﷺ لا يريد بذلك وَجْهَ الله ولا الدَّارَ الآخِرة وإِنَّما مُبْتغاه ومَقْصِدُه تحصيلُ نصيبِه من الدُّنْيا، فتراه كالشَّاةِ العائِرِ بين الفريقينِ يرقبُ الأَحْداثَ وخصوصًا في ساحة الجِهاد، فإِنْ رجَحتْ كِفَّة المُؤْمنين على أَعْدائِهم قال لهم: أَيْنَ نصيبي من الغنائِم أَلَمْ أَكُنْ معكم؟ وإِذَا رجَحتْ كِفَّة الكُفَّارِ انْحازَ إِلَيهم مُطالبًا ثمنًا لِخيانتِه ودراهمَ لموالاته إِيَّاهُمْ، فهو متاجرٌ بدِيْنِه وقِيَمِه ومبادئِه وأَخْلاقِه في سبيل إِشْباعِ نَهمِه وتحقيقِ غرضِه وإِرْواءِ مَطْمَعِه(١).

---

(١) «دراسة قرآنية في النفاق وأثره»، ص (٢١٥).



يُؤَكِّدُ هذا المعنى ويُجلِّيه قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ٧٢-٧٣].

هذا شَأْنُ المنافق في متاجرتِه بدِيْنِه، إِنَّك تجده أَحْرصَ النَّاس على حياةٍ، فيَحْمَدُ النَّجاةَ وفواتَ الشَّهادة في سبيل الله، وتذهبُ نفسُه عليه حَسَرَاتٍ حتَّى يذوبَ كمدًا إِنْ فاتَتْه غنيمةٌ أَوْ أَفْلَتَتْ منه فُرْصةٌ لتحصيل دُنْيا فانيةٍ أَوْ متاعٍ زَائِلٍ.

وقد أَشْبَه المنافقون اليَهُودَ في جَشَعِهم البالغِ وطَمَعِهم الذي لا يُحدُّ، وفي المقابل هُمْ من أَشحِّ النَّاس شُحًّا ومِنْ أَحْرصِهم على الدِّرْهَمِ والدِّينارِ بُخْلًا.. قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ [سورة النساء: ٣٧] الآية.

ومَنْ تَأَمَّلَ شَأْنَ النِّفاق في زماننا مِنْ جهة متاجرةِ أَهْلِه بالدِّين يجد توافقًا عجيبًا..

بلْ لقد فاق منافقوا زمانِنا ما كان عليه حالُ النِّفاقِ في الزَّمنِ الأَوَّلِ.. فإِلَى جانب مَنْ تاجروا بدِيْنِهم فوَالوا وآزَرُوا أَعْداءَ الله وكانوا خَوَنةً لدِيْنِهم وجواسيسَ على أَوْطانِهم وشعوبِهم، وُجِدَ من هانتْ عليه نفسُه فابْتَاعَ دِيْنَه مقابلَ شهواتٍ تقحَّم فيها أَوْ ملذَّاتٍ محرَّمةٍ رتَع فيها أَوْ هَوىً اتَّبعَه أَوْ رغبةٍ في عرَضٍ من أَعْراضِ الدُّنْيا تشوَّف إِلَيْه.

فهناك من علماءِ النِّفاق -وليسوا إِلَّا على ماءٍ- إِنَّهم علماء سوءٍ قدْ لبِسوا العمائِمَ وأُجْرِيَتْ معهم المقابلاتُ وتصدَّروا الصَّفحاتِ الإِسْلاميَّةَ في الجرائِدِ والمجلَّاتِ.. حتَّى أَصْبَحَ الرِّبا الاستهلاكيُّ عندهم حلالًا.. وبقاءُ الزَّوجةِ المسلمةِ أَوْ تزوُّجُها من الكافر لا بَأْسَ به.. وتقاربُ الأَدْيانِ مع اليهوديَّةِ أَوْ النَّصرانيَّةِ أَوْ الرَّافضة



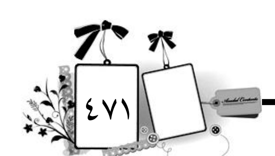
جائِزٌ والواقعُ المعاصرُ يدعو إِلَيه.. وخُذْ من الفتاوىٰ التي لا خُطامَ لها ولا زِمَامَ، ليس لها مُسْتَندٌ شرعيٌّ يَضْبِطُها، ولا قواعدُ فِقْهيَّةٌ تحكمُها ولا تقوىٰ من الله تحوطُها فإِذَا بالحرام حلالًا وإِذَا بالمحظورِ مباحًا وإِذَا بابْتعاثِ المَرْأَةِ وحيدةً لبلاد الغَرْبِ وغيرِها لا حرجَ فيه، وحتَّىٰ تمثيلها مع الرِّجال في مُسْلسلاتٍ بحشمة لا تثريبَ عليها فيه، وإِذَا بالذَّهاب إِلَىٰ السَّحَرةِ للعِلاج عند الضَّرورة مرغَّبٌ فيه.. كلُّ ذلك وغيرُه ممَّا لا حَصْرَ له واردٌ وجائِزٌ ومُباحٌ ومَشْروعٌ ولا غُبَارَ عليه وهو من دواعي التَّيسير ومُلاءَمَةِ الواقعِ ومُواكبة المُستجدَّات وممَّا يتمشَّىٰ مع الانْفِتاحِ العالميِّ وروحِ التَّعايش مع الآخَرِ.. وخُذْ من هذه الفَلْسفاتِ المَمْجوجةِ والكلماتِ المعسولةِ والتَّلْبيسِ الزَّائِفِ والتَّدْليسِ المقِيتِ ممَّا يتاجر به علماءُ النِّفاق ومشايخُ تلبيةِ الرَّغَباتِ وما يطلبه المشاهدون وما هو مِنْ حاجة الجُمْهُور..

قال سُفْيَانُ بنُ عُيَيْنَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «كانوا يقولون -أَيْ السَّلف- مَنْ فسَد مِنْ

---

(١) هو: سفيان بن عيينة بن أبي عمران، ميمون الهلالي، مولىٰ محمد بن مزاحم، أخي الضحاك بن مزاحم، الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام، أبو محمد الهلالي، الكوفي، ثم المكي. مولده: بالكوفة، في سنة سبع ومائة. وطلب الحديث وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علمًا جمًّا، وأتقن، وجود، وجمع، وصنف، وعمر دهرًا، وازدحم الخلق عليه، وانتهىٰ إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد، وألحق الأحفاد بالأجداد. ولقد كان خلق من طلبة الحديث يتكلفون الحج، وما المحرك لهم سوىٰ لُقيا سفيان بن عيينة؛ لإمامته وعلو إسناده. وجاور عنده غير واحد من الحفاظ.

ومن كبار أصحابه المكثرين عنه: الحميدي، والشافعي، وابن المديني، وأحمد، وإبراهيم الرمادي. قال الإمام الشافعي: لولا مالك وسفيان بن عيينة، لذهب علم الحجاز. وعنه، قال: وجدت أحاديث الأحكام كلها عند ابن عيينة، سوىٰ ستة أحاديث، ووجدتها كلها عند مالك سوىٰ ثلاثين حديثًا. فهذا يوضح لك سعة دائرة سفيان في العلم، وذلك لأنَّه ضم أحاديث العراقيين إلىٰ أحاديث الحجازيين. وارتحل، ولقي خلقًا كثيرًا ما لقيهم مالك، وهما نظيران في الإتقان، ولكن مالكًا أجل وأعلىٰ، فعنده نافع، وسعيد المقبري. قال عبد الرحمن بن مهدي: كان =



علمائِنا ففيه شَبَهٌ من اليَهُودِ ومَنْ فسَد مِنْ عُبَّادِنا ففيه شَبَهٌ من النَّصارىٰ»(١).

فإِذَا كانتْ هذه تجاوزاتُ مَنْ لهم حَظٌّ من العلم فمِنْ باب أَوْلَىٰ من تصدَّر الفُتْيا بلا عِلْمٍ وصعَدوا المنابرَ بلا تَقْوىٰ.. عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا كقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا ويُمْسِي كَافِرًا ويُمْسِي مُؤْمِنًا ويُصْبِحُ كافرًا يبيعُ دِيْنَه بعَرَضٍ من الدُّنْيا»(٢).

وفي الحديثِ الآخَرِ عن عَبْدِ الله بنِ عَمْرِو بنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، فَإِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»(٣).

الثالث عشر: نقضُ العهْدِ.

سِمَةٌ من سِماتِ الكُفْرِ حيث يقول -عزَّ في عُلاه- عن فريقٍ من بني إِسْرائِيلَ: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة البقرة:١٠٠].

= ابن عيينة من أعلم الناس بحديث الحجاز. قال حرملة: سمعت الشافعي يقول: ما رأيت أحدًا فيه من آلة العلم ما في سفيان بن عيينة، وما رأيت أكف عن الفتيا منه، قال: وما رأيت أحدًا أحسن تفسيرًا للحديث منه. قال عبد الله بن وهب: لا أعلم أحدًا أعلم بتفسير القرآن من ابن عيينة، وقال: أحمد بن حنبل أعلم بالسنن من سفيان. ينظر: «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي (١١/ ١٧٧)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٨/ ٤٥٤)، تهذيب التهذيب (٤/ ١١٧).

(١) الفتاوىٰ لشيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ (١/ ١٨٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن، برقم: (١١٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: العلم، باب: كيف يقبض العلم، برقم: (١٠٠)، ومسلم، كتاب: العلم، باب: رفع العلم وقبضه...، برقم: (٢٦٧٣/ ١).

وهو كذلك علامةٌ من علاماتِ الفِسْق ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ [سورة الأعراف: ١٠٢].

وهو من دلائِلِ النِّفاق ففي حديث صفاتِ المنافق الذي رواه عَبْدُ الله بنُ عَمْرِو بنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ذكر منها ﷺ: «وإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ»(١).

بلْ عدَّ رَسُولُ الله ﷺ مَنْ كان مُتَّصفًا بذلك مِمَّنْ ذهبتْ مُرُوءَتُهم وخفَّ دِيْنُهم فقال فيما رواه عنه أَنَسُ بنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ»(٢).

قال مُحَمَّدُ بنُ كَعْبِ القرظيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ثلاثُ خِصالٍ مَنْ كُنَّ فيه كُنَّ عليه الْبَغْي والنَّكْث والمَكْر، واقْرَأْ قولَه تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [سورة فاطر:٤٣].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [سورة يونس: ٢٣]، ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [سورة الفتح: ١٠](٣).

الآثارُ المُتَرَتِّبَةُ علىٰ نقضِ العَهْدِ:

إِنَّ نقضَ الْعَهْدِ مُؤَدٍّ إِلَىٰ الخِلاف والشِّقاقِ وزرعِ العداوات والأَحْقادِ ونزعِ الثِّقَة بين النَّاس ولذا كان مِنْ آثاره أَنَّه:

١- موجبٌ للَّعْنَةِ وقسوةِ القلب.

قال سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [سورة المائدة: ١٣].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: ظلم دون ظلم، برقم: (٣٤)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، برقم: (٥٨).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥)، وغيره، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، برقم: (٧١٧٩).

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٦) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفاسيرهم.



٢- مُسبِّبٌ للخُسْرانِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ.

قال المولى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٧].

٣- انْتِشارُ القتل وتسلُّطُ الأَعْداءِ.

روى ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: «خَمْسٌ بخَمْسٍ مَا نَقَضَ قَوْمٌ الْعَهْدَ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ»(١).

٤- شرارُ الخَلْقِ عند الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٥٥-٥٦].

أ. نقضُ اليَهُودِ للعهود.

إِنَّ مِنْ أَخصِّ الخصائِصِ التي اتَّصف بها اليَهُودُ نقضهم العُهودَ لذا أَثْبَتَها القُرْآنُ لهم في مواضعَ عديدةٍ وكفى به شاهدًا ودليلًا.. لقد أَصْبحَتْ عارًا في جبين يَهُودٍ لا يغسله الدَّهْرُ، بلْ لازمةٌ من لوازم أَخْلاقيَّاتِهم الدَّنيئَةِ.. فكمْ نقضوا مِنْ عَهْدٍ!.. وكمْ خفَروا مِنْ ذِمَّةٍ!.. وكمْ نكثوا مِنْ مواثيقَ!.. وكمْ نقَضوا مِنْ عقودٍ!.. فمِنْ ذلك ما أَشَارَ إِلَيه الدُّكْتور نَاصِرُ العمر بقوله: «بعد الرُّجوع إِلَى الآياتِ التي وردَتْ في بيان أَخْذِ العَهْدِ والميثاقِ على بني إِسْرائِيلَ نجدها على ثلاثةِ أَوْجهٍ:

آياتٌ مُجْمَلة لم يُبيِّن فيها إِلَّا أَنَّه أَخَذَ عليهم العَهْدَ والميثاقَ.. كقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٤٠]. وكقوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ﴾ [سورة البقرة: ١٠٠].

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٩٩٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم: (٣٢٤٠).

وآياتٍ فيها إِشَارةٌ موجزةٌ إِلَىٰ نوع الميثاق.. كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [سورة البقرة: ٩٣].

آياتٍ فيها شيءٌ من التَّفْصيل، كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [سورة البقرة: ٨٣].

وكقوله عزَّ في عُلاه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ [سورة البقرة: ٨٤].

وكقوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٧].

وقال سبحانه: ﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة:١٢].

وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ﴾ [سورة الأعراف: ١٦٩].

خلاصةُ ما ذكره علماءُ التَّفْسير في هذه الآيات:

أَنَّ اللهَ أَخذَ علىٰ بني إِسْرائِيلَ العَهْدَ والميثاقَ أَنْ يُؤمِنوا بالتَّوراةِ جُمْلةً ويعملوا بما فيها تفصيلًا.. قال الإِمامُ الطَّبَرِيُّ: «حدَّثني يُونُسُ بنُ عَبْدِ الأَعْلَىٰ قال أَخْبَرَنا ابْنُ



وَهْبٍ قال: قال ابنُ زَيْدٍ: لَمَّا رجَع مُوسَىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مِنْ عند ربِّه بالأَلْواح قال لقومه من بني إِسْرائِيلَ: إِنَّ هذه الأَلْواحَ فيها كتابُ الله وأَمْرُه الذي أَمَرَكُمْ به ونَهْيُهُ الذي نهاكم عنه، فقالوا: ومن يَأْخُذُ بقولك أَنْتَ، لا والله حتَّىٰ نرىٰ اللهَ جهرةً، حتَّىٰ يطلع اللهُ علينا، فيقول: هذا كتابي فخذوه، فما له لا يُكلِّمنا كما كلَّمَكَ أَنْتَ يا مُوسَىٰ، فيقول: هذا كتابي فخذوه، قال: فجاءَتْ غضبة من الله فجاءَتْهم صاعقةٌ فصعِقَتْهم فماتوا أَجْمعون، قال: ثُمَّ أَحْياهم الله بعد موتِهم، فقال لهم مُوسَىٰ: خُذُوا كتابَ الله فقالوا: لا، قال: أَيُّ شيءٍ أَصَابَكُمْ؟ قالوا: مِتْنَا ثُمَّ حيِّينا، قال خُذُوا كتابَ الله، قالوا: لا، فبعَث الله ملائِكَتَه فنَتَقَتِ الجَبَلَ فوقَهم، فقِيلَ لهم: أَتَعْرِفُونَ هذا؟ قالوا: نَعَمْ، هذا الطُّور، قال: خُذُوا الكتابَ وإِلَّا طَرَحْناه عليكم، قال: فأَخَذُوه بالميثاقِ»(١).

وقد ذكَر القُرْطُبِيُّ نحوَه وفيه: «خُذُوها وعليكم الميثاقُ أَلَّا تُضيِّعوها وإِلَّا أَسْقَطَ عليكم الجَبَلَ، فسجدوا توبةً لله وأَخَذُوا التَّوراةَ بالميثاق»(٢).

وقال الرَّازيُّ: «أَعْطَوا العَهْدَ والميثاقَ أَلَّا يعودوا إِلَىٰ ما كان منهم مِنْ عبادةِ العِجْلِ، وأَنْ يقوموا بالتَّوراة فكان هذا عهدًا وموثقًا جعَلوه لله علىٰ أَنْفُسِهم وهذا اخْتيارُ أَبِي مُسْلِمٍ»(٣).

---

(١) «تفسير الطبري» (١/ ٣٢٤) وهذا لأثر وإن كان عن بني إسرائيل فليس مخالفًا لما في القرآن بل هو إلىٰ الموافقة أقرب، فنجد قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ۝٥٥ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة البقرة:٥٥-٥٦] وقوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٧١]، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ﴾ [سورة البقرة:٦٣].

(٢) ينظر: «تفسير القرطبي» (١/ ٤٣٧)، أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٢٤).

(٣) «تفسير الرازي» (٣/ ١٠٧).



وقال الحَسَنُ: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [سورة البقرة: ٩٣]، يعني: التَّوراةَ(١). وقال ابنُ عَبَّاسٍ: الذي آتاهم اللهُ هو التَّوراةُ(٢). وقال أَبُو الْعَالِيَةِ والرَّبيع: «يقول اقْرَءُوا ما في التَّوراةِ واعْمَلُوا به»(٣).

وقال الطَّبَرِيُّ: «وأَمَّا العَهْدُ: فإِنَّه الميثاقُ الذي أَعْطتْه بنو إِسْرائِيْلَ نبيَّهم ليعملنَّ بما في التَّوراة مرَّةً بعد أُخْرىٰ»(٤).

وقال عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ﴾ [سورة الأعراف:١٦٩]، قال: «هو أَخْذُ الله العُهود علىٰ بني إِسْرائِيلَ بإِقَامة التَّوراةِ والعملِ بما فيها»(٥).

أَنَّ الله أَخَذَ علىٰ بني إِسْرائِيلَ العَهْدَ والميثاقَ أَنْ يُؤْمِنُوا بالرَّسُولِ ﷺ: فإِذَا ما بُعِثَ ﷺ لَزِمَهم اتِّباعُه وبيانُه للنَّاس، أَنَّه رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ الله؛ لأَنَّهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التَّوراةِ والإِنْجيلِ. قال الطَّبَرِيُّ: «فعهدُ الله وميثاقُه هو ما أَخَذَه الله عليهم في التَّوراةِ من العمل بما فيها واتِّباعِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا بُعِثَ والتَّصْديقِ به وبما جاءَ به من عند ربِّهم»(٦).

وقد وردَتْ آثار في هذا المعنىٰ عن ابنِ عَبَّاسٍ وسَعِيْدِ بنِ جُبَيْرٍ والسُّدِّيِّ وابنِ جُرَيْجٍ وغيرهم(٧).

---

(١) «تفسير الرازي» (٣/ ١٠٧).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٢٧) وفي السند داود بن الحصين ثقة إلا أنه تكلم في روايته عن عكرمة وهذا منها.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٢٧)، وينظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ١٠٥).

(٤) «تفسير الطبري» (١/ ٤٤٢).

(٥) «تفسير الطبري» (٩/ ١٠٧).

(٦) «تفسير الطبري» (١/ ١٨٢).

(٧) انظر: «تفسير الطبري» (٤/ ٤٢٠٢) و«زاد المسير» (١/ ٥٢١).



قال ابنُ كَثِيرٍ: «أَخَذَ الله عليهم العَهْدَ علىٰ أَلْسنة الأَنْبياءَ أَنْ يُؤْمنوا بمُحَمَّدٍ ﷺ وأَنْ يُنوِّهوا بذِكْرِه في النَّاس، فيكونوا علىٰ أُهْبَةٍ مِنْ أَمْرِه، فإِذَا أَرْسَلَه الله تابعوه»(١).

وهذا ما يدلُّ عليه قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٧].

لقد أَخَذَ الله ميثاقَ بني إِسْرائِيلَ علىٰ جُمْلةٍ من القضايا منها:

الوفاءُ بأَنْ لا يعبدوا إِلَّا إِيَّاه ولايشركوا به شيئًا وأَنْ يحسنوا إِلَىٰ الآباءِ والأُمَّهات ويصِلُوا الأَرْحامَ ويعطفوا علىٰ الأَيْتامِ ويُؤَدُّوا حقوقَ أَهْلِ المسكنةِ إِلَيهم ويأْمُرُوا عبادَ الله بما أَمَرَهُمْ الله به ويحثُّوا علىٰ طاعته ويقيموا الصَّلاةَ بحدودها وفرائِضِها ويُؤَدُّوا زكاةَ أَمْوالِهم»(٢).

وهذا يدلُّ عليه قولُه تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [سورة البقرة: ٨٣].

أَخَذَ الله ميثاقَ بني إِسْرائِيلَ بأَلَّا يقتلَ بعضُهم بعضًا وأَلَّا يُخْرِجَ بعضُهم بعضًا من دِيارِهم.

وهذا قولُ جُمْهور المُفسِّرين كقَتَادَةَ وأَبِي العَالِيَةِ والطبريِّ(٣) والقرطبيِّ(٤) وابنِ كَثِيرٍ(٥)، وهذا معنىٰ قولِه تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٨٤].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣٤٦).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٣٩٣).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (١/ ٣٩٤).

(٤) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ١٨).

(٥) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ١٢١).

وقيل: الآيةُ علىٰ ظاهرها، وأَخَذَ العهدَ والميثاقَ عليهم أَلَّا يقتلوا أَنْفُسَهم حقيقةً[1] أَوْ يرتكبوا ما يُؤَدِّي إِلَىٰ قتل النَّفْس كالقِصاص[2] أَوْ إِقَامةِ الحربِ بدون حقٍّ ممَّا يُؤَدِّي إِلَىٰ قتل النَّفْسِ، وكذلك بأَنْ يرتكبوا ما يُؤَدِّي إِلَىٰ إِخْراجهم من بيوتِهم، فنقضُهم للعهد مع رَسُولِ الله ﷺ كان سببًا في إِخْراج بني قَيْنُقَاع وبني النَّضِيرِ وإِجْلائِهم من المدينة.

وقد ذكَر هذا القولَ الرَّازيُّ [3] والقرطبيُّ [4] والأَوَّلُ أَوْلىٰ مع أَنَّ معنىٰ هذا القولِ صحيحٌ فإِذَا كان الأَوَّلُ يُفْهم من الآية فإِنَّ القولَ الثَّاني يُفْهم منها من بابِ أَوْلىٰ..

عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال عند قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾ الآية [سورة البقرة: ٨٥] ، أَنَّبَهُمُ اللهُ بذلك وقد حرَّم عليهم في التَّوراة سَفْكَ دمائِهم وافْترض عليهم فيها فِداءَ أَسْراهم فكانوا فريقينِ، طائِفَةٌ منهم بنو قَيْنُقَاعَ وهُمْ حُلَفاءُ الخَزْرَجِ، والنَّضيرُ وقُرَيْظَةُ وهُمْ حُلَفاءُ الأَوْسِ فكانوا إِذَا كانتْ بين الأَوْسِ والخَزْرَجِ حربٌ خرجتْ بنو قَيْنُقَاعَ مع الخَزْرَجِ وخرجت النَّضِيرُ وقُرَيْظَةُ مع الأَوْسِ، يظاهر كلُّ واحدٍ من الفريقين حُلَفاءَه علىٰ إِخْوانه حتَّىٰ تسافكوا دِمَاءَهم بينهم، وبأَيْدِيهم التَّوراةُ يعرفون فيها ما عليهم وما لهم، والأَوْسُ والخَزْرَجُ أَهْلُ شِرْكٍ يعبدون الأَوْثانَ ولا يعرفون جَنَّةً ولا نارًا ولا بعثًا ولا قيامةً ولا حلالًا ولا حرامًا، فإِذَا وضعَت الحربُ أَوْزارَها افْتدَوْا أَسْراهم

---

(١) كالانتحار ونحوه.

(٢) أي يقتل إنسانًا فيقتص منه.

(٣) انظر: «تفسير الرازي» (٣/ ١٦٤).

(٤) انظر: «تفسير القرطبي» (٢/ ١٩).

تصديقًا لما في التَّوراةِ وأَخَذَ بعضُهم من بعضٍ يفتدي بنو قَيْنُقَاعَ ما كان مِنْ أَسْراهم في أَيْدِي الأَوْسِ.

ويفتدي النَّضِيْرُ وقُرَيْظَةُ ما كان في أَيْدي الخَزْرَج منهم، ويُطِلُّون(١) ما أَصَابُوا من دِمائِهِم، وقتلوا مَنْ قتلوا منهم فيما بينهم مظاهرةً لأَهْل الشِّرْك عليهم، يقول الله -تعالىٰ ذكره- حيث أَنَّبَهُمْ بذلك ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ﴾ [سورة البقرة: ٨٥] ، أَيْ: تفادونَهم بحكم التَّوراة وتقتلونَهم وفي حكم التَّوراة أَنْ لا يُقْتَلَ ولا يُخْرَجَ من دارِه ولا يُظاهر عليه مَنْ يُشْرِكُ بالله ويعبد الأَوْثانَ من دونه ابْتغاءَ عرَضِ الدُّنْيا؟ ففي ذلك مِنْ فعلهم مع الأَوْسِ والخَزْرَجِ فيما بلغني نزلتْ هذه القِصَّةُ(٢).

أَخَذَ اللهُ العَهْدَ والميثاقَ علىٰ بني إِسْرائِيلَ إِنْ هُمْ أَطَاعوه لينصرنَّهم وليُدْخِلَنَّهم جناتٍ: لَمَّا أَرَادَ مُوسَىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ محاربةَ الجبَّارين أَمَرَه الله بأَنْ يختارَ من قومه اثْنَيْ عشر نقيبًا -كفلاءَ علىٰ قومهم- وأَمَرَهم بالذَّهاب إِلَىٰ الجبَّارين وأَخَذَ منهم الميثاقَ وأَعْطاهم الموعدَ بأَنَّه سبحانه معهم وناصرُهم علىٰ عدوِّهم إِنْ أَقَاموا الصَّلاةَ وآتوا الزَّكاةَ وآمنوا برُسُلِ الله وعزَّروهم ونصروهم، وأَقْرَضوا اللهَ قرضًا حسنًا، مع وعده سبحانه بتكفير ذنوبهم وإِدْخالِهم الجَنَّةَ بعد ذلك إِنْ وفَّوا بالعَهْدِ والميثاقِ الذي أَخَذَه عليهم وكفَلهم بذلك نُقباؤُهم(٣).

وهذا معنىٰ الميثاق في قوله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَبَعَثۡنَا مِنۡهُمُ ٱثۡنَيۡ عَشَرَ نَقِيبٗاۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مَعَكُمۡۖ لَئِنۡ أَقَمۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيۡتُمُ

(١) يطلون: أي يهدرون، وفي بعض النسخ يطلبون.

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ١٧٣).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٦/ ١٥٠) و«تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٢).

ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرۡتُمُوهُمۡ وَأَقۡرَضۡتُمُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ فَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة المائدة:١٢] ، وقال الرَّبِيْعُ بنُ أَنَسٍ[(١)]: «هذا خِطابٌ من الله للنُّقَباءِ الإِثْنَيْ عشر»[(٢)].

قال الطبريُّ -معقبًا على هذا القول: «وليس الذي قاله الرَّبِيْعُ ببعيدٍ عن الصَّواب، غير أَنَّ قضاءَ الله في جميع خَلْقِه أَنَّه ناصرُ من أَطَاعَه، ووليُّ من اتَّبَعَ أَمْرَه وجانبَ معصيتَه، فإِذَا كان ذلك كذلك وكان مِنْ طاعته إِقَامُ الصَّلاةِ وإِيْتاءُ الزَّكاةِ والإِيْمانُ بالرُّسُلِ عليهم صلواتُ الله وسائِرُ ما نُدِبَ القومُ إِلَيه كان معلومًا أَنَّ تكفيرَ السَّيِّئَاتِ بذلك وإِدْخالَ الجنَّاتِ به لم يُخَصَّصْ به النُّقَبَاءُ دون سائِرِ بني إِسْرائِيلَ وغيرِهم»[(٣)].

أَخَذَ الله على بني إِسْرائِيلَ عهدًا وميثاقًا غليظًا بأَنْ يدخلوا البابَ سُجَّدًا وأَلَّا

---

(١) هو: الربيع بن أنس البكري، ويُقال الحنفي، البَصْرِيّ ثم الخراساني. وكان عالم مرو في زمانه. وقال ابن أبي داود: سجن بمرو ثلاثين سنة. قال ابن سعد: الربيع بن أنس أخبرنا عمار بن نصر الخراساني قال: كان الربيع بن أنس من بكر بن وائل من أنفسهم، وكان من أهل البصرة، وقد لقي ابن عمر، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك، وكان هرب من الحجاج، فأتى مرو، فسكن قرية منها يقال لها برز، ثم تحول إلى قرية أخرى منها يقال لها سَذَوَّرُ، فكان فيها إلى أن مات، وقد كان طلب أيضًا بخراسان حين ظهرت دعوة ولد العبَّاس، فتغيب، فتخلص إليه عبد الله بن المبارك، وهو مختف، فسمع منه أربعين حديثًا، وكان عبد الله يقول: ما يسرُّني بها كذا وكذا لشيء، وكان عبد الله يقول: ما يسرُّني بها كذا وكذا لشيء سمَّاه. يقال: توفي سنة تسع وثلاثين ومائة في خلافة أبي جعفر المنصور. حديثه: في السنن الأربعة. ينظر: «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي (٩/ ٦٠)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٦/ ١٦٩)، «الطبقات الكبرى»، لابن سعد (٧/ ٣٦٩)، «تاريخ الإسلام»، للذهبي (٣/ ٦٤٦).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٥١) وفي السند مقال وانقطاع.

(٣) «تفسير الطبري» (٦/ ١٥١).



يعدوا في السَّبْت، وأَنْ يعملوا بما في التَّوراة وأَخَذَ عليهم ميثاقًا غليظًا مُؤَكِّدًا، قال تعالىٰ: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُواْ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [سورة النساء: ١٥٤].

قال الطبريُّ: «أَخَذَ الله عليهم عهدًا مؤكدًا شديدًا بأَنْ يعملوا بما أَمَرَهم الله به وينتهوا عما نَهَاهُم الله عنه ممَّا ذكَر في هذه الآيةِ، وممَّا في التَّوراة»[١]. وبنحو ذلك قال ابنُ كَثِيرٍ[٢].

وقد أُشِيْر سابقًا إِلَىٰ وثيقة المعاهدة التي جعَلها النَّبيُّ ﷺ بينه وبين اليهودِ لَمَّا قدِم المدينةَ، ومع ذلك لم يلتزموا بها ولم يعملوا ببُنُودِها[٣][٤].

نقضُ طوائِف اليهودِ بالمدينة عهدهم مع النَّبِيِّ ﷺ.

١- نقضُ يهودِ بني قَيْنُقَاعَ العَهْدَ..

أ ـ فتاريخُ غزوتِهم: كان بعد غزوة بَدْرٍ وهذا ما ذهَب إِلَيه غالبُ أَهْلِ المغازي والسِّيَرِ وقد رجَّح ذلك ابنُ حَجَرٍ[٥][٦].

ب ـ أَسْبابُها: تَذْكُرُ كتُبُ السِّيْرَةِ سببينِ لهذه الغزوة:

---

(١) «تفسير الطبري» (٦/ ١٠).

(٢) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٧٣).

(٣) انظر: ص (١٥١) من الرسالة.

(٤) مجموع ما ذكر في الصفحات الثلاث الماضية من كتاب «العهد والميثاق» للشيخ/ ناصر العمر ص (٢٢-٢٨) بتصرف يسير.

(٥) «فتح الباري» (١٥/ ٢٠٤).

(٦) نقلًا عن: «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية»، مهدي رزق الله أحمد، الطبعة: الثانية، دار النشر: دار إمام الدعوة للنشر والتوزيع – ١٤٢٤هـ، (١/ ٤٥١).

السَّببُ الأَوَّلُ: أَنَّ يهودَ بني قَيْنُقَاعَ أَظْهروا الغضبَ والحسدَ عندما انْتَصَرَ المسلمون ببَدْرٍ، ويظهر ذلك في موقفهم من الرَّسُولِ ﷺ عندما جَمَعهم في سوقهم بعد بَدْرٍ وقال لهم: يا معشرَ يهودٍ أَسْلِمُوا قبلَ أَنْ يُصِيبَكم مثلُ ما أَصَابَ قُرَيْشًا فقالوا: يا مُحَمَّدُ لا يغرَّنَّكَ من نفسك أَنَّكَ قتلتَ نفرًا مِنْ قُرَيْشٍ كانوا أَغْمارًا لا يعرفون القتالَ، إِنَّكَ لو قاتلْتَنا لعرفتَ أَنَّا نحنُ النَّاس وأَنَّكَ لم تَلْقَ مثلَنا.. فأَنْزَلَ الله ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَاۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [سورة آل عمران: ١٢-١٣][١].

السَّببُ الثَّاني: هو أَنَّ أَحدَهم عقد طرفَ ثوبِ امْرَأَةٍ مسلمةٍ في سوقِ بني قَيْنُقَاعَ فلمَّا قامت انكشفتْ، فصاحتْ مُسْتَنْجِدَةً، فقام أَحَدُ المسلمين فقتل اليهوديَّ وتواثب عليه اليهودُ فقتَلُوه، فاسْتَصْرَخَ أَهْلُ المسلم المسلمين علىٰ اليهود فغضِب المسلمون ووقَع الشَّرُّ بينهم وبين بني قَيْنُقَاعَ[٢]، وإِذَا قبِلْنَا تحسينَ ابن حَجَرٍ لروايةِ ابنِ إِسْحَاقَ في السَّببِ الأَوَّلِ فهذا يعني أَنَّ سببَ إِجْلائهم يعود إِلَىٰ رَفْضِهم الدُّخُولَ في الإِسْلام، لأَنَّ الإِسْلام في هذه المرحلةِ كان يقبل التَّعايُشَ السِّلْميَّ معهم وأَنَّ نصوصَ صحيفةِ المدينة تُؤَكِّدُ إِعْطاءَ اليهودَ حُرِّيَّتَهم الدِّينِيَّةَ في المدينة، وإِنَّما يعود سببُ الإِجْلاءِ إِلَىٰ ما أَظْهروه من روح عدائِيَّةٍ ضِدَّ المسلمين، انْتهتْ إِلَىٰ الإِخْلال بالأَمْنِ داخلَ المدينة، ومن ذلك قِصَّةُ المَرْأَةِ المسلمةِ معهم[٣].

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الخراج والإمارة والفيء، باب: كيف كان إخراج اليهود من المدينة، برقم: (٣٠٠٠) قال الشيخ الأرناؤوط محقق «جامع الأصول»: وفي سنده محمد بن محمد مولىٰ زيد بن ثابت، لم يوثقه غير ابن حبان وباقي رجاله ثقات، وضعف الحديث الألباني في «ضعيف سنن أبي داود»، برقم: (٦٤٧).

(٢) أخرجه «ابن هشام» في «السيرة النبوية» (٣/ ٧٠)، وضعفه الألباني في «الدفاع عن الحديث النبوي» (ص٢٦).

(٣) العمري: المجتمع المدني – تنظيماته... ص (١٣٨).



وكذلك قصَّةُ شَاسِ بنِ قَيْسٍ القينقاعيِّ اليهوديِّ الذي دسَّ على الأَنصارِ منْ ذكَّرهم بالحروب التي كانت بينهم -مثل يوم بُعَاثٍ- فتمادوا يقتتلون فأَتَاهُمُ النَّبيُّ ﷺ فذكَّرهم فعرفوا أَنَّهَا من الشَّيْطان فعانقَ بعضُهم بعضًا ثُمَّ انْصَرَفُوا سامعين مطيعين فنزلتْ.

أَخْرَجَهُ إِسْحَاقُ في تفسيره مُطوَّلًا وأَخْرجه الطبرانيُّ من حديث بنِ عَبَّاسٍ موصولًا، وفي هذه الآيةِ الإِشَارةُ إِلَى التَّحْذير عن مصادقةِ أَهْلِ الكتاب إِذْ لا يُؤمنُونَ أَنْ يَفْتِنُوا مَنْ صادقهم عن دِيْنِه[١].

ج ـ الحِصارُ والإِجْلاءُ:

إِنَّ خبرَ إِجْلاءِ بني قَيْنُقَاعَ ثابتٌ في الصَّحيحين[٢] وأَمَّا تفاصيلُ الحصار فقدْ أَوْرَدَها ابنُ إِسْحَاقَ[٣] والواقديُّ[٤] وابنُ سَعْدٍ[٥] وتابعهم المُؤَرِّخُون في ذلك.

وقد ورَد في تفاصيلِ خبَرِ حصارِهم أَنَّهم كانوا صاغةً وحُلَفاءَ عَبْدِ الله بنِ أُبَيٍّ بنِ سَلُولٍ وكانوا أَشْجَعَ اليهود، فلمَّا أَظْهروا العداوةَ والبغضاءَ خشِي الرَّسُولُ ﷺ خيانتَهم، فنبَذ إِلَيهم على سواءٍ كما أَمَرَهُ الله في مثل هذه الحالاتِ، إِذْ يقول الله: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٥٨] ، وحاصرَهم خمسَ عشرةَ ليلةً، وعندما اشْتدَّ عليهم الحِصارُ نزلوا على حكم

(١) أخرج نحوه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٨٧٨)، والطبري (٤/ ٢٣)، وقال ابن حجر في «الإصابة» (١/ ١٥٩): إسناده مرسل، وفيه راو مبهم. رواه بأسانيد ضعيفة تعتضد كل من: ابن إسحاق، و«ابن هشام» (٢/ ٢٣٣)، الطبري: «التفسير» (٧/ ٥٥-٦٠)، انظر: أكرم السندي: «مرويات تاريخ يهود المدينة» ص (٣٢)، ماجستير غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ـ قسم السنة.

(٢) البخاري، «الفتح» (١٥/ ٢٠٣-٢٠٤، ح٤٠٢٨)، مسلم (٣/ ١٣٨٧-١٣٨٨، ح١٧٦٦).

(٣) «ابن هشام» (٣/ ٧٠-٧٢) وإسناده مرسل، لكنه يتقوى مع المتابعة.

(٤) «المغازي» (١/ ١٧٦) بإسناد ضعيف.

(٥) «الطبقات» (٢/ ٢٩) بدون إسناد.

الرَّسُولِ ﷺ علىٰ أَنَّ لهم أَمْوالَهم وأَنَّ لهم –أَيْ: بنو قَيْنُقَاعَ– النِّساءَ والذُّرِّيَّةَ، فأَمَرَ بهم فكُتِّفوا، ثُمَّ كلَّمه فيهم حليفُهم ابنُ سَلُولٍ، وأَلَحَّ في ذلك قائِلًا: أَرْبعُمائَةِ حاسرٍ وثُلْثُمائَةِ دارع منعوني من الأَحْمرِ والأَسْودِ وتحصدهم في غداةٍ واحدةٍ؟ فقال رَسُولُ الله ﷺ : «هُمْ لَكَ»(١) وأَمَرَ بِهم أَنْ يُجْلَوا عن المدينة، وتولَّىٰ أَمْرَ ذلك عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ، فلَحِقُوا بأَذْرعاتٍ، وتولَّىٰ قبضَ أَمْواِلهم مُحَمَّدُ بنُ مَسْلَمَةَ(٢)، فقُسِمَتْ بين الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ بعد إِخْراجِ الخُمُسِ للرَّسُولِ ﷺ(٣).

وكان عُبَادَةُ بنُ الصَّامِتِ قد تبرَّأَ مِنْ حلْفِهم عندما حاربوا الرَّسُولَ ﷺ وفيه

---

(١) ابن إسحاق بإسناد منقطع، «ابن هشام» (٣/ ٧٠-٧١)، الواقدي (١/ ١٧٧-١٧٨) وابن سعد (٢/ ٩٢) بدون إسناد وفيه الآية، وجاء خبر تشبت ابن سلول ببني قينقاع في أثرين ضعيفين لابن إسحاق، لأنهما موقوفان علىٰ عاصم وعبادة، لكن كل منهما يقوي الآخر ويرتقيان إلىٰ درجة الحسن لغيره ويقوي ذلك أكثر ذكر ذلك عند أهل المغازي والسير الآخرين، السندي ص (٩٦). وقد صحح سند الرواية إبراهيم العلي في كتابه «صحيح السيرة النبوية» ص (٢٦٩).

(٢) هو: محمد بن مسلمة بن سلمة بن حريش بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الحارثي، أبو عبد الله، ويقال: أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو سعيد، المدني، حليف بني عبد الأشهل. شهد بدرًا، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وقيل: إن النبي ﷺ استخلفه علىٰ المدينة عام تبوك. روىٰ عن النبي ﷺ. قال أبو عمر بن عبد البر: يقال: كان أسمر شديد السمرة، طويلًا أصلع ذا جثة، وكان من فضلاء الصحابة، وهو أحد الذين قتلوا كعب بن الأشرف، واستخلفه رسول الله ﷺ علىٰ المدينة في بعض غزواته: قيل استخلفه في غزوة قرقرة الكدر، وقيل: إنه استخلفه عام تبوك. واعتزل الفتنة، واتخذ سيفًا من خشب وجعله في جفن، وذكر أن رسول الله ﷺ أمره بذلك، ولم يشهد الجمل ولا صفين، وأقام بالربذة، وكان له من الولد عشرة ذكور وست بنات. وذكره محمد بن سعد في الطبقة الأولىٰ من حلفاء بني عبد الأشهل قال: وأسلم بالمدينة علىٰ يدي مصعب بن عمير قبل أسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، وآخىٰ رسول الله ﷺ بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح. وقال ابن البرقي: توفي بالمدينة سنة اثنتين وأربعين. «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي (٢٦/ ٤٥٦)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٢/ ٣٦٩).

(٣) «عيون الأثر» (١/ ٣٨٦)، «سبل الرشاد في سيرة خير العباد» (٤/ ١٨٠).



وفي ابنِ سَلُولٍ نزَل قولُ الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾ [سورة المائدة: ٥١-٥٢](١)(٢).

٢- نقضُ يهُودِ بني النَّضِيرِ العَهْدَ:

أ. تاريخُ غَزْوَتِهِم.

الرَّاجحُ أَنَّها كانتْ بعد غزوة أُحُدٍ وهذا ما ذهَب إلَيه ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيرُه من أَهْلِ التَّحْقيق في السِّيَر(٣).

ب. سببُ الغزوة.

تُشير المصادرُ إلَىٰ ثلاثةِ أَسْبابٍ لهذه الغزوةِ:

الأوَّل: أَرَادتْ بنو النَّضِيرِ قتلَ الرَّسُول ﷺ بعد بَدْر الكُبْرىٰ عندما حرَّضتْهم قُرَيْشٌ علىٰ ذلك.

الثَّاني: محاولتُهم قتلَ الرَّسُولِ ﷺ عندما جاءَهم ليستعينَ بهم في دِيةِ الكلابيَّيْنِ اللَّذَيْنِ قتَلَهما الضَّمْريُّ.

الثَّالث: حضُّهم قُرَيْشًا علىٰ قتال الرَّسُولِ ﷺ ودلالتُهم لهم علىٰ العورة.

---

(١) وروىٰ الخبر ابن إسحاق بإسناد مرسل، «ابن هشام» (٣/ ٧١-٧٢) يتقوىٰ مع المتابعات والشواهد.

(٢) تحقيق هذه الروايات من كتاب السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية من (٤٥١-٤٥٤).

(٣) «الفتح» عند حديث رقم (٤٠٢٨) وانظر: «مرويات يهود المدينة» ص (١٤٢) للسندي، و«المجتمع المدني في عهد النبوة» (١٤٤-١٤٥) للعمري... إلخ.

تقول المصادرُ عن السَّببِ الأَوَّلِ: إِنَّ قُرَيشًا أَرسلتْ إِلَىٰ اليهودِ وهدَّدتْهم بالحرب إِنْ لَمْ يُقاتلوا الرَّسُولَ ﷺ، فاستجابَ بنو النَّضِيرِ لذلك ووضَعوا خُطَّةً يقتلون بها الرَّسُولُ ﷺ غدرًا، فقدْ طلبوا منه أَنْ يخرجَ إِلَيهم في ثلاثين رجلًا مِنْ أَصْحابه ليلتقي بثلاثين من أَحْبارِهم في موضعٍ وسطٍ ليُحدِّثَهم، فإِنْ صدَّقوه آمنتْ يهودُ فلمَّا جاءُوا قريبًا من المكان، اقترحوا علىٰ النَّبيِّ ﷺ أَنْ يجتمعَ ومعه ثلاثةٌ مِنْ أَصْحابه وثلاثةٌ مِنْ أَحْبارهم وقد حمَلَ هؤلاء اليهود الثَّلاثةُ خناجرَهم، ولكنَّ امْرَأَةً منهم أَفْشتْ سِرَّهم لأَخٍ لها مُسْلِمٍ فأَخْبَرَ النَّبيَّ ﷺ فرجَع عنهم ثُمَّ اسْتعدَّ وحاصرَهم بجنوده حتَّىٰ نزلوا علىٰ الجَلاء، وعلىٰ أَنَّ لهم ما حملتْ الإِبلُ إِلَّا السِّلاح(١).

أَمَّا السَّببُ الثَّاني: فتقول عنه المصادرُ: إِنَّ النبيَّ ﷺ عندما ذهَب إِلَيهم في دِية الكلابيَّيْنِ، لما كان بينه وبينهم من الحلْفِ جلَس إِلَىٰ جِدارٍ لهم في انْتِظارهم ليَأْتُوا بما وَعَدُوا به مِن المساهمةِ في الدِّيَةِ ثُمَّ خلا بعضُهم ببعضٍ فقالوا: إِنَّكم لن تجدوا الرَّجُلَ علىٰ مثلِ حاله هذه، فاتَّفقوا علىٰ أَنْ يعلو عَمْرُو بن جِحَاشٍ ذلك الجِدارَ فيُلْقي صَخْرَةً علىٰ الرَّسُولِ ﷺ فيقتله، فأَخْبر الله رَسُولَه ﷺ بما أَرادوا فخرَج راجعًا إِلَىٰ المدينة، وعندما تَأَخَّرَ عن أَصْحابه الذين كانوا معه، سَأَلُوا عنه فعلِموا رُجوعَه إِلَىٰ المدينة فأَتَوهُ فأَخْبرَهم الخبرَ، ثُمَّ أَمَر بالتَّهيُّؤ لحربِهم والسَّيْرِ إِلَيهم ومحاصرتِهم، فنزَلوا علىٰ الصُّلْحِ بعد حِصارٍ دام سِتَّ ليالٍ، علىٰ أَنَّ لهم ما حملت الإِبِلُ(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الخراج والإمارة والفيء، باب: في خبر النضير، برقم: (٣٠٠٤) قال الشيخ اللألباني: صحيح الإسناد.

(٢) أخرجه ابن إسحاق بإسناد مرسل كما في «السيرة النبوية» (٤/ ١٤٤) ويتقوىٰ هذا الإسناد بالمتابعة، وقد توبع برواية موسىٰ بن عقبة عند ابن حجر في «الفتح» (١٥/ ٢٠٢) وعند البيهقي في «الدلائل» (٣/ ١٨٠-١٨١) وفي رواية موسىٰ بن عقبة عن ابن حجر زيادة عما عند ابن =

أَمَّا السَّبَبُ الثَّالِثُ: فقد انْفَردَ به مُوسَىٰ بنُ عُقْبَةَ [(١)][(٢)] حيث قال: «كانتْ بنو النَّضِيرِ قد دسُّوا إِلَىٰ قُرَيْشٍ وحضُّوهم علىٰ قتال رَسُولِ الله ﷺ ودلُّوهم علىٰ العورة وقال إِنَّ ذلك كان عندما نزَلوا بأُحُدٍ لقتال رَسُولِ الله ﷺ»[(٣)].

ومن المعروف أَنَّهم حرَّضوا المشركين علىٰ قتال المسلمين فكانتْ أُحُدٌ، وأَعَانُوا أَبَا سُفْيَانَ في إِغَارته علىٰ أَطْراف المدينة ممَّا أَدَّىٰ إِلَىٰ مطاردة المسلمين له فيما عُرِفَ بغزوة السَّوِيْق وأَنَّ كَعْبَ بنَ الأَشْرَفِ كان يَقْرِضُ الشِّعْرَ في هِجاءِ المسلمين وتحريضِ قُرَيْشٍ عليهم، كلُّ هذا يدلُّ علىٰ حالهم مع المسلمين إِلَىٰ أَنْ كانتْ محاولتُهم قتلَه، وتسبَّبَ ذلك في قرارٍ لوضع حدٍّ لممارساتِهم الإِجْراميَّةِ، فكان القرارُ طَرْدُهم من المدينة[(٤)].

ج ـ الإِنْذارُ:

عندما صدَر منهم ما صدَر طلَب منهم الرَّسُولُ ﷺ الخروجَ من المدينة خِلالَ عشرة أَيَّام، فمَنْ رَأَوْهُ بعد ذلك ضُرِبَتْ عُنُقُه.

= إسحاق وهي: (كانت النضير قد دسوا إلىٰ قريش وحضّوهم علىٰ قتال رسول الله ﷺ ودلوهم علىٰ العورة) وعنوان باب حديث بني النضير عند البخاري يدل علىٰ قبوله بهذا السبب ونص العنوان (حديث بني النضير ومخرج رسول الله ﷺ إليهم في دية الكلابيين وما أرادوا من الغدر برسول الله ﷺ)، وتكلم علىٰ قصة بني النضير وساق الأحاديث في ذلك الزيلعي في تخريجه للكشاف (١/ ٣٩٠).

(١) هو موسىٰ بن عقبة بن أبي عياش أبو محمد مولىٰ آل الزبير، من أهل المدينة. أدرك ابن عمر ورأىٰ سهل بن سعد كان ثقة ثبتًا كثير الحديث من تصانيفه: " كتاب المغازي " مات ابن عقبة سنة إحدىٰ وأربعين ومائة. «تهذيب الأسماء» (٢/ ١١٧) و«تاريخ الإسلام» (٦/ ١٣٣)

(٢) عند ابن حجر في «الفتح» (١٥/ ٢٠٣).

(٣) من رواية لموسىٰ بن عقبة عند البيهقي في «الدلائل» (٣/ ١٨٠) بإسناد ضعيف.

(٤) انظر: المرجع والمكان نفسيهما.

وعندما استعدُّوا للخروج حرَّضهم عَبْدُ الله بنُ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ علىٰ عدم الخُضُوع، ومنَّاهم بالوُقُوفِ إِلَىٰ جانبِهم فأَعْلَنُوا العِصْيان، فحاصرَهم المسلمون(١)، وقد أَشَارَتْ آياتٌ في سورة الحَشْرِ إِلَىٰ هذا في مثل قولِه تعالىٰ ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة الحشر: ١١](٢).

د- الجلاءُ وشروطُه:

ثبَت في الصَّحيح أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَجلَىٰ بني النَّضِيْرِ عندما حاربوا(٣)، وفصَّلتْ كتُبٌ أُخرىٰ وخاصَّةً كتُبَ المغازي والسِّيَرِ كيفيَّةَ هذا الجلاءِ ونوعيَّةَ الحربِ التي حاربوها.

وصحَّ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ حاصرهم بالكتائِبِ، وقال لهم: «إِنَّكم لا تَأْمنون عندي إِلَّا بعَهْدٍ تعاهدوني عليه»، فأَبَوا أَنْ يعطوه عهدًا فقاتلهم يومهم ذلك هو والمسلمون ثُمَّ غدا الغد علىٰ بني قُرَيْظَةَ بالخيلِ والكتائِبِ، وترك بني النَّضِيْرِ ودعاهم إِلَىٰ أَنْ يُعاهدوه فعاهدوه فانْصَرَف عنهم وغدا إِلَىٰ بني النَّضِيْرِ بالكتائِبِ فقاتلهم حتَّىٰ نزلوا علىٰ الجلاءِ وعلىٰ أَنَّ لهم ما أَقلَّتِ الإِبِلُ إِلَّا الحَلْقةِ -السِّلاح- فجاءَتْ بنو النَّضِيْرِ واحتملوا ما أَقلَّتِ الإِبِلُ من أَمْتِعَتِهم وأَبْوَابِ بيوتِهم فكانوا يُخْرِبُون بيوتَهم فيَهْدِمُونَها فيحملون ما وافقهم من خَشَبِها(٤).

---

(١) أخرجه الواقدي (١/ ٣٦٧-٣٦٩) وفيه ذكر المدة، وابن إسحاق دون إسناد، و«ابن هشام» (٣/ ٢٦٩) ولم يذكر المدة وابن سعد (٣/ ٥٧-٥٨) دون إسناد مثل مضمون رواية الواقدي، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ١٨١-١٨٣) بإسنادين فيهما أربعة مجاهيل؛ وبهذا تكون كل الأسانيد ضعيفة.

(٢) أخرج نحوه الطبري عن ابن عباس في «تفسيره» (٢٨/ ٤٦) وسنده ضعيف، وأخرجه كذلك عن مجاهد نحوه من طريقين عنه.

(٣) البخاري: «الفتح» (١٥/ ٢٠٢، ح ٤٠٢٨).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب: الخراج والإمارة والفيء، باب: في خبر بني النضير، برقم: (٣٠٠٤)، وغيره من حديث رجل من أصحاب النبي ﷺ، وصحح إسناد هذه الرواية الشيخ الألباني.

وقد ثبَت بنصِّ القُرْآنِ والسُّنَّةِ[١](٢) أَنَّ النَّبيَّ ﷺ حرق وقطَع بعضَ نَخْلِ بني النَّضِيْرِ خِلال مُدَّةِ الحِصار.

وتذكُر بعضُ الرِّواياتِ أَنَّهم أُجلُوا إِلَىٰ الشَّام[٣]، والبعضُ الآخَرُ يذكُر أَنَّهم توجَّهوا إِلَىٰ خَيْبَرَ[٤]، وفي روايةِ ابنِ إِسْحَاقَ[٥] مَا يجمع بين هذه الرِّوايات، حيث قال: فخرَجوا إِلَىٰ خَيْبَرَ ومنهم مَنْ سار إِلَىٰ الشَّام فكان مِنْ أَشْرافِهِم مَنْ سار إِلَىٰ خَيْبَرَ: كسَلَام بنِ أَبِي الحُقَيْقِ وكِنَانَةَ بنِ الرَّبِيْعِ بنِ أَبِي الحُقَيْقِ وحُيَيِّ بنِ أَخْطَبَ، فلمَّا نزَلوها دان لهم أَهْلُها[٦] ويُؤَيِّدُه في ذلك الأَحداثُ اللَّاحقةُ الثَّابتةُ بالمرويَّات القويَّةِ مثل أَخْبارِ قتالهم في غزوة خَيْبَرَ وقتلِ كِنَانَةَ وأَسْرِ صَفِيَّةَ وخبر سَلَامِ بنِ أَبِي الحُقَيْقِ[٧]، وقد أَسْلَمَ منهم اثْنان، هما: يَامِينُ بنُ كَعْبٍ وأَبُو سَعْدِ بنِ وَهْبٍ ولذا أَحْرزَا أَمْوَالَهما[٨].

أَمَّا الأَمْوالُ والنَّخيلُ فكانتْ لرَسُولِ الله ﷺ[٩] فكان يُنفق علىٰ أَهْلِه منها نفقة سنةٍ، ثُمَّ يجعَل ما بقِي في السِّلاح والكُرَاعِ عُدَّةً في سبيل الله[١٠].

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [سورة الحشر:٥]. روىٰ البخاري أنها نزلت عندما حرق وقطع الرسول ﷺ نخل بني النضير وهي البويرة، انظر: البخاري: «الفتح» (١٨/ ٢٦٦، ح٤٨٨٤) و(١٥/ ٢٠٥، ح٤٠٣١، ٤٠٣٢).

(٢) أحاديث البخاري في باب بني النضير، المصدر نفسه، و«سنن الترمذي» (٥/ ١٥٧-١٥٨ تحفة الأحوذي) و«سنن ابن ماجه» (٣/ ٩٤٨-٩٤٩).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٩٧٣٣) وسنده صحيح.

(٤) ذكره ابن سعد في طبقاته بدون إسناد (٢/ ٦٥).

(٥) «ابن هشام» (٣/ ٢٦٩) معلقًا.

(٦) ذكره ابن إسحاق في «السيرة» (٤/ ١٤٥).

(٧) انظر: العمري: «المجتمع المدني في العهد النبوي» ص (١٤٩).

(٨) ابن إسحاق بإسناد منقطع من حديث شيخه عبد الله بن أبي بكر، «ابن هشام» (٣/ ٢٧٠).

(٩) وذلك بنص الآية: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [سورة الحشر:٦]، ونزول سورة الحشر في بني النضير كما روىٰ البخاري: «الفتح» (١٨/ ٢٦٦، ح٤٨٨٢، ٤٨٨٣) انظر: «صحيح مسلم» (٣/ ١٣٨٨-١٣٩٠، ح١٧٦٨-١٧٦٩).

(١٠) روىٰ ذلك البخاري: الفتح (١٨/ ٢٦٦، ح٤٨٨٥).

وقسَّم الرَّسُولُ ﷺ أَرْضَهم بين المهاجرين ولم يُعْطِ من الأَنْصار أَحدًا سوىٰ سَهْلِ بنِ حُنَيْفٍ [١] وأَبِي دُجَانَةَ [٢] وذلك لفقرهما[٣].. ولم يتوقَّفْ زُعماءُ بني النَّضِيْرِ عن مكائِدِهم بعد كلِّ هذا، فقد حرَّضوا الأَحْزابَ فكانت غزوةُ الخَنْدَقِ[٤].

٣- نقضُ يهود بني قُرَيْظَةَ العَهْدَ:

١- تاريخُ الغزوة: وقعتْ هذه الغزوةُ بعد غزوةِ الأَحْزابِ مباشرةً في آخِرِ ذِي القَعْدَةِ وأَوَّلِ ذي الحِجَّةِ من السَّنةِ الخامسةِ الهِجْرِيَّةِ[٥].

٢- سببُ الغزوة: واضحٌ من سير الأَحْداث أَنَّ سببَ الغزوة كان نقضَ بني قُرَيْظَةَ العهدَ الذي بينهم وبين النَّبيِّ ﷺ بتحريض مِنْ حُيَيِّ بنِ أَخْطَب النظيريِّ[٦].

---

(١) هو سهل بن حنيف بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث الأوسي الأنصاري روىٰ عن النبي ﷺ شهد بدرا والمشاهد كلها وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد مات سنة "٣٨" «تهذيب التهذيب» (٤/ ٢٥١)

(٢) هو أبو دجانة الأنصاري سماك بن خرشة بن لوذان ابن عبد ود بن زيد الساعدي. آخىٰ النبي ﷺ بينه وبين عتبة بن غزوان. رمىٰ أبو دجانة بنفسه يوم اليمامة إلىٰ داخل الحديقة، فانكسرت رجله، فقاتل وهو مكسور الرجل حتىٰ قتل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أسد الغابة» (٢/ ٤٥١) و«العبر» (١/ ١٤)

(٣) عبد الرزاق: «المصنف» (٥/ ٣٥٨-٣٦١) وأبو داود (٣/ ٤٠٤-٤٠٤، ح٣٠٠٤) ولم يصرح باسميها، وابن إسحاق بإسناد منقطع، «ابن هشام» (٣/ ٢٧٠).

(٤) «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية» (٥١٤-٥٢١).

(٥) ابن سعد (٢/ ٧٤) معلقًا، وعنده أنه سار إليهم يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة، وهي أصلًا رواية شيخه الواقدي في «المغازي» (٢/ ٤٩٦) أما ابن إسحاق فقال: إنها سنة خمس وسكت، «ابن هشام» (٣/ ٣٢٤) معلقة.

(٦) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٥/ ٣٦٨-٣٧٣) من مرسل سعيد بن المسيب، والرواية صالحة للاحتجاج بها مع المتابعة، ورواه أبو نعيم في «دلائله» من هذا الطريق (٢/ ٥٠٤-٥٠٥).

ولأَنَّ هذا النَّقضَ وهذه الخِيانةَ قد جاءَتْ في وقتٍ عصيبٍ فقد أَمَرَ الله تعالىٰ نَبِيَّه بقتالهم بعد عَوْدَتِه من الخَنْدَقِ ووضْعِه السِّلاح[١]، وامْتِثالًا لأَمْرِ الله أَمَرَ الرَّسُولُ ﷺ أَصْحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَنْ يتوجَّهوا إِلَىٰ بني قُرَيْظَةَ، وتوكيدًا لطلب السُّرعة أَوْصاهم قائِلًا: «لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا في بَنِي قُرَيْظَةَ»، كما في رواية البُخَارِيِّ[٢].

وخرج رسولُ الله ﷺ في ثلاثة آلافِ مقاتلٍ معهم ستَّةٌ وثلاثون فرسًا[٣]، وضرب الحصارَ علىٰ بني قُرَيْظَةَ خمسًا وعشرين ليلةً علىٰ الأَرْجح[٤] وضيَّق عليهم الخناق حتَّىٰ عظُم عليهم البلاءُ فرغِبوا أَخِيرًا في الاستسلام وقبولِ حكمِ الرسول فيهم ﷺ.

واستشاروا في ذلك حليفَهم أَبَا لُبَابَةَ بنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فأَشار إِلَىٰ أَنَّ ذلك يعني الذَّبْحَ وندمَ علىٰ هذه الإِشَارة، فربَط نفسَه إِلَىٰ إِحْدىٰ سواري المسجد النبويِّ حتَّىٰ قبل الله توبتَه[٥].

حُكْمُ سَعْدِ بنُ مُعَاذٍ فيهم:

وعندما نزلوا علىٰ حكم الرَّسول ﷺ أَحبَّ أَنْ يكِل الحكمَ عليهم إِلَىٰ واحدٍ من رُؤَساءِ الأَوْسِ لأَنهَّم كانوا حلفاءَ بني قُرَيْظَةَ، فجعل الحكمَ فيهم إِلَىٰ سَعْدِ بنِ مُعَاذٍ

---

(١) البخاري: «الفتح» (١٥/ ٢٩٣، ح٤١١٧). بتصرف يسير.

(٢) أخرجه البخاري كتاب: صلاة الخوف باب: صلاة الطالب والمطلوب راكبًا وإيماء، برقم: (٩٠٤).

(٣) ابن سعد (٣/ ٧٤) معلقًا والمعلق كما هو معلوم من أقسام الضعيف.

(٤) من رواية أحمد: «الفتح الرباني» (٢١/ ٨١-٨٣) ورواته ممن يحتج بهم، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٤٠) وهذا الحديث إسناده جيد وروىٰ الطبري في «تاريخه» (٢/ ٥٨٣) وفي «الصحيح» بعضه بإسناد حسن، أن المدة بين الشهر والخمس وعشرين ليلة، بلفظ الشك، وعند ابن إسحاق خمس وعشرين ليلة، «ابن هشام» (٣/ ٣٢٦).

(٥) من رواية أحمد في «المسند» بإسناد حسن: «الفتح الرباني» (٢١/ ٨١-٨٣).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلمَّا دنا من المسلمين قال الرَّسول ﷺ للأنصار: «قوموا إلىٰ سيِّدكم أَوْ خيركم»، ثُمَّ قال: «إِنَّ هؤلاء نزلوا علىٰ حكمك»، قال: تقتلُ مقاتلَهم وتسبي ذراريَّهم وتقسم أَمْوالَهم، فقال له النَّبيُّ ﷺ: «قضيتَ بحكم الله تعالىٰ»[1].

ونفَّذ الرَّسول ﷺ حكمَ الله فيهم وكانوا أَرْبعَمِائَةٍ علىٰ الأَرْجح[2]، ولم ينجُ إِلَّا بعضُهم[3] وهُمْ ثلاثةٌ، لأَنَّهم أَسْلموا فأَحْرزوا أَمْوالَهم[4]، وربَّما نجا اثنان آخران منهم بحصولِهم علىٰ الأَمَان من بعضِ الصَّحابة، أَوْ لِمَا أَبْدَوه من التزام بالعهدِ أَثْناءَ الحِصار[5] وربَّما نجا آخرون لا يتجاوزون عددَ أَفْراد أُسْرةٍ واحدةٍ، إِذْ يُفْهم من روايةٍ عند ابنِ إِسْحَاقَ[6] وغيرِه[7] أَنَّ الرَّسول ﷺ وهَب لثَابِتِ بنِ قَيْسِ بنِ

(١) البخاري: كتاب: الجهاد والسير باب: إذا نزل العدو علىٰ حكم رجل (ح/ ٢٨٧٨)، ومسلم كتاب: الجهاد والسير باب: جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن (ح/ ٤٦٩٥).

(٢) من رواية أحمد في «مسنده» بإسناد حسن (٣/ ٣٥٠) وفي حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حبان بإسناد صحيح، وذكر ذلك ابن حجر في «الفتح» (١٥/ ٣٠١) وقد اختلف في عدتهم، انظر: «سيرة مهدي رزق الله» ص (٤٦١، حاشية رقم ١٣). وقام الدكتور محمد بن فارس الجميل بدراسة الروايات الخاصة بالعدد المقتول في كتابه: «النبي ﷺ ويهود المدينة» ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م ومال إلىٰ قبول رواية الزهري التي تقول بأن القتلىٰ كانوا أربعين فقط ص(٢٤٢-٢٤٧).

(٣) البخاري: «الفتح» (١٥/ ٢٠٢، ح٤٠٢٨) ومسلم (٣/ ١٣٨٨، ح١٧٦٦) وأبو داود في «سننه» (٢/ ١٤٠-١٤١) وأبو عوانة في «مسنده» (٤/ ١٦٣).

(٤) ابن إسحاق بإسناد ضعيف، «ابن هشام» (١/ ٢٧٢) و(٣/ ٣٢٩) والذي يبدو أن إسناده الأول يتقوىٰ مع المتابعة، وقد توبع برواية البخاري ومسلم وأبي داود وأبي عوانة التي فيها أنه لم ينج أحد إلا بعضهم، وهذا البعض هو الذي فسرته رواية ابن إسحاق هذه.

(٥) ذكر ابن إسحاق، معلقًا، «ابن هشام» (٣/ ٣٣٠) منهم: عمرو بن سعدي.

(٦) بإسناد ضعيف، «ابن هشام» (٣/ ٣٣٥-٣٣٦) لم يصرح فيه ابن إسحاق بالسماع و«دلائل النبوة» للبيهقي (٤/ ٢٢) من حديث ابن إسحاق عن الزهري مرسلًا، وصرح فيه بالسماع، و(٤/ ٢٠-٢١) من حديث موسىٰ بن عقبة عن الزهري مرسلًا والطبراني في «الأوسط» بإسناد ضعيف، الجمع (٦/ ١٤٢) وهذه الطرق الضعيفة تدل علىٰ أن لقصة ثابت بن قيس مع الزبير بن باطا أصلًا، وعلىٰ أقل تقدير أن ثابتًا أحسن إلىٰ الزبير ليدٍ كانت للزبير علىٰ ثابت في الجاهلية.

(٧) مثل أبي عبيد في «الأموال»، ص (١٤٦) بإسناد ضعيف لأنه مرسل الزهري.

الشَّمَّاسِ(١) ولدَ الزَّبِيْرِ بنِ باطا القرظيَّ فاستحياهم، منهم عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنِ الزَّبِيرِ (٢)، الذي أَسْلَمَ وله صحبةٌ.

وجمعت الأَسْرىٰ في دار بِنْتِ الحَارثِ النَّجَّارِيَّةِ(٣) (٤) ودارِ أُسَامَةِ بنِ زَيْدٍ (٥).

---

(١) هو: ثابت بن قيس بن شماس بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو محمد، المدني، خطيب النبي ﷺ. وأمه امرأة من طي. يكنىٰ أبا محمد بابنه محمد. وقيل: يكنىٰ أبا عبد الرحمن. وقتل بنوه محمد ويحيىٰ وعبد الله بنو ثابت بن قيس بن شماس يوم الحرة، وكان ثابت بن قيس خطيب الأنصار، ويقال له خطيب رسول الله ﷺ كما يقال الحسان شاعر النبي ﷺ. شهد أحدًا وما بعدها من المشاهد. وقتل يوم اليمامة شهيدًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ في خلافة أبي بكر الصديق رضى الله عنه. قال أنس بن مالك: لما انكشف الناس يوم اليمامة قلت لثابت بن قيس ابن شماس: ألا ترىٰ يا عم، ووجدته قد حسر عن فخذيه وهو يتحنط، فقال: ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله ﷺ، بئس ما عودتم أقرانكم. وبئس ما عودتم أنفسكم، اللهم إني أبرأ إليك مما يصنع هؤلاء، ثم قاتل حتىٰ قتل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ورآه بعض الصحابة في النوم فأوصاه أن تؤخذ درعه ممن كانت عنده وتباع ويفرق ثمنها في المساكين. فقص ذلك الرجل الرؤيا علىٰ أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فبعث في طلب الرجل فاعترف بالدرع، فأمر بها فبيعت وأنفذت وصيته من بعد موته، ولا نعلم أحدًا أنفذت له وصيته بعد موته سواه. وكان يقال: إنه كان به مس من الجن. ينظر: «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي (٤/ ٣٦٨)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر (١/ ٢٠٠).

(٢) هو: عبد الرحمن بن الزَّبِيرِ -أما الأول بفتح الزاي وكسر الباء- عبد الرحمن بن الزبير المديني، له صحبة، يقال إنه ابن الزبير بن باطا من بني قريظة، كان الزبير يهوديًّا، وأسلم ابنه عبد الرحمن، وقيل: هو عبد الرحمن بن الزبير بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك، من الأوس، وهو الذي روىٰ حديثه مالك بن أنس، عن المسور بن رفاعة، عن ابنه الزبير بن عبد الرحمن. «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي (١٧/ ٩٤)، «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم (٤/ ١٨٤٤)، «تلخيص المتشابه في الرسم»، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفىٰ: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سُكينة الشهابي، الناشر: طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة: الأولىٰ، ١٩٨٥م (١/ ٤١).

(٣) من رواية ابن إسحاق، «ابن هشام» (٣/ ٣٣٣) معلقًا، والواقدي (٢/ ٥١٢).

(٤) هي رملة بنت الحارث بن ثعلبة بن الحارث بن زيد الأنصارية النجارية ذكرها ابن حبيب في المبايعات، وذكر ابن إسحاق في السيرة النبويّة- أن بني قريظة لما حكم فيهم سعد بن معاذ حبسوا في دارها «الإصابة» (٨/ ١٤٠) «أسد الغابة» (٧/ ١١٦)

(٥) من رواية عروة في «مغازيه» ص (١٨٧) والواقدي (٥١٢-٥١٨).

وحفرتْ لهم الأَخاديدُ في سوق المدينة، فسِيقوا إِلَيها المجموعة تِلْوَ الأُخرىٰ لتضرب أَعْناقهم فيها[(١)].

وقتلت امْرَأَةٌ واحدةٌ منهم[(٢)]، لقتلها خَلَّادِ بنِ سُوَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٣)] حيث أَلْقتْ عليه بِرَحًىٰ[(٤)] ولم يُقْتل الغِلْمانُ ممَّن لم يبلغوا سنَّ البلوغ[(٥)].. ثُمَّ قسَّم الرَّسول ﷺ أَمْوالَهم وذراريَّهم بين المسلمين[(٦)].

---

(١) من رواية أحمد في «المسند» (٤/ ٣١٠) والألباني: «صحيح الترمذي» (٣/ ١١٨، ح٣٥٤٤) وقال: (صحيح). وغيرهما، والحديث لا يقل عن درجة الحسن لذاته كما ذكر السندي ص (٢٨٨-٢٨٩).

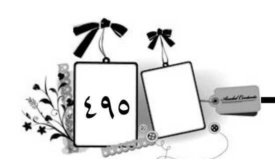
(٢) من رواية أحمد في «المسند» (٦/ ٢٧٧) وأبي داود في «السنن» (٣/ ١٢٣/ك الجهاد، ح٢٦٧١) بإسناد حسن لذاته وعنده أن السبب لحدث أحدثته، وقال الشارح: إنها شتمت النبي ﷺ، وابن إسحاق بإسناد حسن، «ابن هشام» (٣/ ٣٣٤) والواقدي (٢/ ٥١٦) واسمها عنده (نباتة) وفي أصل سيرة ابن إسحاق (بثاثة).

(٣) هو: خَلَّادُ بْنُ سُوَيْدِ بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس بن مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب وأمه عمرة بنت سعد بن قيس بن عمرو بن امرئ القيس من بني الحارث بن الخزرج، شهد خلاد العقبة في روايتهم جميعًا، وكان له من الولد السائب بن خلاد، صحب النبي ﷺ واستعمله عمر بن الخطاب علىٰ اليمن، والحكم بن خلاد، وأمهما ليلىٰ بنت عبادة بن دليم أخت سعد بن عبادة، وقد انقرض عقبهما، وانقرض أيضًا ولد حارثة بن امرئ القيس بن مالك الأغر فلم يبق منهم أحد، وشهد خلاد بدرًا، وأحدًا، والخندق، ويوم بني قريظة، وقتل يومئذ شهيدًا، دلت عليه بنانة امرأة من بني قريظة رحىٰ فشدخت رأسه، فقال النبي ﷺ: «له أجر شهيدين». ينظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢/ ٩٦٣)، «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد(٣/ ٥٣٠).

(٤) من رواية أحمد في «المسند» (٦/ ٢٧٧) وأبي داود في «السنن» (٢/ ٥٠/ك الجهاد / ب، قتل النساء)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٥-٣٦) وصححه وسكت عنه الذهبي، و«ابن هشام» معلقًا (٣/ ٣٣٥) والحديث لا يقل عن درجة الحسن لذاته كما ذكر السندي ص (٢٨٩) وخلاد هو الشهيد الوحيد في غزوة بني قريظة كما هو واضح من هذه الأحاديث.

(٥) أخرجه أبو داود في «سننه» (٤/ ٥٦١/ك، الحدود/ ب في الغلام يصيب الحد، ح٤٤٠٤-٤٤٠٥) والترمذي كما في «صحيح سنن الترمذي للألباني» (٢/ ١١٤/ك) «السير» (ح١٦٤٩) ورمز له بالصِّحة وابن ماجه (رقم ٥٤١) كما ذكره الألباني في «صحيح الترمذي» وأحمد في «مسنده» (٤/ ٣١٠١) و(٥/ ٣٣١-٣١٢) وابن إسحاق بإسناد حسن، «ابن هشام» (٣/ ٣٣٧) وابن سعد (٢/ ٧٦-٧٧) بإسناد صحيح وهو نفس طريق ابن إسحاق ورواه غير هؤلاء.

(٦) البخاري: الفتح (١٥/ ٢٠٢، ح٤٠٢٨)، مسلم (٣/ ١٣٨٨-ح١٧٦٦) وفي هذا يقول الله =



وهكذا هُمُ اليهود في قديم الزَّمان وحديثِه قد عُرفوا بنقضهم العهود وخفرهم المواثيق، ومَنْ نقضَ عهد الله وميثاقَ رُسُلِه -عليهم صلواتُ الله وسلامُه- فهو لما دونها من العهود أَنْقضُ وأَخْفرُ..

وما مُؤْتمرات الوفاقِ والمصالحةِ والمسالمةِ وشعاراتِ التَّعايُشِ السِّلْميِّ والجوارِ الفلسطينيِّ اليهوديِّ إِلَّا أَكْبرُ دليلٍ على عدم الوفاءِ من قِبَل اليهود.

ولذا قال ربُّنا سبحانه مُوضِّحًا هذه الحقيقة ليعيها المؤمنون ويفطنُ لها المُوحِّدون: ﴿ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة: ٧٥].

يقول سيِّد قُطُبْ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبين آنٍ وآخرَ يلتفت السِّياقُ إِلَى بني إِسْرائِيلَ ليُواجههم على مشهد من المسلمين بما أَخذَ عليهم من المواثيق، وبما نقضوا منها، وبما وقع منهم من انحرافاتٍ ونكولٍ عن العهد وتكذيبٍ بأَنْبيائِهم عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ، وقتلِهم لهم، ومن مخالفتهم لشريعتهم، ومن الْتِوَائِهم وجدالِهم بالباطل وتحريفِهم لما بين أَيْديهم من النُّصوصِ...إلخ»(١) .. أَبَعْدَ هذا كلِّه يطمع طامعٌ أَنْ يفِي اليهودُ بعهدٍ أَوْ يرعوا ميثاقًا..

يهود اليوم وغدًا هُمْ يهود الأَمْس:

ومن أَشْبه أَبَاهُ فما ظلَم لقد ورِث يهود زمانِنا عن أَسْلافهم خِصالَ الغَدْرِ والخِيانةِ، فمَنْ يقرأُ سيرةَ العرب مع إِسْرائِيلَ في العديد من المُؤْتمرات كأُسلو

= تعالى: ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة الأحزاب:٢٧].

(١) «في ظلال القرآن» (١/ ٨٣) سيد قطب.

ومَدْرِيدْ وكامب ديفيد وغيرِها يجد أَنَّه لا عهدَ لهم ولا ذِمَّةَ.. فبعد الذي قدَّمه العربُ من تنازلاتٍ فإِنَّ الطَّرفَ اليهوديَّ كان ولا يزال يتعامل مع الطَّرف الفلسطينيِّ بالازْدِراءِ والمكرِ والخداعِ، فما كان يفهمه شامير من قواعد اللُّعْبة يمكن أَنْ يختلف غدًا عمَّا فهمه بيريز، وما كان مسلَّمًا عند رابين يمكن أَنْ ينقلب علىٰ عقبَيْه في مفهوم نتنياهو، وما تعاهدتْ عليه حكومةُ الليكود اليوم ليس ملزمًا لحكومة العمل غدًا.. وهكذا تتوالىٰ فصولُ عمليَّةِ السَّلام ومجرياتها علىٰ نمطٍ مُؤَدَّاه نقضُ الاتِّفاقيَّاتِ وخفرُ المواثيق في مسرحيَّةٍ هزليةٍ ومشاهد عبثيةٍ ﴿كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً﴾ [سورة النور: ٣٩](١).

ب. نقضُ الرَّافضة للعهود.

إِنَّ مِنْ أَظْهر ما يُشير إِلَى نقضِ الشِّيْعة للعهود والمواثيقِ ما كان من ولائِهم لأَعْداءِ الله وتآزُرِهم مع زعامات الكفرِ لسحقِ أَهْلِ السُّنَّةِ وتقويضِ دعائِمِ المِلَّة.. قال شيخُ الإِسْلام ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكذلك إِذَا صار لليهود دولةٌ بالعِرَاقِ وغيرِه، تكون الرَّافضةُ من أَعْظمِ أَعْوانِهم فهُمْ دائمًا يُوالون الكفَّارَ من المشركين واليهودِ والنَّصارىٰ ويُعاونونَهم علىٰ قتال المسلمين ومعاداتِهم»(٢).

ورحم الله شيخ الإِسْلام المُلْهَمَ الذي يتحدَّث وكأَنَّه يُعايش الأَحْداثَ في زماننا.. وما عليه حالُ دُوُلِ الكفر والرَّافضة في زماننا علىٰ أَرْض الرَّافدين وسُوريَا واليَمَن وغيرِها.. وقد تمَّت الإِشارةُ سابقًا عن خِيانة العهدِ ونقضِ الميثاقِ من ابنِ العلقميِّ ونصيرِ الدِّين الطوسيِّ الرَّافضيَّيْنِ وتهْيِئَةِ السُّبُل لذلك حتَّىٰ تمَّ

---

(١) الشبكة العنكبوتية ـ منتديات الحصن النفسي بعنوان (لا عهد لليهود).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (٣/ ٣٧٨).

لأَعْداءِ الدِّين ما أَرَادُوا، وأُهْرِيقَ في ذلك الغَزْوِ دِماءُ ما يقرب من مِلْيُون وثمانِمائَةِ أَلْفِ نَسْمةٍ(١).

أَمَّا في عالمنا اليوم فلا أَصْرحُ وأَوْضحُ من العلاقة الحميمةِ بين الرَّافضة وإِسْرائِيلَ وأَمرِيكَا..

علاقةُ الرَّافضة باليهود.

إِنَّها صلةٌ حميمةٌ ورابطةٌ وثيقةٌ مِنْ أَبرز ملامحها التَّعاونُ العسكريُّ، فقد قامتْ شركةٌ كُبْرىٰ تابعةٌ لموشيه ريجف الذي يعمل خَبِير تسليحٍ لدىٰ الجيش الإِسْرائِيليِّ ما بين عام (١٩٢٢م - ١٩٩٤م) ببيع مواد ومعداتٍ وخبراتٍ فنيَّةٍ إِلَىٰ إِيرَان وقد كشفتْ عن هذا التَّعاوُنِ الاسْتِخْباراتُ الأَمْريكيَّةُ بصُوُرٍ ووثائِقَ تجمع بين موشيه والدكتور/ مَاجِد عَبَّاسٍ رئِيس الصَّواريخ والأَسْلحة البايولوجيَّةِ بوزارة الدِّفاعِ الإِيرانيَّةِ(٢).

وقد أَصْدرتْ حكومةُ نَتَنْيَاهُو أَمْرًا يقضي بمنع النَّشْرعن أَيِّ تعاونٍ عسكريٍّ أَوْ تجاريٍّ أَوْ زراعيٍّ بين إِسْرائِيلَ وإِيران، وجاءَ هذا المنع لتغطية فضيحةِ رجلِ الأَعْمال اليهوديِّ ناحوم منبار المُتورِّط بتصدير مواد كيماوِيَّةٍ إِلَىٰ إِيران قُدِّرت بخمسين طن لصنع غاز الخردل السَّام والذي تُعدُّ هذه الفضيحةُ خطرًا يلحق إِسْرائِيلَ وعلاقاتِها الخارجيَّةَ، وقد تقدَّم المحامي اليهوديُّ امنون زخروني بطلبٍ يقضي بالتَّحْقيق مع جهاتٍ عسكريَّةٍ واستخباراتيَّةٍ أُخرىٰ زوَّدت إِيرانَ بكمِّيَّاتٍ كبيرةٍ من الأَسْلحة أَيَّامَ حَرْبِ الخليجِ الأُولىٰ(٣).

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (١٣/ ٢١٤-٢١٥).

(٢) صحيفة هاريس اليهودية نقلًا عن جريدة الشرق الأوسط عدد (٧١٧٠).

(٣) جريدة الشرق الأوسط العدد (٧٣٥٩).

وقد ذكَرتْ وكالةُ رويتر في (١/ ٧/ ١٩٧٢م) أَنَّ القوات الصهيونيَّةَ لما دخلتْ بلدة النَّبطيَّة لم تسمح إِلَّا لحِزْبِ أَمَلٍ بالاحْتِفاظ بمواقعه وكاملِ أَسْلحته.. ولقد صرح وزيرُ الخارجيَّة اليهوديُّ في حكومة نَتَنْيَاهُو قائلًا: «إِنَّ إِسْرائِيلَ لم تقلْ في يومٍ من الأَيَّامِ: إِنَّ إِيرانَ هي العَدُوُّ».

ويقول الصحفيُّ اليهوديُّ أَوْرَي شمحوني: «إِنَّ إِيرانَ دولةٌ إِقْليميَّةٌ ولنا الكثيرُ من المصالحِ الإِسْتراتيجيَّةِ معها.. إِنَّ التَّهديدَ الجاثمَ على إِيرانَ لا يَأْتيها مِنْ ناحيتنا بلْ من الدُّوَلِ العربيَّةِ المجاورةِ فإِسْرائِيلُ لم تكنْ أَبدًا ولنْ تكونَ عَدُوًّا لإِيران»(١).

التَّعاوُنُ الوثيق بين أَمرِيكا وإِيرانَ..

فقد أَثْبتت اللِّقاءَاتُ والاِجْتِماعاتُ السِّرِّيَّةُ بين مُمَثِّلي البلدَيْنِ مدى العلاقةِ والتَّعاوُن الوثيقِ بينهما، ولقد صرح: مُحَمَّدُ بنُ عَلِيٍّ الأَبْطيُّ نائِبُ الرَّئِيس الإِيْرانيِّ للشُّئُونِ القانونيَّةِ والبرلمانيَّةِ في خِتام أَعْمالِ مُؤْتَمرٍ عُقِد بإِمَارَةِ (أَبُو ظَبْيٍ) مساءَ الثُّلاثاءِ: ١٣/ ١/ ٢٠٠٤م، قائِلًا: «إِنَّ بلادَه قدَّمت الكثيرَ من العون للأَمرِيكيِّين في حَرْبِهم ضِدَّ أَفْغَانِسْتَان والعِرَاقِ».

وبمعنًى أَوْضح قال: لولا التَّعاونُ الإِيْرانيُّ لَمَا سقطتْ كَابُول وبَغْدادُ بهذه السُّهولة(٢).

إِنَّ خياناتِ الرَّافضة لا تنتهي عند حدٍّ ولا تقِف عند خطٍّ، أَلَيس الكذبُ والتَّقيَّةُ منِ أَرْكان دِيْنِهم.. قال ابنُ حَزْمٍ الظَّاهريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ(٣): «إِنَّما هي فِرْقةٌ

---

(١) صحيفة معاريف اليهودية (٢٣/ ٩/ ١٩٩٧م).

(٢) الشبكة العنكبوتية موقع المجلس اليمني، ولمزيد اطلاع على أوجه التقارب بين إيران والغرب عموما فانظر: «ويل للعرب مغزى التقارب الإيراني مع الغرب والعرب» لعبد المنعم شفيق.

(٣) هو الإمام الأوحد، البحر، ذو الفنون والمعارف، أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن =

حدَث أَوَّلُها بعد موتِ رَسُولِ الله ﷺ بخمس وعشرين سنةً.. وهي طائِفَةٌ تجري مجرىٰ اليهودِ والنَّصارىٰ في الكَذِبِ والكفرِ»(١).

قال شيخُ الإِسْلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد اتَّفق أَهْلُ العلم بالنَّقل والرِّوايةِ والإِسْنادِ علىٰ أَنَّ الرَّافضةَ أَكْذبُ الطَّوائِفِ والكَذِبُ فيهم قديمٌ، ولهذا كان أَئِمَّةُ الإِسْلام يعلمون امْتِيازَهم بكثرة الكذب»(٢).

وهل خفرُ المواثيقِ ونقضُ العهودِ إِلَّا كذبًا بلْ إِنَّ الحلفَ باليمينِ الغموسِ كذبٌ جائِزٌ في مِلَّتِهم لأَنَّه مِنْ باب التَّقيَّة، روىٰ شيخُ فقهائِهم مُرْتَضىٰ الأَنْصاريُّ في رسالة التَّقيَّة عن جَعْفَر الصَّادِقِ أَنَّه قال: «ما صَنَعْتُمْ مِنْ شيءٍ أَوْ حَلَفْتُمْ عليه من يمينٍ في تقيَّةٍ فأَنْتُمْ منه في سَعَةٍ»(٣).

إِنَّهم نحلةٌ لا يجوز أَبدًا الاطْمِئْنانُ إِلَىٰ عهودهم أَوْ مواثيقِهم، كيف وهُمْ مَنْ يصدق فيهم قولُه تعالىٰ: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [سورة التوبة: ٨]، ودليلُ ذلك ما قاله شيخُ الإِسْلام ابنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا حالَهم، والرَّافضةُ ليس لهم سعيٌ إِلَّا في هدم الإِسْلام ونقضِ عُراه وإِفْسادِ قواعده»(٤).

= يزيد الفارسي الأصل، ثم الأندلسي القرطبي اليزيدي مولىٰ الأمير يزيد بن أبي سفيان بن حرب الأموي كان ابن حزم حافظا للحديث وفقهه «البداية والنهاية» (١٢/ ١٩)

(١) «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة (٢/ ٢١٣).

(٢) «منهاج السنة النبوية» (١/ ٦٦).

(٣) رسالة التقية ضمن الجزء الثاني من رسائل الخميني، الخميني، دار النشر: المطبعة العلمية – قم ١٣٨٥هـ، ص (٧٣).

(٤) «منهاج السنة النبوية» (٧/ ٤١٥).

ج. نقضُ المنافقين للعهود.

لقد درَج المنافقون علىٰ نقضهم المواثيق وخصوصًا في أَحْلك المواقف وعند احتدام الخَطبِ.. وقد بيَّن النَّبيُّ ﷺ أَنَّ هذه الخُلَّةَ الذَّميمةَ والخصْلة الدَّنيئةَ مِنْ صفات المنافقين فقال ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا أُوْتُمِنَ خَانَ، وإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»(١).

والمُتتبِّع لمجريات أَحْداثٍ صدرتْ من المنافقين في زمن النُّبوَّة وما بعده يجِد هذه السِّمةَ باديةً علىٰ صفحات عديدٍ من المواقف والمُؤامراتِ..

مواقفُ نقضِ المنافقين لعهودهم:

ولاءُ المنافقين لليهود والمشركين.

لقد شهِد المنافقون لرَسُولِ الله ﷺ بأَنَّهم آمنوا بدعوته وصدَّقوا برِسالته لكنَّهم لا يلبثون إِذَا ما خلوا إِلَىٰ شياطينهم من اليهودِ وغيرِهم إِلَّا ويُطمئِنونهم أَنَّهم معهم ومنهم وفيهم ولكنَّهم بالمؤمنين يستهزئُون وعليهم يُلبِّسون لتحقيق أَغْراضِهم وبلوغِ غاياتهم.. يشهَد بذلك قولُه تعالىٰ: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة الحشر: ١١](٢).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، برقم: (٣٤)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، برقم: (٥٨)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) انظر: شرحًا مفصلًا لهذه الآية (صـ: ٣١٨).

وقال عزَّ في عُلاه: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ [سورة المجادلة:١٤]، قال الإِمَامُ الطبريُّ: «هم المنافقون تولَّوا اليهودَ وناصحوهم»(١).

قال سبحانه: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [سورة النساء:١٣٨-١٣٩].

قال الإِمَامُ الطبريُّ: «فمِنْ صفة المنافقين اتِّخاذُهم أَهْلَ الكفر بي والإِلْحاد في دِيْني ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ يعني أَنْصارًا وأَخِلَّاء ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾ [سورة النساء:١٣٩]، بَشِّرْهُمْ يا مُحَمَّدُ ﷺ بعذابٍ أَلِيمٍ»(٢).

هذه الآياتُ وغيرُها فيها إِشَارةٌ واضحةٌ ودلالةٌ قاطعةٌ على مدى الوَصْلِ والاتِّصالِ واللُّحْمةِ الحميمةِ بين المنافقين وأَعْداءِ المِلَّةِ ممَّا يشهَد بنقضِهم العهد وحِنْثِهم في الأَيمان بأَنَّهم آمنوا بالله وصدَّقوا برَسُولِه ﷺ فما أَسْرع ما ينكثون وعلى أَعْقابِهم ينكصون.. قاتلهم الله أَنَّى يُؤْفكون.

الأَعْذارُ الواهيةُ والتَّولِّي يوم الزَّحْف.

كم قطَع المنافقون على أَنْفُسِهم العهودَ وأَوْثقوا الذِّممَ على إِنَّهم مع المؤمنين حربًا على مَنْ حاربهم وسِلْمًا لمَنْ سالمهم، حتَّى إِذَا ما نُودي لغزوة ودُعي إِلَى جهادٍ كانوا على فريقين: فريقٍ منهم سعيُه حثيثٌ في تطلُّب المعاذير وافْتِعال الشَّواغل واخْتلاق الأَكَاذيب كي يُؤْذن له بالقعود مع الخوالف، كزعمهم أَنَّ بيوتَهم عورةٌ وكقولهم: شغلتْنَا أَمْوالُنا وأَهْلونا وكافْترائِهم أَنَّهم يخشون على أَنْفُسِهم الفتنة.. إلخ.

---

(١) «تفسير الإمام الطبري» (٢٣/ ٢٥٢).

(٢) «تفسير الطبري» (٤/ ٣٢٧) بتصرف يسير.

وفريقٍ يخرجون فإِمَّا هُمْ أُنَاسٌ ينخذلون وينسحبون عن الجيش في أَحْرج المواقف وعند ملاقاة العَدُوِّ كما كان شَأْنُهم يوم أُحُدٍ وتَبُوكَ وإِمَّا هجيراهم التَّسلُّلُ لواذًا والانْصرافُ خلْسةً والتَّراجعُ خُفْيةً.

ناهيك عن كون المنافقين عمومًا مَنْ قعَد ومَنْ خرَج ليس لهم مِنْ حراكٍ ولا نفعٍ إِلَّا ببثِّ الأَرَاجيف وزَعْزَعَة الصَّفِّ وتوهينِ العزائِمِ.. فلَيْتَهم يوم لمْ يقاتلوا عَدُوًّا ولم يثبتوا في معركة سلِم المسلمون مِنْ تعويقِهم وإِرْجافِهم.. فهلْ نقضٌ للعهد ونكثٌ للمواثيق أَعْظمُ مِنْ هذا؟!.

الكَذِبُ.

من كان هذا الخُلقُ وَصْفَه، وهذه السِّمةُ نعته، فمِنْ باب أَوْلى أَنْ ينقضَ عهدَه وأَنْ يخفرَ موثقَه وأَنْ يخونَ ذِمَّتَه.. ولأَنَّها خُلَّةٌ متجذرةٌ في طباعهم.. أَصِيلةٌ في سلوكهم فقد كذَّبهم الله في مواضعَ من القُرْآنِ ليكشفَ زَيْفَهم ويُظهر حقيقتَهم.قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة المنافقون:١].

وقال عزَّ في عُلاه: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [سورة العنكبوت:٢-٣] ، ثُمَّ جاءَ في السُّورةِ نفسِها بعد آيات منها ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [سورة العنكبوت:١١].

وعليه فإِنَّه مِنْ أَوْضحِ الواضحات جُرْأَةُ المنافقين على نقضِ عهودهم.. وتحليهم بالكَذِبِ وتمرُّسُهم عليه.. لذا كانوا مشابهين لإِخْوانِهم من اليهودِ والرَّافضةِ في هذا المِضْمارِ وذاك الشَّأْنِ.. مِنْ أَجْل ذلك سيأْتي في القواعدِ الشَّرعيَّةِ -بإِذْنِ الله- أَنَّ مِن وسائِلِ التَّعامُلِ معهم عدمُ الثِّقة في مواثيقهم ونزعُ القبول والاطْمِئْنانِ لعهودهم وما أَشْبَهَ اللَّيلةَ بالبارحة..

فإنَّ لكل جِيْل خَلْفُه ولكلِّ أُمَّةٍ عَقِبٌ ولكلِّ قومٍ أَحْفادٌ وذُرِّيَّةٌ.. ومَنْ أَشْبه أَباه فما ظلَم.. إنَّهم منافقو زمانِنا من بني جِلْدتِنا ويتكلَّمون بألْسِنَتِنا لكنَّ ولاءَهم وحبَّهم لأَعْداءِ الإِسْلام والمسلمين وحُجَّتُهم كما قال تعالىٰ: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [سورة المائدة:٥٢].

خانوا أُمَّتَهم ونقضوا مع المسلمين عهدَهم وخفروا ذِمَمَهم، وفوق ذلك تجِد كَذِبَهم ظاهرٌ وافتراءَهم واضحٌ.

الرَّابع عشر: أكْلُ الحرام.

خلَّةٌ تنِمُّ عن نفسٍ لا ترعوي عن تناوله ولا تكفُّ عن السَّيْر في فجاجِه ومسالكِه والتَّقحُّمِ في أَوْديتِه وشعابِه والطَّمَعِ في الاستكثار منه والتَّحايُلِ للحصول عليه..

إنَّ كلَّ أُمَّةٍ يفشو فيها الحرامُ وأَكْلُ السُّحْت اختلاسًا وربًا، غشًّا وقمارًا، غصبًا واقتطاعًا، سرقةً واحْتيالًا، كذبًا واحتكارًا، تطفيفًا وتزويرًا، بيعًا لما حرَّم الله وشراءً، شهادةً بالزور بغيًا وعدوانًا، وأكلًا لمال اليتيم وميراثًا، وترويجًا للمُخدِّرات واتِّجارًا بها، وتكسُّبًا من وراء نشرِ الفاحشة وإِشَاعتِها، وامْتصاصَ عرَقِ الكادحين وحِرْمانًا، وأَخْذًا للأُجْرة والمرتَّبِ وخارج الدوام استحلالًا دونما إِتْمام للعمل وإِتْقانٍ.. وقِسْ علىٰ ذلك الانتداباتِ والمكافآتِ بغير مسوِّغٍ واسْتِغلالَ المناقصات، وصناديقَ الإِعَاشة وفواتيرَ المشتريات، وأُمَناءَ المستودعاتِ، والنُّفوذَ إِلَىٰ الحرام بحُكْم المنصبِ بحِيَلٍ شيطانيَّةٍ وطُرُقٍ خفيَّةٍ وتلاعبَ بالأَنْظمةِ الإِدَاريَّةِ، أَمَا إِنَّ هؤلاء جميعًا قد غفلوا أَوْ تغافلوا عن قوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [سورة البقرة:٧٧].



إِنَّ أُمَّةً تَشيعُ فيها هذه القاذوراتُ ويتسابق أَهْلُها إِلَىٰ التَّهالك في هذه المحذوراتِ من الرِّزْقِ المعوِّقِ لنُمُو اقتصادها والمُعطِّل لحركة إِنْتاجها والهادم لمجالات استثمارها وإِنْ لاح لها بريقُ حضارةٍ أَوْ تقدُّمٍ وازْدهارٍ.. لهي محرومةُ البركةِ مَمْحوقةُ الثَّمرة.

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وإِنَّ اللهَ تعالىٰ أَمَرَ الْمُؤْمِنِيْنَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِيْنَ فقال ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [سورة المؤمنون:٥١] ، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [سورة البقرة:١٧٢]، ثم ذكَر الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ، يَارَبِّ يَارَبِّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ وغُذِّيَ بالْحَرَامِ فأَنَّىٰ يُسْتَجابُ لِذَلِكَ»[١].

قال ابنُ رَجَبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ مبينًا طرفًا من آثار المكسب الحرام.. وفي هذا الحديث إِشَارةٌ إِلَىٰ أَنَّه لا يُقبل العملُ ولا يزكو إِلَّا بأَكْلِ الحلال.. وأَنَّ أَكْلَ الحرام يُفسد العملَ ويمنع قبولَه[٢].

روىٰ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ لَا يُبَالِي الْمَرْءُ بِمَا أَخَذَ الْمَالَ أَمِنَ الْحَلَالِ أَمْ مِنَ الْحَرَامِ»[٣].

أ. أَكْلُ اليهود للحرام.

يقدِّس اليهود المالَ ويُحِبُّونَه حبًّا جمًّا، ولا يتورَّعون عن كلِّ مسلكٍ آثمٍ لتحصيله أَوْ سبيلٍ مُحَرَّم لتكثيره أَوْ تحايُلٍ معوجٍّ لحيازته ويزعمون أَنَّه لا حرجَ عليهم في أَكْلِ أَمْوالِ الأُمِّيِّين الجوييم بالباطل.. ففي تلمودهم المقدَّس (إِنَّ الله لا يغفر ذنبًا ليهوديٍّ يردُّ للأُمِّي مالَه المفقودَ)[٤].

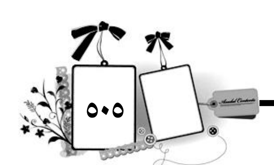
---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب، برقم: (١٠١٥).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٢٦٠) لابن رجب الحنبلي.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: البيوع، باب: من لم يبال من حيث كسب المال، برقم: (١٩٥٤).

(٤) «الكنز المرصود» (٧٥).



وما خلف اليهود إِلَّا كسلفِهم فقد جاءَ في «برتوكولات حكماءِ صهيون» البروتوكول السَّادس: «سنبدأُ بتنظيم احتكاراتٍ عظيمةٍ هي صهاريجُ للثَّروة الضَّخمةِ لتستغرق خلالها الثَّروات الواسعة للأُمِّيِّين غيرِ اليهود، إِلىٰ حدٍّ أَنَّها ستهبط جميعها، وتهبط معها الثِّقة بحكوماتها يوم تقع الأَزْمةُ السِّياسيَّةُ»(١).

وفي بروتوكولاتِهم: «بمعاونة الذَّهب وكلُّه في أَيْدِينا سنقوم بافتعال الأَزَماتِ الاقتصاديَّةِ العالميَّةِ، ونصيب الصِّناعات بالتَّوقُّف ونُنْشئُ احتكاراتٍ ضخمة»(٢).

وجاءَ في البروتوكول العشرين: «إِنَّ ما أَحْدثوه من أَزَمات اقتصاديَّة في العالم كان بطريق سحبِ العُمْلة من التَّداول فتراكمتْ ثرواتٌ ضخمةٌ، وسحبُ المال من الحكومة التي اضطرَّتْ بدورها إِلَىٰ الاستنجادِ بمُلَّاك هذه الثَّروات لإِصْدار القروض، ولقد وضعتْ هذه القروضُ علىٰ الحكومات أَعْباءَ ثقيلةً اضطرَّتْها إِلَىٰ دفع فوائِدِ المالِ المُقترَضِ وكبَّلتْ بذلك أَيْديها»(٣).

ولقد سار اليهودُ علىٰ هذه المُخطَّطات حتَّىٰ تمكَّنوا من السَّيطرة علىٰ أَزِمَّة الاقتصاد العالميِّ، وإِنَّ جماعةَ المُرابين في العالم ليسوا سوىٰ عُصْبةٌ من اليهود يتحكَّمون في مصائِرِ الدُّوَلِ، كآل روتشلد الذين شيَّدوا إِمْبراطوريَّة المال اليهوديَّة عن طريق الرِّبا(٤).

---

(١) «بروتوكولات حكماء صهيون» ترجمة التونسي (١٣٧-١٣٨).
(٢) «اليهود تاريخ إفساد وانحلال ودمار»، توفيق يوسف الواعي، الناشر: بيروت، دار ابن حزم، ١٤١٦/ ١٩٩٥ ص (٨٣).
(٣) ينظر: «بروتوكولات حكماء صهيون» (ص: ١٩٨).
(٤) المصدر السابق ص (٥٣).



وقد كانتْ تجارةُ العبيد تشكِّل المصدرَ الأَوَّلَ لثروتهم وكانوا يحتكرون التِّجارات المفسدةَ كتجارة المخدِّرات، وتجارةِ الرَّقيق الأَبْيَض وصناعةِ المُسكِرات وتسويقِها(١).

وتقول الموسوعةُ البريطانيةُ حولَ هذا الموضوع: كان لدىٰ التُّجَّار والمُرابين اليهود ميل شديدٌ للتَّخصُّص بالتِّجارة وكان ممَّا ساعدهم علىٰ الامتيازِ في ذلك الحقل مهارتُهم وانتشارُهم في كلِّ مكانٍ وكانتْ تجارةُ أُورُبَّا في العصورِ المظلمةِ في أَيْديهم وخاصَّةً تجارة الرَّقيق(٢).

وكان اليهودُ يسعون من أَجْل أَنْ يكون إِصْدار العُمْلة في أَيْديهم يقول أمشل باور: دَعْنا نتولىٰ إِصْدارَ النَّقْد في أُمَّةٍ من الأُمَمِ والإِشْراف عليه، ولا يهمُّنا بعد ذلك من الذي يسنُّ القوانين.

وقد أَشار القُرْآنُ إِلَىٰ هذه الخصْلةِ الذَّميمةِ المُتأَصِّلةِ في طباعهم جيلًا بعد جيلٍ في مواضعَ عديدةٍ:

١- أَكْلُهم الرِّبا:

قال تعالىٰ: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ﴾ [سورة النساء: ١٦٠-١٦١].

وقد أَباحتْ لهم توراتُهم المحرَّفةُ أَكْلَهم الرِّبا فجاءَ في سفرِ التَّثْنية: «لا تقرض أَخاك برِبَا، رِبا فضَّةٍ، أَوْ رِبا طعامٍ أَوْ رِبا شيءٍ ما ممَّا يقرض برِبَا للأَجْنبيِّ، تقرض برِبَا ولكنْ لأَخِيك لا تقرض برِبَا لكي يبارك الرَّبُّ إلهُكَ»(٣).

---

(١) المصدر السابق ص (٥٤-٥٥).

(٢) «أحجار علىٰ رقعة الشطرنج» ص (٥٥).

(٣) سفر التثنية – الإصحاح الثالث والعشرون ص (٣١٦).



وفي التَّلْمود: «مصرَّحٌ لكم بزيادة قِيْمةِ الفوائِدِ واستعمالِ الرِّبا وارتكابِ السَّرقةِ والنَّهب من الأُمِّي لأَنَّ حياتَه وأَمْوالَه في أَيْدِيكم مباحةٌ»(١).. ومن المعلوم أَنَّ غالبَ البنوكِ العالميَّةِ الكبيرةِ ملاكُها يهودُ والمنفذون فيها يهودُ.. جاءَ في التَّلْمود عندهم غير مصرَّحٍ لليهوديِّ أَنْ يُقرض الأَجْنبيَّ إِلَّا بالرِّبَا(٢).

٢- أَكَّالون للسُّحْت:

قال الله تعالى: ﴿سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [سورة المائدة:٤٢].. قد ذكَر غالبُ علماءِ التفسير أَنَّ المرادَ بالسُّحْت في الآية الرِّشَىٰ(٣).

هذا طبعُ يهود وتلك سجيتُهم لا يرعوون عن أَكْل الرَّشْوة ولا عن دَفْعِها لمن يستميلونه لتحقيق مآربهم وبلوغ غاياتهم.. يقول الأميرال الأمريكي وليام غاي كار: «برع اليهودُ في استعمالِ الرَّشْوةِ والمالِ والجِنْسِ للوُصُول إِلَىٰ السَّيْطرة علىٰ الأَشْخاص الذين يشغلون المراكزَ الحسَّاسةَ علىٰ مختلف المستويات في جميع الحكومات وفي مجال النَّشاط الإِنْسانيِّ»(٤).

وقد حاول اليهودُ -بصفاتهم المعهودةِ- رشوةَ أَحَدِ أَصْحاب رسول الله ﷺ حين أَرْسله ليخرصَ ثمارَ خَيْبَرَ بموجبِ الصُّلْح الذي عقدوه مع رسول الله ﷺ ولكنَّه أَخْزاهم وردَّهم خائبين:

روىٰ ابن حِبَّانَ في «صحيحه» كما في «الموارد»، والبيهقيُّ في «سُنَنِه» بالسَّند إِلَىٰ عَبْدِ الله بنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فذكَر قتالَ رسول الله ﷺ لأَهْلِ خَيْبَرَ وصُلْحَه معهم..

---

(١) «الكنز المرصود» ص (٧٥).
(٢) الكنز المرصود ص (٨١).
(٣) «تفسير الطبري» (١٠/ ٣١٨) وابن كثير (٣/ ١١٧) وغيرهما.
(٤) «أحجار علىٰ رقعة الشطرنج» (١١-١٢).

إِلَىٰ أَنْ قال: وكان عَبْدُ الله بن رَوَاحَةَ يَأْتيهم كلَّ عام يخرصها عليهم، ثمَّ يضمنهم الشَّطر، قال فشكوا إِلَىٰ رسول الله ﷺ شدَّةَ خرصِه وأَرَادوا أَنْ يرشوه قال: يا أَعْداءَ الله! تُطعموني السُّحْت؟! والله لقد جِئْتُكم من عند أَحبِّ النَّاس إِلَيَّ ولأَنْتُمْ أَبْغضُ إِلَيَّ من عِدَتِكم من القِرَدَةِ والخنازير، ولا يحملني بُغْضي إِيَّاكم وحُبِّي إِيَّاه علىٰ أَنْ لا أَعْدل بينكم، فقالوا: بهذا قامت السَّمواتُ والأَرْضُ(١).

وقد لعَن النبيُّ ﷺ المتعاملَ بها فقال: «لَعْنَةُ الله عَلَىٰ الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي»(٢).

٣- تحايُلُهم لأكْل المال الحرام:

اليهودُ أَصْحابُ مكرٍ وخديعةٍ واحتيالٍ ذاك طبعُهم وتلك سجيتُهم.. ومع قِصَّةٍ من قِصص القُرآنِ الكريم.. وجولةٍ من جولات العتوِّ والاستكبارِ في قريةٍ من قرىٰ بني إِسْرائيلَ ورد ذِكْرُها في خمسة مواضعَ من الذِّكْرِ الحكيمِ نَسْتَلْهِمُ عبرَها .. ونعيشُ خبرَها .. وعاقبةَ أَمْرِها، فالعاقل من وُعظ بغيره.

قال عزَّ في عُلاه: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٦٣].

لقد كانتْ قريةٌ ساحليَّةٌ، قيل: علىٰ خليج العقبةِ، وقيل: إِنَّها الواقعة علىٰ بحيرة طبرية، كان اقتصادُ أَهْلِها قائِمًا علىٰ ما يصطادونه من سمك البحر فمنه يَأْكلون

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١١/٦٠٨-الإحسان) وحسنه الألباني برقم (٥١٧٦) في التعليقات الحسان.

(٢) أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجه، كتاب: الأحكام، باب: التغليظ في الحيف والرشوة، برقم: (٢٣١٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (٥١١٤)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

ويتكَّسبون ويتاجرون.. وفي الآية خطاب لحبيبنا ﷺ أن اسْأَلْ يهودَ المدينة من مجاوريك عمَّا وقع لأَسْلافهم في هاتيكمُ القريةِ الشواطئِيَّةِ، لا سُؤالَ استبيان ومعرفةٍ ولكنْ سُؤَالَ تبكيتٍ واستهزاءٍ، حتَّىٰ إِذَا علموا أَنَّ أَجْدادًا لهم مُسخوا قردةً وخنازيرَ وقع عليهم الخِزْيُ والعارُ ولحقت بهم الذِّلَّةُ والمهانةُ.. لقد طلب اليهودُ من ربِّهم أَنْ يجعلَ لهم يوم عيدٍ يكون محلًا لعبادتهم واستراحتِهم.

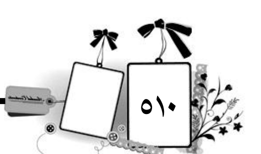
روىٰ مُسْلِمٌ في «صحيحه» رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أَبِي هُرَيْرَةَ وحُذَيْفَةَ بنِ اليمانِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رسولَ الله صلواتُ ربِّي وسلامُه عليه قال: «أَضَلَّ الله عَنِ الجُمُعَةِ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا فكَانَ لِلْيَهُودِ يومُ السَّبْتِ وكَانَ لِلنَّصَارَىٰ يومُ الأَحَدِ فجَاءَ اللهُ بِنَا فَهَدَانَا اللهُ لِيَوْمِ الجُمُعَةِ»[1]..

فكان الابْتلاءُ من الله لأَهْلِ تِلك القريةِ من اليهود ليكونَ في ذلك تقويةً لعزائِمِهم، وشحذًا لهِمَمِهم أَنْ ترتعَ في الشَّهوات وتنغمسَ في اتِّباع الهوىٰ والمُغْرياتِ، فقد كانوا أُمَّةً مستذلةً مهانةً مستعبدةً لفِرْعونَ وملئِه.. فلا بُدَّ لها من علوِّ همَّةٍ وتربيةٍ جادةٍ لتعتاد الصَّمودَ والثَّباتَ، وتتحرَّر من نير الخَسْفِ والرِّقِّ، فضلًا عن ضرورة ذلك لمن يُعدَّ لحمل الأَمَانةِ وقيادةِ البشريَّةِ والاستخلافِ في الأَرْض.

فيا تُرىٰ ما لونُ هذا البلاءِ؟ وما نوعُ ذلكم الابتلاءِ؟.. ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ [سورة الأعراف:١٦٣].. فالابتلاءُ الأَوَّلُ نهيُهم عن الصَّيد يوم السَّبْت والثَّاني أَنَّ الحيتانَ يوم السَّبت تَأْتِي كأَنَّهَا أَشْرعةٌ علىٰ وجه الماءِ رافعةً رُءُوسَها قريبةً منهم تُغريهم وتُراودهم بصيدها علىٰ العكس مِنْ بقيَّةِ أَيَّام الأُسْبوع..

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الجمعة، باب: هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، برقم: (١/ ٨٥٦).



فإذا بأهلِ القريةِ أُمَمٌ ثلاثٌ تجاهَ هذا الإغراءِ والابتلاءِ.. أُمَّةٌ معتديةٌ باغيةٌ لم تصمدْ أمَامَ الشَّهَواتِ فتحايلوا على أَمرِ الله فاصْطادوا بطُرُقٍ شيطانيَّةٍ يُخادعون بها الله وما يخدعون إِلَّا أَنْفُسَهم وما يشعرون، ذكَر بعضُ المُفسِّرين أَنَّهم حفروا بركًا وحياضًا بجانب الشَّاطئِ فكان الماءُ يغمرُهما حال المدِّ فيقَع فيها السَّمَكُ فإذَا كان يومُ الأَحَدِ(١) بقِي السَّمكُ في تلك الحياضِ والبركِ عند انْحسارِ الماءِ وجزرِه فاصْطادوها ويقولون إِنَّما اصْطدْنا يوم الأَحَدِ.. إِلَّا أَنَّ التَّحايُلَ على شرع الله بتحليل ما حرَّم أَوْ تحريم ما أَحَلَّ أَوْ اتِّخاذ وسائِلَ وطُرُقٍ يتوصَّل بها إِلَى الحرام لمِنْ سجايا بني إِسْرائِيلَ ومِنْ أَقْبح صفاتِهم.. روى الشَّيْخان عن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بلَغ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ فلانًا باع خمرًا فقال: قاتل اللهُ فلانًا أَلَمْ يعلمْ أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «قَاتَلَ اللهُ اليَهُودَ حُرِّمَتْ عَلَيْهِمْ الشُّحُوم فجَمَلُوهَا فبَاعُوهَا»(٢).

وفي روايةِ جَابِرِ بنِ عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّه قال ﷺ: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ -ثلاثًا- إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ الشُّحُومَ فبَاعُوهَا وأَكَلُوا أَثْمَانَهَا وَإِنَّ اللهَ إِذَا حَرَّمَ عَلَى قَوْمٍ أَكْلَ شَيْءٍ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ثَمَنَهُ»(٣).

وإِجْمَالُ الشَّحْمِ: إِذَابتُه وجعلُه دُهْنًا وهو من التَّحايُل.. فكانت النِّهايةُ قاسيةً مهلكةً استحقَّها مَنْ تجاوز وبغى وطغى ونسِي خالقَه وأَنَّه القادرُ على كلِّ شيءٍ..

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ١٧١) و«تفسير ابن كثير» (١/ ٢٩١) و«تفسير القرطبي» (٧/ ٣٠٦) وجاء عند الطبري أن الرجل منهم كان يعمد إلى أخذ الحوت سرًّا يوم السبت فيخزمه بخيط ثم يرسله في الماء ويُوتد له وتدًا في الساحل فيُوثقه ثم يرسله في الماء حتى إذا كان الغد جاء فأخذه وقال: إني لم آخذه في يوم السبت، الطبري (٢/ ١٦٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: البيوع، باب: لا يذاب شحم الميتة ولا يباع ودكه، برقم: (٢١١٠)، ومسلم، كتاب: المساقاة، باب: تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام، برقم: (١٥٨٢/ ١).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب: الإجارة، باب: في ثمن الخمر والميتة، برقم: (٣٤٨٨)، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم: (٥١٠٧)

لقد مُسخوا قِرَدَةً وخنازيرَ في أَقْبح هَيْئَةٍ وأَكْره صُورَةٍ.. ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [سورة الفرقان:٤٤].

لقد رفضوا تكريمَ الله لهم وتسخيرَ ما في الكون لهم، فاستعجلوا عقوبتَه واستوجبوا نقمتَه، فمُسخت قلوبُهم وتصوَّراتُهم وأَخْلاقُهم فتبعَ ذلك جزاءً وفاقًا مسخُ أَجْسادِهم.. وإِنَّ لهم فيمَنْ بعدهم مِنْ هذه الأُمَّة لخَلَفٌ يمسخون كما مُسخوا فقد روىٰ سَهْلُ بنُ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١) أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «سَيكُونُ في آخِرِ الزَّمَانِ خَسْفٌ وَقَذْفٌ ومَسْخٌ إِذَا ظَهَرَتِ الْمَعَازِفُ وَالْقَيْنَاتُ وَاسْتُحلَّتِ الْخَمْرُ»(٢).

٤- الغايةُ عندهم تُبَرِّرُ الوسيلة:

إِنَّ اليهودَ الذين عبدوا المالَ ذهبًا وحليًّا ممثلًا في عِجْل السَّامريِّ الغايةُ عندهم تُبَرِّرُ الوسيلةَ، وهذه قاعدةٌ من قواعدهم التي ظهروا علىٰ أَكْتافها فاستحلُّوا السَّرقةَ والنَّهبَ والغصبَ والرِّشْوةَ والرِّبا، وأَشَاعوا الفجورَ والبغاءَ ليتحصَّلوا علىٰ المال بأَيِّ طريقٍ مشروعٍ أَوْ غيرِ مشروعٍ. جاءَ في تلمودهم: إِنَّ السرقةَ غيرُ جائزةٍ من الإِنْسان أَيْ من اليهود أَمَّا الخارجون عن دِيْنِ اليهود فسرقتُهم جائِزَةٌ(٣).

---

(١) هو: سهل بن سعد بن مالك بن خالد، أبو العباس، الخزرجي الساعدي، الأنصاري، صحابي، من مشاهيرهم. روىٰ عن النبي ﷺ وعن أبي وعاصم بن عدي وعمرو بن عنبسة، وعنه ابنه العباس وأبو حازم والزهري وغيرهم. وقيل: هو آخر من بقي بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ، حكىٰ ابن عيينة، عن أبي حازم، قال: سمعت سهل بن سعد يقول: لو متُّ لم تسمعوا أحدًا يقول: سمعت رسول الله ﷺ. ينظر: «الإصابة» (٢/ ٨٨)، «تهذيب التهذيب»، لابن حجر (٤/ ٢٥٢)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر (٢/ ٦٦٤).

(٢) «صحيح الجامع» برقم (٥٩٧٨).

(٣) ينظر: «الكنز المرصود»، ص (٧٢).

ب. أَكْلُ الرَّافضة للحرام.

مَنْ حادتْ عقيدتُه وشطَح مَنْهجُه وحكَّم نزوتَه واتَّبع شهوتَه، فلا غَرْوَ أَنْ تجدَه آكلًا للحرام متقحِّمًا فيه موغلًا في تطلُّبه بكلِّ وسيلةٍ وحيلةٍ ومراوغةٍ وخديعةٍ.

ودونك في حقِّ الشِّيْعة ما يُثبت ذلك ويُؤَكِّده:

١- استحلالُهم مالَ الغير:

كما استحلَّ الشِّيْعة دماءَ غيرهم وخصوصًا أَهْلَ السُّنَّة، فقد استباحوا كذلك أَمْوالَهم فها هو ذا الخمينيُّ يُفْتي الرَّافضةَ بإِبَاحةِ أَمْوالِ أَهْلِ السُّنَّةِ وأَخْذِها أَيْنما وُجدتْ وبأَيِّ وسيلةٍ.. ولم يردَّ عليه أَحَدٌ من علماءِ الشِّيْعة ممَّا يدلُّ على إِجْماعهم على تلك الفتوى[1].

وقد روى إِمامُهم الطُّوسيُّ في كتابه «تهذيب الأَحْكام» ما نصُّه: «خذ مالَ النَّاصب حيثما وجدتَه وادْفع إِلَينا الخُمُسَ»[2].. وجاءَ في بعض كتُبِهم: «مالُ النَّاصب وكلُّ شيءٍ يملكه حلالٌ»[3] ومرادهم بالنَّاصب - أَهْلُ السُّنَّة- الذين بزعمهم ناصبوا عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ العداءَ.

٢- أَكْلُهم الرِّبا.

كما يعتقد اليهودُ أَنَّ أَخْذَ الرِّبا جائِزٌ من مخالفيهم فكذلك الرَّافضةُ أَجَازوا أَكْلَ الرِّبا من مخالفيهم من أَهْلِ الذِّمَّة والمسلمين، جاءَ في «الكافي» وغيره ما نسبوه إِلَى الرَّسول ﷺ كذبًا وزُورًا أَنَّه قال: ليس بيننا وبين أَهْلِ حَرْبِنا رِبًا نَأْخذ منهم أَلْفَ

---

(١) ينظر: «بذل المجهود في مشابهة الرافضة لليهود» (٢/ ٥٧٨-٥٧٩).

(٢) ينظر: «تهذيب الأحكام»، للطوسي (١/ ٣٨٤)، «السرائر»، لابن إدريس (٤٨٤).

(٣) «وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة»، محمد بن الحسن بن علي، العاملي، المؤلف المشارك ومحقق: عبد الرحيم الرباني الشيرازي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٣/ ١٩٨٣، الطبعة: ط٥ (١١/ ٦٠) للحرِّ العاملي و«تهذيب الأحكام» (٢/ ٤٨) للطوسي.

دِرْهَم بدِرْهَم ونَأْخذ منهم ولا نُعْطيهم[١].. وعن الصَّادق: «ليس بين المسلم وبين الذِّمِّيِّ رِبًا ولا بين المَرْأَةِ وبين زوجها رِبًا»[٢].. وقد نقل مُوسَىٰ الجار الله عن «الوافي» قولهم: «ليس بين الشِّيْعيِّ والذِّمِّيِّ ولا بين الشِّيْعيِّ والنَّاصبِ رِبًا»[٣].

إِنَّها فتوىٰ جائِرَةٌ وحائِدَةٌ عن شرع الخالِقِ الحكيمِ القائِلِ سبحانه: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [سورة البقرة:٢٧٥].. وعن قوله ﷺ فيما رواه عنه عَبْدِ الله بنِ سَلَامٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إِنَّ أَبْوابَ الرِّبا اثنان وسبعون حوبًا أَدْناه كالذي يَأْتي أُمَّه في الإِسْلام»[٤].

والآياتُ والأَحَاديثُ في خطورة الرِّبا وجرم التعامل به متوافرةٌ.. ومع ذلك تجد الرَّافضةَ كإِخْوانهم اليهودِ يحلِّلونه ويُجيزونه غير مبالين بأَحْكامٍ ولا تشريعاتٍ ولكنْ بُشْراهم العاقبة ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [سورة البقرة:٢٧٦].

٣- ترويجُهم المخدِّرات والدَّعارة.

إِذَا لم تَسْتَحِ فاصْنعْ ما تشاءُ.. إِنَّ الحكومةَ الشِّيْعيَّةَ قد فضحتْ نفسَها وهتكتْ ستْرَها، فقد ذكرتْ بعضُ مصادرهم أَنَّها سببٌ في ترويج المُخدِّرات والحشيشة لجاراتها من الدُّوَلِ وخصوصًا في العِرَاقِ حيثُ الأَجْواءُ ملائِمةٌ والظُّروفُ مواتيةٌ إِلَىٰ جانبِ فتح بعض سماسرةِ الفساد بيوت دعارة يُعرض فيها الرَّقيق الأَبيض تحت مُسمَّىٰ نكاحِ المُتْعة.

---

(١) فروع «الكافي» (٥/ ١٤٧) للكليني و«الاستبصار»، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: حسن الخرسان، الناشر: دار الكتب الإسلامية – طهران، الطبعة الثانية – ١٣٩٠ (٣/ ٧٠).

(٢) «من لا يحضره الفقيه» (٣/ ١٧٩) للصدوق.

(٣) «الوشيعة في نقد عقائد الشيعة»، محمد سهيل/ لاهور/ باكستان – ١٣٩٩هـ (٥٧).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٥٣٤٤)، والبيهقي في «الشعب» (٥٥١٤، ٥٥١٥)، وهو في «صحيح الجامع» (١٨٧١)، وفي «السلسلة الصحيحة» (٢٤١١).

وقد صرَّح ببعض هذه الجوانبِ التي تحمل في طيَّاتِها نشرَ الفساد والتكسُّبِ من الحرام الشَّيْخُ أَوْس الخفاجيُّ أَحَدُ معاوني مُقْتدىٰ الصَّدر فقد طالب في خطبة جُمُعةٍ بإيقاف العبثِ في الشَّأْن الأَمْني العراقيِّ واتَّهم إِيرانَ وجهازَ مخابراتِها بالتَّدخل في الشُّئُون العراقيَّةِ وترويج المُخدِّرات بين الشَّبابِ العراقيِّ وتدميرِهم، وأَكَّد أَنَّ الجيش أَلْقىٰ القبضَ علىٰ إِيْرانيِّين هرَّبوا الحشيش[1].

٤- أَكْلُهم الخُمُسَ ظلمًا وعدوانًا.

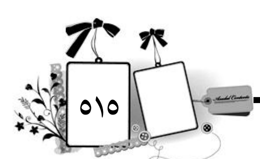
إِنَّ المتأَمِّلَ للحركات الشيعيَّةِ الكثيرةِ التي ظهَرتْ في تاريخ الأُمَّةِ المسلمةِ وكانت مِنْ أَقْوىٰ العوامل التي شغَلتْ الأُمَّةَ عن أَعْدائِها، وصرفتْ جهودَها عن بناءِ الدَّولةِ الإِسْلاميَّةِ الكبرىٰ، المُتأَمِّلَ لهذه الحركات وكثرتِها وقُوَّتِها لا ينبغي أَنْ يفوتَه أَنَّ المادَّةَ المولةَ لهذه الحركاتِ هي ما أُخِذ مِنْ أُولئِك الأَتْباع الأَغْرار باسْم آل البيت وحقِّهم من الخُمُس.

بلْ إِنَّ الحركاتِ الشِّيْعية في العالمِ الإِسْلاميِّ إِلَىٰ اليوم إِنَّما تُمَوَّل مِنْ هذا المورد، وآياتُ الشِّيعة يُعتبرون من كبار الرَّأْسماليِّين في العالم، ومنصب الآية والمرجع منصبٌ تهفو إِلَيه القلوبُ وتتطلَّع له الأَنْظارُ لأَنَّه مصبُّ القناطيرِ المقنطرةِ من الذَّهب والفِضَّةِ.

هذا الجانبُ التمويلي هو الذي غَذَّىٰ ويُغذِّي دورَ النَّشر التي تقذف سنويًا بالملايين من النَّشرات والكتُبِ والمراجعِ المليئَةِ بما فيه تضليل للأُمَّةِ ونشر لمذهبهم

---

(١) منتديات ساندروز الثقافية عبر الإنترنت، وانظر: «منتديات مكتوب» تحت عنوان (الاحتلال يشجع الشيعة علىٰ ترويج المتعة واللواط) وصحيفة ٢٦ سبتمر بتاريخ ١٧/ فبراير / ٢٠٠٧م مقالة بعنوان (أحزاب في سرداب الحوثي) لسمير رشاد اليوسفي وكذلك موقع «علىٰ الكاش» بعنوان (الدور التخريبي الإيراني في العراق).



الضَّالِّ المُضِلِّ، وقد اهتمَّ شيوخُ التَّشيُّع بالقضيَّةِ الماليَّةِ التي يسلبونها باسْمِ الخُمُس وأَولوها عنايةً غيرَ عاديَّةٍ واعتبروا مَنْ يستحلُّ منهم درهمًا منه في عداد الكافرين(١).

قال الدكتور علي السالوس: «ومِنْ واقع الجعفريَّةِ في هذه الأَيَّام نجِد أَنَّ من أَراد أَنْ يحُجَّ يُقوِّم كلَّ مُمْتلكاته جميعًا ثمَّ يدفع خُمُسَ قيمتِها إِلَىٰ الفقهاءِ الذين أَفْتوا بوجوبِ هذا الخُمُس وعدم قبول حجِّ مَنْ لم يدفع، واستحلَّ هؤلاء الفقهاءُ أَمْوالَ النَّاس بالباطل»(٢).

قلتُ: ولعلَّ هذا هو أَحَدُ العوامل في حِرْص حكومةِ الآيات علىٰ زِيادة حصَّتهم مِنْ عدد الحجَّاج في كلِّ عام.. هذا الاعتقاد في الخُمُس هو أَثَرٌ من آثارِ عقيدةِ الإِمَامة عندهم وأَنَّ المالَ كلَّه للإِمَام، والذي وضعَه زنادقة العصور القديمة واستمرَّ العملُ به إِلَىٰ اليوم.. مع أَنَّ مسأَلَةَ الخُمُس بدعةٌ ابتدعها هؤلاء لم تكن علىٰ عهد النَّبِيِّ ﷺ ولا خلفائِه الرَّاشدين حتَّىٰ أَمِيرِ المُؤْمنين عَلِيٍّ الذي يدَّعون التَّشيُّع له.

قال شيخُ الإِسْلام ابنُ تَيْمِيَّةَ: «وأَمَّا ما تقوله الرَّافضةُ من أَنَّ خُمُسَ مكاسبِ المسلمين يُؤْخذ منهم ويُصرف إِلَىٰ من يرونه هو نائِبُ الإِمام المعصومِ أَوْ إِلَىٰ غيرِه

(١) حيث قالوا: ومن منع منه درهمًا أو أقل كان مندرجًا في الظالمين لهم (أي أهل البيت بزعمهم) والغاصبين لحقهم، بل من كان مستحلًّا لذلك كان من الكافرين، ففي الخبر عن أبي بصير قال: قلت لأبي جعفر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ما أيسر ما يدخل به العبد النار؟ قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: من أكل من مال اليتيم درهمًا ونحن اليتيم... اليزيدي/ «العروة الوثقىٰ» وبهامشها تعليقات مراجعهم في هذا العصر. قال علي السالوس في السخرية بهذا المبدأ: إن مسلمي اليوم إن أرادوا ألا يحكم عليهم الجعفرية بالكفر فعليهم أن يجعلوا خمس مكاسبهم ورؤوس أموالهم ويبعثوا به إلىٰ علماء الجعفرية. ينظر: علي السالوس/ «أثر الإمامة في الفقه الجعفري»، ص (٣٩٤) الهامش.

(٢) ينظر: «أثر الإمامة في الفقه الجعفري» (٣٩١).

فهذا قولٌ لم يقلْه قطُّ أَحَدٌ من الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، لا عَلِيٌّ ولا غيرُه ولا أَحَدٌ من القرابةِ لا بني هَاشِمٍ ولا غيرهم، وكلُّ من نقَل هذا عن عَلِيٍّ أَوْ علماءِ أَهْلِ بيتِه كالحَسَنِ والحُسَيْنِ وعَلِيٍّ بن الحُسَيْنِ وأَبِي جَعْفَرِ البَاقِرِ وجَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ فقد كذب عليهم، فإِنَّ هذا خلافُ المتواتر من سيرة عَلِيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فإِنَّه قد تولَّى الخلافةَ أَرْبعَ سنين وبعضَ أُخرىٰ ولم يَأْخُذْ من المسلمين من أَمْوالِهم شيئًا بلْ لم يكنْ في ولايتِه قطُّ خُمُسٌ مقسومٌ. وأَمَّا المسلمون فما خَمَّسَ لا هو ولا غيرُه أَمْوالهم وأَمَّا الكفارُ فمتىٰ غنمتْ منهم أَمْوالٌ خُمِّست بالكتابِ والسُّنَّةِ، ولكنْ في عهده لم يتفرَّغ المسلمون لقتال الكفَّار بسبب ما وقَع بينهم من الفِتْنة والاختلافِ.

وكذلك من المعلوم بالضَّرورة أَنَّ النَّبيَّ ﷺ لم يُخمِّسْ أَمْوالَ المسلمين ولا طالب أَحَدًا قطُّ من المسلمين بخُمُس مالِه...[(١)].

وهذه الأَمْوالُ التي يَأْخذها شيوخُ الشِّيْعة باسْم أَنَّها فريضةٌ إِسْلاميَّةٌ، وحقٌّ من حقوق آل البيت وهي تتدفَّق اليوم عليهم كالسَّيل من كلِّ قُطرٍ هي مِنْ أَكْبر العوامل المساعدة علىٰ بقاءِ خُرافة الاثنىٰ عشريَّةِ إِلَىٰ اليوم وإِلَيها يُعزىٰ هذا النَّشاطُ في حماسِ شيوخِهم في الدِّفاع عن مذهبهم؛ لأَنَّهم يرون فيمَنْ يمسُّ مذهبَهم أَنَّه يحاول قطعَ هذه الأَمْوال التي تجري عليهم.

ولهذا قال د. علىٰ السالوس: «وأَعْتقد أَنَّه لولا هذه الأَمْوال لما ظلَّ الخلافُ قائمًا بين الجَعْفريَّةِ وسائِرِ الأُمَّةِ الإِسْلاميَّةِ إِلَىٰ هذا الحدِّ، فكثيرٌ من فقهائِهم يحرصون علىٰ إِذْكاءِ هذا الخلاف لينعموا بهذه الأَمْوال»[(٢)(٣)].

---

(١) ينظر: «منهاج السنة النبوية»، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣/ ١٥٤).

(٢) «أثر الإمامة في الفقه الجعفري» (٣٩١) بتصرف يسير.

(٣) انظر بتفصيل أوسع «أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية» ص (١٢٣٨-١٢٤٥) للدكتور ناصر القفاري. لم يذكر اسم الدار ولا البلد – ط الأولى ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

صكوكُ الغُفْران:

فكما أَنَّ باباواتِ الكنيسَة وقساوستَها يَأْكلون أَمْوالَ النَّاس بالباطل عن طريق ما زعموه صكوكَ الغُفْران أَوْ بيعَ قِطَعِ أَرَاضٍ في الجَنَّةِ(١).

فكذلك الرَّافضةُ لديهم مثلُها يلبِّسون بها علىٰ الرُّعاع من العامَّة والسذَّجِ من الجَهلة ليَأْكلوا أَمْوالَهم بالباطل ويصدُّوا عن سبيل الله.

لطيفةٌ:

روىٰ الكلينيُّ عن أَبِي عَبْدِ الله عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّه قال: «ما من شيءٍ أَحبُّ إِلَىٰ الله من إِخْراجِ الدَّراهم إِلَىٰ الإِمَام، وإِنَّ الله يجعل له الدِّرْهَمَ في الجَنَّةِ مثلَ أُحُدٍ»(٢) وفي روايةٍ: «دِرْهمٌ يُوصِلُ به الإِمَامَ أَفْضلُ مِنْ أَلْف أَلْفِ دِرْهم فيما سواه من وجوه البِرِّ»(٣) وإِذَا كان الإِمَامُ قد غاب فله نوَّابٌ وأَحْبابٌ! والأَمْر لا يحتاج إِلَىٰ أَكْثر من تحويل الصَّك من اسْم الغائِبِ إِلَىٰ النَّائِب(٤).

إِنَّها مهزلةٌ تمجُّها العقولُ السويَّةُ والفطرُ السَّليمةُ وهي في الوقت نفسِه تنمُّ عن غاية الجَشَعِ والطَّمَعِ الذي استولىٰ علىٰ قلوبِ ملالي وأَئِمَّةِ الرَّافضة حتَّىٰ ارْتكسوا إِلَىٰ هذا الحضيض.

ج. أَكْلُ المنافقين للحرام.

إِنَّ حرصَ المنافقين علىٰ الحياة وتنائِيَهم عن مواطن الجِهاد وتلبُّسَهم قبل ذلك كلِّه بالنِّفاق لَمُشْعِرٌ بمدىٰ حبِّهم للمال وجمعِه وتكثيرِه.. بأَيِّ وسيلةٍ ومن أَيِّ طريقٍ ولذلك شواهدُه وبراهينُه.

---

(١) انظر: تفصيلًا لذلك في رسالة: «العلمانية» (١١٠-١١٥) للشيخ سفر الحوالي.
(٢) «أصول الكافي» (١/ ٥٣٧).
(٣) المرجع السابق (١/ ٥٣٨).
(٤) «سياحة في عالم التشيع» (٧٦) لمحب الدين الكاظمي.

١- تأكُّلُهم من وراءِ البِغَاءِ:

ذُكِر سابقًا ما كان مِنْ شَأْنِ عَبْدِ الله بنِ أُبَي بنِ سَلُول رَأْسِ المنافقين ولربَّما كان على شاكلته نفرٌ من المنافقين أَنَّه كان يُرسل جاريتيْنِ له أُمَيْمَةَ ومُسَيْكَةَ للزِّنا ليتكسَّب من وراءِ ذلك، بلْ كان يُكرِهُهما على فعل ذلك ويضربهما إنْ لم تطيعاه.. فشكتا ذلك إِلَى النَّبيِّ ﷺ فنزل قولُه تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [سورة النور:٣٣] الآية (١).

وإِذَا طغى على النَّفْس حبُّها للمال وتمكَّن من شغاف القلبِ فيها، عندها تتجرَّد روح صاحبِها من كلِّ قيمةٍ وتعمى عن كلِّ خلقٍ، بل وتتردى وتنتكس في مهاوي الإِثْم والرَّذيلةِ وتبحث عنه بكلِّ وسيلةٍ.

وإِنَّ لابنِ سَلُولٍ أحفادًا وذريَّةً يتكسَّبون المالَ من وراءِ مواخير البِغاءِ التي أَقَاموها، وقنواتِ المجون التي نشروها، ووسائِلِ الفاحشة التي أَشَاعوها، وأَجْواءِ الانحلال التي بثُّوها..

٢- خيانتُهم في المال:

من صفات المنافقين ما ورد في حديث المُصْطَفَى ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيْهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيْهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيْهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»(٢).

فمِنْ صفات المنافق أَنَّه إِذَا اؤْتُمن خان، فمِنْ صنوف الأَمَانة ما كان على المال،

(١) أخرجه مسلم، كتاب: التفسير، باب: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾، برقم: (٣٠٢٩/ ٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: ظلم دون ظلم، برقم: (٣٤)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، برقم: (٥٨).

فالمنافقُ من شَأْنِه الخِيانةُ والجحودُ حتَّىٰ يُحصِّل مالًا حرامًا ليس له فيه حقٌّ، وشاهدُ ذلك ما ورَد في تفسير قولِه تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [سورة النساء:٥٨] الآية.

ذكَر جمعٌ مِنَ أَهْلِ التَّفْسِيرِ أَنَّ الأَماناتِ الماليَّةَ تشملها كلمةُ الأَمانات في الآية(١)، وكذلك هي داخلةٌ في قولِه تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [سورة الأحزاب:٧٢] الآية.. ولذا نجِد أَنَّ المنافقَ إِذَا ائْتُمِن خان وإِذَا مُنِح الثِّقةَ غدَر ليأْكُلَ الحرام.

عن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: «أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةَ»(٢)، وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما كان النَّبيُّ ﷺ يُحدِّث إِذْ جاءَ أَعْرابيٌّ، فقال: متىٰ السَّاعةُ؟ قال: «إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»(٣)..

لذا جاءَتْ روايةُ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ التي قال فيها ﷺ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَىٰ مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ»(٤).. ولعظم شَأْنِ الْأَمَانةِ كانتْ أَوَّلَ ما يُرفع مِنْ دِينِنا وتضييِّعها من علاماتِ السَّاعة. فعن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديث الشَّفاعة الطويلِ عن رسول الله ﷺ قال: «وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنبَتَي الصِّرَاطِ يَمِينًا وشِمَالًا»(٥).

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٨/ ٤٩٣) وابن كثير (٢/ ٣٣٨) و«التحرير والتنوير» (٣/ ٩).

(٢) أخرجه الضياء في «المختارة» (٤/ ٤١٠)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (٢١٦)، وتمام في «الفوائد» (١/ ٨٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة»، برقم: (١٧٣٩).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: العلم، باب: من سئل علمًا وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل، برقم: (٥٩).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب: الإجارة، باب: الرجل يأخذ حقه من تحت يده، برقم: (٣٥٣٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، برقم: (٢٤٠).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: أدنىٰ أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩٤).

عن ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «القتلُ في سبيل الله يُكفِّر الذُّنوبَ كلَّها إِلَّا الأَمَانَةَ.. ثُمَّ قال: يُؤْتىٰ بالعبد يوم القيامة وإن قُتل في سبيل الله؛ فيُقَال: أَدِّ أَمَانَتك. فيقول: أَيْ رَبِّ كيف وقدْ ذهَبتِ الدُّنْيا؟ قال: فيُقَال: انْطَلِقُوا به إِلَىٰ الهَاوية فيُنْطلق به إِلَىٰ الهَاوِيَةِ، وتُمَثَّل له أَمَانتُه كهَيْئَتِها يوم دُفِعَتْ إِلَيه فيَرَاهَا فيَعْرِفهَا، فيَهْوِي في إِثْرِها حتَّىٰ يُدْرِكَها فيَحْمِلَها علىٰ مَنْكِبَيْه حتَّىٰ إِذَا نظَر ظنَّ أَنَّه خارجٌ، زلَّت عن مَنْكِبَيْه فهو يَهْوِي في إِثْرِها أَبَدَ الآبِدين. ثُمَّ قال: الصَّلاةُ أَمَانةٌ والوُضوءُ أَمَانةٌ والوزْنُ أَمَانةٌ واللَّيلُ أَمَانةٌ وأَشْياءٌ عدَّها وأَشَدُّ ذلك الودائِعُ، قال -يعني: زاذان- فأَتَيْت البَرَاءُ بنُ عَازِبٍ(١)،فقلتُ: أَلَا ترىٰ إِلَىٰ ما قال ابنُ مَسْعُودٍ قال كذا وقال كذا، قال: صدَق أَمَا سمعتَ الله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [سورة النساء:٥٨](٢).

٣- الغلولُ:

ومن أَكْلِ المنافقين للحرام، الغُلُولُ روىٰ أَحْمَدُ حديثًا عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ قال:«إِنَّ لِلْمُنَافِقِينَ عَلَامَاتٍ يُعْرَفُونَ بِهَا:تَحِيَّتُهُمْ لَعْنَةٌ(٣)، وَطَعَامُهُمْ نُهْبَةٌ(٤)، وَغَنِيمَتُهُمْ غُلُولٌ(٥)، وَلَا يَقْرَبُونَ الْمَسَاجِدَ إِلَّا هُجْرًا(٦)، وَلَا يَأْتُونَ

---

(١) هو: البراء بن عازب بن الحارث بن عديّ بن جشم بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاريّ الأوسيّ، يكنىٰ أبا عمارة له ولأبيه صحبة غزا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة غزوة «طبقات ابن سعد» (٤/ ٣٦٤)

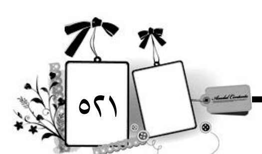
(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان برقم: (٥٢٦٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب»، برقم: (٢٩٩٥).

(٣) اللعنة: أصل اللعن الطرد والإبعاد من الله ومن الخلق: السب والدعاء، انظر: «النهاية» (٤/ ٢٥٥).

(٤) النهب: الغارة والسلب، والنهبة: اسم ما يُنهب أي: يُختلس، انظر: السابق (٥/ ١٣٣).

(٥) الغلول: الخيانة في المغنم والسرقة من الغنيمة قبل القسمة، انظر: السابق (٣/ ٣٨٠).

(٦) يُريد الترك لها والإعراض عنها، السابق (٥/ ٢٤٥).



الصَّلَاةَ إِلَّا دُبْرًا(١)، مُسْتَكْبِرِينَ لَا يَأْلَفُونَ وَلَا يُؤْلَفُونَ خُشُبٌ بِاللَّيْلِ(٢) صُخُبٌ بِالنَّهَارِ» (٣)(٤)، وفي روايةٍ: «سُخُبٌ بالنَّهارِ».

يُستنبط من هذا الحديثِ مطعمين حرامين هما الغلولُ ومعلومٌ ما ورَد في أَخْذ شيءٍ من الغنيمة قبلَ قِسْمتها، فقد جاءَ في روايةِ عَبْدِ الله بنِ أُنَيْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٥) قولُه ﷺ: «مَنْ غَلَّ بَعِيرًا أَوْ شَاةً أَتَى يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٦).

---

(١) المراد أنهم يأتون الصلاة حين يدبر -يفوت- وقتها، السابق (٢/ ٩٧).

(٢) أراد أنهم ينامون الليل كأنهم خشب مطَّرحة لا يصلون فيه. السابق (٢/ ٣٢).

(٣) أي صيَّاحون فيه ومتجادلون، السابق (٣/ ١٤).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٩٣)، وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال عنه الشيخ أحمد شاكر حديث حسن، وضعفه الألباني في «الضعيفة»، برقم: (٥٨٧٢).

(٥) هو: عبد الله بن أنيس الجهني، أبو يحيى المدني حليف الأنصار، قيل: إنه من بني البرك بن وبرة بن قضاعة، وعداده في جهينة، وهو حليف لبني سواد من بني سلمة من الأنصار. شهد العقبة من السبعين من الأنصار، وكان يكسر أصنام بني سلمة من الأنصار هو ومعاذ بن جبل أسلما. ولم يشهد بدرًا، وشهد أحدًا والخندق، وما بعدهما من المشاهد مع رسول الله ﷺ، وبعثه رسول الله ﷺ سرية وحده. وقال محمد بن إسحاق: هو من قضاعة، حليف لبني نابي من بني سلمة، وشهد العقبة وأحدًا، وما بعدهما، وهو الذي بعثه النبي ﷺ إلى خالد بن نبيح العنبري فقتله، وهو الذي سأل النبي ﷺ عن ليلة القدر، وهو الذي رحل إليه جابر بن عبد الله فسمع منه حديث: القصاص. روى عن: النبي ﷺ (بخ م ٤)، وعن عمر بن الخطاب. قال أبو نعيم: وقال علي بن المديني: عبد الله بن أنيس الأنصاري غير عبد الله بن أنيس الجهني وفرق بينهما فقال: الأنصاري هو الذي روى عنه: جابر بن عبد الله في القصاص، وليس الجهني الذي روى عنه أولاده في نزول ليلة القدر، وفرق بعض المتأخرين بينهما فجعلهما ترجمتين، وجمعنا بينهما وخرجنا عنهما ما خرج، قال أبو سعيد بن يونس: توفي بالشام سنة ثمانين. وقال غيره: مات في خلافة معاوية سنة أربع وخمسين. «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي (١٤/ ٣١٣)، «تاريخ الإسلام»، للذهبي (٢/ ٤١٧)، «معجم الصحابة»، للبغوي (٤/ ٦٦)، «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم (٣/ ١٥٨٥).

(٦) أخرجه ابن ماجه، كتاب: باب: ما جاء في عمال الصدقة، برقم: (١٨١٠)، وأحمد في «مسنده» (٣/ ٤٩٨)، وغيرهما من حديث عبد الله بن أنيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، برقم: (٦٤٠٩).



وروى عُبادَةُ بنُ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قولَه ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هَذَا مِنْ غَنَائِمِكُمْ أَدُّوا الْخَيْطَ وَالْمخِيطَ فَمَا هُوَ فَوْق، فَإِنَّ الْغُلُولَ عَارٌ عَلَى أَهْلِهِ يومَ الْقِيَامَةِ وَشنَارٌ(١) وَنَارٌ»(٢). زِدْ علىٰ ذلك أَنَّ المنافقين يطلبون من المؤمنين إِذَا نالوا مغنمًا أَوْ أَفَاءَ اللهُ عليهم من أَعْدائِهم أَنْ يقسموا لهم، مع أَنَّهم لم يحضروا قتالًا ولم يدفعوا عدوًا قال تعالىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الفتح:١٥].

إِنَّهم الفِئَةُ التي تقلُّ عند الفَزَع وتكثُرعند الطَّمَع، ذكَر جمعٌ من المُفسِّرين أَنَّ النَّبيَّ ﷺ استنفر المؤمنين لفتح مَكَّةَ فتخلَّف المنافقون وتطلَّبوا الأَعْذَارَ وقالوا: نذهبُ معه إِلَىٰ قومٍ جاءُوه فقتلوا أَصْحابَه فنقاتلهم في ديارهم فتعذروا وتمنَّعوا، فوعَد الله المؤمنين غنائِمَ خَيْبَرَ، فإِذَا بالمنافقين يطلبون المشاركةَ فجاءَ من الله الأَمْر بمَنْعِهم الخروجَ مع النَّبيِّ ﷺ والنَّهيَ عن الإِذْنِ لهم إِذْ كيف قسم لهم وهُمْ لا حظ لهم فيها ولا نصيبٌ(٣)، وكيف يستحقُّ الغنائِمَ مَنْ شَأْنُه التَّخذيلُ والإِرْجافُ وبثُّ الشَّائِعَاتِ وموالاةُ العَدُوِّ..إلخ.

كذلك مِنْ أَكْل المنافقين للحرام: أَنَّ طعامَهم نُهبةٌ والنُّهبة: أَخْذٌ للمال بطريق القُوَّة والغلبةِ(٤). أَمَّا الاختلاسُ فهو اخْتطافُ الشَّيْءِ علىٰ حين غفلةٍ مِنْ صاحبه(٥).

وقد نَهَىٰ ﷺ عن النُّهبة فقال فيما رواه عنه أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِيْنَ

(١) العيب والعار.

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب: الجهاد، باب: الغلول، برقم: (٢٨٥٠)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (٢٣٠٠).

(٣) انظر: «الدر المنثور» (٩/ ٢١٧) و«القرطبي» (١٦/ ٢٧٠) وغيرهما.

(٤) «المال المأخوذ ظلمًا» (١/ ٣٣٥) د/ طارق الخويطر الأردن – دار النفائس – ط الأولىٰ ١٤١٨ هـ -١٩٩٨م

(٥) المرجع السابق (١/ ٣٠٣).

يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، ولَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِيْنَ يَشْرَبُ وهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِيْنَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيْهَا أَبْصَارَهُمْ حِيْنَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ»(١).

قال ابنُ حَجَرٍ: «وَلَا يَنْتَهِبُ» نُهْبَةٌ بضمِّ النُّون وهو المالُ المَنْهوبُ، والمرادُ به المَأْخُوذُ جهرًا قهرًا، وأَشَارَ برفع الْبَصَرِ إِلَىٰ حالةِ المَنْهوبين فإِنَّهم ينظرون إِلَىٰ مَنْ ينهبهم ولا يقدرون علىٰ دفعه ولو تضرَّعوا إِلَيه، ويحتمل أَنْ يكونَ كِنايةً عن عدم التَّستُّر بذلك فيكون صفةً لازمةً للنَّهب بخلاف السَّرقةِ والاختلاسِ، فإِنَّه يكون في خُفْيَةٍ(٢).. وقيل: التوصيفُ برفع أَبْصارِ النَّاس، لبيان قسوةِ قلبِ فاعِلِها، وقِلَّةِ رَحْمَتِه وحيائِه(٣).

وعن عِمْرَانَ بنِ الْحُصَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٤) عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «وَمَنِ انْتَهَبَ نُهْبَةً فَلَيْسَ مِنَّا»(٥).. قيل: فليس منَّا: أَيْ مِنْ أَهْلِ طريقِنا أَوْ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِنا زجرًا(٦) وهذا الوعيدُ علامةٌ علىٰ أَنَّ هذه المعصيةَ من الكبائِرِ.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: المظالم، باب: النهبى بغير إذن صاحبه، برقم: (٢٣٤٣)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان نقصان الإيمان بالمعاصي...، برقم: (٥٧)، من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «فتح الباري» (١٢/ ٥٩).

(٣) «حاشية السندي على النسائي» (٨/ ٦٤).

(٤) هو: عمران بن حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي الكعبي، أبو نجيد. كان من فضلاء الصحابة وفقهائهم. أسلم عام خيبر، وغزا مع رسول الله ﷺ غزوات. أخذ عنه الحسن وابن سيرين وغيرهما. بعثه عمر بن الخطاب إلى البصرة ليفقه أهلها. استقضاه عبد الله بن عامر على البصرة، فأقام قاضيًا يسيرًا، ثم استعفى فأعفاه. وكان قد اعتزل الفتنة فلم يقاتل فيها، قال محمد بن سيرين: لم نر في البصرة أحدًا من أصحاب النبي ﷺ يفضل على عمران بن حصين. ينظر: «الإصابة» (٣/ ٢٦)؛ «أسد الغابة»، لابن الأثير (٤/ ١٣٧).

(٥) أخرجه الترمذي، كتاب: النكاح، باب: ما جاء في النهي عن نكاح الشغار، برقم: (١١٢٣)، وابن ماجه، كتاب: الفتن، باب: النهي عن النهبة، برقم: (٣٩٣٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، برقم: (٧٤٨٦).

(٦) «عون المعبود شرح سنن أبي داود»، محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الثانية، ١٤١٥ (١٢/ ٥٩).

هذا حالُ المنافقين في أَكْلِهم للمالِ الحرامِ وتلك بعضُ صُوَرِ تحصليه مِنْ غير طُرُقِه المشروعةِ.. وفي زماننا شواهد على ممارسة كثيرٍ من المنافقين وضعافِ النُّفوس ومتاجرتهم بالفساد ونشرِ الرَّذيلةِ والدِّعايةِ المحرَّمةِ..المُهِمُّ عندهم هو كيف يحوزون هذا المالَ ويكثرونه دون اعتبارٍ لشرعٍ أَوْ دِينٍ أَوْ خُلُقٍ.

وقد صحَّ عن النَّبيِّ ﷺ قولُه فيما رواه عنه أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ»(١).. ولخطورةِ المطعمِ الحرامِ وما يترتَّب عليه من آثارٍ وخيمةٍ كان التَّحذيرُ منه والوعيدُ على مَنْ أَكَلَه كبيرٌ وعظيمٌ... إلخ.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [سورة الفجر:١٤] إِنَّ زلزالًا أَوْ فيضانًا أَوْ بركانًا أَوْ موجةَ قحطٍ وجفافٍ، أَوْ إِعْصارًا أَوْ نحوَ ذلك لكفيلٌ واحدٌ منها فقط أَنْ يشلَّ حركةَ المجتمع ويخسفَ بمدَّخراتها وأَرْصدتِها بين عشيَّةٍ وضُحاها..

الخامسُ عشر: أتباع الدَّجال.

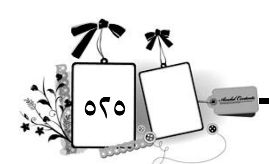
إِنَّها أَعْظمُ الفِتَنِ التي تظهَر في حياة البشريَّة وأَشدُّها خطرًا.. لذا حذَّر كلُّ نبيٍّ أُمَّتَه منه، فقد روى ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قولَه ﷺ: «إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ وَمَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ..». الحديث(٢)، وأَمَرَنا أَنْ نستعيذَ من فتنته دُبُرَ كلِّ صلاةٍ، ففي الحديث الذي رواه عِمْرَانُ بنُ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال ﷺ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ»(٣).. قال الإِمَامُ النَّوويُّ: «المرادُ أَنَّه أَكْبَرُ فتنةً وأَعْظمُ شوكةً»(٤).

(١) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة والأدب، باب: تحريم ظلم المسلم وخذله... برقم: (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الفتن، باب: ذكر الدجال، برقم: (٦٧٠٨)، ومسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر ابن الصياد، برقم: (١٦٩/ ١).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: في بقية من أحاديث الدجال، برقم: (٢٩٤٦).

(٤) المرجع السابق.



وقد اجْتمع أَنْ كان اليهودُ والرَّافضةُ والمنافقون مِنْ أَتْباعِه ومُؤَيِّديه ودونك الشَّواهدَ.

أ. اليهودُ يتَّبعون الدَّجَّالَ:

روىٰ أَنس بنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله ﷺ: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَة»(١)(٢) وهذا فيه إِشَارَةٌ إِلَىٰ مدىٰ العلاقةِ الحميمةِ بين طَهران وتلِّ أَبيب وكيف أَنَّ اليهودَ يكونون كثرةً كاثرةً في دولة الرَّافضة آخِر الزَّمان(٣).

ب. الرَّافضةُ يتبعون الدَّجَّال:

ويكفي في هذا الإشارة إِلَىٰ خروجِه من جهة المشرق وعلىٰ وجه التَّحْديد مِنْ خُراسان شاهدُ ذلك ما رواه أَبُو بَكْرٍ الصِّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: «الدَّجَّالُ يَخْرُجُ مِنْ أَرْضٍ بالمَشْرِقِ يُقَالُ لَهَا: خُرَاسَانَ»(٤).

قال ابنُ كَثِيرٍ: فيكون بدءُ ظهورِه مِنْ أَصْبهانَ من حارةٍ يُقال لها: اليهوديَّةُ(٥). ويقضي الله أَلَّا يكون خروجُ الدَّجَّالِ إِلَّا من تلك البُقْعةِ دلالةً علىٰ أَنَّها التُّرْبةُ

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: في بقية من أحاديث الدجال، برقم: (٢٩٤٤).

(٢) ضرب من الأكسية كالوشاح، «لسان العرب» (٦/ ١٢٥).

(٣) انظر لمزيد إيضاح لهذه العلامة كتاب «ويل للعرب – مغزىٰ التقارب الإيراني مع الغرب والعرب»، عبد المنعم شفيق، الناشر: مكتب الطيب – مصر، الطبعة: الأولىٰ ١٤٢٠-١٩٩٩ ص (٤٥) وما بعدها.

(٤) أخرجه الترمذي، كتاب: الفتن، باب: ما جاء من أين يخرج الدجال، برقم: (٢٢٣٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، برقم: (١٦٠٧).

(٥) ينظر: «النهاية في الفتن والملاحم» (١/ ١٢٨) بتحقيق د/ طه زيتي.

المناسبةُ لاحتضان الدَّجَّال وبدءُ مسيرتِه للإفْساد في الأَرْض، ناهيك عن الأَحَاديثِ الأُخْرىٰ التي تُشير إِلَىٰ أَنَّ مطلعَ الفِتَن من جهة المشرِق، عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وهو مُستقبلُ المشرق يقول: «أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا، أَلَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَاهُنَا مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ»(١)(٢).. وليس علىٰ الرَّافضةِ واليهودِ بمُستغربٍ اتِّباعُهم للدَّجَّال فهُما أَتْباعُ كلِّ شَرٍّ وفتنةٍ وفسادٍ..

ج. المنافقون يتبعون الدجال:

يسِير المُنافِقون تبعًا لأهْوائِهم لا يتأَثَّرون بالخَير وأهلِه، معجبُون بالشَّر وأهله ينضمُّون تحت ألويتهم يجيبُون نداءَاتِهم وهذَا حالُهم منذ نشأتهم في أوَّل عهد الأمَّة إلىٰ أن تقوم السَّاعة، وفي هذا المطلب علامةٌ للمنافِقِين يُعرفُون بها في آخر الزَّمان وهي اتِّباعُهم للدَّجَّال وخروجهم إليه والسَّير في ركبه وخدمته(٣)، عن أَنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الدَّجَّالَ يَطْوِي الأَرْضَ(٤) كُلَّهَا إِلَّا مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ قَالَ: فَيَأْتِي المَدِينَةَ فَيَجِدُ بِكُلِّ نَقْبٍ(٥) مِنْ أَنْقَابِهَا صُفُوفًا مِنَ المَلَائِكَةِ فَيَأْتِي

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده، برقم: (٣١٠٥)، ومسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان، برقم: (٢٩٠٥/ ١). **قرن الشيطان**: قوة الشيطان وأتباعه أو أن للشمس قرن علىٰ الحقيقة، وقيل: إن الشيطان يقرن رأسه مع الشمس عند طلوعها ليقع سجود عبدتها له. «فتح الباري» (١٣/ ٤٦).

(٢) رواه البخاري: كتاب: المناقب باب: نسبة اليمن إلىٰ إسماعيل (ح/ ١٢٩٣)، ومسلم: كتاب: الفتن وأشراط الساعة باب: الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان (ح/ ٧٤٧٦).

(٣) «النفاق والمنافقون في ضوء السنة النبوية المطهرة» (٢٠٠) لعبد الرحمن القصاص.

(٤) أي يقطعها ويسهل عليه السير فيها/ «النهاية» (٣/ ١٤٦).

(٥) الطريق الضيق في الجبل، المسمَّاة الآن بالأنفاق/ انظر: ترتيب أحاديث «صحيح الجامع الصغير وزيادته» ص (١٨١).



سَبْخَةَ[١] الجُرْفِ[٢] فَيَضْرِبُ رِوَاقَهُ[٣] ثُمَّ تَرْجُفُ المَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ»[٤].

يظهر من هذه الأحاديث أنَّ الدَّجَّال يقوم من أطراف الأرض فيصل المدينة النَّبويَّة فيحاول دخولها، فيُمنع من ذلك لأنَّ الملائكةَ عليهم الصلاة والسلام تقفُ على أبوابها تحرسُهَا، فينزل في طرف المدينة شمالًا فترجف المدينة فيهرع إليه المنَافِقُون والمُنَافِقَات وغيرهم يريدون اتِّباعَه والسَّير على خُطَاه إيمانًا به -والعياذ بالله تعالى- ويبقى خُلَّص المؤمنين في المدينة.. وقد يُتساءل كيفَ يتَّبعه المنافقون والمنافقات وغيرهم مع أن النَّبيَّ ﷺ قد حذَّر الأمَّة من الإيمان به واتِّباعه؟.

والجواب: يكونُ ذلكَ لأمورٍ، منها:

١- قلَّة فقههم في الدِّين -كما سبق-.

٢- ما وَقَر في قلوبهم المريضة من محبَّتهم لأعداء الله فيهرعون إلى الدَّجَّال.

٣- بغضهم لأولياء الله المؤمنين وكراهيتهم مساكنتهم.

٤- أنَّهم يكرهون البقاء في المدينة وهي تنفي خبثها.

٥- أنَّهم -في الحقيقة- لا يُعدُّون من أفراد الأمَّة وإن كانوا في الظَّاهر يخالطون أهل الإيمان في شعائرهم وأماكن عباداتهم...إلى غير ذلك.

---

(١) موضع خارج المدينة مرتفع تعلوه ملوحة/ المرجع السابق ص (١٧٨).

(٢) موضع قرب المدينة/ المرجع السابق ص (١٨٧).

(٣) أي ينزل هناك ويضع أثقاله/ المرجع السابق (١٨٧) «النهاية» (٢/ ٢٧٨) وقيل: يضع فسطاطه وقبته وموضع جلوسه.

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: أبواب فضائل المدينة، باب: لا يدخل الدجال المدينة، برقم: (١٧٨٢)، ومسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: قصة الجساسة، برقم: (٢٩٤٣).

وهل يا ترىٰ يتَّبعون كلَّ دجَّال يقوم ضدَّ الإسلام في سائر الأزمان حتَّىٰ يأتي اليوم الموعود لمتبوعهم الدَّجَّال [١]؟ والجواب نعم، وهذا مشعرٌ ومؤكَّد بقاء المنافقين إلىٰ يوم القيامة جيلًا بعد جيل.. إلخ.

السَّادس عشر: التبرُّج والاختلاع.

وختامًا لهذا المبحث حرصت أن أشير إلىٰ شيء من وجه الشَّبه بين المنافقات والرَّافضيَّات من جهة وبين اليهوديَّات من جهة أخرىٰ.

إذ التَّبرُّج والسُّفور وقلَّة الحياء والمجاهرة بالفسق والإغراء بالفتنة والانحطاط في الفواحش سمةٌ من سمات نساء هذه الفِئَات الثَّلاث بمجموعها..

وقبل التَّفصيل تحسن الإشارة إلىٰ أنَّ أصل التَّبرُّج في اللُّغة إظهار المرأة محاسنها وزينتها للرِّجال، وتبرَّجت المرأة أي أظهرت وجهها وفيه إشارةٌ إلىٰ تكسرهنَّ وتبخترهنَّ في مشيتهنَّ [٢] قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [سورة الأحزاب:٣٣].

وقيل المراد: نزلت من برجها أي قصرها [٣].

وأمَّا الاختلاع: فأصله من الخلع وهو طلب الزَّوجة الخلع من زوجها بغير عذرٍ [٤].

إنَّ فتنة النِّساء المتمثِّلَة في السُّفور والتَّبرُّج أزياءً وموضات.. والمفعمة بمكياج وعطورات وقصَّات وتقليعات لمن أخطر المظاهر علىٰ المجتمعات، إذْ تهدِّد

---

(١) «النفاق والمنافقون في ضوء السنة النبوية المطهرة» (٢٠١-٢٠٢) د/ عبد الرحمن قصاص.

(٢) «لسان العرب» (٢/ ٢١٢).

(٣) «مفردات الراغب» (٣٩١).

(٤) «النهاية» (٢/ ٦٥).

بانحلال الأخلاق.. وانحدار القيم وهي فتنةٌ قد احتدَّ أوارُها.. وتعاظم بلاؤها ممَّا ينذر بعقوبات عاجلة وآثار مدمِّرة.

عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»(١).

وعنه أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ امْرَأَةٌ قَصِيرَةٌ فَصَنَعَتْ رِجْلَيْنِ مِنْ خَشَبٍ، فَكَانَتْ تَسِيرُ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ قَصِيرَتَيْنِ وَاتَّخَذَتْ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ وَحَشَتْ تَحْتَ فَصِّهِ أَطْيَبَ الطِّيبِ الِمسْكَ، فَكَانَتْ إِذَا مَرَّتْ بِالَمجْلِسِ حَرَّكَتْهُ فَنَفَخَ رِيحُهُ، وَفِي رِوَايَةٍ وَجَعَلَتْ لَهُ غلقًا فَإِذَا مَرَّتْ بِالَملَإِ أَوْ بِالَمجْلِسِ قَالَتْ بِهِ ففَتَحَتْهُ ففاحَ رِيحُهُ»(٢).

وقال ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ»(٣)، ففي عام ١٩٦٩م كان أحد ملوك المكياج يتنزَّه مع صديق له في حديقة الحيوانات، فرأى الصَّديق قردًا حول عنقه ألوان دائريَّة: خضراء وزرقاء ورمادية.. فأشار إلى القرد وظلَّ يضحك، فنظر إليه ملك المكياج وقال له: ما رأيك لو جعلنا المرأة سنة ١٩٧٠م بهذه الصُّورة؟ فقال الصَّديق: هذا شيءٌ غير ممكن فمَن مِن النِّساء تقبل

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الذكر والدعاء، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، برقم: (٢٧٤٢).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الألفاظ من الأدب وغيرها، باب: استعمال المسك وأنه أطيب الطيب...، برقم: (٢٢٥٢).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: ما يتقى من شؤم المرأة...، برقم: (٤٨٠٨)، ومسلم، كتاب:، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء، برقم: (٢٧٤٠).

بهذا؟ فردَّ ملك المكياج: أنا أملك أن أجعلها تلهث وراء هذا الشَّكل.. وكان رهان بينهما.. ثمَّ كانت حملات إعلاميَّة دِعائيَّة مكثَّفة في جميع صفحات المرأة والإذاعة والتِّلفاز.. ولم ينقضِ عامُ ١٩٧٠م حتَّىٰ كانت المرأة تضع حول عينيها ألوان قَوْس قَزَح، وكسب ملك المكياج الرَّهان(١).

أ. تبرُّج اليهوديَّات.

إنَّ قصَّة آدم وحوَّاء مع إبليس تكشف لنا مدىٰ حرص عدوِّ الله إبليس علىٰ كشف السَّوءات وهتك الأستار وإشاعة الفاحشة، وكيف أنَّ التهتُّك والتَّبرُّج هدف رئيس له، قال عَزَّوَجَلَّ ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ ﴾ [سورة الأعراف:٢٧] ، فإبليس إذًا هو مؤسِّس دعوة التَّبرُّج والتَّكشُّف باسم الأزياء والموضات، ولليهود باعٌ كبيرٌ في مجال تحطيم الأمم عن طريق المرأة، وكان التَّبرُّج من أمضىٰ أسلحتهم ومن ضمنها بيوت الأزياء، الَّتي يملكون أشهرها وأكبرها في دول العالم، وكيف لا وهم أصحاب خبرة قديمة في هذا المجال، فقد كان حال نسائِهم التَّبرُّج والسُّفور قديمًا وحديثًا، ففي الإصحاح الثَّالث من سفر أشعيا: «إنَّ الله سيعاقب بنات صُهْيون علىٰ تبرُّجهنَّ والمباهات برنين خَلاخِيلِهِنَّ، بأن ينزع عنهنَّ زينة الخَلاخِيل والضَّفائر والأهلَّة والحلق والأسَاور والبرَاقِع والعَصَائِب هَذا علَىٰ مَا في كُتُبهم مِن تَحْرِيف وتَبدِيل»(٢).

---

(١) «رسالة إلىٰ حواء»/ لمحمد العويد (٣/ ٢٩) بتصرُّف. الكويت – مكتبة السندس – ط الأولىٰ – ١٤١٠ هـ ١٩٩٠م.

(٢) «النساء والموضة والأزيا»ء، خالد بن عبد الرحمن الشايع، دار الوطن – الرياض، الطبعة: الأولىٰ ١٤١٢هـ، (٥٢).



إنَّ عالم المُموسَات اليَهوديَّات النَاشرات للرَّذيلة السَّائحات بالفَاحِشَة المَهَاجِرَات إلى بلاد عربيَّة كمصر والعراق وفلسطين وبعض دول الخليج لمَمَارَسَة البِغَاء.. إنهنَّ الأساس لأفلام الدَّعارة والجِنْس، القَاطِنَات مواخير العَرْبَدة والزِّنى.. لذا قال مناحيم بيجن رئيس وزراء إسرائيل الأسبق: «إنَّ كأسًا وغانية يفعلان بأمَّة الإسلام أكثر ممَّا يفعله ألف مدفع»، إنَّهنَّ وسيلة من أنجع الوسائل لتحقيق أطماع يهود وبلوغهم غاياتهم..

ب. تبرُّج الرَّافضيَّات.

في المباحث الماضية ما يكفي في بيان حقيقة تبرُّج نساء الرَّافضة وسفولهنَّ في مخازٍ دنيئة ومستنقعات آسنة، وممَّا يشير إلى ذلك:

نكاح المتعة.

والذي هو ركنٌ من أركان دين الرَّافضة.. لقد شاع وفشا وعمَّ وانتشر حتَّى أصبح له أوكارٌ تَعْقِدُ أنكحته، وبيوتات تحتَضِن بائعات الهَوَى بمسَمَّاه.. وزاد من أواره.. ووسَّع من نطاقه، فتاوى علماء وملالي الرَّافِضَة الغَارِقِينَ في أوْحَاله، المتقحِّمين في ردهَاتِه، حتَّى في عالم القُضَاة عندهم أصبحت الفتاة والمرأة يُعرض عليها الموافقة على نكاح متعة من أجل تحرير قضيَّتها.. ودعم موقِفِها... إلخ.

كلُّ هذا لم يأت إلَّا من التَّبرُّج السَّافر والرِّضى بالهَوَان من قبل نساء الشِّيعة وفتيَاتهم.. ومن العَجَائب والعَجَائِب جمَّة هذه الفتوى الَّتي جاءَ فيها:

فتوى لمقتدى الصَّدر تبيحُ التَّمتُّع الجماعي بالنِّسَاء.

كانَ قَد جَاءَ في السُّؤال الموقَّع باسم الزَّينبيَّة إزهار حسن الفرطوسي (نيابةً عن كَوْكَبة من الزَّينبيَّات نحن جماعة من المؤمنات الزَّينبيَّات المنَاصِرَات لجيش المَهْدي

ونودُّ أنْ نَسْأَل سَماحَة حجَّة الإسْلَام والمُسْلِمِين السَّيد مقتدىٰ الصَّدر حفظه الله:

بأنَّ جَماعةً من جيش الإمام قد وجَّهوا لنا دعوةً لحضُور حفلة متعة جماعيَّة في إحدىٰ الحسَيْنيَّات، وقد قالوا: إنَّ أجر المُتْعة مع الجَماعَة أكثَرُ سبعين مرَّة من التمتُّع منفردًا.. وأضافت السَّائلة: سألنا أحدَ السَّادة وكلاء الشَّيخ محمَّد اليعقوبي عن المتعة الجماعيَّة فنفىٰ علمه بأي شيء يتعلَّق بهذا النَّوع من المتعة وقال: إنَّها من البدع فهل يجوز لنا التمتُّع الجماعي؟ علمًا بأنَّه محصورٌ بعدَّة ساعاتٍ فقط، أي: أقل من ليلة وأنَّ الغاية من هذه الحفلة هو سدُّ رغَبَات جيش الإمام حصريًا من الَّذين لا يستطيعون النكاح لانشغالهم بالمَعْركة مع النَّواصِب وأنَّ أجر التمتُّع يعود ريعه لتجهيز جيش الإمام بالسِّلاح، أجيبونا جزاكم الله خير الجزاء.

فكانت إجابة مقتدىٰ الصَّدر والَّتي تحمل توقيعه وختمه بتاريخ / ٢٣ / شوال/ ١٤٢٦هـ جاء فيها ما نصُّه:

مِنَ المعلُوم أنَّ زَوَاج المتْعَة حلالٌ مبارَك في مذْهَبِنا، وقَدْ حَاوَل النَّواصِب تشْكِيكَنا فِيهِ ومَنعَنا منْهُ مَخافَة أن يتكَاثَر أبْنَاء مذْهَبِنَا ويكْثُر عددُنا ونصْبِح قوَّة كبيرَة، لذَلِك فإنَّنا ندْعُو أبْنَاء المَذْهَب من عدَم التحوُّط بأي شَيء يتعَلَّق بزَوَاج المُتْعَة، وإنَّ إقامَة حفَلَات المُتْعَة الجماعيَّة هي من الأمُور الَّتي أجَازَها مراجعنا العِظَام، مع أخذ الحَذَر من عدَمِ دُخُول أحد مِنْ غير المُسْلِمِين أو مِنْ أبنَاءِ العَامَّة تِلْك الحَفَلات لئلَّا يطَّلعُوا علىٰ عَورَات المُؤمِنَات، ولعلَّ هذَا هُوَ السَّبب في كرَاهَة السَّيِّد اليعقوبي لها.

وأضَافَت الفتْوَىٰ: هذَا ومِنَ المعْلُوم أنَّ التمتُّع معَ أحَدِ جنُودِ جَيْش الإمَامِ أكْثَر أجرًا من غيره، لأنَّه يبذل دمَه من أجل مقدَمِ الإمَام، لذَلِك نرجُو من الزَّينبِيَّات

عَدَم التبخُّل عليهم بشيء ممَّا منحهنَّ الله من نعمةٍ بأجسَادِهِنَّ وأموَالِهِنَّ، وإنَّنا ندعو الأخت الزَّينبيَّة إلىٰ مراجعة أحد وكلائنا المعتمدين لأخذ الإذْن منه في إقَامَة تلك الحَفَلات حتَّىٰ تكون تحت مرَاقَبة تَامَّة وسيْطَرة مُطلَقة من قبل جَيْش الإمَام وجَزَاكُم الله خيرَ جزَاء المحسنين(١).

تبرُّج الرَّافضيَّات يوم عاشوراء وعند المقامات والمزَارَات.

لم تعد القضيَّة مجرَّد تبرُّج نساء وسفورهنَّ بل تجاوز الأمرُ حدَّه إلىٰ اختلاط ماجن وارتكاب فواحش بمسمَّىٰ نكاح متعة المزار أو المرقد الشِّيعي أو ما يقع في يوم عاشوراء وخصوصًا في الحسينيَّات حين تطفأ الأنوار ويسُودُ الظَّلام عندها لا تسأل عن فضائح تقع وقبائح يُرتكس فيها، والمولود من جرَّاء تلك اللَّيلة الآثمة يُسمَّىٰ الطَّاهر وأي طهر ونقاء وقد اختلط في تلك اللَّيلة حابلهم بنابلهم ورجَالهم بنِسَائِهم..

حتَّىٰ عبَّر عديد من الشَّباب والفتيات عن حرصهم علىٰ حضور تلك الأعياد والمراقد والمزارات، والمشاركة في المجامع العامَّة ليوم عاشوراء لأنَّها جميعًا مرتع خصب للغزل والمعاكسات وضرب المواعيد وفي نهاية المطاف ارتكاب الفواحش والعياذ بالله..

وفي المقابل تجد الشِّيعة يتَّهمون عائشة وبعض الصَّحابيَّات المهاجرات بالفاحشة، حتَّىٰ صحَّ فيهم المثل: رمتني بدائها وانسلَّت.

ج. تبرُّج المنافِقَات واختلاعهنَّ.

لقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ خبر ذلك من حديث عُقبَة بن عَامِر رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: قال

---

(١) نقلت هذه الفتوىٰ العديد من مواقع الإنترنت ومنها موقع الشهاب للإعلام.

رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْمُخْتَلِعَاتِ[(١)] وَالْمُنْتَزِعَاتِ[(٢)] وَالْمُتَبَرِّجَاتِ هُنَّ الْمُنَافِقَاتُ»[(٣)].

وعن أبي أذينة الصَّدفيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٤)] أن رسول الله ﷺ قال: «خَيْرُ نِسَائِكُمُ الْوَدُودُ الْوَلُودُ الْمُوَاتِيَةُ الْمُوَاسِيَةُ[(٥)] إِذَا اتَّقَيْنَ اللهَ، وَشَرُّ نِسَائِكُمُ الْمُتَبَرِّجَاتُ الْمُتَخَيِّلَاتُ[(٦)] وَهُنَّ الْمُنَافِقَاتُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلَّا مِثْلُ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ»[(٧)(٨)].

وكم نرىٰ ونسمع من بلايا أصابت أمَّتنا بسبب المتبرِّجات:

١- بخروجهنَّ بملابس فاضحة أو كاسية عارية أو ضيِّقة مع إظهار زينتهنَّ وإبرازها في الميادين العامَّة وعبر وسائل الإعلام، مع إغرائهنَّ للشَّباب للانحدار إلىٰ الرَّذِيلة.

---

(١) المختلعات: اللاتي يطلبن الخلع والطلاق من أزواجهنَّ بغير عذر. قال ابن الأثير: وفائدة الخلع إبطال الرجعة إلا بعقد جديد. ينظر: «لسان العرب» (٨/ ٧٦-٧٧).

(٢) المنتزعات: أي الجاذبات أنفسهن من أزواجهنَّ بأن يردن قطع الوصلة بالفراق ويحتمل أن المراد: النساء اللاتي يأبين التزوج من قومهنَّ ويؤثرن عليهنَّ الأجانب/ «فيض القدير شرح الجامع الصغير» (٢/ ٣٨٧).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٩٣٥) من حديث عقبة بن عامر بدون قوله: «والمتبرجات»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٦٣٢).

(٤) قال ابن السكن: أبو أذينة الصدفي له صحبة، وحديثه في أهل مصر. «الإصابة» (٧/ ٧)

(٥) المواتية والمواسية: الموافقة لزوجها/ «فيض القدير» (٣/ ٤٩٢).

(٦) المتخيلات: المعجبات المتكبرات/ «فيض القدير» (٣/ ٤٩٣).

(٧) الغراب الأعصم: هو الأبيض الجناحين وقيل: أبيض الرجلين/ انظر: «النهاية» (٣/ ٢٤٩) وقيل: هو أحمر المنقار والرجلين، وهو كناية عن قلة من يدخل الجنة من النساء؛ لأن هذا الوصف في الغربان قليل.

(٨) أخرجه البيهقي في «الكبرىٰ» (١٣٢٥٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم: (٣٣٣٠).



٢- بسبب المختلعات اللَّاتي طلبن الخلع من أزواجهن - من غير عذر شرعيٍّ- فأضعن بيوتهنَّ وأولادهنَّ بالإضافة إلى نظرة المجتمع القاتمة لهنَّ، وما يُدرى سبب خلعها عن زوجها؟ أهو لدينه وصلاحه؟ أم لفقره وغنى غيره؟ أم رغبةً في غيره من الرِّجال؟ أم لغير ذلك..؟ المهمُّ أنَّ المرأة المختلعة تبقى في المجتمع معطَّلة قد تسد فراغها بالانسياق وراء الرَّذائل والشَّهوات.

وبعدُ فهاتان سمتان بارزتان من سمات المنافقات في المجتمع الإسلاميِّ فليحذر أولياء الأمور أن تكون نساؤهم منهنَّ وعلى طريقتهنَّ، ولتتق الله كلُّ مسلمة أن تكون من المنافقات من جرَّاء هذه الذُّنوب والمعاصي تبرُّجًا وسفورًا فالحياء الحياء[(١)]. من أجل ذلك حقَّت اللَّعنة على من وصفهن النبيُّ بقوله ﷺ فيما رواه عنه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنابِ البَقَرِ يضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ وَنِسَاء كَاسِيَات عَارِيَات[(٢)] مُمِيلَات مَائِلَات[(٣)] رُءُوسهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ[(٤)] لَا يَدخلْنَ الجَنَّة وَلَا يجِدْنَ رِيحَهَا وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِن مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا»[(٥)].. وفي رواية: «العنُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ مَلْعُونَات»[(٦)].

(١) «النفاق والمنافقون في ضوء السنة النبوية المطهرة» (١٩٩)/ د/ عبد الرحمن قصاص.

(٢) كاسيات عاريات: المعنى أنهن كاسيات من نعم الله عَزَّوَجَلَّ عاريات من شكره، وقيل: أراد أنهن يكشفن بعض أجسامهن ويسدلن الخمر من ورائهن، فيكشفن صدورهن فهن كاسيات عاريات إذ بعض ذلك منكشف، وقيل: هو أن يلبسن ثيابًا رقاقًا تصف ما تحتها فهن كاسيات في ظاهر الأمر عاريات في الحقيقة.

(٣) مائلات مميلات: مائلات أي: زائغات عن طاعة الله وعما يلزمهن من حفظ الفروج، ومميلات: يعلِّمن غيرهن الدخول في مثل فعلهن، وقيل: مائلات أي: متبخترات في مشيهن، مميلات أي: يُملن أعطافهن وأكتافهن، وقيل: مائلات أي: يمتشطن المشطة الميلاء، وهي مشطة البغايا والمميلات: اللاتي يمشطن غيرهن المشطة الميلاء، وقيل مائلات إلى الشر مميلات للرجال إلى الفتنة.

(٤) رءوسهن كأسنمة البخت: أراد تشبيه رءوسهن بأسنمة البخت بما يكبرن رءوسهن به من المقانع والخمر والعمائم أو بصلة الشعور.

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، برقم: (٢١٢٨).

(٦) أخرجه أحمد، (٢/ ٢٢٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة»، برقم: (٢٦٨٣).

ومن هنا يظهر وجه الشبه بين المنافقات من النساء وضعيفات الإيمان ممن يلهثن وراء الموضات وما يستورد إلى بلاد المسلمين من أزياء هي من التَّشبُّه المَقيت بنساء الغرب ومن على شاكلتهنَّ من يهوديَّات وغيرهنَّ ممَّن رضين لأنفسهنَّ أن يكن عارضات لأزياء مشاركات في مسابقات ملكات الجمال، وممثِّلات في الإفلام وعروض الرَّقص... إلخ.

اعترافات نساء الغرب:

هذا اعتراف وهتاف من عارضة أزياء مشهورة.. فتاة في الثَّامنة والعشرين من عُمُرها.. فهي من عالم العطور ودنيا الموضات والأزياء تقول: إنَّ بيُوت الأزياء جعلت منِّي مجرَّد صنم متحرِّك مهمَّته العبث بالقلوب والعقول.. فقد تعلَّمت كيف أكون باردةً قاسيةً مغرورةً فارغةً من الدَّاخل.. لا أكون سوى إطار يرتدي الملابس فكنت جمادًا يتحرَّك ويبتَسِمُ، ولكنَّه لا يشعر، ولم أكن وحدي المُطَالبة بذلك، فكلَّما تألَّقت العارضةُ في تجرُّدها من بشريتها وآدميَّتها زاد قدرها في هذا العالم القاسي البارد، أمَّا إذا خالفت أيًّا من تعاليم الأزياء فتعرِّض نفسها لألوان العقوبات الَّتي يدخل فيها الأذى النَّفسي والجسماني أيضًا.

ثمَّ تضيف: عشت أتجوَّل في العالم عارضة لأحدث خطوط الموضة، بكلِّ ما فيها من تبرُّج وغرور ومجاراة لرغبات الشَّيطان في إبراز مفاتن المرأة دون خجل ولا حياء، وتقول: لم أكن أشعر بجمال الأزياء فوق جسدي المفرغ إلَّا من الهواء والقسوة بينما كنت أشعر بمهانة النَّظرات واحتقارها لي شخصيًّا واحترامهم لما أرتديه.

هذا ما قالته فابيان عارضة الأزياء الفرنسيَّة الشَّابَّة، وذلك بعد إسلامها



وفرارها من ذلك الجحيم الذي لا يطاق وتوجُّهها إلى الحدود الأفغانيَّة لتعيش ما تبقَّى من حياتها وسط الأُسر المسلمة وهو كلامٌ واضحٌ لا يحتاج إلى تعليق(١).

وتقول الممثِّلة المشهورة: بريجيت باردو: كنت غارقةً في الفساد الَّذي أصبحت في وقت رمزًا له، لكنَّ المفارقة أنَّ النَّاس أحبُّوني عارية ورجموني عندما تبت، عندما أشاهد الآن أحد أفلامي السَّابقة فإنَّني أبصق على نفسي وأقفل الجهاز فورًا كم كنت سافلةً، قمَّة السَّعادة للإنسان الزَّواج إذا رأيت امرأة مع رجل ومعهما أولادهما أتساءل في سرِّي: لماذا أنا محرومة من مثل هذه النِّعمة(٢) فكفى تشبُّهًا بالسَّاقطات وكفى جريًا وراء سراب التَّقليد الأعمى.

ختام هذا المبحث:

هذه أبرز القضايا الَّتي تمَّ بحمد الله جمعها فيما يتعلَّق بأوجه الشَّبه بين ما عليه حال المنافقين والرَّافضة من جهة، وما عليه الشَّأن عند اليهود من جهةٍ أخرى..

١	النِّفاق.	٩	التَّحاكم لغير شرع الله.	١٧	سوء الظَّنِّ بالله.
٢	الكذب.	١٠	الحقد والكراهية.	١٨	الطَّمع والبخل.
٣	الحسد.	١١	قسوة القلب.	١٩	فحش الكلام.
٤	عدم الانتفاع بالعلم.	١٢	المتاجرة بالدِّين.	٢٠	السُّخرية والاستهزاء.
٥	الكبر وتقديس النَّفس واحتقار الآخرين.	١٣	نقض العهد.	٢١	تحسُّبهم جميعًا وقلوبهم شتَّى.
٦	الأمر بالمنكر والنَّهي	١٤	أكل الحرام.	٢٢	القذف، فقد قذف اليهود

(١) جريدة المسلمون العدد (٢٢٨) عن اعترافات متأخرة ص (٤٥).

(٢) فتياتنا بين التغريب والعفاف/ د/ ناصر العمر ص (٥٨).

	عن المعروف.				مريم البتول عَلَيْهَا السَّلَامُ بالفاحشة كما قذف الرَّافضة والمنافقون عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بالزِّنىٰ.
٧	الفساد في الأرض.	١٥	تبرُّج نسائهم واختلاعهن	٢٣	ضربت عليهم الذِّلَّة والمسكنة.
٨	إشاعة الفاحشة.	١٦	اتِّباع الهَوَىٰ.		

هذا ملخَّص ما ذُكر مفصَّلًا من (١-١٥) وما زاد عن ذلك (١٦ - ٢٣) اكتفيت بذكره دون تعليقٍ خشية الإطالة[١].

---

(١) انظر: في تفصيل ما ذكر مجملًا في كتاب: «بذل المجهود في مشابهة الرافضة لليهود» (٢/ ١٥٣- ١٦٤).

المبحث الثالث

المنافقون في تشبيهات الوحي وعند سلف الأمة

لقد ورد في نصوص الوحي وكلام سلف الأمَّة تشبيهات عديدة للمنافقين فمن ذلك:

تشبيه القرآن الكريم للمنافقين.

جاء ذلك واضحًا جليًّا في مواضع منها:

أ- يهيمون في ديجور من الظَّلام..

قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [سورة البقرة:١٧].

قال الشَّيخ عبد الرَّحمن بن ناصر السَّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي مثلهم المطابق لما كانوا عليه ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [سورة البقرة:١٧] ، أي كان في ظلمة عظيمة وحاجة إلى النَّار شديدة فاستوقدها من غيره ولم تكن عنده مُعدَّة، بل هي خارجة عنه، فلمَّا أضاءت النَّار ما حوله ونظر المحل الَّذي هو فيه وما فيه من المخاوف، وأمنها وانتفع بتلك النَّار، وقرَّت بها عينه وظنَّ أنَّه قادر عليها، فبينما هو كذلك إذ ذهب الله بنوره، فزال عنه النُّور وذهب معه السُّرور وبقي في الظُّلمة العظيمة والنَّار المحرقة... فكذلك هؤلاء المنافقون استوقدوا نار الإيمان من المؤمنين ولم تكن صفة لهم فاستضاءوا بها مؤقَّتًا وانتفعوا فحُقنت بذلك دماؤهم وسلمت أموالهم وحصل لهم نوعٌ من الأمن في الدُّنيا فبينما هم كذلك إذْ هجم عليهم الموت فسلبهم الانتفاع بذلك النُّور[١].

---

(١) «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/ ٤٣-٤٤).

ولابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقفات بديعة حول هذا المثل النَّاري في تشبيه المنافقين: منها أن المستضيء بالنَّار مستضيء بنور من جهة غيره لا من قبل نفسه، فإذا ذهبت تلك النَّار بقي في ظلمة، وهكذا المنافق لما أقرَّ بلسانه من غير اعتقاد ومحبَّة بقلبه وتصديق جازم كان ما معه من النُّور كالمستعار.

وقد أشار النَّبيُّ ﷺ فيما رواه عنه عوف بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(١) إلى أنَّ كمال ما يستمتع به العبد من الطَّيِّبات في الآخرة بحسب كمال ما يقابله من الأعمال في الدُّنيا، فقد رأى قِنوًا(٢) من حَشَف(٣) معلقًا في المسجد للصَّدقة فقال: «إنَّ ربَّ هذه الصَّدقة يأكل الحشف يوم القيامة»(٤).

فأخبر أنَّ جزاءه يكون من جنس عمله فيُجزى على تلك الصَّدقة بحشفٍ من جنسها..

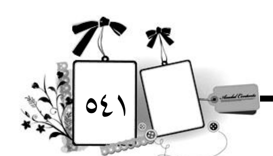
---

(١) هو: عوف بن مالك بن أبي عوف الأشجعي الغطفاني، أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو عبد الله، ويقال: أبو محمد، ويقال: أبو حماد، ويقال: أبو عمرو، صاحب رسول الله ﷺ. شهد فتح مكة مع رسول الله ﷺ. وكان من نبلاء الصحابة. ويقال: كانت معه راية أشجع يومئذ ثم نزل الشام وسكن دمشق، وكانت داره بها عند سوق الغزل العتيق. روى عن: النبي ﷺ، وعن عبد الله بن سلام. روى عنه: جبير بن نفير الحضرمي. قال الواقدي: شهد خيبر مسلمًا، وكانت راية أشجع معه يوم فتح مكة، وتحول إلى الشام في خلافة أبي بكر، فنزل حمص وبقي إلى أول خلافة عبد الملك بن مروان، ومات سنة ثلاث وسبعين. وكذلك قال خليفة بن خياط، وأبو عبيد، وغير واحد في تاريخ وفاته. ينظر: «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي (٢٢/ ٤٤٣)، «الإصابة» (٣/ ٤٣)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر (٣/ ١٢٢٦)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٢/ ٤٨٧).

(٢) القنو: عذق النخل مختار الصحاح ٦٥٦.

(٣) الحَشَفُ أردأ التمر وفي المثل: أحشفًا وسوء كِيلة. «مختار الصحاح» (١٧٥).

(٤) أخرجه أبو داود، كتاب:#، باب: ما لا يجوز من الثمرة في الصدقة، برقم: (١٦٠٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود»، برقم: (١٤٢٦).



قال تعالىٰ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [سورة البقرة:١٧].

قال: ذهب الله بنورهم ولم يقل: بنارهم؛ لأنَّ النار فيها الإحراق والإشراق، فذهب بما فيها من الإضاءة والإشراق، وأبقىٰ عليهم ما فيها من الأذىٰ والإحراق، وكذلك حال المنافقين: ذهب نورُ إيمانِهم بالنِّفاق وبقي في قلوبهم حرَارَة الكُفْر والشُّكُوك والشُّبُهات تغلي في قلوبهم، وقلوبهم قد صليت بحرها وأذاها وسمومها ووهجها في الدُّنيا، فأصلاها الله تعالىٰ إيَّاها يوم القِيَامة نارًا مُؤْصَدة تطَّلِع علىٰ الأفئدةِ.

ومن ههنا يعلم السِّر في قوله تعالىٰ: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [سورة البقرة:١٧] ، ولم يقل: أذهب الله نورهم.. فإذا أردت زيادة بيان وإيضاح، فتأمَّل ما رواه مسلمٌ في «صحيحه» من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد سئل عن الورود؟ فقال: نجيء نحن يوم القيامة علىٰ تلٍّ فوق النَّاس، قال: فتدعىٰ الأمم بأوثانها وما كانت تعبد: الأوَّل فالأوَّل، ثمَّ يأتينا ربُّنا تبارك وتعالىٰ بعد ذلك، فيقول: من تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربَّنا، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: حتَّىٰ ننظر إليك فيتجلَّىٰ لهم يضحك قال: فينطلق بهم فيتَّبعونه ويُعطىٰ كلُّ إنسان منهم -منافق أو مؤمن- نورًا ثمَّ يتَّبعونه، وعلىٰ جسر جهنَّم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله تعالىٰ ثم يُطفأ نور المنافقين ثمَّ ينجو المؤمنون، فتنجو أوَّل زمرة وجوههم كالقمر ليلَةَ البَدْر، سبعون ألفًا لا يحَاسَبون، ثمَّ الذين يلونَهُم، كأضْوَإِ نَجْم في السَّماء، ثمَّ كذلك ثمَّ تحلُّ الشَّفاعة ويشفعون حتَّىٰ يخرج من النَّار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة فيُجعلُون بفناء الجنَّة ويجعل أهل الجنَّة يرشون عليهم الماء وذكر باقي الحديث[١].

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: أدنىٰ أهل الجنة منزلة فيها، برقم: (١٩١).

فتأمَّل قوله: فينطلق فيتَّبعونه ويُعطى كلُّ إنسان منهم نور: المنافق والمؤمن ثمَّ تأمَّل قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [سورة البقرة:١٧].

وتأمَّل حالهم إذا أطفئت أنوارهم فبقوا في الظُّلمة وقد ذهب المؤمنون في نور إيمانهم يتَّبعون ربَّهم عَزَّوَجَلَّ.

ب ـ آمنوا ثمَّ كَفَرُوا..

قال تعالى: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة:١٩].

وهذا صنف آخر من المنافقين كان فيهم بقيَّة من رجاء ورمَق من حياة.. أصاخوا بحواسِّهم ومشاعرهم إلى داعِ الإيمان، فاستجابوا له وآمنوا به.. ثمَّ ساروا في طريق الله يقتبسون أحيانًا من نور التَّعاليم الإلهيَّة وتضيء سبيلهم معالم الشَّريعة ويسيرون خطوات ثمَّ تتهاوى أقدامهم وتتعثَّر خطاهم وتعشى بصائرهم وتزيغ أبصارهم.

يمثل القرآن حالة هذا الصِّنف الَّذي آمن ثمَّ نكص، والَّذي انتفع آونة بإسلامه ثمَّ آض إلى ما كان عليه بحال قوم كانوا يسيرُونَ في مهمَّة متَّسعة، وفي فلاةٍ فسيحة يلفهم فيها ظلام اللَّيل الحالك، فوقفوا حيث هم يتلمَّسون النَّجاة ولا سبيل إليها.

ثمَّ نزل بهم مطر غزيرٌ فيه رعد وبرق وصواعق.. وقَصَفَ الرعد ولَمَعَ البرق ودوَّتَ الصَّواعق، وبين دفقات الخوف ودفعات الرَّجاء يمشون خطوات في ضوء البرق الخاطف ثمَّ يذهب البرق ويذهب معه الضَّوء ويُطبق عليهم الظَّلام وتحيط

بهم العتمة فيقفون في مكانهم ويقيمُون علىٰ حيرتهم ومخاوفهم، مجترِّين أوهامهم وضلالاتهم[(١)].

ولابن القيِّم كذلك مع هاتين الآيتين المشبهتين للمنافقين استدلالات مباركةٌ منها ما ذكره من أن الصَّيِّب هو المطر الَّذي يصوب من السَّماء أي ينزل منها بسرعة، وهو مثلٌ للقرآن الَّذي به حياة القلوب، كالمطر الَّذي به حياة الأرض والنَّبات والحيوان، فأدرك المؤمنون ذلك منه وعلموا ما يحصل لهم به من الحَيَاة الَّتي لا خطر لها، فلم يمنعهم منها ما فيه من الرَّعد والبرق وهو الوعيد والتَّهديد والعقوبات والمثلات التي حذَّر الله بها من خالف أمرَهُ، وأخبر أنَّه منزلها علىٰ مَنْ كذَّب رسولَ الله ﷺ أو ما فيه من الأوامر الشَّدِيدَة كجهاد الأعداء والصَّبر علىٰ الأمر أو الأوامر الشَّاقَّة علىٰ النُّفوس الَّتي هي علىٰ خلاف أهوائها، فهي كالظُّلمات والرَّعد والبرق، ولكن من علم مواقع الغيث وما يحصل به من الحياة لم يستوحش لما معه من الظُّلمة والرَّعد والبرق بل يستأنس بذلك ويفرح به لما يرجو من ورائه من الحياة والخصب.

وأمَّا المنافق فإنَّه قد عَمِيَ قلبُه ولم يجاوز بصره الظُّلمة ولم ير إلا برقًا يكاد يخطف البصر ورعدًا عظيمًا وظلمة، فاستوحش من ذلك وخاف منه فوضع أصابعه في أذنيه لئلَّا يسمع صوت الرَّعد، وهاله مشاهدة ذلك البرق وشدَّة لمعانه وعظم نوره فهو خائف أن يختطف بصره، فهو في ظلمة يسمع أصوات الرَّعد القاصف ويرىٰ ذلك البرق الخاطف، فإن أضاء له ما بين يديه مشىٰ في ضوئه، وإن فقد الضَّوء قام متحيرًا لا يدري أين يذهب ولجهله لا يعلمُ أنَّ ذلك من لوازم الصَّيِّب الَّذي به حيَاةُ الأرْضِ والنَّبَات وحَيَاته هو نَفْسُه، بل لا يدرك إلَّا رعدًا وبرقًا وظلمة[(٢)].

---

(١) «الأمثال في القرآن» (١٦-١٧) لمحمود الشريف.

(٢) «التفسير القيم» (١٢٨-١٢٩) لابن القيم.



ج - يتقلَّبون كما تتقلَّب الحرباء..

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾[سورة الحشر: ١١- ١٧].

ألم تر يا محمَّد؟! ألم تتعجَّب من حال هؤلاء المنافقين مع إخوانهم في الكفر - والكفر ملَّة واحدة؟!- إنَّهم مثار عجب وغرابة ودهشة، إنَّهم يعيشون في المدينة بين ظهراني المسلمين ويتقمَّصون ثياب الإسلام ويتكلَّفون آدابه ويقابِلُون المسلِمِين بوجُوه طلقة، وإذا ذهبوا إلى إخوانهم في الكفر من يهود بني النَّضير وغيرهم قالوا: إنَّا معكم وسننصركم ونقاتل معكم، كما فَعَل عبد الله بن أبي بن سلول رأس المُنافقين.

إنَّهم يتقلَّبون كما تتقلَّب الحرباء ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [سورة البقرة:١٤](١).

في هذه الآيات أبانَ الله عن حقيقة المُنافِقين وأخلاقيَّاتهم الكاذبة فلا عهد لهم

---

(١) «الأمثال في القرآن الكريم» (٩١) لحمد المنصور.

ولا ذمَّة ولا مع المؤمنين ولا حتَّىٰ مع إخوانهم الَّذين كفَرُوا من أهل الكِتَاب فمَتَىٰ ما حمي الوطيس وقعقعة السُّيوف وثار للحرب غبارُها كانوا أجبن النَّاس وأذلهم وأبعدهم عن النُّصرَة والمؤازَرَة فضرب الله لحالِهم هذِه مثلًا فقَالَ سبحانه: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الحشر:١٦].

في هذا المثل يمكن أن نشبِّه حال المُنَافِقِين الَّذين خدَعُوا اليهود وكذبوا عليهم وألقوا بهم في مواجهة جيش الحقِّ، وهم ليسوا أهلًا لهذه المواجهة ثمَّ تخلَّوا عنهم حتَّىٰ ذاقوا وبال أمرهم، بالشَّيطان إذْ قَالَ للإنْسَان اكفُر وأغْرَاه وخَدَعَه.(١).

د. أجسَام البِغَال وأحلام العَصَافير..

قال الله تعالىٰ: ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة المنافقون:٤]، إنَّهم ذوو هيئات مهيبة وأبدان جسيمة كُسيت رونقًا وجمالًا يبهر النَّاظرين ويأسرهم، يخدعون النَّاظرين لا العارفين بظواهرهم وبواطنهم، لذلك قال تعالىٰ: ﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾ [سورة المنافقون:٤] أي رأي العَيْن، أمَّا العارفون فيدركون أنَّها أجسام البغال وأحلام العَصَافير ومع ما اختبرهم به الله وابتلاهم من نَضَارة أجْسَامهم وصِحَّة أبدَانِهم فقَدْ مكَّن لهُم في هذا الابتلاء بألْسِنَة ذلقة بليغة انقَادَت لهم معها أزِمَّة البلاغة وأرسن المَنْطق وملَكُوا بها إعجاب السَّامعين وحسن إصغائهم، إنَّه الإعجاب السَّطحي والنَّظرة القاصرة الَّتي ليس لها ثقل في موازين الحكم العادل علىٰ الإنسان، فالإنسان بمخبره لا بمنظره روىٰ النُّعمان بن بشير

---

(١) «الأمثال في القرآن الكريم» (٩٧-٩٨) لحمد المنصور.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١] عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةٌ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ القَلْبُ»[٢].

إنَّهم يجلسون مع الصَّحابة في مجلس الرَّسول ﷺ وقد أسندوا ظهورهم علىٰ جدران المجلس كالخشب المسنَّدة الَّتي لا ترىٰ ولا تسمع ولا تفقه شيئًا ممَّا يقول ﷺ، لقد ران علىٰ قلوبهم النِّفاق وسدَّ الحسد أبوابها لكي لا تنفذ توجيهات الرَّسول ﷺ إليها، وهم وإن كانوا يسمعون الرَّسول ﷺ وهو يحدث أصحابه أو يقرأ عليهم ما نزل من الوحي فإنَّهم منصرفون عن ذلك كلِّه، لا يفقهون ممَّا يقول فقهًا ينفعهم لأنَّهم تظاهروا بتصديقه وأقسموا علىٰ ذلك وأكَّدوه ﴿قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [سورة المنافقون:١] إلَّا أنَّهم في قرارة أنفسهم يُكذبونه وقد اتَّخذوا هذه الأيمان الكاذبة جُنَّة وغطاءً مزيَّفًا ممزَّقًا يظنون أنَّه يستر فضيحتهم ونفاقهم: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة المنافقون:١] ، وهم مع كذبهم خائفُونَ جبنَاء يظنُّون لفرط جُبنِهم أنَّ كلَّ صيحة -حتَّىٰ لو كانت مناداة لإنسان أو حيوان- موجَّهة لهم ونازلة عليهم، لأنَّ خيَانتَهم قد مزَّقت غطاء الأمْن المزَيَّف الَّذي يستظلُّونَ تحْتَه ﴿هُمُ﴾ ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ [سورة البقرة:٢٦٤] ، هم أعداء الإسلام الحقيقيُّون وخطرهم أشدُّ من غيرهم، لأنَّ عداوة هذا الغير ظاهرة للعيان يواجهها المسلمون بالمنهج الَّذي يناسبها، ولذلك حذَّر الله وحذَّر

---

(١) هو:... النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري...، صاحب رسول الله -ﷺ- وابن صاحبه، أبو عبد الله - ويقال: أبو محمد - الأنصاري، الخزرجي، ابن أخت عبد الله بن رواحة شهد أبوه بدر...؛ ولد النعمان: سنة اثنتين؛ وسمع من النبي -ﷺ-، وعُد من الصحابة الصبيان باتفاق. «سير أعلام النبلاء» (٣/ ٤١١).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه، برقم: (٥٢)، ومسلم، كتاب: ،# باب: أخذ الحلال وترك الشبهات، برقم: (١٥٩٩).

رسوله ﷺ من المنَافِقِين ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة التوبة:٣٠]، كيف يُصرَفُون عن طريق الحقِّ وهو واضحٌ أبلج(١).

هـ- مثلُهم كمَثَل الكَلْب

كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَاۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٧٦].

قال الحسن: هو مثل المُنَافِق لا ينيب إلىٰ الحَقِّ دعي أو لم يُدع أُعطي أو لم يُعط كالكَلْب يلهثُ طردًا وتَركًا(٢).

و- مثلهم كصَفْوان عليه تراب..

قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [سورة البقرة:٢٦٤] وهو المنافق ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ [سورة البقرة:٢٦٤] حجر أملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ [سورة البقرة:٢٦٤] مطر شديد ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ أي صلبًا أملس لا شيء عليه ﴿لَّا يَقْدِرُونَ﴾ استئناف لبيان مثل المنافق المنفق رئاء النَّاسِ ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [سورة البقرة:٢٦٤].

والمنافقون هم أبخلُ النَّاس وأشحُّهم وفوق ذلك إذا أنفقوا كان إنفاقهم رياءً وسمعة لتحقيق أغراضٍ وتحصيل منافع.. ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [سورة الحديد:٢٤].

---

(١) «الأمثال في القرآن الكريم» (٩٩-١٠٠) لحمد المنصور.

(٢) لم أقف علىٰ إسناده أو من خرجه، ولكن ذكره صاحب البحر المحيط في تفسيره بدون عزو (٤/ ٤٢٢).

ز ـ أعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ..

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ﴾ [سورة النور:٣٩] ، وهذا مثل آخر للمنافق والقيعة القاع وهو القرقر ﴿يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ﴾ أي العطشان ﴿مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ [سورة النور:٣٩] يقول: إنَّ المنافق أقرَّ بالله ربًّا، وبمحمَّد نبيًّا ﷺ وبما جاء به حقًّا ولم يعمل لله شيئًا بما أقرَّ له به واعتمد علىٰ الإقرار دون الوفاء بالأعمال، حتَّىٰ إذا صار إلىٰ الآخرة لم يجد ثواب عمله إذْ لم يكمل لله فرائضه وحسب أنَّ الله يُثيبه علىٰ الإقرار دون الوفاء بالأعمال، فكان مثله مثل العطشان الَّذي رأىٰ سرابًا فظنَّ أنَّه ماء حتَّىٰ إذا جاءه لم يجده شيئًا وهو كقوله تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ١٨﴾ [سورة إبراهيم:١٨].

والعطشان مثل المنافق والسَّراب مثل إقراره يحسب أنَّه أغنىٰ عنه شيئًا حتَّىٰ يأتيه الموت فإذا جاءه الموت لم يجد إقراره أغنىٰ عنه شيئًا إلَّا كما ينفع السَّرابُ العطشان ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ﴾ [سورة النور:٣٩] أي ثواب عمله السَّيِّئ وهو النَّار(١).

٢. تشبيهات السُّنة للمنافقين:

ورد في السُّنَّة تشبيهات للمنافقين كما ورد في القرآن فمن ذلك:

أ ـ المنافق كشجرة الأرز..

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الزَّرْعِ لَا

---

(١) «تفسير الهرري» (٢/ ٤٩٣) للإباضي.



تَزَالُ الرِّيَاحُ تَفِيؤُهُ[١] وَلَا يَزَالُ الْمُؤْمِنُ يُصِيبُهُ بَلَاءٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ شَجَرَةِ الأُرْزِ[٢] لَا تَهْتَزُّ حَتَّى تَسْتَحْصِرَ»[٣]، رواه الشَّيخان وغيرهما[٤].

وأخرجا أيضًا في «صحيحيهما»[٥] عن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٦] قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ كَمَثَلِ الْخَامَةِ مِنَ الزَّرْعِ[٧] تَفِيؤُهَا الرِّيَاحُ، تَصْرَعُهَا مَرَّةً وَتَعْدِلُهَا حَتَّى يَأْتِيَهُ أَجَلُهُ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ مَثَلُ الأُرْزَةِ المجذيَّةِ[٨] الَّتِي لَا يُصِيبُهَا شَيْءٌ حَتَّى يَكُونَ انْجِعَافُهَا[٩] مَرَّةً وَاحِدَةً»[١٠].

---

(١) تفيؤه: أي تحركه وتُميله يمينًا وشمالًا، «النهاية» (٣/ ٤٨٣).

(٢) شجرة الأرز: هي شجرة الأرزن وهو خشب معروف، وقيل هو الصنوبر، انظر: «النهاية» (١/ ٣٨) و«غاية النفع» لابن رجب ص (٨).

(٣) تُستحصد: من الحصاد وهو قطع الزرع، السابق (١/ ٣٩٤).

(٤) أخرجه بهذا اللفظ مسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: مثل المؤمن كالزرع ومثل المنافق كشجرة الأرز، برقم: (٢٨٠٩)، وهو في البخاري نحوه، برقم: (٥٣٢٠).

(٥) رواه البخاري، كتاب: المرضى باب ما جاء في كفارة المرض (ح/ ٥٣٢٠) ومسلم، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: مثل المؤمن كالزرع واللفظ له (ح/ ٧٢٧٢).

(٦) هو: كعب بن مالك بن أبي كعب عمرو بن القين بن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة الأنصاري، الخزرجي، العقبي، الأحدي. شاعر رسول الله ﷺ وصاحبه، وأحد الثلاثة الذين خلفوا، فتاب الله عليهم. شهد العقبة. وله عدة أحاديث، تبلغ الثلاثين، اتفقا على ثلاثة منها، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بحديثين وقيل: كانت كنيته في الجاهلية أبا بشير. وقال ابن أبي حاتم: كان كعب من أهل الصفة، وذهب بصره في خلافة معاوية (١). وقد ذكره عروة في السبعين الذين شهدوا العقبة. ينظر: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٢/ ٥٢٣)، «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم (٥/ ٢٣٦٦)، «معجم الصحابة»، للبغوي (٥/ ١٠٤).

(٧) الخامة من الزرع: هي الطاقة الغضة اللينة منه، انظر: «النهاية» (٢/ ٨٨).

(٨) المجذية: هي الثابتة المنتصبة، السابق (١/ ٢٥٣).

(٩) انجعافها: أي انقلاعها، السابق (١/ ٢٧٦).

(١٠) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: المرضى، باب: ما جاء في كفارة المرض، برقم: (٥٣١٩)، ومسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: مثل المؤمن كالزرع ومثل المنافق كشجرة الأرز، برقم: (٢٨١٠).

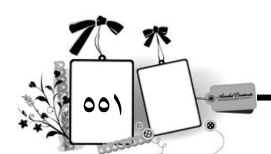
ففي هذين الحديثين الشَّريفين علامةٌ ثابتة من علامات المنافقين وهي استحصاد البلاء لهم بعد ما أمنوه فجأة دون سابق إنذار، وهذا البلاء يكون قاصمة لظهورهم فلا رجعة بعده ولا مجال لتوبة أو إنابة جزاء غيِّهم وتماديهم في النِّفاق وبعدهم عن التَّصدِيق والاستِقَامَة بينما يصيب المؤمِنِينَ البَلَاء في الدُّنيا تمحيصًا لهم واختبارًا ورفعًا لدرَجَاتِهِم وتكْفِيرًا لسيِّئاتهم الماضِيَة وموعظة لهم حتَّى يتَّعظوا ويرجعوا في المستقبل عن شر ما كانوا عليه(١) والمؤمن يصاب بالبلاء فيبدِّل الله سيئاته حسنات ويُعظم له الأجر ويهبه من خيري الدُّنْيا والآخرة، وقد ينزع الله تعالى عنه في الدُّنيا ما لا تُعرف عواقبه لديه، والمنافق يُهمله الله تعالى فلا يتنبَّه ولا يرعوي، لكي يهوِّن عليه حتَّى يلقى الله ولا حسنة له(٢) حتَّى ينزل به ملكُ الموتِ.

ويظهر للرَّائي لأوَّل وهلةٍ أنَّ المنافق ثابت مستقيم لا يتأثَّر بما حوله ولا يصيبه ما ينزل بغيره من الفتن والمحن والبلايا، كما تبدو شجرة الأرز ثابتة على أصلها لا تميل مع ريح.. ويبدو المنافق أيضًا قويًّا حسن المظهر كما يبدو ذلك على شجرة الأرز لقوتها وشموخها وجمال منظرها.. ولكن كلُّ هذا يخالف الحقيقة حيثُ إنَّ المنافق يتأثَّر بما حوله ويحسب كلَّ صيحة تنزل بغيره نزلت عليه أو كادت ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة المنافقون:٤] ، وإنَّما يعرف قدر هذا البلاء -ثوابه وعقابه- إذا

---

(١) انظر: «غاية النفع» لابن رجب ص (٢١).

(٢) روى عبد الرزاق في «مصنفه» (٣/ ٥٩٥-٥٩٦) بإسناد صحيح مرسل عن قتادة بن دعامة السدوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: قال أصحاب النبي ﷺ: يا رسول الله إنه يمرض الرجل الذي كنا نرى أنه صالح فيشدد عليه عند موته، ويمرض الرجل الذي ما كنا نرى فيه خيرًا فيهوَّن عليه عند موته؟ فقال النبي ﷺ: «إن المؤمن يبقى من ذنوبه شيء فيُشدَّد عليه عند موته لأن يلقى الله لا ذنب له، وإن المنافق تبقى من حسناته شيء فيُهوَّن عليه لأن يلقى الله ولا حسنة له».



كشف الغطاء يوم القيامة[1] فالمنافقون يَقْدُمُونَ يوم الحساب بالوِزْر لا الأَجْر، وأهل الإيمانِ والتَّقْوىٰ لهم أجُورُهم عَلَىٰ الصَّبر والابتلاء، ونعود إلىٰ المثلين الَّذَيْنِ ضرَبَهُما ﷺ بحال المؤمن والمُنافق في إصابة البلاء وعدمه لاستخلاص شيء من الدُّرُوس والعِبَر.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أنَّ تمثيل المؤمن بالزَّرع وتمثيل المنافق والفاجر بالشَّجر العظام يشتمل علىٰ فوائد جليلةٍ فنذكُر ما يسَّر الله منها:

فوائد الحديث:

١- أنَّ الزَّرع ضعيفٌ مستضعفٌ والشَّجر قويٌّ مستكبرٌ متعاظم، فالشَّجر لا يتأثَّر من حرٍّ ولا بردٍ ولا من كثرة ماء ولا ريح والزَّرع بخلاف ذلك. عن حارثة بن وهب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ ﷺ قال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، أَهْلُ الجَنَّةِ كُلُّ ضَعِيفٍ مُسْتَضْعَفٍ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ الله لَأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ[2] جَوَاظ[3] مُسْتَكْبِرٍ»[4]، فالمؤمنون غالبهم مستضعفون في ظاهر أجسامهم ولباسهم وكلامهم لأنَّهم اشتغلوا بعمارة قلوبهم وأرواحهم عن عمارة أجسادهم فقلوبهم ثابتةٌ قويَّة فيكابدون بها الأعمال الشَّاقَّة في طاعة الله، بينما المنافقون موصوفون بحسن الأجسام وتمامها وقوَّتها فلا تقلبها رياح الدُّنيا وحسن المقال والفصاحة لأنَّهم اشتغلوا بها عن

---

(١) انظر: «غاية النفع» ص (١٤).

(٢) العتل: هو الشديد الجافي واللفظ من الناس، انظر: «النهاية» (٣/ ١٨٠).

(٣) الجواظ: هو الجموع المنوع، وقيل: كثير اللحم المختال في مشيته، وقيل: القصير البطين، «النهاية» (١/ ٣١٦).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾، برقم: (٤٦٣٤)، ومسلم، كتاب: الجنة ونعيمها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، برقم: (٢٨٥٣/ ١).

عِمارة قلوبِهم فبواطِنُهم خراب ومعانيهم فارغةٌ وقلوبُهم ضعيفةٌ في غاية الضَّعف تتلاعب بها الأهواء المضلَّة ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ﴾ [سورة المنافقون:٤].

٢. إن ثمرة الزرع -كالسنابل ونحوها- يُستضعف ويطمع فيه كلُّ أحد لقرب تناوله، فيطمع الآدمي في الأكل منه وفي قطعه وفي سرقته، والبهائم في رعيه والطَّير في الأكل منه وكذلك المؤمن يُستضعف فيعاديه عموم النَّاس ويؤذونه لغربته بينهم، وأمَّا الكافر والمنافق والفاجر الَّذي كالأرز فإنَّه لا يُطمع فيه فلا الرِّياح تزعزع بدنه، ولا يطمع في تناول ثمرته لامتناعها.. وإنَّ المؤمن يمشي مع البلاء كيفما مشى به فيلين له فيقلبه البلاء يمنةً ويسرةً، فكلَّما أداره استدار معه فتكون عاقبته العافية من البلاء وحسن الخاتمة ويوقى ميتة السُّوء، والمنافق لقوَّته وتعاظمه يتقاوى على الأقدار ويستعصي عليها. كالشَّجرة العظيمة الَّتي تستعصي على الرِّياح ولا تتطامن[١] معها ريح عاصف لا يقوى عليها فتقلعه من أصله بعروقه فتهلكه.

٣. أنَّ الزَّرع وإن طاقة[٢] منه ضعيفة ضئيلة إلا أنه يتقوى بها يخرج معه وحوله ويعتضد به قال تعالى: في تمثيل النَّبيِّ ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالزَّرع ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة الفتح:٢٩] ،

---

(١) طامن: أي حنى، انظر: «لسان العرب» (١٣/ ٢٦٨).
(٢) الطاقة: الشعبة، «تهذيب اللغة» للأزهري (٩/ ٢٤٤).

بخلاف الشَّجر العظام غالبًا فإنَّ بعضها لا يشد بعضًا قال تعالىٰ في المنافقين: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [سورة الحشر:١٤].

٤. أَنَّ الزَّرع يُنتفع به بعد حصاده، فإنَّه يحصده أربابه ثمَّ يبقىٰ منه بعد حصاده ما يلتقطه المساكين وترعاه البهائم وتأكله الطَّير، وربَّما استخلف بعضه فأُخرج من ثانية، وبيع منه الحبُّ ما ينبت مرارًا وهكذا المؤمن يموت ويُخلف ما يُنتفع به من علم نافع أو صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له.. وأمَّا المنافق فإنَّه إذا اقتلع من الأرض لم يبق فيه نفع بل ربَّما كان أكثر ضررًا كالشَّجرة المنجعفة لا تصلح إلَّا لوقيد النَّار.

٥. أنَّ الزَّرع مبارك في حمله، قال سبحانه: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ﴾ [سورة البقرة:٢٦١] وهكذا المؤمن ليس كتلك الشَّجرة -غالبًا- لأنَّ كلَّ حبَّة ممَّا تُغرس منه لا تزيد علىٰ إنبات شجرة واحدة منها وهذا هو حالُ المُنَافِق.

٦. أنَّ الحبَّ الَّذي ينبت منه الزَّرع هو قوت الآدميين وغذاؤهم وسبب لحياة أبدانهم، وكذلك الإيمان هو قوت القلوب وغذاء الأرواح وسبب حياتها، وأمَّا الأشجار العظام كالصُّنُوبَر ونحوه فليس لها كبير نفع، وربَّما لا يُتضرَّر بفقده، فذلك مثل المنافق لقلَّة نفعه وانعدامه أحيانًا(١).

ب ـ التردُّد بين المعسكرَين..

المنافق مهزوز المبادئ متعثِّر المنهج يُمْسِي علىٰ حال ويُصْبِح علىٰ آخر وقد وصفه الله بذلك حيث قال: ﴿مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء:١٤٣].

---

(١) انظر: «غاية النفع» لابن رجب ص (٢٢-٢٥-٢٧-٢٩-٣١-٣٢) بتصرف.



قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني المنافقين محيرين بين الأيمان والكفر.. فلا هم مع المؤمنين ظاهرًا وباطنًا.. ولا هم مع الكفَّار ظاهرًا وباطنًا بل ظواهرهم مع المؤمنين وبواطنهم مع الكافرين ومنهم من يعتريه الشكُّ فتارة يميل إلىٰ هؤلاء وتارة يميل إلىٰ أولئك ﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ﴾ [سورة البقرة:٢٠] ، قال مجاهدٌ عند قوله تعالىٰ: ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ [سورة النساء:١٤٣] ، يعني أصحاب محمد ﷺ ﴿وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ﴾ [سورة النساء:١٤٣] يعني اليهود»(١).

يشهد لذلك قوله ﷺ: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كمَثَلِ الشَّاةِ العَائِرَةِ(٢) بَيْنَ الغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إلىٰ هَذِهِ مَرَّة وَإِلَىٰ هَذِه مَرَّة لا تَدْرِي أَيَّتهَا تَتْبَعُ»(٣).

وفي رواية عند أحمد أن عبيد بن عمير (٤) كان يقص وعنده عبد الله ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، قال عبيد: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَالشَّاةِ بَيْنَ رَبِيضَيْنِ(٥) إِذَا أَتَتْ هَؤُلَاءِ نَطَحَتْهَا وَإِذَا أَتَتْ هَؤُلَاءِ نَطَحَتْهَا» فقال ابن عمر ليس

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٥٣٣) بتحقيق الشيخ/ مقبل بن هادي الوادعي.

(٢) المترددة بين القطيعين، انظر: المرجع السابق.

(٣) أخرجه مسلم كتاب: صفات المنافقين، باب: بدون، برقم: (٢٧٨٤)، من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا.

(٤) هو: عبيد بن عمير بن قتادة بن سعيد بن عامر، الليثي، الجندعي، المكي، الواعظ، المفسر ولد في حياة الرسول ﷺ. وحدث عن أبيه وعن عمر بن الخطاب وعلي وأبي ذر وعائشة وأبي موسىٰ الأشعري وابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ وغيرهم. حدث عنه ابنه عبد الله بن عبيد وعطاء بن أبي رباح وابن أبي مليكة وعمرو بن دينار وغيرهم. وكان من ثقات التابعين وأئمتهم بمكة. قال ابن معين وأبو زرعة: ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات. وقال العجلي: مكي تابعي ثقة من كبار التابعين. يروىٰ عن مجاهد قال: نفتخر علىٰ التابعين بأربعة فذكره فيهم. ينظر: «تهذيب التهذيب» (٧/ ٢٧١)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٤/ ١٥٦)، «أسد الغابة»، لابن الأثير (٣/ ٣٥٣).

(٥) الربيض: الغنم نفسها والربض موضعها الذي تربض فيه وربض الغنم: مأواها (٧/ ١٥٠) «لسان العرب».

كذلك قال رسول الله ﷺ، إنَّما قال رسول الله ﷺ: «كَشَاةٍ بَيْنَ غَنَمَيْنِ» قال فاحتفظ[(١)] الشَّيخ وغضب، فلمَّا رأى ذلك ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أما إنِّي لو لم أسمعه لم أَردِّد ذلك عليك[(٢)].

وفي روايةٍ عند مسلم عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ العَائِرَةِ بَيْنَ الغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إِلَىٰ هَذِه مَرَّة وَإِلَىٰ هَذِه مَرَّة»[(٣)].

وقال ابن جرير: حدَّثنا يزيد حدَّثنا شعبة عن قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [سورة النساء:١٤٣] ، يقول: ليسوا بمؤمنين مخلصين ولا مشركين مصرِّحين بالشِّرك، قال: وذكر لنا أنَّ نبيَّ الله ﷺ كان يضرب مثلًا للمؤمن وللمنافق وللكافر، كمثل رهط ثلاثة دفعوا إلىٰ نَهر، فوقع المؤمن فقطع، ثمَّ وقع المنافق حتَّىٰ إذا كاد يصل إلىٰ المؤمن ناداه الكافر: أن هلمَّ إليَّ فإنِّي أخشىٰ عليك، وناداه المؤمن: أن هلمَّ إليَّ فإنَّ عندي وعندي: يحصي له ما عنده، فما زال المنافق يتردَّد بينهما حتَّىٰ أتىٰ أذىٰ فغرَّقه، وإنَّ المنافق لم يزل في شكٍّ وشبهة حتَّىٰ أتىٰ عليه المَوْت وهو كذلك، قال: وذكر لنا أنَّ نبيَّ الله ﷺ كان يقول: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كمَثَل ثَاغِيَة[(٤)] بَيْنَ غَنَمَيْنِ، رَأَتْ غَنَمًا علَىٰ نشزٍ فَأَتَتْهَا وَشَامَّتْهَا فَلَمْ تَعرِفْ»[(٥)].

---

(١) احتفظ: غضب (٧/ ٤٤٢). «لسان العرب».

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٢) وفيه المسعودي اختلط، والراوي عنه يزيد بن هارون سمع منه بعد الاختلاط. ذكر الشيخ مقبل بن هادي الوادعي وقد ذكر أن هذه الرواية فيها المسعودي وهو مختلط لكنه متابع. انظر: «تفسير ابن كثير»، بتحقيق الشيخ مقبل (٢/ ٥٣٤).

(٣) رواه مسلم، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: بدون، برقم (٢٧٨٤).

(٤) الثَّاغِيَة: الشاة. وما له ثاغ ولا راغ ولا ثاغية ولا راغية؛ الثاغية الشاة والراغية الناقة أي: ما له شاة ولا بعير. وتقول: سمعت ثاغية الشاء أي ثغاءها، اسم علىٰ فاعله. ينظر: «لسان العرب» (١٤/ ١١٣).

(٥) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٣٣٦) عن قتادة بسند صحيح ولكنه مرسل.

إنَّ الله تعالىٰ ميَّز معسكر أهل الإيمان وجُنْدَه عن معسكر الكفر وجُنْدِه وجعل بينهما حاجزَ الإيمان بالله والكفر بالطَّاغوت[1] قال سبحانه: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [سورة البقرة:٢٥٦] ، لا يتَجَاوَزه إلىٰ معسكر أهل الإيمان إلَّا من وفَّىٰ بهذين الشَّرطين ومن ثمَّ ينضمُّ إلىٰ أهل الإيمان، ومن لم يوفِّ بهما جميعًا -وهما متلازمان- لم يكن في معسكر الإيمان، فإنْ كَانَ كفره بالله وإيمانه بالطَّاغوت ظاهرًا يظهر ما في قلبه من اعتقاد فهو في معسكر الكفَّار لا ريب في ذلك وإن كان كفره بالله وإيمانه بالطَّاغوت باطنًا يعتقده بقلبه لكنَّه لا يستطيع أن يظهره، بل يظهر خلافه من الكفر بالطَّاغوت والإيمان بالله، فهذا هو المنافق نفاقًا اعتقاديًّا، مذبذب[2] بين المعسكرين لا إلىٰ هؤلاء بما يعتقده بقلبه من كفر بالله تعالىٰ ولا إلىٰ أولئك بما يظهره من كفر بالطَّاغوت وإيمَان بالله، وهو في الحَقِيقة مترَدِّد لا إِلَىٰ هؤلَاءِ ولا إلىٰ هؤلَاءِ وإن كانت النَّتيجَة أنَّه مع قوم الكُفْر والضَّلَال غَالبًا قَالَ تَعالىٰ: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء:١٤٣] ، كَمَا أَنَّ الله عَزَّوَجَلَّ ميَّز معسْكَر أهل الطَّاعَة والامتِثَال عن معسكر العِصْيَان لله تَعَالىٰ. فصار المُنَافِق في الدُّنْيا بين معَسْكر الإيمَانِ والطَّاعة والامْتِثَال، ومعَسْكر الكُفر والعِصْيان، ويؤول حاله في نهاية المطَافِ إلىٰ إحْدَىٰ ثَلَاث حَالَاتٍ:

الأولىٰ: إذا تاب المنافق ولحق بمعسكر الإيمان..

أنْ يَلْحَقَ المنَافقُ بمعَسْكر الإيمَانِ والطَّاعةِ بتوبَتِهِ من النِّفَاقِ واعتصامِهِ بالله

---

(١) الطاغوت: عبارة عن كل متعد وكل معبود من دون الله، «مفردات الراغب» ص (٣١٤).

(٢) مذبذب: أي مضطرب مائل تارة إلىٰ المؤمنين وتارة إلىٰ الكافرين، انظر: «مفردات الراغب» ص (١٨٠).

وإخلاص دينه كلِّه لله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ، قالَ الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾[سورة النساء: ١٤٥- ١٤٦] ، عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قال: كنت عند النَّبيِّ ﷺ إذ جاءه حرْمَلَة بن زيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ(١) فجلس بين يدي رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله الإيمان هٰهنا وأشار بيده إلىٰ لسَانِهِ، والنِّفَاق هٰهنا وأشار بيده إلىٰ صَدْرِه ولا يذكر الله إلَّا قليلًا، فسكت عنه النَّبيُّ ﷺ فردَّد ذلك عليه، وسكت حَرْمَلَة، فأَخذَ النبيُّ ﷺ بطرف لسَانِ حَرْمَلَة فقالَ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ لِسَانًا صَادِقًا وَقَلْبًا شَاكِرًا وَارْزُقْهُ حُبِّي وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّنِي، وَصَيِّرْ أَمْرَهُ إِلَىٰ الخَيْرِ»، فقال حرملة: يا رسول الله إنَّ لي إخوانًا منافقين كنت فيهم رأسًا، أفلا أدلُّك عليهم؟ فقال النَّبيُّ ﷺ: «لَا، مَنْ جَاءَنَا كَمَا جِئْتَنَا اسْتَغْفَرْنَا لَهُ كَمَا اسْتَغْفَرْنَا لَكَ، وَمَنْ أَصَرَّ عَلَىٰ ذَنْبِهِ فَاللهُ أَوْلَىٰ بِهِ وَلَا تَخْرِقْ(٢) عَلَىٰ أَحَدٍ سِتْرًا»(٣).

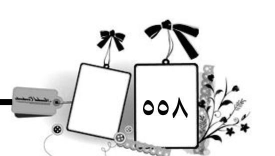
عن الأسود قال: كنَّا في حَلْقَة عبد الله -يعني: ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ- فجاء حذيفة حتىٰ قام علينا فسلم ثم قال: لقد أنزل النِّفاق علىٰ خير منكم، قال الأسود: سبحان الله إن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة النساء:١٤٥]، فتبسَّم عبد الله وجلس حذيفة في ناحية المسجد، فقام عبد الله فتفرَّق

---

(١) هو: حرملة بن زيد الأنصاري، أحد بني حارثة، لم يرد له ذكر إلا في هذا الحديث. ينظر: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٢/ ٨٦٤)، «أسد الغابة»، لابن الأثير(١/ ٧١٥)، «معرفة الصحابة» لابن منده (ص: ٣٨٦)، «الإصابة في تمييز الصحابة» (٢/ ٤٤).

(٢) الخرق: الشق. «النهاية» (٢/ ٢٦).

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٤٧٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٤١٠): ورجاله رجال الصحيح. وهو في «مسند الشهاب» برقم (٣٤٧٥)



أصحابه، فرماني بالحصاة فأتيته، فقال حذيفة عجبت من ضحكه وقد عرَفَ ما قلتُ لقد أُنزل النِّفاق على قوم كانوا خيرًا منكم، ثمَّ تابُوا، فتَابَ الله عليهم(١).

قوله: لقد أُنزل النِّفَاق على قومٍ خير منكم، أي ابتلوا به لأنَّهم كانوا من طبقة الصَّحابة فهم خير من طبقة التَّابعين، لكنَّ الله ابتلاهم فارتدُّوا ونافقوا فذهبت الخيريَّة منهم، ومنهم من تاب فعادَت لهم الخيريَّة، فكأنَّ حذيفة حذَّر الذين خاطبهم وأشار لهم أن لا يغترُّوا فإنَّ القلوب تتقلَّب، فحذَّرهم من الخُرُوج من الإيمَانِ لأنَّ الأعمَالَ بالخَاتِمَة، وبيَّنَ لهم أنَّهم وإن كانوا في غاية الوُثُوق بإيمَانِهم فلا ينبغي لهم أن يأمنوا مَكْرَ الله، فإنَّ الطَّبقَة الَّذِين من قبلهم وهم الصَّحابة كانوا خيرًا منهم، ومع ذلك وُجد بينهم من ارتدَّ ونَافَقَ، فالطَّبقَة الَّتي من بعدهم أمكن من الوقوع في مثل ذلك، وقوله: فتبسَّم عبد الله، كأنَّه تبسَّم تعجُّبًا من صدق مقالته(٢).

الثانية: بقاء المنافق على تردُّده بين المعَسْكَرين..

هذه سمة من سِمَات المنَافِقِين في كونه لا إلى هؤلَاءِ ولا إلى هؤلَاءِ حتَّى يموتَ على نفَاقِه -والعياذُ بالله- قَالَ تعَالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [سورة التوبة:٨٤](٣)، وعلَى هذِه الحَالِ مصِيرُ أكْثَر المنَافِقِين ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء:٨٨]، وقد رَوَى

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾، برقم: (٤٣٢٦).

(٢) من كلام ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ١١٦).

(٣) روى الطبراني في «معجمه الكبير» (٢٣/ ١٥٢) بإسناده عن سعيد بن جبير رحمهما الله تفسيره لآيات الإفك من سورة النور ومنها قوله (.. ثم تابوا من بعد ذلك غير عبد الله بن أبي من المنافقين مات على نفاقه)، وقال الهيثمي «المجمع» (٧/ ٢٠٨) وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح.

حذَيْفَة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النبيِّ ﷺ قوله عن قوم من المُنافِقِينَ: «هَؤُلَاءِ المُنَافِقُونَ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ»(١).

الثَّالثة: أن يلحق بمعَسْكر الكُفر والعِصْيان:

إمَّا بالرِّدة عن الدِّين كما روىٰ أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كان منَّا رجل من بني النَّجَّار قد قرَأ البقَرَة وآل عمْرَان وكانَ يكتبُ لرسُولِ الله ﷺ فانطَلَق هَاربًا حتَّىٰ لحِقَ بأَهْلِ الكِتَاب، قالَ فرفَعُوه، قالُوا: هذَا قَدْ كَانَ يكتُبُ لمحمَّدٍ فأُعجِبُوا به، فما لبثَ أن قصَمَ الله عنقَهُ(٢) فيهم فحَفرُوا له فوَارَوه(٣) فأَصبَحَتِ الأَرضُ قد نبذَتْه(٤) علىٰ وجْهِهَا ثمَّ عادُوا فحفَرُوا له فوَارَوه فأَصبَحَتِ الأَرضُ قد نبذَتْه علىٰ وجْهِهَا ثمَّ عادُوا فحفَرُوا له فوَارَوه فأَصبَحَتِ الأَرضُ قد نبذَتْه علىٰ وجْهِهَا فترَكُوه مَنْبوذًا(٥).

وإمَّا أن يلحَقَ المنَافِق بمعَسْكَر الكُفْر والعصْيَان فيمُوتَ علىٰ سُوءِ خاتِمَة -نسأَل الله السَّلامة والعَافِية-.

فعن أكثم بن أبي الجون رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(٦) قال: قلنا يا رسول الله ﷺ: فلان يجري في

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ الطبراني في «الأوسط» (٨١٠٠)، وفي السند عمرو بن مرة فيه مقال، وأبو بكر بن عياش اختلط بأخرة.

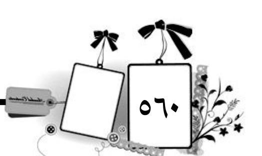
(٢) القصم: كسر الشيء وإبانته «النهاية» (٤/ ٧٤).

(٣) يقال: واريت كذا: إذا سترته «مفردات الراغب» ص (٥٧٧).

(٤) نبذت الشيء أنبذه نبذًا فهو منبوذ: إذا رميته وأبعدته، «النهاية» (٥/ ٦).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: بدون، برقم: (٢٧٨١).

(٦) هو: أَكْثَمُ بْنُ أَبِي الْجَوْنِ - وَقِيلَ: ابْنُ الْجَوْنِ - وهو عبد العزىٰ بن منقذ بن ربيعة بن أصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية بن كعب بن عمرو، وهو الذي قال له النبي ﷺ: «رفع لي الدجال، فإذا رجل آدم جعد، وأشبه من رأيت به أكثم بن أبي الجون»، فقال أكثم: يا رسول الله هل يضرني شبهي إياه؟ قال: «لا، أنت مسلم وهو كافر». ينظر: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد (٤/ ٢٩٢)، «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم (١/ ٣٤٠).



القِتَال، قال: «هُوَ فِي النَّارِ»، قَال: قلنا: يا رسول الله! إذا كان فلان في عبادته واجتهاده ولين جانبه في النَّار، فأين نحن؟ قال: «إِنَّمَا ذَلِكَ إِخْبَاتُ النِّفَاقِ، وَهُوَ فِي النَّارِ»، قال كنَّا نتحفَّظ عليه في القِتَال، كانَ لا يمرُّ به فارسٌ ولا راجِلٌ إلا وَقَضَىٰ عليه فكثر عليه جرَاحُه، فأتَيْنا النبيَّ ﷺ فقلْنَا: يا رسول الله استُشْهِدَ فلانٌ، قال: «هُوَ فِي النَّارِ»، فلَمَّا اشتدَّتْ بِهِ أَلَمُ الجِرَاحِ أَخَذَ سَيْفَه فوضعَهُ بيْنَ ثدْيَيه ثمَّ اتَّكَأَ عليْه حتَّىٰ خَرَج من ظَهْرِه فأتَيْت النَّبيَّ ﷺ فقلتُ: أشْهَدُ أنَّك رسُولُ الله.. الحديث(١)(٢).

وفي رِوَاية البخارِيِّ ومسلِم جاءَ في آخر الحَدِيث قولُ النَّبِيِّ ﷺ:«إِنَّ العَبْدَ لَيَعْمَلُ فِيمَا يَرَىٰ النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ ويَعْمَلُ فِيمَا يَرَىٰ النَّاسُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ وإِنَّمَا الأَعْمَالُ بخَوَاتِيمِهَا»(٣).

ج ـ لا ينتفعون بالقرآن..

عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ:«مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة(٤) ريحها طيّب وطعمها طيّب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة، ريحها طيّب وطعمها مُرّ، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة(٥) ليس لها ريح وطعمها مُرّ»(٦).

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٧٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢١٤): رواه الطبراني وإسناده حسن.

(٢) تقسيم أحوال المنافق إلىٰ ثلاث حالات مستفادٌ من رسالة «النفاق والمنافقون» (١٥١-١٥٦) للدكتور عبد الرحمن القصاص بتصرف.

(٣) رواه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: لا يقول فلان شهيد (٢٨٩٨) ورواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه (١١٢).

(٤) «الأترجة»: جمعها أترج وأترجات، والعامَّة تقول: أترج وترنج.. وهو فاكهة حلوة حامضة ولها فوائد طيبة، انظر: تاج العروس (٥/ ٤٣٧، ٤٣٨).

(٥) «الحنظلة»: واحدة الحنظل وهو الشجر المر، انظر: لسان العرب (١١/ ١٨٣).

(٦) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل القرآن علىٰ سائر الكلام، =

في هذا الحديث أربعة أمثال؛ منها اثنان يخصان المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به، والذي لا يقرأه والإثنان الباقيان أحدهما يصف المنافق الذي يقرأ القرآن ولا يعمل به كما أن الآخر منهما يصف المنافق الذي أعرض عن القرآن بالكلية فلا قرأه فضلًا عن أن يعمل به.

والذي يعنينا ـ هنا ـ هو تمثيل النبي الكريم ﷺ المنافق في الحالة الأولىٰ بالريحانة التي ريحها طيِّب وطعمها مُرّ، حيث لم ينتفع ببركة القرآن ولم يفزْ بحلاوة أجره، فلم يتجاوز الطيب موضع الصوت وهو الحلْق، ولم يتصل بالقلب الذي هو موطن الاعتبار[1].

وتمثيله ﷺ المنافق أيضًا في الحالة الأخرىٰ بالحنظلة طعمها مُرّ ولا ريح لها حيث لم يقرأ القرآن الكريم أصلًا، فلا قلبه انتفع وبالتالي فلا تنتفع جوارحه، فالكل خَبُث.

أقسام المنافقين تجاه القرآن:

الأول: الذين يقرؤون القرآن ولا ينتفعون به.. وهؤلاء هم الأكثر.. ولماذا لا ينتفعون بالقرآن وهو كتاب هداية ورشاد، قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [سورة الإسراء:٩].[2]

الجواب: إن الله تعالىٰ قد اختص أهل الإيمان والتقوىٰ بهدي القرآن الكريم،

= برقم: (٤٧٣٢)، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضيلة حافظ القرآن، برقم: (٧٩٧).

(١) ما أجمل ما جاء في تفسير الإمام الشنقيطي في «أضواء البيان» لهذه الآية، أتمنىٰ علىٰ القارئ الكريم الرجوع إليه في سورة الإسراء الآية: ٩.

(٢) انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٥٤٥).

قال عَزَّوَجَلَّ ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [سورة فصلت:٤٤].. وأهل النفاق والزيغ ممن حُرِموا هذا الهدىٰ لنفاقهم ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ بالإضافة إلىٰ أن كثيرًا منهم قد كفر به مع قراءتهم له ليضلوا العباد علىٰ علم ويكيدوا للإسلام، أو لأنهم قرؤه رياءً وسمعة أو ليتثقفوا ويؤتىٰ أحدهم علمًا مجردًا لاعمل معه ﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [سورة البقرة:٢٠٠]، كما أنهم قد يحفظون القرآن نفيًا للتهمة عن أنفسهم وهم معتقدون تضييعه(١). فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ وتلا هذه الآية: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [سورة الأعراف:١٦٩] ، فقال ﷺ: «يكون الخلف من بعد ستين سنة أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًا(٢)، ثم يكون خلف يقرؤون القرآن لا يعدو تراقيهم(٣)، ويقرأ القرآن ثلاثة، مؤمن ومنافق وفاجر»، قال بشير: فقلت للوليد: ما هؤلاء الثلاثة؟ فقال: المنافق كافر(٤)، والفاجر يتأكل به، والمؤمن يؤمن به(٥).

وهناك من المنافقين من لا يقرؤون القرآن إلا ليجادلوا به الذين آمنوا بالباطل ودليل ذلك: ما رواه عقبة بن عامر الجهني قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:«هلاك أمتي في الكتاب واللّبن، قالوا يارسول الله ما الكتاب واللّبن؟ قال

---

(١) انظر: «النهاية»، لابن الاثير (٤/ ٣١).

(٢) غيًّا: أي: عذابًا، فسماه الغي لما كان الغي هو سببه، انظر: «مفردات الراغب» (ص٣٨٠).

(٣) التراقي: جمع ترقوة وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق، وهما ترقوتان من الجانبين، النهاية (١/ ١٨٧).

(٤) أي كافر به: كما في بقية الرواية عند الحاكم (٤/ ٥٤٧)، وأحمد (٣/ ٩٣)، وغيرهما.

(٥) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٠٦)، وأحمد (٣/ ٣٨)، وابن حبان (٣/ ٣٢)، وقال: «هذا حديث صحيح رواته حجازيون وشاميون أثبات ولم يخرجاه». ورواه أحمد في «مسنده» (ح/ ١١٣٥٨) قال محققوه: «إسناده حسن»، و«المعجم الأوسط» (ح/ ٩٣٣٠)، وصححه الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ في «السلسة الصحيحة» (٣٠٣٤).

يتعلمون القرآن فيتأولونه على غير ما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ، ويحبون اللبن[(١)] فيدعون الجماعات والجمع ويبدون[(٢)]»[(٣)]. وفي رواية: «يتعلمه المنافقون ثم يجادلون به الذين آمنوا»[(٤)].

كما وردت آثار عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ تحذِّر من جدال المنافق بالكتاب، منها ما رواه زياد بن جدير قال: قال لي عمر: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين [(٥)].

وهكذا خاف رسول الله ﷺ وأصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ هذا القسم الأكبر من المنافقين الذين يقرؤون القرآن العظيم ويجيدون قراءته وفهمه ويتخصصون في تعلمه وتعليمه على الأمة المسلمة جمعاء؛ لأنهم أداة هدم وفساد في الأرض وإضلال للعباد، كما أن الناس لا يعلمون ما تنطوي عليه قلوبهم من النفاق، فينظرون إليهم نظرة الرجل لقدوته وهذا شر عظيم ولا شك.

---

(١) كناية عن رعيهم الغنم والله أعلم بدليل إشارة الحديث في آخره أنهم يعودون للبادية ويدعون الجمع والجماعات.

(٢) ويبدون: يستوطنون البادية، «لسان العرب» (١٤/ ٦٥).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ١٤٦)، وغيره، من حديث عقبة بن عامر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم: (٢٧٧٨).

(٤) أخرجه أحمد (٤/ ١٤٦)، والطبراني (١٧/ ٢٩٦، برقم: (٨١٨)، وغيرهما، من حديث عقبة بن عامر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم: (٢٧٧٨).

رواه أحمد، وقال محققوا المسند: «حديث حسن» برقم: (١٧٣٥٦)، وفي «جمع الجوامع» (١/ ٩١٣١).

(٥) أخرجه الدارمي في «سننه» (٢١٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٩٦)، وسنده صحيح. وهو في «مشكاة المصابيح» (١/ ٨٩)، وقد صحح إسناده الشيخ الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ.

ولقد تخصّص عدد غفير من المنافقين في هذه الأمة في علوم الدين الإسلامي وخصوصًا في تعليم القرآن وإقرائه للناس وأجادوا ذلك.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أكثر منافقي أمتي قرّاؤها»(١). وبنحوه عن عقبة بن عامر (٢).

والمراد بالقرّاء هنا العلماء بالقرآن والسنة وكذلك العُبَّاد(٣)، ولعل نفاقهم في الحديث بسبب الرياء فكان أكثر القرّاء مرائين حيث إن النفاق والرياء كليهما إظهار غير ما في الباطن(٤)، أو بسبب عدم تصديق وتسليم بعضهم للشرع المطهر واتباع الأهواء بعد العلم بذلك، أو بسبب اقترافهم شعب النفاق أو بعضها، وقد يكون بكل هذا والله أعلم.

الثاني: الذين لا يقرؤون القرآن..

وهؤلاء في الحقيقة لا يُعلم قدرهم وعددهم بالنسبة إلى المنافقين.. ولكن يبدو من خلال استقراء النصوص النبوية أن عددهم أو نسبتهم بين إخوانهم ليست بالكثيرة.. وأهل هذا القسم من أوائل من تنطبق عليهم هذه الآية: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾ [سورة الفرقان:٣٠] ، عن أبي موسى

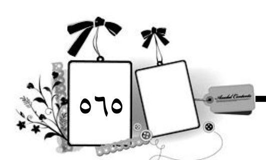
---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٥)، وابن أبي شيبة (١٣/ ٢٢٨)، ك الزهد والفريابي في «صفة النفاق وذم المنافقين»، (ص٤٢-٤٤)، وقال الهيثمي (المجمع (٦/ ٢٢٩-٢٣٠): «رواه أحمد والطبراني ورجاله ثقات، وكذلك رجال أحد إسنادي أحمد ثقات»، وصححه الألباني «صحيح الجامع» (١/ ٢٦٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٥)، من حديث عبد الله بن عمرو، وأخرجه أيضًا (٤/ ١٥١) من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وقال الهيثمي: «أحد أسانيد أحمد ثقات أثبات» انظر: «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٢٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة»، برقم: (٧٥٠).

(٣) انظر: «الصارم المسلول» (ص٣٢)، و«فتح الباري» (١٣/ ٢٧١، ٢٧٢).

(٤) انظر: «النهاية» (٥/ ٩٨).



رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت»(١)، والقرآن من أعظم الذكر.. والقرآن على المنافقين ثقيل، كما الصلاة ومما يدل على صعوبته عليهم ما ذكره أبو الجوزاء أوس بن عبد الله الربعي(٢) يوم قال: نقل الحجارة أهون على المنافق من قراءة القرآن(٣)(٤).

المنافقون في تشبيهات سلف الأمة.

لقد كان لسلف الأمة مواقفهم المباركة من المنافقين بيانًا لحقيقتهم، وكشفًا لأقنعة وجوههم، وإيضاحًا لصفاتهم، وتحذيرًا منهم، ومن تلك الأساليب التي نهجوها في مقاومتهم وفضح مخبوءاتهم، ضربهم الأمثال في شأنهم فمن ذلك:

١- صخب بالنهار خشب بالليل.

عن وهب بن منبه قال رَحِمَهُ اللَّهُ في صفة المنافق: تحيته لعنة، وطعامه سحت، وغنيمته غلول صخب بالنهار خشب بالليل(٥)، إنهم المنافقون تسمع لهم جعجعة

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: الدعوات، باب: فضل ذكر الله عَزَّوَجَلَّ، برقم: (٦٠٤٤)، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، برقم: (٧٧٩).

(٢) هو: أوس بن عبد الله، أبو الجوزاء، الربعي، البصري، حدث عن عائشة، وابن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم. وعنه أبو الأشهب العطاردي، وعمرو بن مالك النكري، وبديل بن ميسرة وغيرهم. كان أحد العباد الذين قاموا على الحجاج، فقيل: إنه قتل يوم الجماجم سمعه عمرو بن مالك يقول: ما لعنت شيئًا قط، ولا أكلت شيئًا ملعونًا قط ولا آذيت أحدًا قط. ينظر: «سير أعلام النبلاء»، للذهبي(٤/ ٣٧١)، «تهذيب التهذيب»، لابن حجر(١/ ٣٨٣).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٢٦٦، ٣٥٦٥٥)، ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٨٠).

(٤) هذه المسألة في تشبيه السنة للمنافق الذي لا يقرأ القرآن والذي لا يقرؤه مستفادة بطولها من رسالة الشيخ/ عبد الرحمن القصاص من (١٠٠-١٠٦) بتصرف (النفاق والمنافقون في ضوء السنة النبوية).

(٥) أخرجه الفريابي في «صفة النفاق وذم المنافقين» (٦٢)، ومن طريقه الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٤٨٠)، وفي السند« الدراوردي سيء الحفظ.

ولا ترى طحنًا.. فهم أجرام وأجسام خالية عن الأرواح لا نفع فيها ولا ثمر، كالأخشاب المسنّدة إلى الجدران عند الجفاف... إلخ[(١)].

٢- كأصحاب الأهواء.

عن أبي قلابة[(٢)] قال: مثل أصحاب الأهواء مثل المنافقين كلامهم شتّى وجماع أمرهم النفاق[(٣)] ثم تلا: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ﴾ [سورة التوبة:٧٥].. ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ [سورة التوبة:٥٨].. ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ﴾ [سورة التوبة:٦١][(٤)].

قال أبو قلابة رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضحًا: مثل أهل الأهواء مثل المنافقين فإن الله تعالى ذكر المنافقين بقول مختلف وعمل مختلف وجماع ذلك الضلال، وإن أهل الأهواء اختلفوا في الأهواء واجتمعوا في السيف[(٥)].

وهذا التمثيل وإن كان نصه يفيد تشبيه أهل الأهواء بالمنافقين إلا أنه كذلك يمكن أن يكون تشبيه المنافقين بأهل الأهواء فجميعهم العامل المشترك بينهما اتباع الهوى.. الذي بهم هوى..

---

(١) «تفسير القاسمي محاسن التأويل» (١٦/ ١٦٨).

(٢) هو: عبد الله بن زيد بن عمرو (ويقال عامر) بن نابل، أبو قلابة، الجرمي. من أهل البصرة. أحد الأعلام. كان عالمًا بالقضاء والأحكام. روى عن ثابت بن الضحاك الأنصاري، وسمرة بن جندب، ومالك بن الحويرث، وزينب بنت أم سلمة، وأنس بن مالك الأنصاري، وغيرهم. ذكره ابن سعيد في الطبقة الثانية من أهل البصرة، وقال: كان ثقة كثير الحديث، وكان ديوانه بالشام، وبها مات. ينظر: «تهذيب التهذيب» (٥/ ٢٢٥)؛ و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٩٤).

(٣) عزاه في «الدر المنثور» (٤/ ٢٤٨) لأبي الشيخ، ولم أقف على إسناده.

(٤) «الدر المنثور (٥/ ١٢٢).

(٥) أخرجه الدارمي في «سننه» (١٠٠)، وابن سعد في الطبقات (٧/ ١٨٤)، والفريابي في «القدر» (٣٦٧)، وسنده صحيح. «حلية الأولياء» (١/ ٣٣٩).



٣ـ كالعصافير في القفص.

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مثل المنافقين في المسجد كمثل العصافير في القفص إذا فتح باب القفص طارت العصافير(١).

وليس هذا منهم بمستغرب؛ لأنهم ممن لا يأتون إلى الصلاة إلا وهم كسالى متثاقلون، فنفوسهم حرجة وصدورهم ضيّقة، لا همَّ لأحدهم إلَّا التعجيل بالصلاة وإقامتها حتى يخرجوا من المسجد ليتنفسوا الصعداء.

٤- شبه المنافقين ببعض الحيوانات:

أـ كالكلب.

سبق عند قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة الأعراف:١٧٦].

قول الحسن: هو مثلُ المنافق لا يُنيب إلى الحق دعي أو لم يُدعَ، أُعطي أولم يُعطَ كالكلب يلهث طردًا وتركًا(٢) ومن عاد إلى كلام المفسرين حول الآية يجد أنها تنطبق على حال المنافق الذي علم الحق وعرفه واستبان له الهدى بل وأظهر ذلك في شعائر يؤديها وعبادات يمارسها ثم لا يلبث إذا خلى إلى شياطينه وقرنائه أن ينسلخ من ذلك كله، بل يصبح عدوًا لدودًا.

ولذا فقد جاء ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ذكر بعض طبائع الناس التي أشبهوا فيها الحيوانات فمن ذلك: الطبيعة الكلبية، فقال: فمنهم من نفسه كلبية لو صادف

---

(١) ينظر: «الطبقات الكبرى»، للشعراني (١/ ٤٩)، ولم أقف على إسناده.

(٢) لم أقف على إسناده أو من خرجه، ولكن ذكره صاحب «البحر المحيط» في تفسيره بدون عزو (٤/ ٤٢٢).

جيفة تشبع ألف كلب لوقع عليها وحماها من سائر الكلاب... وهمه شِبَعُ بطنه من أيِّ طعام اتفق: ميتة أو مذكّى، خبيث أو طيب، لا يستحي من قبح، إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث إن أطعمته بصبص بذنبه ودار حولك، وإن منعته هرّك ونبحك[(١)].

ب ـ كالحيات والعقارب.

وصدق ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين قال: ومنهم من نفسه على نفوس ذوات السموم والحمات كالحية والعقرب وغيرهما، وهذا الضرب هو الذي يؤذي بعينه فيُدخل الرجل القبر والجمل القدر.. والنفس الخبيثة السميّة تكيّفت بكيفية غضبية مع شدة حسد وإعجاب وقابلت المعين على حين غِرَّة منه وغفلة وهو أعزل من سلاحه، فلدغته كالحية التي تنظر إلى موضع مكشوف من بدن الإنسان فتنهشه، فإما عطب وإما أذى فحقٌ على من أراد حفظ نفسه وحمايتها ألا يزال متدرعًا متحصنًا لابسًا أداة الحرب مواظبًا على الأوراد والتعويذات والتحصينات النبوية[(٢)].

وهذا شأن المنافقين فسمّهم زعاف ولدغهم قاتل، وهم يتلونون كما تتلون الحيّة فيتكيفون بحسب المواقف والأحداث وهذه حال من لامبدأ له ولا منهج..

فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه؟ وكم من حِصن له قد قلعوا أساسه وخرّبوه؟ وكم من علم له قد طمسوه؟ وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه؟... إلخ[(٣)].

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٤٠٤) بتصرف يسير.

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٤٠٤).

(٣) المرجع السابق (١/ ٣٥٥)، وقد أطال ابن القيم في هذا الموضع النفس في بيان وصفهم وحالهم فحريٌ بنا الرجوع إليه.

ج ـ كالفأر.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ومنهم من نفسه فأرية فاسق بطبعه مفسد لما جاوره تسبيحه بلسان الحال سبحان من خلقه للفساد(١).

ووجه الشبه هنا قائم؛ إذْ المنافق فاسد مفسد، وشاهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة البقرة:١١-١٢].

د ـ كالطاووس...

ليس له إلَّا التطوّس والتزين بالريش وليس وراء ذلك شيء..

والمنافق كذلك له ظاهر بديع ومنطق بليغ وجسم حسن، لكنه من الداخل خواء أجوف.. قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌۖ﴾ [سورة المنافقون:٤].

هـ ـ كالثعلب.

وهو موصوف بالروغان والخبث، ويُضرب به المثل في النذالة والدناءة كما يُضرب به المثل في الخبث والروغان.. قال طرفة:

وصاحبٌ قد كنت صاحبته لا ترك الله له واضحة
كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحة (٢)

وما المنافق إلا كذلك فهو ذو روغان وانسلال كالثعلب في روغانه ونذالته..

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٤٠٤).

(٢) «كتاب الحيوان »(٢/ ٦٢) للجاحظ.

و ـ كالذئب.

وُصف بالجبن والظلم والغدر.. والمنافق كذلك جبان غادر، فالحياة مقصوده ليس إلّا ﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [سورة المنافقون:٤].

وهو ظالم لنفسه ولغيره وقد وُصفوا بذلك فقال سبحانه: ﴿وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة التوبة:٤٧].. وكم كان للمنافقين مواقف غدر في العهد النبوي، فمنها ما كان من انصرافهم عن غزوة أحد بثلث الجيش ونقضهم للعهود والمواثيق وتواطئهم على الولاء لأعداء الله والمعاداة للمؤمنين.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمقصود أن أصحاب هذا المشهد ـ مشهد الحيوانية ـ ليس لهم غاية إلا بلوغ شهواتهم(١).

لذا تجد المنافقين أحرص الناس على حياة، وأبعدهم عن مواطن الجهاد، وأطمعهم في الغنائم، كل ذلك تبعًا لأهوائهم وتحصيلًا لشهواتهم.

ومجموع ما تيسر من تشبيهات السلف للمنافقين :

كالخشب	كأهل الأهواء	كالعصافير في القفص	كالكلاب	كالحيات	كالعقارب	كالفئران
كالطاووس	كالثعالب	كالذئاب				

(١) «مدارج السالكين» بتصرف يسير (١/ ٤٠٦).

الفصل الثالث

ويشتمل على ثلاثة مباحث

المبحث الأول: عقيدة المنافقين في خالقهم

من تأمَّل أحوالَ المنافقينَ أفعالًا وأقوالًا يجدْ أنّها تنمُّ عن عقيدةٍ باطلةٍ هي الكفرُ بالله، والاستهزاءُ وسوءُ الظَّنِّ به، ونقْضهم لعهدِهم معه، والكذبُ عليه إلى غير ذلك.. مما يُوحي بفسادِ طويَّتهم واستحكام النِّفاق في قلوبهم، وخلوِّها من الإيمانِ بالله.. ومع شيءٍ من تفصيلِ عقائدِ القومِ:

١ـ الكفرُ بالله:

لقد وردَ وصفُ الله للمنافقينَ بالكفْرِ في القرآنِ الكريمِ في أكثر من عشرة مواضع فمِنْ ذلك:

أ) قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾ [سورة النساء:١٣٧].. ذكر عامَّةُ أهل التَّفسير أنها نزلَتْ في اليهودِ، آمنوا بالتوراة ثمَّ كفروا بها.. وفي النَّصارىٰ آمنوا بالإنجيل ثمَّ كفروا به، وقال بعضُهم: آمن اليهودُ بموسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ثمَّ كفروا به، وآمنَ النَّصارىٰ بعِيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ثمَّ كفروا به، ثمَّ ازدادوا جميعًا كفرًا بمحمَّد ﷺ(١)، إلَّا أنَّ بعضَ المفسرينَ ذكَر إنَّها تشمَلُ المنافقينَ؛ حيثُ إنَّهم آمنوا مرَّتين وكفروا مرَّتين ثمَّ ازدادوا كفرًا، وعندَ بعضهم: ثمَّ ارتدُّوا ثمَّ ماتوا علىٰ الكُفر(٢). ولعلَّ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٣١٤)، والقرطبي (٥/ ٤١٥)، والبغوي (٢/ ٣٠٠)، و«زاد المسير» (٢/ ١٢٥) وغيرهم.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٣١٦)، وزاد المسير (٢/ ١٢٥).

الآيَةَ التي تلي هذه تؤيِّدُ قولَ مَن قالَ: إنَّها في المنافقينَ؛ حيثُ قالَ سبحانه: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [سورة النساء:١٣٨].

ب) قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ [سورة المائدة:٤١] ، عامَّةُ أهلِ التفسيرِ على أنَّ قولَه تعالى: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ [سورة آل عمران:١٧٦] المراد بهم: اليهودُ لمَّا حرَّفوا التوراة وبدَّلوا الحدودَ الشَّرعية من قصاصٍ ورَجْم مُحصَن و... إلخ[1].

إلَّا إنَّهم كذلك أجمعوا تقريبًا على أنَّ قولَه تعالى: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ [سورة المائدة:٤١] همُ المنافقون[2].

ويدلُّ على هذا المعنى شاهدان من الآية الكريمة:

الأولُ: أنَّ بعضَ المفسرين قالوا: إنَّ المراد من قولِه تعالى: ﴿يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ [سورة آل عمران:١٧٦] أي: في موالاة الكُفَّار[3]، وهذا شأنُ المنافقينَ وهِجِّيراهم، فظاهِرُهم مع المؤْمنين، وباطِنُهم مع الكُفَّار المحارِبينَ لله ولرَسُوله ﷺ.

الثاني: الوَصْف الدَّقيقُ في الآيةِ للمنافقين ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ﴾ [سورة المائدة:٤١].

فكم قالوا بأفْوَاهِهم زاعِمينَ الإيمانَ، وكَمْ تكلَّمَتْ ألسِنَتُهم يشْهدُون أنَّهم مع المؤمنينَ، وكم عَلَت أصْواتُهم ـ كذبًا وزورًا ـ أنَّ الرَّسولَ حقٌّ، وكم حَلَفوا الأيمانَ

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٣٠٢-٣٠٤)، وابن كثير (٣/ ١١٥)، والقرطبي (٦/ ١٧٦) وغيرهم.

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٧/ ٤١٩ ـ ١٠/ ٣٠٦)، و«فتح القدير» (٢/ ٣١١)، و«زاد المسير» (١/ ٤٥٩) وغيرهم.

(٣) «تفسير الإمام البغوي» (٣/ ٥٥).

المغلَّظَة، وأعطَوُا المواثِيقَ المؤكَّدةَ أنَّهم أهْلُ صلاحٍ وتَقْوىٰ، كلُّ ذلك بأفْواهِهم وألسِنَتِهم دونَ تَصْديقٍ ويقينٍ، بل ادِّعاءاتٍ زائفَةٍ وكذِبٍ صُراح..

وهنا لطيفةٌ:

مفادُها: أنَّ كلمةَ: «يُسارِعُون» جاءَتْ في شأنِ الكُفَّار والمنافقينَ كما جاءَتْ في وصْفِ الأنبياءِ عليهم الصلاة والسلام والمؤمنينَ.

ففي شأنِ الأنبياءِ عليهم الصلاة والسلام قالَ تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [سورة الأنبياء:٩٠].

وفي نعتِه تعالىٰ للمؤمنينَ قال عزَّ في علاه: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [سورة المؤمنون:٦١].. وكذلك في المقابلِ المنافقونَ لهم مسارعَةٌ لكن في موالاةِ أعداءِ الله والصدِّ عن سبيلِه، قالَ سبحانه: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [سورة المائدة:٥٢].

ج) قالَ تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [سورة التوبة:٨٤].. وهذه الآيةُ واضحَةُ الدَّلالةِ جليَّة المعنىٰ في بيانِ كُفْر المنافقين، وإن كانَتْ نزلَت في رأْسِ المنافِقينَ عبد الله بن أُبيٍّ بن سَلولٍ، إلَّا أنَّ العبرةَ بعُمومِ اللَّفظِ لا بخُصوصِ السَّببِ.

د) بل لقَدْ نُهِيَ النبيُّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ والمؤمنونَ عن الاستِغْفارِ للمُشْركين: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [سورة التوبة:١١٣] ، وكذلك نُهِي عن الاستِغْفار للمُنافقينَ؛ لأنَّهم والمشركين في الكُفْرسواء، فقال سبحانَهُ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن

تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [سورة التوبة:٨٠] ، وفي هذا إشارةٌ إلى خُروج المنافِقِ من رِبقةِ الإسلامِ، ومَن تأمَّل وَجَد أنَّ هذه الآية وما قبلها قد خُتمتا جميعًا بوصْفِهم بالفِسْق.

والفِسْقُ لغةً: الخروجُ عن الشَّيء أو القصد.. تقولُ العرَبُ: فسَقَتِ الرُّطَبَةُ من قِشْرِها إذا خرَجَتْ، وسُمِّيَت الفأرَةُ بالفُوَيسِقَة؛ لخُروجها من جُحْرِها على النَّاسِ وإفسادِها[1].

وأمَّا شرعًا: فقد تنوَّعَتْ عِبارَاتُ العلماءُ في تَعْريفه، وأقْربُها: ما ذَكَره ابنُ عطِيَّة حينَ قال: الفِسْقُ في عُرْف الاستِعْمال الشَّرعيِّ: الخروجُ من طاعَةِ الله عَزَّوَجَلَّ، فقد يقَعُ على من خَرَج بكُفْرٍ، وعلى مَن خرَجَ بعِصْيانٍ[2]، ومما لا شكَّ فيه: أنَّ فِسْق المنافقِ هو خُروجٌ إلى الكُفْرِ بدليلِ الآيةِ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ﴾ [سورة التوبة:٨٠]، ولأنَّ القرآنَ يُفسِّرُ بعضَهُ بعضًا، فتأمَّلْ في آيةِ سُورة التوبةِ: ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [سورة التوبة:٨٤].

وفي سورةِ التَّوبة أيضًا يقولُ تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [سورة التوبة:١٢٥].. فالآيةُ الثانِيَةُ جاءَتْ مُبيِّنة أنَّ موتَهم على الفِسْق بمعنى: مَوتُهم على الكُفْرِ والعياذُ بالله.

هـ) وأختمُ بهذه الآيةِ التي صرَّحت بكُفْرهم بعْدَ إسلامِهم، بل أظْهر اللهُ ذلك منهم على ألسنَتِهم فقالَ عزَّ في علاه: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [سورة التوبة:٧٤].

---

(١) انظر: «لسان العرب» (١٠/ ٣٠٨)، و«معجم مقاييس اللغة» (٢/ ٥٠٢)، و«المصباح المنير للفيومي» (٥٦٨).

(٢) «تفسير ابن عطية» (١/ ١٥٥).

٢ـ سوء ظنهم بالله تعالى:

مما لا شكَّ فيه أنَّ مَن كَفَر بالله ساءَتْ به ظُنُونه؛ لذا كانَ سُوءُ الظنِّ لدى المنافقين من أَظْهَر صِفاتِهم، فهِيَ بادِيَةٌ على صَفَحات قُلوبِهم، وبارِزَةٌ في تصرُّفاتِهم.. ولم يكن سُوءُ ظَنِّهم قاصرًا على خالِقِهم، بل طالَ النَّبيَّ ﷺ والمؤمنينَ، ولقد أشارَ القرآنُ في مواضِعَ عديدَةٍ إلى هذِهِ الخصْلَةِ الذَّميمَةِ فيهم خُصوصًا حالَ اشتدادِ الكَرْبِ، وملاقاةِ العدُوِّ، فمن ذلك:

أ) سوءُ ظنِّهم بأنَّ الله لن ينصُرَ المؤمنين..

قالَ تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة الفتح:٦].

قال الإمام البغويُّ: «ويُعذِّب أهلَ النِّفاقِ بالمدينَةِ وأهْلَ الشِّركِ بمكَّةَ ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ﴾ [سورة الفتح:٦] أن لن ينصُرَ اللهُ محمَّدًا ﷺ والمؤمنين ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ﴾ [سورة التوبة:٩٨] بالعذابِ والهلاك»(١).

قال سيد قُطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد جعَل صِفَةَ المنافِقين والمنافِقات والمشْرِكين والمشْرِكات هِي ظنُّ السَّوءِ بالله، فالقَلبُ المؤمن حَسَنُ الظَّنِّ بربِّه يتوقَّعُ الخيرَ منه دائمًا في السَّراءِ والضَّراءِ، ويؤمِنُ بأنَّ اللهَ يريدُ به الخيرَ في الحالينِ، وسِرُّ ذلك: أنَّ قلبهُ موصولٌ بالله، وفيضُ الخير من الله لا ينقطعُ أبدًا»(٢).

(إنها منَّة منَ الله على عبادِهِ المؤمنينَ حِينَ أنزلَ عليهم السَّكينَةَ والطّمأنينة والثَّباتَ عندَ المِحَنِ التي تشوِّشُ القلوبَ، وتزعِجُ الألبابَ، وتُضعِفُ النُّفوسَ)(٣).

---

(١) «تفسير البغوي» (٧/ ٢٩٩).

(٢) «في ظلال القرآن» (٦/ ٤٧٣).

(٣) «تفسير السعدي» (١/ ٧٩١).

ب). سُوء ظنِّهم بأنَّ اللهَ مخلفًا وعْدَه..

ومن الآياتِ الكريمَةِ المجلية لسُوءِ ظَنِّ المنافقينَ بربِّهم ما قالَهُ تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾ [سورة الأحزاب:١٢](١).

لقد عصفَتْ بالمؤمنِينَ أزْمَةٌ عنيفَةٌ، ونزلَ بهم كَرْبٌ بالِغٌ، وأحاطَ بهم الأعداءُ من كلِّ حدَبٍ وصَوبٍ؛ من الدَّاخلِ: اليهودُ والمنافِقونَ، ومن خارجِ المدينةِ وعلىٰ حُدودها: قريشٌ وقبائِلُ العَربِ، حتىٰ زاغَتْ منهم الأبصارُ، وبلغَتِ القُلوبُ الحناجِرَ.. هنالك ابتُلِي المؤمِنُون وزُلزلوا زِلْزالًا شديدًا.. وفي هذه الظُّروفِ الحَرِجَة والأزمات الحالِكَة، يتنفَّسُ النِّفاقُ، ويُظْهر فحيحَهُ بالإرجافِ تارَةً، والتَّخذيل أُخرىٰ، وببَثِّ قالَةِ السَّوءِ ثالِثَةً، وبإساءَةِ الظَّنِّ باللهِ رابِعَةً وخامِسَةً وسادِسَةً ... إلخ.

إنَّها مقولَةُ المهزومِ الذي خلىٰ قلبُه من الإيمانِ، وأجْدَبت أرْضُه من التَّوكُّلِ علىٰ الله والثِّقةِ فيه والتَّسليم لأَمْرِه .. أمَّا المؤْمِنون الصَّادِقون الواثِقُون فما زادَهُم اشْتِدادُ الخَطْبِ، وتكالُبُ الأعداءِ إلَّا يقينًا بموعودِ الله.. ورِضًا بقَضائِه، قال سبحانه: ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب:٢٢].

إنَّه الإيمانُ إذا خالطَتْ بشاشَتُه القُلوبَ، وتوطَّدَتْ أوتادُه من النُّفوسِ؛ فإنَّه يُثْمِر فيها رِضًا عندَ المحَنِ، وسُكونًا حالَ الشَّدائدِ، وطُمأْنِينَةً إذا ما خطبٌ ادْلهَمَّ، وثباتًا علىٰ الحقِّ، وثِقَةً بوعْدِ الله، وتصديقًا برَسُوله ﷺ.. فليسَ للشَّكِّ والارتيابِ ولا لسُوءِ الظَّنِّ باللهِ مكانٌ في أفئدَتِهم، ولا مَوضعٌ في قلوبِهم، بل اطَّرحوا كُلَّ ذلك ولجؤوا ولاذوا واعتصموا وتشبَّثوا بمَن لا يخلِفُ وعْدَه، ولا يخْذِلُ عبْدَه، بل ينْصُرُ

---

(١) انظر: تفسير هذه الآية وسبب نزولها (ص٢٢٢).

جندَهُ، ويهْزِمُ عَدوَّهُ، قال الحسن: «ظنَّ المنافقون أنَّ المسلمينَ يُستأصَلون، وظَنَّ المؤمنون أنَّهم يُنصَرون»(١).

ج) سوءُ ظنِّهم في أنَّ اللهَ قد يحيفُ عليهم ورسولَه ﷺ..

قال تعالى: ﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [سورة النور:٥٠].

قد سبقَ بيانُ تحاكُم المنافقين إلى غَيرِ شَرعِ الله(٢). لكنَّ الذي يُشَار إليه هنا هو أنَّ شأنَ المنافقينَ لا يخرجُ عن كونِ قلوبهم بها مَرَضٌ لازِمٌ، أو قد عرَضَ لهم شَكٌّ في الدِّين، أو يخافونَ أنْ يجُورَ اللهُ ورسولُه عليهم في الحُكم، وأيًّا كان فهو كُفرٌ محْضٌ، واللهُ عليم بكلٍّ منهم، وما هو منطوٍ عليه قلبُهُ من هذه الصِّفات(٣).

ولعدَمِ رضا المنافِقِينَ بحُكْم الله ونزولهم على قَضاءِ رَسُوله ﷺ وإذْعانِهم وخُضوعِهم لذلك، بل كان موقِفُهم إساءَةَ الظَّنِّ بأنَّ اللهَ قد يجورُ عليهم ورسولُهُ ﷺ كانَت عاقِبَتُهم أنْ نَفى اللهُ عنهم الإيمانَ: ﴿وَمَآ أُوْلَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة المائدة:٤٣].

قال الحسنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ المؤمِنَ أَحْسَنَ الظَّنَّ بربِّهِ فأحسَنَ العملَ، وإنَّ المنافِقَ أساءَ الظَّنَّ بربِّه فأساءَ العملَ»(٤)، وقالَ أيضًا لمَّا ذُكر له خوفُ عُمرَ بن الخطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عندَ موتِه وخشيته من ربه: «هكذا المؤْمِنُ جمعَ إحْسانًا وخَشْيةً، والمنافِقُ جمَعَ إساءَةً وغِرَّة»(٥).

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٣١)، تفسير القرطبي (١٤/ ١٤٥).

(٢) انظر: (ص٢٣٩).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٧٤) بتصرف يسير.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥١٩١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٤٤)، والفريابي في «صفة النفاق وذم المنافقين» (٩٦) من طرق عن الحسن.

(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٥٧٩)، وفي السند مبارك بن فضالة فيه مقال.

د) ظَنُّهم باللهِ ظنَّ الجاهلية (تكذيبٌ بالقدر):

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ﴾ [سورة آل عمران:١٥٤].

هكذا المنافِقونَ يظنُّون أنَّ خضراءَ المسلِمين قد أُبيدَتْ في غزوة أُحُدٍ، وهذا شَأْنُ أَهْلِ الرَّيبِ والشَّكِّ حالَ احتِدَام الخَطْبِ وصَوْلة العدوِّ.. ومعنى ظنَّ الجاهلية، أي: التَّكذيب بالقدَرِ، وذلك أنهم تكلَّموا فيه فقالَ تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ﴾ [سورة آل عمران:١٥٤].. يعني: القَدر خَيرُهُ وشرُّهُ منَ الله ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾ [سورة آل عمران:١٥٤] من الشِّرك ﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ﴾ [سورة آل عمران:١٥٤][(١)].

قال الضَّحَّاك عن ابنِ عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ﴾ [سورة آل عمران:١٥٤] -يعني: التكذيب بالقَدَر- وهو قولهم: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ﴾ [سورة آل عمران:١٥٤] ، فجاءَهُم الجوابُ: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [سورة آل عمران:١٥٤][(٢)].

٣ـ استهزاؤهُم وسخريتهم بخالقهم سبحانه.

إنَّ نفوسًا يبلغ بها الإسْفافُ والخسَّة أنْ تسْخَرَ وتهْزأَ بخالِقَها ورازِقَها لسَقِيمَة سقمًا لا بُرْءَ لها معه، لِمَا رانَ على قُلوبها من الكُفْر والنِّفاقِ، حتى أضْحَتْ لا تُبالي بما صَدَر منها من كُفْرٍ أو ظُلْمٍ أو فُجورٍ... إلخ.

---

(١) «تفسير القرطبي» (٤/ ٢٤٢).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٣/ ١٨٧) بإسناد معلق، «تفسير البغوي» (٢/ ١٢٢).



إنَّه لُؤْمُ الطَّبعِ، ودناءَةُ الخُلُق، وخُبْثُ الطَّوِيَّة، قبائِحُ اسْتَولتْ على سُويداءِ الأَرْواحِ، وتغَلْغَلَتْ في مسارِبِ الأَفْئِدَةِ.

قد سبقَ في مبحَثِ اسْتِهزاءِ المنافقين بالنَّبيِّ ﷺ العديدُ من الوقائعِ الَّتي نزَلَ فيها قرآنٌ يُتْلى(١)، فمن ذلِكَ قولُهُ تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [سورة التوبة:٦٥].

لقد قالَ المنافِقونَ في غَزْوة تَبوك: يظنُّ هذا ـ أي: محمَّد ﷺ ـ أنْ يفْتَحَ قُصورَ الرُّومِ وحُصونَها! هَيْهات هَيْهات(٢)، ووردَ أنَّهم قالوا: مارَأَيْنا مِثْل قرَّائنا هَؤُلاء لا أرْغَب بطونًا، ولا أَكْذَب ألسِنَة، ولا أَجْبَن عندَ اللِّقاء(٣).

وفي هذا المعنى تكْرِيمٌ منَ الله لعباده المؤمنين؛ إذْ جَعلَ استهزَاءَ المنافقين بهم استهزاءً به وسُخْريتَهم بهم سُخْريَةً به، وهذا غايَةُ التَّكريمِ والتشريفِ.. فما أكْرَم المؤمن على رَبِّه، لذا كانَ جزاءُ المنافقين من جنْسِ عَمَلِهم، قالَ سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [سورة البقرة:١٥].. وقال عزَّ في علاه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [سورة التوبة:٧٩]، والملاحَظُ في الآيتين: أنَّ اللهَ سبحانه أَسْنَدَ ذلك الاستهزاءَ وتِلْك السُّخريةَ لذاتِهِ الكريمة، والسَّبَب كما يقول الإمام الألوسيُّ: «للتَّنبيهِ على أنَّ الاسْتِهزاءَ بالمنافِقِينَ هو الاستهزاءُ الأبلَغُ الذي لا يدانيه استهزاء»(٤)، وقال الإمامُ الشَّوكانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) انظر: (ص١٢٢).

(٢) «جامع البيان» (٦/ ٤١٠)، وقد صحح الرواية إبراهيم العلي في كتابه «صحيح السيرة النبوية» (٥٩٢).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٠/ ١٧٢)، «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٠٤-٤٠٥).

(٤) «تفسير روح المعاني» (١/ ١٥٩).

«جعَلَ ما وقَعَ منه اسْتِهزاءً وسُخْريةً بهم، مع كَونِه عُقوبَة لينْتَقِمَ منهم، ويستَخِفَّ بهم؛ انتصافًا لعبادِهِ المؤمنين»(١).

شواهِدُ قرآنية على استهزاء الله بالمنافقين:

قد وردَ في القرآنِ العديدُ من صُور استهزاءِ الله بالمنافقين عُقوبَةً لهم، ونِكايَةً بهم فمِن ذلك:

أ. تبشيرُهُم بالعقوبَةِ:

فقَد جعلَ اللهُ العقوبةَ في حقِّهم بشارَةً ووعدًا: قال تعالى: ﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [سورة النساء:١٣٨].. يقول الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معلومٌ أنَّ البِشارَة تُستعْمَلُ في الخيرِ، ولكنْ لنكْتَةٍ بلاغِيَّةٍ استُعْمِلَت في الشرِّ بقَيدٍ، وهي إرادَةُ السُّخريَةِ بهؤلاء المجْرِمين»(٢)، وهذا منتهى السُّخريَةِ؛ حيثُ جعَلَ اللهُ سبحانه العذابَ الأليمَ الذي يَنتظِرُ المنافقين بشارَةً ... ومن ذلِكَ قولُهُ تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ ﴾ [سورة التوبة:٦٨] جاءَ الوَعْدُ في صِيغَةِ الوعيدِ والسُّخرية والاسْتِهزاء بهذا الصِّنف الممْسُوخ، هذا من جِهَةٍ، ومن جِهَةٍ أُخْرى للتَّأكيدِ على عَدَمِ الإخلافِ فيما جَرى الوعيدُ به، ذلك؛ لأنَّ من شأْنِ العظماء ألَّا يُخلِفُوا بالوَعْدِ مَهما كانَ السببُ بخلافِ الوَعيد، فقَدْ يميلُ كرَمُهم إلى العَفْوِ عنه، ولمَّا كانَ المنافقون والكافِرُونَ لا يستحِقُّونَ العَفْوَ أصلًا، حَسُنَ في وَعِيدهم أنْ يُعطى عُنوان الوَعْد؛ ليكونَ ذلك بالِغَ السُّخرية بهم(٣).

---

(١) «فتح القدير» (١/ ٤٤).

(٢) انظر: «تفسير السعدي» (٢/ ١٩٦).

(٣) انظر: «الأخلاق الإسلامية وأسسها» (١/ ٥٥) لعبد الرحمن الميداني وفي ظلال القرآن.. لسيد قطب (٦/ ٣٥٧٤).

ب. نَصَبهم اللهُ هدفًا للسخرية:

ومن صُورِ استهزاء اللهِ بهم: أنْ جعَلَهم في صُورةٍ قبيحَةٍ مُنفِّرةٍ، وهي صُورَةُ الفَراغِ والخواءِ والانطِماسِ، صُورَة الجَبان الرِّعديد الذي يُغشى عليه عندَ وُجودِ المخاوفِ، وفي هذا يقولُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [سورة المنافقون:٤] الآية ، وقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [سورة الأحزاب:١٩] ، ويقول سبحانه: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ [سورة محمد:٢٠](١).

ومعلومٌ أنَّ صِفاتِ الله تعالىٰ هذه هِي في مُقابل سُخَريتهم واسْتِهزائهم ومُخادَعَتهم ومَكْرِهم، ولا يصحُّ وَصْف الله بها مجرَّدةً دونَ ذِكْر مُقابِلها قالَ ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ اللهَ تعالىٰ لم يصِفْ نفْسَه بالمكْرِ والكَيْدِ والاسْتِهْزاءِ والخِداعِ مُطلقًا، بل علىٰ وَجْهِ الجَزاءِ لمن فَعَل ذلِكَ وهُوَ حَسَنٌ، وإنَّ أَفْعالَ هذه الأَلْفَاظِ لا يجوزُ إطْلاقها عَلىٰ الله تعالىٰ، ولا يُشتَقُّ له منها أسماء؛ لأنَّها تُمدَحُ في مَوضعٍ، وتُذمُّ في موضِعٍ»(٢).

٣ـ مخادعتهم لبارئهم.

يظنُّ المنافقون أنَّهم بإظهارهم الإسلامَ واستِبْطانِهم الكُفْرَ، وتلبيسهم بذلك علىٰ المؤمنين، ومُخادَعَتهم لهم، واسْتِتارُهم خَلْفَ أَيمانهم الفاجِرَة إلىٰ غَير ذلك، يَحْسَبُون

(١) «في ظلال القرآن» (٦/ ٣٥٧٤).

(٢) «شرح العقيدة الواسطية» (١/ ١٣٦) لمحمد خليل هراس.

أنَّهم بمِثْل ذلك يخادِعُون اللهَ، وحاشاهُ سُبْحانه؛ فهو المُحِيطُ بفِعالِهم، والمطَّلِعُ على سَرائِرِهم، والخبيرُ بنيَّاتِهم، وما تكنُّه صُدُورُهم..

وهنا تَكْريمٌ آخَرُللمؤمنينَ؛ إذْ يقولُ سُبْحانه: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة البقرة:٩]؛ حيث جعَلَ مخادَعةَ المنافقينَ لله وللمؤمنينَ في شقٍّ واحِدٍ، فمَن يُخادِعُهم فكأنَّما يُخادِعُ خالِقَهُ.. أَلَيْسَ البارِئُ سبحانه وَليَّ الذين آمنوا وَحَسِيبَهم وناصِرَهُم ومؤيِّدَهُم.

يقولُ ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نعَتَ كثيرٌ - أي: من العلماء - المنافِقَ بأنه: خَنِعُ[1] الأخلاقِ، يصدِّقُ بلسانِه، ويُنكِرُ بقلْبِه، ويخالِفُ بعَمَلِه، يصبحُ على حالٍ، ويُمسِي على غَيرِه، ويُمْسي على حالٍ، ويُصْبحِ عَلى غيرِه، ويتكفَّأ تكفُّأَ السَّفينَةِ، كلَّما هبَّتْ ريحٌ هبَّ معها»[2].

وهذا حالُ المنافِقِ؛ له عِدَّة وُجوهٍ وأحْوالٍ، يسْلُك لتَمْرير مُخادَعَته كُلَّ سَبيلٍ، وينهجُ ليلبِّس على غَيرِه كلَّ طريقٍ..قالَ سبحانَهُ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [سورة النساء:١٤٢]. يقولُ ابنُ كثيرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا شَكَّ أنَّ اللهَ تعالى لا يُخادَع؛ فإنَّه العالِمُ بالسَّرائر والضَّمائِر، ولكن المنافِقين لجهلهم وَقلَّة عِلْمهم وعقْلِهم يعْتَقِدُون أنَّ أمْرَهم يروجُ عِندَه كما أخْبَر عَنْهم تعالى أنَّهم يَوْمَ القِيامَةِ يحْلِفُون له أنَّهم كانوا عَلى الاسْتِقامَةِ والسَّدادِ، ويعْتَقِدُون أنَّ ذلك نافِعَهم عِندَه، فقال سبحانه: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [سورة المجادلة:١٨].

---

(١) الخانع: المريب الفاجر، وخنع فلان بفلان: أي غدر به. «لسان العرب» (٨/ ٨٠).
(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ١٧٨).

٤ـ كذبهم على الله سبحانه.

مَن كفَرَ بالله فلا غَرْوَ أنْ يَصْدُرَ منه ما وراءَ ذلك من مُراوَغَة واسْتِهزاءٍ ومُخادَعَة وكَذِبٍ ونَقْضٍ لعَهْدٍ... إلخ، فما بعْدَ الكُفْر ذَنبٌ.. ومن صِفاتِ المنافِقينَ الدَّنيئَة الكَذِبُ الذي لم يَكُن تعامُلُهم به مع الناسِ فحَسْب، بل كانَت سَجيَّتُهم حتى مع خالِقِهم سُبْحانه.. قالَ سُبْحانه: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [سورة المجادلة:١٨].

قالَ الإمامُ الشَّوكانيُّ: «يحلفونَ لله يوْمَ القِيامَةِ على الكَذِبِ كما يَحْلِفُون لَكُم في الدُّنيا، وهذا من شِدَّة شَقاوَتِهم ومَزيدِ الطَّبعِ على قُلوبهم؛ فإنَّ يومَ القِيامَة قد انكَشَفَت فيه الحقائقُ وصارَتِ الأمورُ معْلُومَةً بضرورةِ المشاهَدَة، فكَيفَ يجْتَرِؤونَ على أنْ يكْذِبُوا في ذلِكَ الموقِفِ ويحْلِفُون على الكَذِبِ ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ﴾ [سورة المجادلة:١٨]، أي: يحسَبُون أنَّهم بتِلْك الأيمانِ الكاذِبَة على شَيءٍ مما يجْلِبُ نفعًا أو يدْفَعُ ضررًا كما كانوا يحْسَبُون ذلك في الدُّنيا ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [سورة المجادلة:١٨]، أي: الكامِلونَ في الكَذِب، المتهالِكون عليه، البالِغُون فيه حدًّا لم يَبْلغْهُ غيرُهم؛ بإقدامهم عليه وعلى الأيمانِ الفاجِرَة في مَوقِفِ القِيامة بين يدي الرحمنِ»(١).

٥ـ نقضهم لعهدهم مع الله عزّ في علاه.

إنَّ من أخلاقياتِ تعامُلِ المنافقين معَ الله نقضهم ونكْثِهم لعَهدِهم معه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهذا المسلَكُ أصبحَ ديدنًا لهم حتى مع النَّبيِّ ﷺ والمؤمنين، بل حتى مع أوليائهم من اليهودِ وغيرهم.. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ

(١) فتح القدير (٧/ ١٧٩).

يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾[سورة الحشر: ١١- ١٢](١).

أمَّا نقْضُ عهدِهم معَ الله فقدْ جاءَ القرآنُ بذِكْرِ صُورة من صُوَره، ومَشْهد من مشاهِدِه في قولِه تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾[سورة التوبة: ٧٥- ٧٨].

قالَ ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن المنافِقينَ مَن أعْطى عَهدَه وميثاقَهُ لئِنْ أغْناهُ اللهُ من فضْلِه ليصدَّقنَّ من مالِهِ وليكوننَّ من الصَّالحينَ، فما وفَّى بما قالَ، ولا صدَقَ فيما ادَّعى، فأعقبَهم هذا الصَّنيعُ نفاقًا سكَنَ في قلوبهم إلى يومِ يَلْقَون اللهَ عَزَّوَجَلَّ يوم القِيامَةِ، عياذًا بالله من ذِلك»(٢).

وقد صحَّ عن النبيِّ ﷺ في بيانِه لصِفاتِ المنافقين قوله: **«وإذا عاهَدَ غدر»**(٣).

٦ـ سبهم لله تعالى:

لقد استخفَّ المنافقونَ بخالِقِهم سُبْحانه حتى إنَّهم تطاوَلُوا عليه فدنَّسوا مقامَ الرُّبوبية، ونالوا من ذاتِهِ العليَّةِ، وأنكروا توحيدَ الألوهيَّةِ، ونَفَوا صفاتِه وأسْماءَه الحسْنى، وهذا واضِحٌ وجليٌّ في أدَب الحداثيين وغيرهم من بني جِلْدتنا، وممن يعيشونَ بيننا(٤).

(١) انظر: تفصيلًا لذلك في مبحث نقضهم للعهد (ص١١٠).
(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٨٣).
(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: ظلم دون ظلم، برقم: (٣٤)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، برقم: (٥٨).
(٤) انظر: الشواهد والأمثلة في رسالة الدكتوراه «الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكره» (٧٩- ٩٧٠). ورسالة الماجستير «الاستهزاء بالدين أحكامه وآثاره» (٣٠٠-٣١٤).

فما حُكْم من سبَّ اللهَ تعالى؟ لقد فصَّل الفقهاءُ أحكامَهُ، فمن ذلِك: أنَّ هذا الأمْرَ أعظَمُ موجبات الكُفْر على الإطلاقِ؛ فمَن سبَّ اللهَ كفَرَ سواء كانَ مازحًا أو جادًّا[١]، وهذا المنكَر العَظيم يقَعُ على وجهينِ:

١. من سبَّ الله تديُّنًا واعتقادًا:

كقولِ بعْضِ الكفَرة: إنَّ لله صاحِبة وولدًا تديُّنًا بذلك، واعتقادًا أنَّ في هذا القَولِ تعظيمًا للرَّبِّ وتقرُّبًا إليه؛ جهلًا منهم بأنَّه من أعْظَمِ أنواع السَّبِّ، لمنافاته كمال الرَّبِّ ووحدانيته، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [سورة مريم: ٨٨- ٩٣].

وقالَ سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [سورة الجن:٣] ، وروى البخاريُّ بسَندِه عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا: «قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: كذَّبَني ابنُ آدم ولم يكن لَهُ ذلك، وشَتمَنِي ولم يكُن له ذلِك؛ فأمَّا تكْذِيبُه إيَّاي فزَعَم أني لا أَقْدِر أنْ أُعيدَه كما كانَ، وأمَّا شَتْمُه إيَّاي؛ فقولُه: لي وَلَدٌ، فسُبْحاني أنْ أتَّخذَ صاحِبَةً أو ولدًا»[٢].

ومن هذا البابِ: المقالاتُ المكفِّرةُ؛ كمَقالةِ الجَهْميَّة والقَدريَّة الأوائل وغيرهم من أهْل البِدَع، فكُلُّها سبٌّ لله تعالى بنَفْي العِلْم وغير ذلك، وإنِ اعْتقَدَ أصحابُها أنَّ

(١) انظر: المغني ويليه الشرح الكبير، موفق الدين بن قدامة وشمس الدين بن قدامة المقدسيان، دار الكتاب العربي ودار الريان للتراث بيروت - لبنان ١٤٠٣- ١٩٨٣، (١٢/ ٢٩٨)، «الصارم المسلول» لابن تيمية (ص٥٥١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: (وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه)، برقم: (٤٢١٢).

فيها تقديسًا للرَّبِّ وتمجيدًا، وهذا النوعُ من السَّبِّ كفرٌ محْضٌ، حُكْمُه حُكْم سائِر أنواع الكُفْر.

يقولُ ابنُ تيمية: «السبُّ الذي يتديَّنُ به؛ كالتَّثليث ودَعْوىٰ الصَّاحبة والوَلَد.. حُكْمُه حُكْم أنواع الكُفْر، وكذلك المقالاتُ المكفِّرة، مثل مقالة الجهميَّةِ والقدرِيَّة وغيرهم من صُنوف البِدَعِ»(١).

٢.مَن سبَّ الله استخفافًا وانتقاصًا:

كاللَّعْنِ والتقْبيحِ والإخبارِ عَن اللهِ تعالىٰ بما يدلُّ علىٰ الشَّتْمِ علىٰ سَبيلِ الطَّعْنِ والانتقاصِ.

وحُكْم هذا السَّبِّ كحُكْم سبِّ الرَّسولِ ﷺ انتقاصًا بطريقِ الأولىٰ، فهو كُفْرٌ وردَّةٌ مُغلَّظة يتعيَّن مَعها قَتْل السَّابِّ بلا استتابَةٍ؛ لأنَّ سبَّ الله أعْظَمُ الجرائِمِ، وأعظَمُ من كلِّ كُفْر فيتعيَّن مُقابلته بأبْلَغ العُقوباتِ، ولأنَّ السبَّ قَدْرٌ زائِدٌ علىٰ الكُفْر، فيجِبُ أنْ تكونَ له عُقوبة تخصُّه، حدًّا من الحُدود فلا تَسْقُط عُقوبَةُ السابِّ بالتَّوبةِ كسائِرِ الحدودِ، ولأنَّ مَفْسدةَ السبِّ لا تنحَسِمُ إلَّا بقَتْل مَن سبَّ اللهَ تعالىٰ دُونَ استتابَةٍ؛ لأنَّ إسْقاطَ القَتْلِ عن السَّابِّ بالتَّوبةِ لا يرْفَع مفْسَدةَ سَبِّ الله تعالىٰ؛ إذْ كُلِّ سابٍّ سيُظهِر التَّوبةَ إذا عُرِضَ علىٰ السَّيفِ؛ لأنَّ إصْرارَهُ علىٰ ما يَراهُ سبًّا لا يدْعو إليه عَقلٌ ولا طَبعٌ، فيَؤولُ الأمْرُ إلىٰ تعْطيلِ حدِّ السَّابِّ، وكلُّ ما أدَّىٰ إلىٰ تعْطِيلِ حدٍّ من الحُدودِ بالكُلِّيَّةِ كانَ باطلًا(٢).

---

(١) «الصارم المسلول»: (ص٥٥٤-٥٥٥).

(٢) «انظر: الصارم المسلول لا بن تيمية»: (ص٤٢٨-٤٩٤-٤٩٦-٥٥١-٥٥٦-٥٥٨-٥٦٠)، وهذا قول بعض المالكية والمعتمد عند الحنابلة واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، انظر: «الصارم المسلول (ص٤٢٨-٥٥٤)، «شرح الروض بحاشية ابن قاسم» (٧/ ٤٠٧)، «الخرشي علىٰ =

ما عدا هذين الوجهين من السبِّ فليسَ كفرًا، وهو السبُّ غير المقْصُود الذي يَؤُولُ إلىٰ سبِّ الله تعالىٰ؛ كسبِّ الدَّهرِ.

روىٰ الإمامُ البخاريُّ بسندِه.. عن أبي هُريرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعًا: قال اللهُ عَزَّوَجَلَّ: «يُؤذِيني ابنُ آدم يسبُّ الدَّهرَ، وأنا الدَّهْرُ؛ بيدِي الأمْرُ أقلِّبُ اللَّيلَ والنَّهارَ»(١).

يقولُ ابن تيمية: «إنَّ مَن سبَّ الدَّهرَ من الخلْقِ لم يَقْصِدْ سبَّ اللهَ سُبْحانه إنَّما قصَدَ أنْ يسُبَّ مَن فعَلَ به ذلِكَ الفِعْل مُضيفًا له إلىٰ الدَّهرِ، فيَقعُ السبُّ علىٰ الله؛ لأنَّه هو الفاعِلُ في الحقيقَةِ، وسواءٌ قلنا: إنَّ الدَّهرَ اسْمٌ من أسْماءِ الله تعالىٰ كما قالَ

= مختصر سيدي خليل» (٨/ ٧٤)، وهو القول المعتمد عند المالكية أن سب الله تعالىٰ كفر محض، وليس كفرًا مغلظًا كسبّ الرسول ﷺ انتقاصًا، وهو قول لبعض الحنابلة انظر: «الخرشي علىٰ مختصر سيدي خليل: (٨/ ٧٠-٧٤)، و«الصارم المسلول»: (ص٤٩٦-٤٩٧)، وعمادهم أن سب الرسول ﷺ يفترق عن سب الله من جهة تعلق حق الآدمي به والعقوبة الواجبة لآدمي لا تسقط بالتوبة، ولأن الرسول ﷺ تلحقه المعرة والغضاضة بالسب، فلا تقوم حرمته إلا باصطلام سابه، ولتوفر الدواعي إلىٰ سب الرسول ﷺ من الحقد والحسد والمراغمة لاتباعه وغير ذلك، فناسب أن يشرع لخصوصه حد، حسمًا لمفسدة النيل من المصطفىٰ ﷺ، لا لأن سبه أعظم جرمًا من سب الله تعالىٰ، انظر: «الصارم المسلول»: (ص٤٢٨-٤٩٦-٥٠٠-٥٤٦-٥٥٠)، وذهب الحنفية والشافعية إلىٰ أن السابّ كالمرتد فمن سب الله أو رسوله ﷺ ثم تاب من ذنبه قبلت توبته، اعتماد علىٰ عمومات النصوص الدالة علىٰ قبول التوبة وعلىٰ عفو النبي ﷺ عن كثير ممن آذوه وشتموه وقبول إسلامهم كأبي سفيان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وغيره، انظر: «الإعلام للهيثمي» (٢/ ٣٩٨-٣٩٩)، «نهاية المحتاج للرملي (٧/ ٤١٩)، «حاشية ابن عابدين» (٤/ ٢٣٢-٢٣٦-٢٣٨)، ومحل الخلاف بين الأئمة في قبول توبة الساب حكمًا لا في قبول الله لتوبته يقول ابن قدامة: الخلاف بين الأئمة في قبول توبتهم في الظاهر من أحكام الدنيا من ترك قتلهم وثبوت أحكام الإسلام في حقهم، وأما قبول الله تعالىٰ لها في الباطن وغفرانه لمن تاب وأقلع باطنًا وظاهرًا فلا خلاف فيه، «المغني» (١٢/ ٢٧١).

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: (وما يهلكنا إلا الدهر)، برقم: (٤٥٤٩)، ومسلم، كتاب: الألفاظ من الأدب وغيرها، باب: النهي عن سب الدهر، برقم: (٢٢٤٦).

نعيم بن حماد، أو قلنا: إنه ليسَ باسْمٍ، وإنَّما قوله: «أنا الدهر»، أي: أنا الذي أفْعَلُ ما ينسُبُونه إلىٰ الدَّهْرِ، ويوقِعونَ السبَّ عليه كما قالَهُ أبو عبيدة والأكثرون، ولهذا لم يكفَّرْ مَن سبَّ الدَّهرَ ولا يُقْتَلُ، لكن يؤدَّب ويعزَّر لسُوءِ منطِقِه»[1].

هذه بعضُ جَوانبِ عَقيدة القَومِ ومواقِفهم من خالِقِهم، فالكُفْر أُسُّ ذلك وأساسُهُ، ثُم ما كانَ من أغصانِ هذه الشَّجرَة الخبيثة من اسْتِهزاءٍ وسُخْرِية وكَذِب ومُخادَعَة، وما قد ينجرُّ علىٰ ذلك من سُوءِ ظنٍّ، وعدم توكُّل، وزوالِ ثِقَة فيه سُبحانه، لقَد كانَ من ثِمارِ هَذا الشَّأن في حياتِهم: أنْ تحاكَمُوا لغَير شَرْعِه، ووَالَوْا أعداءَهُ، وحارَبُوا أوْلياءَه، وجاهَدُوا في الصَّدِّ عن دِينِه.

~~~

(١) «الصارم المسلول» (٣/ ١٠٤٢).
~~~



المبحث الثاني

موقف المنافقين من القرآن الكريم.

لقد كانَ الإعراضُ والتَّكذيبُ والخَوضُ والاستِهزاءُ بكتابِ الله هُوَ شَأنُ المنافِقينَ ودَأْبهم، ناهِيكَ عَن عدَمِ تَحكِيمهم لَهُ في واقِعِ حَياتِهم، مَع ثِقَلِه علىٰ نفوسِهم وحَذَرِهم من تنزُّل شَيءٍ من آياتِهِ تفْضَحُ دواخِلَهم، وتكْشِف أسْتارَهُم والصدَّ عنه إلىٰ غَيرِ ذلك، هو مَوقِفُ المنافِقينَ من هذا الكِتابِ العَزيزِ الذي هو للمؤمنين هُدًىٰ ورَحْمَةٌ وشِفاءٌ، وعلىٰ المنافقين عمًىٰ، وفي آذانهم وَقْرٌ، صُمَّت عن تدبُّر آياتِه أَسْماعُهم، وانغلَقَتْ دونَ الاتِّعاظ والتَّسلِيم لأحكامِهِ قلوبُهُم فمِن ذلك: الإعراضُ عنه .. تمثل ذلك في مناحٍ عديدَةٍ منها:

١ـ الإعراض عن سماعه ..

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٌ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ [سورة التوبة:١٢٧].

قال الإمام البغويُّ: «إنَّه إذا أُنزلَت سُورةٌ فيها عَيبُ المنافِقينَ وتَوبيخهم ﴿نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ﴾ [سورة التوبة:١٢٧] يريدون الهَربَ يقولُ بعْضُهم لبَعْضٍ إشارَةً: ﴿هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٍ﴾ [سورة التوبة:١٢٧]، أي: من المؤمنين إنْ قُمْتُم، فإنْ لم يَرهم أحدٌ خرَجُوا من المسْجِد، وإن عَلِموا أنَّ أحدًا يَراهُم أقامُوا وثَبتوا ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ﴾ عن الإيمانِ بها، وقيل: انصَرَفوا عن مواضِعِهم التي يسْمَعُون فيها ﴿صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [سورة التوبة:١٢٧] عن الإيمانِ[1] صرَفَ قلوبَهم عَن الخيرِ والتوفيقِ والإيمانِ باللهِ ورسولِهِ ﷺ؛ ذلك بأنَّهم قومٌ لا يفْقَهون، فَعلَ اللهُ بهم هذا

(١) تفسير البغوي (٤/ ١١٥).

الخذلانَ، وصرَفَ قلوبَهم عن الخيراتِ من أجْلِ أنَّهم قَومٌ لا يَفْقَهون عن اللهِ مواعِظَهُ استكبارًا ونفاقًا»(١).

٢ـ الإعراض عن تفهمه وتدبره والاتعاظ به.

قال سبحانه: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [سورة التوبة:١٢٤-١٢٥].

وهذا من جملَةِ شَقائِهم أنَّ ما يهدي القُلوبَ يكون سببًا لضلالِهم ودَمارِهم، كما أنَّ سَيِء المزاجِ لو غُذِّيَ به لا يَزيدُه إلَّا خَبالًا ونقصًا(٢).

يقولُ سيِّدُ قُطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عندَ قولِه تعالى: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ﴾ [سورة التوبة:١٢٤] سؤالٌ مُريبٌ لا يقولُهُ إلَّا الذي لم يَسْتَشْعِرْ وقْعَ السُّورةِ المنزَّلة في قَلْبه، وإلَّا لتحدَّثَ عن آثارِهَا في نَفْسِه بدَلَ التَّساؤل عن غَيره»(٣).

لقد كانَ مِن بالِغ إعْراضِ المنافِقينَ عَن الذِّكْرِ الحكِيم وتَعامِيهم عَن آياتِه ما ذَكَر اللهُ في شأنِهم من قَولِه: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ﴾ [سورة محمد:١٦].

إنَّه إخبارٌ منَ الله عَن بلادَةِ المنافِقينَ، وقلَّة فَهمهم؛ حَيثُ كانوا يَجْلِسُون إلى النبيِّ ﷺ، ويَسْتمِعُون إليه ولا يَفْهَمُون مِنْه شيئًا(٤).

---

(١) «تفسير الطبري» (١٤/ ٥٨٢).
(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٣٩).
(٣) «في ظلال القرآن» (٤/ ١١٧).
(٤) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٣١٥).



وما يذْكُره النبيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في مجْلِسه شامِلٌ لما يتْلُوه على الصَّحابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من آياتٍ ومن أحادِيث.

قال الإمامُ الطبريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ مؤكِّدًا ذلك: «هو المنافِقُ يستَمِعُ ما تقولُ فلا يَعيهِ ولا يَفْهَمه تهاوُنًا منه بما تَتْلو عليه من كِتابِ ربِّك تغافلًا عما تَقولُه وتَدْعو إليه من الإيمانِ»(١).

والمنافِقُون بهذا الوَصْف قد أَشْبَهوا إخْوانَهم المشْرِكينَ الَّذين نَعَتَهم اللهُ بقولِه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ [سورة الأنعام:٢٥]، والحظْ أنَّ اللهَ ذكَرَ عن المنافقِينَ والمشركين أنَّهم جميعًا يسْتَمِعُون، ولكِن لهم قُلوبٌ لا تَفْقَه، وفي آذانِهم وَقرٌ، والوَقْر: الصَّمَمُ ﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾.

أمَّا حالُ المؤمنين فهُم في زِيادةٍ على كلِّ حالٍ إذا قُرئَ القرآنُ زادَهُم إيمانًا:

قالَ تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال:٢].

وإذا تكالبَتْ عليهِمُ الأعداءُ واشتدَّ الكَربُ زادَتْ ثِقَتُهم بربِّهم وبنَصْرِه؛ إيمانًا: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران:١٧٣].

لقد قرَعَ القرآنُ بنذْرِه وتَخويفِه ووَعِيدِه ومَا أعدَّ اللهُ لمن عَصاهُ واتَّبعَ هَواهُ وَحادَ عن الصِّراطِ من نارٍ تَلظَّى، لا يَصْلاها إلَّا الأشْقَى، ولكن دُونَ جَدْوى فلا أَنفُس تعِي، ولا قُلُوب توجَلُ، ولا أفِئِدَة ترقُّ.. فهِي كالحِجارَةِ قَسْوةً وجمودًا، بل أشدُّ قَسْوةً وغِلْظَةً...

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٢/ ١٦٩).

٣ـ الإعراض عن تلاوته

عن أبي مُوسىٰ الأشْعَري رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَثَلُ المؤْمِن الَّذي يَقْرَأُ القُرآنَ كمَثلِ الأُتْرُجَّة(١) رِيحُها طَيِّبٌ وطَعْمُها طَيِّبٌ، ومَثَلُ المؤْمِنِ الَّذي لا يَقْرَأُ القُرآنَ كمَثَلِ التَّمرةِ لا رِيحَ لها وطَعْمُها حُلْوٌ، ومَثَلُ المنافِقِ الذي يقْرَأُ القُرآنَ كمَثَلِ الرَّيحانَةِ رِيحُها طَيِّبٌ وطَعْمُها مرٌّ، ومَثَلُ المنافِقِ الذي لا يَقْرَأ القُرآنَ كمَثَلِ الحَنظَلَةِ(٢) لَيسَ لها رِيحٌ وطَعْمُها مرٌّ»(٣).

ففي هذا الحَديثِ إشارَةٌ من المُصطَفىٰ ﷺ إلىٰ علامَةٍ من عَلاماتِ النِّفاقِ أَلا وهي الإعْراضُ عن تِلاوَةِ القُرآنِ؛ فإنْ قرَأَه كان ممن لا ينتَفِعُ به ولا يتَّعِظُ، بل لا يرتَدِعُ عن غيِّهِ ولا يرْعَوي عن نِفاقِه مع أنَّ قَوارِعَ القُرآنِ تَحذيرًا من هذا المسْلَكِ وترهيبًا هي من أعْظَم التَّخويفاتِ ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [سورة النساء:١٣٨].. ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [سورة النساء:١٤٥].. ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [سورة التوبة:٦٨].. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [سورة التوبة:٧٣].. ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [سورة التوبة:٨٤].. ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ﴾ [سورة التوبة:٨٠].

---

(١) «الأترجة»: جمعها أترج وأترجات، والعامة تقول: أترج وترنج، وهو فاكهة حلوة حامضة، ولها فوائد طيبة، انظر: «تاج العروس» (٥/ ٤٣٧-٤٣٨).

(٢) «الحنظلة»: واحدة الحنظل، وهو الشجر المرُّ، انظر: «لسان العرب» (١١/ ١٨٣).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: باب: ذكر الطعام، برقم: (٥١١١)، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضيلة حافظ القرآن، برقم: (٧٩٧). وانظر: تفصيل شرح الحديث (ص٤٢٤).

ويوم المثولِ بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ جاءَ في الحديثِ الذي رَواهُ صَفْوان بنُ مُحْرِز المازنيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «..وأمَّا الكافِرُ والمنافِقُ فيقُولُ الأشْهادُ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة هود:١٨]»[١].

إنَّ هذِه القَوارِعَ القرآنيَّة وغَيرها كثيرٌ مما فيه تَهكُّم بالمنافِقينَ، وسُخْريةً واسْتِهزاء بهم وفَضْحٍ لهم يومَ المعادِ، وسَلْبٍ لنُورِهم على الصِّراطِ... إلخ. لكافِيَةٌ شافِيَةٌ موقِظَةٌ للقُلوبِ والأنفُسِ والبَصائِرِ التي تعُودُ وتؤُوبُ وترجِعُ عَن غيِّها وتقْلعُ، وتَستَقِيم بعْدَ طيشٍ وتُؤمِن بعْدَ كُفْر ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَٱعۡتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَسَوۡفَ يُؤۡتِ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [سورة النساء:١٤٦].

قالَ أبو الجَوزاءِ أَوْسُ بنُ عبد الله الرَّبْعيُّ البَصْريُّ[٢]: «نَقْلُ الحجارَةِ أهْوَنُ على المنافِقِ من قِراءَةِ القُرآنِ»[٣].

أنواعُ هَجْر القرآنِ:

ذكَرَ ابنُ القيِّم أنَّ الإعْراضَ عن القُرآنِ وهَجْرَه على أنواعٍ هي:

أ) هَجْرُ سماعِهِ والإيمانِ به والإصْغاءِ إليه.

ب) هَجْر العملِ به والوقوفِ عندَ حَلالِه وحَرامِه، وإنْ قَرأه وآمَنَ به.

ج) هَجْرُ تحكيمِه والتَّحاكُمِ إليه في أُصُول الدِّين وفُرُوعِه واعْتِقاد أنَّه لا يُفيدُ اليقينَ، وأنَّ أدِلَّته لفْظِيَّة لا تحصِّل العِلْمَ.

---

(١) البخاري برقم: (٢٤٤١).

(٢) أبو الجوزاء أحد التابعين نسب إلى ربعة الأزدي. «تبصير المنتبه بتحرير المشتبه» لابن حجر العسقلاني (٢/ ٦٢٤).

(٣) أخرجه الفريابي في «صفة النفاق وذم المنافقين» (٦٢)، ومن طريقه الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٤٨٠)، وفي السند الدراوردي سيء الحفظ.

د) هَجْر تدبُّرِه وتفهُّمِه ومَعْرفة ما أرادَ المتكلِّم به منه.

هـ) هَجْرُ الاستشْفاءِ والتَّداوي به في جَميعِ أمْراضِ القُلوبِ وأدْوائِها؛ فيَطْلُب شفاءَ دَائِه من غَيرِه ويَهْجُر التَّداوي به.

وكلُّ هذا داخلٌ في قولِه تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [سورة الفرقان: ٣٠](١)(٢).

٤ـ التحاكم إلى الطاغوت بدلا عنه.

إنَّ من أعظَمِ مُقتضياتِ الإيمانِ ودَلائله التَّحاكُم إلىٰ شَرعِ الله المُحكَم، الذي لا حيفَ فيه ولا جوْرَ ولا مُحاباةَ ولا مُداهَنةَ، قولٌ فصَلٌ وحَكَمٌ عَدْلٌ.. ولقَد كانت إشارَاتُ القُرآنِ واضِحَةً في بيانِ حالِ المنافِقين وتَحاكُمِهم لغَيرِ الوَحْي مَع زَعْمِهم الإيمانَ به فأكْذَبَهم اللهُ ونقَضَ دَعْوَاهم.

فقالَ عزَّ في علاه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء: ٦٠](٣).

وإنَّ الرِّضا واللُّجوءَ إلىٰ غَيرِ شَرْعِ الله المطَهَّر في التَّقاضي وحلِّ النِّزاعاتِ وإثْبات الحقوقِ وإقامَة الحدُود لَهو نَوعٌ من أنواعِ الهَجْرِ كما أشارَ إلىٰ ذلِكَ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولا يكونُ هذا التَّنحي والعُزوفُ إلَّا من كافِرٍ أو مُنافِقٍ لم يجِدِ الإيمانُ إلىٰ

---

(١) «الفوائد» (١/ ٨٢) لابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ

(٢) رسالة دكتوراه قيمة بعنوان (هجر القرآن أنواعه وأحكامه) د.محمود بن أحمد الدوسري / دار ابن الجوزي.

(٣) سبق تفسير هذه الآية وبيان سبب نزولها مع تنزيلها علىٰ واقع المسلمين الآن.. انظر: (ص ٤٣٨).



قلْبِه سبيلًا.

٥ـ الاستهزاء بآيات الله.

فكما صدَرَ من المنافِقِينَ هُزؤهُم بالله وبرسُولِه ﷺ وبالمؤمنين، فقَدْ طالَ ذلك منهم كتابَهُ العَزيز.. إذ يقولُ سُبحانه: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [سورة التوبة:٦٥-٦٦] الآية[١].

إنَّ مَن يَسبرُ غورَ نفْسِيَّة المنافِق ويَلجُ في مَسارِبها يَعْلَم مدىٰ تَغْلغلِ هذه الخلَّة من طِباعِهم وتجذُّرها في أخلاقِهم، وهي إحدىٰ دَلائلِ الكُفْرِ ومؤشِّراتِه، ولا غَرْو فمَن كفَرَ بآياتِ الله وأعْرَضَ عنها وصدَّ عن سَبيلِ الإيمانِ بها فليْسَ بمُمتَنِع عليه أنْ يلوكَ آياتِ الله استهزاءً بها وسُخْريةً منها:

ولذا فقَد جاءَ النَّهيُ واضحًا ومُوجهًا للمُؤمنينَ بالتَّنائي والبُعْدِ عن كلِّ مجْلِسٍ ومُنتدًىٰ ومُناسبَةٍ ومحفلٍ يُنتقَصُ ويُسخَرُ فيه من كتابِ الله وآياتِه، فقالَ سُبْحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام:٦٨].

قالَ الإمامُ القُرطبيُّ: «وهَذا خِطابٌ له، وأمَّتُه داخِلَةٌ فيه، ومِثْله كثِيرٌ؛ كقوله تعالىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾ [سورة التوبة:١٠٣]، وذلك لا يوجِبُ الاقْتِصارَ عليه وحْدَه وأنَّ مَن بَعْدَه يَقومُ في ذلِكَ مَقامَهُ، وكذلك في قَولِه تعالىٰ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾ [سورة النساء:١٠٢]».

وقَد أشارَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلىٰ أنَّ المنافِقينَ من أصْنافِ الخائِضينَ استهزاءً بكتابِ الله،

(١) سبق حديث مفصّل حول هذه الآية انظر: (ص ٢٤٣).

فقالَ: «وكانَ المنافِقُونَ يجْلِسُونَ إلىٰ أحبارِ اليَهودِ فيَسْخَرُون من القُرآنِ»(١).

وقالَ أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [سورة الأنعام:٦٨]: بالتَّكذيبِ والرَّدِّ والاستهزاءِ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ والخطابُ مجرَّد للنَّبيِّ ﷺ، وقيل: إنَّ المؤمنينَ داخِلُون في الخِطابِ معَهُ، وهُو صَحيحٌ، فإنَّ العلَّة سَماعُ الخوضِ في آياتِ الله، وذلِكَ يشْمَلُهم وإيَّاه، وقيل: المرادُ به النَّبيّ ﷺ وَحْده؛ لأنَّ قيامَهُ عن المشركينَ كانَ يشقُّ عَليهم، ولم يكُن المؤمنون عِندَهم كَذلك، فأُمِر أنْ ينابِذَهم بالقيامِ عَنهم إذا اسْتَهزؤوا وخاضُوا؛ ليتأدَّبوا بذلك ويَدَعُوا الخوضَ والاستهزاءَ، والخوضُ أصْلُه في الماءِ، ثمَّ استعمِل بعدُ في غمرَاتِ الأشياءِ التي هي مجاهِل، تشبُّهًا بغمراتِ الماءِ؛ فاستُعير من المحْسُوسِ للمَعْقُول، وقيل: هو مأخُوذٌ من الخلْطِ، وكُلُّ شَيءٍ خُضْتَه فقد خَلَطْتَه، ومنه خاضَ الماءَ بالعسَلِ خلطَه، فأدَّبَ الله عَزَّوَجَلَّ نبيَّهُ ﷺ بهذه الآية؛ لأنَّه كانَ يقْعُدُ إلىٰ قومٍ من المشْركينَ يعِظُهُم ويَدْعُوهم فيَسْتَهزؤُونَ بالقرآنِ، فأمَرَهُ اللهُ أنْ يُعرِضَ عنهم إعراضَ مُنكِرٍ، ودلَّ بهذا علىٰ أنَّ الرَّجُلَ إذا عَلِمَ من الآخَرِ مُنكَرًا، وعَلِمَ أنَّه لا يَقْبلُ منه فعلَيهِ أنْ يُعْرِضَ عنه إعْرَاضَ مُنكرٍ ولا يُقْبِلُ عليه.. روىٰ مجاهِدٌ في قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾ [سورة الأنعام:٦٨] قال: «هم الذين يَسْتَهزؤونَ بكتابِ الله، نَهاهُ اللهُ عن أنْ يجْلِسَ معهم إلَّا أنْ ينسَىٰ، فإذا ذَكَر قامَ»(٢).

وعنه أيضا قال: «همُ الذين يَقولُون في القرآنِ غَيرَ الحقِّ»(٣).

وعن أبي جَعْفر مُحمَّد بن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «لا تُجالِسُوا أهْلَ الخصُوماتِ»

---

(١) «تفسير القرطبي» (٥/ ٣٦٥)، وانظر: «الدر المنثور» (٣/ ٢٧٣).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٢٩)، ومجاهد في تفسيره (١/ ٢١٧).

(٣) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٢٩٣) إلىٰ الفريابي وأبي نصر السجزي في الإبانة.

فإنَّهم الذين يخوضون في آياتِ الله»[١].

قالَ ابنُ العربيِّ: «وهذا دليلٌ على أنَّ مُجالسَةَ أهْلِ الكبائِرِ لا تحلُّ».

قال ابنُ خُويز منداد[٢]: «وكذلك مَنع أصحابُنا الدُّخولَ إلى أرْضِ العدُوِّ ودُخولَ كَنائِسِهم والبِيَعِ، ومُجالَسَةَ الكُفَّار وأهْلِ البِدَع، وألَّا تُعتَقدَ مَودَّتُهم ولا يُسمَعَ كلامُهم ولا مناظَرَتُهم، وقد قالَ بعضُ أهْلِ البِدَع لأبي عِمْران النَّخعِي: اسْمَعْ منِّي كَلِمَةً، فأعْرَضَ عنه، وقال: ولا نِصْفَ كَلِمة»[٣][٤].

ومِثْلُه عن أيُّوب السِّخْتياني، وقال الفُضيلُ بنُ عِياض: «مَن أَحبَّ صاحِبَ بِدْعَة أَحْبطَ اللهُ عمَلَه، وأخْرجَ نُورَ الإسْلامِ مِن قَلْبِه، ومَن زوَّجَ كريمَتَه مِن مُبْتدِعٍ فقَد قَطَع رَحِمَها، ومَن جَلَس معَ صاحِبِ بِدْعَةٍ لم يُعْطَ الحِكْمَةَ، وإذا عَلِمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٧/ ٢٢٩)، والدارمي في «سننه» (٤٠٠)، وابن سعد في الطبقات (٥/ ٣٢١).

(٢) هو: محمد بن علي بن إسحاق بن خويز منداد ويقال: خواز منداد الفقيه المالكي البصري، يكنى: أبا عبد الله، هذا الذي رجحه عياض. وأما الشيخ أبو إسحاق فقال في الطبقات: محمد بن أحمد بن عبد الله بن خواز منداد، يكنى: أبا بكر، تفقه بأبي بكر الأبهري، وسمع من أبي بكر بن داسة، وَأبي إسحاق الهجيمي، وَغيرهما. وصنف كتبًا كثيرة منها: كتابه الكبير في الخلاف وكتابه في أصول الفقه، وكتابه في أحكام القرآن. وعنده شواذ عن مالك واختيارات وتأويلات لم يعرج عليها حذاق المذهب كقوله: إن العبيد لا يدخلون في خطاب الأحرار ،وإن خبر الواحد يفيد العلم وإنه لا يعتق على الرجل سوى الآباء والأبناء. وقد تكلم فيه أبو الوليد الباجي ولم يكن بالجيد النظر، وَلا بالقوي في الفقه، وكان يزعم أن مذهب مالك أنه لا يشهد جنازة متكلم، وَلا تجوز شهادتهم، وَلا مناكحتهم، وَلا أمانتهم. وطعن ابن عبد البر فيه أيضًا وكان في أواخر المئَة الرابعة. ينظر: «لسان الميزان» ت أبي غدة (٧/ ٣٥٩)، «الوافي بالوفيات» (٢/ ٥٢).

(٣) هذا الأثر معروف عن أبي يوب السختياني رَحِمَهُ اللَّهُ، أخرجه الدارمي (٣٩٧)، وابن الجعد في «مسنده» (١٢٣٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٩)، والسهمي في تاريخ جرجان (ص٣٩٤).

(٤) ينظر: «الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي» (٧/ ١٣)

مِن رَجُل أنَّه مُبْغضٌ لصاحِبِ بِدْعَة رَجوْتُ أنْ يَغْفِرَ اللهُ له»(١).

وروىٰ أبو عَبْد الله الحاكِمُ عَن عائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالَت: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ وقَّرَ صاحِبَ بِدْعَةٍ فقَدْ أعانَ علىٰ هَدْمِ الإسْلامِ»(٢)، فبطَل بهذا كلِّهِ قولُ مَن زَعَم أنَّ مجالسَتَهم جائِزَةٌ إذا صانوا أسْماعَهُم(٣).

٦ـ حذرهم وخوفهم من تنزل آيات من القرآن تفضحهم.

إنَّ المنافقينَ وإنْ كذَّبوا بالقُرآنِ وسَخِروا مِن آياتِهِ وأعْرَضُوا عَنه وتحاكَمُوا إلىٰ غَيرِه إلَّا أنَّهم في قَرارَةِ أنفُسِهم يعْلَمُون صِدْقَه، ويُوقِنونَ بتنزُّلِه من عِندِ الله، وهَذه الحقيقَةُ ليسَتْ قاصِرَةً علىٰ المنافِقينَ فحَسب، بل هِي جَلِيَّة واضِحَةٌ في واقِعِ الذين كَفروا من أَهْلِ الكتابِ ومِنَ الذين أشْرَكُوا .. قالَ تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [سورة الأنعام:٣٣]، وقالَ تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [سورة الأنعام:١١٤].

بلْ إنَّ فِرعَون الزَّاعِمَ الألوهِيَّةَ والمُدَّعِي الرُّبوبيَّةَ، قد ذكَرَ اللهُ عنه هذا المعْنىٰ بقولِه سُبْحانه في مخاطَبَةِ مُوسىٰ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ له: ﴿قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا﴾ [سورة الإسراء:١٠٢].

كما ذكَر اللهُ ذلك عنْهُ وعن الملإِ الذين معَهُ فقالَ جلَّ وعزَّ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [سورة النمل:١٤].

أمَّا المنافِقونَ فقَدْ كان حذَرُهم شديدًا وخَوفُهم كبيرًا من أنْ تُنزَّلَ فيهم آياتٌ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٠٣)، ينظر: «الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي» (٧/ ١٣).

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٧٧٢)، وغيره، وضعفه الألباني في «الضعيفة» برقم: (١٨٦٢).

أورده الشيخ الألباني في «مشكاة المصابيح» برقم: «١٨٩»، وقال عنه: «الحديث قد يرتقي بجموع طرقه إلىٰ درجة الحسن».

(٣) «تفسير القرطبي» (٧/ ١٠-١١).



تهتِكُ أستارَهم وتعرِّي حقائِقَهم؛ لعِلْمِهم أنَّ القرآنَ لا ينطِقُ عن الهوَىٰ..

قالَ تعالىٰ: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ [سورة التوبة:٦٤].

إنَّ الذي له خَبيئةُ إثْمٍ وسَريرةُ بَغْيٍ ودَخِيلةُ نِفاقٍ لا يكونُ إلَّا في قَلقٍ دائِمٍ واضْطرابٍ مُستمرٍّ؛ لأنَّ له نفسًا قد انطَوَتْ علىٰ قَبيحٍ من الرَّذائلِ والعُفونات، فيَخْشىٰ من ظُهورِ حقيقَتِه وانكِشافِ حالِه وهَتْكِ أسْتارِه..

لكنَّ اللهَ لهم بالمرْصادِ؛ أبانَ عَن خِصالِهم، وأظْهرَ مَعايِبَهم، وعرَّىٰ دَخيلتَهم حَتىٰ قالَ ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «كادَ القرآنُ أنْ يكونَ كُلُّه في شَأنِهم ـ أي: المنافقين ـ لكَثْرتِهم علىٰ ظَهرِ الأرْضِ وفي أجْوافِ القُبورِ»(١).

وجاءَتْ سورَةُ التَّوبةِ؛ لتكونَ المقَشْقِشةَ والمدَمْدمةَ والفاضِحَةَ والمبعْثِرةَ والمخْزيةَ والمنكِّلة والحافِرَة، التي بيَّنت صِفاتِ المنافقينَ وخِلالهم وكَشَفت النِّقابَ عن نيَّاتهم ومقاصِدِهم.. حتىٰ تكرَّر فيها قولُهُ تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُمْ﴾ ﴿وَمِنْهُمْ﴾.

من أجْلِ ذلكَ كانوا حَذِرينَ خائفينَ من تنزُّلِ شَيءٍ من آيِ القُرآنِ فهُم دائمًا علىٰ حيطَةٍ وترقُّبٍ، حتىٰ إذا ما نزَلَ فيهم ما يفْضَح فِعَالهم ومكائِدَهم انصرَفُوا مُعْرضينَ وولَّوا مُدْبرينَ وما عَلِموا أنَّهم بهذا الصَّنيعِ قَد فضَحُوا أنفُسَهم وأشارُوا إليها بأصابعِ الاتِّهام حتَّىٰ أنه ليَصْدُق فيهم المثَلُ: كادَ المريبُ أنْ يقولَ خُذُوني.

(١) «مدارج السالكين» (١/ ٣٦٤).

المبحث الثالث

موقف المنافقين من الجهاد.

يُعتبر الجهادُ هو المحكُّ الحقيقيُّ الذي على صَخْرتِه تتكسَّر دعاوى الزَّيفِ، وتتهاوى أقْنِعَةُ الخِداعِ، ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾ [سورة التوبة:٤٣].

الجهادُ صَفْحةٌ يظْهَر عليها كَذِبُ الأعذارِ الواهيةِ، وتبريراتُ القُعودِ والتخلُّف الزَّائِفَة ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾ [سورة آل عمران:١٧٩].

والجهادُ من أثْقلِ وأشقِّ التكاليفِ على المنافِقينَ؛ لأنَّه بما فيه من بذْلٍ وتَضحياتٍ ولرُبَّما جِراحٌ وإزْهاقُ أرْوَاح لا يتوافَقُ وحُبَّهم للحياةِ الدُّنيا وحِرْصَهم على البقاءِ فيها واسْتِغْراقهم في الملذَّاتِ وطَمعهم في الشَّهواتِ، إنَّه الجهادُ الذي ينغِّصُ عَليهم كلَّ ذلِكَ، ولذلِكَ كانوا تجاهَهُ على مُفترَق طُرُقٍ، فإنْ هُم قَعَدوا وتخلَّفوا خافُوا من انكِشافِ حالِهم ونِفاقِهم، عندَها قد يعودُ عَليهم المؤْمِنُون باسْتِباحَةِ دِمائِهم وأمْوالِهم، وإنْ هُم خرَجُوا كانوا على خَطَرِ الموْتِ أو الجِراحَةِ، وكلُّ ذلك مما يفرُّ منه المنافِقُون فِرارَهُم من أُسْدِ الغابِ المفترسَةِ، وما مَشْهَد أوضَحُ وبيانٌ أفْصَحُ في تصْويرِ هذِه الحقِيقَة من قولِهِ تَعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ﴾ [سورة الأحزاب:١٩].

إنَّها صُورةٌ شاخِصَةٌ واضِحَةُ الملامِح متحَرِّكَةُ الجوارحِ، وهي في الوَقْتِ ذاتِه مُضْحكَة مُثيرَة للسُّخْرِيَة من هذا الصِّنفِ الجبانِ، الذي تنطِقُ أوْصالُه وجوارِحُهُ

في لحظَةِ الخَوفِ بالجُبنِ المرتَعِشِ الخوارِ المنزَوِي الهَلع الفَزِع الخائِفِ، حتى إنَّ عَينَيه لتدُورُ في حَماليقِ رَأْسِه قَد جَمدَت الدِّماء في عُروقِه، وانحبَسَ لسانُه بريقِه، ورجَفَ له فؤادٌ بين أضْلُعِه، فما أنْ ينجَلي الخوفُ، وتنْفرجُ الأزْمَةُ، وتنقَشِعُ السَّحابَةُ إلَّا ويخْرُجُ من جُحْرِه، ويَعْلُو صَوتُه، وينتَعِشُ بَعْد انزِواءٍ، ويَشْخَصُ بعْدَ اختِفاءٍ، ويدَّعي في غَير حياءٍ ما شاءَ لَهُ من الادِّعاء، زِدْ على ذلِكَ أنَّ المنافقين ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [سورة الأحزاب:١٩].

هذا الأُنموذَجُ من المنافِقِينَ لا ينقَطِعُ في جيلٍ ولا قَبيلٍ؛ فَهُو مَوجودٌ دائمًا.. حالَ الرَّخاءِ فصِيحٌ.. وعندَ البَذلِ شَحيحٌ.. وساعَةَ الجهادِ كسِيحٌ.. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [سورة الأحزاب:١٩](١).

وسبحانَ الله يتأكَّدُ في حقِّ المنافِقينَ تَصويرُ حالَتِهم كمَنْ غشِيَهُ الموتُ، ونَزلَ بساحَتِه في هذا الموضِعِ من سُورةِ الأحْزابِ كما هو في سُورةِ مُحَمَّد ﷺ حيثُ يقولُ سبحانه: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [سورة محمد:٢٠].

وما ذاك إلَّا لشدَّةِ حِرْصِهم على اسْتِمْتاعِهم بالحياةِ، ورَغْبَتِهم بالعَيشِ في رَغَدِها، والتلذُّذ بزِينَتِها الزَّائلةِ(٢).

من مواقفهم في الجهاد:

١- تخذِيلُهم وتعويقهم عنه.

لم يقْتصِر المنافقونَ على أنفُسِهم فِرارًا من القِتالِ، وجُبنًا عن النُّزول لميادِينِه، بل

(١) «في ظلال القرآن» بتصرف (٦/ ٥٩).
(٢) وقد سبق لهذا المبحث مزيد تفصيل في موقفهم من النبي ﷺ وصحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (صـ٤٨٢).

جهدوا جُهدهم في الصَّدِّ عنه، والتثبيط عن الخرُوجِ إليه وما ذاك إلَّا:

أ) ليَدْرَؤوا عن أنفُسِهم انكِشافَ عَوارِهِم، واطِّلاع المؤْمِنين عَلَيهم ومَعْرِفَتهم لحقيقَتِهِم.

ب) ورَغْبَةً منهم في كَسْرِ شَوكَةِ المؤمنينَ وتَعْويقهم عن نُصْرَةِ نبيِّهم ﷺ.

قالَ تعالىٰ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الأحزاب:١٨].. لقد تخلَّف فَريقٌ منَ المنافقينَ في بُيُوتِهِم، فلَم يَخْرُجُوا إلىٰ مكانِ التربُّص لمواجَهةِ العدوِّ في غَزْوةِ الأحزابِ، ولم يكْتَفُوا بذلِكَ، بل اجْتَهَدُوا في تَعْويقِ المؤمنينَ، يثبِّطونهم ويَدْعونهم إلىٰ البقاءِ في منازِلِهِم، ويُثِيرونَ الرُّعبَ في قُلوبِهم، ويقولون لهم: لا يَستطِيعُ محمَّدٌ وأصحابُهُ أنْ يثْبُتُوا لهذا الجيشِ المتفوِّق عليهم عددًا وعدَّةً القادِمِ لغَزْوِهم من أحزابِ العرَبِ، وأنَّهم هالِكُون لا محالَةَ، فما لكُم ولهذِه المخاطَرَة.

ويحلفُ حالِفُهم أنَّ مُحمدًا سوفَ لا يستقْبِلُ المدينةَ أبدًا بعْدَ هذه الموقِعَةِ.. ويقولون لإخْوَانِهم الَّذين يظُنُّون أنَّهم لَن يبلِّغوا محمدًا ﷺ ما يَدْعونهم إليه: هلُمَّ إلينا، واسْتَمْتعوا معنا بالأَمْنِ والرَّاحَةِ ورَغدِ العَيشِ.

ولقَد زَعَموا خائبينَ، وادَّعوا مَدْحُورينَ أنَّ هَذا الدِّينَ قَد غرَّر بصحابَةِ النَّبيِّ ﷺ فأوْقَعَهم في هَلكَةٍ وجَعَلهم أَمامَ مواجَهةٍ هُم في غِنًىٰ عنها، قالَ تعالىٰ: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الأنفال:٤٩].

فعتَبَ المنافقون علىٰ النبيِّ ﷺ وعلىٰ الصَّحابَةِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ خُروجَهُم لحيازَةِ قافِلَةِ قُرَيش التجارِيَّة، فإذا بقَدرِ الله يجْعَلُ المؤمنينَ أمامَ مُواجهةٍ حَقيقيةٍ معَ خُيلاءِ قُريشٍ وغَطْرَستِهم وعَزْمِهم علىٰ القِتالَ، كُلُّ ذلك ليَقْضيَ اللهُ أمرًا كانَ مفعولًا..



وتتواصَلُ همَّةُ المنافقينَ دُونَ فُتورٍ ولا كَللٍ ولا مَللٍ في كلِّ غَزوَةٍ، وقبْلَ كلِّ مَسِيرٍ بالإرجافِ والتَّخذيلِ والتَّعويقِ عَن الخرُوجِ نُصْرة لهذا الدِّين ورِفْعَة لرايَتِه، ففي غَزْوةِ أُحدٍ أخْبَر عنهم سُبْحانه بقوله: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ١٦٧ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [سورة آل عمران:١٦٨].

لقد تضمَّنت هذِه الآياتُ بيانَ حالِ المنافِقِينَ في بثِّ الشَّائعاتِ الكاذِبَةِ والتَّخْرصات الواهِيَة بأنَّهُ لن يكونَ قِتالٌ يوْمَ أُحدٍ، وأشاعُوا ذلِكَ وأذاعُوا به حتَّىٰ انصَرَفوا من مَيدانِ المعْرَكَةِ وهُم ثُلُث الجَيشِ ثُمَّ لم يقْتَصِروا علىٰ هذا، بل تجاوَزُوه إلىٰ زَعْمِهِم الوَاهِي واعتراضِهم علىٰ قَدَرِ الله فقالوا: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ﴾ [سورة آل عمران:١٦٨] ، وهذا المنطِقُ الأرْعَنُ منهم فيه إشارَةٌ إلىٰ أننا قَد نَصَحْنا لهُم وحَرصنا عليهم ألَّا يخْرُجوا وألَّا يُقاتِلُوا فلمَّا لم يسْتَجِيبوا كانَتْ نهايَتُهم أنْ قُتِلوا، ولو أطاعُونا وقَعَدوا كما قَعَدْنا لما حلَّ بهم ذلِك، ولكانوا أبعَدَ عن مظانِّ القتْلِ.. وكأنَّهم يقولون مُثبِّطينَ ومخذِّلين إيَّاكُم بعْدَ اليومِ أنْ تخْرجوا لقِتالٍ أو تَشْهدوا موقِعَةً، واقْعُدوا مع الخالفينَ. هذا من المنافقينَ وأشْباهُه في صدِّهم عن الجهادِ والتَّهوين عن الخُرُوج إليه..

٢- فرارهم من المشاركة فيه.

إنَّ قلبًا قد استغْلَقَ عن دُخولِ الإيمان إليه.. وأجْدَب من الطَّمعِ في رِضْوانِ الله.. وزهدَ في نَيلِ الشَّهادَةِ في سَبيلِه لأَبعَدِ ما يكونُ عَن المشارَكَةِ والإسْهامِ في

انخِراطِه جُنديًّا في صُفوف المسلمينَ، ولذلك ترَىٰ أنَّهم قَد سَلكُوا كلَّ سَبيلٍ للتولِّي والفِرارِ عَن ملاقاةِ الأعْداءِ ومُقارَعةِ الأسِنَّة، مُتطلِّبينَ لذلك الأعْذارَ الزَّائِفةَ، فمَرَّة يزْعُمون أنَّ بُيوتَهم عَورةٌ، وأخْرىٰ يَقولون: لو نَعلَمُ قتالًا لاتَّبعْناكُم، وثالِثَةً يدَّعون أنَّهم قد يُفتنوا بنساءِ الأعداءِ، ورابعةً وخامِسَةً.

كَم تسلَّلُو لِواذًا.. وإذا كُتب لهُم خُروجٌ معَ المؤمِنينَ ومُشارَكة فإنَّهم لا ينفَكُّون عن بثِّ الشَّائِعاتِ، وتَزْويق الأراجِيفِ، فتَارةً يُردِّدُون ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [سورة الأحزاب:١٢] وأخرىٰ يقولون ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران:١٧٣]... إلخ.

إنَّهم المنافِقُون لو أَرادُوا الخُروجَ والتَّضحيَةَ والبَذْلَ لأعدُّوا لذلِكَ عدَّته، ولهيَّؤا لذلِكَ جِهازَهُ، ولكِنَّهم أخْلَدُوا إلىٰ الأرضِ، وقيل: اقْعُدُوا مع القاعِدينَ ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [سورة التوبة:٤٦].

وإنَّ جماع الخير كلِّه في عدَم خُروجهم؛ إذْ ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة التوبة:٤٧].

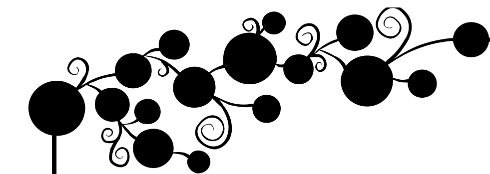
ولَمَّا كانَ حالهُم كذلك جاءَ الأمْرُ من الله بعدَمِ الإذن بخُرُوجهم معَ المؤمنينَ ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾ [سورة التوبة:٨٣].

وليتَ المنافقين إذْ قَعَدوا وتخلَّفوا وخذَّلوا وثبَّطوا وتذرَّعوا بأعْذارِ الكذِبِ والزَّيفِ وسَعَوْا في تَرْويجِ الشَّائِعاتِ والأخْبارِ الباطِلَةِ اقْتَصَروا علىٰ ذلِكَ، بل

تجاوَزُوه إلى أنْ بخِلُوا وشحُّوا حتى بأموالِهم عَن النَّفقةِ في سَبيلِه، والبَذْلِ في مرضاتِهِ، وفوقَ ذلك: أعْمَلُوا ألسِنَتهم همزًا ولمزًا وغمزًا وتحقيرًا لمَن أنفَقَ وبذَلَ من المؤمنين.. ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾ [سورة النساء:٣٧] ، ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة:٧٩](١).

هذه أحوالُ ومواقِفُ المنافقين أمامَ المحكِّ الصَّعبِ والامتحانِ الحقِّ الجهادِ في سبيل الله الذي على صَخْرتِه تتكسَّر معاوِلُ الادِّعاءات الفارِغَةُ، والأكاذيبُ الزائِفَةُ.

(١) انظر: تفصيل ذلك (ص١١٢).



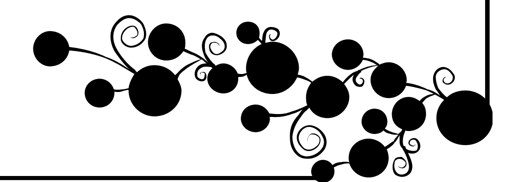
الباب الثالث

ويشتمل على ثلاثة فصول:

الفصل الأول: رأس المنافقين وزعيمهم ابن سلول

الفصل الثاني: ويشتمل على ثلاثة مباحث

الفصل الثالث: ويشتمل على خمسة مباحث





الفصل الأول

رأس المنافقين وزعيمهم ابن سلول

المبحث الأول: وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول: اسمه وكنيته وأسرته وجواريه

رأسُ المنافقين وزَعيمُهم ابن سلول:

إنَّهم عُصبَةُ الشرِّ، ومِحْورُ البلاءِ، ومبْعَثُ التَّخطيطِ، وحِزْبُ المؤامرة فكما بُلي النَّبي ﷺ بزَعاماتِ الكُفْر في مكَّة كأبي جَهلٍ، وأُمية بن خَلَف، وعُتْبة بن رَبيعَة، وشَيبَة بن رَبيعة، وأبي البَخْتَري ابن هِشامِ بن الحارث، والنَّضر بن الحارثِ بن كَلَدَة، وزَمْعَة بن الأسْودِ[1].

الذين كانوا يُمثِّلونَ دَارَ النَّدوةِ بمَكَّةَ، فقَدْ عَظُم بلاؤُه بأضْعافٍ مُضاعَفةٍ بالملإِ من المنافِقين في المدينَةِ، رُؤوس المكْرِ والخَديعَةِ يوحِي بعضُهُم إلى بعْضٍ زُخْرفَ القَولِ غرورًا، دُرسَت مَعالم الإيمانِ في قُلوبِهم فليسُوا يَعْرفونَها، ودثُرَتْ معاهِدُه عندَهُم فليسُوا يعْمُرونَها، وأفَلَت كواكِبُه النيِّرة من قُلوبِهم فلَيْسُوا يُحيُونها، وكُسِفَت شمسُه عندَ اجتماعِ ظُلَم آرائِهم وأفْكارِهم فلَيْسُوا يُبْصِرُونها[2].

إنَّهم مَن تولَّىٰ كِبَر ذلِكَ التَّجمُّع النِّفاقِي حتىٰ أصْبحَ له كَيانُه وتخْطِيطه وتحزُّبه

---

(١) «سبل الهدىٰ والرشاد في سيرة خير العباد»، المؤلف: محمد بن يوسف الشامي - تحقيق: عادل بن أحمد وعلي بن معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٤هـ، (٣/ ٢٣١)، من هؤلاء الزعامات من أسلم بعد ذلك أمثال: أبي سفيان بن حرب وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام رَضِيَ اللهُ عَنهُم وَأَرْضَاهُم.

(٢) «مدارج السالكين» (١/ ٣٤٨).

وأعوانه، وكانَ له رَأْسُ مدبِّر ورَئيسٌ هو المرْجِع، وزَعِيمٌ هو المتصدِّر، فكما أنَّ الملأَ من قُريشٍ كانَ على علوِّ هَرمِه أبو جَهلٍ، فكذلك كانَ في أعْلى قِمَّة جَمْهرة المنافِقِينَ عبْدُ الله بن أبَيِّ ابن سَلول رَأْسُ النِّفاق باتِّفاقِ العُلماء، حتَّى إنَّ غالِبَ المفسِّرينَ كانوا يُشيرونَ إلى اسْمِه في سائرِ آياتِ المنافِقِينَ الفاضِحَة لهُم المعرِّية لنواياهُم وأعْمالَهم.

إنَّه حريٌّ بشخْصِية كمِثْلِ أبي جَهْل وابن سَلول أنْ يُفردَ كلٌّ منهما برسالَةٍ جامِعيَّةٍ تستوفي جوانِبَ كُلٍّ منهما، كما أُفرِدَ عبدُ الله بن سَبأ اليهودي ببَحْثٍ جامِعي مبارك(١)؛ لأنَّ في تسليط الضَّوء على مناحِي حَياةِ هَؤُلاء الزَّعاماتِ في الشرِّ، وما لهم في العُدْوان من مضاءٍ، وفي الصدِّ عن دينِ الله من بَلاءٍ، وفي إثارَةِ الفِتَنِ وتحزيبِ الرِّعاعِ، وتَفْريق الجَمْعِ، وتَوهين العَزْم دُروسًا وعِبرًا ومدَّكرًا ومُعتبرًا.

١ـ أما اسمه:

فعبْدُ الله بن أبَيِّ بن مالك بن الحارِثِ بن عُبيد بن مالك بن سالم بن غُنيم بن عَمْرو بن الخزرج مَنسُوب للخَزْرج إحدى قَبيلَتي العَربِ في يَثْربَ، وهما الأَوْسُ والخَزْرَجُ.

٢ـ أمّا نسبه وكنيته:

فينسَبُ تارَةً لأبيه فيُقال: ابن أُبيِّ، وكثيرًا إلى أُمِّه: سَلول الخزاعيَّة، كانَ عملاقًا يرْكَبُ الفَرسَ فتخطُّ قدَماه في الأرضِ، وسِيمًا جميلًا ممتلئًا، بهيَّ الطَّلْعَةِ حَسَن الجِسْم(٢).. يُكنَّى بابْنِه الأكْبر أبي الحُبابِ.

---

(١) «عبد الله بن سبأ ودوره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام»، د/ سليمان بن حمد العودة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤٠٥-١٩٨٥.

(٢) انظر: «الأعلام»، للزركلي (١٨٨)، و«تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس»، المؤلف: =

٣ـ أسرته وجواريه:

لم أَعْثُرْ علىٰ قُصورِ بَحْثي ما يُشْبِعُ النَّهمَةَ في عدَدِ أبنائِه وبَناتِه وزَوجتِه، فمِن هؤلاء:

أ - ابنُه الأكبرُ الحُباب، وهُو صَحابيٌّ جلِيلٌ، شَهدَ بدرًا وأُحدًا والمشاهِدَ، غيَّر اسْمَه النبيُّ ﷺ إلىٰ عَبدِ الله(١).

ب - ابنَتُه(٢): جمِيلَة صحابِيَّة جلِيلَة:

= حسين بن محمد الديار بكري، الناشر: مؤسسة شعبان - بيروت، (١٢٨٣- ١٨٦٢)، (٢/ ١٤٠)، و«إمتاع الأسماع بما للرسول في الأبناء والأموال والحفدة والمتاع»، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، صححه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة لجنة التأليف للترجمة والنشر- القاهرة، طبع سنة (١٩٤١)، (١/ ٩٩-١٠٥-١٢٠-١٦٠-٤٤٩-٤٥٠)، والمجد (٢٢٣)، «طبقات ابن سعد»، القسم الثاني من الجزء الثالث (٢٩٠). و«ظاهرة النفاق» (١١٥) لحبنكة الميداني. وقد ذكر النووي في شرحه لـ«صحيح مسلم»، أن سلول أمه (٨/ ١٤٠)، أما الزركلي في «أعلامه» (٤/ ٦٥) فقال: «إنها جدته من جهة أبيه»، وذكر إبراهيم بن علي بن سالم: «أنها جدته لأُمِّه». ينظر: كتابه «النفاق والمنافقون في عهد رسول الله ﷺ»، دار الشعب - القاهرة (ص ٤١).

(١) انظر: «الإصابة في تمييز الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» (٢/ ٣٣٦).

(٢) اختلف في ذلك والصحيح أنها أخته، قال النووي: «وقال الخطيب البغدادي في كتابه «الأسماء المبهمة»... وقيل: جميلة بنت عبد الله بن أُبيّ بن سلول. قلت: هكذا رأيته في نسخ كتاب الخطيب، والمشهور جميلة بنت أُبيّ، أخت عبد الله لا ابنته. قال ابن الأثير: «وقيل: كانت بنت عبد الله، وهو وَهَمٌ». ينظر: «تهذيب الأسماء واللغات» (٢/ ٣٣٧).

وقال ابن الأثير: «وكانت تحت حنظلة بن أبي عامر غسيل الملائكة، فقتل عنها يوم أحد، فتزوجها ثابت بن قيس بن شماس، فتركته ونشزت عليه، فأرسل إليها رسول الله ﷺ: «ما كرهت من ثابت؟»، فقالت: والله ما كرهت منه شيئًا إلا دمامته فقال لها: «أتردين عليه حديقته؟»، قالت: نعم، ففرق بينهما، وتزوجها بعده مالك بن الدخشم، ثم تزوجها بعد مالك، خبيب بن يساف». ينظر: «أسد الغابة» (٧/ ٥٢).

قَالَ العلَّامَةُ أحمد شاكِر [١]: «وهذا هُو الصَّحيحُ الذي رجَّحَهُ الحافِظُ ابنُ حَجرٍ وغيره»[٢].

وهي امْرأةُ[٣] ثابِت بن قَيسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانَت قَد أتَتِ النَّبيَّ ﷺ فقالَت: والله ما أعْتِبُ علىٰ ثابِتٍ في دِينٍ ولا خُلقٍ، ولكِنِّي أكْرَهُ الكُفرَ في الإسْلامِ لا أطِيقُه بغضًا، فقالَ لها النبيُّ ﷺ: «أتَرُدِّينَ عَليهِ حَديقَتَه» قالَت: نَعَم، فأمَرَهُ النبيُّ ﷺ أنْ يأخُذَ منها حَديقَتَه ولا يَزْداد[٤]، وكانَتْ قَبلَ ثابت عندَ حَنظَلة بن أبي عامِرٍ غسِيلُ الملائِكَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتزوَّجها بعْدَ ثابِتٍ مالِكُ بنُ الدَّخشمِ، ثُمَّ تَزوَّجها خُبَيْبُ بنُ يِسَافٍ[٥].

---

(١) «تفسير الطبري» (٤/ ٥٥٣).

(٢) قال الحافظ ابن حجر: جميلة بنت أبي الخزرجية، أخت عبد اللَّه بن أبيّ ابن سلول، قال ابن مندة: وكانت تحت ثابت بن قيس بن شماس. ينظر: «الإصابة في تمييز الصحابة» (٨/ ٦٦).

(٣) اختلف في هذه، فقال الخطيب: هذه المرأة: حبيبة بنت سهل. وقيل: جميلة بنت عبد الله بن أبي سلول. ينظر: «الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة» (٦/ ٤١٦)، وقد مر كلام النووي في «تهذيب الأسماء واللغات».

(٤) هذا لفظ ابن ماجه: كتاب الطلاق باب المختلعة تأخذ ما أعطاها ح(٢٠٥٦) قال الشيخ الألباني: صحيح وصرح فيه بذكر جميلة بنت سلول، وعن ابن عباس، أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله، ثابت بن قيس، ما أعتب عليه في خلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «أتردين عليه حديقته؟»، قالت: نعم، قال رسول الله ﷺ: «اقبل الحديقة وطلقها تطليقة». أخرجه البخاري: كتاب الطلاق/ باب الخلع وكيف الطلاق فيه ح(٥٢٧٣)، ولم يصرح فيه باسم امرأة ثابت.

(٥) هو الصحابي الجليل: خُبَيْبُ بنُ يِسَافِ بنِ عِنَبَةَ بنِ عَمْرِو بْنِ خُدَيْجِ بنِ عَامِرِ بنِ جُشَمَ بن الحارث بن الخزرج الأنصاري، الخزرجي، وكان له أولاد: أبو كثير عبد الله، وعبد الرحمن، وأنيسة، وكانت تحته جميلة ابنة عبد الله بنِ أُبَيِّ ابْنِ سَلُوْلٍ، وقد انقرض عقبه. قال الواقدي: هُوَ خُبَيْبُ بنُ يِسَافٍ، تأخر إسلامه حتىٰ خرج رسول الله ﷺ إلىٰ بدر، فلحقه، فأسلم، وشهد بدرًا وأحدًا، قال: وتوفي في خلافة عثمان، وقد انقرض ولده، ويقال في أبيه: إِسَافُ بنُ عَدِيٍّ، كذا سماه: ابن أبي حاتم. ينظر: «سير أعلام النبلاء» (١/ ٥٠١).



ج - أمَّا جَوارِيه؛ فإحْدَاهُما: مُسيكَة، والأُخرىٰ: أُمَيْمة[١]، وزادَ ابنُ كَثير فذَكَر مُعاذَة وأَرْوىٰ[٢].

٤ـ ظهوره وشهرته:

ظَهر الشِّقاقُ واضحًا بينَ الأَوْسِ والخَزْرجِ في المدينةِ، وذلك بسَبب خِلافاتٍ بين أفرادٍ من الطَّائفتينِ، وكانت النَّعرَةُ القَبليَّةُ والعَصبيَّةُ والعشائِريَّةُ هي الَّتي تثورُ فينتَقِمُ كلُّ فَريقٍ من الآخَرِ، وكانت الحُروبُ والمشاحناتُ بَينهم لا تَهدأُ، ولعلَّ في وُجودِ اليَهودِ فيما بَينهم أكْبَر عامِلٍ للفُرْقَة والخِصام، جَريًا علىٰ عادَةِ اليَهودِ في تَفْريقِ الصفِّ وبثِّ الفُرْقةِ والانقِسامِ بينَ النَّاسِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، وإلَيهم يعودُ ما حصَلَ للأوسِ والخَزْرَجِ في المدينَةِ؛ حيثُ أوْقَدَ اليهودُ نارَ الفِتْنةِ لأسْبابٍ عَديدَةٍ تهمُّ اليهودَ ليسَ هذا موضِعُ بحْثِها، وهذه الفِتَنُ والحُروبُ المتلاحِقَةُ تُعطِينا صُورَةً واضِحَةً للحالَةِ السيِّئة التي كانَتْ عليها المدِينَةُ قبْلَ مَجيءِ الرَّسُول ﷺ، وهِجْرته إليها.

وقَد لمعَ اسْمُ عبْدِ الله بنِ أبيٍّ في هذه الحرُوبِ كسيِّدٍ مُطاعٍ لقَبيلتِه، وكانَ أوَّل ظهورِهِ في حَرْبِ الأَوْسِ والخَزْرَجِ **يَومَ السَّرارة**[٣]، الذي اشتدَّ فيه القِتالُ بين

(١) انظر: «صحيح مسلم»: كتاب التفسير/ باب في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ [سورة النور:٣٣] (٣٠٢٩).

(٢) ينظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٨).

(٣) «السَّرارة»: علىٰ لفظ تأنيث الذي قبله موضع قريب من المدينة بين الشرعبي ورابخ، كانت فيه حرب بين الأوس والخزرج، ويوم من أيامهم في حرب حاطب يعرف بيوم السرارة قال قيس بن الخطيم:

ألا إن بين الشرعبي ورابخ ضرابا كتخذيم السيال المعضد.

«معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع»، المؤلف: عبد الله بن عبد العزيز البكري =

عَمْرو بن عَوف من الأَوْسِ، وبَني الحارِث مِن الخَزْرجِ، وكانَ السَّببُ: أنَّ رجلًا مِن بني عَمْرو قَد قتَلَهُ رَجلٌ من بَني الحارث فَعَدا بنو عَمْرو علىٰ القاتِلِ فقتَلُوه غَيلةً، فاسْتكشَف أهْلُه فعَلِمُوا كيفَ قُتِلَ؛ فتهيَّؤا للقتالِ وأرْسَلوا إلىٰ عَمْرو بن عَوفٍ يُؤذِنونهم بالحَربِ، والتقوا بمكانٍ يقالُ له: السَّرارَة، وعلىٰ الأَوْسِ حُضير بن سِماك[١] والد أُسَيْد بن حُضَير، ومعَ الخَزْرَجِ عَبدُ الله بن أُبيٍّ بن سَلول، فاقْتتلُوا قِتالًا شَديدًا دامَ أرْبَعة أيَّامٍ ثُمَّ انصَرفَ الأَوْسُ إلىٰ دَورِهم، وتبادَلَ شُعراءُ الأَوْسِ والخَزْرجِ الفَخْرَ بما حدَثَ، وكانَ عبدُ الله بن أبيّ يشْتَرِكُ في الحروبِ التي أَتَتْ بعْدَ ذلك بصِفَةٍ مُستمِرَّة.

ثمَّ تولَّىٰ ابنُ سَلولٍ قيادَةَ الخَزْرجِ **يوْمَ الفجارِ**[٢]، وهي حَربٌ قامَتْ بين

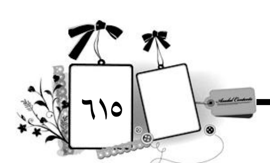
= الأندلسي أبو عبيد، تحقيق: مصطفىٰ السقا، الناشر: «عالم الكتب» – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣ (٣/ ٧٣١)، وينظر: «الكامل في التاريخ»، لابن الأثير (١/ ٦٦٢)، «قصة الأدب في الحجاز» المؤلف: عبد الله عبد الجبار محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية (ص٤٠٧).

(١) هو: حُضير بن سِماك بن عتيك بن امرئ القيس، كان شريفًا في الجاهلية. وكان رئيس الأوس يوم بعاث وهي آخر وقعة كانت بين الأوس والخزرج في الحروب التي كانت بينهم. وقتل يومئذ حضير الكتائب. وكانت هذه الوقعة ورسول الله ﷺ بمكة قد تنبىٰ ودعا إلىٰ الإسلام. ثم هاجر بعدها بست سنين إلىٰ المدينة. ولحضير الكتائب يقول خفاف بن ندبة السلمي:

لو أن المنايا حدن عن ذي مهابة ... لهبن حضيرًا يوم غلق واقما

وكان يكتب بالعربية في الجاهلية وكانت الكتابة في العرب قليلًا. وكان يحسن العوم والرمي. وكان يسمىٰ من كانت هذه الخصال فيه في الجاهلية الكامل. ينظر: «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد(٣/ ٤٥٣).

(٢) قال ابن الأثير: يوم الفجار الأوّل للأنصار، وليس بفجار كنانة وقيس. فلمّا قتلت الأوس الغلمان جمعت الخزرج وحشدوا والتقوا بالحدائق، وعلىٰ الخزرج عبد اللهَّ بن أبيّ بن سلول، وعلىٰ الأوس أبو قيس بن الأسلت، فاقتتلوا قتالًا شديدًا حتّىٰ كاد بعضهم يفني بعضًا. وسمّي ذلك اليوم يوم الفجار لغدرهم بالغلمان، وهو الفجار الأوّل، فكان قيس بن الخطيم في حائط له =



القَبيلتينِ لِقَتْلِ الأَوْسِ ثلاثمائة من غِلْمانِ الخزْرجِ كانوا رَهنًا للدِّياتِ في صُلحٍ سابِقٍ بينهم، ولكنَّ ابنَ أُبيّ خرَجَ على الخزْرجِ ورَفضَ الخرُوجَ مَعَهم في حَرْبِ الفجارِ الثانيَةِ التي أعْلَنتها الأَوْسُ ضِدَّ الخزْرجِ، وذلِكَ لأنَّ الخزْرجَ في هَذا الوَقْتِ نقَضَتْ عَهدَها بدُونِ سَبَب، وكانَ العَهْدُ بينها وبين يَهودِ بنِي قُريظَة وبَني النَّضير ألَّا يُناصِرُوا الأوْسَ، وأوْدعَ الخزْرجَ أرْبعينَ غلامًا رهنًا لعَدمِ التَّعاون معَ الأوْسِ، فقالَ عبْدُ الله بن أبيّ: هذا بَغْيٌ وإثْمٌ، ونَهى عن قَتْلِهم كما نَهى مَن دَعا إلى ذَلِك، وهو عَمْرو بن النُّعمان البياضيّ، وحذَّره عاقِبَة البَغيِ، ولم يَقْتُل عبْدُ الله بن أبيّ ومَن أطاعَهُ مَن كانَ لدَيهِم من الغِلْمانِ وأطْلَقوهم[1].

وقد تخلَّف يومَ بُعاثٍ المشْهور، ولم يَخْرُجْ مَع قَومِه، وكانَ قائِدُ الخزْرجِ عَمْرو بن النُّعمان البياضيَ، وانْهزَمَت الخزْرَجُ، وقُتِل قائِدُها عَمْرو المذكور، فمرَّ عليه ابنُ أبيّ وكانَ يومَها يتحسَّسُ الأخبارَ، فلمَّا رآه قال: ذُقْ وبَالَ البَغْي[2].

○ ميلُ الأوس والخزرج إلى الوئام وترك الحروب:

كانَ **يومُ بُعاث**[3] آخِرَ حُرُوبهم الخاسِرَة بَعْدما أكَلَتِ الحَرْبُ بينَ الأوْسِ

= فانصرف فوافق قومه قد برزوا للقتال فعجز عن أخذ سلاحه إلَّا السيف ثمَّ خرج معهم، فعظم مقامه يومئذ، وأبلى بلاء حسنًا، وجرح جراحة شديدة، فمكث حينًا يتداوى منها، وأمر أن يحتمي عن الماء، فلذلك يقول عبد اللهَّ بن رواحة:

رميناك أيّام الفجار فلم تزل حميّا فمن يشرب فلست بشارب

ينظر: «الكامل في التاريخ» (١/ ٦٧٦).

(١) «النفاق والمنافقون» (ص٤١-٤٢) لإبراهيم بن علي سالم.

(٢) «الكامل في التاريخ» (١/ ٦٠٢) لابن الأثير.

(٣) «بُعاثٌ»: بضم أوله وعين مهملة هو المشهور فيه، وحكي عن الخليل بغين معجمة، وقيده الأصيلي بالوجهين، وهو عند القابسي بغين معجمة وآخره ثاء مثلثة بلا خلاف، وهو موضع بالمدينة على ليلتين، والأشهر ترك صرفه، ويجوز صرفه حكاه في «المطالع»، وعند أبي ذر بالمعجمة =

والخَزْرجِ أُخْضَرَهم ويابِسَهُم، وتعطَّلَتْ مصالِحُهم، وفَنِيتْ قُواهُم، ولحِقَهُم الضِّيقُ، فمالوا إلىٰ الاسْتِقْرار والتفرُّغ لمصالِحِهم بدلًا من الحُروبِ النَّفسِيَّة والجِسْمِيَّة، وأحبُّوا تقْلِيدَ الأُمِمِ الأُخْرىٰ ذات النِّظام الملكي المسْتَقِرّ، كما هو الحالُ في الحِيرةِ والشَّامِ، ورَأَوا أنَّه من المصْلَحَةِ العُليا لكِلا الطَّرفينِ تَتْويج وَاحِدٍ مِنهم ليَكُون مَلِكًا عَليهم يفضُّ المنازَعاتِ والخُصوماتِ، ويقْضِي علىٰ الفُرقَةِ والانقِسامِ التي هِي علَّتهم الدَّائِبة والدَّائِمَة؛ حيثُ اليهودُ يوقِعُون بيْنَهم ويُعمِّقُون شقَّةَ الخِلافَ والبَغْضاءَ..

○ فعزم الجانبان علىٰ تتويج عبد الله بن أبي ملكـًا علىٰ المدينة:

رَوىٰ المؤرِّخونَ أنَّ الأوْسَ والخَزْرجَ لَمَّا سَئِموا القِتالَ وأنْهكَتْهم الحرُوبُ الخاسِرَةُ التي لا طائِلَ تَحتَها، اتَّفقوا علىٰ تَتْويجِ عَبدِ الله بنِ أبيِّ بن سَلولٍ ليَكونَ مَلكًا عَليهم في المدينَةِ النَّبويَّة، لما رَأَوا فيه من الحِكْمَةِ والعَدْلِ والحِلْمِ والكَياسَةِ، وحُسْن السِّياسَة، وبراعَةِ التَّدبيرِ، وقُوَّةِ الشَّخصيَّةِ، وبُعْدِ النَّظرِ هكذا تصوَّرُوا.

لكنَّ الأيَّامَ والأحداثَ والتَّجارِبَ أثْبتَتْ أنَّ الرَّجلَ خِلافَ ذَلك، وأنَّه عارٍ تمامًا

= بلا خلاف، وأنكر غيره، قال العسكري: لم يسمع من غير الخليل، وقال الأزهري: صحفه ابن المظفر، وما كان الخليل ليخفىٰ عليه هذا اليوم؛ لأنه من مشاهير أيام العرب، وإنما صحفه الليث وعزاه إلىٰ خليل نفسه وهو لسانه، وأما النووي فعزاها إلىٰ أبي عبيدة معمر بن المثنىٰ، وقال القاضي عياض: بضم أوله لا غير وعين مهملة كذا عند أكثر أهل اللغة والرواة وحكىٰ أبو عبيدة عن الخليل فيه المعجمة وضبطه الأصيلي بالوجهين وبالمعجمة عند القابسي وآخره ثاء مثلثة. وقال ابن الأثير: أعجمها الخليل، لكن جزم وموسىٰ في ذيل الغريب، وتبعه صاحب النهاية، بأنه تصحيف. وهو يوم من أيام الأوس والخزرج معروف، وذكره الواقدي وابن إسحاق، وكان الظهور فيه للأوس. ينظر: «مطالع الأنوار علىٰ صحاح الآثار» (١/ ٥٨٨)، «التوضيح لشرح الجامع الصحيح» (٢٠/ ٣٧٨)، «مشارق الأنوار علىٰ صحاح الآثار» (١/ ٢٢٦)،)، «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري»، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبىٰ بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفىٰ: ٩٢٣هـ)، الناشر: المطبعة الكبرىٰ الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ (٢/ ٢٠٤).

من جَميعِ الصِّفاتِ النَّبيلةِ، وأنَّه كَما وصَفَهُ القرآنُ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [سورة المنافقون:٤] ، كما سَنعرضُ لهذا فيما بعْدُ بشَيء مِن التوسُّعِ بمشيئةِ الله، وصَارُوا يعدُّون العُدَّة لهذا التَّتويجِ، غَيرَ أنَّه حصَلَ ما لم يكُن في حُسْبانِ عبدِ الله بن أبيٍّ، وتغيَّر النَّهجُ واخْتلَفَ الخَطُّ الذي سَلكُوه مَعَه، فبَعْدَ أنْ قَصَدَ حُجَّاجُهم مكَّة واجتَمَعوا بالرَّسولِ ﷺ هناك، وشرَحَ اللهُ صُدورَهُم لدَعْوَتِه ورحَّبوا بقُدومِه إلَيْهم وهِجْرتِه إلى مَدينتِهم؛ حيثُ اختصَّهم اللهُ بذلك، وأنْعَمَ علَيْهم وأكْرَمهم به فاسْتَبْدلُوا الأدْنى بالَّذي هُو خَير.

فكما هُو مَعْلومٌ اجتمَعَ وفْدُهم بالرَّسولِ ﷺ في العَقبةِ ثُمَّ بايَعُوه وقَبلُوا دَعوتَهُ ومجيئَهُ وهِجْرتَه إليهم، كما اتَّفقُوا على أنْ يكونَ العامُ التالي عامَ هِجْرتِه إلى بَلدِهم حينَ طلَبَ مِنهُم ذلك، وتعهَّدوا له بالحمايَةِ، فلَمَّا قَدِموا المدِينَةَ واجْتَمَعوا مَعَ قَوْمِهم دَعوهم إلى الإسْلامِ وإلى مُناصَرَةِ رَسولِ الإسلام ﷺ فلَقِيَتْ هذِهِ الدَّعوةُ المبارَكةُ قلوبًا زكيَّة عدلَت عن توليَةِ عَبدِ الله بن أبيّ بن سلول [١]، لوثُوق الجانِبَينِ أنَّه ﷺ هو الشَّخصُ الوَحيدُ الذي يسْتَطِيعُ أنْ يجْمَعَ الشَّتاتَ، ويؤَلِّفُ القُلوبَ، ويَقْضِي على الحزازاتِ والعَداواتِ السَّابقَةِ التي تَراكمَتْ فيما بينهم إثْرَ الحرُوبِ المتَلاحِقَة، ويتبيّن من موقِفِهم أيضًا أنَّهم وإن كانُوا في البدايَةِ قَد عَقَدُوا العَزْمَ على تَتويجِ ابنِ أبيّ، إلَّا أنَّهم لَيسُوا واثقِينَ تمامًا من حُسْنِ قيادَتِه وتَدبيرِه، فهُو واحِدٌ منهم وينتمي أيضًا إلى إحْدى القَبيلتَينِ المتَحارِبتَينِ أصلًا.

أمَّا مواقِفُه التي وُصِفَت بالحِكْمَةِ والحِلْمِ فقَدْ تكونُ لأغْراضٍ في نَفْسِه أمْلَتْها

---

(١) انظر: «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى»، السمهوري، تحقيق: محمد بن محي الدين بن عبد الحميد، طبعة: دار إحياء التراث العربي/ بيروت، (١/ ١٥٥)، وابن خلدون (١/ ٢٩٠ – ٢٩٢).

عليه رغبَتُه الجامِحَةُ إلى السُّلطَةِ وتولِّي زَعامَةِ الجانِبَين، كما أنَّ عَلاقَتَه باليَهودِ استَمرَّتْ حَتى وفاتِه ولَم تنْقَطِعْ رغْمَ إظهار إسْلامِه، وقَد يكونُ اليَهودُ كذَلكَ وراءَ الرَّغْبة في تَوليتِه ليَتمكَّنُوا من إحْكامِ السَّيطَرةِ على المدينة من خِلالِه؛ لتَنْفِيذَ ما يُخطِّطونَ ويُفْسِدون، كما هو الحالُ والمشاهَدُ في كلِّ عَصْر ومِصر، فاليَهودُ دائمًا وأبدًا وراءَ كلِّ شَخْصٍ يُعِدُّونه ويهيِّؤنه للسُّلطة والقِيادَة.

٥- متى أظهر ابن سلول وحزبه نفاقهم؟

مما لا شكَّ فيه أنَّ مَعركَةَ بَدرٍ كانَ لها أثَرٌ كَبيرٌ عَلى أعْداءِ الإسْلامِ في المدينَةِ من اليَهودِ والمنافقِينَ؛ فإنَّ انتِصارَ فِئَةٍ قليلَةٍ مِن المؤْمنينَ - لم تخْرُج لقِتالٍ- عَلى جَيشٍ كَبيرٍ قَد خرَجَ للقِتالِ وهُو بكامِلِ اسْتِعدادِه ليسَ بالأَمْرِ الهيِّن.

ولقَدْ كَان هذا الانتِصارُ كافيًا لإقْناعِ المتردِّدين في أَمْرِ الدُّخولِ في الإسْلامِ بأنَّه دِينٌ عَزيزٌ، وأنَّه يمْلِكُ قوَّةً أعْلى من قُوّة البَشرِ الَّتي ألِفُوها، هَذه القُوَّةُ هي التي تنْصُرُه على أعْدائِه، وتُدافِعُ عَنه وَقْتَ الشَّدائِد.

ولقَدْ أوقعَ اللهُ الرُّعبَ في قُلوبِ الذينَ شَرقوا بالإسْلامِ مِن أهْلِ المدِينَة والمتردِّدينَ مِنهم حِينما رَأَوا تِلكَ الفِئَةَ القَليلةَ من المؤْمِنينَ تُطيحُ بعِزَّة أعْلى قَبيلَةٍ في العَربِ، قَد خرَجَتْ بفَخْرِها وخُيلائِها فخَضَعُوا للإسلامِ، وأعْلَنوا الدُّخولَ فيه.

ومن أُولئِكَ الَّذين تَظاهَرُوا بالإسلامِ بَعْدَ بَدرٍ عَبدُ الله بن أبيّ بن سَلولٍ كما روى البخاريُّ (١) عن أُسامَةَ بن زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّه قال: «... فلَمَّا غَزا رَسولُ الله ﷺ بدرًا فقَتَلَ اللهُ به صَنادِيدَ كُفَّار قُريشٍ، قالَ ابنُ أبيّ بن سَلولٍ ومَنْ مَعه مِن

(١) ينظر: البخاري: كتاب التفسير﴿وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ﴾ [سورة آل عمران:١٨٦]، ح(٤٥٦٦).

المشْرِكِينَ، وعبدَةُ الأوثان: هذا أَمْرٌ قد توجَّه، فبايَعُوا الرَّسولَ ﷺ على الإسْلامِ فأسْلَمُوا»(١).

وهنا يرد سؤال مهمٌّ ألا وهو:

إذا كانَ رأْسُ النِّفاقِ ومَن شايَعَهُ وتابَعَه على النِّفاقِ لم يتَّخِذُوه مَسْلكًا ويَسْتَعْلنوا بالإسْلامِ ظاهِرًا إلَّا بَعْدَ غزْوَة بَدْرٍ، فكيفَ يُوفَّق بينَ هذا وبَينَ ما وَرَدَ من آياتٍ تُشيرُ إلى وُجودِ النِّفاقِ وطائِفَة من أهْلِه قُبيل الغَزوَةِ كَما في قولِهِ تَعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الأنفال:٤٩]؟.

قالَ ابنُ جَرير الطبريُّ: «كانَ ناسٌ من أهْلِ مَكَّةَ تكلَّموا بالإسْلامِ فخَرَجُوا مَع المشْرِكينَ يوْمَ بَدرٍ، فلمَّا رَأَوا قِلَّة المسْلِمينَ قالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ [سورة الأنفال:٤٩]»(٢).

هُم من فِئَة غَيرِ المنافِقينَ بدلِيلِ عَطْفِهم على المنافِقِينَ مَع أنَّ المنافقينَ في قُلوبِهم مرَضٌ، لكنَّ المرَضَ الذي في قُلوبِ المنافقين مَرَضٌ خُلُقيٌّ شَنيعٌ أَوصَلَهم إلى رُكوبِ مَركبِ النِّفاقِ، جازِمينَ بأنْ يكونَ ظاهِرُهم على خِلافِ باطِنِهم.

أمّا هذه الفِئَةُ فلَم تنافِقْ، ولكنْ منهم مَن كان لَديه مَيلٌ إلى الإسْلامِ، وقَد انتَمَوْا إلى الإسْلامِ صادِقينَ غَير أنَّ الإيمانَ لَمَّا بَعْدُ يدْخلُ في قُلوبِهم، فمرَضُهم إذًا هُو من قَبيلِ مَرضِ الشَّكِّ في صِحَّةِ القاعِدَةِ الإيمانيَّة، ومرضُ عَوارض الشُّبهات التي

(١) «المنافقون في القرآن الكريم»، د/ عبد العزيز الحميدي (ص ٨١) السعودية - دار المجتمع - الطبعة الأولى - ١٤٠٩ - ١٩٨٩

(٢) ينظر: «تفسير الطبري» (١٠/ ٢١)، وإسناده صحيح إلى الشعبي ولكنه مرسل وتعضده روايات أخرى. قاله د/ عبد العزيز الحميدي (ص٦٨) في رسالته «المنافقون في القرآن الكريم».

تُورِثُ القلقَ والحيرَةَ معَ الرَّغبةِ في السَّلامةِ والحِرْص علىٰ النَّجاةِ مِن عذابِ الله، والرَّغبة في الحُصُولِ علىٰ الأَجْرِ الموعُودِ به لأَهْلِ الإيمان والإسْلامِ إذا كانَ الأمْرُ حقًّا(١).

قالَ المنافِقُون وقالَ الذين في قُلُوبهم مرضٌ دُونَ النِّفاقِ، وهُو مَرَضُ الشَّكِّ والتردُّدِ مع أنهم منتسبون إلىٰ الإسلام، لكن لَمَّا يدْخُلِ الإيمانُ في قُلوبِهم: غرَّ هؤلاءِ الذين خَرَجوا لاعْتِراضِ قافِلَةِ قُريشٍ ومُصادَرَتها، غَرَّهم دينُهم فتورَّطوا وألْقَوا أنفُسَهم بأيدِيهم إلىٰ التَّهلُكَة، ودفَعُوا بأنفُسِهم إلىٰ مواجَهةِ جَيشٍ قويٍّ لا قِبَلَ لهم به، فضلًا عن الانتِصارِ عليه.

فأبانَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أنَّ مقالَتَهم باطِلَةٌ ساقِطَةٌ ببُرهانِ الواقِع، فالرَّسولُ ﷺ والَّذينَ خرَجُوا معَهُ إلىٰ بدْرٍ منَ الصَّحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قد انتَصَرُوا معَ كثْرَةِ عدوِّهِم عَددًا وعُدَّة، إلىٰ جانبِ كِبْريائِهم وخُيلائِهم وجَبَروتِهم.

وقد أمدَّ اللهُ القلَّةَ المؤْمِنةَ بجُنودٍ من الملائِكَةِ يضْرِبونَ وُجوهَ الكافِرينَ وأدْبارَهُم فذاقُوا العَذابَ علىٰ أيدِيهم حتَّىٰ وقَعُوا صَرْعىٰ قَتْلىٰ، وقيل لهم: ذُقْتُم في المعْرَكَةِ عذابُ الضَّرْبِ والقَتْلِ، وذُوقُوا يَوْمَ الدِّين عَذابَ الحريقِ في جهنَّمَ وبِئْسَ المصيرُ(٢).

ومن هنا بدَأَ رأْسُ النِّفاقِ يتَظاهَرُ بالوُدِّ، ويُعلِنُ التَّأْييدَ ويَسْتعْلِن بالإسلامِ هُو ومَن مَعَه لحَقْنِ دِمائِهم، وصِيانَة أمْوالِهم، وليتَّخذوا ذلِكَ ستارًا يكيدُونَ مِن وَرائِه للإسْلامِ وأهْلِه..

---

(١) «ظاهرة النفاق»، (ص ٢٤٤) د/ حنبكة الميداني.

(٢) «ظاهرة النفاق»، (ص ٢٤٢) د/ حنبكة الميداني.



٦ـ موالاته لليهود.

لَمَّا أفلَت الزِّمامُ من يَدِ عَبدِ الله بن أبَيّ بن سَلولٍ، وضاعَتْ آمالُهُ وتحطَّمت أحلامُه في المُلْكِ والسِّيادة علىٰ قَومِه، وبدافِعٍ منَ الحِقْدِ والبُغضِ لهذا الحدَثِ الجديدِ الَّذي حلَّ بالمدينَةِ فأضاءَتْ لَه جنَباتُها، وتغيَّرَ الناسُ من حَولِه وتَركُوا زَعامَتَه ومُحاوَلَةَ تتْويجِه، وانْصَرَفوا للدَّعوةِ الجَديدَةِ التي هِي مَطْلوبهم، والتفُّوا حَولَ الرَّسولِ ﷺ لينْهلوا من مَعينِه الصَّافي العَذْب الزُّلال.

فشَعرَ هذا الماكِرُ الخبيثُ ابنُ أبَيٍّ أنَّه قد خَسِرَ ما كانَ يرْجُوه، وأحسَّ بفَراغٍ حولَهُ، ولأنَّ عُقْدَة السُّلطةِ والرِّئاسَةِ متأصِّلة في نَفْسِه فقَد اسْتَبْدلها بالَّذي هو خَير- في نَظرِه- فأخذَ يجْمَع الشُّذَّاذَ حوْلَه من المنافِقينَ والمناوِئينَ للدَّعْوة عُمومًا، والتفُّوا حَولَ اليهودِ مَعْقل المنافِقين وأسْيادهم، وأخَذُوا يخطِّطُون مَعَهم للإطاحَةِ بالنبيِّ ﷺ، وإحْباطِ دَعوتِه، وتشْويهِ رِسالَتِه ومُضايَقتِه.

وكانَ عبدُ الله بن أبَيٍّ بن سَلول يرَىٰ في هَذه الفِئَةِ الضَّالَّة ضَالَّتَهُ، وظَنَّ أنه بفِعْلِه هذا سيعْمَلُ شيئًا، وأنَّ هذا العَملَ العُدواني الذي قامَ به كَفيلٌ بإحْداثِ أُمورٍ يَهْواها ويأْنَسُ بها ضِدَّ الرِّسالَةِ المحَمَّديَّة، وقَدْ قامَ فعلًا في وَجْه هَذه الدَّعوةِ ونَصَبَ الحبائِلَ وزَرعَ الأشْواكَ، وبَدَأَ يرْقُبُ سَيرَ الدَّعوةِ، ويُحاولُ التَّشويشَ عليها وتشويهها، فبَاءتْ بحَمْدِ الله كُلُّ محاولاتِه ومَكائِده بالفَشْلِ الذَّريعِ، وكانَ في نِهايَةِ أمْرِه منَ الخاسِرينَ.

لقَد كانت صِلَةُ المنافقين بإخْوانِهم منَ اليَهودِ حَميمةً ووطِيدَةً، والمواقِفُ التي سبقَ ذِكْرُها وما سيأتي -بإذْنِ الله- تؤكِّد مدىٰ الارْتباطِ الوثيقِ بينهما[1]، فمما

---

(١) وقد سبق حديث عن ذلك في بعض الأبواب والمباحث الماضية كما في (ص١٦٥، ٣٢١).

سلَفَ ذِكْره أنَّ المنافقينَ جُرثومةٌ يهودِيَّةٌ هُم الذين بَذَروا نبْتَتها، وسقوا غَرْسَها حتى أخْرَج ذلك الزَّرعُ شَطْأَه فآزَرَهُ فاسْتَغْلظَ فاسْتَوى على سُوقِه؛ ليَغِيظُوا بهم المؤْمنينَ، ويصُدُّوا بهم عَن سَبيلِ الله.. وبيتُ القَصيدِ في هذا المبحثِ: تَسْليطُ الضَّوءِ على صِلَةِ رَأسِ النِّفاقِ بهذه الفِئَةِ من اليهودِ، وما كانَ بينهما من حَميمِ علاقَةٍ، ولحمةِ تَوافُقٍ، وآصِرةِ تآزُرٍ على الإثْمِ والعُدْوانِ، فمِن ذلِكَ:

أ- شفاعة ابن سلول في اليهود:

كان للنَّبيِّ ﷺ مع طوائِفِ اليَهودِ لَمَّا قَدِمَ إلى المدينَةِ مهاجِرًا مُعاهَدة تضمَنُ الحقُوقَ وتقُومُ على المسالَمةِ وعدَم الغَدْرِ والخِيانَةِ والدِّفاعِ عَن المدِينَةِ مِن أيِّ اعْتداءٍ، إلى غَيرِ ذلك مما كانَ ظَرْفُ مرْحَلةِ الدَّعوةِ الإسلاميَّةِ يقْتَضِيه في ذَلِكَ الوَقْتِ(١)..

لكنَّ اليهودَ نقَضَتْ عُهودًا؛ فكانَ أوَّلُ طوائِفِ اليَهود نقضًا للعَهدِ وإخفارًا للمواثيق بنو قَينُقاع، وقد ذكَرَتْ كتُبُ السِّيرةِ سَببينِ لما أسْمَوْه بغَزوَةِ بني قينقاع:

السببُ الأول: أنَّ يهودَ بني قَينُقاع أظْهروا الغَضبَ والحسَدَ عِندَما انتصَرَ المسْلِمُون ببدْرٍ، ويظْهر ذلك في مَوقِفِهم من رَسولِ ﷺ عندَما جمَعَهم في سُوقِهم بعْدَ بَدرٍ وقالَ لهم: أسْلِمُوا قبلَ أنْ يُصيبَكُم ما أَصابَ قُريشًا، فقالوا: يا مُحمَّد، لا يغرنَّك من نَفْسِك أنَّك قتلْتَ نفرًا في قُريشٍ كانوا أغمارًا لا يعْرِفُونَ القِتالَ، إنَّك لو قاتَلْتنا لعرَفْتَ أنَّا نحْنُ النَّاس، وأنَّك لم تلقَ مِثْلنا، فأنزَلَ اللهُ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝١٢ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَاۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [سورة آل عمران: ١٢-١٣](٢).

---

(١) انظر: «تفاصيل هذه المعاهدة» (ص٣٠٦).

(٢) حسّن إسناد هذه الرواية الحافظ ابن حجر في الفتح (٧/ ٣٣٢).



والسببُ الثاني: هو أنَّ أحدَهم عقدَ طَرَفَ ثَوبِ امْرأةٍ مُسلِمَةٍ في سُوقِ بني قَينُقاع، فلَمَّا قامَتْ انكشفَتْ، فصاحَتْ مُستَنجِدَةً، فقامَ أحَدُ المسْلِمينَ فقَتَلَ اليهودِيَّ، وتواثَبَ عليه اليهودُ فقَتلُوه، فاسْتصْرَخَ أهْلُ المسْلِم المسْلِمينَ على اليَهودِ، فغَضِبَ المسلمونَ، ووقَعَ الشرُّ بيْنَهُم وبينَ بني قَينُقاع(١).

فلَمَّا نقَضُوا العهدَ وأظْهَروا العَداوَةَ نبَذَ إليهم النبيُّ ﷺ على سَواءٍ ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [سورة الأنفال:٥٨].

وكانوا صاغَةَ ذهَبٍ وحُلفاءَ لابْنِ سَلول، وكانوا أشْجَعَ اليهودِ، وحاصَرَهُم خَمْسَ عَشْرة ليلَة، وعندَما اشتدَّ عليهم الحصارُ نزَلُوا على حُكْمِ الرَّسولِ ﷺ على أنَّ لَهم أمْوالهم والنِّساءَ والذُّرِّية، فأمَر بهم فكُتِّفوا ثمَّ كلَّمه فيهم حليفُهُم ابنُ سَلول فقالَ: يا محمَّد أحْسِنْ في مَوالي، فأعْرَضَ عنه وألَحَّ في ذلِكَ قائلًا: أربعمائة حاسِر وثلثمائة دارع منعُوني من الأحْمَرِ والأسْوَدِ وتحْصُدُهم في غَداةٍ واحِدَةٍ؟، فقالَ رسولُ الله ﷺ: «هُم لَكَ»(٢)، وأمَرَ بهم أنْ يُجلَوا عن المدينة، وتولَّى أمْرَ ذلِكَ عُبادَةُ بنُ الصَّامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فلحِقُوا بأذْرِعاتٍ وتولَّى قَبْضَ أمْوالِهم محُمَّد بنُ مسْلمَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ؛ فقُسِّمَت بين الصَّحابَةِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بعْدَ إخْراجِ الخُمْسِ للرَّسولِ ﷺ(٣).

---

(١) ابن هشام (٣/ ٧٠) بإسناد ضعيف، السندي (ص٧٩)، والعمري: المجتمع المدني، التنظيمات (ص ١٣٧)، والألباني: دفاع (ص ٢٦-٢٧)، والرواية يستأنس بها ذكر ذلك د/ مهدي رزق في السيرة النبوية (١/ ٤٥٢).

(٢) ابن إسحاق بإسناد منقطع، ابن هشام (٣/ ٧٠-٧١)، والواقدي (١/ ١٧٧-١٧٨)، وابن سعد (٢/ ٩٢) بدون إسناد وفيه الآية، وجاء خبر تشبث ابن سلول ببني قينقاع في أثرين ضعيفين لابن إسحاق؛ لأنهما موقوفان على عاصم وعبادة، ولكن كل منهما يقوي الآخر ويرتقيان إلى درجة الحسن لغيره، ويقوي ذلك أكثر أهل المغازي والسير. «السندي» (ص ٩٦).

(٣) أخرجه ابن هشام في «السيرة النبوية» (٣/ ٧٠)، وابن سعد: «الطبقات الكبرى»، وضعفه الألباني في «الدفاع عن الحديث النبوي» (ص٢٦).

وكانَ عُبادَةُ بن الصَّامتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد تبَرَّأ من حِلْفِهم عندَما حارَبُوا الرَّسولَ ﷺ وفيه وفي ابنِ سَلول نزلَ قولُ الله تَعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [سورة المائدة: ٥١- ٥٢](١).

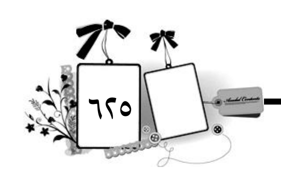
لقد جاءَ عُبادَةُ بنُ الصَّامتِ إلىٰ المصْطَفىٰ ﷺ، وكانَ عُبادَةُ أَحَدَ بنِي عَوفٍ لَهم من حِلْفِه مِثل الذي لهُم مِن ابن سَلول، فخلَعَهم إلىٰ رَسولِ الله ﷺ وتبرَّأ منهم، وتولَّىٰ اللهُ ورسولُهُ والذين آمنوا، فكانَ قولُهُ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة المائدة: ٥١].

وهكذا يتبيَّن من هذِهِ الحادثَةِ وَثيقُ العَلاقَةِ بينَ الطَّرفينِ؛ إذْ كُلُّ واحدٍ منهم خادِمٌ لمصالح الآخرِ محقِّقٌ لأطْماعِه، ولم يخلُ زَمانٌ ولا مكانٌ من مِثْلِ هَذه العناصِرِ النِّفاقيَّة التي تنْخُر العَظْمَ، وتفتُّ في العَضُدِ، وتُوهِنُ العَزائِمَ، الذين يصِلُون إلىٰ الأعداءِ سرًّا ويتَحالَفُون معهم خِيانَةً وغَدْرًا، وهُم في مناحٍ وزَوَايا عَديدَة من إداراتٍ ووَزَاراتٍ وشَركاتٍ وقِطاعاتٍ حُكومِيَّة وغَير حُكوميَّة، وأُخُصُّ بالذِّكر التَّعليمَ والإعلامَ في دُوَلٍ إسْلامِيَّة كَثيرَة.

إنَّ مَن يتأمَّل مُنافَحَةَ ابنِ سَلول عن إخْوانِه مِن هَؤُلاء اليَهودِ لَيجِدْ أنَّ لَه من بعْدِه أحْفادًا وذرِّيَّة سَلكوا الطَّريقَ نَفْسَه، فهُم لأسْيادِهِم الغَربيينَ من يَهودٍ ونَصارىٰ يُمجِّدُونَ، وعَلَيهم يَثْنُونَ، وبِهم يُفاخِرُونَ ويَتشبَّهونَ، بلْ ويجْهدُون في الأخْذِ بحُجَزِ الأُمَّةِ لتَحْذُوا حَذْوَهم، وتَسيرَ في رِكابِهم.

---

(١) روىٰ الخبر ابن إسحاق بسند مرسل، ابن هشام (٣/ ٧١-٧٢)، والخبر يتقوىٰ مع المتابعات والشواهد، انظر: «السيرة النبوية» (١/ ٤٥٤) لمهدي رزق.



إنهم المنافقون الجدد:

الَّذين تنكَّروا لدِينهم ومُجْتمَعاتِهم ومُسلَّماتِهم وقِيَمِهم ورَضُوا بالهَوانِ والتَّبعيَّة، فسَعَوْا في مَناهِجَ دِينيَّةٍ فقلَّصُوها، ومن كلِّ عداءٍ لأعْداءِ الدِّينِ جَرَّدُوها؛ ليَنْشأ جيلٌ لا وَلاءَ له لمؤْمِنٍ، ولا بَراءَ في وجْدانِه وشُعُوره من كافِرٍ، لقَد أتَوْا علىٰ مَعاهِدَ شَرعيَّةٍ فألغوها، ومَراكِزَ ترْبوِيَّة وحَلْقاتٍ وجَمعيَّات لتَحْفيظِ القُرآنِ فجفَّفوها، وقِطاعاتٍ خَيريَّة ودَعَويَّة فحاصَرُوها، وقُل مِثلَ ذلك في جَوانِبَ متعدِّدَةٍ مُتنوِّعةٍ؛ ليصدُّوا عن سَبيلِ الله، ولنَظلَّ خَلْفَ أسْيادِهم منَ اليَهودِ والنَّصارىٰ، حتَّىٰ لو دَخلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لدَخَلْناها.

أما وسائل إعلامنا فناهيك عن سيرها الأعمىٰ وراء الإعلام الغربي إلا ما رحم الله مكثِّفًا من الأفلام الغربية، والأغاني والمسرحيات الهابطة، والمظاهر والسلوكيات المشينة، ليلغي لدىٰ المسلمين هويتهم واعتدادهم بدينهم واعتزازهم بهدي نبيهم ﷺ.

ويَزْدادُ الأمْرُ سُوءًا إذا ما عَلِمْنا أنَّ هَؤلاء العُملاءِ الَّذين هُم مِن بَني جِلْدَتِنا، ويتكلَّمون بألْسِنَتِنا هُم المتسَنِّمون للمَناصِبِ العُليا والحقائِبِ الوزارِيَّة ومواضِع القَرار في بلادٍ إسْلاميَّة كثيرةٍ.

ب - إنني رجلٌ أخشىٰ الدوائر:

قال تعالىٰ: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴾ [سورة المائدة:٥٢].

○ اختلفَ المفسِّرون فيمَن نزلَت هذه الآية:

فقالَ بعضهم: نزَلَتْ في عبْدِ الله بن أَبَيٍّ بن سَلولٍ، رُوي ذلك عن عُبادَة بن الصَّامت، وعطِيَّة بن سعْدٍ.

وقال آخرون: بل هُمْ قَومٌ من المنافِقينَ كانُوا يُناصِحُونَ اليَهودَ، ويَغُشون المؤْمِنينَ، رُوي ذلك عن الأئِمَّةِ؛ مُجاهِد وقَتادَة والسُّدِّي.

قال الطبريُّ: «الصَّوابُ من القَولِ في ذلِكَ عِندَنا أنْ يقالَ: إنَّ ذلِكَ منَ الله خَبرٌ عن ناسٍ من المنافِقِينَ كانُوا يُوالُونَ اليَهودَ والنَّصارَىٰ، ويغُشون المؤْمنِينَ، ويقولون: نخْشَىٰ أنْ تَدورَ دوائِر، إمَّا لليَهودِ والنَّصارَىٰ، وإمَّا لأهْلِ الشِّرْكِ من عبَدَةِ الأوثانِ أو غيرِهم علىٰ الإسْلامِ، أو تنْزِلَ بهؤلاءِ المنافِقِينَ نازِلَةٌ؛ فيَكون بنا إليهم حاجَةٌ، ويجوزُ أنْ يكونَ ذلِكَ كانَ من قَولِ عبْدِ الله بن أبَيّ، ويجوزُ أنْ يكونَ من قولِ غَيرِه، والذي لا شكَّ فيه أنَّه من قولِ المنافقينَ.

فتأوِيلُ الكلامِ إذًا: فتَرىٰ يا مُحمَّد الَّذين في قُلوبِهم شكٌّ في نبُوَّتِك وتَصْدِيقِ ما جِئْتَهم به من عِنْدِ رَبِّكَ ﴿يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ﴾ يعني: في اليَهودِ والنَّصارَىٰ، بمُسارَعَتِهم في مُوالاتِهم ومُصانَعَتِهم ﴿يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾ [سورة المائدة:٥٢] يقولُ هَؤُلاء المنافقونَ: إنَّما نُسارِعُ في مُوالاةِ هَؤُلاء اليَهودِ والنَّصارَىٰ خوفًا من دائرةٍ تدورُ علينا من عدوِّنا»(١).

ومَن تأمَّل هذه الآيَةَ وجَدَها تَنطَبِقُ علَىٰ واقِعِ كَثيرٍ من حكَّام المسْلِمينَ اليَومَ ومُنافِقيها، من علْمانيينَ ولِيبْرالِيينَ وحَداثيين ومُسْتَغْرِبين ممَّن بهرَتْهم حَضارَةُ الغَرْبِ الزَّائفِ وخُدِعُوا بما عِندَهُم من سلاحٍ وقوَّة مَوهُومة مَزْعُومة، ولم يُدْرِكُوا أنَّ ولاءَهُم الحقِيقيَّ إنما يجبُ أنْ يكونَ لله ولرَسُوله ﷺ وللمُؤْمنين ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [سورة المائدة:٥٦].. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ١١﴾ [سورة محمد:١١].

---

(١) «تفسير الطبري» (٤/ ٦١٩) بتصرف يسير.



لقد كانَ اعتِذَارُ عَبدِ الله بن أبيّ بن سَلولٍ وَهُو منَ الَّذين في قُلُوبِهم مرَضٌ في تبْريرِ مُسارَعَتِه واجْتِهادِه في الوَلاءِ ليَهودٍ، والاسْتِمْساكِ بحِلْفِه مَعَهم هُو قوله: إنِّني رَجلٌ أَخْشَىٰ الدَّوائرَ! إني أَخْشَىٰ أنْ تَدورَ عَلينا الدَّوائِرُ وأنْ تَصيبَنا الشِّدَّةُ، وأن تَنزلَ بنا الضَّائقَةُ.. وهذِه الحُجَّةُ هي علامَةُ مرَضِ القَلبِ وضَعْفِ الإيمانِ.. فالوليُّ هوَ الله، والناصِرُ هوَ اللهُ، والاستِنْصارُ بغَيرِه ضَلالَةٌ، كما أنَّه عبَثٌ لا ثَمرةَ لَه.

ولكِن حُجَّة ابنِ سَلول هي حُجَّة كلِّ ابن سَلول علىٰ مدارِ الزَّمانِ، وتعاقُبِ الأجْيالِ، وتَصوُّره هُو تصوُّر كُلِّ مُنافِقٍ مَريضِ القَلبِ لا يُدرِكُ حَقِيقةَ الإيمانِ.. أمَّا قَلْبُ عُبادةَ بنِ الصَّامتِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقَدْ نفَرَ من وَلاءِ يهودٍ بعْدَ ما بَدا مِنهم ما بدا؛ لأنَّهُ قَلْبُ مُؤمنٍ؛ فخَلع وَلاءَ اليهودِ، وقذَفَ به، في الوقْتِ الذي تمسَّك فيه عبدُ الله بن أبي بن سَلول بهذا الولاءِ، وعضَّ عليه بالنَّواجذِ.

إنَّهما نهْجانِ مختلِفَان، ناشِئانِ عن تَصْورَين مختَلفينِ، وعن شُعورَينِ مُتبايِنينِ، ومثل هذا الاختلافِ قائِمٌ علىٰ مدارِ الزَّمانِ بينَ قلْبِ مُؤمِنٍ وقَلْبٍ لا يَعرفُ الإيمانَ.

ويهدِّد القرآنُ المسْتَنصرينَ بأعداءِ دِينهم، المتألِّبينَ عَليهم، المنافِقينَ الذين لا يُخلِصُون لله اعتقادَهُم ولا ولاءَهُم ولا اعتمادَهُم.. يهدِّدُهم برَجاءِ الفَتْحِ أو أَمْرِ الله الذي يفْصِلُ في الموقِفِ أو يكْشِفُ المسْتورَ منَ النِّفاقِ ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة المائدة:٥٢].

وعندئذ -عندَ الفتحِ- سواء كانَ هُو فَتْحُ مكَّةَ أو كانَ الفَتحُ بمعنىٰ: الفَصل أو عِندَ مجيء أمْرِ الله يندَمُ أولئكَ الذين في قُلوبهم مَرضٌ علىٰ المسارَعةِ والاجتهادِ في ولاءِ اليَهودِ والنَّصارَىٰ، وعلىٰ النِّفاقِ الذي انكشَفَ أمْرُهُ، وعندئِذٍ يعْجَبُ الذين

آمنوا من حالِ المنافِقِينَ، ويسْتَنكِرُون ما كانوا فيه من النِّفاقِ، وما صارُوا إليه من الخُسْرانِ(١).

ج- لئن أخرجتم لنخرجن معكم..

ما وردَ في قولِه تعَالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة الحشر:١١]، وقولِهِ تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ [سورة الحشر:١١] قالَ ابنُ الجوزي: يعني: عَبد الله بن أُبيّ وأصحابه(٢)، وقوله: ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [سورة الحشر:١١] قالَ ابن الجوزي: ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ﴾ في الدين؛ لأنَّهم كُفَّار مثلهم وهم اليَهود(٣).

وقال الرازي: «وهذه الأُخُوَّة تحتمِلُ وجوهًا:

أحدها: الأُخُوَّة في الكُفْرِ؛ لأنَّ اليهودَ والمنافِقِينَ كانوا مُشْتركِينَ في عُمومِ الكُفْرِ بمُحمَّدٍ ﷺ.

ثانيها: الأُخُوَّةُ بسببِ المصادَقةِ والموالاَةِ والمعاوَنةِ.

ثالثها: الأُخوَّةُ بسببِ ما بينهما من المشارَكَةِ في عَداوَةِ محمَّدٍ ﷺ»(٤).

وقالَ ابن عاشُور: «والمرادُ بإخوانهم بنُو النَّضير، وإنَّما وَصَفَهم بالإخُوَّةِ لهم؛ لأنَّهم كانوا متَّحدينَ في الكُفْرِ برسالة مُحَمَّد ﷺ، وليْسَتْ هذه أُخوَّة النَّسبِ؛ فإن بني النضير منَ اليَهودِ والمنافقين الَّذين بُعِثُوا إليهم من بني عَوفٍ من عَربِ المدينَةِ، وأصْلُهم من الأزْد»(٥).

---

(١) «في ظلال القرآن» (٢/ ٩١٦) لسيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتصرف يسير.

(٢) «زاد المسير» (٨/ ٢١٧) لابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) «زاد المسير» (٨/ ٢١٧).

(٤) «التفسير الكبير» (٢٩/ ٢٥١).

(٥) «التحرير والتنوير» (٢٨/ ٩٩).



وقد بُعِثَ هؤُلاءِ المنافقين إلى يَهودِ بَني النَّضيرِ حِينَ حاصَرَ جيشُ المسْلِمينَ بني النَّضيرِ، يقولُون لهم: اثْبُتوا في مَعاقِلِكُم فإنَّا مَعكُم[1].. وقولُهُ تَعالىٰ: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ [سورة الحشر:١١]، أي: لئِنْ أُخرِجْتُم من ديارِكُم ومنازِلِكُم وأُجْلِيتم عنها، لنَخْرجنَّ معكُم فنُجْلي عن منازِلِنا ودِيارِنا مَعَكم[2]، وإنَّما وَعَدُوهم بالخُروجِ مَعَهم؛ ليَطْمئنُّوا لنُصْرَتهم، فهُو كِنايَةٌ عن النَّصرِ، وإلَّا فإنَّهم لن يرْضوا مُفارَقة بلادِهِم[3].

وقولُه تعالىٰ: ﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ [سورة الحشر:١١] أي: ولا نُطيعُ أحدًا سألَنا خذْلانكم وتَرْكَ نُصْرتِكم، ولكنَّا نكونُ مَعَكم[4]، وقوله: ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ [سورة الحشر:١١] يعني: علىٰ محمَّد ﷺ وأصحابِهِ، ولكن المنافِقينَ كاذِبونَ حتَّىٰ في ولائهم ليَهودٍ، ولذلِكَ قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة التوبة:١٠٧] يعني: في وَعْدِ المنافقين ليَهودِ بَنِي النَّضيرِ بالمساعَدةِ والنُّصرَةِ.. وقَد أعْلَم اللهُ رَسولَه ﷺ بأنَّهم كاذِبونَ تَطميناً لخاطِرِه؛ لأنَّ الآيةَ نزلَت بعْدَ إجْلاءِ بني النَّضيرِ، وقبْلَ غزْو بني قُريظَة؛ لئلَّا يتوجَّسَ الرَّسولُ ﷺ خِيفَةً من بأسِ المنافِقينَ[5].

ولسيِّد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ لفتات جيِّدةٌ منها قولُه:

١ - تَقْرير القَرابَةِ بينَ المنافِقِينَ والذين كَفَروا من أهْلِ الكِتاب ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [سورة الحشر:١١] ، فأهْلُ الكتابِ هَؤُلاء كَفروا، والمنافِقُون إخْوانهم ولو أنَّهم لَبسُوا رِداءَ الإسْلامِ.

---

(١) «التحرير والتنوير» (٢٨/ ٩٩).

(٢) «تفسير الطبري» (١٢/ ٤٤).

(٣) «التحرير والتنوير» (٢٨/ ٩٩).

(٤) «تفسير الطبري» (١٢/ ٤٤).

(٥) «التحرير والتنوير» (٢٨/ ١٠٠).



ثُمَّ هذا التَّوكيدُ الشَّديدُ في وَعْدِ المنافِقِينَ لإخْوانِهم ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ [سورة الحشر:١١] واللهُ الخبيرُ بحقيقَتِهم يقرِّر غيرَ ما يقرِّرون، ويؤكِّد غيرَ ما يؤكِّدونَ ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [سورة الحشر:١١-١٢] وكان ما شَهِد به اللهُ، وكذَّب ما أعْلَنُوه لإخْوانِهم وقرَّروه[١].

٢- ثم يبيِّن رَحِمَهُ ٱللَّهُ حقيقَةَ هذه التَّحالفات العَفِنة التي تضُمُّ طواغِيتَ العالم جميعًا في خنْدَقٍ واحِدٍ فيقولُ: والمظاهِرُ قد تخْدَع؛ فنرَىٰ تضامُنَ الَّذين كَفُروا من أهْلِ الكِتاب فيما بَيْنهم، ونرَىٰ عَصبيَّتَهم بعْضَهم لبعْضٍ، كما نرىٰ تجمُّعَ المنافقين أحيانًا في مُعسْكَرٍ واحِدٍ، ولكن الخبرَ الصَّادِقَ من السَّماءِ يأتينا بأنَّهم ليْسُوا كذلِكَ في حقِيقَتِهم إنَّما هُو مَظْهر خارِجِيٌّ خادِعٌ، وبيْنَ الحِينِ والحِين ينكَشِفُ هذا السِّتارُ الخادِعُ، فيبْدُوا من وَرائِه صِدْقُ الخبَرِ في دُنْيا الواقِعِ المنْظُورِ، ينْكَشِفُ الحالُ عن نِزاعٍ في داخِلِ المعَسْكَرِ الواحِدِ قائِمٌ علىٰ اخْتلافِ المصالِحِ، وتفرُّق الأهْواءِ وتصادُمِ الاتِّجاهاتِ، وما صدَقَ المؤمِنونَ مرَّةً وتجمَّعَتْ قلوبُهم علىٰ الله حقًّا إلَّا وانكَشَفَ المعَسْكرُ الآخَرُ أمامَهُم عَن هَذِه الاخْتِلافاتِ، وهذا التَّضارُبِ، وهذا الرِّياء الذي لا يمَثِّلُ حقيقةَ الحالِ، ومَا صَبر المؤْمِنُون وثَبتُوا إلَّا وشَهِدوا مَظْهر التَّماسُكِ بين أهْلِ الباطِلِ يتفسَّخُ وينهارُ، وينكَشِفُ عن الخِلافِ الحادِّ من شِقاقٍ وكَيدٍ وفُرقَةٍ.

إنَّما ينالُ المنافِقُونَ والذين كفروا من أهْلِ الكتاب من المسْلِمينَ عِندَما تتفرَّقُ قلوبُ المسْلِمينَ فلا يعُودُون يمثِّلُونَ حَقِيقَةَ الإيمانِ التي عرَضَتْها الآيَةُ في المقْطَع

---

(١) «في ظلال القرآن» (٦/ ٣٥١٨).

السَّابق في هذه السُّورةِ، فأمَّا في غَير هذه الحالَةِ فالمنافِقُون أضْعَفُ وأعْجزُ، وهُم والذين كفروا من أهْلِ الكتابِ متفرِّقو الأهْواءِ والمصالِحِ والقُلوبِ ﴿بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ﴾ [سورة الحشر:١٤](١).

وهذا يُبيِّن أنَّ التَّحالفات التي تنشأ بين طوائف الكُفْر والنِّفاق إنما هي تَحالفاتٌ لأجْل المصلحَةِ المشْتركة فيما بينهم، وهي القضاءُ على الإسلامِ والمسلمين واسْتِعْباد الشُّعوب الإسلاميَّة.

فالمنافقونَ إذا تحالَفُوا مع اليهودِ فلَيسَ معنى ذلك أنَّهم يُحبُّونهم، وإنَّما يَرونَ أنَّ ذلك من مَصْلحَتِهم، أمَّا إذا كانَ المسلمونَ في قوَّةٍ ومَنعَة فلا يلبَثُ هَؤُلاء المنافِقُون أنْ ينقَلِبُوا على أصْدِقائِهم اليَهود، وينحازوا إلى صُفوف أهْل الإيمانِ.

وقد بيَّن النبيُّ ﷺ ذلِكَ فيما رواه عنه ابنُ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين قالَ: «مَثلُ المنافِقِ كمَثلِ الشَّاةِ بين الرَّبيضينِ من الغَنمِ إنْ أتَتْ هَؤُلاء نطَحَتْها، وإنْ أتَتْ هَؤُلاءِ نطَحَتْها»(٢).

٣- وهذا يحتِّم على المسلِمينَ أنْ يَكونوا صفًّا واحدًا لا يتنازعُون ولا يتدابَرُونَ، ولا يختَلِفون كما قالَ تَعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة الأنفال:٤٦] ، وإذا فعلُوا ذلك فهُم منْصُورون بغير شكٍّ.

د- يا أهْلَ يثربَ لا مُقام لكم فارْجِعوا:

جاءَ في قولِه تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [سورة الأحزاب:١٣].

---

(١) «في ظلال القرآن» (٦/ ٣٥٢٩) بتصرف يسير.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٣٢)، وصححه الألباني في كتاب «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان» (٢٤٦).

قالَ ابنُ عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قالَت اليَهودُ لعَبدِ الله بن أبيّ بن سَلول وأصحابه من المنافقين: ما الذي يحْمِلُكم على قَتْل أنفسكم بِيَدِ أبي سُفيان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأصْحابِه؛ فارجِعُوا إلى المدينَةِ فإنَّا معَ القومِ فأنْتُم آمِنون(١).

قالَ الخازنُ في «تفسيره» مبيِّنًا نصيحَةَ يهود لإخْوانِهم منَ المنافِقين: ما الَّذي يحْمِلُكم على قَتْل أنفُسكم بِيَدِ أبي سُفيان ومَن مَعَه؛ فإنَّهم إنْ قَدروا عَلَيكم فأنتُم إخْواننا وجِيرَاننا هلمُّوا الينا، فأقْبَلَ ابنُ سَلول وأصْحابُه على المؤْمنينَ يعوِّقُونهم ويخوِّفونهم بأبي سُفيان ومَن مَعه، وقالوا: لئن قَدِر اليَومَ عَليكُم محمَّدٌ ﷺ لم يستبْقِ منكم أحدًا، أما ترجعون عن محمَّد، ما عنده خيرٌ، ما هُوَ إلَّا أنْ يقتلنا ها هنا انطلقوا بنا إلى إخواننا يعني: اليهود، فلم يزْدَدِ المؤمنون بقول المنافقين إلَّا إيمانًا واحْتِسابًا(٢).

٧ـ تثبيط اليهودِ لابنِ سلول عن الإسلام..

وهذا مشعرٌ بلُحْمةِ الولاءِ والمحبَّة بين اليَهودِ والمنافقين.. قالَ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [سورة النساء:٤٤-٤٥].

قال ابنُ عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: نزلَتْ هَذه الآيةُ في حَبرينِ من أحْبارِ اليهودِ، كانا يأتيان رأْسَ المنافقين عبدَ الله بن أبيّ بن سَلولٍ ورَهْطه يثبِّطُونهم عن الإسْلامِ(٣).

فهُم جميعًا المنافقونَ والكُفَّار في خَندقٍ واحِدٍ يتناصحون بالإثم، ويتواعَدُون على الغَدْر، ويجهدون في الصَّدِّ عن دينِ الله..ولعلَّ فيما ذكر ما يؤكِّد هذِه الموالاةَ ويثبِّتها، وإلَّا فالأمثلَةُ والشواهِدُ كثيرةٌ ومتوافِرةٌ..

---

(١) ذكره القرطبي (١٤/ ١٤٨)، والثعلبي (٨/ ٢١) في تفسيرهما بدون إسناد.

(٢) تفسير الخازن (٥/ ١٧٧).

(٣) ذكره أبو السعود (٢/ ١٨١)، والألوسي (٥/ ٤٥) في تفسيرهما.

المطلب الثاني

مواقف ابن سلول مع النبي ﷺ

لقد تعدَّدتِ المواقِفُ الَّتي كشفَتْ حقيقَةَ ابنِ سَلولٍ في تعامُلِه مع النَّبيِّ ﷺ؛ فأظْهرتْ وجْهَه الكالِحَ وفُؤادَه الكاشِحَ، حتَّى إنَّه لعظُمَ ما حواهُ صَدْرُه وانطوَتْ عليه نفْسُه من حِقدٍ دَفينٍ وغلٍّ كمينٍ، لم يعُدْ يقْدِر على كِتمانِ ذلك والاسْتِسْرار به، فهو يُظْهره تارَةً على فلتاتِ لسانِهِ وأُخرى في ثَنايا الأزَماتِ والمواقِفِ إلى غيرِ ذلك.. فمِن ذلكَ:

الموقف الأول:

روى ابنُ اسحاق بسندِه عن أُسامَةَ بنِ زيد بن حارثَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حِبِّ رَسول الله ﷺ، قال: رَكِب رسولُ الله ﷺ إلى سَعْد بن عُبادة يعودُهُ من شَكْوٍ أَصابَه - أي: مَرَض - على حِمارٍ عليه إكافٌ(١)، فوقَه قَطيفَةٌ(٢) فدكيّةٌ(٣)، وأردَفني رَسولُ الله خَلْفه، فمرَّ بعدوِّ الله ابن أُبيٍّ، وهو في ظلِّ مُزاحِمِ أُطُمِهِ(٤)، وحول ابن أُبيّ رجالٌ من قومِه، فلمَّا رآه رسولُ الله ﷺ تَذَمَّم(٥) من أن يجاوِزَهُ حتى ينزِلَ، فنزَلَ فسلَّم،

---

(١) «الإكاف»: بكسر الهمزة هي البَرْذَعةونحوها لذوات الحافر، ويقال وكاف بالواو أيضا. ينظر: «مشارق الأنوار على صحاح الآثار» (١/ ٣٠).

(٢) «القَطِيفَة»: دِثار مُخْمل، وقيل: كساء له خَمْل، والجمع القطائف، وقطف مثل صحيفة وصحف، وفي الحديث: «تعس عبد القطيفة»؛ هي كساء له خَمْل - أي وبر -، أي الذي يعمل لها ويهتم بتحصيلها؛ ومنه القطائف التي تؤكل. ينظر: «لسان العرب» (٩/ ٢٨٦)، «مجمع بحار الأنوار» (٤/ ٢٩٩).

(٣) «فَدَكية»: نسبة إلى فَدَك، وهي قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان كانت تصنع فيه هذه القُطُف. ينظر: «مجمع بحار الأنوار» (٢/ ١١٤).

(٤) «مُزاحِمُ»: اسْمُ الْأُطُم، وَالْأُطُمُ: الحصن المبني من الحجارة، وهو اسم مَأْخُوذٌ من ائْتَطَمَ: إذا ارتفع وعلا، يقال: ائْتَطَمَ علي فلان إذا غضب وانتفخ. ينظر: «السيرة النبوية»، لابن هشام (١/ ٥٨٧)، «الروض الأنف» (٥/ ٤٢).

(٥) تذمّم: أي: استحيا وكره. ينظر: «لسان العرب» (١٢/ ١٣٦).

ثُمَّ جلَسَ قليلًا فتَلا القُرآنَ، ودَعا إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، وذكَّر بالله، وحَذَّر وبشَّر وأنذَرَ، وهو - أي: عَبْدُ الله بن أُبَيّ - زَامٌّ[١] لاَ يتكلَّم، حتىٰ إذا فرَغَ رَسولُ الله ﷺ من مقالَتِه، قال - أي: عَبْد الله بن أُبَيّ -: يا هذا، إنَّه لا أحْسَن من حَدِيثِكَ هذا، إن كان حقًّا فاجْلِسْ في بيْتِكَ، فمَن جاءَكَ له فحدِّثْه إيَّاه، ومن لم يأتِكَ فلا تَغُتَّهُ[٢] به، ولا تأْتِه في مجْلِسِه بما يَكْرَه منه.

فقالَ عبدُ الله بنُ رَواحَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في رجالٍ كانوا عِندَه من المسلمين: بلىٰ فاغْشِنا بِه وائْتِنا به في مجَالِسِنا ودُورِنا وبُيوتِنا، فهو واللهِ مما نحبُّ، ومما أكْرَمَنا اللهُ به وهَدانا له.. فقال عبْدُ الله بن أبيٍّ حينَ رأىٰ من خِلافِ قَومِه ما رَأىٰ:

متىٰ ما يكُن مولاكَ خَصْمُك لا تزل *** تذل ويَصْرعك الَّذينَ تُصارِعُ
وهَلْ ينْهضُ البازي بغَير جَناحِه *** وإن جُدَّ يومًا ريشُه فَهُو واقِعُ

وقامَ رسولُ الله ﷺ فدَخلَ علىٰ سَعْدِ بن عُبادةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وفي وَجْهه ما قالَ عدوُّ الله ابن أبيٍّ بن سلول، فقال: - أي: سعد -: والله يا رَسولَ الله، إني لأرىٰ في وَجْهكَ شيَئًا، لكأنَّكَ سمِعْتَ شيئًا تكْرَهُه. فقال: «أَجَل»، ثمَّ أخْبرَه بما قالَ ابنُ أبيٍّ.

فقالَ سَعْدُ بن عُبادَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رَسولَ الله، ارْفُق به، فوَالله لقَدْ جاءَنا اللهُ بِكَ، وإنَّا لنَنْظُم له الخرْزَ لنتوِّجه، وإنه لَيرىٰ أنْ قَد سَلَبْته مُلكًا[٣].

---

(١) زام لا يتكلم: أي رافع رأسه لا يقبل عليه. والزَّمُّ: الكبر. وزم بأنفه إذا شمخ وتكبر. وقال الحربي في تفسيره: رجل زَامٌّ، أي: فزع. ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ٣١٤).

(٢) «فلا تغته به»: معناه: لا تكثر، يقال: غت الرجل القول القول، وغت الرجل الشراب الشراب، إذا أتبع بعضه بعضًا، وقد يكون معناه: لا تعذبه به، يقال: غتهم الله بعذاب، أي: غطاهم به، ويقال: فلا تغته به، أي: لا تأته به. ينظر: «الإملاء المختصر في شرح غريب السير»، المؤلف: مصعب بن محمد (أبي بكر) بن مسعود الخشني الجياني الأندلسي، أبو ذر، ويعرف كأبيه، بابن أبي الركب (المتوفىٰ: ٦٠٤هـ)، استخرجه وصححه: بولس برونله، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان (ص١٤٦).

(٣) أخرجه ابن هشام في «السيرة النبوية» (/ ١٣١) من طريق ابن إسحاق، أصل هذه الرواية في الأدب المفرد برقم: (١١٠٨) صححها الشيخ الألباني.



لقد كانَ ابنُ سَلول ينتَشِي ويتَعاظَمُ ويشْعُر بالفَخارِ إذا رأَىٰ نَفْسَه وحَولَه الأتباعُ والمعُجَبون، ويألم ويُوغَرُ صَدْرُه إذا جاءَ المصْطَفىٰ ﷺ مُذكِّرًا ومعلِّمًا وتاليًا للقرآنِ؛ لأنَّ ذلك يُفرِّق جمْعَه ويُقلِّل أنصارَهُ، وينزَعُ عنه لباسَ زَعامَته وسُؤْددِه.. وما جوابُ سَعْد بن عُبادَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ معلِّلًا هذا الموقِفَ الأرْعنَ، والأسْلُوبَ البَذيءَ، والتأفُّفَ المذْمومَ من ابنِ سَلُول إلَّا عَين الصواب.. فقَدْ رَأىٰ أنَّ مُلْكًا كانَ منه قابَ قَوسينِ أو أدْنىٰ قدِ اسْتلَّه منه رسولُ الله ﷺ.

الموقف الثاني:

ما رَواهُ أنسُ بنُ مالكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قيلَ للنَّبيِّ ﷺ: لو أتيتَ عبد الله بن أُبيٍّ ـ وفي رواية ـ عن أُسامَة بن زيدٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبيَّ خرجَ لعِيادةِ سَعْد بن عُبادة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: فانطلق إليه وركِبَ حِمارًا ﷺ، وانطلَقَ المسلمونَ –وهي أرضٌ سَبخة– فلَمَّا أتاهُ النبيُّ ﷺ قال مُستهزءًا: إليك عنِّي؛ فوالله لقَد آذاني نتَنُ حِمارِكَ، قال: فقال رَجلٌ –هُو عبْدُ الله بنُ رواحَةَ– رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من الأنصار: واللهِ لحمارُ رَسولِ الله ﷺ أطْيَبُ ريحًا منكَ، قالَ: فغَضِب لعَبْدِ الله رَجلٌ من قَومِه، قال: فغَضِب لكلِّ واحِدٍ منهما أصحابُهُ، قال: فكانَ بينهم ضَربٌ بالجَريدِ وبالأيدي وبالنِّعالِ، قال: أنسٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: فبلغَنا أنَّها نزَلَت فيهم ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ﴾ [سورة الحجرات:٩][(١)].

هكذا بلا أدَبٍ ولا خُلُقٍ ولا احْترامٍ ولا تَقْدِير ولا إجْلالٍ: إليكَ عَنِّي؛ فقَدْ آذاني نتَنُ حِمارِكَ، إنَّ المقصودَ ليسَ نتَنَ الحمارِ، ولكنَّ المراد أنتَ يا محمَّد، لكنَّه يعْلَمُ أنَّه لو صرَّح بها لافتُضِحَ سرُّه، ولانكشَفَ مخْبَؤُه..

---

(١) أخرجه البخاري كتاب: الصلح باب: ماجاء في الإصلاح بين الناس، برقم: (٢٥٤٥)، ومسلم كتاب: الجهاد والسير، باب: في دعاء النبي ﷺ وصبره علىٰ أذىٰ المنافقين، برقم: (٤٧٦٢).

ومَن تأمَّل حالَ أحفادِ ابن سَلول في أزمنةٍ متعاقِبَةٍ، وأجيالٍ مُتتابِعَةٍ لوَجَدَ أنَّهم يتعامَلُونَ بالأُسْلوبِ ذاتِه، وبالطَّريقَةِ نَفْسِها؛ فقَد لا يجْرُؤونَ على الطَّعنِ في القُرآنِ، والسُّخريةِ منَ السُّنةِ، والتندُّر بالشَّريعةِ نهارًا جهارًا؛ لعِلْمِهم أنَّ بيئاتِهم وأوساطِهم الَّتي يَعيشُون فيها لا تَرضَى ذلِكَ، بل ترْفُضُه وتَلْفِظُه، وتمجّ صاحِبَه وتقبِّح قائِلَه.. لكنَّهم يتوارُونَ خَلْفَ تلميحاتٍ كتابِيَّة، أو تصْريحاتٍ مُلْتويةٍ حِواريَّة، أو غير ذلك مما يُدْركها اللَّبيبُ، ولا تخْفى على الأريبِ(١).

الموقف الثالث:

حادِثَةُ الإفكِ: الَّتي تنفَّسَ فيها الخَبيثُ ابْنُ سلولٍ من كَرْبِ النِّفاق والحسَدِ الذي بينَ ضُلوعه، فجعَلَ يستَحْكي الإفْكَ ويسْتَوشِيه ويُشِيعُه ويُذيعُه ويجْمَعُه ويفرِّقه، وكان أصْحابُه يتقرَّبون به إليه(٢).

لقد عاشَ الصَّحابَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنهُمۡ كما عاشَ النَّبيُّ ﷺ وعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا وما حلَّ بوالديها، وما نزلَ بصَفْوان بن المعطِّل رَضِيَٱللَّهُعَنهُ شهرًا كاملًا من المعَاناةِ والألمِ..؛ إذْ تقلَّبُوا على أَحرِّ من الجَمْرِ، وتجرَّعوا من جرَّاء هذا الإفْكِ أمرَّ من المرِّ بسببِ مَقُولةِ رأْسِ النِّفاقِ اليَهودي، ومَن تبِعَه وكانَ على شاكِلَته.

إنَّه الذي تولَّى كِبَرَ الإفْكِ؛ منتهزًا للفُرصِ، مُستثمرًا للأحداثِ، نافثًا لسُمِّه، مصوِّبًا لرِماحِه، حتى لكأنَّ كلَّ بيتٍ من بُيوتات الصَّحابةِ رَضِيَٱللَّهُعَنهُمۡ بالمدينَةِ قد أُصيبَ في عِرْضِه يوْمَ أنْ نِيلَ مِن عِرضِ رَسولِهم وقُدْوَتهم ﷺ، فَحِماهُ حِماهم، وشَرَفُه شَرفُهم، وحُزْنُه حُزْنُهم، وأساتُه أساتُهم.

---

(١) وإن كانوا في الآونة الأخيرة قد حسروا عن وجوههم القناع فاجْترؤوا بصفاقة، وأعلنوها بصراحة لمزًا وغمزًا وطعنًا في محكمات ومسلمات معلومة من الدين بالضرورة.. ومن أمن العقوبة أساء الأدب.

(٢) ينظر: «زاد المعاد» (٢/ ١٢٦)، وتفسير مجاهد بن جبر لسورة النور (ص٤٢٧).



لقَد خيَّم علىٰ المدينَةِ النَّبويَّة من جرَّاء هذه الفِريةِ جوٌّ خانِقٌ، وكرْبٌ بالِغٌ، وأذًىٰ لاذِعٌ.. إفْكٌ رُمِيَ به الجنابُ الزَّكيُ، والفِراشُ الطَّاهِرُ، والعشُّ البريءُ.

يُقذَف المصْطفىٰ عليه صَلوات ربِّ الأرضِ والسَّماء في أَحبِّ نسائِهِ، والتي جاءَ جبْريلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بصُورَتها في خِرْقةٍ خَضْراء فقال: «هَذِه زَوجَتُك في الدُّنيا والآخِرَةِ»[1].

لقَد رُمِي الرَّسولُ الكَريمُ في صِيانَةِ حُرمَتِه ﷺ، وهو القائِمُ علىٰ حُرماتِ أُمَّتِه، ورُمي في شَرفِهِ وطُهره، وهو الغَيورُ فلا أحَدَ من البَشرِ أغْيَر منه، لقَد رُمِي في كلِّ شيءٍ حِين رُمي في زَوْجه الحبِيبةِ إليه الغَالِية علىٰ نَفْسِه، وقَد تضمَّن حديثُ الإمامِ مسْلِم سِياقَ القِصَّة وبيانَها أحْسَن بيان[2].

لقد كانت مَعْركةً ومِحْنةً عَصيبةً عصَفَتْ بالنَّبيِّ ﷺ وبصَحابتِه الكِرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.. كانَت من أصْعَبِ المعارِكِ وأعْتاها تأخَّر الوَحيُ فيها شَهرًا كاملًا؛ ليُظهِر اللهُ خَبيئةَ النِّفاقِ، ويكْشِفَ عَن وُجوهِ أهْلِه القِناعَ، خرَج منها المصْطَفىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ متجلِّدًا بالصَّبرِ كاظِمًا لآلامِه الكِبار متحفِّظًا بوَقارِ نَفْسِه وعَظمَةِ قَلْبه وجَميل حِلْمِه، فلم تُؤْثَر عنه كَلِمةٌ واحِدَةٌ تدلُّ علىٰ نَفاذِ صَبْره، وضَعْف احْتمالِه[3].

لقَد وجَدَ ابنُ سَلول في هَذه الحادِثَة بُغْيَته ومَرْتَعه الآسِنَ؛ فقَدْ جاءَ في رِوايةٍ قوله: (امْرأَةُ نَبيِّكُم باتَتْ مَع رَجلٍ حتَّىٰ أصْبحَتْ، ثُمَّ جاءَ يَقُودُ بها، واللهِ ما نَجَتْ منه، ولا نَجا منها).

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: المناقب عن رسول الله ﷺ، باب: فضل عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، برقم: (٣٨٨٠)، وصححه الألباني في «المشكاة» (٦١٨٢).

(٢) انظر: سرد القصة كاملة (ص١٤٥).

(٣) «في ظلال القرآن» (٢٥٠١) لسيد قطب.

وتأمَّل قوله: (امْرأة نبيِّكُم) فنسَبَ الضَّميرَ إلىٰ المخاطَبين نبيِّكم، ولم يقُل: (امْرأةُ نبيِّنا) مع أنَّه كانَ يتظاهَرُ بالإسلامِ.. وفي هذا إشارَةٌ إلىٰ ما انطَوىٰ عَليه باطِنُه من التَّكذيبِ بالرَّسُول ﷺ والكُفْر بما جاء.

حادثة الإفك دروس وعبر:

كَم هي دُروس هذه الحادثة وعِبَرها[1]، لكن الوَقْفَة هنا ستكون حَولَ ما له عَلاقَة برَأْس النِّفاقِ وحِزْبه، فمِن ذلك:

١. انتهازُهُم الفُرَصَ واستثمارُهُم للأَحْداثِ.. فقَدْ فرِحَ رَأْسُ المنافِقينَ ومن شايَعَه من المنافِقينَ بقُدوم عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَحِيدَة يَقودُها الصَّحابيُّ الجليلُ صَفْوانُ ابنُ المعطّل؛ ليلُوكُوا العِرْضَ الطَّاهِرَ بألسِنَتِهم، ويدنِّسوا الشَّرفَ المصُونَ بأفْواهِهم، ويُذيعُونَه ويُشيعُونَه، ويتفكَّهون به في المجالِسِ والمنتَدياتِ والمجامِعِ العامَّة والمناسباتِ..

لقد وطَّن النبيُّ ﷺ والمؤمِنُون أَنْفُسَهم علىٰ ما يَصْدُر من فُنونِ الأذىٰ ومواقِفِ الخذْلان والإرْجافِ في الغزَواتِ، إلَّا أنَّ هذه الحادِثَةَ قَد جاءَت علىٰ غَيرِ المعْتادِ من حبائِلِ كَيدهِم وصُنوفِ مَكْرِهم؛ فقَدْ كان وَقْعُها أشدَّ، ونِكايَتها آلم، ومحْنَتُها أعْظَمَ..

---

(١) انظر: فوائد ودروس هذه الحادثة في هذه المراجع:
(أ) طهارة بيت النبي ﷺ (٢٦-٣٢) خالد الشايع.
(ب) «مرويات غزوة بني المصطلق» (٣٠٩ – ٣٦٠) لإبراهيم القريبي.
(ج) «فقه السيرة النبوية» (٤٨٣ ـ ٤٨٨) لزيد الزيد.
(د) «السيرة النبوية» (٢٤٨ ـ ٢٥٥) لعلي بن محمد الصلاّبي.
(هـ) «وقفات تربوية من السيرة النبوية» (٢٩٠ ـ ٢٩١) لأحمد فريد.
(و) «السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة» (٢٦٥ ـ ٢٦٧) لأبي شهبة.



٢. لابن سَلولٍ أَحفاد وذرِّيّة.. إنَّ التَّشكيكَ في خُصوصيَّاتِ القائِدِ أو العالم أو الدَّاعية واتِّهامِه في أَهْلِه وعِرْضِه لهو دَأْبُ أَهْلِ النِّفاقِ والزَّندقَة الَّذين يَكْرَهون العِفَّة والطُّهرَ.. ويضِيقونَ ذَرعًا بالحِشْمَة والحجابِ، وكَمْ سَمِع الناسُ وشاعَ في أَوْساطِهم في هذِه العُصورِ المتأَخِّرة من أَصْحابِ الاتِّجاهات المنحَرِفَة مَقالات وشائِعات قَذَفوا بها أَعْراضًا بَريئَة لعُلماء ودُعاة؛ فوَلَغوا بأَلسِنَتهم في إفكٍ مفترًى، وقذفٍ باطِلٍ[1].

٣. تجاوَزُوا الحدَّ.. وبالغُوا في الاتِّهام.. فلا نزالُ نَسْمعُ عَن كثيرٍ ممن قلَّ حظُّهم من مراقبَةِ الله وخَوفه وخَشْيته ونَسَوا حظًّا مما ذكِّروا به، لا تحلُو لهم مجالِسُهم ولا ينْبَسِطوا في أحادِيثِهم إلَّا إذا تناوَلُوا أَعْراضَ عِبادِ الله القائِمِينَ بأَمْرِه مِن عُلَماء المِلَّة ودُعاةِ الأُمَّةِ، يتتبَّعُونَ عَوَراتهم.. ويَلْمِزُون أَعْراضَهُم.. ويتَّهمون نيَّاتهم.. ويحْذَرُون من مناشَطِهم وجُهودِهم، قَد اخْتَلَقوا الأكاذيبَ، وردَّدوا الأباطِيلَ.. ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [سورة الزخرف:١٩].. ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [سورة الأحزاب:٥٨].

٤ - ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [سورة المطففين:٤-٦].

قال الإمامُ أحمد بن الأَذْرَعي[2]: «الوقيعَةُ في أَهْلِ العِلْم -لاسيَّما أكابرهم-

---

(١) انظر: «عبير المسك في غزوة بني المصطلق وحادثة الإفك» (٣٧-٣٨) بحث غير مطبوع لمحمد بن محسن أبي طالب.

(٢) هو: أحمد بن حمدان بن أحمد بن عبد الواحد، أبو العباس، شهاب الدين الأذرعي (ولد: ٧٠٨هـ - توفي: ٧٨٣ هـ) فقيه شافعي من تلاميذ الذهبي، ولد بأذرعات الشام، وتفقه بالقاهرة، وولي نيابة القضاء بحلب، وراسل السبكي بالمسائل (الحلبيات)، وهي في مجلد، وجمعت «فتاويه»، في رسالة، ومن تصانيفه: «التوسط والفتح بين الروضة والشرح»، في ٢٠ مجلد؛ و«غنية المحتاج في =

من كَبائر الذُّنوبِ»[١]. وقال مالِكُ بن دينار: «كفَىٰ بالمَرْءِ شرًّا ألَّا يكونَ صالحًا، وهو يقَعُ في الصَّالحين»[٢].

ودونكَ هَذه القِصَّة والتي كان الجزاء فيها مِن جِنْس العَملِ: فها هُو القاضِي الفِقيه الشَّافِعي محمَّد بن عبد الله الزُّبيدي الَّذي شرحَ التَّنبيهَ في أربعَةٍ وعِشْرين مجلَّدًا، ودرَّس وأفتىٰ وكثُر طلَّابُه ببلاد اليَمنِ، واشْتَهر ذِكْرُه، وبَعُدَ صيتُه، قال الجمال المصري: إنَّه شَاهَدَهُ عندَ وفاتِه وقَدِ اندلَعَ لسانُه واسودَّ، فكانوا يرَونَ أنَّ ذلك بسبب كَثْرة وقيعته في الشيخ محي الدِّين النَّووي رحمهم الله جميعًا[٣].

قال الحافِظُ ابنُ عساكِر رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٤]: «واعلَم أَخي وفَّقنا اللهُ وإيَّاك لمرضاتِه

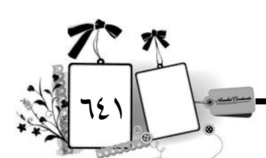
= شرح المنهاج»؛ و«قوت المحتاج»، وفي كل منها ما ليس في الآخر، واختصر الحاوي للماوردي وتعقب علىٰ المهمات للاسنوي، وعاد إلىٰ القاهرة سنة ٧٧٢ ثم استقر في حلب إلىٰ أن توفي. وكان لطيف العشرة، كثير الإنشاد للشعر، وله نظم قليل. ينظر: «الدرر الكامنة» (١/ ١٢٥)، «البدر الطالع» (١/ ٣٥)، «ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد»، المؤلف: محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (المتوفىٰ: ٨٣٢هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، (١/ ٣٠٩)، «الأعلام للزركلي» (١/ ١١٩).

(١) «الرّد الوافر» (١٩٧).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ ٣١٦)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٦/ ٤٠).

(٣) «الدرر الكامنة» (٤/ ١٠٦).

(٤) هو: علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين، أبو القاسم بن أبي محمد بن أبي الحسين الشافعي، عرف بابن عساكر من أهل دمشق، فخر الشافعية، وإمام أهل الحديث في زمانه، وحامل لوائهم، ومن انتهت إليه الرئاسة في الحفظ والإتقان، وبه ختم هذا الشأن، كان محدث الديار الشامية، ورفيق السَّمْعَاني (صاحب الأنساب) في رحلاته (ولد: ٤٩٩ - توفي ٥٧١ هـ)، قال سعد الخير: ما رأينا في سن الحافظ أبي القاسم مثله. قال الحافظ أبو سعد السمعاني في تاريخه: كثير العلم، غزير الفضل، حافظ ثقة متقن دين خير، حسن السمت، جمع بين معرفة المتون =



وجعلنا ممن يخْشَاه ويتَّقيه حقَّ تُقاتِه، إنَّ لُحومَ العُلماءِ مسْمُومة، وعادَةُ الله في هَتْك أسْتارِ مُنتَقِصِيهم مَعْلومَة؛ لأنَّ الوَقيعة فيهم بما هُم منه بَرَاء أمْرٌ عَظيمٌ، والتَّناوُلُ لأعْراضهم بالزُّور والافْتراء مَرتَع وَخِيمٌ، والاخْتِلاف على مَن اخْتارَهُ اللهُ مِنهم لنَعْشِ العِلْم خُلُق ذَمِيم»(١).

وقالَ أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... ومَن أطْلَق لسانَهُ في العُلماءِ بالثَّلْبِ، ابْتلاهُ اللهُ تَعالى قبْلَ مَوتِه بمَوْتِ القَلبِ ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور:٦٣]»(٢).

= والأسانيد، صحيح القراءة، مثبت خير، ورحل وتعبد وبالغ في الطلب إلى أن جمع ما لم يجمع غيره، وأربى على أقرانه وصنف التصانيف، وخرج التخاريج، وشرع في تاريخ لدمشق، وقال ابنه الحافظ أبو القاسم: كان أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مواظبًا على صلاة الجماعة وتلاوة القرآن، يختم في كل جمعة ويختم في رمضان في كل يوم، ويعتكف في المنارة الشرقية، ويحيي ليلة النصف والعيدين بالصلاة والذكر، وكان كثير النوافل والأذكار، يحاسب نفسه على لحظة تذهب في غير طاعة، وقال لي: لما حملت بي أمي رأت في منامها قائلًا يقول لها: تلدين غلامًا يكون به شأن، قال: وحدثني أن أباه رأى رؤيا معناها يولد لك ولد يحيي الله به السنة، قلت: تصديق هذه الرؤيا ما جلب إلى الشام من كتب الإسلام المشهورة كـ«مسند الإمام أحمد»، و«مسند أبي يعلى الموصلي»، وغير ذلك من المسانيد الكبار والصغار. قال الذهبي: «ومع جلالته وحفظه يروي الأحاديث الواهية، والموضوعة ولا يبينها، وكذا كان عامة الحفاظ الذين بعد القرون الثلاثة إلا ابن ساريك، أبعده الله عن ذلك، وأي فائدة في معرفة الرجال، ولمصنفات التاريخ والجرح والتعديل إلا كشف الحديث المكذوب وهتكه، وتبين أمره؛ لئلا يروج على من لا يعلم». وله من المصنفات: «التاريخ»، «الإشراف على معرفة الأطراف»، «المعجم لأسماء شيوخه»، «الموافقات عن شيوخ الأئمة الثقات»، اثنان وسبعون جزءًا. ينظر: «طبقات الشافعيين» (ص٦٩٣)، «ذيل تاريخ بغداد»، المؤلف: محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن، أبو عبد الله، محب الدين ابن النجار، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ، (٢١/ ١٤١)، تاريخ الإسلام (١٢/ ٤٩٣).

(١) «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري»، الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي، دار الكتاب العربي – بيروت، طبعة مصورة (١٣٩٧-١٣٩٩)، (ص٢٨).

(٢) «تبيين كذب المفتري» (ص٢٨).

عن عبد الرحمن بن غَنْم، يبلغ به النَّبي ﷺ قال: «خِيارُ عِبادِ الله الذين إذا رُؤوا ذُكِرَ اللهُ، وشِرارُ عِبادِ الله المشَّاؤُونَ بالنَّميمَةِ المفَرِّقونَ بينَ الأحِبَّةِ الْبَاغُونَ الْبُرَآءَ[1] الْعَنَتَ»[2][3].

٥ - ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [سورة النور:١١].

مع ما حمَلَت حادِثَة الإفْكِ في طيَّاتها من آلام وأَوْجاع ـ حتَّىٰ لتكادُ تنصَدِع من هَولها الأكْبادُ، وتتفطَّر من جرَّائها الأفْئِدَة، إلَّا أنَّ مشيئَةَ الله نافذَةٌ، وحِكْمتَه بالِغةٌ، ففي طيِّ كلِّ محنةٍ مِنْحةٌ، وما فرَج إلَّا بعْدَ كَربٍ، ولا يُسرَ إلَّا بعد عُسْر، وعند اشْتدادِ الظُّلمة ينبَلِجُ الصُّبحُ، وفي الحديثِ عَن أبي كَبْشَة الأنماري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[4]: أنَّه سَمِع النبيَّ ﷺ يقول: «ومَا ظُلِم عبدٌ مَظْلمةً فصَبر عَليها إلَّا زادَهُ اللهُ بها عزًّا»[5].

---

(١) «البرآء»: جمع بريئ، مثل كريم وكرام، وبُرَآءُ، مثل فقيه وفقهاء، وأَبراء، مثل شريف وأشراف، وأَبرِياءُ، مثل نصيب وأنصباء، وبَريئون وبَراء. وقال الفارسي: «البُراءُ جمع بَريء، وهو من باب رَخلٍ ورُخالٍ. وحكىٰ الفراء في جمعه: بُراء غير مصروف علىٰ حذف إحدىٰ الهمزتين». ينظر: «لسان العرب» (١/ ٣٢)، «المحكم والمحيط الأعظم» (١٠/ ٢٨٧).

(٢) «العَنَتُ»، محركة: الفساد، والإثم، والهلاك، ودخول المشقة علىٰ الإنسان، وأَعْنَتَهُ غيره، ولقاء الشدة، والزنىٰ، والوهي، والانكسار، واكتساب المأثم، وعَنَّتَه تَعْنِيتًا: شدد عليه، وألزمه ما يصعب عليه أداؤه. قال ابن دريد: الْعَنَتُ: الْعَسْفُ والحمل علىٰ المكروه. ينظر: «القاموس المحيط»، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ص١٥٦)، «مقاييس اللغة» (٤/ ١٥٠).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٢٧)، وغيره، وهو في «السلسلة الصحيحة» (١٦٤٦ - ١٧٣٣).

(٤) هو: أبو كبشة الأنماري، أنمار مذحج، له صحبة، مختلف في اسمه، فقيل: سُلَيْمٌ، وقيل: عَمْرُو بن سعد، وقيل: سعد بْن عَمْرو وقيل: مهران، وقيل: كيسان، روىٰ عنه ابناه: عبد الله، ومحمد، ونعيم بن زياد، وثابت بن ثوبان، وسالم بن أبي الجعد. قال خليفة بن خياط: ومن أنمار مذحج أبو كبشة الأنماري، سكن الشام، اسمه عمر بن سعد، قال الهيثم بن عدي: شهد مع النبي ﷺ تبوك. ينظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر(٤/ ١٧٣٩)، «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم (٦/ ٢٩٩٩)، «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد(٧/ ٢٩٢).

(٥) أخرجه الترمذي في «سننه»: كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر ح(٢٣٢٥) من حديث أبي كبشة الأنصاري، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني: في «صحيح الجامع» (٣٠٢٤) صحيح.



فإذا بكيد المنافقين ينخسِئ، وإذا بإفكِهم يضمحلُّ، وإذا بكَذِبهم وَقَذْفهم ينْقَشِع، وتمايَزَ -بعْدَ تبْرئَةِ الله لعائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا- صفُّ النِّفاقِ الدَّخيلُ البَذيءُ، وصفُّ الإيمانِ الذي شعارُهُ ﴿لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ﴾ [سورة النور:١٢].

لقد كانَتْ هَذه الحادِثَةُ خَيرًا للنَّبيِّ ﷺ ولآلِ بَيتِ أَبي بَكْر ولصَفْوان بن المعَطّل رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ الذي نالَ الشَّهادةَ في سَبيلِ الله بَعْدَ ذلكَ(١)، فدُروسُ وعِبرُ هذه الحادِثةِ تكادُ لا تُحصىٰ؛ إذْ فيها من وسائِل التَّربيةِ ومَعاني التَّزكيةِ وأوْجُه التَّعريةِ ما الأُمَّة المسْلِمة بحاجَةٍ إليه علىٰ مرِّ عُصورِها وأزْمانِها..

قالَ الزَّمخشَريُّ: «ومعنىٰ كونِه خَيرًا لهم أنَّهم اكْتَسَبوا فيه الثَّوابَ العظِيمَ؛ لأنَّه كانَ بلاءً مبينًا ومحنةً ظاهِرةً، وإنه نزلَتْ فيه ثمان عَشْرة آية، كلُّ واحدَةٍ منها مستقلَّة بما هو تعظيمٌ لشأنِ رَسولِ الله ﷺ وتسليةٌ له، وتنزيهٌ لأُمِّ المؤمنينَ رضوان الله عليها، وتطْهيرٌ لأهل البيَتِ، وتَهويلٌ لمن تكلَّم في ذلِكَ أو سَمِع به فلم تمجَّه أُذناه.. وَعِدّةُ ألطاف للسَّامعينَ والتَّالينَ إلىٰ يوم القِيامةِ وفوائدُ دِينية وأحْكامٌ وآدابٌ لا تخْفَىٰ علىٰ مُتأمِّليها»(٢).

(١) استشهد رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ في معركة أرمينية وكان أميرهم فيها (عثمان بن أبي العاص) سنة ١٩هـ في خلافة عمر، انظر: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر (١/ ٢١٨).

(٢) «الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل»، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي – تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت (٣/ ٢١٧-٢١٨).

٦ – ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور:١١].

إنَّ الحقَّ الذي لا مِريةَ فيه، واليقينَ الذي لا شكَّ معه، أنَّ الذي تولَّىٰ كِبرَ الإفْكِ هو: عبدُ الله بن أُبيّ بن سَلول، وبذلك تظاهَرَت الرِّواياتُ بهذا عن عائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا وهِي صاحِبَة القِصَّة[1]، فقد بوَّب البخاريُّ رَحِمَهُٱللَّهُ بقوله: بابٌ قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [سورة النور:١١]... إلىٰ أن قال: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور:١١]، ثُمَّ ساقَ بسَندِه: عن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ [سورة النور:١١] قالت: عبدُ الله بن أُبيّ بن سَلول)[2].. وعنده أيضًا من رواية صالِح بن كَيْسان[3] عن الزُّهري: «وكانَ الذي تولَّىٰ كِبر الإفْكِ عبدُ الله بن أُبيّ ابن سَلول»[4].

---

(١) «مرويات غزوة بني المصطلق» (٢٢٧) لإبراهيم القريبي. لبنان – بيروت – مؤسسة الكتب الثقافية – الطبعة الأولىٰ (١٤١٣ – ١٩٩٣)

(٢) البخاري (٦/ ٨٤) كتاب التفسير.

(٣) هو: صالح بن كيسان المدني، أبو محمد، ويقال: أبو الحارث، مولىٰ بني غفار، ويقال: مولىٰ بني عامر، ويقال: مولىٰ آل معيقيب، الدوسي، وهو مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز، رأىٰ عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر بن الخطاب، وقال يحيىٰ بن معين: سمع منهما. وقال أبو بكر بن أبي خيثمة، عن مصعب بن عبد الله الزبيري: كان مولىٰ امرأة من دوس، وكان عالمًا، ضمه عمر بن عبد العزيز إلىٰ نفسه، وهو أمير، فكان يأخذ عنه، ثم بعث إليه الوليد بن عبد الملك، فضمه إلىٰ ابنه عبد العزيز بن الوليد، وكان يأخذ عنه، وكان صالح جامعًا من الحديث والفقه والمروءة. وقال حرب بن إسماعيل: سئل أحمد بن حنبل عنه فقال: بخ بخ. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل قلت له، يعني لأبيه: صالح بن كيسان كيف روايته عن الزهري؟ فقال: صالح أكبر من الزهري؛ قد رأىٰ صالح ابن عمر. ينظر: «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي (١٣/ ٧٩)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٥/ ٤٥٤).

(٤) البخاري (٥/ ٩٦) كتاب المغازي، باب حديث الإفك.

وفي رِوَاية فُلَيح بن سُلَيمان(١)، واللَّيث (٢) عَن يُونُس عَن الزُّهريِّ: «وكَانَ الَّذي تولَّىٰ الإفكَ عبدُ الله بن أُبيّ بن سَلول»(٣).

---

(١) هو: فليح بن سليمان بن أبي المغيرة، واسمه رافع، ويقال: نافع، بن حنين الخزاعي، ويقال، الأسلمي، أبو يحيىٰ المدني، مولىٰ آل زيد بن الخطاب. قال الواقدي: عبيد بن حنين عم أبي فليح بن سليمان بن أبي المغيرة واسمه عبد الملك، وفليح لقب غلب عليه. وقال عباس الدوري، عن يحيىٰ بن معين: ليس بقوي، ولا يحتج بحديثه، وهو دون الدراوردي. والدراوردي أثبت منه.وقال أبو عبيد الآجري: سألت أبا داود: أبلغك عن يحيىٰ ابن سعيد أنه كان يقشعر من أحاديث فليح؟ قال: بلغني عن يحيىٰ ابن معين قال: كان أبو كامل مظفر بن مدرك يتكلم في فليح، قال أبو كامل: كانوا يرون أنه يتناول رجال الزهري. قال الذهبي: ولد: في آخر أيام الصحابة، وهو أسن من مالك بقليل. وحديثه في الأصول الستة استقلالًا، ومتابعة، وغيره أقوىٰ منه. ينظر: «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي(٢٣/ ٣١٧)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (٧/ ٣٥٢).

(٢) هو: الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، الإمام، الحافظ، شيخ الإسلام، وعالم الديار المصرية، أبو الحارث المصري، مولىٰ عبد الرحمن بن خالد بن مسافر، وقيل: مولىٰ بن ثابت بن ظاعن جد عبد الرحمن بن خالد بن مسافر، وروي عن الليث أنه قال مثل ذلك، والمشهور إنه فهمي، وفهم من قيس عيلان، ولد بقرقشندة قرية علىٰ نحو أربعة فراسخ من مصر. قال ابن زغبة: سمعت الليث يقول: نحن من أصبهان، فاستوصوا بهم خيرًا. وقال إسماعيل بن يزيد، قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: ليث بن سعد من أهل أصبهان من ماربين. وقال يحيىٰ بن بكير: سعد أبو الليث بن سعد مولىٰ لقريش وإنما افترض أبوه سعد وجده والليث في فهم، كان ديوانه فيهم، فنسب إلىٰ فهم، وأصلهم من أصبهان. ذكره محمد بن سعد في الطبقة الخامسة من أهل مصر، قال: وكان قد استقل بالفتوىٰ في زمانه، وكان ثقة، كثير الحديث صحيحه، وكان سريًّا من الرجال، نبيلًا، سخيًّا، له ضيافة. وقال أحمد بن سعد بن إبراهيم الزهري: سمعت أحمد بن حنبل يسأل عن الليث بن سعد، فقال: ثقة ثبت. وقال حنبل بن إسحاق: سئل أبو عبد الله: ابن أبي ذئب أحب إليك عن المقبري أو ابن عجلان عن المقبري؟ قال: ابن عجلان اختلط عليه سماعه من سماع أبيه، وليث بن سعد أحب إلي منهم فيما يروي عن المقبري. ينظر: «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي(٢٤/ ٢٥٥)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي(٨/ ١٣٦).

(٣) البخاري (٣/ ١٥١) كتاب الشهادات.

وفي «صَحيح مُسلم» مِن روايَةِ يُونس ومَعْمر كليهما عن الزُّهريِّ -: «وكانَ الَّذي تولَّىٰ كِبرَه عبدُ الله بن أُبيّ ابن سلول»(١).

فهذه الأحاديثُ تدلُّ دلالَةً واضِحةً علىٰ أنَّ الذي تولَّىٰ كِبَرَهُ هو عبْدُ الله بن أُبيّ بن سَلول، وما كنَّا بحاجَةٍ إلىٰ الكلامِ في هَذا وتَثْبيته بالأدِلَّة والبَراهِين بعْدَ أنْ استَفاضَ أنَّه صاحِبُ هذه المقالَةِ الخَبيثَةِ، لولا وُرودُ ما يُشيرُ إلىٰ أنَّ حسَّانَ بن ثابِت، وحَمْنَة بنتَ جَحْش، ومِسْطَح بن أُثاثَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ممن تولَّىٰ كِبْره أيضًا(٢).

لقد كانَ عبدُ الله بن أُبيّ بن سَلُول هو الذي أَطْلَقَ حملةَ إذاعَةِ الإفْكِ، وتولَّىٰ مُعظمَه، وكانت دارُه مأوًىٰ لتلْكَ المنتدياتِ والملتَقياتِ الآثِمَة، وهُو يمثِّلُ عُصبةَ اليهودِ والمنافقينَ في هَذه المسِيرةِ الظَّالمةِ الجائرَةِ، ومعَ أنَّه كانَ حامِلَ لواءِ هَذا الطَّابور، إلَّا أنَّه كانَ علىٰ غايَةٍ من الحذَرِ الماكِرِ والحيطَةِ البالغَةِ؛ فلَم يَظْهر بشَخْصِه في المعْركَةِ لكِنَّه الذي يُدِيرها، ولم يكن يصرِّحُ بوقُوعِ عائِشَةَ في الزِّنىٰ، لكِنَّه الذي يقْدَح شَرارَةَ الحديثِ للخَوضِ والوُلوغ فيما لا دَليلَ عليه ولا شاهِدَ له ﴿لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ﴾ [سورة النور:١٣].

إنه يروغُ رَوغانَ الثَّعلبِ، فلَم يقُلْ علانِيَةً ما يُؤاخَذُ به عليه فيُقام عليه الحدُّ، فكانَ تَدبيرُه من المهارَةِ وتَخْطيطُه من الخُبْثِ، بحيثُ يتحقَّقُ له هدَفُه، ويصِلُ إلىٰ مبتَغاه دونَ إشارَةٍ إليه، لقد عرَفَ كيفَ يختار مقتلًا، لولا أنَّ اللهَ كان من ورائِه مُحيطًا، ولِدِينِه حافظًا، ولرَسُوله عاصمًا ﷺ، وللجماعَةِ المسلمة راعيًا(٣).

---

(١) «صحيح مسلم» (٨/ ١١٢) كتاب التوبة.

(٢) وهناك مزيد تفصيل وتحقيق في المسألة في رسالة «مرويات غزوة بني المصطلق»، من (٢٢٧-٢٣٤).

(٣) انظر: «في ظلال القرآن» (٥/ ٢٦٤-٢٦٥) بتصرف.

٧- مضى الأحفادُ على المنْهاجِ:

وعلى الطَّريق ذاتِه.. وبصفَةِ المكْرِ والمرَاوغَةِ نفْسِها مَضى أحْفادُ ابنِ سَلول على المنهاجِ، إنَّهم خفافِيشُ ظَلام؛ فإذا ما ظهرَت أعْناقُهم وسَنَحَت لهم فرصٌ ثمينةٌ ومجالاتٌ متاحَةٌ تحدَّثوا، ولكن بتلْميحٍ لا تَصْريحٍ، وطعَنُوا ولكن بيدِ غَيرِهم، ودبَّروا وكادُوا ولكن بتَوْظيفِ سِواهُم، ليضْمَنوا لأنفُسِهم خَطَّ الرَّجْعَة، وحتى لا يُؤاخذُونَ على ما قالُوا وتكلَّمُوا، وإن كانَتْ أوْضاعُهم الأخِيرةُ وجَرْأَتُهم في الأزْمِنَة المعاصرة تجاوَزَتْ التَّعريضَ إلى التَّصريحِ، والتَّورية إلى المكاشَفَةِ، وشواهِدُ ذلك كثيرَةٌ فمنها:

ـ يقولُ مُسيلمَةُ العَصْر (محمَّد أركون): إنَّ إعادَةَ قِراءَةِ القُرآن من جَديدٍ قِراءَةً نقديَّة متخصِّصةً لا قراءَةً أَيْديولوجيّة تقْليدية هي الخُطْوة الأُولى الَّتي لابد مِنها من أجْل فَهْم المُناخ الفِكْري والنَّفسيّ للشَّخصيَّة العَربيَّة الإسلاميَّةِ.. إنَّ هَذه القِراءَةَ مضطرةٌ لأَنْ تأخذَ في الاعتبارِ كلَّ المسارِ الفَلسفي والنَّقديّ الذي قطعَه الفِكْرُ الغربي ابتداءً من (نيتشه)، وانتهاء (بفرويد) مرورًا بطبيعةِ الحال (بكارل ماركس)[1].

أمَّا طه حُسين (أعمى البَصر والبَصيرة) فيقولُ في محاضَرةٍ له بكليَّة الآداب بقَصْر الزعفران (١٩٢٧-١٩٢٨) بعْدَ ضجَّة الشِّعر الجاهلي: «ليسَ القرآنُ إلَّا كتابًا ككُلِّ الكُتبِ الخاضِعَةِ للنَّقدِ؛ فيجِبُ أن يُجرى عليه ما يُجْرى عليها، والعلمُ يُحتِّمُ عليكم أنْ تَصرِفوا النَّظر نهائيًا عن قداسَتِه التي تتصوَّرُونها، وأنْ تعتبِرُوه كتابًا عاديًّا، فتقولون فيه كلِمَتكم، ويجِبُ أنْ يختصَّ كلُّ واحِدٍ منكم بنَقْدِ شَيء من هذا الكتاب، ويبيِّنَ ما يأخذُه عليه).

---

(١) «ظاهرة اليسار الإسلامي دراسة تحليلية نقدية لأطروحات»، محسن الميلي، دار النشر الدولي بالرياض - ١٤١٤/ ١٩٩٣، (٤١-٤٢).

ويقول: وإذَنْ فالقُرآنُ دِينٌ محليٌّ لا إنسانيٌ عالميٌّ قيمَتُه وخَطَرُه في هَذه المحليّة وحْدها، قالَهُ صاحبه متأثِّرًا بحياتِه التي عاشَها وعاشَ فيها، ولذَلكَ يُعدُّ تعبيرًا صادقًا عن هَذِه الحياةِ، أمَّا أنَّه يمثِّلُ غيرَ الحياةِ العربيَّةِ، أو يرْسُمَ هدفًا عامًّا للإنسانِ، فليْسَ ذلك بحَقٍّ، إنَّه دِينٌ بشريٌّ، وليسَ وَحيًا إلهيًّا، والقُرآنُ مُؤلَّف، ومؤلِّفُه محمَّد، ويُمثِّل تأليفُه بأنَّه يمَثِّل حياةَ العَربِ المحْدُودة في شِبْه الجزِيرَةِ في اتِّجاهاتِ حياتها المختلفة ـ السياسِيَّة والاقْتصادِيَّة والدينية)[1]، ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةً تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [سورة الكهف:٥].

ـ أمَّا أحمد لطفي الَّسيد[2] (أستاذ الجيل) – هكذا زعموا –!! المعارِضُ للوحْدَة الإسلاميَّة، وصاحِبُ شِعار (مِصْر للمصريين)، والنَّعْرة الفُرعونيَّة، يكْفي في بيانِ عدائه للهويَّة الإسلاميَّة أنَّه كانَ يصفُ نصَّ الدُّستورِ على أنَّ الدِّينَ الرَّسميَّ للدَّولةِ هو الإسْلامُ بأنه: (النَّصُّ المشْؤوم).. ويكفيه هذا عارًا يلاحِقُه إلى يوم الدِّينِ.

ـ لقَد ضاعَتِ الأُمَّة بين أُستاذِ الجيلِ هذا، وبينَ عَميدِ الأدَبِ العربي ذاك الذي

---

(١) محاكمة طه حسين (١٨٥–١٨٦–١٨٧) لأنور الجندي.

(٢) أحمد لطفي بن السيد أبي علي (١٢٨٨ – ١٣٨٢ هـ = ١٨٧٠ – ١٩٦٣ م): رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة. ويُنعَت بأستاذ الجيل. وُلِد في قرية (برقين) بمركز (السنبلاوين) بمصر، وتخرج بمدرسة الحقوق في القاهرة (١٨٨٩)، وعمل في المحاماة. وشارك في تأليف حزب (الأمة) سنة ١٩٠٨ فكان أمينه، وحرر صحيفته (الجريدة) يومية إلى سنة ١٩١٤ وكان من أعضاء الحزب الوطني القدماء، ومن أعضاء (الوفد المصري)، وتحول إلى (الأحرار الدستوريين)، وعُيِّن مديرًا لدار الكتب المصرية، فمديرًا للجامعة عدة مرات، ثم وزيرًا للمعارف، والداخلية والخارجية (١٩٤٦) فعضوا بمجلس الشيوخ (١٩٤٩)، وكان تعيينه رئيسًا لمجمع اللغة العربية سنة ١٩٤٥ واستمر فيه إلى أن توفي، بالقاهرة. تأثر بملازمة جمال الدين الأفغاني مدة في استنبول، وبقراءة كتب أرسطو، ونُقل منها إلى العربية: علم الطبيعة – السياسة – الكون والفساد – الأخلاق. ينظر: الأعلام للزركلي (١/ ٢٠٠)، مرآة العصر (٢/ ٤١٢).



قال: «إنَّ الدِّينَ الإسلامِيَّ يجبُ أنْ يُعلَّم فقَط كجُزءٍ من التَّاريخ القَومي لا كدِينٍ إلهيّ نزَلَ بينَ الشَّرائع للبشَر، فالقَوانينَ الدِّينية لم تعُدْ تصْلُحُ في الحضارَةِ الحديثَةِ كأساسٍ للأخْلاقِ والأحْكامِ، ولذَلِك لا يجوزُ أنْ يبْقى الإسلامُ في صَمِيم الحياةِ السِّياسيَّة! أو يُتَّخذَ كمُنطَلق لتَجْدِيد الدِّين، فالأُمَّة تُجدّد بمَعْزل عن الدِّين»[١].

ـ أمَّا الدُّكتور صادِق العظم -وليس بصادق- فيقول في كتابٍ له: «يشدِّد القائِلُون بالتَّوافِق التامِّ بينَ الإسلامِ والعِلْم على أنَّ الإسْلامَ دينٌ خالٍ من الخُرافات والأساطِير، باعتبارِ أنَّه هُو والعِلْم واحدٌ في النِّهاية.. لنمحّص هذا الادِّعاء التَّوفيقي بشيءٍ من الدِّقَّة بإحالتِه إلى مسألةٍ محدَّدة تمامًا»[٢].

جاءَ في القرآنِ مثلًا: أنَّ اللهَ خلَق آدمَ من طينٍ ثُمَّ أمرَ الملائِكَةَ بالسُّجود له، فسَجُدوا إلَّا إبْليسَ مما دَعا الله إلى طَرْدِه من الجنَّة.. هل تشكِّل هذه القِصَّة أُسْطورة أم لا؟!.. نريدُ جوابًا محدَّدًا وحاسمًا من الموفَّقين وليس خطابةً، هل يُفترضُ في المسلم أنْ يعتَقِدَ في النِّصف الثاني من القَرْنِ العِشْرين بأنَّ مِثْل هذه الحادِثة وقَعَت فعلًا في تاريخِ الكَون؟ إنْ كانَت هَذِه القِصَّة القُرآنية صادِقَة صِدْقًا تامًّا، وتنطَلِق على واقِع الكَون وتارِيخه، فلا بدَّ من القولِ إنها تتناقَضُ تناقضًا صريحًا مع كلِّ معارِفنا العِلْميَّة، ولا مَهرَب عندئذٍ من الاستنتاجِ بأنَّ العِلْمَ الحديثَ على ضلالٍ في هذه القَضيَّة، وإن لم تنطَبِق القِصَّةُ القرآنيَّةُ على الواقِع فماذا تكونُ إذن - في نظَرِ الموفَّقين- إن لم تكن أُسْطُورة جميلة»[٣].

وهذا القولُ الكُفْريُّ هُو قولُ المشركينَ قديمًا الذين قالوا عن القرآنِ: ﴿ وَقَالَ

---

(١) «علل وأدوية»، محمد الغزالي، دمشق، دار القلم، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، (٧٩ -٨١).

(٢) «نقد الفكر الديني»، (ص٣٦) لصادق العظم.

(٣) «كلهم سلمان رشدي»، (ص٢٣-٢٤).

ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾ [سورة الفرقان: ٤-٦].

- وهذا الدكتور نصر أبو زيد المرتدّ يقولُ عن القرآنِ:

إنه نصٌّ بشريٌّ ومنتجٌ ثقافيٌ لا قداسَةَ له! وإنَّ بينه وبين الشِّعْر الجاهليّ ـ وخاصَّة شِعْر الصَّعاليك ـ شبهًا كبيرًا! وبنصّ عباراتِه التي لا تحتاجُ إلى تعْليق يقول: من الواقِع تكوَّن النَّصّ (القرآن) ومن لُغَتِه وثقافَتِه صيغَتْ مفاهِيمُه، فالواقِعُ هو الذي أنتجَ النصَّ.. الواقِعُ أولًا، والواقع ثانيًا، والواقع أخيرًا»[1].

وحتى عالم النِّساء فيه مَن خاضَ في الكُفْر ولجَّ في الباطلِ، فها هي تغْريد عَنبر، ثَمَرة من ثمراتِ شَجَرة الحنْظَلِ ـ مدرسة أَمين الخولي ـ ورسالتها (أصْواتُ المدِّ في تجْويدِ القرآنِ). زعمت (تَغْريد عَنبر) أنَّ رَسولَ الله ﷺ كان يُغيِّرُ ويُبدِّلُ في القَصَصِ القرآني، وأنَّ النصَّ القرآني لم يتعرَّضْ للتَّغييرِ والتبديل على يدِ رَسولِ الله وحْدَه، بل تعرَّض لهذا التغيير على أيدي الصَّحابة.

ولما طالبَ الدُّكتور محمَّد محمد حسين[2] الجامِعَة بالتوقُّف عن مَنْحها الدَّرجةَ واستجابَت الجامعة، شنَّع أعوانُ الشرِّ على الدُّكتور محمد محمد حسين، وتولَّى كِبر

(١) مفهوم الن (صص٥٦) لنصر حامد أبي زيد.
(٢) هو أديب إسلامي مصري، غير مكثر في ميدان الكتابة، لكنه رصين الأداء، مقتدر في استيفاء جوانب ما يطرقه، أبرز مؤلفاته: «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر» الذي ردَّ فيه على طه حسين وغيره، و«الروحية الحديثة حقيقتها وأهدافها»، و«اتجاهات هدامة في الفكر العربي المعاصر»، و«حصوننا مهددة من الداخل». يقول الدكتور الشيخ محمد بن سعد بن حسين – وهو رفيقه في كلية اللغة العربية بالرياض لمدة سبعة أعوام تقريبًا –: «والناظر إلى كتبه بلا استثناء يجد أنها جميعًا من الموضوعات التي تَهَيَّبَ ميدانها كثيرون، أو أنها موضوعات ذات حساسية في الميادين الفكرية؛ فهل تستطيع تحسس علة هذا الاتجاه والأسباب الدافعة إليه». ينظر: «تكملة معجم المؤلفين» (ص٥٤٢).



هذه الحمْلَة مجلَّةُ (المصور) التي يُشرفُ عليها محمود أمين العالم، وتزعَّمَت الحملَةُ (أمينة السعيد) بمقالاتٍ بدَأَتْ في (مجلة المصور) في ٢٧/ ٥/ ١٩٦٦م[١][٢].. هذه المقولات ما هي إلَّا غيضٌ من فَيضٍ، وقطرَاتٌ من بَحْرٍ مُتلاطِم لهؤُلاءِ المندسِّين في الصفِّ النَّاخرينَ لعَمودِ الإسلامِ، وأنَّىٰ لهُم ذلك[٣].

٨- من مواقِفِ عبدِ الله بن أبيّ بن سَلول:

- من مواقِفِ عبدِ الله بن أُبي بن سَلول الذي تصدَّر إيذاءَ الرَّسولِ ﷺ، وتزعَّم المنافِقينَ في المدينَةِ، وواجَه منه المسلمونَ العنَتَ والمشقَّةَ، نتذكَّر في هذا الرَّجل قولَ عائشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كانَ يوم بُعاث، يومًا قدَّمه الله لرسولِ الله ﷺ، فقَدِمَ رسولُ الله ﷺ وقد افْترقَ ملؤُهم وقُتِلَت سَرواتُهُم[٤]، وجُرحوا فقدَّمه اللهُ لرسولِ الله ﷺ في دخُولهم الإسلام[٥]؛ حيثُ مهَّد اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهذه الدَّعوةَ بقَتْلِ مَن كانَ يتكبَّر ويأنَفُ أن يدْخلَ في الإسلامِ، يقولُ ابنُ حجَر رَحِمَهُ اللَّهُ: فقُتِل منها من أكابِرهم مَن كانَ لا يؤمنُ، أي: يتكبَّرَ ويأنَفُ أنْ يدخُلَ في الإسلامِ حتَّىٰ لا يكون تَحْتَ حُكْم غيرِه، وقد كانَ بقِي منهم مَن علَىٰ هذا النَّحو عبْدُ اللهِ ابن أبيٍّ بن سلول»[٦]..

---

(١) حصوننا مهددة من الداخل (٢٥٢)، للدكتور محمد محمد حسين.

(٢) هذه النصوص الكفرية مستفادة من السفر المبارك ذي الأربع مجلدات، للشيخ السيّد العفاني، وخصوصًا المجلد الثاني، واسمه: «وامحمداه».

(٣) ولمزيد اطلاع علىٰ مقولات القوم فانظر: «الانحراف العقدي في فكر الحداثة»، للدكتور سعيد بن ناصر الغامدي.

(٤) قال ابن منظور: ومنه الحديث: أنه قال لأصحابه يوم أحد اليوم تُسَرَّوْنَ، أي: يقتل سَرِيُّكُمْ، فقتل حمزة، رضوان الله عليه. وفي الحديث: لما حضر بني شيبان وكلم سَرَاتَهم ومنهم المثنىٰ بن حارثة، أي أشرافهم. قال: ويجمع السَّراةُ عَلَىٰ سَرَوات؛ ومنه حديث الأنصار: افترق ملؤهم وقتلت سَرَوَاتُهم، أي: أشرافهم. ينظر: «لسان العرب» (١٤/ ٣٨٣).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب الأنصار، برقم: (٣٥٦٦).

(٦) «فتح الباري»، لابن حجر (٧/ ١١١).



ونستفيد من هذا أمرين:

الأول: أنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي يتولَّى أمْرَ هذا الدِّين، وعلى المؤْمِنِ أنْ يفعَلَ الأسبابَ، فاللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الذي كتَبَ هذا القِتالَ في المدينَةِ، لكي يَفْرحُ الأنصارُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بمقابَلةِ الرَّسولِ ﷺ ويرجوا أنْ يجْمَعَهم اللهُ بالرَّسولِ ﷺ بعْدَ نزاعِهم الدَّامي الذي وقَعَ بينهم، وهُو سبحانه الذي جعَلَ في هذا القِتالِ ما يُزيلُ عقبَةً من عقَباتِ الدَّعوةِ في المدينَةِ، وهُم أولئكَ الملأ أمْثال عَبْد الله بن أبيّ ابن سَلول في المدينَةِ، وأمثال أبي جَهْل في مكَّةَ؛ حيثُ سلَّطَ أهْلَ المدينةِ بعْضَهم على بعضٍ؛ ليُقْتَلَ الكبارُ الذين يتكبَّرون ويأنَفُونَ من الدُّخولِ في الإسْلامِ ويحُولون دونَ غَيرهم من الدُّخولِ فيه.

الثاني: بقاءُ عبدِ الله بن أُبيّ ابن سَلول، وهو من هذا النَّوع، لكي نتذكَّرَ نِعْمةَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ونعرفَ رعايَةَ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهذه الدَّعوة، وأنَّ العشَرات مِن أمْثالِ ابن أبيّ كانوا لو بقوا على قَيدِ الحياةِ حَتى مجِيء الرَّسولِ ﷺ سيقولونَ مثلَ قَولِه ويفْعَلون مِثْل فِعْلِه، لكنَّ اللهَ سُبحانَه بتدْبيرِه ونَصْرِه للمُؤْمنينَ كفاهُم شرَّ هَؤُلاء، وأبْقى واحِدًا منهم يذكِّر بهم، واللهُ سُبحانَه يقول: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سورة البقرة:١٣٧](١).

٩- ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾.

إنّه لم يُقْذفْ عِرْضُ نبيٍّ بالفاحِشَة حتَّى امْرأتي نُوحٍ ولُوطٍ عليهما الصلاة والسلام، وإنَّما كانَ المعنى في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [سورة التحريم:١٠].

(١) «فقه السيرة» (٤٧٩-٤٨٠) للدكتور/ زيد الزيد. الرياض – الطبعة الأولى – ١٤٢٤ هـ

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندَ قولِهِ تعالىٰ: «﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾، أي: في الإيمانِ: لم يوافِقاهُما علىٰ الإيمانِ ولا صدَّقاهما في الرِّسالةِ فلَم يُجدِ ذلك كلُّه شيئًا ولا دَفَع عنهما محذورًا، وليسَ المرادُ ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ في فاحِشَةٍ، بل في الدِّين، فإنَّ نساءَ الأنبياءِ عليهم الصلاة والسلام مَعصُوماتٍ عن الوُقوعِ في الفاحِشَةِ؛ لحُرمَةِ الأنبياءِ عليهم الصلاة والسلام».

قال ابنُ عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «ما زَنتا، أمَّا امرأَةُ نوحٍ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ فكانَتْ تُخبر أنَّه مجْنونٌ، وأمَّا خيانَةُ امْرأة لُوطٍ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ فكانَتْ تَدُلُّ قومَه علىٰ أضْيافِه»[(١)]، وهكذا قال عِكْرِمَةُ، وسَعيدُ بن جُبير، والضَّحاك وغيرُهُم رحمهم الله[(٢)].

أوردْتُ هذا الشَّاهدَ؛ ليتبيَّنَ مَدىٰ العَنتِ والبلاءِ الذي لِحَق نبيَّنا عَلَيْهِٱلسَّلَامُ من جرَّاء اتِّهامه في عِرْضِه وشَرفِه وفِراشِه، ومعَ ذلِكَ كلِّه تجده عَلَيْهِٱلسَّلَامُ مع وُجودِ القَرائِن علىٰ أنَّ ابْنَ سَلول كانَ يُذْكي النَّارَ حطبًا إلَّا أنَّه لم يوافِقْ عُمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في ضَربِ عُنقِه حتَّىٰ لا يعالِج المنكَرَ بما هو أعْظَم منه[(٣)].

(لم يكُن المصْطفَىٰ ﷺ ليُعاقِبَ عبدَ الله بن أبيّ بن سَلولٍ وعَصَبته المتزعِّمين كِبَرَ الإفْكِ؛ لأنَّهم فِئةٌ متسرِّبة بينَ الصُّفوف قَادِرَة علىٰ الاسْتِخْفاء والتلوُّن في أعْقابِ كلِّ تخريبٍ تُحْدِثه أو إفْسادٍ تمارِسُهُ، ولم يكُن ليُعاقِبَ علىٰ التُّهمة بمُجرَّدِ الظنَّة؛ لأنَّ سَرائر النَّاسِ لا يعْلَمُها إلَّا اللهُ، ولِوَليِّ الأمْرِ الأعمالُ الظَّاهرةُ، فهم يُظْهِرون الإيمانَ والدِّينَ، ويُبطِنُون الشرَّ والإفسادَ)[(٤)]. ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [سورة يوسف:١٨].

---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٨/ ١٦٩)، وابن أبي حاتم (١٨٩٢٧) في «تفسيرهما»، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٣٨)، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ١٩٨).

(٣) انظر: محمد سعيد القرافي «الدروس الدعوية في غزوة بني المصطلق»، (ص٣٤) بحث غير منشور.

(٤) «عبير المسك في غزوة بني المصطلق وحادثة الإفك» (٣٧).

١٠- (كاد الحيَّانُ أن يقتتلا).

من أعْظَمِ الآثارِ التي نجَمَتْ عن هَذِه الحادِثَةِ ما كانَ سَيقعُ من اقْتِتالٍ بينَ الأوْسِ والخَزْرجِ مِن جرَّاء هذا الأفَّاك الأثِيمِ كما ورَدَ في ثنايا قِصَّة الإفْكِ إلَّا أنَّ اللهَ قدَّر ولطَفَ وحَمىٰ وعافَا المؤْمنينَ مِن ذلِكَ، وقامَ النَّبيُّ بدَوْرِه المبارك في تهدِئَة الأوْضاعِ، وإطْفاءِ جَذْوةِ البلاءِ.. وهذا يَدْعو الصَّفَّ المسْلِمَ إلىٰ أَخْذِ الحيطَةِ مِن أنْ يُجرَّ من خِلالِ مَواقفِ علمانيين وغيرهم إلىٰ رُدودِ أفْعالٍ أو تسرُّع في تصرُّفاتٍ قَد لا تُحمَد عُقْباها.

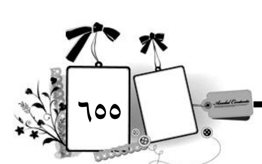
هذه بعْضُ درُوسٍ وعِبرٍ مختَصَرة اقتُصِر فيها علىٰ شَأنِ ابنِ سَلول، وإلَّا فالحادِثَةُ ثرىٰ ومُفْعِمة بالعِظاتِ والعِبرِ.. وهنا وقْفَتانِ قَبلَ أن تُطْوَىٰ صَفْحةُ حادِثَةِ الإفْكِ هما:

موقف الشيعة الرافضة من عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

هل أُقِيمَ الحدُّ علىٰ ابن سَلولٍ كما أُقيم علىٰ بعْضِ الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؟

أ- موقف الشيعة من عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا:

من المعلومِ ما تنزَّل من آياتِ الذِّكْر الحكِيم في تَبْرِئةِ أمِّ المؤْمنينَ عائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وما جاءَ في تلْكِ الآياتِ من التَّهديدِ والوَعيدِ والجزاءِ لمن خاضَ في الإفْكِ، ورَمىٰ بالقذْفِ، وسَعىٰ في إشاعَةِ الفاحِشةِ، إلَّا أنَّ الرَّافِضَةَ اتَّخذوا كلَّ ذلِكَ وراءَهم ظِهريًّا، فأجْرَموا واتَّهمُوا وقَذَفوا بعْضَ زَوجاتِ النَّبيِّ ﷺ خصوصًا حَفْصة وعائِشَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا فمِن ذلك:



١. اعْتِقادُهم كُفْرَ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[١]، وأنَّها التي نقَضَت غَزْلَها من بَعْدِ قُوَّةٍ أنكاثًا، أي: نكثَت إيمانها[٢]، وأنَّها في النَّار ولها بابٌ من أبوابها تدْخُل منه[٣].

٢. قذَفُوها بالفاحِشَةِ وقد برَّأها اللهُ من فَوقِ سَبْع طِباقٍ ففِي قولِه تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [سورة التحريم:١٠] ، فسَّر بعضُ ملاليهم الخِيانَةَ هنا بالفاحِشَة، وأنَّه مَثل ضَربه اللهُ لعائِشَةَ وحَفْصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ما قالَ إمامُهم القمّي في تفْسِيره لهذه الآيَةِ: «واللهُ ما عَني بقولِه: ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ إلَّا الفاحِشَة، وليقيمنَّ الحدَّ على عائِشَةَ فيما أتَتْ في طَريقِ البَصْرةِ، وكانَ طَلحة يحِبُّها، فلمَّا أرادَتْ أنْ تخْرجَ إلى البَصْرة قال لها فلان: لا يحلُّ لكِ أن تَخْرجي من غَير محْرمٍ فزوَّجت نفْسَها من طَلْحة»[٤].

لقد بلَغَتْ وقاحَةُ أحَدِ ملالي الشِّيعة المسمَّى ياسِر الحبيب، والصَّحيحُ أنَّه: خاسِر الخبيث أنْ عمَدَ إلى إقامَةِ احْتِفالٍ في بريطانَيا في ١٧/ رمضان/ ١٤٣١هـ، وجمَعَ مجموعَةً ممن هُم على شاكِلَتِه ليُمْطِرَهم ويُسْمِعَهم شتائِمَه القَذِرَةَ لأمِّنا عائشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بل جمَع الأطفالَ الصِّغارَ والكِبارَ وألبَسَهم أعلامًا وشَرائِطَ كُتِبَ عليها (عائِشَة في النَّار!!!). ناهِيكَ عن محاضَرة ألقاهَا في هذه الاحتِفالِيَّة وكانَت كالصَّاعقَةِ؛ حيثُ افْترى كعادَتِه على الصَّحابيَّة الجليلَةِ، وزعَمَ أنَّها الآنَ في النَّار مُعلَّقة من رِجْلها..وتأكُلُ الجيفة!! وغير ذلك من الوَقاحَةِ وسُوءِ الأدَبِ.

---

(١) «تفسير العياشي» (٢/ ٢٦٩)، و«البرهان» (٢/ ٣٨٣) للبحراني، و«بحار الأنوار» للمجلسي (٧/ ٤٥٤).

(٢) انظر: المراجع السابقة.

(٣) «تفسير العياشي» (٢/ ٢٤٣).

(٤) «تفسير القمّي» (ص٣٤١).

٣. كانَت الرَّافِضةُ قاتَلهم اللهُ أنَّى يُؤفَكُون ـ يُسمّون عائشَةَ في كُتُبِهم المنحَرفة بـ (أُمِّ الشُّرور) وبـ (الشَّيطانَةِ)[1]، هكذا أحْفادُ ابنِ سَلول وحِزْبه من بَعْدِه، تشابَهتْ قلُوبهُم وتوافقَتْ مواقِفُهم.

من أجْلِ ذلك قالَ ابنُ تيميَّة في الصَّارمِ المسْلولِ تحْتَ عنوان: حُكْم سابِّ عائِشَةَ:

«قالَ القاضي[2]، أبو يعلي: مَن قذَفَ عائشةَ بما برَّأها اللهُ منه كفَر بلا خِلافٍ، وقَد حَكىٰ الإجماعَ علىٰ هَذا غيرُ واحِدٍ، وصرَّح غيرُ واحِدٍ من الأئمَّةِ بهذا الحُكْم، ثم ذكَرَ بعضَ الوقائِع التي قُتِل فيها مَن رَماها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعْدَ نُزولِ القُرآنِ ببراءَتها[3]، .. وقال ابنُ القيِّم: اتَّفقَت الأُمَّةُ علىٰ كُفْر قاذِفها».

وقالَ ابنُ كثير ـ تحْتَ قولِه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور:٢٣].

«أجمعَ العلماءُ قاطِبَةً علىٰ أنَّ مَن سبَّ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعْدَ هذا ورَماها بما رَماها به بَعْد الذي ذُكِر في هذه الآيَةِ، فإنَّه كافِرٌ؛ لأنَّه معانِدٌ للقُرآنِ»[4]. وقال بَدْر الدِّين الزَّركشي: «مَن قذَفَها فقدْ كفَرَ، لتَصْريحِ القُرآنِ الكَريم ببراءَتها»[5].

وقال السُّيوطي في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ﴾ [سورة النور:١١] الآيات، قال: «نزَلَت في براءَةِ عائِشَةَ فيما قُذِفَت به، فاستدَلَّ به الفَقهاءُ علىٰ أنَّ قاذِفَها يُقتَل

---

(١) كتاب «الصراط المستقيم»، للبياضي (٣/ ١٦١ و١٣٥).

(٢) «الصارم المسلول» علىٰ شاتم الرسول»، (ص٥٦٥-٥٦٧)، و(ص٥٧١). الدمام - دار الرمادي للنشر – ٣ مجلدات – ط الأولىٰ ١٤١٧هـ

(٣) «زاد المعاد» (١/ ٤١).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٧٦).

(٥) «الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة علىٰ الصحابة»، (ص٥٢).

لتكْذِيبه لنصِّ القُرآنِ، قالَ العلماءُ: قَذْف عائِشَة كُفْرٌ؛ لأنَّ اللهَ سبَّح نفسَهُ عندَ ذِكْره(١)، فقالَ: سُبْحانك هَذا بهتانٌ عَظيمٌ، كما سبَّح نفْسَه عندَ ذِكْر ما وَصفَه به المشْركُونَ من الزَّوجَةِ والوَلدِ»(٢).

وقالَ الإمامُ النَّوويُّ أثناءَ تَعدادِ فَوائِد حَديثِ الإفكِ: «الحادِيَة والأربعون: براءَةُ عائِشَةَ من الإفْكِ وهي بَراءَةٌ قطعِيَّةٌ بنصِّ القُرآنِ العَزيزِ فلو تشكَّك فيها إنسانٌ ـ والعياذ بالله ـ صارَ كافرًا مرتدًّا بإجماعِ المسْلِمينَ، قالَ ابنُ عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا وغيرُه: لم تَزْنِ امْرَأَةُ نبيٍّ من الأنبياءِ صَلوات الله وسلامه عَليهم أجمعين، وهذا إكْرَامٌ منَ الله تعالىٰ لهم»(٣).

ب - هل أُقيم الحدُّ علىٰ ابن سلول كما أُقيم علىٰ بعض الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؟

في هذه المسألة جانبان:

١ - يكادُ الاتِّفاقُ عليه يكونُ إجماعًا لدىٰ العُلماءِ، ألَا وهُو أنَّ النبيَّ ﷺ قالَت عنه عائِشَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: «لما نزلَ عُذري قامَ النَّبيُّ ﷺ علىٰ المِنْبر فذَكَر ذاكَ وتَلا ـ تعني: القرآنَ ـ فلمَّا نزلَ من المنبرِ أمَر بالرَّجلين والمرأة فضُربوا حدّهم»(٤).

---

(١) الضمير (في ذكره) يعود علىٰ قصة الإفك.

(٢) «الإكليل في استنباط التنزيل بهامش «جامع البيان في تفسيرالقرآن» لصفي الدين»، جلال الدين السيوطي، مطابع النامي، (ص١٦٠). وانظر: «المحلىٰ» لابن حزم (١٣/ ٥٠٤)، «الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ» للقاضي عياض (٢/ ٣٠٩)، و«الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام»، عبد الرحمن السهيلي، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة، (٦/ ٤٤٩-٤٥٠)، وكتاب «محمد الخرشي علىٰ مختصر خليل» (٥/ ٣١٦)، و«الإقناع» لشرف الدين الحجاوي الحنبلي (٤/ ٢٩٩)، و«كشاف القناع عن متن الإقناع» لمنصور بن يونس البهوتي الحنبلي (٦/ ١٧١)، و«أحكام المرتدين في الشريعة الإسلامية» للدكتور نعمان عبد الرزاق السامرائي (ص١١١).

(٣) «شرح «صحيح مسلم»، للنووي (٥/ ٦٤٣).

(٤) أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ٣٥)، وأبو داود، كتاب: الحدود، باب: في حد القذف، برقم: (٤٤٧٤)، وغيرهما، حسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».



وهؤلاءِ حَسَّان بن ثابت، ومِسْطَح بن أُثاثَة، وحَمْنَة بنتَ جَحْش أُخت زَينب بنت جَحْش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا..

٢- فخلافُ العلماءِ في ثُبوت إقامة الحدِّ على ابن سَلول أو عدم ذلك.

فأصحُّ الرِّوايات لم تُشِرْ إلى تَسميَةِ ابن سَلول فيمَن أُقيم عليه الحدُّ ومنها:

ماوردَ عندَ الإمامِ الطَّبريِّ من طَريقِ هِشام بن عُرْوة عن أَبيه التَّصْريح بأنَّ ابن أبيٍّ لم يُسمَّ في أَهْلِ الإفْكِ، عن عُرْوة أَنَّه كتَبَ إلى عَبْدِ الملك بن مَروان [(١)]: كتَبتَ إليَّ تسألني في الَّذين جاؤُوا بالإفْكِ وهُم كما قالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ [سورة النور:١١] ، وأنَّه لم يُسمَّ منهم أحَدٌ إلَّا حَسَّان بن ثابِت، ومِسْطَح بن أُثاثة، وحَمْنة بنت جَحشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهو يقولُ في آخرين: لا عِلْم لي بهم، غير أنَّهم عَصبة كما قالَ اللهُ تعالى[(٢)].

وعندَ البخاريِّ: قالَت عائشة: وكانَ الذي تولَّى كِبْر الإفْكِ عبْدُ اللهِ بن أُبيّ بن سَلول، قال عُروة: أُخبرت أنَّه كانَ يُشاعُ ويُتحدَّثُ به عِندَه، فيُقرّه ويستَمِعَه ويَسْتَوْشِيه[(٣)].

---

(١) هو: عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، أبو الوليد، المدني الدمشقي. من أعاظم الخلفاء ودهاتهم. كان فقيهًا واسع العلم. روى عن أبيه وعثمان ومعاوية وجابر وأبي هريرة وأم سلمة وغيرهم. وعنه ابنه محمد وعروة بن الزبير والزهري وخالد بن معدان وغيرهم، واستعمله معاوية على المدينة وهو ابن ١٦ سنة. وانتقلت إليه الخلافة بعد موت أبيه، وظهر بمظهر القوة، واجتمعت عليه كلمة المسلمين بعد مقتل مصعب وعبد الله ابني الزبير في حربهما مع الحجاج الثقفي، ونقلت في أيامه الدواوين من الفارسية والرومية إلى العربية، وهو أول من صك الدنانير في الإسلام، وكان عمر بن الخطاب قد صك الدراهم. وذكره ابن حبان في الثقات وقال: كان من فقهاء أهل المدينة وقرائهم. ينظر: «تهذيب التهذيب»، لابن حجر (٦/ ٤٢٢)، و«ميزان الاعتدال» (٢/ ١٥٣)، وابن الأثير (٤/ ١٩٨).

(٢) «تفسير الطبري» (١٨/ ٨٦).

(٣) «**يَسْتَوْشِيه**»، أي: يسخرج من أفواه القوم حديثهم عن الإفك برفق وبشيء من البحث والسؤال =

وقالَ عُروةُ أيضًا: «لم يُسمَّ من أهْلِ الإفْكِ إلَّا حَسَّان بن ثابت، ومِسْطَح بن أُثاثة، وحَمْنة بنت جحش رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في ناسٍ آخرين لا عِلْم لي بهم، غير أنَّهم عُصْبة كما قال اللهُ تعالىٰ»(١)، ومن خِلال هذه الأحادِيثِ الصَّحيحَةِ التي لم تتعَرَّضْ لِذِكْرِ عَبدِ الله بن أبيّ بن سَلول فيمَنْ أُقيم عليه الحدُّ، وإنما اقتصَرتْ علىٰ ذِكْر الثَّلاثة المصَرَّح بهم فيها، وقد جزمَ مَن جزمَ من العُلماء بأنَّ عَبْد الله بن أبيّ بن سَلول لم يُقَم عليه الحدُّ، وذكَروا عدَّةَ أشياءٍ في وَجْه الحِكْمَة في ترْكِ إقامَةِ الحَدِّ عليه، ومنَ الذَّاهبين إلىٰ هذا:

١- الإمامُ القُرطبي:

فإنَّه بعْدَ أنْ ذكَرَ ما ظاهِرُه أنَّ عَبْدَ الله بن أبيّ أُقِيم عليه الحدُّ ـ عقَّب بقَولِه: قُلت المَشْهور من الأخْبارِ، والمعْرُوفُ عِندَ العَلماءِ أنَّ الذي حُدَّ حَسَّان ومِسْطَح وحَمْنة بنت جحْش رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ولم يُسمَعْ بحدٍّ لعَبدِ الله بن أبيّ، ثمَّ أورد حَديثَ أبيّ داود(٢)، في إقامة الحدِّ علىٰ الثَّلاثةِ دُونَ عَبدِ الله بن أبيّ بن سَلول، ثمَّ أشارَ إلىٰ وَجْهِ الحِكْمةِ في عَدم إقامَةِ الحدِّ عليه فقال: قالَ علماؤنا: وإنَّما لم يُحدَّ عبدُ الله بن أبيّ؛ لأنَّ اللهَ تعالىٰ قَدْ أعدَّ له في الآخِرَةِ عذابًا عظيمًا، فلو حُدَّ في الدُّنيا لكانَ ذَلكَ نقْصًا من عَذابِهِ في الآخِرَةِ وتَخْفيفًا عنه، مع أنَّ اللهَ تعالىٰ قد شَهِدَ ببراءَةِ عائِشَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا وبكَذِبِ كلِّ مَن رَماها، فقَدْ حصلَتْ فائِدَةُ الحدِّ؛ إذْ مَقْصُودُه إظْهارالقاذِف وبَراءة المقْذُوف، كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [سورة النور:١٣] ، وإنما حُدَّ هَؤلاء المسْلِمينَ ليكفِّر عَنهم إثْمَ ما صَدَرَ عنهم من القَذْفِ حتىٰ لا يَبقىٰ عَليهم تَبعَة من ذلك في الآخِرَةِ.

= عنه، يُقَال: وشي واستوشىٰ إذا علمُوا بِهِ. ينظر: «لسان العرب» (١٥/ ٣٩٣). والحديث أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: حديث الإفك، برقم: (٣٩١٠).

(١) أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: حديث الإفك، برقم: (٣٩١٠).

(٢) «صحيح سنن أبي داود» برقم: (٤٤٧٤).

وقد قالَ ﷺ في الحدودِ: «إنَّها كفَّارة لمن أُقيمَت عليه»، كما في حَديثِ عُبادَة بن الصَّامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(1)، قال: كنَّا عندَ النَّبيِّ ﷺ في مجْلس، فقال: «بايعُوني على أنَّ لا تُشْركوا بالله شيئًا ولا تَسْرقوا ولا تَزْنوا، وقرَأ هذه الآيَةَ كُلَّها، فمَن وفَّىٰ مِنكُم فأجْرُهُ على الله، ومَن أصابَ من ذلِكَ شيئًا فعُوقِبَ به فهو كفَّارتُه، ومَن أصابَ من ذلك شيئًا فسَتَره اللهُ عليه إن شاءَ غفَر له، وإن شاءَ عذَّبه». وقال القرطبيُّ أيضًا: ويحتمَلُ أنْ يقالَ: «إنَّما تُركَ حدُّ ابن أبيٍّ؛ استئلافًا لقَومِه واحْترامًا لابْنه، وإطْفاء لثائِرَة الفِتْنة المتوقَّعَة من ذلك، وقد كان ظَهَرَ مبادِئُها من سَعْد بن عُبادَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن قومه(2)، كما في صحيح مسلم»(3).

٣- قال ابن القيم: «ولما جاءَ الوَحْيُ ببراءَةِ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أمَرَ رَسولُ الله ﷺ بمَن صرَّحَ بالإفْكِ فحُدُّوا ثمانين ولم يُحدَّ الخبيثُ عبدُ الله بن أبيٍّ معَ أنَّه رَأْس أهْلِ الإفكِ، ثُمَّ ذكر وَجْه الحِكْمَة من ذلِكَ.. فقال:

أ) قيل: لأنَّ الحدودَ تخفيفٌ عن أهْلِها وكفَّارة، والخبيثُ لَيسَ أهلًا لذلك، وقد وعَدَه اللهُ بالعذابِ العَظيمِ في الآخِرَةِ، فيكفِيه ذلِكَ عن الحدِّ.

ب) وقيل: بل كانَ يسْتَوشي الحديثَ ويجْمَعُه ويحكِيه ويُخْرجه في قوالِب من لا يُنسَب إليه.

ج) وقيل: الحدُّ لا يثْبُت إلَّا ببيِّنةٍ أو إقْراره، وهُو لم يُقرَّ بالقَذْفِ ولا شَهِدَ به عليه أحَدٌ، فإنَّه كان يذْكُره بينَ أصْحابِه، ولم يَشْهدُوا عليه، ولم يكُن يذْكُره بينَ المؤْمنينَ.

---

(1) الحديث في كتاب الحدود عند البخاري (٨/ ١٣٣)، ومسلم فيه (٥/ ١٢٦-١٢٧). قلت: الآية هي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [سورة الممتحنة: ١٢].

(2) «تفسير القرطبي» (١٢/ ٢٠١-٢٠٢).

(3) انظر: الحديث في «صحيح مسلم» (٨/ ١١٦) من كتاب التوبة.



د) وقيلَ: بل تُرِكَ حَدُّه لمصْلحَةٍ هِي أعْظَم من إقامَتِه عَليه، كما تُرِكَ قَتْلُه مع ظُهورِ نِفاقِه وتكَلُّمه بما يوجِبُ قتْلَه مِرارًا، وهي تأْليف قَومِه، وعَدم تَنفِيرهم عن الإسْلام، فإنَّه كانَ مطاعًا فيهم، رئيسًا عليهم، فلم تُؤْمَن إثارة الفِتْنة في حَدِّه.

ثمَّ قال في ختام كلامه: «ولعلَّه تُرِكَ لهذه الوُجوه كُلِّها، فجُلِد مِسْطَح بن أُثاثة وحسَّان بن ثابت وحَمْنة بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهؤلاء من المؤْمنينَ الصَّادقين؛ تطهيرًا لهم وتكفيرًا، وتُرِكَ عبدُ الله بن أبيّ؛ إذْ ليسَ هو من أهْلِ ذاك»[١]. اهـ.

○ **وملخَّص القول:** أنَّ الراجحَ والذي عليه جَمْعٌ غفِيرٌ من العُلماءِ أنَّه لم يُقَم عليه حدُّ القذْفِ[٢].

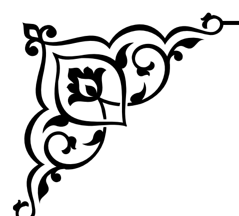
---

(١) «زاد المعاد» (٢/ ١٢٧-١٢٨).

(٢) انظر: رسالة «المنافقون في القرآن»، من (٢٩٤-٢٩٨) للدكتور/ عبد العزيز الحميدي.. وهو ممن رجّح أن ابن سلول قد أقيم عليه الحدّ.

فهرسة الموضوعات

الجزء الأول




خطر المنافقين

وقواعد شرعية في التعامل معهم

«بحث محكم»

إعداد

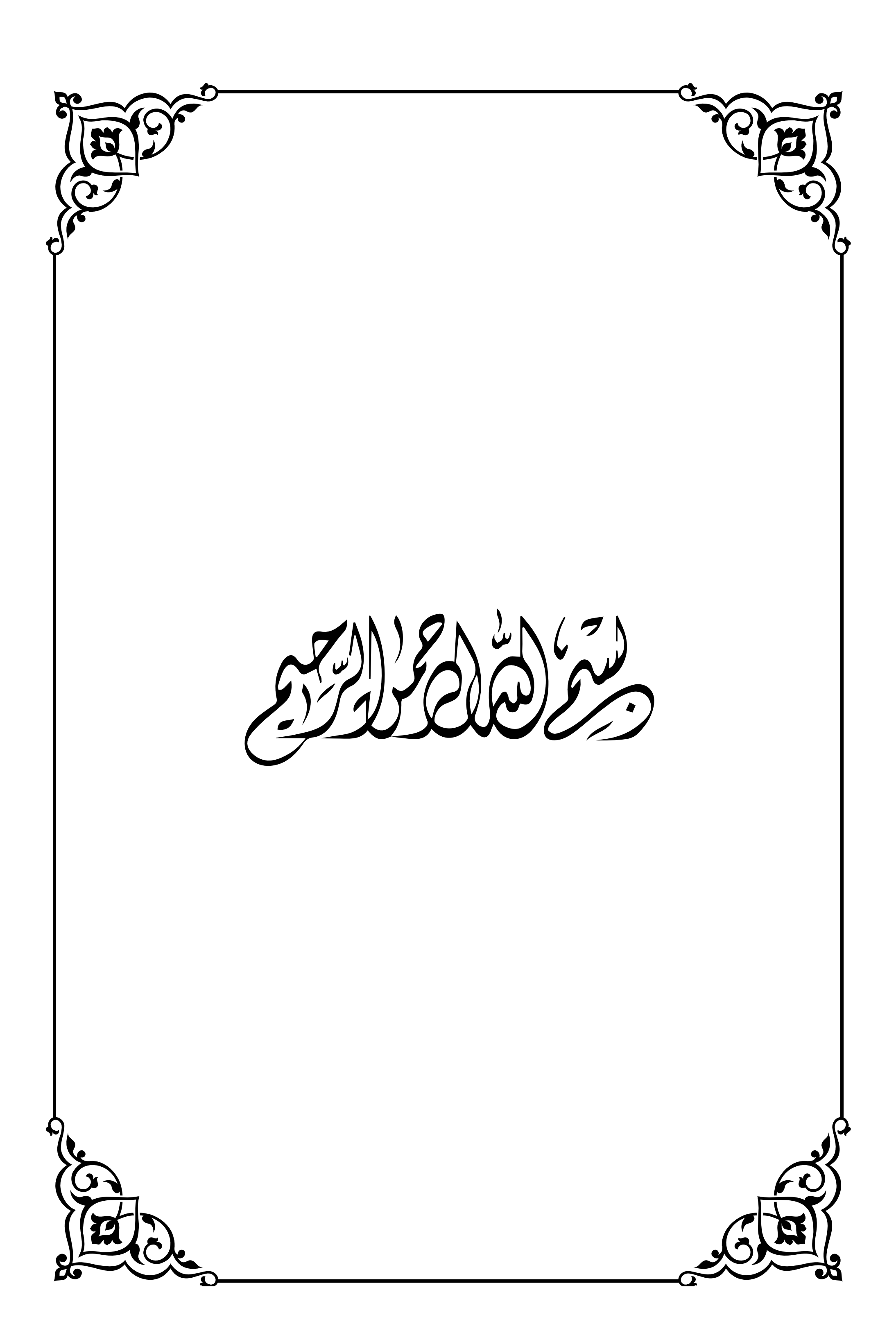
عبدالله بن علي الغامدي

المجلد الثاني



خطر المنافقين

وقواعد شرعية في التعامل معهم


بسم الله الرحمن الرحيم

المطلب الثالث

مواقفه من الغزوات

❍ **موقفه من غَزوَة بدر:**

لم يَظهرْ لي خلال بحثِي القاصِر في عدد من المراجع مَوقفٌ لرأس النِّفاق في أثْناء غَزوَة بدر ولا لغَيرِه من المنَافقين، وذلكَ -والله أعلم- لأن مبدأ خُروج النَّبيّ ﷺ هو ومن معه من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إنَّما كان باعثُه تجارةُ قريش العائِدة من الشَّام، حتى إن المصطفى ﷺ قال: «إِنَّ لَنَا طِلْبَةً فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا».. فجعل رجالٌ يستأذنونه في ظُهرانهم في علوِّ المَدينَة، فقالَ: «لَا.. إِلَّا مَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا»(١).

وعليه فقد كان الخروجُ لقافِلَة تحمل تجارة لقُريش لا لغزوَةٍ، حتى إنَّ النَّبيّ ﷺ وصحابته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يتهيؤا التَّهيأ المُناسِب مِن عتادٍ وسلاحٍ لملاقاة العَدوِّ: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٥-٧].. أي: كرِهَ المسلمُون الشَّوكَة وَهِي القتال وأحبُّوا أن يلقوا العِيرَ: ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٧].

❍ من أجْلِ ذلِك لم يَكن لِلمنافِقين دورٌ بارزٌ وواضِح سِوى مَا جاء في تفسير بعض الآيات:

أ) كقولِه تعالَى: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: ٤٩]، قالَ الإمَام الطَّبري

---

(١) «فتح الباري»: (٧/ ٣٨٥)، والمراد بالظهر هنا مركوبه من بعير ونحوه.

رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن هَؤُلاءِ أناسٌ مِن أهل مَكَّة تكلَّموا بالإِسْلام، فخَرجوا مع المُشركينَ يومَ بَدر، فلمَّا رأوا قِلَّة المُسلمين قَالوا: ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ﴾ [سورة الأنفال: ٤٩]»[١].

وَمن خِلال هَذه الرِّوايَة وغيرِها قرَّر بعضُ الباحِثين أن النِّفاق ظَهرَ بمكَّة أيضًا؛ حَيث يقول: وَكان جَيش الكُفَّار قَد ضَمَّ عددًا من المنافقين وضُعفاء الإيمان مِمَّن دخَل في الإِسْلام مِن أهلِ مكَّةَ ولم يَثبُتِ الإيمان في قُلوبِهم، وعِند التِقاءِ الصَّفَّين أبصروا جيش المؤمنين فإذا هو قَليلُ العَدد ضعيف العُدَدْ؛ حيث لم يكونوا يَزيدونَ عن ثَلاثمائة وبِضْعة عَشَر رجلًا.

ونَظروا إلَىٰ جيشِ الكفَّار فَرأوه يَبلغُ حَوالي ثَلاثة أضْعاف جَيش المُسلِمين ويتفوَّق كَثيرًا علىٰ جَيش المُسلمين في العُدد، فَزادت فَتنتُهم عَن الإِسْلام وقَويتْ فِيهم دَوافع الكُفر، وظَنوا أنَّ (بدرًا) سَتكون مَقبرةً للمُؤمنين مِن أوَّل جولةٍ يَقومون بها مع الكفار، ونطقوا بكلمات السُّخريَة من المؤمنين والتَّحقيرِ لهُم، واطمأنَّتْ نُفوسهم إلىٰ الكُفر الذِي كَانوا قد جَعلُوه محلَّ مُوازنَة مَع الإيمان قبل ذلِكَ.

ولَم يبقَ هُناك مجَالٌ لِترجيحِ الإيمانِ بعدَما شَاهدوا ضَخامَة جَيش الكُفَّار وقُوتِه أمَام ضَآلَة جَيش المُؤمنينِ وضَعفِه وتوقَّعُوا السَّحق الكَامل والإبَادةَ التَّامةَ للمُسلمينَ عَلىٰ يد كفارِ قُريش، فأعلنُوا كُفرَهم حينما وصَفُوا هذا الدِّين بأنَّه مُجرد خَيالات وأوهَامٍ عَلق بهَا أصْحابُه فأسْلمهُم إلىٰ هَذا المَصير المَشؤوم الذِي ينتَظرُهم.

ب). قال تعالىٰ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٣﴾ [سورة العنكبوت: ٢-٣].

---

(١) «تفسير الطبري»: (١٠/ ٢١)، وإسناد الرواية إلىٰ الشعبي صحيح، ولكنها مرسلة ويعضدها بعض الروايات الأخرىٰ. ذكر ذلك الشيخ د/ عبد العزيز الحميدي في رسالته «المنافقون في القرآن»: (٦٨).

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [سورة العنكبوت: ١٠-١١].

روىٰ الإمَامُ الطَّبريُّ، عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «كان قَومٌ من أهل مكّة أسْلموا وكَانُوا يَستخفون بإِسْلامهم، فأخْرجهم المُشركُون يوم بَدر مَعهُم، فأصيبَ بَعضُهم قَبل بَعض، فقَال المُسلمُون: كان أصحَابُنا هؤُلاءِ مُسلمِين وأكرِهُوا فاسْتَغفِروا لهُم، فنَزلَت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾ [سورة النساء: ٩٧]، إلىٰ آخر الآية، فكتَبوا إلَىٰ مَن بَقي بِمكَّة مِن المُسلمين بهَذه الآيَة: أنْ لا عذرَ لَهم، فَخرجوا فَلحقَهم المُشركون فَأعطوهم الفِتنَة، فنزلت فيهم هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [سورة العنكبوت: ١٠] إلىٰ آخر الآية.

فَكتبَ المُسلمُون إلَيهم بِذلكَ فخَرجوا وأَيسوا مِن كُل خَبر، ثُم نَزلت فِيهم: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [سورة النحل: ١١٠]، فَكتبوا إليهم بِذلكَ: إنَّ الله قَد جعل لكم مخرجًا، فَخرجوا فأدركهم المشرِكُون فقاتلوهُم حتَّىٰ نجا مَن نجَا وقُتلَ من قُتِل[(١)].

ولِذا فَإنَّه يُستَفاد مِن هَذه الرِّوايَة كَذلكَ أنَّهَا تَتحدَّث عَن أُناسٍ مِن أَهل مَكَّة أَسْلمُوا ولَم يُهاجِروا إلَىٰ المَدينَة بَل أقَاموا بِمكَّة مُستخْفِين بِإسْلامهم، وحينَما نُقارن ذَلك بما نَزل فيهم من الآياتِ التِي صرَّحت باتِّهامِهم بالنِّفَاق يَتبيَّن لنا أنَّه قَد كان في

(١) «تفسير الطبري»: (٢٠/ ١٣٥)، وإسناده صحيح.

زَمن النَّبيّ ﷺ منافقُون من أهلِ مكَّة أيضًا.

وقد يكونُ هذا مُستغربًا في النَّظرةِ الأولى؛ لأنَّ الإنْسان عَادةً لا يضطرُ إلى النِّفَاق إلا إذا كان يعتقد عَقيدَة جَاهلية وهو يَعيش بَين المُؤمنين، أمَّا أنْ يكون مقيمًا بين الكفار مُتمتِّعًا بحمايتِهِمْ ثُمَّ يُظهر الإيمان للمؤمِنينَ نِفاقًا فأمر مُخالفٌ للعَادة، ولكنَّه مع ذَلك مُمكن الوقوع.

وذلك أن بعض الناسِ يكون هدفُه الأسمى في هَذه الحياة هوَ تأمينُ سَبيل العَيش لنفسه براحة واطمئنان، فإذا وَجد في مُجتمعهِ دَعوة بَارزةً تُناقض تعاليمُها التعاليم التي تَوارثها ذلك المجتمع؛ بدأ بالتَّفكيرِ في الأمرِ الذي يُحقق له مَصالحَه الخاصَّة، لأن النتيجة الطبيعية لذلك الاختِلاف هِي حُدوث الصراع بين الأفْكار المُتوارثَة وبين الفكرة الجدِيدةِ التي تناقِضُها إذا وُجدَ مَن يمثل تلك الدَّعوات ويُدافع عنها.

ولا بُد في النهاية من غلبة إحدى الطائفتين على الأخرى، فهو يريدُ أن يكسِبَ وِدَّ الجميع فيظفرُ بَعد ذلكَ بالحُظوة لَدى الطائفة المنْتَصِرة منها والسَّلامة من عواقب معَاداتِها.

وَقد تمثَّلت هذِه الفِكرة في عَالمِ الوَاقع في هَؤُلاءِ الذِين تَحدَّثت عَنهُم هذه الآيَات، وقَد يكون بعض هَؤُلاءِ ممَّن أظهرَ الإيمان بالإِسْلام للمؤمنين حينَما استعَزُّوا بانتصَارهم على المشركين في معركة بَدر.

والغَالب أنَّهم ممَّن دَخل في الإِسْلام قديمًا ولكن إيمَانهم قد تزعزعَ بسبب فتنة المُشرِكين، فلمَّا انتَصر المُسلمون بِبدر أظهَروا لَهم أنَّهم لا يَزالون مُتمسِّكين بالإِسْلام، وهذا ما يُرشد إليه قولُه تعالى في هذه الآيات ﴿وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ﴾ [سورة العنكبوت: ١٠](١).

---

(١) «المنافقون في القرآن»: (١٠٠-١٠١)، د/ عبد العزيز الحميدي.

ولكن يظلُّ القولُ الراجح كما ذُكر سابقًا: هو أنَّ النِّفاق نَشأَ وظهر في المدينة(١)، وهذا الذي عليه جُمهورُ العلماء(٢).

❍ موقف ابن سلول بعد الغزوة:

فقد روى البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أسامةَ بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: «... فلمَّا غزا رَسولُ الله ﷺ بدرًا فقتَل الله به صنَاديدَ كفَّار قُريش، قال ابن أبيٍّ بن سلول ومن مَعه مِن المشرِكِين وعبدة الأَوْثَان: هَذا أمرٌ قد توجَّه، فبايَعوا الرسول ﷺ على الإِسْلام فأَسْلموا»(٣).

لقدْ شرق ابن سلُول وأَتباعُه بِهذا النَّصر ونُكسوا على رؤوسهم، وهُم من كان لا يشك أن خَضراء المسلمين ستُسْتَحصدُ، وأنَّه لن تبقَ لهم بعدها باقيةٌ، فإذا بالمفاجأة غير المتوقَّعة، ألا وهي نصرٌ من الله معَ قتلٍ لصناديد الكُفر؛ حيث أُلقوا في القليبِ جثثًا هَامدة قد وجدوا مَا وعدهُم ربُّهم حَقًّا، عندها بزَغَ النِّفاق وبدأت مَسيرَة المُعاناة مَع هَذا الطَّابُور الخامس من إرجافٍ وإشاعةٍ وقعودٍ عن الجهاد واستهزاءٍ وسخريةٍ وظنِّ سوءٍ ومكرٍ وخديعةٍ ولمزٍ وغمزٍ وقذفٍ وفرارٍ من الجهاد... الخ.

(لقد اتَّخذ النِّفاق في هَذه الفَترة شَكلًا من التخَفِّي والحَذر أكْثر مِن الفَترات التِي تَلت هذه الفَترة، ولم يُؤثر عن النِّفاق آنذاك شيء من كلمات السُّخرية والنقدِ ولا شيء من أعمال الكيدِ الظاهرِ، بل كانوا يتظاهَرُون بتأييد دَعوةِ الإِسْلام والثَّناء على النَّبيّ ﷺ إمعانًا منهم في النفاق.

(١) انظر مبحث نشأة النفاق: (ص: ٢٤).

(٢) انظر «تفسير ابن كثير»: (١/ ٤٧)، و«الفتاوى»، لشيخ الإِسْلام: (٧/ ٢٠١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ [سورة آل عمران: ١٨٦]، برقم: (٤٢٩٠).



ومن ذلك أن عبد الله بن أبيٍّ كان يَقوم في كل جُمُعة فُيثْنِي علىٰ رسول الله ﷺ ويأمُر النَّاس بِتأييده، وكان الدَّافعُ لهم إلىٰ هذا السُّلوك خَوفُهم من المُؤمنين بَعد انتصَارِهم البَاهر في بَدر، وعَدم مُرورهم بالتَّجارب التِي مرُّوا بها بَعد ذلك مِن عَفو النَّبيّ ﷺ عنهم وإغْضائِه عن هفواتهم.

إلىٰ أن سَنحت لهم الفرصة في غَزوَة أحد حينَما قابَل المؤمنون جيشَ قريش الذي يبلغ ثلاثةَ أضعَافِهم، فحاولوا تثبيطَ المُؤمنين وتخذيلِهم عَن نُصرةِ رسولِ الله ﷺ إلىٰ أن نَجحُوا في استمَالة بَعضِهم، فرجعوا بِثلثِ الجَيش الإِسْلامي وخَانوا المُؤمنينَ في ذَلك المَوقف الحَرج، وكان لمن بَقي منهم مع المؤمنين بعضُ الأثر في إصَابتِهم، ثُم لَمَّا ظَهرت نتيجة المعركة علىٰ ما يتمنَّاه هَؤُلاءِ المنافِقون أظهروا الشَّماتة بِالمؤمنين كَما سَيأتي)[١].

❍ موقف ابن سلول من إخوانه اليهود في غَزوَة بني قينقاع:[٢]

سَبق أن سُردت تَفاصيل هَذه الغَزوة[٣] وأسبابها ونتائِجها، لكنَّ الإشارة هنا

(١) ينظر «المنافقون في القرآن»: (ص: ٨١-٨٢).

(٢) اتفق جمع من علماء السيرة وغيرُهم علىٰ أن إجلاء بني قينقاع يُسمَّىٰ غَزوَة ومن هَؤُلاءِ علىٰ سبيل المثال:

(أ) ابن القيم في «زاد المعاد»: (٣/ ١٩٠).

(ب) الطبري في «تاريخه»: (٢/ ٤٨).

(ج) «السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون» علي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة بيروت، سنة (١٤٠٠هـ): (٢/ ٣٨٢).

(ج) «تاريخ الإِسْلام ووفيات المشاهير والأعلام»: (١/ ١٩٦).

(هـ) «البداية والنهاية» لابن كثير: (٣/ ٢٩٦).

(و) «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولىٰ (١٣٥٨هـ): (١/ ٣٨٠) وغيرهم. من أجل ذلك ذكرت هذه الغَزوَة ضمن مواقف ابن سلول من الغزوات النبوية.

(٣) انظر تفصيل غَزوَة بني قينقاع: (صـ: ٣٨١).

سَتكونُ عن موقف ابن سلول من إخْوانهِ اليَهود.. ولاءً وتعاطفًا ونصرةً وتأييدًا، وكيف لا يكون منه ذلك تجاهَهُمُ وهُم عيبةُ نصحِه وموضع مشورتهِ ومعقِدُ تدبيرِهِ وتخطيطِه وكيدِه..

لما غدرَ يَهود بني قينقاع العهد ونَقضوا مع النَّبيّ ﷺ ميثاقَهم الذي واثقهم به، حاصَرهم عليه الصلاة والسلام وقَذف الله في قلوبهم الرُّعب واضطروا للنُّزول علىٰ حُكمه ﷺ.

فقد فاجَأهم ﷺ بأسلوب الحِصار فأربكَهُم وأوقعهم في حَيرةٍ من أمرهم بعد أن قطع عنهم كل مدد وجمَّد حركتهم، فعاشوا في سجن مُتنقِّل، ممَّا جعلهم في النهاية ييأسُون من المقاومةِ والصَّبر.

فبعد أن كانوا يهدِّدون رَسول الله ﷺ بأنهم قوم يخْتلِفون بأسًا وشدة عن مُشرِكي قُريش، إذا بِهم يضطرُّون للنُّزول علىٰ حكمِ رسول الله ﷺ[١] فَأمر بهم فرُبطوا، فكانوا يكتفون أكتافًا، واستعمل رسول الله ﷺ علىٰ كِتَافهم المنذر بن قدامة[٢] السلمي الأوسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٣].

---

(١) انظر «الصراع مع اليهود – في ظلال السيرة النبوية»، محمد بن عبدالقادر أبو فارس، الناشر: دار الفرقان – عمان – الطبعة: الثانية سنة ١٤٠٨هـ: (١/ ١٤٤).

(٢) هو: المنذر بن قدامة بن الحارث بن مالك بن كعب بن النحاط شهد بدرًا في رواية موسىٰ بن عقبة ومحمد بن إسحاق وأبي معشر ومحمد بن عمر وعبد الله بن محمد بن عمارة الأنصاري، وشهد أيضًا أحدًا وليس له عقب. ينظر «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد: (٣/ ٤٨٢)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم: (٥/ ٢٥٢٠)، و«أسد الغابة» لابن الأثير: (٥/ ٢٥٩)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر: (٤/ ١٤٥١).

(٣) انظر «اليهود في السنة المطهرة» عبد الله بن ناصر الشقاري، دار طيبة – الرياض، الطبعة الأولىٰ (١٤١٧هـ-١٩٩٦م): (١/ ٢٨٠).

مصير يهود بني قينقاع:

حَاول ابن سلول زعيمُ المنافقين أن يَحُلَّ حلفاءَه من وثاقهم، فعندما مرَّ عليهم قال: حُلُّوهم، فقال المنذر: «أتحلون قومًا ربطهم رسول الله ﷺ؟ والله لا يحلهم رجل إلا ضربت عنقه[١]»، فاضطر عبد الله بن أبي بن سلول أن يتراجعَ عن أمْرِه، ويلجأ إلى استصْدَار الأمْر مِن النَّبيّ ﷺ بفكِّ أسرهم[٢].

فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، أحسن في موالي -وكانوا حلفاء الخزرج-، قال: فأبطأ عليهِ رسول الله ﷺ، فقال: يا محمَّد، أحسن في موالي، قال: فأعرض عنه، فأدخل ابن أبيِّ يده في جيب ودرع رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «أَرْسِلْنِي».

وغضب رسول الله ﷺ حتى رأوا لوجهه ظللًا[٣]، ثم قال: «وَيْحَكَ أَرْسِلْنِي»، قال: لا والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع[٤]، قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصُدهم في غَداة واحِدة؟ إني والله امرؤٌ أخشى الدوائر: فقال رسول الله ﷺ: «هُمْ لَكَ»[٥].

فخلَّى رسولُ الله ﷺ سبيلهم ثُم أمَر بإجْلائِهم، وغنِمَ رسول الله ﷺ والمسْلمون مَا كان

---

(١) انظر «التاريخ الإسْلامي مواقف وعبر» للدكتور/ عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، الناشر: دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى سنة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م: (٥/ ٣٢).

(٢) المصدر نفسه: (٥/ ٣٣).

(٣) ظللًا: جمع ظلة وهي السحابة في الأصل، فاستعارها هنا لتغير وجه رسول الله ﷺ إلى السواد حين اشتد غضبه، ويروى ظلالًا أيضًا. ينظر «الإملاء المختصر في شرح غريب السير»: (ص: ٢١١).

(٤) الحاسر: الذي لا درع له هنا، والدارع الذي عليه درع. ينظر «الإملاء المختصر في شرح غريب السير»: (ص: ٢١١).

(٥) انظر «اليهود في السنة المطهرة»: (١/ ٢٨١).



لديهم من مَال، وقد تولَّىٰ جَمع أموَالهم وإحصَاءها مُحمد بن مسلمة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)]-.

وحاول ابن سلول أن يحدِّث رسول الله ﷺ في يهود بَني قَينقَاع لَكي يُقرهم في ديارهم، فوجد علىٰ باب رسول الله ﷺ عُويم بن سَاعدة الأنصاري الأوْسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٢)]، فردَّه عويم وقالَ: لا تدخل حتىٰ يأذنَ رَسولُ الله ﷺ لك، فدفعهُ ابنُ سلول، فغلَّظ عليه عويم حتىٰ جَحش[(٣)] وَجه ابن أبيِّ الجدار فسَال الدَّم[(٤)].

ويظهر في هذا الخبرِ فِقهُ النَّبيّ ﷺ السياسي في تعامُلهِ مَع ابن سلول؛ حيث لبَّىٰ طلبه، فلعل هذا المَوقف يَغسل قَلبه، ويزيلُ الغِشاوة عنه فتَتم هِدايته، فقالَ له: «هُمْ لَكَ».

---

(١) أخرجه ابن هشام في «السيرة النبوية»: (٣/ ٧٠)، وضعفه الألباني في «الدفاع عن الحديث النبوي»: (ص٢٦). انظر «اليهود في السنة المطهرة»: (١/ ٢٨١).

(٢) هو: عويم بن ساعدة بن عابس بن قيس بن النعمان بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف الأنصاري، أبو عبد الرحمن المدني، صاحب رسول الله ﷺ. هذا هو المشهور في نسبه. وقال محمد بن إسحاق: عويم بن ساعدة بن ضلعجة بن بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة، حليف لبني أمية بن زيد. شهد العقبتين في قول الواقدي. وقال غيره: شهد العقبة الثانية مع السبعين من الانصار، وشهد بدرا، وأحدا، والخندق، ومات في حياة رسول الله ﷺ. وقيل: بل مات في خلافة عمر بن الخطاب بالمدينة وهو ابن خمس أو ست وستين سنة. والصحيح أنه بقي بعد النَّبيّ ﷺ، وقد حكىٰ عنه عمر بن الخطاب في حديث الشقيقة. روىٰ حديثه عبد الرحمن بن سالم بن عتبة بن عويم بن ساعدة، عن أبيه، عن جده، عن النَّبيّ ﷺ. وروىٰ عن شرحبيل بن سعد عنه إن كان محفوظا. وقال صدقة بن سابق، عن محمد بن إسحاق: آخىٰ رسول الله ﷺ بين حاطب بن أبي بلتعة حليف بني أسد بن عبد العزىٰ، وبين عويم بن ساعدة أخي بني عمرو بن عوف. «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي: (٢٢/ ٤٦٦)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي: (١/ ٥٠٣).

(٣) جحشه: خدشه حتىٰ انسحج جلده - «لسان العرب»: (٦/ ٢٧٠)

(٤) انظر «التاريخ الإسْلامي»، للحميدي: (٥/ ٣٠).

ولعل الذين يسيرون وراء زعامَة ابن سلول يصْلُحون بصلاحهِ فَيتماسك الصَّف، ويلتحِم فلا يتأثر من كَيد أعداء الإِسْلام[١].

وهناك بُعْدٌ آخر؛ حيث حرص ﷺ أن يتفادىٰ حدُوث الفِتنة في مُجتمَع المُؤمنين، حيث إن بعض الأنصار حَديث عَهد بالإِسْلام، ويُخشىٰ أن يُؤثِّر فِيهم رأس المُنافقين عبد الله بن أبي لِسمعَته الكبيرة فِيهم[٢]، ولذلِك سلك ﷺ معه أسُلوب المُداراةِ والصبر عليه وعلىٰ إساءته، تجنبًا للفتنة، وإظهارًا لحقيقة الرجل من خلال تصرفاته ومواقفه عند من يجهلها، ومن ثم يفرُّ الناس من حوله ولا يتعاطفون معه.

وقد حقَّق هَذا الأسلوب نجاحًا باهرًا، فقد ظهرت حقيقة ابن سلول لجميعِ النَّاس حتىٰ أقرب الناس إليه، ومنهم ولدُه عبد الله، فكانوا بعدها إذا تكلَّمَ أسكتُوه، وتضَايقوا من كلامه[٣]، بل أرادُوا قتلَه كما سيأتي بإذن الله تعالىٰ.

ـ تبرؤ عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منهم:

لما نَقضت بنو قَينقاع العهد، وكان عبادة بن الصَّامت أحدُ بني عوف -لهم من حلف بني قينقاع مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي- مَشىٰ لرسول الله ﷺ وخَلعَهم إليه، وتبرَّأ إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ وإلىٰ رسُولِه ﷺ من حِلفهم، وقال: يا رَسول الله، أتولىٰ الله ورسوله ﷺ والمؤمنين، وأبرأ من حِلف هَؤُلاءِ الكفَّار وولايتهم[٤]، ولمَّا

---

(١) انظر «المنهج الحركي للسيرة النبوية»، منير بن محمد الغضبان، دار الوفاء، الطبعة العاشرة، سنة (١٤١٩هـ-١٩٩٨م): (ص٢٤٧).

(٢) انظر «التاريخ الإِسْلامي»، للحميدي: (٥/ ٣٢).

(٣) انظر «الصراع مع اليهود»، لأبي فارس: (١/ ١٤٨).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره»: (٦/ ٢٧٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة»: (٣/ ١٧٥)، ومن طريقه ابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (٢٦/ ١٩٢)، كلهم من طريق ابن إسحاق. وانظر «اليهود في السنة المطهرة»: (١/ ٢٨٢، ٢٨٣).

تقرَّر جلاء بني قينقاع أمر رسول الله ﷺ عبادة بن الصَّامت أن يُجليهم فأجلاهم ولحقوا بأَذْرُعات[(١)][(٢)].

وهكذا خرج بنو قينقاع مِن المدينَةِ صاغِرينَ، قد ألقوا سِلاحهم وتركُوا أمْوالهم غَنيمة للمُسلمين، وهم كانوا من أشْجع يَهود المَدينة وأشدِّهم بأسًا وأكثرهم عددًا وعدَّة، ولذلك لاذت القبائلُ اليهودِيَّة بالصَّمت والهدوءِ فترة من الزمن بعد هذا العقاب الرَّادع، وسيطر الرعب على قلُوبها وخضدت شَوكتها[(٣)].

❍ موقف ابن سلول من غَزوَة أحد:

أ). **موقف ابن سلول قبل الغزوة:** لم يكن النِّفاق في موقف وحدثٍ في العهد النبوي هو من الجلاء والوضوحِ والظهورِ والانكشاف كما في غَزوَة أحُد، إلا مَا كان منه في غَزوَة الأحزابِ وتَبوك؛ فأما في غَزوَة أحُد فقد تَبدَّى بِصورة عملية وقوليةٍ وعدوانيَّةٍ وتخاذليةٍ كان من مظاهرها الجليَّةِ انسحابُ ابن سلول بثُلثِ الجَيش تقريبًا.

وَهذا يَدلُّ عَلى كَثرة أتْباع رَأس النِّفاق وأعْوانِه.. فقَد بَرزت لابْن سَلول مَواقِفه قَبل المَعركَة وفي أثْنائها وبَعدها.

لَمَّا استقر رأي زعماء قريش على أن يثأروا لأنْفسِهم من الهزيمة المخزيَة التي حلَّت بهم يوم بدر الكبرى؛ قرَّروا الخروج لقتال المسلمين في المدينة، فأعدُّوا جيشًا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل بكَاملِ عدَّتهم وعتادِهم، ومعها من تابعها من كِنانة وأهْل

(١) أذْرِعاتُ: بفتح الهمزة وسكون الذال المعجمة وكسر الراء، أجمع العارفون بالبلدان أنها بالشام، واختلفوا في تحديد موقعها بالضبط، إلا أن الأرجح أنها اليوم قرية من عمل حوران داخل الحدود السورية قرب مدينة درعة. انظر «المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية»: (١/ ١٠)، بتصرف يسير.

(٢) انظر «اليهود في السنة المطهرة»: (١/ ٢٨٤)، مختصرًا.

(٣) انظر «الصراع مع اليهود» لأبي فارس: (١/ ١٤٩).



تهامَة، وأخرجوا معهم نساءَهم ليزدن في حماستهم وشدَّة بأسِهم، ونزلوا مقابل المدينة قريبًا من أحُد، وخصَّصت قريش قافلة أبي سفيان التي نَجت مِن المسلمينَ وأربَاحها لتجهيز جَيشِهم لغَزوَة أحُد.

وعَلِمَ الرسول ﷺ بتحركهم منذ خرجوا من مكة، ولما سمع بوصولهم استشَار المُسلِمين في الأمر، وعرض عليهم رأيه فقال لهم: «فَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بِالْمَدِينَةِ وَتَدَعُوهُمْ حَيْثُ نَزَلُوا؛ فَإِنْ أَقَامُوا أَقَامُوا بِشَرِّ مَقَامٍ، وَإِنْ هُمْ دَخَلُوا عَلَيْنَا قَاتَلْنَاهُمْ فِيهَا؟»(١).

وأُري الرسول ﷺ في منامِهِ ما سيحدُث في أحُد، وذكرَهُ لأصحابِهِ، قَائلًا: «رَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَىٰ فَعَادَ كَأَحْسَنِ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ بَقَرًا -وَاللهُ خَيرٌ- فَإِذَا هُمُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ»(٢).

وفي رواية أخرىٰ: «وَرَأَيْتُ أَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ فَأَوَّلْتُهَا الْمَدِينَةَ»(٣)، وفسَّر الرسول ﷺ هذه الرؤيا بأن هزيمة وقتلًا سيقعانِ في أصْحابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

عندما علم الرسول ﷺ بمجِيء جَيش مكَّةَ لِحرب المُسلمين، شاور أصْحابَه بين أن يبْقوا داخل المدينة، أو أنْ يخرجُوا لملاقَاة العَدُو خارجَها.

فقالَ جماعة من الأنْصار: يا نَبيَّ الله، إنا نَكره أنْ نقتل في طريق المدينة، وقد كنا نَمتَنع من الغَزو في الجاهلية، فبالإِسْلام أحَقُّ أن نَمتنع مِنه، فابْرُزْ إلىٰ القَوم،

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره»: (٤/ ٧١)، وابن هشام في «السيرة النبوية»: (٤/ ٩)، والبيهقي في «دلائل النبوة»: (٣/ ٢٢٦).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإِسْلام، برقم: (٣٤٢٥)، ومسلم، كتاب: الرؤيا، باب: رؤيا النَّبيّ ﷺ، برقم: (٢٢٧٢).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده»: (١/ ٢٧١)، والحاكم: (٢/ ١٤١) وصححه. وانظر «السلسلة الصحيحة»: (١١٠٠)



فانْطلقَ رسولُ الله ﷺ فلَبس لأمَتَه(١)، فتلاومَ القَوم فقالوا: عَرَّض نبي الله ﷺ بأمْر وعرَّضتم بِغيرِه، فاذهب يا حمزة فقل للنبي ﷺ: أمرُنا لأمْرك تبع، فأتى حمزة فقال: يا نَبي الله إن القومَ قدْ تلاوموا، فقالوا: أمرُنا لأمرِك تَبَع، فقال رسول الله ﷺ: «مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ»(٢).

أما عبد الله بن سلول فقَد كان رَأيُه مِن رأي رَسول الله ﷺ؛ حيث قال: يَا رسول الله، أقم بالمَدينة لا تخْرج إلَيهم، فوالله ما خَرجنا مِنها إلى عَدوِّنا قطُّ إلا أصابَ منَّا ولا دَخلها عَلينَا إلاَّ أصبْنا منه، فدعْهم يا رسول الله، فإن أقاموا أقاموا بشرِّ محبس، وإن دخلوا قاتلهم الرِّجال في وَجهِهم، ورماهم النِّساء والصبيان بالحِجارة من فوقهم.

وإن رجعوا رجعوا خائبينَ كما جاؤا، فلم يزل الناس برسول ﷺ حتى خرج في ألفٍ من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ(٣).

إن مقولة ابن سلول هذه، وإن وَافقت مَا عليه رَأي رَسُول الله ﷺ، إلا أنَّها عنْد التأمُّل لَم تكنْ صَادرة عن نصحٍ صادِقٍ ومَشورةٍ أمينة، فَما تلك بصفةٍ من صفات ابن سلول ولا خلَّة من خلاله، ولعل تفسير ذلك ممَّا أرادَه يرجِعُ إلى:

١- أن أرض المعركة في ساحَاتِها الواسِعَة يَنكشفُ فيهَا حالُ المنخذِلِ والمتجَافي عن القتال، واللائذ من المعركة فرارًا وهزيمة، والمنافقون كما نعلم أحرصُ النَّاس

(١) اللأمة: الدرع الحصينة وسائر أداة الحرب وقد تترك الهمزة للتخفيف، انظر «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية»: (١/ ٤٦٤). «لسان العرب»: (١٢/ ٥٣٢).

(٢) أخرج نحوه أحمد: (٣/ ٣٥١)، وغيره، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٦/ ١٠٧): رجاله رجال الصحيح. وانظر «السلسلة الصحيحة»: (١١٠٠)

(٣) أخرجه ابن هشام في «السيرة النبوية»: (٤/ ٩)، والطبري في «تفسيره»: (٤/ ٧١)، كلاهما من طريق ابن إسحاق.

علىٰ حياة، فرغبة ابن سلُول ومن معَهُ أن يكونوا في بيوتِهم لا يُعلم عنهم أقَاتلوا أم لم يُقاتلوا، أجاهدوا حقًا أم لم يَفعلوا..

٢- ولَعلَّ ابنَ سَلول إنما أرادَ أن يَكون عونًا للكفار وعينًا لَهم؛ يدلُّهم علَىٰ مَقاتِل المُسلمين ومَداخلِ ضَعفهِم حَتىٰ ينفذوا منها، ومَا شيء أحبُّ إليه مِن كسْرِ شَوكة المسلمين ونيل الأعْداء مِنهم.. ومُوالاة المُنافِقين لليَهودِ والمُشركينَ لَيست بِخافِية.

٣- زدْ علىٰ ذَلك أن منْ يَجمع الرِّواياتِ في هَذه الغَزوَة يَجد كَذبَ ابن سلول بَارزًا جليًّا، فَهو يَقول: (والله ما خرجنا منها إلىٰ عَدوِّنا قط إلا أصاب منَّا، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه..). وقد جاء في روَاية صَحيحة أنَّ الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قالوا: «والله ما دُخلَ عَلينا في الجَاهليَّة، فكيف يُدخل علينا فيها في الإِسْلام»(١).

وقَولُ الصحابَة عندنَا أصدَقُ وأحَقُّ من قَول كذَّاب أشِر، ولأن ابن سلول علَىٰ عَلاقة حمِيمة وقُرب شَديد من إخوانِه اليَهود، فقد حَشدَهم معَه وخرجَ بِهم إلىٰ الغزْوة.

ب) **موقف ابن سلول في أثناء الغزوة:** فَعندما تَجاوز الرَّسول ﷺ في مسيرهِ إلَىٰ أحد ثَنيَّة الوَداع رأىٰ كتيبة خَشْنَاء (كثيرة السلاح)، فقَال: «مَنْ هَؤُلاءِ؟». قالوا: هَذا عبد الله بن أبي بن سلول في سِتمائةٍ مِن مواليه من اليَهود مِن أهل قينقاع، وهم رهط عبد الله ابن سلام قَال: «وَقَدْ أَسْلَمُوا؟». قالوا: لا يارسول الله، قال: «قُولُوا لَهُمْ: فَلْيَرْجِعُوا، فَإِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِالْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ»(٢).

---

(١) أخرجه الدارمي: (٢١٥٩)، وابن سعد في «الطبقات»: (٢/ ٤٥)، وغيرهما. انظر «السلسلة الصحيحة» برقم: (١١٠٠)، حديث صحيح.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف»: (٣٦٧٦٧) مرسلًا، وأخرجه ابن راهويه كما في «المطالب»: (١٧/ ٣٥٦) متصلًا، وحسن إسناده ابن حجر. انظر «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية»: (١/ ٤٦٦)، وقد حسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة»: (١١٠١).

حكم الاستعانة بالكفار:

ولأنَّ مسألَة الاسْتعانَة بِالكفَّار مِن المَسائل المُعاصِرة ويقَع فِيها الخلْط واللَّبس كَثيرًا أحببتُ هُنا إيرادَ مَبحث رأيته من أجْود المباحث فِيها للدُّكتور/ عَبد الله الطَّريقي(١).

إليك تفصيله للمسألة بأقوالها:

أدلة القائلين بعدم جواز الاستعانة بالكفار:

الأوَّلُ: عَن عَائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنهَا قَالَت: «خرجَ رسُول الله ﷺ قِبلَ بَدر، فَلما كان بَحرَّة الوَبرة(٢)، أدركه رَجلٌ قَد كان يذكر منهُ جَرأة ونجدة، فَفرح أصْحابُ رَسول الله ﷺ حين رَأوه، فَلَمَّا أدركه قالَ لرَسول الله ﷺ جِئتُ لأتَّبعُك وأصِيب مَعك، قال له رسول الله ﷺ: «تُؤمِنُ بِالله وَرَسُولِهِ»، قال: لا. قال: «فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ»، قالت: ثم مضىٰ حتىٰ إذا كنَّا بالشَّجرة، أدركه الرَّجلُ، فقال له كما قال أول مرة، فقال النَّبيّ ﷺ كما قال أول مرة، قال: «فَارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ»، قال: ثم رجع فأدركه بالبَيدَاء(٣)، فقال له كما قال أول مرة: «تُؤمِنُ بِاللهِ

---

(١) «التعامل مع غير المسلمين أصول معاملتهم واستعمالهم دراسة فقهية»، أ. د. عبد الله بن إبراهيم الطريقي، دار الفضيلة - الرياض، ودار الهدي النبوي مصر، الطبعة الأولىٰ، سنة (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م): (٣٠٠-٣٠٨).

(٢) حرة الوبرة: موضع علىٰ نحو مسير أربعة أميال من المدينة، انظر «النووي علىٰ صحيح مسلم»: (١٢/ ١٩٨)، وانظر «معجم ما استعجم»: للبكري تحقيق مصطفىٰ السقا: (ص١٣٣١).

(٣) البَيْدَاءُ: الفَلاةُ، والمفازة المستوية يجرىٰ فيها الخيل، وقيل: مفازة لا شيء فيها. وقال ابن جني: إنما سميت بذالك لأنها تُبيدُ من يحلها، وقال ابن شميل: البيداء: المكان المستوي المشرف، قليلة الشجر جرداء تقود اليوم ونصف يوم وأقل، وهي هنا اسم موضع بعينه، وهي أرض ملساء بين الحرمين الشريفين، بطرف الميقات المدني الذي يقال له ذو الحليفة. ينظر «تاج العروس»: (٧/ ٤٥٣).



وَرَسُولِهِ؟». قال: نعم، فقال له رسول الله ﷺ: «فَانْطَلِقْ»(١).

الثاني: عن أبي حميد الساعدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(٢) قال: «خَرج رَسولُ الله ﷺ حتَّىٰ إذا خلف ثَنيَّة الوداع فإذا كَتيبة، فقال: «مَنْ هَؤُلاءِ؟». قالوا: بنو قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام، قال: «وَأَسْلَمُوا؟». قالوا: لا، بل هم علىٰ دينهم، قال: «قُولُوا لَهُمْ: فَلْيَرْجِعُوا، فَإِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِالْمُشْرِكِينَ»(٣).

الثالث: وعن خُبَيْبُ بن عبد الرحمن(٤)، عن أبيه، عن جده رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قَال:

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: كراهية الاستعانة في الغزو بكافر، برقم: (١٨١٧).

(٢) هو: أبو حميد الساعدي الأنصاري المدني صاحب رسول الله ﷺ، قيل: اسمه عبد الرحمن، وقيل: المنذر بن سعد ابن المنذر، وقيل: المنذر بن سعد بن مالك، وقيل: المنذر بن سعد بن عمرو بن سعد بن المنذر بن سعد بن خالد بن ثعلبة ابن عمرو بن الخزرج، يقال: إنه عم سهل بن سعد الساعدي. قال الواقدي: توفي في آخر خلافة معاوية أو أول خلافة يزيد، وقال خليفة وابن سعد وغيرهما: إن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد شهد أحدًا. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي: (٣٣/ ٢٦٤)، و«تهذيب التهذيب»، لابن حجر: (١٢/ ٨٠).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف»: (٣٦٧٦٧) مرسلًا، وأخرجه «ابن راهويه»، كما في «المطالب»: (١٧/ ٣٥٦) متصلًا، وحسن إسناده ابن حجر. ورواه الطحاوي في «مشكل الآثار»: (٣/ ٢٤١) من طريق عبيد بن رجال، والحاكم في «المستدرك»: (٢/ ١٢٢)، واللفظ له، قال الشيخ ناصر الدين الألباني: وهذا إسناد حسن، لولا أن سعد بن المنذر لم يرو عنه سوىٰ محمد بن عمرو وعبد الرحمن الغسيل، «سلسلة الآحاديث الصحيحة»: برقم: (١١٠١)، قال: في «نصب الراية»: (٣/ ٤٢٣): ورواه إسحاق بن راهويه، قلت: وأخرجه الواقدي في المغازي (١/ ٢١٥).

(٤) هو: خبيب بن عبد الرحمن بن خبيب بن يساف الأنصاري الخزرجي، أبو الحارث المدني، خال عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم. قال إسحاق بن منصور عن يحيىٰ بن معين: ثقة. وكذلك قال النسائي. وقال أبو حاتم: صالح الحديث. وتوفي خبيب في خلافة مروان بن محمد بن مروان بن الحكم، وكان قليل الحديث. وذكره ابن حبان فى " الثقات "، وقال: مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة. «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي: (٨/ ٢٢٧)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر: (٣/ ١٣٦).

«خرج رسول الله ﷺ في بَعضِ غَزواتِه، فأتيتُه أنا ورَجل قَبل أن نُسلِم، فقلنا: إنَّا نستحِي أن يَشهَد قَومنا مَشهدًا ولا نَشهدُه، فقال: «أَأَسْلَمْتُمَا؟». قلنا: لا، قال: «فَإِنَّا لَا نَسْتَعِينُ بِالْمُشْرِكِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ»(١).

الرابع: وكذلك الآيات التي فيها النَّهيُ عَن موالاة الكُفَّار، كقَولِه تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة المائدة: ٥٧].

قالوا: وَمِن مَعاني الوَلاية: النُّصرة، أي لا تَستَنصِروا بِهم(٢)، تلكَ أهَمُّ أدِلَّة المَانعين.

○ أما من أجاز الاستعانة فاستدل بما يأتي:

١ - عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «شَهدنا مع رسولِ الله ﷺ، فقال لرَجلٍ ممَّن يدَّعي الإِسْلام: هذا من أهْلِ النَّار، فلما حضر القتال قاتلَ الرَّجلُ قِتالًا شديدًا فأصابته جراحةٌ، فقيل: يا رسول الله، الذي قلت: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»، فإنه قاتل اليوم قتالًا شديدًا وقَد ماتَ، فقال النَّبيّ ﷺ: «إِلَى النَّارِ».

قال: فكاد بعض الناس أن يرتَاب، فبَينَما هم عَلىٰ ذَلك، إذْ قيلَ له: إنَّه لم يمتْ وَلكن بِهِ جِراحًا شديدة، فلمَّا كانَ من اللَّيل لم يَصبر علىٰ الجِراح فَقتلَ نفسَه، فأُخبر النَّبيّ ﷺ بذلكَ، فَقال: «اللهُ أَكْبَرُ أَشْهَدُ أَنِّي عَبْدُ اللهِ وَرَسُولِهِ»، ثمَّ أمَر بلالًا فنادىٰ في الناس: «أَنَّهُ لَا يَدْخُل الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ»(٣).

(١) رواه أحمد في «المسند»: (٣/ ٤٥٤) والحاكم في «المستدرك»: (٢/ ١٢١-١٢٢)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه واللفظ له، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، برقم: (٢٢٩٢).

(٢) انظر «أحكام القرآن»، أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، سنة (١٤٠٥هـ): (٢/ ٤٤٧)، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي: (٦/ ٢٢٤).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر، =

قالُوا: فهَذا الذِي قاتَل مَع رَسُول ﷺ قَد مَات إلَىٰ النَّار، فَربَّما أنَّه في حقَيقة أمْره كَان كافرًا، أو أنه ارتاب وشك في الإيمان فمات كافرًا، قالوا: ويؤيدُ ذَلك آخرُ الحديثِ، وهُو الرجل الفاجر، فالفُجور عامٌّ يَشمل الفسق والكفر[(١)].

٢- واشْتهَر عِند أهْل السِّير: أنَّ صَفوان بن أميَّة شَهد حُنينًا مع النَّبيّ ﷺ وكان مُشركًا. قال ابن حجر: «وقصته مشهورة في المغازي»[(٢)].

٣- وجاء عند بعض أهل السير أن النَّبيّ ﷺ استعَان بِناسٍ من اليهود ولم يُسهم لَهم[(٣)].. وقال الإمام الترمذي: «يروىٰ عن الزُّهري: أنَّ النَّبيّ ﷺ أسْهَم لقوم من اليَهود قَاتلوا معه»[(٤)].

٤- وعن ذي مخبر الحبشي -ويقال: ذو مخمر- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٥)] قال: سمعت

= برقم: (٢٨٩٧)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، برقم: (١١١).

(١) انظر «فتح الباري»: (٧/ ٤٧٤).

(٢) «فتح الباري»: (٦/ ١٧٩).

(٣) «المغازي النبوية»، محمد بن عمر الواقدي، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، (١٤٠٤هـ): ص (٦٨٤). انظر «نصب الراية»: (٣/ ٤٢٢).

(٤) ذكره الترمذي عند حديث رقم: (١٥٥٨). «سنن الترمذي» -السير- الباب ١٠، برقم: (١٥٥٨)، وقد ضعف الرواية الشيخ الألباني، ورواه ابن أبي شيبة: (١٢/ ٣٩٥).

(٥) هو: ذو مخبر، ويقال: ذو مخمر الحبشي خادم النَّبيّ ﷺ، وهو ابن أخي النجاشي، وكان الأوزاعي يقول: ذو مخمر -بالميم- لا يرىٰ غير ذلك. روىٰ عن النَّبيّ ﷺ. روىٰ عنه: جبير بن نفير، وأبو الزاهرية حدير بن كريب، وكان ممن نزل الشام ومات به. روىٰ له أبو داود، وابن ماجه. وصححه كذلك ابن سعد (أيْ تسميته: ذو مخمر)، وأما الترمذىٰ فصححه بالياء. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي: (٨/ ٥٣١)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر: (٣/ ٢٢٤)، «معرفة الصحابة» لأبي نعيم: (٢/ ١٠٣٦)، و«معجم الصحابة» للبغوي: (٢/ ٣٠٤)، و«الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد: (٧/ ٤٢٥).

رسول الله ﷺ يقول: «سَتُصَالِحُونَ الرُّومَ صُلْحًا تَغْزُونَ أَنْتُمْ وَهُمْ عَدُوًّا مِنْ وَرَائِكُمْ»(١).

٥- ورُوي أنَّ سَعد بْن مالك(٢) غَزا بِقوم مِن اليَهود فَرضخ(٣) لهم(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الجهاد، باب: في صلح العدو، برقم: (٢٧٦٧)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»، برقم: (٣٦١٢). رواه أحمد في «مسنده»: (٤/ ٩١) وأبو داود، الجهاد، باب في صلح العدو برقم: (٢٧٦٧)، وابن ماجه، الفتن، الباب (٣٥)، برقم: (٤٠٨٩)، قال في «مصباح الزجاجة»: إسناده حسن: (٤/ ٢٠٦)، وقال الشيخ ناصر الدين الألباني: سنده صحيح. انظر «مشكاة المصابيح»، الحديث رقم: (٥٤٢٨) وانظر «جامع الأصول»: (١٠/ ٢٦).

(٢) هو: سَعْد بن أَبي وقاص واسمه مَالِك بْن أهيب -ويقال: وهيب- بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي، أبو إسحاق الزهري، أحد العشرة، وفارس الإِسْلام، روىٰ عن النَّبيّ ﷺ، وعن خولة بنت حكيم، وعنه بنوه إبراهيم، ومحمد، وعمر، وعامر، ومصعب، وابن عباس، وابن عمر، وجابر بن سمرة، وعائشة، وسعيد بن المسيب، وخلق، شهد بدرا، وافتتح القادسية، واختط الكوفة، وكان سابع سبعة في الإِسْلام، وكان مشهورا بإجابة الدعوة، دعا له النَّبيّ ﷺ، اللهم سدد رَمْيته وأجب دعوته، وقال علي: ما سمعت رسول الله ﷺ جمع أبويه لأحد إلا لسعد فإني سمعته يقول يوم أحد: إرم فداك أبي، وأمي. وقال ابن عبد البر: كان أحد الفرسان الشجعان الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ في مغازيه، وهو الذي كوّف الكوفة، وطرد الأعاجم، وتولىٰ قتال فارس، أمّره عمر علىٰ ذلك، وفتح الله علىٰ يديه أكثر فارس، ثم كان ممن لزم بيته في الفتنة ومات في قصره بالعقيق علىٰ عشرة أميال من المدينة، وحمل علىٰ الرقاب إلىٰ البقيع فدفن به في سنة خمس وخمسين، وقيل سنة ست وقيل سنة سبع وله بضع وسبعون سنة، وهو آخر العشرة وفاة. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي: (١٠/ ٣٠٩)، و«سير أعلام النبلاء» للذهبي: (١/ ٩٢)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر: (٣/ ٤٨٤)، و«الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد: (٣/ ١٣٧).

(٣) الرَّضْخ: العَطِيَّة القليلة، ومنه الرَّضْخ من الغنائم، لأنه عطية دون السهم. ويقال أرضخت للرجل، إذا أعطيته قليلا من كثير. ينظر «تاج العروس من جواهر القاموس»، للزبيدي: (٧/ ٢٥٨).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف»: (١٢/ ٣٩٦)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ»: (٩/ ٣٧). هذا =

هذه أبرز الأدلة للقائلين بالجواز.

○ مناقشة أدلة الطرفين:

ناقشَ المَانعُون أدِلَّة الطرف الآخر بأنَّها ضَعيفة، إمَّا في ثبوتها أو في دِلالتها؛ كحديث أبي هُريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، إذْ ليسَ صَريحًا في أنَّ الرَّجل الذِي قاتل معَ النَّبيّ ﷺ كانَ كَافرًا، بلْ فيهِ عَكس ذَلك، حَيث قال أبو هريرة عَنه: إنَّه يَدَّعِي الإِسْلام، كما أن القصة لا تفيد أن النَّبيّ ﷺ استعان بهِ، وإنَّما أذِن لهُ فقط في الحُضور والقِتال[1]، وكذَلك الشَّأن في قِصَّة صَفوان، فالنَّبيّ ﷺ لم يطلبْ مِنه أنْ يُقاتل، بل إنَّه هُو بنفْسه الذي شهِدَ الوَقعة.

ومن هنا سلكَ المَانعون طَريق التَّرجيحِ في الجَمع بَين الأَدلَّة وَلم يذكروا نَسخًا فيها[2].

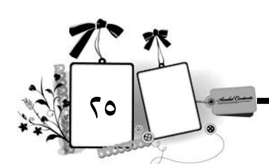
وأما المجيزون فناقشوا أدلة المانعين من وجوه:

أحدها: أنَّ النَّبيّ ﷺ ردَّ المُشرك رَجاء إِسْلامه، حيثُ تفرَّسَ فيهِ الرَّغبة في

= ويلاحظ الاختلاف بين هذه الآثار رقم (٣)، (٥)؛ حيث أثبت بعضها الإسهام للكافر، وفي بعضها الرضخ دون الإسهام، ومن هنا اختلف الفقهاء في ذلك، أي فيما إذا حضر الكافر المعركة بإذن الإمام، فقيل: يسهم له، وهو قول الزهري والأوزاعي، ورواية عن أحمد «الانصاف»: (٤/ ١٧١)، و«شرح النووي على مسلم»: (١٢/ ١٩٩)، وقال الجمهور: لا يسهم له بل يرضخ له. «حاشية ابن عابدين»: (٤/١٤٨)، و«حاشية الخرشي»: (٣/ ١٣٢)، و«المهذب»: (٢/ ٢٤٥)، و«المغني»: (١٠/ ٤٥٥)، و«تفسير القرطبي»: (٨/ ١٨).

(١) انظر «فتح الباري»: (٧/ ٤٧٤)، و«نيل الأوطار»: (٧/ ٢٥٥).

(٢) انظر «الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار»، المؤلف: أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، زين الدين (المتوفى: ٥٨٤هـ)، الناشر: دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد، الدكن، الطبعة: الثانية، ١٣٥٩ هـ: ص (٢١٨)، و«نيل الأوطار»، السابق.



الإِسْلام، فصدَق ظَنُّه فأسلم.. ذَكره البيْهَقي عن الإمامِ الشَّافعي[١].. وذلك يُفيد أنَّ الأمرَ مَوكول إلَىٰ الإمَام، فإنْ رأىٰ مَصلحَة في مُشارَكة الكَافر قَبله، وإن رأىٰ غَير ذلك فالأمْر إليه.. قال ابن حجر: «وفي ذلك نظر»[٢].

ثانيها: أن ردَّ النَّبيّ ﷺ للمُشرك لأنه خشِيَ أن يكون عينًا للمُشركينَ، ذَكره الجصَّاص[٣].

ثالثها: التفْريق بَين المُشركين وأهْلِ الكتاب، فأهلُ الكِتاب تجُوز الاسْتعانَةُ بِهم، وأمَّا المُشركون فلا، فإن خَرجوا مع المُسلمين لم يُمنَعوا.

ذكره الطحاوي[٤].. وقَال: «هذا حكمهم الآن عنْدَ كَثير مِن أهل العلمِ، مَنهُم أبو حنيفة وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يقولون: لا بَأس بِالاستِعَانة بأهل الكِتَاب في قِتال من سِواهم إذا كان حكْمنَا هُو الغالب، ويَكرهون ذَلك إذا كانَت أحْكامُنا بخلاف ذلِك، ونعُوذ بالله من تلك الحال»[٥].

رابعها: أن يُقال بأنَّ أدِلَّة الجَواز نَاسخَة لأدِلَّة المَنع، قال الحافظ ابن حجر: وهذَا أقْرب الأَوجُه، وعَليه نَصَّ الشافعي[٦].

قالوا: «والدليلُ عَلىٰ النَّسخ أن ردَّ النَّبيّ ﷺ للمُشرك كان يَوم بدر، وأمَّا

(١) انظر «السنن الكبرىٰ»، للبيهقي: (٩/ ٣٧).
(٢) «تلخيص الحبير»: (٤/ ١١٢).
(٣) «أحكام القرآن»: (٢/ ٤٤٧).
(٤) انظر «مشكل الآثار»: (٣/ ٢٣٦، ٢٣٩).
(٥) السابق: ص (٢٤٠).
(٦) «تلخيص الحبير»: (٤/ ١١٢).

النُّصوص المعارضَة فَهي مُتأخرة، كَقصَّة صَفوان، حيث كانت يوم حنين»[١].

تلك مناقشة كل فريق لأدلة الخصم.. والواقع أن مَن أمْعَن النظر في الأدِلَّة فَسيستبين لَه تَكافُؤها إلىٰ حَدٍّ كبير، فأدِلَّة المانعين صَحيحة وصرِيحَة[٢].

وأدلة المجيزين يبدو في بعضها الضعف وفي بعضٍ عَدم التَّصريح بِالاستعانة، إلا أن حَديث مُصالحة الرُّوم، وَهو حديث حسن يعطي دِلالَة لا بأس بَها عَلىٰ جَواز الاستعانةِ بالكفار.. والأحاديث بمَجمُوعها تصِلُ إلىٰ دَرجة الحَسن لِغَيره.

ثُم إنَّه قَد يُقال: بأن حُضور بَعض الكُفَّار –كصفوان– بَعض الغزَواتِ مَع رَسول الله ﷺ قد يَستدل بِه عَلىٰ جَواز الاسْتعَانة.. أما النَّسخ فَلا يَظهرُ لي القَولُ بِهِ، لأنَّه لا يَنبغِي اللُّجوء إليهِ إلا إذَا لَم يكُن الجَمعُ أو التَّرجيح.

قال الشَّيخ الطَّريقي: «الذي يَنبغِي القَولُ بهِ والمَصيرُ إليهِ هُو الجَمعُ بين النُّصوص، فلا نسخَ ولا تَرجِيح».

فالنصوص المانعة تحمل علىٰ حالات، مثل:

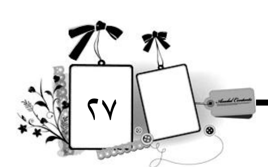
- عَدم الحاجَةِ إلىٰ الكَافرش.
- وجود مصلحة ظاهرةٍ في رَدِّه؛ إما رَجاء إِسْلامهِ، أو للظُّهور أمَام العَدو بالقُوةِ وعَدم الحاجة إلىٰ الكُفَّار، وما أشبه ذلك.

وهاتان الحَالان قَد يُحملُ عَليهما أو عَلىٰ إحداهما حَديث عَائِشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا في رد المشرك.

---

(١) انظر «تفسير الألوسي»: (٣/ ١٢٠)، و«القول المبين في حكم المعاملة بين الأجانب والمسلمين»: ص (٥٠).

(٢) انظر «تفسير القرطبي»: (٦/ ٢٢٤).



▪ إذا كان الكُفَّار أقوياء بِحيث يُخشَىٰ بَطشُهم وبأسُهم، وهذا قَد يُفهم مِن حديث أبي حميد الساعدي.

▪ إذا كانَ هَؤُلاءِ الكُفَّار مَعروفًا عنهم الاستهزاءُ بِالإِسّلام والنِّكايَة بالمُسلمين والتَّأليب عَليهم، كما هو ظاهر الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [سورة المائدة: ٥٧]، وما أشبهها.. وأما الآيات المطلقَة التي تَنهىٰ عن مُوالاة الكفَّار فَقد تقيدُها هذه الآية وما أشبهها.

ذلك عن النصوص المانعة، وأما النُّصوص المُبيحَة فَتحْمَل عَلىٰ الكُفار الذين لم يَظهرْ مِنهم أذَىٰ لِلمسلِمين وأُمنَت خِيانَتهم.

هذا إلىٰ أنَّهم في حَال أقل وأضعَف من المُسلمين مَع وُجود الحَاجَة إلَيهم.. ذلك ما يُمكِن أنْ يَوفَّق به بين النُّصوص التي تبدو مُتعارضَة، -والله أعلم-.

○ ومنه نصل إلى التفصيل التالي:

لايخلو هَؤُلاءِ الكفَّار إمَّا أن يَكونوا أفرادًا محدودي العَدد، أو مجموعة كثيرة، فَإذا كانُوا أفرادًا فَتجوز الاستعانَةُ بِهم بشرطين:

أولهما: أن تدعو الحاجَةُ إلىٰ ذلك، كَأن يكونوا أصحَابَ رَأي، أو بَأس شدِيدٍ علىٰ العدو.. أو تدْعو المَصلحة إلىٰ ذلكَ، كأنْ يُرجىٰ منهمُ الإِسّلام أو بَذلُ العَون والنَّصيحَة.

ثانيهما: أن تُؤمَن خِيانَتهم.

أما إن كانوا كثيرين فلا يستعان بهم إلا بثلاثة شروط.. بالشرطين السابقين.

والثالث: ألا تكون لهم شوكةٌ وقوةٌ تُنازع قوةَ المُسلمين، إما عددًا أو عدة أو بأسًا ورأيًا.

هذا هو الراجح، والعلم عند الله تعالىٰ.

وأما أخذُ رَأيهم في أمورِ الحرْبِ وأحوالِ العَدو، فالذي يظهرُ لِي أنَّه لا بأس بهِ، لأنَّ ذلك مِن شؤون الدنيا، وقد سَبق بَيان جواز ذلك، علىٰ ألا يُعتمد عليهم اعْتمادًا كليًّا، لأنَّه حِينئِذ يُصبح رُكونًا إليهم، وهُو مَنهيٌّ عَنه، كَما أنَّه لا بُد من أَخْذ الحَذر عنْد ذَلك.. كُل هذا عن الاسْتعانَة بالكفَّار علىٰ الكفار(١).

وعودًا على موقف ابن سلول في أثناء معركة أحد:

فعندما تجاوز الرسولُ ﷺ في مسيرِه إلىٰ أحد ثنيَّة الودَاع، رأىٰ كتيبة خَشْنَاء كثيرة السلاح، فَقال: «مَنْ هَؤُلاءِ؟». قالوا: هذا عبد الله بن أبي بن سلول في سِتمائة مِن مَواليه مِن اليهود من أهل قينقاع، وهم رهط عبد الله ابن سلام. قال: «وَقَدْ أَسْلَمُوا؟».

قالوا: لا يا رسول الله. قال: «قُولُوا لَهُمْ: فَلْيَرْجِعُوا، فَإِنَّا لا نَسْتَعِينُ بِالْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ»(٢)، وإذا صح هذا الخبر فيكون جلاء بني قينقاع بعد أحد(٣).

-جاء في تفسير القرطبي وغيره عِندَ قَوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ

---

(١) «التعامل مع غير المسلمين»: (٣٠١-٣٠٨) د/ عبد الله الطريقي. بتصرف يسير، ولمزيد اطلاع علىٰ حكم الاستعانة بالكفار انظر «الولاء والبراء»: (٣٦٧-٣٦٨) للدكتور/ محمد القحطاني، وقد يسر الله أن اطلعت علىٰ فتوىٰ مطولة للشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ خلاصتها قريبة جدًّا مما قرره الشيخ الطريقي «مجموع الفتاوىٰ» لابن باز: (٦/ ١٨٣).

(٢) ابن إسحاق، دون إسناد، ابن هشام: (٣/ ٩٢)، والواقدي: (١/ ٢١٩)، ابن سعد (٢/ ٣٩)، البيهقي: «دلائل النبوة»: (٣/ ٢٠٨) من رواية موسىٰ بن عقبة مرسلًا، وروىٰ البخاري وغيره أنه: لما خرج النَّبيّ ﷺ إلىٰ غزوَة أحد، رجع ناس ممن خرج معه..) انظر البخاري: «الفتح»: (١٥/ ٢٣٢)، ح (٤٠٥٠).

(٣) إلا ابن حجر في الفتح يُرجح أنها بعد غَزوَة بدر: (١٥/ ٢٠٤). وعدد من كتَّاب السيرة.



﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [سورة الأحزاب: ١٣].

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «قالت اليهودُ لعبد الله بْن أبيٍّ بن سَلول وأصحابِه من المُنافقين، ما الذي يحملُكم على قَتل أنْفسكُم بِيد أبي سفْيان وأصْحابه، فارجعوا إلَى المَدينة مَع القوم فأنْتُم آمنون»(١).. وهذه الرواية تُشير إلى مدَى التَّلاحُم والتَّواصُل بَين فَريقَي الكُفر من اليَهودِ والمُنافِقين.

واتَّبعهم عبدُ الله بْن عَمرو بْن حَرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنْد انْسحَابهم، وأَخذ يَقولُ لهُم: «أذكرُكم اللهَ أنْ تَخذلوا قومَكم ونبيَّكم عِندما حضر من عدوهم»، فقَالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكنا لا نرَى أن يكون قتال، فَلما استعْصوا عَليه، قال: «أبعدكم الله أعداء الله، فسيغني الله عنكم نبيَّه»(٢).

وقد أشار القُرآن إلى هَذا الحِوار في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٦٦-١٦٧].

إنها حجَّة الخَؤون الفَاجرِ الذي زَعم هُو ومن مَعَه أنَّ المُسلمينَ لَن يَلقوا قِتالًا، وكأنَّ الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إنَّما خرجوا لنزْهَة برِّيَّة، قَال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنَّهم يتحقَّقونَ أنَّ جُندًا من المُشركين قد جَاؤوا مِن بِلاد بَعيدة يتحَرَّقون على المُسلمين بِسببِ ما أُصيب مِن أشْرافِهم يوم بَدر وهُم أضعافُ المُسلمين أنَّه كَائن بَينهُم قِتال لا مَحالة»(٣).

---

(١) انظر «تفسير القرطبي»: (١٤/ ١٤٨)، و«تفسير الثعلبي- تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن» عبدالرحمن بن محمد الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت: (٨/ ٢١)، في تفسيرهما دون إسناد.

(٢) انظر «السيرة النبوية»، لابن هشام: (٤/ ٩).

(٣) «تفسير ابن كثير»: (١/ ٤٢٥).

ولو تأمَّل المُتتبِّع لأقْوال ابن سَلول لوجد فيها تَناقضًا عجيبًا، فما يؤكده في موضع يكذبه في موضع آخر.

فهنا يقول: (لَن يَلقىٰ المُسلمون قِتالًا)، وقبلها يَقُول: (أطَاعَهم وعَصاني مَا ندري علام نقْتُل أنْفسَنا هَا هنا أيُّها النَّاس).. إنه الكَذب الذي لا مِرية فيه، وعدم الثَّبات علىٰ مَنهج واضِح لا شَكَّ فيه.

ولقد جاء انصراف ابن سلول بثلث الجيش تقريبًا في أحلك الظروف وأصعب المواقف، وذَلك قَبل مُلاقاة العَدوِّ تمامًا حتىٰ تهزم الروح النفسية لدَىٰ المُسلمين وتتحطَّم معنوياتهم، وأَنَّىٰ للمنافقين ذلكَ، وصحابة الرسولِ ﷺ علىٰ قَدر مِن تَعلُّقهم بالله واعتصامهم بِه وتوكُّلِهم عَليه.. لقد كان لانْخذال ابن سلول بِثلث الجَيش أثرٌ بَالغ في حُدوث فتنَة عظيمَة، لكنَّ الله لطفَ سُبحانه وثبَّت المؤمنين.

الموقف الأول:

روىٰ البخاري ومسلم وغيرهما، من حديثِ زيد بن ثَابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «لما خَرج النَّبيّ ﷺ إلىٰ غَزوَة أُحُد رجَع نَاس ممَّن خرج معه، وكان أصحاب النَّبيّ ﷺ فرقتين، فرقة تقول: نقاتلهم. وفرقة تقول: لا نقاتلهم. فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟﴾ [سورة النساء: ٨٨](١)، وقال النَّبيّ ﷺ: «إِنَّهَا طَيِّبَةٌ تَنْفِي الذُّنُوبَ كَما تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الفِضَّةِ»(٢).

وكان من حكمة المصطفىٰ ﷺ عدم قتالِ المنافقين في هذا المَوقف لاعتباراتٍ

(١) أي ردَّهم إلىٰ كفرهم. ينظر «مختار الصحاح»: (٢٥٤).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٢٢]، برقم: (٣٨٢٤)، ومسلم، كتاب: الحج، باب: المدينة تنفي شرارها، برقم: (١٣٨٤)، من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عَديدة، منها:

أ- أن القتال سَينهكُ قُوة المسلمين حَتىٰ ولو تغلَّبُوا علىٰ المنافقين، وسَيلقون بعد ذلك أعداءَهُم وقد أُنهكوا وقُتل عَدد مِنهم، ولكن الرسول ﷺ وفَّر قُوَّته لقتالِ المُشركين.

ب- إنَّ قتالَهُم سيتحدث فيه المغْرضون أحَاديث يُؤذون المُسلمين فِيها، ويُشككون ويبذرون بُذور الفتنة أن محمدًا ﷺ يَقتل أصحابه، وخاصة قَبل أن تتَّضِح مَواقف هَؤُلاءِ عند كثير من المُسلِمين.

ج- قد يتأثَّرُ لقتْلِهم وقِتالهم عددٌ من المُسلمين لم يَعرفوا حقيقَتهُم وحقيقَة مَوقفهم من الإِسْلام.

د- تقْليل أنصارِهم بالصَّبر عليهِم، وكشف حقيقتِهِم للنَّاس من خلال الأحداث وموقفِهم منْها، فالشَّدائدُ محكُّ النَّاس جميعًا(١).

الموقف الثاني:

جاء في ثنايا قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [سورة آل عمران: ١٢٢].. قال الإمام الطبري: «أن تفشلا: أي همَّا أن يضعُفَا ويجبُنَا عن لقاء عدوِّهما... وكان همُّهما الذي همَّا به من الفشل، الانصِرَاف عَن رسول الله ﷺ والمُؤمنين حين انصرف عنهم عبد الله بن أبيِّ بن سلول بمن معه، جبنًا منهم، من غير شك في الإِسْلام ولا نفاق.

فعصمَهُم الله ممَّا همُّوا به من ذلك، ومضَوا مَع رسول الله ﷺ لوجْهِه الذي مضَىٰ له، وتركوا عبدَ الله بن أبيِّ بن سلول والمُنافقين معه، فأثنَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ عليهِما بثُبوتهما

(١) «السيرة النبوية دراسة تحليلية»، د. محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، سنة (١٤١٨هـ-١٩٩٧م): (ص٣٨٦).

على الحقِّ، وأخبر أنَّه وليُّهما وناصرِهُما على أعدائِهما من الكفار»(١).

قال الزَّمخشري في «الكشاف»: «والطائِفتانِ حيَّان من الأنصارِ: بَنو سلمَة مِن الخَزرجِ وبَنو حارثَةَ مِن الأوْس... همُّوا باتِّباع عبدِ الله بن أبيِّ عندما انخذل بثُلثِ النَّاس، وقال: يا قوم، علام نقْتُل أنفُسنا وأولادَنا؟ فَعصمهُمُ الله فمَضوا مَع رسولِ الله ﷺ.

وعن ابْنِ عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قال: أضْمَروا أن يَرجِعوا فَعزم اللهُ لَهم عَلى الرُّشدِ فثَبتُوا، والظَّاهرُ أنَّها ما كانَت إلا همَّة وحَديث نَفس، كما لا تَخلُو النَّفسُ عنْد الشِّدَّة من بَعض الهَلع ثُمَّ يَردُّها صاحبُها إلى الثَّبات والصَّبر ويوطِّنها عَلى احتِمال المَكروه... ولو كانت عزيمة لما ثَبتت معَها الولاية»(٢).

ولَقَد مَنَّ اللهُ عَلى نَبيِّه ﷺ وعلى المُؤمنين بِنكُوص المُنافِقين عَلى أعْقَابهم وتَولِّيهم يَوم الزَّحفِ عَنهم؛ لأنَّهُم لنْ يَتوانَوا فيما لو كَانوا معهم عن تخذيلهم والإرجافِ بِهم وإشاعَةِ قالَة السُّوء بَينَهم... الخ.

كما قَال تَعالَى: ﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧﴾ [سورة التوبة: ٤٧]. قال ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾ [سورة التوبة: ٤٧]: «أي: لأسْرَعوا السَّيرَ والمَشيَ بينكم بالنَّميمَة والبَغضاءِ والفِتنَة»(٣).

ج) موقف ابن سلول وإخوانه من اليهود بعد غَزوَة أحد:

---

(١) «تفسير الطبري»: (٣/ ٤١٩).

(٢) ينظر «الكشاف»، للزمخشري: (١/ ٤٠٩-٤١٠).

(٣) ينظر «تفسير ابن كثير»: (٤/ ١٦٠).



استغَلَّ ابنُ سلول ومَن معه مِن أتباعِه هَزيمَةَ المسلمين في أُحُد؛ حَيث أخذوا بالتَّثريب علَى المُؤمنين ونشْرِ قَالةِ السوء، وتزَعَّم ابنُ أبيٍّ مقُولة: لَو أطَاعنا إخْوَاننا وقَعدوا كَما قعدنَا مَا قُتلوا في أُحُد، فأنْزَل اللهُ قولَه تعَالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ١٦٨﴾ [سورة آل عمران: ١٦٨].

قالَ جابر بْن عبْدِ الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، والسُّدِّيُّ، وابْن جُريج، والرَّبيع رحمهم الله: «نَزلت في عُدوِّ الله عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول وأصحَابه»(١).

والأخوَّة المُشار إليها في الآيةِ لَيست أُخوة الدِّين، وإنَّما النَّسب والمُجاوَرة؛ فابنُ سَلول من الخَزرجِ الذينَ قُتل منهم يَومَ أحُد مَن قُتل رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.. بَل أخَذ المنافقون هَؤُلاءِ يَتساءلُونَ عن النصرِ المَزعوم الذي كَان يَحلم بهِ المُؤمنون، ومَا علمُوا أنَّ اللهَ أراد بهذهِ النَّتيجةِ أنْ يَميزَ الخَبيث مِن الطَّيِّب.

وقد ذَكر ابْن القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ مُبينًا بعْض حكم وأسرار هَذه الغَزوَة فقال: «أرادَ الله أن يَميز المُؤمن الصَّادقَ من المُنافق الكاذبِ؛ فإنَّ المُسلمين لَمَّا أظهرهم الله علىٰ أعدائِهم يَوم بَدر، وطارَ لَهم الصِّيتُ، دَخل معهُم في الإِسْلام ظَاهرًا مَن لَيس مَعهم بَاطنًا، فاقتضت حكمة الله عَزَّوَجَلَّ أن سبَّب لعِبَاده مِحنةً مَيَّزت بين المُؤمنِ والمُنافق.

فأطْلَع المنافقُونَ رؤوسَهم في هَذه الغَزوةِ، وتَكلَّموا بمَا كانوا يكتمونهُ، وظهَرتْ مخبَّآتهم وعَاد تَلويحُهم تَصريحًا، وانْقسم النَّاس إلىٰ كافرٍ ومُؤمن ومنَافق انْقسامًا ظَاهِرًا، وعَرف المؤمنون أنَّ لهم عدوًّا في نَفس دُورهم وهُم مَعهم لا يُفارقونَهم، فاستعدُّوا لهَم وتحرَّزوا مِنهم، قال تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ

---

(١) «تفسير الإمام الطبري»: (٧/ ٣٨٣).

حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٩]»(١).

ولم يكتف زعيمُ المُنافقين ومن معَه بالإرْجاف والتَّثريب والتَّخذيلِ والتَّحزين، بل أخذُوا يَدعُون المسْلِمين للتَّخلِّي عَن قِيادة الرَّسُول ﷺ ويأمرُونَهم بِالتَّفرُّق عَنه(٢).

وكما اسْتثْمَر المُنافقُون حَدثَ الهَزيمَة في أُحد، فكذلك إخوانهم اليَهود؛ حَيث قالوا: لو كانَ نبيًا ما ظَهروا عليَه ولا أُصيبَ مِنه ما أُصيب ولكنه طالَبُ مُلك(٣).

وفي رواية أُخرىٰ: انهزَمَ مُحمدٌ وأصْحابُه ويَقول إنه نَبيٌّ مُرسل؟ لو كَان نبيًا ما انتصَر عليهِ الوَثنيُّون مِن القَبائل(٤).

لقد كان لغَزوَة أحُد مِن الآثار الشَّئ الكَثير؛ إذ انَتقض علىٰ الإِسْلام وأهْلِه كَثيرٌ مِمَّن هَادنهم النَّبيّ ﷺ أو مَالأهم(٥) خوفًا مِنهُم، بَل لقد تجرَّأت الأَعرابُ بَعد أُحد وبَدأوا بِمحاوَلةِ غَزو المدينَةِ ومُهاجَمتِها ونَهبِ أمْوالِها وخَيراتِها، وجَرأت كذلكَ اليَهود في المَدينَة ليُظهِروا حِقدَهم الدَّفين كيدًا وسُخريةً ونَحو ذلك(٦).

وَصَدَقَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ حِينَ قَالَ:

جَزَىٰ اللهُ الشَّدَائِدَ كُلَّ خَيْرٍ ... وَإِنْ كَانَتْ تُغَصِّصُنِي بِرِيقِي

وَمَا شُكْرِي لَهَا إِلَّا لِأَنِّي ... عَرَفْتُ بِهَا عَدُوِّي مِنْ صَدِيقِي

---

(١) «زاد المعاد»: (٣/ ٢١٩-٢٢٠).

(٢) الواقدي في «المغازي»: (١/ ٣١٧).

(٣) «دلائل النبوة»، للبيهقي: (٣/ ٢١٧)، «هدىٰ السيرة النبوية»: (٢٦٥)، لحنان اللحام.

(٤) ينظر «مع المصطفىٰ»: (١/ ٢٦٦)، لبنت الشاطئ.

(٥) مالأهم: قيل عاونهم وصاحبهم وعمل علىٰ مداراتهم -بتصرف- «لسان العرب»: (١/ ١٦٠).

(٦) «صحيح السيرة النبوية»: (٣١٨)، لإبراهيم العلي. بتصرف يسير.



لقَد وظَّف المُنافقُون واليَهود ومَن شايعَهُما من الكفَّار ما أصَاب المُسلمين مِن هَزيمَة وقَرح وقَتل؛ ليُثبِّطوا عَزائِمهم ويُخوفُونهم عَاقبَة المَسير مَع مُحمَّد ﷺ، ويُصوِّروا لَهم مَخاوفَ القِتال وعوَاقبَ الاشْتباكِ مَع مُشركِي قُريش وحُلفائِهم.

وَأجْواء الهَزيمَة هي المَناخات الصالِحَة لِبلبَلة القُلوب، وخَلخلَةِ الصُّفوفِ، وإشاعة عدمِ الثِّقة في القِيادة، والتَّشكيك في جَدوىٰ الإِصرارِ علىٰ المَعركَة معَ الأقويَاء، وتَزيين الانْسحابِ ومُسالَمَة المُنتصرين فِيها، مع إثَارَة المَواجع الفَرديَّة وتَحْويلِها لِهدم كَيان الجَماعة ثُمَّ تَقويضِ العَقيدة ثُم الاسْتِسلام للأعْدَاء(١).

وتظَل مَواقفُ ابن سلول النِّفاقِيَّة سلسلة لا تَنقطِع ومَواقف لا تنْتَهي، فلَمَّا رَجع المُصطَفىٰ ﷺ من غَزوتِه (حَمراء الأسد)، وهي التي خَرجَ فيها ﷺ معَ مَن شَاركَه في غَزوَة أحدٍ مِن الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنهُم، مَع ما هُم فيهِ من جِراحَات وآلام لِإِشْعار جَيش قُريش وزَعامَاته أنَّهم بِإذن الله قَادرون علَىٰ مُواجَهتِهم، ولقَطعِ أطْماعِهم في مُواصَلة مَسيرِهم إلىٰ المَدينَة، فأراد ابْن سَلول أن يَقومَ كَعادتِه لِحثِّ النَّاس علىٰ طَاعة رسول الله ﷺ، وذَلك يَوم الجُمعة بَعد خُطبة النَّبيّ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلام فقال:

أيُّها النَّاس، هذا رسول الله بينَ أظهُرِكم، أكرمَكُم اللهُ به وأعزكم به، فانصروه وعزِّروه واسْمعوا لَه وأطِيعوا، فقامَ المُسلمون فأخذُوا بِثيابهِ مِن نواحِيه وقالوا: اجْلس أي عَدو الله، والله لستَ لذَلك بِأهل وقد صنعْت ما صَنعت، فَخرج يَتخطَّىٰ رِقاب الناسَ وَهُو يَقول: والله لكأنَّما قُلت بُجرًا(٢) إن قمت أشدد أمره.

فلقيه رِجالٌ مِن الأنصَار بِباب المَسجد، فقالوا: ويلك مالك؟ قال: قُمت أشدُد أمَره فوَثب إِلَيَّ رجالٌ من أصْحابه يَجذبونَني ويُعنِّفونني لكأنَّما قُلت بجرًا، أن

---

(١) «في ظلال غزوَة أحد»: (٢/ ٢)، لفوزي منصور، مقالة منقولة من الإنترنت.

(٢) قلتُ بَجْرًا، قلتَ قولا كَاذِبًا. ينظر «تهذيب اللغة»: (١٢/ ٢٥٩).



قُمت أَشدد أمره. قَالوا: ويلك، ارجِع يَستغفر لك رسول الله ﷺ. قال: والله ما أَبْغي أن يَستغفِر لي[١].

لقد سَقطت أقنعةُ المُنافقينَ في المَدينَة وانفضَحوا بأَعْيانِهم وأشْخاصِهم؛ خاصةً الذين انخَذَلوا مَع ابن سَلول يَوم أحُد، فقدْ أخذ القُرآن يَصفُهم تَارةً بأنَّهم للكُفر أقْربُ مِنهم للإيمان، وأخْرىٰ بِأنَّهم كُفَّار، وثَالثة أنَّهم إخْوان لليَهود، وهكذا كانت هَذه التعرية مهمة جدًّا في التعامل معهم.

صحيحٌ أن القَتل الجَسدي لَم يقع، لكنَّ القتلَ المعنوِيَّ قَد لحقهم فأصابهم في مقتل، ولم يكن أمامهم خيارٌ إلا القَبول بهذا الواقع الذليل الفاضِحِ لهم المدمدم لقلوبهم، أو حسن التَّوبَة والانضمام إلىٰ الصَّفِّ المسلم[٢].

٤. موقف ابن سلول من غَزوَة بني المصطلق:

لا يفتأ ابن سلول أن يترُكَ لَه في كل غَزوَة حدثًا، وفي كُلِّ موقفٍ دَسيسةً، وفي كُلِّ مُنعطف للمسلمين عقبَةً، فله فؤاد قد التَاع حَسدًا، وكبدٌ قد احتَرقت كَمدًا علىٰ زعامة سُلبها وملك انزاح عنه، فلا يزال ينفثُ سُمومهُ وَيرمي بشَررِهِ كُلَّما سنحت له فرصةٌ وتهيأت له مناسبةٌ.. ومن ذَلك ما كان منه في غَزوَة بَني المصْطَلق.. هَذه الغَزوَة التِي كَانت في شعْبَان من السنة الخَامسَةِ للهجرة علىٰ القَول الرَّاجح[٣].

وبنُو المُصطلِق هَؤُلاءِ بَطنٌ من بُطون خُزاعة، تجرَّؤا هم وبَقيةُ القَبائل الأُخرىٰ

---

(١) أخرجه ابن هشام في «السيرة النبوية»: (٤/ ٥٦)، عن ابن شهاب منقطعًا. وينظر «البداية والنهاية»: (٤/ ٥٣).

(٢) «فقه السيرة النبوية»: (٤٤٧-٤٤٨)، لمنير محمد غضبان. بتصرف يسير.

(٣) «السيرة النبوية الصحيحة»، د/ أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان - الرياض، الطبعة: الثالثة (١٤١٨هـ-١٩٩٨م): (٢/ ٤٠٦)، وانظر كذلك «مرويات غزوَة بني المصطلق»: (٩٧)، لإبراهيم القريبي.

المُحيطَة بالمَدينة عَلىٰ إعْداد العُدَّة لغزْوهَا، وأطمعهم في ذلك ما حَصَل للمسلمين من هزيمَةٍ في غَزوَة أحد.

فأراد بنو المصطلق أن يُبادروا بالغزوِ كما فعل أقرانُهم في قبائل وعشَائر أُخْرَىٰ ولعلهم جهَّزوا لهذِه الأنفسهُمْ مَخافة أن ينعطِفَ عليهم رسول الله ﷺ مُنتقمًا منهم؛ لمشارَكَتهم وتأييدِهم لِقريشٍ وتَكتُّلها مَعها في أُحُد، ولعلَّ أهمَّ الأسْباب التِي دَعت النَّبيّ ﷺ لغزوهِم هُو أنَّ قَبيلة بَني المُصطلِق أخَذت تَجمعُ الجُموع لِغزوِ المَدينَة بَعد هزيمَة المُسلمين فِي أُحد(١).

فخرجَ إليهِم المُصطَفىٰ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ لمَّا سمع بجمعِهم بِقيادة الحَارث بْن أَبِي ضِرار رَضِيَ اللهُ عَنهُ(٢) حتَّىٰ لَقيهم عَلىٰ مَاءٍ لَهم يُقال له: المريسيع، فَتزاحف الناس واقتتلوا، فهزمَ اللهُ بني المصطلق وقتل من قتل، ونفلَ رَسول الله ﷺ أبناءهم ونساءهم وأموالهم.. جَاءت الرِّوايات الصَّحيحَة مُشيرة إلَىٰ أنَّ المُصطفىٰ ﷺ أغَار عَلىٰ بَني المُصطلِق وَهم

(١) انظر «مرويات غَزوَة بني المصطلق»: (٨٩)، لإبراهيم القريبي.

(٢) هو: الحارث بن ضرار، وقيل: ابن أبي ضرار الخزاعي، يكنىٰ أبا مالك، عداده في الحجازيين، سكن الكوفة. قال أبو حاتم الرازي والبخاري: له صحبة. قال ابن عبدالبر: الحارث بن ضرار الخزاعي، ويقال: الحارث بن أبي ضرار المصطلقي، وأخشىٰ أن يكونا اثنين. وقال الحافظ ابن حجر: الحارث بن ضرار، ويقال: ابن أبي ضرار الخزاعي. فرق ابن عبد البر بينه وبين والد جويرية. وجزم ابن فتحون وغيره بأن والد جويرية غير صاحب القصة والحديث، ولم يصنعوا شيئًا. والصواب أنه شخص واحد. ينظر «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم: (٢/ ٧٨٣)، و«معجم الصحابة»، للبغوي: (٢/ ٦٨)، و«التاريخ الكبير»، للبخاري: (٢/ ٢٦١)، و«الجرح والتعديل»، لابن أبي حاتم: (٣/ ٧٧)، و«أسد الغابة»، لابن الأثير: (١/ ٦١٦)، والثقات لابن حبان: (٣/ ٧٦)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر: (١/ ٢٩٣)، و«الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر: (٢/ ١٦٥).



غَارون وأنعَامُهم تسقِي عَلىٰ المَاء فقتل مقاتلتهم وسبَىٰ ذراريهم(١).

وهنا سؤال: لماذا لم ينذرهم ﷺ ولم يبعث إليهم بخبر ذلك؟

١- لأنَّهم ممَّن بَلغتْهم دعوةُ الإِسْلام، وقَد كانُوا يُعتبرون في حرب مع المسْلِمين منذ اشتِراكِهم مع قُريش فِي غَزوَة أحد.

٢- كما أنَّهم كَانوا يَجمعون الجموعَ لِحرب المُسلِمين فبُوغِتوا واضْطربُوا ولَم يتمكَّنوا مِن المُقاوَمة طَويلًا(٢)، وكان فيمن أُسرَ مِن السَّبايا يومَئذ جُويرِية بِنت الحَارث بن أبي ضرار(٣) زوج النَّبيّ ﷺ(٤).

ولقد كَان من ابنِ سَلول في هذه الغَزوَة موقفٌ مشين ومَقولةٌ سَيئة، فعِندما وصل جيش المسلمينَ إلىٰ ماء المُريسيع، أبان رأسُ النِّفاق ومن تبعه عن حقدِهم

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: العتق، باب: من ملك من العرب، برقم: (٢٤٠٣)، ومسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: جواز الإغارة علىٰ الكفار الذين بلغتهم دعوة الإِسْلام من غير تقدم الإعلام بالإغارة، برقم: (١٧٣٠)، من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) «السيرة النبوية الصحيحة»: (٢/ ٤٠٦-٤٠٧)، لأكرم ضياء العمري.

(٣) هي: جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار بن الحارث بن عائذ بن مالك بن المصطلق الخزاعية سيدة قومها، وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس، فاصطفاها النَّبيّ ﷺ، وكان اسمها برة، فسماها رسول الله ﷺ جويرية، فأعتقها، وتزوجها، وجعل صداقها عتق كل أسير سبي من بني المصطلق، سباها في غزوته التي هدم فيها مناة، غَزوَة المريسيع، وأعتق بعتقها أربعين أهل بيت من خزاعة، وقيل مائة أهل بيت من بني المصطلق، وكانت من أعظم النساء بركة علىٰ قومها، تزوجها في شعبان من سنة ست [ص: ٣٢٣٠] من الهجرة، وتوفيت بالمدينة سنة ست وخمسين في ربيع الأول. روىٰ عنها ابن عباس، وابن عمر، وجابر، وأبو أيوب العتكي، وعبيد بن السباق، والطفيل ابن أخي جويرية. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي: (٣٥/ ١٤٥)، و«معرفة الصحابة»، لأبي نعيم: (٦/ ٣٢٢٩)، و«معرفة الصحابة»، لابن منده: (ص: ٩٦٢).

(٤) المصدر السابق: (١٠٦-١٠٧)، لأكرم ضياء العمري.

الدَّفين وغَلوائهم المحتدِمَة، فلَهم أبصَار وأمَانٍ قَد اشرأبَّت لَها أعناقُهم ترقب يوم هَزيمة سَاحق يَلحق بالمسلمين.

فقد رَوىٰ زَيد بن الأرقم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَال: «كنت في غزاة -يقصِد غزوَة بَني المُصطلق- فسمعت عَبد الله بن أُبي بْن سَلول يقول: لا تُنفقوا علىٰ من عِند رسُول الله حتىٰ ينفَضُّوا، ولئن رجعنا من عنده ليُخرجن الأعزُّ منها الأذَلَّ، فَذكرت ذَلك لعمِّي -يقصدُ سَعد بن عُبادة سَيِّد الخَزرج، وليس عمه حقيقة- فَذكره النَّبيّ ﷺ فدعَاني فحدَّثته، فأرْسل رَسُول الله ﷺ إلَىٰ عَبد الله بن أبيٍّ وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله ﷺ وصدَّقه، فأصَابني همٌّ لَم يصبْني مِثلُه قَطُّ، فَجلست في البيت.

فقال لِي عمي: ما أَردت إلىٰ أن كَذَّبك رسول الله ﷺ ومقَتك؟ فأنْزل الله تَعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة المنافقون: ١]. فبعث إلىٰ رَسول الله فَقرأ فقال: «إنَّ الله قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْد»(١).. وَفي رواية أنه قال ﷺ: «هَذَا الذِي أَوْفَىٰ اللهُ لَهُ بِأُذُنِهِ»(٢).

وكَان سببُ هذهِ المَقولة من ابن سلول هُو مَا رواه جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كنَّا في غَزاة، فكسع(٣) رجل من المهاجرين(٤) رجلًا من الأنصار،

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [سورة المنافقون: ١]، برقم: (٤٦١٧)، ومسلم، كتاب: صفات المنافقين وأحكامهم، باب: بدون، برقم: (٢٧٧٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ٧﴾ [سورة المنافقون: ٧] برقم: (٤٦٢٣) من حديث زيد بن أرقم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وينظر مرويات غَزوَة بني المصطلق (١٧٤).

(٣) المشهور في معنىٰ الكسع: هو ضرب الدبر باليد أو بالرجل، انظر «القاموس المحيط»: (٣/ ٧٨)، و«فتح الباري»: (٨/ ٦٤٩).

(٤) أورد ابن إسحاق أن المهاجري هو الجهجاه بن مسعود الغفاري أجير لعمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، =

فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فَسمع ذاكَ رسولُ الله ﷺ فقال: «مَا بَالُ دَعْوَىٰ جَاهِلِيَّةٍ؟». قَال: يا رسول الله، كسع رجل من المهاجرين رجُلًا من الأنصار فقَال: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ». فسمع بذلِك عبدُ الله بن أبيٍّ بن سلول، فقال: فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذل[1].

وفي رواية قال ابن سلول: أوقد فعلوها؟ قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما أَعُدَّنا وجلابيب[2] قريش إلا كما قال الأول[3]: (سَمِّنْ كَلْبَكَ يَأْكُلك)، أما والله لئن رجعنا إلىٰ المدينة ليُخرجن الأعزُّ منها الأذل، ثم أقبل علىٰ من حضر من قومه فقال لهم: هذا ما فَعلتم بأَنْفسِكم، أحللتموهم بلادكم وقاسمتُموهم أمَوالكمْ أما والله لو أمسكتم عنْهُم ما بأيديكم لتحوَّلوا إلىٰ غَير دَاركم.

فبلغَ ذلك النَّبيّ ﷺ، فقامَ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا رسول الله، دعنِي أَضْرب

= وأن الأنصاري هو سنان بن وبر الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حليف بني عوف بن الخزرج، انظر ص (١٨٨)، وقد سمَّىٰ ابن حجر في «الفتح» المهاجري بمن سبق ذكره، انظر «الفتح»: (٦/ ٥٤٧) و(٨/ ٦٤٩).

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: قَوْلُهُ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾ [سورة المنافقون: ٦]، برقم: (٤٦٢٢)، ومسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: نصر الأخ ظالما أو مظلوما، برقم: (٢٥٨٤).

(٢) جلابيب: لقب لمن أسلم من المهاجرين لقبهم بذلك المشركون، وأصل الجلابيب الأزر الغلاظ كانوا يلتحفون بها فلّقبهم بذلك، انظر «مرويات غَزوَة بني المصطلق»: (١٨٨).

(٣) عند الطبري قال: هو مثل من أمثال العرب، وأول من قال به حازم بن المنذر الحماني، وذلك أنه مرَّ بمحلة همدان فوجد غلامًا ملفوفًا في ثوب فرحمه وحمله معه وقدم به منزله، وأمر أمة له أن ترضعه حتىٰ كبر وراهق وحلم، فجعله راعيًا لغنمه وسمَّاه جحيشًا، وكان لحازم ابنة يُقال لها راعوم فهويت الغلام وهويها، وانتبه حازم لهذا فترصَّد لهم حتىٰ عرف الحقيقة ووجدهم علىٰ الفاحشة، فقال: سمَّن كلبك يأكلك، فأرسلها مثلًا وشدَّ علىٰ جحيش ليقتله ففرَّ إلىٰ قبيلته، انظر «مجمع الأمثال»، للميداني: (١/ ٣٣٣)، ورقم المثل: (١٧٨٧).

عُنق هذا المُنافق. فقال المصطفى ﷺ: «دَعْهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»(١).

فذهب عبدُ الله بن أبيِّ بن سلول إلى رسول الله ﷺ حينَ بلغه أنَّ زيد بْن أرقَم قَد بلغه ما سمعه، فحلفَ بالله ما قلتُ ما قالَ ولا تكلَّمت بهِ، فقال من حضر رسول الله مِن الأنْصَار من أصحَابه: يا رسول الله عسَى أن يَكون الغلام قَد أوْهمَ في حَديثه.. فلمَّا سَار رسول الله ﷺ لقيه أسَيد بْن حُضير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فحيَّاه بِتحيَّة النُّبوة وسلَّم عَليه، ثُمَّ قال: يَا نبيَّ الله لقَد رُحت في سَاعة مُنكرَة ما كُنت تَروح في #٧٠٠#مِثلها. فقال له رسولُ الله ﷺ: «أَوَبَلَغَكَ مَا قَالَ صَاحِبُكُمْ؟». قال: وأَي صَاحب يَا رسول الله؟ قال: «عَبْدُ الله بْنُ أَبَيٍّ». قَال: وما قَال؟ قالَ: «زَعَمَ إِنْ رَجَعَ إِلَى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ».

قَال: فأنت يا رسول الله تخْرجه مِنها إنْ شئْت، هُو الذَّليلُ وأنْت العَزيز(٢)، ثُم قال: يا رسول الله، ارْفق بِه فَو الله لقد جاءنا اللهُ بكَ وإنَّ قَومه ليَنظمُون لهُ الخَرز ليتوِّجوه، فإنَّه يرَى أنَّك اسْتلبتَ مُلكه.

ثم مَشى رسولُ الله ﷺ بالنَّاس يَومهم ذَلك حتَّى أمْسى ولَيلتهم حتَّى أصبحَ، وصدر يومهم ذلك حتَّى آذَتهم الشَّمس، ثم نَزل بالنَّاس فلَم يلبثوا أن وجَدوا مسَّ الأرْض فَوقعوا نِيامًا، وإنما فعل ذلك رسول الله ﷺ ليشْغَل الناس عن الحديثِ الذي كانَ بالأمسِ مِن حَديث عبد الله بن أبيٍّ، ونزلت السورة التي ذُكر فيها المنافقون، في ابن أبيٍّ ومن كان على مثل أمره، فلما نزلت أخذ رسولُ الله ﷺ بأُذن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم: (١٠٤٠٣)، وعبد الرزاق: (٣/ ٢٩٣)، والطبري: (١٠/ ١٨٦)، في «تفاسيرهم»، وهو مرسل، قاله ابن حجر في «الفتح»: (٨/ ٦٥٠).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره»: (٢٨/ ١١٥).

زيد بن أرقم، ثم قَال: «هَذَا الذِي أَوْفَىٰ اللهُ بِأُذُنِهِ»(١).

لما أُسقِط في يَد ابْن سَلول وأكْذبه اللهُ وفَضحه وهَتك سِترَه، جَعل بعد ذلك لا يُحدث حدثًا إلا وسبق إليه قَومُه يُعاتبونه ويُثرِّبون عليه ويعنفونه.

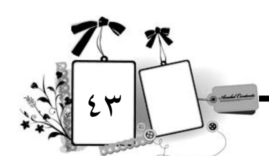
أما الموقف الآخر فهو: أن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه لَمَّا علم ما كان من مقولة رأس المنافقين قال: مُرْ بِهِ عبَّاد بن بشر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢) فليقتله. فقَال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «فَكَيْفَ يَا عُمَرُ إِذَا تَحَدَّث النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ؟ لا، وَلَكِنِ أَذِّنْ بِالرَّحِيلِ»(٣).

ثم لَمَّا رأىٰ الْمُصطفىٰ ﷺ من تَعنيفِ قَومه لابنِ سَلول وعتَابهم لهُ، قَال لعمر

(١) أخرجه ابن شبة في «أخبار المدينة»: (١/ ٢٠٦).
«السيرة النبوية»، لابن هشام: (٢/ ٢٩٠-٢٩٢)، والحديث رجاله ثقات ولكنه مرسل، وابن جرير الطبري في «تاريخه»: (٢/ ٦٠٥)، وقال ابن حجر: إن مرسل جيد «فتح الباري»: (٨/ ٦٤٩)، وأصله في «الصحيحين»، وبهذا يكون الحديث حسنًا لغيره، انظر «صحيح السيرة النبوية»: (٣٣٩).

(٢) هو: عَبَّادُ بنُ بِشْرِ بنِ وَقْشٍ، ويقال: عباد بن بشر بن زُغْبَةَ بنِ زَعُوْرَاءَ بن عبد الأسهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج الأنصاري، أبو بشر، وأبو الربيع الأشهلي. وأمه فاطمة بنت عدي، من القواقل، كان من سادات الصحابة. قال أبو عمر بن عبد البر: لا يختلفون أنه أسلم بالمدينة، علىٰ يدي مصعب بن عمير، وذلك قبل إِسْلام سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير، وشهد بدرًا، واحدًا، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف اليهودي، وكان من فضلاء الصحابة. روىٰ أنس بن مالك: أن عصاه كانت تضئ له إذا خرج من عند النَّبيّ ﷺ إلىٰ بيته ليلًا، وعرض له ذلك مرة مع أسيد بن حضير، فلما افترقا أضاءت لكل واحد منهما عصاه. قال ابن سعد: آخىٰ النبىٰ صلىٰ الله عليه وآله وسلم بينه وبين أبىٰ حذيفة بن عتبة. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي: (١٤/ ١٠٤)، و«تهذيب التهذيب»، لابن حجر: (٥/ ٩٠)، و«تاريخ الإِسْلام»، للذهبي: (٢/ ٤٣).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره»: (٢٨/ ١١٥)، وصحح الرواية الألباني في «صحيح الترمذي»: (٢٦٤١)، وفي غيره.



رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «كَيْفَ تَرَىٰ يَا عُمَرُ، أَمَا وَالله لَوْ قَتَلْتُهُ يَوْمَ قُلْتِ لِي اقْتُلْهُ لَأُرْعِدَتْ لَهُ أَنْفٌ(١)، لَوْ أَمَرْتُهَا اليَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلَتْهُ»(٣).

وهنا درسٌ عظيم من بين دروس كثيرةٍ أشار إليه عدد من كتاب السيرة وعلمائها ألا وهو:

عدم قتل النَّبيّ ﷺ لابن سلول، بل ترفَّق به وأحسن إليهِ حِفاظًا منه ﷺ علىٰ وحدَةِ الأمَّة وتماسكها، وسُمعة هَذا الدِّين، ففرق كبير بين أن يتحدث الناس عن حب أصحَاب مُحمَّد محمدًا ﷺ ويؤكدون علىٰ ذلك بِلسان قائِدِهم الأكبر أبي سفيان حين قَال: «مَا رأيت أحدًا يُحب أحدًا كحب أصحاب محمَّدٍ محمدًا»(٤)(٥).. وبين أن يتحدَّثوا أن محمَّدًا يقتل أصحابه.

ثُمَّ إنَّ لابنِ سَلول أتباعٌ وأعوانُ ورعَاع، فلو أنَّه قتله لربما وقع بين المسلمين مقتَلةٌ عَظيمةٌ جَرَّاء ذلك، فيتصدع الكيان ويتفرق الصف وتنهار القوىٰ، لكنها

(١) بمعنىٰ: انتفخت واضطربت أنوفهم حمية وعصبية، انظر «صحيح السيرة النبوية»، للعلي: (صـ٣٣٩).

(٢) بمعنىٰ: انتفخت واضطربت أنوفهم حمية وعصبية، انظر «صحيح السيرة النبوية»، للعلي: (صـ٣٣٩).

(٣) أخرجه ابن هشام في «السيرة النبوية»: (٤/ ٢٥٦)، وابن جرير في «تفسيره»: (٢٨/ ١١٧).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «معرفة الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ»: (٣/ ١١٨٤)، وابن هشام في «السيرة النبوية»: (٤/ ١٢٦).

(٥) «التربية القيادية»: (٣/ ٤٦٣)، لمنير غضبان، أما مقولة أبي سفيان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقد قالها يوم أن أخرج أهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه، فقال له أبو سفيان: أنشدك بالله يا زيد، أتحب أن محمدًا عندنا بمقامك تضرب عنقه، وأنت في أهلك، فقال زيد -رضي الله تعالىٰ عنه-: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأنا جالس في أهلي، فقال أبو سفيان: والله ما رأيت أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا. ينظر «سبل الهدىٰ والرشاد في خير هدي العباد»: (١١/ ٤٣١).



السياسة الحكيمة منه ﷺ..

فلما تبين لعمر هذا البعد في النَّظرِ والحِكمة في التَّصرف، قال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: قد – والله– علِمت لَأَمْرُ رسُول الله ﷺ أعظَمُ بَركة مِن أمْري[1].

أما المثل الأعلى في الإيمان.. فَقد جسَّده عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول في مَوقفه من والده، وتقديمه محابِّ الله ورسوله ﷺ على محابِّ ومراضي الأبوَّة، لقد ضحَّى بتلك العاطفة والوشيجة النسبيَّة مُؤْثِرًا عليها المحبة الإيمانية الدينية الشرعية.. فقَد ورد في موقفه من والده عددٌ من الروايات هذا مختصرها:

١- أنه أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي[2] فيما بلغك عنه، فإن كنتَ لابد فاعلها فمُرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوالله لقد علمَت الخَزرج مَا كان لها من رجل أبرَّ بوالده منِّي، وإني إن تأمر به غيري فيقتله فَلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي بن سلول يمشي في الناس فَأقتله فَأَقتُل مؤمنًا بكافر فأدخل النار، فقال رسول الله ﷺ: «بَلْ نَتَرَّفَقُ بِهِ وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا»[3].

٢- وفي موقِف آخر قَال عبد الله الابن لأبيه عبد الله بن أبي بن سلول: والله

---

(١) أخرجه ابن هشام في «السيرة النبوية»: (٤/ ٢٥٦)، وابن جرير في «تفسيره»: (٢٨/ ١١٧)، وانظر «السيرة النبوية»، لأبي شهبة: (٢/ ٢٥٥). وحكم بأنه حديث حسن لغيره إبراهيم العلي في «صحيح السيرة النبوية»: (صـ: ٣٣٩).

(٢) تأمَّل أنه لم يقل أبي، دلالة على عدم رضاه عنه... الخ.

(٣) أخرجه ابن هشام في «السيرة النبوية»: (٢/ ٢٩٢ - ٢٩٣)، والطبري في «تفسيره»: (٢٨/ ١١٦)، وفي «تاريخه»: (٢/ ٢٠٨)، ورواه ابن كثير في «تفسيره»: (٤/ ٣٨٢)، وفي «البداية والنهاية»: (٤/ ١٥٨).

لا تدخل المدينة أبدًا حتَّى تَقول: رَسول الله ﷺ الأعزُّ وأنا الأذَلُّ[١].

٣- ولَمَّا قفل الناسُ راجعين إلى المدينة، وقَف عبد الله بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على باب المدينة واستلَّ سيفه، فجعَل الناسُ يمرُّون عليه، فلما جاء أبُوه عبد الله بن أبيِّ قال له ابنه: وراءك؟ فقال: مالك ويلك؟!. فقال: والله لا تجُوز مِن هَاهُنا حتَّى يأذن لك رسولُ الله ﷺ، فإنه العزيزُ وأنْت الذَّليلُ، فلما جَاء رَسول الله ﷺ، وكان إنَّما يَسير ساقة ساقة[٢] فَشكا إليه عبدُ الله بن أبيِّ ابنَه، فقال ابنُه: والله يا رسول الله لايدخلها حتى تأذَنَ له، فأذن له رسولُ الله ﷺ فقال: أما إذا أذِنَ لك رَسُول الله ﷺ فجُز -أي ادخل- الآن[٣].

إنها العقيدة إذا خالطت بشاشتُها القُلوب، أثمرت هذه المواقفُ العظيمَةُ التي تُعادي وتوالي في الله وتُحب وتبغض في ذَاته سبحانه، فلا حَسب ولا نسبَ ولا آصرة ولا وَشيجة ولا قرابَة تعلو فَوق آصرة الدِّين ولحمته: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة المجادلة: ٢٢].

وهذا الموقف لم يكن وَحيدًا فريدًا، بل تجلَّى في صُورٍ عديدة ومَشاهد كثيرَةٍ في حَياة الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فقد كانوا في غَزوَة بدر وأحد وغيرِها يَبحثون عن قَرابتِهم آباءً

(١) أخرجه الحميدي في «مسنده»: (١٢٤٠)، وابن كثير في «تفسيره»: (٤/ ٣٧٢).

(٢) ساقة بمعنى يزجي الضعيف ويحمل المنقطع - «تفسير ابن كثير»: ٤/ ٤٥٩ طبعة دار الشعب المحققة.

(٣) «تفسير ابن كثير»: (٤/ ٣٧٢)، و«تاريخه»: (٤/ ١٥٨). قال الباحث في «مرويات غَزوَة بني المصطلق»: هذه الروايات منقطعة؛ أي: التي في موقف الابن من أبيه ابن سلول، ولكن بجموعها يُؤيِّد بعضها بعضًا وترتقي إلى درجة الحسن لغيره: ص (١٩٣).

أو أبناءً في صفوف العدوِّ ليُجهزوا عليهم ويهريقُوا دماءَهُم.. حتَّىٰ قيل إن الآية السابقة إنَّما نزلت في أمثال أَبِي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يوم أن دعا ابنَه للمبارزة يوم بَدر، وفي أبي عُبيدَة عامر بن الجراح رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حين قَتل أباه عَبد الله بن الجَرَّاح يَوم أُحد، وفي عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يوم قَتل خَاله العاصَ بن هِشام في بدر، وفي علي وحَمزَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا حِين قتلا عُتبَة وشيبة ابني ربِيعَة، والوليد بن عتبة يَوم بدر، وقيل غير ذلك من الأسباب[(١)].

٥. موقف ابن سلول من اليهود في غَزوَة بني النضير[(٢)]..

ما فتئ ابنُ سَلول بِلا تَورية ولا اسْتتار أنَ يُظهر ولاءَه وحبَّه وودَّه وتعاطُفَه ونصرتَه لإخْوانهِ اليَهود، ومن ذلك ما كان منه في هَذه الغَزوة. وقد سبق الحَديثُ في مَبحث مُتقدِّم عن أسْباب الغَزوَة وآثارِها ونَتائِجِها[(٣)].. أما هُنا فسيتوجَّهُ الحديثُ إلىٰ موقف ابن سلول من لُحمَته اليَهود الذين هُم كَهفُه الذي يأوي إليهِ،

---

(١) للاستزادة، انظر «أحكام القرآن»، للقرطبي: (١٧/ ٣٠٧).

(٢) قد اتفق جمع من علماء الحديث والسيرة علىٰ أن إجلاء بني النضير يُسمَّىٰ غزوة، من أجل ذلك جُعلت ضمن مواقف ابن سلول من غزوات النَّبيّ ﷺ فمن أولئك:

أ) «فتح الباري»: (١١/ ٣٥٨ – ١١/ ٤٤٩).

ب) «عون المعبود»: (٦/ ٤٨٦).

ج) «الديباج علىٰ مسلم»: (٢/ ٤٢٥)، لجلال الدين السيوطي.

د) «عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير»، محمد بن محمد بن سيد الناس، تحقيق: محمد الخضراوي ومحيي الدين نتو، المدينة النبوية – دار ابن كثير ١٤١٣هـ: (٢/ ٢٣)، لابن سيِّد الناس.

هـ) «السيرة النبوية»: (٣/ ١٤٥)، لابن كثير.

و) «جوامع السيرة وخمس رسائل أخرىٰ لابن حزم»، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأندلسي، الظاهري – المحقق: إحسان عباس، دار المعارف – مصر – الطبعة: ١، ١٩٠٠م: (١/ ١٨٠).

ز) «سبل الهدىٰ والرشاد»: (٤/ ٣١٧)، للصالحي الشامي وغيرهم رحمهم الله.

(٣) انظر (صـ: ٣٨٤).

ومناخه الذي يتنفس فيهِ، وأرضُه الخصَبةُ التِي يرتع بين جَنباتِها.

عن رجُلٍ من أصحاب النَّبيّ ﷺ، أنَّ كفَّار قُريش كتبوا إلى عَبد الله بن أبيِّ بْن سَلول(١)، ومَن كان يَعبد الأوثانَ مِن الأَوسِ والخَزرج، ورسُولُ الله ﷺ يَومئذ بالمَدينةِ، قَبل وقعة بَدر، يقولون: إنَّكم آوَيتُم صَاحبنا، وإنَّكم أكْثر أهْل المَدينَة عَددًا، وإنا نُقْسم بِالله لتَقتلنَّه أو لتُخرجنَّه، أو لنستعن عَليكم العَرب، ثمَّ لنَسيرنَّ إليكم بأجمعِنا حتى نَقتل مُقاتِلتكم ونستبيح نِساءكم، فلما بلغ ذلك ابن أبيٍّ ومن معه من عبدة الأثان، تَراسلوا فاجتمعوا وأرسلوا وأجْمعوا القتالِ النَّبيّ ﷺ وأصحابهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.

فلما بلغ ذلك النَّبيّ ﷺ لقيهم في جَماعة فقال: «لَقَدْ بَلَغَ وَعِيدُ قُرَيْشٍ مِنْكُمُ المَبَالِغَ، مَا كَانَتْ لِتَكِيدُكُمْ بِأَكْثَرَ مِمَّا تُرِيدُونَ أَنْ تُكِيدُوا بِهِ أَنْفُسَكُمْ، فَأَنْتُمْ هَؤُلاءِ تُرِيدُونَ أَنْ تَقْتُلُوا أَبْنَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ».

فلما سمِعُوا ذلك من النَّبيّ ﷺ تفرَّقوا، فبلغ ذلك كفارَ قريش فكانت وَقعةُ بَدر، فكتب كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليَهود: إِنَّكم أهْل الحلقة والحُصون وإنَّكم لَتقاتِلن صَاحبنا أو لنفْعَلن كذا وكذا، ولا يَحول بيننَا وبَين خَدم نسائِكم شَيء -وهو الخلاخل- فَلما بلغ كتابُهم اليهود أجْمعَت بَنو النضير على الغَدر، فأرسلت إلَى النَّبيّ ﷺ: أخْرجْ إلينا ثَلاثين رجلًا من أصحابك، ولنخْرُج في ثلاثينَ حَبرًا حتَّى نلتقي في مكان كذا، نَصَفُّ بينَنا وبينكم فيسْمَعوا منك، فإذا صدَّقوك وآمنوا بك آمنَّا كُلنا.

---

(١) إن هذه المكاتبة من قريش لابن سلول لمشعرة بمدى التعاون ووثيق الصلة بين الطرفين، وهي شاهد واضح على عمق التآزر للقضاء على هذه الدعوة ممثلة في الرسول ﷺ وصحبه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ.. ثم هي كذلك دليل على أن ابن سلول أصبح من الشأن والظهور والقيادة بالمدينة بما يجعله محلًا لمخاطبة هَؤُلاءِ المشركين.

فخرج النَّبيّ ﷺ في ثلاثينَ مِن أصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وخَرج إليه ثلاثون حَبرًا من يهود، حتىٰ إذا بَرزوا في براز الأرض، قال بعض اليهود لبعض: كيفَ تَخلصُون إليه، ومعه ثلاثون رجلًا مِن أصحابه كلهُم يُحب أنْ يموت قبلَه، فأرسلوا إليه: كَيف تَفهم ونَفهم ونحن سِتُّون رجلًا؟ اخْرج في ثلاثة من أصْحابك ويَخرج إليك ثلاثَة من علمَائنا فليسمعوا منك، فإن آمنُوا بك آمنا كلنا، وصدَّقناك.

فخرج النَّبيّ ﷺ في ثلاثة نفر من أصْحابه، واشتملوا علىٰ الخنَاجر، وأرادوا الفتك برَسول الله ﷺ، فأرسلت امرأة ناصحة من بني النَّضير إلىٰ بني أخيها، وهو رَجل مُسلم من الأنصار، فأخْبرته خبر ما أرادت بَنو النضير من الغدر بِرسول الله ﷺ، فأقبل أخوهَا سَريعًا، حتىٰ أدرك النَّبيّ ﷺ فسارَّه بِخبرِهم، قبل أن يصل النَّبيّ ﷺ إليهم، فرجع النَّبيّ ﷺ.

فلما كان من الغد، غدا عليهم رسولُ الله ﷺ بالكتاب، فحاصرَهُم وقال لهم: إنَّكم لا تأمنون عندي إلا بِعهد تُعاهدُوني عليه، فأبوا أن يُعطوه عَهدًا، فقاتلهم يومهم ذلك هو والمسلمون، ثم غَدا الغَد علىٰ بني قُريظة بالخَيل والكتائبِ، وترك بني النضير، ودعاهم إلىٰ أن يعاهدوه فعاهدوه، فانصرَفَ عنهم وغدا إلىٰ بني النَّضير بالكتَائب، فقاتلهم حتىٰ نزلوا علىٰ الجلاء وعلىٰ أن لهم ما أقلتِ الإبل إلا الحلقة -والحلقة: السلاح- فَجاءت بنو النضير واحتمَلُوا ما أقَلَّت إبل من أمتِعَتِهم وأبواب بُيوتهم وخَشبها، فكانوا يخربون بُيوتهم فيهْدِمونها فيحملون ما وَافقهم من خَشبِها، وكان جَلاؤهم ذلك أوَّل حشر الناس إلىٰ الشام.[١]

وكان بَنو النضير من سبط مِن أسْباط بَني إسرائيل، لم يُصبهم جلاءٌ منْذُ كتب الله علىٰ بني إسرائيل الجَلاء، فلذلك أجْلاهم رسول الله ﷺ، فلولا ما كتب الله

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف»: (٩٧٣٣)، وسنده صحيح.



على بني إسرائيل من الجلاء لعذَّبهم في الدنيا كما عُذبت بنو قريظة.

فأنزل الله: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ①﴾ [سورة الحديد: ١]، حتى بلغ ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٤]، وكانت نخيل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة فأعطاه الله أياها، وخصه بها، فقال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ [سورة الحشر: ٦]، يقول: بغير قتال، فأعطى النَّبيّ ﷺ أكثرها للمُهاجِرين وقسمها بينهم، ولِرجلَينِ من الأنصار كانا ذَوي حَاجة لم يقسم لِرجُل من الأنصار غيرهما، وبَقي منها صَدقة رسول الله ﷺ في يَد بَني فَاطمة(١).

فيا تُرى ما موقف ابن سلول وبطانَتِه مِن زعامات النِّفَاق تِجاه إخوانهم اليهود، لَقد أرسل رهطٌ مِن بني عوف بن الخزرج منْهم، عَبد الله بن أبي بن سَلول، وَوديعة ومالك بن أبي قوقل، وسويد، وداعس قد بعثوا إلى بني النضير: أن اثْبُتوا وتَمنَّعوا فإنا لن نسْلِمكم وإن قُوتلتم قَاتلنا معَكُم، وإن أُخرجتم خَرجنَا مَعكم، فتربَّصوا ذَلك من نَصرهم فَلم يَفعلوا، وقذفَ الله في قلوبهم الرُّعب، وسألوا رسول الله ﷺ أن يُجليهم ويكف عن دمَائِهم على أن لَهم ما حملت الإبلُ من أموالهم إلا الحلقة(٢)(٣)... الحديث.

لقد تزعَّم ابنُ سلول في هَذه الغَزوَة كما في غيرها قِيادة طَابورِه الذي يسير في رِكابه ويأتَمِر بِأوامره؛ ولذا أنزل في شَأنهم جميعًا آيات تُتلى، سأل سعيد بن جبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ابن

---

(١) أخرجه أبو داود، كتاب: الخراج والإمارة، باب: في خبر بني النضير، برقم: (٣٠٠٤). وقد صحح إسناده الشيخ الألباني.

(٢) الحلقة: بسكون اللام، السلاح عامة وقيل الدروع خاصة، انظر «النهاية»، ابن الاثير: (١/ ٤٢٧).

(٣) أخرجه ابن هشام في «السيرة النبوية»: (٤/ ١٤٥).

عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: عن سورة الْحَشْرِ؟ قال: «نزلت في بني النَّضيرِ»(١)، وفي رواية: قلت لابن عباس: سورةُ الحشرِ؟ قال: «قل: سورةَ النَّضير»(٢).

لقد سمَّىٰ الله الصلة والعلاقَة بين ابن سلول وحزبه وَبين اليهود أخوَّة، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [سورة الحشر: ١١].

إنَّها أخوَّةُ النُّصرة والتأييد لا أُخُوَّة العقيدة والدِّين. ومع ذلك أكذب الله المنافقين وفَضحهم وعرَّاهم وأبان عَوارهم: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُواْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الحشر: ١٢].

وقد بَاءت جَميع مُحاولات المنَافِقين بالإخْفَاق، وانْدَحر كيدُهم وخاب سعيُهم، ونصر الله الإِسْلام والمسلمين، وكان الوحيُ يتنزل بفَضحِ هذه المواقف علىٰ اختِلافِها وتثْبيتِ نُفوس المؤمنين، وتَصفية الساحة الإِسْلامية ممَّا عَلق بِها من أدرَان هَذه المَواقف المُغرضَة.

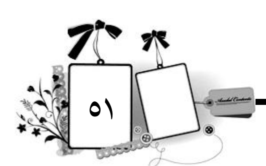
٦- موقفه في غزوة الأحزاب:

لا يخفىٰ علىٰ بَصيرٍ مُتتبِّعٍ لِسلوكيات ونَفسيَّات المُنافقين ومَا هم علَيه مِن عِلل وأمْراض، أنَّ الأزمَات التي تعْصِف بالمؤمنين، والشَّدائد التي تنزِل بِساحِهم من الفرص السانحة والأجواء المناسبة؛ ليُخرجوا ما في صدورِهم ويَبُوحوا بما في قُلوبهم ويظهروا علىٰ حقيقتهم، ولِذلك كَانت غزوَة الخندقِ مِن الغَزواتِ التي هَتكت سِتر المُنافقين، وأماطت اللِّثام عَن وُجوههم المُظلمة وأنفُسِهم الموبُوءة.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الحشر، برقم: (٤٦٠٠).

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، حديث بني النضير، برقم: (٤٠٢٩)، ومسلم في كتاب التفسير، برقم: (٣٠٣١).



فلقَد كان لهُم قبْلها وفي أثنائها وبَعدها مِن المواقف والأقاويل ونَشر الشائعات والتَّخذيل والتَّثبيط والإرجَاف، والاعتذَار عن المشاركة بأعْذار واهيَة، ما يكفي في بيان ما هم عَليه مِن نفاق مُستحْكم ومرضٍ مُستفحل.

ولئن تقاسم الملأ مِن المُنافِقين وأتْباعِهم الأدْوَار فِي هَذه الغَزوَة إلا أنَّ نَصيب الأسد كان لزَعيمِهم ورأسِهم، الذِي إن لم يتزَعَّم البُروز والظُّهور في هذهِ المَواقف ويُباشرها بنفسِه، فإنه يحرِّك لتنفيذها والقِيام بهَا زبانيتَه وأعوانَه ممَّن استخفَّهُم فأطاعُوه، فهو يتقَاسم وعُصبَته الآثِمة اللئيمَة الأدوار بتَخطِيط ماكِرٍ وسرِّيَّة قاتِلة، يصلح أن يُقال عنهم الملأ النفاقي.. بأجْنِحته المُمتدَّة وأذْرُعه الأخْطُبوطِيَّة.

ولئن كَان الحَديث في هذا المَبحث عَن ابن سلول خاصَّةً، إلا أنَّ هَذه الغَزوَة ومَا كان فيها من أفعالِ المُنافقين جَديرة بالعَرض والتحلِيلِ، لأهميتها لوَاقِعنا المُعاصر وأزمَاتنا الحَاضِرة.

وقد ذُكر فيمَا مَضىٰ أن أدوارَ المُنافقين كَانت كأوضح ما كَانت عليه في هَذه الغَزوَة، فقد أجلبوا فِيها بِخيلِهم ورَجِلِهم، وأعمَلوُا فيها ألسِنَتهم ووسائلهم قبل الغَزوَة وفي أثنائها وبعدها.

❍ اليهود يحزبون الأحزاب:

ذكر ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنَّ سَبب هذه الغَزوَة هو: «أنَّ اليَهود لما رأوا انتِصَار المُشركين علىٰ المسلمين يوم أُحُد، وعلموا بِميعاد أَبِي سُفيان لغزوِ المُسلمين؛ خَرج أشرافُهم كسلام بِن أَبِي الحَقيق، وسلام بن مشكم، وكنانة ابن الربيع وغيرهم إلىٰ قريش بمكَّة؛ يحرِّضونهم علىٰ غزو رسول الله ﷺ ويُؤلبونهم عليه، ووعدوهم من أنفسِهم بالنَّصر لهم[1]، فأجَابتْهم قُريش ثُمَّ خرجوا إلىٰ غَطفان، فدعوهم فاسْتَجابوا لهم.

---

(١) جاء في «السيرة النبوية»، لابن هشام بإسناده ورجاله ثقات، وقد صرَّح ابن إسحاق بالتحديث =

ثمَّ طَافوا في قبائل العَرب يدعونهم إلىٰ ذلكَ، فاستجاب لهم من استجاب فخرجَتْ قُريش وقائدُهُم أبو سفيان في أربعة آلافٍ، ووَافتهم بنو سليم بمرِّ الظَّهران، وخرجَتْ بَنو أسد وفزارة وأشجع وبنو مرَّة، وجاءت غطفان وقائدُهم عُيينَة بن حِصن، وكان من وافي الخندق من الكفار عشرة آلاف»[(١)].

وهَذا دالٌّ عَلىٰ خفر اليَهود لعُهودِهم ونَقضِهم لَمواثيقهم؛ وكيف أن الكفر وإنْ تعدَّدت مشَاربُه إلا أنه ملَّة واحدة.

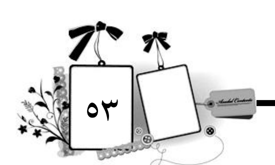
ولَقد شفىٰ القرآن وكفَىٰ في بيان حالِ المُؤمنين وما غَشيهُم مِن الخَوف والهلع: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [سورة الأحزاب: ١٠-١١].

إنَّها صُورة الهَول الذِي روَّع المَدينة، والكَرب الذِي شملها، والذي لم يَنجُ منه أحدٌ من أهلها، فقد أطبق عليها المشرِكُون واليهود من بني قُريظة من كل جَانب[(٢)]. من فوقِكُم ومن أسفَل منكم، حتَّىٰ إن الأعيُنَ لَتزيغُ والقلوب لترتَجفُ والأطراف لتَرتَعد.

= لكنه مرسل، وقد وصله السيوطي في رواية أخرىٰ أن هَؤُلاءِ اليهود خرجوا في نفر من اليهود من بني النضير ممن أرادو الانتقام من محمد ﷺ لإجلائه لهم، فلما قدموا علىٰ قريش دعوهم إلىٰ حرب رسول الله ﷺ وقالوا: إنا سنكون معكم عليه حتىٰ نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خيرٌ من دينه وأنتم أولىٰ بالحق منه، فهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَـٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [سورة النساء: ٥١-٥٢].

(١) انظر «زاد المعاد»، لابن القيم: (٣/ ٢٧٠-٢٧١).

(٢) «في ظلال القرآن»: (٦/ ٥٥).



ونقض بنو قريظة منَ الدَّاخل عهْدَهم وميثاقَهم مع شدَّة البرد وظُلمة الليالي، حتَّىٰ إن أحدَهم ليرْغَب في قضاء حاجَتِه لا يقوَىٰ للخروجِ لَهَا. واحْتدم الكَرب وعظمَ البَلاء واشتدَّ الحصار علىٰ المُسلمين في هذه الأجْواء المُفعمَة بِكلِّ صُور المأساةِ والألَم والمواجع، وَوجد النِّفاق تُربتَه الخَصبة وأجواءَه المَوبؤة فَحَسَرَ اللِّثام عَن وجهه الكَالح وأظْهر خَبيئَة نَفسه المَريضة.

لَقد كَان مَوقفُ المُنافقين في هذه الغَزوَة مَوقفًا قبِيحًا، يدُلُّ علىٰ مرض قلوبِهم وضَعف نفُوسهم، وخبْث طَويَّتهم، وسوء أخلاقِهم، وتفاقُم حقدِهم الذي انطَوت عليه صدورُهم، وإذا به يظهرُ عَلىٰ ألسنتِهم في ساعاتِ الشِّدَّة، قد بدت البَغضاءُ من أفواهِهم وما تُخفي صدورهم أكبر(١).

❍ **فإلى هاتيكم المواقف النفاقية ثلاثية التقسيم:**

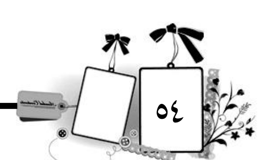
أولًا: مواقف المنافقين قبل الغَزوَة وأثناء حفر الخندق:

١. التسلل لواذًا هربًا من المشاركة:

لَقد كَان المُنافقون يَكرهون أن يشارِكُوا المسلمين في حَفر الخَندَق، رغم أنَّهم كانوا يتَظَاهرون بغَيرِ ذلكَ، إلا أن مَواقفَهم كانت تَفضَح نواياهم.

فقَد كَانوا ينتهِزونَ كُل فرصة للهَرب من الخندق بأسْلُوب مُزرٍ غَير كريم، أشبَه بأسلوب اللُّصوص الذين يَتسلَّلون خفْيَة حتىٰ لا يَراهم أحَدٌ، قال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٦٣﴾ [سورة النور: ٦٣].

(١) «في ظلال السيرة النبوية»، (غَزوَة الأحزاب): (١٢٣)، د/ محمد أبو فارس.



٢. الأعذار الواهية:

وقَد لا تُواتي هَؤُلاءِ المنَافِقين فُرصة التَّسلُّل الخَفي، لرؤيَة النَّبيّ ﷺ لهُم، ولِوجُود المسْلِمين معَهم، فحِينئذٍ يَبتكرون أسْلوبًا آخر في الهَرب، فيعمدونَ إلىٰ الكَذب وانْتِحال الأعذار الكاذبَةِ لِيأذن لهم رسول الله ﷺ بالغِيَاب عن الخندق، وعدَمِ المُشاركة في حفره.

ومن صور ذلك ما ذكره ابن جرير الطَّبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره، عن أوس بن قيظيٍّ قوله: «يا رَسول الله، إنَّ بُيوتنا لَعورَة مِن العدو، وذلكَ عَن ملأ مِن رِجال قَومه، فَأذنْ لنا فلْنَرجِع إلىٰ دَارنا»(١).

وقد كشف الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا وأمثاله، وفضح أسرارهم وهتَك أستارَهم، وأظْهَر زيفَ ادِّعائِهم، فأنزل قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [سورة الأحزاب: ١٣].

إنَّهم يَزعمون كَذبًا وزورًا أن بُيوتهم بَعيدةً، وبحاجة إلىٰ حِماية مِن العدوِّ وَهُم أولىٰ الناس بحمايتها والمرابطة فيها، هَذا زَعمُهم، لكن الحقِيقَة غير هذا، إنَّ الذي دَفعهم لاتِّخاذ هذا المَوقف إنَّما هُو الجُبن والفِرار من القتال، فَهُم جُبناء أنذال قدْ سَيطَر علَيهم الهلعُ والجزَعُ حينما عَلموا بقوَّةِ الأحزَاب وكثرة عدَدهم وعدَّتهم.

فهُم إذَن مُنهزِمون من داخِلهم، خوَّارون لا طاقَة لَهم بقِتَال عَدو ومُلاقاته، إنَّهم أصْحاب فِتنة وكَيد، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُظهرًا حَقيقة نواياهم: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ١٤].

---

(١) «تفسير الطبري»: (٢٣/ ١٣١).

نعم إِنَّهم لا همَّ لهم إلا الجرْي وراءَ الفِتن وإيقاد نَارها، وتشكيكِ أهلِ الحقِّ بِحقِّهم، إنَّهم يَعملون جادِّين لانْتصار أهْلِ الشِّرك علىٰ أهلِ التَّوحيد، مع تَظاهُرهِم بأنَّهم من أهل التَّوحيد، فهم لا قِيمة لِبيوتِهم وأعراضِهم عِندَهم في سبيل تَحقيق غَايتِهم، وغايَتُهم القَضاء علىٰ الإِسْلام وأهْله(١).

قال أبو السعود في تفسيره: «لو كَانت بُيوتهم مُحتلَّة بالكلِّيَّةِ ودَخلها كل مَن أرادَ مِن أهل الدعارَة والفَساد، ثُم سئلوا مِن جِهَة طائفةٍ أُخرىٰ عِند تلكَ النَّازلَة، والرَّجفة الهَائلة: ﴿ٱلْفِتْنَةَ﴾، أي: الرِّدَّة والرَّجعة إلَىٰ الكفر مَكان ما سئلوا الآن مِن الإيمان والطاعة، ﴿لَآتَوْهَا﴾، لأعْطَوها غَير مُبالين بها دَهاهم من الدَّاهيَة الدَّهياء والغارة الشعواء، وقرئ لأتوها أي: لفعلوها وجاءوها بالفتنة وما أخروها(٢).

إنهم يتظاهَرُون بالخَوف عَلىٰ بُيوتِهم في الحَال الأولىٰ، مع أنَّه لا دَاعي للخَوف لأنَّها لَيست بعورة، وفي الحالِ الثَّانية يَستقبلون من يقْتَحم عَليهم دُورَهم، فمن يطْلُب مِنهم الرِّدَّة والكُفر أو قِتال المُسلِمين يستبشرُون بِمقدِمهم ويَستقبلُونهم استقبَال الفَاتحين، ولو أنَّه دَعاهم الذين دهموا علَيهم دَارَهم إلىٰ الفِتنة أو قِتال الرَّسول ﷺ وصحابَتِه ما تلبثوا يَسيرًا في إجابة الدعوة إلا بِقدر ما يُسألون فيجيبون.

وبناء الفعل (دُخِلَت) لِلمجهول إشَارة إلىٰ أن هَؤُلاءِ المُعتذرين لِشدَّة حِرصهم علىٰ الحيَاة يُسلمُون بُيوتهم لأيِّ دَاخل علَيهم أيًّا كَانت هَويته وجِنسه، وهي التِي مِن أجلِها اعتَذَروا وفَرُّوا من القتال بِدعوىٰ إصلاحهَا وحمَايتها ممن يُريد دُخولها، كما في بِناء الفِعل للمَجهول إهانَةً وتعريضًا بهم بأنَّ بُيوتهم مفتوحَة لأهْل الفَساد،

---

(١) «في ظلال السيرة النبوية»، (غَزوَة الأحزاب): (١٢٤).

(٢) «تفسير أبي السعود- إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا القرآن الكريم»، محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي – بيروت: (٤/ ٤٠٦).

والتَّصريح بِالجارِّ والمَجرور (عليهم) مَع أنَّه مَفهوم مِمَّا سَبق يُفيد أنَّ المُراد أن يقتَحِم مُقتَحِم المَدينة وهُم فيها، فليسَ المُراد إذا اقتَحم المَدينَة وهي خاليَة مِنهم أو مُهاجِمَتهم لهَا وهُم خارجها، وكفىٰ بهذا كشفًا لِكذبهم وزعْمِهم الباطل[1].

هذه الآية ترشِدُنا إلىٰ أن المُنافقَ لا يستطيع أن يُخفي طَبيعة نِفاقه، وإن حاول ذلك، وموَّه مُتظاهرًا بحبِّ الإسْلام والطاعة للرَّسول ﷺ، فإنَّه لابد أن يَنكشِف.

فهؤُلاءِ قَد عاهَدوا الله عَزَّوَجَلَّ قبل الخندَقِ علىٰ القتال في سبيلِهِ والثباتِ في الحَرْبِ، وقطعوا عهدًا عَلىٰ أنفسِهم بذلك، علىٰ مسمَعٍ ومشهَدٍ من الرسول ﷺ والمُسلمين، رياء ونفاقًا وطلبًا للجَاه والسمعةِ، فلما جاء وقْتُ التطبيق تولَّوا ونكَصوا علىٰ أعقابِهم ونُكِسُوا علىٰ رؤوسهم، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يصف هؤُلاءِ: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الأحزاب: ١٥].

٣. إساءة الظن في الله:

ومن صور النفاق التي حدثتْ في هَذه الغَزوَة الشَّكُّ في وعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ووعدِ رسولِهِ ﷺ، بل التَّكذيب بأسلُوب قَبيح فيهِ من الاستهزاءِ والسُّخريَةِ اللاذعَةِ ما يَدلُّ علىٰ سوء نيَّتِهم وخبثِ طويتِهم، وفي هذا يحكي القرآن موقِفَهم بقولِه سبحَانه: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأحزاب: ١٢]. حتَّىٰ قال قائلُهم: ألا تعْجبون؟! يحدُّثكم ويُمنِّيكم ويعدِكم الباطل، ويخبرُكم أنه يُبصر من يثرِب قصور الحيرة ومدائن كسْرَىٰ، وأنها تُفتح لكم، وأنتُم تحفرون الخَندقَ من الفَرَق -أي من الخوف- ولا تستطيعون أن تبرَّزوا، فأنزلَ الله قوله تَعالىٰ: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [سورة الأحزاب: ١٢].

---

(١) «غَزوَة الأحزاب»، محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان، الطبعة الأولىٰ، سنة (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م): (ص١٧٣-١٧٤).

قال قتادة: «هَؤُلاءِ نَاسٌ من المنافِقِين كانُوا يقولون لإخْوانِهم ما محمَّد وأصْحابه إلا أكلَةُ رأس، ولو كَانوا لحمًا لالتهمهم أبو سفيان وأصحَابُه، دَعُوا -أي اتركوا- هذا الرجل فإنه هالك»[1].

٤. دعوتهم المؤمنين للانسحاب:

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾ [سورة الأحزاب: ١٣]، إن منَاداتِهم المؤمنين بـ (يا أهل يثرب) فِيه خِسّةٌ ودناءةٌ ودعوةٌ للفُرقَة بعد الوحْدَةِ، والنزاع بعد الوِفَاق، لا سِيَّما والجَيش الإسْلامي آنذَاك لَيس كُله مِن أهل يثْرِب.

فكأنَّهم بهذا النداء إنَّما يَعنون الأنْصار دُون المهاجرين، فهم يقصدون عزْلَ المُهاجرين عنهم، ونَبذَ ما بَين الفَريقين من موَاثيق النُّصرةِ والتَّآخي التِي ربطهم بها الإِسْلام.

وذكرهم ﴿يَثْرِبَ﴾ وأهليتهم لها في النداء لِيكُون ذلك أدْعَىٰ بزعمهم للاسْتجابَةِ والرُّجوعِ إليهَا، لا سيَّما وهي أرضهم وديَارهم، وفيها تارِيخُهم في المَاضي، وهَذه إنما هي دَعوة إلىٰ الرِّدَّة بأسْلوب خبيثٍ مَاكر، ونَعرة جاهليَّةٍ بِاسم الوَطن ﴿يَثْرِبَ﴾؛ الاسْم القَديم للمَدينَة الذي عُرفَت به زَمن الشِّرك والجَاهليَّة، واطِّراح وتَنَاسٍ للاسْم الجدِيد (المدينة) الذِي سَمَّاها به رسول الله ﷺ في الإِسْلام وصَارت تعرَفُ به دُون غيره.

﴿لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟﴾ [سورة الأحزاب: ١٣]، عبروا عن الفرَارِ والتَّولِّي من القتال بالرُجوع من باب الخِدَاع، وتغيير المفاهيم لعَلَّها تنطلي علىٰ بعض المُؤمنين، وهذا ديدن المُنافقِينَ يُسمُّون الأشياء بغير أسْمائِها خداعًا وتمويهًا[2].

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره»: (٢١/ ١٣٤).

(٢) «غَزوَة الأحزاب في ضوء القرآن الكريم»: (١٧٠).

❍ وقد ذُكر في تفسير الآية أقوال منها(١):

١- المراد: لا مَقام لكم في دِين مُحمَّد ﷺ، فارجعُوا إلى ما كُنتمْ عَليه مِن الشِّرك، وهَذا غير صحِيحٍ؛ لأنَّ القرآن أخبر أنَّهم يُريدون الفرارَ، ولو كَانوا يُريدون بِمقالَتِهم هَذه الشِّرك لأوضَحَه وكشفَه، لا سِيَّما وهُو أخطر وأعْظَم من الفرار.

٢- وقيل إن معناه: ارجِعُوا عَن ما بَايعْتُموه وأسْلِموه إلى أعْدَائه، وهذا بَعيدٌ أيضًا لأنَّهم لا يَستطِيعون مُواجَهة المُؤمِنين بهذِهِ المَقالة وَجهًا لِوجه، فهُم لا يفْعلون ذلِك فِي وُجوه المُسلمين وإنَّما في غَيبتِهم، ولو كانوا قَالوا مَقالتَهم للمُسلمين مُصارحَةً أمَامهم لَكان ذلك ردةً صريحة ولا يعاملون بَعدها مُعامَلَة المسلمين.

٣- لا مُقَام لكم بعد اليوم في يَثرب ونَواحيها، فَقد غَلب الأعداءُ عَليها أو كَادوا، فارْجِعوا إليها لتُحَصِّنوا دِياركم وأموالكم ودَعوا مُحمَّدًا وشأنه، وهَذا أقْرب الأقْوال -والله أعلم-.

فَهم يَطلبُون مِن المُؤمِنين أنْ يُشاركُوهم في الفِرار، وهَذا ضَرب مِن تَخبُّطِهم، فإنَّ المؤمنين ما كانَ لهُم أن يرجِعوا عن رسُول الله ﷺ ويُسلموا لِعدوه وهُم يَفدُونه بِأنفُسهم وآبَائهم وأمَّهاتهم(٢).

٥. الشح والبخل:

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [سورة الحديد: ٢٤].

---

(١) انظر «من أسرار التعبير في القرآن: الفاصلة القرآنية»، عبدالفتاح لاشين، الرياض، دار المريخ، (١٤٠٢هـ -١٩٨٢م): (٥٨)، و«روح المعاني»، محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي - بيروت: (٢١/ ١٦٠).

(٢) «غَزوَة الأحزاب في ضوء القرآن الكريم»: (١٧٢).

المُنافقون شَحيحُون بِأموالِهِم وأَنفُسهم، بَل إنَّ البُخلَ قَد بلغَ بِهم أنْ يبْخَلوا ويَأمُروا النَّاس بهِ، وهذا لَيس لَه إلا تَفسيرٌ وَاحد، ألا وَهُو حِرصهم علَى حَياتهم الدُّنيا وعدَم تَفريطِهم فيهَا، زِد عَلى ذَلكَ أنَّ مَن يُثبِّط عَن الجِهاد ويَتخلَّف عنْه ويختَلقُ المَعاذيرَ لِكي يُؤذنَ لهُ من بابِ أولَى ألا يُسهم فيهِ ولا يَتبرَّع في أبْوابه.. وتَأتي الآية بمعنى بُخَلاء في النَّفقة عليكُم(١).

ثانيًا: مواقف المنافقين في أثناء الغزوة:

١. نقضهم العهد:

﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾ [سورة الأحزاب: ١٥-١٧].

والمُنافِقُون أهل غدرٍ وخيَانةٍ وانخِذالٍ في أحْلك المَواقف وأصْعب الأحْوال، لكنَّ عَهد الله كان مَسئولًا، فإضَافةُ العهد إلى الله تعالى مُشعرٌ بتعْظِيمهِ وَوجوبِ مُراعاتِه والوفاء بهِ، ومع ذلك نَقضُوه وخَانُوه، عندَها قال تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾ [سورة الأحزاب: ١٦].

فِي هذه الآية التفافٌ مِن ضَمير الغَيبةِ إلى الخطَابِ، وهذا تَنوُّع في الخطاب، فكَأنَّهم بَعد فِرارهم مِن المَعركَة أُحضروا مخفورِين أذلاء.

ثُمَّ أخذَ يوبخهم أمامَ النَّاس قائلًا لهُم: إنَّ فِراركم من المَوت أو القَتل لا يُطيل أعْمارَكم أيها الخَونة الجُبناء، وعبَّر بالمَوت والقَتل عَن ملاقاة العَدوِّ، وهُم لم يَفرُّوا إلا خَوفًا منها.

---

(١) «تفسير بحر العلوم»، للسمرقندي: (٣/ ٣٩٩).

﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ١٦﴾ [سورة الأحزاب: ١٦]، أي: على فَرضٍ أنَّ الفِرار يَنفَع أو يَزيدُ في العمر، فإنه لا يَكُون إلا بِقدر قَليلٍ، وَهُو ما بَقِي مِن آجَالكُم المُحدَّدة لَكم، وهذا مِن بَاب الفَرض والتَّنزُّل مَع الخصم[(١)].

٢. التعويق والتثبيط عن القتال:

قال تعالىٰ: ﴿ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ١٨ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ١٩﴾ [سورة الأحزاب: ١٨-١٩].

روىٰ ابنُ جَرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تَفسيره، عن ابن زيد في قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ١٨] إلىٰ آخر الآية قال: «هذا يوم الأحزاب، انْصَرف رجلٌ مِن عند رسول الله ﷺ، فوجَد أخاه بين يَديه شِواءً ورغيفًا ونَبيذًا، فقال لَهُ: أَنتَ هَاهنا في الشِّواء والرَّغيف والنَّبيّذ، ورسُول الله ﷺ بين الرِّماح والسُّيوف؟ فقال: هُلمَّ إلىٰ هَذا، فقَد بَلغ بك وبصاحِبك، والذِي يُحلف به لا يَستقبلُها محمَّد أبدًا، فقال: كَذبت والذي يُحلفُ به.

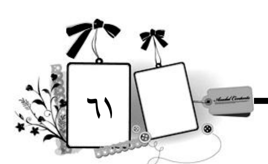
قال: وكان أخَاه من أبيه وأمه، أمَا والله لأخْبرن النَّبيّ ﷺ أمرك، قَال: وذهب إلىٰ رَسول الله ﷺ ليخْبِره، فوجده قد نزل جبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بخبره[(٢)]: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الأحزاب: ١٨]».

قال الإمامُ ابن كَثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يُخبِرُ تَعالىٰ عن إحَاطة عِلمِه بالمعوِّقين لِغيرِهم

---

(١) «غَزوَة الأحزاب في ضوء القرآن الكريم»: (١٧٧).

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٦/ ٥٨٠)، إلىٰ ابن أبي حاتم في تفسيره، وأخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره»: (٢١/ ١٣٩).



عَن شُهود الحرْبِ، والقائلِين لإخْوانِهم، أي: أصحابهم وعُشرائهم وخلطائهم: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾، أي: إلىٰ ما نحن فيه من الإقَامَةِ في الظِّلال والثِّمار، وهُم مَع ذلك: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الأحزاب: ١٨].. ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾، أي: بخلاء بالمودَّة والشفَقة عليكم»(١).

إنَّهم المُنافقون، كَما بَخلوا وأمروا المُنفقين والمحسِنين بالبُخل، فكذلِكَ هُم الذين قَعدوا وتخَلَّفوا ونَادوا في المُجاهدين والخَارجين في سَبيل اللهِ أن هَلمَّ إلينا، ولا يأْتُون البأْسَ إلا قليلًا.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ [سورة الأحزاب: ١٨]؛ صِفة قولِيَّة للتَّعويقِ زِيادة علىٰ التَّثبيط والتعْويق الفِعليين تَبين أن المنافِقينَ فِي كل عصر يَتبجَّحون ويتحَالفون مع كُلِّ من يُعادي الحقَّ ويُعرقل مَسيرَته، وهذا الفِعل أخْطر مِن التَّثبيط القولي.

وهذا التَّعاطُف بين المُنافقين بعضهم مَع بعض صورةٌ متكرِّرة في كُلِّ جِيل وعَصر، وقد ألَمح الزَّمخشري إلىٰ مدَىٰ التَّشابه النَّفسي والتَّقارب العَاطفي بين المنَافقين حِين قَال في تفسير قوله: «﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾؛ أي: قربوا أنْفُسكم إلينَا. فالمُنافقون لا يَجتمِعُون غالبًا إلا عَلىٰ أساس المصالِح والمنافِع المادِّيَّة القريبة التَّناول، وهذا شأنهم في كل عصر علىٰ مدار التاريخ كله، فلو أن أحَدَ المُنافقين في عصر النُّبوَّة اطَّلع عَلىٰ واحدٍ من المنافقين المعاصرين اليوم فإنه سَيعرفه في لحن القوْلِ والتَّباطؤ عَن العمل الجاد البنَّاء، وسيعيشان في تآلف وتعاطفٍ ومحبةٍ وتآخ دون أن يُعرِّف أحدهما نفسه للآخر، وقد صح الحديث عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا أن رسول الله ﷺ قال: «الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ

(١) «تفسير ابن كثير»: (٦/ ٣٩٠).

مَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»»(١)(٢).

ثالثا: شأن المنافقين بعد الغزوة:

١. ألسنة حداد:

قالَ تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [سورة الأحزاب: ١٩] الآية.

يقول الأستاذ سَيد قُطب: «إنه -أي القرآن- يَرسِم لَهم صُورة نَفسيَّة مُبدَعة، وهِي على صِدقِها تُثير الضَّحكَ والسُّخريَة؛ مِن هذا الأُنمُوذج المَكرور في النَّاس، صُورة الجُبن والانْزِواء والفَزعِ والهَلع في سَاعة الشِّدَّة، والانتِفَاش وسَلاطة اللسَان عنْدَ الرَّخاء، والشُّح على الخَير والضَّن ببذْلِ أي جُهدٍ فيهِ، والجزع والاضْطراب عنْدَ تَوهم الخَطر مِن بَعيد.

إنَّه يَرسم صورةً شاخصةً واضحة الملامح متَحركة الجَوارح، وأشدها إثارَة للسُّخريَة صورتهم بعد أن يذهب الخَوف ويجيء الأمن: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [سورة الأحزاب: ١٩].

فخَرجوا من الجحور، وارتفعت أصواتهم بعد الارتِعَاش، وانتفخت أوداجُهم بالعظَمة، ونَفَشوا بعد الانزواء، وادَّعوا في غير حياءٍ ما شاء لهم الادِّعاء من البلاء في القتال والفَضل في الأعمال والشجاعة والاستبسال، ثمَّ هُم: ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [سورة الأحزاب: ١٩]، فَلا يبذلون للخير شيئًا من طاقتهم وجهدِهِم وأموالهم وأنفسِهِم، مع كل ذلك الادِّعاء العَريض وكل ذلك التبجح وطولِ اللسان.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: الأنبياء، باب: الأرواح جنود مجندة، برقم: (٣١٥٨)، ومسلم، كتاب: البر والصلة، باب: الأرواح جنود مجندة، برقم: (٢٦٣٨).

(٢) «الكشاف»، للزمخشري: (٣/ ٥٢٩).

وهذا الأنموذَج من الناس لا يَنقطع في جِيل ولا في قَبيل، فهو مَوجودٌ دائمًا، وهو شُجاعٌ فصيحٌ بارزٌ حيثُما كان هناك أمنٌ ورخاء، وهُو جبانٌ صامتٌ منزوٍ حيثُما كان هناك شدةٌ وخوفٌ»(١).

٢. طمعهم في الغنائم مع قعودهم عن الجهاد:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [سورة الأحزاب: ١٩]، آذَوكم بِالكَلام السيء وبَسطوا ألسِنَتهم فيكُم.

يقولون أعطونا نَصيبنا من الغَنيمة؛ لقد شهدنا معَكُم القتالَ، فهم عند الغنِيمَة وجَمع المالِ أو توزيعِه أشَحُّ قَوم وأسلطُهم لسَانًا، وعند البأسِ والشِّدَّة تَراهم أجبن النَّاس وأخوفهم.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ١٩]، إنهم لم يؤمنوا ولَم يَدخُل الإيمانُ في قُلوبهم، فهم يُظهرونَ للنَّاس ما لا يُبطِنون، فأبطَلَ الله أعمالهم، بمعْنَى أظهر بطُلانَها لغير المُنافقين، وأما هُو سُبحانه فيعلَمُها منذُ الأزَل، فلمَّا أظْهروا الإيمانَ للنَّاس وهُم يكذبون أظْهَر الله للناس بطلان أعمالهم، وهذا من قبيل المُماثلة في المُجازاة.

وإبطالُ أعمال المُنافقين لا يعْنِي أنَّها كَانت مقبولةٌ في الأصل فأُحبطَتْ، بل كما قال الزَّمخشري: «إنَّه تعليم لمَن عَسى يظن أن الإيمَان باللسانِ إيمانٌ، وإنْ لم يواطئه القَلب، وأن ما يَعمل المنافقُ مِن الأعمال يُجدي عليه، فبيَّن أن إيمانه ليس بإيمان، وأنَّ كُل عمل يوجد منْه فإنَّه بَاطل»(٢).

---

(١) «في ظلال القرآن»: (٢١/ ١٤٤-١٤٥).

(٢) «الكشاف»: (٣/ ٥٣٠).

٣. ﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنبَآئِكُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٠].

قال تعالىٰ: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٢٠].

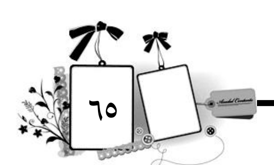
هذه صفَةٌ أخرىٰ من صفات المنافقين، شَبح الأحزاب جاثِمٌ علىٰ قُلوبهم حتَّىٰ بعد رحيلهم، يحسبون أنهم لم يَذهَبوا، والحُسبان نوع من الظَّنِّ يداخل شغاف الأفئِدَة، ويحرك كوامِنَ النُّفوس وهواجِسِها، وصيغَة الفعل المضارع: ﴿يَحْسَبُونَ﴾، تُفيد التجدُّدَ والحُدوثَ وتنقل صورة الحربِ والقِتال عندهم، وتَرسُم أمام أعينِهم صورة جيوشِ الأحزاب مُرابطة حول الخَندق، فيزيدُهُم هذا التصوُّر النَّفسيُّ فَزعًا مع فزعهم، وخوفًا علىٰ خَوفهم، حتىٰ ولو ذهب مَصدرُ هذا الخوف بأن ارتَحلتِ الأحزاب من حول المَدينة تظل فرائِصُهم ترتعد وأسْنَانهم تصطك من شدة الذُّعر والهَلع، وقد بقوا علىٰ ذَلك زمنًا فلم يُصدقوا بذهاب الأحزاب ورحيلها.

﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٠]، وهذا علىٰ سبيلِ الفَرض والتقدير، وإلا فَقد روىٰ سليمان بن صرد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١) قال: قالَ ﷺ وهُو الصادقُ المَصدُوق عند مُنصرَفِهم من الخندق: «الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنا»(٢).

---

(١) هو: سليمان بن صُرَد بن الجون بن أبي الجون، أبو مطرف، الخزاعي. يقال كان اسمه يسارًا، فغيَّره النَّبيّ ﷺ، صحابي، من الزعماء القادة (ولد: ٢٨ق هـ -توفي: ٦٥هـ). روىٰ عن النَّبيّ ﷺ، وعن علي، وعن أُبيٍّ، والحسن، وجبير بن مطعم. وروىٰ عنه أبو إسحاق السبيعي، ويحيىٰ بن يعمر، وعبد الله بن يسار، وأبو الضحىٰ. وكان خيرًا فاضلًا، شهد الجمل وصفين مع علي، وقتل حوشبًا مبارزة، وقُتل بعين الوردة وله ثلاث وتسعون سنة. وله خمسة عشر حديثًا. ينظر «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر: (٣/ ١٧٢)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر: (٢/ ٢١٠).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: غَزوَة الخندق، برقم: (٣٨٨٣).



والفِعْلان (يأت، ويودُّوا) بِصيغة المُضارع يَدلانِ عَلىٰ أنَّ عَاداتهم في الحَاضر والمُستقبل هي عاداتُهم في الماضي، فلوْ عَادت جُيوش الأحزابِ مرَّة أُخرىٰ لعادوا إلَىٰ ما كانوا عليه من الفرار مِن القتال، والجبن عند اللِّقاءِ، وسلاطة القولِ وبَذاءته عندَ جَمع المال وتوزيعه، واختلاق الأعذارِ الكاذِبَة ساعة الشدَّة، وهَذه صفة أساسية فِي المنافق، لا يَستفيد من الأحداث والنَّوازلِ التي تنزل به أو قريبًا منه.

﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٠]، أي: يَتتبَّعون أخبَاركم عسَىٰ أن يَبلغهُم عَنكم ما يشْفِي صُدورَهم ولو من بعيد، ولو بِالأخْبار والأقاصِيص التي لم تصِح، والتِي يَقطع بها المُسافرون الطريقَ عَادة، وفي سؤالهم عَن أخبارِ المُؤمنين ما يُشعر أنَّهم قَد تاهوا في البَادية بين سهُولها وجِبالِها، فقد أبْعدوا عن المدِينَة كثيرًا فلَيسوا قريبين مِن أرْض المَعركة يرون الأحدَاث أو يسمعُونها ولكنَّهم بَعيدون عنْها جدًّا، فلا يعرفون أخبَارَكم إلا بسؤال الأعْراب القادمين والرَّائحين، وهم لا يكادون يَسألونهم إلا سُؤال الغريب، خوفًا أن تنكشف هويتُهم فلا يؤونهم بَينَهم، وهذه الأسئلة وأمثالُها إنَّما هي من باب الأمنية وحديث النفس، فكَيف لَو وقعت حقيقة؟[١].

❍ ولربط ماسبق من عرض لمواقف المنافقين في هذه الغَزوَة بمبحث ابن سلول تحسن الإشارة إلىٰ ما يلي:

١. كانَ الملأ مِن المُنافِقين رُؤوس النِّفاق ومتزَعِّميه وفي مقدِّمتهم وموضِع القيادةِ مِنهم ابن سلول، يَتناوبُون الأدْوار ويتَعَاقبون المَواقف فَيظَهر هَذا تارة ويخْتفِي آخَر ويَبرزُ ذَاك حينًا ويستتر غيره، وهكذا، وإن كَان نصيب الأسدِ في هذه الأحدَاثِ لابن سلُول، إلا أنَّ جمعًا من أقرانه وعيبة نُصحِه ومؤيِّديه كَانوا ينهضون

---

(١) استفدت كثيرًا في هذه الدروس من السفر المبارك «غَزوَة الأحزاب في ضوء القرآن الكريم»: (١٨٣)، أ. د سعود الفنيسان.

بأدوار قريبة من ذَلِك كأمثال: معتب بن قشير، وأوس بن قيظي، وأبو عامر الفاسق، وأبوطعمة بن أبيرق، ومربع بن قيظي وغيرهم.

٢. لم يكنْ هُناك ذِكر لِلمنافقين في القُرآن بقولِه تَعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ [سورة الأحزاب: ١٣]، أو قَولِه سُبحانَه: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ [سورة الأحزاب: ١٢]، أو قَولِه تعالىٰ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ [سورة الأحزاب: ١٨]، أو قولِه عزَّ في علاه: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ [سورة التوبة: ٦٤]. أو غَيرها من الآيات التي جاءت بصِيغَة الجمع إلا وتجد إشَارة عَدد من المُفسرين إلىٰ أن المُراد عبد الله بن أبيّ بن سلول، كَما في سورة الأحزاب إلا قليلًا، وهذا يدل علىٰ أنَّه كبيرهم الذي علمهم النِّفاق والمخادعة، فعلىٰ سبيل المثال:

(أ) جاء في سورة الأحزاب قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: ١٢].. قال الإمام البغوي: «قال ذلك معتب بن قشير، وقيل: عبد الله بن أبيّ وأصحابه»(١).

(ب) وعند قَوله تَعالىٰ: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾ [سورة الأحزاب: ١٣].. قال الإمام السُّدِّي: «والقائل لذلك: عبد الله بن أبيِّ بن سلول وأصحابه»(٢).

(ج). وعِند قولِه تَعالىٰ: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾

(١) «معالم التنزيل- تفسير البغوي» الإمام أبو محمد الحسن بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق: خالد بن عبدالرحمن العك ومروان سوار، دار المعرفة – بيروت: (٦/ ٣٣٢).

(٢) «تفسير البحر المحيط»، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – لبنان/ بيروت – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م: (٩/ ١٣٥)، و«البحر المديد»، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، الطبعة الثانية، سنة (١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٢م): (٥/ ٧٤).

[سورة الأحزاب: ١٨]. قال ابن عاشور: «كانَ هَذا القَول من عبدِ الله بن أبيٍّ، ومعتَّب بن قُشير، كَانوا يرسِلون إلىٰ من بَقِي من المنافقين في جَيش المسلمِينَ يقولون: هلمَّ إلينا»(١).

(د). وعِند قَوله تَعالىٰ: ﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٠]. أي: يَظنُّ عبد الله بْن أبيٍّ وأصحَابُه أن كفَّار مَكَّة لم يذهبوا بعدمَا ذهَبوا من الخَوف والجُبن، ويُقال: ظنوا ألا يذهبوا حتىٰ يَقتُلوا محمَّدًا عليه الصلاة والسلام (٢).

هذه أرَبعة مواضع مِن سورة (الأحزاب)، وغيرها كَثير في سورة (التوبَة) و(المُنافقون) وغَيرها من السُّور تُشير إلىٰ أن صِيغ الجَمع التي جاءت في ذكر المُنافقين في القرآن الكريم يتوجه فيها الخطاب غالبًا لجمْعِ المُنافقين، وفي مقدِّمَتهم عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول رأس النِّفاق وقائده وزعيمه.. وفي هَذا إشارةٌ واضحَةٌ إلىٰ مواقف ابنِ سَلول مِن هَذه الغَزوَة العظِيمة غَزوَة الأحْزاب وَغيرها، وأنَّ العَقل المدبر وتوزيع الأدْوَار الماكر إنَّما وَراءه ابن سلول ومَن علىٰ شاكلَتِه من زعامات النفاق.

٧- موقفهم من غَزوَة بني قريظة:

سُمِّيت غَزوَة بني قريظة بِغَزوَة عِند جمع من العلماء مُحدِّثين وكتَّاب سيرة وتاريخ(٣)..

---

(١) «التحرير والتنوير»: (١١/ ٢٢٣)، لابن عاشور.

(٢) «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس»، عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه. دار الجيل- بيروت: (١/ ٤٣٨).

(٣) انظر (أ). «دلائل النبوة»، للبيهقي: (٦/ ٨٢ -٨٣). (ب). «مستخرج أبي عوانة»: (١٣/ ٤٧٨). (ج). «معرفة علوم الحديث»، للحاكم: (٢/ ١٩). (د). «الكامل في التاريخ»: (١/ ٣٠٦)، لابن =

نَقَضَ بنو قُريظة عهْدهُم مَع النَّبيّ ﷺ في أحلكِ الظُّروف وأعْسر الأحوَال، فبينَما كان المُسلمُون في كربٍ بَالغٍ وشدَّةٍ عَصيبة أمام قُوىٰ البَغي من قُريش وقبائِل العَرب حول المدينة إذْ بِأفاعي الدَّسِّ والتآمرِ تَتقلَّب في جحورها سَاعية لنفث سمومِها.

فقد انْطَلق كبيرُ مُجرمي بني النضير إلىٰ دِيار بني قرَيظَة، فأتىٰ كَعب بن أسَد القرظي سيد بني قريظة وصَاحبُ عقدِهم وعَهدهم، وكان قد أبْرَم عقدًا مَع رسول الله ﷺ عَلىٰ النُّصرةِ حَال الحرب، فضرب حييٌّ عَليه البابَ فأغلَقه كعب دُونه، فما زال يُكلمه حتىٰ فتح له بابه، فقَال حييٌّ: إنِّي قَد جئتك يا كَعب بعزِّ الدَّهر وبِبحر طام، جئتُكَ بِقريش علىٰ قَادتها وسادتها، وبغطفان، وقد عَاقدوني علىٰ ألا يَبرحوا حتىٰ نَستأصِل محمدًا ومن معه.

فقَال له كعب: جئتني والله بذُلِّ الدَّهر وبجهام[1] قَد هراق مَاؤه، فهو يُرعد

= الأثير. (هـ). «المغازي»: (١/ ٥)، للواقدي. (و). «مروج الذهب»: (١/ ٢٨٢)، للمسعودي. (ز). «تاريخ بغداد»: (٣/ ٣١٧)، للخطيب البغدادي.

(١) الجَهَام: السحاب الذي فرغ ماؤه. ومنه قول كعب بن أسَد لحُيَيّ بن أخْطَب جِئتَني بجَهَام أي الذي تَعْرِضُه عليَّ من الدّين لا خَيْر فيه كالجَهَام الذي لا ماء فيه أي كالسحاب مطر فيه، وفي حديث الدعاء: «إلىٰ مَن تَكِلُني، إلىٰ عَدُوٍّ يَتَجَهَّمُني؟»، أي: يَلْقاني بالغِلْظة والوجه الكريه. وقد ورد هذا الدعاء في حادثة مسير النَّبيّ ﷺ إلىٰ الطائف، وقد ضعف الشيخ الألباني روايته في عدد من مؤلفاته. انظر «ضعيف الجامع»: (١١٨٢)، و«السلسلة الضعيفة»: (٢٩٣٣)، و«فقه السيرة»: (١٢٥).

ومنه الحديث «فتجهمني»، فعن أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: «دخلت المسجد يوم الجمعة والنَّبيّ ﷺ يخطب، فجلست قريبًا من أبي بن كعب، فقرأ النَّبيّ ﷺ سورة (براءة)، فقلت لأبي: متىٰ نزلت هذه السورة؟ قال: فتجهمني ولم يكلمني، ثم مكثت ساعة، ثم سألته فتجهمني ولم يكلمني، ثم مكثت ساعة ثم سألته فتجهمني ولم يكلمني، فلما صلىٰ النَّبيّ ﷺ قلت لابي: سألتك فتجهمتني ولم تكلمني، قال أبي: ما لك من صلاتك إلا ما لغوت، فذهبت إلىٰ النَّبيّ ﷺ فقلت: يا نبي الله كنت بجنب أبي =



ويُبرق ليس فيه شيء، ويحك يا حيي! فَدعنِي ومَا أنا عليه، فإنِّي لم أرَ من مُحمدٍ إلا صدقًا ووفاءً.

فلم يزل حييٌّ بكعْب يَفتله في الذروة والغارب حتى سمحَ لَه، على أن أعطاه عَهدًا من الله وميثاقًا لئن رَجعت قريش وغطفَان ولم يُصيبوا محمدًا أن يدخل معه في الحِصن حتى يصيبه ما أصابهم، فنَقض كعب عهدَهُ وبَرئ ممَّا كان بينه وبينَ المُسلمين، ودخَل مع المشركين في المحاربة ضدَّ المسلمين(١).

عندها توجه النَّبيّ ﷺ بعدَ فَراغه من غَزوَة الأحزاب لتصفِيَة الحِساب مع يهُودِ بني قريظة في ثلاثة آلافِ مُقاتلٍ مَعهم ستة وثلاثُون فَرسًا(٢) وضَرب الحِصارَ علَى بنِي قُريظة لمدة خمس وعشرين ليلةً عَلى الأرجح(٣)، وضيَّق علَيهم الخِناقَ حتَّى عَظم عليهِم البَلاءُ، فرغبوا أخيرًا في الاستسْلامِ وقبولِ حُكم الرسول ﷺ فيهم.

واستشاروا في ذلك حَليفَهم أبا لُبَابة بن عبد المنذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأشَار إلَى ذلِك يعني الذَّبح، وندم على هذه الإشَارة، فربط نَفسه إلى إحدى سواري المَسجد النَّبوي حتى قبل اللهُ تَوبته(٤).

= وأنت تقرأ (براءة) فسألته متى نزلت هذه السورة؟ فتجهمني ولم يكلمني، ثم قال: ما لك من صلاتك إلا ما لغوت، قال النَّبيّ ﷺ: «صدق أبي». صححه الألباني في «الترغيب والترهيب»: (٧١٨).

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره»: (٢١/ ١٢٩)، وابن هشام: (٢/ ٢٢٠-٢٢١) بتصرف يسير.

(٢) ذكره ابن سعد: (٣/ ٧٤)، معلقًا.

(٣) من رواية أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٨١-٨٣)، ورواته ممن يحتج بهم، وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ١٤٠): وهذا الحديث إسناده جيد، ورواه الطبري في «تاريخه»: (٢/ ٥٨٣)، وفي الصحيح بعضه، بإسناد حسن: أن المدة بين الشهر وخمس وعشرين ليلة، بلفظ الشك، وعند ابن إسحاق: خمس وعشرين ليلة، ابن هشام: (٣/ ٣٢٦).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في «تفسيره»: (٢١/ ١٥٢)، عن ابن شهاب الزهري. من رواية أحمد في المسند بإسناد حسن، «الفتح الرباني»: (٢١/ ٨١-٨٣).

وعندما نَزلوا علىٰ حُكم الرَّسول ﷺ أحبَّ أنْ يَكِلَ الحكم عليهم إلىٰ وَاحدٍ مِن رؤساء الأوْس؛ لأنَّهم كانُوا حلفاء بني قُريظة، فَجعل الحُكم فِيهم إلَىٰ سَعد بن معاذ، فَلَمَّا دَنا من المُسلمين قال الرسول ﷺ للأنصار: «قُومُوا إِلَىٰ سَيِّدِكُمْ أَوْ خَيْرِكُمْ»، ثم قَال: «إِنَّ هَؤُلاءِ نَزَلُوا عَلَىٰ حُكْمِكَ»، قال: «تقتلُ مقاتلتهم وتسبي ذراريهم وتقسمُ أموالهم»، فقال له النَّبيّ ﷺ: «قَضَيْتَ بِحُكْمِ الله تَعَالَىٰ»(١)، وفي رواية: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ المَلِكِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ»(٢).

ونفَّذ الرَّسول ﷺ حكم الله فيهم، وكانوا أربعُمائة علَىٰ الأرجح(٣)، ولم يَنجُ إلا بعضهم(٤)، وهم ثَلاثة لأنَّهم أسلموا فأحْرزوا أموالهم(٥)، وربَّما نَجا اثنان آخران

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم: (٣٥٩٣)، ومسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: جواز قتال من نقض العهد وجواز إنزال أهل الحصن علىٰ حكم حاكم عدل أهل للحكم، برقم: (١٧٦٨). البخاري، «الفتح»: (١٥/ ٢٩٨)، ح٤١٠١)، ومسلم: (٣/ ١٣٨٨-١٣٨٩، ح ١٧٦٨).

(٢) صحح الرواية الشيخ الألباني في «كتاب الإيمان»، لشيخ الإِسْلام ابن تيمية: (صـ ١٣٤).

(٣) من رواية أحمد في «مسنده»، بإسناد حسن: (٣/ ٣٥٠) وفي حديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن حبان بإسناد صحيح، وذكر ذلك ابن حجر في «الفتح»: (١٥/ ٣٠١)، وقد اختلف في عدتهم. انظر «سيرة مهدي رزق الله»: ص (٤٦١)، حاشية رقم: (١٣).. وقام الدكتور محمد بن فارس الجميل بدراسة الروايات الخاصة بالعدد المقتول في كتابه: «النَّبيّ ﷺ ويهود المدينة»، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م، ومال إلىٰ قبول رواية الزهري التي تقول بأن القتلىٰ كانوا أربعين فقط: صـ (٢٤٢-٢٤٧) والدراسة جيدة.

(٤) البخاري، «الفتح»: (١٥/ ٢٠٢، ح٤٠٢٨)، ومسلم: (٣/ ١٣٨٨، ح١٧٦٦)، وأبو داود في «سننه»: (٢/ ١٤٠-١٤١)، وأبو عوانة في «مسنده»: (٤/ ١٦٣).

(٥) ابن إسحاق بإسناد ضعيف، ابن هشام: (١/ ٢٧٢) و(٣/ ٣٢٩)، والذي يبدو أن إسناده الأول يتقوىٰ مع المتابعة وقد توبع برواية البخاري ومسلم وأبي داود وأبي عوانة، التي فيها أنه لم ينج أحد إلا بعضهم، وهذا البعض هو الذي فسرته رواية ابن إسحاق هذه.



منهم بحصولهم عَلىٰ الأمان مِن بعض الصَّحابة، أو لَمَا أبدوه من التِزام بالعَهد في أثناء الحصار(١).

وربَّما نَجا آخَرون لا يَتجاوزون عَدد أفرادِ الأسْرَة الوَاحدَة، إذ يُفهَم من رِوَاية عند ابن إسحاق(٢) وغيرِه(٣) أنَّ الرَّسول ﷺ وهَب لثَابت بن قَيس بْن الشَّماس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولد الزبير بن باطا القُرظي، فاسْتحياهم، مِنهم عَبد الرحمن بْن الزُّبير، الذي أسلم وله صحبة.

وجُمعت الأسرىٰ في دَار بِنت الحَارث النَّجَّاريَّة(٤)، ودَار أسَامَة بن زيد(٥) وحُفرَت لهم الأخَاديدُ في سُوق المَدينة، فَسِيقوا إليها المَجموعة تلو الأخرَىٰ لتضرب أعناقُهم فيها(٦)، وقتلت امرَأة واحدة منهم(٧) لقتلها خلَّاد بن سويد

(١) ذكره ابن إسحاق معلقًا، ابن هشام: (٣/ ٣٣٠)، منهم: عمرو بن سعدي.

(٢) بإسناد ضعيف، ابن هشام: (٣/ ٣٣٥-٣٣٦)، لم يصرح فيه ابن إسحاق بالسماع، و«دلائل النبوة»، للبيهقي: (٤/ ٢٢)، من حديث ابن إسحاق عن الزهري مرسلًا وصرح فيه بالسماع، و(٤/ ٢٠-٢١) من حديث موسىٰ بن عقبة عن الزهري مرسلًا، والطبراني في «الأوسط»، بإسناد ضعيف، «المجمع»: (٦/ ١٤٢)، وهذه الطرق الضعيفة تدل علىٰ أن لقصة ثابت بن قيس مع الزبير بن باطا أصلًا، وعلىٰ أقل تقدير أن ثابتًا أحسن إلىٰ الزبير ليد كانت للزبير علىٰ ثابت في الجاهلية.

(٣) مثل أبي عبيدة: الأموال، ص: (١٤٦)، بإسناد ضعيف لأنه مرسل الزهري.

(٤) من رواية ابن إسحاق، ابن هشام: (٣/ ٣٣٣) معلقًا، والواقدي: (٢/ ٥١٢).

(٥) من رواية عروة في «مغازيه»: ص (١٨٧، والواقدي: (٥١٢-٥١٨).

(٦) من رواية أحمد في «المسند»: (٤/ ٣١٠)، وصححها الشيخ الألباني في «صحيح الترمذي»: (٣/ ١١٨، ح٣٥٤٤)، وغيرهما.

(٧) من رواية أحمد في «المسند»: (٦/ ٢٧٧) وأبي داود في «السنن»: (٣/ ١٢٣/ك الجهاد، ح٢٦٧١)، بإسناد حسن لذاته، وعنده أن السبب لحدث أحدثته، وقال الشارح: إنها شتمت النَّبيّ ﷺ، وابن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام: (٣/ ٣٣٤)، والواقدي: (٢/ ٥١٦) واسمها عنده (نباتة)، وفي أصل سيرة ابن إسحاق (بثاثة).

رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حيثُ ألقت عليه الرحى[(١)] ولم يُقتل الغلمان الذين لم يَبلُغوا[(٢)]. ثم قسّم الرسول ﷺ أموالهم وذراريهم بين المسلمين[(٣)].

○ مصير بعض سبي بني قريظة:

ذكر ابن إسحاق وغَيره[(٤)] أنَّ رَسول الله ﷺ بعث سَعد بن زيد الأنصَاري بسبايا من سَبايا بني قُريظَة إلى نجد، فابتاعَ لهم بها خيلًا وسلاحًا.

وذكر الواقدي في «المغازي»[(٥)] في شأن بيع سبايا بَني قُريظَة قَولين آخرين إضَافَة إلى ما ذكره ابن إسحاق، والقولان هما:

---

(١) من رواية أحمد في «المسند»: (٦/ ٢٧٧) وأبي داود في «السنن»: (٢/ ٥٠) ك الجهاد - ب قتل النساء. والحاكم في «المستدرك»: (٣/ ٣٥-٣٦) وصححه، وسكت عنه الذهبي، وابن هشام، معلقًا: (٣/ ٣٣٥) والحديث لا يقل عن درجة الحسن لذاته كما ذكر السندي: ص (٢٨٩، وخلاد هو الشهيد الوحيد في غَزوَة بني قريظة كما هو واضح من هذه الأحاديث.

(٢) أخرج نحوه أبو داود في «سننه»، كتاب: الحدود، باب: في الغلام يصيب الحد، برقم: (٤٤٠٤)، من حديث عطية القرظي. رواه أبو داود في «سننه»، (٤/ ٥٦١/ك، الحدود/ ب) في الغلام يصيب الحد ح٤٤٠٤ - ٤٤٤٠٥)، والترمذي كما في «صحيح سنن الترمذي» للألباني: (٢/ ١١٤/ ك، السير، ح١٦٤٩)، ورمز له بالصحة، وابن ماجه، رقم: (٥٤١)، كما ذكر الألباني في «صحيح الترمذي»، وأحمد في «مسنده»: (٤/ ٣١٠١) و(٥/ ٣١١ - ٣١٢)، وابن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام: (٣/ ٣٣٧)، وابن سعد: (٢/ ٧٦ - ٧٧)، بإسناد صحيح، وهو نفس طريق ابن إسحاق ورواه غير هَؤُلاءِ.

(٣) البخاري، «الفتح»: (١٥/ ٢٠٢)، ح٤٠٢٨)، ومسلم: (٣/ ١٣٨٨، ح١٧٦٦)، وفي هذا يقول الله تعالى ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٧].

(٤) ذكره عنه الشامي في «سيرته» ك (٥/ ٢٩)، وابن عبد البر في «الاستيعاب»: (٢/ ٤٧)، ترجمة سعد بن زيد، ذكره معلقًا، وذكره الواقدي: (٢/ ٥٢٣).

(٥) (٢/ ٥٢٣). وانظر «السيرة الشامية»: (٥/ ٢٩)، و«السيرة الحلبية:» (٢/ ٦٧٤ - ٦٧٥).



١- بَعثَ رسول الله ﷺ سَعد بنَ عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى الشَّام بِسبايا ليبيعهم ويشتري بهم سلاحًا وخيلًا.

٢- اشترى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جُملةً مِن السبايا... الخ، ويمكن الجمع بين هذه الأقوال الثلاثة بأن ذلك كله قد حدث.

واصطفى رسول الله ﷺ لنفسه مِن نسائهم رَيحانة بِنت عمرو بن خنافَة، وأسْلمت، وقد تُوفي عنها رسول الله ﷺ وهِي في ملكُ يَمينه وكان ذلك باختيَارِها(١).

○ خلت المدينة من اليهود:

بالقضاء على بني قريظة خلَتِ المَدينة من الوجُود اليَهودي، وصارت خَالصَة للمُسلمين، وخلت الجبهَةُ الدَّاخليَّة مِن عنصر خطر، لدَيه القُدرةُ عَلى المؤامَرة والكَيدِ والمَكر، واضمحَلَّ حِلمُ قريش لأنها كانت تعوِّل وتؤمِّل في يهود بأن يَكون لَهم موقفٌ ضِد المسلمين، وابتعد خطر اليهود الذي كان يمُدُّ المُنافقين بأسباب التَّحريض والقُوَّة.. إن حماية الجبهة الداخلية للدولة الإِسْلامية من العَابِثِينَ مَنهجٌ نَبوي كريم رسَمه الحبيب المصطفى للأمة المسلمة(٢).

ومع عُمق الصِّلة والرَّابطة وآصرة الولاء والنصرة بين المنافقين واليَّهود، إلا أنَّني لم أجد فيما بين يدَي مِن مصادر السِّيرة ونحوها إشارَةً تَذكرُ موقفًا واضحًا أو شفَاعةً

(١) رواه ابن إسحاق بإسناد مرسل، ابن هشام: (٣/ ٣٣٩)، ولكنه يتقوى بالمتابعة، فقد رواه ابن سعد: (٨/ ١٣١) بإسناد رجاله ثقات يحتج بهم ما عدا الواقدي، وقد عدها من زوجات الرسول ﷺ، والواقدي: (٢/ ٥٢٠ - ٥٢١)، والطبري في «التاريخ»: (٢/ ٥٩٢)، وعدها ابن عبد البر، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر: (٤/ ٣٠٩)، بهامش «الإصابة»، وابن حجر: «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر: (٤/ ٣٠٩) في زوجات الرسول ﷺ.

(٢) «السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث»: (٢/ ٢٧٩). مصر - القاهرة - دار التوزيع والنشر الإِسْلامية. ط الأولى ١٤٢٢ هـ.

لبني قريظة، كما كان الشأنُ مِن ابن سلول في حَقِّ بَني قينقاع وبني النضير. إلا ما كَان مِن كلام لبعض كتَّاب السِّيرة، أشاروا فيه إلىٰ أن النِّفاق طأطأ رأسه وانْزَوىٰ خائفًا ذليلًا، خاصة وأنَّه كان يظنُّ أن مَصير بني قريظة سيكون تبعًا لمصير بني قَينقاع وبني النضِير مِن الجلاء، فكانت المفاجأة أن القتل كان من نَصيبِهم[1]، وبلا شك أن هذا الحَدث أوقَع في نفوس المنَافقين، وخصوصًا ابن سلول، الحَسرة والألم؛ حيثُ لم يبق لهم من فلول اليهود من يمدهم في الغيِّ ثم لا يقصرون..

❍ ولعل تواري ابن سلول عن مسرح أحداث غَزوَة بني قريظة يعود إلىٰ:

١. الانتصارات المُتوالِيَة التي حقَّقَها المسلمون ممَّا جَعلهم أعزَّ وأمكن وأسْمَىٰ وأعلىٰ، قَويت لَهم شَوكة، وخفقَت لَهم رَاية بِفضل من الله وتمكين.

٢. المنافقون من أحْرَص النَّاس علىٰ حَياة، فلعلهم لو ظَهَروا بموقف جِليٍّ وَاضح في شأن بني قريظة؛ شَفاعة أو وساطة أن يَلحقهم المَصير نَفسَه، أو علىٰ أقلِّ تَقديرٍ يُعزلوا عن المجتمع الإِسْلامي كاملًا، وفي هذا تَحيِّيد لَهم ولن يتحقَّقَ لَهم كثير ممَّا يَرغبون من الكيد والمكر والخديعة... الخ.

٣. ثمَّ إن ابن سلول قد لاقاهُ قَومه بالتَّثريبِ والتَّعنيف كلما أحدث حدثًا أو فَعل شيئًا، فلو أحَدث في مسرح أحداث بني قريظَة فعلًا لرُبَّما خسر جموعًا كثِيرَة من أتباعه وبني عشيرته وقومه.

٤- ثم إن الجُرم الذِي ارتكبَه بنوقريظة سبقَه جَلاء طَائفتَين من اليَهود، فكان كافيًا أن يتعظوا به ويلتزموا الوفاء بعهدِهم الذي واثقوا عليه رسول الله ﷺ، أما وقَد خانوا وغدروا فكان جزاؤهم أشد، وعقوبتهم أنكىٰ.

---

(١) ينظر «من معين السيرة»: (٣٢٨)، لصالح الشامي. بيروت – المكتب الإِسْلامي – ط الثالثة ١٤٢٢هـ.

٨- موقفه من غَزوَة الحديبية

اتفق جمعٌ من المحدِّثين وعلَماءِ السِّيرة علىٰ تسميتها غزوة(١)، مِن أجل ذَلك جِيء بِها هنا ضمنَ مَوقف ابن سلول مِن غَزوات النَّبيّ ﷺ، وهَذه الغَزوَة لم تسطِّر لَنا كُتب السيرة ولا غيرها -علىٰ حدِّ عِلمي- موقفًا بارزًا لابن سلول منهَا، سِوىٰ ما ذُكر من شأن إرسال قريش إلىٰ عبد الله بن سلول قائلة له: إن شِئتَ أن تطوف بالبيت فلَكَ ذَلك، مَع أنها منعت النَّبيّ ﷺ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فانتفخ بِذلك سحره وبدت كبرياؤُه المُصطنعة وغطرسته الحاقدَةُ ورغَب في ذلك، إلا أن ابْنه منعه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: كَيف تطوف بالبيت ورسول الله ﷺ لم يطُفْ به، ولم يزل به حتىٰ عدل به عن رغبته.(٢).

وهذا الموقف يذكرنا ما كان من عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الحُديبِيَة لمَّا دَعاه رسول الله ﷺ، فبعثه إلىٰ أبي سُفيان وأشرافِ قُريش، يخبرهم أنه لم يأت لِحربٍ، وأنه إنَّما جَاء زائرًا لهذا البيت، ومعظمًا لِحرمَته.

قال ابن إسحاق: «فخَرج عثمان إلىٰ مكَّة، فَلقيه أبان بْن سَعيد بن العاص حِين دخل مكة، أو قَبل أن يدخلها، فَحَمله بين يديه ثُمَّ أجارَه حتىٰ بلَّغَ رسالة رسولِ الله

(١) انظر «فتح الباري»، المغازي، باب غَزوَة الحديبية، حديث رقم: (٤١٥٥ و٤١٧٨ و٤١٧٩ و٤١٨٠)، و«صحيح مسلم»: (٦/ ١٦٣)، ١٧٤، و«مصنف ابن أبي شيبة»: ١٧٥ (٢/ ٢٦٩- ٨/ ٥٠٥)، و«السنن الكبرىٰ»، للبيهقي: (٥/ ١٧٨-٧/ ١٧٠)، و«أسد الغابة»، لابن الأثير: (١/ ٥٢)، و«الكامل في التاريخ»، لابن الأثير: (١/ ٣٥١)، و«المغازي»: (١/ ٢٢٧)، للواقدي.

(٢) هذه الرواية لم تذكرها كتب السيرة فيما اطلعت عليه غير كتاب «السيرة النبوية دراسة تحليلية»: (٤٥٣) د/ محمد أبو فارس، وهي بحاجة إلىٰ مزيد تحقيق، وإن كان فعل عبد الله بن عبدالله بن أبي بن سلول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأبيه ليس بمستغرب، فرسول الله ﷺ مقدم عنده علىٰ كل أحد.

ﷺ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قُريش، فبلَّغهم عن رسول الله ﷺ ومَا أرسَله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إنْ شِئت أن تطوفَ بالبيتِ فَطف. فَقال: مَا كُنت لأفعل حتَّىٰ يَطوف بهِ رَسول الله ﷺ، واحتَبسَته قُريش عندها، فبلَغ رَسُول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قتل»(١).

أما الذي لا شَكَّ فيهِ ولا ريبَ أنَّ ابنَ سَلول قد زَاده حنقًا وغيظًا وحسرةً وألمًا ما كان من مصالحة قريش مَع النَّبيِّ ﷺ في الحديبية، إذ النِّفاق يبحث دائمًا عن شجَرَة يتسلق عليها وركن يأوي إليه ليحقق مآربه.

فأمَّا اليهود فقد تم جَلاء طائفتين مِنهم وإعمال السيف فِي رقاب الثالثة، وأمَّا المشركون فقد صالحُوا النَّبيّ ﷺ على وضعِ الحَرب بينهم عشر سنين. في هذِه الفترة شعر ابنُ سلول وحزبُه من المنافقين الذين لطَالما عملوا لِحسَاب قريش أنَّ الرَّأس المُدبر والمُفكر قد توقفَ عن إمدادهم بالمَال والخبرات، ومن ثَمَّ ضَعفوا وخمدت فِتنتُهم بنسبة كبيرة(٢).

كلُّ هَذا يقطع الطريق على أحْلَام ابن سلول العدَائية، بل ويجهِضُ جَناحيه اللذين كان يَطير بهما: اليهود والمشركين، وإنْ كان عدو الله لم ييأس ولم يَرْعوي، بل لا زَال ولا يَزال يحاول ويصَاوِل إلى آخر رمَقٍ كَما سيأتي، ولكن دون جدوى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [سورة يونس: ٨١].

٩- موقف ابن سلول من غَزوَة خيبر:

كانت هَذِه الفِي السَّنَة السَّابِعة للهجرة(٣)، وكَان سَببُها أنَّ يَهود بنِي النَّضير

(١) «سيرة ابن هشام»: (٢/ ٣١٥)، و«عيون الأثر»، (٢/ ١١٩)، و«الروض الأنف»: (٤/ ٤٥)، وغيرها

(٢) «السيرة النبوية دراسة تحليلية»: (٤٥٣)، د/ محمد أبو فارس.

(٣) «فتح الباري»: (٧/ ٤٦٤)، و«زاد المعاد»: (٣/ ٣١٧)، و«السيرة النبوية»، لابن كثير: (٣/ ٢٤٤).

خَابت ظُنونُهم وخَسئَت آمَالُهم لَمَّا هَزم اللهُ الأحزابَ، وكانوا عُنصُرًا رئيسًا فِي تَأليبِهم علىٰ محَمَّد ﷺ والمُؤمنين، وقد كَانوا من قَبل قَد انْحَازوا لَمَّا تمَّ جَلاؤهم إلىٰ خَيبر؛ حَيث دان يَهود خَيبر لِزَعامات بنِي النَّضير ورَضُوا بِولايتهم علَيهم كسلاّم بن أبِي الحَقيق وكنَانة أخيه وحُيي بن أخطب، ممَّا جَعلهم يشكلون خَطرًا علىٰ أمن المَدينة وحدودها(١) فتفرَّغ المسلمونَ بَعد صلح الحدَيبِيَة لِتصفِية خطر يهود خيبر الذين لا يُؤمن جانبهم ولا يُطمأَنَّ إلىٰ جوارهم، فسار النَّبيّ ﷺ إلىٰ خيبر وباغت اليهود فيها علىٰ حين غِرَّة فقال عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام: «اللهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ»(٢).

وَتَساقطت حصونُ خيبر واحدًا تلو الآخر بَعد أن حوصروا فيها أيامًا.. إنَّه الحل الوحيد والعلاج النَّاجع فِي التعامل مَع أمَّة يَهود نقضت العهود، إذْ لا يُجدي معَهُم حلول سلمية ولا مُفاوضَات دوليَّة، فلا وفاءَ لَهم بذمَّة ولا قيام لَهم بِميثاقٍ، وصَدق الله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [سورة البقرة: ٧٥].

فالسَّيف في حَقِّهم أصدقُ إنباءً من الكُتب.. فالجَلاء ومطاردة فلولهُمْ واستئصالُ شأفتهم هو المَسلكُ الأوْحد والحَلُّ الأسْلم مع أحفاد القرَدَةِ والخنازير.. ولقد تضمَّنَت سُورة (الفتح) التي نزلت بَعد الحُديبِية وعدًا بفَتْح خَيبر وحيازة أمْوَالها غنيمةً للمسلمين، قال تعالىٰ: ﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَـٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [سورة الفتح: ٢٠].

---

(١) «السيرة النبوية الصحيحة»: (١/ ٣١٩).

(٢) «فتح الباري»، حديث برقم: (٦١٠).

وللعَودَة لابن سلول ومَوقِفه من هذه الغزوة، فلَم أعثرْ له إلا على موقفين اثنين أحَدُهما خاصٌ محدَّد نَهض به وتزعَّمه وفاءً وصلة منهُ لإخوانه اليهود، وموقفٌ عامٌّ هُو داخلٌ فيه ضمنًا..

❍ **فأما الموقف الأول:**

فهُو قيامُه بإرسال رسالتِهِ الآثمة إلى يَهود خيبر؛ يُعلِمهم فيهَا أن محمدًا ﷺ قصد قصدكم وهو متوجه إليكم، فخُذوا حذركم ولا تخَافوا منه، فإنَّ عَددكم وعدَّتكم كثيرةٌ وقوم محمد ﷺ شرذمة قليلون عُزَّل لا سلاح معهم إلا قليل، فلمَّا علم أهل خيبر أرسَلوا كنانة بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس إلى غطفان، يستمدُّونهم لأنهم كانوا حلفاء يهُود خيبر ومُظاهرين لهم على المسلمين، وشرطوا لهم نصف ثمار خَيبر إنْ هم غلبوا المسلمين(١).

إنَّها خيانة واضحةٌ من ابن سلول، وجاسوس لِصالح العدو المتربِّص بالمسلمين.. لكنه ابن سلول الذي تلك مثالبه ومخازيه وقبائحه ومعايبه فَخُلُقه ملازم للغدر والخيانة.

❍ **الموقف الثاني:**

ما ورد في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الفتح: ١٥]. فقَد أورَدَ بعض المفسرين أنَّ الذين قالوا: ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾، هم المُنافقون، وَزَعموا أن رفضَ المؤمنين للخُروج معَهم إلى خيبر إنَّما هو حسدًا منهم

(١) «الرحيق المختوم»: (٣٦٥-٣٦٦)، للمباركفوري.

لكَيلا يشركوهم في غنائمها[١]: ﴿بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الفتح: ١٥].

فالإشارة هنا لعموم المنافقين، وممَّا تَجدر الإشارة إليهِ أنَّه متى ما ذُكر لفظ النفاق بصيغة الجمع أو كلمة: ﴿طَآئِفَةٌ﴾، في حقِّ المنافقين فإنَّ الخطاب متوجه ابتداءً لابن سلول وحِزبه من ورَائه.

وهذا شأن المنافقين عُمومًا، فإذا علموا أنَّ المواجهة بين النَّبيّ ﷺ وبينَ عَدو سهل المنال ضَعيفِ الشَّوكة؛ طَمعوا في المشاركة، لا رَغْبة في الجهاد، ولكِنْ شَغفًا بالغنيمة والنيل منها، وخيبر كانت مِن هَذا القبيل إذْ بلغَهُم أنَّ الله قد وعد غَنيمتَها النَّبيّ ﷺ وصحبَه من أجْل ذَلك ردَّ النَّبيّ ﷺ بعض الأعراب الذين تخلّفوا عن الحديبية أن يخرجوا معه قائلًا لهم: «لَا تَخْرُجُوا مَعِيَ إِلَّا رَغْبَةً فِي الجِهَادِ، أَمَّا الغَنِيمَةُ فَلَا أُعْطِيكُمْ مِنْهَا شَيْئًا».

وقد أرَاد المصطفى ﷺ أن يبيِّن لهم ألا حَاجة له إلى الذينَ لا همَّ لَهم إلا الغنيمَة دُون نُصرَة الإِسْلام[٢].. حتَّى صدق فيهم أنهم قوم يقلّون عِند الفزع ويكثُرُون عند الطمع.

وجاء القرآن ناهيًا النَّبيّ عليه الصلاة والسلام عن أن يأذَن لَهم، فقال سبحانه: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُواْ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الفتح: ١٥].

ولاغَرْوَ أن يكون شأن النفاق قد امتدَّ اخطبوطُه واندَاح فكْرُه حتى تلبس بِه

---

(١) «فتح القدير»: (٦/ ٤٩٥) و«أيسر التفاسير»: (٤/ ١٠٥)، لأبي بكر الجزائري.

(٢) «السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة»: (٢/ ٤١٤)، لأبي شهبة. دمشق – دار القلم – ط السابعة – ١٤٢٤هـ.

بعض الأعراب بدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [سورة التوبة: ١٠١].

قال الإمامُ الطَّبري: «ومِن القَوم الذين حَول مَدينتِكُم من الأعراب مُنافِقون، ومِن أهل مَدينتِكُم أيضًا أمثالهم أقوام مُنافقُون: ﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾ [سورة التوبة: ١٠١]، أي: مرنوا عليه ودربوا به[١].. قيل: إنَّ المُراد: مزينة وجهينة وأسلم وغفار وأشجع»[٢].

❍ توالت بعد ذلك غزوات المصطفى ﷺ بعد خيبر:

فكانت غَزوَة مُؤتَة، ثُمَّ غَزوَة فتح مكَّة، ثُمَّ جاءت غَزوَة حنين، ثم غَزوَة الطَّائف، والتِي كانت امتدادًا لغَزوَة حُنين؛ ذلك أن معظم فلولِ هَوازن وثَقيف دخلوا الطَّائف مع القائِد العام -مالك بن عوف- وتحصَّنوا بها، فسار المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام بعدَ فَراغه من حنين[٣]، وحَاصرهم مدةً كَانت أربعين يومًا، كما روىٰ مسلم[٤]، وعِند أهل السِّير خِلاف ذلك فقيل: عشرين يومًا. وقيل: بضعة عشر... الخ[٥].

ووقَعت خِلال هذِه المُدَّة مَرامات ومُقاذَفات أصيبَ خِلالها نفرٌ مِن المُسلمين، وقُتل منهُم اثْنا عشر صحابيًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ونصب النَّبيّ ﷺ لهم المَنْجيق[٦].. كل هذا مشعرٌ بأنها غَزوَة دَار فيها رحىٰ قتال وحصار..

---

(١) «تفسير الإمام الطبري»: (١٤/ ٤٤٠).

(٢) «تفسير القرطبي»: (٨/ ٢٤٠).

(٣) «الرحيق المختوم»: (٤١٦ -٤١٧).

(٤) أخرجه مسلم، برقم: (١٠٥٩).

(٥) «فتح الباري»: (٨/ ٤٥).

(٦) «الرحيق المختوم»: (٤١٧).

هذه الغزوات الأربع: غَزوَة مكَّة ومُؤتة وحُنين والطائف، لم يكن للمُنافقين فيها سواءً ابن سلول زعيمهم أو أتباعه دَورٌ يُذكر أو موقف يُسجل -فيما أعلم- سِوى ما جرت به عادة المنافقين التي كشف الله خبيئتها في نُفوسهم، ألا وهي: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾ [سورة آل عمران: ١٢٠].

إلا ما كان يَوم تَوزيعِ النَّبيّ ﷺ لغنائم حُنين، فمن حَديث عبدِ الله بْن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: فلمَّا كَان يوم حُنين آثَر رَسول الله ﷺ ناسًا في القِسمة؛ فأعطى الأقرَع بن حَابس مائة من الإبِل، وأعطى عيينة بن حصن مثل ذلك، وأعطَى أناسًا من أشراف العرب وآثرهم يومئذ في القسمة، فقال رجل: والله إن هذه القسمة ما عُدِل فيها وما أريد بها وجه الله، قال: فقلت: والله لأخبرن رسول الله ﷺ.

قال: فأتيته فأخبرته بِمَا قال. قال: فتغيَّر وجهه حتى كان كالصرف[1] ثم قال: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللهُ وَرَسُولُهُ»، قَال: ثم قال: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ». قال: قلت: لا جرم لا أرفع إليه بَعدها حَديثًا[2]. واللفظ لمسلم.

وفي رواية أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: بينما نَحن عند رسول الله ﷺ، وهُو يقسم قسمًا، أتاه ذو الخُوَيصِرة، وهو رجلٌ مِن بني تميم، فقال: يا رَسول الله، اعدل، فقال: «وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِل»، فقال: عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ائذن لي أضرب عنقه فقال: «دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا

---

(١) الصرف: بكسر المهملة هو شجر أحمر يُدبغ به الأديم، ويُسمى الدم والشراب إذا لم يمزجا صرفًا، والصرف الخالص من كل شيء، والمعنى: أن وجه المصطفى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ احمرَّ لهول ما سمع، انظر «النهاية في غريب الأثر»: (٣/ ٤٦)، لابن الأثير.

(٢) «فتح الباري»، برقم: (٤٣٣١)، ومسلم برقم: (١٠٦٢)، وغيرهما.

يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمَ مِنَ الرَّمِيَّةِ... ». الحديث(١).

فهذا موقف من مواقف المُنافقين الذين اتَّهموا فيها عدالة النَّبيّ ﷺ من الخَوارج، أمَّا ما عدا ذلك فلم أعثُر -على قُصور بحثي- عَن مَواقف أُخر للمُنافقين في هذه الغزوات الأربع.. وهذا لا يعني أنهم قد انْطَفأت جذوتهم أو خبت نارهم.

أَرَىٰ خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِيضَ نَارٍ وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ضِرَامُ(٢)

١٠- موقف ابن سلول من غَزوَة تبوك:

لَقد بَرز دَور المُنافِقين في هَذه الغَزوَة بِشكلٍ واضحٍ وسَافِرٍ بَعد أن خبت لَهم نَار وتكسرت في أيديهم نِصالٌ وبَاءت لهم مُحاولات عدِيدة وكَثيرة بالفشل.

فإذا بهم يعودون كأسْوأ مَا يكون العَود، وكما قيل لعلَّه الهُدوء الذي يسبق العاصِفَة، فقد مارسوا جميع سُلوكياتهم الدَّنيئة من إرجافٍ وتَخذيل، وتوهين عَزائم، واستهزاء وسخرية، ولمز للمطَّوعين في الصدقات، والانسِحَاب ببعض الجيش، والقُعود عن المشاركة بأعذار واهية وأسباب باطلة... الخ.

لقد تنفس النِّفَاقُ فِي هذه الغَزوَة بِعمق، وألقى بكلِّ ثِقله، ولعلَّ مِن دواعي ذلك وأسبابه أنه وجدَها الفُرصة الأخيرَةَ السَّانحة، فإمَّا أن يبلغوا فيهَا مُناهم ويعلو لَهم بعدها شَأن، وإمَّا أن يَندحروا ويبوؤا بالخَسَار والهوان كَما سلف لهم من قبل في مواقف عديدة، وبِلا شك كان لابن سلول القدَح المعلى في تِلك الأدوَار

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه برقم: (٦٥٣٤)، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم برقم: (١٠٦٤/ ٥).

(٢) «محاضرات الأدباء»: (١/ ٣٩٧)، للراغب الأصفهاني.

والمَواقف التي تُبين لنا عن حقيقة كيده المتواصل وحقده الممتد وعزيمته الدؤوبة، فاللهم إنا نعوذ بك من جلد الفاجر وعجز الثقة.

ولعظم وتَفاقُم شأن النِّفاق في هذه الغزوة، أحببَتُ سَرد أحدَاثِها مجتهدًا في الاخْتِصار، ثم عرض مَواقفِ المُنافقين من خلالها، خصوصًا ما كان من ابن سلول، فهو في هذا المبحث بيت القصيد ومربط الفرس(١).

❍ تاريخ الغزوة وأسماؤها وأسبابها:

أولًا: أسماء الغزوة:

١- **غَزوَة تبوك:** خَرج رسول الله ﷺ لهذه الغَزوَة في رَجب من العام التاسع الهجري(٢) بعد العودة من حِصار الطائف بنحْوِ ستة أشهر(٣).. واشْتهرت هَذه الغَزوَة باسم غَزوَة (تبوك)، نِسبة إلىٰ مكان هُو عَين تَبوك التِي انتهىٰ إليها الجَيشُ الإِسْلامي.

وأصلُ هَذه التسمية جاء في صحيح مسلم، فقد روىٰ بسنده إلىٰ معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ عَيْنَ تَبُوك، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّىٰ يُضحَي النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا مِنْكُمْ فَلا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّىٰ آتِي»(٤).

٢- **غَزوَة العسرة:** وللغَزوَة اسمٌ آخَر وُهو غَزوَة (العسرة)، وقد ورد هذا الاسم في القُرآنِ الكريمِ، حِينما تحدَّث عن هذه الغَزوَة في سورة (التوبة)، قال تعالىٰ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي

---

(١) بعد الاطلاع علىٰ عدد من كتب السيرة وجدت أن أفضل من عرض أحداث الغَزوَة الدكتور (علي بن محمد الصلابي) في كتابه المبارك «السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث»، انظر من (٥٢٥-٥٥٥).

(٢) انظر «تفسير الطبري»: (١٤/ ٥٤٠-٥٤٢)، و«السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية»: ص (٦١٤).

(٣) انظر «فتح الباري»: (١٦/ ٢٣٧).

(٤) «صحيح مسلم» رقم: (٧٠٦).

سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة التوبة: ١١٧].

وقد روىٰ البخاريُّ بِسنده إلىٰ أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أَرْسَلني أَصْحَابي إلىٰ رسُولِ الله ﷺ أسأله الحملان -أي مركوبًا- لَهم، إذْ هُم مَعه في جَيش العُسرَة وهي غَزوَة تبوك».. وعنون البخاري لهذه الغَزوَة بقوله: «**باب غَزوَة تبوك وهي غَزوَة العسرة**»(١).

لقد سُمِّيت بِهذا الاسْم لِشدَّة مَا لاقىٰ المسْلِمون فيها مِن الضَّنكِ، فَقد كانت الأَجْوَاء شَدِيدَة الحَرارة والمَسافةُ بعيدة، والسَّفر شاقًا لقلة المؤونة وقلة الدواب التي تحمل المجاهدين إلىٰ أرض المعركة، وقلةِ المَاء في هذا السفر الطويل والحَرِّ الشديد، وكذلك قلةِ المال الذي يجهز به الجيش وينفق عليه(٢).

فروىٰ عبد الرزاق عن معمر، عن عبد الله بن محمد بن عَقِيلِ بن أبي طالب في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [سورة التوبة: ١١٧]، قال: «خَرجوا في غَزوَة تَبوك الرَّجلان والثلاثة علىٰ بعيرٍ واحد، وخَرجوا في حر شديد، فأَصابهم يومها عَطش شديدٌ، حتَّىٰ جَعلوا يَنحرون إبِلهم، فيعصِرُون أكْرَاشَها، ويشْربُون ماءها، فكان ذَلك عسرة من الماء، وعسرة من الظهر، وعسرة من النفقة»(٣).

وهذا الفَاروقُ عُمر بن الخطَّاب يُحدِّثنا عن مدىٰ ما بَلغ العطشُ من المسلمين فيقول: «خَرجنَا مَع رسول الله ﷺ إلىٰ تَبوك في قَيظٍ شَديد، فنزلْنَا منزلًا أصابنا فيه عطشٌ شَديد، حتىٰ ظننا أن رقابَنا ستنقطعُ، حتىٰ إن كان إحدنا يذهب يلتمس

---

(١) البخاري رقم: (٤٤١٥).

(٢) انظر «الصراع مع الصليبيين»، لأبي فارس: ص (٨٣).

(٣) ينظر «تفسير عبد الرزاق»: (٢/ ١٦٩) (١١٣٩).

الخَلاء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته تَنقطع، وحتى إن الرجل لينْحَر بعيره فيعصر فرثه فَيشربه ويضعه على بطنه»[١].

٣- غَزوَة الفاضحة

وللغَزوَة اسم ثالث هو (الفاضحة)، ذكره الزرقاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «شرح المواهب اللدنِّية»[٢]، وسُمِّيت بِهذا الاسم لأنَّ هَذه الغَزوَة كشفت عنْ حَقيقة المُنافقين وهتكت أستارهم، وفضحت أساليبهم العدائِيَّة المَاكرة، وأحقَادِهم الدفِينَة، ونفوسِهم الخَبِيثَة وجرائمهم البَشعَة بحق رسول الله ﷺ والصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ[٣].

ثانيا: موقع الغزوة وتاريخها:

وأما مَوقع تَبوك فشَمال الحِجاز، يبعد عن المدينة ٧٧٨ ميلًا بحَسَب الطريق المُعبدة في الوقت الحاضر، وكانت مِن دِيار قُضاعة الخاضِعة لسُلطَان الرُّوم آنذاك[٤]. أما تاريخُها فقد ذكر ابن حجر: «أنَّ الرَّسول ﷺ خرج لهِذهِ الغَزوَة في رجب من العام التاسع الهجري، بعد حصاره للطائف بنحو ستة أشهر»[٥].

ثالثا: أسبابها.. ذكر المؤرخون أسبابا لهذه الغزوة فقالوا:

١- وصَلت الأنباءُ للنَّبيﷺ من الأنباط[٦] الذين يأْتُون بالزَّيت مِن الشام إلى

---

(١) انظر «مجمع الزوائد»: (٦/ ١٩٤).

(٢) انظر «شرح المواهب اللدنية»، ابن حجر القسطلاني، دار المعرفة -بيروت، (١٣٩٣): (٣/ ٦٢).

(٣) انظر «الصراع مع الصليبيين»: ص (٨٤).

(٤) انظر «المجتمع الإِسْلامي»، للعمري: ص (٢٢٩).

(٥) «فتح الباري»: (١٦/ ٢٣٧).

(٦) (الأنباط) يطلق على: ١-شعب سامي كانت له دولة في شمالي شبه الجزيرة العربية وعاصمتهم سلع وتعرف اليوم ب (البتراء). =

المَدينة؛ أن الروم جَمعت جموعًا، وأجلبت معهم لخم وجذام وغيرهم من مستنصرة العرب، وجاءت في مقدمتهم إلى البَلْقاء[١]، فأراد النَّبيّ ﷺ أن يَغزُوَهم قَبل أن يَغْزوه[٢].

٢- ويرى ابنُ كَثير: «أن سَبب الغَزوَة هو استجَابة طَبيعيَّة لِفريضة الجِهاد، ولذَلِك عزم رسولُ الله ﷺ على قتالِ الرُّوم، لأنَّهم أقربُ النَّاس إليه، وأولى النَّاس بالدَّعوة إلى الحق لقُربهم من الإِسْلام وأهلِه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [سورة التوبة: ١٢٣]، والذي قَاله ابن كَثير هو الأقرب للصَّواب، إضافةً إلى أن الأمْرَ الذي استقرَّ عَليه حكمُ الجهاد هو قتالُ المُشركين كافة، بِمن فيهم أهل الكتاب الذين وقفوا في طريق الدَّعوة وظهر تحرشهم بالمسلمين كما روى أهل السير»[٣].

ولا يمنعُ مَا ذكره المؤرخون بأن سَببَ الخُروج هو عزم الروم على غزو المسلمين في عقر دارهم أنْ يكون هذا حافزًا للخُروج إليهم، لأنَّ أصل الخروج كان واردًا.

لقد كان المسلمُونَ عَلى حذر من مجيء غسان إليهم من الشَّام، ويظهر ذَلك جليًّا ممَّا وقع لعمر بن الخطاب، فقَد كان النَّبيّ ﷺ آلَي مِن نسائه شهرًا فهجرهُنَّ، فَفي صحيح البخاري: وكنا تحدثنا أن آل غسَّان تنعل النعال لغزونا، فنزل صَاحبي

= ٢- المشتغلون بالزراعة. ٣ - استعمل أخيرا في أخلاط الناس من غير العرب، «المعجم الوسيط»: (٢/ ٨٩٨).

(١) البَلْقَاءُ: كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى، قصبتها عمّان وفيها قرى كثيرة ومزارع واسعة، وبجودة حنطتها يضرب المثل. ينظر «معجم البلدان»: (١/ ٤٨٩).

(٢) انظر «الطبقات الكبرى»، لابن سعد: (٢/ ١٦٥).

(٣) انظر «البداية والنهاية»: (٥/ ٣).

يوم نوبته، فَرجع عشاءً فضرب بابِي ضربًا شديدًا وقال: أثَمَّ هو؟ ففزعت فخرجتُ إلَيه، وقال: حدث أمر عظيمٌ، فقلت: ما هو؟ أجاءت غسان؟ قال: بل أعظم منه وأطول، طلَّق رسول ﷺ نساءه[١].

رابعًا: الإنفاق في هذه الغزوة وحرص المؤمنين على الجهاد:

حثَّ رسولُ الله ﷺ الصَّحابة على الإنفَاق في هذه الغزوة، لبُعدِها وكثرَة المُشركين فيها، ووعد المنفقين بالأجر العظيم مِن الله، فأنفق كل حَسب مَقدرته، وكان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صاحب القدح المعلى في الإنفاق في هذه الغزوة[٢].

فهذا عبد الرحمن بن خَبَّابٍ[٣] يحدثنا عن نفقة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ حيث قال: «شهدت النَّبيّ ﷺ وهو يحث على جيشَ العُسرة، فقام عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا رسول الله عليَّ مائة بَعير بأحلاسِها وأقتابها في سَبيل الله، ثم حضَّ على الجيش، فقام عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا رسول الله عليَّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابِها في سبيل الله، ثم حضَّ على الجيش، فقام عثمان بن عفان فقال: يا

(١) البخاري، كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته، رقم: (٥١٩١).

(٢) انظر «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية»: ص (٦١٥).

(٣) هو: عبد الرحمن بن خَبَّابٍ - بفتح الخاء المعجمة وتشديد الباء - السُّلَمِيُّ من بني سُلَيمٍ، له صحبة ورواية عن النَّبيّ ﷺ، حدث عنه فرقد أبو طلحة، ويعد في البصريين. سئل يحيى بن معين عن عبد الرحمن بن خباب، فقال: قد روى عن النَّبيّ ﷺ، قيل له: هو عبد الرحمن بن خباب بن الأرت؟ فقال: أحسبه هو. قال ابن عبدالبر: وقد قيل: إنه عبد الرحمن بن خباب بن الأرت، وليس بشيء. قال البغوي: عبد الله بن قيس خباب السلمي ويقال: عبد الرحمن بن خباب والصحيح عبد الرحمن بن خباب. «معجم الصحابة»، للبغوي: (٤/ ٢٠٩)، و«تلخيص المتشابه في الرسم»: (١/ ١٨٨)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر: (٢/ ٨٣٠)، و«تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي: (١٧/ ٨٠).

رسول الله عليَّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فأنا رأيت رسول الله ينزل عن المنبر وهو يقول: «مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ، مَا عَلَى عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ هَذِهِ»(١).

وعن عبد الرحمن بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢) ما قال: «جاء عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى النَّبيّ ﷺ بألف دينار في ثَوبِه حِين جهز النَّبيّ ﷺ جيش العسرة، قال: فَجعل النَّبيّ ﷺ يقبلها بيدِه ويَقول: «مَا ضَرَّ ابْنَ عَفَّانَ مَا عَمِلَ بَعْد اليَوْمِ»، يرددها مرارًا»(٣).

---

(١) سنن الترمذي، ك المناقب: رقم (٣٧٠٠). وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث السكن بن المغيرة، وهو في «المستدرك» عند الحاكم: (١٣/ ١٥٣ - ١٥٤)، وصححه الذهبي، قال الشيخ أكرم العمري: ولكن فيه فرقد أبو طلحة مجهول العين كما في «تهذيب التهذيب»، لابن حجر: (٨/ ٢٦٤)، فلا يسلم لهما بهذا التصحيح. انظر «السيرة النبوية الصحيحة»: (٢/ ٥٢٥). ولعل هذا هو السبب في عدم إيراد الشيخ الألباني لهذه الرواية في «صحيح سنن الترمذي». وانظر ما روي من أقوال في نفقات عثمان النقدية والعينية عند ابن حجر في «الفتح»: (١١/ ٢٥٢). قال السندي في رسالته «الذهب المسبوك في تحقيق مرويات غَزوَة تبوك» (٢٠٨): إن نفقة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في العسرة كانت كبيرة، لأن عدد الجيش قد جاء في بعض الروايات أنه بلغ سبعين ألفًا.... وهذا يدل على أن نفقته لم تكن مرة واحدة، بل مرات وكرات، ومما يؤيد ذلك ما روته أم عمر بنت حسان بن يزيد بن أبي الغض، قال الإمام أحمد: وكانت عجوز صدق قالت: سمعت أبي يقول: إن عثمان جهز جيش العسرة مرتين.

(٢) هو: عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، أبو سعيد القرشي العبشي: صاحب رسول الله ﷺ، أسلم يوم الفتح سكن البصرة وغزا خراسان في زمن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو الذي افتتح سجستان وكابل وغيرهما، وشهد غَزوَة تبوك مع النَّبيّ ﷺ روى عن النَّبيّ ﷺ ومعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. حدث عنه: ابن عباس وسعيد بن المسيب وعبد الرحمن بن أبي ليلى وابن سيرين والحسن وغيرهم، وله في «مسند بقي» أربعة عشر حديثًا. ينظر «تهذيب الكمال»: (١٧/ ١٧٥)، و«سير أعلام النبلاء»، للذهبي: (٢/ ٥٧١)، و«الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر: (٤/ ٣١٠).

(٣) «مسند الإمام أحمد»: (٢٠٦٣٠)، وقد حسن الرواية محققوه. وكذلك الشيخ الألباني في تحقيقه لـ «سنن الترمذي»: (٢٩٢٠).

وأما عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقد تصدَّق بِنصف ماله، وظن أنه سيسبقُ أبا بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بذلك، فها هوالفاروق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يحدِّثُنا بنفسه عن ذلك حيث قال: «أمرَنا رسول الله ﷺ يومًا أن نتصدق، فَوافق ذلك مالًا عِندي، فقلت: اليوم أسبقُ أبا بكر إنْ سَبقته يومًا، فَجئتُ بنصفِ مالي، فقال رسول الله ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟». قُلت: مثله، قَال: وأتىٰ أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بكُلِّ ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟». قال: أبقيتُ لَهم اللهَ ورسولَه، قلت: لا أسَابِقك إلىٰ شيءٍ أبدًا[(١)].

ورُوي أن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنفق ألفَي درهم، وهِي نصف أمواله لتجهِيز جيش العسرة[(٢)]، وكانت لِبعض الصحابة نفقَات عظيمَة، كالعباس بن عبد المطلب[(٣)]،

---

(١) «سنن أبي داود»، ك الزكاة: رقم (١٦٧٨)، وقد حسن إسناده الشيخ الألباني.

(٢) انظر «السيرة في ضوء المصادر الأصلية»: ص (٢/ ١٩٤)، قال مؤلفه: انظر الروايات عند الإمام الطبري في «تفسيره»: (١٠/ ١٩٤ - ١٩٨)، وأقوىٰ رواياته بإسناد صحيح، ولكنه موقوف علىٰ قتادة: (١٠/ ١٩٥)، وانظر كذلك الروايات في رسالة الماجستير «الذهب المسبوك في تحقيق روايات غَزوَة تبوك»: (١/ ٢١٣ - ٢٢٣)، للسندي، وقد ذهب إلىٰ تقويتها علىٰ الرغم من الاختلافات الموجودة بينها، ولكن يستأنس بها في فضائل الأعمال.

(٣) هو: العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، القرشي الهاشمي، أبو الفضل المكي، عم رسول الله ﷺ وصنو أبيه، أمه نُتَيْلَةُ أم الربيع، وقيل: نَتْلَةُ بنت جُبَابِ. قال عبد الله بن عباس: ولد أبي العباس بن عبد المطلب قبل قدوم أصحاب الفيل بثلاث سنين، وكان أسن من رسول الله ﷺ بثلاث سنين. قال محمد بن إسحاق: كان مولده قبل الفيل بثلاث سنين، وتوفي لسبع سنين مضت من إمارة عثمان سنة أربع وثلاثين، وصلىٰ عليه عثمان بن عفان، كف بصره وبلغني أن العباس كان له عشرة ذكور سوىٰ الإناث، فمن ولده: الْفَضْلُ، وَعَبْدُ الله، وَعُبَيْدُ الله، وَقُثَمُ، وعبد الرحمن، ومعبد، وأم حبيب، أمهم: أم الفضل لبابة بنت الحارث بن حزن، والحارث بن العباس أمه حُجَيْلَةُ بنت جندب بن ربيعة، وآمنة بنت العباس، وصفية بنت العباس، وَكَثِيرُ بن العباس، وَعَوْنُ بن العباس وَتَمَّامُ بن العباس، كان أصغر ولد أبيه حديثه =

وطلحة بن عبيد الله، ومحمد بن مسلمة، وعاصم[(١)] بن عدي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ[(٢)].

وهكذا يَفهم المُسلمون أنَّ المَال وسيلة مِن الله وإلى الله، حَيث استطاع أغنياءُ الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أن يُبرهنوا أنَّ مَالهم في خِدمة هذا الدِّين، يدفَعونه عن طَواعِية ورغبَة، وإن تَاريخ الأغْنياء المُسلمين تاريخٌ مُشرف، لأنَّه تاريخ المال في يد الرجال، لا تاريخ الرجال تحت سيطرة المال.

وكما كَان الجهاد بالنفس، فكذلك هو بالمال، وإن الذين رباهم النَّبيّ ﷺ على أن يُقدموا أنفسهم، سَيُهون عليهم بذْلَ أمْوالِهم في سبيل الله تعالى[(٣)].. وقَد قدَّمَ الله الجهاد بالمَال على النفس في كتابِه الكريم في أكثر من خمسة عشر موضعًا.

= عند أولاده: عبد الله، وكثير، وتمام. روى عنه: عبد الله بن الحارث، وإسحاق بن عبد الله بن الحارث، وعامر بن سعد، والأحنف بن قيس. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي: (١٤/ ٢٢٥)، و«معرفة الصحابة»، لأبي نعيم: (٤/ ٢١٢٠)، و«الطبقات الكبرى»، لابن سعد: (٤/ ٥)، و«معجم الصحابة»، للبغوي: (٤/ ٣٨٠).

(١) هو: عاصم بن عدي بن الجد بن العجلان بن حارثة بن ضبيعة العجلاني، القضاعي، أخو معن بن عدي، كنيته أبو عبد الله، ويقال: أبو عمرو، ويقال: أبو عمر، حليف الأنصار. له صحبة، شهد أحدا، ولم يشهد بدرا، وكان رسول الله ﷺ استعمله على قباء، وأهل العالية، وضرب له بسهمه، فكان كمن شهدها، وهو صاحب عويمر العجلاني الذي قال له: سل لي يا عاصم رسول الله ﷺ، عن الرجل يجد معه امرأته رجلا. قال موسى بن عقبة وخرج عاصم بن عدي فيما زعموا مع رسول الله ﷺ فرده فرجع من الروحاء، وضرب له بسهمه. روى عن: النَّبيّ ﷺ. قيل: إنه توفي سنة خمس وأربعين، وله من العمر مائة وخمس عشرة سنة. كذا قال الواقدي في سنه. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي: (١٣/ ٥٠٧)، و«معرفة الصحابة»، لأبي نعيم: (٤/ ٢١٣٩)، و«تاريخ الإِسْلام»، للذهبي: (٢/ ٤١٦).

(٢) انظر «مغازي الواقدي»: (٣/ ٣٩١).

(٣) انظر «معين السيرة»: ص (٤٤٩).



ولم يكن مضمار السبق قاصرًا على الأغنياء فَحسب، بَل شارك فيه فقراء المسلمين بجهدهم من النفقة على استحياء.

○ ﴿تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [سورة التوبة: ٩٢]:

لقد حزِنَ الفقراء مِن المؤمنين؛ لأنَّهم لا يَملكُون نفقةَ الخُروج إلى الجهاد، فَهذا عُلبَة بْن زيد أحَد البكائينَ صَلَّى من الليل وبكَى، وقال: «اللَّهمَّ إنَّك قد أمرتَ بالجِهاد، ورغَّبتَ فيه، ولم تَجعل عِندي ما أتقوَّى بهِ مَع رسولِك، وإني أتَصدَّق عَلى كل مسلمٍ بِكل مظلمة أصَابتني في جَسد أو عِرض، فأخبرهُ النَّبيّ ﷺ أنه قَد غُفِرَ لَهُ[(١)]»، وفي هذه القصة وما جرى فيها آيات من الإخْلاص، وحُبِّ الجِهاد نصرةً لدينِ الله ونشرًا لدَعوتِه في الآفاق، وفيها من لطْفِ الله بضُعفاء المؤمنين الذين يَعيشون في حَياتهم عيشةً عَملية[(٢)].

فهَذا وَاثلة بْن الأسقع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٣)] نَتركه يُحدِّثنا عن قصته فيقول: «... عندما

---

(١) وردت من طرق ضعيفة ولها شاهد صحيح وهي بالجملة تصلح للشاهد التاريخي، انظر «المجتمع المدني»، للعمري: ص (٢٣٥).

(٢) انظر «محمد رسول الله»، صادق عرجون: (٤/ ٤٤٣).

(٣) هو: وَاثِلَةُ بْنُ الْأَسْقَعِ اللَّيْثِيُّ ابن بكر بن عبد مناة، ويُقال: واثلة بن الأسقع بن عُبَيد الله، ويُقال: ابن عبد العزى بْن عَبْدياليل بْن ناشب بْن غيرة بْن سَعْد بْن ليث ابن بكر بن عبدمناة بْن عَلِي بْن كنانة، أَبُو الأسقع، ويُقال: أَبُو قِرْصَافَةَ، ويُقال: أَبُو محمد، ويُقال: أَبُو الخطاب، ويُقال: أَبُو شداد، الليثي. أسلم قبل تبوك، والنَّبيّ ﷺ يتجهز لها، وشهدها مع النَّبيّ ﷺ، وكان من أهل الصفة، توفي سنة خمس وثمانين وله ثمان وتسعون سنة، وقيل: توفي وله مائة وخمس سنين، روى عنه أبو المليح الهذلي، ومكحول، وعبد الواحد البصري، ومعروف الدمشقي، وربيعة بن يزيد، وحيان أبو النضر، وَبُسْرُ بْنُ عُبَيْدِ الله، وشداد أبو عمار في آخرين. =



نادىٰ رسول الله في غَزوَة تَبوك، خرجتُ إلَىٰ أهلي فأقبلتُ وقد خرج أوَّل صَحابة رسول الله، فطفقت في المدينة أنَادِي: ألا مَن يَحمل رَجلًا له سَهمُه، فإذا شيخ مِن الأنصار فقال: لنَا سَهمُه علىٰ أن نحمله عقبة[١] وطعامُه معنا؟ فقلت: نَعم، قال: فَسِرْ علىٰ بركة الله، فخَرجتُ مَع خير صاحب حتىٰ أفاء اللهُ عَلينا[٢]، فأصابني قَلائص[٣] فسقتُهنَّ حَتىٰ أتيته، فخرج فقَعد علىٰ حقيبة من حقائب إبِلِه، ثم قال: سُقهن مدبرات، ثم قال: سُقهن مقبلات، فقال: ما أرىٰ قلائصك إلا إكرامًا إنَّما هي غنيمتك التي شطرت لك، قال: خُذ قلائصك يا ابن أخي، فغَير سهمك أردنا»[٤].

وهكَذا تنازل واثلة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في بدَاية الأمر عن غَنيمتِه ليكسِب الغنيمة الأخروية أجرًا وثوابًا يجده عند الله يوم لقائه، وتنازل الأنصاري عن قِسم كَبير من راحته ليتعَاقب وواثلة علىٰ راحِلَته ويقدم له الطَّعام مُقابل سهم آخر هُو الأجر والثواب.

إنَّها مَفاهيم تَنبعُ من الُمجتمع الذي تربَّىٰ عَلىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لها نَفس الخاصيَّة في الإضاءة، وتحَمُّل نَفس البريق، متمم بعضها لبعضها الآخر[٥].

= قال أبو حاتم: نزل الشام، وكان يشهد المغازي بدمشق وحمص. قال أبو الزاهرية: مات واثلة بن الأسقع بالشام سنة خمس وثمانين، وهو ابن ثمان وتسعين سنة. «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم: (٥/ ٢٧١٥)، و«الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد: (٧/ ٤٠٨)، و«سير أعلام النبلاء»، للذهبي: (٣/ ٣٨٣)، و«تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي: (٣٠/ ٣٩٣).

(١) عقبة: أي بالتعاقب.

(٢) كان واثلة بن الأسقع أحد أفراد سرية خالد بن الوليد في دومة الجندل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) قلائص: إبل.

(٤) انظر «جامع الأصول»: رقم (٦١٨٨)، و«معين السيرة»: ص (٤٥٣).

(٥) انظر «معين السيرة»: ص (٤٥٣).

○ **الأشعريون ومواقف مشرِّفة:**

وجاء الأشعريون يتقدمهم أبو مُوسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، يطلُبون من النَّبيّ ﷺ أن يحمِلَهم علىٰ إبل لِيتمكَّنوا من الخروج للجهاد.

فلم يجد ما يحملهم عليه حتَّىٰ مَضىٰ بعضُ الوَقت، فحصل لَهم عَلىٰ ثلاثة من الإبل(١) وبلغَ الأمْر بالضُّعفَاء والعجزَة ممَّن أقعَدَهم المرضُ أو النفقَةُ عن الخروج إلىٰ حدِّ البُكاء شوقًا للجِهاد وتحرُّجًا من القعود خلاف رَسول الله ﷺ، حتىٰ نزل فيهم قرآن ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [سورة التوبة: ٩١-٩٢].

إنها صورةٌ مؤثِّرة للرَّغبَة الصَّحيحَة في الجِهاد علىٰ عهْدِ رسول الله ﷺ، ومَا كان يَحسُّه صادقُو الإيمانِ مِن ألم إذَا مَا حَالت ظُروفُهم المادِّيَّة بَينهم وبين القيام بِواجِباتهم، وكانَ هَؤُلاءِ المَعوزون وغَيرهم ممَّن عذَر اللهُ لَمرض أو كِبر سِنٍّ أو غيرهما، يسيرون بقلوبهم مع المجاهدين(٢) وهم الذين قصَدهم رسول الله ﷺ عندما قال: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرَةً وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ». قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ»(٣).

خامسا: إعلان النفير وتعبئة الجيش:

أُعلن النَّفير العامُّ للخُروج لغَزوَة تَبوك، فخَرج النَّبيّ ﷺ إلىٰ تبوك بثلاثين

---

(١) انظر «المجتمع المدني»: ص (٢٣٦).

(٢) انظر «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية»: ص (٦١٨).

(٣) «فتح الباري»، كتاب المغازي رقم: (٤٤٢٣).



ألفًا، وقد عاتب القرآنُ الكريمُ الذين تباطأوا بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [سورة التوبة: ٣٨]، وقد طالبهُم القرآنُ الكريم بأن ينفروا شبانًا وشيوخًا وأغنياء وفقراء بقوله تعالَى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة التوبة: ٤١].

لقد استطَاعَ رَسول الله ﷺ أن يحشُدَ ثلاثين ألف مقاتل[١] مِن المهاجِرينَ والأنصارِ وأهْل مكَّة والقبائلِ العَربية الأُخرىٰ.

ولقد أعلن رسُولُ الله ﷺ علىٰ غيرِ عَادته في غزواته هَدفَه ووجهته في القِتال، إذ أعلن صراحةً أنَّه يريد قتال بني الأصفر (الروم)، عِلمًا بأن هديه في معظم غزواته أن يورِّي فيها[٢]، ولا يصرِّح بهدَفِه ووجهته حفاظًا علىٰ سرية الحركة ومباغتة العدو[٣].

وقد استدلَّ بعضُ العلماء بهذا الفعل علىٰ جوازِ التصريح بجهَةِ الغزو، إذا لم تقتض المصلحة ستره، وجاء التصريح ﷺ في هذه الغَزوَة لأسباب منها:

١- **بُعْد المسافة:** فقد كان رسولُ الله ﷺ يدرك أنَّ السَّير إلىٰ بلاد الروم يُعدُ أمرًا صعبًا، لأن التحرك سيتم في منطَقة صحراويَّة مُمتدة قَليلة الماء والنبات، ولا بدَّ حِينئذ من إكمال المؤنة، ووَسائل النقل للمُجاهدين قبل بدءِ الزحف، حتىٰ لا يؤدي نَقصُ هَذه الأمور إلىٰ الإخفاق في تحقيق الهدف المنشود.

٢- **كثرة عدد الروم:** بالإضَافة إلىٰ أنَّ مُواجهتهم تتطلب إعدادًا خاصًّا، فهم

---

(١) انظر «الصراع مع الصليبيين»: ص (٩٧).

(٢) انظر السابق: ص (٩٧).

(٣) المصدر السابق: ص (٩٧).

عدو يختلف في طبيعته عن الأعداء الذين واجههم النَّبيّ ﷺ من قبل، فأسلحتُهم كثيرةٌ ودرايتُهم بالحرب كبيرة، وقدرتهم القتالية فائقة[(١)].

٣- شدة الزمان: كي يقف كلُّ امْرئ على ظروفه، ويُعدُّ النَّفقة اللازمةَ لَه في هذا السفر الطويل لمن يعول وراءه[(٢)].

إنه لم يعد مجال للكتمان في هذا الوقت؛ حيثُ لم يبق في جزيرة العرَبِ قوَّة معادية لها خطرها تستدعي هذا الحَشد الضَّخم سوى الرومان ونصارى العرب الموالين لهم في منطقة تبوك ودومة الجندل والعقبة[(٣)].

لقد شَرع رسولُ الله ﷺ لنا الأخذَ بمبدأ المرونَة عند رسم الخُطط الحَربيَّة ومراعاة المصلحة العامَّة في حالي الكِتمان والتصريح، ويُعرف ذلك من مقتضيات الأحوال[(٤)]. ولمَّا عَلم المُسلمُون بِجِهة السَارعوا إلى الخُروج إلَيها، وحث الرسول ﷺ على النفقة قائلًا: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنَّةُ»[(٥)].

واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة محَمَّد بْن مسلمة الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وخلَّف علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على أهْلِه، فأرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلَّفه إلا استثقالًا وتخففًا منه، فأخذ علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سِلاحه ثُمَّ خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نَازلٌ بالجرف[(٦)]، فقال: يَا نبيَ الله؛ زعم المنافقون أنك إنَّما

---

(١) انظر «الرسول القائد»: ص (٣٩٨).

(٢) انظر «البداية والنهاية»: (٥/ ٤).

(٣) انظر «غزوَة تبوك»، محمد أحمد باشميل: ص (٥٧).

(٤) انظر «القيادة في عهد الرسول ﷺ»: ص (٥١٠).

(٥) أخرج البخاري في كتاب: فضائل الصحابة، باب: مناقب عثمان بن عفان، أن النَّبيّ ﷺ قال: «من جهز جيش العسرة فله الجنة، فجهزه عثمان»، البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان. برقم: (٣٤٩٢).

(٦) انظر «زاد المعاد»: (٣/ ٥٢٩).

خَلَّفتني لأنك استثْقَلتَني وتخففْتَ مني، فقال: «كَذَبُوا، وَلَكِنِّي خَلَّفْتُكَ لِمَا تَرَكْتُ وَرَائِي، فَارْجِعْ فَاخْلُفْنِي فِي أَهْلِي وَأَهْلِكَ، أَفَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَىٰ؟ إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي؟»(١)، فرجع عليٌّ إلىٰ المدينة(٢).

وكان استخلاف علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في أهله باعْتبَار قرابته ومصاهرَتِه، فكان استخلافه في أمر خاص، وهو القيام بشأن أهله، وكان استخلاف محمد بن مسلمة الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الغَزوَة نفسها اسْتخلافًا عامًّا، فتَعلق بعض الناس بأن استخلاف علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يشير إلىٰ خلافته من بعده، ولا صحة لهذا القول، لأن خلافته كانت في أهله خاصة(٣).

❍ أحداث في ثنايا الطريق وحال الوصول إلى تبوك:

وبعد تعبئَةِ الجَيش وتوزيع المهامِّ والألْوِية والرايات، توجَّه الجيش الإسْلامي بقِيَادة رسول الله ﷺ إلىٰ تبوك، ولم ينتظر أحدًا قدْ تَأخر، وقد تأَخَّر نفرٌ مِن المسلمين يُظنُّ فيهم الخير، وكلما ذكر لرسول الله اسم رجل تأخر قَال ﷺ: «دَعُوهُ، إِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمُ اللهُ مِنْهُ»(٤).

١- قصة أبي خيثمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

قال ابنُ إسحاق: «ثمَّ إن أبا خيثمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(٥) رجَعَ بَعد أن سَار رسول الله

---

(١) البخاري، كتاب المغازي: رقم (٤٤١٦).

(٢) انظر «زاد المعاد»: (٣/ ٥٣٠).

(٣) انظر «صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة»، المؤلف: محمد فوزي فيض الله، الناشر: دار القلم – دمشق، الدار الشامية – بيروت، سنة النشر: ١٤١٦ – ١٩٩٦م: ص (٤٦٦-٤٦٧).

(٤) «المستدرك على الصحيحين»، للحاكم: (١٠/ ١٦٢)، وقد صححه ووافقه الذهبي، و«دلائل النبوة»، للبيهقي: (٥/ ٢٩٧). وينظر «زاد المعاد»: (٣/ ٥٣٣). ولم يحسن هذه الرواية إلا ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ. انظر «البداية والنهاية»: (٥/ ١٢).

(٥) أبو خيثمة اسمه مالك بن قيس يعني الأنصاريّ. قال ابن إسحاق: كان فيمن تخلف عن =

ﷺ أيَّامًا إلى أهله في يومٍ حار، فوجدَ امرأتين له في عريشين لهُما في حائطه(١) قد رشَّت كل واحدة منهمَا عَريشها، وبردت له فيهِ ماء، وهيأت لَه فِيه طعامًا، فلما دخل قَام على باب العريش، فنظَر إلى امرأتيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وما صَنعتا له، فَقال: رسولُ الله ﷺ في الضَّح(٢)، والريح والحر، وأبُو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حَسناء في ماله مُقيم، ما هذا بالنَّصَف!

ثُمَّ قال: والله لا أدخُل عريش واحدة منكما حتَّى ألحق برسول الله ﷺ فهيِّئا لي زادًا، ففَعلتا ثم قدم ناضحه(٣)، فارتَحله، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتَّى أدركه حين نَزل تبوك، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٤) ما في الطريق، يَطلب رسول الله ﷺ، فترافقا حتَّى إذا دنوا من تَبوك،

= رسول الله ﷺ في غَزوَة تبوك أبو خيثمة أحد بني سالم بن عوف وكان لا يتهم في إسْلامه. وقد قال الواقديّ: إن اسم أبي خيثمة هذا عبد اللَّه بن خيثمة، وإنه شهد أحدا، وبقي إلى خلافة يزيد بن معاوية. قال ابن عبدالبر: اسمه عَبْد اللَّه بْن خيثمة. وقيل مالك ابن قيس، أحد بني سالم، من الخزرج. شهد أحدا مع النَّبيّ ﷺ، وبقي إلى أيام يزيد بن معاوية، ولا أعلم في الصحابة من يكنى أبا خيثمة غيره إلا عبد الرحمن بن أبي سبرة الجعفي والد خيثمة بن عبد الرحمن صاحب ابْن مَسْعُودٍ، فإنه يكنى أبا خيثمة. ينظر «معجم الصحابة»، للبغوي: (٥/ ٢٥١)، و«معرفة الصحابة»، لأبي نعيم: (٥/ ٢٨٧٩)، و«معرفة الصحابة»، لابن منده: (ص: ٨٤٧)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر: (٤/ ١٦٤١)، و«الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر: (٧/ ٩٣).

(١) أي بستانه.

(٢) الضح: أي في الشمس. ينظر «الإملاء المختصر في شرح غريب السير»: (ص: ٤٢٤).

(٣) ناضحه: أي جملة. ينظر «الإملاء المختصر في شرح غريب السير»: (ص: ٤٢٤).

(٤) هو: عُمَيْرُ بن وهب بن خلف بن وهب بن حُذَافَةَ بن جُمَحٍ، ويكنى أبا أمية وأمه أم سُخَيْلَةَ بنت هاشم بن سعيد بن سهم وكان لعمير من الولد وهب بن عمير، وكان سيد بني جمح وأمية، وأبي، وأمهم رقيقة، ويقال: خالدة بنت كلدة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح، وكان =

قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إنَّ لِي ذنبًا فلا عَليك أن تخلف عنِّي حتَّىٰ آتي رسول الله ﷺ، ففعل حتىٰ إذا دَنا مِن رسول الله ﷺ وهو نازل بتَبوك، قال الناس: هذا راكبٌ عَلىٰ الطريق مقبل، فقَال رسول الله ﷺ: «كُنْ أَبَا خَيْثَمَة»، فَقالوا: يا رسولَ الله، هوَ والله أبو خيثمة.

فلمَّا أناخَ أقبلَ فسلَّم علىٰ رسول الله ﷺ، فقَال لَه رسول الله ﷺ: «أَوْلَىٰ لَكَ يَا أَبَا خَيْثَمَة»[(١)]، ثمَّ أخبرَ رَسول الله ﷺ الخبَر، فقال له رسول الله خيرًا ودعا له بخير»[(٢)].

قال ابن هشام: وقَال أبُو خيثمة في ذلك شِعرًا، واسمه مَالك بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ فِي الدِّينِ نَافَقُوا ... أَتَيْتُ التِي كَانَتْ أَعَفَّ وَأَكْرَمَا
وَبَايَعْتُ بِالْيُمْنَىٰ يَدِي لِمُحَمَّدٍ ... فَلَمْ أَكْتَسِبْ إِثْمًا وَلَمْ أَغْشَ مُحَرَّمَا
تَرَكْتُ خَضِيبًا فِي العَرِيشِ وَصِرْمَة ... صَفَايَا كِرَامًا بُسْرُهَا قَدْ تَحَمَّمَا
وَكُنْتُ إِذَا شَكَّ المُنَافِقُ أَسْمَحَتْ ... إِلَىٰ الدِّينِ نَفْسِي شَطْرَهَ حَيْثُ يَمَّمَا[(٣)]

٢- قصة أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٤)]:

= عمير بن وهب قد شهد بدرا مع المشركين وبعثوه طليعة ليحزر أصحاب رسول الله ﷺ، ويأتيهم بعددهم وعدتهم، ففعل، وقد كان حريصا علىٰ رد قريش عن لقي رسول الله ﷺ ببدر، فلما التقوا كان ابنه وهب بن عمير فيمن أسر يوم بدر. أسلم بعد بدر بالمدينة، قدمها ليقتل النَّبيّ ﷺ فهداه الله فأسلم، ثم رجع إلىٰ مكة مسلما. ينظر «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم: (٤/ ٢٠٩٣)، «الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد: (٤/ ١٩٩).

(١) أجدر بك.

(٢) «صحيح الترغيب والترهيب»: (٢٩٢٤).

(٣) انظر «البداية والنهاية»: (٥/ ٨).

(٤) أبو ذر الغفاري: صاحب رسول الله ﷺ. اختلف في اسمه واسم أبيه اختلافا" كبيرا"، فقيل: اسمه جندب بن جنادة، وقيل: برير بن جنادة، وقيل: برير بن جندب، وقيل: برير بن عشرقة، =



قال ابن إسحاق: «ثم مضىٰ رسول الله ﷺ سائِرًا، فجعل يتخلف عنه الرَّجل، فيقولون: يا رسول الله، تخلَّف فلان، حتىٰ قيل: يا رَسول الله، قد تخلف أبو ذر، وأبطأ به بعيره، فقال: «دَعُوهُ، فَإِنْ يَكُ فِيهِ خَيرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللهُ بِكُمْ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدَ أَرَاحَكُمُ اللهُ مِنْهُ»[١].

وتلوَّم[٢] أبو ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ علىٰ بعيره، فلمَّا أبطأ عليه، أخذَ مَتاعه فحمَلَه علىٰ ظهرِه، ثمَّ خرَج يتبع أثرَ رسول الله ﷺ ماشيًا، ونَزل رسولُ الله في بعض منَازله، فنَظر ناظرٌ من المسلمين فقال: يَا رسول الله، إنَّ هذا الرجل يمشي علىٰ الطريق وحدَه، فقال رسول الله: ﷺ «كُنْ أَبَا ذَرٍّ»[٣].

فلما تأملَه القَوم قالوا: يا رسولَ الله، هو والله أبو ذر، فَقال رَسول الله: «رَحِمَ

= جندب بن عبد الله. وقيل: جندب ابن السكن، والمشهور جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن الوقيعة بن حرام بن غفار، وقيل: جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن صعير بن حرام بن غفار بن مليل بن ضمرة ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر. وأمه رملة بنت الوقيعة من بني غفار بن مليل، وكان أخا عمرو بن عبسة لأمه. روي عنه أنه قال: أنا رابع الإِسْلام. ويقال: كان خامسا" في الإِسْلام، أسلم بمكة، ثم رجع إلىٰ بلاد قومه، ثم قدم المدينة. قال الذهبي:: أحد السابقين الأولين، من نجباء أصحاب محمد -ﷺ، وكان يفتي في خلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان. وقال أبو عبيد الآجري، عن أبي داود: لم يشهد بدرًا، ولكن عمر الحقه مع القراء، وكان يوازي ابن مسعود في العلم، وكان رزق أبي ذر أربع مائة دينار. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي: (٣٣/ ٢٩٤)، و«معجم الصحابة»، للبغوي: (١/ ٥٢٧)، و«سير أعلام النبلاء»، للذهبي: (٢/ ٤٦).

(١) سبق تخريجه: (صـ: ٩٦).

(٢) تلوم علىٰ بعيره: تمهل.

(٣) كن أبا ذر: لفظه الأمر ومعناه الدعاء أرجو الله أن تكون أبا ذر.

اللهُ أَبَا ذَرٍّ يَمْشِي وَحْدَهُ وَيَمُوتُ وَحْدَهُ وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ»(١)، ومضى الزَّمان وجاءَ عَصر عثمان، ثم حدثَت بعض الأمور وسُيِّر أبو ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى الرَّبذة(٢)، فلما حَضره الموت أوصى امرأته وغُلامه: «إذا مِتُّ فاغسِلاني وكَفِّنَاني، ثم احمِلاني فضَعَاني على قَارعَة الطَّريق، فأوَّل رَكب يمرُّون بكُم فَقولوا: هذا أَبُو ذر»، فلَمَّا مات فَعلوا به كذلك فطلع ركب فما علموا به حتى كادت ركَائبهم تَطأ سريره، فإذا ابْن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في رهط من أهلِ الكوفة، فقال: مَا هذا؟ فقيل: جِنَازة أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فاسْتَهَلَّ ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يبكي، فقال: صدَق رسول الله ﷺ: «يَرْحَمُ اللهُ أَبَا ذَرٍّ، يَمْشِي وَحْدَهُ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ»، فنزَل فوليَه بنفْسِه حتَّى دفنه(٣).

سادسًا: الوصول إلى تبوك:

عندما وصَل النَّبيّ ﷺ لم يجد أثرًا للحُشود الرُّومانية ولا القبائل العرَبيَّة، وبالرَّغم من أن الجَيش مكث عشْرِين ليلةً في تَبوك، لم تفكر القيادة الرُّومانية مطلقًا في الدخول مع المسلمين في قتال، حتى القبائل العربية المتنصرة آثَرت السُّكون.

---

(١) انظر «السيرة النبوية»، لابن هشام: (٤/ ١٧٨).

(٢) بلدة في قلب نجد، وهي من منازل الحجاج بين العراق ومكة وإليها نفى الخليفة عثمان بن عفان أبا ذر الغفاري، ثم خربت سنة ٣١٩ هـ بعد اتصال الحروب بينها وبين بلدة (ضرية) المجاورة وانتصار القرامطة لأهل (ضرية) في تلك السنة، فهرب أهل الربذة وخربت - تعريف بالأماكن الواردة في البداية: (١/ ١٧٦).

(٣) ضعفه أحمد والبخاري والنسائي وأبو داود والدرقطني، وابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر: (١١/ ١٢٢)، والشيخ الألباني في «صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته»: برقم (٣٨٣٠). أما محققا سيرة ابن هشام فقد ذكرا أن إحدى روايتي المسند رجالها رجال الصحيح، والأخرى لولا أن في سندها الأشتر لكان سندها حسنًا. وقد حسَّن الرواية السندي في «الذهب المسبوك»: (ص ٣٠٧- ٣٠٩)، والخلاصة: أن محققي سيرة ابن هشام والسندي قد حسنوا سند الرواية لطرقها.



أما حكَّام المُدن في أطراف الشَّام، فقد آثروا الصُّلح ودَفع الجزية، فقَد أرسل ملِك أيلَة للنبيِّ ﷺ هديَّة، وهي بَغلة بيضاء وبُرد -أكْسِية وثِيَاب-، فصالحه على الجزيَة، وأرسل خَالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١) على رأسِ سَرية مِن الفُرسان بلغ عدَدُها أربعمائَة وعِشرين فارسًا إلى دَومَة الجندل، واستَطَاع خالد بن الوليدِ أن يأسِر أكيدر بن عبد الملك الكندي- مَلكها - وَهُو في الصَّيد خَارجها(٢) فصالَحه النَّبيّ ﷺ على الجزية(٣).

وقد تعجب المسلمون مِن قِباء -من دِيباج محَلًّى بالذهب- كَان أكيدر يلبسه، فقال الرسول ﷺ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ هَذَا؟ فَوَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَمَنَادِيلُ سَعْد بْنَ مُعَاذٍ فِي الجَنَّةِ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا»(٤).

---

(١) هو: خالد بن الْوَلِيدِ بن المغيرة بْن عَبد الله بْن عُمَر بْن مخزوم القرشي المخزومي، أَبُو سُلَيْمان الحجازي، سيف اللهَّ الفاتح الكبير. وأمه لبابة الصغرى بنت الحارث ابن حزن الهلالية أخت ميمونة بنت الحارث زوج النَّبيّ ﷺ، وَقَال الحاكم أَبُو أَحْمَد: أمه لبابة الكبرى، ويُقال لها عصماء. كان من أشراف قريش في الجاهلية، وأسلم قبل فتح مكة سنة ٧هـ فسر به رسول الله ﷺ وولاه الخيل. ولما ولي أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجهه لقتال مسيلمة ومن ارتد من أعراب نجد، ثم سيره إلى العراق ففتح الحيرة وجانبًا عظيمًا منه، ثم أمره بالمسير إلى الشام مددًا للمسلمين باليرموك. وكان له أثره في النصر ولما ولي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عزله عن قيادة الجيوش بالشام وولى أبا عبيدة بن الجراح، فلم يثن ذلك من عزمه، واستمر يقاتل بين يدي أبي عبيدة إلى أن تم لهما الفتح سنة ١٤هـ. قال أبو بكر: عجزت النساء أن يلدن مثل خالد. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي: (٨/ ١٨٧)، و«الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر: (١/ ٤١٣)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر: (٢/ ٤٢٧).

(٢) انظر «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر: (١/ ٤١٢-٤١٥)، من طريق ابن إسحاق بإسناد حسن.

(٣) انظر «السيرة النبوية»، لابن هشام: (٤/ ١٨٠).

(٤) المصدر السابق: (٤/ ١٨٠): بإسناد حسن.

وقد ورَد أنَّ غَنائم خالد مِن أكيدر كانت ثمانمائة من السَّبي، وألف بَعير، وأربَعمائة درع وأربعمائة رمح[1]، وقد وَصَلت إلى تَبوك هديَّة مَلك أيلة للنَّبي ﷺ، وهي بغْلَة بيضاء وبرد، فصالَحه على الجزية[2]، وكَتب رسولُ الله ﷺ مُعاهدات لكلٍّ مِن أهل جرباء وأذرح[3]، ولأهل مقنا[4]، ويُؤدي بمُوجَبها هَؤُلاءِ النَّاس من نصَارىٰ العرب الجزية كل عام، وتخضع لسلطان المسلمين.

لقد انفَرَد رَسولُ الله ﷺ بالإمارات الوَاقعَة في شمال الجزيرَةِ وعقَد معها معاهدات، وبذلك أمَّن حدودَ الدولة الإسْلامية الشماليَّةِ[5]، وبهذه المعاهدات قصَّ ﷺ أجنحةَ الرُّوم، فقد كانت هذهِ القبائل تابعةً للروم ودخلوا في النَّصرانية، فإقدامُ من أقْدَمَ منها على مصالحة رسولِ الله ﷺ والتزامها بالجزية يُعتبرُ قطعًا للطريق على الرُّوم في محاولتها غزو المسلمين، وبترًا لحبال تبعية هذه القبائل لها، بل وتحريرًا لهذه القبائل من مملكة الرُّومان التي كانت تذلهم وتخضِعُهم لسلطانها، لينالوا من تَساقُطِ فُتاتها شيئًا يعيشون بهِ، وخوفًا من ظلمهم لقوتهم الباطشَةِ، وقد وفَّوا بعهد الصلح والتزموا أداء الجزيَةِ، فأعطوها عن يد وهم صاغرون[6].

---

(١) انظر «البداية والنهاية»: (٥/ ١٧)، وفي اسناده ابن لهيعة عن أبي الأسود، وابن لهيعة ضعيف فضلًا عن إرسال عروة.

(٢) انظر «المجتمع المدني»، للعمري: ص (٢٤١).

(٣) «المغازي»: (٣/ ١٠٢٣).

(٤) انظر «الوثائق السياسية في عهد النبوة والخلافة الراشدة»، المؤلف: محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي (المتوفىٰ: ١٤٢٤هـ)، الناشر: دار النفائس – بيروت، الطبعة: السادسة ١٤٠٧هـ: ص (١١٩-١٢٤).

(٥) انظر «الصراع مع الصليبيين»: ص (٢١٧).

(٦) «محمد رسول الله»، للصادق عرجون: (٤/ ٤٧٩).

وهذه سياسة نبويَّة حكيمة اختطَّها رسول الله ﷺ في بناءِ الدولة ودعوَةِ الناس لدينِ الله، فقد استطاعَ أن يفصل بينَ المسلمين وبَينَ الروم بإمارَات تَدين للرسول بالطاعَةِ، وتخضع لحكْمِ المسلمين، وأصبحَتْ في زَمن الخلفاء الرَّاشدين نقاطَ ارتكَاز سهَّلت مهمة الفَتح الإِسْلامي في عهدهم، فمنْهَا انطلقت قواتُ المسلمين إلى الشَّمال، وعليها ارتَكزت لتحقيق هدفها العظِيم(١). ولا يخفى أنَّ مِن أحداث هذه الغَزوَة ما كان من قصة الثَّلاثة الذين خُلِّفوا: هِلال بن أمية(٢) ومَرارة بن الربيع(٣) وكَعب بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ(٤).

---

(١) انظر «الصراع مع الصليبيين»: ص (٢٢١). بتصرف يسير.

(٢) هو: هلال بن أميَّة بن عامر بن قيس بن عبد الأعلم بن عامر بن كعب بن واقف الأنصاريّ الواقفيّ، شهد بدرا وما بعدها أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم، روى عنه ابن عباس، وجابر، وهو القاذف امرأته فلاعنها، بقي بعد النَّبيّ ﷺ دهرا، وقال محمد بن سعد: هو هلال بن أمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلى بن عامر بن كعب بن واقف: وكان هلال قديم الإِسْلام، كسر أصنام بني واقف، كانت معه رايتهم يوم الفتح، أمه أنيسة بنت الهدم أخت كلثوم بن الهدم، الذي نزل عليه النَّبيّ ﷺ بقباء. «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم: (٥/ ٢٧٤٩)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر: (٤/ ١٥٤٢)، و«الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر: (٦/ ٤٢٨).

(٣) هو: مرارة بن الربيع، وقيل: ابن ربيعة الأنصاري العمري، من بني عمرو بن عوف. وقال هشام بن الكلبي: هو مرارة بن ربعي بن عدي بن زيد بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس. شهد بدرا، وهو أحد الثلاثة الذي تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غَزوَة تبوك، فنزل القرآن في شأنهم: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [سورة التوبة: ١١٨]. ينظر «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر (٣/ ١٣٨٢)، «أسد الغابة»، لابن الأثير: (٥/ ١٢٩)، «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم: (٥/ ٢٥٧٠)، «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر: (٦/ ٥٢).

(٤) انظر قصتهم في شيء من كتب التفسير أواخر سورة (التوبة)، من آية (١١٨-١١٩)، أو «السيرة العطرة».

❍ موقف ابن سلول ومن معه من غَزْوَة تبوك:

لقد تَعدَّدت وتنَوَّعت أدوار المنافقين عُمومًا في هذه الغزوة، ومواقفُ ابن سلول **خصوصًا**..

❍ مواقف المنافقين قبل الغزوة:

١. القعود عن المشاركة: وهذه القَضيَّة عَلى شِقَّين:

أ) قعود عن الخروج للغَزوِ والجِهاد في سبيل الله، وهذا شأنُهُم في سَائر الغزَوَاتِ التي يعلَمون قوة شَوكة العَدو فيهَا وكَثرته، وقد أوضَحَت الآياتُ هذا المعنى كالذي جَاء في قولِه تعالى: ﴿ فَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة التوبة: ٨١] الآية.

بل كانوا ممَّن استَولتْ عَليهم ثقلَة الأرضِ وجَواذب الدنيا، ومعْلوم أنَّهم كغيرِهم ممَّن أشركوا بالله لا همَّ لأحدِهم إلا طول العُمر في هذه الحياة؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [سورة التوبة: ٣٨].

ثم ذَكر الله عنهُم كَذلك أن قعُودَهم وتخلفَهُم كان عن سَبق إصْرار، وتبييتِ قَصد، وإلا لشمَّروا وبادروا، فقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴾ [سورة التوبة: ٤٦]. إلى غير ذلك مِن الآيَاتِ الدَّالة على هذا الخُلق المُتأَصّل في نفوسِهم، المُوحي بخوفهم وهلعِهم وانْزوَائهم عن ميادين الجهاد في سبيل الله.

ب) قعودُهُم عن الإنْفَاق في سبيل الله، هَذا لون آخَر مِن ألوان الانخِذَال والتخلُّف عَن البَذل والعطاء؛ فالشُّحُّ والبُخل خلَّة من خلاهم وسِمَة بارزة من

سِماتهم، وليتَهُم إذ كانوا كذلكَ اقْتصروا علىٰ أَنْفُسِهم، بل شَحُّوا ورغَّبوا إلىٰ غَيرهم الشُّح وبَخلوا وأمروا الناس بالبُخل، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [سورة الحديد: ٢٤].

٢. التخلف والدعوة للتخلّف:

ليت المنافِقينَ إذْ لم يَنفِروا للجِهاد ويخرُجوا للغَزوِ اكتَفوا بذلك، ولكنهم جَنَحوا بعد ذلك إلىٰ تَوهِين العزَائِم والتَّخذِيل عن المشَارَكة، وقَد سبق ذكر آيات في ذلك فيما مضىٰ، منها قولُه: ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الأحزاب: ١٨].

ولئِن كَانت هذه الآية في سِياق غَزوَة الأحزَاب، إلا أنَّ ذلكَ ديدنُ المنافِقين في كُل غَزوَة ومعركة، ولا أدَلَّ علىٰ ذلك من قول الله تعالىٰ في غَزوَة تبوك: ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾ [سورة التوبة: ٨١].

٣. ﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا﴾ [سورة التوبة: ٤٢]:

هذا بيانٌ لسَبب من أسْبَاب تخلُّفِهم قال فيه سبحانه: ﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة التوبة: ٤٢].

فقد بين سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ موقِفَ المنافقين، وأنَّهم تَخلَّفوا بسببِ بُعد المسافة وشِدَّتها، وأنَّه لو كان الذِي دَعوتَهم إليه يا مُحمَّد عرضًا من أعراض الدُّنيا ونَعيمها، وكان السفر سهلًا لاتبعوك في الخُروج، ولكنهم تخلَّفوا ولم يخرجُوا، فالآية تشْرَح وتُوضِّح ملابسات موقفهم قبل الخروج إلىٰ الغَزوَة وأسباب هذا الموقف.

٤. مقولَة أحَدِهم: ﴿ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ﴾ [سورة التوبة: ٤٩]..

وهذا من أعذار المُنافقين الواهية، أن منهم من يخشىٰ علىٰ نفْسِه فتْنَة النِّساء، فقد قال رسول الله ﷺ -وهُو في جِهازه لِتَبوك- للجدِّ بن قيس: «يَا جَدُّ؛ هَلْ لَكَ العَامَ فِي جِلَادِ بَنِي الأَصْفَرِ؟». فقال: يا رسول الله، أو تَأْذن لِي ولَا تَفْتِنِّي. فَو الله لقد عرف قومي أنَّه ما من رجل أشد عَجبًا بالنِّساء مني، وإني أخشىٰ إنْ رأيتُ نِساء بني الأصفر أن لا أصْبِر، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «قَدْ أَذِنْتُ لَكَ»[1]، فَفِيه نزلت الآية: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة التوبة: ٤٩].

٥. وكر المؤامرات السري:

تظل الصلةُ الحمِيمةُ والرَّابطةُ الوثِيقةُ بَين اليهود والمُنافقين لا تَنفصِم عُراها، يَتآزرون علىٰ العُدوَان ويتَعاضدُون في الشَّرِّ والصد عن الإِسْلام..

روىٰ ابن هشام بسنده إلَىٰ عبد الله بن حارثة[2]، قال: «بَلغ رَسولَ اللهِ ﷺ أنَّ أناسًا من المنافِقِينَ يَجتمعون في بَيتِ سويلم اليهودي، يُثبِّطون النَّاس عَن رسول الله ﷺ في غَزوَة تبَوك، فبعثَ إليهم طلحة بن عبيد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في نَفرٍ مِن أصْحَابه، وأمَرهم بِحرْق بَيت سويلم علَىٰ مَن فيهِ مِن المُنافقين، ففَعل، فاقْتَحم

(١) «السلسلة الصحيحة»: (٢٩٨٨).

(٢) هو: عبد اللهَّ بن حارثة بن النعمان بن نَفْعِ بن زيد بن عُبَيْدِ بن ثَعْلَبَةَ بن غَنْمٍ لأنصاري. تقدّم نسبه مع أبيه. وقال ابن سعد: أمه أم خالد بن يعيش أسلمت وبايعت، ولأخواته: أم هشام، وعمرة، وسودة صحبة. وقال البغوي: سكن المدينة. وقال ابن أبي حاتم: وروىٰ عنه ابنه إبراهيم بن عبد اللهَّ بن حارثة. وقال ابن عبدالبر: لَهُ صحبة ورواية. وأبوه حارثة ابن النعمان من كبار الصحابة. «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر: (٣/ ٨٨٦)، و«الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر: (٤/ ٤٥)، و«معرفة الصحابة»، لأبي نعيم: (٣/ ١٦٢٤)، و«معجم الصحابة»، للبغوي: (٤/ ٧٧)، «معجم الصحابة»، لابن قانع: (٢/ ٦٩).

الضَّحَّاك بن خليفة ظَهر البَيت فانْكسَرت رِجلُه واقتحمَ أصحَابُه فَأفلَتوا»[١].

وقد قال الضحاك في تلك الحادثة أبياتًا فيها:

كَادَتْ وَبَيْتِ اللهِ نَارُ مُحَمَّدٍ يَشِيطُ بِهَا الضَّحَّاكُ وَابْنُ أُبَيْرِقِ

وَظَلْتُ وَقَدْ طَبَّقْتُ كِبْسَ[٢] سُوَيْلِمٍ أَنُوءُ عَلَى رِجْلِي كَسِيرًا وَمِرْفَقِي

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لا أَعُودُ لِمِثْلِهَا أَخَافُ وَمَنْ تَشْمَلْ بِهِ النَّارُ يُحْرَقُ[٣]

ويؤخذ من هذا الأمر النبوي الواضح الجلي فوائد عديدة منها:

١. أن شأنَ المُنافقين قد بلغ مِن الأذىٰ والاستفْحَال مَا لَمْ يَعُد يُجدي معه إلا الحزم وقطع الدابر واستئصال الشَّأفه، إذا تبيَّنت دسِيسَتُهم وظهر تآمُرُهم.

٢. ثمَّ إنَّ هَذا يدل علىٰ مراقبة المُسلمين الدَّقيقَة، ومعرفَتُهم بأحوالِ المُنافقين واليَهود.

فقَد كانَت عيون المُسلمين يقِظَة تراقب تَحرُّكات اليَهود والمنافقين واجتماعاتهم وأوكارهم، بل كانوا يطَّلِعون فيها علىٰ أدقِّ أسرارهم واجتماعاتهم، وما يدور فيها من حبْكِ المؤامرات وابتكَار أساليب التَّثبيط، واختلاق الأسبَاب الكاذبةِ لإقْناع النَّاس بعدمِ الخروج للقِتَال، وقد كان علاجُ رسول الله لدُعَاة الفتنة وأوكَارِها حازمًا حاسمًا، إذ أمر بحرق البيت علىٰ من فيه من المنافقين[٤].

---

(١) رواه ابن هشام في «سيرته» بإسناد منقطع فهو ضعيف: (٤/ ٢١٧ - ٢١٨). وقد رجعت لعدد من كتب السيرة المحققة فلم أجدهم ذكروها ومن أوردها ذكر ضعفها مثل «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية»: (٢/ ١٩٩) د. مهدي رزق الله.

(٢) الكَبْسُ: طَمُّك حُفرة بتراب وكبَسْت النهرَ والبئر كَبْسًا طَمَمْتها بالتراب وقد كَبَسَ الحفرة يَكْبِسُها كَبْسًا طَواها بالتراب. «لسان العرب»: (٦/ ١٩٠).

(٣) ينظر «الروض الأنف»: (٤/ ٢٩١)، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي.

(٤) «السيرة النبوية دراسة تحليلية»: (٦٠١). وانظر لمزيد اطلاع في مبحث مسجد الضرار: (١/ ٣٨٠).

وقد تمَّ ذلِك، ولَم يُنقل عن النَّبيّ ﷺ أنَّه عوَّض الضَّحَّاك المنافق في كسْر رِجله، ولَم يعوِّض سُويلم لحَرقِ بَيته، وهو مالٌ متقوَّم(١)، وكَما فَعل عليه الصلاة والسلام بمسْجِد الضرار.

٦. لمز المطوِّعين من المؤمنين في الصدقات:

لم يكتف المُنافِقون بِشحِّهم عن النَّفقَة في سبيل الله، بل تجاوَزوه إلىٰ أنَّهم مَع بُخلهم كانوا يَأمرون النَّاس بالبُخلِ، ولم يقِفُوا عند هَذا الحَدِّ، بل أخذوا يَسخرونَ ويَهزؤن ويلمزونَ المتَصدِّقين من المؤمنين، المُقلُّ منهم والمستكثر، قال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [سورة التوبة: ٧٩].

ذكر الإمام الطبري فيما رواه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «جاء عبد الرَّحمن بنُ عَوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأربعين أوقِيَّة من ذهبٍ إلىٰ النَّبيّ ﷺ، وجاءَ رجل بصَاعٍ من طعام، فَقال بعضُ المنافقين: والله ما جاء عَبد الرحمن بِما جاءَ بهِ إلا رِياءً! وقالوا: إِن كانَ اللهُ ورسولُه لَغنيين عَن هَذا الصاع»(٢).

فلم يسلم منهم الفقير الذي جاء بمَا يستطِيعُ من صَاع برِّه أو تمره؛ إذْ لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، ولم يَسلم الغَني الذي جاء بِنصْف ماله كما ورد عن عبد الرحمن بن عوف وعمر بن الخطاب وغيرهما رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»(٣).

روىٰ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أُمِرنا بالصَّدقَة، قال: كُنَّا نحامل، قالَ: فَتصدَّق أبو عقيل بِنصف صَاع. قال: وجاء إنسانٌ بشيءٍ أكثر منه.

---

(١) ما يباح الانتفاع به شرعًا أو ما يقابله قيمة في عرف الناس. ينظر «الفقه الإِسْلامي وأدلته»: (٥/ ٤٤).

(٢) «تفسير الطبري»: (١٤/ ٣٨٢).

(٣) سبق تخريجه: (صـ: ٨٩).

فقال المنافقون: إنَّ الله لغَنيٌّ عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رياءً؛ فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾ [سورة التوبة: ٧٩]»(١).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي الرِّواية الثَّانية: (كنا نحامل على ظهورنا) - معناه نَحمِل على ظهورِنا بالأُجرَة- ونتصَدَّق مِن تلك الأجرَةِ، أو نتصَدَّق بها كُلِّها، ففيه التحريض على الاعتناء بالصدقة»(٢).

هَذِه المَواقفُ هِي أبرزُ ما ظهر من المُنافقين قبل غَزوَة تبوك، وحتّى تُربط بالمبحث الذي بين أيدِينا في شأن ابن سَلول، دُونك دوره في تصدُّر تِلك المواقف والأحداث أو تحريكه لها من وراء الكواليس:

أ) فأمَّا قوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ عَرَضٗا قَرِيبٗا وَسَفَرٗا قَاصِدٗا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ﴾ [سورة التوبة: ٤٢] الآية. فَقد نزلت كما ذُكر عِند بعضِهم فِي عَبد الله بن أبي بْن سَلول؛ إذْ كان ممن تخلّف(٣) بل انسحب كما سيأتي ببعض الجيش.

ب) وقوله تعَالى: ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ [سورة التوبة: ٤٦]. فهَذه الآية جَاءت أيَضًا في شأن عبد الله بن أبيِّ بن سلول، والجدِّ بن قيس، وكانوا أشرافًا في قومهم أثرياء(٤): ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ﴾ [سورة التوبة: ٤٦]. هذهِ كذلك آية في شأن ابن سلول ومن عَلى شاكلَتِه من رؤوس

(١) رواه مسلم: (٧/ ١٠٥).

(٢) المرجع السابق.

(٣) «السيرة النبوية»، للصلابي: (٢/ ٥٣٢).

(٤) «تفسير مقاتل»: (٢/ ٦٣)، و«في ظلال القرآن»: (٤/ ٣٥).

النَّفَاق وزبانية المكْرِ والختل(١)، فمع فرحهم بتخلُّفهم عن الجهَادِ وكراهيتهم للخُرُوج مع النَّبيّ ﷺ، كانوا يقولُون للمُؤمِنين عُمومًا ولأتباعهم خُصوصًا: ﴿لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ﴾ [سورة التوبة: ٨١].

ج) وأمَّا قَولُه تَعالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [سورة التوبة: ٧٩] الآية.

فقد رَجعتُ بِحمد الله إلىٰ مَا يزيد عَن خَمسين تَفسيرًا؛ فَلم أجد من ذَكر ابن سلول باسْمه ولا غيرَه عند هَذه الآية، وإنَّما جاء اللَّفظُ عامًّا بقولهم: كان المُنافقون أو بَعضُ المُنافقين يَسخرُون من فقراء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إذا تَبرَّعوا بصاع، ويتَّهمون بالرياءِ من جاء بِشطرِ مَاله، ومعلومٌ سلفًا أن لفظَ المنافقين العام غالبًا ما يدخُلُ فيه بل يكون في طليعته ابن سلول قطع الله نسله.

د) أما تحريق بيتِ سُويلم اليهودي؛ فَهو دليلٌ قاطعٌ علىٰ أن ابن سلول أصبحَ لَه أتباع وأنصار يشكِّلون جيوبًا نفاقية ودَهاليز سرية، صنعهم علىٰ سَمع مِنه وبَصر، فأصبحوا من الدِّربة والمِراس بحيثُ إنَّهم يجتمعون ويتآمرون قاتلهم الله أنىٰ يؤفكون..

❍ وهذا يُفهم منهُ أيضًا أن ابن سلول كان يَعمَل علىٰ الخطَّين ويسْعىٰ لتحقيقِ مُرادين:

الأوَّل: الصدُّ عن سبيل الله، والكيد للمؤمنينَ، والسَّعي في تفريق الصف وتكالب الأعداء علىٰ النَّبيّ ﷺ إلَىٰ غير ذلك.

ثانيًا: إعدادُ جِيل يخلُفه وحفَدة يَحملون الرَّاية من بعدِه، يدأبون دأبَه ويَمكُرون مَكره؛ وهَذا النسل تعَاقب عبرَ القُرون والأزمانِ جِيلًا بعد جِيل، لا كثَّر الله في المسلمين سوادهم.

---

(١) انظر تفسير «تنوير المقباس»، المنسوب لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (١/ ٢١٠)، بتصرف يسير.

هـ). لقد عاتب الله نبيَّه ﷺ عتابًا لطيفًا بقوله سبحانه: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [سورة التوبة: ٤٣].

قال مجاهد(١): «نَزلتْ هذهِ الآيَة في أناسٍ قالوا: استأذِنوا رَسُول الله ﷺ؛ فَإِن أذِنَ لكم فاقْعُدوا، وإن لم يأذن لَكُم فَاقعدوا، وهَؤُلاءِ فَريق من المُنافقين، منهُم عبد الله بن أبي بن سلول، والجدُّ بن قيس، ورفَاعةُ بن التابوت، وكانوا تسعَة وثَلاثين ممَّن اعتذروا بأعذار كاذبة»(٢).

هذِهِ الرِّوَاية تُشِير إلىٰ عزْم ابْن سَلول ومَن مَعَه علىٰ التَّخلُّف سَواءً أُذن لَهم أم لَم يُؤذن لهم، لكنَّهم يفرحون بأَن يُؤذَن لهم ليكُون لَهم تحلَّة قسم، حتىٰ إذا مَا سُئلوا أو أُنكِر عليهم من النَّاس قالوا قد أُذن لنا..

❍ موقف ابن سلول ومن معه في أثناء الغزوة:

عزم المُنافقُون علىٰ المُضيِّ قدمًا في تَحقيق مآربِهم وبُلوغ غاياتِهم، ومع أنَّهم مِن أحرص الناسِ علىٰ حَياة، إلا أن طائِفَة مِنهم قد خَرجَت في الغَزو مُشاركة لا في ساحِ القِتال وميادين الجِهاد، بل ليَقتَنِصوا الفُرص للكَيد والإِرجاف(٣)..

فقد بدر منهم العديد من السلوكيات والأفعال كان منها:

١. التخذيل والإرجاف:

كان جَماعَة مِن المُنافِقين يَسيرون معَ النَّبيّ ﷺ، فَجعل بَعضُهم يقول: أتحسَبُون جلاد بني الأصفر كقِتال العَرب بعضهم بعضًا، والله لكأنَّا بكم غدًا مقرنين في الحِبال، إرجافًا وترهيبًا للمؤمنين، فأُخبر النَّبيّ ﷺ بقولهم، فجاؤا يعتذرون

(١) «تفسير ابن كثير»: (٢/ ٣٦٠).

(٢) «التحرير والتنوير»: (١٠/ ٢١٠).

(٣) «السيرة النبوية الصحيحة»: (٢/ ٥٢٧)، لأكرم ضياء العمري.

ويقولون: إنما كنا نخوض ونلعبُ، فنزل فيهم قول الله تعالىٰ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [سورة التوبة: ٦٥-٦٦](١)، هذا ديدنُ المُنافقين وتِلك سجيَّتُهم، التَّخويف وتوهِينُ القُوىٰ وبثُّ الشَّائعات المخذِّلة(٢)..

٢. الاستهزاء والسخرية:

❍ وقَد ورد سببُ نزولٍ آخر للآية، وهو الأشْهر عندَ المُفسِّرين وغيرهم، ألا وهو: ما رواه ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قالَ رَجل في غَزوَة تَبوك في مَجلسٍ يومًا: ما رأينا مثل قرَّائنا هَؤُلاءِ، لا أرغَب بطونًا، ولا أكذَب ألسنة، ولا أجبَن عند اللقاء.

فقال رجل في المجلس كَذبتَ ولَكنَّك مُنافق. لأخبِرنَّ رسولَ الله ﷺ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزَلَ القُرآن، قال عبد الله: فأنَا رأيتُه متعلقًا بِحقب نَاقة رسول الله والحِجارةُ تَنكبه(٣) وهو يقول: يا رسولَ الله، إنَّما كنا نخوض ونلعب، والرسول ﷺ يقُول: «أَبِالله وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ؟». فَأنزل اللهُ تعالىٰ: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [سورة التوبة: ٦٤-٦٥]».

والاستفهَام في قوله: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة التوبة: ٦٥]، استفهَامٌ إنْكَاريٌّ؛ والمعنىٰ: قل يَا محمد لهَؤُلاءِ مُوبِّخًا ومنكرًا: ألم تجدوا ما تستهزئون به في مزاحكم ولعبكم -كما تزعُمون- سِوىٰ فرائض اللهِ وأحكَامه

(١) «تفسير الطبري»: (١٤/ ٣٣٤)، و«تفسير ابن كثير»، ولفظ الرواية منه: (٤/ ١٧٢).

(٢) انظر لمزيد إيضاح وربط لهذه الآية بالواقع: (١/ ٢٤٥).

(٣) الحجارة تنكبه: تصيبه وتؤذيه.

وآياتِه ورسوله الذِي جاء لهدايتِكُم وإخراجِكُم من الظلمات إلى النور؟.

ثم بيّن سُبحانه أن استهزاءَهم هذا أدَّىٰ بِهم إلى الكُفر، فقال تعالىٰ: ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٦٦ ﴾ [سورة التوبة: ٦٦].

ومعنى الآية: أي: لا تَذكُروا هَذا العُذر لدفعِ هَذا الجُرم، لأن الإقدَام علىٰ الكُفرِ لأجل اللعب لا يَنبغِي أن يكونَ، فاعتذارُكم إقرارٌ بِذنبكم، فَهو كما يقال: عَذرٌ أقبَحُ من ذنب(١).

وقولُه: ﴿إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴾ [سورة التوبة: ٦٦] أي: إن نَعفُ عَن بعضكم لتوبَتهِم وإنابتِهم إلى ربهم - كمخشن بن حمير- نُعذِّب بعضًا آخر لإجرَامِهم وإصرَارِهم عليه(٢).

٣. سخريتهم بالنَّبيّ ﷺ:

لم يقتصرِ استِهزاء المُنافِقين بالمؤمنين، بل تجاوزوا ذلكَ إلى سخريَّتهم وتندُّرِهم بِالنَّبيّ ﷺ، وبما أجرىٰ اللهُ علىٰ يديه من مُعجِزات في هذه الغَزوة؛ فمن ذلك:

أ. سحابة مارَّة:

لما جاوز النَّبيّ ﷺ حجر ثَمود، أصبح الناس ولا مَاء لَهم، فشَكوا إلى رسول الله ﷺ، فدعا رسُول الله ﷺ ربَّه، واستَسقىٰ لمن معَهُ من المسلمين، فأرْسَل الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ سحابةً فأمطرَتْ حتَّىٰ ارتَوىٰ النَّاس واحتَملوا حاجَتهُم من المَاء،

---

(١) ينظر «تفسير المراغي»، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م: (١٠/ ١٥٣).

(٢) ينظر المصدر السابق.

فتحدَّث ابن إسحاق عمَّن قَال لمحمود بن لُبيد[(١)]: «هل كَان النَّاس يعرفون النِّفاق فيهم؟ قال: نعَمْ وَالله! إن كان الرجل ليعرِفُه من أخيهِ ومنْ أبيهِ ومن عمِّه وفي عشيرته، ثم يلبس بَعضُهم بعضًا علىٰ ذلك، ثمَّ قَال محمود: لَقد أخبرني رجَال مِن قومي، عن رَجل من المنافقين مَعروفٌ نفاقه، كان يسيرُ مع رسول الله ﷺ حيثُ سَار، فلمَّا كان من أمرِ النَّاس بالحجَرِ ما كان، ودعا رسولُ الله ﷺ حينَ دَعا، فأرسل اللهُ السَّحابة، فأمطرت حتَّىٰ ارتوىٰ النَّاس، قالوا: أقبَلنَا عليه ونقول: وَيحك! هل بعدَ هذا الشيء؟ قَال: سحابة مارَّة»[(٢)].

ب. خبر ناقة رسول الله ﷺ:

«لمَّا كانَ رَسول ﷺ سائرًا في طريقِه إلىٰ تبوك، ضلَّت نَاقته، فخرَج أصحَابه في طَلبِها وعند رسول الله ﷺ رجُلٌ مِن أصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، يُقال له: عُمارَةُ بن حَزم رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وكان عَقبيًّا بَدريًّا، وهو عم بنِي عَمرو بْن حَزم، وكان في رحْلِه زيد بن اللصِيت القِينقاعي، وكان منافقًا.

(١) هو: محمود بن لبيد بن عقبة بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي، أبو نعيم المدني، وأمه أم منظور بنت محمود بن مسلمة الأنصاري. ولد في حياة النَّبيّ ﷺ، ولم تصح له رؤية ولا سماع من النَّبيّ ﷺ، وقد روىٰ عن النَّبيّ ﷺ أحاديث. قال الذهبي: ولد في حياة النَّبيّ - ﷺ -، وروىٰ عنه أحاديث، لكن حكمها الإرسال علىٰ الصحيح. قال البخاري: له صحبة. وقال ابن عبد البر: هو أسن من محمود بن الربيع. توفي ابن لبيد سنة سبع، وقيل: سنة ست وتسعين. قال ابن سعد: وسمع محمود بن لبيد من عمر، وكان له عقب، فانقرضوا فلم يبق منهم أحد، وتوفي محمود بن لبيد سنة ست وتسعين بالمدينة، وكان ثقة قليل الحديث. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي: (٢٧/ ٣٠٩) «تاريخ الإسْلام»، للذهبي: (٢/ ١١٦٨)، و«معرفة الصحابة»، لأبي نعيم: (٥/ ٢٥٢٤)، و«الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد: (٥/ ٧٧).

(٢) انظر «السيرة النبوية»، لابن هشام: (٤/ ١٧٦)، و«صور وعبر من الجهاد النبوي»: (ص ٤٧٣).

قال زيد بن اللصيت، وهو في رَحْل عمارة عند رسول الله ﷺ: أَلَيسَ مُحمَّد يَزعُم أنه نبي، ويخبرُكُم عن السَّماء وهو لا يدري أين ناقته؟

فقال رسُول الله ﷺ وعُمارة عندَه: «إِنَّ رجلًا قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُخْبِرُكُمْ بِأَمْرِ السَّمَاءِ وَلَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ؟ وَإِنِّي وَالله مَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللهُ، وَقَدْ دَلَّنِي اللهُ عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي هَذَا الوَادِي فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا، قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا، فَانْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُونِي بِهَا»، فذهبوا فجَاؤوا بها، فَرجع عِمارة بنُ حزم إلىٰ رحله، فقال: والله لَعجب مِن شيء حدثناه رسول الله ﷺ آنفًا عن مقالة قائل، أَخْبَر الله عنهُ بِكذا وكذا للذِي قال زيد بن اللصيت، فقَال رجُلٌ ممَّن كَان في رَحل عِمارة، ولم يَحضر رَسُول الله ﷺ: زيد، والله قَال هَذه المقالة قبل أن تَأتي، فأَقبَلَ عِمارة علىٰ زَيدٍ يجأ في عنُقه يَطعنُه فيهِ ويَقول: إلَيَّ عبَاد الله، إن في رَحِلي لداهيَة، ومَا أشعر، أُخرُج أي عدو الله مِن رَحلي فَلا تصحَبنِي». قال ابن إسحاق: «فزعم بعض الناس أن زيدًا تاب بعد ذلك، وقال بعضُ الناس: لم يزل متهمًا بشر حتىٰ هلك»(١).

٤. سبهم النَّبيّ ﷺ:

قال الله تعالىٰ: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة التوبة: ٧٤]، قال ابن كثير إن الضحاك قال:

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في «سيرة ابن هشام»: (٢/ ٥٢٣)، والطبري في «تاريخه»: (٣/ ١٤٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة»: (٥/ ٢٣٢)، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث، وإسناده رجاله ثقات، ولا يظهر جهالة الصحابي. فيكون الحديث صحيحًا، انظر «صحيح السيرة النبوية»: (٥٩٣)، لإبراهيم العلي.



«إنَّ نَفرًا من المُنافقين همُّوا بالفَتك بالنَّبيِّ ﷺ وهو في غَزوَة تبوك في بَعض الليالي في حالِ السَّير، وكانوا بضْعَة عشر رجُلًا نزلت فيهم هذِه الآية»[١]، وفي رِوايَة الوَاحدي عن الضَّحَّاك: «خرج المُنافقون مع رسول الله ﷺ إلىٰ تبوك، فكانوا إذا خلا بعضهم إلىٰ بعض سبُّوا رسول الله ﷺ وأصحَابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وطعنوا في الدِّين، فنَقل ما قالوا حذيفةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلىٰ رَسولِ الله ﷺ فقال لهم رَسولُ الله: «يَا أَهْلَ النِّفَاقِ مَا هَذا الذِي بَلَغَنِي عَنْكُمْ؟». فَحَلَفُوا مَا قَالُوا شَيئًا مِنْ ذَلِكَ، فأنزل الله هذه الآية إكذابًا لهم»[٢].

والمعنَىٰ الإجمَاليُّ للآيَة: يَحلفون بالله أنَّهم ما قالُوا تلك الكَلمَة التي نُسبَت إليهم، والله يُكذِّبُهم ويثبتُ أنَّهم قد قالوا كلِمَة الكُفر التي رُويت عَنهم، ولم يذكر القُرآنُ هَذه الكلمة لأنَّه لا يَنبغِي ذكرها..[٣].

أما القرطُبيُّ فَقال: «**إنَّ المُراد بكلمة الكُفر**: تَكذيبُهم بِما وعدَ اللهُ مِن الفَتح، وسَبُّ النَّبيِّ ﷺ، والطَّعن في الدِّين»[٤].

٥. محاولتهم اغتيال النَّبيِّ ﷺ:

فقد رَوىٰ أبو الطفيل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ[٥] قال: «لمَّا أَقْبَل رَسُول الله ﷺ مِن غَزوَة تَبوك

(١) «تفسير ابن كثير»: (٢/ ٣٧٢).

(٢) انظر «أسباب النزول»، للواحدي: (٢٥١).

(٣) ينظر «حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول ﷺ»، للدكتور محمد بكر آل عابد: (٢/ ٦٦٥).

(٤) «تفسير القرطبي»: (٨/ ٢٠٦)، بتصرف يسير.

(٥) هو: عامر بن واثلة بن عبد الله بن عمرو، أبو الطفيل، الليثي، الكناني، القرشي، صحابي. مشهور بكنيته، روىٰ عن النَّبيِّ ﷺ، وعن أبي بكر وعمر وعلي ومعاذ بن جبل وحذيفة وابن مسعود وابن عباس وغيرهم. وعنه الزهري وقتادة وعبد العزيز بن رفيع وغيرهم وشهد مع علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مشاهده كلها. قال ابن عدي روىٰ عن النَّبيِّ ﷺ. قريبا من عشرين حديثا. وقال مسلم: مات أبو الطفيل سنة مائة، وهو آخر من مات من أصحاب رسول الله ﷺ. ينظر «الإصابة في تمييز الصحابة»، =

أمَر مُناديًا فنَادىٰ: إنَّ رَسول الله آخِذ بِالعقبَة فلا يأخُذها أحَد، فبينَما رسولُ الله ﷺ يقُوده حذيفَة ويسُوقه عمَّار، إذ أقْبل رهطٌ متلثِّمون علىٰ الرَّواحِل فَغشوا عمارًا، وهوَ يَسوق برَسُول الله ﷺ، وأقبل عمَّار يَضرب وُجوهَ الرَّواحِل، فقَال رَسول الله ﷺ لحُذيفة: «قد قد»، حتَّىٰ هَبط رسول الله ﷺ مِن الوادي.

فلمَّا هبط ورجع عمار قَالَ: «يَا عَمَّارُ هَلْ عَرَفْتَ القَوْمَ؟» قال: قَد عرفت عامَّة الرَّواحل والقومُ متلثِّمون، فقال: «هَلْ تَدْرِي مَا أَرَادُوا؟». قَال: اللهُ وَرَسولُه أعْلَم، قال: «أَرَادُوا أَنْ يُنَفِّرُوا بِرَسُولِ الله ﷺ فَيطْرَحُوهُ». قَال: فسأل عمارُ رجلًا مِن أصحاب النَّبيّ ﷺ فقال: نَشدتُك باللهِ كَم تعلم كان أصْحَاب العقبة؟ قال أربَعَة عَشر رجلًا. فقَال: إن كُنت فِيهم فقَد كَانوا خَمسة عَشر.

قال: فعذر رسولُ الله منهُم ثلاثَة. قالوا: ما سَمِعنا مُنادي رَسُول الله ﷺ، ومَا عَلمنَا مَا أراد القومُ، فقال عمار: أشْهَد أنَّ الإثني عَشر البَاقِين حربٌ لله ولرَسُوله ﷺ في الحياة الدُّنيا ويَوم يقوم الأشهاد»(١).

وفي رواية.. قال ﷺ: «إِنَّ المَاءَ قَلِيلُ فَلَا يَسْبِقْنِي إِلَيهِ أَحَدٌ، فَوَجَدَ قَوْمًا قَدْ سَبَقُوهُ، فَلَعَنَهُمْ يَوْمَئِذٍ»(٢).

لقد تمَادىٰ المُنافِقون في غيِّهم وبَلغت جَرأتُهم حدًّا أصْبحت تُهدِّد حَياة المصطفىٰ عليه الصلاة والسلام، وما ذاك إلا لمَا اعْتَلج في نُفوسِهم من حِقدٍ دَفين وغلٍّ مشين.

= لابن حجر: (٤/ ١١٣)، و«أسد الغابة»: (٥/ ١٧٩)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر: (٤/ ١٦٩٦)، و«تهذيب التهذيب»، لابن حجر: (٥/ ٨٣).

(١) أخرجه أحمد في «المسند»: (٢٣٧٩٢)، ورجاله ثقات، قال محققو «المسند»: إسناده قوي علىٰ شرط مسلم، وقال الهيثمي في «المجمع»: (٦/ ١٩٥): ورواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه مسلم: رقم (٢٧٧٩).

هذا ما وَرد ذِكرُه في نُصوص الوحْي مِمَّا بَدر من المُنافِقين في أثْناء الغَزوَة وما خفي كان أعظم.

٦. ابن سلول ينسحب ببعض الجيش:

وحتى لا نذهب بَعيدًا فرَابط هَذه الأحْدَاث بالمبحث الذي مَعنا عن ابنِ سلول الذي له فيها القدح المعلَّى كما يلي:

لقد عاود ابن سلول الكرَّة وانْسحبَ بِبعض الجَيش كما فعل في غَزوَة أحُد؛ حَيث خرج بفئام مِن أصحابه وحُلفائِه، ورابطوا معَهُ في ثنية الودَاع، فلمَّا سَار النَّبيّ ﷺ تخلَّف بِكلٍّ مَن معه، وقال: يغزو مُحمَّد بني الأصفر مَع جُهد الحَال والحر والبلد البَعيد إلَى ما لا طاقة لَه به، أن يَحسَب أن قتالهم معَه اللَّعب، والله لكأنِّي أنظر إلى أصحابه مقرَّنين بالحبال[1].

ومعلوم أنه أراد بذلك الانسحاب والتراجع بعد مسير الجيش أمورا منها:

١- ليكون أبلغ في توهِينِ عَزيمة المؤمنين وكسرِ شَوكة إقدَامهم في موقف أحوج ما يكونون فيه حاجة إلى المدد منهم لا إلى النقص والنكوص.

٢- ولعلَّه ظنَّ أو توقَّع أن من أسباب هزيمة المسلمين في غَزوَة أحد تراجعه وانسحابه بثلث الجيش فعاود الكَرَّة.

لكنه بحمد لله مُني بخيبَة أمَلٍ وَباءت أمانيهِ بِالفشَل، وعادَ المسلمون من تبوك لَم يَلقوا عدُوًّا؛ بَل صالحه قبائلُ وعَشائر نصرانيَّة ودَفعوا له الجِزيَة.. الخ.

فأمَّا ما ورد من قول بَعضهم عند قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة التوبة: ٦٥] الآية: إنَّ المُراد عبد الله بن أبي بن سلول، فقد خطَّأ هَذا القول

(١) «السيرة النبوية دراسة تحليلية»: (٥٩٨).

ابنُ عطية، وقال: «إنَّ ابن سلول لم يَشهد تبوك»[١].. وقد سبق عن ابنِ سَلول أنَّه انصرف بِبعضِ الجَيش وانسحب قافلًا للمدينة.

لكن كما ذُكر مرارًا وتكرارًا عن شأن المُنافقين، أنَّ مَا يحيكونه ويفْعَلونه لم يكن اجتهادًا فرديًا أو تصرُّفًا أحادِيًّا إلا ما ندر، لكنَّ المُتتبع لسيرِهِم وأحوَالِهم وما هم عَليه من صلَةٍ بِاليهود يعلم أن هنَاك تخطيطًا وتنَاوب أدوارٍ وتعَاقب مهامٍّ.

وَرأسهم في ذلك ومرجعيتهم ابن سلول، فهو العَقلُ المدبِّر، والدَّاعم الموجِّه كما كان حال أَبي جهل سواءً بسواء؛ وعليه فما كان من أفْعَال المنافقين وأقوالِهم في غَزوَة تبوك يمكن الجَزْمُ بِأنَّ غَالبها كان مخَططًا له مقننًا، حتَّى في ترشيح من يخرج ومن يقعد ومن ينسحب ومن يشارك وهكذا.. ومن أدِلَّة ذلك اجتماعهم في دار سويلم اليهودي كما سلف ذكره[٢].

❍ موقف ابن سلول وحزبه بعد الغزوة:

١. الاعتذار بالأيمان الفاجرة:

قال تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة التوبة: ٤٢]. والمَعنَى أن القَاعِدين من المُنافقين سيأْتُون إلى الرَّسول ﷺ بعْدَ عودِهِ مِن الغَزوَة، وسَيحلفُون بالله لو اسْتطعْنا لخرجْنا معكم، فإنَّنا لم نتخَلَّف عن الخرُوج معكم إلا مضْطرِّين فَقد كانت لنا أعذَارُنا القاهرة التي حملتنا على ذلك[٣].

---

(١) «تفسير القرطبي»: (٨/ ١٩٧). والذي قال إن المراد ابن سلول هو النقَّاش، وكذا القشيري عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) الرواية ضعيفة. انظر: (صـ: ٢٣٣).

(٣) «التحرير والتنوير»: (١٠/ ٢٠٩).

وهذِه عَادتُهم في كلِّ غَزوَة ومناسَبَة، فَهُم أَهْل دِربة ومِراس في اخْتَلاق الأعذار وتلفيق الكذب(١).. وقد ورد أنَّ الذين تخلَّفوا هم عبد الله بن أبيٍّ، والجدُّ بن قيس، ومعتب بن قشير وأصحابهم الذين كانوا معهم(٢).

﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة التوبة: ٨٧].. لذا كان العلاجُ مَعهم حاسمًا حازمًا لا هوادة فيه، خُوطب به النَّبيّ ﷺ وهو لأمته من بعده..

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة التوبة: ٨٣].. ثم كانت المعالجة الأخرىٰ فاضحة لحالهم كاشفة لخباياهم ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ﴾ [سورة التوبة: ٩٤].

○ وهنا ثلاث فوائد يحسن الوقوف معها:

أ). تكَاد تكون سورة (التوبة) سُورة غَزوَة تبُوك، فَهِي بحق (مُدمْدِمَة فَاضِحة مقَشْقِشة مبعْثِرة مثِيرة حَافرة)(٣) لأحوالِ المُنافقين عُمومًا، وما كان من شَأنِهم فِي غَزوَة تبوك خصوصًا.

ب). لقد كانت غَزوَة تَبوك منذ بِدايَة الإعدادِ لهَا مناسِبة للتَّمييز بينَ المُؤمنين والمُنافقين، ولَم يعد هُناك أي مجَال للتَّستُّر عَلىٰ المنافقين أو مجَامَلتهم، بل أَصْبَحت مجابهتُهم أمرًا ملحًّا بعد أن عملوا كل ما في وسْعِهم لمجَابهة الرَّسول ﷺ والصَّدِّ

---

(١) انظر «مجموع ما حصر من أعذار المنافقين في سائر أحوالهم»: (صـ: ٢٨١).

(٢) انظر «تنوير المقباس»، المنسوب لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (١/ ٢٠٤).

(٣) «زاد المسير»: (٣/ ١٤٤).

عن دينه، وتثبيط المُسلمين عن الاستجابة للنَّفير، الذي أعلنَه الله تعالىٰ ورسوله ﷺ، والذِي نزل بهِ القُرآن الكريم، بل وأصْبَح الكشفُ عَن نفاق المنافِقين وإيقافُهم عند حدِّهم واجب شرعي.

ج). من المُلاحظ اختلافُ سِياسة الرَّسول ﷺ في معَاملَتِه للمُنافِقين عندما اعتَذروا له، عمَّن تَخلَّف من المسلمين الصَّادقين، حيثُ إنَّه ﷺ عامل المنافِقين باللِّين والصفح، واختار للمُسلمِين الصَّادقين الشِّدَّة والعُقوبة!

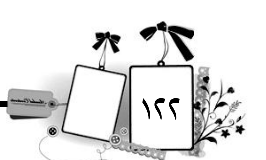
ولا شكَّ أن الشِّدَّة والقَسوَة في هذا المقام معَ المُسلمين مَظهر للإكرام والتشريف، وهُو ما لا يستحقُّه المُنافقون، وكَيف يستحق المنافقون أن تنزل آياتٌ فِي توبتِهم -علىٰ أية حال- إنَّهم كَفرة ولن ينتشلهم شيء ممَّا يتظاهرون به في الدُّنيا من الدركِ الأسْفَل من النار يوم القيامة.

وقد أمر الشَّارع جل جلاله أن ندعهم لمَا تَظاهروا به، ونُجرِي الأحْكَام الدُّنيويَّة عليهم بحسب ظواهرهم، ففيم التَّحقيق عَن بَواطن أعذارِهم وحقيقَةِ أقْوالهم؟ وفيمَ مُعاقبتهم في الدُّنيا علىٰ ما قَد يَصدر عَنهم من كذب؟ ونحنُ إنَّما نُعطيهم الظَّاهر فَقط من المُعامَلة والأحْكام، كما يُبدون لَنا هُم أيضًا الظَّاهر فقط مِن أحوالهم وعقائدهم.

قال ابن القيم: «وهَكذا يفعلُ الرَّبُّ سُبحانه بعبَاده في عقوبات جرائمِهِمْ، فَيؤدِّب عَبده المؤمنَ الذِي يُحبُّه وَهو كريمٌ عِنده، بأدنَىٰ زلَّة وهفْوة، فلا يزال مُستيقظًا حذرًا، وأمَّا مَن سقط من عينِ الله وَهان عليه، فإنَّه يخلِّي بينهُ وبينَ معاصِيه، وكلمَّا أحدث ذنبًا أحدث له نعمة»(١).

---

(١) «زاد المعاد»: (٣/ ٥٧٨).



٢. اتخذوا مسجدًا ضرارًا:

في أثناء عودة النَّبيّ ﷺ إلى المدينة راجعًا من تبوك، نزلت عليه الآيات الآتية: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة التوبة: ١٠٧-١٠٨].

وفي شأنِ مَسجد الضِّرار قد سبق تفصيل مجرياته واستنباط الدروس والعبر من بنائه(١).

أما ابنُ سَلول وما كان منْ أدْوَاره بعد الغزوَة فلَم أعْثُر لَه إلا علىٰ موقِف وَاحد ألا وهو: أنَّه زَعيم رَكبه وقَافلَته التِي جرَّت ذيول الخيبَة والبَوار تحملهم أقدامهم الكسيرة إلى النَّبيّ ﷺ معتذِرة تَحلِف الأيمان المغلَّظةِ -الكَاذِبة- أنَّهم كَانوا راغبين في الخروج لولا مَا حَبسهم مِن ضَرورة قاهِرةٍ وظُروف قاسيةٍ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة التوبة: ٤٢].

وبهذا يُسدل الستار علىٰ غزوَة مُباركَة كانَت مفْعمَة بمواقفِ المُنافقين الآثمَة؛ ابْتداءً بالسُّخريَة، ومرورًا بالانْسِحاب ببعض الجيشِ، وانتهاءً بمحاولة قتل النَّبيّ ﷺ، وبناء مسجد الضرار.. ومَا كان بين ذلك من مواقف وأدوار لا تزال تتجدَّد في كلِّ زمان ومكان.

○ بعض الآيات الواردة في ابن سلول مما لم يسبق ذكره:

١. قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة البقرة: ٨-٩]. فَبعضُ الناس من يقُول: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾، يعني صدَّقنا به، ﴿وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾، بَعدَ المَوت، ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ٨]، يَعني: ليسوا بمصدقين بَل مُنافقون؛ منهم: عبد الله بن

---

(١) انظر لمزيد اطلاع: (١/ ٣٨٠).

أبي بن سلول، ومعتب بن قشير، والجدُّ بن قيس ومن تابعهم من المنافقين(١).

٢. قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ [سورة البقرة: ١٤]. نَزلَت هَذه الآيَة في ذِكر المُنافِقين؛ ومنهُم عبد الله بن أبي ابن سلول، والجدُّ بن قيس، ومعتب بن قشير وغيرهم(٢).

٣. وقوله سبحانه: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾﴾ [سورة النساء: ١٤٣]. قال السدِّي ومقاتل: «نَزلت فِي عَبد الله بْن أُبي بْن سَلول وعبد الله بن نبتل المنافقين»(٣).

٤. وقولُه عزَّوَجلَّ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [سورة الأنعام: ٩٣] الآية، قال الشعبي: «الذِي قال: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [سورة الأنعام: ٩٣] عبد الله بن أبي بن سلول»(٤).

٥. وقولُ المَولى سُبحانه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [سورة محمد: ١٦]. قال الكلبي ومقاتل عند قوله تعالى: «﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ﴾ [سورة الأنعام: ٢٥]: هُم المُنافِقون: عبدُ الله بن أبي بن سلول، ورفاعة بن التابوت، وزيد بن اللصيت، والحارث بن عمرو، ومالك بن دخشم كانوا يحضرون الجمعة، فإذَا سمِعُوا ذكْرَ المنافقين فيها أعْرَضوا عنْهُ فإذا خرجوا سألوا عنه»(٥).

---

(١) «تفسير بحر العلوم»: (١/ ١٣)، للسمرقندي. بتصرف يسير.

(٢) «تفسير بحر العلوم»: (١/ ١٩).

(٣) «تفسير اللباب»: (١٥/ ١٨٠)، لابن عادل.

(٤) «تفسير ابن أبي حاتم»: (٥/ ٣٢٢).

(٥) «تفسير القرطبي»: (١٦/ ٢٣٨).

المطلب الرابع

مواقف متفرقة لابن سلول

١ـ التواصل بين زعماء الكفر والنفاق..

ذكر الواحِدي والقُشيرِي والثَّعلَبي والمَاورْدِي وغيرُهم: «أنَّ أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل، وأبَا الأعْور عَمرو بن سفيان نَزلوا المدينَة علىٰ عَبدِ الله بن أبي بن سلول رأسِ المُنافقين بعد غَزوَة أحُد، وقد أعطاهُم النَّبيّ الأمان عليه الصلاة والسلام علَىٰ أن يُكلمُوه، فقام معهم عَبد الله بن سَعد بن أبي السَّرح، وطعمة بن أبيرق، فقالوا للنبي ﷺ وعنده عمر بن الخطاب: ارفُض ذكر آلهتنا اللات والعزىٰ ومنَاة، وقل إنَّ لَها شفاعة ومنعَة لِمن عبدها وندَعك وربَّك، فشقَّ علىٰ النَّبيّ ﷺ ما قالوا: فقَال عمر: يا رسولَ الله ائذن لي في قَتلهم. فقال عليه الصلاة والسلام: «إِنِّي قَدْ أَعْطَيْتُهُمُ الأَمَانَ»، فَقال عمر: اخرجوا في لَعنة الله وغضَبِه، فأمر النَّبيّ ﷺ أن يخرُجوا من المدينة فنَزل[1] قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [سورة الأحزاب: ١]».

فتأمل أين نزل القوم لما قدموا المدينة؟ وفي دار من؟ إن في ذلك لإشارة من جهتين:

أ). أن ابن سلول بلَغ من الوَجَاهة والسِّيادة والصِّيت والسُّمعَة والزَّعامة ما يجعل مثل هذا الوفد لا يَنزل إلا عليهِ ولا يُستضاف إلا عنده، وكان هو يرىٰ من نَفسِه ذلك، وممَّا يشهد لذلِكَ لمَّا بَايع النَّبيّ ﷺ الأنصار بيعة العقبة الثانية نَمَىٰ الخَبرُ إلىٰ قريش، فغدت الجلَّة مِنهم -أي أكثره- علىٰ الأنصار في رحالِهم

---

(١) «تفسير القرطبي»: (١٤/ ١١٤).



فعَاتبوهم، فأنكَرُوا ذلك وحَلَفوا لهم وقال لهم عبدُ الله بن أبي بن سلول: ما كَان قومي ليتَّفِقوا علىٰ مثْلِ هَذا وأنا لا أعلمه، فانصرفوا عنه وتفرَّق النَّاسُ مِن منيٰ[1].. لَقد رأىٰ من نفسه وزعامَتِه وصيته بين قومه أنه لا يمكن أن يقع حدث كهذا ثم لا يعلم به.

ب). ثم إنَّ هَذا الأمر فيه دِلالةٌ عَلىٰ مدىٰ التواصُلِ وتَقاطع المَصالح المُشتَركة بين زعَاماتِ الكُفر والنِّفاق في صَفٍّ وَاحد للصدِّ عَن دين الله ومحَاربَة هذه الدعوة.

٢ـ صدُّه عن طاعة رسول الله ﷺ:

لَمَّا نَزل قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [سورة آل عمران: ٣١].

قال عبد الله بن أبي بن سلول المنافق لأصْحَابه: إنَّ محمَّدًا يجعل طاعته كَطاعَة الله تعالىٰ، ويأمُرنا أن نحبَّه كَما أحبَّ النَّصارىٰ عيسىٰ بن مريم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ﴾ [سورة آل عمران: ٣٢]، اجْمَعوا بينهما في الطَّاعة. عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «فإنَّ طَاعتكم لُمحمَّد ﷺ طاعَتُكم لي»[2].

وهكذا يظل ابن سلول يأكُلُ الغَيظ كَبدَه وَيحرق الحَسدُ فؤادَه، ويحاول جَاهدًا أن يصدَّ عَن طاعَة الرَّسول ﷺ ويضرب له الأمثال.

٣ـ للمؤمنين الكرامة ولابن سلول المهانة:

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ

(١) «تاريخ ابن خلدون»: (٢/ ١٣).

(٢) «بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية»، المؤلف: محمد بن محمد بن مصطفىٰ بن عثمان، أبو سعيد الخادمي الحنفي (المتوفىٰ: ١١٥٦هـ)، الناشر: مطبعة الحلبي، الطبعة: بدون طبعة، ١٣٤٨هـ: (١/ ١٤٢).



نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾﴾ [سورة الفتح: ١-٣].

عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالى: «﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ [سورة الفتح: ١]، بغير قِتال وصُلح الحديبية مِنه، غير أن كَان بَينهم رَميٌ بالحِجَارة»، ويُقال: إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا. يقول: قَضينا لك قضاءً بينًا، يقول: أكْرَمناك بالإِسْلام والنُّبوَّة وأمَرنا أن تدعو الخَلق إلَيها؛ ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾ [سورة الفتح: ٢]، ما سَلف مِن ذُنوبك قبل الوَحي، ﴿وَمَا تَأَخَّرَ﴾، وما يكون بَعدَ الوَحي إلَى المَوت، ﴿وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ [سورة يوسف: ٦]، أي منَّته عَليك بالنُّبوَّة والإِسْلام والمغفرة.. الخ.

فقال المؤمنون المُخلصون حين سمعوا بِكَرامة الله لِنبيِّه: هَنيئًا لك يا رَسول الله بِمَا أعطاكَ اللهُ مِن الفَتح والمَغفِرة والكَرامَة، فَما لنَا عِند الله، فَأنزل الله: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ المخلصين من الرجال، ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾، المخلَصات من النساء، ﴿جَنَّٰتٖ﴾، بساتين، ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا﴾ [سورة الفتح: ٥]، من تَحْتِ شجَرها ومَساكنها وغرفِها، ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾، أنهَار الخَمر والمَاء والعَسلِ واللَّبن، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، مقيمِين في الجَنَّة لا يَموتون ولا يُخْرجُون مِنها، ﴿وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ [سورة الفتح: ٥] ذُنوبهم في الدنيا... الخ.

فجاء عبد الله بن أبي بن سلول حين سَمِع بكَرامَة الله للمُؤمنين، فقال: يا رسول الله، والله ما نَحنُ إلا كَهيئَتِهم فما لنا عِندَ الله فأَنْزَل الله فيهم: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا﴾ [سورة الفتح: ٦][(١)].. وهكذا أتى ابنُ سلول ليلقَ جَزاءه ويتيقن نهايته.

---

(١) تفسير «تنوير المقباس»: (٢/ ٣٣).



٤ـ صدُّه من أراد الدخول في الإسْلام:

قَال ابنُ إسحاق: «كانَ أَبُو قَيس صِرمة بن أبي أنس رَجُلًا قد ترهَّب في الجَاهلية ولبس المِسرَح(١)، وفَارق الأوثانَ، واغتسلَ مِن الجنابةِ، وهمَّ بالنَّصرانية ثم أمسك عنها، ودخل بيتًا له فاتخذه مَسْجدًا لا يدخل عليه فيه طَامث(٢) ولا جُنب، وقال أعبُدُ رب إبْرَاهيم، فَلَمَّا قدم رسول الله ﷺ المدينة أسْلَم فحسن إسْلامه وهُو شيخٌ كَبير، وكان قوالًا بالحقِّ مُعظِّمًا لله في الجاهلية، وكان يقول أشعارًا حِسانا يعظم الله فيها منها:

يَقُولُ أَبُو قَيْسٍ وَأَصْبَحَ نَاصِحًا ... أَلَا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ وَصَاتِي فَافْعَلَوا

أُوصِيكُمُ بِاللهِ وَالبِرِّ وَالتُّقَىٰ ... وَأَعْرَاضُكُمْ وَالبِرُّ بِاللهِ أَوَّلُ

فَإِنْ قَوْمَكُمْ سَادَوا فَلَا تَحْسُدُونَهُمْ ... وَإِنْ كُنْتُمُ دُونَ أَهْلِ الرِّيَاسَةِ فَاعْدِلُوا

وَإِنْ نَزَلَتْ إِحْدَىٰ الدَّوَاهِي بِقَوْمِكُمْ ... فَأَنْفُسُكُمْ دُونَ العَشِيرَةِ فَاجْعَلُوا

وَإِنْ يَأْتِ غُرْمٌ قَادِحٌ فَارْفُقُوهُمُ ... وَمَا حَمَّلُوكُمْ فِي المُلِمَّاتِ فَاحْمِلُوا

وقد ورد أنَّه أرَاد الإسْلام، فلَقيَه ابنُ سَلول فقال لَه: لَقد لُذتَ مِن حربنا كلَّ مَلاذ، مرة تحالف قُريشًا، وَمرَّة تُريد تتبع مُحمدًا! فغضِبَ أبُو قَيس وقَال: لا جَرم لا أَتَّبعه إلا آخِر النَّاس، فزَعموا أنه لَمَّا حَضره المَوتُ بَعث إليهِ النَّبيّ ﷺ فقالَ: «قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ أَشْفَعُ لَكَ بِهَا يَوْم القِيَامَةِ» فسُمع يقولها»(٣)..

وقيل: إن أبا قيس سأل المُصطَفىٰ ﷺ إلام تدعو؟ فذكرَ لَه، فقال: مَا أَحسنَ هَذا! أنظر في أمري وأعود إليك، فلقِيَه ابن سلول فقَال من أين؟ فذكَرَ له النَّبيّ

(١) المسرح: كل قطعة من خرقة متمزقة. «لسان العرب»: (٢/ ٤٨٠)

(٢) الطامث: الحائض، انظر «المحيط في اللغة»: (٢/ ٣١٦).

(٣) ينظر «تاريخ دمشق»، لابن عساكر: (٢٤/ ٢٤٧)، و«أسد الغابة»، لابن الأثير: (٥/ ٢٥٧).

ﷺ وقَال: أبُو قيس هو الذي كانَت أحبار يهود تخْبِرنا عنه، وكادَ يُسلم. فَقال له ابن سلول: كرهت حزب الخزرج؟ فقال: والله لا أسلم إلى سَنة، ولم يعد إلى رسول الله ﷺ فمات قبل الحَول على رأس عشرة أشْهر من الهجرة[(١)].

وهذا يذكرنا بمَواقف أبي جَهل ووجه الشَّبه بَينهما، فهذا يترصَّد لمَن يرغَب في الإيمان كما أبو جهل من قبل، عندمَا حضر هوَ وعبد الله بن أبي أميَّة وفَاة أبي طالب، فكانا يقولان له: تَرغبُ عن ملَّة عبدِ المطلب، والنَّبيّ ﷺ لا يَزيد على قوله له: «أَيْ عَمِّ قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»[(٢)].

وهذا شأنُ كلِّ مَن أوقف نفسه وجهْدَه ومالَه وطَاقَاتِه في الصدِّ عن سبيل الله.

---

(١) «أسد الغابة»: (٣/ ٢٣٢).

(٢) «صحيح سنن النسائي»: (٢٠٣٥)، وقد صحح الرواية الشيخ الألباني.

المطلب الخامس

مرض ابن سلول ونهايته

لكل شيءٍ نِهاية يَمضي إليهَا وأمَدٌ يَقف عنده، وبَنو آدم كغَيرهم من المَخلوقَات يوجَدون وينتَهون، لكن الفرق بينَهُم في حياتهم وبَعد مَماتهم كبيرٌ، فالآخرة وما فيها مِن نَعيمٍ مقيم خاصٌّ بِالمتقين، أمَّا الأشقياء التُّعساء فما كان حظُّهم في هَذه الدار إلا الشَّقاءِ والعذَاب النفسي، وعذابُ الآخرة أشقُّ وأكبر..

لقد كان عليه الصلاة والسلام وفيًا حتَّى معَ أعدائه، ناصحًا ومخلصًا حتى مع الذين آذوه وطاردوه وحاربوه وترصدوا له ووقفوا في وجه دعوته وعارضوا رسالتَه، وصدق الله العظيم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنبياء: ١٠٧] فهو ﷺ رحمة ونعمة.

كان ابتداء مرضِ ابن سَلول في شوال، ومكث عشرين ليلة(١)، وذلك في السنة التاسعة للهجرةِ بَعد غَزوَة تَبوك، وقد مَرِضَ في ليال مِن شوال ومات في ذي القعدة.

قال الواقدي: «مَرِضَ عَبد الله بن أبي في ليال بَقينَ من شوال، ومات في ذي القعدة، وكان مرضُه عشرين ليلة»(٢).. قال ابن كثير: «وكانَ رسولُ الله ﷺ يعُوده فيها، فلمَّا كان اليوم الذي مات فيه، دخلَ عليه رسولُ الله ﷺ وهو يجودُ بنفسِه، فقال: «قَدْ نَهَيْتُكَ عَنْ حُبِّ يَهُود»، فقال: قد أبغضَهُم سعد بن زرارة فما نَفَعه، ثم قال: يَا رسول الله، ليس هذا الحِين عتَاب، هو الموتُ، فاحضر غَسْلِي وأعطِني قَميصَك الذي يلي جِلدك فكفنِّي بهِ وصلِّ عليَّ واستغفر لِي، ففعل ذلك به رسول الله ﷺ»(٣).

---

(١) «الكامل»، لابن الأثير: (٢/ ١٩٩).

(٢) «المغازي»، للواقدي: (٣/ ١٠٥٧)

(٣) «البداية والنهاية»: (٢/ ٣٤).

وقد ذكر الإمامُ البخاري: رَحِمَهُ ٱللَّهُ في صحيحِه، عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «لما توفي عبد الله بن أبيٍّ، جاء ابنُه عبد الله بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلَى رسول الله ﷺ فسألهُ أَن يُعطيَه قَميصَه يكفن فيه أبَاه، فأعطاه، ثم سأله أن يُصلِّي عَليه، فقام رسول الله ﷺ ليصَلِّي عَليه، فقام عمر وأَخذ بثوبِ رسولِ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله أتصلِّي عَليه وقد نهاك ربُّك أن تصلِّي عَليه، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّما خَيَّرَنِي اللهُ فَقَالَ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٨٠]، وَسَأَزِيدُ عَلَىٰ السَّبْعِينَ»، قَال: إنه منافِقٌ، قال: فصلىٰ عليه رسول الله ﷺ، فأَنْزَل اللهُ عَزَّوَجَلَّ الآية: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [سورة التوبة: ٨٤]»(١).

كذلِكَ رَوىٰ البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ روايَة أخرىٰ عن ابنِ عبَّاس عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، قال: «لَمَّا ماتَ عبد الله بن أبيٍّ بن سَلول دعي رَسول الله ﷺ ليُصلي عليه، فلمّا قام فوثبتُ إليه فقُلت: يا رسول الله، أتصلي علىٰ ابن أبيٍّ وقد قال يوم كذا وكذا وكذا قال: أُعَدِّدُ عليه قوله، فتبَسَّم رسول الله ﷺ وقال: «أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ»، فلمَّا أكْثَرت عَليه قَال: «إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَىٰ السَّبْعِينَ يُغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا»، قال: فصلىٰ عليهِ رسول الله ﷺ ثم انصرف، فلم يَمكُث إلا يَسيرًا حتىٰ نزلت الآيتان من سورة (براءة) قال: فعجبت من جرأتي علىٰ رسول الله ﷺ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير باب ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٨٠]: ح (٤٦٧٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما يكره من الصلاة علىٰ المنافقين والاستغفار للمشركين: ح (١٣٦٦).

وفي صحِيح البُخَاري بِهذا الإسْناد مِثله وعِنده: أنَّه إنمَّا ألبَسَه قميصَه مكافأة له لَمَّا كان قد كسا العباس قميصًا حين قدم المَدينة فلم يجدوا له ما يَصلح له إلا قميص عبدِ الله بن أبيٍّ[1].

وهكذا طويت صفحَة مِن صفحات التارِيخ لِزعيم المُنافقين ابنِ سَلول بعد أن خلَّف وراءه مآثر مِن الضلال وسطر مواقف من الفَساد وخلَّد مخازيَ ثقَّل بها موازين سيئاته.. ودفع برايَة النِّفاق لمن بعده من الأحفاد والذُّرِّيَّة يتعاقبون في أزمنة التَّاريخ جيلًا بعد جيل.. فنسله يتوالد وكيدهم يتواصل، على خطَاه يَسيرون وعلى منهَاجِه يَمضون يجدِّدون في الوسائِل ويبدِعون في الكيد ويُمعنُون في الصدِّ عن دين الله..

فلا أبقى الله لهم من عقبَ ولا خلَّد لهم مِن ذِكر..

---

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب هل يخرج الميت من القبر واللحد لعلة: ح (١٣٥٠).



المبحثُ الثاني

بعضُ زعامات المنافقين الآخرين

يظلُّ حزبُ الشيطان له إدَارتُه التِي تحكم حركتَه وتوجِّه مساره، وتُخطط لعملياته التخريبة وحملاته التَّخذيليَّة وشائعاته الإرجافية، سياسات تُرسم وأدوار تَتَوزع... الخ.

فكما كان لقريش ناديها الذي يجمعُ زعَامات الجَهل وقادة الضَّلالة، فكذلك كل فكر منحرف ومنهج زَائغ وطابور مُفْسد لا بد وأن يكون له عقله المؤسس وغرفة عملياته المحركة.

وما المنافقون الذينَ وإن كان على رأس الهَرم فيهم ابن سلول، إلا أنَّ زعامات نفاقيَّة عن يمين منه وشمال كانت عيبة نُصحه ومجلس مَشورته، وفي هذا المبحث سيشارُ إلى بعض أولئكَ الزَّعامات ممَّن ظهر لهم أدوار، وبرز لهم مواقِف، وكانوا شَامة بين المنافقين.

وقبل التَّفصيل في جُهود أولئك الزَّعاماتِ، تجدُر الإشارة إلى أنَّ هذا الفريق ينقَسم إلى قسمين من جِهة النَّسب، أمَّا الهدفُ فواحدٌ وأمَّا الجُهد فمتوافِقٌ، فمُنافِقُون يَهود ومنافقون مِن غير اليَهود.



المطلب الأول

زعامات المنافقين من غير اليهود

١. عبد الله بن أبيِّ بن سَلول رأسُ النِّفاق: وقد مضىٰ الحديثُ عن مواقفه وأعماله في مبحث مستقل.

٢. أبو عامر الرَّاهب: هُو عمرو بن صَيفي بن مالك بْن أمَيَّة، أبو عامر الفاسِق، ويقال: أبو عامر الراهب، جاهليٌّ من أهل المدِينَة، كان يذكر البَعث ودين الحنيفيَّة ويُعرف بالراهب، ولما ظهر الإِسْلام استولىٰ الحسد علىٰ قلْبِه وقَلْبِ ابن سلول[١]، كان قد تنصر في الجاهلية، وله شرفٌ في الخَزرج كَبير، وقد قرأ عِلْم أهل الكِتَاب وكان فيه عبادة في جاهليته[٢]، كان يُظهِر النِّفاق وعبد الله بن أبيِّ بن سلول يبطنه، مَات كافرًا سنة تسع للهجرة وقيل: سنة عشر للهجرة[٣].. وقد اشتهر بموقفين بارزين -والعياذ بالله-.

أ) مشاركته لقريش يوم أحد:

لقد قال أبو عامر الراهب للنبي ﷺ: لا أجِد قومًا يقاتلُونك إلا قاتلتُك معَهم[٤]، فلما قَدم رسول الله ﷺ مُهاجرًا إلىٰ المدينة، واجتَمَع المسلمون علَيه وصَارت للإِسْلام كَلمة عَالية، وأظهَرهم الله يومَ بدر، شرق اللَّعين أبو عامر بريقِه وبارز بالعَدَاوة، وظاهر بها وخَرج فارًّا إلىٰ كفار مكة -مشركي قريش- يُمالئُهم علىٰ حرب رسول الله ﷺ، فاجْتَمعوا بمن وافقَهُم في أحياء العرب.

(١) «الأعلام»، للزركلي: (٥/ ٧٩)، بتصرف يسير.

(٢) «السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث»: (٢/ ٥٥٥).

(٣) «تهذيب الأسماء»، للنووي: (١/ ٢٣٠).

(٤) «موسوعة نضرة النعيم»: (١٠/ ٤٣٩١).

فكَان من أمر المسلمين ما كان وامْتَحَنهم الله عَزَّوَجَلَّ، وكانت العَاقبَةُ للمُتَّقين وكان هذا الفَاسقُ قَد حفر حفَائر فيمَا بين الصَّفَّين، فوقع في إحْدَاهنَّ رسول الله ﷺ وأصِيب ذلك اليوم، فجُرح وكُسرت رُباعِيَّته اليُمنىٰ والسُّفلىٰ وشُجَّ رأسه صلوات الله وسلامه عليه.

وتقدم أبو عامر في أوَّلِ المبارزة إلىٰ قَومه من الأنصار، فَخاطبهم واستمالَهم إلىٰ نصره وموافقته، فلمَّا عَرفوا كلامه، قالوا: لا أنْعَم الله بك عينًا، يا فاسق يا عدو الله، ونَالوا منه وسبُّوه فرجع وهو يَقول: والله لقد أصاب قومي بعدي شرٌّ.

وكان رسولُ الله ﷺ قد دعاهُ إلىٰ الله قبل فراره وقَرأ عليهِ القُرآن، فأبىٰ أن يُسلم وتمرَّد، فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يَمُوت بعيدًا طريدًا، فنالَته هذِه الدَّعوة كما سيأتي بإذن الله(١).

ب). مسجد الضرار..

في أثناء عودة النَّبيّ ﷺ إلىٰ المدينة راجعًا من تبوك نزلت عليه الآيات الآتية: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨﴾ [سورة التوبة: ١٠٧-١٠٨](٢).

ذكر بعضُ أهلِ التَّفسير أنَّ هَذه الآية نَزلت في أبي عَامر الرَّاهب الذي تولَّىٰ فِكرة إنشاء مسجد الضرار، فبعْدَ غَزوَة أحد وجَد أبو عَامر أن أمرَ الرَّسول ﷺ في ارتفاع وظهورٍ، فَما كان منه إلا أن رحَل إلىٰ هرقل مَلك الرُّوم يَستنصره علىٰ النَّبيّ ﷺ، فوعده

---

(١) «السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث»: (٥٥٥-٥٥٦).

(٢) «تفسير الإمام الطبري»: (١٤/ ٤٧٠)/ وابن كثير: (٢/ ٣٨٨).



ومنَّاه وأقام عنده، وكتَبَ إلىٰ جماعة من قَومه الأنْصَار من أهل النِّفاق والرَّيب يعدُهُم ويمنيهم بجيش يقاتلُ بهِ رَسول الله ﷺ ويغْلِبه ويَردُّه عمَّا هُو فيه، وأمَرهم أن يتَّخذوا لَه معقلًا يقدُم علَيهم فيه من يقدم من عنده لأداءِ كُتبه، ويكون مرصدًا لَه إذا قدم عَليهم بعد ذلك.

فشرعوا في بناء مسجدٍ مُجاور لمسجِد قِباء، فبنَوه وأحكمُوه وفرغُوا منهُ قَبل خروج رسول الله ﷺ إلىٰ تَبوك، وجاءوا يَسألونَ رَسول الله ﷺ أن يأتي إلَيهم، فيصلي في مَسجِدهم ليحتجُّوا بِصلاته فيه علىٰ تقريرِه وإثباتِه، وذكروا أنَّهم بنوه للضُّعفاءِ مِنهم وأهل العلَّة في الليلة الشاتية.

فعَصمه الله من الصَّلاة فيهِ، فقال: «إِنَّا عَلَىٰ سَفَرٍ، وَلَكِنْ إِذَا رَجَعْنَا إِنْ شَاءَ اللهُ»، فلمَّا قَفل عليه الصلاة والسلام رَاجعًا إلىٰ المدينة من تَبوك، ولم يبقَ بَينه وبَينَها إلا يومٌ أو بعض يومٍ نَزل عليه جِبريلُ عليه الصلاة والسلام بخبر مسْجِد الضِّرار وما اعتمدَه بانُوه مِن الكفر والتَّفريق بين جماعة المُؤمنينَ في مسجدهم -مسجد قباء- الذي أُسِّس مِن أوَّل يَوم علىٰ التَّقوىٰ، فبعثَ رَسول الله ﷺ إلَىٰ ذلكَ المَسجد من يَهدمُه قبل مَقدمِه المَدينة.. هَذا مَا ذكره ابنُ كثير في سبب النزول(١).

وقَد ذَكر الإمامُ الطَّبري: «أنَّ المُنافقين قَد زَعموا أنَّهم قَد بَنوا مَسجِد الضِّرار لأجْل أن يُصلي فيهِ أبو عَامر الرَّاهب»(٢).

❍ أما الباعث لهم على بناء المسجد.. فأمور أربعة هي:

☐ المضَّارة لِغيرِهم من المؤمنين.

☐ الكفرُ باللهِ والمباهَاة لأهلِ الإِسْلام؛ لأنَّهم أرادوا ببنائِه تَقوية أهل النِّفاق.

---

(١) «تفسير ابن كثير»: (٢/ ٣٨٨).

(٢) ينظر «تفسير الطبري»: (١١/ ٦٧٨).

- التَّفريقُ بينَ المُؤمنين؛ لأنَّهم أرادوا أن لا يَحضروا مسجد قِباء، فتقلُ جَماعة المُسلمين، وفي ذَلكَ من اختلاف الكلمة وبُطلان الألفَةِ مَا لا يَخفىٰ.
- الإرصادُ لِمَن حَارب اللهَ ورسولَه ﷺ، أي الإعْدَاد لأجل مَن حَارب الله ورسوله(١)، وقد خيَّب اللهُ تَعالىٰ مساعيهم، وأبطلَ كَيدهم، بأن أمر نَبيَّه ﷺ بهدمه وإزالته(٢).

٣. أوس بن قيظي (أخو مربع بن قيظي):

أ - وردأنه الذي نزل فيه قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ﴾ [سورة الأحزاب: ١٣]. قَالها ومَن كَان عَلىٰ ذَلكَ مِن رأيه من قومه يوم الأحزاب(٣).

ب - وكانَ مِن بينِ مَن استأذنَ النَّبيّ ﷺ يومَ الأحْزاب يقول وإياهم: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [سورة الأحزاب: ١٣](٤). فأنزل اللهُ تَعالىٰ: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ [سورة الأحزاب: ١٣]... الآيات.

٤. الجدُّ بن قيس.. سيدُ بني سلمة من الخزرج، وكَان مِن أشرافهم.

عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَال رَسُول الله ﷺ: «مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلَمَةَ؟»، قلنا: جَدُّ بن قيس، علىٰ أنَّا نُبَخِّله. قال: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَىٰ(٥) مِنَ البُخْلِ؟ بَلْ سَيِّدُكُمْ عَمْرو بْنُ الجَمُوحِ»(٦). وكان عمرو عَلىٰ أصنامِهم في الجَاهلِيَّة، وكان يُولِم

---

(١) «تفسير الشوكاني»: (٢/ ٤٠٣).

(٢) وانظر مزيد تفصيل عن مسجد الضرار وربط ذلك بالواقع: (١/ ٣٨٠).

(٣) «تفسير الطبري»: (٢١/ ١٣٥).

(٤) «تفسير القرطبي»: (١٤/ ١٤٧).

(٥) أدوىٰ: أي أقبح. «النهاية»: (٢/ ١٤٢).

(٦) هو عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة الأنصاري السلمي، من =

عن رسول الله ﷺ إذا تزوج[١].

○ مواقفه:

▪ **الموقفُ الأوَّل**: كان مع الذين خَرجوا مع الرَّسول ﷺ لأداءِ العُمرة التي لم يُؤدها الرَّسول ﷺ ومن كَان مَعه من الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأنَّ قُريشًا منَعتْهم من أدائها، ففَدوا وتحلَّلوا من عمْرَتهم باعتبَارِهم مُحْصَرِين.. فَحين بلغَ الرَّسول ﷺ أن رسُولَه إلى قُريش في مكة عُثمان بن عَفَّان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قد قُتل، ولم يكن قد قُتل فِعلًا، قال: «لَا نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ القَوْمَ»، ودعا الناس إلى البَيعَة، فكانت بيعة الرضوان، وبايع الرَّسُول المسلمينَ فيها على أن لا يفروا، ولم يتخلف عن البَيعة أحد من المُسلمين الذين كانوا معه، إلا الجد بن قيس فإنه الوحيد الذي لم يبايع. قال جابر بن عبد الله: «والله لكأنّي أنْظُر إليه لاصِقًا بِإبط نَاقته، قد ضَبأ إليهَا (أي: لَصِق بها) يَستترُ بِها من النَّاس»[٢].

▪ **الموقف الثاني**: بعد أن أمَرَ الرَّسول ﷺ المسْلِمين أمرًا إلزاميًّا بأنْ يَتجهَّزوا لقتال بني الأصْفر (الرُّوم)[٣] في غَزوَة تَبوك، لقيَ الجدَّ بن قيس فقال لَه: «هَلْ لَكَ العَامَ فِي جِلادِ بَنِي الأَصْفَرِ؟». فقال الجدُّ بن قيس: يا رسول الله، أوتَأذَن لي

= سادات الأنصار صحابي آخر من أسلم من الأنصار، استشهد بأحد. انظر «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر: (٧/ ٩٤ ـ ٩٧).

(١) «صحيح الأدب المفرد»، بتحقيق الألباني، رقم الحديث: (١٢٥).

(٢) ينظر «السيرة النبوية»، لابن هشام: (٢/ ٣١٦)، وقد أخرجه بنحوه مسلم: كتاب الإمارة باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة: ح (١٨٥٦).

(٣) «السلسلة الصحيحة»: (٢٩٨٨).

وَلا تَفتِنِّي. فوالله لقد عرف قومي أنَّه مَا مِن رجل بأشد عُجبًا بالنِّساء مني، وإنِّي أخْشَىٰ إن رأيتُ نِساء بني الأصْفَر أن لا أصبر؛ فأعرَض عنه رسولُ الله ﷺ وقال لَه: قد أذِنْتُ لك[1]، فأنْزل الله بُشأنه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة التوبة: ٤٩].

٥. معتب بن قشير الأوسي[2]:

كان ممَّن اشتَرك في بناءِ مَسجد الضِّرار، وقد نَزلَ فيهِ قُرآنٌ يُتلىٰ كشف فِسقه ونفاقه، وهو القَائل يَوم أحد: لو كان لنَا منَ الأمْر شَيء مَا قُتلنا هاهنا، فرَدَّ الخالق جل في علاه عليه بقوله: ﴿وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤﴾ [سورة آل عمران: ١٥٤]، ولقد قال عَدوُّ الله يوم الأحزابِ زُورًا، وتفوَّه منكرًا: كان مُحمَّد يعدنا كنوز كِسْرىٰ وقَيصر، وأحدُنا لا يأمن أنْ يذهَبَ إلىٰ الغَائط[3]. وقال عنه القرآن وفَضَحه: ﴿وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ١٢﴾ [سورة الأحزاب: ١٢].

٦. وديعة بن ثابت:

وهو من بَني عَوف من الأنْصَار، كانت مَسَاكنُهم في قباء؛ حَيث بُني بها أوَّل مَسْجد أُسِّس علىٰ التقوىٰ من أوَّلِ يوم، اشْترك عَدوُّ الله في بِناء مسجِد الضِّرار وكَان مُتعاونًا معَ

---

(١) «ظاهرة النفاق»: (٢/ ٥٢٤).

(٢) «النفاق والمنافقون»: (٤١٠).

(٣) «سيرة ابن هشام»: (٢/ ١٤٩).

شَيخ المُنافقين ورأسِهم عَبد الله بْن أبيٍّ بن سلول، وهوالذي قال: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [سورة التوبة: ٦٥].

جاء في سِيرة ابن هِشَام: «أنَّه ممَّن بَنىٰ مسجِد الضِّرار، وأنَّه كَان مِن الرهطِ الذين جعلُوا يشيرونَ إلىٰ الرَّسول ﷺ وهو مُنطلق بجيشِ المُسلمين إلىٰ تبوك، فقَال بعضُهم لبعض: أتَحسَبُون جِلاد بني الأصفر (أي الرُّوم) كقِتَال العرب بعضهم بعضًا، والله لكأنَّا بِكم غدًا مُقرَّنين في الحبال.. يقولون هذا إرجافًا وترهيبًا للمؤمنين»[(١)].

وقال رسول الله ﷺ لعمَّار بن ياسر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أَدْرِكِ القَوْمَ فَإِنَّهُمْ قَدِ احْتَرَقُوا (أي: هَلكُوا) فَسَلْهُمْ عَمَّا قَالُوا، فَإِنْ أَنْكَرُوا فَقُلْ: بَلَىٰ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا».. فانطَلق إليهم عمَّار بن ياسر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقال لهُم كما أمرَهُ الرَّسول ﷺ، فأتوا رَسولَ الله يعتذِرون إليهِ، وقال وديعة بن ثَابت ورسول الله صلىٰ لله عليه وسلم واقفٌ علىٰ ناقَته: يا رَسول الله، إنما كُنَّا نخُوض ونَلعَب[(٢)]، فأنْزَل اللهُ قَوله تعالَىٰ خِطابًا لرَسُوله ﷺ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ۝٦٦﴾ [سورة التوبة: ٦٥-٦٦].

٧. ذو الخُويصِرة التَّميمي: مُنافق معلوم النِّفاق، تبيَّن خبثُه ونفاقُه جليًّا حين قسم رسول الله ﷺ غنائمَ الطَّائف. قال للرَّسول ﷺ: اعدل يا رسول الله، فقال الرسول ﷺ: «وَيْلَكَ! مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟!»[(٣)].

روىٰ أبو سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: بينَما نَحنُ عِندَ رَسولِ الله ﷺ وَهُو يقسِّم

(١) ينظر «السيرة النبوية»، لابن هشام: (٢/ ٥٢٥).

(٢) «ظاهرة النفاق»: (٢/ ٥٣٠)، وقد روىٰ ذلك كذلك الإمام الطبري: (١٤/ ٣٣٤)، وابن كثير والرواية له: (٤/ ١٧٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب ما جاء في قول الرجل ويلك: ح (٦١٦٣).

قسمًا، أتاه ذو الخُوَيصِرة، وهو رجل من بنِي تَمِيم، فقالَ: يا رسُول الله اعْدل، فقال: «وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟!»، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ائذَن لِي أَضْرِب عنُقَه، فقال: «دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمرِقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرِقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ...». الحديث[1].

٨. الحارثُ بنُ سُويد بنُ صامت (من الأوس): من بَني حُبيب بن عمرو بن عوف بن مالك.

أ) جاء من أخْبَاره أنَّ الأوْس والخَزرج اقتَتَلوا في الجاهِليَّة قتالًا شديدًا، وكَان الظفر فيه للخزْرَج عَلىٰ الأوْسِ، وقتل في هذهِ المَوقِعة سُويد بن صامت، والدُ الحَارث بن سويد، وكان الذي قَتله في هِذه الموقعة المُجذَّر ابن زياد[2] البلوي، واسْمُه عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3].

---

(١) رواه البخاري، كتاب، استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه، برقم: (٦٥٣٤)، ومسلم، كتاب، الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، برقم: (١٠٦٤/ ٥). «فتح الباري»: (٥٦٩٧)، ومسلم: (١٧٦٥). وانظر مزيد تفصيل في ذلك: (١/ ١٧٤).

(٢) جاء في: «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر: (٤/ ١٤٥٩)، و«أسد الغابة»: (٣/ ٢٢٨)، و«الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر: (٥/ ٥٧٢)، و«المؤتلف والمختلف»، للدارقطني: (١/ ٢٨٦)، و«الإكمال»، لابن ماكولا: (٧/ ١٦٣): «ذياد «بالذال المعجمة، وأغرب الصالحي الشامي في «سبل الهدىٰ والرشاد في سيرة خير العباد»: (٤/ ١١٦): «دثار –بدال مهملة فمثلثة–»، ولم أجده عند أحد هكذا. وقال ابن نقطة: «باب ذياد وزياد أما الأول: بكسر الذال المعجمة وياء معجمة من تحتها باثنتين وبعد الألف دال مهملة فهو: المجذر بن ذياد له صحبة يقال اسمه عبد الله بن ذياد «. ينظر «إكمال الإكمال «المؤلف: محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (المتوفىٰ: ٦٢٩هـ)، المحقق: د/ عبد القيوم عبد ريب النَّبيّ، الناشر: جامعة أم القرىٰ – مكة المكرمة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٠هـ: (٢/ ٦٥٦).

(٣) هو: المُجَذَّر بن ذِيَاد واسمه عَبد الله بن ذِيَاد – وقيل زياد– بن عَمْرو بن زمزمة بن عَمْرو بن عَمَّارة – بالفتح والتشديد – بن مالك بن عَمْرو بن بَثِيرة بن مَشْنوء البلوي كان مُجَذَّر الخلق وهو الغليظ شهد بدرا مع رسول الله ﷺ وقتل يوم أحد ويقال لبني عَمْرو بن عمارة بنو غصينة =

ثم لَمَّا جَاء الإِسْلام دَخل الحَارثُ بْن سُويد فيه مُنافقًا، وفي غَزوَة أحُد خَرج مع المُسلمِين وحِين التَقىٰ النَّاس في القِتَال وجَد الحَارث بن سُويد غرَّة مِن المجذر قاتِلَ أبيه في الجاهلية، وهُو من المُسلمين، فقتَلَه بأبيهِ، ثم لَحَقَ بِقريش، وأمر رسولُ الله ﷺ عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقَتْله إنْ هُو ظفرَ بِهِ، إلا أنَّه فاته، لكن جَاء في سيرة ابن هشام: «أنَّه قُتل بَعد ذَلك لأمر رسُولِ الله ﷺ»(١).

ب). وقد ذَكرَ الإمَام الطَّبريُّ: «أنَّ أهْل التَّأويل قد اخْتلَفُوا فيمن نَزل قَوله تَعالىٰ: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [سورة آل عمران: ٨٦].

فَقال بَعضُهم: نَزلت في الحَارث بْن سُويد الأنْصاري، وكانَ مُسلمًا فارتدَّ(٢).. وقِيل: نزلت في أهلِ الكِتَاب عرفوا محمَّدًا ﷺ ثم كفروا به»(٣).

٩. نبتل بن الحارث (من الأوس): من بني لوذان بن عمرو بن عوف.

أ). أخرج ابن إسحاق وابنُ المُنذرِ وابُن أبِي حاتِم، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كان نَبْتلُ بْن الحَارث يأتي رَسولَ الله ﷺ، فَيجلِس إليه فيستَمِعُ منه، ثُمَّ ينقِل

= وحلفهم في بني عَمْرو بن عَوْف. وهو الذي قتل سويد بن الصامت في الجاهلية فهيج قتله وقعة بعاث، ثم أسلم المجذر، وشهد بدرا، وهو الذي قتل أبا البختري العاص بن هشام بن الحارث بن أسد بن عبد العزىٰ بن قصي يوم بدر، وكان رسول الله ﷺ قد قال يوم بدر: من لقي أبا البختري فلا يقتله. وقال مثل ذلك. ينظر «المؤتلف والمختلف»، للدارقطني: (١/ ٢٨٦)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر: (٣/ ٩١٢)، (٤/ ١٤٥٩)، و«الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر: (٥/ ٥٧٢)، و«معرفة الصحابة»، لأبي نعيم: (٥/ ٢٦١٥)، و«أسد الغابة»، لابن الأثير: (٣/ ٢٢٨)، «الإكمال» لابن ماكولا: (٧/ ١٦٣).

(١) «ظاهرة النفاق»: (٢/ ٥٢٥).

(٢) «تفسير الطبري»: (٦/ ٥٧٢).

(٣) المرجع السابق: (٦/ ٥٧٤).

حديثَه إلى المُنافِقين»[١].

وكان رجلًا جسيمًا أسود طويلًا، مسترخي الشَّفتين، ثائرَ شَعر الرَّأس، أحمر العَينين أسفع الخدَّين: أي فيهما حُمرة ضاربة إلى السواد[٢].

ب) وقد ورد أنه الذي نزل فيه قولُه تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [سورة التوبة: ٦١]، فَيقولُ: إنَّما محمد أذن! من حدَّثه شيئًا صدَّقه، قال تعالى: ﴿قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [سورة التوبة: ٦١]. أي: يسمَعُ الخَبر ويصدِّق به[٣].

هَؤُلاءِ تقريبًا هم أبرَزُ المُنافقين ومَن لهم دورٌ واضح في حركة النِّفاق وفيهم نزلت الآيات.

ب ـ الصف الثاني من المنافقين:

وأما الصفُّ الثَّاني من المنافقين، فهم أقلُّ شأنًا ممَّن سَبق ذكرُهم، إلا أنه لا يُستهانُ بهم فهُم تَلاميذ أوفياءُ لِتلك المدرسَةِ النِّفاقيَّة فمنهم:

١. أبو طعمة بَشير بْن أبيرق: من أحداثِه: أنَّه سَرق من بَيت رفاعَة بْن زيد حملًا مِن الدَّقيق الأبيضِ ودِرعًا وسيفًا، وغير ذَلك من سِلاح الحرْبِ، وكان متهمًا بالنفاق.

ولما توجهت التُّهمة إلى بيت بني أبيرِق، قَالوا: مَا نَرىٰ السَّارق إلا لبيد بْن سَهل، وكان هذا معروفًا بصدْقِ إِسْلامه وصَلاح حَاله، فلمَّا بلغه أن بني أبيرق ألقوا التُّهمة عليه سلَّ سَيفه وأقبل إليهمْ وَقال لهم: أَنَا أَسْرِق؟! والله ليُخالِطنَّكم هَذا السيف أو لتبيننَّ هذه السرقة؛ فقالوا له: إليك عنَّا أيُّها الرجل، فما أنت بصاحبها.

ثم نزل القرآن مُشيرًا إلى الخائنين من بني أُبيرِق، وخَاف بشير بن أُبيرق أن يدان

(١) «ظاهرة النفاق»: (٢/ ٥٢٦).

(٢) «ظاهرة النفاق»: (٢/ ٥٢٦).

(٣) «تفسير الإمام الطبري»: (١٤/ ٣٢٥). وانظر لمزيد اطلاع مبحث الاستهزاء بالنَّبيّ ﷺ: (١/ ١٦٦).

بجَريمَتِه بعد نزول القرآن فَفرَّ من المدينة، ولِحَقَ بالمشركين بمَكَّة، فنزل علىٰ سلافة بنت سعد بن سمية، فرمَاها حسَّان بن ثابت بأبيات من شِعره، فأُخذت رحلَهُ فوضعته علىٰ رأسها، ثمَّ خَرجت به فرمت به في الأبطح(١)، ثم قالت له: أهديتَ لي شِعر حسَّان مَا كنت تأتيني بِخَير(٢).

٢. مربع بن قيظي (من الأوس) وكان رجلًا أعمىٰ؛ من الأوس لَمَّا خَرج رَسول اللهﷺ في غَزوَة أُحُد شطر جبل أحُد رأىٰ من الحكمة العسكَريَّة أن يمرَّ بالجيش مجتازًا في حَائط مربع بن قيظي، فقال مربع للرسولﷺ: لاأُحِلُّ لك يا محمَّد إن كنت نبيًّا أن تمرَّ في حائطي، وأخذ في يده حفنة مِن تُراب، ثم قال: والله لو أعلم أني لا أصيب بهذَا التُّراب غَيرك لرَميتك به، فابتدره القومُ لِيقتلوه، فقال رسول اللهﷺ: «دَعُوهُ فَهَذا الأَعْمَىٰ أَعْمَىٰ القَلْبِ أَعْمَىٰ البَصيرَةِ».

فَضربَه سَعد بْن زَيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣) أُخو بَني عَبد الأَشْهَل بالقَوس فَشجَّه(٤).

---

(١) الأبطح يضاف إلىٰ مكة وإلىٰ منىٰ لأن المسافة بينه وبينها واحدة وربما كان إلىٰ منىٰ أقرب، وهو المحصب وهو خيف بني كنانة – «معجم البلدان»: (١/ ٧٤).

(٢) والآيات هي: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥﴾ [سورة النساء: ١٠٥] الآيات من سورة النساء: (١٠٥-١١٤).

(٣) هو: سَعْدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ عَبْدِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ ويكنىٰ أبا عبد الله وأمه عمرة بنت مسعود بن قيس بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار من الخزرج، وكانت من المبايعات، ولسعد بن زيد اليوم عقب، وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار في رواية محمد بن عمر، ولم يذكره موسىٰ بن عقبة، ومحمد بن إسحاق، وأبو معشر فيمن شهد العقبة، وقد شهد بدرا، وأحدا، والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وبعثه رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ سرية إلىٰ مناة بالمشلل فهدمه، وذلك في شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة. ينظر «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم: (٣/ ١٢٥٨)، و«معجم الصحابة»، للبغوي: (٣/ ٤٢)، و«الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد: (٣/ ٤٣٩).

(٤) «ظاهرة النفاق»: (٢/ ٥٢٩).



٣. حاطب بن أُمَيَّة بن رَافع مِن بَني ظَفر:

كان شيخًا جسيمًا قد أسنَّ في الجاهِليَّة، وكان له ابن من خِيار المُسلمين اسْمُه يزيد بن حَاطب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1]؛ وقد خَرج هذا الابْنُ مَع المسلِمِين في غَزوَة أُحُد، فأُصِيب حتَّى أثبتَتْه الجِراحات، فحُمل إلى دارِ أهلِه، واجتمَع إليهِ طَائفة من رجالِ المُسلمين ونسائِهم وهو يعاني سكرات المَوت؛ فجَعلوا يقولون له: أَبْشِر يا ابن حَاطب بالجَنَّة، فانكشفَ نِفاق أبيه (حاطب) حِينئذ، وجعلَ يَقول: أجل، جنَّة والله مِن حرمل[2]، غررتُم والله هذا المِسكين من نَفسِه.. وكانَت الأرضُ التِي يُرتقَبُ أن يُدفن فيهَا تُنبت نبَات الحرمل، ومرادُ حَاطب أن يقول: ليسَ له جنَّة إلا هذهِ الأرْضِ التِي يدفن فيهَا، فدلَّ عَلىٰ أنه ينكر البعث يوم القيامة[3].

---

(١) هو: يَزِيد -زيد- بْن حاطب بْن عَمْرو بن أمية بن رافع الأنصاري الأشهلي. وقد قيل: إنه من بني ظفر، ومن نسبه في بني ظفر يقول: يزيد بن حاطب ابن أمية بن رافع بن سويد بن حرام بن الهيثم بن ظفر، واسم ظفر كعب ابن الخزرج. قتل يوم أحد شهيدا. قال ابن إسحاق، في تسمية من قتل يوم أحد من بني ظفر: يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع. قال ابن الاثير: أخرجه أبو عمر، وَأَبُو موسىٰ، إلا أن أبا موسىٰ لَمْ ينسبه، إنما قَالَ: يزيد بن حاطب، قتل يوم أحد شهيدا. وقال الحافظ ابن حجر: زيد بن حاطب بن أميّة بن رافع الأنصاريّ الأوسيّ ثم الظّفريّ. قال الواقديّ: شهد أحدا، وجرح بها، فرجع بها، فرجع به قومه إلىٰ أبيه وكان أبوه منافقا، فجعل يقول لمن يبكي عليه: أنتم فعلتم به هذا؟ غررتموه حتىٰ خرج، ذكر... وقرأت في حاشية جمهرة ابن الكلبيّ: يزيد بن حاطب بزيادة ياء تحتانية مثناة في أوله فاللَّه أعلم. «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر: (٤/ ١٥٧٣)، و«أسد الغابة»، لابن الأثير: (٥/ ٤٤٩)، و«الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر: (٢/ ٤٩٨) (٦/ ٥١١).

(٢) حب كالسمسم لا يأكله إلا المعزىٰ وقد تطبخ عروقه فيسقاه المحموم إذا ماطالت حمَّاه. «لسان العرب»: (١١/ ١٥٠).

(٣) «ظاهرة النفاق»: (٢/ ٥٢٤-٥٢٥).



٤. قزمان حليف بني ظفر:

قال ابن إسحاق: «حدَّثني عَاصم بن عُمر بن قتادة، قَال: كان فينَا رجلٌ أَتِيٌّ (أي: غريب) لا يُدرىٰ ممَّن هُو، يُقال له: (قزمان)، وكانَ رَسول الله ﷺ يقول إذا ذُكر لَه: «إِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ النَّارِ». فلمَّا كَان يوم أحُد قَاتل قتالًا شديدًا، فقَتل وحدَه ثمانِية أوسبْعَة من المُشركين وكان ذا بَأس، فأثبتَتْه الجِراحة، فاحتُمل إلىٰ دَار بني ظفر، فَجعلَ رِجالٌ من المسلمين يقولون له: والله لقدْ أبليتَ اليَوم يا قزمان، فأبشر وقَد أصَابك مَا ترىٰ في الله، قال: بماذا أُبشَّر؟ فَو الله ما قاتلت إلا حميَّة عَن قومي ولولا ذلك ما قاتلتُ.

فلما اشتدَّتْ عَليه آلامُ جِراحته أخَذَ سَهمًا من كِنانته، فقطَع به رواهش يده (أي: عروق ذراعه ليسيل دمه) فقَتل نَفسه»[١].

○ بعض من كان له دور في بناء مسجد الضرار:

٥. رافعُ بن ودِيعَة الخزرجي.

٦. زيدُ بنُ عَمرو.

٧. عَمرو بْنُ قيس.

٨. جَاريَة بن عامِر بن القَطَّاف.

٩. زَيد بن جَارية: وكانَ لهَذا الابن وأبيه دورٌ في تَشييد مسجِد الضرار.

١٠. الضحَّاك بن ثابِت: وكان يُتهم بالنفاق.

١١. أبو حبيبة بن الأزعر[٢].

---

(١) «جوامع السير»: (١/ ١٦٦)، و«سيرة ابن هشام»: (٢/ ٨٨).

(٢) «المنافقون وشعب النفاق»: (٤١-٤٢)، لحسن عبد الغني.

المطلب الثاني

زعامات المنافقين من أحبار اليهود

تقمَّص بعضُ اليَهود ثَوب النِّفَاق ليتحَرَّك ويُفسد وَيجيء ويَذهَب وهو في مَأمنٍ لأن ظاهرَه الإِسْلام فمن هَؤُلاءِ:

١- زيدُ بن اللصيت: من بني قينقاع، إحْدَىٰ طوائِف اليَهود التِي تَسكن المَدينة، كان دجَّالًا أفَّاكًا عمله الرئيس: إثَارة الشُّبه والشُّكوكِ حَول محمَّد ﷺ ورسالتِه، لَمَّا مَرض عبد الله بن أبيِّ زعيم المنافقين، اشْترَك في التَّردُّد عليه وتمريضِه، وكان ممَّن التف حوله في أثْناء مرضِه وأسف لفِرَاقه بعد موتِه أسفًا بالغًا.(١)

٢. سعد بن حنيف. ٣. نعمان بْن أوفَىٰ بن عمرو. ٤. عثْمان بن أبِي أوفىٰ.

٥. رافع بن حريملة: وهُو الذي قال له الرَّسول ﷺ حين مَات: «قَدْ مَاتَ اليَومَ عَظِيمٌ مِنْ عُظَمَاءِ المُنَافِقِينَ»(٢)، وقد ذكر ابنُ كثير عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن: رافع بن حُرَيملة قال لرسولِ الله ﷺ: يا محمَّد، إن كنت رسولًا مِن الله كما تقول، فقل لله فَلْيُكَلِّمْنا حتىٰ نسمَع كلامه. فأنْزَل الله في ذلك من قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ [سورة البقرة: ١١٨](٣)

٦. رفاعة بن زيد بن التابوت:

عن جابر: «أنَّ رَسول الله ﷺ قَدمَ من سفر، فلمَّا كانَ قُرب المدينَة هَاجت ريحٌ

---

(١) ينظر «تهذيب الكمال»: (٥/ ٥٠٤).

(٢) «سيرة ابن هشام»: (١/ ٥٢٦)، و«السيرة النبوية»/ لابن كثير: (٢/ ٣٤٩)، و«عيون الأثر»: (١/ ٢٨٠).

(٣) «تفسير ابن كثير»: (١/ ٣٩٩)، و«الدر المنثور»: (١/ ٥٧٣)، و«تفسير أبي حاتم»: (١/ ٢١٥).



شَديدة تكاد أنْ تَدفنَ الرَّاكب، فزَعم أنَّ رَسول الله ﷺ قال: «بُعِثَتْ هَذِهِ الرِّيحُ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ» فلَمَّا قَدم المدينة فإذا مُنافقٌ عَظيم من المُنافقينَ قد مَات»(١)، ووجَد المُسلمون أنَّ رفاعَة بن زيد بن التابوت هو الذي مات في ذلِكَ اليَوم الذي هبت فيه الريحُ، وكان عظيمًا من عظماء يهود وكهفًا للمنافقين.

٧. سلسلة بن برهام.

٨. كنانة بن صويريا.

---

(١) رواه مسلم، ك صفات المنافقين وأحكامهم: (٢٧٨٢).

المطلب الثالث
من تاب من المنافقين

لم أجد في المصَادر التِي بَين يديَّ مِن أسماء المُنافقين الذين تابُوا ورجعوا إلا ما كان من شأن:

١. جُلاسُ بن سويد بن صامت (من الأوس): مِن بني حُبيب بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس؛ كان مِمَّن اجتَمع إلىٰ يَهود من منافقي الأنْصَار.

وكان جُلاسُ ممن تخلَّف عن رسول الله ﷺ في تَبوك، وقال فيما قال: لَئن كَان هذا الرجل -يعني الرسول ﷺ- صادقًا لنحن شرٌّ من الحُمُر، وكَان في حجره عمير بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذْ كان زوج أمِّه بعد أبيه سعَد فقال لَه عُمير: والله يا جُلاسُ إنَّك لأحب الناس إليَّ، وأحسنُهم عندي يَدًا، وأعزهم عليَّ أن يصيبه شيءٌ يكرهه، ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحنَّك، ولئن صمتُّ عليها ليهلكنَّ ديني، ولأحداهما أيسر عليَّ من الأخرىٰ.

ثمَّ مشىٰ عمير بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١] إلىٰ رسول الله ﷺ، فذَكَر له

---

(١) هو: عُمَيْرُ بنُ سَعْدِ بنِ شُهَيْدِ بن قيس بن النعمان بن عمرو الأنصاري، الأوسي، العبد الصالح، الأمير، صاحب رسول الله -ﷺ-. حدث عنه: أبو طلحة الخولاني، وراشد بن سعد، وحبيب بن عبيد. وكان ممن شهد فتح دمشق مع أبي عبيدة. وولي دمشق وحمص لعمر. عن أبي طلحة الخولاني، قال: أتينا عمير بن سعد في نفر من أهل فلسطين، وكان يقال له: نسيج وحده. وقال ابن أبي حاتم: عمير بن سعد بن شهيد الأنصاري له صحبة. قال صفوان بن عمرو: خطب معاوية علىٰ منبر حمص، وهو أمير علىٰ الشام كله، فقال: والله ما علمت يا أهل حمص إن الله ليسعدكم بالأمراء الصالحين، أول من ولي عليكم: عياض بن غنم، وكان خيرا مني، ثم ولي عليكم: سعيد بن عامر، وكان خيرا مني، ثم ولي عليكم (٢): عمير، ولنعم العمير كان، ثم ها =

ما قال جلاس بن سُويد، فحلف جُلاس بالله لِرسول الله ﷺ لقد كذب عليَّ عمير وما قلت ما قال عمير بن سعد، إلىٰ أن نزل قولُه تعالىٰ: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ [سورة التوبة: ٧٤] الآية.

قال ابن إسحاق: فزعموا أنَّه تَاب، فحسنَت تَوبتُه حتَّىٰ عُرف منه الخَير والإِسْلام، وقد أثبت تَوبته الإمامُ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ(١)، وكان قبل توبته من الذين دَعاهم رجال من المُسلمين في خُصومة كانت بينهمْ إلَىٰ رسول الله ﷺ، فدَعوهم إلىٰ الكُهَّان حُكَّام أهل الجاهليَّة، فأنزل الله فيهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء: ٦٠].

= أنا ذا قد وليتكم، فستعلمون. عن عبد الرحمن بن عمير بن سعد: قال لي ابن عمر: ما كان من المسلمين رجل من أصحاب النَّبيّ -ﷺ- أفضل من أبيك. وروىٰ: هشام، عن ابن سيرين: كان عمير بن سعد يعجب عمر، فكان من عجبه به، يسميه: نسيج وحده. قال المفضل الغلابي: زهاد الأنصار ثلاثة: أبو الدرداء، وشداد بن أوس، وعمير بن سعد، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: وددت أن لي رجلا مثل عمير أستعين به في أعمال المسلمين. ينظر «سير أعلام النبلاء»، للذهبي: (٢/ ٥٥٧)، و«تاريخ الإِسْلام»، للذهبي: (٢/ ٤٣٤)، و«سير السلف الصالحين»، للأصبهاني: (ص: ٦٠٤).

(١) ينظر «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر»: (١/ ٢٤١).

المطلب الرابع
المنافقات من النساء مواقف وأحوال

أ- خفاء أدوارهنَّ:

النِّفاق داءُ يصيب الرجال كما يُصيب النِّساء، وقد ذكر اللهُ شأنَ المنافقات في القرآن كما ذكر شأن المنافقين، إلا أنَّ ذِكر المُنافقات كان أقل، وسَبب ذلك -والله أعلم-:

١. أنَّ النساء لم يكن لهنَّ مَواقف مستقلَّة في المجتمع النِّفاقي، فقد كنَّ تابعَات للرجال وهذا يجعلهنَّ أدوات منفِّذَة لمُخطَّطاتهم ومُؤامراتِهم، كما شَأن اليَهود مع المَرأة، بل وغيرُهم من فِرق وطَوائف الضَّلال، فالمَرأة تظلُّ هِي والمال السلاح الذي يُسيطر به من يريد الإفساد والغواية.

٢. ثمَّ إنَّ النِّساء لم يكن لهنَّ دَور في الجهاد كمُقاتلات فقد أُعفين مِن ذلك، ممَّا جَعل فريضة الجهاد على المنافقين لتفضحهم وتعرِّيهم.

من أجل ذلك كانت الآيَات التِي وَرد فيهَا شَأن المُنافقات قد تحَدَّثت عَن الجزاء الأخروي وما أعدّ الله لهن من عقوبة قاسية ومصير أليم[1]، إلى جانب ماورد من أنهن يأمرن بالمنكر وينهين عن المعروف: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [سورة التوبة: ٦٧].

أما آياتُ الجَزاء الأُخرَوي؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا﴾ [سورة الأحزاب: ٧٣].

---

(١) «موقف القرآن من النفاق والمنافقين»: (٢١١-٢١٢).

وقال سُبحانه: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة الفتح: ٦].

ب ـ أسماؤهنَّ:

لم يَثبت بِدليلٍ صحيح ذِكرُ اسْم واحِدة منهنَّ، إلا ما كان من الخَطمى عصماء بنت مروان، وهي مِن بَني أمية بن زَيد، لكن الرواية التي ذكرتها ضعيفَة جدًّا بل موضوعة.(١).

---

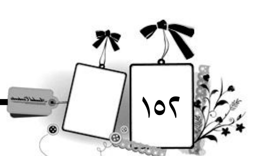
(١) قال ابن إسحاق: وغَزوَة عمير بن عدي لقتل الخَطمى عصماء بنت مروان وهي من بني أمية بن زيد.. فلما قُتل أبو عفك نافقت فذكر عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه، قال: وكانت تحت رجل من بني خَطمة يقال له يزيد بن زيد، فقالت تعيب الإِسْلام وأهله:

وعوفٍ وباست بني الخزرج	**باست بني مالك والنَّبِيّت**
فلا من مراد ولا مذجج	**أطعتم أتاويَّ من غيركم**
كما يُرتجى مرق المُنضج	**ترجونه بعد قتل الرؤوس**
فيقطع من أمل المُرتجى	**ألا أَنِف يبتغى عِزة**

قال فأجابها حسان بن ثابت فقال:

وخطمة دون بني الخزرج	**بنو وائل وبنو واقفٍ**
بعولتها والمنايا تجى	**متى ما دعت سفهًا ويحها**
كريم المداخل والمخرج	**فهزَّت فتى ماجدًا عرفه**
بعد الهدّ فلم يحرج	**فضرَّجها من نجيع الدَّما**

فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك: «ألا آخر من ابنة مروان «؟ فسمع ذلك من قول رسول الله ﷺ عمير بن عديّ الخطمي وهو عنده رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.. فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها في بيتها فقتلها ثم أصبح مع رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله إني قد قتلتها، فقال: «نصرت الله ورسوله يا =



ج- بعض صفاتهنَّ:

بقي في شَأنِ المُنافقات منَ النِّساء ما جاء في حقهنَّ مِن وصف رسول الله ﷺ لهُنَّ بالتَّبرُّج والاختلاع.

فعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مولى رسول الله ﷺ، عَن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «المُختَلِعَاتُ هُنَّ المُنَافِقَاتُ»(١).

وعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رَسُول الله ﷺ: «إِنَّ المُختَلِعَاتِ(٢)

= عمير»، فقال: هل عليّ شيء من شأنها يا رسول الله؟ فقال: «لا ينتطح فيه عنزان «.
قال ابن عدي - وتبعه ابن الجوزي -: هذا الحديث مما يتهم بوضعه محمد بن الحجاج. قلت: وهو كذاب خبيث؛ كما قال ابن معين، والراوي عنه محمد بن إبراهيم الشامي؛ كذاب أيضًا؛ كما تقدم بيانه في الحديث الذي قبله؛ ولكنه قد توبع: أخرجه الخطيب في «التاريخ»: (١٣/ ٩٩)، من طريق مسلم بن عيسى - جار أبي مسلم المُستَمْلي -: حدثنا محمد بن الحجاج اللخمي... به. ذكره في ترجمة ابن عيسى هذا، ولم يزد فيها على أن ساق له هذا الحديث، فهو مجهول العين. والله أعلم.
والحديث؛ علقه ابن سعد في «الطبقات»: (٢/ ٢٧ - ٢٨)، بأتمِّ مما هنا، والظاهر أنه مما تلقاه عن شيخه الواقدي، وقد وصله القضاعي: (٢/ ٤٨/ ٨٥٨)، من طريقه بسند آخر نحوه. لكن الواقدي متهم بالكذب؛ فلا يعتدُّ به، وأورد منه الشيخ العجلوني في «كشف الخفاء»: (٢/ ٣٧٥/ ٣١٣٧)، حديث الترجمة فقط من رواية ابن عدي، وسكت عنه؛ فأساء! انظر هذا التخريج آنف الذكر في «السلسلة الضعيفة»، برقم: (٦٠١٣). انظر «مسند الشهاب»، القضاعي: (٢/ ٤٨) (٨٥٨)، و«المنافقون ومواقفهم تجاه الأمة الإِسْلامية»: (٧٣)، لهالة الشريف.

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الطلاق واللعان، باب ما جاء في المختلعات، برقم: (١١٨٦)، وقال الترمذي: غريب من هذا الوجه، وليس إسناده بالقوي. «صحيح الترغيب والترهيب»: (٨/ ٢٠).

(٢) والخلع كما عرفه العلماء: مأخوذ من خلع الثوب إذا أزاله، لأن المرأة لباس الرّجل والرّجل لباس لها قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧]، وهو إزالة ملك النكاح مقابل مال، فالعوض جزء أساسي من مفهوم الخلع، فإذا لم يتحقق العوض لا يتحقق الخلع، والخلع منه ما يجوز ومنه مالا يجوز، والذي يجوز منه إذا كان هناك سبب يقتضيه، كأن يكون =

وَالْمُتَنَزِعَاتِ(١) هُنَّ الْمُنَافِقَاتُ»(٤).

= الرجل معيبًا في خلقه أو خُلقه أو يؤذي الزوجة، وأن تخاف المرأة ألاّ تقيم حدود الله، فيما يجب عليها من حسن الصحبة وجميل المعاشرة كما هو ظاهر الآية.

والخلع الممنوع: هو الذي ليس له ثمة سبب شرعي يقتضيه، وهذا الذي جاء الوعيد فيه، ووصف من طلبته من زوجها بالنفاق أي: من أعمال النفاق لأنه تنكر للمعروف والعشرة والوفاء بالعهد بين الزوجة وزوجها، وتفاصيل ذلك في مظانه من كتب الفقه، وانظر «المنافقون في الكتاب والسنة»: (٧٩-٨٠).

(١) المنتزعات: أي الجاذبات أنفسهنّ من أزواجهنّ بأن يردن قطع الوصلة بالفراق، ويحتمل أن المراد، النساء اللاتي يأبين الزواج من قومهن ويؤثرن عليهم الأجانب، «فيض القدير شرح الجامع الصغير»: (٢/ ٣٨٧).

(٢) والخلع كما عرفه العلماء: مأخوذ من خلع الثوب إذا أزاله، لأن المرأة لباس الرّجل والرّجل لباس لها قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧]، وهو إزالة ملك النكاح مقابل مال، فالعوض جزء أساسي من مفهوم الخلع، فإذا لم يتحقق العوض لا يتحقق الخلع، والخلع منه ما يجوز ومنه مالا يجوز، والذي يجوز منه إذا كان هناك سبب يقتضيه، كأن يكون الرجل معيبًا في خلقه أو خُلقه أو يؤذي الزوجة، وأن تخاف المرأة ألاّ تقيم حدود الله، فيما يجب عليها من حسن الصحبة وجميل المعاشرة كما هو ظاهر الآية.

والخلع الممنوع: هو الذي ليس له ثمة سبب شرعي يقتضيه، وهذا الذي جاء الوعيد فيه، ووصف من طلبته من زوجها بالنفاق أي: من أعمال النفاق لأنه تنكر للمعروف والعشرة والوفاء بالعهد بين الزوجة وزوجها، وتفاصيل ذلك في مظانه من كتب الفقه، وانظر «المنافقون في الكتاب والسنة»: (٧٩-٨٠).

(٣) المنتزعات: أي الجاذبات أنفسهنّ من أزواجهنّ بأن يردن قطع الوصلة بالفراق، ويحتمل أن المراد، النساء اللاتي يأبين الزواج من قومهن ويؤثرن عليهم الأجانب، «فيض القدير شرح الجامع الصغير»: (٢/ ٣٨٧).

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير»: (٩٣٥) من حديث عقبة بن عامر بدون قوله: «والمتبرجات»، وصححه الألباني في «الصحيحة»: (٦٣٢).

وعن أبي أذينة الصدفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسولَ الله ﷺ قال: «خَيْرُ نِسَائِكُمُ الوَدُودُ الوَلُودُ، المُوَاتِيَةُ المُوَاسِيَةُ[١] إِذَا اتَّقَيْنَ اللهَ، وَشَرُّ نِسَائِكُمُ المُتَبَرِّجَاتُ المُتَخَيِّلَاتُ[٢]، وَهُنَّ المُنَافِقَاتُ، لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْهُنَّ إِلَا مِثْلُ الغُرَابِ الأَعْصَمِ»[٣].

وقد سبق بِحَمد اللهِ التفصيلُ في هذه الأحاديث[٤].

د ـ المنافِقات وفتنة المسيح الدَّجَّال:

عن جابر بن عبد الله قال: أشْرف رسولُ الله ﷺ على فلق[٥] من أفْلاق الحرَّة ونحن معه، فقال: «نِعْمَتُ الأَرْضِ المَدِينَةُ إِذَا خَرَجَ الدَّجَّالُ، عَلَىٰ كُلِّ نَقْبٍ[٦] مِنْ أَنْقَابِهَا مَلَكٌ لَا يَدْخُلُهَا، فَإِذا كَانَ كَذَلِكَ رَجَفَتِ المَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، لَايَبْقَىٰ مُنَافِقٌ وَلَامُنَافِقَةٌ إِلَّاخَرَجَ إِلَيهِ، وَأَكْثَرُ -يَعنِي: مَنْ يَخْرُجُ إِلَيهِ- النِّسَاءِ، وَذَلِكَ يَومُ التَّخْلِيصِ، وَذَلِكَ يَوْمٌ تَنْفِي المَدِينَةُ الخَبَثَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ،

---

(١) أي الموافقة للزوج. «فيض القدير»: (٣/ ٤٩٢).

(٢) المعجبات المتكبرات، المرجع السابق: (٣/ ٤٩٣).

(٣) أخرجه البيهقي في «الكبرىٰ»: (١٣٢٥٦)، عن أبي أذينة الصدفي، قال المناوي في «فيض القدير»: (٣/ ٤٩٣): مرسل. الغراب الأعصم.. هو الأبيض الجانبين وقيل أبيض الرجلين. انظر «النهاية»: (٣/ ٢٤٩)، و«صحيح الجامع الصغير وزيادته»: (٣٣٣٠).

(٤) انظر مزيد تفصيل: (١/ ٥٣٣-٥٣٦).

(٥) الفَلَق بالتَّحريك: المطمئن من الأرض بين ربوتين، ويجمع علىٰ فُلْقَان أيضا. ينظر «النهاية في غريب الحديث والأثر»: (٣/ ٤٧٢).

(٦) النقب: هو الطريق بين جبلين. ينظر «تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم»: (صـ ٣٢٧)، المؤلف: محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفىٰ: ٤٨٨هـ)، المحقق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الناشر: مكتبة السنة – القاهرة – مصر، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٥ – ١٩٩٥

يَكُونُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ اليَهُودِ، عَلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ سَاج(١) وَسَيفٍ مُحَلًّى، فَتُضْرَبُ قُبَّتَهُ بِهَذَا الظَّرْبِ(٢) الذِي عِنْدَ مُجْتَمَعِ السُّيُولِ»، ثُم قال رسول الله ﷺ: «مَا كَانَتْ فِتْنَةٌ، وَلَا تَكُونُ حَتَّى تَقُومُ السَّاعَةُ، أَكْبَرَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَلَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ حَذَّرَهُ أُمَّتَهُ، وَلأُخْبِرَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مَا أَخْبَرَهُ نَبِيٌّ أُمَّتَهُ قَبْلِي»، ثُمَّ وَضَع يده على عينه، ثُمَّ قال: «أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرٍ»(٣).

❍ يستفاد من هذا الحديث مايلي:

● أن المنَافقَات يتعاقبن كتعَاقب المُنافقين على مرِّ العُصور والأزمان إلى وَقت ظهور الدجَّال.

● أنهُنَّ مُنتشرات في أمَاكن مِن الأرض عدِيدَة حتَّى إنَّه لم تخلُ مِنهن أطهَرُ البِقاع، لكنَّها المَدينة تَنفِي خَبثها كما يَنفي الكِير خَبث الحديد.

● وكما يتبع المُنافقُون الدَّجَّال، فكَذلك المُنافقات حَيث يُخرَجن من المدينة بالرَّجفات الثلاث، وكما الدَّجالون في زمانِنَا ممَّن هُم دعاة على أبواب جَهنَّم يتبعهم كل منافِق ومنافقة وآثِم وآثِمة.

هـ- بعض أدوار المنافقات:

يبدو أنَّ نِفاق النِّساء كان متَعدِّد الجَوانب شأن نِفاق الرِّجال، فمن ذلك:

---

(١) الساج: هو الطَّيْلَسَان الأخضر، وقيل هو الطَّيْلَسَانُ المقوَّر يُنسَج كَذَلِك، كأن القلانس كانت تعمل منها أو من نوعها. ومنهم من يجعل ألفه منقلبة عن الواو ومنهم من يجعلها عن الياء. ينظر «النهاية في غريب الحديث والأثر»: (٢/ ٤٣٢).

(٢) الظِّرَاب: الجِبَالُ الصِّغار، واحدُها: ظَرِب بوزْن كَتِف. وَقَدْ يُجْمَع فِي القِّلة عَلَى أَظْرُب. ينظر «النهاية في غريب الحديث والأثر»: (٣/ ١٥٦).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٣/ ٢٩٢)، وصححه الألباني في «الصحيحة»: (٣٠٨١).



١- أنهنَّ يثبطْنَ هِمم المسلمين عنِ الخُروج للجهاد، ولعل دورهنَّ في هذا الصدَدِ كان أكثر فاعليَّة مع أبنائهن وأزواجهنّ وأقاربهن.

٢- كذلك كنَّ يمتَنعن عَن كل مَعروفٍ وَخير للجمَاعَة الإِسْلاميَّة، فلا ينفِقنَ فِي سبيل الله، بل ويُحرضنَّ ذَويهنَّ عَلىٰ عدم الإنفاق، ويحتمل أنهنَّ كنَّ يُحرضن أيضًا النساء المسلمات علىٰ إمساك اليد والبخل.

٣- كذلك كنَّ يَصددن النَّاس عن الإيمان بالله، ويُحتمل أيضًا أنَّهنَّ كنَّ يَستهزئن بأمور الشَّرع وفرائضِه من صَلاة وصوم وزكاة، وهذا يستفاد من عموم نصوص الوحيين وأبحاث السيرة.

٤- كُنَّ يَأمرن بالمُنكَر وينهَين عن المعروف، قال تعالىٰ: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمُنكَرِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَقۡبِضُونَ أَيۡدِيَهُمۡۚ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمۡۚ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [سورة التوبة: ٦٧].

وممَّا يُؤكد وجود دورٍ فاعِل للمنافقات في دعم حركَة النِّفاق والصدِّ عَن سبيل الله ما ذكره عددٌ مِن المفسرين حول بيَانهم لمعنىٰ هذه الآيةِ، فقد قال الإمام الطبري عند قوله تعالىٰ: ﴿بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ﴾ [سورة التوبة: ٦٧]: «أي: أنَّ دَينهم واحدٌ وطريقتهم واحدة»(١).

وقال الإمام الألوسي: «أي مُتشابهون في القُبح والرَّداءَة وسوء الاستعدَاد»(٢). أمَّا الرَّازي فقد أفصح عن ذَلك بجلاء فقال: «والمقصودُ بيانُ أنَّ إنَاثهم كذوكورهم في تِلك الأعمال المُنكرة والأفعال الخَبيثة»(٣).

---

(١) «تفسير الطبري»: (٦/ ٣٢٧).

(٢) «تفسير الألوسي»: (٧/ ٢٩٩).

(٣) «تفسير الرازي»: (٨/ ٨٩)، وانظر كذلك «تفسير النكت والعيون»: (١/ ٢٢٦)، لأبي الحسن الماوردي.



الفصل الثاني

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول
أبرز زعامات المنافقين في عهد الخلافة الراشدة

المطلب الأول
عبد الله بن سبأ اليهودي

أولا: عبد الله بن سبأ:

لم تكن زعَاماتُ النِّفاق لينْقَطع نسلُها بِموت ابن سلول رأسِ النَّفاق وعمود خيمَتِه، بل خلفه أحفَادٌ وذرِّيَّةٌ كَان منهم عبد الله بن سبأ[١] الشَّخصيَّة التي نسجت خُيوط المُؤامرة، وخططت تدابير الفِتنَة، وكانت الأظهر أثرًا والأسْوأ نكايَةً في الصَّفِّ الإِسْلامي، ولقد دبَّر هذا المنافق من المكَائِدِ ما آلت في نهايتها إلى مَقتل ذي النُّورين عُثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأشعَلَ نارَ الفتنة في موقعَةِ الجمل بين الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ما نَتج عنها نشوب اقْتِتَال بينهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

أما المُعتقدات التِي نادى بها وغَرس جذورَها حتى أثمَرَت حنظلة الرَّفض

(١) لن أجاوز الحقيقة إن قلت أني في مبحث عبد الله بن سبأ وفرقة السبئية كنت عالة على رسالة الماجستير النفيسة القيِّمة للدكتور سليمان العودة والتي هي بعنوان: «عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإِسْلام»، وكذلك أفدت كثيرًا من رسالة الدكتوراه للدكتور محمد أمحزون مجلدان والتي هي بعنوان «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين»، فجزاهما الله عني خير الجزاء وبارك في علمهما وعملهما.

ومَذهب الإثنى عَشريَّة والفرق الباطنِيَّة، إلا فصول شَوهاء وأدوار نَكراء تزعمها ونهَضَ بها وأشاعها ابن السَّوداء، الذي كان أبرز شَخصيَّة في تلكم الحِقبَة الزمنية ومَا تلاها من عصُور، بما خلَّف من عقائد وأفكار ومنَاهج وغيرِها، لبس لبوس النفَاق وتدرَّع بردائه ليبلغ بكيده مداه وليحقق من وراء تستره مآربه.

○ ومن الإجمال إلى التفصيل:

ـ **نسبه واسمه:** عبدُ الله بن وهب: عند البلاذري(١)، والأشعري(٢)، والمقريزي(٣). وزاد الذهبي:(٤) السبأي. وإن كان بينهم اختلاف في نِسبَته إلى السَّبئيين أو إلى الهَمَدانيين أو إلى الحُميريين، فكلها تؤكِّد الأصل (اليَمني) لعبد الله بن سبأ.

جاء في تاريخ الطَّبري: «كان عبدُ الله بن سبأ يَهوديًّا من أهْلِ صَنعاء(٥)، وأكَّد ذلك ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٦).

لقبه: ابنُ السَّوداء؛(٧) لأنَّه من أم حبشيَّة.

---

(١) «أنساب الأشراف»، أحمد بن يحي البلاذري – تحقيق: محمد بن حميد الله، دار المعارف، سنة (١٣٧٩هـ– ١٩٨٧م): ص (٥/ ٣٨٢).

(٢) «المقالات والفرق»، القمي أبو خلف سعد بن عبد الله الأشعري، صححه وقدم له وعلق عليه: د محمد جواد مشكور، مؤسسة مطبوعاتي عطاني/ طهران ١٩٦٣: ص (٢٠).

(٣) «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار»، المقريزي: أبو العباس أحمد بن علي، دار الطباعة المصرية/ بولاق، وأعاد طبعه بالأفست مكتبة المثنى بغداد، سنة ١٩٧٠م: (٢/ ٣٤٦).

(٤) «المشتبه في الرجال: أسمائهم وأنسابهم «الإمام الذهبي أبي عبد الله محمد بن أحمد، علي بن محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى (ت١٩٦٢م): (١/ ٣٤٦).

(٥) «تاريخ الطبري»: (٤/ ٣٤٠).

(٦) «تاريخ مدينة دمشق»، لابن عساكر: (٢٩/ ٤).

(٧) انظر «الفرق بين الفرق»: ص (٢٢٥)، و«البيان والتبيين»، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، =

ديانته: يَهودي من يهود الفلاشا، الذين هم من أشدِّ الطوائف تأثُّرًا بالمسيحيَّة الحبشِيَّة[(١)]؛ وعليه فنشأته كانت في بيئةٍ يهُوديَّةٍ امتزَجت بها تعاليمُ المسيحِيَّة، ونستطيع بعد هذا أن نفهم الازْدِواجِيَّة في التأثير في الآرَاءِ التي نادىٰ بها ابْن سَبأ، وخاصَّة في عَقيدة (الرجعة).. (الوصية)، حينَما قال: (العَجب مِمَّن يزعم أنَّ عيسَىٰ يرجع ويُكذب بأنَّ مُحمدًا يرجع، وقدْ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [سورة القصص: ٨٥] فمَن أحقُّ بالرُّجوع من عيسىٰ، ولكل نبيٍّ وصيٌّ وكان علي وصيُّ محمد)[(٢)(٣)].

وقبل الولوج في مُجريَات الأحداثِ العَصيبة التي خَطَّط لها ابنُ سبأ وأشعل فتِيلَها وتولَّىٰ كِبرها، لا بُدَّ من الوقوف علىٰ نَشأة السَّبئية وبعض معتقداتها.

ثانيًا: السبئية:

١. نشأتها: كَان قَد ظَهر عَبد الله بن سَبأ في الحِجاز ثُمَّ البَصرة، ثُمَّ انتَقل إلىٰ الكُوفة ومِنها إلىٰ الشَّام ثُمَّ مِصر، ودونكَ في ذَلك أقوالُ أئِمَّة التاريخ والسِّير من علماء المسلمين.

وردَ عَن الإمامِ الطَّبري وابْنِ الأثِيرِ ذِكْرُ ابْن سَبأ في أحداث سنة ٣٥هـ، فذُكر: «أنَّه كَان يهُوديًا من أهل صَنعاء، وأنَّه أسْلَم ظاهرًا زَمن عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، وأخَذَ يتنقَّلُ في

= تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة/ الطبعة الأولىٰ ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩مـ: ص (٣/ ٨١)، و«تاريخ الإسْلام»، للذهبي: (٢/ ١٢٢) وغيرها.

(١) «مذهب الإسْلاميين»: (٢/ ٢٨)، لعبد الرحمن بدوي.

(٢) «تاريخ الطبري»: (٤/ ٣٤٠).

(٣) نقلًا عن رسالة الشيخ سليمان العودة، والتي أفدت منها كثيرًا في هذا الشأن وهي بعنوان: «عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإسْلام»: (ص٤٦).

بلدانِ المُسلمِين من قُطر لآخر محاولًا ضَلالتِهم، فابتدَأ بالحجَاز ثُمَّ البَصرَة ثُمَّ الكُوفةِ ثُم الشام، فلَم يقدر على شيءٍ فِيها، فأتى مِصر واستقرَّ بها وطابت له أجَواؤها»(١)، «مع أنَّهما قد أوردا ذكره في موضع آخر قبل سنة ٣٤هـ في الكوفة»(٢).

وأول ذكر لابن سبأ عند ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (٣٤هـ): «وأنَّه كَان سببُ تَأليب الأحْزَاب على عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ»(٣)، ثم أورده في أحداث (٣٥هـ): «مع الأحْزَاب الذينَ قَدِموا مِن مصرَ يَدعُون النَّاس إلى قتالِ عُثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ونَصر الدِّين، وأنَّه أكبرُ الجِهَاد اليوم»(٤).

وقد رجَّح الشَّيخ سليمان العودة بَعد استقرائه للنُّصوص وجمعه لأطرافها:

أنَّ أقْرَب توجيهٍ للنُّصوص هوَ أنْ يَكون ابن سبأ قد دَخلَ الشَّام مرَّتين؛ كَانت الأولى سنة ٣٠هـ، والثَّانية بَعد إخراجِه من الكوفة سنة ٣٣هـ(٥).

وعليه فيكون قَد ظَهر في الحِجاز قبل سَنة ٣٠هـ، لكِنَّه لم يمكُث فيهِ كَثيرًا لعدم وجود التُّربة المناسبة وقتئِذٍ لأفكاره وأهدافه(٦).

هذا فِيما يتعلَّق بنشأة ابن سبأ مكانًا وزمانًا.

---

(١) «الطبري»: (٤/ ٣٤٠)، و«ابن الأثير»: (٣/ ١٥٤).

(٢) «الطبري»: (٤/ ٣٣١)، و«ابن الأثير»: (٣/ ١٤٧).

(٣) «البداية والنهاية»: (٧/ ١٨٣).

(٤) المرجع السابق: (٧/ ١٩٠).

(٥) «البداية والنهاية»: (٧/ ١٨٣).

(٦) المرجع السابق: (٧/ ١٩٠).



المطلبُ الثَّاني
فِرقة السَّبئية

هي الطَّائفة التي رأسُها وأسَاسُها عبد الله ابن سبأ، قال ابن قتيبة: «والسَّبئيَّة مِن الرَّافضَة يُنسبون إلى عبدِ الله بن سبأ»(١)، وعِند ابن عساكر كَذلك حيث قالَ: «عبدُ الله ابن سبأ رأسُ الطَّائفة السَّبئيَّة»(٢).

وعند الصفدي: «عَبدُ الله بن سَبأ هو رأسُ الطَّائفة السَّبئيَّة»(٣)، وورَد ذِكر ذَلك في مَواعظِ المَقريزي(٤) وتعْرِيفات الجِرجَاني(٥).

وفي كتب الفِرق لا تكاد تَقفُ عَلى طائفَةِ السَّبئيَّة إلا وهي منسُوبة إلى عبْدِ الله ابنِ سَبأ، ونماذج ذَلك كثيرة(٦)، ولَم يكن هذا محَل اتِّفاقٍ عِند أهل السُّنَّة وحدهم،

(١) «المعارف»، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٩٢ م: (ص: ٢٦٢).

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: (٢٩/ ٣).

(٣) «الوافي بالوفيات»، للصفدي: (١٧/ ١٠٠).

(٤) «المواعظ والاعتبار»: ج (٢/ ٣٥٣).

(٥) «التعريفات»: (ص ٧٩).

(٦) انظر «الزينة في الكلمات الإسْلامية العربية»، لأبي حاتم بن أحمد بن حمدان، د/ عبد الله سلوم السامرائي جعله ملحقا لكتابه «الغلو والفرق الضالة»، دار الحرية للطباعة – مطبعة الحكومة/ بغداد عام ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م: (ص٣٠٥)، «مقالات الإسْلاميين واختلاف المصلين»، أبو الحسن الأشعري، تحقيق: هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة: (١/ ٨٦)، و«التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع»، للإمام أبي الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي، تقديم وتعليق: محمد بن زاهد الكوثري، مكتبة المثنى =

بل حتَّى عُلماء الشِّيعة، فقد أكَّدوا هذا في عدد من كتبهم، فالناشئ الأكبرُ هُو من أوائل مَن كَتب في المقالاتِ والفِرق من الشيعة ت ٢٩٣هـ يقول: وفِرقَة زَعموا أن عليًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يَمُت وأنه لا يَمُوت حتى يسوق العرب بعَصَاه، وهَؤُلاءِ هُم السَّبئيَّة أصحاب عبد الله بن سبأ(١).

ويقول القِمِّي (٣٠١هـ): «وهَذه الفِرقة تُسمَّى السِّبائِيَّة أصْحاب عبد الله بن سَبأ»(٢).

وقد ذهب الشيخ العودة إلى ترجيح الرأي القَائِل بنشُوء طَائفة السَّبئيَّة في أواخِر خِلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣)، لكنَّ أفْكَارها لم تتَّضِح ولَم تَظهَر كَفرقَة تُواجه النَّاس بمعْتَقداتِها إلا أيَّام عَلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ففِي عَهدِه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جاءَتْه السَّبئيَّة وقالوا: أنتَ أنتَ! قال: ومنْ أنا؟ قالوا: الخَالق البَاريء، فاستَتَابَهم فَلم يرجِعُوا، فأَوْقَد

= ببغداد ومكتبة المعارف ببيروت - طبع عام ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م: (ص١٨)، ابن حزم، «الفصل والملل»: (٤/ ١٨٠)، والإسفراييني، «التبصر في الدين»: (ص ١٠٨)، و«الملل والنحل»، الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، دار المعرفة للطباعة والنشر/ بيروت، الطبعة: الثانية (١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م): (١/ ١٥٥)، و«اعتقادات فرق المسلمين والمشركين»، ابن الخطيب فخر الدين بن محمد الرازي، راجعه: علي سامي النشار، نشر مكتبة النهضة المصرية وطبع في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بتاريخ: ١٣٥٦- ١٩٣٨مـ: (ص٥٧)، و«البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان»، عباس بن منصور السكسي، تحقيق: خليل بن أحمد بن إبراهيم الحاج، دار التراث العربي الطبعة الأولى ١٩٨٠م: (ص ٥٠).

(١) «مسائل الإمامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات»، الناشئ الأكبر، تحقيق وتقديم: يوسف فان اس، الناشر: دار فرانتس شتاينر بقيسبادن/ بيروت ١٩٧١م: ص ٢٢.

(٢) «المقالات والفرق»: (ص ٢٠).

(٣) «عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة»: (٢٠٦).



لهم نارًا عَظيمة وأحرَقَهم، وقال مرتجزًا:

لمَّا رَأَيْتُ الأَمْرَ أَمْرًا مُنْكَرًا أَجَّجْتُ نَارِي وَدَعَوْتَ قَنْبَرًا

وخبر إحراق علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لطائفةٍ منَ السَّبئيَّة ثَابت بالروايات الصحيحة وكتب المعارف العامة وعند أصحاب المقالات والفرق.

وهذه الفِرية الشَّنيعَة فيهَا من الغُلوِّ ومُجاوزة الحدِّ فِي حَقِّ عَلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا جعَله يَصنَع بِهم ذَلك، فكيفَ وَقد وقَفوا علىٰ بَاب المَسجدِ مُدَّعين أنَّه رَبهم فيدعوهم ويقول لهم: ويلكُم مَا تقولون؟! قالوا: أنتَ ربُّنا وخالِقُنا ورازِقُنا، فقال: وَيلكم إنَّما أنا عبدٌ مثلكم؛ آكل الطَّعام كما تأكلون، وأشرَبُ كما تشربون، إن أطَعتُ اللهَ أثابَني إنْ شاء، وإن عصَيتُه خشيت أنْ يُعذِّبني، فاتقوا الله وارْجِعوا، فأبوا، فلما كَان الغد غَدوا عليهِ، فجاء قنبر (مولىٰ علي) فقال: قَد والله رجَعوا يقولون ذلك الكلام، فقال: أدْخِلهم، فقالوا: كما كانوا يقولون، فلمَّا كان الثالث قال: لئنْ قُلتم ذلك لأقتلَنَّكم بأخْبَث قتلة، فأبوا إلا ذلك، فقال: يا قنبر ائتني بفَعَلَةٍ معهم مرورهم[(١)]، فخدَّ لهم أخدودًا بين باب المسجد والقصر.

وقال: احفروا فابعدوا في الأرض، وجاء بالحطَبِ فَطرحه بالنار في الأُخدود، وقال: إنِّي طارحكم فيها أو تَرجعوا، فأبوا أن يرجعوا، فقذفَ بهم فيها[(٢)].

جاء في صحيح البخاري عن عكرمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «أنَّ عَليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حرق قومًا، فَبلغ ابن عباس فقال: لو كُنتُ أنا لَم أحْرِقْهم؛ لأنَّ النَّبيّ ﷺ قال: «لَا تُعذِّبُوا

---

(١) أي عُمّالا معهم أدوات حفرهم. انظر «مجلة البحوث الإسْلامية» الصادرة من دار الإفتاء بالرياض: (٧٤/ ٢٤٢).

(٢) عزاه ابن حجر في «فتح الباري»: (١٢/ ٢٧٠)، إلىٰ أبي طاهر المخلص في الجزء الثالث من حديثه.



بِعَذَابِ الله»، ولَقتلتهم كما قال النَّبيّ ﷺ: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»(١).

وفي كتاب «استتابة المُرتدين» عنْ عكرمة أيضًا قال: «أتَى عَليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عنهُ بزنادِقة فأحْرقَهم، فبلغ ذلك ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فقال: لَو كُنتُ أنَا لم أحرقْهُم، لِنهْيِ النَّبيّ ﷺ: «لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ الله»»(٢).

«ولقتَلتُهم لِقول الرَّسول ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه».»(٣)

وابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا الذي خَالف عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في إحْراق هَؤُلاءِ -كما جَاء في الخَبرين- هُو نفسُه الذي نهى عَليًّا عَن قتل ابن سبأ حينَما بلغَه عنه غُلُّوه فيهِ، وأشار عليه بنَفيه إلى المَدائن حتى لا تَختلف عليه أصْحابُه، ولا سيَّما وهُو عازمٌ على العود إلى قتال أهل الشام(٤).

ولفظةُ (الزندقة) الوَاردة في الخَبر الثاني ليستْ غَريبة على عبدِ الله بْن سبأ والسَّبئيَّة.

يقُول الذهبي: «عبدُ الله بن سبأ مِنْ غُلاة الزنادقة، ضَالٌّ مُضلٌّ، أحسَبُ أن عليًّا حَرَّقه بالنار»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، برقم: (٢٨٥٤)، من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري كتاب استتابة المرتدين المعاندين وقتالهم، باب حكم المرتد والمرتدة واستتابتهم: ح (٦٥٢٤).

(٣) المصدر نفسه: (٨/ ٥٠).

(٤) «الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية»، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة الثانية، (١٩٧٧م): (ص٢٢٥).

(٥) «ميزان الاعتدال في نقد الرجال»: (٢/ ٤٢٦)، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق الشيخ علي محمد معوض والشيخ عادل أحمد عبدالموجود، دار الكتب العلمية- بيروت، سنة (١٩٩٥م): (٢/ ٤٢٦).



ويقول ابن حجر: «عبد الله بن سبأ مِن غُلاةِ الزَّنادقة».(١)

ويقول عن طائفته: وله اتباعُ يقال لهُم: السَّبئيَّة، معتقِدُون الإلهِيَّة في عَلي بن أبي طالب، وقد أحرقَهُم عليٌّ بالنَّار في خلافته(٢)، بَل إن أحد معاني الزَّندقَة: الادِّعَاء بأنَّ مَع الله إلهًا آخر -كما فسره بعض الشراح-(٣).

وهذا المعنى قال بِه ابن سبأ، وطائفته السبئية كَما تقدم.

وممَّن رَوىٰ حَادثة الإحراق: أبُو داود في «سننه»، في كتاب الحدود، باب الحكم فيمن ارتد(٤)، ورواها النسائي في «سننه»(٥)، والترمذي في «جامعه» في كتاب الحدود، باب ما جاء في المرتد(٦). وابن ماجة في «سننه»(٧).

كما روىٰ خبر الإحراق أبو حفص بن شاهين(٨) بسَندِه عن الشَّعبي أنَّ عليًّا حَرق جَماعة من غلاة الشيعة ونفَىٰ بعضهم، ومن المنفيين عبد الله بن سبأ(٩).

---

(١) «لسان الميزان»، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: دائرة المعرف النظامية - الهند، الطبعة الثالثة، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت: (٣/ ٣٨٩).

(٢) المصدر نفسه: ج (٣/ ٢٩٠).

(٣) ابن حجر، «الفتح»: (١٢/ ٢٧٠).

(٤) «سنن أبي داود»: (٤٣٥١)، وصحح الرواية الشيخ الألباني.

(٥) «سنن النسائي»: (٢/ ١٧٠).

(٦) «سنن الترمذي»: (١٤٥٨).

(٧) «سنن ابن ماجة»: (٢٥٣٥). وصحح الرواية الشيخ الألباني.

(٨) عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين البغدادي، من حفاظ الحديث وصاحب التصانيف، حتى عدّ له نحو من ثلاثمائة مصنف، منها التفسير الكبير، ومنها المسند ومنها في «تاريخ أسماء الثقات ممن نقل عنهم العلم»، مات سنة ٣٨٥هـ. ينظر «طبقات الحفاظ»: (٣/ ٩٨٧)، «الأعلام»، للزركلي: (٥/ ١٩٦).

(٩) «منهاج السنة»: ج (١/ ٧).

أما ابن تيمية فقد قال: «أنه ثَبت عَن عليٍّ أنَّه أحرق غالية الرَّافِضة الذين اعتَقدوا فيه الآلهية»[١]، وذكر في موضع آخر: «أنَّ الذين أحرَقهم عَليٌّ قَد سجَدوا له، فقال: ما هذا؟ قالوا: أنت هو، قال: من أنا؟ قالوا: أنت الله الذي لا إله إلا هو...»[٢].

أما أصحاب المقالات والفرق فيؤكِّدون خَبر الإحْراق؛ ومن هَؤُلاءِ: الأسفراييني[٣] والملطي،[٤] والبغدادي،[٥] والرازي[٦].

---

(١) «الفتاوىٰ»: ج (٢٨/ ٤٧٥).

(٢) «منهاج السنة»: ج (١/ ٨٣).

(٣) «التبصر في الدين»: (ص ١٠٨).

(٤) «التنبيه والرد»: (ص ١٨).

(٥) «الفرق بين الفرق»: (ص ٢٢٣).

(٦) «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين»: (ص ٥٧).



المطلب الثاني

عقيدة السبئية

من أوائِل النُّصوص التِي أبَانت عَن عَقيدَة السَّبئية رسالة الإرجَاء؛ تِلك التي كتبها الحسنُ بن محمد بن الحنفية (بين ٩٥، ١٠٠هـ)، لكي تُقرأ على النَّاس ومما جاء فيها: «ومِن خُصومة هَذه السَّبئيَّة التِي تقول: هُدينا لِوحي ضلَّ عَنه النَّاس وعِلمٍ خَفي، ويَزعمون أنَّ نَبي الله كَتم تِسعَة أعشَار القُرآن».

ولو كان نبيُّ الله ﷺ كَاتمًا شيئًا ممَّا أنْزل اللهُ لكتَم شأن امرأة زَيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٧]، الآية، ولأخْفى قوله تعالى: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [سورة التحريم: ١]، ولكتَمَ قَوْلَهُ سبحانه: ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [سورة الإسراء: ٧٤].

ومن النصوص القَديمة المروِيَّة عن قتادة (ت ١١٨هـ) أنَّه كَان يقول إذا قرأ هذه الآية ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [سورة آل عمران: ٨]: «إن لَم يَكونوا الحرُوريَّة والسِّبائية، فلا أدرِي مَن هُم؟! ولَعمري لقد كان في أهْلِ بَدر والحديبية الذين شَهدوا مع رسول الله ﷺ بيعَة الرضوان من المِهاجرين والأنصار خبرٌ لَمن استخبر، وعبرةٌ لمن اسْتَعبر، لمن كان يَعْقِل أو يُبصر، إن الخوارج خرجوا وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ كثيرٌ بالمدينة والشأم والعراق، وأزواجه يومئذ أحياء».

١. زعمهم أن عليًا إلهًا

لقد كان منْ عَقيدة القَوم زَعمهم ألوهية علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهَذا الذي جَعل عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعاقبهم بالإحراق(١).

---

(١) «عبد الله بن سبأ ودوره في أحداث الفتنة في صدر الإسْلام»: (٢٠٧).

وهذِه العَقيدَة عند السَّبَئية تؤكِّدها أغلب المصَادر الموجودة، أمثال: ابن قتيبة(١) وأبي الحسن الأشعري(٢) والأسفريني(٣) والبغدادي(٤) والملطي(٥) والشهرستاني(٦) وابن عساكر(٧) وابن حجر(٨) والكشي(٩) والرازي(١٠) والمامقاني(١١).. ونحوهم وهي في مقدمة العقائد التي صرَّح بها عَبد الله بن سبأ وأصبحَتْ بَعد ذلك عقيدةً لِلسبئية والرجعة، يُفسرها لنا الأشعري بإجْمَال فيقول: «والسَّبئية يقولون بالرجعة، وأنَّ الأموات يرجعون إلىٰ الدنيا»(١٢).

ويوضحها ابن سبأ بقوله: العَجبُ مِمَّن يَزعُم أن عِيسىٰ يرجِع ويُكذب بأنَّ مُحَمَّدًا يرجع، وقد قَال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ

(١) «تأويل مختلف الحديث»: (ص ٧٣)، و«المعارف»: (ص ٦٢١).

(٢) «مقالات الإسْلاميين»: ج (١/ ٨٦).

(٣) «التبصر في الدين»: (ص ١٠٨).

(٤) «الفرق بين الفرق»: (ص ٢١، ٢٣٣).

(٥) «التنبيه والرد»: (ص ١١٨).

(٦) «الملل والنحل»: ج (١/ ١٥٥).

(٧) ينظر «تاريخ مدينة دمشق»: (٢٩/ ٣).

(٨) «لسان الميزان»: ج (٣/ ٢٩٠).

(٩) «رجال الكشي»، لأبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، قدم له وعلق عليه: أحمد الحسيني، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ كربلاء: (ص ٩٩، ١٠٠)، و«معرفة أخبار الرجال»: (ص ٧٠).

(١٠) «الزينة في الكلمات الإسْلامية»: (ص ٣٠٥).

(١١) «تنقيح المقال في أحوال الرجال»، عبدالله بن محمد المامقاني، الناشر: المطبعة المرتوضية/ النجف ١٣٤٨هـ: (٢/ ١٨٣).

(١٢) «مقالات الإسْلاميين»: ج (١/ ٨٦).



مَعَادٍ﴾ [سورة القصص: ٨٥]، فمُحمَّد أحقُّ بالرجوع من عيسَىٰ، قال فقبل ذلك عنه، ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها(١).

ونجد في «عقد الجمان»: أن ابنَ سَبأ دَخل مصر وطافَ في كُورها وأظْهَر الأمْر بالمَعروفِ وتَكلَّم في الرجعة وقررها في قلوب المصريين(٢).

٢. اعتقادهم برجعة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والسَّبئية يَعتقدون برجعَة عَليٍّ إلىٰ الدُّنيا قبل يَوم القِيامة، وأنه سينزِل إلىٰ الأرض فيملأها عدلًا كما ملِئَت جورًا(٣)، وفي «البرهان»: كان ابن سبأ وفرقته يَقُولون بالرجعة إلىٰ الدنيا بعد الموت، وهو أوَّل مَن قال بذلك(٤)..

قال الأستاذ أحمد أمين في كتابه «ضحىٰ الإسْلام»(٥): «إن أوَّل مَن قال بالرجعة عند الشيعة هو عبد الله بن سبأ، وهُو يهوديٌّ حَاقد تَظاهر بالإِسْلام كما تَظاهر سلَفه بُولس بالنصرانية لإفسَادها، وقد نَقل ابن سبأ فِكرة الرجْعة عَن بولس؛ حيث ورد في الإصحَاح الثاني والعشرين والثالث والعشرين حَكايَة عن بولس: أنا رَجل يَهوديٌّ وُلدت في طرطوس كليكلة، ولكِن ربيت في بيت في هذهِ المَدينة أورشليم. وقَال في

(١) «الطبري»: ج (٤/ ٣٤٠).

(٢) «عقد الجمان»، محمود بن أحمد بن موسىٰ العيني، مخطوط في دار الكتب المصرية برقم: (١٥٨٤)، (تاريخ)، ج ٩/ القسم الأول: (ص ١٦٨).

(٣) «مقالات الإِسْلاميين: ج (١/ ٨٦).

(٤) السكسكي، «البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان»: (ص: ٥٠).

(٥) انظر «ضحىٰ الإِسْلام»، أحمد أمين، نشر: مكتبة النهضة المصرية – الطبعة الثامنة: ص ٢٤٧، و«مختصر التحفة الإثنىٰ عشرية»، شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي، اختصره: السيد محمود شاكر الألوسي، وحققه: محب الدين الخطيب، الناشر: المطبعة السلفية ١٣٧٣هـ: (ص٥٤)، و«محاضرات في النصرانية»: (ص ٧٠ ـ ٧١)، لأبي زهرة.

الثالث والعشرين: أنا فريسي ابن غريسي على رَجاء قيامة الأَموات. فنقَل ابن سبأ فكرة الرجعة والتقديس للأئمة ورفعهم إلى مرتبة الألوهية.

ومن مقتضيات عقِيدَة الرجعة عِندهم قولهم بأن: عليًّا حَيٌّ لم يمت، ولم يقتل ولا يموت حتى يملك الأرض ويسوق العرب بعصاه(١).

وحينما بلغَهم خَبر مَوته قالوا للذي نعَاه إليهم، كذبتَ يا عدوَّ الله، لو جئتنا بدماغه في صُرَّة -كيس- وأقَمت على مقتله سَبعين عدلًا ما صدقناك، ولا يَموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملك الأرض(٢).

وإن كان ابن سَبأ يُعلن أن المَقتول لم يكن عليًّا، وإنَّما كان شيطانًا تصوَّر للناس في صورة علي، وقال كما كذبت اليهود والنصارى في دعواها قتل عِيسى عليه الصلاة والسلام، كذبت النَّواصب والخوارج في دعواها قتل علي رضي الله عنه(٣).

إذا كانت تلك مقالَة ابن سبأ، فإنَّ أحد السَّبئية -رشيد الهجري- يدخل على علي بعد موتِه وهوَ مسجَّى فيُسلِّم ويقول لأصحابه: إنَّهُ ليفهم الكلام ويردُّ السَّلام ويتنفس نفَس الحَي ويعرق تحت الدثَار الوَثير، وإنه الإمام الذي يملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما مُلئت جورًا وظلمًا(٤).

ويقول القِمِّي قريبًا من هذا الكلام: فَهذا مذهب السائبة ومذهب الحربية وهم أصحاب عبد الله بن عمر الكندي في علي عليه السلام(٥).

---

(١) القمِّي، «المقالات والفرق»: (ص ١٩).

(٢) «المقالات والفرق»: (ص ٢١)، و«الفرق بين الفرق»: (ص ٢٢٤).

(٣) «الفرق بين الفرق»: ص (٢٢٣، ٢٢٤).

(٤) الناشيء الأكبر، «مسائل الإمامة»: (ص ٢٣).

(٥) «المقالات والفرق»: (ص ٢١).

٣. ومن عقائدهم اختفاء علي -بالغيبة-:

والسبئية يُعلِّلون اختفاءَ علي -بالغيبة-؛ ولِذلك قالوا بغيبته بَعد مَوته[١]، ومِن هنا كانوا يعتقدون أن الرَّعد صوته، وأن البرقَ سَوطه، وأنَّه في السحاب، وإذا نشأتْ سحابةٌ بَيضاء صافية منيرَة مُبرقة قاموا إليها يَبتهلون ويتضرَّعون ويقولون: قد مرَّ عليٌّ بنا في السحاب[٢]..

وإذا سمعوا صوت الرعد قالوا: وعلَيك السلامُ يا أمير المؤمنين! وفيهم قال الشاعر:

بَرِئْتُ مِنَ الخَوَارِجِ لَسْتُ مِنْهُمْ ... مِنْ الغَزَّالِ مِنْهُمُ وَابْنِ بَابِ

وَمِنْ قَوْمٍ إِذَا ذَكَرُوا عَلِيًّا ... يَرُدُّونَ السَّلَامَ عَلَى السَّحَابِ[٣]

جاء في مسائل الإمامة أنَّ السبئية زعموا أنَّ الله عَزَّوَجَلَّ رفع عليًّا إليهِ كما رفع المسيح وقالوا: إنما رفعه لغَضبه على أهل الأرض إذْ خالفوه ولم يطيعوا أمره[٤].

٤. عقيدتهم في الوصية:

أما الوصيَّة فَقد وضعها ابن سَبأ للسبئية حينما قَال: إنه كان أَلْفُ نَبي ولكل نبِيٍّ وصَي وكان علي وصي محمَّد ثم قال: محمد خَاتم الأوصياء، ثم قالَ بعد ذلك: ومن أظلمُ ممَّن لم يجِز وَصية رسول الله ﷺ ووثب على وصيِّ رسول الله ﷺ[٥].

---

(١) «الفرق الإِسْلامية»/ ذيل كتاب شرح المواقف للكرماني: (ص ٣٤).

(٢) الملطي، «التنبيه والرد»: (ص ١٨).

(٣) البغدادي، «الفرق بين الفرق»: (ص ٢٣٤).

(٤) الناشيء الأكبر، «مسائل الإمامة»: (ص ٢٣).

(٥) «الطبري»: ج (٤/ ٣٤٠). والصحيح كما في رواية أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قلت: يا رسول الله أي الأنبياء كان أول؟ قال: «آدم». قلت: يا رسول الله ونبي كان؟ قال: «نعم نبي مكلم». قلت: يا رسول الله كم المرسلون؟ قال: «ثلاثمائة وبضع عشر جمًّا غفيرًا»، وفي رواية عن أبي أمامة قال أبو =



وكان ابن سبأ يقول -قبل أن يظهر الإسلام نِفاقًا- في (يوشع بن نون) بَعد موسى عليه الصلاة والسلام مثل ما قال في علي بعد رسول الله[1] وينشأ عن القول بفرض إمامة الموصى له.

وإذا كانت السَّبئية تَقول بالوصيَّة، وأن عليًّا هو خاتم الأوصياء، فصاحِبُ السبئية (ابن سبأ) هُو أوَّل من شهد بالقول بفرْضِ إمامة علي، كما يقول القمي[2]، وأول من أظهر القول بالنص بإمَامة علي، كما يقول الشهرستاني[3].

كما أنَّ السبئية هي أوَّل فرقة قالت في الإسلام بالوَقف بعد النَّبيّ ﷺ من هذه الأمة[4]، وهم يُسمون انتظَار ظُهور الإمام بالتَّوقف[5]. وفي خطط المقريزي (ت ٨٤٥)[6] ذَكر: «أنَّ عبد الله بن سبأ قام في زَمن علي رضي الله عنه محُدِثًا القول بالوصيَّة[7]

= ذر: قلت يا رسول الله كم وفاء عدة الأنبياء؟ قال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جمًّا غفيرًا».

(١) «الزينة في الكلمات الإسلامية»: (ص: ٣٠٥)، و«المقالات والفرق»: (ص: ٢٠)، و«الملل والنحل»: (١/ ١٥٥).

(٢) «المقالات والفرق»: (ص ٢٠)، وانظر أيضًا «الزينة في الكلمات الإسلامية»: ص ٣٠٥.

(٣) «الملل والنحل»: ج (١/ ١٥٥).

(٤) «المقالات والفرق»: (ص ٢٠).

(٥) فان فلوتن: السيادة العربية والإسرائيليات في عهد بني أمية، ترجمه عن الفرنسية وعلق عليه: د/ حسن بن إبراهيم بن حسن ومحمد بن زكي بن إبراهيم، الناشر: مكتبة النهضة المصرية – الطبعة الثانية – ١٩٦٥م: ص ٨٠.

(٦) «المواعظ والاعتبار»، للمقريزي: (٢/ ٣٥٦_٣٥٧).

(٧) يعتقد الرافضة (الشيعة) أن عليًا -رضي الله عنه- هو الوصي بعد النَّبيّ -ﷺ-، وأن اختياره تم بوحي من الله -عز وجل- لنبيه -ﷺ-، وهذه بعض النصوص من أقوال علمائهم القدامى والمعاصرين: -يروي الصدوق في «مصنفه» - «أمالي الصدوق»: (ص١٠٨)، عن النَّبيّ - ﷺ - قال: «إن الله – تبارك وتعالى – آخى بيني وبين علي بن أبي طالب، وزوجه ابنتي من فوق =



والرجعة(١) ....

= سبع سماوات، وأشهد على ذلك الملائكة المقربين، وجعله لي وصيًّا وخليفة، فعلي مني وأنا منه، محبه محبي، ومبغضه مبغضي، وإن الملائكة للتقرب إليَّ بمحبته». ويقول المظفر -من المعاصرين-: «الإمامة استمرار للنبوة، والدليل الذي يوجب إرسال الرسل وبعث الأنبياء، هو نفسه يوجب أيضًا نصب الإمام بعد الرسول، فلذلك نقول: إن الإمامة لا تكون إلا بالنص من الله - تعالى - على لسان النَّبيّ أو لسان الإمام الذي قبله وليست هي بالاختيار والانتخاب من الناس». [«عقائد الإمامية»: (ص١٠٣)]. - يذهبون إلى ما هو أبعد من ذلك، فيعتقدون أن الله - عز وجل - قد ناجى عليًا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، يقول المفيد: «قلت لأبي عبد الله - عَلَيْهِ السَّلَامُ -: بلغني أن الرب -تبارك وتعالى- قد ناجى عليًّا -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، فقال: أجل، قد كانت بينهما مناجاة بالطائف نزل بينهما جبريل». [«الاختصاص»: (ص٣٢٧)]. -ويعتقدون أن الوحي ينزل على الأوصياء، جاء في «بصائر الدرجات»: «عن أبي جعفر الباقر، أنه قال: إن الأوصياء محدَّثون، يحدثهم روح القدس ولا يرونه، وكان علي - عَلَيْهِ السَّلَامُ - يعرض على روح القدس ما يسأل عنه، فيجيب في نفسه أن قد أصبت بالجواب فيخبر فيكون كما قال». [...: (ص٤٧٣)]. يعتقدون أن الأئمة بمنزلة الرسول - ﷺ -، جاء في «الكافي»: «الأئمة بمنزلة رسول الله - ﷺ -، إلا أنهم ليسوا بأنبياء، ولا يحل لهم من النساء ما يحل للنبي، فأما ما خلا ذلك فهم فيه بمنزلة رسول الله - ﷺ -». [«أصول الكافي»: (١/ ٢٧٠)].

(١) يقول أئمة الضلال من الرافضة: من لم يؤمن برجعتنا فليس منا، وإليه ذهب جميع علمائهم قالوا: إن النَّبيّ ﷺ وعليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والأئمة الإثنى عشر يَحيون في آخر الزمان، ويحشرون بعد خروج المهدي وبعد قتله الدجال، ويُحيى كلا من الخلفاء الثلاثة وقتلة الأئمة، فيقتل النَّبيّ ﷺ الخلفاء حدًّا، والقتلة قصاصًا، ويصلبون الظالمين ويبتدئون بصلب أبي بكر وعمر على شجرة، فمن قائل يقول: إن تلك تكون رطبة فتجف تلك الشجرة بعد أن صلبا عليها فيضل بذلك خلق كثير من أهل الحق، ويقولون ظلمناهم ومن قائل يقول: الشجرة تكون يابسة فتخضر بعد الصلب ويهتدي به جم غفير من محبيهما، قيل ذكروا في كتبهم أن تلك الشجرة نخلة وأنها تطول حتى يراها أهل المشرق والمغرب وأن الدنيا تبقى بعد ذلك خمسين ألف سنة وقيل مائة وعشرين ألف سنة لكل إمام من الإثنى عشر اثنى عشر ألف سنة، وقال بعضهم إلا المهدي فإن له ثمانين ألف =

والتناسخ»(١).

= سنة، ثم يرجع آدم ثم شيث ثم إدريس ثم نوح ثم بقية الأنبياء إلى أن ينتهي إلى المهدي، وأن الدنيا غير فانية وأن الآخرة غير آتية، كذا نقل عنه والله أعلم. فانظر أيها المؤمن إلى سخافة رأي هَؤُلاءِ الأغبياء وما يختلقون من الأكاذيب والدجل مما يمجّه العقل وصريح النقل، وقولهم هذا مستلزم تكذيب ما ثبت قطعًا في الآيات والأحاديث من عدم رجوع الموتى إلى الدنيا، فالمجادلة مع هَؤُلاءِ الحمر هدر للأوقات، «رسالة في الرد على الرافضة»: (١/ ٣٠-٣١)، للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(١) التناسخ في الأرواح عند فرق الرافضة يعني القول: بالدور في هذه الدار، وإبطال القيامة والبعث والحساب، كما زعموا أنه لادار إلا الدنيا، وأن القيامة إنما هي خروج الروح من بدن ودخوله في بدن آخر إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر، وأنهم مسروررون في هذه الأبدان أو معذبون فيها، والأبدان هي الجنات وهي النار وأنهم منقولون في الأجسام الحسنة الأنسية المنعمة في حياتهم ومعذبون في الأجسام الردية المشوهة من كلاب وقردة وخنازير وحيات وعقارب وخنافس وجعلان محولون من بدن الى بدن معذبون فيها هكذا أبدا الأبد، فهي جنتهم ونارهم لا قيامة ولا بعث ولا جنة ولا نار غير هذا على قدر أعمالهم وذنوبهم وإنكارهم لأئمتهم ومعصيتهم لهم، فإنما تسقط الأبدان وتخرب فتتلاشى وتفنى وترجع الروح في قالب آخر منعّم أو معذب، وهذا معنى الرجعة عندهم، وإنما الأبدان قوالب ومساكن بمنزلة الثياب التي يلبسها الناس فتبلى وتطرح ويلبس غيرها، وبمنزلة البيوت يعمرها الناس فإذا تركوها وعمروا غيرها خربت والثواب والعقاب على الأرواح دون الأجساد، وتأولوا في ذلك قول الله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ٨﴾ [سورة الانفطار: ٨] وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ﴾ [سورة الأنعام: ٣٨]، وقوله عز وجل: ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ [سورة فاطر: ٢٤]، فجميع الطير والدواب والسباع كانوا أمما ناسا خلت فيهم نذر من الله عز وجل واتخذ بهم عليهم الحجة، فمن كان منهم صالحا جُعلت روحه بعد وفاته وإخراب قالبه وهدم مسكنه إلى بدن صالح فأكرمه ونعّمه، ومن كان منهم كافرا عاصيا نقلت روحه إلى بدن خبيث مشوه تعذب فيه في الدنيا، وجُعل قالبه في أقبح صورة، ورزقه أنتن رزق وأقذره، وتأوّلوا في ذلك قول الله عز وجل ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ١٦﴾ [سورة الفجر: ١٥]، فكذب الله تعالى هَؤُلاءِ ورد عليهم قولهم لمعصيتهم إياه، فقال: ﴿كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ١٧﴾ [سورة الفجر: ١٧]، وهو النَّبيّ ﷺ. «فرق الشيعة»: (١/ ٣٦)، الحسن بن موسى النوبختي.

٥. عقيدتهم في ختم النبوة:

يقول الملطي: «والصِّنف الذي يقالُ لهم السِّبائية يَزعمون أن عليًّا شريكُ النَّبيّ ﷺ في النبوة، وأن النَّبيّ مقدَّم عليه إذا كان حيًّا، فلما مات ورِثَ النبوة، فكان نبيًّا يُوحىٰ إليه ويأتيه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالرسالة[١].

ونقل البغدادي عن ابن سبأ زعمه أنَّ عليًّا كان نبيًّا، وفي تنقيح المقال: أنَّ ابن سبأ كان يزعم أن عليًا إله، وأنه نبي[٢].

ولعلنا من خلال ذلك نتبين أن الذين قالوا بجواز النبوة بَعد النَّبيّ ﷺ هم السبئية، وأنهم هم الذين انتقلوا بعد ذلك إلىٰ القول بألوهِيَّة عَلي، وأنه لم يكن هناك قسمان من الغلاة أوجبت أحدهما النُّبوة بَعد النَّبيّ ﷺ لغيره، وقالت الأخرىٰ بِالألوهية لغَير الله عَزَّوَجَلَّ، كما ذكر ذلك ابن حزم..[٣].

٦. سبُّهم للصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

ذكر القمي، والنوبختي: «أنَّ عبد الله بن سَبأ كان أول من أظْهَر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم»[٤].

وتدين السبئية من بعده بهذه العقيدة، ففي «الطبقات»: أنَّ رَجلًا كان يأتي إبرَاهيم النَّخعي فيتعلم منه، فيَسمع قومًا يذكرُون أمر عَلي وعثمان فقال: أنَا أتعلم من هذا الرَّجل وأرىٰ النَّاس مختلفين في أمْر علي وعُثمان، فسأل إبراهيم النخعي

---

(١) «الفرق بين الفرق»: (ص ٢٣٣).

(٢) المامقاني، «تنقيح المقال»: ج (٢/ ١٨٣).

(٣) «الفصل في الملل والنحل»: ج (٤/ ١٨٣).

(٤) «المقالات والفرق»: (ص ٢٠)، و«فرق الشيعة»: (ص ٤٤).

عن ذلك فقال: ما أنا بسبأي ولا مرجئ[(١)][(٢)].

وفي نص آخر أن رجلًا قال لإبراهيم: عليٌّ أحبَّ إليَّ من أبي بكر وعمر، فقال له إبراهيم أمَا أن عليًّا لوسمع كلامك لأوجع ظهرك، إذا كنتم تجالسوننا بهذا فلا تجالسونا[(٣)]. وجَاء في أنساب الأشراف: أن رجالًا -فيهم ابن سبأ- أتوا عليًّا يسألونه عن أبي بكر وعمر! فقال: أو قد تفرَّغتم لهذا..؟[(٤)].

وذكر ابن حجر: «أن سويد بن غفلة[(٥)] دخلَ عَلىٰ علي في إمارته فقال: إني

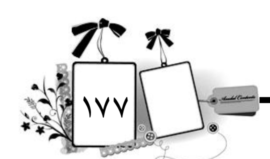
(١) أخرجه ابن سعد في «طبقاته»: (٦/ ٢٧٥).

(٢) الإرجاء في اللغة: التأخير، وفي الاصطلاح تأخير العمل وإخراجه عن حقيقة الإيمان، قال ابن كثير في بيان سبب تسمية المرجئة بهذا الاسم:.. قيل عنهم مرجئة لأنهم قدموا القول وأرجؤا العمل - أي أخروه، وهم أقسام وفرق متعددة مختلفة في تحديد معنىٰ الإيمان، عدّها الأشعري في المقالات اثنىٰ عشر فرقة، وأشهرهم فرقتان: الأولىٰ مرجئة الفقهاء: وهم الذين يرون أن الإيمان إقرار باللسان وتصديق بالقلب، لا يزيد ولا ينقص، والأعمال الصالحة ثمرات الإيمان وشرائعه، قال الإمام الطحاوي - رَحِمَهُ اللَّهُ - في بيان هذا المذهب: والإيمان هو الإقرار باللسان والتصديق بالجنان، وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق، والإيمان واحد، وأهله في أصله سواء، والتفاضل بينهم بالخشية والتقىٰ ومخالفة الهوىٰ، ملازمة الأولىٰ (العقيدة الطحاوية). الثانية مرجئة المتكلمين: وهم الجهمية ومن تابعهم من الماتريدية والأشاعرة.
وإليك نقولات عن السلف تبين مذهبهم في الإيمان، يقول الفضيل بن عياض: أهل الإرجاء - إرجاء الفقهاء- يقولون: الإيمان قول بلا عمل، وتقول الجهمية: الإيمان المعرفة بلا قول ولا عمل، ويقول أهل السنة: الإيمان المعرفة والقول والعمل، ويقول وكيع بن الجراح: ليس بين كلام الجهمية والمرجئة كبير فرق؛ قالت الجهمية: الإيمان المعرفة بالقلب، وقال المرجئة: الإقرار باللسان، أي مع اعتقاد القلب. ينظر «تهذيب الآثار»، الطبري: (٢/ ١٨٢).

(٣) أخرجه ابن سعد في «طبقاته»: (٦/ ٢٧٥)، وابن سعد في «الطبقات»: (٦/ ١٩٢).

(٤) البلاذري، «أنساب الأشراف»: (ص ٣٨٢).

(٥) هو سعيد بن بخفلة الجعفي، من مذحج، ولد عام الفيل، وقدم المدينة حين دفنوا رسول الله ﷺ =



مَررت بِنفر يذكرون أبا بَكر وعُمر، يرون أنَّك تضمر لَهما مثل ذلك، مِنهم عبد الله بن سَبأ -وهُو أول من أظْهر ذلك- فقال علي: مالي ولِهَذا الخبيث الأسود، ثُمَّ قال، معاذَ الله أن أضْمرَ لهما إلا الحَسن الجميل، ثُم أرسل إلى ابن سبأ فسيَّره إلى المدائن، ونهض إلى المنبر حتى اجتمع الناس فأثْنى عليهما خيرًا، ثم قال: ألا لا يُبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حد المفتري»(١)..

ويقول ابن تيمية: «أنَّه روى عن عِلي بأسانيد جَيدة أنه قال: لا أوتى بَأحد يفضِّلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري»(٢)، وقد طلب ابن سبأ لما بلغه عنه ذلك ليقتله فهرب منه(٣).

وفي الصواعق المحرقة: أنَّ السبئيَّة كانوا يسبُّون أصحاب رسول الله ﷺ إلا قليلًا وينسبونهم إلى الكفر والنفاق ويتبرأون منهم، ولذا سُمُّوا أيضًا (بالتبرئة)(٤).

ويقول صاحب «حركات الشيعة المتطرفين»: «لا شكَّ أن هَذا الذي لقنه ابن سبأ وأوحى به كَان تطورًا خطيرًا في النَّظر إلى السابقين الأولين، وهُم الصَّحابة جُلة المُسلمين، وأن تجريحَهم إنَّما كان تشجيعًا وحضًا على تمزيق لِباس

= وهو من كبار التابعين، نزل الكوفة قال عنه الذهب: ثقة إمام زاهد قوّام، توفي سنة ٨١هـ أو قبلها بسنة. «الكاشف»: ج (١/ ٤١٢)، و«تقريب التهذيب»: ج (١/ ٣٤١).

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة»: (١٢١٩)، وعبد الله بن أحمد في «السنة»: (١٣١٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (٣٠/ ٣٨٣)، (٤٤/ ٣٦٥)، من طرق كثيرة عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. «لسان الميزان»: ج (٣/ ٢٩٠).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة»: (١٢١٩)، وعبد الله بن أحمد في «السنة»: (١٣١٢)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (٣٠/ ٣٨٣)، (٤٤/ ٣٦٥)، من طرق كثيرة عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٣) «الفتاوى»: ج (٢٨/ ٤٧٥).

(٤) ابن حجر الهيتمي، «الصواعق المحرقة»: (ص ٦).

الهيبة والجلال الذي أضفاه عليهم تَاريخُهم في الإِسْلام، كان فتحًا للطريقِ وتَمهيدًا لمن لَم يتمكن الإِسْلام في قلبه ليَمرُق منه، وذلك مَا نلحظُه في هذه الطَّائفة التي اتَّبعت تعَاليمه ونُسبت إليه وسميت: السبئية»(١).

٧. عقيدتهم في القرآن الكريم:

دعوى السبئية وفي مقدمتهم ابن سبأ أنَّ النَّبيّ الكريم ﷺ كَتم تسعة أعشَار الوحي وأنهم قد أطلعوا على ذلك.

قال الحَسن بنُ محمَّد بن الحنفية:(٢) «يَقولُون: هُدينا لوحي ضلَّ عنه النَّاس

---

(١) انظر محمد جابر عبد العال: حركات الشيعة المتطرفين. (مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٣هـ): (ص ٢٢).

(٢) هو: الحسن بن محمد ابن الحنفية الإمام، أبو محمد الهاشمي. كان أجل الأخوين، وأفضلهما. حدث عن: أبيه، وابن عباس، وجابر، وسلمة بن الأكوع، وأبي سعيد الخدري، وعدة. روى عنه: الزهري، وعمر بن دينار، وموسى بن عبيدة، وعدة. وكان من علماء أهل البيت، وناهيك أن عمرو بن دينار يقول: ما رأيت أحدا أعلم بما اختلف فيه الناس من الحسن بن محمد، ما كان زهريكم إلا غلاما من غلمانه. قال ابن سعد: وكان من ظرفاء بني هاشم، وأهل العقل منهم، وكان يقدم على أخيه أبي هاشم في الفضل والهيئة وهو أول من تكلم في الإرجاء. قال خليفة بن خياط: مات سنة مائة، أو في التي قبلها. قال الحافظ ابن حجر: المراد بالإرجاء الذى تكلم الحسن بن محمد فيه غير الإرجاء الذى يعيبه أهل السنة المتعلق بالإيمان، وذلك أنى وقفت على كتاب الحسن بن محمد المذكور، أخرجه ابن أبى عمر العدنى فى كتاب " الإيمان " له فى آخره، قال: حدثنا إبراهيم بن عيينة عن عبد الواحد بن أيمن، قال: كان الحسن بن محمد يأمرنى أن أقرأ هذا الكتاب على الناس: أما بعد، فإنا نوصيكم بتقوى الله... فذكر كلاما كثيرا فى الموعظة والوصية لكتاب الله، واتباع ما فيه، وذكر اعتقاده، ثم قال فى آخره: ونوالى أبا بكر، وعمر رضى الله عنهما، ونجاهد فيهما، لأنهما لم تقتتل عليهما الأمة، ولم تشك فى أمرهما، ونرجىء من بعدهما ممن دخل فى الفتنة، فنكل أمرهم إلى الله... إلى آخر كلامه. فمعنى الذى تكلم فيه الحسن أنه كان يرى عدم القطع على إحدى الطائفتين المقتتلتين فى الفتنة بكونه مخطئا أو مصيبا، وكان يرى أنه يرجىء الأمر فيهما، وأما الإرجاء الذى يتعلق بالإيمان، فلم يعرج عليه، فلا يلحقه بذلك عاب، والله أعلم. اهـ. ينظر «تهذيب =

وعلمٍ خَفي عنهم، وزعَموا أنَّ رسول الله ﷺ كتم تسعة أعشَار الوحي، ولو كتم ﷺ شيئًا ممَّا أنزل عليه لكتم شأنَ امرأةِ زَيد، وقوله تعالى: ﴿تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ [سورة التحريم: ١]»(١)، وجاء في ترجمة ابن سبأ زعمه: بأن القرآن جزء من تسعة أعشار، عِلمها عنده(٢).

٨ـ الحلول والتناسخ(٣)

جاء في «فرق البغدادي» : أمَّا السبئية فإنَّها دخلَت في جملة الحلولِيَّة؛ لقولها بأنَّ عليًّا صار إلهًا بِحلول روحِ الإلَه فيه(٤)، ولَمَّا قتل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ زعَم عَبد الله بن سبأ أنَّه لم يمت، وأنَّ فيهِ الجُزء الإلهي(٥)، كَما كان يزعُم أنَّ روح الله حلت فيه(٦). أما طَائفة السَّبئية فقدْ كَان فيهم منْ يَزعم أن روحَ القُدس كانت في النَّبيّ ﷺ، كما

= الكمال في أسماء الرجال»، للمزي: (٦/ ٣١٦)، و«سير أعلام النبلاء»، للذهبي: ٤/ ١٣٠)، و«الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد: (٥/ ٣٢٨)، و«تهذيب التهذيب»، لابن حجر: (٢/ ٣٢١).

(١) «نهج البلاغة»، ابن أبي محمد المعتزلي، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولىٰ – دار الجيل: (٢/ ٣٠٩).

(٢) «أثر اليهود والنصارىٰ والمجوس في التشيع»، أبو علي المرتضىٰ بن سالم الهاشمي، الناشر: بدون، الطبعة الأولىٰ.

(٣) هم من يزعمون أن الله تبارك وتعالىٰ حال بالمخلوقات، وهم فرق شتىٰ، وأول من أظهر هذا المذهب الروافض، إذ زعموا أن الله تعالىٰ حال في أئمتهم، وهذا معتقد المتصوفة في أئمتهم، «الفرق بين الفرق»: (٢٥٤)، و«اعتقادات فرق المسلمين والمشركين»: (٧٣). أما عقيدة التناسخ فقد سبق بيانها صـ (١٧٤).

(٤) «الفرق بين الفرق»، (ط بيروت ١٩٧٧): (ص ٢٤١).

(٥) «الفرق الإِسْلامية»، ذيل كتاب شرح المواقف: (ص ٣٤).

(٦) البشبيشي، «الفرق الإِسْلامية»، المكتبة التجارية الكبرىٰ بمصر، الطبعة الأولىٰ (١٣٥٠ – ١٩٣٢): (ص ٢٧).

كانَت في عِيسىٰ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ، ثمَّ انتقَلت إلىٰ علي ثُمَّ الحسن ثم إلىٰ الحُسين، ثم كذلك في الأئمة(١).

يقول أبو زهرة: «من السَّبئية من كان يَقول: أن الإلَه حلَّ في علي، ومنهم من يقول: إن الإله قد تجسَّد فيه»(٢)، وقال غيره: إنَّ السبئية كانت تقول بِحلول جزءٍ إلهي في علي، وأنه اتَّحد بجسده وبه يعلم الغيب(٣).

إذا كان عامة السبئية يقولون بالتناسخ(٤)، والتناسخ عندهم يعْنِي تناسخ الجزء الإلهي في الأئمة بعد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كما حكاه الشهرستاني(٥)، أو هو انتقال هذا الجُزء الإلهي بنوع من التَّناسخ من إمام إلىٰ إمَام كما ذكره محمد جواد مغنية(٦).

٩. اعتقادهم البداء:

ومن عقائد السبئية –البداء– والسَّبئية يقولون بِذلك زاعمين أنَّ الله تبدو له –البداوات– أو كلام قريب من هذا، وقد استعظَمَه الملطي وقَال: «إن هَذا كلام لا اسْتَجيز شرحَه في كتاب، ولا أقدُم علىٰ النُّطق به»(٧).

إن المتأمل لجوانب عقيدة السبئية يجِدُ أنَّها الأصولُ والمرتكزَات التي قامت عَليها سائرُ عقائد الفِرق والبَاطنية فيما بعد، كالإسماعيلية والعبيدية والقرامطة

---

(١) مطهر بن طاهر المقدسي: البدء والتاريخ، الناشر: مكتبة المثنىٰ/ بغداد: (ج ٥/ ١٢٩).

(٢) «المذاهب الإِسْلامية»، محمد أبو زهرة، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميزت: (ص ٦٥).

(٣) محمد جواد مغنية، «مع الشيعة الإمامية»: (٣٩– ٤٠)

(٤) ابن طاهر المقدسي، «البدء والتاريخ»: ج (٥/ ١٢٩).

(٥) «الملل والنحل»: ج (١/ ١٥٥، ١٥٦).

(٦) «مع الشيعة الإمامية»: (ص ٤٠).

(٧) «التنبيه والرد»: (ص ١٩)، للملطي.

والنصيرية والدروز وغيرها ممن اشتطُّوا في الكفر وحادوا عن الجادّة[١].

يشهد لذلك ما ذَكره شَيخ الإِسْلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حَيث قال: إنَّ مبدأ الرفض إنَّما كان من الزنديق عَبد الله بن سبأ[٢].

ويقول ابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ): «السَّبئيَّة من الرافضة يُنسبون إلىٰ عَبد الله بن سبأ»[٣]، أما الإمام الذهبي فقد قال: «عبد بن سبأ من غُلاة الشيعة ضال مضل»[٤].

وبالفعل فقد أصبح ابن سبأ أستاذًا لكل الفِرق الأخرىٰ التي ظَهرت فيما بعد مِن خلال الأفكار المُلحدة التي طرحها، فظَهَرت فرق هدَّامة كثيرة كالخَطَّابية التي ادَّعت ألوهية جعفر الصادق، ودعت أيضًا إلىٰ الإباحية والتحلل من كُل شيء.

وكان من تلامذة هَذه الفرقة -ميمون القدَّاح- ذلك المجوسي الحاقد علىٰ الإِسْلام والمسلمين، فكانت أن ظَهرت من تلقَائه الباطنية الإسماعيلية علىٰ يد القدَّاحِ وابنه عبد الله الذي ادَّعىٰ نسبته إلىٰ آل البيت، وأسس أحفاده بناءً علىٰ ذلك الدولة العبيدية في المغرب، والتي تقوَّىٰ بها القرامطة فكانوا يتلقُّون أوامِرَهم من ملوكها[٥].

---

(١) انظر لمزيد اطلاع عن الفرق الباطنية («الفرق بين الفرق» ـ «الفصل في الملل» ـ «الفرق والطوائف» ـ «أصول وتاريخ الفرق» ـ «فرق معاصرة» ـ «فضائح الباطنية» ـ «أصول مذهب الشيعة الإمامية» ـ «الباطنية عبر التاريخ» ـ «النصيرية» ـ «عقيدة الدروز» ـ «وجاء دور المجوس»، وقد سبق ذكر تعريفات مختصرة لهذه الفرق.

(٢) «الفتاوىٰ»: (ج ٢٨/ ص ٤٨٣).

(٣) «المعارف»، لابن قتيبة: (ص ٢٦٧).

(٤) «المغني في الضعفاء»: (١/ ٣٣٩).

(٥) «عقيدة الدروز»: (١/ ٤)، د/ محمد بن أحمد الخطيب ـ رسالة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة من جامعة الإمام محمد بن سعود الإِسْلامية.

بل إن شيخ الإِسْلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُوكِّد أن السَّبئية هم أصلُ الرَّفض ومن ورائها الفرق الباطنية ومن حذا حذوها؛ حيث يقول: «إنَّ أصل الرَّفض مِن المُنافقين الزنادقة، فإنه ابتدعه ابن سبأ الزِّنديق، وأظهر الغلوَّ في علي بِدعوىٰ الإمامة والنصِّ عليه وادَّعىٰ العصمة له»(١).

---

(١) «الفتاوىٰ»: (٤/ ٤٣٥).

المطلب الثالث

دور ابن سبأ في الفتنة زمن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

لقد برز دور اليهودي ابن سبأ في إذكاء نار الفتنة على محورين هما:

- ما كانَ منه في زَمن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حتى آلَ الشأن إلى قتله شهيدًا.
- وما كان منه في خلافَةِ علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مرورًا بادعاء النبوة له وإنتهاء بتأليهه.

أ): دور ابن سبأ في أحداث الفتنة في خلافة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

هناك العَديدُ من الروايات التي سردت الأحداثُ التاريخيَّة، والتي أتت على تحركات الأفّاك الأثيم وتخطيطه الماكر حتى تبعه فئام من الناس.

ودونك خلاصة ما توصَّل إليه الشيخ الكريم سُليمان العودة من سَبرٍ لهذه الروايات وتمحيص وتخريجٍ لها[1] فقال: وهنا نَأتي لرواية سَيف بن عمر[2] لعلَّها تشفِي الغلَّة وتقضي الحاجة.

وهذا نص الرواية: عن سيف عن شيوخه قال: كان عبد الله بن سبأ يهوديًا من

---

(١) «عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة في صدر الإِسْلام»: (ص ١٤٩ وما بعدها).

(٢) هو: سيف بن عمر التميمي الأسيدي، ويقال: الضبي الكوفي صاحب كتاب «الفتوح»، وكتاب «الردة»، وغير ذلك. روى عن: جابر الجعفي، وهشام بن عروة، وإسماعيل بن أبي خالد، وعبيد الله بن عمر، وطائفة كبيرة من المجاهيل والأخباريين. روى عنه: النضر بن حماد العتكي، ويعقوب بن إبراهيم الزهري، وشعيب بن إبراهيم الكوفي، وأبو معمر إسماعيل القطيعي، وجبارة بن المغلس، وآخرون. قال يحيى بن معين: ضعيف الحديث. وقال أبو حاتم: متروك، بابة الواقدي. وقال أبو داود: ليس بشيء. وقال ابن حبان: اتهم بالزندقة. وكذا قال النسائي. وقال الحاكم: سيف بن عمر الضبي اتهم بالزندقة، وهو ساقط في رواية الحديث. وروى ابن حبان بإسناد أنه كان يضع الحديث. قال يَحْيَى بْن مَعِين وَسُئِل: عن سيف بْن عُمَر فقال فَلْسٌ خيرٌ منه. «تاريخ الإِسْلام»، للذهبي: (٤/ ٦٤١)، «الكامل في ضعفاء الرجال»: (٤/ ٥٠٧).

أهل صنعاء أمه سَوداء فأسلم زمَن عثمان، ثم تَنقَّل في بلدان المُسلمين يحاول ضَلالتهم، فبدأ بالحِجاز، ثم البَصرة ثم الكُوفة ثمَّ الشَّام، فلم يَقدر على ما يريدُ عِند أحد مِن أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مِصر فاعتمرَ فِيهم، فقال لهم فيما يقول: العَجب مِمَّن يزعم أن عيسى يرجع ويكذِّب بأن محمدًا يرجع! وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [سورة القصص: ٨٥]، فمحمَّدٌ أحق بالرجوع من عيسى، قال: فقُبل ذلك عَنه ووضَع الرجعة فتكلموا فيها، ثم قَال لهم بعد ذلك: إنَّه كان ألف نبي ولكل نبي وصي، وكان علي وصي محمد ثم قال: محمدُ خاتم الأنبياء وعليٌّ خاتم الأوصياء، ثم قال لهم بعد ذلك: أن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله ﷺ فانهضوا في هذا الأمر فحركوه(١).

ابدأوا بالطعن على أمرَائِكم، وأظْهروا الأمْر بالمعروف والنَّهي عن المُنكر تستميلوا الناس، وادعوهم إلى هَذا الأمر، فبث دُعاتَه وكاتب من كان اسْتفسَد في الأمصار وكاتبوه، ودعوا في السِّرِّ إلى ما عليه رأيهم، وأظْهروا الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر.

وجَعلوا يكتبون إلى الأمْصار بكتب يضعونَها في عيوب ولاتِهم ويكاتبهم إخوانهم بمثل ذلك، ويكتب أهل كل مِصر منهم إلى مِصر آخر بِما يصنعون فيقرؤه أولئك في أمصارهم وهَؤُلاءِ في أمصارهم، حتى تناوَلوا بذلك المدينة وأوْسَعوا الأرض إذاعة، وهم يريدونَ غَير ما يظهرون ويُسرون غير ما يُبدون، فيقول أهل كل مِصر إنا لفي عافية ممَّا ابتلي به هَؤُلاءِ إلا أهل المَدينة فإنهم جاءهم ذلكَ عن جميع الأمصار فقالوا إنا لفي عافية مما فيه الناس.

وقد جاء إلى عُثمان من قالوا: يا أميرَ المؤمنين، أيأتِيك عَن الناس الذي يَأتينا؟

---

(١) «تاريخ الطبري»: ج (٤/ ٣٧٩). المصدر نفسه: ج (٤/ ٣٦٥).

قال: لا والله ما جاءني إلا السَّلامة، قالوا: فإنَّا قد أتانا، وأخبروه بالذي أسقطوا إليهم. قال: فأنتم شركائي وشُهود المُؤمنين فأشِيروا عليَّ، قالوا: نُشير عليك أن تَبعث رجالًا ممَّن تَثق بهم إلىٰ الأمصار حَتىٰ يرجعوا إليكَ بأخبارِهم.

فدعا محمد بن مسْلمَة فأرسله إلىٰ الكوفة، وأرسل أسَامة بن زيد إلىٰ البصرة، وأرسَل عمارَ بن ياسر إلىٰ مصر، وأرسل عبد الله بن عمر إلىٰ الشَّام، وفرَّق رجالًا سواهم فرجعوا جميعًا قبل عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فقَالوا: أيُّها الناس ما أنكرنا شيئًا ولا أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم، وقالوا جميعًا: الأمر أمر المسلمين إلا أن أمراءهم يُقسطون بينَهم ويقومون عليهِم.

واستبطأ الناس عمَّارًا حتىٰ ظنوا أنه قد اغتيل، فلم يفاجأهم إلا كتاب من عبد الله بن سعد بن أبي سرح يخبرهم أن عمَّارًا قد استماله قومٌ بمصر، وقد انقطعوا إليه فِيهم عبد الله بن السوداء، وخالد ابن ملجم، وسودان بن حمران، وكنانة بن بشر(١)، يريدونه علىٰ أن يقول بقولهم، يزعمون أن محمدًا راجع ويدعونَه إلىٰ خلع عثمان، ويخبرونه أن رأىٰ أهْل المَدينة علىٰ مثل رأيهم، فإن رَأىٰ أمير المؤمنين أن يأذن لي في قَتله وقتلهم قبل أن يبَايعهم.

فكَتب إليه عثمان: لَعمري إنَّكَ لجريء يا ابن أمِّ عبد الله، لا والله لا أقْتلُه ولا أنكأه وَلا إيَّاهم حتىٰ يكون الله عَزَّوَجَلَّ ينتقِمَ مِنهم ومِنه بمن أحب، فَدعهُم ما لم يخْلعوا يدًا من طاعة يخوضوا ويلعبوا(٢).

إذن، فالذِي يظهر من رواية سيف أنَّ عبد الله بن سبأ وأتباعه مِن حَوله هم

---

(١) إلىٰ هنا تنتهي رواية سيف عند الطبري: (ج ٤/ ٣٤١)، وتكملتها من ابن عساكر.

(٢) ابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (٢٩/ ٥)، وفي نهاية الرواية يظهر ندم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وخاصة إذا لقي من يثق به.

الأيدِي الخفية المحركة للفِتنَة، والذين جاءت الروايات (الصحِيحَة) بالإشارة إليهم؛ حَيث رسمت هيكلَهم ولم توضِّح شُخوصهم، على أن هُناك أخبارًا مُتناثرة عندَ المؤرخين اللاحقِين تكشِفُ آثار ابن سَبأ في الفِتنة وتُضاف إلى رِواية سيف السابقة.

فإنَّ ابن عَساكر يؤكد الدَّور الذي قام بهِ ابن سبأ في الفتنة، ويقول: «.. وَطاف بلاد المُسلمين ليلفِتَهم عَن طاعة الأئِمَّة ويُدخل بينهم الشر، وقَد دخل دمشْقَ لذَلك في زمن عُثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ».[١] ويشير المقريزي إلى أنَّ ابن سبأ هو الذي آثار الفتنة ضد عثمان حتى قتل[٢].

أولا: دور ابن سبأ في مصر..

وفي حديث السُّيوطي عن مصر -في تلك الفترة- مَا يفيد إنكار أهْلها على ابن سبأ في البِداية ثُم افْتُتن به بشرٌ كَثير، وكان ذلكَ مَبدأ تألِيبهم على عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[٣].

والذي يَبدو أنَّ هذه الآثَار في مصْر استلزَمت جُهدًا وتَخطيطًا كان المُتآمرون يحركون خيوطَه، فقد ذكر ابن كثير أن من أسْباب قتل عثمان عزله عَمرو بن العاص عَن مصر وتوليته لابْن أبِي السرح مكانه، وذلِكَ لشدَّة عمرو بن العاص وتضييقِه على الخوارج المصريين، ولِين ابن سعد وانشغالِه بالفتوح[٤]، إلا أنَّ هذا الذي نبَّه إليه ابن كثير وهُو يشير إلى أثر الخوارج المصريين نجِدُ له بيانًا وتخصيصًا وهذا التخصيص لا يتعدى دائرة ابن سبأ وأتباعه.

جاء في روايَة لأبِي حَارثة وأبي عثمَان: «أن ابْن السَّوداء لَمَّا قدم مِصر عرَّض لأهْلِها

---

(١) «تاريخ مدينة دمشق»: (٢٩/ ٣).

(٢) «المواعظ والاعتبار»: ج (٢/ ٣٥٧).

(٣) «حسن المحاضرة»: ج (٢/ ١٦٥).

(٤) «البداية والنهاية»: ج (٧/ ١٨٦).



بالكفر فأبعَدوه، ثم عرَّض لَهم بالشِّقاق فأطْمَعوه، وبدأ فَطعن علىٰ عَمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حتىٰ حَرَّك بعضًا من أهلِ مِصر، فسَألوا الخليفَة أن يُعفهم منه، ويُولي قُرشيًّا يُسوي بينهم! فأجاب عثمان، وجَعل ابن سعد علىٰ الخراج، وأبقىٰ عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ علىٰ الحَرب ولم يعزله، ثم سَعوا بين الرجلين وكتب كل واحد منهما إلىٰ عثمان بالذي بلغَه عن صاحبه وركبوا هم ليستعفوا من عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ويسألوا سعدًا فأعفاهم[(١)] وكأنه مدرك أن وراء الأكمة ما وراءها»[(٢)].

وذكر الذهبي: «أن ابن السَّوداء لما خَرج إلىٰ مصرَ نَزل علىٰ كنَانة بن بِشر مَرَّة وعلىٰ سودان بن حمران مَرَّة، وانقطع إلىٰ الغَافقي فكلَّمه وأطاف به خَالد بن ملجم وعبد الله ابن رزين وأشباه لَهم، فصرف لهم القَول فَلم يجدْهم يُجيبون الوصية، فقال: عَليكم ببَاب العربِ وحجرهم ولَسنا من رجالِه، فأروه أنَّكم تزرعُون ولا تزرعُوا العام شيئًا، حتَّىٰ تنكسر مصر فنَشكوه إلىٰ عثْمان فيعزله عَنكم، ونسأل من هو أضْعف منه ونخْلوا بما نريد، نظهر الأمر بالمَعروف والنَّهي عن المُنكر، وكان أسرعُهم لذلك محمد بن أبي حذيفة، وفعلوا مَا أمرهم بهِ وخَرجوا شاكين إلىٰ عثمان عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ومستعفينه منهم ومطالبين بابن أَبِي

---

(١) ابن عساكر، «تاريخ مدينة دمشق»: (ص ١٢٤/ أ).

(٢) يؤكد هذا: الحوار الذي جرىٰ بينه وبين عمرو بن العاص بعد أن قدم عليه المدينة، قال عثمان: ما شأنك يا أبا عبد الله؟ قال: والله يا أمير المؤمنين ما كنت منذ وليتهم أجمع أمرًا ولا رأيًا مني منذ كرهوني، وما أدري من أين أتيت؟ فقال عثمان: ولكني أدري لقد دنا أمر هو الذي كنت أحذره، ولقد جاءني نفر من ركب تردد عنهم عمر وكرههم، ألا وإنه لا بد لما هو كائن أن يكون... «تاريخ دمشق»: (ص ١٢٤/ أ)، وهذه الرواية ـ التي يشكل الحوار جزءًا منها ـ تطلعنا علىٰ حقيقة المؤامرة، كما تُبين عن طبيعة العلاقة وأسلوب المعاملة بين الصحابة وهو أمر تشتط الروايات الأخرىٰ في تأويله!!. «عبد الله بن سبأ وأثره في في أحداث الفتنة»: (صـ ١٥٢).

سَرح مكانه، فأقرَّه على الخراج وترك عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على الصلا ة، فمشى بينَهُما سودان وكنانة وخارِجة وأغروا بينهما حتى كتب كل واحد منهما ما بلغه إلى عثمان فَجمع مصر كلها لابن أبي سرح»(١).

ثانيًا: دور ابن سبأ في الشام والبصرة:

ففي الشام لم يسْتطعْ عَلى شَيء ممَّا أراد وأخرَجه أهلها منها(٢)، ولذَلك لم يكن مِن بين المُحاصِرين لعثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ جماعَة تدعى بأهل الشَّام -فيما أعلم- أمَّا البصرة فقد نزلها ابنُ سبأ وعرَّض لأهلها ولم يصرِّحْ لَهم فقبلوا منه، واستَعظَموه وكاد الأمر يستفْحِل فيها، إلا أنَّ واليها الفَطن عبد الله بن عامر(٣) تنبَّه له فأخرجه بعد أن سَأله:

---

(١) «تاريخ الإسْلام»: (٢/ ١٢٣).

(٢) «الطبري»: (٤/ ٣٤٠)

(٣) هو: عبد الله بن عامر بن كُرَيْز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، الأمير، أبو عبد الرحمن القرشي، العبشمي، الذي افتتح إقليم خراسان. رأى النَّبيّ -ﷺ- وروى عنه حديثا في: «من قتل دون ماله «. وهو ابن خال عثمان، وأبوه عامر: هو ابن عمة رسول الله -ﷺ- البيضاء بنت عبد المطلب. ولي البصرة لعثمان، ثم وفد على معاوية، فزوجه بابنته هند، وداره بدمشق بالحويرة؛ هي دار ابن الحرستاني. قال الزبير بن بكار: استعمل عثمان على البصرة ابن عامر، وعزل أبا موسى. فقال أبو موسى: قد أتاكم فتى من قريش، كريم الأمهات والعمات والخالات، يقول بالمال فيكم هكذا وهكذا. وهو الذي دعا طلحة والزبير إلى البصرة، وقال: إن لي فيها صنائع. وهو الذي افتتح خراسان، وقتل كسرى في ولايته، وأحرم من نيسابور شكرا لله، وعمل السقايات بعرفة، وكان سخيا كريما. قال ابن سعد: أسلم أبوه عامر يوم الفتح، وبقي إلى زمن عثمان، وعقبه بالبصرة والشام كثير. قدم على ولده عبد الله وهو والي البصرة. وقيل: ولد عبد الله بعد الهجرة، فلما قدم رسول الله معتمرا عمرة القضاء، حمل إليه ابن عامر وهو ابن ثلاث سنين، فحنكه، وولد له عبد الرحمن وهو ابن ثلاث عشرة سنة. وأما ابن مندة، فقال: توفي النَّبيّ -ﷺ- ولابن عامر ثلاث عشرة سنة. ينظر «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم: (٣/ ١٧٣٢)، «الطبقات الكبرى»، لابن سعد: (٥/ ٤٤)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي: (٣/ ١٨).

ما أَنت؟ فأخبره أنه رجلٌ من أهل الكتاب رغب في الإِسْلام وفي جواره، فردَّ عليه: ما يبلغني ذلك، اخرج عني[1] وكذلك الكوفة فقد أُخرج منها فقصد مصر[2].

لكن إخراج ابن سبأ من البصرة والكوفة، لم يكنْ لِيمنع من تأْثِيره فيهمَا واسْتدامة العلاقَة مع عناصر الفتنة؛ ولِذلك كانت المُكاتبات جاريَة بين ابن سبأ وبينَ أهل البصرة والكوفة، وكانت الرجال تختلف بينهم[3].

وأدَّت هذه المكاتباتُ أدوارَها، فكان من بين الرَّكب المحاصِر لعُثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ركبٌ من البصرة والكوفة (كما سيأتي بيانه إن شَاء الله).

ثالثا: تصاعد الفتنة ومقتل الخليفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ:

ودخلت سنة ٣٤هـ وهي السَّنة التي تَكاتب فيهَا المُنحرفون عن عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لمناظرته[4]، وتَكاثفت الأحْدَاث، فالكُوفة تخلو من الرُّؤساء إلا منزوعًا أو مَفتونًا ويخرج فيها يَزيد بن قيس[5] فيدخُل المسجد مناديًا بِخلع عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؟ ويثُوب

---

(١) المصدر نفسه: (٤/ ٣٢٦).

(٢) المرجع نفسه: (٤/ ٣٢٦).

(٣) المرجع نفسه: (٤/ ٣٢٧).

(٤) «الطبري»: ج (٤/ ٣٣٠).

(٥) قال أبو عبد الله المالقي الأندلسي: ذكر خبر يزيد بن قيس والأشتر كان قد وفد سعيد بن العاص على عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سنة إحدى عشر من إمارة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وقبل مخرج سعيد من الكوفة بسنة وبعض أخرى بعث الأشعث بن قصعلى أذربيجان وسعيد بن قيس على الري، وكان يزيد بن قيس على همذان، فعزل وجعل عليها النسير العجلي وعلى أصبهان السائب بن الأقرع، وعلى ماه مالك بن حبيب اليربوعي، وعلى الموصل حكيم بن سلامة الجذامي، وكان جرير بن عبد الله على قرقيسياء، وسلمان بن ربيعة على الباب، وعلى الحرب القعقاع بن عمرو، وعلى حلوان عتيبة بن النهاس وخلت الكوفة من الرؤساء إلا منزوع أو مفتون، فخرج يزيد إبن قيس وهو يريد خلع عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ... ثم ذكر نحو هذا الأثر. ينظر «التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان»: (ص: ٧٢).

إليه أصحابه ممَّن كان ابن السوداء يكاتبهم، وينكر العارفون من أهل الكوفة عليهم.

وقد وصفهم القَعقاعُ بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[1] بالغوغَاء، فقال: «هيهَات لا وَاللهِ لا تَسكن الغَوغاء إلا المَشرفيَّة»[2].

وفي مصر -وربما غيرها- تُزوَّر الكُتب على ألسنة الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ بقتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[3]، وسارت الفِتنُ في أقاليم الخِلافة سريان النارِ في الهشيم، وكتب عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى أهل الأمصار، فهزت كلماته مشاعِرَهم، وربما أبكت الكثِيرَ مِنهم، وأدرك الناس أن الأمة تتمَخَّض بِشر[4].

واستلزم هذا خطوَةً أخرى يَقوم بِها عُثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فأرسلَ إلى عمَّالِه أن يُوافوه في المَوسم فحضر إليهِ مُعاوية بن أبي سفيان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا[5]، وسَعيد بن

---

(١) هو: القعقاع بن عمرو التميمي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أخو عاصم (قائد كتيبة الأهوال) ذكره سيف بن عمر في الصحابة وروى عنه أنه قال شهدت وفاة الرسول ﷺ، وقال ابن عساكر: يقال إن له صحبه وهو أحد الشجعان الفرسان حتى روى عن أبي بكر أنه قال: صوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل وله بلاء في القادسية، شهد الجمل مع علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وكان رسوله إلى طلحة والزبير وأم المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ مصلحًا وهو عند العسكري من مختلفات سيف بن عمر لا شخصًا حقيقيًّا!. «أسد الغابة»: (٤/ ٤٠٩)، و«الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر: (٣/ ٢٣٩)، و«الأعلام»: (٦/ ٤٨)، «عبد الله بن سبأ»: (ص ١٠٧).

(٢) المصدر نفسه ج: (٤/ ٣٣١_٣٣٢).

(٣) «البداية والنهاية»: ج (٧/ ١٩٢)، نقل ابن جرير عليه رحمة الله من طريق محمد بن إسحاق عن عمه: أن الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ كتبوا إلى الآفاق من المدينة يأمرون الناس بالقدوم على عثمان ليقاتلوه: (ج٣٦٧). إلا أن ابن كثير: نفى ذلك وقال: إن هذا كذب على الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ. «البداية والنهاية»: (٧/ ١٩٢).

(٤) «الطبري»: ج (٤/ ٣٤٢).

(٥) هو: معاوية بن أَبي سفيان، واسمه صخر بن حرب بن أمية بن عَبْد شمس بْن عَبْد مناف، أَبُو عَبْد الرحمن القرشي الأُمَوِي وأمه هند بنت عتبة بْن ربيعة بْن عبد شمس، وهو وأبوه من =

العاص[(١)]، وعمرو بْن العَاص، وعبد الله بن عَامر، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأخبرهم بما صنَع النَّاس وما شكوا بهِ إليه، وطلب منهم -لأنَّهم وزرَاؤه ونصحَاؤه- أن يجتهدوا في آرائهم ويشيروا عليه فكان:

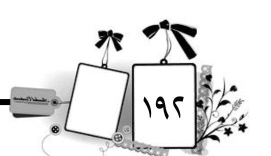
١- رأي ابن عامر: أن يَأمر النَّاس بالجِهاد ويجَمهرَهم في المغازي حتىٰ لا يتعدىٰ همّ أحدهم قمل فروه، ودبرة دابته.

٢- وأشار عليه معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأن يَرد عمَّاله علىٰ الكفَاية لما قبلهم والرَّجلان أعلم بناحيتيهما.

٣- أما سعيد بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكان رأيه أن يَقتل قَادة هَؤُلاءِ فيتفرَّق

= مسلمة الفتح، وقيل: أنه أسلم زمن الحديبية. وروي عنه أنه كَانَ يقول: لقد أسلمت فِي عُمَرة القضية ولكن كنت أخاف أن أخرج، وكانت أمي تقول: إن خرجت قطعنا عنك القوت. ثم أقره عثمان، وولي الخلافة عشرين سنة. وَقَال محمد بن إسحاق: كَانَ معاوية أميرا عشرين سنة وخليفة عشرين سنة. قال يَحْيَىٰ بْنُ بُكَيْرٍ، عَنِ اللَّيْثِ بْن سعد: توفي فِي رجب لأربع ليال بقين منه سنة ستين. وَقَال الوليد بْن مسلم: مات فِي رجب سنة ستين، وكانت خلافته تسع عشرة سنة ونصفا. وَقَال غيره: توفي بدمشق يوم الخميس لثمان بقين من رجب سنة تسع وخمسين، وهو ابْن اثنتين وثمانين، وكانت خلافته سنة تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وعشرين يومًا. وقِيلَ: مات وهو ابْن ثمان وسبعين، وقيل: ابْن ست وثمانين. «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي: (٢٨/ ١٧٦)، و«سير أعلام النبلاء»، للذهبي: (٣/ ١١٩).

(١) هو: سعيد بن العاص بن سعيد بن أمية بن عبد الشمس بن عبد مناف، الأموي القرشي، صحابي من الأمراء الولاة الفاتحين، ربي في حجر عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وولاه عثمان الكوفة، ولي المدينة غير مرة لمعاوية، وقد اعتزل الفتنة فأحسن، ولما كان علىٰ الكوفة، غزا طبرستان فافتتحها. روىٰ عن النَّبيّ ﷺ مرسلا وعن عمر وعثمان وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعنه ابناه عمر ويحيىٰ، وسالم بن عبد الله بن عمر وعروة بن الزبير وغيرهم، وقد كان سعيد بن العاص أحد من ندبه عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكتابة المصحف لفصاحته وشبه لهجته بلهجة الرسول ﷺ. ينظر «سير أعلام النبلاء»، للذهبي: (٣/ ٤٤٤ – ٤٤٩)، و«تهذيب التهذيب»، لابن حجر: (٤/ ٤٨).



أذنابهم، فالأمرُ يصنع بسرٍ ولا ذَنب للعامَّة الذين يتحدَّثون بما يسربه إليهم، وأشار عليه (ابن أبي سرح) أن يلجمهم بالمال ليعطف عليهم، فهم أهل طمع.

٤- وجاء دور عمرو بْن العَاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال له: إنَّك قد رَكبت الناس ما يَكرهون، فاعتزم أن تعتدل وإلا فاعتزل، وظنَّ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن هذا هُو الجد منهُ، حتىٰ إذا تفرَّق القوم عنه أشارَ عليه عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ هذا ليس هو رأيه(١)، وإنَّما أراد أن يبلغ القوم قولُه فيثِقُوا به فيقود إليه خيرًا أو يصرف عنه شرًّا، وذلك لظنه أن الخبر سيبلغهم(٢).

وأحاط الثوار بالمدينة -للمرَّة الأولىٰ- مُظهرين الأمر بالمعروف، وهم يريدون أن يذكروا لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمورًا قد زرعوها في قُلوب الناس، حتَّىٰ يرجعوا إلَيهم فيقولوا لَهم إنا قررناه! بها فلم يعزل عنها! وقد تلَطَّف معهم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأجاب علىٰ تَساؤلاتهم، وقد أدركَ المُسلمون أنهم أصحاب شرٍّ، فأشَاروا علىٰ الخليفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقتلهم وأبىٰ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا تركهم، فانصرفوا وقد تواعدوا المجيء في شهر شوال من السنة نفسها (٣٥هـ) حتىٰ يغزوه وكأنهم حجَّاج(٣).

فلما كان الموعد المحدد، خرج الثوار قاصدين المدينة؛ وبيان ذلك بما يلي:

جاء في رواية أبي سعيد (مولىٰ أبي أسيد الأنصاري): «أنَّ عُثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمِعَ أنَّ وفدَ مِصر قد أقبلوا فاستقبلهم فقَالوا: ادعُ بالمُصحف، فدعا به، وقَالوا: افتح السابعة(٤) -

---

(١) فقد جاء في رواية أخرىٰ أنه قال: أرىٰ أنك قد لنت لهم وتراخيت عنهم وزدتهم علىٰ ما كان يصنع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأرىٰ أن تلزم طريقة صاحبك فتشتد في موضع اللين.. «الطبري»: ج (٤/ ٣٤٢، ٣٤٣).

(٢) «الطبري»: ج (٤/ ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٤٢)، ابن الأثير في «الكامل»: ج (٣/ ١٥٥).

(٣) «الطبري»: ج (٤/ ٣٤٦ ـ ٣٤٨)، و«الكامل»، لابن الأثير: (٣/ ١٥٨).

(٤) في «الطبري» : التاسعة.

يعنون يونس-، فلمَّا قرأ: ﴿قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [سورة يونس: ٥٩]، أوقفوه وقالوا: أرأيت ما حمى من الحمى، آلله أذن لك أم على الله تفتري؟

ثم ذكروا له أشياء أخرى، وكُلَّما ذكروا له شَيئًا قال: امضه نزلت في كذا.. فيدفعهم إلى المعنى المَقصود منها، ثمَّ إنَّهم خرجوا راضيين وكَتبوا عليه شرطًا وأخذ عليهم ميثاقًا ألا يشقوا ولا يفارقوا جماعة ما أقام لهم شرطهم، ورجعُوا راضين(١).

فبينما هم في الطريق إذا بِراكب يتعرَّض لهم ويفارِقهم، ثم يرجع إليهم ثُمَّ يفارقهم، قالوا: مالك؟ قال: أنا رَسول أميرِ المُؤمنين إلى عامله بِمصر، ففتشوه فإذا هم بكتاب من عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وعليه خاتَمه، وفيه الأمر بِصلبهم أو قَتلِهم أو قطْع أيدِيهم وأرجلِهم، وأقبلوا نحو المدينة فأتَوا عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقالوا: ألم ترَ إلى عدو الله كتبَ فينا بكذا وكذا؟ وأنَّ الله قد أحل دمَه فقم معنا إليه، قال: والله لا أقوم معكم. قالوا: فلم كتبتَ إلينا؟! قال: والله ما كتبت إليكم كتابًا، فنَظر بعضهم إلى بعض(٢).

وخرج علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من المدينة، فانْطَلقوا إلى عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقالوا: كَتبت فِينا بكذا وكذا، فقال: إنَّهما اثنتان أنْ تُقيموا رَجلين من المُسلمين أو يَميني بِالله الذي لا إله إلا هو مَا كتبت ولا أمْليتُ ولا علمت، وقد يكتب الكتاب عَلى لسان الرَّجل ويَنقش الخَاتم على الخَاتم، قالوا: قد أحلَّ اللهُ دمك، ونقضت العهد والميثاق وحصروه في القصر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ»(٣).

هذه الرواية من أصح الروايات في حصار عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فهي ذات سَند قوي

---

(١) وفي «الطبري» زيادة مهمة، ومنها: «فقام فخطب فقال: إني ما رأيت والله وفدًا في الأرض هم خير لحوماتي من هذا الوفد الذين قدموا علي وقد قال مرة أخرى: خشيت من هذا الوفد من أهل مصر!!.

(٢) بعد ذلك -كما في «الطبري» - قال بعضهم: ألهذا تقاتلون أو لهذا تغضبون؟ (٤/ ٣٥٥).

(٣) «خليفة بن خياط»: (ص ١٦٨، ١٦٩)، و«الطبري»: (٤/ ٣٥٤ ـ ٣٥٦)، وهذه رواية خليفة.



(كما تقدم) وراويها (أبو سعيد) شاهد عيان للحادثة، وسنُضيف إلىٰ هذه الرواية أخبارًا تكملها، من روايات لا تصطدم معها بِشيءٍ، بل تسير معها في اتجاهٍ واحد حتىٰ تنتهي إلىٰ قتل عثمان.

ومن أبرز هذه الروايات رواية سيف بن عمر التميمي ومما جاء فيها: «أنَّه في شوال سنة ٣٤هـ خرج أهل مصر في أربع فِرق علىٰ أربعة أمراء، المقلل يقول ستمائة والمكثر يقول ألف.

ومن زعمائهم: ابن عديس البلوي، وكنانة بن بشر التجيبي، وعروة بن شيم الليثي، وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي، وسودان بن رومان الأصبحي، وزرع ابن يشكر اليافعي، وسودان بن حمران، وقتيرة بن فلان السكونيين وعلىٰ الجميع الغافقي بن حرب العكي، ومعهم عبد الله بن سبأ، وخرجوا للحَرب مُتظاهرين أمامَ الناس أنَّهم خَرجوا للحج وهواهم في علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)].

وخرج أهل الكوفة في أربَع رفَاق، وعليهم زيد بن صَوحان العبدي، والأشتر النَّخعي وزياد بْن النظر الحارثي، وعبدُ الله بن الأصم، وعددهم كعدد أهلِ مصر[(٢)]، وعليهم جميعًا عمرو بن الأصم، ونزل ناسٌ منهم (الأعوص) وكان هواهم مع الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٣)].

أما أهل البصرة فقد خرجوا في أربَع رِفاق -أيضًا- وعَليهم حكيم بْن جبلة، وذريح ابن عباد العبدي، وبِشر بن شُريح الحطم بن ضبيعة القيسي، وابنُ المحرش ابن عبد بن عمرو الحنفي في عدد كأهل مِصر[(٤)] وأميرهم جميعًا

---

(١) «الطبري»: (٤/ ٣٤٨).

(٢) في «الطبقات»: أن عددهم ٢٠٠: (ج٣/ ٧١).

(٣) «الطبري»: ج (٤/ ٣٤٩).

(٤) وفي «طبقات ابن سعد» أن عددهم ١٠٠: (ج ٣/ ٧١).

(حرقوص بن زهير السعدي)، فنزل ناس منهم (ذا خشب) وكان هوىٰ المصريين مع طلحة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[١].

واتفق أمرُهم علىٰ أن يبعثوا اثْنين منهم ليَطَّلِعوا علىٰ أخبار المَدينة ويعرفوا أحوال أهلها خاصة، وقد نمَىٰ خَبرٌ بِأن أهل المدينة استبَاحوا دماءهم وعَسكروا للقائِهم، وذهب الرجلان فَدخلا المدينة ولقِيا أزواج النَّبيّ ﷺ رضي الله تعالىٰ عنهن وعليًّا وطَلحة والزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، وأظهروا لهم أنَّهم يستعفون من عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بعض عمَّاله ويطلبون منهم السَّماح للناس بالدخول، فكلُّهم أبىٰ عليهم ذلك، وقالوا: بيض ما يفرخنَّ[٢].

ونتيجة هذا الفشل احتاج الأمْر إلىٰ أسلوب آخر، فكَان أن اتَّفق نفر من أهل مصر فأتوا عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومن أهل البصرة فأتوا طلحة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ومِن أهل الكوفة نَفرٌ وأتوا الزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فكلموهم وعرضوا عليهم لكنهم ردوهم علىٰ أعقابهم وهم يقولون: لقد علم الصالحون أن جيش ذي المروة وذي خشب ملعونون علىٰ لسان محمد ﷺ فارجعوا لا صحبكم الله»[٣].

وبعد هذا تَظاهر القومُ بالرُّجوع وهم يُبطنون أمرًا لا يعلمه النَّاس وكان أمر الكتاب، ولنتوقف عند قضية الكتاب من كتبه؟ وتحت أي ظرف كتب؟.

وأوَّل ما يَستوقُفنا: من أمر الكِتاب حَامله، وهو يتعرَّض لَهم ويفارقُهم ثُمَّ يرجع إليهم، ثم يفارقهم![٤] بل جاء أنه كان يتبيَّنهم[٥].

---

(١) «الطبري»: ج (٤/ ٣٤٩)، وعند الذهبي علىٰ خلاف ذلك، فأهل الكوفة كانوا يشتهون طلحة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وأهل البصرة هواهم مع الزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. «تاريخ الإِسْلام»: ج (٢/ ١٢٦).

(٢) «الطبري»: ج (٤/ ٣٤٩ - ٣٥٠).

(٣) الطبري في «تاريخه»: (٢/ ٦٥٣).

(٤) «خليفة بن خياط»: (ص ١٤٦).

(٥) «الطبري»: ج (٤/ ٣٥٥).

ويستوقفنا ثانيًا: إجابته لهم بأنَّه رسول أمير المؤمنين إلى عامِلِه بمصر[١]، والوفد لا يزال لتوِّه خرج من عند عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فماذا يريد من عامله بمصر؟.

ويستوقفنا -أيضًا- سؤال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لوفْدِ الكوفة والبصرة، وقد كَانوا يقولون إنَّما جئنا لننْصُر إخواننا ونمنعهم، فقالَ لهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وكَيف عَلمتم يا أهل الكُوفة ويا أهلَ البصرة بما لَقِي أهل مصر، وقد سرتم مراحل ثم طويتم نحونا[٢]؟.

ولعلنا من خلال هذه الملاحظات الدَّاخليَّة في النَّص نتعرفُ على من كتب الكتاب؟ ولعله أدركَ عَين الصواب مَن قال: إن الكِتاب لا يعدو أن يَكون مسرحيَّة مُثلت في الطريق الغربي الذي كان المصريون فيه وحدهم[٣].

هذا فوق أن هناك ما يؤكِّد شُبهة تزوير هَذا الكتاب، إذ لَيس هو الكِتاب الوحيد الذي يزوَّر عَلى الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فعائِشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُتَّهم بأنَّها كتبت إلى النَّاس تأمرهم بالخُروج على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ! ثُمَّ تنفي وتقول: لا والذِي آمَن به المُؤمنون وكفر به الكَافرون ما كَتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا[٤].

وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يتَّهمه الثُّوَّار بأنَّه كتب إليهم أن يقدموا عليه المدينة فينكر ذلك عليهم ويقسم: والله ما كتبت إليكم كتابًا[٥].

ويُتَّهم الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بكتابة الكُتب إلى أهل الأمصارِ يَأمرونهم بالقدوم

---

(١) «تاريخ خليفة بن خياط»: (ص ١٤٦)، و«الطبري»: ج (٤/ ٣٥٥).

(٢) أخرجه الطبري: (٢/ ٦٥٣)، وابن عساكر: (٣٩/ ٣١٩) في «تاريخيهما».

(٣) محب الدين الخطيب: ذو النورين عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الناشر: المطبعة السلفية ومكتبتها، الطبعة الأولى ١٣٩٤ هـ: (ص ٣١).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف»: (٣٢٠٥١) وغيره، ورجاله ثقات.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف»: (٣٧٦٩٠)، والبزار: (٣٨٩)، وابن حبان في «صحيحه»: (١٥/ ٣٥٨). «تاريخ خليفة بن خياط»: (١٤٦).

إليهم، فدينُ محمَّد ﷺ قد فسَد وتُرك، والجِهاد في المدينة خَير من الرِّباط في الثغور البعيدة؟![(١)]. وما أجْمَل ما قاله علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هذَا والله أمرٌ أُبْرِم في المدينة[(٢)].

وعثمان يُشير إلى أن الكتاب مَكتوب على لِسانه، والخَاتم قَد ينقش علَى خاتمه[(٣)] فيصدقه الصَّادقون ويكذِّبه الكَاذبون[(٤)]، وفوق هذَا كلِّه فالأمْر مَاض والثوار يُفصحون عن هدفهم ويقولون: ضَعوه على ما شِئتم ولا حاجة لنا في هذا الرَّجل، ليعتزلنا ونحن نعتزله[(٥)].

ويحيط الثُّوَّار بالمدينة وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غير مُكترث بِهم، بل كانوا في عَينه أدقَّ مِن التراب[(٦)]، ويمضي أسبوع على نزولهم بمسجِد رسول الله ﷺ ويزدَاد تَصاعد الأحداثِ، ويَبدأ اللَّغط يرتفِعُ في جوانب المَسجد ويتطور إلى مُناوشات، ثُمَّ إلى حصَب الخليفة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو على المِنبر فيُصرع ويُحمل ثُمَّ يعود ويصلي بهم عشرين يومًا[(٧)].

ويحكم الثُّوَّار الحصار وتَعيش مدينة رسول الله ﷺ أيَّامًا عصيبة ويَبقى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في حيرة من أمر هَؤُلاءِ، والناس بمجملهم لا يدرون ما القوم صانعون، ولا على ما هم عازمون[(٨)].

---

(١) «الطبري»: ج (٤/ ٣٦٧)، الباقلاني، «التمهيد»: (ص ٢١٦).

(٢) «تاريخ الطبري»: (٢/ ٦٥٣). «الطبري»: (٤/ ٣٥١).

(٣) «خليفة بن خياط»: (ص ١٤٦).

(٤) «البداية والنهاية»: ج (٧/ ١٩١).

(٥) «الطبري»: (٤/ ٣٥١)، ابن كثير: ج (٧/ ١٩١).

(٦) «الطبري»: (٤/ ٣٥١).

(٧) المصدر نفسه: (٤/ ٣٥١).

(٨) «البداية والنهاية»: (٧/ ١٩١).

ويحاولون عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على أن يعْزِل نفسَه فيمتنع، مُشيرًا إلى أنَّ الرسول ﷺ أوصاه بعدم طاعة المنافقين[١]، ثمَّ يبعث عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى أهلِ الأمْصار - يستَنجِدهم ويعرفهم ما النَّاس فيه- فَيتجهَّزون ويخرجُون على الصَّعب والذَّلول من مِصر والشام والكوفة والبصرة[٢].

ويتناهى الخَبرُ إلى المُحاصرين فيخْشَون فَوات الفُرصة ويُحكمون حِصارهم على المدينة، فتضيق بهم طرقاتها ويبلُغ الزِّحام شدَّته في موضع الحصار، حتى لو ألقي حَجر لم يَقع إلا على رأسِ رَجل، كما يقول ذلك من حضر الدار[٣].

ويتسابق الصحَابَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بعد أنْ أحَاط الثُّوَّار بداره، وحاولوا عزلَه بَل مَنعَه ممَّا بِهِ إليه حَاجة في الدِّفاع عنْه، ويستعينون بأبنائهم في الوقوف معه، فإذا هُو يستقْبلُهم ويقسم عليهم أن يكفوا أيدِيهُم فيسكنوا[٤] حتى إن بعضَهُم لبس الدِّرع مرتين[٥]، وحتى إن الأنصار ليسألُونه أن يكونوا أنصار الله مَرَّتين! فيأمرهم بالكف ويقول: لا حاجة لي في ذلك[٦]، ويستمرُّ الحصَارُ مِن أواخر القعدة إلى الثامن عشر من ذي الحجة[٧].

وقبل ذلك بيوم يَرى عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في المنامِ اقترَاب أجَلِه، فيستَسلِم لأمْر اللهِ

(١) ابن سعد، «الطبقات»: (٣/ ٦٦).

(٢) «الطبري»: ج (٤/ ٣٥١، ٣٥٢)، ابن الأثير في «الكامل»: ج (٣/ ١٦٠).

(٣) «البداية والنهاية»: ج (٧/ ١٩٥).

(٤) «البداية والنهاية»: (٧/ ١٩٣). المصدر نفسه: ج (٧/ ١٩٣).

(٥) أمثال ابن عمر، انظر «خليفة بن خياط»: (ص ١٧٣).

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف»: (٣٧٠٨٢) ورجاله ثقات، وأخرجه البخاري في «تاريخه»: (١/ ٧٦)، من طريق آخر منقطع.

(٧) «البداية والنهاية»: ج (٧/ ١٩٩).

ويَأمر من كان عندَه في الدَّار -وكانوا قُرابة سبعُمائة- من المُهاجرين والأَنصار أن يكُفُّوا أيدِيهم ويذهبوا إلىٰ مَنازلهم، ثم قال لرقِيقه: من أغْمدَ سَيفه فهو حرٌ[١]، ويتَسوَّر الثُّوار عليه دَاره وتناوشَته رماحُهم حتَّىٰ أهريق دمه، وفاضت روحه الطاهرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وهو الشيخ المعلق قلبه بالله والمُحتضِر وبين يديه كتاب الله رضي الله عنه وأرضاه!!.

وهنا تختلِفُ الرِّوايات في تَعيين قاتلِه؛ هل كَان رومان اليماني،[٢] أم سُودان بن رومان المرادي،[٣] أم كنانة بن بشر التجيبي،[٤] أم رجل من بني سدوس يقال له: الموت الأسود،[٥] أم أنه لم يتعين قاتله علىٰ الصحيح؟[٦].

والذي يهمُّنا أن نَتيقَّن أن قَاتليه إنَّما هُم رؤوس شر، وأهل جَفاء كما يقول الذهبي[٧].

وأراذل من أوباشِ القَبائل، كما يقول ابن العِماد الحنبلي[٨] وهَمج ورعَاع من غوغاء القبائل وسَفلة الأطراف والأرذَل كما يصفهم النووي[٩]، أو حُثالة الناس

---

(١) «البداية والنهاية»: ج (٧/ ١٩٩).

(٢) «خليفة بن خياط»: (ص ١٧٥).

(٣) «البداية والنهاية»: ج (٧/ ٢٠٣)، وفي «الطبري» سودان بن حمران المرادي: ج (٤/ ٣٩٤).

(٤) «الطبري»: ج (٤/ ٣٩٤).

(٥) «خليفة بن خياط»: (ص ١٧٤).

(٦) ابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب»: (١/ ٢١٠).

(٧) «دول الإِسّلام»، الإمام الذهبي، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية/ حيدر أباد الطبعة الثانية ١٣٦٤هـ: (ج ١/ ١٢).

(٨) «شذرات الذهب»: ج (١/ ٤٠).

(٩) «شرح صحيح مسلم»: (ج ١٥/ ١٤٨، ١٤٩).

قد اتَّفقوا علىٰ الشَّر كما يصفهم ابن سعد[١]، وهُم خليط بين غوغَاء الأمصَار وأهل المِياه وعبيدِ أهل المدينة كما تقول عائشةرَضِيَٱللَّهُعَنهَا[٢].

ويقول الزُّبير رَضِيَٱللَّهُعَنهُ: «قتله الغَوغاءُ مِن الأمصار ونزَّاع القَبائل، وظاهرهم الأعراب والعبيد»[٣]، ولعله بعد هذا لا يبقىٰ مكانٌ للرِّوايات التي تشرك الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنهُم في دم عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنهُ -وقد سَبق طرفٌ منها- ولا لبَعض الأخْبار التي تقول أنه وجد في أمر عثمان طلحة والزبير رَضِيَٱللَّهُعَنهُم[٤].

كيفَ وقد سُئل الحسن رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، أكان فِيمن قتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنهُ أحدٌ من المهاجرين والأنصار؟ قال: «لا، كانوا أعلاجًا من أهل مصر»[٥].

وإذا كان لقائل أن يقول: وكيفَ قُتل عثمان، وفي المَدينة جَمع من كِبار الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنهُم؟! وهو سؤال وضَعَه ابن كثير (وفيما مضىٰ بعض الإجابة عليه) ثم أجاب عليه بعدة أمور نقتطف منها الآتي:

١- أنَّ كثيرًا منهم، بل أكثرهم أو كلهم لم يعلموا أن الأمر سيبلغ قتله.

٢- أنَّ الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنهُم مانعوا عَنه أشد المُمانَعة، فلما كان التضييق عزم عليهم رَضِيَٱللَّهُعَنهُ بوضع أسلحتهم والخروج إلىٰ منازلهم.

٣- أن الثُّوَّار اغتنموا فرصة غيابِ كَثير من أهل المدينة في الحج وعجَّلوا بقتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنهُ قبل قدوم أهل الأمصار عليه.

---

(١) «الطبقات»: (٣/ ٧١).

(٢) ابن الأثير في «الكامل»: ج (٣/ ٢٠٧).

(٣) أخرجه الطبري في «تاريخه»: (٣/ ١٣).

(٤) نصر بن مزاحم، «وقعة صفين»: (ص ٧٢).

(٥) أخرجه خليفة بن خياط في «تاريخه»: (ص١٧٦).



٤- وكَان المُحاصرون قريبًا من أَلْفَي مقاتِل من الشُّجعان وأهل المَدينة كلِّهم ربَّما لا يبلغون هذَا الرَّقم لتَوزُّعهم في الثُّغور والأقاليم(١).

وبالجملة فهي فِتنَة قدرها الله، وبوحي منهُ أَخبَر عنها رسول الله ﷺ وهو يُبشِّر عثمان بالجنة مع بلوى تصيبه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢)، ولقد كَان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سبب انْتِشارها عنه كما يقول ابن كثير(٣)، أما وقد كُسر البَاب واستشهِدَ عمر، فما بقي إلا أن يَصدق خبر المصطفى ﷺ في الفتنة التي تموج كمَوج البحر(٤).

ويُبتلى بالفتنة عثمان، فيَصبرُ لَهَا ويحتسب أجرَها منذ علم خبرها وهو يقول: «اللَّهمَّ صَبرًا، أو الله المستعان»(٥)، ثم يصبر عليها وقتِ هَيجانها ويقول: «واللهِ إن رَحى الفِتنة لدائِرة، فطوبى لعثمان إن ماتَ ولَم يُحرِّكها»(٦).

---

(١) «البداية والنهاية»: ج (٧/ ٢١٦).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قول النَّبيّ ﷺ: لو كنت متخذًا خليلًا، برقم: (٣٤٧١). «صحيح البخاري»: (ج ٨/ ٩٧).

(٣) ينظر «النهاية أو الفتن والملاحم»، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط الأولى: ج (١/ ٥٠).

(٤) «صحيح البخاري»: ج (٧/ ٩٦)، وقد جاء في الحديث أن عمر سأل عن الفتنة التي تموج كموج البحر. عن شقيق قال: سمعت حذيفة يقول: بينا نحن جلوس عند عمر إذ قال: أيكم يحفظ قول النَّبيّ ﷺ في الفتنة؟ قال: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال: ليس عن هذا أسألك، ولكن التي تموج كموج البحر. قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين إن بينك وبينها بابا مغلقا قال عمر: أيكسر الباب أم يفتح؟ قال: لا بل يكسر قال عمر: إذا لا يغلق أبدا قلت: أجل. قلنا لحذيفة: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم كما يعلم أن دون غد ليلة، وذلك أني حدثته حديثا ليس بالأغاليط. فهبنا أن نسأله من الباب؟ فأمرنا مسروقًا فسأله فقال: من الباب؟ قال: عمر. البخاري: (٧٠٩٦)، ومسلم: (١٤٤).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، باب من فضائل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم: (٢٤٠٣)، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. «صحيح مسلم»، شرح النووي: (ج ١٥/ ١٧٠ ـ ١٧١).

(٦) «الطبري»: ج (٤/ ٣٤٣).

رضي الله عن عثمان الشهيد المبتلى، ورضي الله عن بقية الصحابة أولي الأحلام والنهى.

بعد هذا كله، نَعلم أن اليَهود قد لا يصنعون الأحداث دائمًا، ولكنهم يجيدون استثمارها، وكذلك فعل ابن سبأ.

وقد ظهرَ ذلك جليًّا في أدواره البارزة في الفتن زمن خلافة علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.



المطلب الرابع

دور ابن سبأ في الفتنة زمن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)]

ما كلَّ ابنُ سبأ وما ملَّ من مضيِّه قدمًا في إثارةِ الفِتن واقتناص الأحداثِ وتَأليب العَوام وحشد الأتبَاع، حتى في زَمن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع الظُّروف الحَرجَة التي عصَفت بالدَّولَة الإِسْلامية على يَد الثُّوَّار ومُنتهكي الدَّم الحَرام، فقد أمسَكوا بأزِمَّة الأمور بالمدينة وصَارت إليهم الإمامة في الصَّلاة بالناس خمسة أيام[(٢)]..

ولقد كان لمَقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالغ الأثَر في نُفوس الصَّحابة حتَّى إنَّ عليًّا وطَلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ خَرجوا بعد أن بَلغهم الخَبرُ وقَد ذهبت عقولهم[(٣)]، حتَّى يسرَّ الله عَزَّ وَجَلَّ وتمَّت البيعة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٤)].

وبعد أن استتبَّ الأمرُ لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذلكَ يَوم الجمعة بقين من ذي الحجة[(٥)] خطب في النَّاس؛ وكان من بين الأشياء التي أبان عنها: حُرمات الله التي حرَّمها، ولا سيَّما حرمة المسلم، وأنَّ المُسلم من سلم الناسُ من لسَانِه ويده إلا بالحَقِّ، وأن أذى المسلم لا يحل إلا بما يجب[(٦)].

وبلا شَك لَم تخلُ الخُطبة من حُضور بَعض السَّبئيين الذين أدركُوا أن كَلام عليٍّ

---

(١) «عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة»: (١٤٩ - ١٦٧).

(٢) «تاريخ الطبري»: (٤/ ٤٣٢).

(٣) «تاريخ الإسْلام»، للذهبي: (٢/ ١٣٩)، «العبر في خبر من غبر»، للذهبي: (١/ ٣٦).

(٤) لمزيد اطلاع على مجريات أحداث تمام البيعة لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. لينظر «عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتنة»: من ص (١٦٩)، و«تحقيق مواقف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ» من (٢/ ٥٩).

(٥) «تاريخ الطبري»: (٤/ ٤٣٥).

(٦) المصدر نفسه: (٤/ ٤٣٦).

هذا يشير إليهم وينقِم على صَنيعهم، فأرادوا أن ينبِّهوا عليًّا إلى شوكتهم فيحتاط في أمرهم.

❍ دور ابن سبأ وأعوانه في وقعة الجمل:

خروج عائشة وطلحة والزبير إلى البصرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

كانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بمَكَّة لَمَّا قُتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقَامت في النَّاس تَحضُّهم على القِيام بطلب دمِ عُثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وطاوعوها عَلى ذلك(١)، أما طَلحة والزُّبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقد كانا في المدينة، ولما كَثر الاختلاف فيهَا استأذَنا عليًّا في العُمرة، فقال لهما: ما العمرة تريدان، وذكر بيعتُهما له ثُمَّ قال: قد أذِنت لَكما فاذْهَبا راشدين، فارتَحلا إلى مكة واجْتمَعا بعائشة ومن كان معها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ(٢).

وفي مكة كانت المشورة في جِهة الخُروج؛ فالزُّبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: عليكم بالشام فإن بها الأموال والرجال.

وقال عبد الله بن عامر:(٣) عليكم بالبَصرة، فإنَّ لي بها صنائِع، ولأهلها في طلحَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هوى، أما الشَّام فقد كفاكم معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمرها، أما عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكانَت ترى الخروج إلى المدينة، إلا أنه قيل لها: إن من مَعك لا يقرنون(٤) لتلكَ الغَوغاء.. وأخيرًا استقر أمرهم على الذهاب إلى البصرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ(٥).

---

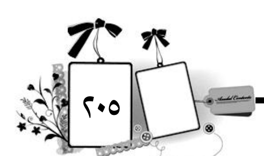
(١) العيني، «عمدة القاري شرح صحيح البخاري»: (٢٤/ ٢٠٥).

(٢) ابن حبان، «الثقات»: (ج ٢/ ٢٢٧، ٢٢٨).

(٣) هو ابن كريز الأموي ولد بمكة وولي البصرة في أيام عثمان سنة ٢٩هـ فتح سجستان ومرو وغيرها، توفي عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو على البصرة وشهد الجمل مع عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ولم يحضر صفين، ولاه معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ البصرة ثلاث سنين ثم صرفه عنها ثم أقام بالمدينة ومات بمكة سنة ٥٩هـ. «الاعلام»: (٤/ ٢٢٨).

(٤) لا يقرنون: لا يقوون ولا يقدرون وأقرن عن الشئ إذا ضعف عنه. «لسان العرب»: (١٣/ ٣٤٠).

(٥) «الطبري»: ج (٤/ ٤٥٠).



ونادىٰ مُنادي القَوم: إنَّ أمَّ المؤمنين وطلحةَ والزُّبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ شاخِصُون إلىٰ البَصرة، فمن كان يُريد إعزازَ الإِسْلام وقتالِ المُحلِّين[١] والطلب بثأر عُثمان، ومن لَم يَكن عندَه مركب أو جهاز فهٰذا جهاز وهَذه نفقَة، فحملوا ستمائة رجل علىٰ ستمائة ناقة، سوىٰ من كان له مركب[٢].

وقدم طلحة والزُّبير وعَائشة البصرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ -بأعلىٰ المريد- وبِها عثمان بن حنيف الأنصاري[٣] واليًا لِعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عليها[٤] ثُمَّ سار طلحةُ والزبيرُ ومن معهم حتىٰ أتَوا الزابوقة[٥] فَخرج إليهم عثمان بن حنيف[٦].

---

(١) كأنها بذلك تشير إلىٰ الذين أحلوا دم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من السبئية إذ أننا نجد نصًا آخر يوضح هذه الحقيقة، ففي الطبري أن طلحة والزبير وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وآخرين كانوا معهم (أجمع ملؤهم علىٰ الطلب بدم عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقتال السبئية): ج (٤/ ٤٥٤).

(٢) أخرجه الطبري في «تاريخه»: (٣/ ٧).

(٣) هو عثمان بن حنيف بن وهب بن العكيم بن ثعلبة بن الحارث، أبو عمرو الأنصاري الأوسي. صحابي. شهد أحدا وما بعدها. وولاه عمر بن الخطاب - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - السواد، ثم ولاه علي - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - البصرة: روىٰ عن النَّبيّ ﷺ. وعنه ابن أخيه أبو أمامة بن سهل وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وعمارة بن خزيمة بن ثابت. وفي الاستيعاب: أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ استشار الصحابة في رجل يوجه إلىٰ العراق، فأجمعوا جميعًا علىٰ عثمان بن حنيف، وقالوا: إن تبعثه علىٰ أهم من ذلك فإن له بصرا، وعقلا، ومعرفة، وتجربة، فولاه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو وحذيفة بن اليمان مساحة أرض العراق فمسحاها ليعرفا ما عليها من الخراج لبيت المال. ينظر «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر: (٢/ ٤٥٩)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر: (٣/ ١٠٣٣)، و«تهذيب التهذيب»، لابن حجر: (٧/ ١١٢).

(٤) «خليفة بن خياط»: (ص ١٨٠، ١٨١).

(٥) موضع قريب من البصرة كانت فيه وقعة الجمل وهي مدينة (المسامعة بنت ربيصرة) بالبصرة وفي أخبار القرامطة الزابوقة: موضع قريب الفلوجة من سواد الكوفة. «معجم البلدان»: ج (٣/ ١٢٥).

(٦) أحد الصحابة وهو أنصاري من الأوس استعمله عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ سواد الكوفة ثم ولاه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ البصرة قبل وقعة الجمل وحضر الجمل مع علي، ثم سكن الكوفة وتوفي في خلافة =

فتواقفوا حتَّىٰ زَالت الشَّمس ثم اصطَلَحوا وكتَبوا بينَهم كِتابًا بالكَفِّ عَن القتال ولعثمان دار الإمارة والمَسجد وبيت المَلأ والكلأ، وأن يَنزل طَلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من البصرة حيث شاؤوا ولا يَعرض بَعضُهم لبعض حتىٰ يقوم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١].

وحينَما أراد الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يَرزق أصحابه من مدينة الرِّزق (الزابوقة)، جَاءهم حكيم بن جبلة العبدي في سبعمائة من عبد القيس وبكر بن وائل، فاقتتلوا فقتل حكيم فيمن قتل[٢].

وهذا كلُّه كَان قبل قدوم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلىٰ البصرَةِ، أو معركة الجمل الأولىٰ كما يسميها خليفة،[٣] أمَّا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فحينما علم بِمَسير طلحَة والزُّبير وأم المُؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلىٰ البصرة بَعث عمَّار بن ياسر وابنَه الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلىٰ الكُوفة ليستنفرا أهْلَها، فصَعدا مِنبرَها وَقال عمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنَّ عَائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد سَارت إلىٰ البَصرة وَوالله إنَّها لزوجَة نَبيكم ﷺ في الدُّنيا والآخِرة، ولكن الله ابتلاكم لِيعلَم إيَّاه تطيعون أم هِي[٤].

ثم خرج علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من المدينة بعد أن استعمل عليها سهل بن حنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٥] وفي (ذي قار)[٦] التقىٰ عَليٌّ مَع عمَّار والحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ومن قَدم

= معاوية. «التقريب»: (ج٢/ ٧)، و«الاعلام»: (٤/ ٣٦٥).

(١) «تاريخ خليفة بن خياط»: (ص ١٨٣).

(٢) المصدر نفسه: (ص ١٨٣).

(٣) المصدر نفسه: (ص ١٨١).

(٤) «صحيح البخاري»: ج (٩/) ٥٦.

(٥) الذهبي، «تاريخ الإسْلام»: ج (٢/ ١٤٨)، وسهل بن حنيف أحد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن السابقين، شهد بدرًا وممن ثبت يوم أحد استخلفه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ البصرة بعد وقعة الجمل وشهد معه صفين، توفي في الكوفة سنة ٣٨هـ. «الاعلام»: «ج (٣/ ٢٠٩).

(٦) ماء لبكر بن وائل، قريب من الكوفة بينها وبين واسط». «معجم البلدان»: ج (٢٩٣).



مَعهما مِن الكوفة، وكانوا ما بَين السِّتَّة آلاف إلىٰ السبْعَة آلاف، فسَار علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بِمن قَدم مِن المدينة ومن أهل الكوفة إلىٰ البصرة وهم زهَاء عشرة آلاف[١]، وفي البصرة كانت ملحمة الجمل التي قال عنها الزهري: «ما شُوهدَت وَقعةٌ مَثلها، فَنِيَ فِيها الكَماة من فرسان مضر»[٢].

ويقول: «لقد كَان مِنِّي في أمر عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مالا أرىٰ كَفَّارته إلا سَفك دمي، وتطلب دمه»[٣]. فما أسباب خروج عائشة وطلحة والزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ؟ ولماذا خرج عليّ علىٰ أثرهم؟ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ جميعًا.

يقول عُمرُ بْن شَبه[٤]: «إنَّ أحدًا لم ينقُل أنَّ عَائشة ومن معَها نازعوا عليًّا في الخلافة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ[٥] ولا دعوا إلىٰ أحَدٍ مِنهم ليولوه الخلافَة، وإنما أنكروا عَلىٰ علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ منعه من قتل قَتلَة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وترك الاقتصاص منهم»[٦].

ونستطيع أن نَرصُد عَاملين أساسِيين كان لهُما أثرٌ في خُروج طلحَة والزُّبير وأمِّ

---

(١) «تاريخ خليفة بن خياط»: (ص ١٨٤).

(٢) «عمدة القاري»: ج (٢٤/ ٢٠٥).

(٣) «تاريخ الإسْلام»، للذهبي: ج (٢/ ١٥٠).

(٤) هو أبو زيد عمر بن شبه بن عبيدة البصري النميري، أديب نحوي، لغوي إخباري، نشأ في البصرة وتوفي بسر من رأىٰ سنة ٢٦٢هـ نقل الذهبي توثيقه، وقال ابن حجر أنه ذو تصانيف، نزل بغداد وهو صدوق. «الكاشف»: (٢/ ٣١٣)، و«التقريب»: (٢/ ٥٧)، و«معجم المؤلفين»: (٧/ ٢٨٦).

(٥) ربما يكون هذا صحيحًا في عصر المؤلف (ابن شبه)، وقد يكون فيه من نقل غير ذلك، ولكنه إنما قصد من يعتد بقولهم وعلىٰ أية حال فقد عثرنا علىٰ نص عند (الشيخ المفيد) من أعلام الشيعة، توفي في بداية القرن الخامس الهجري (٤١٣) ذكر فيه أن الباعث لخروج طلحة والزبير هو (ما كانا عليه من الطمع في الولاية للأمر دونه والتآمر علىٰ الناس بذلك!! عن كتابة الجمل، أو النصرة في حروب البصرة ط. الثانية، المطبعة الحيدرية، النجف: (ص ٦١)، وهو رأي ساقط لا يؤبه به.

(٦) «أخبار البصرة»، لعمر بن شبه، نقلًا عن ابن حجر في «فتح الباري»: ج (١٣/ ٥٦).



المُؤمنين إلى البصرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

١. فهم مِن جانب، آلمَهم الحَادث الذي انتهى بقتلِ عُثمان، فأسقط في أيدِيهم ورأوا أنَّهم قد قصَّروا في حقِّ عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فخرجوا يطلبون دمه، بغير أمر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١) لا سيما وأنَّهم قد رأوا قتَلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في جيش عَلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصاروا من رؤوس الملأ(٢).

ويصدق علَيهم هَذا حتى آخر لَحظَة من حياتِهم، فمثلًا طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانَ يقولُ والسِّهام تتناوشه: اللَّهمَّ خذ لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مني اليَوم حتى ترضى(٣).

وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تقولُ بعد قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنَّ هَذا حَدثٌ عظيم وأمرٌ مُنكر، فانْهضوا فيه إلى إخوَانكم من أهل البَصرة، فأنكروه فقد كفاكم أهْل الشَّام ما عندهم، لعَلَّ الله عَزَّوَجَلَّ يدركُ لِعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وللمسلمين بثأرهم»(٤).

أما الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ففي رِواية عند الطَّبري أنَّ ركب عَائشة وطلحَة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مرَّ في طريقه على مُليح بن عوف السلمي(٥)، فسلَّم على الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

---

(١) «العبر في خبر من غبر»، للذهبي، المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ج ١/ ٣٦ وانظر المغازي النبوية لابن شهاب الزهري (دار الفكر): (ص ١٥٣).

(٢) الذهبي، «دول الإسْلام»: ج (١/ ١٤، ١٥).

(٣) «خليفة بن خياط»: (ص ١٨٥)، «تاريخ الإِسْلام»، للذهبي: ج (٢/ ١٥٠).

(٤) «تاريخ الطبري»: ج (٤/ ٤٥٠).

(٥) هو: مليح بن عوف السلمي: له إدراك، وكان دليلا في زمن عمر. وقد أخرج ابن سعد في «الطبقات «من طريق حبيب بن عمرو، عن مليح بن عوف السلميّ، قال: بلغ عمر بن الخطاب أنّ سعد بن أبي وقاص صنع بابا من خشب على داره وحصن على قصره حصنا من قصب، قال: فأمرني عمر بالمسير مع محمد بن مسلمة، وكنت دليلا بالبلاد، فذكر القصَّة في عزل سعد عن الكوفة. «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر: (٦/ ٢٤٥)، «الطبقات الكبرى»، لابن سعد: (٥/ ٤٦).

وقال: يا أبا عبد الله ما هذا؟ قال عُدِيَ على أمير المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فقُتل بلا ترة ولا عذر، قَال ومن؟ قال: الغوغاء..، قَال: فَتريدون ماذا؟ قال نُنهض النَّاس فيدرك بهذا الدم لِئلا يَبطل فإن في إبطاله توهين سلطان الله بيننا أبدًا إذا لم يفطم الناس عن أمثاله لم يبق إمام إلا قتله هذا الضرب(١).

بل لقد كان عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نفسه يؤكِّدُ طَلبهم بدمِ عُثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، ويَرىٰ لَهم الحُجَّة في ذَلك، فَقد سأله أَحَدُ الأفراد أَتَرىٰ لِهَؤُلاءِ القَوم حُجَّة فِيما طلبوا به من هَذا الدَّم -يعنِي دَم عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- فَيُجيب: نَعم! ثمَّ يقول له: وتَرىٰ لك حجة بتأخيرك ذلك؟ فيقول: نعم(٢).

٢. وفي الجَانب الآخر كَان خُروجهم بقصْد (الصُّلح)(٣) وتهدئة ثَائرة النَّاس كَما جاءت بذلِك الأخْبار(٤) فبَعد أن اسْتقرَّ أمْر طَلحة والزُّبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ومَن مَعهم عَلىٰ الشُّخوص إلىٰ البصْرَة، جاؤوا إلىٰ عائشةرَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، وقالوا لَها: يا أَمَّ المُؤمنين:

---

(١) عن يزيد بن معن السلمي: ج (٤/ ٤٦١).

(٢) الباقلاني، «التمهيد» ص (٢٣٧).

(٣) ليس هناك من تعارض بين الرغبة في الصلح وهو أمر اتفق عليه الجانبان) وبين حرص طلحة والزبير وعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ على المسارعة في ضرب الثوار والمطالبة بدم عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو الأمر الذي كان عليّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يؤثر التريّث فيه في ظروفه الأولىٰ لتولي الخلافة.. بل إن هذا الجانب (الإصلاح) مكمل للجانب الأول (الثأر لعثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ) ومتمم له وهو يترجم العرض الذي عرضه طلحة والزبير علىٰ علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في المدينة بأن يأذن لهما في الذهاب إلىٰ البصرة والكوفة ليأتياه من هناك بالجنود والخيل، فيتريث علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وهو يقول حتىٰ انظر في ذلك (الطبري ج (٤/ ٤٣٨).. ويؤكد ذلك ايضًا قولهم حين عزموا علىٰ الخروج: فمن كان يريد إعزاز الإسْلام وقتال المحلين والطلب بثأر عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ومن لم يكن عنده مركب ولم يكن له جهاز فهذا جهاز وهذه نفقة. «الطبري»: ج (٤/ ٤٥١).

(٤) «الطبري»: ج (٤/ ٤٥٠، ٤٥١)، ـ عن محمد بن نويره وطلحة الأعلم.

دعي المدينة -وكانَت تُريد الشُّخوص لها- فإنَّ مَن مَعنا لا يُقرنون لتلْكَ الغَوغاء التي بها واشْخصي مَعنا إلى البَصرة.. فإن أصلح اللهُ الأمْر كان الذي تريدين!(١).

ونقل ابنُ شِهاب الزُّهري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قولها: «إنَّما أريدَ أن يُحجز بَين النَّاس مَكاني، ولَم أحْسَب أن يَكون بين النَّاس قِتال، ولو عَلمت ذلك لم أقِف ذلك المَوقف أبدًا»(٢).

ثم تتجهز للخُروج إلى البَصرة وتمر في طَريقها بالحَوأب(٣) فتسمع نباحَ الكلاب، فتقول: «مَا أظنُّي إلا رَاجعة، إن رسول الله ﷺ قال: «أَيَّتُكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيهَا كِلَابُ الحَوْأَبِ».»(٤) فيَقول لَهَا الزُّبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تَرجعين! علَّ اللهُ أن يُصلح بك بَين النَّاس»(٥).

ولما قدمت البصرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وبَلغ عثمان بن حَنيف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -والي البَصرة مِن

(١) «تاريخ الطبري»: (٤/ ٤٥٠)، و«السيرة النبوية وأخبار الخلفاء»، لابن حبان: (٢/ ٥٣٢)، و«الفتنة ووقعة الجمل»: (ص: ١١٤).

(٢) «المغازي النبوية»: (ص ١٥٤).

(٣) الحوأب - بالفتح ثم السكون، وهمزة مفتوحة، وياء موحدة: موضع في طريق البصرة وهو من مياه العرب، وقيل سمي بذلك نسبة إلى الحوأب بنت كلب بن وبره. ينظر «معجم البلدان»: ج (٢/ ٣١٤).

(٤) هذا الحديث قال فيه ابن كثير: إسناده على شرط الصحيحين ولم يخرجاه. «البداية والنهاية»: ج (٦/ ٢٤١)، وقال عنه الذهبي: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجوه. «سير أعلام النبلاء»: ج (٢/ ١٢٥)، ويقول ابن حجر: وأخرج هذا أحمد، وأبو يعلي والبزار وصححه ابن حبان والحاكم، وسنده على شرط الصحيح «فتح الباري»: (١٣/ ٥٥)، أما استنكار (ابن العربي) لحديث الحوأب، وتعليق الخطيب بأن ذلك ليس له موضع في دواوين السنة المعتبرة. «العواصم»: ص (١٦١) فهو يحتاج إلى نظر!!.

(٥) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٦/ ٩٧)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد»: (٧/ ٢٣٤): رجال أحمد رجال الصحيح.



قبل علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- قُدومها ومن مَعها أرسَل إليها مَن يأتيهِ بخبرِها وسَبب خُروجها، فكانَ من جَوابها: «إنَّ الغَوغاء من أهل الأمصار ونزَّاع القَبائل غزوا حَرم رسول الله ﷺ وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المُحدثين واستوجَبوا فيه لعنَة الله ولعنة رسوله ﷺ، مع ما نَالوه من قتل المسلمين بلا ترة ولا عذر.. فَخرجتُ في المُسلمين أعلمهم ما أتى هَؤُلاءِ القَوم وما فيه النَّاس وراءنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصْلاح هذا، وقرأت: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ١١٤]، ننهض في الإصلاح ممن أمر الله عَزَّوَجَلَّ وأمر رسوله ﷺ، الصَّغير والكبير والذكر والأنثى، فهذا شَأننا إلى معرُوف نأمُركُم به ونحُضُّكم علَيه ومنكر نَنهاكم عنه ونَحثُّكم على تغييره»(١).

وفي «الثقات»: أن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا كَتبت إلى أبي موسَى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو بالكوفة: أنَّه قد كَان من أمر عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ما قد علمْتَ، وقد خرجت (مُصلحة) بين النَّاس فمر من قَبلكُم بالقَرار في منازلِهم والرِّضا بالعَافية حتَّى يأتِيَهم ما يحبُّون مِن صلاح أمر المُسلمين(٢).

ويؤكد ابن العربي على هذا المعنى صراحة فيقول: «وأمَّا خُروجها إلى حَرب الجمل؛ فما خرجت لِحرب، ولكن تَعلَّق النَّاس بها وشكوا إليها ما صاروا إليه مِن عظيم الفتنة وتهارج النَّاس، ورجَوا بَركتَها في الإصلاح، وطمعُوا في الاسْتحيَاء منْها إذا وقفت إلى الخَلق، وظنت هي ذلك فخرجت مُقتدية بِالله في قوله: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ﴾ [سورة النساء: ١١٤] الآية: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

---

(١) «الطبري»: ج (٤/ ٤٦١، ٤٦٢)، عن محمد بن نويره وطلحة الأعلم.

(٢) ابن حبان، «الثقات»: ج (٢/ ٢٨٢).

ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ﴾ [سورة الحجرات: ٩][1].

وحينَما وصَل عليرَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إلى البَصرة جَاء إلى عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فقال لها: «غَفر الله لَك! قَالت: ولَك، ما أردتُ إلا الإصلاحَ»![2]، ولما انْتَدب عَلي القعقاع بن عمرورَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا للإصلاح مع أصحَاب الجَمل -كما سَيأتِي- بَدأ بعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا فسألها عن سبب خروجها؟ فأجابتْ: الإصلاح بين الناس[3].

بعد هذا كله -فيما يَخصُّ عَائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا- يَتبيَّن الشَّطط فيمَا وجَّه بهِ صَاحب كتاب (الجمل) من الشِّيعة خروج عائِشة على علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، حين قَال بِأن خروجها بِسبب ما كانت تكنُّه لعلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من كُره على إثر حادثة الإفك![4]

وهو يؤكد ذلك الكره: إنَّ النَّاعي حين جاء إلى أهْلِ المدينة بِقتل علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وسمِعَت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا بذلك استَبشَرت وقالت متمثلة:

فَإِنْ يَكُ نَاعِيًا فَلَقَدْ نَعَاهُ ... لَنَا مَنْ لَيْسَ فِي فِيهِ التُّرَابُ[5]

بل لقَد سجدت شكرًا لله على قَتله، ثم رفعَت رَأسَها وهِي تقول: (عَلى حَد

---

(١) «أحكام القرآن»: ج (٣/ ١٥٣٦).

(٢) «شذرات الذهب»: ج «١/ ٤٢».

(٣) «الطبري»: ج (٤/ ٤٨٨)، عن محمد وطلحة.

(٤) الشيخ المفيد، «الجمل»: ص (٦٥، ٦٦)، أما حادثة الإفك فقال عنها أن الرسول ﷺ استشار ـ في حادثة الإفك على عائشة ـ أسامة بن زيد وعلي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جميعا، أما أسامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: لا تظن يا رسول الله إلا خيرا فإن المرأة مؤمنة، وصفوان عبد صالح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أما علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: يا رسول الله النساء عليك كثيرة، سل عن الخبر بريرة (خادمتها) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وابحث عن سر خبرها منها، فقال له رسول الله ﷺ فتول أنت يا علي تقريرها، فقطع لها خشبًا من النخل وخلا بها يسألها ويتهددها ويرهبها حتى قالت: لا جرم إني لا أحب عليًا أبدًا!! المرجع نفسه: ص (٦٥، ٦٦).

(٥) المرجع نفسه: (ص ٦٧).



زعمه).. فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى *** كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالإِيَابِ المُسَافِرُ(١).

لكن هَل تقبل أمُّ المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -وهِي ممَّن أذْهب اللهُ عَنهم الرجس وطهرَهُم تَطهيرًا- أن تُسفَك دِماء المُسلمين لَموجِدة في نفسها وجَدتها على عِلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ منذ عشرات السِّنين؟ أم الأولى أنْ يُقال إن الرَّافضة همُ الذِين يَجدون في أنفُسِهم على عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فيفْتَرون عليها الكذب؟! والحقُّ إنَّ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إنما قصدت الإصلاح.

لم يكن هذا الإصْلاحُ هَدف عائشة وحدَها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقد أخْرج الحافظ البيهقي:(٢) «أن عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما دنى هُو وأصحابُه مِن طلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، نَادى الزُّبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فجاء إليه فذكَّره حَديث رسول الله ﷺ: لتُقاتِلنه وأنتَ ظَالم له! فذكره الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: لقد أنسيته، ثم عزم على الرُّجوع، فعرض له ابنه عبد الله، فقال: مالك؟ قال: ذكرني علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حديثًا سمعته من رَسول الله ﷺ وإني راجع، فقال له ابنه: وهَل جئت للقتال؟ إنما جئت تصلح بَين الناس ويصلح الله هذا الأمر»(٣).

وبالجملة فعائشة وطلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إنما خرجوا قاصدين الصلح وجمع الكلمة، وأما ما رَافق ذلك وما أعقبَه من أمور فَهي محض اجتهاد منهم، وهم من أهل الفقه والرأي، كما يقول الباقلاني(٤).

(١) المرجع نفسه: (ص ٦٨).

(٢) هو أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي، الخراساني الشافعي، محدث فيقه، غلب عليه الحديث ورحل في طلبه وصنف فيه كثيرا، ومن مؤلفاته: «السنن الكبرى»، و«دلائل النبوة»، ولد سنة ٣٨٤هـ وتوفي في نيسابور سنة ٤٥٨هـ. «معجم المؤلفين»: (١/ ٢٠٦).

(٣) عن ابن كثير، «البداية والنهاية»: ج (٧/ ٢٤٢).

(٤) «التمهيد»: (ص ٢٣٢)، وهذا لا يعني عدم وقوع الخطأ منهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهم بشر وغير معصومين ولكن المقصود دفع قصد الخطأ منهم وإلا فقد أشار بعض العلماء إلى تصويب علي =

وأبو بكر بن العربي بَعد أن ساق احتمالات في أسْباب خُروجهم إلىٰ البصرة قَال: «ويُمكن أنهم خرَجُوا في جمع طوائف المُسلمين، وضمِّ نشرهم وردِّهم إلَىٰ قانون واحد حتىٰ لا يَضطربوا فيقتلوا، وهذا هُو الصحيح لا شيء سواه، وبذلك وردت صحاح الأخبار»(١).

وإذا كان هذا كُله في جَانب طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ومن سار علىٰ رأيِهم، فلم يكن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ومن كان علىٰ رأيهِ مِن جيشه يهدفُ مِن مسيره إليهم إلا الإصلاح وجمع الكلمة.

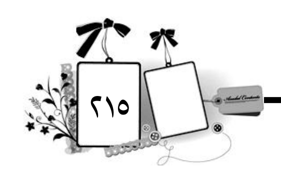
جاء في تاريخ الطبرِي: «أنَّ عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لما أراد الخُروج إلىٰ البصرة قَام إليه ابن لرفَاعة بن رافع فقال: يَا أمير المؤمنين، أي شَيء تُريد؟ وإلىٰ أين تذهب بِنا؟ فقال علي: أمَّا الذي نريد وننوي فَالإصلاح إن قبلوا منا وأجابونا إليه!»(٢).

وروىٰ أيضًا أن آخَر قام إليه في هذا المسير فقال له: مَا أنت صانع يا أمير المؤمنين إذا لقيت هَؤُلاءِ القوم؟ قال: قد بانَ لنا ولَهم أن الصَّلاح والكف أحوط،

= رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ومن كان علىٰ رأيه، وتخطئة اجتهاد الفريق الآخر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.. يقول الامام النووي رَحِمَهُٱللَّهُ: وأعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ ليست بداخلة في هذا الوعيد يعني قوله ﷺ: «إذا التقىٰ المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار».. ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم والإمساك عما شجر بينهم وتأويل قتالهم، وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولا محض الدنيا بل اعتقد كل فريق أنه المحق، ومخالفه باغ فوجب عليه قتاله ليرجع إلىٰ الله، وكان بعضهم مصيبًا وبعضهم مخطئًا معذورًا في الخطأ لأنه لاجتهاد، والمجتهد إذا اخطأ لا إثم عليه، وكان علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هو المحق المصيب في تلك الحروب هذا مذهب أهل السنة.. «مسلم»، شرح النووي: (١٨/ ١١). ٥)، و«العواصم»: (ص ١٥١).

(١) «العواصم»: (ص ١٥١).

(٢) «الطبري»: ج (٤/ ٤٧١)، عن محمد وطلحة عن سيف.



فإن تَابعوا فذلك، وإن أبوا إلا القتال فصدع لا يلتئم.[١].

ولما قدم على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عامر بن مَطر الشَّيباني[٢] قادمًا من الكُوفة سأله علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عمَّا وراءه؟ فأخبره، ثم سَأله عن أبي موسى الأشعري؟ فقَال: إن أردْت الصُّلح فأبو موسى صَاحَبُ ذلك، وإن أردْتَ القتال فهو ليس بصاحِب ذاك، فقَال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند ذلك: والله ما أريد إلا الإصلاح حتى يردَّ علينا[٣].

والذين كانوا يكرهون الصُّلح هُم عبد الله بن سبأ وجماعته، وهَؤُلاءِ كانوا في جيش علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدليل اعتِراضهم على علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين عزَم على الرحيل قائلًا: «ألا وإني رَاحل غدًا فارتحلوا، ألا ولا يرتحلن غدًا أحد أعانَ على عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بشيءٍ في شيء من أمور الناس وليغن السفهاء عن أنفسهم»[٤].. كما

---

(١) الباقلاني، «التمهيد»: ص (٢٣٧).

(٢) هو: عَامِرُ بْنُ مَطَرِ الشَّيْبَانِيُّ البكري، يروي عن ابن مسعود. روى عنه الشعبي، وجبَلَةُ بن سُحَيم. قال ابن أبي حاتم: ثنا محمد بن سعيد المقرئ الرازي، قال: سمعت عبد الرحمن بن الحكم بن بشير بن سلمان يقول: أبو مَطَر الذي يروي عنه جَبَلة بن سُحَيم هو عامر بن مَطَر شيباني، رجل له شأن في المسلمين. قال العلائي: ذكره الصغاني فيمن اختلف في صحبته. وقال ابن سعد: رَوَىٰ عَنْ عُمَرَ وَعَبْدِ اللهِ وَحُذَيْفَةَ وَكَانَ قَلِيلَ الْحَدِيثِ. ذكره الطّبرانيّ، وأورد من طريق سهل بن زنجلة، عن وكيع، عن مشعر، عن جبلة بن سحيم، عن عامر بن مطر، قال: تسحّرنا مع النّبيّ ﷺ ثم قمنا إلى الصّلاة، فقال أبو نعيم: الصّواب عن عامر بن مطر، عن ابن مسعود. وقال أبو موسى: رواه غيره عن وكيع، فقال: عن عامر بن مطر: تسحَّرنا مع ابن مسعود، وذكره ابن حبّان في التّابعين بهذا. وقال: روى عن ابن مسعود، روى عنه جبلة بن سحيم. ينظر «معرفة الصحابة»، لأبي نعيم: (٤/ ٢٠٦٩)، و«التاريخ الكبير»، للبخاري: (٦/ ٤٥٤)، و«الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر: (٣/ ٤٩٠)، و«الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة»: لابن قطلوبغا (٥/ ٤٢٩)، و«الطبقات الكبرى»، لابن سعد: (٦/ ١٢١)، و«جامع التحصيل»: (ص: ٢٠٥).

(٣) «الطبري»: ج (٤/ ٤٨٠)، عن محمد وطلحة.

(٤) «تاريخ الطبري»: ج (٤/ ٤٩٣).

سيأتي بيانه ويؤكد الطبري هذا الوجود في خبر آخر مشيرًا إلى أن عبد الله بن سبأ كان أحد الرؤساء في بني عبد القيس الذين خرجوا مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[١].

❍ وهنا قد يثُار هذا السؤال: وكيفَ يرضى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يكون هَؤُلاءِ في جيشه؟.

وللإجابة على ذَلك نَنقل مَا قاله الإمام الطحاوي (٣٢١هـ) في ذلك؛ حيث يقول: «وكانَ في عَسكر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أولئكَ الطُّغاة الخوارج الذين قتلوا عُثمان من لم يعرف بعينه، ومَن تنتصر له قبيلتُه، ومن لم تقم عليه حجة بما فعله، ومَن في قَلبه نِفاق لم يتمكَّن مِن إظهارِه كله...»[٢].

على أية حال فقد اجْتمع مِن رُؤوس الذين كَرهوا الصُّلح جماعَةٌ -كان ابن سبأ هو المشير فيهم، واستغربوا رأي عَلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قَبول الصُّلح ورفْضِه مُشاركة الذين أسْهموا في قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ للرَّحيل مَعهم، وقالوا فيما بَينهُم: غَدًا يجتمع الناس عليكم، وإنما يريد القوم كلهم أنتم، فكيف بكم وعددكم قليل في كثرتهم؟.

وهنا قال أحدهم: إنَّ القَوم إن اصْطلحُوا فإنَّما يصطلحُون عَلى دِمائنا، وإذا كان الأمر كذلكَ فَليس لنا إلا أنْ نلحَق عليًّا بِعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ويَرضى القوم منَّا بالسُّكوت! لكن ابن سبأ اعترض على هَذا الرأي وقال: بِئس ما رأيت، لَو قتلناه قتلنا وهم إنما يريدوننا.. فقام آخر وقال: بَل دعوهم وارجعوا بنَا حتى نَتعلَّق بِبعض البِلاد فنمتَنع بها، فرَدَّ عَليه ابْن سَبأ إذًا يَتخطفُكم النَّاس.

وأخيرًا كان الرأي لابن سَبأ حَيث قال: يَا قوم إن عزَّكم في خُلطة النَّاس فَصانعوهم وإذا التَقى النَّاس غدًا فأنْشبوا القِتال، ولا تُفرغُوهم للنظر، فإذا من

(١) «الطبري»: ج (٤/ ٥٠٥).

(٢) انظر «شرح العقيدة الطحاوية»، نشر المكتب الإِسْلامي: (ص ٥٤٦).

أَنْتُم معه لا يجد بدًّا من أن يمتنع ويشغل الله عليًّا وطلحَة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون، فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون[١]!.

وقبل أن تكون الوقعة كان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد بَعث إلى طلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقول: «إن كُنتم علَى ما فارقتم عَليه القَعقاع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فكُفوا حتى ننزِلَ فَننظر في هذا الأمر، فأرسلا إليهِ في جَواب رسالته: إنا علَى ما فارقنا القعقاع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الصُّلح بَين الناس، فاطمأنت النفوس وسكنتْ، واجتمع كل فريق بأصحابه مِن الجيشين.

فلما أمسوا بَعث عَلي عَبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلَيهم وبَعثوا إليهِ مُحمَّد بن طلحة السجاد، وبات الناس بخير ليلة»[٢].

وهنا جاء دور تنفيذ الخُطَّة التي رسمها (ابن سبأ) واتفق عليها أعوانُه، ففي الوقت الذي بات فيه الناس بخير ليلة، استشرافًا للعافية ونزوعًا عما اشتهاه المبطلون، بات أولئك بشر ليلة.

يقول الطبري في سياقه للخبر: «وباتَ الذين أثاروا أمر عثمان بِشر ليلة باتوها قط، قد اشْرَفوا على الهلكة وجعلوا يَتشارون ليلتهم كُلها، حتى اجتَمعوا على إنْشاب الحربِ في السِّرِّ، واستسَرُّوا بذلك خشْيَة أن يفطن لهُم بِما حاولوا من الشر، فَغَدوا مع الغَلس وما يَشعرُ بِهم جيرَانُهم، انْسلوا إلى ذلك الأمر انْسلالًا وعليهم ظُلمة، فخرج مُضريهم إلى مضريهم، وربعيِّهم إلى ربعيهم، ويمانِيهم إلى يمانيهم، فوضَعوا فيهم السِّلاح، فثار أهل البصرة وثار كل قومٍ في وجوه أصحابِهم الذين بهتوهم[٣]، وخرج الزُّبير وطلحة في وجوه الناس من مضر فبعثا إلى الميمنة..

---

(١) «الطبري»: ج (٤/ ٤٩٣، ٤٩٤)، عن محمد بن نويره وطلحة الأعلم، وانظر كذلك «البداية والنهاية»: (٧/ ٢٦٠).

(٢) «البداية والنهاية»: ج (٧/ ٢٦١)، وجاء بعض هذا الخبر عند الطبري: ج (٥/ ٥٠٥، ٥٠٦).

(٣) بهتوهم: أي كذبوهم.

وثبتا في القلب، وقَال: ما هذا؟ قَالوا طرقنا أهل الكُوفة ليلًا، فقالا: قَد عِلمنا أن عليًّا رَضِيَٱللَّهُعَنهُ غير منْتهٍ حَتى يسفك الدماء ويَستحل الحُرمَة، وأنَّه لن يُطاوعنا، ثم رجعا بأهل البصرة وقصف أهل البصرة أولئك[١] حتى ردوهم إلى عسكرهم، فسمع علي وأهل الكوفة الصوت وقد وضعوا رجلًا قريبًا من علي رَضِيَٱللَّهُعَنهُ ليخبروه بما يريدون، فلمَّا قال: ما هذا؟ قال ذاك الرجل: ما فجئنا إلا وَقَوم مِنهم بَيتونا فرَددْناهم من حَيث جاؤوا، فوجدنا القَوم عَلى رِجْل -أي اشتدوا في السير إلينا- فركبونا وثار الناس. وقال علي لصَاحب ميمنته: ائت الميمنة، وقال لصاحب ميسرته: ائت الميسرة، ولقد علمت أن طلحة والزبير رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا غير منتهين حتى يسفكا الدماء ويستحلا الحُرمة وأنهما لن يطاوعانا»[٢].

وعلى الرغم من تلك البداية للمَعرَكة، إلا أنَّ الطَّرفين ما لبثَا يَملكان الروية حَتَّى تتضحَ الحَقيقة؛ فعلي رَضِيَٱللَّهُعَنهُ ومن معه يتَّفقُون على ألا يبدَأوا بالقتال حتَّى يبدأوا طلبًا للحُجة واستحقاقًا على الآخرين بها، وهم مع ذلك لا يقتُلون مدبرًا ولا يجهزون على جريح، ولكن السبئية لا تفتر إنشابًا[٣].

وفي الجانب الآخر ينادي طلحة رَضِيَٱللَّهُعَنهُ وهو على دَابَّته وقد غشيه الناس فيقول: «يا أيُّها الناس أتُنصتون؟ فجعَلُوا يركبونه ولا يُنصتونه، فَما زاد أن قال: أف أف فَرَاش نار وذبان طمع[٤]!».

وهل يكون فراش النار وذبان الطمع غير أولئك السبئية؟!.

بل إن محاولات الصُّلح لَتجري حتَّى آخِر لحظَة مِن لحظات المعركة، وتتولَّى

---

(١) في «ابن الأثير» : أولئك الكوفيين.

(٢) «تاريخ الطبري»: ج (٤/ ٥٠٦، ٥٠٧)، عن سيف عن محمد وطلحة.

(٣) المصدر نفسه: ج (٤/ ٥٠٧).

(٤) «خليفة بن خياط»: ص (١٨٢).

عائِشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا دفعَ الأمْر بقَدر ما تستطيع، وهي في أثناء ذَلك تكْشِف لنا بشكلٍ أوْضح دور السبئية في الوقِيعة؛ فحينما اشتد الحرب، وحمي القتال، وقتل طلحة ورجع الزبير رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا، ناولت كعب بن سور(١) مصحفًا وقالَت: ادعهم إليه، فتقدم به واستقبله مقدمة جيش الكوفيين، وفيه ابن سبأ وأعوانه يرشِقونه بالنِّبال حتىٰ قتلوه، ووصلت النبال إلىٰ هودج عائشة نفسها رَضِيَٱللَّهُعَنهَا، فرفعت يديها بالدُّعاء علىٰ أولئك النَّفر من قتلة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنهُ! فصاح الناس مَعها حتىٰ قال علي: اللَّهم العن قتلة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنهُ(٢).

ولم يكن موقف علي رَضِيَٱللَّهُعَنهُ الدعاء فحسب، بَل جاء عنه أنه كان يزع(٣) السبئية من خلفهم وهم يأبون إلا إقدامًا حتىٰ قتلوا كعبًا(٤).

وعلىٰ أيَّة حَال، كان أمْر الله قَدرًا مقدورًا، وانتَهت المَلحمَة لتُسفر عن مَآتم الحُزن والبُكاء؛ فَعائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا كانت إذا قَرأت: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [سورة الأحزاب: ٣٣] تبْكي حتَّىٰ يَبتل خِمارها(٥)، وكانت حينما تَذكر الجمل تقول: «وددتُ أنِّي كُنت جَلست كما جَلس أصحابي، وكان أحَبَّ إليَّ أن أكون ولدت من

(١) كعب بن سور الأزدي من كبار التابعين، قال ابن حاتم عن أبي زرعه ليست له صحبه، وقال أبو عمر كان مسلمًا في عهد الرسول ﷺ وولي قضاء البصرة منذ زمن عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنهُ إلىٰ أن خرج بأمر عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا يحمل المصحف بين الصفين فقتل. «الإصابة»، القسم الثالث: ج (٣٠/ ٣١٤)، و«الأعلام»: ج (٨٢٥٦).

(٢) ابن كثير: «البداية والنهاية»: ج (٧/ ٢٦٤).

(٣) في «مختار الصحاح»: وزعه، يزعه، وزعا مثل وضعه، يضعه، وضعا أي كفّه والوزع الذي يتقدم الصف فيصلحه ويقدم ويؤخر: (ص ٧١٩).

(٤) «الطبري»: ج (٤/ ٥١٣)، عن محمد وطلحة عن سيف.

(٥) الذهبي، «سير أعلام النبلاء»: ج (٢/ ١٢٤).



رسول ﷺ بضعة عشر كلهم مثل عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام،[١] ومثل عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[٢].

ولم يكن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأحسن حالًا من عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يقول الشعبي: «لما قتل طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورآه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مقتولًا جعل يمسح التراب عن وجْهه ويَقول: عزيزٌ عليَّ أبا محمد أن أراك مُجدَّلًا تَحت نجوم السماء، ثُمَّ قال: إلى الله أشكو عَجزي وبجري، وبكى عليه هو وأصحابه، وقال: ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة»[٣]. ولذلك كان الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجماعة إذا ذكروا يوم الجمل قالوا: «هلكت الأتباع ونجت القادة»[٤].

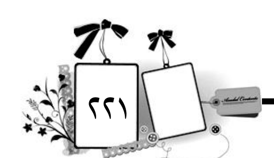
من خلال هذا العرض يتبين: أَثَر ابن سبأ وأعوانه (السبئية) في المعركة، ويتَّضح بِما لا يدع مجالًا للشَّكِّ حرص الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على الإصلاح وجمع الكلمة، وهذا هو الحقُّ الذي تَطمئن إليهِ النُّفوس، وتسير في اتِّجاهه النُّصوص، ومنها ما كان مِن

(١) هو القرشي المخزومي، قال الزبير والواقدي: قبض الرسول -ﷺ- وهو ابن عشر سنين، وكان من فضلاء المسلمين وخيارهم علمًا ودينًا وعلو قدر، شهد الجمل مع عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكان ممن أمره عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بكتابة المصاحف مع زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال عنه ابن حجر أبو محمد له رؤية وكان من كبار ثقات التابعين، مات سنة ٤٣هـ. ينظر «أسد الغابة»، لابن الأثير: ج (٣/ ٤٣١)، و«التقريب» لابن حجر: ج (١/ ٤٧٦).

(٢) أخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد»: (٧/ ٢٣٨)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»: (٣٤/ ٢٧٤)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني وفيه أبو معشر نجيح وهو ضعيف يكتب حديثه وبقية رجاله ثقات. «مجمع الزوائد»: ج (٧/ ٢٣٨).

(٣) ابن الأثير، «أسد الغابة»: ج (٣/ ٨٨، ٨٩)، وعجزي وبحري: همومي وأحزاني.

(٤) الجاحظ: العثمانية، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مطابع دار الكتاب العربي بمصر ١٣٧٤هـ - ١٩٤٩م: ص (٢٤٦).



رواية سيف وشيُوخه[١]، فهم أئمة في هذا الشأن كما قال الحافظ ابن كثير[٢].

علمًا بأن أثر السَّبئيَّة في الجمل ممَّا يكاد يُجمع عليه العلماء، سَواء أسموهم بالمُفسدين أو بأوباش الطَّائفتين، أو أسماهم البعض بقتلة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو نبزوهم بالسفهاء أو الغوغاء أو أطلقوا عليهم صراحة (السبئية).

❍ ودونك بعض نصوص تؤكد ما سبق تقريره:

جاء في أخبار البصرة لعُمر بن شبه (٢٦٢هـ): «أن الذين نُسب إلَيهم -قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- خشوا أن يَصطَلح الفَريقان على قَتلهم، فأنشبوا الحربَ بَينهم حتَّى كان ما كان»[٣].

ويقول الإمام الطحاوي[٤]: «.. فجرت فِتنة الجَمل على غير اختِيَار من علي ولا مِن طلحة والزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وإنَّما أثارها المُفسدون بغير اختيار السابقين»[٥].

---

(١) هو سيف بن عمر التميمي، وقد تكلم فيه..

(٢) «البداية والنهاية»: ج (٧/ ٢٦٩)، فبعد أن لخص روايات سيف في الجمل قال ما نصه: هذا ملخص ما ذكره أبو جعفر ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ عن أئمة هذا الشأن وليس فيما ذكره أهل الأهواء من الشيعة وغيرهم من الأحاديث المختلقة على الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والأخبار الموضوعة التي يتلقونها بها فيها، وإذا دعوا إلى الحق الواضح أعرضوا عنه، وقالوا: لنا أخبارنا ولكم أخباركم فنحن حينئذ نقول لهم: سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين.

(٣) عن «فتح الباري»: ج (١٣/ ٥٦).

(٤) هو أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي، الحجري، محدث، ومجتهد مؤرخ، وفقيه، انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر ولد ونشأ في (طحا) من صعيد مصر، تفقه على مذهب الشافعي ثم تحول حنفيًا ورحل إلى الشام سنة ٢٦٨هـ فاتصل بأحمد بن طولون فكان من خاصته له عدة تصانيف منها: شرح معاني الآثار (في الحديث) بيان السنة وكتاب الشفعة وأحكام القرآن والمختصر في الفقه والتاريخ الكبير توفي بمصر سنة ٣٢١هـ. ينظر «معجم المؤلفين»: (١٠٧٥٢)، و«الأعلام»: (١/ ١٩٧).

(٥) «شرح العقيدة الطحاوية»: (ص ٥٤٦).

ويقول الباقلاني (٢٠٣هـ): «.. وتمَّ الصُّلح والتَّفرق على الرِّضاء، فخَاف - قتلة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- مِن التَّمكُّن منهم والإحَاطة بهم، فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا، ثم اتَّفقتْ آراؤهم على أن يفْتَرقوا فرقتَين ويَبدأوا بالحَرب سحرة في المُعسكرين، ويختلطوا ويصيح الفريق الذي في عسكر علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: غَدر طلحة والزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ويصيح الفريق الذي في عسكر طلحة والزبير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: غدر علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فتمَّ لَهم ذلك على ما دبروه ونشبت الحرب..»[١]. ونقل الهمذاني (٤١٥هـ) أقوال العلماء باتِّفاق رأي علي وطلحة والزبير وأم المؤمنين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ على الصُّلح، ووضع الحرب واستقبال النظر في الأمر، وأن من كان في العَسكر من أعداء عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كرِهُوا ذلك، وخافوا أن تتفرغ الجماعة لهم، فدبَّروا في إلقاء الحرب ما هُو معروف، وتم لهم ذلك[٢].

❍ أسباب رواج فكر ابن سبأ:

إن ممَّا ساعد ابن سبأ في تَرويج فكره الضَّال المضل أمران:

١. اختيارُه للبيئات المُناسبة لدعوَتِه؛ حيثُ بثَّها في بلدان الشَّام ومصْر والعِراق بعد أ، ن أكثَر التَّنقل بين هذِه الأمصار، فنشأت دعوتُه في هَذه المُجتمعات التي لَم تتمكَّن بَعد من فهم الإِسْلام الفَهم الصَّحيح، وترسخ أقدامها في العِلم الشرعي والفِقه بِالدين؛ وذلك لقرب عهدِها بالإِسْلام، فإن تلك الأمصار إنَّما فُتحت في عهد عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ هذا بالإضافة إلى بعدِها عن مجتمع الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في الحجاز وعدم الدين عليهم.

---

(١) «التمهيد»: (ص ٢٣٣).

(٢) «تثبيت دلائل النبوة»: (ص ٢٩٩).



٢. زاد في مكْرِه وخديعته ابن سبأ حَيث أحَاط دعْوَته بستار من التكتم والسرية، فلم تكن دعوة موجَّهة لكل أحد، وإنَّما لمن علم أنهم أهلٌ لقبولها من جهلة الناس وأصحاب الأغراض الخبيثة ممَّن لم يدخلوا في الإِسْلام إلا كيدًا لأهله بعد قوَّضت جيوش الإِسْلام عروش ممالكهم[1].

---

(١) «الانتصار للصحب ولآل من افتراءات السماوي الضال»: (١/ ٢٣)، المؤلف/ إبراهيم بن عامر الرحيلي.

المطلب الخامس

أشهر أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي

إني لأعجَبُ من جلد هَؤُلاءِ المَارقين عن الإِسْلام زَعامات النِّفاق؛ كيف أنهم لا يَقِفون عن نشر مذهَبِهم ومنهَجِهم الضَّالِّ، بل يحرصُون على صناعَةِ وصياغَةِ عُقول تواصل المسيرةَ ذَاتها إفْسادًا وتغريرًا وهدمًا للدِّين وتقويضًا، فهم خلف لسلف وأحفاد لأجداد.

ومن هَؤُلاءِ المتشَرِّبين لفكر ابن سبأ المُتشبِّعينَ بعقيدته نفرٌ حفظ التاريخ لنا أسماءهم لما كان في صحائف أيامهم من المخازي والآثام بل والموبقات، فعلى سبيل المثال:

١. كنانة بن بشر التجيبي (٣٦هـ):

هو أحد قَنائص ابن سَبأ في مصر[١]، وكان أميرًا على أَحَد الفِرق الأربع، خرجت من مصر في شوال سنة (٣٥هـ) للزَّحف على المدينة[٢]، وكان في طليعة من حَاصَروا الخليفة الرَّاشد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في دَاره واقتحموا فيما بعد عليه، وكان بيده شعلة من نار، ثم دخلت الشُّعل على أثره تَنضح بالنقط حتَّى اشتعل الخَشب والخليفة يقول: ما بعد الحريق شيء[٣].

وأخيرًا استشهد الخليفة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بسهام الحاقدينَ والظالمين، وكان من أبرزها سهام كنانة، قال عبد الرحمن بن الحارث (ت: ٤٣هـ): الذي قتل الخليفة

---

(١) «حاشية العواصم من القواصم»، لابن العربي: (١١٢)، لمحب الدين الخطيب.

(٢) «تاريخ الطبري»: (٤/ ٣٤٨).

(٣) «تاريخ الطبري»: (٤/ ٣٨٠).

عثمان هو كنانة بن بشر بن عتاب التجيبي، وكانت امرأة منظور بن يَسار الفزاري تقول: خَرجنَا إلى الحَجِّ، وما علمنا لعثمان بِقتل حتى إذا كُنَّا بالعرج سمعنا رجلًا يتغنَّى تحت الليل:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ ثَلَاثَةٍ قَتِيلُ التَّجِيبِيِّ الذِي جَاءِ مِنْ مِصْرَ[(١)]

كانت نهاية كنانة سنة (٣٦هـ) حينما طَلبه معاوِيَة بدم عثْمان رضي الله عن الصحابة جميعًا وأرضاهم، وقَبض عليه بِمصر وسجَنَهُ مَع من سجن بِفلسطين، فهربوا من السجن فأدركهم والي فلسطين فقتلهم[(٢)].

٢. عمير بن ضابئ (٨٥هـ):

هو عُمير بن ضابئ البَرجَمي، الحَنظلي، من تميم، شَاعر، ومن سُكَّان الكوفة[(٣)] جاء في تاريخ الطبري، وابن الأثير الإشارة إلى سَبئيَّته، فبعد الحَديث عن أبيه (ضابئ بن الحارث) وسَجن عثمان له حتى مَات في السجن، أوردا النص التالي:.. «فلذلك صار ابنه عمير سبئيًّا»[(٤)].

ويكشف لنا المالقي[(٥)] الحقيقة أكثر فيقول: «فكَذلك صار عُمير بن ضابئ

(١) «تاريخ الطبري»: (٤/ ٣٩٤).

(٢) «حاشية العواصم من القواصم»: (ص ١١٢).

(٣) الزركلي، «الأعلام»: (٥/ ٢٦٥).

(٤) «تاريخ الطبري»: (٤/ ٤٠٣)، «الكامل» لابن الأثير: (٣/ ١٨٣).

(٥) هو: محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد ابن أبي بكر بن سعد الأشعري المالقي، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن بكر، من ذرية أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ذكره ابن حزم في جملة من دخل الأندلس من العرب، كان من صدور العلماء، وأعلام الفضلاء، سذاجة ونزاهة ومعرفة وتفننا. فسيح الدرس، أصيل النظر، واضح المذهب، مؤثرا للإنصاف، عارفا بالأحكام والقراءات، مبرّزا في الحديث تاريخا وإسنادا وتعديلا وتجريحا، حافظا للأنساب والأسماء =

سبَئيًّا، والسَّبئيَّة قَوم يَسبُّون عُثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ويَنسِبون إلى عبد الله بن سبأ(١).

وعن أخباره وبعض آثاره يُحدِّثنا الطبري: «أنَّ عُميرًا هذا كان أحَد النَّفر الذين أمَر الخليفةُ عُثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بتَسييرِهم من الكوفة وإلحاقِهم بمعاوية، نَتيجة ما أحدَثوه في مجلِس والي الكُوفة سعيد بن العاص من فتنة -سَبق بَيانُها-(٢) أحوجت أهل الكوفة إلى أن يكتُبوا إلى عثمان في أمرهم، ولم يجد عثمان بدًّا مِن تسييرهم والكتابة إلى معاوية بشأنهم، ومما قاله فيهم: إنَّ أهل الكوفة قَد أخرجُوا إليكَ نفرًا خلقوا للفتنَة، فَرعَهم وقُم عَليهِم، فإن آنستَ مِنهم رشدًا فاقبل منهم، وأن أعيَوك فاردُدهُم عليهم..»(٣).

وعن أثر عمير في الفتنة ومقتل عثمان يُروى أنَّه ركب هو وكميل بن زِياد(٤)

= والكنى، قائما على العربية، مشاركا في الأصول والفروع، واللغة والعروض والفرائض والحساب. تقدّم للشياخة ببلده مالقة، ناظرا في أمور العقد والحل، ومصالح الكافة. ثم ولّي القضاء بها، فأعزّ الخطة، وترك الهوادة وإنفاد الحق ملازما للقراءة والإقراء، محافظا للأوقات، حريصا على الإفادة. ثم ولّي القضاء والخطابة بغرناطة في العشر الأول لمحرم سبعة وثلاثين وسبعمائة، فقام بالوظائف، وصدع بالحق. مولده: في أواخر ذي حجة من عام أربعة وسبعين وستمائة. وفاته: فقد في مصاب المسلمين يوم المناجزة بطريف شهيدا محرّضا،، وذلك ضحى يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى عام أحد وأربعين وسبعمائة. ينظر «الإحاطة في أخبار غرناطة»، المؤلف: محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي، الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (المتوفى: ٧٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ: (٢/ ١٠٦).

(١) «التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان»: (ص ٦٧).

(٢) انظر الفصل الثالث.

(٣) «الطبري»: (٤/ ٣١٨).

(٤) هو: كميل بن زِيَاد بن نهيك بن الهيثم بن سَعْد ابْن مالك بْن الحارث بْن صهبان بن سَعْد بن =

إلى المدينة لقتل عثمان، لكنه نكل عنه وجسر صاحبه(١).

وفي خَبرٍ آخَر أنَّ عميرًا أقبل على عثمان -بعد ما قتل- وهُو موضوع علَى بَاب فَنزا عليه وكَسر ضلعًا من أضْلاعه وهُو يقول: سجنت ضائبًا حتى مات في السجن(٢).

وتُؤكِّد نِهاية عُمير اشتراكه في قَتل الخليفة عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فحِينَما قدم الحجاج الكوفة واليًا علَيها خطب النَّاس فهدَّدَ وتوعَّد وأمرهم -فيما أمرهم به- أن يلحقوا بالمُهلب الذي كان قد بُعث لقتال الخوارج، فلمَّا كَان اليوم الثالث قام إليه عُمير فقال: أصلحَ اللهُ الأمير، أنا في هذا البَعث وأنا شَيخ كَبير عليل، وهذا بنيٌّ وهُو أشبُّ منِّي قَال: ومن أنت؟ قال: عُمير بن ضابِيء التَّميمي، قال: أسمعت كلامنا بالأمْس؟ قال: نَعم. قال: ألسْتَ الذي غزا أمير المؤمنين عُثمان؟ قال: بلى. قال: وما حَملَك على ذلك؟ قال: كان حَبس أبي وكانَ شيخًا كبيرًا، قال: أو ليس يقول:

= مَالِك بن النخع النخعي الصهباني الكوفي. وقيل: كميل بن عبد الله، قيل: كميل بن عبد الرحمن، والنخع من مذحج. ذكره محمد بن سعد في الطبقة الأولى من أهل الكوفة، قال: وشهد مع علي صفين، وكان شريفا، مطاعا في قومه، فلما قدم الحجاج بن يوسف الكوفة دعا به فقتله، وكان ثقة، قليل الحديث. وقال إسحاق بن منصور، عن يحيى بن معين: ثقة. وقال العجلي: كوفي تابعي ثقة. وقال محمد بن عبد الله بن عمار: كميل بن زياد رافضي، وهو ثقة من أصحاب علي. وقال في موضع آخر: كميل بن زياد من رؤساء الشيعة، وكان بلاء من البلاء. قال خليفة بن خياط: قتله الحجاج سنة اثنتين وثمانين. وقال أبو بكر بن أبي خيثمة، عن يحيى بن معين: مات سنة اثنتين وثمانين، أو أربع وثمانين، وهو ابن تسعين سنة. وحكى أبو سليمان بن زبر، عن المدائني أنه قال: مات سنة اثنتين، وهو ابن سبعين سنة. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي: (٢٤/ ٢١٨)، و«تهذيب التهذيب»، لابن حجر: (٨/ ٤٤٨)، و«الطبقات الكبرى»، لابن سعد: (٦/ ١٧٩).

(١) «الطبري»: (٤/ ٤٠٣).

(٢) «الطبري»: (٤/ ٤١٤).

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكِدْتُ وَلَيْتَنِي ... تُرِكْتُ عَلَى عُثْمَانَ تَبْكِي حَلَائِلُهُ

إني لأحسب في قتلِك صلاح المصْرَين، قُم إليهِ يا حرسي فاضربْ عنُقه، فقام إليه رجُل فضرب عنقه وأنهب ماله[1]، ويقال أن عنبَة بن سعيد قال للحجَّاج: أتعرف هذا؟ قال: لا، قال: هَذا أحد قتلة عُثمان، فقال الحجاج: يَا عدو الله، أفلا إلىٰ أمير المؤمنين بعثت بديلًا! ثم أمر بضرب عنقه[2].

٣. رشيد الهجري:

جَاء في «مسائل الإمامة»، عن رَشيد الهجري هذا الخبر: «ورُوي عَن رشيد الهجري -وكان ممَّن يذهب مذهَب السَّبئية- أنه دَخل عَلىٰ علي بعد مَوته وهو مسجَّي، فَسلَّم وقال لأصحابه: إنَّه ليفهم الآن الكَلام، ويرُدُّ السَّلام، ويتنَفَّسُ نَفس الحيِّ، ويعرق تحت الدثار الوثير، وإنَّه الإمَام الذي يملأ الأرضَ عَدلًا وقسطًا كما ملئت جورًا وظلمًا..»[3].

وعن حبيب بن صبهان قال: «سَمعت عَليًّا عَلىٰ المنبر يقول: دَابَّة الأرض تأكل بفِيها وتحدِّث بإسْتِها، فقال رشيد الهجري، أشْهد أنَّك تِلك الدَّابة، فقال له علي قولًا شديدًا»[4].

ويقول ابن حبان: «كانَ رَشيد يؤمن بالرجعة[5]، وسُئل الشعبي: أتعرف رشيد الهجري؟ قال: نعم، وذكر من خَبره أنه حدَّث عن نفسه فقال: استأذنت

---

(١) «الطبري»: (٦/ ٢٠٧).

(٢) «الطبري»: (٦/ ٢٠٧).

(٣) الناشيء الأكبر، «مسائل الامامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات»: (ص ٢٢، ٢٣).

(٤) الذهبي في «ميزان الاعتدال»: (٢/ ٥٢).

(٥) ابن حبان في «المجروحين»: (١/ ٢٩٨).



على سَيد المسلمين (يعني عليًّا) فَقيل له هو نَائم، والمجيب يظن أن السؤال عَن الحسن، فقال رشيد: ليست أعني الحسن، إنما أعنِي أميرَ المؤمنين وإمامَ المُتَّقين وقائدَ الغُر المُحجلين فقيل له: أو ليس قد مات؟! فقَال: أما والله إنَّه الآن ليتنفَّس بِنفس حَي، ويَعرق من الدثار الثقيل، فقيل له: أمَا إذا عرفت سرَّ آل محمد فادخل وسلِّم عَليه واخرج، فدخلت على أمير المؤمنين فأنبَأني بأشياء تكون»![١].

هذه بعض أخبار رشيد، وإذا كان قَد دخل في الإِسناد -ضِمن مَن دخل- نَتيجَة لِما جاء به مِن أخبار وحدَّث من أحاديث، فَقد أبان عنّه وكَشف حقيقَتَه عُلماء الجَرحِ والتَّعديل؛ فابن معين يروىٰ عنْهُ في رشيد قوله: «ليس يساوي حديثه شيئًا»[٢].

ونقل العقيلي عن الشعبي قال: «رشيد الهجري، وحبة العرني، والأصبغ بن نباتة، ليس يساوي هَؤُلاءِ كلهم شيئًا»[٣]، ويقول الجوزجاني في رشيد: «كذابٌ غَير ثقة»[٤].

كما نقل عن ابن معين أيضًا: «رشيد الهجري عن أبيه لَيس بِرشيد وَلا أبوه»، وكان يقول في رشيد: «ليس بشيء»[٥].

٤. المغيرة بن سعيد (١١٩هـ):

هو أبو عبد الله المغيرة بن سعيد البجلي، الكوفي، كان يَعتَقد بِألوهِيَّة عَلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقد سألَه الأعْمَش: أكان عَلي يُحيي المَوتىٰ؟ فقال: أي وَالذي

(١) الذهبي، «تذكرة الحفاظ»: ج (١/ ٨٤).

(٢) ابن حجر، «تعجيل المنفعة»: (ص ١٣٠).

(٣) العقيلي، «الضعفاء»: (١/ ١٢٩).

(٤) الذهبي في «ميزان الاعتدال»: (٢/ ٥١).

(٥) ابن حبان في «المجروحين»: (١/ ٢٩٨).

نفسِي بِيده لو شاء أحيا عادًا وثمود[(١)].

وفي المجروحين: عن الأعمش قال: «بلَغَني عن المغيرة بن سعيد وما يقول، فَأتيته فقُلت له: أكانَ عَلي بن أبي طالب يقْدِر أن يُحيي إنسَانًا؟ فقال: والذِي خلق الحبَّة وبرأ النسَمة لَقد كان قادرًا على أن يحي ما بينك وبيني إلى آدم»[(٢)].

وقد ذكر الشهرستاني[(٣)] وابن حزم[(٤)] غلو المغيرة في علي وادعاءه الألهية فيه، وفي مقابل ذلك كان (المغيرة) رافضيًّا يَشتُم صحابة رسول الله ﷺ، فَكان إذا مرَّ عَلى أبي بكر وعمر يلعنهما[(٥)].

ويزعم أنه نزل في عُمر قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ﴾ [سورة الحشر: ١٦][(٦)]، ونَقل الزركلي أنَّ المغيرة كان يقول بتأليهِ علي، وتكفير أبي بكر وعمر وسائر الصحابة إلا من ثَبت مع علي[(٧)].

وإلى جانب هذه العقائد فقد ادعى (المغيرة) النُّبوَّة، وقتل على ادعَائها وكَان أشعل النيران بالكُوفة على التَّمويه والشَّعبذة حتى أجابه خلق[(٨)].

وذكر الطبري في حَوادث سَنة (١١٩هـ) مَقتل المُغيرة عَلى يد خالِد بْن عبد الله القسري[(٩)]، وفي «المحبر»: «أنَّ خَالدًا صلب المغيرَة وحرَّق (المغيرية) بالنار»[(١٠)].

---

(١) الذهبي في «ميزان الاعتدال»: (٤/ ١٦١).

(٢) ابن حبان في «المجروحين»: (٣/ ٨).

(٣) «الملل والنحل» -حاشية الفصل-: (٢/ ١٣).

(٤) «الفصل»: (٤/ ١٨٤).

(٥) ابن حجر، «لسان الميزان»: (٦/ ٧٦).

(٦) «الملل والنحل» -حاشية الفصل-: (٢/ ١٤).

(٧) «الأعلام»: (٨/ ١٩٩).

(٨) «ميزان الاعتدال»: (٤/ ١٦١).

(٩) «تاريخ الطبري»: (٨/ ١٢٨).

(١٠) «المحبر»: (ص ٤٨٣).

فوق هذا وذاك فقد قال ابن عَبد ربه بِصريح العبارة: «وكانَ المُغيرة بن سَعد(١) من السَّبئيَّة الذين أحرَقهم علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالنَّار... وخرج لخَالد بن عبد الله فَقتله خالد وصلبه بواسط..»(٢).

وقبله قال ابن قتيبة: «وأمَّا المُغيرة فكان مَولى لبجيلة وكان سَبئيًّا..»(٣). ومن الآثار السيئة التي خلفها (المغيرة) أنه كان يضع الحديث(٤).

ومن نماذج ذلك -فوقَ ما تَقدَّم- أنه كان يقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾: علي، ﴿وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾: فاطمة، و﴿إيتاء ذي القربى﴾: الحسن والحسين، ﴿وينهى عن الفحشاء والمنكر﴾، قال: فلان أفَحش الناس والمُنكر فلان(٥)

حتى قال فيه ابن عدي: «لم يَكن بالكُوفة ألعَن مِن المغيرة ابن سعيد فِيما يروى عنه من الزُّور عن علي، هو دائمُ الكذب على أهلِ البَيت ولا أعرف له حديثًا مسندًا(٦). ومِن آثاره -أيضًا- أنَّه خلف فرقة نسبت إليه وهم (المغيرية) الذِين قالوا بِنبوَّته، وكان لهم عدد ضخم بالكوفة»(٧).

---

(١) هكذا (سعد) عند ابن عبد ربه وفي المصادر الأخرى اسمه (المغيرة بن سعيد).

(٢) «العقد الفريد»: (٢/ ٢١٩).

(٣) «عيون الأخبار»، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٦هـ: (٢/ ١٤٩).

(٤) ابن حبان في «المجروحين»: (٣/ ٧)، وفي فصل خاص عقده ابن حبان في ذكر أنواع جرح الضعفاء قال: فأما النوع الأول من أنواع الجرح في الضعفاء فهم الزنادقة الذين كانوا يعتقدون الزندقة والكفر ولا يؤمنون بالله واليوم الآخر، كانوا يدخلون المدن ويتشبهون بأهل العلم ويضعون الحديث على العلماء..) ثم ذكر المغيرة بن سعيد ضمن هذا النوع. «المجروحين»: ج (١/ ٦٢ - ٦٣).

(٥) «ميزان الاعتدال»: (٤/ ١٦١).

(٦) «الميزان»: (٤/ ١٦٢)، «لسان الميزان»: (٦/ ٧٧).

(٧) ابن حزم، «الفصل»: (٤/ ١٨٤).

٥. جابر الجعفي (١٢٨هـ):

هو ابن يزيد الحارث الجَعفي الكوفي، وهو خليفة (المغيرة بن سعيد) بعد أن أحرقه القسري على ما قيل[١].

ذكره ابن حبان في عداد السبئِيَّة؛ حيث قال: «كان جابر سَبئيًّا مِن أصحاب عبدِ الله بن سبأ، وكان يقول: إن عليًّا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يرجع إلى الدنيا»[٢].

أما القول بالعقيدة (السبئية) للجعفي فلم تَكن قصرًا على ابن حبان وحدَه، فقد روي عن ابن عيينة أن جَابر الجعفي كان يقول: علي دابة[٣] وعاب أقوام على الجعفي قوله: حدثني وصي الأوصياء! فقال سفيان: هذا أهونه[٤].

وعن محمد بن سليمان بن فارس، ثنا محمد بن إسماعيل البخاري، ثنا الحميدي، سمعت سفيان بن عيينة يقول: «جابر الجعفي يؤمِنُ بالرجعَة»[٥]، وأورد الإمام مسلم في «مقدمة صحيحه» أكثر من رواية تؤكد عقيدة الرجعة عند الجعفي[٦]، وقال جرير بن عبد الحميد[٧]: «لا أستَحِلُّ أن أحَدِّث عَن جابر الجعفي، كان يؤمن بالرجعة»[٨].

---

(١) ابن حزم، «الفصل»: (٤/ ١٨٤).

(٢) «المجروحين»: (١/ ٢٠٨).

(٣) «ميزان الاعتدال»: (١/ ٣٨٤).

(٤) المرجع نفسه: (١/ ٣٨٣).

(٥) «المجروحين»: (١/ ٢٠٩).

(٦) «صحيح مسلم»، بشرح النووي: (١/ ١٠١، ١٠٢).

(٧) هو جرير بن عبد الحميد الضبي، محدث الري في عصره رجل إليه المحدثون لسعة علمه، كان ثقة صحيح الكتاب له مصنفات كثيرة، مولده ووفاته بالري، وهو كوفي الأصل مات سنة ١٨٨هـ. «الكاشف»: (١/ ١٨٢)، و«**التقريب**»: (١/ ١٢٧)، و«الأعلام»: (٢/ ١١١).

(٨) «ميزان الاعتدال»: (١/ ٣٨٠).



ومما يؤكِّد عقيدة الرُّجعة عند الجعفي ما رُوي أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾ [سورة يوسف: ٨٠]، قال: لم يجيء تأويلها بعد! وهو بهذا يشير إلى عقيدة الرجعة، وأن عليًّا في السماء لا يخرج مع من يخرج من ولده، حتى ينادي مناد من السماء: اخرجوا مع فلان، حتى قال سفيان بن عيينة -وهو يسوق هذا التأويل عند الجعفي-: كان يؤمن بالرجعة، لا ترووا عنه كذبًا، بل كانوا إخوة يوسف»[(١)].

وفوق قول الجعفي بأن عليًّا دابة الأرض واعتقاده بالوصية والرجعة -وهي من عقائد السبئية- فقد كان رافضيًّا يشتم أصحاب النَّبيّ ﷺ[(٢)].

أما عن مدى صِحَّة ما ينقله من أخبار أو أحاديث، فيقول الإمام أبو حنيفة -عليه رحمة الله-: «ما لقيت فيمن لَقيتُ أكْذب مِن جابر الجعفي، مَا أتيتُه بشيءٍ قطُّ مِن رأي إلا جَاءني فيه بحديث، وزعَم أن عِنده كذا وكذا ألف حَديث عن رسول الله ﷺ لم ينطق بها»[(٣)].

ولهذا ذكره الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مقدمة صحيحه» في باب: الكشف عن معايب رواة الحديث، ثم ساقَ الخَبر بسنده إلى الجراح بن مليح قال: سَمعت جابرًا يَقول عندي سبعون ألف حديث عن أبي جعفر[(٤)] عن النَّبيّ ﷺ كلها[(٥)].

ويقول سلام بن أبي مطيع: «جابر الجعفي يقول: عندي خمسون ألف حديث

---

(١) «ميزان الاعتدال»: (١/ ٣٨٢)، و«التهذيب»: (٢/ ٤٩).

(٢) «التهذيب»، لابن حجر: (٢/ ٤٩).

(٣) «المجروحين»: (١/ ٢٠٩).

(٤) أبو جعفر هذا هو محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، المعروف بالباقر، لأنه بقر العلم أي شقه وفتحه فعرف أصله وتمكن فيه وهو خامس الأئمة الاثني عشر عند الأمامية، توفي سنة ١١٤هـ. «النووي على صحيح مسلم»: (١/ ١٠٢)، و«الأعلام»، للزركلي: (٧/ ١٥٣).

(٥) «صحيح مسلم»، شرح النووي: (١/ ١٠٢).

عن النَّبيّ ﷺ»[١]، كما وضعه ابن حبان ضمن أنواع المجروحين حينما عده من المبتدعة الذين يدعون الناس إلى بدعتهم والتي يلزم الباحثين معرفتها ليعرفوا أصحابها[٢].

ويقول ابن سعد: «كانَ يُدلِّس وكان ضعيفًا في رأيه ورُؤيته»[٣]، ولهذا كله قال النَّسائي وغيره: «مَتروك لا يكتب حديثه ولا كرامة»[٤]، وقال بعضهم: «كنت إذا مررت بجابر الجعفي سألت ربي العافية»[٥].

والذي يبدو من هذا كله أن جابرًا كان يروي الموضوعات والغرائب، ويُؤكد هذا أن (شعبَة) حينما سئل عن الرواية عنه مع تَركه لغَيره قال: «روى أشياء لم نصبر عنها»[٦]. كانت وفاة الجعفي سنة ١٢٨هـ على ما ذكره ابن حبان[٧] وذكر الذهبي أنه مات سنة ١٦٧هـ[٨]، أما ابن حجر فهو أقرب إلى ما ذكر ابن حبان، حيث قال: إن وفاته سنة ١٢٧هـ، وقيل: سنة ١٣٢هـ[٩].

٦. الكلبي: (ت: ١٤٦هـ)..

هو أبو النضر محمد بن السائبِ الكلبي، صاحبُ التفسير، والنَّسَّابَةُ المشهور، من أهل الكوفة، مولده ووفاته فيها، وهو من (كلب بن وبره) من قضاعة، شاهد

(١) المرجع نفسه، شرح النووي: (١/ ١٠٢).
(٢) المجروحين: (١/ ٨١، ٨٢).
(٣) انظر ابن حجر، «تهذيب التهذيب»: (٢/ ٤٩).
(٤) «ميزان الاعتدال»: (١/ ٣٨٠).
(٥) المصدر نفسه: (١/ ٣٨٠).
(٦) «المجروحين»: (١/ ٢٠٩).
(٧) «المجروحين»: (١/ ٢٠٨).
(٨) «ميزان الاعتدال»: (١/ ٣٨٤).
(٩) «تقريب التهذيب»: (١/ ١٢٣).

الكلبي وقعة دير الجماجم مع ابن الأشعث، توفي سنة ١٤٦هـ[١].

لن أستطرد في الحديث عن الكلبي في مجال نشأتِهِ وحيَاتهِ، والذي يهمُّني التَّعرُّف علىٰ فكره ومعتَقدِه ثم الالتفات إلىٰ آثارِه وما خلَّفَه، وخاصَّةً في مجال التفسير والحديث ذؤابة التراث الإِسْلامي.

جاء في «المجروحين»: «وكان الكلبِيُّ سبئيًّا من أصحاب عبد الله بن سبأ»[٢]. وفي «وفيات الأعيان»: «وكان الكلبي المذكُور من أصحَاب عبد الله بن سبأ»[٣]، ويقول يزيد بن زريع[٤]: «رأيتُ الكلبي يضرِبُ صدره ويقول: أنا سِبائي، أنا سبائي»[٥]، وعن التبوذكي، سَمعتُ همَّامًا يقول: «سمعتُ الكلبي يقول: أنا سبائي»[٦]، وإذا كان الأمر كذلك في معتقده فإن معرفة آثاره ترتبط بمعرفة ما قيل فيه جرحًا أو تعديلًا.

قال معتمر بن سليمان عن أبيه: «كان بالكُوفَة كذَّابَان: أحدهُما الكلبي»[٧]، ويقول ابن الجوزي: «والكذَّابُون والوضَّاعون خلقٌ كثير.. وكان من كِبار

---

(١) «وفيات الأعيان»: (٤/ ٣٠٩)، «الأعلام»، للزركلي: (٧/ ٣).

(٢) «المجروحين»: (٢/ ٢٥٣).

(٣) «وفيات الأعيان»: (٤/ ٣١٠).

(٤) هو: الحافظ يزيد بن زريع البصري، أبو معاوية محدث البصرة في عصره، قال عنه الامام أحمد: إليه المنتهىٰ في التثبت في البصرة، قال عنه صاحب «التقريب»: ثقة ثبت، توفي سنة ١٨٢هـ. «الكاشف»: (٣/ ٢٧٧)، و«تقريب التهذيب»: (٢/ ٣٦٤)، و«الأعلام»: (٩/ ٢٣٥).

(٥) «تهذيب التهذيب»: (٩/ ١٧٩).

(٦) «ميزان الاعتدال»: (٣/ ٥٥٨).

(٧) «التهذيب»: (٩/ ١٧٨).

الكذابين وهب بن وهب القاضي[١] ومحمد بن السَّائب الكلبي..»[٢].

وقال الساجي: «متروكُ الحديث، وكان ضعيفًا جدًّا لفرطه في التشيُّع، وقد اتفق ثِقات أهل النَّقل علىٰ ذَمِّه وترك الرواية عنه في الأحكام والفروع»[٣]، ويقول الحاكم: «إنه روىٰ عن أبي صالح أحاديث موضوعة»[٤].

وذكره صاحب «تذكرة الموضوعات» في عداد الوضاعين الكذابين[٥]، ويقول أبو حاتم عن الكلبي: «مذهبه في الدِّين ووضُوح الكَذب فيهِ أظهر من أن يحتاج إلىٰ الإغراق في وصفِه»[٦]، بل قد اعترف الكلبي علىٰ نفسه بالكذب، روىٰ البخاري -بسند صحيح- عن سفيان الثوري قال: «قال لي الكلبي: كُلُّ مَا حدَّثتُك عن أبي صالح فهو كذب»[٧].

فإن قيل: فما بال الثوري يروي عنه وهو بهذه المنزلة؟ فالجواب مَا ذكره الثوري

---

(١) هو: أبو الختري وهب بن وهب بن كبير بن عبد الله بن زمعه، من قريش كان عالمًا بالأخبار والأنساب، ولد ونشأ في المدينة ثم انتقل إلىٰ بغداد في خلافة هارون الرشيد، متهم بوضع الحديث قال عنه الإمام أحمد: هو أكذب الناس وقال ابن الجارود: كان عامة الليل يضع الحديث، وقال فيه المعافي التميمي: ويل وعول لأبي البختري إذا توافىٰ الناس في المحضر. كانت وفاته سنة (٢٠٠هـ). الزركلي، «الأعلام»: (٩/ ١٤٠).

(٢) «الموضوعات»: (٧/ ٤٧).

(٣) «التهذيب»: (٩/ ١٨٠، ١٨١).

(٤) المرجع نفسه: (٩/ ١٨١).

(٥) «قانون الموضوعات والضعفاء» (ذيل كتاب تذكرة الموضوعات)، لمحمد طاهر علي الفتني الهندي: (ص ٢٩٠).

(٦) «المجروحين»: (٢/ ٢٥٥).

(٧) «ميزان الاعتدال»: (٣/ ٥٥٧) الألباني، «سلسلة الأحاديث الضعيفة الموضوعة» (المكتب الإِسْلامي): المجلد الأول (٢/ ١١).



نفسه: اتقوا الكلبي فقيل: فإنك تروي عنه، قال: أنا أعرف صدقه من كذبه(١).

ولم تكن أكاذيبُ الكلبي وموضوعاتُه من القِلَّة بِحيث لا تحتاج إلى مزيدِ مِن البيان، وكما كَان يضع في الحدِيثِ، فقد كانت له أكَاذيب في التَّفسير حتَّى أنَّ أشْهر المفَسِّرين أبا جعفر الطبري تحاشَا النقلَ عنه، وعن أمثاله في تفسيره «جامع البيان» كما ذكر ذلك شيخ الإِسْلام ابن تيمية،(٢) وياقوت الحَموي(٣)، ويروى عن الإمام أحمد قوله: «ثلاثةُ كُتب ليس لها أصُول: المغازي، والملاحم، والتفسير»(٤)، وفسَّر قَولُه هذا بأنه مَحمولٌ على كتب مَخْصُوصة في هذه المعاني الثَّلاثة، ومن أشهر كتب التفسير في هذا المجال: كتابا الكلبي ومقاتل، كما حكى ذلك الخطيب في «جامعه»(٥).

ويؤيدُ هذا إجَابة أحمد حينما سئل: أيَحل النَّظر في تَفسير الكلبي؟ قال: لا(٦) وكان يقول: «تفسيرُ الكلبي من أولهِ إلى آخرهِ كَذب»(٧).

وكيف يمكن الثقة بتفسيره، وقد روي عنه قوله: كان جبرائيل يملي الوحي على النَّبيّ ﷺ فلما دخل النَّبيّ ﷺ الخلاء جعل يملي على علي!(٨).

كما روي عنه قوله: مرضْتُ مَرضة فنسيت ما كنتُ أحفَظ، فأتيت آل محمد

---

(١) «ميزان الاعتدال»: (٣/ ٥٧٧).

(٢) «الفتاوى»: (١٣/ ٣٨٥).

(٣) «معجم الأدباء»: (١٨/ ٦٤).

(٤) الملا علي القاري، «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة»، (مؤسسة الرسالة): ص (٣٣٩).

(٥) المرجع نفسه: ص (٣٩٩).

(٦) «ميزان الاعتدال»: (٣/ ٥٥٨).

(٧) «الأسرار المرفوعة»: ص (٤٠٠).

(٨) «ميزان الاعتدال»: (٣/ ٥٥٨).

فتفلوا في فيَّ فحفظتُ ما كنت نسيت[١].

وكان أبو إسحاق النظام يقول: «لا تسترسلوا إلى كَثير من المُفسِّرين، وإن نصبوا أنفسهم للعَامَّة، وأجابوا في كلِّ مَسألة، فإن كثيرًا منهم يقول بغير رِواية على غير أساس، وكلما كان المفسر أغرب عندهم كان أحبَّ إليهم، وليكن عندكم عكرمة والكلبي، والسدي، والضحاك، ومقاتل بن سليمان، وأبو بكر بن الأصم في سبيل واحدة، فكيف أثق بتفسيرهم وأسكن إلى صوابهم»[٢].

وكأنه بهذا يشير إلى الضعف في الكلبي وأمثاله، وإن انْدَسُّوا مَع كثير من المفسرين المَوَثَّقين، وفوق ذلِكَ كله فقد كان الكلبي ممَّن عُرف بنعوت وأسماء مختلفة يظن أنَّها نعوت لأنَاس كَثيرين، فهو محمد السائب الكلبي صاحب التَّفسير، وهو أبو النضر الذي روى عنه محمد بن إسحاق حديث: «ذكاة مسك دباغة»، وهو أبو سعيد الذي يروي عنه عطية العوفي في التفسير يدلس به موهمًا أنه أبو سعيد الخدري[٣].

وبالجملة فهذا لا يعني حصر نَماذج السبئيَّة كُلها، كما لا يعني حصر آثارهم بجملتها فنحن نطالع -مثلًا- نصين في الطَّبري يشير أحدهما إلى خوض السبئية وطعنها على عليٍّ مِن وراء وراء[٤]، وذلك بعد أن قسَّم عليٌّ على من شهد معه وقعة الجمل، من المال الذي وجده في بيت المال.

أما النصُّ الآخر فيكشف عن خطر آخر للسبئِيَّة، فهم يستعجلون عليًّا عن

(١) «تهذيب التهذيب»: (٩/ ١٧٩).

(٢) الجاحظ، «الحيوان»: (١/ ٣٤٣).

(٣) ابن الصلاح، «علوم الحديث» (نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة): (ص ٢٩٠، ٢٩١)، والبغدادي «موضح أوهام الجمع والتفريق» (دائرة المعارف العثمانية الهند): (٢/ ٣٥٥).

(٤) «تاريخ الطبري»: (٤/ ٥٤١).

المقام بالبصرة، ويرتحلون بغير إذنِهِ، ثم يرتحل عليٌّ في آثارهم ليقطع عليهم أمرًا كانوا أرادوه[١].

كما أن هناك نُصوصًا أخرىٰ تُؤكِّد وُجود جماعة من النَّاس تأثرت بابن سَبأ وافتتَنَتْ بهِ؛ ففي البصرة وحِينما طرح ابن سبأ بعْضَ أفكاره، ولم يصرح علىٰ نَفر مِن أهْلها قَبِلوا منه واستعظموه[٢]، وفي الكُوفة ومِصر يقول ابن كثير: «.. فافتُتِن به -يعني ابن سبأ- بَشرٌ كَثير من أهل مصرَ، وكتبوا إلىٰ جمَاعات من عَوامِّ أهْل الكُوفة والبصرة، فَتمالؤوا علىٰ ذلك»[٣].

وأخيرًا فهناك نُصوص ثالثَةٌ تُبينُ عَن جماعة من النَّاس كَانت وراء الفتنة التِي انتهت بقتْلِ الخليفة عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فابْن سَعد يقول: «إنَّ مَقتل عثمان كانَ علىٰ يد جَماعة اتفقوا علىٰ الشرِّ»[٤].

وقال عنهم الذهبي: «رؤوس شَرٍّ وأهْل جَفاء»[٥]، وليس بمستبعد أن يكون من هَؤُلاءِ أو أولئك من يشكل نموذجًا أو نماذج من السبئية تضاف إلىٰ النماذج السابقة.

---

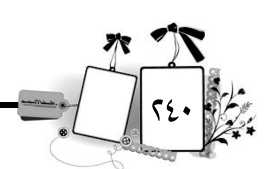
(١) «تاريخ الطبري»: (٤/ ٥٤٣- ٥٤٤).

(٢) «تاريخ الطبري» (٤/ ٣٢٦).

(٣) «البداية والنهاية»: (٧/ ١٨٣).

(٤) «الطبقات»: (٣/ ٧١).

(٥) «دول الإِسْلام»: (١/ ١٢).



المبحث الثاني
التخطيط السري للمنافقين في عهد النبوة وما بعده

المطلب الأول
التخطيط السري للمنافقين في عهد النبوة

إِنَّها دهاليز المَكرِ والدَّسيسَة، وأقبِيَة التَّدبير والمَكيدة، تحتَ سُقفِها يتآمَرون وفي جُنح ظَلامِها يَسهرون ويخططون: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة النساء: ١٠٨]، هذا شأن النفوس الخائنة والأرواح المنهزمة التي تتوارىٰ لِتحيكَ خُيوط الغدر والمؤامرة، كسرًا لشوكة المسلمين وتفريقًا لجمعهم وتوهينًا لعزمهم وتمكينًا لعدّوهم.

ولذلك جاء قول الله تعالىٰ: ﴿يُبَيِّتُونَ﴾، و﴿بَيَّتَ﴾، و﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى﴾، و﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [سورة البقرة: ٧٦]. ملازمة لأحوَال المُنافقين وأوضَاعهم حتىٰ لا تَنكشِف خبيئَتُهم ولا يفتضح أمرهم.

من أجل ذَلك سيتمُّ بِإذن الله بيانُ التَّخطيط والتَّآمر السِّرِّي للمُنافقين في عهد النبوة من خلال:

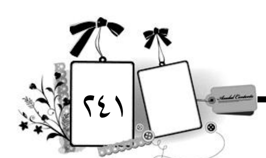
أولا: سَرد الوَقائع والأَحداثِ التي تؤكِّد التَّنظيمَات السِّريَّة للمنافقين.

وثانيا: تأمل الآيات الدَّالَّة عَلىٰ هذا المعنىٰ وعَرض بعض أقوال المفسرين حولها..

ومن أبرز شواهد تدبير المنافقين بليلٍ واستتارهم حال تخطيطهم بجنح ظلام ما يلي:

١. إزورارهم إلىٰ إخوانهم اليهود:

إن منْ أَقْبح الصِّفات التي اكتَسبَها المُنافقون من عيبَة نُصحهم ومَوئل رَأيهم



اليَهود السرِّيَّة في نَظْم خُطوات الشَّرِّ وحَبك طرائق الإفساد ليلًا وإيقاع ذلك نهارًا.

ولليَهود في هذا الشأنِ قَصب السَّبق، فما الماسُونية كمُنظَّمة يَهودية ومخرَجَاتها من نَوادي المليونز الأسود والرُّوتَاري وشهود يهوه إلا أصدق مثال.

فالماسونية: مُنظَّمة يهودية سرِّيَّة إرهابية غامضَة محكمة التنظِيم؛ تَهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد والإباحِيَّة والفساد..

قال الحاخام لاكويز: الماسونية يهودية في تَاريخِها ودرجاتِها وتعاليمِها وكلمات السرِّ فيها يهودية من البداية إلى النهاية.

أما عن تاريخِ ظُهورها؛ فعلى خلافٍ شديد لتكتُّمها البالغ، والرَّاجح أنَّها ظهرت سنة ٤٣م(١)، زدْ عَلى ذلك أن يهُود المدينَة هُم من أوحى للمنَافقين بأن يسلُكوا مسلك التظاهر بالإِسْلام علانية وإضمار الكفر سريرة.

قال تعالى: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [سورة آل عمران: ٧٢]، فهٰذِه الآيَة مدنِيَّة وَهي تُشيرُ إلَى مَعنيين رَئيسين:

- أنَّ مَنشأ فِكرة النِّفَاق في المُجتَمع المدني يَهودِيَّة.
- الوِصاية باتِّخاذ السَّرِّيَّة مَنهجًا وسبيلًا في صِياغة المكَائِد وتدبير الوَقائِع بالصف الإِسْلامي.

ثمَّ إنَّ مَن قرأ تعاليمَ التَّلمود وجد أنَّها تَزرع النفاق في اليهود وتحثهم على التخلُّق به فقد جاء ضمن تعاليمه: مصرح لليهودِي أن يُجامل الأجنبي ظاهرًا ليتَّقِي شرَّه على أن يضمر له الشرّ والأذى(٢).

---

(١) ولمزيد اطلاع انظر مبحث «هل لليهود دور في نشأة النفاق»: (١/ ١١٣).

(٢) عبد الله التل: جذور البلاء، الناشر: المكتب الإِسْلامي – ١٤٠٥ – ١٩٨٥: (ص ٨٠). ولمزيد =

وفي موضع آخر: إن النفاق جائز، وإنَّ الإنسان -أي اليهودي- يُمكنه أن يكون مؤدَّبًا مع الكافر، ويدَّعي محبته كاذبًا إذا خَاف وصول الأذىٰ منه إليه(١).

ولا غرو فالمرء علىٰ دين خليله، ومن أشبه جليسه فما ظلم...

وليس بخافٍ علىٰ متأمِّل ما كان من شَأن المنافقين؛ وخصوصًا كبيرهم الذي علمهم النفاق مع اليهود توليًّا لهم وذودًا عنهم وركونًا إليهم وتواطؤًا معهم، ويكفيهم لحمة بهم وانطواء تحت عباءتهم أن القرآن قد وصفهم بأنهم إخوانهم، فقال سبحانه: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة الحشر: ١١].

❍ ومن أبرز الشَّواهد المؤكدَّة لهَذا المعنىٰ ما كان من تقمُّص بعض أحبار اليهود بالمدينة ثوبَ النفاق حتىٰ يَتحقَق مبتغاهم وهم آمنون ومنهم:

أ) سعد بن حنيف.

ب) نعمان بن أوفىٰ بن عمرو.

ج) عثمان بن أبي أوفىٰ.

د) رافع بن حريملة

هـ) رفاعة بن زيد بن التابوت.

و) سلسلة بن برهام.. وغيرهم(٢).

فإذا كان هَؤُلاءِ نافقوا وهُم أحبار اليَهود، فلا غرو أن ينقَاد لَهم المُنافقون

= اطلاع علىٰ نفاقية اليهود انظر: (١/ ١١٣).

(١) روهلنج، ك «الكنز المرصود»: (ص ٧٠).

(٢) تفصيل أحوالهم وبعض سيرهم في مبحث: منافقون من أحبار اليهود: (صـ: ٦٤١).

متخذين المِنهاج نَفسِه والمَسلك ذاتِه؛ وممَّا هُو معلوم أن لُقيا المنافقين لليَهود واجتماعهم بهم لن يكون إلا سرًّا لكي لا ينكشف حالهم، عندها يعلم المتدبر لقوله تعالىٰ: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾ [سورة المائدة: ٥٢].

ذكر جمعٌ مِن أهل التَّفسير أن هذِه الآية تُشير إلىٰ حالِ نفرٍ مِن المنافقين كانوا يناصحون ويوالون اليهود ويغشون المؤمنين[١].

وما أشْبَه الليلَة بالبارِحَة، فكم من المُنافِقين في زمَانِنا الذين توَجَّهت قُلوبهم وأروَاحُهم قبل أعداءِ الله قد باعوا دينهم بعرَضٍ من الدنيا قليل[٢].

○ وكر المؤامرات السرّي.

روىٰ ابنُ هِشام بسنَدِه أنه: «بَلغ رَسول الله ﷺ أن أناسًا من المُنافقين يجتَمِعون في بيت سويلم اليهودي، يثبِّطون النَّاسَ عَن رسول الله ﷺ في غَزوَة تبوك، فَبَعث إليهم طَلحة بن عبيدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في نفرٍ من أصحابِه، وأمرهم بحرقِ بيت سويلم علىٰ من فيه من المنافقين ففعل، فاقتحم الضحَّاك بن خليفة ظهر البيت فانكسرت رجله، واقتحم أصحابه فأفلتوا»[٣].

وقد قال الضحَّاك في تلك الحادثة أبياتًا جاء فيها:

كَادَتْ وَبَيْتِ اللهِ نَارُ مُحَمَّدٍ ... يَشِيطُ بِهَا الضَّحَّاكُ وَابْنُ أُبَيْرِقِ

وَظَلْتُ وَقَدْ طَبَّقْتُ كِبْسَ سُوَيلِمِ ... أَنُوءُ عَلَىٰ رِجلِي كَسِيرًا وَمِرْفَقِي

---

(١) «تفسير الطبري»: (٤/ ٦١٩).

(٢) ولمزيد اطلاع، انظر مبحث: «صور موالاة المنافقين في زماننا لأعداء الدين»: (١/ ٣٣٢).

(٣) «الصراع مع الصليبيين»: (١٢١)، لمحمد عبد القادر أبي فارس. وانظر تخريجه: (صـ: ٢٣٣).

سَلامٌ عَلَيكُمْ لا أَعُودُ لِمِثْلِهَا ... أَخَافُ وَمَنْ تَشَمَلْ بِهِ النَّارُ يُحْرَقِ[1]

إن في هَذا الشَّاهد لدِلالَة صَريحَة على أنَّ هُناك اجتماعَات سِرِّيَّة مشبوهة[2] يجتمع فيها المنافقون إلى بعضِ اليهود تدبَّر خِلالها المكائد وتحاك فيها الدسائس.

٢. مسجد الضرار:

الذي في أكنافه استَتروا وتحت مسَّاه اختبئوا، ظاهره مسجد وباطنه ضرار وكيد ومكر وتآمر وتخطيط.. علانيته صلاة تقام وقرآن يُتلى، وسَريرتُه صدٌّ عن سبيل الله وإفساد في الأرض، يستخفون فيه من الناس ولا يستخفون من الله إذْ يُبيّتون ما لا يرضى من القول.

لذا كان المنهج الشرْعيُّ فيهِ وفي أمثاله الهَدم والإتلافُ، ورد في الحديث أن الرسول ﷺ دعا مَالك بن الدخشم أخَا بني سالم بن عوف، ومعن بن عدي العجلاني فقال لهما: «انْطَلِقَا إِلَى هَذَا المَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ فَاهْدِمَاهُ وَحَرِّقَاهُ»، فَخرجَا مُسرعين حتَّى أتيَا بني سالم بن عوف، وهم رهط مَالك بن الدخشم، فقال مالك لمعن: انظر في حتَّى أُخرج إليك بنار أَهْلِي، ودخل إلى أهله فأَخذ سَعفًا من النَخل فأَشعل فيه نارًا، ثم خرجا يشتد حتى دخلاه وفيهِ أهله فحرَّقاه وهدماه فتفرقوا عنه[3].

وتجدر الإشارة هنا إلى أهمِّيَّة الرُّجوع إلى مبحث مسجد الضرار الموسَّع؛ لنعلم كم هي مساجد الضرار في زماننا وما جرَّته على الأمة من ويلات ونكبات.. وكَم حيك فيها من مُؤامرات ومؤتمرات[4].. ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [سورة النساء: ١٠٨].

---

(١) «الروض الأنف»: (٤/ ٢٩١) لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي.

(٢) انظر لمزيد اطلاع مبحث: «وكر المؤامرات السري»: (١٠٦).

(٣) انظر تخريجه: (١/ ٣٩٤).

(٤) انظر مبحث مسجد الضرار: (صـ: ٣٠٤).

٣. اجتماع زعامات المنافقين مع قائد مسيرتهم ابن سلول سرًّا قبل كل غزوة:

ينظرون ما مواقف الخزي التي يفعلون، وما دسائس الشرِّ التي يكيدون، وهذا الشأن وإن لم تنطق به كتب التَّفسير والسيرة إلا أنَّه من الوضوح بمكان إذْ لا يعقل أبدًا:

أ) أن ينصرف ابن سلول بثُلث الجيش في غَزوَة أُحُد فيطيعوه من جرّاء اتفاق انعقد في أرض المعركة.. إنما كان وراء ذلك تدبيرٌ بليلٍ وتآمرٌ مسبق.

ب) وكذلك لا يمكن أن يصدق عاقلٌ أن ابن سلول استطاع في أثناء خروج الجيش الإسْلامي لغَزوَة تبوك أن يُقنِع طائفةً مِن المنافقين وحلفَائه أن يعسكر بهم في ضَاحية من ضواحي المَدينة، حتى إذا جدَّ المسير ومضت ركَائب المُجاهدين من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ تخلَّف بكُلِّ مَن معه، إلا أن من وراء ذلك تخطِيط سِريٌّ للغَاية؛ ليكون ذلك الانعطَاف أبلغ في كسر معنويات المؤمنين، وتوهين عزمهم وإحداث الزعزعة في صفوفهم.

ج) إن المتأمِّل والمُتتبِّع لدَسائس المنافقين، وتَربُّصِهم بالمؤمنين الدَّوائر، وتَواصيهم بالحِصار الاقتصادي عليهم، وإشاعتهم للفاحشة، وبثِّهم الشَّائعات المُرجفة، ونقضهم لعهودهم، وتناجيهم بِالإِثْمِ والعدوان، وموالاتِهم لأعْداء الله، ومحاولتهم قتل النَّبيّ ﷺ، وتخذيلهم وتثبيطهم ومخادعتهم وتوهينهم للمُؤمنين.. لم يكن ليأتي من فراغٍ أو محض اللحظة الحادثة، وإنَّما كان وراء إمعان في صياغة المواقف وتوزيع الأدوار في سرية تامة واستخفاء حذر، وعلى مرِّ العصور وكرِّ الأزمان ينهَج المنافقُون أحفَاد ابن سلول الأسلوب ذاته والمسلك نفسه، فكم هِي ليالٍ سهروها ومؤامرات في الخفاء عقدوها ومكائد وحبائل للشر أبرموها: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ [سورة النساء: ١٠٨].

ثانيًا. آيات تفضح التخطيط السري للمنافقين:

١. قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ١٤﴾ [سورة البقرة: ١٤]، إنَّهم المُنافقون إذا لقُوا المهاجرين والأنصَار قالوا آمنا كإيمانهم وإذا خلوا رجَعوا إلىٰ شياطينهم أي رُؤسائهم وكهنتهم.. قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: هم خمسة نفر من اليهود:

١. كعب بن الأشرف بالمدينة.

٢. وأبو بردة في بني سالم.

٣. وعبد الدار في جهينة.

٤. وعوف بن عامر في بني أسد.

٥. وعبد الله بن السوداء بالشام(١).

قالوا إنَّا مَعكم علىٰ دينكم وظُهراؤكم علىٰ من خَالفكم فيه، وأولياؤكم دون أصحاب محمد ﷺ، إنَّما نحن مستهزؤون بالله وبكتابه وبرسوله وأصحابه(٢).

إنهم يلتقون في خفاء ويتواعدون في خلوة ويجتمعون في سرٍّ كما شأن من استحكمت خيانته وانطوت علىٰ الغدر والمكيدة سريرته.

أخرج الواحدي والثعلبي بسنده عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبيٍّ وأصحابه؛ وذلك أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، فقال عبد الله بن أبيٍّ: انظروا كيف أردُّ هَؤُلاءِ السُّفهاء عنكم، فذهَب فأخذ بيد أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: مرحبًا بالصديق سيد بني تميم وشيخ الإِسْلام، وثاني رسول الله في الغار، الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ، ثم

(١) «تفسير الإمام النووي»: (١/ ٦٧).

(٢) «تفسير الطبري»: (١/ ٢٩٦).

أخذ بيد عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقال: مرحبًا بسيِّد عدي بن كعب الفاروق القوي في دين الله، الباذل نفسه وماله لرسول الله ﷺ.

ثم أخذ بيد علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وقال: مرحبًا بابن عمِّ رسول الله وختنه، سيد بني هاشم ما خلا رسول الله ﷺ، ثم افترقوا فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتموني فَعلت، فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعَلت، فأثنوا عليهم خيرًا، فرجع المسلمون إلى النَّبيّ ﷺ، وأخبروه بذلك فنزلت هذه الآية»(١).

هكذا يدرِّب رأسُ النفاق أصحابه عمليًّا، وفي خلوة بهم في مَجلس الإثم والبغيِّ وعلى شاكلة هذه الآية ما جاء في قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة البقرة: ٧٦].

هذه الآية نزلت في اليَهود، وذلك أن أناسًا مِنهم أسلموا ثُمَّ نافقوا فكانوا يحدِّثون المؤمنين من العرب بما عُذب به آباؤهُم، فقالت لهم اليهود: أتحدثونهم بما فتح الله عليكم -أي حكم الله عليكُم مِن العَذاب ليقولوا نحن أكرم على الله منكم(٢) - إذن هُم يلتقون سرًّا ويتعاتبون ويحذِّر بعضهم بعضًا من بعض التصرفات التي تُبين عن عوارهم وتجلِّي حقيقتهم.

٢. قال عزَّ في علاه: ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٩].

قال الإمام الطبري: «إن هَؤُلاءِ الذين نهى الله المؤمنين أن يتخذوهم بطانة من دونهم ووصفهم بصفتهم، كانوا إذا لقوا المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ

---

(١) «تفسير الدر المنثور»: (١/ ١٦٤).

(٢) «تفسير القرطبي»: (٢/ ٣).

أعطوهم بألسنتهم تقية، حذرًا على أنفسهم منهم، فقالوا لهم قد آمنا وصدقنا بما جاء به محمد ﷺ، وإذا خلوا فصاروا في خلاء حيث لا يراهم المؤمنون عضُّوا على ما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم أناملهم -وهي أطراف أصابعهم- تغيظًا من الموجدة عليهم(١).

﴿عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ﴾ [سورة آل عمران: ١١٩]، إنهم في حَالٍ مِن العجز عن نكايَة المؤمنين وإنزال المصائب فيهِم، مع وجود الرغبة العارمة في نُفوسهم للتَّخَلص منهُم بأية وسيلة.

وحينما يخلون ويتحرَّرون من ضغط المراقبة تتحرك أعضاؤهم لا شعوريًّا للتَّعبير عما في نفوسِهم وقلوبهم ضدَّ المؤمنين، فإن تخيُّلَهم يسبقهُم إلى تصوُّر القَبض على المؤمنين وافتراسهم بأسْنانِهم عضًّا ونهشًا، فلا يجدون ما يعضونه إلا أناملِهم، بيد أن نفوسهم من الداخل يُخيّل إليها أنها تعظكم أنتم(٢).

من الملاحظ أن الثلاث آيات سَالفة الذِّكر كلها جاءت في مطلعها بِسياقٍ واحِد تقريبًا: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ﴾ [سورة البقرة: ١٤]، وفي جميعها وإذا خلوا وفِي هذا تأكيدٌ على حِرصهم الشديد في جَميع الظروف والأحوال على وجود جدار سميك يستترون وراءه حتَّى لا يَرمُقهم أحدٌ ولا تلحظهم عينٌ، وهذا الجدار لا يخلو من أن يكون ليل بهيم أو بيت بعيد أو خلوة في زاوية لا يراهم فيها أحد..

٣. قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ٨١﴾ [سورة النساء: ٨١].

---

(١) «تفسير الإمام الطبري»: (٧/ ١٥١).

(٢) «ظاهرة النفاق»: (١/ ٢٩٩)، بتصرف يسير.



هذه الآية من أصْرح الآيَات في المعنى المراد في سرِّيَّة المُنافقين واستخفَائِهم بما يكيدون ويخططون: ﴿بَيَّتَ طَآيِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ [سورة النساء: ٨١]، التَّبييتُ هُو كل أمْر يفعل بالليل، يُقال: هذا أمرٌ مبَيَّت إذا دُبِّر بليل وقضي بليل. والمعنى: أنهم قالوا وقدَّروا أمرًا بالليل غَير الذي أعطوك بالنهار من الطاعة(١).

قال العتيبي وأبو عبيدة عند قوله تعالى: ﴿بَيَّتَ طَآيِفَةٌ﴾: «أي قَالوا وقدَّروا ليلًا غير الذي أعطوك نهارًا، وكل شيء قدِّر بليل من شرٍّ فهو تبييت».

قال عبيدة بن الهمام:

أَتَـوني فَلَـمْ أَرْضَ مَـا بَيَّتُـوا ... وَكَـانُوا أَتَـوْني بِشَـيءٍ نُكْـرِ
لِأُنْكِـحَ أَيِّمَهُـمْ مُنْـذِرًا ... وَهَـلْ يُـنْكِحُ العَبْـدُ حَـرٌّ بِحُـرٍّ(٢)

وهنا تحسُن الإشارَةُ إلى العَدل الرَّبَّاني حتى مع المُنافقين؛ حيث قال سبحانه: ﴿بَيَّتَ طَآيِفَةٌ مِّنْهُمْ﴾ [سورة النساء: ٨١]، فخصَّ بالذِّكر طائفة من المنافقين إمَّا:

أ) لأنَّ المَقصود زعاماتهم الذين أسْهَروا ليلهم في التَّبييتِ، وغيرهم سمعوا وسكتوا ولم يبيتوا أو لم يسمعوا وكانوا تبعًا لهم(٣).

ب) وقيل إنما خصَّ بالذِّكر طائفة ممَّن سبق في عِلم الله أنَّهم باقون على كفرهم ونفاقهم، أما من سيُحدث بعد ذلك توبة وإيمانًا فقد صفح عن ذكرهم(٤)..

وهذا الانصاف الإلهي جَاء مثله مع اليَهود في مواضع عَديدة من القرآن في قوله تعالى: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١١٣].

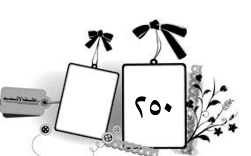
---

(١) «تفسير الخازن»: (١/ ٥٦٣).

(٢) «تفسير الكشف والبيان»: (٣/ ٣٤٩)، لأبي إسحاق النيسابوري.

(٣) «تفسير الرازي»: (١/ ١٥٠٤).

(٤) «تفسير الألوسي»: (٤/ ١٤٩)، و«الرازي»: (١/ ١٥٠٤).



وقولِه سبحانه: ﴿ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾ [سورة آل عمران: ٧٥]، وفي هذا تربية قُرآنية للمُؤمنين على أن يعدلوا وينصفوا مع القريب والبعيد والعدو والصديق.

٣. وقريبًا مِن معنى هذه الآية قوله تعالى: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [سورة النساء: ١٠٨].

﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ﴾؛ أي: يُدبرون لَيلًا على طريق الإمعان في الكفر والإتقان للرأي[1].. والتَّبييت هُنا مشتَقٌّ مِن البيتوتة؛ لأن أصلح الأوقاتِ للفِكر أن يجلس الإنسان في بيتِه بالليل، فهناك تكون الخواطِر أجمل والشواغل أقَل[2]، فكيف اذا اجْتَمع مع من هُو على شاكلته وأعملوا الأذهان والعُقول فيما يريدون..

وبضدِّها تتميزُ الأشياء، ففي المقابل نجدُ المؤمنين لهم بياتٌ وخلوة وَلكن ركعًا سجدًا لله.. يتلون آيات الله يناجونَه بالأسحار ويستغفرونه: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة السجدة: ١٦]، ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾ [سورة الفرقان: ٦٤]، ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ [سورة الزمر: ٩].

---

(١) «تفسير السراج المنير»: (١/ ٢٦٥).

(٢) «تفسير الرازي»: (١/ ١٥٠٥).

المطلب الثاني
التخطيط السرِّي للمنافقين بعد عهد النبوَّة

أ) في عهد الخلفاء الراشدين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ:

لقد مضى عهدُ الخلفاء الرَّاشدين الثلاثة: أبي بكر وعمر وصَدرًا من خلافة عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ولم يكن للمنافقين من حدث يُذكر ولا موقف يسطر، إلا أن المرحلة الثانية للنِّفاق ظهرت بوادرُها في أواخر عهد عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ على يد ابن اليَهودية عبد الله بن سبأ الذِي تولى كبر عديد مِن الحَوادث والفِتن التي عصَفَت بالدولة المسلمة؛ ابتداءً من مقتل ذي النورين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، مرورًا بموقعة الجمل بين الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وما كان من دسِيستِه فيها، وانتهاءً بنشوء فرقة السبئية ذات الأتْباع والأعوان التي هي أصل الفرق الباطنية والعياذ بالله[١].

ولأن هذا المبحث عَن سرِّيَّة المنافقين فَسأعرج عَلى بعض جوانب السرِّيَّة في حركة ابن سبأ النفاقية، ممَّا يشير إلى اعتماده هذا المسلك السلولي ليحقق مراداته وينفذ مخططاته.

١. الاختلاف الكبير لدى المحققين في نسبته:

وما ذاك إلا ليكيد للإسْلام وأهلِه، من أجل ذلك أحاطَ نَفسه بسريَّة بالغَة، ولهذا لما سأله عبد الله بن عامر والِي البصرة: ما أنت؟! فأخبره أنَّه رجلٌ من أهل الكتاب رغب في الإسْلام، ورغب في جواره، فأمر بإخراجه فذهب تلقاء الكوفة[٢]، ومن غير المستبعد أن يكون قد تسمَّى بأسماء عديدة ذكرها المؤرخون

---

(١) لمزيد اطلاع يُرجى الرجوع إلى مبحث كامل عن عبد الله بن سبأ: (١٥٧).

(٢) «تاريخ الطبري»: (٢/ ٦٣٩).

لتغطية ما يحيك من جرائم ودسائس ضد المسلمين(١).

٢. الرسائل السرية:

التي كَان يبعثُها خفية وتُبعَث إليه من أعْوانِه ومن هم تبع له من مصر إلىٰ مصر ومن بلد لآخر، كل ما من شأنها تفريق الصف وتوريث الإختلاف.

وقد زوَّر رسائل أخرىٰ عن بَعض الصحابة؛ كعائشة وغيرهارَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، كان يصوغها سرًا وينشرها أتباعه نهارًا، حتَّىٰ قال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هذا والله أمر أبرم في المدينة(٢).. أورثت هذه الرسائل الفتنة وأثارت زوابع البغي والعدوان.

٣. مَا كان من تخطيطه الآثم ومكره الكبَّار بإيقاع القتال بين الجيشين في موقعة الجمل.

فبعد أن اتفقَ الجَانبان علىٰ الصُّلح وتواطأت النوايا علىٰ حقْن الدِّماء، جاء دور السبئية الذين خططوا بليل ودبَّروا في ظلام، فقتلوا هنا وقَتلوا هناك حتىٰ ظنَّ كل من الجيشين أن الآخر هو الغادر، فوقَعت مقتلة ذهب ضحيَّتَها عدد من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

لقد كانت هذه المكيدة لإبطالِ الصُّلح وحقن الدماء مدَّبرة بليل، اجتمع لنسج خيوطها ابن سبأ مع زبانيته، مما يشير إلىٰ إتخاذه السرية مسلكًا والتخفي وسيلة(٣).

٤. أنشأ ابن سبأ فرقة سُمّيت بالسبئية.

هِي أصل الفِرق الباطنية قَام سوقها عَلَىٰ السِّريَّة في تنظيمها وتَخْطِيطها وتحركَاتِها.. وقد اقتَصَرت هنا علىٰ ذكر هَذه الجوانب باختصار لأنَّه قد سبق فيها تفصيل في موضعه(٤).

---

(١) «ابن سبأ حقيقة أم خيال»: (١/ ٨).

(٢) الطبري: (٤/ ٣٥١).

(٣) انظر لمزيد اطلاع: (٢٤٠).

(٤) لمزيد اطلاع يُرجىٰ الرجوع إلىٰ مبحث ابن سبأ: (١٥٧).

المطلب الثالث
التَّخطيط السري للمنافقين في العهد العباسي

إن المتتبع للعهد الأموي يَجدُ أَنَّه لا يكاد يكُون للنِّفاق صَولته وجولته، أمَّا من يقرأ في عهد الدولة العباسية فسَيجد مظهرًا للنِّفاق في جوانبِه المتعددة، وفيها السِّريَّة البالغة في المعتقد المخرج من الملَّة، وفي التَّخطيط والتنظيم لمحاربة الإِسْلام وأهلِه، كانت صفحته الواضحة الجلية متمثلة في الفِرق الباطنية وطوائفِ الصُّوفيَّة، فهما جميعًا يُظهرون الإِسْلام ويبطنون الكفر البواح..

والعجيبُ في الأمر أن نَشأَتَهما كَانت متقَاربة، فكلاهما كانت بدايات ظُهوره في القرن الثالث، وإن كانت السبئِيَّة كَأصل للفرقِ البَاطنية ظهرت قبل هذا التأريخ كما سبقت الإشارة إليه.

لقد كانت بدايات ظُهورِ الفِرق البَاطنية علىٰ يد المجوس.. ففِي مَطلع القَرن الثالث من الهِجرة كانوا قد أنهَكُوا الخلافَة الإِسْلامية، فَسقطت هَيبة الخُلفاء في أعيُن وُلاتهم علىٰ الأمصَار لكثرة الفتن والمؤامرات، فاستغلَّ المَجوس ضعف الخلافَة وشجعوا طاهر بن الحسين[1] علىٰ الاستقلال بخرسان، ووَقفوا إلىٰ جانبه يذودون

(١) عين المأمون قائده العسكري المظفر طاهر بن الحسين أميرًا لخراسان سنة ٢٠٥ هـ مكافأة له علىٰ جهوده العسكرية الجبارة. فاستمرت الإمارة في ذريته إلىٰ سنة ٢٥٩ هـ. حيث استقلوا بإماراتهم دون أن يعلنوا انخلاعهم وخروجهم علىٰ الخليفة، حتىٰ أزاحهم يعقوب الصفار. وقامت علىٰ أنقاضهم الدولة الصفارية. ينظر «النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة»: (٢/ ١٧٨)، و«موجز التاريخ الإِسْلامي منذ عهد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ (تاريخ ما قبل الإِسْلام) إلىٰ عصرنا الحاضر ١٤١٧ هـ»، المؤلف: أحمد معمور العسيري، الناشر: غير معروف، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م: (ص: ٢١٩).



عن الدَّولة الطَّاهرية التي قامت في مرو ونيسابور واستمرت حتىٰ عام ٢٥٩هـ.

وهذا الانقسَام كان أوَّل انقسام عَرفته الخِلافة الإِسْلامية مُنذ بدايةِ العَصر العباسي، وكانت بدايَة لمَزيد من الدُّويلات والانقِسامات، فبعْدَ قيام الدَّولة الطَّاهرية توالت دويلات: كالقَرامطة (في بلاد الشام وعمان واليمن والبحرين والأحساء)، والبُويهيين (في العراق وفارس وسائر المشرق)، والعبيديين (في مصر والشام).

لقد وَجد دهاقِنَةُ هذه الدولِ الباطِنيَّة أن الإِسْلام أقوىٰ من كلِّ المُؤامرات؛ فقرر تأسيس مذهب أعْظم تأثيرًا وأشد هدمًا من التَّشيع، وإن كان منطلقًا من أصُول التشيع متسترًا به؛ فأَسَّسوا مذهب الباطنية، ويغلب عليهم تسميتهم بالإسماعيلية نِسبة إلىٰ إسماعيل بن جعفر الصادق الذي يزعم أئمتهم الانتساب إليه عقيدة ونسبًا.

وقد اشترك في وضع أصول هذا المذهب جماعة من المجوس واليهود والزنادقة، معتمدين علىٰ الفلسفة اليونانية مع خليط من الأفكار المجوسية والصابئة.

وقد وضعوا في أوائل القرن الرَّابع أوَّل كتاب في أصُول مذهبهم، وهو «رَسائِل إخْوان الصَّفا وخلان الوَفا»، وقد نجح الباطنيون في إقامة عديد من الدول كما سبق ذكره[١].

وشاهد الحال أنَّ هذه الفرق والدول البَاطنيَّة كانت تعتمد السِّريَّة منهجًا لإخفاء عقائدهم الكفرية ومؤامراتهم الإجرامية، وممَّا يؤكِّد سريتهم ونِفاقهم ما نقله الغزالي من أنه: تمَّ في اجتماع القومِ مِن أولاد المَجوس والمزدكية وشرذِمة من الثَّنوية المُلحدين وطائفة من ملحدَةِ الفلاسفة المتقدمين، -زاد الديلمي-: وبَقايا من الخرمية واليهود واشتوروا في حيلَة يدفعون بهَا الإِسْلام، وقالوا: إن

(١) «أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية»، للشيخ سفر الحوالي، طبعة: دار طيبة الخضراء ١٤٢٩هـ: (٧٠ ـ ٧١).

محمدًا غلب علينا وأَبْطل ديننا واتفَقَ له الأعوان ما لم نقدر على مقابلتهم، ولا مطمَعَ لنَا فيهم من قبيل المُناظرة لما فيهم من العلماء والفُضلاء والمتكلمين والمحققين، فلم يبق إلا اللُّجوء إلَىٰ الحيل والدَّسائس، ثم اتَّفقوا علىٰ وضع حيل وخطَط مدروسة يسِيرون عليها لتحقيق أهدافهم من خلال الأمور التالية:

١. التظاهر بالإِسْلام وحب آل البيت والانتصاف لهم.

٢. دعوىٰ أن النصوص لها ظاهرٌ وباطنٌ.

٣. اختاروا أن يدخلوا علىٰ المُسلمين عن طريق التَّشيُّع، وعلىٰ مذهب الرافضَة، وإن كان هَؤُلاءِ الباطنيون يَعتبرون الرَّوافض أيضًا علىٰ ضلال إلا أنَّهم رأوا أنَّهم أركُّ النَّاس عقولًا وأسخفُهم رأيًا، وألينهم عَريكة لقبول المحالات، وأطوعهم للتصديق بالأكاذيب المزخرفات... فكان ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض[1].

وللفائدة: فها هو البغدادي قد أوجَز عداوتَهم للإِسْلام والمسلمين فقال: «اعلموا أسْعدكم الله أن ضَرر الباطنية علَىٰ فِرق المسلمين أعظَم من ضَرر اليهود والنصارىٰ والمجوس، بل أعظم من الدهريَّة وسائر أصناف الكفرة عليهم، بل أعظَم من ضرر الدَّجال الذي يظهر في آخِر الزمان؛ لأنَّ الذين ضلوا عن الدين بدعوة البَاطنية من وقتِ ظهور دعوتهم إلىٰ يومِنا أكثر من الذين يضلون بالدَّجال من وقت ظهوره، لأن فتنة الدجال لا تزيد مدتها عن أربعين يومًا وفضائح الباطنية أكثر من عدد الرمل والقطر»[2][3].

(١) «فضائح الباطنية»، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، الناشر: مؤسسة دار الكتب الثقافية – الكويت – حولي: (٣٢).

(٢) «الفرق بين الفرق»: (٣٢٨).

(٣) وللفائدة يحسن الرجوع إلىٰ تفصيل لبعض فرق الباطنية: (١/ ١٢٨-١٣١).

هذا هو شأن الفرق الباطنية في عهد بني العباس وما بعد ذلك إلى ساعتنا هذه.. أما الصوفية فنِفَاقهم وشأنهم لا يَقل خطرًا عن الفرق الباطِنِيَّة وغيرهم، فقد شرَّقت وغرَّبت في جنبات العالم الإِسْلامي عبر قُرون من الزمن، وهُم أيضًا يتقربون لأهل السنة وليسوا منهم، وقد خالفوهم في الاعتقاد والأقوال، لقد انتشرت الصوفية في القرنين الثالث والرابع ثم اتسع خرقها وتكاثرت فرقها وطوائفها إلى يومنا هذا[١]..

ومِمَّا لا شكَّ فيهِ أن التَّصوفَ مَنهج نشأ قبل الإِسْلام فكرًا وسلوكًا وعقيدة، وأنه كان في الأمم والديانات السَّالفة وخاصَّة في البرهمية الهندوكية والفلسفة الإشراقية اليونانية والمجوسية الفارسية.. ثم انتقل بعد ذَلكَ إلى الفِكر الإِسْلامي عن طَريق الزنادقة المجوس وأَخَذ مجْرَاه في واقع الأمة الإِسْلامية وتطوَّر حتى بلغ شأوه وَأصبحت له مؤلفات، ووضعت أصُوله وقواعده النهائية في القرن الرابع والخامس الهجري[٢].

ومن الملاحظ أن الصُّوفيَّة والرَّافضة بينهما قَدر كَبير من التَّشابُه[٣] وصلة التَّصوف بالتَّشيُّع شَيء مؤكَّد، فمرجعهم دائمًا من الصَّحابة علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ جميعًا الذي هو أوَّل الأقطاب، وما هُو من مراتب الصوفية ودرجاتهم من الأقطاب والأبدال، إنما هو من مشابهتهم وتأثرهم بالرافضة..

وعوامل النَّشأة لَدى الفرقَتين وطَبيعَة كلٍّ مِنها توجب أن يقترب التشيع

---

(١) «أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية»: (٥٨ ـ ٥٩).

(٢) ينظر «الفكر الصوفي»: (١/ ١٤)، المؤلف: عبد الرحمن بن عبد الخالق اليوسف، مصدر الكتاب: موقع الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق.

(٣) ينظر «شرح الطحاوية»: (ص: ٤٩٣).



والتصوُّف فالشِّيعَة انهزموا في ميدان السِّياسة، والصُّوفيَّة انهزمُوا في ميدان الحياة، وللعلم فأهل فارس هم أكثر الناس تصوفًا بين الأمم الإِسْلامية[1].

والخلاصة لما سبق وبناءً عَلىٰ الشواهد سالفَة الذِّكر ما يشير وبجلاء إلىٰ أن التخطيط السري ومكر الليل هو عصب الفرق الباطنية والصوفية، ففي وضح النهار يتظاهرون بالإِسْلام، وفي جنح الظلام يحيكون الجرائم والفتن.. وقد يكون شأن الرافضة في هذا الصدد أنكىٰ وأعمق[2].

---

(١) ينظر «الصوفية نشأتها وتطورها»: (١/ ٦٩).

(٢) رجعت لبعض مصادر التاريخ فوجدتها قد ذكرت شأن البرامكة في عهد الرشيد وما وصلوا إليه من حظوته وتقريبه لهم وكانوا له وزراء وحاشية إلا أنهم رُموا بالزندقة حتىٰ قال فيهم الأصمعي:

إذا ذكر الشرك في مجلس ... أثارت قلوب بني برمك

وإن تليت عندهم آية ... أتوا بالأحاديث عن مزدك

وقد كان من شأنهم أنهم علىٰ دين المجوسية عبدة النار، فقد جعل البرامكة الإيقاد بالنار في شعبان حتىٰ يصير وكأنه من سنن الإيمان، وإنما كان مقصودهم عبادة النيران وإقامة دينهم وهو أخسر الأديان، وقد نقل بعضهم أن سبب قتل الرشيد لهم هو أنهم أشاروا عليه بإحراق العود والنّد عند الكعبة وأن يُتخذ مجمرة في جوفها يتبخر عليها العود أبدًا، بل أشاروا بتجمير المساجد جميعها، فعلم الرشيد مقصودهم بعد أن أوضح له العلماء ذلك وبينّوا له مقصودهم من عبادة النار فعدل عن ذلك.

من أجل ذلك يُعلم أن البرامكة كان لهم ظاهر وباطن، وبلا شك كانوا يخططون ويتآمرون ويكيدون في خفاء وسرية، وفي هذا إشارة إلىٰ دور العلماء وطلبة العلم في تبصير الولاة والرعية بحقائق الأمور وخفاياها وفضح أحوال الزنادقة والمارقين. ممن رماهم بالزندقة مؤلف كتاب «شذرات الذهب»: (١/ ٣٣٧)، وأيضًا ابن قتيبة الدينوي في كتابه «المعارف»: (١/ ٣٨٢). وانظر «الباعث علىٰ انكار البدع»، لعبد الرحمن أبي شامة: (١/ ٣٦)، و«التبصير في الدين»، للإسفراييني: (١/ ١٤٢)، و«الفرق بين الفرق»: (١/ ٢٧٠).

المطلب الرابع

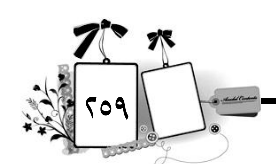
التخطيط السري للمنافقين في العهود المتأخرة

إنَّ الحديث حولَ هذا المبحث في أزمنَتِنا المتأخِّرةِ حَديثٌ ذو شجون؛ حيث تعددت وتنوَّعت أوكار وأقبية المنافِقين السرِّيَّة وتَآمراتهم الخفية على اختلاف مشاربهم وأقطارهم ولغاتهم وأجناسهم، إنها مساجد ضِرار تظهر في شَكل مؤسسات ومراكز وقَنوات ومواقع، بل وتتقولب على شكلِ مَحافل وهيئات وأندية وجَمعيات، يدور في ردهَاتها وبين جدرانِها ما يُكَاد به الإِسْلام وأهله، ظاهرُها الصلاح والإنماء ومشاريع النَّفع العام، وباطنُها من قبله العذاب؛ حيث المؤامرات والتدبير للصدِّ عن طاعة رب الأرض والسموات[1].

وحتى يُحافظ على التسلسل التاريخي لأحدَاثِ هذا المبحث؛ نَجد أن الخلافَةَ العُثمانيَّة قد نُخر عظمُها من داخِلها من خلال جمعيَّات الترقي والاتحاد، وفتاة تركيا، وغيرها من الجمعيات النفاقية التي استشرى فسادُها بتخطيطها السري الماكر، وهي جمعيات يهوديَّة أعلنت الجاهلية الطورانية التركية، فكانت دعوى لإحياء التَّعصب الجاهلي للجنس التركي على حساب العرب والأكراد، وكردة فعل ظهرت في المقابل شعارات العروبة ورايتها.

وتُشير الدراسات التاريخية إلى أنَّه قد سيطر على مقاليدِ الأمُور في تركيا في أواخِر عهد الخلافة شرذمَةٌ مِن منافقي اليهود، الذين كانوا قد قَدِموا من أسبانيا بعد أن طَرَدهم النَّصارى من هناك بعد انتهاء حكم المسلمين في الأندلس، وتكوَّن تحالفٌ من اليهود والنصارى في الخارج مع بعض المنافقين الأتراك في

(١) ولمزيد اطلاع يُرجى الرجوع لمبحث مسجد الضرار: (١/ ٣٨٠).



الداخل، سواءً كانوا من أصول تركية أو من هَؤُلاءِ الدخلاء المهاجرين الذين كانوا مع أعداء الأمة قلبًا وقالبًا.

والمتأمل هنا يلحظ أن عصابة المنافقين هَؤُلاءِ الذين كَان يطلق على أسْلافهم يهود الدوئمَة، لم يتحركوا في بلاد الإِسْلام إلا تحت مسمَّى الإِسْلام، ومن عجب أن تُرك هَؤُلاءِ حتى تسنَّمو مناصب قيادية ووزارية، مع علم المسلمين بأصولهم وخُبثهم.

وقد تحقق لهَؤُلاءِ ما أرادوا بتَحرُّكهم من خلال جمعيات سريَّة مشبُوهة كلها تعمل بإيعاز من اليهود(١)، ثم توالت بعد ذلك على عالمِنا الإِسْلامي حتى ساعتِنا هذه مؤامرات المنافقين السريَّة في غالبها والعلنية في بعض أحايينها، وبحسب ضعف المسلمين وقوتهم يظهرون تارة ويخبون تارات، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين(٢).

❍ وسيأتي بإذن الله مزيد تفصيلٍ لهِذا في آخر مباحث الرسالة.

---

(١) «مجلة البيان»: (١٧٢/ ٦٠).

(٢) ولمزيد اطلاع انظر مبحث مسجد الضرار: (١/ ٣٨٠).

الفصل الثالث

ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول
الفرق المنسوبة إلى النفاق

عِند النَّظر في تعريف النِّفاق نجد أنَّهُ يشمَل كُلَّ من أظهَر الإِسْلام وأبطَن الكفرَ، وقد قال الحسنُ البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النِّفَاق هو اختلافُ السرِّ والعلانيَة والقَول والعَمل والمَدخل والمخرج»(١)..

وبناءً على ذلك فإن أهل البِدع هُم أخصُّ النَّاس بالمعاني المُوجِبة للنفاق؛ لأنَّهم يظهرون الإِسْلام ويبطنون كثيرًا من الاعتقادات المخَالفَة لَه، كالاعتراض على الشرع، وتأليه الأئِمَّة، وادِّعاء تحريف القرآن، والقول بالحلول ووحدة الوجود، واعتقاد سقوط التكاليف، واعتقاد أن الوعد والوعيد مجرد إطماع وتخويف لا حقيقة له، وغير ذلك مما لا يكاد ينحصر.

ولهذا كانت البدع مظنَّة النفاق، وكلما عظمت البِدعَة كلما ازداد صاحبُها إيغالًا في النفاق، فأكثرُ أهل القبلة نفاقًا الفلاسِفَة والباطنية وأهل الاتحاد والوحدة، وأضرابهم ممَّن اجتمعت الأمَّة على كفرهم وخروجهم من الإِسْلام(٢)، ومن أكثرهم نفاقًا في العصر الحديث أصحاب الانتماءات الجاهلية كالانتماء إلى الأحزاب القومية أوالخلايا الماسونية أو المذاهب الإلحادية، أو المنظمات الإباحية.

---

(١) «معجم المقاييس»: (٥/ ٤٥٥)، و«لسان العرب»: (١٠/ ٣٥٩).

(٢) «كتاب التوحيد» للشيخ صالح الفوزان: ص (٤٣).



فجميع هَؤُلاءِ يشملُهُم وصف النِّفاق، وغيرهم ممن قد يمارسون بعض شعائر الإِسْلام ظاهرًا لكنهم -والعياذ بالله- من أشدِّ أعداء الملَّة، وهم في هذا الشأن متفاوتون ويمكن تقسيمهم على النحو التالي:

١. الفرق الباطنية:

وفي مقدِّمتِهم الرَّافضة.. قال شيخ الإِسْلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعامَّة ما يُوجد النفاق في أَهْلِ البدع، فإن الذي ابتدعَ الرَّفض كان منافقًا زنديقًا.. يقصد ابن سبأ، وكذلك يُقال عن الذي ابتدع التجهُّم، وكذلك رؤوس القَرَامطَة والخرمية وأمثَالهم، ولا ريب أنَّهم من أعظم المنافقين، وهَؤُلاءِ لا يَتنازَعُ المسلمون في كفرهم»[١].

وقال في موضع آخر: «ولهَذا كان الرَّفضُ أعظم أبواب النِّفاق والزندقة، فإنَّه يكون الرجل واقفًا ثم يصير معضلًا ثم يصير سبابًا[٢] غالبًا ثُمَّ يصير جاحدًا معطلًا، ولهذا انضمت إلى الرافضة أئمة الزنَادِقة من الإسماعيلية والنصيرِيَّة، وأنواعهم من القرامِطَة والباطِنِيَّة والدرزية، وأمثالهم من طوائف الزنْدَقة والنفاق»[٣].

٢. الفرق الكلامية: فقد نصَّ أيضًا شيخ الإِسْلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ على أن النِّفاق فيهم كثير[٤] كالجهمية والمعتزلة والكلابية والماتريدية والأشاعرة وغيرهم.

---

(١) ينظر «بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية»، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: د/ موسى سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ): (١/ ٣٤١).

(٢) سبابًا: يلعن الشيخين وبقية الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، غاليًا: يرفع عليًا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى درجة الإله ثم جاحدًا: معطلًا لأحكام الدين وشرائعه.

(٣) «مجموع الفتاوى»: (٤/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩)، ومعنى واقفًا: أي متوقف في تفضيل علي على الشيخين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ جميعًا ومفضلًا: أي مفضلًا له عليهما

(٤) «مجموع الفتاوى»: (٤/ ٥٤).

٣. فرق وطوائف أخرىٰ: كالبهائِيَّة والبابيةِ والقاديانيَّةِ[١]؛ فهَؤُلاءِ ومن علىٰ شاكلتهم يتسمَّون بالمسلمين، والإِسْلام منهم براء، ففي معتقداتهم الكُفر البَواح.

٤. الصوفية: بشتَّىٰ طوائفِها وطرقها؛ كالقادريَّة والأحمديةِ والدِّسوقية والبكداشية والمولوية والمَلامتية والتيجانيةِ والشاذلية والنقشبندِيَّة والرفاعِيةِ، وغيرها ممن ضلُّوا السبيل فخرجوا بعقائدهم ومناسكهم إلىٰ الكفْرِ المَحض -والعياذ بالله-.

٥. المذاهب المعاصرة: وممَّا لا شكَّ فيه أن عالمنا الإِسْلامي قد انْتَشر في أرجائه وبين جنباته فكرٌ علماني[٢] ومنهج لِيبرالي[٣] ومعتقدٌ وجودي[٤]، ومبادئ قومية

---

(١) وقد سبق التعريف بهم.

(٢) العلمانية: لفظ العلمانية لا صلت له بالعلم ومشتقاته علىٰ الإطلاق، والترجمة الصحيحة للكلمة هي (اللادينية) أو (الدنيوية) لا بمعنىٰ ما يقابل الأخروية فحسب بل بمعنىٰ أخص هو ما لا صلة له بالدين. ينظر «العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإِسْلامية المعاصرة»، للشيخ سفر الحوالي: (ص ١٣).

(٣) الليبرالية: مصطلح أجنبي معرب مأخوذ من (Libralism) في الإنجليزية، و(Libralism) في الفرنسية، وهي تعني «التحررية»، ويعود اشتقاقها إلىٰ (Libraty) في الإنجليزية أو (Librat) في الفرنسية، ومعناها الحرية، وهي مذهب فكري يركز علىٰ الحرية الفردية، ويرىٰ وجوب احترام استقلال الأفراد، ويعتقد أن الوظيفة الأساسية للدولة هي حماية حريات المواطنين مثل حرية التفكير، والتعبير، والملكية الخاصة، والحرية الشخصية وغيرها. ولهذا يسعىٰ هذا المذهب إلىٰ وضع القيود علىٰ السلطة، وتقليل دورها، وإبعاد الحكومة عن السوق، وتوسيع الحريات المدنية، ويقوم هذا المذهب علىٰ أساس علماني يعظم الإنسان، ويرىٰ أنه مستقل بذاته في إدراك احتياجاته، تقول الموسوعة الأمريكية الأكاديمية: (إن النظام الليبرالي الجديد (الذي ارتسم في فكر عصر التنوير) بدأ يضع الإنسان بدلا من الإله في وسط الأشياء، فالناس بعقولهم المفكرة يمكنهم أن يفهموا كل شيء، ويمكنهم أن يطوروا أنفسهم ومجتمعاتهم عبر فعل نظامي وعقلاني. يقول جميل صليبا: " ومذهب الحرية (Libralism) أيضا مذهب سياسي فلسفي يقرر أن وحدة الدين ليست ضرورية للتنظيم الاجتماعي الصالح، وأن القانون يجب أن يكفل حرية الرأي والاعتقاد. من كتاب: «حقيقة الليبرالية وموقف الإِسْلام منها»، للشيخ د/ عبد الرحيم بن صمايل السلمي: ص (١٠١ ـ ١٠٢).

(٤) الوجودية: هي إحدىٰ مظاهر القلق والضياع الذي يعانيه المجتمع الأروبي المتمرد علىٰ الله تعالىٰ، =

= وهي ما تزال أكثر الفلسفات الألحادية شهرة في العالم الغربي، على الرغم من التقدم النسبي الذي حققته الفلسفة الهدامة الجديدة، المسماة (البنائية) أو (البنيوية). **ما سبب التسمية؟:** الوجودية مشتقة من الوجود لأن ملخص فلسفتها (أن الوجود يسبق الماهية) ومقتضى ذلك ومضمونه: أن الإنسان لا يوجد لكي يتبع مشرّعًا أو منهجا موضوعًا له من قبل، بل وجوده نفسه هو الذي يحدد المنهج الذي يسير عليه والسلوك الذي يتخلق به، وكل فرد حر في الاختيار والتحديد، ولهذا فالوجودية تمثل ثورة على كل الأديان والقيم والأنظمة فهي:

أ. ثورة على النصرانية: لأن النصرانية ترسم للإنسان طريقه في الحياة مقدمًا من خلال انتمائه للعقيدة النصرانية، وتبعيته لرجال الدين وإيمانه بما لا يتفق مع إرادته وعقله.

ب. وثورة على المذاهب الجماعية: لأنها تهتم بالجماعة وتلغي قيمة الفرد وتصهر الناس كلهم على اختلاف ميزاتهم في قالب واحد مصنوع مقدمًا والشيوعية أبرز أنموذج لذلك.

ج. ثورة على المذاهب العقلية عامة: لأنها تغفل عن حقيقة الإنسان في نظر الوجودية وهي (الأنا الباطن) ولأن العقل هو الذي يحدد القيم الثابتة والأحكام المطلقة التي ترفضها الوجودية جميعها، ولهذا كانت كتابات الوجوديين في الغالب أدبية عاطفية وليست فلسفية عقلية.

أقسام الوجودية: ١. الوجودية الصوفية: ويسمونها (الوجودية المؤمنة) وأشهر زعمائها (كارل ياسبرز) المتوفى سنة (١٩٦٩م).

٢. الوجودية الإباحية: ويسمونها (الوجودية الملحدة) وهي المقصودة إذا قيل: الوجودية بإطلاق، فأما الوجودية الصوفية فهي مثال المعاناة القاسية الناتجة عن عدم الثقة في العقيدة النصرانية، مع إلحاح الفطرة على ضرورة الإيمان دون أن تهتدي للإيمان الصحيح، فأصحابها لا ينكرون وجود الله، ولكنهم غير مقتنعين بإله الكنيسة، فراحوا يتخبطون في متاهات التصوف الهندوسي وغيره. وأما الوجودية الإباحية فأصلها الفيلسوف اليهودي الألماني (نيتشه) المتوفى سنة (١٩٠٠م) وقد كان بحكم يهوديته عدوّا للنصرانية، فأعلن بجرأة أن (الرب قد مات) وحلّ محله الإنسان الأعلى (سوبرمان) الذي يمثله مجموعة مختارة من الإفذاذ، يجب، أن يخضع لهم سائر الناس، وأعلن أن النصرانية هي أغلال وقيود تقضي على إنسانية الإنسان وحريته وتجعله عبدًا ذليلًا لمجموعة رجال الكنيسة.

ورأس الوجودية الإباحية في القرن العشرين هو (جان بول سارتر) المتوفى سنة (١٩٨٠م) وهو =

وشعوبية[١]، وانتماءات بعثية ماركسِيَّة[٢]، ناهيك عن كون بعضهم يدعو والرَّأسمالية[٣] والتَّغريب[٤]، إلى غير ذلك ممَّا يستجِدُ في عصرنا يوما بعد يوم.

= يهودي فرنسي، نشأ أول أمره اشتراكيًا ثم أحيا مذهب سلفه (نيتشه) فدعا للوجودية، ولكنه لم يستخدم العقل والفلسفة وإنما استخدم الأدب، حيث العاطفة والحلم والأسطورة وبذلك أتاح لفكرته رواجًا أكبر، تجنب بها ميدان العقل ليقيها من النقد الفلسفي الذي لا تستطيع أن تصمد أمامه. انظر «المعجم الفلسفي» (١/ ٤٦١، ٤٦٥)، Encyclopdia Amrican Acadmic libralism، و«أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية».. للشيخ سفر الحوالي: (١٣٦ ـ ١٣٨).

(١) القومية العربية: هي حركة سياسية فكرية متعصبة تواطأت الصهيونية العالمية والدول الصليبية لبعثها لتمزيق دولة الخلافة العثمانية وتفكيك رابطة العقيدة الإِسلامية، تدعو هذه الحركة إلى تمجيد العرب وإقامة دولة موّحدة على أساس من رابطة الدم والقربى واللغة والتاريخ وإحلالها محل رابطة الدين، وهي صدىً للفكر القومي الذي سبق ظهوره في أوربا.
هذا التعريف مزيج من تعريفين: الأول من «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة»: (ص ٤٠١)، والثاني من كتاب «أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية»، للشيخ سفر الحوالي: (ص ١١٨).

(٢) حزب البعث: هو حزب قومي علماني يقوم على ثلاثة مبادئ الوحدة والحرية والاشتراكية ويدعو إلى الانقلاب الشامل في المفاهيم والأفكار والعقائد والقيم لصهرها وتحويلها إلى المذهب الاشتراكي.
شعار هذا الحزب (أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة) مؤسسه ميشيل عفلق ومعه صاحبه وزميله البيطار، وقد اندمج حزب البعث مع الحزب العربي الاشتراكي الذي كان يقوده أكرم الحوراني في حزب واحد أسموه (حزب البعث العربي الاشتراكي).. من كتاب «حزب البعث تاريخه وعقائده»، للشيخ سعيد بن ناصر الغامدي، طبعته: دار الوطن -١٤١١هـ: (ص ٩، ١٤).

(٣) الرأسمالية: نظام اقتصادي ذو فلسفة اجتماعية وسياسية يقوم على أساس تنمية الملكية الفردية والمحافظة عليها متوسعًا في مفهوم الحرية، كم ذاق العالم من هذا النظام ويلات ونكبات وضغوط وتدخلات سياسية واجتماعية وثقافية.. من كتاب «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة»: (ص ٢٣١).

(٤) التغريب: تيار كبير ذو أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية.. يرمي إلى صبغ حياة الأمم بعامة والمسلمين بخاصة بالنمط الغربي وجعلهم أسرى التبعية الكاملة للحضارة الغربية. =



وهَؤُلاءِ جمِيعُهم ومن كان علىٰ شاكِلتِهم غالب لبوسِهم الإِسْلام، ولكِن حَقيقتهم التي تظهرها مقالاتهم وحوارَاتهم وأُطروحَاتهم وبعض مؤلفَاتِهم، وما يجري في دهاليز التَّآمر وأروقة الكَيد والمكر وأقْبية الفساد والإفساد، كلُّها طافِحةٌ بِصريح ما عليه فؤادُ كُل منهم مما انطوت عليه نفسه واصطبغت به روحه، فكانوا منافقين ولكن بزيٍّ عَصْراني، يخالِطوننا فهم بين ظَهْرانينا لكن أرواحهم وأهواءهم وعقُولهم وأهدافَهم وغايَاتِهم في أودية الضلال وشعاب الكفر، قد جَهدوا جهدهم في تنحية الشَّريعة وإقصاء الدِّين عن واقع شعوبهم وبني قومهم، وصبغ حياتهم بالمظهر والسلوك الغربيِّ.

= وحركة التغريب هذه عبارة عن دعوىٰ كاملة لها نظمها وأهدافها ودعائمها تخدمها مؤسسات كثيرة أهمها: التنصير ويسمونه (التبشير والاستشراق.. وقد قامت هذه الحركة أساسًا كمحاولة لتغيير المفاهيم في العالم الإِسْلامي، والفصل بين هذه الأمة وبين ماضيها وقيمها والعمل علىٰ تحطيم هذه القيم بالتشكيك فيها وإثارة الشبهات حول الدين واللغة والتاريخ ومعالم الفكر ومفاهيم الآراء والمعتقدات جميعًا.

وما تزال مؤامرة التغريب من أخطر المؤامرات التي واجهت الدعوة الإِسْلامية خلال القرن الرابع عشر الهجري وما تزال آثارها ممتدة إلىٰ اليوم.. وترجع هذه الحملة إلىٰ نصيحة ذاك الصليبي العجوز (لويس التاسع) ملك فرنسا عندما سجن في المنصورة بعد هزيمة جيوشه خلال الحملة الصليبية الثانية، وبعد طول تأمل كتب مذكرة خطيرة أشارت إليها مراجع عديدة يحدد فيها الموقف من العالم الإِسْلامي بعد الحروب الصليبية.. وأشار لويس التاسع في وثيقته إلىٰ أنه لا سبيل إلىٰ السيطرة علىٰ المسلمين عن طريق الحرب والقوة وذلك بسبب عامل الجهاد في سبيل الله.. وأن المعركة مع المسلمين يجب أن تبدأ أولًا من تزييف عقيدتهم الراسخة التي تحمل طابع الجهاد والمقاومة.. ولا بد من التفرقة بين العقيدة والشريعة. انظر «الموسوعة الميسرة»: (ص ١٤٥)، و«الصحوة الإِسْلامية»، الأستاذ أنور الجندي، دار الاعتصام: (ص ٣٧٧، ١٤٣)، و«العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب»، محمد الناصر: (ص ٩٥).

ركبوا صهوة المدنية الزَّائفة وتبعية الحضَارة الغربية الآيلة للاضمِحْلال والزوال.. فكانوا معَاوِل هدم ومقوِّضي بُنيان حتى صدَق فيهم قول المستشرق شاتلي أو قريبًا منهم زعيم التبشير زويمر ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾.

قال شاتلي: إذا أَرَدتُم أن تغزو الإِسْلام وتكسروا شَوكته، وتقضوا على العَقيدة التي قضت على كل العقائد السَّابقة واللاحقة، والتي كانت السبب الأول والرئيس لاعتزاز المُسلمين وشُموخِهم وسبب سيادَتهم وغزوهم للعالم، عليكم أن توجِّهوا جُهودكم هذه إلى نفوس الشبابِ المُسلم وأن تُميتو في نفسه روح الاعتزاز بماضيه وتاريخِه وكتابه القرآن، وعليكم أن تحوِّلوهم عن ذلك بواسطة نشرِ ثقافتكم وتاريخكم ونشر روح الإباحيَّة، وتوفير عوامل الهدم المعنوي حتى لو لم نجد إلا المغفلِين والسذج والبسطاء لكفانا ذلك؛ لأن الشجرة يجب أن يتسبب لها بالقطع أحد أغصانها(١)..

أما زويمر فقال: يَجب تبشير المسلمين بِواسطة رسول منْ أَنْفُسهم ومن بين صُفوفهم لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أغصانها(٢).

وإن مما رُزئ به العالم الإِسْلامي أن هَؤُلاءِ المنافقين عَلى اختِلاف أجناسِهم وتعدد مذاهبهم وتوجُّهاتهم هم عليَةُ القَوم، فهُم المتنفذون إعلاميًّا وهُم الوزراء وملَّاك القَرار حكوميًّا، هم في الغالب جُلاس الزُّعماء وحاشية الأمَرَاء وعيبة نصح الوجهاء، إلا ما رحم الله.

وغالب هَؤُلاءِ ممن تلقى ثقافَته ودراسَته في بلاد الغرب، ينهَلُ مِن مستنقعِهم

---

(١) «الاتجاهات الفكرية المعاصرة»: (ص ١٢).

(٢) في كلمة ألقاها في مؤتمر القاهرة للتبشير عام ١٩٠٦م ومن النكاية أن يُعقد ذلك المؤتمر في منزل الزعيم المسلم أحمد عرابي بعد هزيمته ونفيه.. نقلًا عن «مجلة الجامعة الإِسْلامية»: (١٣/ ١٧٥).

الآسِن ويتشرَّب فِكرَهم المنحرِف ويدعو إلى منهجهم الضال، فإذا عَادوا إلى ديارهم وأوطانهم كانوا أوفياء لأسيَادِهم الغربيين ينفِّذُون توصياتهم ويسعون في تحقيق أهدافهم ومطامعهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة البقرة: ١٤].

وخلاصة القول: إنَّ كلَّ طائفة ونحلَةٍ ومَذهب وطريقة وفرقَة يَستتر بالإِسْلام وهُو في حقيقته معادٍ له محارب لأهله فَهو مُنافق مَعلُوم النفاق.

~~·~~·~❦~·~~·~~

المطلب الأول
الماكيافيلية والنفاق

الماكيافيلية نسبة إلىٰ نيكولا ميكافيلي، المولود عام (١٤٦٩م - ١٥٢٧م) بمدينة فلورنسا الإيطالية، وقد أتاح له وَضعُه الاجتِمَاعي الحسَن فُرصة للتَّعليم العالي في مجالات مُختلفة؛ مثل الأدب والقَانون والتَّاريخ والفلسفة، وقد استطاع أن يَصلَ إلىٰ منصب (السكرتير الأوَّل لحُكُومة فلورنسا)، وقد أُوفِد من قبلِ الحُكومة مُمثلًا لها إلىٰ المُدن الإيطالية والدُّول الأجنبية، واستَطَاع خلال هذه الفترة الاطِّلاع علىٰ خَبايا الحياة السياسية وأسرارها عن قرب.

وأبرزُ وأشْهرُ مَبادئ ميكافيلي: (الغاية تبرر الوسيلة)، وأصبح لقب (أنت إنسان ميكافيلي) يُطلق علىٰ كل من تبنَّىٰ هذا المبدأ أو عمل به، وعليهِ فإنَّ الهدف النَّبيّل السامي يضفي صفَة المَشروعِيَّة لجميع الوسائل والسُّبل التي تحققه مهما كانت قاسية أو ظالمة، فميكافيلي لا ينظر لمدىٰ أخلاقية الوسِيلة المتَّبعة لتحقيق الهدف، وإنَّما إلىٰ مدىٰ ملائمة الوسِيلة لتحقيق الهدف، (فالغاية عنده تبرر الوسيلة)، كان هَذا المبدأ هو الركيزة الذي استند عليهِ في أغلب نصائحِهِ في كتابه المسمَّىٰ (الأمير)، والذي هو مجموعة من الأفكَارِ والتَّجارب السياسية ضمَّ إليها عددًا من النصائح للحاكم.

فآراؤه فِي تَبريرِ الوَسائل المُنافيَة لفضَائل الأخْلاقِ تَدور حول السياسَة وأخلاقِ الحاكم وذَوي السُّلطة، وقد أخذ مُعظم أرباب السياسَة في الشَّرق والغرب بهَذا الاتجاه الميكافيلي وفقَ أقْصىٰ صُورِه المنحرفة؛ ولذا كان من أهم صفات الأمير أو الحَاكم في نظر ميكافيلي من ناحِيَة الأخلاق أن يتعلَّم كيف يتخلَّصَ مِن عهوده ووعوده إن كانت عبئًا عليه، وعدم التردد في استعمال القوة عند الضرورة[1].

---

(١) جزء من بحث في موقع «ملتقىٰ العقيدة والمذاهب المعاصرة» علىٰ الإنترنت.



وهنا وقْفَة، ألا وهي أن النِّفاق قائمٌ على الكذب في الحديث، ونقض العهد، وخفر الميثاق ونحو ذلك.

وإنه ليتساءل كل منْ لَه مَزعة مِن عَقل عن التَّفسِير المَنطِقي لهَذا الرأي المُنحرف والمبدأ المنحل: (الغاية تبرر الوسيلة)، والذِي لا يستطِيع إنْسان في الدُّنيا أن يقبَله على إطلاقه، مهْمَا بلغت به الجرِيمَة ومهما بلغ به الشُّذوذ الفكريُّ والنَّفسي.

مِن المَعروف في الحيَاة أنَّ لكُلِّ إنسان ولكل مجموعة بشرِيَّة مطالبٌ نَفسية وحاجات جسدية، وأنه لا بُدَّ لِتحقيق أي مطلب من مطالب النَّفس وحاجة من حاجَات الجسد من اتِّخاذ وسيلة إلى ذلك، فهل يَصحُّ في عقل إنسان عاقل اتخاذ أيَّة وسيلة في الدنيا مهْمَا كان شأنها عظيمًا، لأيَّة حاجة مهْمَا كان شأنها حقيرًا تافهًا؟.

وحينما يروِّج صغار العقول أو المُجرمون آراء مِكيافيلي هذِه التِي تقول: (إن الغاية تبرر الوسيلة)، ويَدَعُونَ هذا الكلام يَسير على إطلاقه دون قيود المَنطق السليم والحق الثابت، والفضيلة المُثلى، فإنهم لا بُدَّ أن يتصرَّفوا في حياتهم تصرف المجانين أو يكونوا شياطين مجرمين يخادعون الناس بهذه الآراء التي يطلقون عليها زورًا وتزييفًا اسم (نظرية)؛ ليفعلوا كلَّ جريمة دون أن يُسميهم الناسُ مجرمين، لقد سَتروا أنفسهم المجرمة بطلاء ما أسموه نظريَّة ميكافيلي.

إنه من البَدهي عنْد ذلِك أن تبدو لنَا أمثِلة تَطبيقِيَّة غَريبَة ومضحكة جدًّا أَخَف منها ما يجري داخل مستشفيات الأمراض العقلية.

إنه يلزم من تعميم الفكرة المكيافيلية أن لا يكون من المستغرب:

أ) أن يحرق المِكيافيلي مجموعَة مِن أورَاق النَّقد ذات الأرقام العالية، والقيمة الكبيرة، ليغلي علَيها ما يُصلح فيهِ كأسًا من الشاي، أو فِنجانًا من القهوة فغَايته التي هي شرب الشاي أو القهوة، تبرر له وسِيلة إحراق الأوراق النقدية الكبيرة،

وخسارة الألوف مقابل شراب لا يساوي بضعة فلوس.

ب) ويلزم من هذا المَذهبِ أن لا يرىٰ المِكيافيليون مانعًا من إلقَاء مخطوطات علميَّة عظيمة نادرة في نهر كبير لِتكون بمثابة جِسر مؤقت تعبر عليه جيوش الغزاة، وليس من المهم بعد ذلك أن تخسر الإنسانِيَّة ذخائر المنجزات العلمِيَّة والفكرية الحضارية التي خلفَتْها القرون الأولىٰ، فالغاية عندهم تبرِّرُ الوسيلة.

ج) وأن لا يروا مانعًا من تجويع الألوفِ مِن البشر وسَرقة خيراتهم؛ ليستَمتِع مجرم واحدٌ بِمظاهر الترف والرفاهية، فالغاية تبرر الوسيلة.

د) وأن لا يروا مانعًا من أن يحْرِق إنسان مدينَة كاملة ليتمتع بمُشاهدة لهيب نار عظمىٰ عن بعْد، ثم يُدين بها برءاء ويعاقبهم بهذه الجريمة النكراء، كما فعل (نيرون) إمبراطور رُوما.

هـ) وأن يقذف إلىٰ حلبَةِ المُصارعة وحشًا ضاريًا جائعًا وإنسانًا بريئًا ليتَمتع بمُشاهدة ظَفر الغَالب منهُما ومصرع المغلوب، وقد مارست روما في أوج سلطان إمبراطوريتها من ذلك الشيء الكثير.

كل هذا ونظائِره يَنبغِي أن يكُون مقبولًا لدىٰ المكيافيليين؛ لأنَّ الغَاية تبرِّر الوَسيلة أليست هَذه الأعمال الجُنونية أو الإجْرامية وسائلُ لِغايات؟ فإذا كانت الغَايات مطلقًا تبرر أيَّة وسِيلة دون قيد أو شرط، فما أجْدَر المكيافيلي الذي يأخُذ بهذه الفِكرة الفَاسدة أن ينحدر إلىٰ أدنىٰ مرتبةٍ يُمكن أن تتصور في الوجود[١].

إن مَن تأمَّل كَلام ميكافيلي في مَواضع من كتابِه الأمير، لا يُخالجه الشَّكُّ فِي كونه يدعو كل أميرٍ وحَاكم وذي سلطان أن يَكون منافقًا، ولكن باحترافية عاليَة ودهاء عميق حتىٰ لا يفتضح أمام الجماهير ودُونك بعض شواهد:

---

(١) المرجع السابق.



ليس من الضَّروري أن يتَّصف الأمير حقيقَةً بكل الفَضائل، ولكن من الضَّروري أن يُذاع عنه الاتصاف بها، وإني أجْسر فأقول إن الاتِّصاف بكلِّ تلك الفضَائل خطر، ولكن الظهور بالتحلي بها نافع، إنَّه من الخير لك أن تظهر بالتَّقوىٰ والأمانَة وحُب الإنْسَانية والدين والإخْلاص وأن تكون في الواقع كذلك، ولكن يَنبَغي أن تكون مُتنبهًا بحيثُ إذا اضْطُررت للتحول إلَىٰ الصِّفات الأخرىٰ كان ذلك دونَ مشَقَّة، وينبغي العِلم بأنَّ الأمِير لا سِيَّما الحديث لا يُمكنه ممارَسة كل تلك الخِلال الموصوفة بالحسن لدىٰ الرجال، لأنه يكون في أغلب الأحيان مضطرًا للاحتفاظ بالملك، فيعْمَل ضدَّ الإيمان والإحسان والإنسانية والدين.

○ قيمة تعاليم ماكيافلي:

أرأيت أيها القارئ مقدار الدين والأخْلاقِ في نَظر ماكيافلي؟ ومع ذلك فقد اعتُبر كتابه (الأمير) أعظَم كِتاب في فَلسفَة السِّياسةِ والحُكم، واعتبر ماكيافلي أنَّه رفَع الستار عن أسوار صِناعَة الحكم الدقيقة، وأنه وضَع علمًا جديدًا بحذَافيرِه هُو علم السياسة العمَلِية حل في ألغاز السِّياسة، وصيَّر صنْعة الحُكم الصَّعبة المِراس عمليَّة كعمليات الجبر البسيط، وغذىٰ بآرائهِ وحكَمِه نفوس جميع أبطَال التاريخ الحديث.

واشتقَّ مِن اسمه مذهب في السياسة سمىٰ ماكيافلزم Machiavlism يتضمن مبادئه التِي تَرتكز علىٰ كل عملٍ قائِم علىٰ الخبث والدَّهاء المقرونين بالأثرة وتقديم الغاية علىٰ حسن الواسطة، وقد اجتمع المُؤرخُون أو كادوا علىٰ أنَّ لَقب ماكيافلست أصْبح علمًا عَلىٰ كل سياسي شديد قَوي العقل والقلب، لا يَقف بِه الشرف أو العفة أو هيبة الله دون اقتراف أفضع الآثام لبلوغ الغاية[1].

(١) المرجع السابق.



لقد دفع ماكيافلي القُلوب المَريضة إلَى أن تَستغْرِق في أسباب مَرضِها، وأن تسدر في غلوائها وأهوائها، وجعلَها ضَحيَّةً لِشهوة الحُكم والسُّلطان، وبعد أن كان الحُكَّام ورِجال السياسة يَمشُون في النِّفاق والكَذب مشية الحذِرِ المُترقِّب الوَجلِ، ويعتبرون أنفُسَهم خارجين عن حدُود الدِّين والقانون، إذا بهم يجدون مِن ماكيافلي مُرشدًا يعلِّمهم أنَّ البُعد عن النِّفاق باسْم الدِّين أو الحكْمِ أو الخُلُق الحَسن وهمٌ وحمقٌ لا كياسة فيه، ما دام أمر الملك يقتضي ذلك، وكأن تعاليمه كانت رقْيَة من رقىٰ إبليس، مسَّت أحد أغلاق جهنم فانفتح بمسها ألوف من أبواب الرجس، يفور نَتنُها ويصَّاعد لَهيبها علىٰ ضحايا البشر.

وفرقٌ واسع أنْ يرتكبَ الشَّر باسمِ الشَّرِّ طوعًا لشهوة جامِحة تأخذ بِخناق صاحبها، وبينَ أن يرتَكبه وهُو يتشَدَّق أن يَفعل حقًّا لا إثْم فيه، ويدخل الغِش علىٰ نفسِه فيخْدَعها ويوهمها أنَّ مَا يفعله كياسَة تتَّفق مَع اتِّساع علمه وحدة ذكائه(١).

❍ الماكيافيلية مبدأ يهودي:

من أهم ركائز اليهود في تحقيقِ مُراداتِهم ونَيلِ مَطامعهم، اعتمادُهم علىٰ مبدأ (الغاية تبرر الوسيلة)، وأكَّد هذا المعنىٰ في حياتهم إيمانُهم بأنَّهم شعب الله المختار، وأنَّ غيرهم أمِّيون، يتعاملونَ مَع غيرهم من البَشر بمعايير مزدَوجَة وأخلاقيات مُشينة، فلا وفاء بعهود ولا التزام بمواثيق: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ٧٥].

ومن تأمَّل شيئًا من تعاليم التلمود لديهم وَجد أنها تدعو اليهود إلىٰ النفاق من خلال بوابة (الغاية تبرر الوسيلة) فمن ذلك:

أ). جاءَ في التَّلمود: مصرَّح لليهودِي أن يُجامل الأجنبي ظاهرًا ليتقي شرَّه علىٰ

---

(١) «النفاق والمنافقون في عهد رسول الله ﷺ»: (ص ٢٥ ـ ٢٧)، لإبراهيم بن علي سالم.



أن يظمر له الشر والأذى(١).

ب). وجاء في التلمود أيضًا: إذا اسْتطاع يهودِي ما خِداع الوثنيين بإدعائه أنه من عبَّاد النجوم مسموح له أن يفعل ذلك(٢).

ج). وجاء في التلمود أيضًا: يجوز لليهودي أن يَحلف يمينًا كاذبة، وخاصة في معاملته مع باقي الشعوب(٣)..

بل إن اليهود في سَبيل سَيطرتِهم على العَالم لا يبالون ولا يترَدَّدُون في الإفسَاد في الأرض بإهلاك الحَرث والنَّسل، وإشْعال الحروب، ودعم منَظَّماتِ التَّخريب وجماعات القلاقل، وتَدمير اقتصاديات الدولِ، والسَّيطرة على الإعلام بِبثِّ كُل ما هو مقوِّض للأخلاق والقيم، غير آبهين بمقدرات الشُّعوب ومصالحها ومكتسباتها، يقول أوسكار ليفي: (نحن اليهود لسنا إلا مُفسِدي العالم ومحركي الفتن فيه وجلاديه)، ويقول موريس صمويل: (نحن اليهود المدمِّرون لكُلِّ شيءٍ، ولسوف نبقى مدَّمرون للأبد)(٤).

وصدق الله: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗا﴾ [سورة المائدة: ٦٤]. ما غايتهم؟! وما هدفهم؟ تُجيب على هذا توصيات مؤتمر بلغراد الماسوني عام ١٩٩٢م ومنها: (يجب ألا نَنسَى بأننا نحن الماسُونيين أعداء الدِّين.. وقالوا: ستحل المَاسونية محل الأديان ومحافلها سَتقوم مقام المعابد)(٥).

---

(١) عبد الله التل، «جذور البلاء»: (ص ٨٠).

(٢) آي بي برانايتس، «فضح التلمود»: (ص ١٣٣).

(٣) إبراهيم خليل، «إسرائيل والتلمود»: (ص ٧٧)، ولمزيد اطلاع فليراجع مبحث «النفاق عند اليهود» من رسالة الماجستير (١/ ٣٣٨).

(٤) «واقدساه»: (٢/ ٣٩٢ـ ٣٩٣).

(٥) «مكايد يهودية»: (٢٣٧).

فيا عجبًا بعد هذا كيف نطمع في مجاورَة إسرائيل بسلامٍ، أو نثقُ في وعد أو عَهدٍ لها وهم من قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٧٦].

ومن كان له أدنىٰ تَتبع يَسير لما عليه حالُ الفِرق والمذاهب والطَّوائف التي حَادت عن منهَج الله تعالىٰ، يجد أن هذا المَسلَك يكاد يكون ركِيزة مِن ركائزِها وَوسيلة رئيسَة من وسَائلها، ودونَك أمثلة عجلىٰ تثْبِت ذلك وتؤكِّده.



المطلب الثاني

الشيوعية الحمراء

إنَّ الشُّيوعيين مِن أجل الوُصول لأهدافهم، يَستحلُّون كلَّ محرم، ويرتكبون كل نقِيصَة، ولا يتورَّعُون عن فعل كلِّ قَبيح؛ سفكًا للدماء، وحصدًا للأرواح، وكنظرائهم الأروبيين أبناء موروث ثقافي واحِدٍ تقْريبًا من مبادئهم المقدسة: (الغاية تبرر الوسيلة)، فَها هو لينين الذي وضع الشُّيوعية موضع التنفِيذِ يقول: إن هلاك ثَلاثة أرباع العالم لَيس بشيء، إنَّما الشيء الهامُّ هُو أن يصبح الربع البَاقي شيوعيًّا[1].

وبالفعل طُبقت هذه القاعدة في روسيا أيام الثورة وبعدَهَا، وكذلك في الصين وغيرها؛ حيث أبيدت الملايين من البَشر، ففي فترة حكم دام ٧٤ عامًا كان زعماؤه لينين وستالين ومالينكوف وخروتشوف.. إلى أنَّ حَكم آخرهم غورباتشوف، جرى ذبح الآلاف من أهل الحكم الطَّامعين والطامحين، كما تم ذبح خمسة ملايين في حَرب أهْلِية، ثم ذبح حوالي عشرَة مَلايين في عملية تصفِيَات ستالينية داخلية في الثَّلاثينات، ثم ذُبح ضِعف هذا العدد في الحَرب العالمية الثانِية، ثم حُصِدت أرواح الآلاف في أفغانستان، فَكانت حصيلة حكم هذا الحزب الغاشِم الدموي السَّفَّاح قُرابة الأربعين مليون في موت غير طبيعِي، وفي تدابير استبدادِيَّة تعسُّفيَّة تحَوَّلت معها المساجد والكنائس إلى زرائب للخنازير[2].. أمَّا جرائمهم في الجمهوريات الإِسْلامية فَشيءٌ يَفوق الوصف وتتقطع له نياط القلب.

---

(١) ينظر «حقيقة الشيوعية»: (ص ٢٥)، علي أدهم.

(٢) «مجلة البيان»: (١٠٦/٤٣)، مع تصرف يسير، مع إن بعض المصادر تشير أن الثورة الشيوعية قامت على انقاض ٦٠ مليون من البشر.

يقول إنجلز أَحَدُ كِبار الشُّيوعيين معبرًا عَن الأخلاق: إنَّ الأخلاق التي نؤمن بهَا هِي كل عَملٍ يؤدي إلىٰ انْتِصار مبادئنا مَهما كَان هذا العمل منافيًا للأخلاق المعمول بها[١].

ويقول لينين: يَجب علىٰ المناضل الشُّيوعي الحق أنْ يتمرَّس بشَتَّىٰ ضُروب الخداع والغش والتضليل، فالكِفاح من أجل الشُّيوعيَّة يبارك كل وسيلة تحقق الشيوعية[٢]. ويقُول أيضًا: إذا لم يكُن المناضِلُ الشيوعِي قادرًا علىٰ أن يغيِّر أخلاقه وسلوكه وفقًا للظروف، مهما تطلَّب ذلك من كذب وتضليل وخداع، فإنه لن يكون مناضلًا ثوريًّا حقيقيًّا[٣].

~~~

(١) ينظر «مذاهب فكرية معاصرة»: (ص ٣٠١)، لمحمد قطب.

(٢) المرجع السابق: (ص ٣٠١).

(٣) المرجع السابق: (ص ٣٠١).
~~~



المطلب الثالث

الاستعمار الغربي

عرَّف الشِّهابي وحبنكة الميداني الاسْتِعمار: بأنه استيلاء دَولَة أو شَعب عَلى دولة أخرى وشَعب آخر؛ لنَهب ثَرواتِه وتَسخير طاقات أفرادِه، للعمل على استثمار مرافقه المختلفة(١).

وهذا التعريف يشمل أنواع مُختلِفَة من الاستعمار لا تَختلف عن بَعضها إلا بالأسْماء وبعض الأشكال، فمن أشْكال الاستعمار أن تَضع دولة ما أُخرى تحت حمَايتها وإشرافها، وتسلبها من حريتِها بِقدر ما يتناسب مع قوَّة هَذه الدولة وضعف تلك، وفي الأغلب يكون للدولَة المحميَّة شبه سيادة داخلِيَّة يمارسها حكام وطنيون تديرُهم الدولة المستعمِرة من خلف ستار، ومن أمثلة هذا الشكل للاستعمار ما فعلتهُ فَرنسا في تونس حيث وقَّعتا معًا معاهدة حماية في ١٢/ ٥/ ١٨٨١م، ثم جُددت في ٨/ ٦/ ١٨٨٣م وبموجب بنود هذه الحمايَة فقدت تونس سيادتها الخارجِيَّة وحقها في التمثيل الدبلوماسي المستقل، كما سُلبت حق إبرام المعاهدات الخارجية، وعينت فرنسا آلاف الموظفين يرعون مصالحِها فيها يرأسهم المقيم العام.

وما حصل في تُونس كرَّرته فرنسا في مراكش بموجب معاهدة ٣٠/ ٣/ ١٩١٢م، وفعله الإنجليز في مصر خلال احتلالهم لها بين عام ١٩١٤ ـ ١٩٢٢م(٢).

وبعد الحرب العالِمِيَّة الأولى ظهر شَكلٌ جديد من أشكال الاستعمار أقرَّته عصبة

---

(١) ينظر «المعجم الوسيط»: (٢/ ٦٢٧)، و«أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها»: (ص: ٥١)، لحبنكة الميداني، و«محاضرات في الاستعمار»، لمصطفى الشهابي: (ص: ٢٣).

(٢) ينظر «محاضرات في الاستعمار»: (ص ١٥ ـ ٢٠)، لمصطفى الشهابي.

الأمم المتحدة التي تكونت حينذاك كمنظمة أُمَمِيَّة لنشر السلام ومنع الحروب، فقد كرست عصبة الأمم نوعًا جديدًا من الاستعمار وهو الانتداب؛ حيث ورد إجازته في المادة ٢٢ لميثاق عصبة الأمم التي اعتبرته طريقَة للنهوض بالشعوب القاصرة، والأخذ بيد هذه الأمم لتكون قادرة على تسيير أمورها، لكنَّه في الحقيقة كان مظهرًا للاستعمار ووسيلة لامتصاص خيرات الشعوب وثرواتها[١].

وفيما عدا هذين الوجهين أَسْفَرَ الاستعمار عن وجهه الكَالح؛ فأعلن ضمَّه لبعض الدول إلى مستعمراته كما فَعلت فرنسا بالجزائر.. ومِن هنا يَعلم كل مطلع كَيف أن الاستعمار كان يتعامل بالطَّريقة نفسها، فلا مُراعاة لحقوق الشعوب وحرياتها ولا احترام لِقيمها وأخلاقياتها، بل عاثَ في البلاد المستعمَرة فسادًا يعبث بالمقدسات، ويجفف منابع الصلاح والإصلاح، ويمسح هوية الأمة ويَنهَب الثروات ويقمع كل حركات المقاومة، إلى غير ذلك ممَّا سيأتي بعض تفصيله في الأسطر التالية..

○ رؤية تاريخية للاستعمار:

وقد بدأ الاستعمار الغربي للعالم مَع بداية عصور النَّهضة في أوروبا؛ حيث استفاقت أوروبا علَى وَقع طُبول الإصلاح الدِّيني والسِّياسي في القَرن الخامس والسادس عشر، ومنذ أفاقت أوروبا بدأت تَحرُّكاتها للإطباق على العَالم الإِسْلامي، فانتشرت المراكبُ الاستكشافية تَجوب البحار بحثًا عن تحقيق أهداف الاستعْمار المختلفة الدينية والسياسية والاقتصادية.

وفي عام ١٤٩٩م توصل فاسكودي جاما إلى طَريق رَأس الرَّجاء الصالح، فوصل البرتغاليون إلى الشَّواطيء الهندية بَعيدًا عن المرورِ في الأراضي الواقعة في سلطة الخلافة العثمانية.

---

(١) المرجع السابق: (ص ٢٠ـ ٢١).



وما كان العهد الأول من القرن السادس عشر يَنقضي حتَّىٰ كان البرتغاليون قد أحكموا السَّيطرة علىٰ شواطيء شرق أفريقِيا وغربها، إضافة إلىٰ شواطيء الخليج وفارس والهند(١).

وفي عام ١٦٠٠م أنشأت بريطانيا أوَّل جهاز استعماري لها تَحت مسمىٰ شركة الهند الشرقية البريطانِيَّة، ومثله صنعت فرنسا عام ١٦٦٤م، فأنشأت ما أسمته بشركَة الهند الشرقية الفرنسية، وبدأ الصراع والتنافس بين الدولتين، وانتهىٰ بانتصار الإنجليز عام ١٧٧٥م (١١٧١هـ) وخروج فرنسا من الهِند والصين.

وفي عام ١٧٩٨م (١٢١٣هـ) وصل نَابليون يقود الحملة الفرنسية علىٰ مِصر، ثم حاول السَّيطرة علىٰ بلاد الشام، فغَادر وهو يحمل يجر خُطىٰ الخيبة والوبال لكثرة مَن قتل من جنوده هناك، ثُمَّ ما لبث أن عاد إلىٰ فرنسا ولحقَته جُيوشه عام ١٨٠١م..

وفي عام ١٨٢٧م أعلن الملك شارل العاشِر عزم فرنْسا علىٰ إنْشاء مستعمَرة ذات شأن في شمال أفريقيا، وزحفت الجيوش الفرنسية لاحتِلال الجَزائر عام ١٨٣٠م واستتَبَّ الوَضع لهم في الجزائر بها عام ١٨٨١م، وهي نَفس السَّنة التي أعلنت فرنسا وضعها تُونس تحت الحمايَة الفرنسيَّة بموجب ميثاق باردو، ثم السنغال ومدغشقر عام ١٨٨٢م في عام ١٨٨٧م.

(١٢٩٥هـ) وقع مُؤتمر برلين لاقتسَام مَواقع النُّفوذ في الوطن العربي، وتَوالىٰ بعد ذلك سُقوط البلاد العَربيَّة والإِسْلاميَّة في قبضة الاستِعمار، فسيطر الفرنسيون علىٰ المغرب سنة ١٩١٢م وعلىٰ سورية سنة ١٩٢٠م.

وأما الإيطاليون فاحْتلُّوا الصُّومال وأرتيرِيا عام ١٨٨٧م، وزحفَت إيطاليا

---

(١) «أجنحة المكر الثلاثة»، للميداني: (١٦٥ ـ ١٦٧)، و«الفكر الإِسْلامي الحديث وصلته بالإستعمار»، محمد البهي، الطبعة ٤، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٨٤هـ: (صـ ٢٩ ـ ٣٠).

لاحتلال الساحل اللِّيبي عام ١٩١٤م وأكملت الاحتلال عام ١٩١٤م.

فيما احتلت إنجِلترا مصر ووضعتها تحت الحماية عام ١٨٨٢م، وكانت قَد احتلت بلاد البِنغال عام ١٧٥٧م، والبنْجَاب عام ١٨٤٩م، ثم احتَلت نَيجيريا عام ١٨٥١م، وفي عام ١٨٩٨م احتلت بِريطانيا السُّودان، ثم العراق ١٩١٩م، ثم في عام ١٦٧٠م دخل الروس بلاد الأورال، وأحكموا السيطرة على مسلمِيها، وفي عام ١٨٥٩م ضمَّت روسيا طشقند، ثم القوقاز عام ١٨٦٤م، ثم بخارى عام ١٨٨٢م، فيما دخلت بلاد التركستان تحت سيطرة الروس عام ١٨٨٤م[(١)].

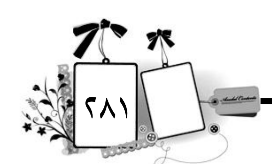
وقد استمَرَّت السَّيطرة الرُّوسيَّة على بَعض هذه البلاد إلى يَومنا هذا، فيما نَجت بلاد أخرى وشكَّلت حكومات مستقِلّة بعد سقوط الاتِّحاد السُّوفيتي عام ١٩٩٠م، فيما تحرَّرت البلادُ الإِسْلاميَّة جملة من الاسْتعمار الفَرنسي والإنجِليزي والإيطَالي (العسكري) في أواسط القرن العشرين.

○ أعمال الاستعمار:

وخلال تاريخ الحركَة الاستعمارية الغَربيَّة للعالم الإِسْلامي وبقية المُستعمرات أظْهر المستعمر الغربي صورًا قاتمة كَالحة ملؤها الظلم والقهر والاستغلال.

فعلى الصعيد الإنساني ارتكب المستعمرون مجازرَ بِحقِّ الشعوب التي قامت تدافع عن دينها وخيراتها، فقد بلغت أعداد قَتلى المُسلمين في الهند حتى عام

(١) «التبشير والاستعمار في البلاد العربية»، مصطفى الخالدي وعمر فروخ، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، ١٩٨٣م: (ص١٤٨)، ورسالة «الطريق إلى ثقافتنا»، محمود شاكر، إصدار دار المدني، جدة، مكتبة الخانجي، مصر، ١٤٠٧هـ: (ص ٩٣ ـ ٩٤ ـ ١٠٥ ـ ١٠٨)، و«ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي»، إبراهيم عكاشة، إصدار: إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإِسْلامية، ١٤٠٧هـ: (ص١٦٠ـ١٦١)، و«العالم الإِسْلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي»، لأنور الجندي، الطبعة١، دار المعرفة، ١٩٧٠م: (ص ٤١٦ ـ ٤١٧).



١٨٨٠م مليون مسلم سقطوا على يد الإنجليز، ومثله كانَت الجزائر بلد المليون شَهيد، وكان البرتغاليون قد أحدثوا مَجازر عند سيطرتهم على الشَّواطيء الهندية، فقد سَجَّل القائد البرتغالي البُوكيرك بفخر بعضًا منها وهو يخاطب ملك البرتغال مهنئًا إيَّاه بالسيطرة على مقاطعة جوا الهندية فيقول: (وبعد ذلك أحرقتُ المدينة وأعملتُ السيف في كل الرقاب، وأخذت دماء النَّاس تراق أيامًا عدَّة... كنا نجمع المسلمين في مسَاجدهم ونشعل فيها النار، حتى أحصينا ستَّة آلاف روح هلَكت، وقد كان ذلك يا سيدي عملًا عظيمًا رائعًا أجدنا بدايته وأحسنا نهايته).

وفي مدغشقر قتَلت القوات الفَرنسية ثمانين ألفًا في ضربة واحدة للثائرين من سكان الجزيرة، فيما أعمل الإنجليز القتل في قبائل ماو ماو الأفريقية، ثم ادعوا أن وحوشًا مفترسة ظهرت في المنطقة وتخطفت الآلاف إلى مصارعهم.

وفي الجزائر يقول الجنرال الفرنسي شان: إن رجالَه وجدوا التسلية في جزِّ رقاب المواطنين من رجال القبائل الثائرة في بلدتي الحواش وبورقيبه.

ويخط الماريشال سانت أرنو إلى زوجته بعض ما صنعه وجنوده في الجزائر فيقول: إن بلاد بني منصر بديعة، وهي من أجْمل ما رأيت في أفريقيا، فقُراها متَقاربة، وأهلها متحابون، لقد أحرقنا فيها كل شيء، ودمَّرنا كل شيء... أكتب إليكِ وأنا يُحيط بي أفق من النيران والدخان، لقد مَررت بقبيلة البزار فأُحرقتهم جَميعًا، ونشرت حولهم الخراب، وأنا الآن عند السنجاد أعيد فيهم الشيء نفسه ولكن على نطاق أوسع.

ويقول مونتياك في كتابه «رسائل جندي» وهو يصف إحدى المذابح التي حضرها: لقَد كانَت مذبحة شنيعة حقًّا، لقد شوهدت المَساكن والخِيام في المَيادين والشَّوارع والأفنِيَة التي انتشرت عليهَا الجُثث في كلِّ مكان، وقد أحصَينا في جوٍّ هَادئ بعد

الاستيلاء على المدينة عدَد القتلى من النِّساء والأطفال فألفيناهم ألفين وثلاثمائة، وأمَّا عدد الجرحى فلا يكاد يذكر، لِسبب هو أننا لم نَترك جرحاهم على قيد الحياة.

وقد بلغ عددُ القتلى في مدينة سطيف الجزائرية في مايو (١٩٤٥م) مَا يقرب الأربعين ألفًا، ويشنع الكونت هيريسيون على هذهِ القبائح التي لا مُبررَ لَهَا فيقول: فظائع لا مثيل لها، أوامر الشنق تَصدر من نفوسٍ كالصَّخر يقوم بتنفيذها جلادون قلوبهم كالحجر... في أنَاس مساكين جُلُّ ذنبهم أنَّهم لا يستطيعون إرشادنا إلى ما نطلب إليهم أن يرشدونا إليه.

وقد تفنن المُستعمرون في طُرق إبادة هذِه الشُّعوب، وممَّا أبدعوه في هذا الباب طريقة يسمُّونها جَهنم، حيث يتبع الجنُود الهاربين من النساء والأطفال والرِّجال إلى الكهوف فيُشعلون عند باب الكهف نارًا عظيمة، فيموت من بداخله حرقًا أو خنقًا(١).

وينقل الجبرتي في «تاريخه» صورًا لما صنعه المستعمر الفرنسي في مصر فيقول: «دخلَ الإفرنْجُ المَدينة كالسيل ومرُّوا فِي الأزقَّة والشوارع، لا يجدون لهم ممانع كأنهم الشياطين أو جند إبليس، وهدموا ما وجَدُوه من المتَاريس، ثم دخلوا إلى الجَامع الأزْهر وهم راكبون الخُيول وبينهم المشاة كالوعول، وتفوقوا (أي قاءوا) بِصحنه ومقْصُورته وربطوا خيولَهم بقِبلته، وعاثوا بالأروقة والحاراتِ، وكسروا القناديل والسهَّارات، وهشموا خزائن الطَّلبة والمجاورين والكتبة، ونهبوا ما وجدوه من المَتاع والأواني والقصاع والودائع والمخبآت بالدواليب والخزانات، ووطؤا بأرجلهم ونعالهم المصاحف والكتب، وأحدثوا فيه وتغوَّطوا وبالوا وتمخطوا، وشربوا الشراب وكسروا أوانيه»(٢).

---

(١) ينظر «أحقاد وأطماع»، محمد الغزالي، ط ٢، الدار السعودية للنشر، جدة، ١٣٨٩هـ: (ص ٣٤ ـ ٤٦ ـ ٤٩ ـ ٥٦ ـ ٢ ـ ٣).

(٢) ينظر «تاريخ عجائب الآثار»: (٢/ ٢٢٠ ـ ٢٢١)، الجبرتي، و«رسالة الطريق إلى ثقافتنا»، محمود شاكر: (ص ٩١).

ومن أعمال المُستعمر أيضًا إيجادُه للفرق الإِسْلامية الضَّالَّة ورعايته لها؛ فالقاديانية والبهائية نشأتا في ظل الاستِعمار، ولتحقيق أهدافه، فقد نَشأت القاديانية في الهند إبَّان الاستعمار الإنجليزي ١٩٠١م، وكان من أهم دعاوىٰ غُلام القادياني المتنبيء الكَذَّاب أن زعم بوجُوب موالاة الإنجليز وتَحريم قتالهم، وإبطال الجهاد بعد أن كانت حركة ابن عرفان الشهيد قد أقضَّت مضاجعهم عام ١٨٤٢هـ

وظهرت البهائية في حين سيطرةِ الرُّوس علىٰ شمال إيران، ولما قتل الباب عام ١٢٦٦هـ ظهرت البهائية علىٰ يد تلمِيذ الباب، وما تزال إلىٰ اليوم برعاية دولة إسرائيل(١).

وعلىٰ هذا المنوال نسج المستعمرون في كُلِّ بلد نَزلوا فيه، فأثاروا الفتن الداخلية والدَّعوات الشعوبيَّة والقبلية والمذهبية، بغية تمزيقِ الأُمَّة وإضْعَاف وحدة الشعوب المَغلوبة لتحقيق أكبر المكاسب الممكنة(٢).

هذه بَعض فضَائح المُستعمِرين الذين أظهروا في الأَرْض الفَساد، سائلًا المولىٰ أن يصبّ عليهم سوط عذاب لا يرقبون في مؤمن إلًا ولا ذمَّة ركيزتهم في ذلك وعمود خيمتهم الغاية تبرر الوسيلة.

وليت المستعمر يوم أن رحل ترك الشُّعوب وشَأنها، لكنه خلف أذنابًا وعملاء

(١) «أجنحة المكر الثلاثة»: (ص ٢٧٣ ـ ٢٨٠)، للميداني، و«الفكر الإِسْلامي الحديث وصلته بالإستعمار»: (٤١، ٤٢، ٤٩، ٦٣، ٦٥)، لمحمد البهي.

(٢) «التبشير والاستعمار في البلاد العربية»، مصطفىٰ خالدي وعمر فروخ: (ص ١٤٠، ١٤٣)، و«التبشير والاستشراق»: (ص ٨٦)، محمد عزت الطهطاوي، و«حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر»: (ص ١٧٤ ـ ١٧٧)، لأحمد عبد الوهاب.. واستفدت في مبحث الاستعمار من بحث مبارك للدكتور/ منقذ بن محمد السقار مكة المكرمة ١/ ١٤٢٧هـ من موقع صيد الفوائد علىٰ شبكة الإنترنت.

وجواسيس وخونة، كانوا معَاول هدم وخناجر غَدر ودعاة رذيلة طابور خامس: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [سورة المنافقون: ٤].

والمؤلم أنَّ هَؤُلاءِ المُرتزَقة هم حملة الحقائِب الوزاريَّة في بلادهم وصنَّاع القرار في حكومَاتهم، والمتربِّعون على وسائل الإعلام، وكان غَالبُهم ممَّن ابتعث للخَارج فعادوا فلم يكن عودهم حَميدًا، إذ كانوا لأسيادهم أوفياءَ بَررة، حققوا أهدافهم ونفذوا مخططاتهم وسعوا في تغريب أمَّتهم.



المبحث الثاني
ويشتمل على مطلبين[١]

المطلب الأول
من أنواع النفاق الشائعة في أوساط الناس

❍ **النفاق الاجتماعي**:

وقد شاع في كثيرٍ منَ النَّاس على مختلفِ شَرائحهم، وهو مِصداق ما جاء في حديث المصطفى ﷺ يوم قال: «تَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذِي الوَجْهَينِ الذِي يَأْتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ»[٢].

وهذا النوع من النفاق له صور منها:

١ - النفاقُ الاجتماعي الذي يكُون في شرائحِ المُجتمع بعضُهم مع بعض، فتَجد من يتلوَّن في كَلامه وأفعَاله ومعامَلاته؛ بِحيث يظهر الحُبَّ والوُدَّ وحِرصَه على مصلحة الناس، وهو في البَاطن ضد ذلك بما يحمله في قلبهِ مِن الحسد والحقد وتمَنِّي الشر لهم، أو يظهر الغم والحزن على مُصاب أخيه المسلم، وهُو في الباطن مسْرُور مغْتَبط، أو يُظهر الثَّناء والمَدح في وجهِ مَن يداهنُه، فإذا غاب عَنه ذمَّه وذكر معايِبَه، وكانتشَار الكَذبِ وإخلاف الوَعد والخِيانة ونقض العُقود والعهود، والفجور في الخصومات بين الناس.

---

(١) هذا المبحث أنا فيه عالة على كتاب مبارك للشيخ عبد العزيز الجليل بعنوان «هم العدو فاحذرهم»: من صـ (٥٤) وما بعدها -بتصرف يسير-، وقد أكرمني بنسخة منه قبل نزوله للمكتبات فجزاه الله عني ما جزى شيخا عن تلاميذه.

(٢) رواه البخاري: برقم (٣٤٩٤)، ومسلم: برقم (٢٥٢٦).

مسألة: هل مجاملة الناس من النفاق؟.

المجاملة نوعان:

أ) **نوع مذموم**: ألا وهُو المُداهَنة؛ ليحفَظ دُنياه علىٰ حِساب دِينه، كمُداهنة الفُسَّاق والعصَاة والسكوت عن مُنكراتهم أو تحسينها، أو ليصل بذلك إلىٰ مصلحة دنيوية.

ب) **نوع ممدوح**: وهُو مُداراة مَن يُخشىٰ بَطشُه أو يُخشىٰ انحرافه، حتىٰ يَحفظ بذلك دينه، أو يكُفَّ الفَساد عن نفسه وعِرضه، أي أنه يداري ليحفَظ دينه ولو علىٰ حساب دنياه.

٢- النفاق الاجتماعي الخاصُ بِوجَهاء النَّاس من علماء أو أغنياء أو أمراء أو حكام:

وأكتفي في وصْفِ هذا النوع من النفاق بِما كتبه الشيخ عائض القرني في مقال له بِعنوان: (النفاق الاجتماعي) إذ يقول: لكل رَمز ديني أو سِياسي أو وطني بطانَة، يُمارسون معه لعبة التَّضليل والتَّملُّق والمديح المُزيَّف، فشيخ العِلم لديه أتباع من المحبين والمعجبين، يخلعون عليه صفات الكمال، ويوهِمُونه بأنه بركَة العَصر والدهر وشبيه البَحر، وأن الله نفع بعلمِه العبَاد والبلاد، وأن كُتبَه وفتاويه ودروسه شرَّقت وغربت، فيُصدِّق المسكين ويقع في الفخ، ويصاب بداء العجب والتيه.

والسياسي عنده بِطانة تقتات بِكلمات الإطراء ومَقامات الثَّناء المَمجوج، وتوهمه بأنه الملهم وقلب الأمة النابض ومحبوب الجماهير، وتذكر له أحلامًا منامية كاذبة، تدل علىٰ صلاحه وعدله وإيمانه واستِقامته، وتخبِرُه هذه البطانة أن العجائز في البيوت يدْعُون له، وأن الشُّيوخ والأطفالَ يَعيشون علىٰ حبه، وأن عَدله وصل الجمِيع، وبره وجوده عم الكل، فيتورط في دهاليز العُلو في الأرض والتكبر علىٰ عباد الله والتجبر علىٰ الأمة.



والأعيان من العسكريين والتجار والمشَاهير لهم جُلاس وسُمَّار، يُمارسون معهم لعبة الضَّحك على الذقون وتمويه الحقائق، ويُعطونه صورة خاطئَة عَن الواقع، ليكسبوا الحظوة لديهم، وينالوا شَرف صحبتهم، ويبتزوا أموالهم، فإذا غَابوا عنهم سلقوهم بألسِنة حداد شداد، فإذا أتَيت تريد المكاشفَة والصِّدق والوضوح والشفافية ضَاع صوتك بين الأصوات، وصِرت ثقيلًا، وأصبحت نشازًا، فتضطر على الرغم من أنفكَ للمُشاركة في حفل تأبين الضَّمير وفي جنازة موت الحَقيقة، وهذا يدلك على الغثائية التي وصلت إليها الأمة.

أما كان الأعرابي يحاور عمر ويناقشه وهو على المنبر؟

يقول الحسن البصري: «تَولى الحَجَّاج العراق وهو عَاقل كيس، فما زال الناس يمدحُونه حتى صار أحمق طائشًا سفيهًا»، فلما ضَعف الوازع الديني عند الأمة وقل الصدق، أكثرت من ألقاب المديح وصفات التَّزلُّف، بعدما كان الصحابة في عصر الخيرية والقيادة والريادة يُنادي بعضهم بعضًا، فيقولون: يا أبا بكر، يا عمر، يا عثمان، يا علي، وهم قد فتحوا القُلوب والأسماع والأبْصَار والبلدان بالإيمان والعدل والسلام، ولَكن الرئيس العربي ركَّب على صدره النياشين، وعلى أكتافه النجوم، وفي الشَّوارع أقواس النصر، وهو لم ينتصر في معركة واحدة، بل إن أجزاء من بلاده تحتلها إسرائيل.

إن تمويه الحقائق عَلى الرُّموز وصنَّاع القَرار والمؤثرين معناه ضَياع البلاد والعباد، فهَؤُلاءِ المتملقون والمتَزلِّفون من البطانة التِي لا همَّ لأحدهم إلا نفسه ومصلحته، الحاملون لشعار كل شيء على ما يرام.

فينبغي أن تخلع الأقنِعة السوداء عن وجوه هذه البطانة لكي لا يخدع بهم الناس(١).

ومما يلحق بهذا النَّوع من النِّفاق ما يصدر من بعض العلماء المفتين الذين

---

(١) نقلا عن موقع «أنا المسلم».

يتقربون بفتواهم إلى أهل الدنيا من حكام أو وجهاء أو عامة، من أجل وجاهة اجتماعية أو دنيا زائلة.

يقول الشيخ ابن عثيمين: العلماء ثلاثة:

١- عالم ملة: وهو الذي يَنشر دين الإِسْلام، ويفتي بدين الإِسْلام عن علم، ولا يبالي أوافق أهواء الناس أم لم يوافق.

٢- عالم دولة: وهو الذي يَنظُر ما تريد الدولة، فيفتي بما تريد الدولة، ولو كان في ذلك تحريف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٣- عالم الأمة: وهو الذي يَنظر ما يرضي الناس. إذا رأى الناس على شيء أفتى بما يرضيهم[1].

○ النفاق الاقتصادي:

وهذا النوع من النفاق ينتشرُ بينَ تُجَّار الأموال والمستثمرين، ولا سيما أصحاب البنوك التي تدَّعي أنَّها إِسْلامية ونزيهة، ولا تظهر في تعاملاتها الظَّاهرة شيئًا من التعاملات الرِّبويَّة، أو البُيوع المحرمة، وتَزعم أنَّها تَنطلق في تعاملاتها من هيئة شرعية تستفيها في هذه المعاملات.

هذا فيما يظهرُ للنَّاس، أما المعامَلات الباطنة والحوالات البنْكِية الدولِيَّة والتَّعامل مع البورصات والأسهم فشَيءٌ آخَر، فيه المُعاملات المحَرَّمة ممَّا لا يعلمه كَثيرٌ مِن الناس. ويلحق بهَؤُلاءِ أصحاب الحِيل، التي يَستحلون بها الربا باسم الشرع كبيوع العينة.

○ النفاق الإعلامي:

الإعلام بمجالاته المختلفة -إلا ما رحم الله- يكَاد يكون كُلُّه بُوقًا للمنافقين،

---

(١) «شرح رياض الصالحين»، لابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (٢/ ٣٠٧).

يَخدعون به الناس، ويلبِّسون عليهم، وينشُرون من خلاله فَسادهم وسمومَهم وشبهاتِهم، وليس هو المعنيُّ فِي هذه الفقرة، وإنَّما المعنيُّ هنا بعضُ المَنابر الإعلامية من مسموعة أو مقروءة، أو مرئيَّة، والتي تدَّعي أنها إِسْلاميَّة قامت لنشر تعاليم الإِسْلام ومحاربة الأفكار الضالة، ولكنها في حقيقة الأمر تنشر الباطل والشبهات، وتلبس الحق بالباطل وتخادع الناس باسم الإِسْلام والدين.

فهي أشبه بمسجد الضرار الذي بناه المنافقون في عَهد رَسول الله ﷺ، إرصادًا لمن حارب الله ورسوله ﷺ وتفريقًا بين المؤمنين.

○ النفاق السياسي:

الذي يصلح أن نسميه في زماننا بالنفاق الدولي، وهذا النَّوع من النفاق يصدر من فئتين من الدول:

الفئة الأولى: دول الكُفر والطغيان، وعلى رأسِها أمريكا ودوَل الغرب الذين زَادوا على كُفرهم بالله تَعالى ورسوله ﷺ انْغِماسهم في حَمأة النِّفاق والدَّجل والخِداع والموَاقف المُتناقِضة حتى افتضحوا -والحمد لله- بينَ النَّاس، وتعرى نفاقهم للمُسلمين، وعرف القاصي والداني أن الباعِثَ لَهم في مواقفهم كرَاهيتُهم للإِسْلام، ومصالحهم التي يستَميتُون في تحقيقِها، ولو على حساب احتِلال البلدان وتدمِيرها وسفك دماءِ أهلها، ثم تدَّعي في الوقت نفسه أنها تحَارب الإرهاب، وتسعى لِنشر الحريَّة والسلام والأمن في هذه الدولِ المعتدى عليها! فأي نفاق ودجل أكبر من هذا النفاق والدجل.

يقول الدكتور عبد العزيز كامل حفظه الله تعالى:

والجدلُ الثائر حَول التساؤل عن طبيعَة الحَرب الأمريكِيَّة، وهل هي ضد الإرهَاب أم ضد الإِسْلام؛ إنَّما هُو في حقيقَتِه مجرَّد جَدل بيزنْطِي، سبق أن أُثِير

مرَّات عديدة كلما حُورب الإِسْلام وأهله، تحت أية ذرِيعَة من الذرائع، وإلا فَأين هِي أمريكا وحلفاؤها مِن محاربة الإرهاب اليَهودي في فلسطين؟ ومُحاربة الإرهاب الهِندوسي في كشمير؟ والإرهاب الرُّوسي في الشِّيشان؟ والإرهاب النَّصراني في الفلبين وإندونيسيا وغيرها من بلدان المسلمين....؟! ثُمَّ أين هو الإرهاب عندَ الجَماعات التي عدَّتها أمريكا إرهابية، وهي تُدافع دفاع مشروعًا عن حقوقها الإنسانية والدينية في فلسطين ولبنان وكشمير والشيشان والفلبين.

إن حرب أمريكا المُعلنة علىٰ الإِسْلام قد شملَت كُلَّ طائفة مسلمة مضطهدة، تنافح عن دينِها وأرضِها وعرضِها في مشارق الأرض ومغَاربها، وشملت كل مظهَر من مظاهر التَّمسُّك بالإِسْلام في الحكم والتحاكم، والشعائر والشرائع، بما تبقىٰ من ُ عرىٰ الإِسْلام في الحكم والتحاكم والشعائر والشرائع والإعلام والتعليم، فهي حرب المواجهة الشاملة[١].

والحقيقةُ التي يشهد لها التاريخ أنَّ السياسة الأمريكِيَّة لا تعترف بمبدأ ولا تشريع كما تدعيه وتروجه، وليسَ ثمَّة إلا مصلحة أمريكا، بل مَصلحة أصحاب الأموال فيها، لا سلام ولا عَدالَة ولا حقوق إنسان ولا عهود دولية.

إنَّها مجرد واجهات تحتكرها الآلَة السياسيَّة الأمريكية، وتركبها للتمكين للديانة الجديدة، فالسياسات المعلَنَة شَيء وما تخفيه وتخطط له شيء آخَر، ويمكن تسميتها بسياسة ذي وجهين التي نفيها إثبات وإثباتها نفي. وهِي سياسة الكيل بمكيالين التي تظهر ما لا تبطن.

الفئة الثانية: كثير مِن الدُّول التي تنتَسِب إلىٰ الإِسْلام وتنَافق شُعوبها المسلمة،

---

(١) مقطع من مقال بعنوان «رايات النفاق والحرب المعلنة علىٰ الإِسْلام»، «مجلة البيان»: (١٧٣/ ٧٨).



وتظهر لهم حبها للإِسْلام ومقدساته، وتخادعهم بإظهار العنَايَة بالمواسم الإِسْلامية: كالاحْتِفال بعيد المولِد وليلة النِّصف من شعبان والهجرة والإسراء والمعراج، وتظهِر عداءها لليهود أو الغرب والشَّرق، وهم في الباطن عُملاء لهم، قد والوهم من دُون المسلمين، ونبذوا شريعة الله وراءهُم ظهريًّا، وحكموا في أديان الناس وأنفسهم وعقولهم وأعراضهم وأموالهم بحكم الطاغوت والقانون، الذي يَستحلون فيه ما حرَّم الله، ويحرمون ما أَحَلَّ الله، ولقد انخدع بِهِم كثير من الناس، ردحًا من الزمن، ولكن ها هم اليوم يتعرون ويُفضحون، وتظهر خباياهم، وفساد طوياتهم ونفاقهم للناس بعد هذه النوازل والابتلاءات التي تمر بها أمة الإِسْلام.

ونفاق الحاكم لرعيته ينعكس في العادةِ عَلىٰ نفاق المحكُوم لحاكمه، فكما تَدين تدان. وعلىٰ سبيل المِثال لهذه الدول لا الحصر: دول الرَّفض الباطنية، كدول إيران المجوسية، وسوريا النُّصيرِيَّة القرمطُيَّة، فلقد قدر الله الأحداث الأخيرة في سوريا والعراق، ليفضحهم ويبيِّن نِفاقهم وكذبهم علىٰ الناس، الذين كانوا مخدوعين بهم وبما يظهرونه من دفاعهم عن الإِسْلام، وزعمهم أن عداءهم وحربهم علىٰ اليهود والأمريكان، وتسميتهم أنفسهم بدول المُمانعة، وأبىٰ الله إلا أن يفضحهم، ويخرج نفاقهم وفي ذلك خيرٌ عظيمٌ: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ [سورة محمد ٤٧/ : ٢٩].

❍ النفاق الوطني:

وهذا النوع من النفاق ينتشر بين شريحَةٍ كَبيرة من الليبراليين والنفعيين أصحاب الشهوات والأهواء، الذين يتشدقون بحبِّ الوطَن ومصالحه، وهم في الحَقيقة أعداؤه بما يسعونَ بِهِ من إفساد دين الوطَنِ ونشر الفساد وإشاعة الفاحشة بين المؤمنين، وإفساد أعراضهم وأمن نفوسهم وعقولهم وأموالهم، قال الله في

وصفهم: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾ [سورة النساء: ٢٧-٢٨]، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٢١]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢﴾ [سورة البقرة: ١١-١٢].

المطلب الثاني

هل يجتمع في القلب إيمان ونفاق؟

من المقرَّر أنَّه كما لا يمكن اجتماع إيمان وكفْر، فمِن بابِ أولى عدم اجتماع إيمان ونفاق أكبر في قَلب إنسَان، كيف والمنافقون في الدَّرك الأسْفل من النار؟ كيف والمنافقون قد كفروا بعد إِسْلامهم؟ كيفَ والمُنافقون يُخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم؟ كيف والمنافقون قد مردوا على التخذيل والتَّثبِيط وبث الفرقة وزعْزَعة الصف وتفريق الكلمة والاستهزاء بالمؤمنين ولمز المطَّوعين والكذب والإرجاف وموالاة أعداء الله والغدر والخيانة؟ الخ.

فكيف بالله من هذه بعض أحوالهم وهَاتيكموا بَعض صِفاتهم يمكن أن يجتمع في قلوبهم مثقال ذرة من إيمان مع هذه العلل والأدواء والأسقام، حاشا وكلَّا وقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِىَ حَسْبُهُمْۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٦٨]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ١٤٥].

ولذا قال شيخ الإِسْلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالكُفر إذا ذُكر مفردًا في وعيد الآخرة دخل فيه المنافقون كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [سورة المائدة: ٥]، و﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [سورة البينة: ٦]».

وأورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ العديد من الآيات ثم قال: «فهذه كُلُّها يَدخل فيها المنافقون الذين هم في الباطن كفَّار ليس معهم من الإيمان شيءٌ، كما يدخل فيها الكفار المُظهرون للكفر، بل المنافقون في الدرك الأسفل من النار»(١).

---

(١) ينظر «الإيمان»: (٤٧ ـ ٤٨).

وقريبًا من ذلك ذكر شارح الطحاوية فقال: «فإنَّ الكفر أعَمُّ، فإذا ذكر الكفر شمل النفاق وإن ذكرا معًا كان لكل منهما معنى»(١).

وللفائدة فما ورَد من لفظ النِّفَاق وسائر اشتقاقاتِه وصفات أهله وأحْكَامهم في الدنيا والآخرة، إنَّما تَناولت النوع الأكبر من النفَاق وهُو الاعتقادي، دون النَّوع الأصْغَر وهو النفاق العملي.

وهذا يعطينا معلمًا من معالم المنهج الصَّحيح في التَّعامل مع الأخطار، والتركيز على معالجة المشكلات الكبرى بكلِّ الوسْع والطاقة قبل الخوضِ فِيما دونها من المشكلات التي تعترض الأمة المسلمة(٢).

وملخَّص القَول: إنه كما لا يمكن اجتماع النقيضين والضدَّين فكذلك لا يتصوَّر احتواء قلب لنفاق اعتقادي وإيمان خالص.

أما النفاق العملي بشتى أنواعِه وشعبِه فَقَد يجتمع هو والإيمان في قلب العبد كما قال شيخ الإسْلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتلك الشُّعبَة قَد يكون معها كَثير من شُعب الإيمان»، ولهذا قال ﷺ: «يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ»(٣).

فعُلم أن من كان معه من الإيمان أقل القَليل لم يُخلد في النَّار، وإن كان معه كَثير من النفاق فهو يُعذب في النار على قدرِ ما معه من ذلك ثم يخرج من النار(٤).

ثم قال في موضع آخر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال رَسول الله ﷺ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ

---

(١) ينظر «شرح الطحاوية»: (٢/ ٢٧٠).

(٢) «دارسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة»: (٤٦ ـ ٤٧).

(٣) أخرجه الترمذي: (٢٦٠١)، والنسائي: (٢/ ٢٧٠)، وغيرهما، وقال عنه الألباني: حديث حسن صحيح في «السلسلة الصحيحة»: برقم (٢٤٥٠).

(٤) «كتاب الإيمان» (ص: ٢٣٩).



مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا أؤتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»[١]، فقد بيَّن النَّبيّ ﷺ أنَّ القلب يكون فيه شعْبَة نفاق وشُعبَة إيمان»[٢].

وهذا لم يكن المتهمون بالنفاق نوعًا واحدًا، بل فيهم المنافق المحضُ، وفِيهم من فيه إيمان ونفاق، وفيهم من إيمانه غالب وفيه شُعبة مِن النفاق...

والنفاق كالكفر، نفاق دُون نفاق، ولهذا كثيرًا مَا يقال كفر ينقل عن الملَّة وكفر لا ينقل، ونِفاق أكبر ونفاق أصغر، كما يقال الشرك شركان: أصغر وأكبر[٣].

عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إنَّ الإيمانَ يَبدو لُمْظة بَيضاء فِي القلب؟، فكُلَّما ازداد العبد إيمانًا، كلما ازدَاد القلب بياضًا، حتى إذا استكمل الإيمان ابيضَّ القَلبُ كلُه، وإن النِّفاق يبدو لمظة سَوداء، حتى إذا استكمل النفاق اسودَّ القلب، وأيم الله لو شققتم عن قلب المؤمن لوجَدتُموه أبيض، ولو شققتم عن قلب المنافق والكافر لوجدتموه أسود».

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «الغناءُ يُنبت النِّفاق في القَلب كما يُنبت المَاء البقل»[٤]، وهَذا كثيرٌ في كلام السَّلف، يبينون أن القلبَ قد يكون فيه إيمان ونِفاق، والكتاب والسنة يدلان على ذلك[٥].

---

(١) البخاري، ك الإيمان، باب علامة المنافق: رقم (٣٤)، ومسلم، ك الإيمان، باب خصال المنافق: برقم (١٠٦).

(٢) ينظر «إقامة الدليل على إبطال التحليل»: (٢/ ٢٣٨)، لشيخ الإِسْلام ابن تيمية.

(٣) كتاب «الإيمان الأوسط»: (١/ ١٣٩).

(٤) رواه أحمد وابن أبي الدنيا في «ذم الملاهي»، عن ابن مسعود، وسنده ضعيف، انظر «ضعيف الجامع الصغير»: (٣٩٣٦)، و«مشكاة المصابيح»: (٤٨١٠).

(٥) «الإيمان»: (٢٣٩).

وقال شارح الطحاوية: «وتجتَمع في المؤمن ولاية مِن وجه وعداوة مِن وجه، كما قد يكون فيه كفر وإيمان، وشِركٌ وتَوحيد، وتقوىٰ وفجورٌ، ونفاق وإيمان»(١).

والمراد هنا بالكفر دون الكفر والشِّرك دون الشرك، وليس المراد الكفر والشرك المخرج من الملة.. ويَقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهَذا نفاق عمل -يقصِد ما ورد في حديث أربَع من كنَّ فيه- فَقد يجتمع مع أصل الإيمان، ولكن إذا استحكم وكمُلَ فَقد ينسلخ صاحبه عن الإِسّلام بالكليَّة وإن صلَّىٰ وصام وزعم أنه مسلم.

فإن الإيمان يَنهىٰ صاحبه عن هذِه الخِلال، فإذا كملت في العبد ولم يَكن لَه ما ينهاه عن شيءٍ مِنها فهذا لا يكون إلا منافقًا خالصًا(٢).

وبعد هذا الإيضاح يَعجب المرء ممَّن يقولون إن الإيمان مجَرَّد قول اللسان، كما عند الكرامية، وهم طائفة من طوائف المُرجئَة، وبناءً علىٰ قولهم الباطل فالمنافقون نفاقًا إعتقاديًا مؤمنون إيمانًا كاملًا أليسوا الذين قالوا: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة المنافقون: ١]، ولكن الله شهد بكذبِهم، أليسُوا الذين قال الله عنهم: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾ [سورة البقرة: ١٤]، إذا هم ينطقون بالإيمان وقلوبهم قد غشَّاها واحتواها الكفر والنفاق.

وقد قالوا إن الزنديق أو المنافق إذا قال بلسانه: لا إله إلا الله، وفي قلبه النِّفاق والزندقة فهو مؤمن حقًّا وإيمَانه كإيمان الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. وقالوا: إن المنافقين الذين كانوا في عهْدِ رَسول الله ﷺ كان إيمانُهم كإيمان جِبريل ومِيكائيل وجمِيع الأنبياء والأولياء(٣).

---

(١) «شرح الطحاوية»: (٢/ ٣٥٦).

(٢) «الصلاة وحكم تاركها»: (١/ ٧٧)، لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٣) ينظر «التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين»، للإسفراييني: (١/ ١١٦).

قال الإمام القرطبي في «المفهم على صحيح مسلم»: «بابٌ لا يَكفي مُجرَّد التَّلفُّظ بالشهادتين بَل لا بد من استيفاء القلب»، وهَذه التَّرجمة تنبيهٌ على فساد مذهب غلاة المرجئة القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كافٍ في الإيمان، وأحاديث هذا الباب تدل على فسادِه، بل هو مذهب معلومُ الفَساد من الشريعة لمن وقف عليها، ولأنَّه يَلزم منه تَسويغ النفاق والحكم للمُنافق بالإيمان الصحيح وهو باطل قطعًا[1].

---

(١) «فتح المجيد»: ص (٣٦).

المبحث الثالث

أحوال المنافقين عند الموت وفي قبورهم ويوم القيامة

المطلب الأول

أحوالهم عند الموت

من الحقائق التي لا تَقبل الشَّكَّ أنَّ المنافقين لا يفرُّون من شيء فرارهم من المَوت لعلمهم بخبث طويَّتهم وسوء عملهم وفسَادهم في الأرض؛ فِفيهم شبه من إخوانهم اليَهود: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [سورة البقرة: ٩٦].

وقد وصف الله مشْهَدَ فرارهم من المَوت في غَزوَة الأحزاب بقوله سبحانه: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ١٨-١٩].

وفي مَشهد آخر يقولُ سُبحانَه: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [سورة الأحزاب: ١٣].

وفي صورة ثالثة يكشِفُ اللهُ دَخيلتَهم ويفضح سريرتهم بقولِهِ سُبحانه: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [سورة التوبة: ٦٥-٧٥].

إن نِيَاط قلوبِهم لتتقطَّع فرقًا من مواقف المَوت وخصوصًا القتال، فهاهم مع ما أعطوا إخوانهم اليَهود مِن المَواثيق والعُهودِ نُصرة لهم ودخولًا في عَسكرهم، إلا أنَّ شاهد الحال يخَالفُ ذلك ويناقضه..

قالَ تعالىٰ: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الحشر: ١١-١٢]، ومن اسْتَتْبَعَ سِيرَتهم وجد كثيرًا من الشواهد علىٰ ذلك.

❍ أمّا النصوص الواردة في شأن موت المنافق على نفاقه:

أ) قال ربُّنا سبحانه في سورة (التوبة): ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [سورة التوبة: ٨٤].

ب) وقالَ جلَّ شأنه في آخِر السُّورة نفسها: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [سورة التوبة: ١٢٤-١٢٥].

ج) عن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبيّ ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغَزْوٍ مَاتَ عَلَىٰ شُعْبَةٍ نِفَاقٍ»(١).

د) عن عَائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَتْ: قالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحبَّ لِقَاءَ الله أَحبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله عَزَّوَجَلَّ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»، فقالت عائشةُ: يَا رسولَ الله، كَراهية لِقاء الله، أنْ يكرَه المَوتَ، فوَالله إنَّا لنكرَهه، فَقال: «لَا لَيْسَ بِذَاكَ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا قَضَىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ قَبْضَهُ فُرِّجَ لَهُ عَمَّا بَينَ يَدَيْهِ مِنْ ثَوَابِ الله عَزَّوَجَلَّ وَكَرَامَتِهِ، فَيَمُوتُ حِينَ يَمُوتُ وَهُوَ يُحِبُّ لِقَاءَ الله عَزَّوَجَلَّ وَاللهُ يُحِبُّ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الكَافِرَ وَالمُنَافِقَ إِذَا قَضَىٰ اللهُ عَزَّوَجَلَّ قَبْضَهُ فُرِّجَ لَهُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ عَذَابِ الله عَزَّوَجَلَّ وَهَوَانِهِ فَيَمُوتُ حِينَ يَمُوتُ

(١) هذا لفظ مسلم في «صحيحه»: (٣/ ١٥١٧)، ك الإمارة، باب ذم من مات ولم يغز.



وَهُوَ يَكْرَهُ لِقَاءِ اللهِ وَاللهُ يَكْرَهُ لِقَاءَهُ»(١)، وفي هذا بيانٌ لِكراهيَة المُنافق لِقاء رَبِّه لَمَا يَرىٰ من العذَابِ والهوان الذي ينتظره عندَ سكرات موتِهِ -والعياذ بالله-.

هـ) الأحاديث الواردة والمتقدمة في مَوت عبد الله بن أبيِّ بن سلول على النفاق(٢):

و) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كَان رَجلٌ نَصرانيًّا، فَأسلم علىٰ عهْدِ رَسول الله ﷺ وقَرأ البَقرة وآل عمران، قَال: فكَان يَكتُب لِنبِي الله ﷺ قال: فَعاد نَصْرانيًّا، فكَان يقول: مَا أرَىٰ يحْسِن محمَّد إلا مَا كُنت أكتبُ لَه، فأماته اللهُ فَأقبروه فأصبح قد لَفِظَتهُ الأرْضُ(٣).

قالوا: هذا عَملُ مُحمَّد وأصحَابه، إنَّما لم يرض دينَهم نَبشوا عَن صَاحبنا فأتوه، قَال: فحفروا له فَأعْمَقوا، فأصبح وقد لفِظَتهُ الأرض، فقالوا: هذا عمل محمَّد وأصحابه، نبَشوا عن صاحبنا فألقوه، قَال: فَحفروا له فأعمَقُوا في الأرض ما استطاعوا، فأصْبح وقد لَفظَتْه الأرضُ، فعلموا أنَّه ليس من النَّاس، وأنه من الله عَزَّوَجَلَّ فألقوه»(٤).

وفي هذه القصة من العِبرَة والعِظَةِ مَا لو أدْرَكها كُل شَانيءٍ لِرسولِ الله ﷺ وَكلُّ مُنافق يصدُّ عَن سبيل لكفته إدّكارًا وتوبة.

من المنَافِقين من يُعرِض صرَاحَة عن الدِّين، أو يَرتدُّ عَنه إلىٰ أديان أو مَذاهب

(١) رواه أحمد في «المسند»: (٦/ ٢١٨)، وفيه انقطاع، وأصله في «صحيح مسلم»: (٤/ ٢٠٦٥، ٢٠٦٦)، ك الذكر والدعاء، باب من أحب لقاء الله، ويشهد له ما بعده.

(٢) انظر (صـ١٢٩).

(٣) لفظته الأرض: أي قذفته ورمته. انظر «النهاية»: (٤/ ٢٦٠).

(٤) رواه البخاري: (٢/ ٥٣٣)، ك المناقب، باب علامات النبوة في الإِسْلام، ومسلم: (٤/ ١٤٥)، ك صفات المنافقين وأحكامهم واللفظ له..



أُخر، فتكون خاتِمَته بنفاقٍ وكُفر مَحض، فقد يعاقبه الله سُبحانه بعقوبة خارِجَة عن العادة.. فهذا الملعُون الذِي افترَىٰ علىٰ النَّبيّ ﷺ أنَّه مَا كان يدري إلا ما كَتبَ لَه، قصَمَه الله وفضَحَه بأن أخرجَه من القبْرِ بَعد أن دُفن مرارًا، وهذا أمْرٌ خَارج عن العَادة يدلُّ كُل أَحَد علىٰ أن هذَا كَان عقوبة لما قاله وفَعَله وأنه كان كاذبًا، إذ كَان عامة الموتىٰ لا يصيبهم مثل هذا.

ط) وعن سهل بن سَعد السَّاعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنَّ رسول الله ﷺ التقىٰ هو والمشركُون فَاقْتَتلوا، فلمَّا مَال رسول الله ﷺ إلَىٰ عَسكَره، ومَالَ الآخَرون إلىٰ عَسكرِهِم، وفي أصْحَاب رَسول الله ﷺ رَجلٌ لا يَدع لَهم شَاذَّة إلا اتَّبَعها يضربُهَا بِسيفِه، فقالوا: مَا أَجْزأَهُ منَّا اليَوم أحدٌ كما أَجْزأَ فلان، فقَال رسول الله ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ!»، فَقَال رَجلٌ مِن القَوم: أنَا صاحِبه أبدًا، قال: فخَرَج معه، كلَّما وقف وقف معَهُ، وإذا أسرع أسْرَع معَه.

قال: فُجرِحَ الرَّجل جرحًا شديدًا، فاسْتعجَل الموتَ، فوضَع نصل سيفهِ بِالأرض وذُبابه بين ثَدييهِ، ثم تحَامل علىٰ سيفِه فقتَل نَفسَه، فخرج الرجل إلىٰ رسولِ الله ﷺ فقَال: أشهد أنَّك رَسُول الله، قَال: «وَمَا ذَاكَ؟». قَال: الرَّجل الذي ذَكرت آنفًا أنَّه مِن أهل النار، فأَعظَمَ النَّاس ذَلك، فقلت: أنا لَكم به، فخرجت في طلبِه حتىٰ جُرح جَرحًا شديدًا فاستعجلَ المَوت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثَدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه، فقال رسولُ الله ﷺ عندَ ذَلك: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وِإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ النَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»(١)».

---

(١) أخرجه البخاري: (٢/ ٣٧٦)، ك الجهاد والسير، باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر، أخرجه مسلم: (١/ ١٠٥ ـ ١٠٦)، ك الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الانسان نفسه.

قد يموت المنافق على نِفاقِه وسوء حاله وَهُو يخدم الإِسْلام، كأن يُقاتل مع المؤمنين ويَقتل في المُشركين ما شاء الله أن يَقتل، فيتعرَّض للموت أو البلاء فلا تَجده صابرًا محتسبًا، بل يتَعَجل منيَّته فيموت على نفاقِه، فالله يؤيد به هذا الدِّين وهو من حَطب جهنم وفجورِه ونِفاقه على نفسه، قال عليه الصلاة والسلام: «... وَإِنَّ اللهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينِ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ»(١).

ي) وعن جَابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خرَجنَا مَع النَّبيّ ﷺ في سَفرِه، فهاجت ريحٌ تَكاد تدفن الرَّاكب، فقَال رسُول الله ﷺ: «بُعِثَتْ هَذِهِ الرِّيحُ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ»، فلَمَّا قَدمنَا المَدينَة إذْ هو قَد مات في ذلكَ اليَومِ عَظيم مِن عُظماء المنَافِقين»(٢).

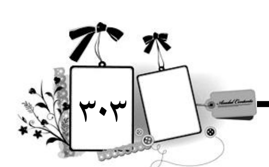
وفي حديث أكثم بن أبي الجون رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّمَا ذَلِكَ إِخْبَاثُ النِّفَاقِ وَهُوَ فِي النَّارِ»(٣).

---

(١) رواه البخاري في «صحيحه» ـ الجهاد ـ الباب (١٨٢)، برقم (٣٠٦٢)، ومسلم، الإيمان برقم (١١١)، واللفظ للبخاري.

(٢) رواه مسلم: (٤/ ٢١٤٥، ٢١٤٦)، ك صفات المنافقين واللفظ له.

(٣) رواه الترمذي في «سننه»، (٥/ ٢٢٨، ٢٣٠)، ك تفسير القرآن، باب ومن سور النساء واللفظ له، وقال: حديث غريب لا نعلم أحدًا أسنده غير محمد بن سلمة الحراني وروى يونس بن بكير وغير واحد هذا الحديث في محمد بن إسحاق عن عاصم ابن عمر بن قتادة مرسل لم يذكر وافيه عن أبيه عن جده، ورواه ابن جرير الطبري في «تفسيره»: (٥/ ٢٦٥، ٢٦٦)، والحاكم في «مستدركه»: (٤/ ٣٨٥، ٣٨٨)، ك الحدود، وقال: صحيح على شرطي مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير»: (١٩/ ٩، ١٢)، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور»: (٢/ ٣٨٢)، إلى ابن المنذر وأبي الشيخ وابن أبي حاتم، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»، (٣/ ٤٤)، وله شاهد عن محمود بن لبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رواه الواقدي وغيره من طرق، انظر «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر: (٣/ ٢٨٢)، و«الدر المنثور»: (٢/ ٣٨٣).



يستفاد من هذا: أن بعض جُندِ الله سُبحانه يشَارك في قبضِ أرواح المنافقين مشَاركة قوية تَدلُّ عَلىٰ سوء موتهم وشدة قبض أرواحهم..

فهذه الرِّيح من شِدَّتها تكاد تدفِن مَا أمامها منطَلقة إلىٰ هدفِها مأمورةً بِالبعث لموت المنافق عنْدَ قبض روحه الخبيثة.. فكَيف بشِدَّة وقوة الملائكة القابضين لِهذه الرُّوح: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٢٥][1]، قال تعالىٰ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٢٧-٢٨].

وكم تَهبُّ مِن رِيح شديدَة تقتلع الأَخْضرَ واليابس وتَدفنُ المُتحرِّك، فلا نتعَّظ ونَعتبر، وما يدرينا أنَّها علامة لَموت مُنافق لا نعلمه، عقوبة له بزواله وقطع دابر إفساده فيستريح منهُ العِباد والبلاد.

كما روىٰ أبو قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسولَ الله ﷺ مرَّ بجِنَازة فقَال: «مُسْتَرِيحٌ أَوْ مُسْتَرَاحٌ مِنْهُ»، فقالوا: يا رسولَ الله، مَا المُستريحُ وَما المستراحُ مِنه؟ فقال: «إِنَّ العَبْدَ المُؤْمِنَ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا، وَالعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنهُ العِبَادُ وَالبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ»[2]، والمنافقون هم أولىٰ من يُوصف بالفُجور[3].

ي) ـ حديث بني أُبيرق بشر وبشير –المنافق– ومبشر الطويل المتقدم الذي

---

(١) أملي لهم: أي أمهل. ينظر «مفردات الراغب»: (ص ٤٩٤).

(٢) رواه البخاري: (١/ ٣١٤)، في الرقاق، باب سكرات الموت، ومسلم: رقم (٩٥٠)، في الجنائز، باب ما جاء في مستريح ومستراح منه، و«الموطأ»: (١/ ٢٤١، ٢٤٢)، في الجنائز، باب جامع الجنائز، و«النسائي»: (٤/ ٤٨)، في الجنائز، باب استراحة المؤمن بالموت، وباب الاستراحة من الكفار.

(٣) في هذا المبحث استفدت كثيرًا من رسالة «النفاق والمنافقون في ضوء السنة النبوية»، للشيخ عبد الرحمن القصاص: من ص (٤٨٧ ـ ٤٩٥).

رواه قتادة بن النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: «... فَلَمَّا نَزَلَ الْقُرْآنُ لَحِقَ بَشِيرٌ بِالْمُشْرِكِينَ، فَأَلْقَى اللهُ عَلَيْهِ صَخْرَةً فَكَانَتْ قَبْرَهُ»(١).

ك) ـ عن خريم بن فاتك الأسدي(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أَهْلُ الشَّام سَوط الله في الأرضِ، ينتَقِمُ بِهِم مِمَّن يشاءُ كَيف يشَاء، وحرامٌ عَلى منافقيهم أن يَظهَروا على مُؤمنيهم، ولن يَمُوتوا إلا همًّا أو غيظًا أو حُزنًا».(٣)

---

(١) رواه الترمذي، والطبراني في «الكبير»، وهذا لفظه.. وسنده حسن، انظر تخريجه: (١/ ٢٤١).

(٢) هو خريم بن فاتك الأخرم، ويقال: خريم بن الأخرم بن شداد بن عمرو بن فاتك الأسدي أبو أيمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ويقال أبو يحيى، له صحبة، شهد الحديبية وقيل بل أسلم يوم الفتح، مات في عهد معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، انظر «الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر: (٣/ ٩٠، ٩١).

(٣) رواه أحمد في «مسنده»: (٣/ ٤٩٩) هكذا موقوفًا، ورواه الطبراني في «الكبير»: (٤/ ٢٠٩)، مرفوعًا. قال المنذري في «الترغيب والترهيب»: (٤/ ٦٣)، رواه الطبراني مرفوعًا هكذا، وأحمد موقوفًا ولعله الصواب، ورواتها ثقات والله أعلم، وقال الهيثمي في «المجمع»: (١٠/ ٦٠): رواه الطبراني وأحمد موقوفًا على خريم ورجالهما ثقات ا. هـ وفي الرواية المرفوعة الوليد بن مسلم القرشي ثقة لكنه كثير التدليس والتسوية. انظر «التقريب»: (ص ٥٨٤)، وقد عنعن عنه. وقد ضعفه الألباني في «الترغيب والترهيب»: (١٨١١)، وفي «ضعيف الجامع»: (٤٩١٥).



المطلب الثاني
عرضٌ لسوء خاتمة بعض المنافقين قديمًا وحديثًا

مدخل: لسوء الخاتمة والعياذ بالله أسباب منها:

١. الإقامة على المَعاصِي.

٢. التَّساهُل بصغائر الذُّنوب حتى تصبح كبائر.

٣. التَّسويفُ في التَّوبة وطول الأمل.

٤. التَّسخُّط والجزع من أقدار الله المُؤلمة وسوء الظن به سبحانه.

٥. حبُّ الدُّنيا والركون إليها.

٦. مصاحبةُ الأشْرار، فالمرء على دين خليله.

٧. الظلمُ.

٨. ذنوبُ الخَلوات.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أجمعَ العَارفون بالله بأنَّ ذنوبَ الخلوات هي أصْل الانتكاسات، وأن عبَادات الخفاء هي أعْظَم أسباب الثَّبات»، وقال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خاتمةُ السُّوء تكون بسبَبِ دَسيسة باطنة للعَبد لا يطَّلع عَليها الناس».

أما عند سكرات الموت، فها هو ابنُ القَيم يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومنْهَا أنَّها -أي المعاصي- تخُون العبد أحْوجَ مَا يكون إلى نَفسه، فيخونُه قلبه ولسانه عندَ الاحتضار، فربَّما تعذَّر عليه النطق بالشهادة».

٩. تعلق القلْبِ بِشهوةٍ مُحرمة، فإن العَبد يموت على ما عاشَ عَليه، ويُبعَث على ما مات عليه.

١٠. وأعظمُ هَذه الأسباب وأجلُّها فَساد المعتَقد وقبح الطَّويَّة، كما عليه حال

سائر المنافقين والعياذ بالله.

ويلحق ذلك -نسألُ الله العَافيَة- في كثير من الأحيانِ اسْودادُ الوَجه أو انبعاث رائحَةٍ كريهَة، أو مَسخ علىٰ صورة حيوان كالقردة والخنازير، كما نصَّ علىٰ شيء من ذلك شَيخ الإِسْلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية.

قال شيخ الإِسْلام: «وهذا الحسن والجمالُ الذي يكونُ عَن الأعمالِ الصَّالحة في القَلب يسري إلىٰ الوَجْه، والقُبح والشَّين الذي يكون عن الأعمالِ الفَاسدة في القلب يسري إلَىٰ الوَجه كما تقدَّم، ثم إن ذلك يقوىٰ بِقُوة الأعمال الصَّالحة والأعمَال الفاسِدة، فكلما كَثر البرُّ والتَّقوىٰ قوي الحسن والجمال، وكُلَّما قوي الإثم والعدوان قوي القبح والشين، حتَّىٰ ينسخ ذلك ما كان للصُّورة من حُسن وقبح، فكم ممَّن لم تكن صورته حسنة، ولكن من الأعمال الصَّالحة ما عظم به جمَالُه وبهاؤه حتّىٰ ظهر ذلك علىٰ صورته.

وَلهَذا يَظهرُ ذَلك ظُهورًا بينًا عِند الإصرار علىٰ القبائِح في آخر العمرِ عِند قرب الموت، فنرَىٰ وجوه أهل السُّنَّة والطاعة كلما كبروا ازداد حُسنُها وبهاؤها، حتَّىٰ يكون أحدهم في كبَره أحسن وأجمل منه في صِغره، ونجد وجوه أهل البِدعة والمعصِية كلما كبروا عظم قبحها وشينها، حتَّىٰ لا يستطيع النظر إليها من كَان منبهرًا بها في حال الصغر لجمال صورتها.

وهذا ظاهرٌ لكل أحدٍ فيمن يُعظم بدعته وفُجوره، مثل الرَّافضة وأهل المظالم والفواحش ونحوهم، فإن الرَّافضي كلما كبر قَبُح وجهه وعظم شينه، حتىٰ يقوىٰ شبهه بالخِنزير، وربما مسخ خنزيرًا وقردًا، كما قد تواتر ذلك عنهم»(١).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موطن آخر: «والرافِضَة فيهم مَن لَعنة الله وعقوبته بالشِّرك ما يشبهونهم به من بَعض الوجوه، فإنه قَد ثبت بالنُّقول المُتواترة أن فِيهم من يمسخ

---

(١) «الاستقامة»: (١/ ٣٦٤)، لشيخ الإِسْلام ابن تيمية.



كما مسخ أولئكَ -يعني اليهود-، وقَد صنَّف الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي كتابًا سمَّاه «النَّهي عَن سَب الأصْحَاب وما ورد فيهِ مِن الذَّم والعِقاب»، وذكر فيهِ حكَايات مَعروفَة في ذَلك، وأعرف أنا حِكايات أُخرَىٰ لم يذكرها»[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعتبرْ بمن مُسخوا قردَةً وخَنازير كيف غلبت عليهم صفات هذه الحَيوانات وأخلاقها وأعمَالِها، ثم إنْ كُنت من المتوسِّمين فاقرأ هذه النُّسخَة من وجوه أشبَاهِهم ونظرائهم، كيف تَراها بَاديَة عَليها، وإن كانت مستورة بِصُورة الإنْسَانية، فاقرأ نسخة القِردَة من صور أهل المَكر والخَديعة والفِسق الذين لا عُقول لهم، بل هم أَخفُّ النَّاس عقُولًا وأعظمهم مكرًا وخداعًا وفسقًا، فإن لم تقرأ نسخَةَ القردة من وجوههم فلست من المتوسمين.

واقرأ نسخة الخَنازير من صور أشباهِهم، ولا سيما أعداء خيار خَلق الله بعد الرسل عليهم صلوات الله وسلامه، وهم أصْحَاب رسول الله ﷺ، فإنَ هَذه النُّسخَة ظاهرة علىٰ وجُوه الرافضة يقرأها كُل مؤمِن كاتب وغير كاتب.

وهي تَظهرُ وتَخفىٰ بِحسب خنزيرية القلب وخبْثِه، فإن الخِنزير أخبثُ الحَيوانات وأردؤها طِباعًا ومن خَاصِّيَّته أنَّه يَدع الطَّيبات فلا يأكلها ويَقوم الإنسان عن رجيعه فيبادر إليه.

فتأمَّل مُطابقة هذا الوصف لأعداءِ الصَّحابة، كيف تجده منطبقًا عليهِم، فإنَّهم عَمدوا إلىٰ أطيبِ خَلق الله وأطهرِهم فعادوهم وتبرَّؤوا منهم، ثُمَّ وَالوا كل عدوٍ لَهم من النَّصارىٰ واليهود والمشْرِكين، فاستَعانوا في كل زَمانٍ عَلىٰ حرب المؤمنين المُوالين لأصحاب رسولِ الله ﷺ بالمُشرِكين والكُفَّار، وصَرَّحوا بأنَّهم خَير مِنهم، فَأي شَبه ومناسَبةٍ أَولىٰ بهذا الضرب من الخنازير، وأمَّا الأخبار التي تَكاد تبلغ حدَّ

---

(١) «منهاج السنة النبوية»: (١/ ٤٨٦)، لشيخ الإِسْلام ابن تيمية.

التواتر بمسخ من مسخ منهم عند الموت خنزيرًا فأكثر من أن تذكر هاهنا»[١].

ولعله من المناسب بعد هذا العرض أن يُعَرَّج عَلى بعض من ساءت خاتمته من المنافقين -أجارنا الله والمسلمين من سوء الخاتمة-:

١. رأسُ المُنافقين ابن سلول: العَقل المدبر لحَركة النِّفاق، قَائد مَسيرة الإفساد والتَّقويض للبنيان وتفْرِيق الصف وإثارة الأراجيف والشائعات.. هَا هُو قَبل وفَاته يصارع آلام المَرض الذي كان ابتداؤه في شَوال سنة تسع للهجرة.

وذلك بعد غَزوَة تَبوك؛ حيثُ مَكث عشرين ليلة[٢] يكابِدُ الأوجَاع، والأسقام تَسري في جسده يجد حرَّها في كل مِفصَل، وألمها في كل عرق، هَذا في الدنيا، وما ادَّخره الله له في الآخرة أشدُّ وأبقى.

قال الواقدي: «مَرض عَبد الله بن أبيٍّ فِي ليال بقين من شوال، ومات في ذي القعدة وكان مرضه عشرين ليلة»[٣].. قال ابن كثير: «وكَان رسول الله ﷺ يعُوده فيها، فلما كان اليوم الذي مَات فيه دَخل عليه رسول الله ﷺ وهو يجودُ بِنفسه، فقال: «قَدْ نَهَيْتُكَ عَنْ حُبِّ يَهُود»، فقَال: قد أبغضهم سعد بن زرارة فما نَفَعه، ثم قال: يَا رسول الله، لَيس هذا الحين عتَاب، هوَ المَوت، فاحضر غسلي وأعطني قميصَك الذي يلي جلدكَ فكفِّني به، وصلِّ علي واستغفر لي، ففعل ذلك به رسول الله ﷺ»[٤].

وقد ذكر الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيحه»، عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «لما توفي عبد الله بن أبيِّ، جَاء ابنه عبد الله بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى رسُول الله ﷺ، فسألَه أن يُعطيه قَميصَه ليُكفن فيه أبَاه، فأعْطَاه، ثم سألَه أن يصلي عليهِ، فقامَ

(١) «مفتاح السعادة»: (١/ ٤٤٦).

(٢) «الكامل»، لابن الأثير: (٢/ ١٩٩).

(٣) «المغازي»، للواقدي: (٣/ ١٠٥٧).

(٤) «البداية والنهاية»: (٢/ ٣٤).

رسول الله ﷺ ليصلي عليهِ، فقام عُمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأخَذَ بثوب رسولِ الله ﷺ فقال: يَا رسول الله، أتُصلي عليه وقَد نَهاك ربُّك أن تصلي عليه؟ فَقال رسوَل الله ﷺ: «إِنَّمَا خيَّرَنِي اللهُ فَقَالَ: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٨٠]، وَسَأَزِيدُ عَلَى السَّبْعِينَ»، قَال: إنَّه منافق، قال: فَصلىٰ عليه رسول الله ﷺ، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ الآية: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [سورة التوبة: ٨٤]».

كذلك روىٰ البخاري[(١)] رَحِمَهُ ٱللَّهُ رواية أخرىٰ، عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، قال: «لما مَات عبد الله بن أبي بن سلول، دُعي رسول الله ﷺ ليُصلِّي عليه، فلمَّا قام فوثَبتُ إليه فقلت: يَا رسول الله، أتُصلي علىٰ ابن أبيٍّ وقَد قال يوم كذا وكذا وكذا قال: أُعدِّد عَليه قَوله، فَتبسَّم رسول الله ﷺ وقال: «أَخِّرْ عَنِّي يَا عُمَرُ»، فلما أكثرت عليه قال: «إِنِّي خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ، لَوْ أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ يُغْفَرُ لَهُ لَزِدْتُ عَلَيْهَا»، قال: فصلىٰ عليه رسول الله ﷺ ثم انْصرَف، فلم يمكث إلا يسيرًا حتىٰ نزلت الآيتان من سورة براءة قال: فعجبت من جَرأتي عَلىٰ رسول الله ﷺ».

وفي «صحيح البخاري» بهذا الإسناد مثله وعنده: «أنَّه إنما ألبسه قميصَه مكافأة له لما كان كسَا العباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قميصًا حين قدم المدينة، فلم يجدوا ما يصلح له إلا قميص عبد الله بن أبي»[(٢)].

وهكذا طويت صفحة من صفحات التاريخ لزعيم المنافقين ابن سلول بعد أن خلَّف وراءه مآثر من الضلال، وسطر مواقف من الفساد وخلَّد مخاز ثقّل بها موازين سيئاته.. ودفع بلواء النفاق لمن بعده من الأحفاد والذرية تعاقبوا في أزمنة

(١) «فتح الباري»: (٨/ ٣٣٦، ٣٣٨).

(٢) «صحيح البخاري»: برقم (١٢٦٣).

التاريخ جيلًا بعد جيل.. فنسله يتوالَد وكيدهم يتواصل، على خطاه يسيرون وعلى منهاجه يمضون يجدِّدون في الوسائل ويبدعون في الكيد، ويمعنون في الصد عن دين الله.. فلا أبقى الله لهم من عقب ولا خلَّد لهم من ذكر.

٢. سوء خاتمة المنافق قائد القرامطة أبي طاهر سليمان بن الحسن الجنابي:

دَخل مكَّة في ذي الحجة سنة سبع وثلاثمائة، وقتل فيها ثلاثة عشر ألفًا وقطع الركن يوم النحر وهو القائل لعنه الله:

فَلَوْ كَانَ هَذَا البَيْتُ لِلهِ رَبِّنَا ... لَصَبَّ عَلَيْنَا النَّارَ فَوْقَنَا صَبًّا

لِأَنَّنَا حَجَجْنَا حَجَّةً جَاهِلِيَّةً ... مُجَلَّلَةً لَمْ تُبْقِ شَرْقًا وَلَا غَرْبًا

وَأَنَّا تَرَكْنَا بَيْنَ زَمْزَمَ وَالصَّفَا ... كَتَائِبَ لَا تَبْغِي سِوَى رَبِّهَا رَبًّا

وَلَكِنَّ رَبَّ العَرْشِ جل جلاله ... لَمْ يَتَّخِذْ بَيْتًا وَلَمْ يَتَّخِذْ حُجُبًا[١]

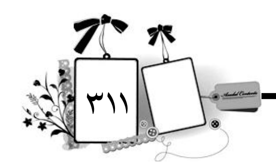
قتل اللعينُ في المسجد الحرام نحو أَلْف وسَبعِمائة من الرِّجال والنِّساء وهم متعلقون بالكعبة، وردَم بجثثِهم بئر زمزم، وفرش بهم المسجِد وما يليه، وقتَل في سِكَك مكة وشعابها من أهل خراسَان والمغاربَة وغيرهم زهَاء ثلاثين ألفًا، وسبى من النساء والصبيان مثل ذلك.

واقتلَع الحجر الأسود من موضِعه يوم الإثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، وذهب به معه إلى (هَجَر) فأقام عند القرامطة إلى أن رُدَّ في يوم الثلاثاء يوم النحر من سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة (٣٣٩هـ)، وبطل الحج من العراق بسبب هذا القرمطي اللعين ثلاث سنين متوالية من هذه السنة[٢]، هذا اللَّعين الذي كان

---

(١) «كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة»، محمد بن مالك بن أبي الفضائل اليماني، تقديم: محمد بن زاهد الكوثري، الناشر: مطبعة الأنوار ١٣٥٧م: (ص ٦٣).

(٢) «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين»، (ص ٧٤، ١٨٥)، للفاسي المكي تحقيق د/ محمد زينهم ـ =



يقول عند الكعبة: أين الطير الأبابيل؟!.

وفي هذا كان يقول شاعرهم على منبر الجامع في الجند:

خُذِي الدُّفَّ يَا هَذِهِ وَالْعبي ... وَغَنِّي هَزَارَيْكِ ثُمَّ اطْرِبِي

تَوَلَّىٰ نَبِيُّ بَنِي هَاشِمٍ ... وَهَذَا نَبِيُّ بَنِي يَعْرُبِ

لِكُلِّ نَبِيٍّ مَضَىٰ شَرْعُهُ ... وَهَذِي شَرَائِعُ هَذَا النَّبِيّ

فَقَدْ حَطَّ عَنَّا فُرُوضَ الصَّلَاةِ ... وَحَطَّ الصِّيَامَ فَلَمْ يُتْعِبِ

وما الخمر إلا كماء السماء ... حلالًا فقُدّست من مذهب[(١)]

وقد ذَكر الذهبي في حَوادث سنة ٣١١هـ: أن أبا طَاهر سليمان بن الحسن الجنابي دخَل البَصرة ليلًا في ألف وسبعمائة فارس، فنَصبوا السلالم على السُّور، ثم نزلوا فوضَعوا السيف في أهل البلد، وأحرقوا الجامع وسَبَوا الحريم، ثم ذكر في حوادث سنة ٣١٢هـ: أن أبا طاهر هذا عارض ركب العراق، فوضع السيف واستباح الحجيج، وساق الجمال با لأموال والحريم[(٢)].

ثم ذكر أحداثه في كل سنة وذكر في حوادث سنة ٣١٦هـ: أنه بنى دارًا سماها (دار الهجرة) ودعا إلى المهدي، وتسارع إليه كل مُريب، وفي سنة ٣١٧هـ: وافى الحجاج يوم التروية بمكة، فقتلهم قتلًا ذريعًا في المسجد الحرام وفي فجاج مكة، وقتل أمير مكة وقلع باب الكعبة وقلع الحجر الأسود وأخذه إلى (هَجَر)[(٣)].

= دار الصحوة للنشر، مطبعة السنة المحمدية.

(١) «البداية والنهاية»: (٦/ ٣٧٦).

(٢) «العبر في خبر من غبر»، للذهبي: (٢/ ١٤٧، ١٥٠).

(٣) المرجع السابق: (٢/ ١٦٣، ١٦٧).



وقد طرح القَتلىٰ في بئر زمزم، وقتل عَساكر كثيرة من عَساكر المسلمين، وانهزم في بعض حروبه إلىٰ هجر فكتب للمسلمين قصيدة يقول فيها:

أَغَـرَّكُمْ مِنِّـي رُجُـوعِي إِلَـىٰ هَجَـر ... وَعَمَّـا قَلِيـلٍ سَـوْفَ يَـأْتِيكُمُ الخَبَـرُ

إِذَا طَلَـعَ المَـرِّيخُ فِـي أَرْضِ بَابِـل ... وَقَارَنَـهُ النَّجْمَـانِ فَالحَـذَرَ الحَـذَرَ

أَلَسْـتُ أَنَـا المَـذْكُورُ فِـي الكُتُـبِ كُلِّهَـا ... أَلَسْـتُ أَنَـا المُبْعُـوثُ فِـي سُـورَةِ الزُّمَـرِ

سَـأَمْلِكُ أَهْـلَ الأَرْضِ شَـرْقًا وَمَغْرِبًـا ... إِلَـىٰ قَيْـرَوَانَ الـرُّومِ وَالتُّـرْكِ وَالخَـزَرِ

وأراد بالنجمين (زُحل والمشتري)، وقد حصل أن اقترنا في سنِي ظُهوره ولم يملك من الأرض شيئًا غير بلدته التي خرج منها، وطمِعَ في أن يملك سبع قرانَات وما ملك سبع سنين، بل قُتل بـ (هِيت) ورمَتّه امرأة بسطحِها بلبنة علىٰ رأسِه فدمغته، وقتيل النساء أَخَسُّ قتيل وأهون فقيد[1].

وانتهت بقَتله شوكة القرامِطة، وذُبح علىٰ فراشه ممن تولىٰ بعده، وهو (ابن أبي زكريا الطامي)، الذي أسنَّ اللواط، وأوجبَ قتل الغلام الذي يمتنع علىٰ من يريد الفجور به[2].

٣. سوء خاتمة المنافق أحمد بن أبي دؤاد الإيادي:

المعتزلي قاضي المُعتصم، الذي جرَّ البلاد إلىٰ محنة خلق القرآن، وبسببَهِ أُهين علماء الأمة وعُذبوا وسجنوا، بسبَبِ ابن أبي دؤاد هذا قُتل أحمد بن نصر الخزاعي وسُجن الإمام أحمد وجلد بالسِّياط، ودعا عَليه الإمام أحمد فحبَسَه الله في جسده كما حبس الإمام، ودخل علَيه وعاده عبد العزيز الكِناني، وقال له: لم آتِك عائدًا، بل

---

(١) «الفرق بين الفرق»: (ص ٢٨٧).

(٢) «وامحمداها»: (١/ ٤٥٨)، د/ سيد العفاني.

لأحمد الله أن سجنك في جلدك[١].

قال ابن كثير: «ابتلاه الله بالفَالج قبل موتِه بأربع سنين، حتى بقي طَريح الفراش، لا يستطيع أن يُحرِّك شيئًا من جسده، وحُرم لذَّة الطعام والشراب والنِّكاح وغير ذلك[٢]، جعل نصف جسده لو سقط عليه ذبَاب فكأنما نهشته السباع، والنصف الآخر لو نهشته السباع لم يحس بها».

وقد دخل عليه بعضهم فقال: والله ما جئتك عائدًا، وإنما جئتك لأعزيك في نفسِك وأحمد الله الذي سجنك في جسَدك الذي هو أشد عليكَ عُقوبة من كلِّ سجن، ثم خرج عنه داعيًا عليهِ بأن يزيده الله ولا ينقصه ممَّا هو فيه، فازداد مرضًا إلى مرضه، وقَد صُودر في العام الماضي سنة ٢٣٨هـ بأموال جزيلة جدًّا، ولو كان يحمل العقُوبَة لوضعها عليه المتوكل، وكذا ابنه أبو الوليد محمد، صُودر بألف دينار ومائتي ألف دينار ومات قبل أبيه بشهر[٣].

٤. سوء خاتمة المنافق محمد بن عبد الملك الزيات:

كان من العصبة التي لها يد في سجن عُلماءِ الأمَّة وتعذيبهم، وعلى رأسهم إمام أهل السنة، روى الطبراني في تاريخه قال: «أمرَ بِتَنور من خشبٍ فِيه مسامير حديد قيَام، فذكر عن ابن أبي دؤاد وأبي الوزير أنَّهما قالا: هو أوَّل من أمر بعمل ذلك، فعذَّب به ابن أسباط المصري حتَّى استخرج منه جميع ما عِنده، ثم ابتلي به فعذب به أيامًا»[٤].

وقال الذهبي في ترجمته: «وكان يَقُول بخلق القرآن، ويَقُول: ما رحمت أحدًا

(١) «سير أعلام النبلاء»: (١١/ ١٧٠، ١٧١).

(٢) «البداية والنهاية»: (١٠/ ٣٣٦، ٣٢٩، ٣٣٥).

(٣) المرجع السابق: (١٠/ ٣٣٦).

(٤) «تاريخ الطبري»: (٥/ ٢٩٥).

قَط، الرَّحمة خور في الطبع، فَسُجن في قفص حَرِج، جِهاته مسامير كالمسالِّ، فَكان يصيح ارحموني، فيقولون: الرَّحمة خور في الطبيعة»[(١)].

٥. سوء خاتمة المنافق ابن العلقمي الرافضي الخبيث:

زالت -من أثر خيانته- الخلافة العباسية ببغداد سنة ست وخمسين وستمائة على يد هولاكو، وقتل الخَليفة المستعصم بالله.

كان أول من برزَ إلى التَّتار هو، فخَرج بأهله وأصحابه وخَدَمه وحشمه، فاجْتمع بهولاكو لعنه الله.

ثم عاد فأشار على الخليفة بالخروج إليهِ والمُثول بين يدِيه لتقع المصالحة، عَلى أن يكون نصفُ خَراج العراق لهم ونِصفه للخليفة، وكان قُدوم هُولاكو لبغداد في ثاني عشر المحرم ومعه نحو مائتي ألف مقاتل.

فاحتاج الخليفة إلى أن خَرج في سبعمائة راكِب من القُضاة والفقهاء والصُّوفيَّة ورؤوس الأمراء والدولة والأعيانِ، فلما اقتربوا مِن منزل هولاكو خان حُجبوا عن الخليفة إلا سبع عشرة نفسًا، فخلص الخليفَة بهَؤُلاءِ المذكورين وأنزَل الباقون عن مراكِبهم ونهبت وقتلوا عن آخرهم.

وأُحضر الخليفة بين يدي هولاكو، فسَأله عن أشياء كثيرة، فيقال: أنه اضطرب كلامُ الخَليفة من هول ما رأى من الإهانة والجَبروت، ثم عاد إلى بغداد وفي صحبته خوجه نصير الدين الطوسي والوزير ابن العلقمي وغيرهما، والخليفة تحت الحوطة والمصادرة، فأحضر من دار الخليفة شيئًا كثيرًا من الذهب والحلي والمصاغ والجواهر والأشياء النفيسة.

وقد أشَار أولئك الملأ من الرَّافضة وغيرهم من المُنافقين على هولاكو ألا

---

(١) «سير أعلام النبلاء»: (١١/ ١٧٣).

يصالح الخليفة، وقال الوزير: متَىٰ وقع الصلح علىٰ المناصفة لا يستمر هذا إلا عامًا أو عامين، ثم يعود الأمر إلىٰ ما كان عليه قبل ذلك، وحسَّنوا له قتل الخليفة، فلمَّا عاد الخليفة إلىٰ هولاكو أمر بقتْله، ويقال: إن الذي أشار بقتله الوزير ابن العلقمي، والمَولىٰ نصير الدين الطوسي -وكان هولاكو قد انتخب النُصير ليكون في خدمته كالوزير المشير-، فلما قدم هولاكو وتهيَّب من قتل الخليفة هوَّن عليه الوزير ابن العلقمي ذلك فقتلوه رَفسًا وهو في جوالق، لئلا يقع علىٰ الأرض شَيء من دمه، وقيل: بل خنق، ويقال: بل أغرق.

وقتِل معَه ولده الأكبر أبو العباس أحمد، ثم ولدُه عَبد الرحمن، وأسِر ولده الأصغر مبارك، وأسرت أخواته الثلاث: فاطمة وخديجة ومريم، وأسِرَ من دار الخلافة من الأبكار ما يقارب ألف بكر، وقُتِل أستاذ دار الخِلافة محي الدين يوسف ابن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي، وقُتل أولاده الثلاثة، وقتل شيخ الشيوخ مؤدب الخليفة.

ومالوا علىٰ البلد فقَتلوا جميع من قدروا علَيه مِن الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبَّان، وسادات العلماء والقُضاة والأكابر والرُّؤساء والأمراء وأولىٰ الحل والعقد. ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش وقني الوسخ وكمنوا كذلك أيامًا لا يظهرون.

وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلىٰ الخَانَات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار، إما بالكسر وإما بالنَّار، ثم يدخلون عليه فيهربون مِنهم إلىٰ أعالي الأمْكِنة، فيقتلونهم بالأسْطِحة حتىٰ تجري المَيازيب من الدماء في الأزقَّة، وكذلك في المساجد والجوامع والربط، ولم ينج منهم أحد سوىٰ أهل الذِّمَّة من اليهود والنصارىٰ ومن التجأ إليهم وإلىٰ دار الوزير ابن العلقمي، وطَائفة من التجَّار أخذوا لهم أمانًا بذلُوا عليه أموالًا جزيلة.

وعادت بغداد -بعد ما كانت آنس المُدن كُلها- كأنَّها خراب ليس فيهَا إلا القليل من النَّاس، وهم في خوف وجوع وذِلَّة وقلَّة، وكان الوزير ابن العلقمي -قبل هذه الحادثة- يجتهد في صرف الجيُوشِ وإسقاط اسْمهم من الدِّيوان إلى أن لم يبق سوى عشر آلاف، كلهم قد صرفوا عن إقطاعاتِهم حتى استعطى كَثير منهم في الأسواق وأبواب المَساجد، ثم كاتب التَّتار وأطمعهم في أخذِ البلاد وسهل عليه ذلِك، وحكى لهم حقيقة الحَال وكشف لهم ضعف الرجال، وذلك كله طمعًا من أن يزيل السنَّة بالكُليَّة وأن يظهر البدعة الرافضة وأن يقيم خليفة من الفاطِميين، وأن يبيد العلَماء والمفتين.

والله غالب على أمره، وقد ردَّ كيدِه في نحره وأذلَّه بَعد العزة القَعساء وجعله حوشكاشًا للتَّتار بَعد ما كان وزيرًا للخلفاء، واكْتَسب إثم من قُتل ببغداد من الرجال والنساء والأطفال، فالحُكم لله العلي الكبير رَبِّ الأرض والسماء، وقد اختلَفَ النَّاس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين -في هذه الوقعة- فقيل: ثَمانمائة ألف، وقيل: ألف ألف وثمانمائة، وقيل: بلغت القتلى ألفي ألف نفس، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وما زال السيف يقتُل أهلَها أربعين يومًا، وقتل الخطباء والأئمة وحمَلَة القرآن، وتعطلت المَساجد والجماعات والجُمعات مدة شهور ببغداد، وأراد الوزير ابن العلقمي -قبَّحَه الله ولعَنَه- أن يُعطل المساجد والمدارس والربط بِبغداد، ويستمر بالمشاهد ومحالِّ الرفض، وأن يبني للرَّافضَة مدرسة هائلة يَنشرون عِلمهم وعلمهم بها وعَليها، فلم يُقدِّره الله تعالى على ذلك، بل أزال نعمته وقصَف عمره بعد شهور يسيره من هذه الحادثة.

ولما انقضى الأمرُ المُقدَّر وانقضت الأربعون يومًا، بقيَت بغداد خاوية على عرُوشها، ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس، والقتلى في الطرقات كأنها التُّلول، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنْتَنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء



فحصل بسببه الوباء الشديد، حتى تعدَّى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام.

فمات خلقٌ كثير من تغير الجو، وفساد الريح، فاجْتَمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما نودي ببغداد بالأمانِ خَرج من تحت الأرض من كانَ بالمَطامير والقنى والمقابر، كأنَّهم الموتى إذا بُعثوا من قبورهم، وقد أنْكَر بعضهم بعضًا فلا يعْرِف الوالد ولده ولا الأخ أخاه، وأخَذَهم الوباء الشديد فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى[(١)].

روى الإمام السبكي قائلًا: «أمَّا الوزير الخائن المُنافق ابن العلقمي، فإنَّه لم يحصل على ما أمَّل وصَار عندهم أخس مِن الذُّباب، وندم حيث لا ينفعه النَّدم، ويُحكى أنه طُلِبَ منه يومًا شعير فركب الفرس بنفْسِه ومضى ليحصله لهم، وهذا يشتمُه وهذا يأخذه بيدِه وهذا يصفعُه بعد أن كانت السلاطين تأتي فتُقبّل عتبة داره، والعَساكر تمشي في خدمَتِه حيث سار من ليله ونَهاره، وإذا بإمرأة تَراه من طَاق فقالت له: يا ابنَ العلقمي هكذا كنت تَركب في أيام أمير المؤمنين، فخجل وسكت، وقد مات غبنًا بعد أشهر يسيرة ومضى إلى دار مقبره وَوجد ما عمل حاضرًا»[(٢)].

٦. سوء خاتمة الخليفة الواثق المنافق القائل بخلق القرآن:

كان ذات ليلة جالسًا على شرابه فقال: عليَّ بِلحم السبع السَّاعة، فأخرج له سبع من الجبِّ وذبح من ساعته، فأمر فَكبْكِبَ لَه منه، ثم أمر فأُغلي له منه بالخَلِّ، ثم قدر له منه، فأخذ ينتقِل به على شرابه، وأتتْ عليه الأيام والليالي فسقى بطنه - أي: أصيب بمرض الإسهال-، فجُمع له الأطباء، فأجمع رأيهم على أنه لا دواء له

(١) «البداية والنهاية»: (١٣/ ٢٣٥).

(٢) «طبقات الشافعية الكبرى»: (٨/ ١٥٩)، للسبكي.

إلا أن يَسجر تنور بِحطب الزَّيتون، ويشحن حتى يمتلئ جمرًا، فإذا امتلأ كَسح ما في جوفه فألقَى على ظهره وحشَي جوفه بالرطبة، ويَقعد فيه ثلاث ساعات من النهار، فإن استَسْقى ماء لم يسق، فإذا مضت ثلاث ساعات كوامل أخرج منها، وأجلس جلسة منتَصِبة على نحو ما أمروا به، فإذا أصابه الروح وجد لذَلك وجعًا شديدًا، وطلب أن يردَّ إلى التنور، فترك على حالته تلك ولا يرد إلى التنور حتى تمضي ساعتان من النهار، فإنه إذا مضى ساعتان من النهار جرى ذلك الماء وخرج من مخارج البول، وإن سُقي ماء أو رُدَّ إلى التنور كان تلفه فيه.

فأمر بالتنور فأخذ له، وعُري وأجلس فيه، وأقبل يَصيح ويستغيث ويقول: أحْرَقتموني اسقوني ماء، وقَد وكل به من يَمنَعه الماء ولا يدعه أن يقوم من مَوضِعه الذي أقعد فيهِ ولا يتحرك، فتَنفط بدنُه كله فصارت فيه نفاخَات مثل أكبر البَطيخ وأعظمه، فتُرك على حالته حتى مضت له ثَلاث ساعات من النهار، ثم أخرِج وقد كاد يحترق أو يَقول القائل في رأي العين قد احْتَرق فأجلسه المتطببون، فلمَّا وجد روح الهواء اشتَدَّ به الوجع والألم وأقبل يصيح ويخورُ خوار الثَّور ويقول: ردُّوني إلى التَّنور فإني إن لم أرد مِتُّ فاجتمع نساؤه وخواصُّه لما رأوا به من شدة الألم والوجع وكثرة الصياح، فرجوا أن يكون له فرجة في أن يرد إلى التنور، فردُّوه إلى التنور ثانية، فلما وجد مس النَّار سكن صياحه وتفطرت النفاخات التي كانَت خرجت ببدنه وخمدت، وبرد في جوف التنور فأخرج من التنور، وقد احترق وصار أسود كالفحم، فلم تَمض به ساعات حتى مات[1].

٧. سوء خاتمة المنافق جهم بن صفوان:

هو من نُسبت له الجهمية، وكانَ قد تَبنَّى آراء الجعد بن درهم، ثم زاد عليها بدعًا أخرى:

---

(١) «مناقب الإمام أحمد»، لابن الجوزي: (٥٨٦ ـ ٥٩٠).

الأولى: القول بالجبر؛ حَيثُ زعم أن الإنسان لا يَقدر عَلى شيء ولا يوصف بالإستطاعة، وإنما هو مجبور على أفعاله.

الثانية: القول بأن الإيمان هو المعرفة؛ حيث زعم أنَّ الإيمان هو المَعرفَة بالله تعالى فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط.

الثالثة: القول بفناء الجنة والنار بعد دخول أهلهما فيهما.

الرابعة: القول بأن علم الله حَادث؛ حيثُ زَعم أنه لا يجوز أنْ يَعلم الشيء قبل خلقه(١).

قال إبراهيم بن طهمان: «ما ذكرتُه ولا ذُكِر عندي إلا دَعوتُ الله عليه، ما أعظم ما أورث أهل القِبلة من منطِقِه العظيم»، قال ابن كثير: «فقتل منهم طائفة كثيرة منهم الجهم بن صفوان، طعنه رجل في فيه فقتله»(٢).

والجزاء من جنس العمل.. هذا الفَم الذي أخرج زبالات الأذهان يُطعن، وقَال: بل أسر الجهم فأوقف بين يدي سلم بن أحوز، فأمر بِقتلِه فقال: إن لي أمانًا من أبيك، فقال: ما كان لَه أن يؤمِّنك، ولو فعل ما أمَّنتك، ولو ملأت هذه الملاءة كواكب، وأنزلت عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ما نَجوت، والله لو كنت في بطني لشَققت بطني حتى أقتلك وأمر ابن ميسر فقتله(٣).

٨. سوء خاتمة المنافق الرجل الصنم كمال أتاتورك:

مصطفى كمال أتاتورك الذي ألغى الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٢م، فقد قام

---

(١) «الفرق بين الفرق»: (٢١١ ـ ٢١٢).

(٢) «البداية والنهاية»: (١٠/ ٢٨).

(٣) «البداية والنهاية»: (١٠/ ٢٨).



بعد أربعة أشهر من انتخابه رئيسًا بوفائه بالعَهد الذي أعطاه لأسيَادِه الإنجليز، وللحاخام نعوم منفذ الخطة اليهودية لهدم الخلافة العثمانية فقرَّر الأتي:

أ) لقد آن وقت إلغاء الخلافة، وتُلغى معها وزارة الشَّرعيَّة ووزارة الأوقاف، ولن ندع هناك مدرسة دِينيَّة، ويتقرر إخراج الخَليفة مع جميع أفراد عائلته من البلاد.

ب) وبعد ذلك يجبر الأتراك على ارتَداء القُبَّعة، وهي العلامة الثالثة عند النصارى بعد الصليب والزنار، كانت علامة دينية وضِعَت من قبل المسيحين في أثْناء المَعارك الصليبية، ثُمَّ أصبحت قومية، وقد اعتبرت القُبَّعة كعلامة للكفْر بِفتوى من الإمام النووي، وتنصب المَشانق من أجل المعارضيين لارتدائها

ج) ويفرض العلمانية على تركيا ويقول عَنها: إنها تَعني أن نكون آدميين، ويغير أحرف الكتابة إلى الأحرف اللاتينية.

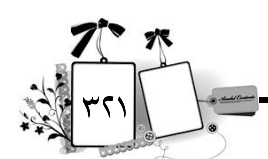
د) مصطفى أتاتورك الذي باع أذربيجان للرُّوس، عندما طلب الأذربيجانيون السماح بدخول الجيوش الرُّوسية بحجة أنها متوجهة إلى مساعدة تركية، وبعد أن دخل البلاشفة إلى أذربيجان لم يخرجوا منها ولم يرسلوا جيوشًا إلى تركيا.

هـ) مصطفى أتاتورك الذي يجلس إلى مائدة الخمْرِ، وسط الدَّعارة والفجور يشير إلى راقصة داعِرة نبيلة هانم فَتقرأ أذان الفجر. عدوُّه الأكبر رسول الله ﷺ.

و) مصطفى أتاتورك الذي أراد أن تكون لغة الصَّلاة التركية.

ز) مصطَفى أتاتورك الذي من على مائدة الخمر يُصدر أمرًا بتحويل مسجد صوفيا إلَى متحف، أما فحشه وشذوذه وعربدته وسكره ومجونه فحدِّث ولا حرج.

ح) الغازي أتاتورك الذي كان يذهب إلى دار المعلمات ويَأخذ جبرًا بنات الأمة البريئات ليفسق بهنَّ، إنه يخطف البنات مثل قطاع الطرق، وكان يستعمل وزير خارجيته توفيق رشدي سمسارًا لشهواته.



ط) أتاتورك الذي ألغى عيدي الفطر والأضحى، وجعل يَوم الأحد هو يوم العطلة الأسبوعية بدلًا من الجمعة، ومنَعَ الحج. بل أغرب من هذا أن نقلت جريدة: صندي تايمز في يوم الخميس ١٥ فبراير سنة ١٩٦٨م تحت عنوان: كمال أتاتورك رشح سفير بريطانيا ليخلفه في رئاسة الجمهورية التركية، هل بعد هذا تبعية وولاء لبريطانيا التي أسقطت دولة الخلافة على يد عميلها أتاتورك.

○ كيف مات الزعيم المجرم:

في مرض مَوته، في قصره ابتَلاه الله بحشرات صغيرة حمراء لا تُرى بالعين حتى اضطرته إلى الحَكِّ والحك الشديد أمام زُوَّاره، حتى ظهرت على وجْهِه وأمر بتعقيم البيت بأقوى الأدوية وأكثرها فاعلية، ويكتب مستشار وزارة الصحة ما يلي: نَعم صحيح أنه وجِد نمل في بعض أرجاء القصر، حتَّى إن المختصين أثبتوا أنه نَوع من النمل المهاجر من الصين إلى أوروبا، ولم يكن يَخطُر ببال أحد احتمال أن هناك وراء الحَكَّة سببًا آخر، وأحيل الأمر إلى متخصصين من القُوة البحرية، فحضر طاقم من مدمرة ياووز لتصيد النمل الذي في القصر، مدمرة ياووز الموجودة في ميناء أزميت يا للجنون! فلَم لم يطلبوه من حامية أنقرة، جنود ومدمرة لسحق النمل! ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [سورة المدثر: ٣١].

وانظر إلى حكمة الله فإنَّه بالرغم من كونه مُحاطًا بالأطباء والأخصائيين وأساتذة الطب، لم يكتشفوا أنه كان مريضًا بالكبد، وذاق مر العذاب من سنة ١٩٣٦م حتى اكتشفوا المرض سنة ١٩٣٨م، الذي يعرفه أقل الأطباء معرفة بالطِّبِّ، وابتلاه الله بتليف الكبد الذي أدَّى إلى الاستسقاء، واحتاج إلى سحب الماء من بطنه بالإبر، وكان يَصيح بمن حوله والأطباء: اسحبوا المياه(١)، حالًا.. اسحبوها كلها.. لا تدعوا شيئًا منها(٢).

---

(١) أي من بطنه.

(٢) «الجزاء من جنس العمل»، للسيد العفاني، الناشر: مكتبة ابن تيمية القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٥هـ: (ص٤٠١ ـ ٤٠٥).

وفي يوم الخميس العاشر من أكتوبر يرحَل إلى مزبلة التاريخ، يرحل عن هذا العالم ويدور جدال حولَ الصلاة عليه، وكان من رأي رئيس الوزراء ألا يصلى عليه ولكن من الذي أمَّ الناس؟.

إنه مدير الأوقاف شرف الدين أفندي الذي أصبح رئيسًا للشئون الدينية في عهد أينونو، حاول إقناع أينونو بالقيام بكُفر لم يستطع أتاتورك نفسه القيام به، وهو جعل الترجمة التركية للقرآن الكريم لغة للعِبَادة، وفرض قراءتها في الجوامع بقوة القانون... ويا لله أتاتورك يصلي عليه شرف الدين هذا، وافق الشن الطبق.

وعرضوا جُثمانه لزيارة الناس ثلاثة أيام بلياليها، ومات نتيجة الازدحام الشديد أربعة عشر شخصًا وفقدت بعض البنات بكارتهن بأصابع عديمي الحياء، مارسوا هذا أمام تابوته الرصاصي كعادة الصليبيين.

وبضدها تتميز الأشياء:

فها هي النِّهايات الحميدة لمن آمن بالله وعمل صالحًا ثُمَّ اهتدى، فمنهم من مات وهو ساجد أو وهو يرفع الأذان، أو شهيدًا في المعركة، أو صائمًا في يوم صائف، أو وهو حاج أو معتمر....[(١)]، قال ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَّلَهُ». قيل: وَما عَسَّله؟ قالَ: «يَفْتَحُ لَهُ عَمَلًا صَالِحًا قَبْلَ مَوْتِهِ ثُمَّ يَقْبِضُهُ عَلَيْهِ»[(٢)]، وقال عليه الصلاة والسلام: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا طَهَّرَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ» قالوا: وما طَهُور العبد؟ قال: «عَمَلٌ صَالِحٌ يُلْهِمُهُ إِيَّاهُ حَتَّى يَقْبِضَهُ عَلَيْهِ»[(٣)(٤)].

---

(١) انظر كتاب «حكايات من حسن الخاتمة» ـ فقد أورد العديد من قصص السلف والخلف.

(٢) «صحيح الجامع»: (٣٠٧).

(٣) «صحيح الجامع»: رقم (٣٠٦).

(٤) انظر كتاب «حكايات من حسن الخاتم»، لمنصور بن ناصر العواجي – فقد أورد عددًا من قصص السابقين والمعاصرين ممن حسنت خاتمتهم.

المطلب الثالث: أحوال المنافقين في قبورهم

من اليقين الذي لا مرية فيه:

١. أن المُنافقين كما هم في الدِّركِ الأسفل من النار يوم القيامَةِ، فكذلك في قبورهم هم من أشدِّ أهْلِ القبور عذابًا؛ لأنه أوَّل منازل الآخرة، فقبورُهم عليهم حفرًا من حفر النار.

٢. وبناءً على ما سبق، فَكلُّ وَعيد وعذاب ومقت وسخط جَاء ذكره في حق الكفار فجزاء المنافقين منه أوفر الحظ والنصيب.

وهذا المبحث على وجهين:

الوجه الأول: حال المنافق عند فراقه الدنيا:

أ) يبَشَّر بالعَذاب والسُّخط والغضَبِ مِن الله: حَيث تَنزِل عليه ملائكة سُود الوجوه يخاطبون روحه: «أَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ»[(١)]، لذا فَهو يكره لقاء الله عند الموت، كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيّ ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»، قالت عائشة أو بعض أزواجه رضي الله تعالى عنهن جميعًا: إنا لنكرهُ الموت؟! قال: « لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ الله وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ الله وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ الله وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ

(١) جزء من حديث أخرجه ابن ماجه في «سننه»، من حديث أبي هريرة في كتاب الزهد، باب ذكر الموت: رقم (٣٤٣٧) (٢/ ٤٢٠)، وصححه الألباني. وأورده الحافظ بن كثير في «تفسيره»: (٤/ ٤١٧).



إِلَيهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَكَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»(١).

فإذا احتضر الكافر أو المنافق بشرته الملائكة بالأغلال والنكال والجحيم وغضب الجبار المتعال، امتنعت الروح عن الخروج من الجسد خوفًا من تلك البشارة.

ب) قبضُ رُوح المنافق بأبْشَع صورة: يوضِّح ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٩٣].

وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [سورة الأنفال: ٥٠]، فتتفرق روح المنافق في جَسَده، فتأتي الملائكة وتَنتزعها بِالقوَّة كما ينتزع السفود(٢) من الصُّوف المبلول، فتخرج معها العروق والعصب.

ج) استقبال روحه أسْوأ استِقْبال: فإذا خرجت روحُ الكافر وضعتها الملائكة في المَسُوح(٣) وهي كأنْتَن جيفة تتأذىٰ منها الملائكة، وهناك في السماء يُهان إهانة ما بعدها إهانة، يدلُّ علىٰ ذلك حديثُ البراء بن عازب؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيث يقول ﷺ: «وَإِنَّ العَبْدَ الكَافِرَ (وَفِي رِوَايَةٍ: الفَاجِرَ) إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّماءِ سُودُ الوُجُوهِ مَعَهُمُ المُسُوح، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الخَبِيثَةُ

---

(١) «صحيح البخاري مع الفتح»، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله: (٦٥٠٧).

(٢) السفُّود: حديدة يُشوىٰ بها. «القاموس المحيط»: ص (٣٦٩).

(٣) مفرد مسح وهو الكساء من الشعر. «لسان العرب»: (٣/ ٤٨١).

اخْرُجِي إِلَىٰ سَخَطٍ مِنَ الله وَغَضَبٍ. قَالَ: فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ المَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّىٰ يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ المُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَىٰ مَلَأٍ مِنَ المَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلانُ ابْنُ فُلَانٍ بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهَا إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [سورة الأعراف: ٤٠]، فَيَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينَ فِي الأَرْضِ السُّفْلَىٰ، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [سورة الحج: ٣١]... » الحديث(١)..

وهكذا تُطرحُ رُوح الكافر من السَّماء إلىٰ الأرض حتَّىٰ تصير إلىٰ القَبر دار البرزخ، وممَّا يدلُّ علىٰ أنَّ المنافق داخلٌ فِي هذا الوعيد دخولًا أوليًّا.. ما جاء في الرواية الأخرىٰ: «وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُ»(٢).

الوجه الثاني: مصير المنافق الذي يؤول إليه في قبره:

وعذاب القبر ثابتٌ للمُنافقين كما ثبت للكفار، بدِلَالة الكتاب والسُّنَّة والإجماع، وممَّا يدل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده»: (٤/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨) (٤/ ٢٩٥)، وبهامشه منتخب كنز العمال المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ، وأورد المنذري في «الترغيب والترهيب»: (٤/ ٣٦٦)، وقال: هذا حديث صحيح رواته فحج بهم الصحيح.

(٢) «فتح الباري»، ك الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر: رقم (١٣٧٤).



يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة التوبة: ١٠١].

وقد نقل الإمَامُ الطَّبري إجماع بعضِ المُفسرين أن المقصود بقوله تعالىٰ: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾: إحْداهما في الدنيا والأُخرىٰ في القَبر، ومما يؤكد ذَلك قولُه تعالىٰ: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة التوبة: ١٠١]، ففيها دلالة علىٰ أنَّ العَذاب في المرتين كِلتَيهما قبل دخُول النَّار والأغلب من إحدىٰ المرتين أنَّها في القبر.. وقوله: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة التوبة: ١٠١]، يقول: ثم يردُّ هَؤُلاءِ المنافقون بعد تعذيب الله إيَّاهم مرتين إلىٰ عذاب عظيم، وذلك عذاب جهنم(١).

أ) ـ سؤال الملكين للمنافق وفشله في الإجابة:

يأتي المنافق المَلَكان مُنكر ونكير في صُورة مرعبة، لو رآها أعْظَم الرِّجال قوة لم يطق رؤيته، فيجْلِسانه ويَسألانه عن ربِّه ودِينه ونَبيِّه، فلا يستطيع الإجابة، لأنَّه كان في الدنيا غافلًا عنها، فنَاسب ذلك مقامه في القبر، يدلُّ علىٰ ذلك الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيّ ﷺ أنه قالَ في ذِكر الكافر وحاله في القبر، ومما جاء فيه قوله ﷺ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاه هَاه لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاه هَاه لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاه هَاه لَا أَدْرِي... ». الحديث(٢).

ب) ـ العذاب الحسي للمنافق في قبره:

ونتيجة لحرمان الله له من الإجابة علىٰ المَلَكين تُقام عليه الحجة ويُصبُّ عليهِ العذاب، فيضرب بمرزبَّة من حديد لو ضرب بها جبلٌ لكان ترابًا، ويفرش له في

---

(١) «تفسير ابن جرير الطبري»: (١١/ ٨ ـ ١٠)، بتصرف.

(٢) «فتح الباري»، ك الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر: رقم (١٣٧٤).

قَبره فرش من النار، ويُفتح له بابٌ إلى النار، ويُضيق عَليه قبره حتى تختلف فيه أضْلاعُه، ويسلط عليه ثَعابين القبر، وتعرض روحُه عَلى النار كل يوم مرَّتين إلى أن تقوم الساعة، وممَّا يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [سورة غافر: ٤٥-٤٦].

يقول ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّهم لَمَّا هَلكوا وأغرقهم الله جُعلَت أرواحُهم في أجواف طير سُود، فهي تُعرض على النار كل يوم مَرَّتين غدوًا وعشيًّا إلى أن تقوم الساعة»(١)، وهذا وإن كان خاصًّا بِقوم فرعون الكافرين، فإنَّه يصح لكل كافر مثلهم، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

وممَّا يدلُّ عَلى عذابهم الحسي في القبر مَا ذكره الإمام أحمد عن البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ومما جاء فيه قوله ﷺ: «فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا ويُضَيَّقُ عَلَيهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ... ». الحديث(٢).

ج) ـ العذاب النفسي للمنافق في قبره:

وذلك ساعة أن تنْكَشف له أعمالُهُ الدُّنيويَّة الخَبيثة، وتأتيه متمَثِّلة في صورة رجُلٍ قبيح، فيخاطبهُ ويَدعو له بالشر، حِينئذ يتمنى ألا تَقوم الساعة، كما ورد ذلك في حديث البراء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ السابق، وفيه: «... وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِر بِالذِي يَسُوؤُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ، فَوَجْهُكَ الوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟! فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ

(١) «تفسير الطبري»: (٢٤/ ٤٦).

(٢) سبق تخريجه.

لَا تُقِمِ السَّاعَةَ»، وفي رواية له بمعناه وَزَاد: «فَيَأْتِيهِ آتٍ قَبِيحُ الوَجْهِ قَبِيحُ الثِّيَابِ مُنْتَنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِهَوَانٍ مِنَ اللهِ وَعَذَابٍ مُقِيمٍ، فَيَقُولُ: وَأَنْتَ فَبَشَّرَكَ اللهُ بِالشَّرِّ مَنْ أَنْتَ؟! فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الخَبِيثُ، كُنْتَ بَطِيئًا عَنْ طَاعَةِ اللهِ، سَرِيعًا فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، فَجَزَاكَ اللهُ شَرًّا، ثُمَّ يُقَيَّضُ لَهُ أَعْمَىٰ أَصَمُّ أَبْكَمُ فِي يَدِهِ مِرْزَبَّةٌ لَو ضُرِبَ بِهَا جَبَلٌ كَانَ تُرَابًا، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً حَتَّىٰ يَصِيرَ تُرَابًا، ثُمَّ يُعِيدُهُ اللهُ كَمَا كَانَ، فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَىٰ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهُ كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ، قَالَ البَرَاءُ: ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنَ النَّارِ وَيُمَهَّدُ مِنْ فِرَاشِ النَّارِ»(١).

ومن العذاب النفسي للمنافق في قبره أن لا عَمَل صَالح له من صَلاة وصوم وصدقة وإحسان يُدافع عنه ويُؤنس وحشته، فيَزدَاد لذلك خوفًا ورعبًا وألمًا وحسْرة، وممَّا جاء في ذلك عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ المَيِّتَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ إِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَانَتِ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتِ الزَّكَاةُ عَنْ شِمَالِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الخَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ وَالصِّلَةِ وَالمَعْرُوفِ وَالإِحْسَانِ إِلَىٰ النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُؤْتَىٰ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُؤْتَىٰ عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ.. وَإِنَّ الكَافِرَ إِذَا أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ لَمْ يُوجَدْ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يُوجَدِ شَيْءٌ، ثَمَّ أُتِيَ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، ثُمَّ أُتِيَ مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ فَلَا يُوجَدُ شَيْءٌ، فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ، فَيَجْلِسُ خَائِفًا مَرْعُوبًا، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَكَ هَذَا الرَّجُل الذِي كَانَ فِيكُمْ مَاذَا تَقُولُ فِيهِ، وَمَاذَا تَشْهَدُ بِهِ عَلَيهِ؟ فَيَقُولُ: أَيُّ رَجُلٍ؟ فَيُقَالُ: الذِي كَانَ فِيكُمْ، فَلَا يَهْتَدِي لِاسْمِهِ، حَتَّىٰ يُقَالُ لَهُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: مَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ قَالُوا قَوْلًا، فَقُلْتُ كَمَا قَالَ النَّاسُ، فَيُقَالُ لَهُ: عَلَىٰ ذَلِكَ حَيِيتَ وَعَلَىٰ ذَلِكَ مِتَّ وَعَلَىٰ

---

(١) سبق تخريجه.



ذَلِكَ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنَ النَّارِ وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهَا، فَيَزْدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا، ثُمَّ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنَ الجَنَّةِ وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَكَ فِيهِ لَوْ أَطَعْتَهُ، فَيَزْدَادُ حَسْرَةً وَثُبُورًا، ثُمَّ يُضَيِّقُ عَلِيهِ قَبْرُهُ حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلَاعُهُ». الحديث[١].

ممَّا ينالهم في قبورهم -والعياذ بالله- ومن ذلك حديث عن سَمُرَةَ بن جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[٢] قال: كانَ النَّبيّ ﷺ إذا صلىٰ صلَاةً أقْبل علينا بوجهه فقَال: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤيَا؟» قَالَ: فَإن رَأىٰ أحدٌ قَصَّها، فيقول ما شاء الله.

فسألنا يومًا فقال: «هَلْ رَأَىٰ أَحَدٌ مَنْكُمْ رُؤيَا؟». قُلنَا: لا. قال: «لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتيَانِي، فَأَخَذَا بِيَدَيَ فَأَخْرَجَانِي إِلَىٰ الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ -قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَىٰ: إِنَّهُ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ يُدْخِلُهُ فِي شِدْقِهِ- حَتَّىٰ يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ. قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا حَتَّىٰ أَتَيْنَا عَلَىٰ رُجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَىٰ قَفَاهُ، وَرُجُلٌ قَائِمٌ عَلَىٰ رَأْسِهِ بِفِهْرٍ[٣] أَو صَخْرَةٍ، فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه»: رقم (٣١١٣)، بإسناد حسن واللفظ له، ورواه الحاكم في «المستدرك»: (١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠)، وقال: صحيح الإسناد علىٰ شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وقد حسنه الشيخ الألباني في «الترغيب والترهيب»: برقم (٣٥٦١).

(٢) هو: سمرة بن جندب بن هلال بن جريح الفزاري. صحابي، من الشجعان القادة. نشأ في المدينة ونزل البصرة. فكان زياد يستخلفه عليها إذا سار إلىٰ الكوفة. روىٰ عن النَّبيّ ﷺ وعن أبي عبيدة. وعنه ابناه سليمان وسعد، وعبد الله بن بريدة وغيرهم. ينظر «الإصابة في تميز الصحابة»، لابن حجر: (٢/ ٧٨)، و«تهذيب التهذيب»، لابن حجر: (٤/ ٢٣٦).

(٣) هو حجر بملء الكف، وقيل: هو الحجر مطلقًا. انظر «عمدة القارئ شرح صحيح البخاري»: (١٣/ ١٣٦).

تَدَهْدَهَ الحَجَرُ، فَانْطَلَقَ إِلَيهِ لِيَأْخُذَهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثُقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ أَعْلَاهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ، فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ، عَلَى وَسَطِ النَّهرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيهِ حِجَارَةٌ فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الذِي فِي النَّهرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ. فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَا: انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا حَتَى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِبْيَانٌ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا، فَصَعَدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ وَأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ وَنِسَاءٌ وَصِبْيَانٌ، ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعَدَا بِي الشَّجَرَةَ فَأَدْخَلَانِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ، فِيهَا شُيُوخٌ وَشَبَابٌ. فَقُلْتُ: طَوَفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ. قَالَا: نَعَمْ، أَمَّا الذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالكَذِبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

وَالذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ. وَالذِي رَأَيْتَهُ فِي الثُّقْبِ فَهُمُ الزُّنَاةُ. وَالذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهرِ آكِلُو الرِّبَا. وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، والصِّبْيَانُ حَوْلَهُ فَأَوْلَادُ النَّاسِ، وَالذِي يُوقِدُ النَّار مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ. وَالدَّارُ الأُولَى التِي دَخَلْتَ دَارُ عَامَّةِ المُؤْمِنِينَ. وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ. وَأَنَا جِبرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ. فَارْفَعْ رَأْسَكَ. فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا فَوقِي مِثْلُ السَّحَابِ، قَالَا: ذَاكَ مَنْزِلُكَ. قُلْتُ: دَعَانِي



أَدْخُلُ مَنْزِلِي. قَالَا: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمْرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ، فَلَوْ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ»(١).

❍ من تأمَّل الحديث وجَد أن المنافقين قَد نالهم من ألوان العَذاب المذكورة فيه شئ كبير والعياذ بالله.

١. فأشدَاقُهم تشَقُّ إلى مُؤخرة أعناقهم؛ لأن الكذب من أبرزِ صِفاتهم، بل ويحلفون على الكذب وهم يعلمون قال تعالى: ﴿وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة التوبة: ١٠٧]، ﴿وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ﴾ [سورة التوبة: ٦٥]، ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ﴾ [سورة التوبة: ٤٧]، ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌ﴾ [سورة النور: ٣٥].

ومن كذبهم إشَاعة الأراجيف والأكاذيب توهينًا للصف وإثارةً للتفريق، وزعزعة لكيان الأمَّة قاتلهم الله أنَّى يؤفكون.

٢. **تشرخ رؤوسهم بصخرة عظيمة:** أليسُوا من المتقاعِسين عن الصلاة، وإذا قاموا إليها قاموا كسالى يُراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلًا، ولولا رَغبتهم في حقن دمائهم واستبقاء أموالهم ما سجدوا لله سجدة.

٣. **يحشرون في تنور في نار جهنم:** لأنَّهم من مُعاقري الزنا وممن يشيعونه في أوساط المسلمين كعبد الله بن أبِيِّ بن سلول لَمَّا كان يُرسل جواريه/ مسيكة ومعاذة للزنا ليتكسب من وراء ذلك، ناهيك عن كون نَفر من المنافقين كانوا يعاكِسُون ويضايقون المسلمات إذا ما خرجن ليلًا إلى البراز(٢).

وما الإفك إلا أعظم الكذب وأقبحه، ومع ذلك فقد جاؤوا بالإفكِ ورَموا أمَّنا

---

(١) «فتح الباري»، ك الجنائز، باب حديث رؤيا النَّبيّ ﷺ: (١٣٨٦).

(٢) انظر تفصيل ذلك.

عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا بالزنا، وهي الطاهرة المبرأة من فوق سبع طباق.

أمَّا الزناة فما أسوأ عقوبتهم في النار -والعياذ بالله- ففي حديث سمرة بن جندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبيّ ﷺ قال: («رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخْرَجَانِي فَانْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، فَإِذَا بيتٌ مَبْنِيٌّ عَلَى مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ أَعْلَاهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ، يُوقَدُ تَحْتَهُ نَارٌ فِي رِجَالٍ وَنِسَاءٍ عُرَاة، فَإِذَا أُوقِدَتِ النَّارُ ارْتَفَعُوا حَتَّى لا يَكَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلاءِ؟ قَالَا: هُمُ الزُّنَاةُ»[(١)].

يقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ: «مناسَبة العُري لهم لاستِحقاقهم أن يُفضحوا، لأنَّ عادتهم أن يستَتِروا في الخلوة فعُوقبوا بالهتك، والحكْمَة في إتيان العذَاب من تحتهم كون جنايَتهم من أعضائهم السفلى»[(٢)].

---

(١) «صحيح البخاري»، ك الجنائز، باب من انتظر حتى تدفن الجنازة: رقم (١٣٨٦).

(٢) «فتح الباري»، ك الجنائز، باب من انتظر حتى تدفن الجنازة: رقم (١٢/ ٤٦٥).



المبحث الرابع

حال المنافق يوم القيامة

أسْوأ الأحوال يوم القيامة حالُ المُنافقين والمنافقات جَزاء وفاقًا؛ وشَأنهم في ذلك اليوم العصيب على وجْهَين:

أولا: حالهم في عرصات المحشر:

أ) قيام المنافق من قبره:

يخرجُ الكَافر من قبره مُسرعًا في صورة يوضحها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [سورة المعارج: ٤٣]، يخرجون مسرعِينَ والهَوان والذُّلُّ يَغشى وجوههم؛ فرُؤوسهم مطأطِئة إلَى الأرض في ذُلٍّ وخُضوع، وأبصارهم خاشعة شاخصة لا ترجع إليهم من شدَّة النظر، ووجوههم مسودة عليها الغبار والتراب، أما الحالة النفسية فلا تقل بشاعة؛ فالأفئدة حائفة والنفوس حَائرة لما يتوقعونه من عذاب الله، وفي ذلك يقول سبحانه: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة عبس: ٤٠-٤٢] ويقول جلا وعلا ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة إبراهيم: ٤٢].

يقول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [سورة إبراهيم: ٤٢]، عنهما عَن شِدَّة حَيرة الكافر عندَ نَشره من القبر: تَشخصُ أَبصار الخلائق يومئذ إلى الهواء لشدة الحيرة»(١).

فإذا كان هذا وجلُ الكافر وتلك حيرته، فكيف بالمنافق؟

---

(١) «تفسير الإمام القرطبي»: (٩/ ٣٧٦).

ب) قدوم المنافق مهانًا إلى أرض المحشر:

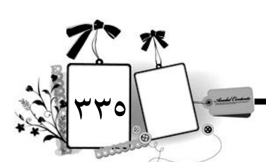
يجاء بالمنافق إلى أرضِ المَحشر في صورة لا تَقلُّ عمَّا قبلها إذلالًا إن لم تزد! فيساق به إلى هناك على وجْهِه، أعمى أبكم أصم، يُوضح ذلك ربُّنا تبارك اسمه وجل شأنه في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [سورة الإسراء: ٧٩]، وفي قولِه جلا وعلا: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [سورة طه: ٤٢١]، وهذا الجَزاء من جنس العمل.

إنها فعلاً صورة منفرة، وقد تعجَّب منهَا الصَّحابة رضوان الله عليهم، يقول أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رجلًا قال: يا نبيَّ الله، كيف يُحشر الكافر على وجهه؟ قال: «أَلَيْسَ الذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيهِ عَلَى وَجْهِهِ يومَ القِيَامَةِ»(١).

ج). يأتون أذلة خَاسئين يقسمون بالله أنهم كَانوا على الحق، إن الموقف عصيب والحساب عسير: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَـٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [سورة طه: ١٠٨]، ومن بَين تِلك الهَمسات يَظهرُ صَوت المنافقين حَالفين مقسمين أنَّهم كانوا على الحق، ظَانِّين أن ذلك ينفعهم عند خالِقهم، مُتناسِين أنَّ الله علاّم الغيوب لا يخفى عليه شيء يعلم السر وأخفى، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ﴾ [سورة المجادلة: ١٨]، عندَها يقول الأشهاد: ﴿هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [سورة هود: ١٨].

---

(١) «صحيح البخاري مع الفتح»، ك الزقاق، باب المحشر: برقم (٦٥٢٣)، ورواه مسلم، ك صفات المنافقين، باب يحشر الكافر على وجهه: برقم (٢٨٠٦).



يشهد لذلك ما رواه ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سَمِعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ يَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَي رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليومَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاءِ الذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ»(١).

د) حال المنافق عند العرض على الله:

﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ [سورة القيامة: ١٠-١٢]، رَوى أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «فَيَلْقَى العَبْدَ فَيَقُولُ: أَي فُلُ(٢) أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الخَيلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فيَقُولُ: بَلَى، قَالَ فيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فيَقُولُ: لَا. فيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي، فَيَقُولُ: أَي فُلُ، أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الخَيْلَ وَالإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، أَي رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فيَقُولُ: لَا، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ فيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِه وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعِلْمِهِ، وَذَلِكَ لِيُعْذَرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ»(٣).

---

(١) «صحيح البخاري مع الفتح»، ك المظالم باب قوله تعالى ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾: رقم (٢٤٤١).

(٢) أي فل: معناه يا فلان. «هامش صحيح مسلم»: (٤/ ٢٢٧٩).

(٣) رواه مسلم في «صحيحه»، ك الزهد والرقاق دون اسم، باب برقم: (٢٩٦٨).

قال الله تعالىٰ: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [سورة فصلت: ١٩-٢١]، وقال تعالىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة يس: ٦٥].

وفي رِوايَة أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كنَّا عِند رسول الله ﷺ فضَحك فقَال: «هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟»، قال: قُلنَا: اللهُ ورَسُوله أعلم. قَال: «مِنْ مُخَاطَبَةِ العَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَىٰ، قَالَ: فَيَقُولُ: إِنِّي لا أُجِيزُ عَلَىٰ نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَىٰ بِنَفْسِكَ اليَومَ عَلَيكَ شَهِيدًا، وَبِالكِرَام الكَاتِبِينَ شُهُودًا، ثُمَّ يُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ. قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الكَلَامِ. قَالَ: فَيَقُولُ، بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ»(١).

هـ) شرُّ الناس علىٰ أرض المحشر المنافقون:

روىٰ أبو هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قالَ رَسُول الله ﷺ: «تَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ ذَا الوَجْهَينِ، الذِي يَأتِي هَؤُلاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلاءِ بِوَجْهٍ»(٢). وعن عمار بن ياسر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رَسُول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ وَجْهانِ فِي الدُّنْيَا كَانَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ لِسَانَانِ مِنْ نَارٍ»(٣).

و) يرائىٰ الله ويُسمِّع بهم يوم القيامة:

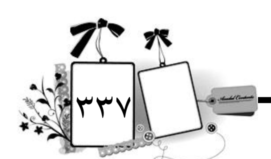
إن عمود خيمة النفاق الرِّياء والعَملُ لِغير وجه الله، لذا كَان جزاؤهم من جنس

---

(١) رواه مسلم في «صحيحه»، ك الزهد والرقائق دون اسم الكتاب، برقم: (٢٩٦٩).

(٢) رواه البخاري: (١٠/ ٣٩٥)، ك الأدب. باب ما قيل في ذي الوجهين، ومسلم، في ك البر والصلة، باب ذم ذي الوجهين، رقم: (٢٥٢٦).

(٣) رواه أبو داود في «سننه»، باب في ذم ذي الوجهين، برقم: (٤٨٧٥) وقال عنه الألباني: صحيح.



عمَلِهم في عرصات يوم القِيامة. عن جندب بن عبدِ الله[(١)] قال: سمعت رسُولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ سَمَّعَ، سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِى اللهُ بِهِ»[(٢)].

وفوقَ ذلِك ينالُ المُنافق من الإذلال والإزدراء مَا الله به عَليم؛ لحديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمِعتُ رَسول الله ﷺ يقولُ: «مَنْ سَمَّعَ النَاسَ بِعَمَلِهِ سَمَّعَ اللهُ بِهِ مَسَامِعَ خَلْقِهِ وَصَغَّرَهُ وَحَقَّرَهُ»، فذرفت عينا ابن عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[(٣)].

قال الامام البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ[(٤)]: «وَقولُه: أَسَامع خَلقِه هِي جمعُ أَسْمع. يُقال: سمع وأسمع وأسامع جمع الجَمع، يُريد أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُسمِّع أَسَامع خلقه بِهِ يوم القيامة، ويحتَمل أن يكون أرادَ بِهِ أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يُظهر للنَّاس سريرته، ويَملأ أسماعهم بما ينطَوي عليه من خبثِ السَّرائر جزاءً لِفعله، كما قال عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

(١) هو: جُنْدُبُ بن عبد الله بن سفيان الْبَجَلِيُّ ثم الْعَلَقِيُّ، وَعَلَقَةُ بَطْنٌ من بَجِيلَةَ وبعضهم، يكنىٰ أبا عبد الله، له صحبة، ينسب تارة إلىٰ أبيه وتارة إلىٰ جده، ويقال: جندب بن خالد بن سفيان. روىٰ عن: النَّبيّ ﷺ، وعن حذيفة بن اليمان. وقال أبوعمران الجوني، عن جندب بن عبد الله كنا مع النَّبيّ ﷺ، ونحن فتيان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ثم تعلمنا القرآن، فازددنا به إيمانا. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي: (٥/ ١٣٧)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر: (١/ ٢٥٦)، و«الطبقات الكبرىٰ»، لابن سعد: (٦/ ٣٥)، و«معرفة الصحابة»، لأبي نعيم: (٢/ ٥٧٧)، و«سير أعلام النبلاء»، للذهبي: (٣/ ١٧٤).

(٢) البخاري، ك الرقائق، باب الرياء والسمعة: (١١/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨)، ومسلم، ك الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله: (٢٩٨٧).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده»: (٦٥٠٩) و(٦٨٣٩) و(٦٩٨٦) و(٧٠٨٥)، وذكره الهيثمي في «المجمع»: (١٠/ ٢٢٢)، وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب»: (١/ ٣١)، وقال عنه الشيخ الألباني صحيح.

(٤) «شرح السنة»، للإمام البغوي: (١٤/ ٣٢٦).

«مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ حَتَّىٰ يَفْضَحَهُ»(١).

ز) تهتك أستارهم بنصب ألوية عذر لهم في أرض المحشر:

عن أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النَّبيّ ﷺ قال: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ القِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ»(٢)، وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النَّبيّ ﷺ قال: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْد اسْتِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»(٣).

قال المناوي عن الغادر: «يُنصَب لهُ يَوم القيامة لواء غَدر؛ أي: بِعلَم يُعرف بهِ في ذلك المَوقف الأعظَمِ تَشهيرًا له بالغدر علىٰ رُؤوس الأشهاد، فلمّا كَان إنَّما يقع مكتومًا مستورًا اشْتَهر صاحبه بكشفِ سِتره لتتم فَضيحته وتشيع عقوبَته»، وذَكر في رواية أخرىٰ: «أن ذلكَ اللواء ينصب عند استه مُبالغة في غَرابة شهرته وقبيح فِعلته، وعلىٰ هذا فاللواء حقيقي»(٤).

وقال المناوي أيضًا: «يُرفعُ له علمٌ يوم القيامة خلفَه، تشهيرًا له بالغدر، وإخْزاء وتفضيحًا علىٰ رؤوس الأشهاد، يُنادىٰ عليه في ذلِك المحفل العظيم: ألا إنَّ هَذه غدرة فلان، أي عَلامة علىٰ غدرة فلان ابن فلان، ويُرفع في نسبه حتَّىٰ يتميز عن غيرِه تمييزًا تامًّا، وظاهره أن لكل غدرَة لواء، فإن تعدَّدَت غدراته كان له بمثلها أَلْوِية، وحِكمة نصب اللواء أن العقوبة تقع غالبًا بضدِّ الذَّنب، والغدر خفي،

---

(١) قطعة من حديث أخرجه أحمد في «مسنده»: (٤/ ٤٢١ ـ ٤٢٤)، وأبو داود: (٤٨٨٠)، من حديث أبي برزة.

(٢) البخاري، ك الجهاد، باب إثم الغدر للبر والفاجر: (٦/ ٢٠٢)، ومسلم، ك الجهاد، باب تحريم الغدر: (١٧٣٧).

(٣) رواه مسلم، ك الجهاد، باب تحريم الغدر: (١٧٣٨).

(٤) «فيض القدير»: (١/ ٢٨٩)، للمناوي.

فاشتهرت عقوبته بإشهار اللواء[١]، وإنَّما كان اللواء عند استِه لتكون الصُّورتان مكشوفتين: الظاهرة في الأخلاق والباطنة في الخلق»[٢].

وهل أحدٌ أعظم غدرًا وخيانة من المنافقين؛ وشواهد ذلك ماثلة عبر سيرتهم غير العطرة مع النَّبيّ ﷺ طيلة العهد المدني. فكم غَدروا بعد عهود، وخَانوا بعد مواثيق، وارتدوا على أدبارهم بعد خروجهم للغزو.

ج) يحشرون يوم القيامة عميًا.

جَزاء إعْراضِهم عن ذكر الله وطاعَتِه؛ يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة طه: ١٢٤-١٢٥]. قال عكرمة: عمي عليه كلُ شيء إلا جهنم، وقال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [سورة الإسراء: ٩٧]، فمن كَانت هذه حالُه كَيف سيمضي على الصراط، وكيف يبصر موضع قدمِه؟ نَعوذ بالله من الضَّلال.

ذكر أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رجلًا قال: يا نبي الله، كيف يُحشر الكافر على وجهه؟ قال: «أَلَيسَ الذِي أَمْشَاهُ عَلَى الرِّجْلَيْنِ فِي الدُّنْيَا قَادِرًا عَلَى أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَى وَجْهِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[٣].

ط). ومن سوء عاقبتهم أنهم يُذادون عن حَوضِ النَّبيّ ﷺ، فقد روى أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ

---

(١) «فيض القدير»: (٢/ ٣٧٧)، للمناوي.

(٢) «الجزاء من جنس العمل»: (٢/ ٢٤٩)، للسيد العفاني.

(٣) «فتح الباري»، ك الرقاق، باب المحشر: برقم (٦٥٢٣)، ورواه مسلم، ك صفات المنافقين، باب يحشر الكافر على وجهه: (٢٨٠٦)، واللفظ للبخاري.

بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي. فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي»(١).

ي). المنافقون على جسر جهنم:

بعد سلب النور عنهم بَعد فصلِ القَضاءِ بَين العباد، يَنتقِل المُنافقون إلى مَنزلٍ آخر استعدَادًا لعُبور الصِّراط المنْصُوب على جهنم، كما جَاء ذلك في الحديث السابق، هَذا المنزل يغشَاه ظلمة شديدَة فيهَا يقسم النُّور ويُعطى كل إنسَان نورًا، منافقًا كان أو مؤمنًا لعُبور الجسر، فبينَما هُم يمشون؛ إذ بَعث الله فِيهم ريحًا وظُلمة، فأطفأ الله بذلكَ نُور المنافقين(٢) وسلب منهُم الضَّوء، يدلُّ عَلى ذلك ما رواه الإمام مُسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قَال رسول الله ﷺ: «فَتُدْعَى الأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينَا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْكَ، فَيَتجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ»، قَالَ: «فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ وَيُعْطِي كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ، مُنَافِقٌ أَوْ مُؤْمِنٌ نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ»(٣).

وبينَما المُنافقون على الصِّراط تُحيط بهم ظُلمات سَيِّئاتهم فلا يُبصِرون مواضع أقدامِهم، ويُثقلهم كفرُهم فلا يستَطِيعون مُسايرة المُؤمنين. وبينَما هم في صِراخ مُستميتٍ يَطلبون من المؤمنين نورًا: ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ [سورة الحديد: ١٣]،

---

(١) البخاري، ك الرقاق، باب الحوض: (١١/ ٤١٢ ـ ٤١٣)، ومسلم، ك الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته: (٢٢٩٠).

(٢) «تفسير القرطبي»: (١٧/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦).

(٣) «صحيح مسلم»، ك الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها: برقم (١٩١).

فبينَما هم علىٰ هَذه الحالِ يَأتيهم صوت يحمِلُ فِي طياته التَّهكُّم والسُّخرية والاستهزَاء، صَوت يخيب آمَالهَم قائلًا: ﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾ [سورة الحديد: ١٣]، وعَلىٰ الفور يرجعون حين يقَالُ لهَم ذلك إلىٰ المكانِ الذِي قسم فيه النور! فلا يَجدونَ شيئًا، فينصرفُونَ مُسرعين إلىٰ المؤمنين علَّهُم يلحقونهم، ويرجُونهم فلا يجدون أَنْفُسهم إلا وقد ضرب بينَهُم وبين المُسلمين بسور، بِاطنه من جهة المُسلِمين فيه الرحمَة والنعيم -الجَنة- وظَاهرُه من جهة المُنافقين العذاب في جهنم[(١)].

يقول مقاتل: «هذا من الاستهزاء بِهِم كما استهزؤوا بالمؤمِنين في الدنيَا حِين قالوا: آمنَّا وليسُوا بمؤمنين[(٢)]، هنا يَغتمُّ المُنافقون ويصابُون بالحَسرة، فيُحاولون خداع المؤمنين بالكلامِ الطَّيب، ويعاودون كلامهم قائلين: ألمْ نكن معكم في الدُّنيا؟ فلماذا إذًا هذا السور الآنَ بيننا؟ فيَأتيهم الجَواب سريعًا من المُؤمنين قائلين لهم: بَلىٰ كنتم مَعنا في الظَّاهر، ولكن لم تكونوا معَنا في الحقيقة، لقد فَتنتم أنفسَكُم بالكفر، وتربَّصْتُم في مواقع الكفر، وارتَبتُم فيما أنزل الله علىٰ رسوله ﷺ، وغرتكُمُ الأمَاني التي كنتم تتَمنونها بسلوككم مسالِك النِّفاق، ولبثتم علىٰ حالِكم هَذه حتىٰ جاءكم الموت، وأَنْتم مغترون بوساوس الشيطان»[(٣)].

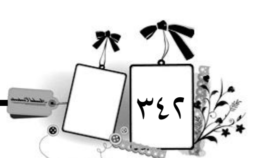
وفي بيان هذا يقول تعالىٰ: ﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣ يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ

---

(١) انظر «تفسير الطبري»: (٢٧/ ١٣١)، و«تفسير ابن كثير»: (٨/ ٤٢ ـ ٤٣)، والقرطبي: (١٧/ ٢٤٧).

(٢) «روح المعاني»: (٢٧/ ١٧٦).

(٣) ينظر «الأخلاق الإِسْلامية وأسسها»، للأستاذ عبد الرحمن الميداني: (١/ ٥٦٨).



﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ١٤ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ [سورة الحديد: ١٣-١٥].

ك). من علاماتهم يوم القيامة عدم قدرتهم على السجود:

ومما يُعرفون به في ذلك اليوم أنَّ اللهَ إذا تجلَّى لعباده، فيَعزمون على السُّجود له، فلا يستطيعون بِحيث تُصبحُ فَقرات ظهورهم كالفَقارة الواحدة، كلَّما أراد أحدهم أن يسجد خرَّ لقفاه(١)؛ يقول تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ٤٢ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ٤٣﴾ [سورة القلم: ٤٢-٤٣]، كما يوضح هذا المعنى الحديث الذي رواه الإمام البخاريُّ في «صحيحه»، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، كَذَلِكَ يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَيَتَّبِعُ؟ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ وَيَتَّبِعُ؟ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ؟ وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهُمُ اللهُ فِي غَيرِ الصُّورَةِ التِي يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِالله مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ..» الحديث(٢).

وفي رواية للإمام مسلم، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسُول الله ﷺ: «فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِالله مِنْكَ، لا نُشْرِكُ بِالله شَيْئًا -مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا- حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ، فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لله مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ

(١) «تفسير ابن كثير»: (٨/ ٢٢٦)، بتصرف.

(٢) «صحيح البخاري مع الفتح»، ك الرقاق، باب الصراط جسر جهنم: رقم (٦٥٧٣).



طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَىٰ قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُؤوسَهُمْ وَقَدْ تَحَوَّلَ فِي صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الجِسْرُ عَلَىٰ جَهَنَّمَ، وَتَحُلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ»(١).

ثانيًا: حال المنافقين في نار جهنم:

ولا يزالُ المُنافقون يتقلَّبُون بين يدي الجبَّار مِن حسرة إلىٰ أُخرىٰ، حتَّىٰ يصلوا إلىٰ مَا توعَّدهم به في قوله سبحانه: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة الفتح: ٦].

يصلون إلىٰ المأوىٰ النِّهائي المذكور في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [سورة التحريم: ٩]، وقوله سبحانه ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [سورة التوبة: ٩٥]، يَصِلون إلىٰ جهنم؛ حيثُ الذُّلُّ والخِزي العظيم الذِي لا ذلَّ أبْشع وأفظع مِنه، والذي هدَّدهم به سبحانه في قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [سورة التوبة: ٦٣]، يصلون إلىٰ جهَنَّم؛ حيثُ لا ينفعهم مالٌ ولا بنون إلا من أتىٰ الله بقلب سليم خالٍ من أمراض النفاق، كما قال سبحانه: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [سورة المجادلة: ١٦-١٧].

---

(١) «صحيح مسلم»، ك الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية: برقم (١٨٣).

وهذه بعض صور تعذيبهم وهوانهم في النار:

١- تعذيبهم في الدرك الأسفل من النار:

ويؤيد هَذا قولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [سورة النساء: ١٤٥]، وكَما أن الجَنَّة درجات، فكذلك النَّار دَركَات، ففي الحديث ما يبيِّن ذَلك ممَّا رواه سمرة بن جندب عن النَّبيّ ﷺ قال في أهل النار: «إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَىٰ حُجْزَتِهِ،[١] وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ إِلَىٰ تُرْقُوَتِهِ»[٢]، وفي رواية: «إِلَىٰ عُنُقِهِ»[٣].

وحتىٰ نتصوَّر شِدَّة عَذاب جهنم وما عَليه حالُ أَهْل النِّفاق وهم في دَركِها الأسفل؛ لنتأمَّل حَديث النعمان بن بشير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال ﷺ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ[٤] مِنْ نَارٍ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ،[٥] مَا يَرَىٰ أَحَدًا أَشَدَّ مِنْهُ عَذَابًا وِإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا»[٦].

فهم في الدَّركِ الأسفَل من النَّار في قَعر جَهنَّم فِي مَسافة تُقدَّر بِسبعين خريفًا، كما جاء ذلك في الحَديث الذي رواه مسلم، عن أبي هُريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: كُنَّا مَع رسول ﷺ؛ إذ سُمِع وَجبَة، فقال النَّبيّ ﷺ: «تَدْرُونَ مَا هَذَا؟». قال: قُلنا: اللهُ ورَسُوله

(١) حجزته: موضع معقد السراويل والإزار في وسط الإنسان. ينظر «لسان العرب»: (٥/ ٣٣٢).

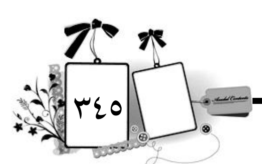
(٢) الترقوة: هي عظم وصل بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين وجمعها التراقي. ينظر «لسان العرب»: (١٠/ ٣٢).

(٣) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب شدة حر النار: (٤/ ٢١٨٥).

(٤) الشراك: سير النعل. ينظر «لسان العرب»: (١٠/ ٤٥١).

(٥) المرجل: القدر من الحجارة والنحاس وقيل قدر النحاس خاصة. ينظر «لسان العرب»: (١١/ ٢٧٤).

(٦) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذابًا: (١/ ١٩٦).



أعلَم، قال: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا»(١).

فالمنافقون تَحتَ سَائر أهل النار، مِن الكُفَّار والفجّار والعصاة، وهذه المَهانَة إنما استحقُّوها لكونهم ضَمُّوا إلى الكفر استهزاء بالإسْلام وخداعًا لأهله(٢)، ويوضح ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تلك المنزلة في ذلك الدرك بقوله: «فِي تَوابيت من حدِيد مُبهمَة مُقفلَة عليهم لا يَهتَدي لمكان فتحِها أحدٌ»(٣).

٢- ما يلحقهم من ذل وهوان يجمعهم مع إخوانهم الكفار:

يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [سورة النساء: ١٤٠]، يَجمَعهُم سُبحانه كما جمعهم في الدُّنيا بِرابطة الإخوة، يَجمعهم لاجتماعهم في الدنيا على الكفرِ، وفِي ذَلك غاية التَّحقير الذي ليس لَه مَثيل، هذا من جِهة، ومن جِهَة أُخرى، فالمُنافِقون في الدُّنيا يتحيزونَ لِلفئَة المنتصِرة، ويَفرحون لذلك التَّحيُّز والجَمع، ولَكن في الآخرة يخذلهم الله ويذلهم، ولا يدخلهم الجَنَّة مع المؤمنين المنتصرين الفَائزينَ، وبهذا يتحقق وعدُهُ لهم سبحانه، والذي جاء في قولِه تَعالَى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٦٨].

٣- إصابتهم بالجرب:

يقولُ تعالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين: ح (٢٨٤٤)

(٢) ينظر «روح المعاني»: (٥/ ١٧٧).

(٣) ينظر «تفسير ابن كثير»: (٢/ ٣٩٣).

ﵟٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗاﵞ [سورة الأحزاب: ٥٨]، وقد أخْرَج ابن أبي حَاتم، عَن مجاهد قوله في هذه الآيَة: «يُلقىٰ الجَربُ علىٰ أهل النَّار، فيحكون حتىٰ تَبدوا العِظَامُ، فيقولون: ربَّنا بماذا أصابنا هذا؟ فيقَال بأذاكم المُسلمين»(١).

٤- البكاء الطويل الذي لا ينقطع في النار:

يقُول سبْحَانه: ﵟفَرِحَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ بِمَقۡعَدِهِمۡ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ ٨١ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٨٢ﵞ [سورة التوبة: ٨١-٨٢].

وقد أخْرَج الإمام الطَّبريُّ مِن طريق أبي رزين(٢) أنَّه قال في هذه الآية: ﵟفَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗاﵞ، قال: في الدُّنيا، فإذا صاروا إلىٰ الآخرة بَكوا بكاء لا ينقطع، فذلك الكثير(٣).

٥- الخلود في النار:

ويقول سبحانه عن عَذاب المُنافِقين في النار: ﵟأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَﵞ [سورة المجادلة: ١٧]، ويقول جَلَّ وعلا: ﵟوَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ

---

(١) ينظر «روح المعاني»: (٢٢/ ٨٨).

(٢) هو: مسعود بن مالك، أبو رزين الأسدىٰ الكوفىٰ، مولىٰ أبىٰ وائل الأسدىٰ (من أسد خزيمة، وهو غير أبىٰ رزين عبيد)، من كبار التابعين، توفي: ٨٥ هـ، قال عبد الرحمن بن أبىٰ حاتم: سئل أبو زرعة عن أبىٰ رزين، فقال: اسمه مسعود: كوفىٰ ثقة، وقال أبو حاتم: يقال: إنه شهد صفين مع علي، وقال غيره: كان أكبر من أبىٰ وائل، وكان عالما فهما. وقال أبو بكر بن عياش عن عاصم: قال لى أبو وائل: ألا تعجب من أبىٰ رزين قد هرم، وإنما كان غلاما علىٰ عهد عمر وأنا رجل. ينظر «**تهذيب الكمال في أسماء الرجال**»: (٢٧/ ٤٧٧)، و«تهذيب التهذيب»: (١٠/ ١١٩).

(٣) «تفسير الطبري»: (١٠/ ١٤٠).

مُّقِيمٌ ﴾ [سورة التوبة: ٦٨]، فعَذاب المُنافقين في النار لا نِهاية له، وقد أكَّدَه سبحانه بقوله في الآية السابقة: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ٦٨] بعد قوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، دلالة علىٰ أنَّه عذاب دائمٌ لا ينقطع ولا يبيد(١).

يقول الإمام الطبري: «يقُول تعَالىٰ ذِكره: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡكُفَّارَ﴾ [سورة التوبة: ٦٨] بالله ﴿نَارَ جَهَنَّمَ﴾، أَن يُصليهُمُوها جميعًا، ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾، يقول: ماكِثِين فيهَا أبدًا، لا يحيون فِيها ولا يموتون، ﴿هِيَ حَسۡبُهُمۡۚ﴾، يقولُ: هِي كَافيتهم عقابًا وثوابًا علىٰ كفرهم بالله، ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ﴾، يقول: وأبْعَدهم الله وأسحقهم من رحْمَته، ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٣٧]، يقول: وللفَريقين جميعًا، يعني من أهل النِّفَاق والكُفر عند الله، عذابٌ مقيمٌ دائم، لا يزول ولا يبيد»(٢).

إنَّها نارُ جهنَّمَ التِي وصف لنا الوَحي أهوالَهَا وألوانَ عَذابها؛ من أغلالها وثيابها التي قُطِّعت من نار، وحميمِها الذِي يَصهر ما في البُطون، ولهم مقامع من حديد، وأوديتها وعقاربها وهوامها، أما طَعامُهم فالزَّقُّوم شَجرة تخرج في أصل الجحيم، طلعها كأنه رؤوس الشياطين، وأما مقَامِعها فمن حديد، يوثَق داخلها بسلاسل عظيمة، ويبكون ويصيحون: ﴿وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [سورة الزخرف: ٧٧]، فاللَّهُمَّ أجرنا من النار يا حيُّ يا قيوم.

كل هذا وآخر من شَكله أزواج، يلاقي المنافقون به في جهنم أشدَّ العذاب، خالدين فيها أبدا(٣).

---

(١) «تفسير الإمام الطبري»: (١٠/ ١٢١).

(٢) «تفسير الإمام الطبري»: (١٠/ ١٢٠).

(٣) من الكتب المباركة التي استفدت منها كثيرًا في هذا المبحث كتاب الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة أنواعه - مجالاته - تأثيره، المؤلف: د. رقية بنت نصر الله بن محمد نياز، الناشر: دار إشبيليا الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠- ١٩٩٩م.



المبحث الخامس

عبادة المنافقين

ممَّا لا شكَّ فيهِ أنَّ المُنافقين ما كانوا ليؤدُّوا بعض العبادات من صلاة أو صيام أو حجٍّ إلا ليحقِنوا دماءهم وأموالهم، ويَستبقوا أنفاسهم وأنفُسَهم في هذه الحياة، ومصيرهم حتمًا إلىٰ الموت والدار الآخرة.

إنَّ الشعائر التَّعبُّديَّة والأعمال الصالحة من صلاة وصيام وزكاة وحج، لا يَشعرُ بِحلاوتها إلا قَلبُ مُؤمن بالله واليَوم الآخر، موقِن بالحِساب والجزَاءِ والجنَّة والنَّار، ولما كان المنافق كافرًا في البَاطن فَإنَّه لا يشعر بحَلاوةِ هَذه الشعائر وإِن أدَّاها، لأنهُ لا يُؤديها إلا رِياء وسُمعَة، فهي كالغل الذي يحيط بعنقه ولا يستطيع منه فكاكًا.

من أجل ذلك فهذه تطوافَة عَلىٰ بعض عباداتهم التِي لا يرجون من ورائهَا جَزاءً من الله ولا شكورًا.

~~~·~~~·~~~
~~~



المطلب الأول

صلاتهم

قد وصَف الله المنافقين بالتَّكاسل عَن الصَّلاة في غير آية، وخصَّ الصلاة بذلك لشَرَفها وتكرارها في اليَوم الواحد خَمس مرات، وكذلك لأنَّها تؤدَّىٰ علنًا في المساجد أمَام الناس، فإذا داومَ المُنافق علىٰ التَّخلُّف عنها بانَ نِفاقه وظهر أمره، ولذَلكَ كَانت الصلاةُ مِن أثقل العبادات علىٰ المنافقين، وفي ذلك يقولُ اللهُ تعالىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة النساء: ٢٤١].

قال القرطبي: «أي يُصلُّون مُراءاةً وَهم متكاسلون متثاقلون، لا يرجُون ثوابًا ولا يعتقدون علىٰ تركها عقابًا»(١).

وقال ابن كثير: «هذهِ صِفةُ المُنافقين في أشرف الأعْمال وأفْضلها وخيرها وهِي الصلاة، إذا قاموا إلَيهَا قاموا وهم كُسالىٰ عَنها، لأنَّهم لا نيَّة لَهم ولا إيمان لَهم بها ولا خشية ولا يعقلون معناها»(٢).

وقال الطبري: «وأمَّا قوله: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [سورة النساء: ١٤٢] فإنه يعني: أن المُنافقين لا يَعملون شيئًا من الأعْمال التي فرضَها الله علىٰ المُؤمنين عَلىٰ وجه التقرُّب بها إلىٰ الله، لأنَّهم غير موقنين بمعَادٍ ولا ثواب ولا عقاب، وإنَّما يَعملون ما عملوا من الأعمال الظاهرة إبقَاءً عَلىٰ أنفسهم، وحذارًا مِن المؤمنين عليها أن يُقتلوا أو يُسلبوا أموالهم، فهُم إذا قَاموا إلىٰ الصلاة التِي هِي من

---

(١) «تفسير القرطبي»: (٥/ ٤٢٢).

(٢) «تفسير ابن كثير»: (١/ ٦٢٦).

الفرائض الظَّاهرة، قاموا كُسالى إليها رياءً لِلمؤمنين ليحسبوهم منهم وليسوا منهم، لأنَّهم غير معتقدي فرضها ووجوبها عليهم، فهم في قيامهم إليها كسالى»(١).

فهذا إخبارٌ عَن حالهم وهم يقومون إلَى تلك العِبادة العظيمَة، وقد ورد في الصَّحيح أنَّ أثقَل صَلاة على المُنافقين صلاةُ العِشاء وصلاةُ الفَجر(٢).

قال القرطبي: «فإن العَتمة -أي: العشَاء- تَأتي وَقد أتعبَهُم عَمل النَّهار، فيثقُل عَليهِم القِيام إليها، وصَلاة الصبْحِ تَأتي والنومُ أحبُّ إلَيهم من مفروح به، ولولا السيف ما قاموا»(٣).

فإلى الله المشتكى من حال كثيرٍ من المسلمين مع صلاة الفجر؛ حيثُ هَجروا المساجد وقتها إلا قليلًا.

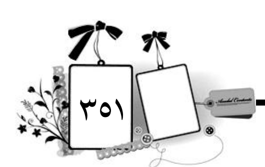
ثم ذكر تعالى صِفة بَواطن هَؤُلاءِ المنافقين فقال: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾، والرِّياء: إظهار الجَميل ليراه الناس، لا لاتِّباع أمرِ الله(٤)، وفي حَديث أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ، فَيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلَاةِ، فَيُؤَذَّنُ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمُّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفُ إِلَى رِجَالٍ، فَأُحَرِّقُ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ، وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ، أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا سَمِينًا، أَوْ مِرْمَاتَيْنِ

(١) «جامع البيان»: (٤/ ٣٣٣).

(٢) أخرج البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب فضل العشاء في الجماعة: ح (٦٥٧)، واللفظ له، «صحيح مسلم»، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها: ح (٦٥١)، عن أبي هريرة قال: قال النَّبيّ ﷺ: «ليس صلاة أثقل على المنافقين من الفجر والعشاء».

(٣) «تفسير القرطبي»: (٥/ ٤٢٢).

(٤) «تفسير القرطبي»: (٥/ ٤٢٢).



حَسَنَتَيْنِ، لَشَهِدَ العِشَاءَ»(١)، وفي رواية أخرىٰ عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْلَا مَا فِي البُيُوتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالذُّرِّيَّةِ لَأَقَمْتُ صَلَاةَ العِشَاءِ وَأَمَرْتُ فِتْيَانِي يُحَرِّقُونَ مَا فِي البُيُوتِ بِالنَّارِ»(٢)(٣).

ثم بيَّن تَعَالىٰ أن هَؤُلاءِ المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٤٢]، وسَيأتي بيان ذلك -إنْ شَاء اللهُ- عِند الحديث عن الصفة الثالثة من الصفات الطارئة.

وذكر الله تعالىٰ هَذه الصِّفة -أي: تَكاسُلهم عن الصَّلاة- فِي آيةٍ أُخرىٰ، وهي قوله تعالىٰ: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾ [سورة التوبة: ٥٤].

µ ومما يتفرّع عن الصلاة:

أ- تركهم قيام الليل:

وهذا لا يُنازع فيه أحدٌ؛ لأنَّ قِيام الليل من العِبادات الخَفيَّة التي لا مجال فيها للرياء والسمعة، قال الشاعر:

لِلَّهِ قَوْمٌ شَرَوا لِلَّهِ أَنْفُسَهُمْ ... فَأَتْعَبُوهَا بِزَجْرِ اللهِ أَزْمَانَا

أَمَّا النَّهَارُ فَقَدْ وَافَوا صِيَامَهُمْ ... وَفِي الظَّلَامِ تَرَاهُمْ فِيهِ رُهْبَانَا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب وجوب صلاة الجماعة: ح (٦٤٤)، واللفظ له، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة وبيان التشديد في التخلف عنها: ح (٦٥١).

(٢) أخرج أحمد في «**مسنده**»: (٢/ ٣٦٧) (٨٧٩٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح وهذا إسناد ضعيف لضعف أبي معشر نجيح السندي.

(٣) ينظر «تفسير القرآن العظيم»: (١/ ٦٢٦، ٦٢٧).

أَبْـــدَانُهُمْ أَتْعَبَـــتْ فِـــى اللهِ أَنْفُسَـــهُمْ وَأَنْفُـــسٌ أَتْعَبَـــتْ فِـــى اللهِ أَبْـــدَانَا

ذَابَـــتْ لُحُـــومُهُمْ خَـــوْفَ الحِسَـــابِ غَـــدًا وَقَطَّعُـــوا اللَّيْـــلَ تَسْـــبِيحًا وَقُرْآنَـــا(١)

فأنى للمنافقين أن يكونَ هَذا وصفهم تسبيحًا وقرآنًا، وهُم الذين لا يذكرون اللهَ إلا قليلًا.. وإذَا كانوا لا يأتون الفريضَة إلا وهم كسالَى، فمن باب أولى النافِلة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيّ ﷺ قال: «إِنَّ لِلمُنَافِقِينَ عَلَامَاتٍ يُعْرَفُونَ بِهَا؛ تَحِيَّتُهُمْ لَعْنَةٌ، وَطَعَامُهُمْ نُهْبَةٌ، وَغَنِيمَتُهُمْ غُلُولٌ، وَلَا يَقْرَبُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا هَجْرًا، وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا دَبْرًا، مُسْتَكْبِرِينَ لَا يَأْلَفُونَ وَلَا يُؤْلَفُونَ، خُشُبٌ بِاللَّيْلِ صُخُبٌ بِالنَّهَارِ»(٢).

الشاهد من هذا الحديث: «خُشُبٌ بِاللَّيْلِ»، فليلهم إمَّا غطيط نوم أو سَهر ولكن على ما حرم الله، قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانَ يُقال: مَا سهر اللَّيل مُنافق؛ أي: في القيام أو الطاعة»(٣).

ب ـ تخلفهم عن إدراك تكبيرة الإحرام في المساجد:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى للهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الأُولَى؛ كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ، وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ»(٤).

---

(١) «رهبان الليل»، للسيد العفاني، الناشر: مكتبة ابن تيمية القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٠ – ١٩٩٠: (١/ ٥٦١).

(٢) انظر تخريجه وشرح مفرداته: ص...

(٣) رواه ابن المبارك في «الزهد»: (ص ٣١)، وابن الجعد في «**مسنده**»: **(١٠٥٣)**.

(٤) رواه الترمذي في «سننه»، كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء في فضل التكبيرة الأولى: (٢/ ٧ – ٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع»: (٢/ ١٠٨٩).

ج ـ تخلّفهم عن صلاتي الفجر والعشاء:

ففي «الصحيحين»، أن رسولَ الله ﷺ قال: «أَثْقَلُ الصَّلَاةِ عَلَىٰ الْمُنَافِقِينَ صَلَاةُ العِشَاءِ وَصَلَاةُ الفَجْرِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَتُقَامُ، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أَنْطَلِقُ مَعِي بِرِجَالٍ وَمَعَهُمْ حِزَمٌ مِنْ حَطَبٍ إِلَىٰ قَوْمٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ فَأُحَرِّقُ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ بِالنَّارِ»(١).

وقال ابن كثير: «أي: لا إخْلاص لَهم ولا معاملة مَع الله، بل إنَّما يشهدون النَّاس تُقية لهم ومُصانعة، ولهذا يَتخلَّفون كثيرًا عن الصَّلاة التي لا يُرون فيها غالبًا، كصَلاة العشاء في وقت العتمَة، وصلاةِ الصبح في وقتِ الغَلس»(٢).

وعن أبي بن كَعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٣) قال: صلَّىٰ بنَا رسُول الله ﷺ صلاة الصُّبح فَقال: «أَشَاهِدٌ فُلَانٌ؟»، لنَفر مِن المُنافقين لم يَشهدوا الصَّلاة، ثم قَال: «إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ مِنْ أَثْقَلِ الصَّلَوَاتِ عَلَىٰ الْمُنَافِقِينَ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا -يَعْنِي صَلَاة العِشَاء والصُّبح-»، ثم قال رسول الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصَّفِّ الْمُقَدَّمِ، فَإِنَّهُ مِثْلُ صَفِّ المَلَائِكَةِ، وَلَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِيهِ لَابْتَدَرْتُمُوهُ»، وَقَال: «صَلَاتُكَ مَعَ الرَّجُلِ أَزْكَىٰ مِنْ صَلَاتِكَ وَحْدَكَ، وَصَلَاتُكَ مَعَ الرَّجُلَيْنِ أَزْكَىٰ مِنْ صَلَاتِكَ مَعَ

(١) رواه البخاري في «صحيحه»: (١/ ٢١٨)، كتاب الأذان، باب فضل العشاء في جماعة، وبنحوه مسلم: (١/ ٤٥١ - ٤٥٢)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، وابن خزيمة: (٢/ ٣٧٠)، كتاب الإمامة في الصلاة، باب ذكر أثقل الصلاة على المنافقين وتخوف النفاق على تارك شهود العشاء والصبح في جماعة.

(٢) «تفسير ابن كثير»: (١/ ٦٢٦ - ٦٢٧).

(٣) هو أبي بن كعب بن قيس الأنصاري البخاري أبو المنذر سيد القراء من أصحاب العقبة الثانية وشهد بدرًا والمشاهد مات سنة ثلاثين وقيل قبله. انظر «الإصابة»: (١/ ٢٦).

الرَّجُلِ، وَمَا كَثُرت فَهُو أَحَبُّ إِلَىٰ الله عَزَّوَجَلَّ»[١].

وفي الباب عن أبي عمير بن أنس،[٢] عن عمومة له من الأنصار،[٣] وعن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ مرفوعًا،[٤] وعن سعيد ابن المسيب،[٥] وعبد الرحمن بن

---

(١) رواه الحاكم في «مستدركه»: (١/ ٢٤٧ – ٢٥٠)، كتاب الصلاة واللفظ له، وقال: قد حكم أئمة الحديث يحيىٰ بن معين وعلي بن المديني ومحمد بن يحيىٰ الزهلي وغيرهم لهذا الحديث بالصحة، وقال: ظهر بأقاويل أئمة الحديث صحة الحديث وأما الشيخان فإنهما لم يخرجاه، وأحمد: (٥/ ١٤٠– ١٤١)، وعبد الرزاق: (١/ ٥٢٣، ٥٢٤)، والنسائي: (٢/ ١٠٤، ١٠٥)، كتاب الإمامة، باب الجماعة إذا كانوا اثنين، وأبو داود: (١/ ٣٧٥، ٣٧٦)، كتاب الصلاة، باب في فضل صلاة الجماعة، وابن خزيمة: (٢/ ٣٦٦، ٣٦٧)، كتاب الإمام في الصلاة، باب ذكر البيان أن ما كثر من العدد في الصلاة جماعة كانت الصلاة أفضل، وابن حبان، «موارد الظمآن»: (ص ١٢١)، والدارمي: (١/ ٢٩١)، كتاب الصلاة، باب أي الصلاة علىٰ المنافقين أثقل، والطيالسي: (ص ٧٥)، وابن أبي شيبة: (١/ ٣٣٢)، كتاب الصلوات، والطبراني في «الأوسط»: (٢/ ٤٩٥، ٤٩٦) وقال: لم يروا هذا الحديث عن أيوب إلا وهيب ولا عن وهيب إلا سعيد، تفرد بن سفيان، اهـ. والبيهقي في «سننه»: (٣/ ٦١، ٦٨، ١٠٢)، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل المشي إلىٰ المسجد، وباب الاثنين فما فوقهما جماعة، وباب فضل الصف الأول، وقد تردد الألباني في تحسينه أو تصحيحه. انظر «صحيح الجامع»: (١/ ٤٤٦).

(٢) هو أبو عمير بن أنس بن مالك الأنصاري، قيل اسمه عبد الله ثقه من الرابعة قيل كان أكبر ولد أنس بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. «التقريب»: (ص ٦٦١).

(٣) رواه أحمد: (٥/ ٥٧، ٥٨)، وعبد الرزاق: (١/ ٥٢٩)، وابن شيبة: (١/ ٣٣٢)، كتاب الصلوات، وقال الهيثمي في «المجمع»: (٢/ ٣٩، ٤٠): فيه أبو عمير بن أنس، ولم أرد أحدًا روىٰ عنه غير أبي بشر جعفر بن أبي وحشية وبقية رجاله موثقون.

(٤) رواه الطبراني في «الكبير»: (١٠/ ١٢٢)، وأبو نعيم في «الحلية»: (٨/ ٣٧٥)، وقال الهيثمي في «المجمع»: (٢/ ٤٠): ورجاله رجال صحيح.

(٥) انظر «منتخب كنز العمال بهامش المسند»: (١/ ٩٣)، فقد عزاه إلىٰ سعيد بن منصور في «سننه».

حرمله[١] مرسلًا[٢].

ويعود سبب تخلُّفِ المُنافقين عن شُهود صلاتي الفَجر والعشاء الآخرة فِي الجَماعة - والله أعلم- إِلَى أَنَّهُما أوقات لا يَكاد يُرىٰ فيهَا الشّخص بَسبب الظُّلمة، وبالتالي فلا يُفتقد في أغلب الأحيان، وقد يكون ذلك بِسببِ النَّوم عنها، أو بِسبب السهر المفرط فتضيع صلاة الفجر، أو بسبب ثِقله بعد عشَائه عن صلاة العشاء، أو بِسبب أن صلاة العشاء تأتي وقد أنصبهم عملُ النهار، وقد يَكون لغير هذا[٣]، والمهم تخلف المنافقين عن هاتين الصلاتين أو إحداهما يجعله في موطن إساءة الظن..

عن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «كنَّا إذا فَقدْنَا الرَّجلَ في صلاة العشاء وصلاة الفجر أسَأنا بهِ الظن»[٤].

إن قول النَّبيّ ﷺ: «إِنَّ هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ مِنْ أَثْقَلِ الصَّلَوَاتِ عَلَىٰ الْمُنَافِقِينَ»، لَيَدلُّ عَلىٰ أنَّ جَميع الصلوات ثقيلَةٌ عَليهم، وأشدُّها عَليهم صلاتي الفجر والعشاء.

د ـ الخروج من مَسجد الجماعة بعد الآذان لغَير حاجة وبلا رجعة إليه:

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا يَسْمَعُ النِّدَاءَ فِي مَسْجِدِي هَذَا[٥]

---

(١) هو: عبد الرحمن بن حرملة بن عمرو بن سنة الأسلمي أبو حرملة المدني، صدوق ربما أخطأ من السادسة مات سنة خمس وأربعين ومائة. انظر «التقريب»: (ص ٣٣٩).

(٢) رواه البيهقي في «سننه»: (٣/ ٥٩)، كتاب الصلاة باب فرض الجماعة.

(٣) انظر «أحكام القرآن»، لابن العربي: (١/ ٥١١).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف»: (١/ ٣٣٢)، كتاب الصلوات، وابن خزيمة: «٢/ ٣٧٠)، ٣٧١)، كتاب الإمامة في الصلاة باب ذكر أثقل الصلاة على المنافقين، وابن حبان، «موارد الظمآن»: (ص ١٢٠)، والطبراني في «الكبير»: (١٢/ ٢٧١)، والبيهقي في «سننه»: (٣/ ٥٩)، كتاب الصلاة، باب فرض الجماعة، وقال الهيثمي: ورجال الطبراني موثقون. انظر «المجمع»: (٢/ ٤٠).

(٥) الأحاديث الأخرىٰ لا تخصص مسجد النَّبيّ ﷺ وإنما تعمم بلفظ (المسجد). انظر «سنن ابن ماجه»: (١/ ٢٤٢)، و«الموطأ»: (١/ ١٦٢).

ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا لِحَاجَةٍ ثُمَّ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ إِلَّا مُنَافِقٌ»(١).

وبنحوه عن عثمان بن عفان(٢) وأبي هريرة(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعًا، وعن ابن المسيب مرسلًا(٤) ومقطوعًا(٥).

ويظهَر أنَّ المُنافق يخرُج مِن المسجد بعد النِّداء تهرُّبًا من أداء الصلاة لِثِقَلها عليه، فيتحيَّن فَترة انشغال عمَّار المساجد بالصَّلاة والدعاء والذِّكر ونحوها، فيخرُج غير آبهٍ بِما قد ارتكب واللهُ عليم بما فعل، بالإضَافة إلى أنَّه قد يراه بعض المؤمنين فيفضَحه الله تعالى.

هـ ـ التخلف عن صلاة الجماعة بالكلية أو غالبًا:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيّ ﷺ قال: «لَوْ أَنَّ رَجُلًا دَعَا النَّاسَ إِلَى عَرْقٍ(٦) أَوْ مَرْمَاتَيْنِ(٧) لَأَجَابُوهُ، وَهُمْ يُدْعَوْنَ إِلَى هَذِهِ الصَّلَاةِ فِي جَمَاعَةٍ فَلَا

---

(١) رواه الطبراني في «الأوسط»، وقال: تفرد به أبو مصعب ولم يروه موصولًا عن أبي هريرة غير صفوان وأبي حازم. وقال الهيثمي: ورجال رجال الصحيح. انظر «مجمع البحرين»: (٢/ ٢٢)، و«مجمع الزوائد»: (٢/ ٥).

(٢) رواه ابن ماجه في «سننه»: (١/ ٢٤٢)، كتاب الأذان والسنة فيه، باب إذا أذّن وأنت في المسجد فلا تخرج. رمز له السيوطي بالحسن في «الجامع الصغير»: (٢/ ١٦١)، وقال البوصيري: فيه ابن أبي فروة واسمه إسحاق بن عبد الله وهو ضعيف وكذلك عبد الجبار بن عمر، وهو في «صحيح مسلم» وغيره. انظر «مصباح الزجاجة»، له: (١/ ٢٥٩).

(٣) رواه مسلم في «صحيحه»: (١/ ٤٥٣، ٤٥٤)، كتاب المساجد، باب النهي عن الخروج من المسجد إذا أذن المؤذن.

(٤) رواه عبد الرزاق في «مصنفه»: (١/ ٥٠٨).

(٥) رواه مالك في «الموطأ» بلاغًا: (١/ ١٦٢)، كتاب: قصر الصلاة في السفر، باب انتظار الصلاة والمشي إليها.

(٦) العرف: بالسكون: العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم. «النهاية»: (٣/ ٢٢٠).

(٧) المرماة: ظلف الشاة، وقيل ما بين ظلفيها، يريد بذلك حقارة الدعوة. انظر السابق: (٢/ ٢٦٩، ٢٧٠).

يَأْتُونَهَا، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ رَجُلًا أَنْ يُصَلِّي بِالنَّاسِ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ أَنْصَرِفُ إِلَى قَوْمٍ سَمِعُوا النِّدَاءَ فَلَمْ يُجِيبُوا فَأُضْرِمُهَا(١) عَلَيهِمْ نَارًا، إِنَّهُ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ»(٢)، هكذا لا يتخلَّف عَن صلاة الجماعة وإجابة النِّداء إلا المنافق، وقد مرَّ قريبًا حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا، وفيهِ بعض علامات المنافقين، ومنها: «وَلَا يَقْرَبُونَ المَسَاجِدَ إِلَا هَجْرًا»(٣)، أي: يَهجرون المساجد والجوامع ويعرضون عنِ الصَّلاة فيها مع المسلمين -غالبًا- لانشغالهم بالدنيا وتأثير النفاق الشديد عليهم.

وعن عَبد الله بن مَسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لقَد رَأيتُنا وما يتخلَّفُ عنها(٤) إلا منافقٌ بيِّنٌ نِفَاقه، ولقد رأيتُنا وَإنَّ الرَّجل ليُهادىٰ بين رجُلَين حتىٰ يُقام في الصف»(٥). وعن معاذ بن جبل نحوه موقوفًا(٦) أيضًا، هَذا هو حالُ المنافقين، إمَّا ابتداء أو انتهاء في سُلَّم النفاق، لا يشهدون الخير مع جماعة المسلمين.

و ـ تأخير صلاة العصر حتَّىٰ يكاد يخرج وقتها، ومن ثم أداؤها كيفما اتفق:

عن العلاء بن عبد الرحمن رَحِمَهُ اللَّهُ(٧) قال: دخلنَا علىٰ أنَس بن مالك بعد

---

(١) أضرم النار: إذا أوقدها. السابق: (٣/ ٨٦).

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط»، «مجمع البحرين»: (٢/ ٣٣، ٣٤) وقال: لم يروه عن ثابت إلا حماد، وقال الهيثمي في «المجمع»: ٢/ ٤٣): رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله موثقون.

(٣) رواه أحمد: (٢/ ٢٩٣)، والبزار في «كشف الأستار»: (١/ ٦١، ٦٢)، وحسنه أحمد شاكر وله شواهد وقد تقدم.

(٤) الضمير يعود إلىٰ صلاة الجماعة.

(٥) رواه مسلم: (١/ ٤٥٣)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب صلاة الجماعة من سنن الهدىٰ.

(٦) انظر «المطالب العالية»، لابن حجر: (١/ ١١٠، ١١١)، فقد عزاه إلىٰ إسحاق بن راهويه رَحِمَهُ اللَّهُ في «مسنده».

(٧) هو العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب الحرقي أبو شبل المدني صدوق ربما وهم من الخامسة مات سنة بضع وثلاثين ومائة. «التقريب»: (ص ٤٣٥).

الظهر، فقَام يصلي العصرَ، فلمَّا فرغ من صلاته ذكرنا تعجِيل الصَّلاة أو ذكرها فقَال: سَمعتُ رَسول الله ﷺ يقول: «تِلْكَ صَلاَةُ المُنَافِقِينَ، تِلْكَ صَلاَةُ المُنَافِقِينَ، تِلْكَ صَلاَةُ المُنَافِقِينَ، يَجْلِسُ أَحَدُهُمْ حَتَّىٰ إِذَا أَصْفَرَتِ الشَّمْسُ، وَكَانَتْ بَيْنَ قَرْنَي الشَّيْطَانِ(١) أَوْ عَلَىٰ قَرْنِ الشَّيْطَانِ قَامَ فَنَقَرَ(٢) أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُونَ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا»(٣).

وعن رافع بن خَديج(٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رَسولُ الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِصَلَاةِ المُنَافِقِ؟ أَنْ يُؤَخِّرَ العَصْرَ حَتَّىٰ إِذَا كَانَتْ كَثَرْبِ(٥) البَقَرَةِ صَلَّاهَا»(٦).

---

(١) قرني الشيطان: أي ناحيتي رأسه وجانبيه. «النهاية»: (٤/ ٥٢).

(٢) نفر أربعًا: أي خفف السجود، وأنه لا يمكث في صلاته إلا قدر وضع الغراب منقاره فيما يريد أكله. انظر «النهاية»: (٥/ ١٠٤).

(٣) رواه مسلم في «صحيحه»: (١/ ٤٣٤)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب البكير بالعصر، ومالك في «الموطأ»: (١/ ٢٢٠)، كتاب باب النهي عن الصلاة بعد الصبح وبعد العصر، واللفظ له، والنسائي: (١/ ٢٥٤)، كتاب المواقيت، باب التشديد في تأخير العصر، وأبو داود: (١/ ٢٨٨، ٢٨٩)، كتاب الصلاة، باب في وقت صلاة العصر، والترمذي: (١/ ٣٠١، ٣٠٢)، كتاب أبواب الصلاة، باب ما جاء في تعجيل العصر. وقال: حسن صحيح، وأحمد: (٣/ ١٠٢، ١٠٣، ١٤٩، ١٨٥).

وعبد الرزاق: (١/ ٥٤٩، ٥٥٠)، وأبو يعلي: (٦/ ٣٦٧)، (٨/ ١٠٥، ١٠٦)، وابن خزيمة: (١/ ١٧١، ١٧٢)، كتاب الصلاة، باب ذكر التغليظ في تأخير صلاة العصر إلى إصفرار الشمس، والطيالسي: (ص ٢٨٤)، والدارقطني: في «سنن»: (١/ ٢٥٤)، والبيهقي في «سننه»: (١/ ٤٤٣، ٤٤٤)، كتاب الصلاة، باب كراهية تأخير العصر.

(٤) هو: رافع بن خيج بن رافع بن عدي الأنصاري الأوسي أبو عبد الله أو أبو خديج، عُرض على النَّبيّ ﷺ يوم بدر فاستصغره، وأجازه في أحد وشهد ما بعدها، مات بالمدينة سنة أربع وسبعين وهو ابن ست وثمانين سنة. انظر «الإصابة»: (٣/ ٢٣٦، ٢٣٧).

(٥) (ثرب) وهو الشحم الرقيق يغشى الكرش والأمعاء.. ومعنى أنه تؤخر صلاة العصر حتى إذا تفرقت الشمس وخصت موضعًا دون موضع عند المغيب. انظر «النهاية»: (١/ ٢٠٩).

(٦) رواه الحاكم في «مستدركه»: (١/ ١٩٥)، كتاب الصلاة، وقال: أخرج مسلم حديث العلاء بن =

نعم، لقد تَشاغل المُنافق عن أداء صَلاة العَصر في وقتِها حتى كاد أن يَخرُج بنوم أو عَمل أو مجرد كسل عن طاعَة، ويلاحظ أنَّه لم يؤدها في جَماعة كما يجِبُ، كما لم يُقمْها باطمئنان وخشُوع، وكأنَّه يُريد التَّخلُّص منها -نسألُ الله تعالى العَفو والعافية- لأنَّهُ يراها أثقل عليه من الجبل، فيطْلُب الخَلاص منها بِظاهرٍ مِن القول والعَمل، وبأقَلِّ مَا يجزيء فيها من الذِّكر إن اقتصد(١).

وهذا -والله أعلم- حال المنافقِ في سَائر الصَّلوات، فَهو يؤخِّرُها حتَّى يَخرجَ وَقتها أو يكاد، وفي الحديث الذي مرَّ ذكره: «وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا دَبْرًا»(٢)، أي: لا يؤدُّونَها حتى يُدبر وَقتها، أي: يخرج أو شارف الخروج.

ز ـ ترك صلاة الجمعة:

عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَرَكَ ثَلَاثَ جُمُعَاتٍ مِنْ غَيْرِ عُذْرٍ كُتِبَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ»(٣).

وعن محمد بن عبد الرحمن رحمهما الله(٤) قال: سَمعتُ عَمِّي(٥) يحدث عن

= عبد الرحمن عن أنس، ورواه الدارقطني: (١/ ٢٥٢، ٢٥٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»: (١/ ٥٠٨، ٥٠٩)، وشاهده في حديث مسلم السابق.

(١) انظر «أحكام القرآن»، لابن العربي: (١/ ٥١٢).

(٢) رواه أحمد في «مسنده»: (٢/ ٢٩٣) وغيره، وحسنه أحمد شاكر وله شواهد وقد تقدم تخريجه.

(٣) رواه الطبراني في «الكبير»: (١/ ١٣٤)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ١٩٣): وفيه جابر الجعفي وهو ضعيف عن الأكثرين، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»: (٢/ ١٠٥٨)، وله شواهد ستأتي.

(٤) هو محمد بن عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة الأنصاري ثقة، من السادسة، مات سنة أربع وعشرين ومائة. «**التقريب**»: (ص ٤٩٢).

(٥) عمه يحيى بن أسعد بن زرارة الأنصاري صحابي، مات أبوه في السنة الأولى من الهجرة. انظر «الإصابة»: (١٠/ ٣٣٥).

النَّبيّ ﷺ قال: «مَنْ سَمِعَ النِّدَاءَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَلَمْ يَأْتِ -أو لم يُجِبْ-، ثُمَّ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِ -أو فَلَمْ يُجِبْ-، ثُمَّ سَمِعَ النِّدَاءَ فَلَمْ يَأْتِ -أو لم يُجِبْ-، طَبَعَ[(١)] عَزَّوَجَلَّ عَلَى قَلْبِهِ فَجُعِلَ قَلْبَ مُنَافِقٍ»[(٢)]. ونحوهما عن أبي الجعد الضمري[(٣)(٤)]، وعن رجل من أصحاب النَّبيّ ﷺ[(٥)] وغيرهم[(٦)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مرفوعًا.

---

(١) طبع الله على قلبه: أي ختم عليه وغشّاه ومنعه ألطافه. «النهاية»: (٣/ ١١٢).

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده»: (١٣/ ١٠٨، ١٠٩)، وعزاه ابن حجر في «المطالب العالية»: (١/ ١١٣، ١٧٣، ١٧٤)، إلى ابن أبي شيبة ومسدد، وقال الهيثمي: الراوي له عن محمد بن عبد الرحمن شعبة، واختلف عليه فيه فرواه عنه عبد الملك ابن إبراهيم الجدي والنضر بن شميل عن شعبة عن محمد بن عبد الرحمن عن عمه، ورواه أبو إسحاق الغزاري عن شعبة عن محمد بن عبد الرحمن عن أبي أوفى وبقية رجاله ثقات. انظر «المجمع»: (٢/ ١٩١).

(٣) أبو الجعد الضمري: صحابي اختلف في اسمه فقيل: أدرع أو جنادة أو عمرو بن بكر، وكان على قومه في غَزوَة الفتح، وقتل مع عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في وقعة الجمل. انظر «الإصابة»: (١١/ ٦٠، ٦١).

(٤) رواه أحمد في «المسند»: (٣/ ٤٢٤، ٤٢٥)، وأبو داود في «سننه»، ك الصلاة، باب التشديد في ترك الجمعة، والترمذي: (٢/ ٣٧٣)، كتاب الجمعة، باب ما جاء في ترك الجمعة من غير عذر، وقال: حسن، وابن خزيمة في «صحيحه»: (٣/ ١٧٦)، كتاب الجمعة، باب ذكر الدليل على أن الطبع على القلب، وأبو يعلى: (٣/ ١٧٥)، وصححه الحاكم: (١/ ٢٩٢)، ووافقه الذهبي، وابن حبان، «موارد الظمآن»: (ص ٤٤، ١٤٦، ١٤٧) وقال الألباني: إسناده حسن صحيح. انظر «تخريجه على صحيح ابن خزيمة مع الأعظمي»: (٣/ ١٧٦).

(٥) رواه عبد الرزاق في «المصنف»: (٣/ ١٦٥)، عن محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان العامري المدني ثقة من الثالثة، «**التقريب**»: (ص٤٩٢)، عن رجل من أصحاب النَّبيّ ﷺ.

(٦) كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال الهيثمي: رواه الطبراني في «الأوسط»، وفيه جماعة لم أجد من ترجمهم. انظر «مجمع الزوائد»: (٢/ ١٩٣)، و«مجمع البحرين»: (٢/ ٢٢٠، ٢٢١)، وجابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رواه أحمد في «مسنده»: (٣/ ٣٣٣)، وأبو يعلى: (٤/ ١٤٠، ١٤١)، والبيهقي في «سننه»: (٣/ ٢٤٧)، كتاب الجمعة، باب التشديد في ترك الجمعة، وحارثة بن النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه البيهقي في «سننه» أيضًا: (٣/ ٢٤٧)، كتاب الجمعة، باب التشديد في ترك الجمعة، وغيرهم.

إن تَخلُّفَ المُنافقين عن صلاة الجمعة ثَلاثًا فأكثر نَتيجة طَبيعية لَما اعتَادوه من التَّخلُّف عن صلاةِ الجَماعة، وتأخير بعض الصلوات، وذلكَ يَعود إلى كَسلِهم عنها وعدم إدْراكِهم لأهمِّيَّتها وفوائدِها، وتشاغلِهم بالدُّنيا والسَّعي وراءها على حِسَاب الآخرة وتحصيل الأجر، وقد يكون ذلك بسبب ترك المدن والقرى إلى البادية.

عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمِعتُ رَسول الله ﷺ يقول: «هَلَاكُ أُمَّتِي فِي الكِتَابِ وَاللَّبَنِ». قالوا: مَا الكِتابُ واللَّبن؟ قال: «يَتَعَلَّمُونَ القُرْآنَ فَيَتَأَوَّلُونَهُ عَلَى غَيْرِ تَأْوِيلِهِ، وَيُحِبُّونَ اللَّبَنَ فَيَدَعُونَ الجَمَاعَاتِ وَالجُمَعِ وَيُبْدُونَ»(١)(٢).

---

(١) سئل الشيخ الدكتور: فالح بن محمد الصغير عن حديث «هلاك أمتي في الكتاب واللبن «.. فقال: اللبن – والله أعلم– هو اللبن المعروف، وحبه ليس بمحذور بل كان رسول الله ﷺ يحب اللبن ويدعو فيه: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه. وفي الحديث عن ابن عباس قال: دخلت مع رسول ﷺ أنا وخالد بن الوليد على ميمونة فجاءتنا بإناء فيه لبن فشرب رسول الله ﷺ وأنا على يمينه وخالد على شماله فقال لي: الشربة لك فإن شئت آثرت بها خالدا؟ فقلت: ما كنت أوثر على سؤرك أحدا. ثم قال رسول الله ﷺ: «من أطعمه الله الطعام فليقل: اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرا منه، ومن سقاه الله لبنا فليقل: اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه «. وقال رسول الله ﷺ: «ليس شيء يجزئ مكان الطعام والشراب غير اللبن». رواه الترمذي: (٣٤٥٥) وقال: هذا حديث حسن، وابن ماجه: (٣٣٢٢). والمحذور هو الحب المتزايد للبن ومن الأنعام ذوات اللبن، ولذلك يدع السكونة في المدن ويحب البادية فيترك الجمع والجماعات، ومعنى يبدون يخرجون إلى البادية، وأهل البوادي عادة لا يهتمون بالجمع والجماعات وتعلم العلم والجهاد في سبيل الله، وإلى ذلك أشار رسول الله ﷺ: (إن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل) [صحيح البخاري: ٣٣٠٢، صحيح مسلم: ٥١]. ولذا كان الصحابة يكرهون السكونة في البوادي إلا لضرورة كاتقاء الفتن، ولما سكن ابن الأكوع في البادية قال له الحجاج: ارتددت على عقبيك تعربت، فقال ابن الأكوع: لا ولكن رسول الله ﷺ أذن لي في البدو، وإنما خرج ابن الأكوع إلى البدو لما قتل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده»: برقم (١٧٤١٥)، وقال محققوه: إسناداه حسنان. انظر «الصَّحِيحَة»: (٢٧٧٨).

المطلب الثاني
ذكرهم لله

يقول تَعَالىٰ: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٤٢]، وهَذِه حَقيقة وَاضحة فمتىٰ كان لأهل النفاق ألسنة رَطبة بِذكر الله وهم الخُشب المسنّدة، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في الفائدة الثامنة والستين من فوائد الذكر: «إنَّ كَثرة ذكر الله عَزَّوَجَلَّ أمانٌ مِن النفاق، فإن المنافقين قليلو الذكر لله عَزَّوَجَلَّ، قال الله عَزَّوَجَلَّ في المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٤٢]، وقال كَعب: من أكثر ذكر الله عَزَّوَجَلَّ برِئَ مِن النفاق؛ ولهذا -والله أعلم- خَتم الله تعالىٰ سُورة (المنافقين) بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [سورة المنافقون: ٩]، فإن في ذلك تحذيرًا مِن فتنة المُنافقين الذين غَفلوا عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ فوقَعُوا في النفاق، وسُئل بَعض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ عن الخوارج: مُنافقون هُم؟ قال: لَا، المُنافقون لا يذكرون الله إلا قليلًا، فَهذا من علامة النِّفاق، قلة ذِكر الله عَزَّوَجَلَّ، وكثرَة ذِكره أمان من النفاق، والله عَزَّوَجَلَّ أكرَمُ مِن أن يبتلي قَلبًا ذاكرًا بالنِّفاق، وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ»(١).

وأنّىٰ للمنافقين أن يكونوا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، وهم من نسىٰ

(١) ينظر «الوابل الصيب من الكلم الطيب»، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفىٰ: ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث – القاهرة، رقم الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩م: (١/ ١١٠).

الله فنسيهم قال تعالى: ﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمۡ ذِكۡرَ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [سورة المجادلة: ١٩]، قال الثعالبي: «﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [سورة المجادلة: ١٩]، معناه: تملَّكَهُم من كل جهَةٍ وَغلب على نُفوسهم»(١).

وقال ابن كثير: «﴿ٱسۡتَحۡوَذَ عَلَيۡهِمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ [سورة المجادلة: ١٩]؛ إذْ أطاعُوه فَختم الله على قلوبهم وعلى سَمعهم وعلى أبصَارهم غشاوة، فهم لا يُبصرون هدى وَلا يسمَعُون ولا يفقهون ولا يعَقلون»(٢).

وقال: «استحوذ على قُلوبهم الشَّيطان حتى أنساهم أن يَذكُروا الله عَزَّوَجَلَّ، وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه»(٣)، وإذا قيل هذا في الذِّكر فَمن باب أولى الدُّعاء، فكيف يدعو الله ويرجوه من يعلم مخادَعته له وازوراره عن طَاعته، وموالاته لأعدائه وخيانته لعهده، ونقضه لميثاقه، بل ومعاداته لأوليائه لا يكون ذلك: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ [سورة الأعراف: ٤٠].

---

(١) «تفسير الثعالبي»: (٤/ ٢٨٠).

(٢) «تفسير ابن كثير»: (١/ ١٧٤).

(٣) المرجع السابق: (٨/ ٥٣).

المطلب الثالث
قراءتهم للقرآن الكريم

قد سبق إيضاح شَأن المُنافِقِين مع القرآنِ الكَريم من خِلال حَديثِ أَبِي موسىٰ الأَشْعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قالَ رَسول الله ﷺ: «مَثَلُ المُؤمِنِ الذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الأُتْرُجَّةِ،(١) رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الذِي لَا يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ، لا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الذِي لَا يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ،(٢) لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ»(٣).

قال ابن بطال: «شبه قِرَاءة المُنافِق لَمَّا كَانت رياء وسُمعَة بطعم الرَّيحَانة المرِّ الذِي لا يلتَذ به آكِلُه، كما لا يَلتَذ المُنافق والمُرائي بأجر قِراءَته وثوابها»(٤).

وقال في موضع آخر: «معنَىٰ هَذا البَاب أنَّ قِراءة الفَاجر والمُنافِق لا تَرتَفع إلىٰ الله ولا تَزكو عنده، وإنَّما يَزكو عنده ويرتَفع إليهِ مِن الأعمال مَا أريد بهِ وَجهه، وكان عَن نيَّة وقُربةٍ إليهِ تعالىٰ، ألا تَرىٰ أنَّه شبه الفَاجر الذىٰ يقرأ القُرآن بالرَّيحانة، ريحُها طيب وطعمها مرٌّ حِين لم ينتفع ببركة القرآن، ولم يَفز بِحلاوة أجرِه، فلَم يُجاوز الطِيب حلوقهم من موضع الصوت، ولا بَلغ إلىٰ قُلوبهِم ذَلك الطيب؛ لأنَّ طَعم قلوبِهم مُر وهو النِّفاق المُستسر كما استسرَّ طَعم الريحانة فىٰ عودها، مع

---

(١) الأترجة: جمع أترج وأترجات وهو فاكهة حلوة حامضة ولها فوائد طبية. انظر «تاج العروس»: (٥/ ٤٣٧ - ٤٣٨).

(٢) الحنظلة: واحدة الحنظل وهو الشجر المر. «لسان العرب»: (١١/ ١٨٣).

(٣) سبق تخريجه وشرحه.

(٤) «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال كتاب التعبير: (١٠/ ٢٨٣).

ظهور رائحتها، وهَؤُلاءِ هم الذين يمرقونَ مِن الدين كما يمرِقُ السهم من الرَّميَّة»(١).

فالمنافق إذا سمعته يتلو القرآن تصوَّرتَ وَراء هذه التلاوة صدرًا يعمر بالإيمان، ولكنَّكَ لو تأملت أكثر عَرفت حال وفَساد عقيدتِه، عند ذلك سَتنصرف عنه وتُلقيه كما يُلقى بالتمرة إذا اخْتُبر طعمها فوُجدت مُرّة خبيثة الطعم.

وإذا كان هذا حال المُنافق الذي يقرأ القُرآن، فما الظنُّ بالمنافق الذي لا يقرأ القُرآن؟ فقد جمع إلى مرارة الطعم -أي فساد العقيدة- خُبث الرائحة، فَقلبه فاسد بسوءِ مُعتقده ورائحته فاسدة بإعراضه عن كتاب الله تلاوة، فَضلًا عن التَّدبُّر والتأثر والعمل.

فهذا سيءُ البَاطن والظاهر، فَمثلُه كمثل الحنظَلة التي تنفر من منظرها وتعافها حتى الإبل، لما فيهَا مِن مرارة وطعمٍ خَبيث، فهو في بحر لجيٍّ مِن الظلمات بعضها فوق بعض ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [سورة النور: ٤٠](٢)، والقرآن شاق على نفوس المنافقين وأرواحهم، قال أبو الجوزاء(٣): «نَقلُ الحِجارة أهونُ على

(١) «شرح صحيح البخاري»، لابن بطال كتاب التعبير: (١٠/ ٥٥٦).

(٢) انظر «أنوار القرآن»، مصطفى الحمصي، الناشر: مكتبة الغزالي، دمشق الطبعة الأولى: ١٤٢٣ هـ: ص (٨٩ – ٩٢)، «ورتل القرآن ترتيلًا»، د. أنس بن أحمد كرزون، الناشر مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ: ص (١٦ – ١٧).

(٣) هو: أوس بن عبد الله، أبو الجوزاء، الربعي، البصري، حدث عن عائشة، وابن عباس، وعبد الله بن عمرو بن العاص وغيرهم. وعنه أبو الأشهب العطاردي، وعمرو بن مالك النكري، وبديل بن ميسرة وغيرهم. كان أحد العباد الذين قاموا على الحجاج، فقيل: إنه قتل يوم الجماجم سمعه عمرو بن مالك يقول: ما لعنت شيئًا قط، ولا أكلت شيئًا ملعونًا قط ولا آذيت أحدًا قط (توفي: ٨٣هـ). ينظر «سير أعلام النبلاء»: (٤/ ٣٧١)، و«تهذيب التهذيب»، لابن حجر: (١/ ٣٨٣).

المنافق من قراءة القرآن»(١)(٢).

وهناك إشارة إلى بعض آيات جاءت سياقاتها مشعرة أن مقصودها المنافقين كمثل قولِهِ تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [سورة محمد: ٢٤]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا﴾ [سورة التوبة: ١٢٤]، وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟﴾ [سورة التوبة: ١٢٧]، إن قلوبهم مُعرضة وإن أرواحَهم مُدبِرة عن سماع الوحي، ناهيك عن تدبره والعمل به.

قال الإمام القرطبي عن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ [سورة التوبة: ١٢٧]: «(مَا) صِلة وَالمراد المنافقون»(٣).. قال الإمام ابن الجوزي: «هذا قَول المنافقين بعضهم لبعض استهزاءً بقول الله تعالى»(٤).

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه»: (١٠/ ٥٥٣)، كتاب فضائل القرآن، و(١٤/ ٤٤) كتاب الزهد، وأبو نعيم في «الحلية»: (٣/ ٨٠).

(٢) هذا المبحث كنت عالة فيه على رسالة الشيخ عبد الرحمن القصاص من (ص ١٠٠ – ١٠٦)، فجزاه الله عني خير الجزاء.

(٣) «تفسير القرطبي»: (٨/ ١٨٩).

(٤) «زاد المسير»: (٣/ ٥١٨).



المطلب الرابع
صدقتهم

المنافقون مِن أبْخَل النَّاس ويتَعاظَم بُخلهم إذا ما دُعُوا للتَّبرُّع فِي سبيل الله، فإن اضطروا إلىٰ إنْفَاق شيءٍ فكرهًا ورياءً وسمعة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [سورة التوبة: ٥٤].

وليتهم إذْ بخلو وقبضوا أيدِيَهم اكتفوا بِذلك، بل مَارسوا أسوأ أسَاليبَ اللَّمز والغَمز والتخْذِيل لمن أنْفَق أو رَغَّب في الإنْفاق في سبيل الله.

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أَيْ: لَيس لهُم قَصْدٌ صحِيح، وَلا همَّة في العَمل: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ﴾، نَفَقَةً، ﴿إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [سورة التوبة: ٥٤]، وقَد أخبَر الصَّادق المصدوق ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّىٰ تَمَلُّوا»(١)، و«إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»(٢)، فلهذا لا يتقبل الله من هَؤُلاءِ نَفقةً وَلَا عَمَلًا لأنَّه إنَّما يتقبل من المتقين(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلىٰ الله أدومه، حديث رقم: (٤٣)، وأخرجه أيضًا، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشديد في العبادة، حديث رقم: (١١٥٠)، وأخرجه أيضًا، كتاب الصوم، باب صوم شعبان، حديث رقم: (١٩٧٠) وأخرجه أيضًا، كتاب اللباس، باب الجلوس علىٰ الحصير ونحوه، حديث رقم: (٥٨٦١)، وأخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضيلة العمل الدائم، حديث رقم: (٢١٥)، وباب أمر من نعس في صلاته أو استعجم عليه القرآن أو الذكر بأن يرقد، حديث رقم: (٢٢١) وأخرجه أيضًا، كتاب الصيام، باب صيام النَّبيّ ﷺ في غير رمضان، حديث رقم، (١٧٧).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، حديث رقم: (٦٥)، وأخرجه الترمذي، كتاب التفسير، باب (ومن سورة البقرة) حديث رقم: (٢٩٨٩)، وأخرجه الدارمي، كتاب الرقاق، باب في أكل الطيب، حديث رقم: (٢٧١٧) وأخرجه أحمد في «المسند»: (٢/ ٣٢٨).

(٣) «تفسير القرآن العظيم»: (٢/ ٣٩٩).

وهم لا ينفقون إلا رياءً ونفاقًا، لأنَّهم يَعدون النَّفقة في سبيل الله غُرمًا وخسارة، كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا﴾[سورة التوبة: ٩٨]، فهؤُلاءِ إذا أَنْفَقوا كان القصدُ مِن إنفاقهم الرِّياء والسمعة، فلا يتقبل اللهُ مِنهم نفقاتُهم؛ لأنَّهم قد اتخذوا الشيطان قرينًا وصاحبًا وخليلًا فبئس القرين، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾[سورة النساء: ٨٣]، قال القرطبي: «قال الجمهور: نَزلتْ فِي المنافقين لقوله تعالى: ﴿رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾، والرئاء من النفاق»(١).

قال الشوكاني: «وهؤُلاءِ أفْرَطوا ببذلِ أمْوالهم في غير مواضِعِها، لمجَرَّد الرياء والسمعة، كَما يفعله من يريد أن يتسامع النَّاس بأنه كريم، ويَتطاول على غيره بِذلك، ويشمخ بِأنفه عليه، مع ما ضَم إلى هذا الإنفاق الذي يَعود عليه بالضرر من عدم الإيمان بالله واليوم الآخر»(٢).

قال سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهكذا تتحددُ الأخْلاقُ: أَخلاق الإيمان وأخْلاق الكُفر، فالباعث عَلى العمل الطيب والخُلق الطَّيب هُو الإيمان بالله واليوم الآخر، والتَّطلُّع إلَى رضَاء الله وجزاء الآخرة، فهُوَ باعث رفيعٌ لا يَنتظر صاحبه جزاء من الناس، ولا يَتلقَّاه ابتداء من عرف النَّاس! فإذا لم يكن هناك إيمان بإلهٍ يبتَغِي وجهه، وتتحدَّدُ بَواعث العمل بالرغبةِ فِي رضاه، وإذا لم يكن هناك اعتقادٌ بِيوم آخر يتم فيهِ الجزاء، اتَّجه همُّ الناس إلى نَيل القيم الأرْضية المستمَدَّة من عرف الناس، وهذه لا ضَابط لها في جيلٍ وَاحد في رقعة واحدة، فَضلًا عن أن يكون لها ضابطٌ ثَابت في

---

(١) «تفسير القرطبي»: (٥/ ١٩٣).

(٢) «فتح القدير»، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ: (١/ ٥٣٨)

كل زمانٍ وفي كل مكان! وكانَت هذه هي بَواعثهم للعَملِ، وكان هناك التأرجُح المُستمر كتأرجحِ أهْواء النَّاس وقيمهم التي لا تثبت على حالٍ، وكان معهَا تلك الصفات الذَّميمَة من الفخر والخيلاء، والبخل والتبخيل ومراءاة النَّاس لا التجرد والإخلاص»[١].

هذه بعض عبادات المنافقين من صلاة وذكر وصدقَة وتِلاوة قرآن، لا يَأتونها إلا كرهًا، ولا يفعلونها إن فعلوا إلا عصمة لأنفسهم وأموالهم، أمَّا بواطنهم فكفر صراح والعياذ بالله.

---

(١) «في ظلال القرآن»: (٢/ ٦٦١).

المبحث السادس

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول
عداء الكون للمنافقين

إن هذا الكون بِسائر أمْلاكه وكَائناتِهِ وأجْرَامه وأرضِهِ وَسماواته متوجِّه إلى الله بالعبادة وخاضِعٌ لَه وخاشعٌ لعظمته سبحانه مُطيع لأمْرِه، إلا بعض من حَقَّت عَليه الضَّلالة من الثَّقلين، وعليه فإنَّ هَذه المَخلوقات من جمادات وغَير جمادات علويَّة وسفليَّة، كَما هي خاضعة لله بِالعبودية، فهي كذلك في مُعظمها جند من جنود الله، ينصُر بها مَن يشاء من عبادِه ويعذبُ بها من يَشاءُ، فهي عدوة لِمن حَارب الله ورسُله عليهم الصلاة والسَّلام، انظر البحرَ والحَجر والرِّيح والصواعِقَ والجَراد والقُمَّلَ والضفادع والدَّم والطير والزَّلازل والبَراكين والأوبئة، وقبل ذلك الملائكة عَليهم صلوات الله وسلامه، كم عَذَّب الله وأهلك ودمَّر من أمُمٍ وأناسٍ بمثل هذا الجند الذين عِلمْنا بعضهم وخفي علينا منهم كثير: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡبَشَرِ﴾ [سورة المدثر: ٣١].

ومَمَّا يدل على عداوة هذه المَخلوقات لمن يَسعى في الأرض بالفسَادِ ويُهلك الحرث والنسل ما يلي:

- قال عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَامُ عندما مرت عليه جنازة: «مُسْتَرِيحُ أَوْ مُسْتَرَاحٌ مِنْهُ»، فَقالوا: يَا رسول الله، مَا المُسترِيح وَما المُستَراح منْهُ؟ قال: «إِنَّ العَبْدَ المُؤْمِنَ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا وَأَذَاهَا إِلَى رَحْمَةِ الله تَعَالَى، وَالعَبْدُ الفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ العِبَادُ وَالبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ»، وراحتها منه لأنَّه بمعاصيه وآثامه حَرمها المطر

والعشب والبركات فهي تعاديه وتمقته.

-قال تعالى: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ۝٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا﴾ [سورة مريم: ٩٠-٩١]، قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: يكادُ يَكون ذلك من سَماعِهن هذه المَقالة من فَجَرة بني آدم؛ إعظامًا للربِّ وإجلالًا، لأنهنَّ مَخلوقات وَمُؤَسَّسَاتٌ عَلى توحيده، وأنَّه لا إله إلا هُو، وأنَّه لا شريكَ لَه ولا نَظير، ولا ولد له ولا صاحبة له»(١)، وقال عند قوله تعالى: ﴿وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ﴾: «غضبًا لله عَزَّوَجَلَّ»(٢).

- عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قالَ: «كَان مِنَّا رَجل من بني النَّجَّار قد قرأ البَقرة وآل عمران وكان يكتُبُ إلَى رسول الله ﷺ، فانْطَلق هاربًا حتى لَحِقَ بِأَهل الكتاب، قال: فرفَعُوه وقَالوا: هذا يكتُب لِمحمَّد، فأُعجِبُوا بهِ، فما لبث أن قَصم الله عنُقه فيهم، فَحفَروا فواروه، فأَصبحت الأرضُ قَد نبذته عَلى وَجهها، ثم عادوا فحَفروا له فَواروه فأَصبحت الأرض قَد نَبذتُه(٣) على وجهها، ثُمَّ عادوا فحفروا له فواروه فأَصبحت الأرض قد نبذته على وجهها فتركوه منبوذا»(٤).

وعن جابر: «أن رسول الله ﷺ قدِم من سفر، فلمَّا كان قرب المَدينَة هاجت ريح شديدَةُ تكاد أن تدفن(٥) الرَّاكب فزعم -أي: جابر- أنَّ رَسول الله ﷺ قال:

---

(١) «تفسير ابن كثير»: (٥/ ٢٦١).

(٢) المصدر السابق: (٥/ ٢٦١).

(٣) نبذته: أي طرحته.

(٤) رواه مسلم: برقم (٢٧٨١)، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ولم يذكر له بابًا.

(٥) قال القاضي عياض: وقوله: «هاجت ريح شديدة تكاد أن تدفن الراكب»، كذا الرواية فيه فى جميع نسخ مسلم بالنون. قال بعض المتقنين: لعله «تدفق «بالقاف، أى تصبه وتلقيه. والدفق: الصب. وهذا تكلف فى التفسير مع تفسير الرواية، والرواية صحيحة المعنى. وكذا ذكرهما ابن أبى شيبة فى =

«بُعِثَتْ هَذِهِ الرِّيحُ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ»، فَلَمَّا قَدِمَ المَدِينَةَ فَإِذَا مُنَافِقٌ عَظِيمٌ مِن المُنَافِقِينَ قَدْ مَاتَ»(١)، وبعث هذه الريح لموت منافق: أي عقوبة له وعلامة لموته وراحة للبلاد والعباد منه.

قلتُ: فانظر يا رَحِمك الله كَيف حرَّك الله الرياح والعواصف لاجتِثَاث هذا المنافق، وهذا يدلُّ على شؤم النفاقِ وخُطورته، حتى أُمرت الريح والعواصف أن تهب لأخذ المنافق ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة المدثر: ٣١].

وهذا الأمر ليس بغريبٍ ولا عجيب، ألم يُخبر الرَّسول ﷺ بأن الحجر والشجر ينطقان في آخر الزمان يقولان: «يَا مُسْلِمَ يَا عَبْدَ الله هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ إِلَّا الغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليَهُودِ»(٢).

- حتى البحر يتمعَّرُ ويتمنَّى هلاك عصاة بني آدم، فقد روى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النَّبيّ ﷺ قال: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: لَيْسَ لَيْلَةً إِلَّا وَالبَحْرُ يُشْرِفُ فِيهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَسْتَأْذِنُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَنْتَضِحَ عَلَيْهِمْ فَيَكُفُّهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ»(٣). فيا سُبحان

= كتابه كما قال مسلم، ويكون معناها: تذهب به وتغيبه عن الناس لقوتها، ومنه قوله: ناقة دفون: إذا كان تغيب عن الأكل، وعبد دفون: إذا كان يتغيب عن المصر ويأبق فيه. ينظر «شرح صحيح مسلم للقاضى عياض المسمى إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم»، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

(١) أخرجه مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب: ح (٢٧٨٢).

(٢) رواه البخاري: (٦/ ٧٥)، كتاب الجهاد، باب قتال اليهود، ومسلم: برقم (٢٩٢٢)، في كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده»: برقم (٣٠٣)، وقال محققوه: إسناده ضعيف لجهالة الشيخ الذي روى عنه العوام بن حوشب وأبو صالح مولى عمر مجهول أيضًا.

الله كيفَ يُحقق هذا البحر وكل بَحر عبودية الله في عداوته للمُفسدين في الأرضِ، وقد أهلكَ الله بالماء أممًا غرقًا وفيضانات لَمَّا عتت عن أمر ربِّها ورسله عليهم الصلاة والسلام.

وهذا هو أحد الأقوال الموجودة في قوله تعالى: ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾، قال ابن كثير: «فقيل: المرادُ بالمَسجُور والممنوع المَكفوف عن الأرض لئلا يغمرها فيُفرق أهلها»(١).

- قد وَصف الله المنافقين بالإفساد في الأرضِ، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٥]، قال الشوكاني: «﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾، أي: أدبر وذهب عنْكَ يا محمد، وقِيل: إنَّه بمعنى ضلَّ وغضب، وقيل: إنه بمعنى الولاية؛ أي: إذا كان واليًا فَعل ما يفعله ولاة السُّوء من الفساد في الأرض»(٢).

وقال ابن كثير: «أي أعوجُ المقال سَيِءُ الأفعال، فذلك قوله، وهَذا فِعله، كلامه كَذب، واعتقاده فَاسد، وأفعاله قبيحة»(٣).

فهذا المنافق ليس له همَّة إلا الفساد في الأرض وإهلاكِ الحَرث، وهو محَل نماء الزروع والثمار والنَّسل، وهو نتاج الحيوانات الذين لا قوام للناس إلا بهما(٤).

فالنفاق يؤثِّر على الإنسان والحيَوان والأرض والحرثِ والنَّسل والزروع والثمار، فكل هذه الكائنات يُصيبها ضررُ النِّفاق والمنافقين، قال الزجاج: «وذلِك

(١) «تفسير ابن كثير»: (٢/ ٢٤٠).

(٢) «فتح القدير»: (١/ ٢٢٨).

(٣) «تفسير ابن كثير»: (١/ ٢٦٤).

(٤) المرجع السابق: (١/ ٢٦٤).



لأنَّ النِّفَاق يؤدي إلىٰ تفريق الكلمة، ووقوعِ القتَال، وفيه هَلاك الخلق»[١].

وقد ذَهب السُّدِّي إلىٰ أنَّ المُراد بالإهلاك المذكُور في الآية هُو ما فعله بعض المُنافقين من حرق لزرع قوم من المسلمين وعقر لحمرهم.

وأما مجاهد فيَرىٰ أن ذلك الإهلاكَ هُو قدر الله تعالىٰ النَّاتج عن فعل هذا المُنافق، فقال: «إذا تولَّىٰ سَعىٰ في الأرض بالعدوان والظُّلم، فيحبس الله بِذلك القطْرَ فيهلك الحرث والنسل»[٢].

وتأمَّل قوله تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [سورة الرعد: ١٥]، وقوله سبحانه ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [سورة الحج: ٨١].

فالجميعُ خاضعٌ له مذعنٌ لعظمته مقرٌ بربوبيته وإلهيته، فكيف بالكافِرِ والمنافِقِ المعرِضِ كُل منْهُما عن عبودِيتِه والمستنكف عن طَاعته سبحانه، وبضدِّها تتميز الأشياءُ؛ فجميع المخلوقات مؤيِّدة وناصِرة للمؤمنين، فالنَّار تصبح بردًا وسلامًا علىٰ إبراهيم، والبحر يصير يبسًا لموسىٰ عليه الصلاة والسلام ومن معه من بني إسرائيل، والملائكةُ تُقاتل مع حزبِ الله المؤمنين، والريح كم نَصر الله بها أولياءه الصادقين.

وفي قصة غلام الأخدود، الجبلُ يهتز بمن أرادوا بِهِ سُوءًا فيلقيهم صَرعىٰ هالكين، وقاربُ المَاء يرتجُّ بهم فيتساقطُون منه غرقىٰ في اليم، أما هو فرجع من السالمين.

بل إن هذه الخلائق كما تَكره وتبغِضُ من حادَّ الله ورسوله وعادىٰ المؤمنين، فهي في المقابل تُحبُّ وتَفرح وتسعد بعباد الله المخلصين، فعلىٰ سبيل المثال:

---

(١) «فتح القدير»: (١/ ٢٢٨).

(٢) «جامع البيان»: (٢/ ٣٢٩ – ٣٣٠).

١. الملائكة عليهم صلوات الله وسلامه: إن لِملائِكة الله مع عِبادِ الله المؤمنين لشَأنًا يتمثَّل في محبتهِم لهم(١) وصلاتِهم عليهم(٢)، وفوقَ ذلك يحضُرون مجالِس

---

(١) قال ﷺ: «إن الله تبارك وتعالىٰ إذا أحب عبدًا نادىٰ جبريل: إن الله قد أحب فلانًا فأحبه، فيُحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء: إن الله قد أحبّ فلانًا فأحبوه فيُحبه أهل السماء ويُوضع له القبول في الأرض». رواه البخاري: برقم (٧٤٨٥)، ورواه مسلم: برقم (٢٦٣٧).

(٢) قال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ٤٣]، والصلاة من الله تعالىٰ ثناؤه علىٰ العبد عند ملائكته، حكاه البخاري عن أبي العالية، وقال غيره: الصلاة من الله عز وجل الرحمة، وقد يقال: لا منافاة بين القولين. وأما الصلاة من الملائكة فبمعنىٰ الدعاء للناس والاستغفار لهم، وهذا ما سنوضحه فيما يأتي نماذج من الأعمال التي تصلي الملائكة علىٰ صاحبها:

١. معلم الناس الخير: روىٰ الطبراني والترمذي بإسناد صحيح، عن أبي أمامة، أن الرسول ﷺ قال: «إن الله وملائكته حتىٰ النملة من جحرها وحتىٰ الحوت في البحر ليصلون علىٰ معلم الناس الخير». «صحيح الجامع»: (٢/ ١٣٣).

٢. الذين يؤمون المساجد للصلاة: في «صحيح مسلم»: «أن الملائكة تصلي علىٰ الذي يأتي المسجد للصلاة فتقول: اللهم صلّ عليه، اللهم ارحمه مالم يؤذ فيه وما لم يحدث فيه».

٣. الذين يصلون في الصف الأول: في «سنن أبي داود»، و«ابن ماجه»، و«مسند أحمد»، عن البراء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله وملائكته يصلون علىٰ الصف الأول». «صحيح الجامع»: (٢/ ١٣٣)، وفي «سنن الترمذي» : «إن الله وملائكته يصلون علىٰ الصف المقدم». «صحيح الجامع»: (٢/ ١٣٤). الذين يمكثون في مصلاهم بعد الصلاة: روىٰ أبو داود في «سننه»، والنسائي بإسناد صحيح، عن أبي هريرة أن النَّبيّ ﷺ قال: «الملائكة تصلي علىٰ أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلىٰ فيه، مالم يحدث، أو يقم: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه». «صحيح الجامع»: (٦/ ٢١).

٥. الذين يسدّون الفرج بين الصفوف: في «سنن ابن ماجه»، و«مسند أحمد»، و«مستدرك الحاكم»، بإسناد حسن عن عائشة أن الرسول ﷺ قال: «إن الله تعالىٰ وملائكته يصلون علىٰ الذين يصلون الصفوف، ومن سدّ فرجة رفعه الله بها درجة». «صحيح الجامع»: (٢/ ١٣٥). =

ذكرهم(١) ويتعاقبون علينَا في صلاتي العَصر والفجر(٢) ويبلِّغون الرَّسول ﷺ عن أمته السلام(٣)، بل ويُدخلون عليهِم السُّرور ببشارتهم بمَا يفرحهم(٤)،

= ٦. الذين يتسحرون: وفي «صحيح ابن حبان»، و«معجم الطبراني الأوسط»، بإسناد حسن عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالىٰ وملائكته يصلون علىٰ المتسحرين». «صحيح الجامع»: (٢/ ١٣٥).

٧. الذين يصلون علىٰ النَّبيّ ﷺ: روىٰ أحمد في «مسنده»، والضياء في «المختارة»، عن عامر بن ربيعة، أن رسول الله ﷺ قال: «ما من عبد يصلي عليّ إلاّ صلّت عليه الملائكة ما دام يصلّي علي، فليقل العبد من ذلك أو ليكثر». «صحيح الجامع»: (٥/ ١٧٤).

٨. الذين يعودون المرضى: روىٰ ابن حبان في «صحيحه» بإسناد صحيح، عن علي أن رسول الله ﷺ قال: «ما من امرئ مسلم يعود مسلمًا إلا بعث الله سبعين ألف ملك يصلون عليه في أي ساعات النهار كان حتىٰ يمسي وأي ساعات الليل كان حتىٰ يُصبح». «صحيح الجامع»: (٥/ ١٥٩).

(١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله تبارك وتعالىٰ ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإن وجدوا قومًا يذكرون الله تعالىٰ تنادوا إلىٰ حاجتكم، قال فيحفونهم بأجنحتهم إلىٰ السماء الدنيا». أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل: ح (٦٤٠٨).

(٢) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر والفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون». أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله الملائكة: ح (٧٠٤٨)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما: ح (٦٣٢).

(٣) روىٰ الإمام أحمد والنسائي، عن عبد الله بن مسعود، أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلا». «السلسلة الصحيحة»: (٢٨٥٣).

(٤) فقد بشرّت زكريا بيحيىٰ عليهما صلوات الله وسلامه ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [سورة آل عمران آية: ٣٩] وقبل ذلك إبراهيم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قال تعالىٰ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [سورة الذاريات: ٢٤ – ٢٨].

ويَشهدون جنائزَهم(١)، ويُظلِّون الشَّهيد بأجنحتها(٢)، ويُقاتلون مع المُؤمنين ويثبتونهم في حروبهم(٣).

---

(١) شهود الملائكة لجنازة الصالحين.. قال الرسول ﷺ في سعد بن معاذ: «هذا الذي تحرّك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفًا من الملائكة، لقد ضُمّ ضمة ثمّ فرج عنه». رواه النسائي عن ابن عمر بإسناد صحيح. «صحيح الجامع»: (٦/ ٧٢).

(٢) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: لما قتل أبي جعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي وينهونني والنَّبيّ ﷺ لا ينهاني، فجعلت عمَّتي فاطمة تبكي، فقال النَّبيّ ﷺ: «تبكين أو لا تبكين ما زالت الملائكة تظله بأجنحتها حتى رفعتوه». أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت: ح (١٢٣١)، واللفظ له، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة رضى الله تعالى عنهم، باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رضى الله تعالى عنهما: ح (٢٤٧١).

وقد بوب له البخاري بقوله: باب ظل الملائكة على الشهيد، وليس هذا مقصورًا على الأنبياء والمرسلين، بل قد تبشر المؤمنين فعن أبي هريرة عن النَّبيّ ﷺ قال: «زار رجل أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته -طريقه- ملكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية قال: هل لك عليه من نعمة تربّها؟ قال: لا غير أني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه». أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب في فضل الحب في الله: ح (٢٥٦٧).

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: أتاني جبريل فقال: «يا رسول الله! هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب فإذا هي قد أتتك، فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيها ولا نصب «. أخرجه مسلم: كتاب فضائل الصحابة رضى الله تعالى عنهم باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضى الله تعالى عنها ح (٢٤٣٢).

(٣) يقاتلون مع المؤمنين ويثبتونهم في حروبهم.. وقد أمد الله المؤمنين بأعداد كثيرة من الملائكة في معركة بدر﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٩]، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة آل عمران: =

= ١٢٣-١٢٥]. وقد قال الرسول ﷺ في يوم بدر: «هذا جبريل آخذ برأس فرسه، عليه أداة حرب». أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا: (٣٩٩٥).

وقد بين الله الحكمة والغاية من هذا الإمداد، وهو تثبيت المؤمنين، والمحاربة معهم، وقتال أعداء الله وقتلهم بضرب أعناقهم وأيديهم: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٢٦]، ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأنفال: ١٢]، وقال في سورة آل عمران: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٢٦-١٢٧]، وقد رأى الرسول ﷺ الملائكة في يوم بدر ففي دلائل النبوة عن حكيم بن حزام، قالوا: لما حضر القتال ورسول الله ﷺ رافع يديه يسأل الله النصر وما وعده ويقول: " اللهم إن ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين "، وأبو بكر يقول: والله لينصرنك الله أو ليبيضن وجهك، فأنزل الله عز وجل ألفا من الملائكة مردفين عند أكتاف العدو، وقال رسول الله ﷺ: «أبشر يا أبا بكر، هذا جبريل معتجر بعمامة صفراء آخذ بعنان فرسه بين السماء والأرض، فلما نزل إلى الأرض تغيب عني ساعة، ثم طلع على ثناياه النقع يقول: أتاك نصر الله إذ دعوته». حسنه الألباني في «فقه السيرة»: (ص: ٢٢٥).

وقد سمع أحد المقاتلين من المسلمين صوت ضربة لملك، يضرب أحد الكفار، وصوته وهو يزجر فرسه، فعن ابن عباس: بينا رجل من المسلمين يشتدّ في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، إذ نظر إلى المشرك أمامه، فخرّ مستلقيًا، قال: فنظر إليه، فإذا هو قد حطم أنفه، وشقّ وجهه، كضربة السوط، فاخضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري، فحدث ذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة «. أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير باب الإمداد بالملائكة في غَزوَة بدر وإباحة الغنائم ح (١٧٦٣).

وقد حاربت الملائكة في مواقع أخرى؛ ففي غَزوَة الخندق أرسل الله ملائكته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٩]، والمعنى بالجنود التي لم يروها الملائكة، كما ثبت في الصحاح فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنهَا: أن رسول الله ﷺ لما رجع يوم الخندق ووضع السلاح، واغتسل فأتاه =

إن مَن يتأمَّل هذه الأعمال وغيرَها ممَّا لم يأت الحديث عنه فِي شأن الملائكة مع المؤمنين، ليزداد إيمانًا إلى إيمَانِه، ويعلم قدر ومنزِلَة المؤمن عند خالقه، ومن ثَمَّ يتبيَّن له كَم هي خسارة المنافقين الذين ينالهم من الملائكة العداوة والعذاب.

٢. حب الحيوانات للمؤمنين واستغفارها لهم:

أ - استغفارها لمعَلِّم النَّاس الخير: قال عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي حِجْرِهَا، وَحَتَّى الحُوتَ، لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ».

ب - عن ابن المنكدر: «أن سفينة مولى رسول ﷺ أخطأ الجيش بأَرض الرُّوم، أو أَسِرَ في أرض الروم، فانطَلَق هاربًا يلتَمسُ الجَيش، فإذا هُو بِالأسَد، فقالَ: أبا الحَارث، أنَا مَولى رَسولِ الله ﷺ، كَان من أمري كيت وكيت، فَأَقبل الأَسد لَه بَصبصة حتى قَام إلى جنْبِه كُلَّما سَمِع صوتًا أهوى إليهِ، ثُمَّ أَقْبل يَمشي إلى جَنبهِ، فلَم يزل كذلِكَ حتَّى بَلغ الجَيش ثم رجع الأسد»[(١)].

ج - حديث حماية الدبر لعاصم: «.. فلَمَّا قُتل عَاصم أرادت هديل أخذ رَأسه لِيبيعُوه من سلافة بنت سعد بن شهيد، وكَانت قد نَذَرت حين أصاب ابنَيهَا يوم أحد: لئن قَدرت على رأس عاصم لتَشربن في قَحفِه الخَمر فمنعته الدبر.

فلما حالت بَينه وبَينَهم (الدبر)[(٢)] قالوا: دَعوه يُمسي فتذهَب عنْه فنأخذه،

= جبريل وقد عصب رأسه الغبار، فقال: وضعت السلاح فوالله ما وضعته، فقال رسول الله ﷺ: «فأين «قال، ها هنا، وأومأ إلى بني قريظة، قالت: فخرج إليهم رسول الله ﷺ. أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الغسل بعد الحرب والغبار: ح (٢٦٥٨).

(١) صححه الألباني في «مشكاة المصابيح»: (٥٩٤٩).

(٢) **الدبر:** صغار الجراد وقد يُقال أيضًا لصغار النحل. ينظر «**الروض الأنف**»: **(٣/ ٣٦٤)**.

فبَعث الله الوادي فاحْتَمل عاصِمًا، فذَهب به، وقد كان عاصِم قد أعطى اللهَ عَهدا أن لا يَمسه مشرك ولا يمس مشركًا أبدًا تَنجسًا، فكان عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول حينَ بَلغه أن الدبر منعته يحفظ الله العبْد المؤمن، كان عاصم نَذر أن لا يمسه مشرك ولا يمس مُشركًا أبدًا في حياته، فمنعه الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته»(١).

٣. شأن الجمادات والنباتات مع المؤمنين: فهم ينصرونهم(٢) ويُصلُّون خلفهم(٣) ويلبُّون تلبيتهم(٤) ويشهدون لهم(٥).

---

(١) «تهذيب سيرة ابن هشام»: (١/ ٢٧٨).

(٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يُقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من رواء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود ». رواه مسلم برقم ٢٩٢٢. وفي رواية: «فلا يبقى شيء مما خلق الله توارى به يهودي إلا أنطق الله ذلك الشيء لا حجر ولا شجر ولا حائط ولا دابة إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق - إلا قال ياعبد الله المسلم هذا يهودي فتعال فاقتله». صحيح، أورده الشيخ الألباني في «صحيح قصة المسيح الدجال»: رقم (٣٧).

(٣) عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان الرجل بأرض قيّ فكانت الصلاة فليتوضأ، فإن لم يجد ماء فليتيمم، فإن أقام صلّى معه ملكاه، وإن أذن وأقام صلّى خلفه من جنود الله مالا يُرى طرفاه». «صحيح الترغيب والترهيب»: (٢٤٩)، والقيء: الأرض القفر كالصحراء ونحوها. «لسان العرب»، بتصرف: (١٥/ ٣٠٦).

(٤) عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيّ ﷺ قال: «ما من ملبّ يلبي إلا لبّى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من هاهنا وهاهنا عن يمينه وشماله». «صحيح الترغيب والترهيب»: (١١٣٤).

(٥) قال ﷺ: «إن الله وملائكته يصلون على الصف المقدم والمؤذن يُغفر له مدّ صوته ويُصدّقه من سمعه من رطب ويابس وله مثل أجر من صلّى معه». «صحيح الترغيب والترهيب»: (٢٣٥).



٤. المخلوقات العلوية وموقفها الكريم من المؤمنين:

أ) عرش الرحمن: أعظَمُ المخلوقات وأعلاها وأوسَعها قال ﷺ: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاة، وَفَضْلُ العَرْشِ عَلَى الكُرْسِيِّ كَفَضْلِ تِلْكَ الفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الحَلَقَةِ»(١).

لا إله إلا الله، أي عظمة وأي سعة لهذا العرش الكَريم، ومع ذلك يهتزُّ لِموت عبد من عباد الله؛ قال ﷺ: «اهْتَزَّ العَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ مِنْ فَرَحِ الرَّبِّ عَزَّوَجَلَّ»(٢).

ب) الجنة والنار: عن أنَس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: «مَا سَأَلَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ اللهَ الجَنَّةَ ثَلَاثًا إِلَّا قَالَتِ الجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الجَنَّةَ، وَلَا اسْتَجَارَ رَجُلٌ مُسْلِمٌ اللهَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثًا إِلَّا قَالَتْ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنِّي»(٣).

سبحان الله وبحمده، حتَّى الجَنَّةُ تَتجاوب هي والنَّار مع دعاء المُؤمن، فيسألان اللهَ إجَابة دعائِه، فانظر يا رَعاك الله كيف هِي مَخلوقات الله، عُلويها وسُفليهَا أَحيَاؤها وجماداتُها مع المؤمنين الصالحين؛ تأييدًا ومحبة ونُصرة ودعاءً، وغير ذلك مما لم نعلمه، فلله الحمد على سابغ فضله وجزيل عطاياه.

---

(١) «السلسلة الصحيحة»: رقم (١٠٩).

(٢) «السلسلة الصحيحة»: رقم (١٢٨٨).

(٣) «صحيح الجامع»: برقم (١٠٥٦٧).

المطلب الثاني

هل هناك من رمى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالنفاق؟

إنَّ من المَعلوم لدَىٰ أهْلِ السُّنَّة والجَماعة أنَّ الصَّحابة رضوان الله عليهم مِن أخْوف الناس علىٰ أنفسِهم منَ النِّفاق مع أنهم أتقَىٰ النَّاس وأبرأهم مِنه وأزكاهم مِن أن يقعوا في عمليه ناهيك عن اعتقاديه.

قال ابن أبي مليكة: «أدركت كذا وكذا من أصْحَاب النَّبيّ ﷺ، فما مَات منهم رجلٌ إلا وهُو يخشىٰ النِّفاق علىٰ نفسه، ما منهم من يقول إنَّه علىٰ إيمان جبريل وميكائيل»[1].

وفي أثر آخر قال: «أدركتُ ثَلاثين من أصْحَاب محمَّد ﷺ كلُّهم يَخاف النِّفاق علىٰ نفسه»[2]. وها هو عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من شهد له النَّبيّ ﷺ، والذي لو كان نبيٌ بعد رسول الله ﷺ لكان عمر كما صح بذلك الحديث، يَقول لحذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنشِدُك الله هل سمَّاني لك رسول الله ﷺ مع من سمَّىٰ من المنافقين؟ فقال حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا ولا أزكي بعدك أحدًا»[3].

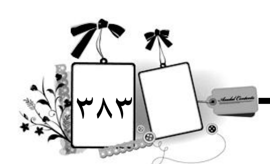
ومع ذلك كله نجد من يَرمي الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالنفاق، يَقول شيخ الإِسْلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ؛ مبينًا أن الرافضة ممَّن رمىٰ الصحابة بالنفاق: «ثمَّ إن الرَّافضة

---

(١) «الانتصار في الرد علىٰ المعتزلة القدرية الأشرار»، يحيىٰ العمراني، تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر أضواء السلف سنة النشر ١٩٩٩م الرياض: (٣/ ٧٨١)، وقد رواه الإمام البخاري كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحيط عمله: (١/ ١٠٩).

(٢) «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»: (١/ ١٤)، لابن تيمية.

(٣) «القول المفيد علىٰ كتاب التوحيد»، محمد بن صالح العثيمين، طبعة ابن الجوزي الطبعة الثالثة ١٤١٩-١٩٩٩م: (١/ ٨٠).



أو أكثَرهم لفرْطِ جَهلهم وضلالهم يقولون: إنَّهم -يعنون الصحابة- ومَن اتبعَهم كانوا كفارًا مرتدين، وأن اليهود والنَّصارىٰ كانوا خيرًا مِنهم؛ لأن الكافر الأصلي خَيرٌ مِن المرتد، وقد رأيت هَذا في عدة مِن كُتبهم، وهذا القول من أعظم الأقوال افتِرَاء عَلىٰ أولياء الله المُتَّقين وحزب الله المفلحين وجند الله الغالبين»[١].

«وقد تَدبَّرتُهم فوجدتهم لا يُضيفون إلىٰ الصحابة عَيبًا إلا وهم أعظم النَّاس اتِّصافًا به، والصحابة أبعد النَّاس عنه، فهم أكذب الناس بلا ريب؛ كمُسيلمة الكذاب إذ قَال: أنا نبي صادق ومحمَّد كذاب، ولهذا يصفون أنفسهم بالإيمان، ويصِفُون الصحابة بالنفاق، وهم أعظم الطوائف نفاقًا، والصحابة أعظم الخلق إيمانًا»[٢].

---

(١) «منهاج السنة النبوية»: (٣/ ٤٠٩) (٧/ ٤٧٥).

(٢) المرجع السابق: (٢/ ٨٧).

المطلب الثالث

ما النفاق الذي خافه الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؟

وقال أناسٌ لعبد الله بن عمر: إنَّا ندخل علَىٰ سُلطاننا فنقُول لهم بِخلاف ما نتكلم إذا خرجنا من عندهم، قَال: «كنا نعده نفاقًا»(١).

وهذا هو النفاق الذي خافَه الصحابة علىٰ أنفُسِهم، يقول ابن رجب(٢): «ولما تقَرَّر عند الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أنَّ النِّفاق هو اختلاف السرِّ والعَلانية، خَشِي بعضهم علىٰ نفسه أن يَكُون إذا تغيَّر عَليه حضور قلبِه ورقتِه وخُشوعه عند سماع الذكر، برجُوعه إلىٰ الدُّنيا والاشتِغَال بالأهل والأولاد والأموال، أن يَكون ذلك منه نفاقًا، كما في صحيح مسلم عن حنظلة الأسدي: «أنه مرَّ بأَبي بكر وهُو يبكي، فقال: مَا لك؟ قال: نافَق حنظلة يا أبا بَكر، نكون عندَ رَسول الله ﷺ يذكِّرنا بالجنَّة والنَّار كأنا رأي عين، فإذا رجَعنا عافسنا الأزوَاج والضيعة فنسينا كثيرًا، قال أبو بكر: فالله إنَّا لكَذلك، فانطلقنا إلىٰ رسول الله ﷺ فقال: «مَالك يا حنظلة؟». قال: نافَق حنظلة يا رسول الله، وذَكر له مثل ما قال لأبي بَكر، فقال رسول الله ﷺ: «لَوْ تَدُومُونَ عَلَىٰ الحَالِ التِي تَقُومُونَ بِهَا مِنْ عِنْدِي لَصافَحَتْكُمُ المَلَائِكَةُ عَلَىٰ مجَالِسِكُمْ وَفِي طُرُقِكِمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً».(٣)».

ومما ورد في هذا المعنىٰ -أي: خوف الصحابة من النفاق- مَا قاله ابن أبي

---

(١) رواه مسلم، كتاب الأمارة، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو عن أبي هريرة: رقم (١٩١٠، ٣/ ١٥٠٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأحكام: رقم (٧١٧٨)، و«الفتح»: (١٣/ ١٧٠)، وانظر صورًا أخرىٰ لهذا النوع في جامع العلوم والحكم (٤٠٦، ٤٠٧)، و«شرح السنة»: (٧٧).

(٣) «جامع العلوم والحكم»: (٤٠٨).



مليكة: «أدركت ثلاثينَ مِن أصحابِ النَّبيّ ﷺ كُلُّهم يخاف النِّفاق على نفسه، ما منهم أحدٌ يقول: إنَّه على إيمان جبريل وميكائيل»[١].

يقول الحافظ ابن حجر في تعليقه على هذا الأثر: «والصَّحابة الذين أدركَهم ابن أبي مليكة من أجلِّهم عَائشة وأختها أسماء وأم سلمة، والعبادلة الأربَعة، وأبُو هُريرة وعقبَة بن الحارث والمِسور بن مخرمة، فهَؤُلاءِ ممَّن سَمع منهم وقد أدرَك بالسن جَماعة أجل من هَؤُلاءِ؛ كعلي بن أبي طالب، وسَعد بن أبي وقاص.

وقَد جزم بِأَنَّهم كانوا يخافون النفاق في الأعْمال[٢]، ولم ينقَل عَن غَيرهم خِلاف ذلك فكأنَّه إجمَاع، وذلك لأن المُؤمنَ قَد يعرض عليه في عَملِه مَا يشعر به ممَّا يخالف الإخلاص، ولا يلزمُ مِن خوفهم من ذلك وقوعُه منهم، بل ذَلك على سَبيل المبالغة منهم في الورع والتقوى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[٣].

وبين شيخ الإِسْلام رَحِمَهُ اللَّهُ موضِّحًا نوع النفاق الذي خَافه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأنه قطعًا ليس الاعتقادي، وإنما المراد الخَوفُ مِن الوقوع في شيء من شعب النفاق.

فالإِسْلام يتناول من أظهَر الإِسْلام وليسَ مَن معه شيءٌ من الإيمان، وهو النفاق المحض، ويتناول من أظهَرَ الإِسْلام مع التَّصديق المجمل في البَاطن، ولكن لم يفعل الواجب كله لا من هذا ولا هذا، وهُم الفساق يكون في أحدهم شعبة

---

(١) رواه مسلم، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الأرض: رقم (٢٧٥٠).

(٢) رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم في كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحيط عمله: (١/ ١٠٩).

(٣) المرجع السابق: (١/ ١١١)، وانظر «الإيمان»، لابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإِسْلامي - بيروت، الطبعة: الرابعة - ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣م،: (ص ٤٠٩)، و«جامع العلوم والحكم»: (٤٠٧).

نفاق، ويتناول من أتىٰ بالإِسْلام الواجب وما يلزمه مِن الإيمان ولم يأت بتمام الإيمان الواجب.

وهَؤُلاءِ ليسوا فُساقًا تاركين فريضة ظاهِرَة، ولا مُرتكبين مُحَرَّمًا ظاهرًا لكن تركوا من حقائق الإيمان الواجِبَة علمًا وعملًا بالقلب، يتبعه بعض الجوارح، ما كانوا به مذمومين، وهذا هو النِّفاق الذي كان يَخافُه السَّلف علىٰ نفوسهم، فإن صاحبه قد يكون في شعبة نفاق، بعد هذا ما ميَّز الله به الْمُقربين علىٰ الأبرار أصحاب اليمين من إيمان وتوابعه، وذلك قد يكون من باب الْمُستحَبَّات، وقد يكون أيضًا ممَّا فضَّلَ الله به المؤمن إيمانًا وإِسْلاما، ممَّا وجَب عليه ولم يجب علىٰ غيره، ولهذا قال النَّبيّ ﷺ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ»(١).

وفي الحديث الآخر: «لَيسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإيمَانِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ»(٢)، فإن مراده أنه لم يَبقَ بَعد هذا الإنكار ما يَدخل في الإيمَانِ حتَّىٰ يفعله المؤمن، بل الإنكارُ بالقَلب آخر حدود الإيمان، ليسَ مُراده أن من لم يُنكر ذلك لم يكن معه من الإيمَان حبَّة خردل، ولهذا قال: لي وراء ذَلك، فجَعل الْمُؤمنين ثلاث طبقات، وكُل منهم فعل الإيمَان الذي يجب عليه، لكنَّ الأوَّلَ لَمَّا كان أقدرهم كان الذي يجب عليه أكْمَل ممَّا يجب علىٰ الثاني، وكان ما يجب علىٰ الثاني أكمَل ممَّا يجب علىٰ الآخر، وعلم بذلك أنَّ النَّاس يتفاضلون في الإيمان الوَاجب عَليهم بحسب استطاعَتِهم مع بلوغ الخطاب إليهم كلهم(٣).

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان: رقم (٤٩).

(٢) المرجع السابق.

(٣) «الإيمان»، لشيخ الإِسْلام تحقيق الشيخ الألباني: (٣٣٣ – ٣٣٤).

وتبقى هنا مسألة هي محل تأمل ونظر ألا وهي:

أن عمر مرَّ بحُذيفة بن اليمان رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا، وهُو جالسٌ في المسجد، فقال له: يا حذيفَة، إنَّ فلانًا قَد مات فاشهدهُ، ثم مضى عمر حتَّى كَاد أن يخرج من المسجد فالتفَت إلى حُذيفة فرآه جالسًا، فعرف فرجع إليه، فقال: يا حذيفة، أنشدك اللهَ أمن القوم أنا؟ قال حذيفة: اللهم لا، ولن أبرئ أحدًا بعدك، فرأى عيني عمر جادتا»(١).

من هذا الحديث يتبين أن عمر كان يعلم أن النَّبيّ ﷺ لم يُخبرْ حذيفة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ إلا بأسماء المُنافقين نفاقًا أكبر، وعليه فإن خوفه كان من الأكبر وليس من الأصغر.

---

(١) صحح إسناده ابن حجر في «المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية»، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: (١٧) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، الناشر: دار العاصمة، دار الغيث – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ: (٣/ ٣٤٠).

المطلب الرابع

هل كان الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يعرفون المنافقين؟

قبل الإجابة على هذا السُّؤال، لا بُدَّ من الإشارة إلى بعض حَقائِقٍ منها:

١. أنَّ النَّبيّ ﷺ كان يعلَمُ المُنافقين في أوَّل الأمْر بأوصَافهم وفعالهم، حتى نزل قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ [سورة محمد: ٢٩-٣٠].

قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما خَفِي عَلَى النَّبيّ ﷺ بعد هذهِ الآيَةِ أحدٌ من المُنافقين، كان يعْرِفهم بسيماهم»... وقال ابن زيد: «قدَّر اللهُ إظهارَهُم وأمَر أن يُخرجوا مِن المَسجد، فأبوا إلا أن يتمسَّكُوا بلا إله إلا الله، فحُقت دماؤهم ونكحوا وأُنكحوا بها»(١).

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولو نشاء يا محمد لأريناكَ أشْخَاصهم فعرفتَهم عيانًا، ولكن لم يفعَل الله تعالى؛ ذَلك في جَميع المُنافِقين، سترًا فيه عَلى خَلقه، وحملًا للأمور على ظاهر السلامة، ورد السرائر إلى عالمها: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [سورة محمد: ٣٠]، أي: فيما يبدو من كلامهم الدَّالُّ عَلى مقاصدهم.. قال أمير المؤمنين عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما أسَرَّ أحَدٌ سريرة إلا أبْدَاها الله على صفَحات وجهه وفلتَات لِسانه»(٢)، والألسن مغَارف القلوب يظهر منها ما في القُلوب من خير أو شر»(٣).

٢. من المقرر أيضًا أنَّ الله قد أعلم النَّبيّ ﷺ ببَعض أسمائِهم وأخْفى بعضًا، قال الله

---

(١) «تفسير القرطبي»: (٨/ الجزء ١٦/ ص ١٦٦ – ١٦٧).

(٢) «تفسير ابن كثير»: (٧/ ٣٢١).

(٣) «تفسير ابن سعدي»: (٧/ ٨٣).



تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة التوبة: ١٠١].

قال ابن كثير: «فيها دليل على أنه لم يُغْرَ بِهِمْ وَلَمْ يُدْرِكْ على أعيانهم، وإنَّما كانت تذكر له صِفاتهم فيتوسمها»(١)، وفي هَذا دليلٌ على أن النَّبيّ ﷺ لم يعلم جَميع المُنافقين(٢)، ولعل السبب في عدم إعلان النَّبيّ بهم ﷺ جميعًا لأسباب منها:

أحدها: أنَّهم مَردوا على النفاق، أي: تمرَّنُوا عليه وازدادُوا فيه طغيانًا، ولجُّو فيهِ وأقاموا ولم يتوبوا(٣).

ثانيًا: سِترًا على بعضهم ولَعلَّهم يتوبوا ويرجعوا ويُقلقوا.

٣. أسرَّ النَّبيّ ﷺ لحذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بأسمائهم.

أورد ابن كثير رَحِمَهُٱللَّهُ:(٤) أنَّ المصطفى ﷺ قد أسرَّ باثني عَشَر من هَؤُلاءِ المنافقين لحُذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، كما ورد في الحديث الذي رواه حذيفة عن النَّبيّ ﷺ قال: «إِنَّ فِي أُمَّتِي اثْنَي عَشَرَ مُنَافِقًا لا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ وَلَا يَجِدُونَ رِيحَهَا، حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ، ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ تَكْفِيكُهُمُ الدُّبَيْلَةُ(٥) سِرَاجٌ مِنْ نَارٍ يَظْهَرُ فِي أَكْتَافِهِمْ حَتَّى يَنْجُمَ مِنْ صُدُورِهِمْ»(٦)، وفي رواية: «إِنَّ فِي أَصْحَابِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا»(٧)، قال

---

(١) «تفسير ابن كثير»: (١/ ١٨٠).

(٢) «تفسير القرآن»، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، (سنة الولادة ٤٢٦هـ/ سنة الوفاة ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر دار الوطن - الرياض سنة النشر ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م: (٢/ ٣٤٣).

(٣) «تفسير السعدي» (٣/ ٢٩٠).

(٤) «تفسير ابن كثير»: (٤/ ٢٠٦).

(٥) والدبيلة: خراج ودمل كبير يظهر في الجوف فيقتل صاحبه غالبًا.

(٦) رواه الطبري في «تفسيره»: (١٤/ ٤٤٣).

(٧) أخرجه مسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم: ح (٢٧٧٩).

الإمام النووي: «معناهُ: الذين يُنسَبون إلى صحبتي»(١).

وقد كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا مات رجل ممَّن يُرىٰ أنه منهم نَظر إلى حُذيفة، فإن صلَّىٰ عليهِ وإلا تركَه، وقال لحذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يومًا: أنشدك بالله أمنهُم أنا؟ قال: لا، ولا أؤمن منها أحدًا بعدك(٢).

وهنَا نَعود للسؤال: هل الصحابة غير حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ كانوا يعرفون المنافقين؟. ممَّا سَبق يتقرر أنَّه لم يكن النَّبيّ ﷺ قد أخبَره الله ببعضهم وأخفَىٰ عنه بعضهم، فمن باب أولىٰ صحابَتُه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، إلا أن هناك آثارًا تشير إلى أن أوصافهم وفعالهم خافية عليهم ومنها:

١- قال ابن إسحاق: «حدَّثني عَاصم بن عمرو بن قتادة، عن محمُود بن لبيد، عن رِجال من بَني عبد الأشهل، قال: قلت لمحمود: هل كَان النَّاس يَعرفون النفاق فيهم؟

قَالَ: نعَم والله، إنْ كَان الرجل ليعرفه من أخيهِ ومن أبيه ومن عمه ومن عَشيرته، ثم يُلبس بعضهم بعضًا علىٰ ذلك»(٣).

٢- في قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا في غَزوَة تبوك.. قَال كَعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهُو في المدينة: «فكنتُ إذا خرجت في الناس بعد خُروج رسول الله ﷺ فَطُفتُ فِيهم، أحزنني أني لا أرىٰ إلا رجُلًا مغمُوصًا(٤) عليه النِّفاق، أو رجلًا عذر الله من الضعفاء»(٥).

---

(١) ينظر «شرح النووي علىٰ مسلم»: (٩/ ١٦٢).

(٢) «تفسير الطبري»: (١٤/ ٤٤٣)، وابن كثير: (٤/ ١٤٤).

(٣) «السيرة النبوية»، لابن هشام: (٤/ ٩٤٩).

(٤) أي متهمًا به مطعونًا عليه في دينه. «تأملات في قصة الثلاثة الذين خلفوا عن غَزوَة تبوك»: (١٤)، زيد عبد الكريم الزيد.

(٥) «فتح الباري»، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك: (٥/ ١٣٠ - ١٣٥).

٣- حديث ابْن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والذي جاء فيه: «ولقدْ رَأيتنا وما يتخلَّف عنْها –أي: صلاة الفجر- إلا مُنافق معلوم النفاق»(١).

٤- عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «إنَّ رِجالًا من المنافقين في عَهدِ رسول الله ﷺ كانوا إذا خَرج رَسول الله ﷺ إلى الغزو تخلَّفوا عَنهُ، وفرحوا بمقعَدِهم خِلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدِمَ النَّبيّ ﷺ اعتذَرُوا إليه وحَلفُوا وأحبُّوا أن يُحمدوا بما لَم يفعلوا، فنزَلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٨]».

٥- وعن أبي طَلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «غُشِّينا ونَحن في مصافِّنا يوم أحد، حدَّث أنَّه كَان فيمن غَشيَه النُّعاس يومئذ، قال: فَجَعل يسقط من يَدي وآخذه ويَسقط من يدي وآخُذه، والطَّائفة الأخرى المنافقون لَيس لهم همٌّ إلا أنفُسُهم، أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق»(٢).

٦- حديثُ بني أبيرق الطَّويل، وفيه عن قتادة بن النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كانَ أهلُ بَيت منَّا يُقال لهم بنُو أبيرِق بِشر وبَشير ومُبَشر، وكَان بشيرٌ رجلًا منافقًا يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ ثم ينحله(٣) بعض العرب»(٤).

---

(١) رواه مسلم، في كتاب المساجد، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى: برقم (٦٥٤)، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب في التشديد في ترك الجماعة: رقم (٥٥٠)، والنسائي، كتاب الإمامة، باب المحافظة على الصلوات حيث ينادى بهن: (٢/ ١٠٨، ١٠٩).

(٢) رواه الترمذي في «سننه» (٥/ ٢١٤)، كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران، وقال: حسن صحيح، واللفظ له، والبيهقي في «الدلائل»: (٣/ ٢٧٣، ٢٧٤)، وأصله في الصحيحين، انظر البخاري: (٣/ ٢١١)، كتاب التفسير، باب قوله (أمنه نعاسًا)، و(٣/ ١٠٦)، كتاب المغازي، باب غَزوَة أحد، ومسلم: (٣/ ١٤٤٣، ١٤٤٤)، كتاب الجهاد، باب غَزوَة النساء مع الرجال، وأحمد: (٤/ ٢٩)، وأبو يعلى: (٣/ ١٤، ١٩)، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي: (٢/ ٢٩٧).

(٣) النحلة: النسبة الباطلة.

(٤) سبق تخريجه بطوله.

٧- عن جابر: «أنَّ رَسول الله ﷺ قدِم مِن سفر، فلمَّا قرب المدِينَة هَاجت رِيحٌ شديدة تكاد تدفن الرَّاكب، فزعم أن رسول الله ﷺ قال: «بُعِثَتْ هَذِهِ الرِّيحُ لِمَوْتِ مُنَافِقٍ»، فَلما قدم المدينة فإذا مُنافقٌ عظيم من المنافقين قد مات»[(١)].

٨- طرد المنافقين من المسْجِد، وكَان هَؤُلاءِ المنافقون يَحْضُرون المَسجِد فَيستمعون أحاديث المُسلِمين، ويسخرونَ ويَستهزئون بِدينهم، فاجتمع يومًا في المَسجد منهم نَاسٌ، فَرآهم رسول الله ﷺ يتحدَّثُون بينهم، خافِضِي أصواتِهِم، قد لصق بَعضُهم ببعض، فَأمر بهم رسُول الله ﷺ فأُخرجوا من المَسجد إخراجًا عَنيفًا، فقام أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب، إلى عمَر بن قيس، أحد بني غَنم بن مالك بن النجار -كان صاحب آلهتهم في الجاهلية- فَأَخذ برجله فسَحَبه حتى أخرجه من المسجد وهُو يقول: أتُخْرِجني يا أبا أيوب من مربد بَني ثَعلَبة، ثم أقبل أبو أيوب أيضًا إلى رافع بن وديعة، أحد بَني النجار فلبَّبه بِردائِهِ ثم نَثره نثرًا شديدًا، ولطم وجهه، ثم أخرَجَه من المسجد، وأبو أيوب يقول: أفٍ لك مُنافقا خبيثا أدراجَك يا منافق من مسجد رسول الله ﷺ.

قال ابن هشام: «أي ارجع من الطريق التي جئت منها».

قال الشاعر:

فَوَلَّى وَأَدْبَرَ أَدْرَاجَهُ وَقَدْ ... بَاءَ بِالظُّلْمِ مَنْ كَانَ ثَمَّ

وقام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو، وكان رجلًا طويل اللحية، فأخذ بِلحيته فقادَه بها قودًا عنيفا حتى أخرجهُ من المَسجد، ثم جمع عمارة يديه فلدمه[(٢)] بهما في

---

(١) سبق تخريجه: (ص٣٧٢).

(٢) قال ابن فارس: اللام والدال والميم أصل يدل على إلصاق شيء بشيء، ضربا أو غيره، فَاللَّدْمُ: ضرب الحجر بالحجر... وَالْتَدَمَ النساء: ضربن وجوههن وصدورهن في المناحة. وَاللَّدْمُ: ضربك =

صَدره لدمة خَرَّ منْها . يقول: خَدشتني يا عمارة؛ قال : أَبعدَك الله يا منافق، فما أعَدَّ الله لك من العذاب أشد من ذلك، فلا تقربَنَّ مسجد رسول الله ﷺ .

قال تميم بن أبي بن مقبل :

وَلِلفُؤَادِ وَجِيبٌ تَحْتَ أَبْهُرِهِ لِدَمِ الوَلِيدِ وَرَاءَ الغَيْبِ بِالحَجَرِ (١)

قال ابن إسحاق : «وقام أبو محمد، رجل من بني النجار، كان بدريًّا، وأبُو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصرم بن زيد بن ثعلبة بن غنم ابن مالك بن النجار إلىٰ قيس بن عمرو بن سهل، وكان قيس غُلامًا شابًّا، وكان لا يعلم في المُنافقين شاب غيره، فَجعل يدفع في قفاه حتىٰ أخرجه من المسجد .

وقام رجل من بَلْخُدرة بن الخزرج، رهط أبي سعيد الخدري، يقالُ لَه : عبد الله بن الحارث، حين أمر رسول الله ﷺ بإخراج المُنافقين من المَسجِد إلىٰ رجل يقال له : الحَارث بن عمرو، وكان ذا جمة، فأَخذ بِجمَّته فسحبه بها سحبًا عنيفًا، علىٰ ما مر به من الأرض، حتىٰ أخرجه من المسجد.

قال: يَقُول المنافقُ: لقَد أغلظت يا ابن الحارث؛ فقال : إنَّك أهل لذلك، أي عَدو الله لما أنزل الله فيك، فلا تَقربَنَّ مسجد رسول الله ﷺ، فإنك نجس، وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلىٰ أخيه زُوَيِّ بن الحارث، فأخرجَه من المسجد إخراجًا عنيفًا، وأَفَّف منه، وقال: غلب عليك الشيطان أمره ، فهَؤُلاءِ من حَضَر المسجد يومئذ من المنافقين، وأمر رسول الله ﷺ بإخراجهم»(٢) .

= خبز الملة. ينظر «مقاييس اللغة»: (٥/ ٢٤٣).

(١) قال ابن هشام: اللدم : الضرب ببطن الكف، الغيب : ما انخفض من الأرض . والأبهر : عرق القلب . ينظر «الروض الأنف»: (٤/ ٢١٩).

(٢) «الروض الأنف»: (٢/ ٣٨٥)، و«السيرة النبوية»، لابن هشام: (٣/ ٦١).

٨. عن سالم عن أبيه أنه: سمع النَّبيّ ﷺ حين رفَعَ رأسه من صَلاة الصُّبح من الركعة الآخرة، قال: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا يَدْعُو عَلَىٰ أنَاسٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٢٨] »(١).

٩. وعن ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «خَطبَنا رسول الله ﷺ خُطبة، فَحَمِدَ الله وأَثْنَىٰ عليه، ثُمَّ قال: «إِنَّ فِيكُمْ مُنَافِقِينَ، فَمَنْ سَمَّيْتُ فَلْيَقُمْ»، ثم قَال: «قُمْ يَا فُلَانُ، قُمْ يَا فُلَانُ، قُمْ يَا فُلَانُ»، حتَّىٰ سمَّىٰ ستَّة وثلاثين رجلًا، ثم قال: «إِنَّ فِيكُمْ أَوْ مِنْكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ».

قال: فمرَّ عُمر علىٰ رجل ممن سمَّي مقنع قد كان يَعرفه، قال: مالك؟ قال فَحدَّثه بما قال رسول الله ﷺ، فقالَ: بُعدًا لك سائر اليوم»(٢).

من مجموع هذه الأحَاديث وَالآثَار يَتبيَّنُ أنَّ بَعض أعيان المنافِقين كانوا مَعروفين عِند بعض الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ، ومع ذلك فِصفَاتهم ليست بخافية وفِعالهم ليست بمغمورة، بَل واضحة في الجُملَة، وإن كانوا يَستخفون بشيءٍ منْها حتَّىٰ لا تظهر خبيئتهم ولا ينكشف للمسلمين حالهم، وسُبحان الله مهما استتَر وراوغ واستخْفَىٰ المنافقون، إلا ويفضحُهُم الله كما قررَّ السلف رحمهم الله في شأن من يبَارِزون الله بالعصيان في الخلوات.

---

(١) «سنن النسائي» ، باب لعن المنافقين في القنوت: رقم (١٠٧٨)، قال الألباني: صحيح.

(٢) ينظر «اتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة»، كتاب الفتن: (٨/ ٨٧) لأحمد البوصيري. رواه عبد بن حميد وأحمد في «المسند»، واللفظ له، ورواته ثقات، أما محققوا المسند الشيخ الأرناؤوط ومن معه فقالوا: إسناده ضعيف لجهالة عياض الراوي عن أبي مسعود ومتنه منكر، وأخرجه البيهقي في «الدلائل»: (٦/ ٢٨٦) والبخاري في «التاريخ الكبير»: (٧/ ٢٢ – ٢٣).

وقال سليمان التَّيمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ الرجل ليُصيب الذنب في السِّر فيُصبح وعليه مذلته»(١). وقال غيره: «إنَّ العبدَ لَيذنبُ الذَّنب فيمَا بينَه وبين الله، ثم يجيء إلَى إخوانِه فيرون أثَرَ ذلك عليه». وقال ذو النون: «من خَان الله في السِّر هَتك الله سره في العلانية»(٢).

ويقول العلامة ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقَد يُخفي الإنسان ما لا يَرضاه الله عَزَّوَجَلَّ فيظهِرهُ اللهُ عليه لو بعد حينٍ ويُنطق الألسنة به، وإن لم يشاهده الناس وربَّما أوقع صاحبه في آفَةٍ يفضحه بها بين الخلق، فيكون جوابًا لكل ما أخفىٰ مِن الذنوب؛ وذلك ليعلم الناس أن هناك من يجازِي عن الزلل، ولا ينفع من قدره وقدرته حجاب ولا استتار، ولا يضاع لديه عمل»(٣).

ويشتد الخطب ويعظُمُ إذَا كان الذي يخرق حرُمَات الله في الخلوات ممَّن ينتسب إلىٰ العِلم، فهذا حسابه عسيرٌ وتأثير الذنوب في الخلوات لا بد أن ينعكس علىٰ ذكره في الدنيا بين الناس.

قال أبو الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ: «إن العَبد ليَخلُو بِمعصية الله تعالىٰ: فيُلْقِي الله بغضه في قُلوب المؤمنين من حيث لا يَشعر»(٤)، وهذا الذي قاله أبو الدرداء رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ

(١) ينظر «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء»، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفىٰ: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولىٰ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م: (١/ ٣٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) ينظر «صيد الخاطر»، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفىٰ: ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمود فاخوري، الناشر دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الثانية -١٣٩٩ – ١٩٧٩م: (١/ ١٥).

(٤) «الجواب الكافي»، لابن القيم: (١/ ٣٤).

يؤيده قول النَّبيّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَحبَّ عَبْدًا نَادَىٰ فِي السَّمَاءِ... » الحديث، فيه يوضع القَبول في الأرض(١)، وهَذا القبُول من أثر محبة الله تعالىٰ لهَذا العبد الذي التَزم حدود الله في الجَلوات والخَلوات، وأمَّا العَبد الآخر فقد ذُكر في الحَديث: ثم تُوضع له البغضاءُ في الأرْض، فأينما وَلىٰ وذهب فإن قُلوب الخلق تلعَنُه، وهذا أثر بغض الله وسخطه عليه.

ويبين لنا ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ صِنفًا ممَّن ينتسبون إلىٰ العلم، وقد أهملوا نَظر الحق عَزَّوَجَلَّ في الخلَوات فيقول: «رأيتُ أقوامًا ممَّن ينتسبون إلىٰ العلم، أهمَلُوا نظر الحق عَزَّوَجَلَّ إليهم في الخَلوات، فمحا محاسِنَ ذِكرهم في الجَلوات، فكانوا موجودين كالمَعْدُومين، لا حلاوة لِرؤيتهم، ولا قلب يحن إلىٰ لقائهم»(٢).

ومما هو مشاهد أن من أجلَّ الله في الخلوَةِ أجَلَّه الله في الجلوة والخَلوة، وما أجمل الطاعة وما أحْلَىٰ أثرها، وما أقبَحَ المَعصيَة وَما أشد قبْحَها، لا سيما ممن تعمَّدَها. قال ابن عباس رَضِىَٱللَّهُعَنْهُ: «إنَّ للحَسَنة ضِياءً في الوجْه ونورًا في القلب، وقُوةً في البدن، وسعةً في الرِّزق، ومحبةً في قلوب الخلْق، وإنَّ للسَّيئَة سوادًا في الوجْه، وظلمةً في القَلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضَةً في قلوب الخلق»(٣)، وسبق لنا أن ذكرنا قول بعض السلف: «ما عَمِلَ رَجُلٌ عملًا إلا ألبَسَه الله تعالىٰ رِدَاءَه؛ إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر».

ويعلق ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ عَلىٰ هَذا القول فَيَقول: «وهذا أمرٌ معلومٌ يَشترك فيه وفي العلم به أصحابُ البصائر وغيرُهم، حتىٰ إنَّ الرَّجل الطيبَ البرَّ

(١) رواه مسلم: برقم (٢٦٣٧)، كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدًا حببه إلىٰ عباده.

(٢) ينظر «صيد الخاطر»، لابن الجوزي: (١/ ٢٣).

(٣) ينظر «الجواب الكافي»: (١/ ٣٥).

لَتشم منهُ رائحَة طَيبةٌ، وإن لم يمس طيبًا، فيظْهر طيب رائحة روحِه على بدنه وثيابِه، والفاجر بالعَكس، والمزكوم الذي أصابه الهوَاء لا يشمُّ لا هذا ولا هذا، بل زكامه يحمله على إنكار»(١).

إن صلاح السرية أصلُ كُل قبول، وقد أشار إلى ذلك ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وضَرب لنا أمثلة من واقعه حيث قَال: «والله لقَد رأيت من يكثِر الصَّلاة والصَّوم والصَّمت، ويتخشَّعُ فِي نفسه ولباسِه والقلوب تنبُو عنه، وقَدره في النفوس ليسَ بِذاك، ورأيتُ مَن يلبس فَاخر الثِّياب، وليسَ له كَبير نفلٍ ولا تَخشُّع، والقُلوب تتهافتُ عَلى لحيتهِ، فتدبَّرت السبب فوجدته السريرة».

كما روى عن أنس بن مالك: أنه لم يكن له كَبيرُ عمل ولا صَلاة ولا صوم، وإنَّما كانَت له سريرةٌ، فمن أصَحَّ سريرتَه فَاح عبير فضلهِ، وعَبقت القُلوب بنشر طيبه، فالله الله في السرائر، فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح الظاهر(٢).

ورحم الله ذا النون المصري الذِي كَان يقول: «كانَ العُلماء يتواعظون بِثلاث، ويَكتبُ بَعضهم إلى بعضٍ: مَن أحسن سَريرَته أحْسَن الله علانِيَته، ومن أصْلَح ما بينَهُ وبين الله أصلح اللهُ مَا بينه وبينَ النَّاس، ومن أصلَحَ أمْرَ آخرَتِه أصْلح الله أمْر دُنياه وآخِرَته»(٣).

فكيف بعد هذا الاستطراد للمنافقين أن يصلحوا سريرتهم، وقد انطوت على الكفر بالله والتخطيط والكيد للمسلمين: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [سورة الصف: ٨].

---

(١) ينظر «الوابل الصيب»، لابن القيم: (١/ ٤٣).

(٢) ينظر «صيد الخاطر»: (١/ ٦٨).

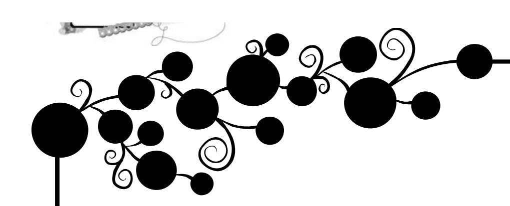
(٣) ينظر «سير أعلام النبلاء»، للذهبي: (١٩/ ١٤١).

يبقى سؤال وهو: لماذا أخبر النَّبيّ ﷺ حذيفة بأسمائهم؟.

الحكمة من ذلك -والله أعلم- كَما قال أحد البَاحثين: لأنَّ وَظيفة حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن يَفضحَ ويُعرِّي هَؤُلاءِ المنافقين إذا ما حَاولوا إثارة الفِتنِ أو التصدِّي لمواقع قيادية، أو مارسوا التحريف والمخادعة والخيانة بالأمة[1].

---

(١) منذر الأسعد، بتصرف يسير - من كتابه «براءة الصحابة من النفاق»، مكتبة العبيكان، الطبعة: ١ ١٤١٧ - ١٩٩٧: (ص ٧٦).

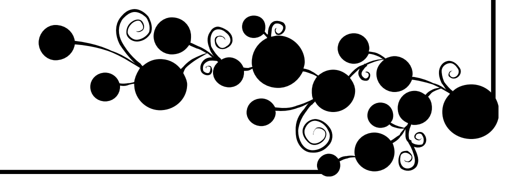


الباب الرابع

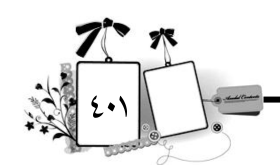
القواعد الشرعية في التعامل مع المنافقين(١)

ويشتمل على فصلين:

- الفصل الأول: القواعد الشرعية في التعامل مع المنافقين حال السلم.
- الفصل الثاني: قواعد في التعامل مع المنافقين حال القتال.



(١) استفدت هذا التقسيم من بحث مبارك بعنوان «السياسة الشرعية في تعامل النَّبيّ ﷺ مع المنافقين»، د. عبد العزيز الداود



توطئة

فَقد جرت سُنَّة الله وحكمته البالغَة أنَ يكون في المجتمع المسلم منَافقون، بل إن وجودَهم في المجتمع المسلم دَليلٌ عَلىٰ صحة هذا المجتمع وسلامَتِه، والشهادة له بالاستقامة في الجُملَة، إذ إنَّ ظهور النفاق والمنافقين يَتناسبُ تناسبًا طرديًّا مَع قوَّة الإِسْلام وأهله، فكلما قوي الإِسْلام في بلد قَوِي النفاق واشتَد، والعكس صحيح، ولهذا لم يكن في مكة قبل فَتحِها منافقون، إذْ لا حاجة إلىٰ النفاق في مُجتمع مشركٍ كافِر يستخفي فيهِ المؤمن بشعائِر دينه في كثير من المَواقف، كما يستخفي المنافق في بِلاد الإِسْلام، ولَمَّا كان الأمر كذلك كان لا بد من التعرُّف عَلىٰ الطرق والأساليب التي ينبغي أن يُعامل بها هذا العدو الخفي الماكر.

إن الحديث عن هذا الموضوع أمرٌ في غَاية الأهمية، ذلك أنَّ المُنافقين في المجتمع المسلم يخفىٰ حالهم -كما سَبق- عَلىٰ بعض الناس، لِحرصِهم الشديد علىٰ إخفَاء ما يبطنُونه من الكفر والنفاق وتملُّقهم للعامَّة لكسبهم في معركتهم ضدَّ المُؤمنين الصادقين من أصحاب البصائر النافذة، الذين لا تنطلي عليهم أكاذيب ومخادعات المنافقين(١).

من أجل ذلك اجتهدت -ومَا توفيقي إلا بالله- أن أحرِّر بَعض القواعد المستوحاة من نصوصِ الوَحيين ومن سِيرة النَّبيّ ﷺ فهو القدوة والأسوة.

وما أذكره من قَواعد لا أزعم أنَّه الصواب الذي لا مريَة فيه، لما جاء في «صحيح مُسلم»، من حَديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيّ ﷺ أنه قال: «وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ الله وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ، فَلَا تَجْعَلْ لَهُمْ

---

(١) ينظر «التعامل مع المنافقين دراسة موضوعية قرآنية»: (ص: ٣)، للشيخ د/ محمد المسند.. بحث نشر في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية: العدد (٨).

ذِمَّةَ اللهِ وَلَا ذِمَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ، وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ، فَإِنَّكُمْ أَنْ تَخْفُرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَخْفُرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ رَسُولِهِ ﷺ، وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ، وَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، فَلَا تَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي: أَتُصِيبُ فِيهِمْ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا»(١).

تمهيد قبل الشروع في بيان القواعد:

وقبل الشُّروع في بيان هذه القواعد أسُوق بعض محترزاتٍ عَامَّة، وبَعض المحترزات الخاصة ستُذكر بإذن الله في نهاية بَعض القواعد، وما ذلك إلا لاعتبارات منها:

١- مراعاة قوَّة شَوكة المسلمين وغلبتهم وظهور أمرهم، وفي المقابل ما قد يكون عليه حالهم من ضعف وانحسار دائرتهم.

وهَذا واضحٌ في سِيرة المصطفى ﷺ حال مقدمه إلَى المدينة، فقد كان تعامُله مع المنافقين، بل حتى مع اليَهود في أولِ الأمْر ليس كما عليه الشأن في أخريات أمره بَعد أن مكَّنَ الله له في الأرض ونَصره في مواطن عديدة.

٢- مراعاة تغيُّر الأقاليم والبيئات والأحوال.

فما يلزم التعاملُ بهِ في قطر من الأقطار مع مُنافقيه قد لا يكون بالضَّرورة هو المناسب في قطر آخَر، وهذا واضح وجليٌّ، ومن تأمل القواعد الشَّرعية الآتي ذكرُها سيدرك هذا المعنى بوضوح(٢).

---

(١) «صحيح مسلم»، ك الجهاد والسير: ح (٤٤٩٧).

(٢) «التعامل مع المنافقين دراسة موضوعية قرآنية»: ص (٣)، للشيخ د/ محمد المسند.. بحث نشر في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية: العدد (٨).

٣- اعتبار المآلات والنظر في العواقب ومراعاة نتائج التصرفات.

وهذا الباب في الشريعة لَه أمثلته وشَواهده الكثيرة فعلى سبيل المثال:

أ) النهي عن سب المشركين:

قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۗ﴾ [سورة الأنعام: ١٠٨]، رغم أنَّ سبَّ آلهة المشركين أمرٌ جائزٌ لما فيه من إهانة البَاطل ونصرة الحق، إلا أن الشارع الحكيم، نظرًا لَمَا سيؤول إليه هذا السَّبُّ مِن آثار غير مرضية ولا مشروعة، قضىٰ بعدم سبِّ آلهِة المشركين سدًّا لذريعَة سبهم لله تعالىٰ انتقامًا لآلهتم وانتصارًا لباطلهم.

يقول ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تفسيره لِهذِه الآية: «فمنع اللهُ تَعالىٰ في كتابه أَحَدًا أن يفعل فعلًا جائزًا يُؤدِّي إلىٰ محظور، ولأجل هذا تعلَّق علماؤنا بهذه الآية في سدِّ الذرائع»(١).

ب) الامتناع عن قتل المنافقين:

فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كنَّا في غزاةٍ فكسع(٢) رجلٌ من المهاجِرين رجلًا من الأنصَار، فقال الأنصاري: يَا للأنصار! وقال المهاجري: يَا للمهاجرين، فسمَّعَها اللهُ رسوله ﷺ، قال: «مَا هَذَا؟»، فَقالوا: كسع رجلٌ من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال الأنْصاري: يا للأنصار! وقال المهاجري: يا للمهاجرين! فَقال النَّبيّ ﷺ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ!»، قال جابر: وكَانت الأنصار حين قدِمَ النَّبيّ ﷺ أكثر، ثم كثر المهاجرين بعد، فقال عبد الله بن أبي: أوقَد فَعلوا؟

(١) «أحكام القرآن»: (٢/ ٢٦٥)، لابن العربي.

(٢) الكَسْعُ: أَنْ تَضْرِبَ بيدك أَو برجلك بصدر قدمك علىٰ دبر إِنسان أَو شيء، ويقال ولَّى القومُ أَدْبارَهم فَكَسَعُوهم بسيوفهم أَي ضربوا أدبارهم. ينظر «لسان العرب»: (٨/ ٣٠٩).

والله لئن رَجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذل، فقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق! قال النَّبيّ ﷺ: «دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»(١).

إن قتل المنافقين واستئصالهم فيه مصلَحةُ ظَاهرة للمسلمين، وتَطهير لصفِّهم من أن تتدسَّس إليه عناصر التخذِيل والإفْساد، لكن لَمَّا كان في ذلك هزُّ الثِّقة بالمسلمين، وزَرع لقالة السُّوء عنهم، بحيث ينتشر في الناسِ أن النَّبيّ ﷺ يُعامل الذين يعْتَنقون دينهَ بالتصفية الجسدية، فإن الأمر تغيَّر وأصبح التغاضي عن قتلِهم مصلحة أعلى وأولى، ورغْم أن بقاء المنافقين فيه من المفاسد المحققة مَا لا ينكره عاقل، إلا أنَّ في القضاء عليهم مفاسد تفوق مفسدة بقائهم؛ لذا اقتضت حكمة المصطفى ﷺ أن تُدفع أعظم المفسدتين بأدناهما(٢).

ومع ذلك فقد يتَّفق رَأي علماء الأمَّة وأهل الحلِّ والعقد فيها على قتل مُنافق أو منافقين إذا تحققت الدواعي وانتفت الموانع، لِقاعدة: (**مَنْ لَمْ يَنْدَفِعْ فَسَادُهُ فِي الأَرْضِ إِلَّا بِالقَتْلِ قُتِلَ**)(٣).

٤- التثبُّت من كون من يُتعامل معه أو معهم قد تحقق لدينا أنه نافق نفاقًا يخرج من الملَّة.

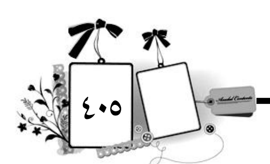
وذلك يتبيَّن عَبر مقالاتهم أو كتبهم أو حِواراتهم أو مَواقفهم، أو عدم إقامتهم

---

(١) أخرجه البخاري: (٣/ ٣١٠)، رقم: (٤٩٠٥)، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٦﴾ [سورة المنافقون:٦]، ومسلم: (٤/ ١٩٩٨)، رقم: (٢٥٨٤)، كتاب البر والصلة، باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا.

(٢) «اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات»: ص (١٣٨ ـ ١٣٩)، لعبد الرحمن السنوسي، وهي رسالة جامعية قيمة يحسن الرجوع إليها والإفادة منها، وهي من مطبوعات دار ابن الجوزي لعام ١٤٢٤هـ.

(٣) «مجموع الفتاوى»، لابن تيمية: (٢٨/ ١٠٨).



لشَعائر الدين وإن انتسبوا إلىٰ الإِسْلام. أو لُمَوالاتهم الصَّريحَة الواضحة لأعداءِ الله ومؤازَرتهم في النَّيل من المُسلمين والتَّسلط عليهم، إلىٰ غير ذلك مما يُعلم معه أنَ فاعله قد بلغ من النفاق الاعتقادي مبلغه.

أمَّا أن يُتعامل مع أحدٍ من النَّاس علىٰ أنه منافقٌ بناءً علىٰ ظنون وأوهَام وقرائن يحفُّها عَدم التأكد والتيقن، فهذا لا يصح ولا يجوز، ومفسدة ذلك عظيمة جسيمة، فيلزم الاحتياط وعدم الاستعجال والشاهد علىٰ ذلك:

أ) ما جاء في قصة حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، لَمَّا أرسل إلىٰ كفار قريش يُعلمهم بعزمِ النَّبيّ ﷺ المسير إليهم وغزوهم في عقر دارهم، فجَاء الوحي مبيِّنًا ذلك، فما كَان من النَّبيّ ﷺ إلا أن دعا حاطبًا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقال له: «يَا حَاطِبُ مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا صَنَعْتَ؟»، قال: يَا رسول الله مَا لي أنْ لَا أكُون مُؤمنًا بالله ورسوله، ولكِنِّي أردْتُ أن يكون لي عنْدَ القومِ يد يدفع بها عن أهلي ومالي، ولَيس من أصحابك أحدٌ إلا له هنَالك من قومه من يدفع الله بِهِ عن أهله وماله. قال: «صَدَقَ، لَا تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا»، قال: فعاد عمر فَقَال: يَا رسول الله، قَد خَان الله ورسوله والمؤمنين، دعْنِي فلأضرب عنقَه، قال: «أَوَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَيهِمْ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ أَوْجَبْتُ لَكُمُ الجَنَّةَ»، فاغرَورَقت عَيناه، فقال: اللهُ ورسُوله أعلمُ، فأنزل الله تعالىٰ فى حَاطب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ [سورة الممتحنة: ١]، إلىٰ قوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [سورة الممتحنة: ٤][(١)]

---

(١) ينظر «الروض الأنف»: (٤/ ١٥٠)، والحديث أخرجه البخاري: كتاب استتابة المرتدين المعاندين وقتالهم، باب ما جاء في المتأولين: ح (٦٥٤٠).

ب) عن عَبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أنَّ رَسول الله ﷺ قال يوم بدر: «إِنِّي قَدْ عَرَفْتُ أُنَاسًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ قَدْ أُخْرِجُوا كُرْهًا لَا حَاجَةَ لَهُمْ بِقِتَالِنَا، فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ أَبَا الْبَخْتَرِيِّ بْنِ هِشَامٍ فَلَا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ العَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَلَا يَقْتُلْهُ، فَإِنَّه إِنَّمَا أُخْرِجَ مُسْتَكْرَهًا»، فقال أبو حذيفة بن عتبة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ(١): أَنُقتل آباؤنا وإخواننا وعشائرنا، ويترك العَبَّاس، والله لئن لَقيته لألحِمنه(٢) بالسيف، فبلغت رَسُول الله ﷺ فقالَ لعمر بن الخَطَّاب: «يَا أَبَا حَفْص -قَالَ عُمَرُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: وَإِنَّهُ لَأَوَّلُ يَوْمٍ كَنَّانِي فِيهِ رَسُولُ الله ﷺ- أَيُضْرَبُ وَجْهُ عَمِّ رَسُولِ الله ﷺ بِالسَّيْفِ؟»، فقال عُمَر: يا رَسُول الله، ائذن

---

(١) هو: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة السيد الكبير، الشهيد، أبو حذيفة ابن شيخ الجاهلية: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي، العبشمي، البدري أحد السابقين. وهاجر إلىٰ الحبشة مرتين، وولد له بها محمد بن أبي حذيفة، ذاك الثائر علىٰ عثمان، ولدته له: سهلة بنت سهيل بن عمرو، وهي المستحاضة. وهي التي أرضعت سالما وهو كبير، لتظهر عليه، وخصا بذاك الحكم عند جمهور العلماء. قال ابن عبدالبر: كان من فضلاء الصحابة من المهاجرين الأولين، جمع الله له الشرف والفضل، صلىٰ القبلتين، وهاجر الهجرتين جميعا، وكان إسْلامه قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم للدعاء فيها إلىٰ الإسْلام. قدم علىٰ رسول الله ﷺ وهو بمكة، فأقام بها حتىٰ هاجر إلىٰ المدينة، وشهد بدرا، وأحدا، والخندق، والحديبية، والمشاهد كلها. وقتل يوم اليمامة شهيدا، وهو ابن ثلاث أو أربع وخمسين سنة. يقال: اسمه مهشم. وقيل هشيم، وقيل هاشم. وكان رجلا طوالا حسن الوجه أحول أثعل، والأثعل الذي له سن زائدة، تدخلها من صلبها الأخرىٰ. ينظر «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر: (٤/ ١٦٣١)، و«سير أعلام النبلاء»، للذهبي: (١/ ١٦٤).

(٢) وروي: لَأَجْمَنَّهُ -بالجيم- السَّيْفَ. ينظر «المعرفة والتاريخ»: (١/ ٥٠٥). قال أبو ذر الخشنىٰ الجيانىٰ الأندلسي: لألحمنه أي لأقطعن لحمه بالسيف ولأخالطنه به، (وقول) ابن هشام: لألجمنه، بالجيم أي لأضربن به في وجهه واللجام سمة توسم بها الإبل في وجوهها. «الإملاء المختصر في شرح غريب السير»: (ص: ١٥٨).

لي فأضْرِب عنقه، فوَالله لقد نافق، فكان أبو حذيفة يَقُول: والله مَا آمن من تلْكَ الكَلمة التي قُلتُ، ولا أَزال منها خائفًا إلا أنْ يُكفِّرها الله تعالىٰ عني بشيءٍ، فقتل يوم اليمامة شهيدًا.

قال ابن إسحاق: «وإنَّما نَهىٰ رسولُ الله ﷺ عن قَتلِ أبي الْبَخْتَرِيِّ لأنَّه كَان أكف القوم عن رسول الله ﷺ وهو بمَكَّة، وكان لا يُؤذيه ولا يبلغه عَنه شيءٌ يكرهه، ثم ذكر قصة امتناعه من الأسر حتىٰ قتل»(١).

جـ) سهيل بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ووقوعه في الأسر، وماذا قالت سودة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا:

قال عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «قُدِم بالأسارىٰ حين قُدم بِهم المدِينة، وسودة بنت زمعة(٢) زوجُ النَّبيّ ﷺ عند آلِ عَفراء في مناحتهم علَىٰ عوف ومعوذ ابني عفراء -وذَلك قبل أن يُضرب الحجاب- قالت سودة: فَوالله إني

(١) «دلائل النبوة»: (ص ٣/ ١٤٧)، للبيهقي.

(٢) هي: سودة بنت زمعة بن قيس، أم المؤمنين القرشية العامرية. أول من تزوج بها النَّبيّ ﷺ بعد موت خديجة. روىٰ عنها: ابن عباس، ويحيىٰ بن عبد الله الأنصاري. قال الذهبي: وقد انفردت بصحبة رسول الله ﷺ أربع سنين لا يشاركها فيه امرأة ولا سرية، ثم بنىٰ بعائشة بعد، ولها تسع سنين، وكانت سودة من سادات النساء. قال ابن عبد البر: تزوجها رسول الله ﷺ بمكة بعد موت خديجة، وقبل العقد علىٰ عائشة هذا قول قتادة، وأبي عبيدة، وكذلك روىٰ عقيل، عن ابن شهاب أنه تزوج سودة قبل عائشة. وقال عبد الله بن محمد بن عقيل: تزوجها بعد عائشة. وكذلك قال يونس عن ابن شهاب، ولا خلاف أنه لم يتزوجها إلا بعد موت خديجة. وقال الواقدي: حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم، قال: حدثنا أبي، قال: تزوج رسول الله ﷺ سودة في رمضان سنة عشر من النبوة بعد وفاة خديجة، وهاجر بها. وتوفيت بالمدينة في شوال سنة أربع وخمسين. قال الواقدي: وهذا الثبت عندنا. وروىٰ عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال، قال: توفيت سودة زمن عمر. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»،: (٣٥/ ٢٠٠)، و«تاريخ الإسْلام»، للذهبي: (٢/ ١٦٠)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر: (٤/ ١٨٦٧).

لعندهم إذْ أتينا فقيل: هَؤُلاءِ الأسارَىٰ قد أُتي بهم، فرَجعت إلىٰ بيتي ورَسول الله ﷺ فيه، فإذا أبو يزيد سُهيل بن عمرو في ناحِيَة الحُجرة ويداه مجموعتان إلىٰ عُنقه بحبل، فوَالله ما ملكت حين رَأيت أبا يزيد كذلك أن قلت: أبا يَزيد أعطيتم بأيدِيكم، ألا مِتم كِرامًا... فما انتبهت إلا بِقول رسول الله ﷺ من البيت: «يَا سَودَةُ، أَعَلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ تُحَرِّضِينَ»، فقلت: يا رسول الله، والذِي بعثك بالحق ما مَلكت نَفسي حين رأيتُ أبا يزيد مَجموعة يداه إلىٰ عنقه بالحَبل أن قلت ما قلت»(١).

من هذه الأمثلة يتبيَّن أنه لا يحكم علىٰ أحد بأنه منَافق حتىٰ تتحقَّق الشُّروط وتنْتَفي الموانع، ولما رواه أبوهريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن النَّبيّ ﷺ قال: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهِ أَحَدُهُمَا»(٢)، أي: باء بإثْم رميه لأخيه بالكفر، ورجع وزر ذلك عليه إن كان كاذبًا(٣).

٥- الرجوع إلىٰ أهل العلم واستشارتهم.

فلا يصح أبدًا أن يكون الحُكمُ عَلىٰ أحدٍ بناءً علىٰ رأي وَاحد، بل لا بد من الرَّدِّ إلىٰ الراسخين من العلماء، فَهُم أهل الدراية والتجربة والحكمة وبعد النظر وشاهد ذلك:

أ) أن رجلًا جاء إلىٰ النَّبيّ ﷺ فقال: إنَّ ابن عمِّي نافق، -أي: ائذن لي أن أضرب عنقه- فقال له: «إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ»(٤).

---

(١) رواه الحاكم: ح (٤٣٠٥)، والبيهقي في «الكبرىٰ»: ح (١٧٩٢٥)، وانظر «السيرة النبوية»، لمحمد الصوياني: (٢/ ٢٠٠)، قال عنه: وسنده صحيح.

(٢) «صحيح البخاري»: (٨/ ٢٦)، برقم: (٦١٠٣)، ك الآداب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب.

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال ك الأدب (٩/ ٢٨٧).

(٤) «السيرة الحلبية»: (٢/ ٤٥٠)، لعلي بن برهان الدين الحلبي.



ب) وكان بعض الصَّحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ بعد وَفاة النَّبيّ ﷺ إذا مَات فيهم أحدٌ نَظروا إلىٰ حذيفة بن اليمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ؛ إن صلَّىٰ عليه الجنازة صلُّوا عليه، وإن امتنع امتنَعوا، ذلك لأن النَّبيّ ﷺ قد أخبره بأسمائهم فهو أمين سرِّه(١).

هذان الشاهدان فيهما دِلالةٌ علَىٰ الرَّدِّ إلىٰ أهل العلم والدراية حتىٰ تُنزَّل الأحكام مواضعها.

٦- ليسوا سواءً.

من الضَّروري جِدًّا التفريقُ حال التعامل بهذه القواعد، بين حَال منافق له صَولته وجَولته وكتُبه ومؤلفاتُه وحِواراته ومُناظرَاته، وصدُّه عَن الحق وعداؤُه للدين وأهله، حتىٰ صارت لَه شوكة وأتباع، وبين مُنافق حاله حَال نفسه، ليس لَه أثر لا في العِير ولا في النفير، قد انكفأ علىٰ نَفسِه وانطوىٰ علَىٰ ذاتِه من رعَاع النَّاس ودهمَائِهم، لا يَستوون مثلًا، وشَاهد ذلك:

أ) في حادثةِ الإفك قَال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور: ١١].

ب) وقل مِثل ذلك في شأن الكفَّار، فقد فرَّق الشارع الحكيم بين طائفتين منهُم بقوله: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة الممتحنة: ٨-٩].

وكذلكَ جَاء التفريق في سُورة (التَّوبة)، قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ

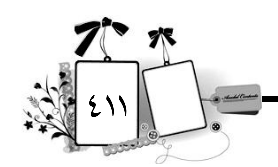
(١) ينظر «الإيمان الأوسط»، لشيخ الإسلام ابن تيمية: (١/ ٨٨).

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [سورة التوبة: ٤-٥]، وهَذا هُو العدل الذِي قامت عليهِ الشَّريعة ودعت إليه نصوص الوحيين.

❍ **ملحوظة**: قد يجد القارئ الكريمُ أن بعض القَواعد يمكن دمجُها أو الاستغناء ببعضها عن بعض وهذا واردٌ، لَكن الذي أحببْتُ بَيانه هنا هو أن التَّفصيل في القَواعد وفصل كل قاعدة عمَّا يشابهها في بعض الوجوه إنما هو من باب:

١. التقْسِيم والتبْوِيب الذي يجعل لكلِّ قاعدة كيانها المُستقل من جهة وتعزيز جانب توظيفها في أرض الواقع من جهة أخرىٰ.

٢. مهما تشابهت بَعض القواعد، إلا أن ممعن النظر يجد أن هناك ولابد بعض الفوارق بينها.



تمهيد

الأصل في التَّعامل الدُّنيَوي مَع الناس أَنَّه مبنِي عَلىٰ ظواهرهم، وكَذا المُنافقين يُتعامل معهم في الأَصل بِحسب الظَّاهر، وظَاهر المُنافق أَنَّه مسلم، قال الإمام المحقق شيخ الإِسْلام ابن تيمية: «وقد اتَّفق العلماء علىٰ أنَّ اسم المسلمين في الظَّاهر يَجري علىٰ المنافقين لأنَّهم استسلموا ظاهرًا؛ وأتوا بما أتوا به من الأعمال الظَّاهرة؛ بالصَّلاة الظاهرة والزَّكاة الظَّاهرة، والحَجِّ الظَّاهر، والجِهاد الظَّاهر، كَما كان النَّبيّ ﷺ يُجري عليهم أحكام الإِسْلام الظاهر»[(١)]، وهذه بعض نصوص من السنة تشير لذلك:

❍ فعن أنس بن مَالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ صَلَّىٰ صَلَاتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَلِكَ المُسْلِمُ الذِي لَهُ ذِمَّةُ الله وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخْفِرُوا اللهَ فِي ذِمَّتِهِ»[(٢)]، وفي رواية: «لَهُ مَا لِلمُسْلِمِينَ، وَعَلَيهِ مَا عَلَىٰ المُسْلِمِينَ»[(٣)].

❍ وها هو المقداد بن عمرو الكندي، حليفُ بني زُهرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان ممَّن شهد بدرًا مع النَّبيّ ﷺ، قال لرسول الله ﷺ: أرَأيتَ إِن لقيتُ رَجلًا من الكفار فاقْتتلنا فضَرب إحدىٰ يَدي بالسَّيف فقطعَها، ثمَّ لاذَ مني بشَجرة، فقال: أسلَمتُ لله، أأقتُلُه يا رسولَ الله بعد أن قالها؟ فقَال رَسول الله ﷺ: «لَا تَقْتُلْهُ»، فَقال: يَا رسول الله، إنَّه قَطع إحدىٰ يديَ، ثُمَّ قَال ذلك بعد ما قَطَعها، فقال رَسُول الله ﷺ: «لَا تَقْتُلْهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْل أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ التِي قَالَ»[(٤)].

---

(١) «الإيمان»، لابن تيمية: (ص ٢٧٦)، و«مجموع الفتاوىٰ»: (٧/ ٣٥١).

(٢) رواه البخاري، ك الصلاة، باب فضل من استقبل القبلة: ح (٣٩١).

(٣) «سنن النسائي»: ح (٢٣٧٤)، وصحح الرواية الشيخ الألباني.

(٤) البخاري، ك الديات، باب ومن يقتل مؤمنًا متعمدًا فجزاؤه جهنم: ح (٦٨٦٥)، ومسلم، ك الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله: ح (٩٥).

❍ وفي حادثة أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «بعثَنا رَسولُ الله ﷺ إلى الحرقة، فصَبَّحنا القوم فهَزمناهم، ولحِقت أنَا ورجل مِن الأنصار رجلًا مِنهم، فلما غشيناه قَال: لا إله إلا الله، فكَفَّ الأنصاري فطعنتُه برُمحي حتى قتلته، فلَمَّا قدمنا بَلغ النَّبيّ ﷺ فقال: «يَا أُسَامَة، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، قلت: كَان مُتعوِّذًا، فما زال يكرِّرُها حتى تمنيت أنِّي لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم»(١).

نعم، قال: لا إله إلا الله فعصم بها دَمه، مَع أن ظَاهر الحَال لهذا المُشرك أنَّه نَطق بلا إله إلا الله لَّما علم أنَّه مَقتول لا محَالة، إلا أنَّ النَّبيّ ﷺ قال -في رِواية أخرى-: «هَلَّا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ؟»، وَقَال: «إِنِّي لَمْ أُؤمَرْ أَنْ أُنَقِّبَ عَنْ قُلُوبِ النَّاسِ وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ»، فما كان من أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا أن قال: اسْتغفِر لي يارسول الله(٢).

❍ عن أبى البخترى قال: «سُئل على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أهل الجَمل أمُشرِكُون هم؟ قال: مِنَ الشِّرك فَرُّوا. قيل: أمُنافقون هم؟ قال: إنَّ المُنافقين لا يَذكرون اللهَ إلا قليلًا. قيل: فما هُم؟ قال: إخوانُنَا بَغوا علينا»(٣).

قال الخطابي: «أجمع عُلماء المسلمِين على أن الخوارج على ضَلالتهم فرقَة من فرق المسلمين، وأجازوا مناكحتهم وأكل ذبائحهم وقبول شهاداتهم»(٤).

بل هذه القاعِدةُ مُستمرةٌ إلَى مشهد من مشاهد يوم القيامَةِ، فَلا يفصل بينَ المُسلمين والمنافقين في أوَّل الأمر، وتأمل مَا رواه أبو سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت

---

(١) البخاري، ك الجمعة، باب من انتظر حتى تدفن: ح (٤٢٦٩)، ورواه مسلم، ك الإيمان، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله: ح (٩٦).

(٢) «شعب الإيمان»: ح (٣٨٩١٨)، و«السنن الكبرى»: ح (١٧١٥٨)، و«فيض القدير»: ح (٤١٤٨).

(٣) «مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح»: (١١/ ١١٩).

(٤) «كتاب الإيمان»، لابن تيمية، بتحقيق الألباني، قال عنه: صحيح: (١/ ٨٩).

النَّبيّ ﷺ يقول: «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ[١] فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا»[٢].

وفي الحديث الطويل الذي رواهُ أبُو هريرة، جاء فيه أن النَّبيّ ﷺ قالَ: «يَجْمَعُ اللهُ النَّاسَ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ التِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا...» الحديث[٣].

قال تعالى حِكايةً عن المنافقين: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ۝١٣ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝١٤﴾ [سورة الحديد: ١٣-١٤].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال في: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾[سورة البقرة: ١٧] إلى آخر الآية: «هَذا مثلٌ ضربه اللهُ للمنافقين، فقَد كانُوا يعتزون بالإِسْلام، فيناكحُهم المُسلمون ويوارثونَهم ويقاسمونَهُم الفيء، فلمَّا مَاتوا سَلب الله ذلك العزَّ، كما سلب صاحب النار ضوءه»[٤].

---

(١) قال الشيخ عبد الرحمن البراك: وقوله في هذا الحديث: «يكشف ربنا عن ساقه»، نص في إثبات الساق لله تعالى، والقول فيه كالقول في سائر صفاته تعالى. انظر «تعليقات الشيخ البراك على المخالفات العقدية في فتح الباري»: (صـ ٤٢).

(٢) البخاري، ك التفسير، باب يوم يكشف عن ساق: ح (٤٩١٩).

(٣) البخاري، ك الرقاق، باب الصراط جسر جهنم: ح (٦٥٧٣)، ورواه مسلم، ك الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية: ح (١٨٢).

(٤) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، للطبري: (١/ ٣٣٧)، ورجحه الطبري، وورد عن قتادة =

فإن المنافِقِين الذين قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [سورة البقرة: ٨]، هم في الظَّاهر مُؤمنون؛ يصلُّون مَع النَّاس، ويصُومون ويحجُّون ويغزون، والمُسلمون يناكحونهم ويوارثونهم، كما كان المنافقون على عَهدِ رسول الله ﷺ، ولمْ يَحكم النَّبيّ ﷺ في المنَافِقين بحكمِ الكُفَّار المظهرين للكُفرِ، لا في مناكحَتهم ولا مُوارثتهم، بل لمَّا مَات عبد الله بن أبي بن سلول -وهو مَن اشتهر بالنفاق وكان رأسًا فيه- وَرثه ابنه عبد الله، وَهُو من خيار المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكذلِكَ سائر من كان يموتُ مِنهم، يرثُه ورثته المُؤمنون، وإذا مَات لأحدهم وارثٌ ورثوه المسلمين؛ لأنَّ الميراث مبناه على الموالاة الظاهرة، لا على المحبة التي في القلوب، فإنه لو علق بذلك لم تمكن معرفته والحكمة إذا كانت خفية أو منتشرة عُلِّق الحكم بمظنتها، وهو ما أظْهره من موالاة المسلمين، فقول النَّبيّ ﷺ: «لَا يَرِثُ المُسْلِمُ الكَافِرَ وَلَا الكَافِرُ المُسْلِمَ»(١).

لم يدخل فيه المُنافقون وإنْ كَانوا في الآخرة في الدَّركِ الأسفل من النَّار، بل كانوا يُورثون ويرثون، وكذلك كانُوا في الحقوق والحُدودِ كسائر المسلمين، وقد أخبرَ اللهُ عنهُم أنهم يصلون ويزكُّون ومع هذا لم يقبل ذلك منهم فقال: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [سورة التوبة: ٥٤]، وقال ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ

= نحوه تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، القاهرة، ط الأولى ١٤٢٢هـ.

(١) متفق عليه من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رواه البخاري، ك الفرائض، باب لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم وإذا أسلم قبل أن يقسم الميراث فلا ميراث له: ح (٦٧٦٤)، ومسلم، ك الفرائض: ح (٤١١٦).

يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة النساء: ١٤٢].

وفي «صحيح مسلم»، عن النَّبيّ ﷺ قال: «تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّىٰ إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَي شَيْطَانٍ قَامَ فَنَقَرَ أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا»(١)، ومع هذا ففي الظاهر تجري عليهم أحكام أهل الإيمان(٢).

وكذلك المُنافقون الذين لم يظهروا نفاقَهم يُصلَّىٰ عَليهم إذا ماتوا، ويدفنون في مقابر المسلمين من عهد النَّبيّ ﷺ، والمَقبرة التِي كانت للمُسلمين في حياته وحياة خُلفائه وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يُدفن فيها كُلُّ من أظهر الإيمان وإن كان منافقًا في الباطن، ولم يكن للمنافقين مَقبرة يتميزُونَ بها عن المُسلمين في شيءٍ من ديار الإِسْلام، كما تكون لليهود والنصارىٰ مقبرة يتميزون بها، ومن دُفنَ في مقابر المُسلمين صلىٰ عليه المُسلمون، والصلاة لا تجوز علىٰ من عُرف نِفاقه بنصِّ القرآن، فعُلم أن ذلك بناء علىٰ الإيمان الظاهر والله يتولىٰ السرائر، وقد كان النَّبيّ ﷺ يصلي علَيهم ويستغفر لهم حتىٰ نُهي عن ذلك، وعلل ذلك بالكفر، فكان ذلك دليلًا علىٰ أن كل من لم يُعلم أنه كافر بالباطن جازت الصلاة عليه والاستغفار له وإن كانت فيه بدعة وإن كان له ذنوب(٣).

قال شيخ الإِسْلام ابن تيمية: «فالمُنافق ليس بمؤمن، وقد ضلَّ مَن سماه مؤمنًا،

---

(١) رواه مسلم، ك المساجد: ح (١٤١١)، من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بدون تكرار (تلك صلاة المنافق).

(٢) «الإيمان»، لابن تيمية: (ص ١٦٦ وما بعدها)، و«مجموع الفتاوىٰ»: (٧/ ٢١٠، وما بعدها).

(٣) «الإيمان»، لابن تيمية: (ص ١٧١)، و«مجموع الفتاوىٰ»: (٧/ ٢١٦).

وكذلك من قام بقلبه علم وتَصديق وهو يجحد الرسول ويُعاديه كاليهود وغيرهم، سمَّاهم الله كفارًا ولم يسمهم مؤمنين قطُّ، وَلا دخلوا في شيءٍ من أحكام الإيمان، بخلاف المنافق فإنه يدخل في أحكام الإيمان الظاهرة في الدنيا»(١)... ثم قال: «وبهَذا يظهر الجوابُ عن شبهات كثيرة تُورد في هذا المقام، فإن كثيرًا من المُتأخرين ما بقِي في المُظهرين للإِسْلام عندهم إلا عدل أو فاسق، وأعرضوا عن حكم المنافقين، والمنافقون ما زالوا ولا يزالون إلىٰ يوم القيامة، والنفاق شعب كثيرة»(٢).

إذا تقرر هذا فليُنتبه إلىٰ أن أوصَاف النِّفاق التي تَجعلهم في موضع مريبٍ ومتهم يَنبغي أن يكُون لذلك اعتباره، ليس من حيثُ الحكم، ولكن من حيثُ الحرصِ علىٰ مراعاة مصالح الإِسْلام والمسلمين من أن تَنالَ منها شُرورُ النفاق، والسعي لتوجيه المنافِقين إلىٰ سلوكِيَّات إِسْلامية تنفَعُهم وتنفع غيرهم(٣)، وذَلك لأن مصلحة المجْتَمع والحفاظ عليه من ضرورات الإِسْلام، ومن هَذا الباب رُدَّت شهادة المنافق، فهو فاسق بل أشدُّ.

قال ابن القيم: «فكيفَ يعتبر الألفاظ التي يُقطع بأنَّ مُراد قائلها خلافها؟ ولهذا المَعنىٰ رد شهادة المنافقين، ووصَفَهم بالخداع والكذب والاستهزاء، وذمَّهم علىٰ أنهم يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم، وأن بواطنهم تخالف ظواهرهم»(٤).

---

(١) «الإيمان»، لابن تيمية: (ص ١١٦)، و«مجموع الفتاوىٰ»: (٧/ ١٤١).

(٢) «الإيمان»، لابن تيمية: (ص ١٦٨)، و«مجموع الفتاوىٰ»: (٧/ ٢١٢).

(٣) «التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحدة»، سو رحمن هدايات: (ص٢٢٢)، دار السلام، القاهرة ط، الأولىٰ ١٤٢١هـ.

(٤) «إعلام الموقعين عن رب العالمين»: (٤/ ٤٩٨)، تحقيق أبي عبيدة مشهور حسن آل سلمان، شاركه في التخريج أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، دار ابن الجوزي ط الأولىٰ، رجب ١٤٢٣هـ.

فأحكام الدنيا علَى الإِسْلام، وأحكام الآخرة على الإيمان، وتعليل ذلك: أنَّ الله تعالى لم يُجر أحكام الدنيا على علمِه في عباده، وإنَّما أجراها على الأسباب التي نَصبها أدِلَّة عليها[١]، فإن أصل الحكم الظاهر مقطوعُ بهِ في الأحكام خصوصًا، وبالنِّسبة إلى الاعتقاد في الغير عمومًا، أيضًا فإن سيد البَشر ﷺ مع إعلامه بِالوحي كان يُجري الأمور على ظواهرها في المنافقين وغَيرهم، وإن علم بواطن أحوالهِم، ولم يكن ذلك بمخرجه عن جريان الظواهر على ما جرت عليه[٢].

والظاهر إنما يكون دليلًا صحيحًا إذا لم يثبت أن البَاطن بخلافه، فإذا قام دليل على الباطن لم يُلتفت إلى ظاهرٍ قد عُلم أن الباطن بخلافه[٣][٤]، فالظَّاهر هو الأصل ولا يُعدل عنه إلا بدليل يخرجه عن هذا الأصل.

وهنا استدراكٌ جميلٌ أشار إليه الدكتور حبنكة الميداني، ألا وهو: إنَّ مُعاملة الناس بحسب ظواهِرهم تقتصر عَلى دائرة الحُكم عليهم بالردَّة عن الإِسْلام ولا تتعدَّاها لاتخاذ بطانة من المشكوك في أمرهم، ولو بالتفرُّس والظنِّ، فتقريب المشكوك فيهم إلى مواطن معرفة الأسرار، أو إلى مراكِز القيادة والتوجِيه، أو إلى كراسي الاسْتِشارة ورطة عُظمى تدمِّر شؤون الأمة الإِسْلامية، وتسْمَح للأعداء بأن يتسلَّلوا للقبض على نواحي إدارتِها، وهي غافلة مُغرَّرٌ بها تسير بغباء بدعوى

(١) «إعلام الموقعين عن رب العالمين»، لابن القيم: (٤/ ٥٤٤).

(٢) «الموافقات»، للشاطبي: (٢/ ٤٦٧)، تحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن القيم، الرياض، ودار ابن عفان، القاهرة، ط الثانية ١٤٢٧هـ.

(٣) «إعلام الموقعين عن رب العالمين»، لابن القيم: (٤/ ٥٤٨).

(٤) هذا التمهيد استفدته من بحث مبارك بعنوان «السياسة الشرعية في تعامل النَّبيّ ﷺ مع المنافقين»، د. عبد العزيز الداود: من (٥١ ـ ٥٤).

حسن الظن، والعمل بالظَّاهر، وكم من عدو للإِسْلام أعلن إِسْلامه فقامت دعاية الفَرحَة، به ورفعته طائفة إلى مراكز القيادة والتوجيه فكان الموجه والمستشار الكبير لمشكلات المسلمين، هذا غباء ومخالف لوصايا ربنا عَزَّوَجَلَّ، ويتضمن خيانة للأمة المسلمة وخيانة للإِسْلام(١).

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١١٨].

ملحوظة:

هذه القواعد التي ستُعرض بإذن الله تَشمل أوجه التعَامل مَع المنافقين رجالًا ونساءً إلا ما قد يأتي التنبيه علَيه باختصاص أحدهما دون الآخر ببعض الأحكام:

---

(١) «ظاهرة النفاق»: (١/ ٦٩٤ ـ ٦٩٥).



الفصل الأول

القواعد الشرعية في التعامل مع المنافقين حال السلم

المبحث الأول

شؤون الولايات العامّة وما قد يلحق بها

القاعدة الأولى: عدم توليتهم شيئًا من أمور المسلمين والحذر من اتخاذهم مستشارين.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾[سورة آل عمران: ١١٨]، وقد روى ابن جرير عن أسباط عن السدِّي قوله: «أمَّا البِطانة فهم المُنافقون»، وقد روى أيضًا عن الربيع عند هذه الآية قوله: «لا تستدخِلوا المُنافقين، فتولَّوهم دون المؤمنين»(١).

وهذا أمر متفق عليه بين علماءِ المُسلمين، كما صَرَّح بهِ شيخ الإِسْلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «فالأصْلُ عدم تَولية المُنافقين على شؤون المسلمين؛ لأنَّهم غير مُؤتمنين على تدبيرها، ولكِن إذا ما ابتُلي المسلمون بولاية المُنافقين عليهم مكْرهين بأن قوِيَت شوكتهم؛ فاغتصبوا الأمر دون رضاهم، أو تحالفوا مع الكفار من اليهود والنصارى والوثنيين، فمكَّنوهم من السيطرة على الشُّعوب الإِسْلاميَّة، فالواجب على المسْلِمين أن ينكروا علَيهم ما يخَالفون فيه كِتاب الله وسنة رسوله ﷺ بحسب مَراتب المخالفة، ومراتب الأمر بالمعْرُوف والنهي عن المُنكر، مع مراعاة المصالح والمفاسد في الأمر والنهي»(٢).

---

(١) المرجع السابق: (٣/ ٤٠٧).

(٢) ينظر «الخلاصة في بيان رأي شيخ الإِسْلام ابن تيمية في الرافضة»: (٢/ ٥٥)، لعلي الشحود.

وإن العجب كل العجب أن نَرىٰ هَؤُلاءِ المنافقين يتولَّون الولايات والمَناصب في كثير من البلدان الإِسْلامية التي يحكمها من يتسمَّون بأسماء المسلمين، ويدَّعون أنهم حماة الدين وحرَّاس العقيدة؛ فنرىٰ منهُم الوزير ومنهُمُ المُحافظ، ومنهم رؤساء الدَّوائر الحكومية والمصالح الرسمية، فَهُم يُختارون اختيارًا ويُصطفون اصطفَاء، بل إنَّنا نراهم يتحكمون في أَخَصِّ خَصائص الدَّولَة المالية والسياسِيَّة والاقتصاديَّة والثقافيَّة والاجتماعيَّة.

بل ويتحكمون ويسيطِرُون علىٰ علاقات بلادِهم الخارجية، فهُم الذين يوجهون سيَاسة الدَّولة، وهم الذين يحددون العدو من الصديق، والغَث مِن الثَّمين، ومن يُقرَّب ومن يُبعد، حتىٰ إن قيادات الجيوش منهم قد يقرِّبون أصحاب الدياناتِ الأخرىٰ من النصارىٰ وأصحاب الأفكار والمذاهب الهدامة، من شيوعيين وماسونيين وعلمانيين، ويقلِّدونهم المناصب، ويجعلونهم من أقرب الأقربين لهم، ويجعَلُون لهم سلطانًا علىٰ المؤمنين الموحدين من الذين لا حول لهم ولا قوة(١).

إن تولية هَؤُلاءِ المُنافقين الولايات والمَناصب هو أكبر دليلٍ عَلىٰ موالاتهم وعلىٰ بُغض الدين وأهله، وحب الباطل وأهله، فليحْذَر هَؤُلاءِ المُوالون وهَؤُلاءِ المنافقون من يوم قريب، يَفضَحهم الله فيه، ويكشِف سرائرهم، وحِينئذ سيشفىٰ الله صدورَ قوم مؤمنين، وينتقم من كل المنافقين ومن وَالاهم ومن أيدهم، ومن قرَّبهم وذبَّ عَنهم واصطفاهم من دون المؤمنين(٢).

ولقد ذاقتِ الأمَّة المُسلمَة المرارات، وحلَّت بساحها النَّكبات من جراء تولِّي بعض المنافقين المناصب والقيادات وما مخازي ابن العلقمي وفضائح نصير الدين

---

(١) وسيأتي في الصفحات القادمة شواهد علىٰ ذلك بإذن الله.

(٢) «حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة»: (٣٣٥ـ٣٥٦)، لسيد عبد الغني.



الطوسي عن متأمّل للتاريخ ببعيد(١).

ثم إنَّه مِن المعلوم بداهَة أنه إذا حَرُمَ توليةَ الكَافر على شيءٍ من أعمال المسلمين أو إداراتهم، فمن بابِ أولى من هو في الدرك الأسفل من النار، وإن كان في الدنيا ظاهره الزائف أنه يُصلّي ويصوم.

٤- ولك أن تتأمَّلَ ما جاء في شدَّة النهي والتحذير من تولية الكافر يهودي كان أو نصراني، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [سورة آل عمران: ١١٨].

يقول شيخ الإِسْلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يجوزُ أن يُولَّى الكِتابي شيئًا من ولايات المُسلمين على جهات سلطانِيَّة، ولا أخبار الأمراء، ولا غَير ذلك من المناصب الهامَّة ذات المساس بمصالح الأمة وقوتها»(٢).

وقد روى الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بإسناد صحيح، عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «قلتُ لِعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إن لي كَاتبًا نصرانيًا، قال: مَالك قاتلكَ اللهُ، أما سمعت الله يقُول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [سورة المائدة: ٥١]، ألا اتخذْتَ حَنيفًا مسلمًا، قال: قلت يا أمير المؤمنين، لي كتابته وله دينه، قَال: لا أُكرمهم إذ أَهَانهم الله، ولا أُعزهم إذ أذلَّهُم الله، ولا أُدنيهم إذ أقصاهم الله»(٣).

---

(١) انظر مبحثًا: (١/ ٢٦٧-٢٧٠)، لتطلع على ما سطره هذان المنافقان من صفحات سوداء في تاريخ الأمة المسلمة.

(٢) «مختصر الفتاوى المصرية»، لابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (١/ ٥١٢).

(٣) انظر «اقتضاء الصراط المستقيم»، لابن تيمية: (ص ٥٠)، وانظر «السنن الكبرى»، للبيهقي: (ج ١٠/ ص ١٢٧)، كتاب آداب القاضي.



وورد على عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ كتاب معاوية بن أبي سفيان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أما بعد: يا أمير المؤمنين فإن في عملي كاتبًا نصرانيًا لا يتم أمر الخراج إلا به، فكرهتُ أن أقلّده دون أمرك، فكَتب إليه: عَافانا اللهُ وإيَّاك، قرأتُ كِتابك في أمر النَّصراني، أما بعد: فَإن النَّصراني قد مات والسلام»(١).

أراد عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّه لو قُدِّر موت هذا النصراني، فما كان معاوية صانعًا بعد موته، فليصنعْه الآن، وهذا أمرٌ من عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ لمعاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بإبعاد النَّصراني وتَولية غيرِهِ مِن المسلمين مكانه من غير مراجعة، وإخبَار له بأنَّ المسلمين في غنْيَة عن أعداء الله في مثل هذه المهام.

ومثل ذلك ما رواه هلال الطَّائي، عن وسق الرومي قال: «كنْتُ مَملوكًا لعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فكان يقول لي: أسلِم فإنَّك إن أسلمت استعَنتُ بِك على أمانة المُسلمين، فإنَّه لا ينبغي أن أستعين على أمانَتِهم مَن ليسَ مِنهم، فأبيتُ، فقال: لا إكْرَاه في الدين، فلما حَضَرته الوفاة أعتَقَني فقال: اذْهَب حيثُ شئت»(٢)، ويروى أنه كتب بعض عمال عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إليه يستشيرونه في استعمال الكفار، فقالوا: إنَّ المَال قد كثر ولا يُحصيه إلا هُم، فاكتب إلينا بِما ترى، فكَتب إليهم: لا تُدخلوهم في دينكم ولا تُسلِّموهم ما منعهم الله منه، ولا تأمنوهم على أموالكم، وتعلموا الكتابة فإنَّما هي حلية الرجال(٣).

ثم قال: من كان قِبله كاتب من المُشركين، فلا يعاشره ولا يؤازره ولا يجَالِسه، ولا يعتضد برأيه فإن رسول الله ﷺ لم يأمر باستعمالهم ولا خليفته من بعده(٤).

(١) انظر «أحكام أهل الذمة»، لابن قيم الجوزية: (١/ ٢١١).
(٢) انظر «أحكام القرآن»، للجصاص: (ج ٢/ ص ٣٧.)
(٣) انظر «أحكام أهل الذمة»: (١/ ٢١١).
(٤) انظر «أحكام أهل الذمة»، ابن القيم الجوزية: (١/ ٢١١).



ورُوي أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى بعض عماله: «أما بعد: فإنَّه بَلغني أن في عَملك كاتبًا نصرانيًّا، يَتصرف في مصالح المسلمين، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [سورة المائدة: ٥٧]، فإذا أتاك كِتابي هذا فادع حَسَّان بن زيد -يعني ذلك الكاتب إلى الإسْلام- فَإن أسلم فهو منا ونحن منه، وإن أبى فلا تستعن بهِ، ولا تتخذ أحدًا على غير دينِ الإِسْلام في شيءٍ من مصالح المسلمين، فأسلم حسان وحسن إسْلامه»(١).

ويروى أن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ كتب إلى أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ كتابًا جاء فيه: «وأبْعد أهْل الشِّرك وأنْكِر فعالهم، ولا تَستعن في أمر من أمُور المسلمين بمشْرك، وساعد على مصالح المسلمين بنفسك»(٢).

وعن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: «لا تستعملوا أهل الكتاب، فإنَّهم يَستحِلُّون الرُشا - الرشوة- واستعِينُوا على أموركم وعلَى رَعيَّتكم بالذين يَخشَون الله تعالى»، وقيل لعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: إن ها هنا رجلًا من نصارى الحيرة، لا أحد أكتبَ مِنه ولا أخط بقلم، أفلا يكتب عنك؟ فقال: لا أَتَّخذُ بِطانة من دون المؤمنين(٣)، فعمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ كان يحْسِن معاملتهم ولا يستعين بهم في أعمال المسلمين(٤).

وفي عهد المهدي قويتْ شَوكة أهل الذِّمة قليلًا، ومكنهم من بعض المناصب التي هي بالقياس إلى ما يحصل في زماننا شيءٌ لا يذكر، ولكن المسلمين في ذلك

(١) المصدر السابق: (ج ١/ ص ٢١٤).

(٢) المصدر السابق: (١/ ٢١٢).

(٣) ينظر «تفسير القرطبي»: (٤/ ١٧٩).

(٤) ينظر «ظهر الإِسْلام»، لأحمد أمين: (١/ ٨٣).

الوقت لقوة الإيمان لديهم وشدة نفرتهم من المنكر استعظموا ذلك، فاجتمع بعضُ الصالحين ثم ذهبوا إلى المهدي وأنشد أحدهم عند الخليفة هذه الأبيات:

بِأَبِي وَأُمِّي ضَاعَتِ الأَحْلَامُ ... أَمْ ضَاعَتِ الأَذْهَانُ وَالأَفْهَامُ

مَنْ صَدَّ عَنْ دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ... أَلَهُ بِأَمْرِ المُسْلِمِينَ قِيَامُ

إِلَّا تكُنْ أَسْيَافُهُمْ مَشْهُورَةً ... فِينَا فَتِلْكَ سُيُوفُهُمْ أَقْلَامُ

فكتب إلى جميع عماله ألا يتركوا أحدًا من أهل الذمة يكتب عن أحدٍ منهم(١).

وفي عهد الخليفة المستنصر بالله، زاد نفوذ أهل الذمة حتى بدأ يغبِطهم بعض المسلمين على مناصبهم، كما صوَّر ذلك الشاعر الراضي بن البواب حيث يقول:

يَهُودُ هَذَا الزَّمَانِ قَدْ بَلَغُوا ... غَايَةَ آمَالِهِمْ وَقَدْ مَلَكُوا

العِزُّ فِيهِمْ وَالمَالُ عِنْدَهُمُ ... وَمِنْهُمُ المُسْتَشَارُ وَالحَكَمُ

يَا أَهْلَ مِصْرَ إِنِّي قَدْ نَصَحْتُ لَكُمْ ... تَهَوَّدُوا كَيْ تَنَالُوا مِثْلَمَا مَلَكُوا(٢)

فإذا كانت النُّصوص والآثار الماضِيَة بِمجموعها تفيدُ النَّهي عن اتِّخاذ أهل الذِّمَّة في وظائف ليسَت ذات شأن ككَاتب ونحوه، فكيف بتولِية مَن عُلم ولاؤه وانطراحه بين يدي أسياده من زعامات الغرْبِ والكفر، قد تنكَّروا لأمتهم، وخانوا ذِممَهم، وأخفروا أماناتِهم، وهانوا في أنفسهم ورضُوا بتبعيتهم لأعداء الملَّة والدين على حساب مبادئهم وقيمهم، وقبل ذلك كلِّه دينهم الذي لا يعرفون منه إلا اسمه، ولا يدركون من حقيقته إلا رسمه، أحفاد ابن سلول وابن سبأ وابن العلقمي ومن على شاكلتهم... قال سبحانه: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ

---

(١) ينظر «أحكام أهل الذمة»، لابن القيم الجوزية: (١/ ٢١٧).

(٢) ينظر «تاريخ الإسلام السياسي»: (٤/ ١٨٣)، د. حسن بن إبراهيم.

يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [سورة المائدة: ٥٢].

إلى أن قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم﴾ [سورة المائدة: ٥٧].

إن المنافقين شرٌ من اليَهودِ والنصارىٰ؛ فهم أهل مكر وكيد وحقد ونِكَاية في المسلمين، فكيف يَطيبُ بعد ذلك توليتُهم مَناصب أو تقْلِيدُهم وظائف من دُون المؤمنين، إن هذا لشيء عجاب.

ومن الدوَاعِي في عَدم اتِّخاذهم مستشَارين وعيبة نُصح أنهم خوَنَة لِدينهم وأمتهم، موَالُون لأعداء ملتهم من جهة، ومُذبذبون مترددون من جِهة أخرىٰ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٤٣].

وفي حَديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبيّ ﷺ: «مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ العَائِرَةِ بَيْنَ الغَنَمَيْنِ تُعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً»(١)(٢)، ومن اسْتَقرأ سِيرة المُصطَفىٰ ﷺ وجد أنَّه لم يوَّل مُنافقًا يومًا من الأيام، قال شيخ الإِسْلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم يولِّ علىٰ المُسلمين مُنافقًا»(٣).

مع أن عبد الله بن أبي بن سلول كان سيِّدًا في قومه رئيسًا مُطاعًا فيهم، إلا أن الرسول الكريم لم يجعَلْه علىٰ آيَّة ولاية صغرت أم كبرت، فدَلَّ ذلك علىٰ أنه منهجٌ

(١) رواه مسلم، ك صفات المنافقين وأحكامهم: (٤/ ٢١٤٦)، وبنحوه النسائي، ك الإيمان، باب مثل المنافق: (٨/ ١٢٤).

(٢) وقد سبق شرح هذا الحديث.

(٣) «مجموع فتاوىٰ شيخ الإِسْلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ»: (٣٥/ ٦٥).

يُحتذىٰ وهديٌ يُقتدىٰ.

وهنا فائدة يجب الالتفات إليها، ألا وهي: أنَّ النَّبيّ ﷺ قد نَهىٰ فقال: «لَا تَقُولُوا لِلمُنَافِقِ سَيِّدًا، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّوَجَلَّ»(١)، وفي رواية: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِلمُنَافِقِ: يَا سَيِّدُ، فَقَدْ أَغْضَبَ رَبَّهُ»(٢).

فالحديث الأول: يَنهىٰ عن أنْ يَقول الرَّجل للمنافق (يا سيد)، ولو كان حقًّا يَتمتع بهذه الصفة، لأن في هَذا إغضابًا لله تعالىٰ، والثَّاني: فيهِ إشعار بهذا المعنىٰ، وإذا كَان الله تعالىٰ يغضبُ مِن قول المسلم للمُنافق يا سيد، فَهل يرضيه أن يعْتَرف له المسلم بباقي لَوازم السيادة من طاعة وتبجيل وما إلىٰ ذلك من الحقوق؟.

إن المنافق مهما عَلت مَرتبتُه عند الناس، ومهما أوتي مِن أسباب القوة والجَبروت فهو حقير عند ربه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة النساء: ١٤٥]، مِن أجلِ ذلك يجب أن يكون محتقرًا من المُسلمين مهانًا بينهم، لا سيَادَة له ولا حول ولا توقير(٣)، ذَلكَ أن حقَّ المُنافق التأخير لا التقديم، والتَّحقير لا التعظيم، والهَجر لا التقريبُ، والتَّقريع لا التبجيل، لأنه عدو لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، وهذا اللائق بمعاملته.

فمتىٰ وُسد الأمر إلىٰ المنافقين أصَاب الدين غربَة وثلمة عظيمة، بل قل عَلىٰ الدين والدنيا السلام، وإن تمكين المنافقين من تقلّد أمور المسلمين وولاياتهم لمن أعظم أسباب سخط الجبار وعقوبته.

ومن تأمل قول الله تعَالىٰ في أعداء الدِّين من اليهود والنصارىٰ وغيرهم:

---

(١) «صحيح سنن أبي داود»، للألباني: رقم (٤١٦٣)، باب لا يقول للملوك ربي وربتي.

(٢) صححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم: (٣٧١).

(٣) «المنافقون وشعب النفاق»: (٢٥٥). بتصرف يسير.

﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [سورة التوبة: ٨]، لوجَد الآية تنطبقُ على المنافقين إن لم تكن أشَد.

أليسوا من جفَّفَ منَابع الخَير والدعوة والإصلاح بإلغَاء الأوقاف ومحاصرة حلقاتِ القُرآن، وإغلاق المعَاهد العلمِيَّة الدينيَّة، وألزموا خطباء الجَوامع بخطب جاهزة تأتِيهم من الدولة، وحَصروا الاحتساب على المنكرات في جِهاز رئاسة الهيئات، أو ما سمِّي بشرطة الآداب، مع التضييق على رجالاتها وتحديد صلاحيات العاملين فيها.

بل إِنَّ المنافقين ومن شَايعهم بذلوا جهودهم المتواصلة حتى تم لهم إلغاء عدد من الجمعيات والمؤسَّسَات الخيرية، وفرض الحصار القاتل على مناشطِهَا وموارِدها المالية ونحو ذلك، كل ذلك بدعاوى واهية منها مكافحة الإرهاب ومحاربة التطرف... الخ(١).

وإذا كان من وقَّر صاحب بدعة فقد أعان على هَدم الإِسْلام -كما جاء في الأثر- فَكيف بمن وقَّر المنافق؟! وممَّا يُؤسف له حقًّا ويُندى له الجبين أن يُفرض كثير من المنافقين على المسلمين فرضًا، فلا يجِدُون مناصًا من تعظيمهم، بل طاعتهم في غير معروف، وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَال رسول الله ﷺ: «لَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَسُودَ كُلَّ قَبِيلَةٍ مُنَافِقُوهَا». لكنه حديث ضعيف(٢).

ولكن تأمَّل حديث المصطفى ﷺ: «لا تَقُولُوا لِلمُنَافِقِ سَيِّدًا، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّوَجَلَّ»(٣)، فإنَّه إذا نُهي عن مناداةِ المُنافق ومخاطبته بسيِّد،

(١) انظر كتاب «ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب»، للشيخ د/ محمد السلومي.

(٢) «ضعيف الجامع»: ح (٤٧٧٩).

(٣) رواه أحمد في «المسند»: (٥/ ٣٩٠، ٣٩١)، ورواه أبو داود، ك: الأدب، باب: لا يقول المملوك =

فمن باب أولى توليته على شيء من أمور المسلمين.

وإن مِمَّا يجب التنبُّه له خطر تولية الرافضة -على وجه أخص- على شَئ مِن إدارات المسلمين وقطاعَاتهم، فهمُ السُّمُّ النَّاقع والداء العضال، لهم خططُ مكرٍ قَد أبرموها، ومكائدُ غدر قد تعاهَدوا على إنفاذها، وليس المَقام هنا مقام بسطها، لكنَّ الله عَزَّوَجَلَّ قد يسر عُلماء ودعاة من أهل السنة، وممن اهتدى من الرافضة فأَصْدَروا العديد من المؤلفات والمحاضرات والتقارير، ولهُم مواقع على الشبكة إلى غير ذلك، مِمَّا كشف حقائق كانت غائبة، وعرَّت أحقادًا اعتلجتها نفوسهم كانت مستترة.

زد علَى ذلك أن التقْنِيَة الإعلامية الحديثة قد أزاحَت السِّتار عن مقاطع مرئية تفضح ملاليهم وأئمتِهم عبر خُطب جمعة ودروس في حُسينيات واجتماعات تآمر مَشبوهة مع أعداء الله، منها ما هو سِري وغيرها علني، قد تواطؤا مع كل عَدو للإِسْلام والمسلمين، يقتفون في ذَلك حذو أجْدادهم من القرامطة والبويهيين والعبيديين -الفاطميين- وغيرهم عبر تاريخ غابر ومعاصر، صفحاته الغدر والخيانات وسفك الدماء وانتهاك الحرمات... الخ[1].

= ربي وربتي، واللفظ له: ح (٤٩٧٩). قال الألباني: صحيح، ورواه البخاري في «الأدب المفرد»: (صـ ١٦٥)، وهو في «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: ح (٣٧١).

(١) هذه بعض مراجع ومواقع فيها من الإيضاح لمن رغب مزيد اطلاعٍ حرصت على اختيار ما له علاقة بمخططاتهم وجرائمهم، وللعلم فغالب هذه المؤلفات المدرجة موجود في الإنترنت:

⟸ «وجاء دور المجوس»: (عبد الله بن محمد الغريب).

⟸ «فرق الموت الشيعية»، (على الشبكة)، (خالد السلومي).

⟸ «ويل للعرب من شر قد اقترب»، (عبد المنعم شفيق).

⟸ «بروتوكولات آيات طهران وقم»، للدكتور ناصر القفاري.

⟸ «الإنذار والإعذار»، (عادل بن محمد الهدباء)، وراجعه الشيخ سليمان العلوان. =



خطر بطانة السوء:

وإن ممَّا لَه صلة بهذه القاعدة بِطانة السوء التي تحدث القرآن عنها كثيرًا، وجاء التعبير عنها بالملأ وبالبطانة، ودورهم في صنع القرار وإدارة المواقف، وجلْبِ المَشاكل والأزمات، وعزلِ القيادات والزعامات عن المساحات التي يجب أن تَتفاعل معها... ووضع الحواجز بينها وبين شُعوبِها، وتغيير الحقائق والتحريض على الآخَرِين، وتقليب الأمور على غير وجهها، قد باعوا دينهم بدنياهم.

الملأ والبطانة اللذان وَرد ذكرهما في عدد من نصُوص الوحيين في قصص الأمم الماضية، وفي ذلك مبحَث حول الملأ يحسن الرجوع إليه[١]، كما أنه سبق الحديث حول قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا

= ⇐ المواقع: (شبكة الدفاع عن السنة)، و(البرهان)، و(عثمان الخميس).

⇐ «التبصير بواقع الرافضة»، (الشيخ سليمان العلوان).

⇐ «موسوعة الشيعة الكبرى»، (قرص)، (للشيخ ممدوح الحربي).

⇐ «حزب الله وسقط القناع»، (أحمد فهمي).

⇐ «جرائم الرافضة عبر الأزمنة والعصور»، (قرص)، (فلم وثائقي).

⇐ «حركة التشيع في الخليج العربي»، (عبد العزيز البداح).

⇐ «الموسوعة المرئية لكشف حقيقة الشيعة»، (قرص)، (فيلم وثائقي).

⇐ «إيران والإمبراطورية الشيعية الموعودة»، (لبيب بن سعيد المنور).

⇐ «جرائم الرافضة في المدينة النبوية»، (قرص)، (عبد الله السلفي).

⇐ «ماذا تعرف عن حزب الله»، (علي الصادق).

⇐ «الرافضة عبر التاريخ»، (قرص).

(١) انظر مبحثًا في ذلك: (ص: ٦٥).

لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة آل عمران: ١١٨-١٢٠]، فحسن الرجوع إليه(١).

○ أما نصوص السنة فمنها:

ما روى أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبيّ ﷺ أنه قال: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍ وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ، إِلَّا لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالخَيْرِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ. فَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ تَعَالَىٰ»(٢).

وفي رواية عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه قال: قالَ رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ وَالٍ إِلَّا وَلَهُ بِطَانَتَانِ، بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُ عَنِ المُنْكَرِ، وَبِطَانَةٌ لَا تَأْلُوهُ خَبَالًا، فَمَنْ وُقِيَ شَرَّهَا فَقَدْ وُقِيَ، وَهُوَ مِنَ التِي تَغْلِبُ عَلَيهِ مِنْهُمَا»(٣).

هاتان الروايتان يفسِّر بعضهما بعضًا؛ ففي رِواية أبي هريرة: «مَا مِنْ وَالٍ»، وَهِي أعم، والخَير الذي تأمر بِهِ البطانة الصالِحَة هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال ابن حجر: «البطانة: الدُّخلاء، جمع دخيل، وهو الذي يَدخل علىٰ الرَّئيس في مكان خَلوته، ويفضي إليه بِسره، ويصدقه فيما يُخبره به ممَّا يخفىٰ عليه من أمر رعيته، ويعمل بمقتضاه»(٤).

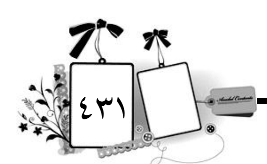
---

(١) انظر (صـ: ٦٥).

(٢) البخاري، ك القدر باب المعصوم من عصم الله: ح (٦٦١١)، وفي ك الأحكام، باب بطانة ٤- الإمام وأهل مشورته: ح (٧١٩٨).

(٣) «صحيح سنن النسائي»، للألباني: (٤٢١٢).

(٤) «فتح الباري» عند شرح الحديث (٧١٩٨).



وقال المباركفوري: «﴿إلا وَلَهُ بِطَانَتَانِ﴾: البِطانة: الصَّاحب، وهو الذي يُعرِّفه الرجل أسراره ثقة به، شبَّهه ببطانة الثوب»(١).

قال ابن حجر وقوله: «﴿وَتَحُضُّهُ عَلَيهِ﴾: أي: تُرغِّبه فيهِ وتؤكده عليهِ، وقوله في الرواية الأخرىٰ: «بِطَانَةٌ تَأمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ»: أي: ما عرفه الشَّرع وحكم بحسنه، «وَتَنْهَاهُ عَنِ المُنْكَرِ»: أي: مَا أنكره الشرع ونهىٰ عَن فِعله».

وقوله: «﴿لَا تَأْلُوهُ خَبَالًا﴾: أي: لا تَقصر في إِفْساد أمْره لعمل مصْلَحتهم، وهو اقتباسٌ من قَوله تعالىٰ: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ﴾، وفي الرِّواية الأخرىٰ: «وَمَنْ وُقِيَ شَرَّهَا فَقَدْ وُقِيَ».

قال الحافظ: «والمُراد به إثبات الأمورِ كُلِّها لله تعالىٰ: فهو الذِي يعصِم من شاء منهم، فالمعصوم من عصمَهُ الله لا من عصمته نفسه، وفيه إشارة إلىٰ أنَّ ثَمَّ قِسمًا ثالثًا، وهو: أن من يلي أمور الناس قد يقبل من بطانة الخير دُون بطانة الشر دائمًا، وهذا اللائق بالنَّبيّ ﷺ، ومن ثم عبر في آخر الحديث بلفظة: العصمة».

وقد يقبل من بطانة الشر دون بطانة الخير، وهذا قد يوجد ولا سيما ممَّن يكون كافرًا. وقد يقبل من هَؤُلاءِ تارة ومِن هَؤُلاءِ تارة، فإن كان علىٰ حدٍ سَواء فلم يتعرض له في الحديث لوضوح الحالِ فيه، وإن كان الأغلب عليه القبول من أحدهما فهو ملحق به إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

قال ابن التين: «يحتمِلُ أن يكون المراد بالبِطانتين الوزيرين، ويحْتَمِل أن يكونَ الملك والشيطان».

وقال الكرماني: «يحتملُ أن يَكون المراد بالبطانتين: النفْسُ الأمَّارة بالسوء،

---

(١) «تحفة الأحوذي بشرح الترمذي»: (٦/ ٢٣٧).

والنَّفس اللوَّامَة المحرِّضة على الخير، إذ لكل منهما قوة ملكية وقوة حيوانية» انتهى. والحمل على الجميع أولى إلا أنه جائز أن لا يكون لبعضهم إلا البعض.

وقد استُشكل هذا التقسيم بالنسبة للنبي ﷺ. لأنَّه وإن جاز عقلًا، أن يكون فيمن يداخله من يكون من أهل الشر، لكنه لا يتصور منه أن يصغى إليه، ولا يعمل بقوله لوجود العصمة، وأجيب بأن في بقية الحديث الإشارة إلى سلامَة النَّبيّ ﷺ من ذلك، بقوله: «فَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ تَعَالَى»، فَلا يلزم من وجُود من يشير علَى النَّبيّ ﷺ بالشر، أن يقبل منه.

وقيل: المراد بالبطانتين في حق النَّبيّ: الملك والشيطان، وإليه الإشارة بقوله ﷺ: «وَلَكِنَّ اللهَ أَعَانَنِي عَلَيهِ فَأَسْلَمُ»(١).

وفي معنى الحديث السابق، الحديث الذِي رَوتْه أمُّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: قالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ وَلِيَ مِنكُمْ عَمَلًا، فَأَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا، جَعَلَ لَهُ وَزِيرًا صَالِحًا، إِنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ»(٢).

ونقل الحافظ ابن حجر، عن ابن التين قوله أنه: «ينبغي للحاكم أن يتَّخذَ مَن يستكشف له أحوالَ النَّاس في السر، وليكن ثِقة مأمونًا فطنًا عاقلًا»، قال ابن حجر: «لأنَّ المُصيبة إنَّما تَدخل على الحاكم المأمون مِن قَبوله قول مَن لا يوثق بِهِ إذا كان هُو حَسن الظن به فَيجب عَليه أن يتثَبَّت في مثل ذلك»(٣).

❍ أهداف بطانة السوء:

وتتنوع أهداف بطانة السوء في حجب الناس عن من ولي أمرهم.

---

(١) رواه مسلم، ك صفة القيام، ة باب تحريش الشيطان وبعثه سرياه: ح (٢٨١٤).

(٢) «صحيح سنن النسائي»، للألباني: (٤٢٠٤).

(٣) «فتح الباري» عند شرح حديث (٧١٩٨).

١- فمِنهم مَن يُريد أن يقوِّي نفوذه ويَكون هو صاحب الأمر والنهي؛ فالحَاكم لا يعرف غيره، ومن ثَمَّ ينقل أوامره إليه، ويَكون هو المبلغ لتلك الأوامِر إلى بقية المرؤوسين، وكأنه هو من أصدر تلك الأوامر.

٢- ومنهم من يحاولُ استغْلالَ قُربه من الحاكم في تَحقيق المكاسب الخاصَّة مِن جراء علاقته به؛ فَهو يلهث وراءه لانتِزَاع توقيعاته بالمُوافقة على أسفار واجتِمَاعات ومقابلات يقوم بها، لِيجمع من ورائها مِن الأموال التي ما كانَ يحلُم أن يجمعها في حياته بعيدًا عن ذلك الحاكم(١).

٣- ومنهم من يجهد جهده في إخفاء كثِيرٍ من الحقائق عن الحاكِم ليتسنَّى له إصدار العديد من القَرارات المصيريَّة بالنسبة للنَّاس؛ مما له مساس بدينهم أو أعراضِهم أو أموالهم، أو تعيين أو إعفاء من يروقُ له ولمن معَه من بقية بطانة السوء أو غير ذلك.

ولذلكَ فهذِه النَّوعيَّة من بطانة السوء لا تُطيق أن ترى أحدًا غيرها في ديوان الرئاسة؛ ذَلك أن دخول أي فرد إلى الحاكم، إذا أثبت كفاءة ما، ففِي ظنِّ تلك البطانة أنها ستُحرم من مكانها بقرب هذا الحاكم، ومن ثم فستُحرم من النعيم الذي تعيش فيه(٢).

إنهم منافقون من بني جلدَتِنا ويتكلمون بألسنتِنَا، منهم العلماني والليبرالي والتغريبي، بل والشيوعي والقَومي؛ خليط من عفونات الأفكارِ والمذاهب الضالَّةِ والمناهج المنحرفة، يعملون فلا يفترون، ويسعَون فلا يتوقفون في الزج بشُعوبهم ومجتمعاتهم في براثن العلمنة والتغريب والتحلل من أحكام الشريعة

(١) موقع صيد الفوائد، مقالة عن «بطانة السوء»، بقلم محمد بن حسن بن يوسف.

(٢) المرجع السابق.

والأخلاق، يتلقَّون دعمهم من أسيادهم هناك في أمريكا والغرب، ويطلبون منهم التدخل في شؤون بلادهم، ويوحون إليهم بممارسة الضغوط والتهديدات لتحقيق أطماعهم ومآربهم.

إنهم برامكة زماننا، ينتشرون في بلاط زَعَامات الدُّول الإِسْلامية والعربية، ولضيق المقام عن التفصيل سأورد شيئًا من أجندتهم الخبيثة ومشاريعهم التغريبية الماكرة في بلد واحد من بلاد المسلمين، لنكون منهم على غاية من الحذر: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة الأنعام: ٥٥].

فمن أهدافهم:

١- فتح باب الابتعاثِ عَلى مصراعيه غير مبالين بدينٍ وقيمٍ لفتيان وفتيات يبتعثون بعد المرحلة الثانوية أو الجامعية؛ ليندمجوا في أتون المُجتمعات الغربية والشرقية، وكانت أوَّل دفعة ابتعاث في عام ١٤٢٦ هجري، وعددها أكثر من ثمانية آلاف طالب وطالبة، وكلهم ابتعثوا لأمريكا، ثم أعقَبَها ابتعاث مائة وخمسين ألف طالب وطالبة، ثم تقرر إرسال الدفعة التي تليها بإرسال مائتي ألف طالب وطالبة.

○ ولا يخفى على عاقل ما الآثار المترتبة على الابتعاث بهذه الأعداد الكبيرة والتي منها:

أ. الخطر العقدي:

١. إضعاف عقيدة الولاء والبراء.

٢. الدخول في النَّصرانية.

٣. التَّشبُع بالمفاهيم الفكرية الباطلة.

٤. التأثر بالمستشرِقِين وخدمة الاسْتِشراقِ.

٥. التشبه بالكفار في المظهر والسلوك.



ب. الخطر الأخلاقي والسلوكي:

١. تعاطي المُخدِّرات والمسكرات.

٢. ارتياد المَراقص والملاهي الليلية.

٣. التبرج والسُّفور والاختلاط المشين بين الجنسين.

ج. الخطر الاجتماعي:

١. عقود الأنكحة الصُّورية المحرَّمة: (المسيار والمسفار والعرفي والفندقي والصيفي ونحوها).

٢. زواج أبنائنا وبناتنا من الأجَانب غير المسلمين.

٣. طلب الهجرة والبقاء في بلاد الغَرب وطلب الجنسية.

د. الخطر السياسي والأمني:

١. القناعة بالنظام الغَربي في الحكم والإدارة.

٢. زيارة السفارة الإسرائيلية والفخر بِنجمتها السداسية.

٣. الانضواء تحتَ الجمعيات المشبوهة.

٤. ظهور الحركات الثورية.

وقد صدر كتاب بعنوان: «آثَار الابتعَاث» للشيخ عبد العزيز البداح جدير بالقراءةِ، وقد ضمنه ملاحق من واقع المبتعثين والمبتعثات.

٢- السيطرة علَىٰ الإعلام بشتَّىٰ قنواته وصحفه للنَّيلِ من محكمات الشريعة وعلماء الأمة، ومن أساليبهم استعداءُ الحكومة والرَّأي العامِّ علىٰ كل من له علاقة بالدين، وإسقاط الدُّعاة والمشايخ الذين يفضحُون مشاريعهم التغريبية، غير سعيهم الحثيث في محو هوية المجتمع الدينية بما يبثونَه من برامج وحوارات ومسلسلات لا تهدم إلا الأخلاق ولا تنخر إلا في الفضائل.



٣- الدعوة إلىٰ حوارِ الأديان[١] والانفتاح علَىٰ الآخر، بل دعوا إلىٰ حوار مع الثقافات الأخرىٰ كالبوذية والشيوعية وغيرها من زبالات الفكر، والعقائد الفاسدة.

٤- قاموا باستحداث كليَّات للحقوق وكليات للشريعة والقَانون؛ تمهيدًا لتنحية الشريعة رويدًا رويدًا وحجَّموا القضاء الشرعي وفتحوا المجال للمحاكم القانونية وذلك عن طريق تقنين القضاء.

٥- عملهم الدؤوبُ في إفسَاد المرأة المسلمة بحجَّة نيلها لحقوقها الضائعة ومشاركتها في المشاريع التنموية، وهذه بعض الشواهد:

أ) تمثيلُها لبلادها في المحافل الإقليمية والدولية.

---

(١) قد صدرت العديد من الفتاوىٰ تنص علىٰ حرمة هذا الحوار أقتصر علىٰ ذكر واحدة منها:

أ) فتوىٰ الشيخ صالح الفوزان فيما يسمىٰ بحوار الأديان، سئل الشيخ صالح الفوزان حفظه الله عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء سؤالًا حول هذا المؤتمر:

س: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة هذا سائل يقول سمعنا في هذه الأيام دعاية لفتح الحوار مع الأديان الأخرىٰ والسعي في نشرها من خلال اللقاءات والصحف وبعض المواقع في الإنترنت. السؤال ماحكم القيام بهذه الدعوة وتشجيعها؟

فأجاب الشيخ صالح حفظه الله بقوله: (هذا لا يجوز، هذا تسويه بين الدين الباطل والدين الحق، هم غرضهم أنهم يسوون بين دين الإِسْلام ودين النصارىٰ ودين اليهود يجعلونها كلها صحيحة وكلها أديان والإنسان بالخيار إن بغىٰ يصير يهوديا أو نصرانيا أو مسلما كلها أديان متساوية عندهم، هذا الذي يريدون وإلا الدين الإِسْلامي هو الدين الحق وهو الناسخ لما قبله فلا دين إلا دين الإِسْلام (ومن يبتغي غير الإِسْلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين).

والإِسْلام بعد بعثة محمد ﷺ هو ما جاء به الرسول ﷺ أما قبل بعثة محمد فالإِسْلام كل ماجاءت به الرسل عليهم السلام فهو إِسْلام، لكن بعد بعثة النَّبيّ ﷺ صار الإِسْلام هو ما جاء به الرسول ﷺ خاصة. انظر رابط الفتوىٰ علىٰ الشبكة www. alfawzan. ws.

ب) تعيينُها وزيرة ووزيرة ونائبة لوزير، وعضوة في المجَالسِ البلدية والغرف التجارية ومشاركتها في الوفود الخارجية.

ج) اختلاطها بالرجال في سائر مجالات العمَلِ، ومنحها الحرية المطلقة في السفر والسكنى والوظيفة.

د) كما عمد دُعاة التغريب في ذلك البَلد إلى أن تكون المرأة ممثلة ومغنية ومذيعة ومخرجة وعارضة للأزياء، ولها الحريَّة في دخولها لمجال الدعاية والإعلان التجاري.

هـ) وفتحوا لها المراكز الرياضِيَّة، وسافروا بها خارج الحدود لتشارك في الأولمبياد العالمي والمسابقة في السباحة وركوب الخيل والكاراتيه وغيرها.

ز) ومن التغريب الذي قامت به وزارة العدل في ذلك البَلد المسلم فتحها لمكاتب نسائية يزاولن فيها مهنة المحاماة.

ح) وقد نشرت إحدى الصحف المحليَّة عن وزير خارجيتها قبل عدة سنوات فخره بدخول المرأة وزارة الخارجية لأول مرة في تاريخ ذلك البلد.

ط) أمَّا الخطوة الجريئة فهي صدور أمر رئاسي بتاريخ ٢٩/ ٢/ ١٤٣٤هـ بتكوين مجلس الشورى من مائة وخمسين عضوًا، فيهم ثلاثون امرأة يمثِّلنَ ٢٠٪ من مجموع الأعضاء تقريبًا، وهذه أعلى نسبة تمثيل على صعيد مجالس دول الخليج، وهي السادسة بالنسبة للدول العربية، بل إن نسبتهن هذه أعلى منهن في أمريكا.

وللعلم فقد أشاد بهن السفير البريطاني لدى المملكة؛ حيث زكَّاهن جميعًا بكلمته التي نشرتها صحيفة الرياض في ٢/ ٤/ ١٤٣٤هـ بقوله: فجميعهن من صاحبات الخبرات الدولية الرفيعة في جَميع المَجالات.

بل إنَّ الإشادة جاءت حتى من إسرائيل بما نشر في إعلامها، هذا نصها: (ألف مبروك للسُّعوديَّات اللواتي تم اختيارهن لعضوية مجلس الشورى، ونتمنى أن

تحظى النساء العربيات بالمزيد من الحريات على طريق المساواة والديمقراطية).

وهَؤُلاءِ المرشحات من يتأمل حالهن يَجد أن العامل المشترك بينهن في الغالب هو الدراسة في الغَرب أو كثرة السفر إليه، معَ التباهي بخلع الحجاب والاختلاط بالرجال محليًّا ودوليًّا، وكان من أولويات القضايا اللاتي تقدَّمنَ بها للمجلس قيادة المرأة للسيارة، بل إن إحداهُنَّ تقول في حوار إعلامي لها في قناة من القنوات: (ليس الفتى ولا الفتاة بحاجة عند ابتعاثهم للخارج أن يكون حوليهم جدران حامية، إن هدف الابتعاث هو الانفتاح على العالم الخارجي).

ولما فتح باب التغريب على مصراعيه في حق المرأة المسلمة، خصوصًا في مجال الاختلاط في مواقع العمل وبيع المستلزماتِ النِّسائيَّة، وغيرها من المهن حتى في المطاعم والفنادق والشركات وغيرها، كان من نتائج ذلك كثرة قضايا الابتزاز والتحرش بل ووقوعات الزنا، والمساومة على العِرض عند التوظيفِ، ومحاضر الضبط لدى جهاز الهيئات والشرط طافحة بهذه القضايا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن الكتب الجديرة بالقراءة للتوسع في معرفة مرامي هَذه البِطانة البرمكية، كتاب «حَركَة التَّغريب في السعودية -تَغريب المرأة أنموذجًا-» للشيخ د. عبدالعزيز البداح.

٦- **أما التعليم فقد سعى** التَّغريبيون إلى أن يكون مختلِطًا بين الجنسين، فقد تم دمج الرئاسة العامة لتعليم البنات مع تعليم البنين، ثم دُمج منهجًا البنين والبنات في منهج واحد، ثم دمجت الصفوف الأولية بنين وبنات في بعض المدارس الأهلية.

وعُمِل على إضافة مقرر للرياضة النسائِيَّة، وفُتِح باب الابتعاث للمعلمين والمعلمات، وتم تعيين نساء على إدارات بها رجال... الخ.

٧- تمكينهم وتعيينهم لكل من يَتوافق مع توجهاتهم ويَسعىٰ في تحقيق أجندتهم، أما الإعفاء بلا مبرر وعزل ذوي الكفاءات بلا سبب، فقد طال كل من يقف حجر عثرة في طريق مخططاتهم الإجرامية وخطواتهم التغريبية. إنهم بطانة السوء في السابق واللاحق لا يخلوا منهم زمان ولا مكان، فها هو قيصَر عظيم الروم كاد أن يسلم لولا بطانته الفاسدة بعد تقدير الله.

جاء في «صحيح البخاري» : فأذن هِرقل لعظماء الرُّوم في دسكرة لهَ بحمص، ثم أمر بأبوابها فغلقت، ثم اطَّلع فقال: يا معشر الروم، هل لكُم في الفَلاح والرُّشد، وأن يثبت ملكُكم، فَتبايعوا هَذا النَّبيّ، فَحاصوا حيصة حمر الوحش إلىٰ الأبوابِ فَوجدوها قد غلقت، فلما رأىٰ هرقل نُفرَتهم وأيَس من الإيمانِ، قال: ردُّوهُم عَليَّ، وقَال: إنِّي قلت مقالتي آنفًا أختبر بها شدَّتكم علىٰ دينكم، فقد رأيتُ، فسَجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل(١).

ولهذا قال أبو حازم، التابعي الكبير، عندما حاول أَحَدُ بطانة الخليفة سُليمان بن عبد الملك أن يصدَّه عَن نصح سليمان: «اسْكت، إنَّما أهلك فِرعونَ هامانُ وهامانَ فرعونُ»(٢).

فقد رُوِيَ: أن رجلًا سأل عبد المَلك أن يخلُوَ به، فأمر عبد الملك مَن عندَه بالانصراف، فلما خلا به، وأراد الرَّجل أن يتكلم، قال له عبد الملك: احذَر من كَلامك ثلاثًا: إيَّاك أن تمدحَنِي فإني أعلم بنفسي مِنك، أو تكذبني فَإنه لا رأي لكذوب، أو تَسعىٰ إليَّ بأحدٍ من الرعية؛ فإنَّهم إلىٰ عدلي وعفْوي أقرب منهم إلَىٰ

---

(١) رواه البخاري، ك بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي: ح (٧).

(٢) ينظر «سراج الملوك»: (ص٥١)، و«الورع»، للإمام أحمد: (ص١٦٢)، و«مقدمة الجرح والتعديل»: (ص١٤).

جوري وظلمي، وإن شِئت أقلتك، فقال الرجل: أقلني، فأقاله(١).

وإنَّ أخطرَ مَا يمارسه الملأ -البطانات والحواشي- هُو الإطراء والمديح والإغراءُ إلَى حد التأليهِ والأوحَديَّة، وحجب المعلوماتِ الصَّحيحة، وتحسينُ القَبيح، وتقبيحُ الحَسن، وتقديمُ المعلومات الكيدِيَّة الكاذبةِ على المخلصين وتَشويه صورتهم... وكَثيرًا ما تكوِّن هذه الطبقة الحَواجز النفسيَّة والموضوعيَّة، وتصنع منها جدارًا عازلًا يُشبه السجن، ولا يستفيق كثير من صنَّاع القرار إلا بعد فوات الأوان واشتداد الأزمات.

وكم من شخصيات سياسيَّة واجتماعيَّة وأصحاب زعامة ورئاسة ضَلَّلتهم ودمرتهم الحواشي والبطانات النفعية والانتهازية(٢).

ونقرأ بيانًا آخر يزيدنا وعيًا وثقافة وتقوى، وهو خطابُ عَلي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنهُ إلى مالك الأشتر، واليهِ عَلى مصر، حين خاطبه في كتابه إليه محذرًا من بطانة السوء وداعيًا إلى اتخاذ البطانة الصالحة... جاء في كتابه رَضِيَٱللَّهُعَنهُ: «إنَّ شَر وزرائكَ مَن كان للأشرار قبلَك وزيرًا، ومن شركهم في الآثام فلا يكونُنَّ لك بطانة، فإنهم أعوان الأثمة، وأخوان الظلمة، وأنتَ واجدٌ منهُم خير الخَلف ممَّن له مثل آرائهم ونفاذهم، وليس علَيهِ مثل آصارهم وأوزارهم وآثامهم، ممَّن لم يعاون ظالمًا على ظلْمِه، ولا آثمًا على إثمِهِ؛ أولئك أخف علَيك مؤونةً، وأحسن لك معونةً، وأحنى عليكَ عطفًا، وأقل لغيرك إلفًا، فاتخذ أولئك خاصةً لخلواتك وحفلاتك، ثمَّ ليكن آثَرُهُم عندَك أقْوَلُهُم بمر الحقِّ لك، وأقلهم مساعدةً فيما يكون منك ممَّا كره الله لأوليائه، واقعًا ذلك من هواك حيثُ وقع، والصق بأهل الورع والصدق؛ ثم

---

(١) «البداية والنهاية»: (٩/ ٨٠).

(٢) «بطانة السوء ودورها في فساد الحاكم»، د/ عادل عامر: (مقال على الشبكة).

رُضهمْ على ألا يطروك ولا يبجحوك بباطلٍ لم تفعله، فإنَّ كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من العز[(١)(٢)].

وقد ذكر ابن الجوزي: أنَّ هارون الرشيد[(٣)] طافَ في حجهِ على العُلماء والصالحين يلتَمس منهم أنْ يعِظُوه، حتى انتهى هو والفَضل بن الربيع[(٤)] وزيرُه

---

(١) «نهج البلاغة»: (٧٠٢).

(٢) «البطانة والملأ»، الكاتب أسرة البلاغ: (مقال على الشبكة).

(٣) هو: هارون أمير المؤمنين الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ويكنى أبا جعفر استخلف بعد أبيه المعتصم، وكان يسكن سر من رأى، وبويع هارون بن محمد في اليوم الذي توفي فيه أبوه المعتصم بسر من رأى، وهو يومئذ ابن تسع وعشرين سنة. كان شجاعًا كثير الحج والغزو، حج في خلافته ثماني حجج، وقيل تسع، وغزا ثماني غزوات، ولم يحج خليفة بعده، وكان في أيامه فتح هرقلة. وكان طويلا جسيما أبيض قد وخطه الشيب، وكان يحج سنة ويغزو سنة. مولده سنة سبع وأربعين ومائة في نصف شوال بمدينة الري، وبويع له بمدينة السلام في ربيع الأول سنة سبعين ومائة يوم موت الهادي، وكان ولي العهد بعده، وله يومئذ اثنان وعشرون سنة ونصف. قال أحمد ابن الواثق: بلغ أبي ثَمانيًا وثلاثين سنة، قال ابن أبي الدنيا: مات الواثق بسر من رأى يوم الأربعاء لست ليال بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وصلى عليه جعفر أخوه، ودفن هناك، وكانت خلافته خَمس سنين وشهرين وأحد وعشرين يومًا، وكان أبيض يعلوه صفرة، حسن اللحية، في عينه نكتة. ينظر «تاريخ بغداد»، للخطيب البغدادي: (١٦/ ٢٢)، و«فوات الوفيات»: (٤/ ٢٢٥).

(٤) هو: الفضل بن الربيع بن يونس بن محمد بن أبي فروة، واسم أبي فروة كيسان، وكنية الفضل أبو العباس وكان حاجب هارون الرشيد، ومحمد الأمين، وكان أبوه حاجب المنصور، والمهدي، ولما أفضت الخلافة إلى الأمين، قدم الفضل عليه من خراسان، وكان في صحبة الرشيد إلى أن مات بطوس، فأكرم الأمين الفضل، وألقى أزمة الأمور إليه، وعول في مهماته عليه، وقد أسند الحديث عن المنصور والمهدي أميري المؤمنين. قال الذهبي: الأمير الكبير... وكان من رجال العالم حشمة، وسؤددا، وحزما، ورأيا. قام بخلافة الأمين، وساق إليه خزائن الرشيد، وسلم إليه البرد =

فقرعا الباب على الفُضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإذا هو قائمٌ يصلي بآيَةٍ يردِّدها، ثم أجاب الوزيرَ سائلًا: من هذا؟ قال: ابن الربيع: فقُلت: أجبْ أمِير المومنين! فَقال: ما لي ولأميرِ المُؤمنين؟ فقلت: سبُحـان الله! أما عليكَ طاعة؟.

فنـزل ففتح الباب، ثم ارتَقَى الغرفة فأطفأ المصبَاح، ثم التجأ إلَى زاوِية من زوايا البَيت فدخلنا، فجعَلْنا نجول عليه بأيدينا، فسبقت كفُّ هارون قبلِي إليه، فقال: يَا لها من كَفٍ ما ألينَها إن نجت غدًا من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ!

فقال: إنَّ عُمر بن عبد العزيز لَمَّا وَلِيَ الخلافةَ دعَا سالم بن عبد الله(١)،

= والقضيب والخاتم، جاءه بذلك من طوس، وصار هو الكل لاشتغال الأمين باللعب، فلما أدبرت دولة الأمين، اختفى الفضل مدة طويلة، ثم ظهر إذ بويع إبراهيم بن المهدي، فساس نفسه، ولم يقم معه، ولذلك عفا عنه المأمون. مات: سنة ثمان ومائتين في عشر السبعين، وهو من موالي عثمان -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ-. يقال: إنه تمكن من الرشيد، وكان يكره البرامكة، فنال منهم، ومالأه على ذلك. «تاريخ بغداد»، للخطيب البغدادي: (١٤/ ٣٠٣)، و«سير أعلام النبلاء»، للذهبي: (١٠/ ١٠٩).

(١) هو: سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي، العدوي، أبو عمر، ويقال: أبو عبد الله، ويقال: أبو عبيد الله، المدني الفقيه. أمه أم سالم، وهي أم ولد. وقال يحيى بن سعيد الأنصاري، عن سعيد بن المسيب: كان عبد الله بن عمر أشبه ولد عمر به، وكان سالم أشبه ولد عبد الله به. وقال محمد بن إسحاق: رأيت سالم بن عبد الله يلبس الصوف، وكان علج الخلق، يعالج بيديه ويعمل. وقال أشهب بن عبد العزيز، عن مالك: لم يكن أحد في زمان سالم بن عبد الله أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والفضل والعيش منه، كان يلبس الثوب بدرهمين، ويشتري الشمال فيحملها. قال: وقال سليمان بن عبد الملك لسالم - ورآه حسن السحنة: أي شيء تأكل؟ قال: الخبز والزيت، وإذا وجدت اللحم أكلته. وقال خالد بن أبي بكر يقول: بلغني أن عبد الله بن عمر كان يلام في حب سالم، وكان يقول: يلومونني في سالم وألومهم • وجلدة بين العين والأنف سالم. عن ابن أبي الزناد: كان أهل المدينة يكرهون اتخاذ أمهات الأولاد، حتى نشأ فيهم القراء الغر السادة: علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وسالم بن عبد الله بن عمر، ففاقوا أهل المدينة علما وتقى وعبادة وورعا، فرغب الناس حينئذ في =

ومُحمد بن كعب القُرَظِيِّ، ورجَاءَ بن حَيْوَة[1]، فقال لَهُم: إني قد ابتُليتُ بهذا البلاء فأشيروا عليَّ، فَعدَّ الخِلافة بلاءً وعددتها أنتَ وأصحابك نعمةً، فقال له سالم بن عبد الله: إن أردتَ النَّجاة غدًا من عذاب الله؛ فليكن كبيرُ المسلمين عندك أبًا، وأوسطُهم عندك أخًا، وأصغرُهم عندك ولدًا.

وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النَّجاة غدًا من عذاب الله عَزَّوَجَلَّ؛ فأَحِب

= السراري. وقال عن عبد الله بن المبارك: كان فقهاء أهل المدينة الذين كانوا يصدرون عن رأيهم سبعة: سعيد بن المسيب، وسليمان بن يسار، وسالم بن عبد الله بن عمر، والقاسم بن محمد، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وخارجة بن زيد بن ثابت. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»،: (١٠/ ١٤٥)، و«تهذيب التهذيب»: (٣/ ٤٣٨)، و«سير أعلام النبلاء»، للذهبي: (٤/ ٤٥٧).

(١) هو: رجاء بن حيوة بن جرول، ويقال: جندل، بن الأحنف بن السمط بن امرئ القيس بن عمرو بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن كندة الكندي، أبو المقدام، ويقال: أبو نصر، الشامي الفلسطيني، ويقال: الأردني، يقال: أن لجده جرول صحبة. ذكره أبو زرعة الدمشقي في الطبقة الثالثة. وذكره أبو الحسن بن سميع في الطبقة الرابعة. وقال البخاري: قال ابن أبي الأسود عن ابن مهدي عن شعبة عن الحكم: كان رجاء بن حيوة قاصا. وقدم الكوفة. وقال أبو مسهر: كان من مدينة يقال لها بيسان ثم انتقل إلى فلسطين. وقال محمد بن سعد: كان ثقة فاضلا كثير العلم. وقال أحمد بن عبد الله العجلي والنسائي: شامي ثقة. بن حيوة، وعبادة بن نسي، وعدي بن عدي. وقال يحيى بن حمزة، عن موسى بن يسار: كان رجاء بن حيوة، وعدي بن عدي ومكحول في المسجد، فسأل رجل مكحولا عن مسألة، فقال مكحول: سلوا شيخنا وسيدنا رجاء بن حيوة. وقال ضمرة بن ربيعة، عن رجاء بن أبي سلمة: قال مكحول: ما زلت مضطلعا على من ناوأني حتى أعانهم علي رجاء بن حيوة، وذلك إنه سيد أهل الشام في أنفسهم. وفي رواية: ما زلت مستقلا بمن بغاني حتى أعانهم علي رجاء بن حيوة، وذلك أنه رجل أهل الشام في أنفسهم. وقال خليفة بن خياط، وسليمان بن عبد الرحمن، وغير واحد: مات سنة اثنتي عشرة ومئة. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»،: (٩/ ١٥١)، و«تهذيب التهذيب»: (٣/ ٢٦٦).

للمسلمين ما تُحب لنفْسِك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثمَّ مِت إذا شئت!.

وإني أقول لك: إنِّي أَخَاف عليك أَشَدَّ الخوف يومًا تزل فيهِ الأقدام! فهل معَكَ رحمك الله من يُشير عليك بمثل هذا؟ فبكَىٰ هارون بكاءً شديدًا حتىٰ غُشِيَ عليه، فقلت له: ارفق بأمير المومنين؟ فقال: يا ابن الربيع! تَقتله أنتَ وَأصحابُك وأرفُقُ به أنا!(١).

ولئن كان لبطانة السُّوء هلاك للحرث والنسل، فإنَّ من رضي بهم من الحكام وقربهم واتخذهم عيبة نُصح وقلدهم أزمَّة الأمور، ليحملنَّ مع وزره أوزارهم يوم القيامة، إذْ لو لم يدنيهم لما تمكَّنوا، ولو لم يقربهم لما عاثوا في البلاد والعباد فسادًا.

من الذي جلب للأمة القوانين الوضعية، وأركسَهَا في حمأة التقليد الأعمىٰ للغرب؟ وجفف منابعَ ومَشاريع العلم والإصْلاح والدعوة؟ وكان سببًا في إنشاء قنوات الإعلام الساقطة؟

من هتك عن المرأة المسلمة حياءها، وجعلها في مواخير الفن والسينما وألجأها للعمل المختلِط مع الرجال؟.

إن الأمثلة علىٰ من كانوا أعلامًا، ولكنهم في حقيقة الأمر أقزام، لمجال يطول تعداده ولا يمكن حصره من حكام وبطانة سوء ووزراء ومستشارين وحاشية.

ما يستفاد من القاعدة:

١. النهي عن توليَة المُنافقين شيئًا من شؤون المسلمين.

٢. النهي عن اتخاذِهم مُستشارين، فقد روىٰ أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قول النَّبيّ ﷺ: «المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ»(٢)، والمنافقون غير مؤتمَنين لأنَّهم خَانوا الله ورسوله ﷺ والمؤمنين.

---

(١) ينظر «صفة الصفوة»: (٢/ ١٣٧).

(٢) رواه الترمذي، ك الأدب، باب إن المستشار مؤتمن: برقم (٢٨٢٢)، وابن ماجه، ك الأدب، باب المستشار مؤتمن: برقم (٣٧٤٥)، وأبو داود، ك الأدب، باب المشورة: برقم (٥١٣٠)، وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.



٣. السعي الحثيثُ في تنحيتهم عَن مناصب قد تولَّوهَا وإدارات قد تقلَّدوها بالوسائل الشرعية والطرق المرعية.

٤. يجب علىٰ من ولي شيئًا من أمور المسلمين أن يتَّخذَ بِطانة صالحة ناصحة صادقة، ويحذر ويتوقىٰ بطانة السوء من المنافقين وغيرهم.

لا يكفي في حَقِّ من ولي شيئًا من أمور المسلمين أن يجتَهدَ في اختيار البطانة الصالحة، بل لابد أنْ يَعمل بما ذكر شيخ الإِسْلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيثُ قَال: «فيَجب عَلىٰ وَلي الأمرَ أن يولي علىٰ كل عَمل من أعمال المُسلمين أصلح من يجده لذلك العمل»[(١)]، قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «من وَلىٰ مِن أمر المسلمين شيئًا فولَّىٰ رَجلًا لمودة أو قَرابة بينهما؛ فقَد خان الله ورسُوله ﷺ والمسلمين».

وهَذا واجب عليه فَيجب عليه البحث عن المستِحقِّين للولايات من نوابه علىٰ الأمصَار من الأمراء الذين هُم نواب ذي السلطان والقُضاة، ومن أمراء الأجناد ومقدِّمي العساكر والصغار والكبار وولاة الأموال من الوزراء والكتاب والشادين[(٢)] والسُّعَاة علىٰ الخراج والصدقات، وغير ذلك من الأموال التي للمُسلِمين، وعلىٰ كل واحدٍ مِن هَؤُلاءِ أن يستنيب ويَستعمِل أصلح من يَجده، وينتهي ذلك إلىٰ أئِمَّة الصلاة والمؤذنين والمقرئينَ والمعلمين وأمير الحج والبُرُد[(٣)]

---

(١) وقد أورد شيخ الإِسْلام هنا حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبيّ ﷺ: «من استعمل رجلًا علىٰ عصابة، وفي تلك العصابة من هو أرضىٰ لله منه؛ فقد خان الله ورسوله، وخان جماعة المسلمين»، لكنه ضعيف. رواه أبو داود في «سننه»: (٤٥٤٥)، وحكم بضعفه الألباني، وورد في «ضعيف الترغيب والترهيب»: (١٣٣٩).

(٢) الشادي هو الجمع للشئ من علم وأدب ومال. انظر «التعليق علىٰ السياسة الشرعية»: (صـ ٢٥)، للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ.

(٣) **البرد:** أصلها (البريد) أصله الدابة التي تحمل الرسائل والرسول والمسافة بين كل منزلين من =

والعُيون الذين هم القصَّاد، وخزائن الأموال وحراس الحصُون والحدادين الذين هم البوابون علىٰ الحصون والمدائن، ونُقباء العساكر الكبار والصغار وعرفاء القبائل والأسواق ورؤساء القرىٰ الذين هم الدهاقين(١).

فيجب علَىٰ كل من ولي شيئًا من أمر المسلمين من هَؤُلاءِ وغيرهم أن يستعمل فيما تحْتَ يده في كل موضع أصلح من يقدر عليه، ولا يقدم الرجل لكونِه طلب الولاية أو يَسبق في الطلب، بل ذلِكَ سبب المنع، فعن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «دخَلت علىٰ النَّبيّ ﷺ أنا ورجُلان من قومي؛ فقال أحد الرجُلين: أمِّرنا يا رسول الله، وقال الآخر مثله، فقَال: «إِنَّا لَا نُوَلِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ وَلَا مَنْ حَرَصَ عَلَيهِ»(٢).

وعن عبدِ الرَّحمن بن سَمرة قَال: قال النَّبيّ ﷺ: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ، لَا تَسْأَلِ الإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِنْ أُوتِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أُوتِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَىٰ يَمِينٍ فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ وَأْتِ الذِي هُوَ خَيْرٌ»(٣)(٤).

فإن عدل عن الأَحقِّ الأصلح إلىٰ غيره، لأجْل قَرابة بينهما أو ولاء عتَاقة أو صَداقة، أو موافقة في بَلد أو مَذهب أو طرِيقَة أو جنْسٍ؛ كَالعربية والفارسية

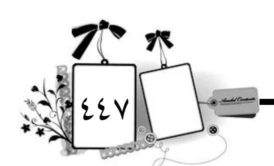
= منازل الطريق. ينظر «المعجم الوسيط»: (١/ ٤٨).

(١) الدهقان: هو التاجر. ينظر «لسان العرب»: (١٠/ ١٠٧).

(٢) رواه البخاري، ك الأحكام، باب: من لم يسأل الإمارة أعانه الله عليها: ح (٧١٤٩)

(٣) رواه البخاري، ك الأحكام، باب: من سأل الإمارة وكل إليها، ح: (٧١٤٧).

(٤) وقد أورد شيخ الإسْلام هنا حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أراد الحجاج أن يجعل ابنه علىٰ قضاء البصرة فقال أنس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من طلب القضاء واستعان عليه وكل إليه ومن لم يطلبه ولم يستعن عليه أنزل الله ملكا يسدده»، وهو حديث ضعيف رواه أحمد في «مسنده»: ح (١٣٣٠٢)، قال محققه: ضعيف.



والتركية والرومية، أو لرِشوة يأخذها منه من مال أو منْفَعة، أو غير ذلك من الأسباب، أو لضَغن في قلبه على الأحق أو عداوة بينهما، فقد خان الله ورسوله ﷺ والمؤمنين، ودخَل فيما نهى الله عنه في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٢٧].

ثم قال: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة الأنفال: ٢٨].

فإنَّ الرجل لحُبِّه لولده أو لعتيقِه قد يؤثره في بعْضِ الولايات، أو يعطيه ما لا يَستحقه فيكُون قد خان أمانَته، كذلك قد يؤثره زيادةً في مَاله أو حفْظِه بأخذِ مَا لا يستحقه، أو محاباة مَن يداهنه في بعض الولايَات، فيكون قد خان اللهَ ورسوله ﷺ وخان أمانتَه، ثم إنَّ المُؤدِّي للأمانة مع مُخالفة هواه، يثبِّته الله فيحفظُه في أهله وماله بعدَه، والمُطيع لهواه يعاقبه الله بنقيضِ قصده، فيهلك أهله ويذهب ماله.

وفي ذلك الحكاية المَشهورة: أنَّ بعض خلفاء بنِي العباس سَأل بعض العلماء أن يحَدِّثه عما أدرك فقال: أدرَكت عمر بن عبد العزيز، فَقيل له: يا أميرَ المؤمنين، أقفَرت أفوَاه بنيك من هذا المالِ، وتركتَهم فُقراء لا شيءَ لهُم، وكان في مرضِ مَوته؛ فَقال: أدخِلُوهم عليَّ، فأدخلوهم بضعة عَشر ذكرًا ليس فيهم بالِغ، فلما رآهُم ذرفت عيناه، ثمَّ قَال: يَا بَني، والله ما منعتكم حقًّا هُو لكم، ولم أكُن بالذي آخُذُ أموال الناس فأدفعها إليكم، وإنَّما أنْتُم أحد رجلين: إمَّا صالح فاللهُ يتولى الصالحين، وإما غير صَالح فلا أترك لَه ما يستعينُ به على معصِيَة الله، قوموا عني، قال: فلَقَد رأيت بعضَ ولده حمل علَى مائة فرس في سَبيل الله يعني أعْطاها لمن يغزو عليها.

قلتُ: هذا وقد كان خَليفة المسلمين مِن أقصى المشرق بلاد الترك إلى أقصى المغْرِب بلاد الأندلس وغيرها، ومن جزائر قُبرص وثغُور الشام والعواصم

كَطرسُوس ونحوها إلىٰ أقصَىٰ اليمن، وإنَّما أخذ كل واحد من أولاده من تركَتِه شيئًا يسيرًا يقال: أقل من عشرين درهما.

قال: وحَضرت بَعض الخُلفاء وقد اقتسَم تَركته بنوه، فأخذ كلُّ وَاحد منهم سِتُّمائة ألف دينار، ولقد رأيت بعضهم يتكفَّف الناس -أي يَسألهم بكفه- وفي هذا الباب مِن الحكايات والوقائع المشاهدة في الزمان والمسموعة عما قبله، ما فيه عبرة لكل ذي لب[(١)].

٥. إن تولِيَة هَؤُلاءِ المنافقين والرِّضى بهم مُستشارين أو وزَرَاء أو عيبة نصح لأكبر دَليلٍ علىٰ مُوالاتهم وموافقتهم، وهو دليل بُغضٍ للدين وأهله وحب للباطل ودعاته.

٦. لقد تجرَّعت الأمَّةُ كؤوس المرارَات وحلَّت بساحتها النكبات تترَىٰ من جرَّاء تولِّي المنافقين بعض المناصب والإدارات... الخ[(٢)]، ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ [سورة آل عمران: ٨١١].

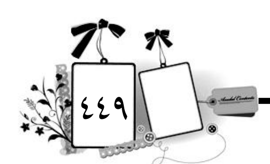
٧. إنَّ توليَة المنافقين دون المؤمِنين المناصِبَ والوزارات وغيرها ممَّا يستوجب عقُوبة الله وعذابه... قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا﴾ [سورة النساء: ١٤٤]، قال القرطبي: «أي: تعذِيبه إيَّاكم بإقَامته حجته عليكم إذْ قد نَهاكُم»[(٣)].

---

(١) ينظر «السياسة الشرعية»، لشيخ الإِسْلام بن تيمية: (١٧).

(٢) من الكتب المباركة في فضح منافقي زماننا ومن تسنَّموا مقاليد الحكم وغيرهم ممن يشار إليهم بالبنان، وهم من أعظم الجنايات علىٰ الأمة كتاب الشيخ السيِّد العفاني «أعلام وأقزام»، وهو موجود علىٰ الشبكة.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن»: (٥/ ٤٢٥).



٨. كما أنَّه لا يجوز توليِة المنافق، فكذَلِك لا يجوز ترشيحُه والتصويتُ له وتزكيتُه، فضلًا عن الانضمام لحزبه أو نحو ذلك. ولا يحقُّ لِمسلم أن يرشح حال انتخابات تنعَقِد في بلده من يعلم أنَّه يحمل الفكر العلماني أو الليبرالي أو الرافضي أو غيرها من الأفكار الهدامة.

وكذلك ألا يتم تَرشيح امرأة؛ لحديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لقد نفَعَني الله بكَلِمة أيام الجَمل، لما بلغَ النَّبيّ ﷺ أنَّ فارِسًا مَلَّكوا ابنة كسرى، قال: «لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً»(١).

٩. في احترام المُنافق وتسويدِه تَلبيسٌ على العامَّة في نفاقه وتزكيته أمَامهم، بل وقد يستغل ذلك فيتمادى في غيّه وعمايته.

١٠. وبمفهُوم المخالفة يتبيَّن محبَّة الله للمُؤمن الذي يكرِمُ أخاه المؤمن ويُقدره ويُبادله مشاعر الحب والاحترام: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة المائدة: ٥٤].

القاعدة الثانية: عدم تمكينهم من إقامة مشاريعهم التي يضارّون بها المؤمنين.

إذا تمَادى المنافِقُون في زرع كيانات ضارَّة بالأمَّةِ، وإنشَاء قِطاعات ومؤسسات عدائية للمجتمع المسلم، لزم التَّعامل مَعهُم بحزم حسب ما تقتضيه المصلحة، وهذه القاعدة قد جاء ولله الحمد تفصيلُها في مَبحث بما يغْنِي عن تكراره هنا فآمل الرجوع إليه(٢).

---

(١) رواه البخاري، ك الفتن: ح (٧٠٩٩).

(٢) انظر مبحث مسجد الضرار: (١/ ٣٨٠)



ما يستفاد من القاعدة:

١. عدمُ إتاحَة الفُرصة لإقامة المنافقين مشاريعِهم التي يضارُّون بها المؤمنين.

٢. هدمُ كياناتهم ومؤسَّساتهم التي لا تمثل إلا أوكارًا تحاك فيهَا المؤامرات، وتُنسج فيها خيوط الإفساد في الأرض، فلا بُدَّ من تقويض أركانِها معنويًّا وحسيًّا بفضح خباياها وزواياها واجتثاثِها كما هدم النَّبيّ ﷺ مسجد الضرار.

٣. الحذر من أن تَخدعنا المسمَّيات البرَّاقَة واللافتات الأخَّاذة، التي ظاهرها الرحمة وباطنها والعياذ بالله سمٌ ناقع وبلاء عظيم... يسمونها بغير اسمها.

٤. إن كل قطاعات مؤسسات وجمعيات الضرار لا تخلو مِن:

أ) إلحَاق الضَّرر بالمؤمنين: ﴿مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾.

ب) نشر الكفر والصدُّ عَن سبيل الله: ﴿مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ [سورة التوبة: ١٠٧].

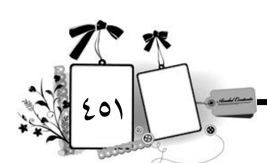
ج) تحاك فيها المؤمرات ويبرم في دهاليزها المكر الكبَّار: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة التوبة: ١٠٧].

د) اتخاذها مواقع لِرصد تحرُّكات المسلمين والتجسُّس عليهم، وفي الوقت ذاتِه هي محلٌ لتجهيز كتائبهم وبث سراياهم.

هـ) والغاية كسر شوكة الصفِّ الإِسْلامي وتشتيت شَمله: ﴿وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة التوبة: ١٠٧].

٥. وكما أن لمسجد الضرار إمامه الذي يصلي بهم، فكَذلك مساجد الضِّرار لها أئِمَّة شر وزعامات ضلالة وقيادات إجرام هم عقلياتها المخططة ومرجعياتها الماكرة.

٦. القائمون علىٰ مَساجد الضِّرار يحرصون علىٰ إضفَاءِ الشَّرعيَّة عليها، فقد قال المنافقون في الزمن الأول للنبي ﷺ وهو يتجهز لغَزوَة تبوك: يَا رسول الله،



قد بنينا مسجدًا لذي الحاجة والعلة والليلة المطيرةِ، ونُحبُّ أن تصلي لنا فيه وتدعو بالبركة -وإنَّما أرادوا بذلك الاحتجاج بصلاتهِ فيهِ على تقريره وإثباته، فعصَمه الله من الصَّلاة فيه- فقَّال النَّبيّ ﷺ: «إِنِّي عَلَىٰ جَنَاحِ سَفَرٍ، فَلَوْ قَدْ رَجَعْنَا إِنْ شَاءَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَتَيْنَاكُمْ فَصَلَّيْنَا لَكُمْ فِيهِ»(١)، فلما انصرَفَ من تبوك أتَوه وقَد فرغوا مِنه وصلوا فيهِ الجُمعة والسبت والأحد، فدعا بقميصه ليَلبَسَه ويأتِيهم فنزل عليه القرآن بخبر مسجِد الضرار(٢).

ثم إنه ﷺ بعد ذلك أمر جماعة مِن الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فقال: «انْطَلِقُوا إِلَىٰ هَذَا المَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ فَاهْدِمُوهُ وَأَحْرِقُوهُ»، فخَرجوا مسْرعين فأحْرَقوا المسجد وهَدَموه(٣).

فليحذر العلماء والدُّعاة أن يُخدعوا بدعْوَتهم إلي مساجد الضِّرار ليكونوا ضُيوف شَرف في افتتاحها، أو أعضاء في مَجالس إدارتها، أو من المُشاركين في ملتَقياتها ومَنَاشطها، وهذا منهج قرآني:(٤) ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [سورة التوبة: ١٠٨].

---

(١) ينظر «دلائل النبوة»، للبيهقي: (٥/ ٢٥٩) (٢٠٠٣).

(٢) هذه الرواية ضعفها الألباني في «فقه السيرة»، ح: (٤١٥).

(٣) رواه ابن إسحاق معلقًا، ورواه ابن أبي حاتم، وابن المنذر، وابن مردويه، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وسعيد بن جبير وقتادة. وانظر «الدر المنثور»: (٣/ ٢٧٦-٢٧٧)، ورواه الطبراي في «تفسيره»: (١١/ ٢٣)، ولم يصرح ابن إسحاق عنده بالسماع، ورواه البيهقي في «الدلائل»: (٥/ ٢٦٢-٢٦٣)، من غير طريق ابن إسحاق بسند منقطع فيكون ضعيفًا. انظر «السيرة النبوية»، لابن هشام: (٤/ ٢٣٦)، وقد ضعَّف الشيخ الألباني قصة إحراق وهدم مسجد الضرار في «فقه السيرة»: (صـ ٤٤٨)، وكذلك ضعفها محققا «السيرة النبوية» لابن هشام مع شرح أبي ذر الخشني، (٤/ ٢٣٦).

(٤) انظر مبحثًا مستقلًّا عن مسجد الضرار: (صـــ: ٣٠٤).

القاعدة الثالثة: إلزامهم التحاكم إلى شرع الله عَزَّوَجَلَّ.

إنَّ مِن أعظَم خصائِصِ المُنافقين عدمُ تحاكمهم إِلَى شرع الله، وإعراضُهم عنه إلا في حالٍ وَاحدة، إذا كان الحق لهم، قال تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ٤٨ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ٤٩ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [سورة النور: ٤٨-٥٠].

ويقول شيخ الإِسْلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ مَن تَولى عَن طاعةِ الرَّسول وأعْرض عن حُكمه فهو من المُنافقين، ولَيس بِمؤمن، وإن المُؤمن هُو الذي يَقُول سَمعْنا وأطَعْنا، فإذا كان النفاق يُثبت والإيمان يزولُ بِمجرد الإعرَاض عَن حكم الرَّسول وإرادة التَّحاكم إلى غيره -مَع أن هذا ترك محَض، وقد يكون سببه قوَّة الشهوة- فكيفَ بالتَّنقُّص والسَّب ونَحوه»(١).

فتأمل هذا الاستنباط من شيخ الإِسْلام؛ حيثُ بيَّن أنَّ الإيمانَ يَزول بمجرَّد الإعراض عن حُكم الرسول ﷺ، ولو لم يقترن ذلك بتكذيب أو استحْلال، وأكَّد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عدم اقترانه بِشيءٍ من ذلك بقوله: «مع أنَّ هذا ترك محض، وقد يكون سببه قوَّة الشهوة»؛ أي: هذا الإعراض تركٌ محض ربَّما بسبب شهوة وضعف وليسَ استحلالًا، فكيف بمن زاد على هذا الإعراض بسنِّ القوانين المخالفة لشَرع الله ورضي بها، وربَّما ألزم الناس بالتحاكم إليها، وحماها وحارب من يعارضها؟ ويقول: والإنسان متى حلل الحرام -المجمع عليه- أو حرم الحلال -المجمع عليه- أو بدَّل الشرع -المجمع عليه- كان كافرًا مرتدًّا باتفاق الفقهاء(٢).

ولقد يسَّر الله أن بُسط الحديث عن تَحاكم المنافقين إلى الطاغوت، وتنائيهم عن

---

(١) ينظر «الصارم المسلول»: (ص: ٣٩)، و«مختصر الصواعق»: (٢/ ٣٥٣).

(٢) «مجموع الفتاوى»: (٣/ ٢٦٧).



التقاضي إلى حكم الله وحكم رسوله ﷺ(١).

قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [سورة النساء: ٦٥].

يقول ابن كثير في تفسير هَذِه الآية: «يُقسِم تَعالىٰ بنفسِه الكريمة المقَدَّسة أنَّه لا يؤمن أحد حتىٰ يحكِّم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحَقُّ الذي يجب الانقياد له ظاهرًا وباطنًا»(٢).

ويقول ابن القيم عن هذه الآية: «أقسَم –سُبحانَه– بنفْسِه المقدَّسة قسمًا مؤكدًا بالنَّفي قبله علىٰ عَدم إيمان الخَلق حتىٰ يُحكِّموا رسوله ﷺ في كُلِّ ما شجر بينهم من الأصُول والفروع، وأحكام الشَّرع وأحكام المعاد، ولم يُثبت لهم الإيمان بِمجرد هذا التَّحكيم حتىٰ ينتفي عنهُم الحرج وهو ضيق الصدر، وتَنشَرح صدورهم لحكمِه كل الانشراح، وتقبَله كل القبول، ولم يُثبت لهم الإيمان بذلك أيضًا حتىٰ ينضَاف إليه مقابلة حُكمه بالرضى والتسليم، وعدم المنازعة، وانتفاء المعارضة والاعتراض»(٣).

كما أنَّ الحكم بما أنزل الله –تَعالىٰ– هو تحقيقٌ للرضا بمحمد ﷺ رسولًا ونبيًا، ولذا يقول ابن القيم: «وأمَّا الرضى بنبيه رسولًا ﷺ: فيتَضمَّن كمال الانقياد لَه، والتسليم المطلق إليه، بحيثُ يكون أولىٰ به من نَفسه، فلا يتلقىٰ الهُدىٰ إلا من مواقع كلماته، ولا يُحاكم إلا إليه، ولا يَحكم عليه غيره، ولا يرْضى بحكم غيرِه ألبَتَّة، لا في شيء من أسماء الرب وصفاته وأفعاله، ولا في شَيء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته، ولا في شيء من أحكام ظاهره، وباطنه، ولا يرضى في ذلك

(١) انظر (١/ ٤٢١)، و(١/ ٤٣٨).

(٢) «تفسير ابن كثير»: (٣/ ٢١١).

(٣) «التبيان في أقسام القرآن»: (٢٧٠).



بحكْمِ غيره، ولا يرضى إلا بحكمِه»(١).

فهذه الآيات تخبر عن صفَات أهل النفاق، وتحذر من سُلوك سبيلهم الذي يُؤدي إلى الكفر بالله، والخُروج من دينه بالكلية، والتعرُّض لعقابه وأليم عذَابه يوم القيامة، فالمنافق إذا دعي إلى الهدى والحق الذي أنزله الله على عبده ورسوله محمد ﷺ، أبى واستكبر وأعرض عنه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [سورة النساء: ٦١]، أي: يُعرضون عنك إعراضًا كالمستكبِرين عن ذلك(٢)، ومَع هذا الإعراض والاستكبار عَن دين الله عَزَّوَجَلَّ فإن هَؤُلاءِ المنافقين: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [سورة النور: ٤٩]، أي: إذا كانت الحكومة لهم لا عَليهِم جاءوا سامعين طائعين(٣).

فهَؤُلاءِ: لا يَخرج أمرهم عن أن يَكون في قُلوبهم مرضٌ لازمٌ لها، أو قد عرض لهَا شَكٌّ في الدين، أو يخافوا أن يجورَ الله ورسوله ﷺ عليهم في الحُكم، وأيًّا ما كان فهو كفر محض، والله عليم بكل منهم وما هو منطوٍ عليه من هَذه الصفات(٤).

هذا الفريق الذي كان يدَّعي الإيمان، ثُمَّ يَسلك هذا السلوك الُملتوي، إنَّما هُو أنموذج للمُنافقين في كلِّ زَمان ومكان، الُمنافقون الذين لا يَجرؤون على الجَهر بِكلمة الكُفر، فيتظاهرون بالإِسْلام ولَكنَّهم لا يرضون أن تَقضي بينهم شريعَةُ الله، فإذا دُعوا إلى حكم الله ورسوله ﷺ أبوا وأعْرَضوا وانتحلوا المعاذير: ﴿قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا﴾ [سورة التوبة: ٥٠]، فما يستقيم الإيمان وإباء حُكم الله ورسوله ﷺ،

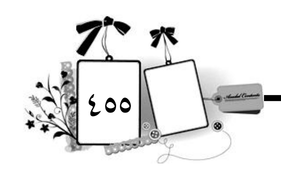
---

(١) «مدارج السالكين»: (٢/ ١٧٢ ـ ١٧٣).

(٢) «تفسير ابن كثير»: (١/ ٥٦٩).

(٣) «تفسير ابن كثير»: (٣/ ٣٢٨).

(٤) «تفسير ابن كثير»: ٣/ ٣٢٨.)



إلا أن تكُون لهم مصلحَةٌ في أن يتحاكموا إلىٰ شريعة الله.

إن الرِّضى بحكْمِ الله ورسوله ﷺ هو دليلُ الإيمان الحقِّ، وهو المَظهر الذي يُنبيء عن استقرار حقيقة الإيمان في القلْبِ، وهو الأدب الوَاجبُ مَع الله ومع رسوله ﷺ، ومَا يرفض حكم الله وحُكمَ رسوله ﷺ إلا سَيء الأدَبِ مُعتم، لم يتَأدبَّ بأدَب الإِسْلام ولم يشرق قلبه بنور الإيمان(١).

فكما يُعامل المنافقون بَحسبِ ظَاهرهم وهُو الإِسْلام، كذَلك يحاكمون ويُقضىٰ بينهم بشَرعِ الله تعالىٰ في سَائر أحوالهم وشؤونهم، وقد ابتُلِيَ العَالم الإِسْلامي إلا مَا رحم الله بتسلُّط هَؤُلاءِ المنافقين الذين استبْدَلوا الشريعة بالأحْكَام الوضعية والقوانين الغربية، وجعلُوهَا مرجعية القضَاء والتحاكم كالقَانون الفرنسي أو الأمريكي أو البريطاني أو غيرها من مذاهب الكفار، وأي كفر فوق هَذا الكفر؟ وأية مناقضة للشهادة بأن محمدًا رسول الله ﷺ بعد هذه المناقضة:(٢) ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة المائدة: ٥٠].

يقول الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فانظُرُوا إلىٰ ما فعل بنَا أعدَاؤنا المُبشرون المستعْمِرون! لعبوا بِديننا وضَربوا علينا قوانين وثَنيَّة ملعونة مجرمة، نسخُوا بها حكم الله وحكم رسوله ﷺ، ثم ربُّوا فينا ناسًا ينتَسِبون إلينا أُشربوا في قلوبهم بُغض هذا الحُكم، ووضعوا علىٰ ألسنَتِهم كلمة الكفر؛ زاعِمين أن هذا حكم قاس –يقصد حد السرقة– لا يناسب هذا العصرَ المَاجن عصر المدنية المتهتكة! وجَعَلوا هذا الحكم موضع سُخريتهم وتندرهم، فكَان عن هذا أن امتلأت السُّجون في بلادنا وحدها بمئَات الألوف من اللُّصوص، وبما وضَعوا في القوانين من

---

(١) «في ظلال القرآن»: (٥/ ٢٥٢٦). بتصرف يسير.

(٢) «تحكيم القوانين»: ص (٥)، للشيخ محمد بن إبراهيم.

عقوبات للسَّرقة ليست برادعة ولن تكون أبدًا رادعة، ولن تكون أبدًا علاجًا لهذا الداء المستشري»(١)..

وقد نشأت في عَالمِنَا الإِسّلامي عددٌ مِن المحاكم التي لا صِلَة لها بالشرع كالمحاكم العالمِيَّة والعَسكرية والتجارية والجنائية والقُنصُلية وغيرها... قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [سورة النساء: ٦٠-٦١].

ما يستفاد من القاعدة:

١. قال شَيخُ الإِسّلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ مَن تولى عن طاعَةِ الرَّسول ﷺ وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن»(٢).

٢. من صفات المنافقين الإعراض عَن التَّحاكم إلى شرع الله: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [سورة النور: ٤٩].

٣. ولئن كان هذا شأن المنافقين، فإن تَحكِيم غيرِ شَرع الله يُصبح هو السِّمة البارزَةُ آخر الزَّمان إلا ما رحم الله، فعَن أبي أمامة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُول الله ﷺ: «لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الإِسّلام عُرْوَةً عُرْوَةً، فَكُلَّمَا نُقِضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالتِي تَلِيهَا، فَأَوَّلُهُنَّ نَقْضًا الحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ»(٣).

---

(١) مجلة «البيان»: عدد (٢٣٨): صـ (٨٤).

(٢) «الصارم المسلول»: (٣٩)، و«مختصر الصواعق»: (٢/ ٣٥٣).

(٣) أخرجه أحمد برقم: (٢٢٢١٤)، وابن حبان برقم: (٦٧١٥)، والطبراني برقم: (٧٤٨٦)، والحاكم برقم: (٧٠٢٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»: برقم (٥٠٧٥).



وأصبح التَّحكيم والتحاكم للقانون الفرنسي والبريطاني وغيرهِما من القوانين الوضعية: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [سورة المائدة: ٥٠].

وقد ابتليت الأُمَّة في عدَدٍ مِن أقطارها بنَماذِج ورُموز قبِلُوا القَوانين الوضْعِية واستوردوهَا وحكَّموها في حياة النَّاس، حتَّىٰ استَحال عند كثيرٍ مِنهم الرجوعُ إلىٰ حُكم الشرع؛ أمثال كمال أتاتورك الذي يَقُول عنه أرمسترونج أنه: (كانَ ولوعًا بالأحاديث الخليعة والإفراط في الشَّراب، والمغامرات الماجنة واللَّيالي الحمراء في رفقة النساء). اهـ.

(ولقد استطاع أن يُحقِّقَ للصُّهيونية العالميَّة خُطتَها في السيطرة بإلغاء الخِلافة والوجهة الإِسْلامية والحروف العربِيَّة، والشريعة والمواريث والأوقاف والتَّعليم الديني وإسقاط الخلافة الإِسْلامية)(١).

أما علي عبد الرَّزاق الذي أصدر كتابه «الإِسْلام وأصُول الحُكم»، فقد أحْدَث «ثلمة» في الإِسْلام سيظَلُّ يَحمل وزرها أمدًا طويلًا، فلأول مرَّة يجرؤ عالم أزهري مُسلم علىٰ القول بأنَّ الإِسْلام دين روحي، وأنَّه لا صلة له بنظام الحُكم مهما كان سياق الدعوة أو ظروفها السياسية(٢)، ثم تَوالت بعد ذلك حلقات تحكيم القوانين الوضعية في بقية الدول العربية وغيرها.

---

(١) مجلة «الجامعة الإِسْلامية»: (٣٢/ ٣).

(٢) مجلة «الجامعة الإِسْلامية»: (١١/ ٤١٤)، ولمزيد اطلاع ينظر «الحكم بغير ما أنزل الله»، للشيخ عبدالرحمن المحمود، ورسالة «تحكيم القوانين»، للشيخ محمد بن إبراهيم. ومن أحسن الكتب التي ردت علىٰ كتاب علىٰ عبدالرزاق كتابان: «نقض الإِسْلام وأصول الحكم»، من تصنيف الشيخ محمد الخضر حسين، و«حقيقة الإِسْلام أصول الحكم»، وهو من تصنيف الشيخ محمد بخيت المطيعي أحد كبار علماء الأزهر، مفتي الديار المصرية.

القاعدة الرابعة: إجراء الأحكام على ظواهرهم ووكل سرائرهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما سِيرته في المُنافقين؛ فإنَّه أُمر أن يَقبل منهُم علانيتهم ويكِلُ سرائرهم إلى الله، وأن يُجاهدهم بالعلم والحُجَّة، وأُمر أن يُعرض عنهم ويغلظ عليهم، وأن يَبْلَغَ بالقول البَليغ إلى نفوسهم[١]، وشَاهد هذا المعنى أنَّه ﷺ قبل أعذارهم وصلّى على زعيمهم لما مات».

وقد تم إيضاح هذه القاعدة ومحترزاتها في التمهيد الذي في مقدمة هذه القواعد[٢].

ما يستفاد من القاعدة:

١- لا نملك إذا صلَّى المُنافقون صلاتنا وصاموا شَهرنا وكانوا معنا في عَدد من العبادات والطَّاعات إلا أن نُجري أحكام الشريعة على ظوَاهرهم، ونكل خبايا نفوسهم وسرائر ضمائرهم إلى الله تعالى... فقد جَرى الحكم بدفنِهم في مَقابر المسلمين ونحو ذلك مما كان على عهد النَّبيّ ﷺ وخلفائه الراشدين... الخ، وإن كانوا في حَقيقة أمرهم في الدَّرك الأسفل من النار، لِحديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا؛ فَذَلِكَ المُسْلِمُ الذِي لَهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخْفِرُوا اللهَ فِي ذِمَّتِهِ»[٣].

٢- والقاعدة العظيمة في هذا الباب هي ما نصَّ عليهَا ابن القيم بقوله: «**أحكامُ الدُّنيا على الإِسْلام، وأحكامُ الآخِرة عَلى الإيمان**»[٤].

---

(١) «زاد المعاد»: (٢/ ٨٢).

(٢) للأهمية يُرجى الرجوع إلى «التمهيد»: (ص:)

(٣) رواه البخاري ومسلم، وقد سبق تخريجه: (صـ:٤١١).

(٤) ينظر «إعلام الموقعين»: (٤/ ٥٤٢)، لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

قال الإمامُ الشافعي: «قَد عَلِم رَسُول الله ﷺ أنَّ المُنافقين كَاذبون وحَقن دماءهم بالظاهر»(١).

٣- وهنا فائدة يجِبُ الأخذ بها: أنَّ الظَّاهر يَكون دليلًا صحيحًا إذا لم يَثبت في الباطن خلافه، لأنَّه إذا استبَان وظهر ما كان من نفَاق باطنه المخرج من الملَّة فلا اعتبار لِظاهره المزيَّف، والدَّليل أن النَّبيّ ﷺ أمر بهدم مسجِد الضرار وإحراقِ دَار اليهودي الذي كان يجتمع فيه المنافقون بمن فيه(٢).

وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [سورة التوبة: ٨٣].

~~~

(١) «الأم»، للشافعي: (٤/ ٢٦٤).

(٢) مع أن كلًا من القصتين لم يأت فيها رواية صحيحة بل حكم الشيخ الألباني وغيره بضعفها.
~~~

المبحث الثاني

الشؤون المالية

القاعدة الخامسة: تأليف قلوب من يُرجى إسلامه أو كان له شأن في قومه.

استخدم رسولُ الله ﷺ المال لتألِيفِ قُلوب بعض المنافِقين، خاصَّةً مَن كان سبب دخوله في الإِسْلام حُب المَال أو الخوف من الإِسْلام وكراهِيته، سواء من الزكاة أو غَيرها من موارد بيت المال كالفيء والغنيمة(١).

قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [سورة التوبة: ٥٨].

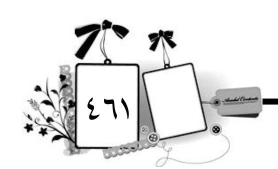
فقد أعطى رسول الله ﷺ بعْضًا من المنافقين(٢)، وترك بَعضًا، يتألف من يرى المصْلَحة في تألفه(٣).

---

(١) قال شيخ الإِسْلام ابن تيمية: لكن يجوز -بل يجب- الإعطاء لتأليف من يحتاج إلى تأليف قلبه، «السياسة الشرعية»: ص (٤٣).

(٢) سواء كان هذا العطاء من الخمس أو من أصل الغنيمة، وعلى القول بأنه من أصل الغنيمة يكون تُصرّف النَّبيّ ﷺ في توزيع الغنائم مبنيًا على مراعاته مصلحة الإِسْلام آنذاك، فهذا الحادث من باب السياسة الشرعية للأمر العارض. «المنافقون في القرآن»، للحميدي: (٣٥٨).

(٣) **مسألة صرف المال للمؤلفة قلوبهم:** اختلف أهل العلم في وجود المؤلفة قلوبهم بعد النَّبيّ ﷺ من عدمها على قولين: الراجح منهما بقاؤهم، قال الإمام الطبري: والصواب من القول في ذلك عندي، أن الله جعل الصدقة في معنيين أحدهما: سدُّ خلة المسلمين والآخر معونة الإِسْلام وتقويته، فما كان في معونة الإِسْلام وتقوية أسبابه فإنه يعطاه الغني والفقير لأنه لا يعطاه من يعطاه بالحاجة منه إليه، وإنما يعطاه معونة للدين، وكذلك كما يعطى الذي يعطاه في الجهاد في سبيل الله فإنه يعطى ذلك غنيًا أو فقيرًا للغزو لا لسد خلته، وكذلك المؤلفة قلوبهم يعطون ذلك =



= وإن كانوا أغنياء استصلاحًا بإعطائموه أمرَ الإِسْلام، وطلبَ تقويته وتأييده وقد أعطى النَّبيّ ﷺ من أعطى من المؤلفة قلوبهم بعد أن فتح الله عليه الفتوح وفشا الإِسْلام وعزَّ أهله، فلا حجة لمحتج بأن يقول: لا يُتألفُ اليوم على الإِسْلام أحد، لامتناع أهله بكثرة العدد ممن أرادهم، وقد أعطى النَّبيّ ﷺ من أعطى منهم في الحال التي وصفت. «جامع البيان»: (١١/ ٥٢٣).

وقال ابن رشيد: وأما المسألة الثانية: فهل حق المؤلفة قلوبهم باق إلى اليوم، أم لا؟ فقال مالك: لا مؤلفة اليوم: وقال الشافعي وأبو حنيفة: بل حق المؤلفة باق إلى اليوم إذا رأى الإمام ذلك، وهم الذين يتألفهم الإمام على الإِسْلام.

وسبب اختلافهم: هل كان ذلك خاص بالنَّبيّ ﷺ أو عام له ولسائر الأمة؟ والأظهر أنه عام، وهل يجوز ذلك للإمام في كل أحواله أو في حال دون حال؟ أعني في حال الضعف لا في حال القوة، ولذلك قال مالك: لا حاجة إلى المؤلفة الآن لقوة الإِسْلام، وهذا كما قلنا التفات منه إلى المصالح. «بداية المجتهد»: ص (٢١٩)، ت عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت ط الأولى ١٤٢٤هـ.

ولعل ما ذكره الصحابة كعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إنما هو تطبيق لا تأسيس لحكم أي أن هذه المسألة سياسية يُحكم فيها بحسب الأحوال والأزمان، ولعل هذا يكشف لنا سببًا من أسباب الخلاف الفقهي، والله أعلم.

ويُنظر «الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام»، للقرافي في جوابه على السؤال السادس والثلاثين: (ص ٨٦). وهناك بحث جيد للشيخ: عبد الله بن منيع حول المؤلفة قلوبهم، سأُورد هنا أهم ما جاء فيه لأنه يُعّد خلاصة مفيدة بإذن الله.

١. المشهور من المذاهب الثلاثة الحنفي والمالكي والشافعي هو قولهم بانتهاء سهم المؤلفة قلوبهم على سبيل النسخ، وذلك لعزة الإِسْلام ومنعته وقوّة المسلمين وانتفاء العلة الموجبة لإعطائهم، قال الكاساني: وهو الصحيح لإجماع الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ على ذلك، فإن أبا بكر وعمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا ما أعطيا المؤلفة قلوبهم شيئًا من الصدقات ولم ينكر أحد من الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ.

٢. أن النسخ لإعطاء المؤلفة قلوبهم لم يثبت.

ثم نقل الشيخ ابن منيع كلام الدكتور محمد بن يوسف موسى:

أما مسألة المؤلفة قلوبهم فلنا أن نفهم أن الرسول ﷺ كان يعطيهم في حياته من الصدقات بقصد =

= إعزاز الإِسْلام لضعفه حينذاك، فجاء عمر ورأىٰ الدفع إليهم إشعارًا بأن الإِسْلام في حاجة إليهم، وفي هذا ما قد يضعف من حمية المسلمين واعتزازهم بأنفسهم دون من في قلوبهم دخل، فكان إعزاز الإِسْلام حينئذ في عدم إعطائهم شيئًا من الصدقات إذ لم يكن الأمر نسخًا من عمر لنص قرآني وإنما هو تقدير لما كان يقصده الرسول ﷺ وإن كان علىٰ وجه آخر يتفق مع ما صار إليه الإِسْلام والمسلمون من القوة والعزة.

«البيوع والمعاملات المالية»: (٢٠)، لمحمد بن يوسف بن موسىٰ.

٤. ثم رجح الشيخ ابن منيع فقال: وبناءً علىٰ أن حكم سهم المؤلفة قلوبهم محكم لم يتناوله نسخ البتة، وحيث أن المعنىٰ المقتضي للتأليف هو حاجة الإِسْلام والمسلمين إلىٰ الوقوف بجانبهم والتضامن معهم وشد أزر من أسلم حديثًا، أو لم يسلم إلا أنه مطاع في قومه ومجتمعه، فمتىٰ وجدت هذه الحاجة كان الحكم في إعطاء المؤلفة قلوبهم من الزكاة حكمًا قائمًا ومقتضيًا، ومتىٰ انتفت الحاجة إلىٰ ذلك كما حصل في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومن جاء بعده من الخلفاء والملوك انتفىٰ وجود من يستحق التأليف، أشبه انتفاء وجود فقراء أو مساكين أو ابن سبيل أو غيرهم ممن نصت آية الصدقة علىٰ حصرها فيهم، ولم يكن ذلك الانتفاء منهيًا لأحكام استحقاقهم في الزكاة متىٰ وجد الوصف المقتضي للاستحقاق.

ونظرًا إلىٰ أن المسلمين الآن متفرقون في أنحاء المعمورة، وهم يختلفون في بلدانهم قوة وضعفًا، وقد تمثل كل فئة منهم مجتمعًا إِسْلاميًّا مستقلًا له خصائصه ومزاياه قوة وضعفًا وسيادة وتسيدًا، فإن القول بقيام مقتضىٰ تأليف القلوب بصرف جزء من الزكاة لذلك المعنىٰ قول تقتضيه مصلحة المسلمين وواقع معايشهم لا سيما فيما بين كل مجتمع من المجتمعات الإِسْلامية.

ولهذا فإن حكم سهم المؤلفة قلوبهم من أهل الزكاة باق بقاء شريعة الله في أرضه يرتفع بارتفاع مقتضيه، وهو انتفاء الحاجة إلىٰ التأليف لقوة المسلمين وعزتهم وسمو مقامهم، ويبقىٰ ذلك الحكم ببقاء مقتضيه وموجبه، وهو الحاجة إلىٰ إعزاز المسلمين لوجود جوانب ضعف فيهم في أي بقعة من أرض الله عليها مسلمون.

والذي يظهر والله أعلم أن المنافقين علىٰ شقين أحدهما: رؤوس النفاق الذين بلغوا في الكيد والمكر والعداء والمحادَّة لله ورسوله ﷺ وللمؤمنين، وكان لهم في الشرِّ مضاء، فَهَؤُلاءِ لا يعطون من سهم المؤلفة قلوبهم دينارًا ولا درهمًا، بل الواجب مجاهدتهم والإغلاظ عليهم وردُّ شبهاتهم =

وذَكر الطَّبري عَن ابن زيد في الآية قَولَه: «هَؤُلاءِ المُنافقون قالوا: وَالله ما يُعطيها محَمَّد إلا من أحبَّ، ولا يؤثر بها إلا هواه، فَأَخبر اللهُ نبيه ﷺ، وأخبَرهُم أنَّه إنما جاءَت من الله، وأن هذا أمرٌ من الله وليس من مُحمدﷺ ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾ [سورة التوبة: ٦٠] الآية»(١).

وقد ورد في القرآن ذكر المؤلفة قلوبهم كمصرف خَاص مِن مَصارف الزكاة الثمانية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾ [سورة التوبة: ٦٠] الآية.

قال الإمام الطبري: «وأمَّا المُؤلَّفة قلوبهم فإنَّهم قوم كانوا يُتألفون عَلىٰ الإِسْلام ممَّن لم تصح نصرته استصلاحًا به نفسه وعشيرته»(٢)، وقال القرطبي: «لا ذكر للمُؤلَّفة قلوبهم في التنزيل في غير قِسم الصدقات، وهم قومٌ كَانوا في صدر الإِسْلام ممَّن يُظهر الإِسْلام فكانوا يُتألفون بدفع سهم من الصدقة إليهم لضعف يقينهم»(٣).

= وتحذير المسلمين من شرورهم.
والآخر: هم المنافقون الرعاع والدهماء الذين شأنهم شأن أنفسهم وأهليهم وحياطة أموالهم والسعي في إشباع رغباتهم المادية ونحو ذلك
فهَؤُلاءِ -والله أعلم- مما يحسن إعطاؤهم من سهم المؤلفة قلوبهم بعد دعوتهم وترغيبهم وتخويفهم لعلَّ الله أن يعطف بقلوبهم إلىٰ التوبة النصوح، والإقلاع عمَّا هم فيه.

(١) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»: (١١/ ٥٠٨)، من طريق يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: وأخرجه ابن أبي حاتم: (٦/ ١٨١٧)، من طريق أصبغ عن ابن زيد به (المحقق).

(٢) «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»: (١١/ ٥١٩).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي الفرقان»: (١٠/ ٢٦٢)، ت/ د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤٢٧هـ..

ما يستفاد من القاعدة:

١. حكم سهم المؤلفة قلوبهم لم يُنسخ، وهو باقٍ بقاء شريعة الله في أرضِه، يرتفعُ بِارتفاع مقتضيه ولازِمِه، وهو انتفاء الحاجة إلى التأليف لقوَّة المسلمين وعزَّتهم، ويبقى الحكم إذا كانت الحاجة داعية إلى ذلك.

٢. أما رؤوس النفاق الذين بلغُوا في الكَيد والمكر والصدِّ عَن دين الله والمحادَّة لله ولرسوله ﷺ وللمؤمنين مبلغًا كبيرًا، فلا يُعطون دينارًا ولا درهمًا، وأما رِعاع المنافقين ودهمَاؤهم الذين شأن أحدِهم لا يتجاوز إشبَاع رغباته من ملذات الدنيا، فهَؤُلاءِ -والله أعلم- يُعطون من سهم المؤلَّفة قُلوبهم ترغيبًا لهم في الإيمان، وتخويفًا لهم من عاقبة النفاق، وهذا كله يعود إلى نظر أهل الحل والعقد في الأمة.

القاعدة السادسة: تقسيم الغنائم بحسب الشرع دون النظر للمعترضين.

روى البخاري بسنده -في تَوزيع الغنائم يَوم حنين-، عَن أبي سعيد الخدري قال: بَينا النَّبيّ ﷺ يقسِّم، جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقَال: اعْدل يَا رسُول الله.

فقال: «وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟!»، قال عمر بن الخطاب: دعنِي أضرِب عنقه، قال ﷺ: «دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرِقُونَ مِنَ الدِّينِ[١] كَمَا يَمْرِقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ[٢]، ثُمَّ يَنْظُرُ إِلَى

---

(١) يمرقون من الدين: أي يخرجون منه، يقال لغة: مرق السهم من الرمية يمرق مروقًا، إذا اخترقها وخرج من الجانب الآخر في سرعة.

(٢) الرمية: الهدف والغرض الذي يرمي إليه السهم لإصابته، صيدًا كان أو غيره.



نَضِيِّهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيءٌ(١)، قَدْ سَبَقَ الفَرْثَ وَالدَّمَ(٢)، آيَتُهُمْ رَجُلٌ إِحْدَىٰ يَدَيهِ - أو قَالَ ثَدْيَيْهِ- مِثْلَ ثَدْيِ المَرْأَةِ، أو قَالَ: مِثْلَ البَضْعَةِ تَدَرْدَرُ(٣)، يَخْرُجُونَ عَلَىٰ حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ»(٤).

قال أبو سعيد: «أشْهَد سَمِعت مِن النَّبيّ ﷺ، وأشْهدُ أن عليًّا قَتلهم وأنا مَعَه، جِيء بالرَّجلِ علىٰ النعت الذي نَعَته النَّبيّ ﷺ، قال: فنزل قَولُه تعالىٰ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [سورة التوبة: ٥٨](٥)(٦)».

وقد ظهر هَؤُلاءِ القوم في خِلافة علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهُم القَوم الذين

---

(١) قوله ينظر في قذذه: قذذ جمع قذة وهي ريشة الطائر بعد تسويتها وإعدادها لتركَّب في السهم من جهة ذيله مع أشباهها، لحفظ توازن السهم عند انطلاقه. ثم ينظر إلىٰ نصله: السهم الحديدة الحادة التي توضع في رأس عوده.

وقوله ثم ينظر إلىٰ رصافه، رصاف: جمع رصفة وهي عصبة من الأوتار، ويقال لها عقبة تُلوىٰ فوق مدخل أسفل نصل السهم في عوده، وتشد لتثبيت النصل، وهذا القسم الأسفل من النصل يسمىٰ (سنخًا). ثم ينظر نضيّه: نضي السهم هو ما بين ريشه ونصله.

والمراد من هذا البيان التفصيلي أنه لم يعلق في السهم من الرمية التي هي الصيد شيء، لأنه مرق منها بسرعة فائقة، أي: لم يبق فيهم من الإِسْلام شيء..

(٢) سبق الفرث والدم: أي سبق السهم بسرعته أن يعلق به شيء من الحيوان الذي هو هدف الرامي لا شيء من فرثه ولا شيء من دمه..

(٣) مثل البضعة تدردر: البضعة أي قطعة من اللحم. تدردر: أي تترجح وتضطرب كما يترجرج ثدي المرأة.

(٤) رواه البخاري ك: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب من ترك قتال الخوارج للتألف ولئلا ينفر الناس عنه.. ح/ ٦٥٣٤..

(٥) رواه البخاري، ك المغازي، باب غَزوَة الطائف، ح: (٤٠٧٥).

(٦) «ظاهرة النفاق»: (٢/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩).

خَرجوا عليه وقاتلهم، واستأصَل مُعظمهم وقتل آيتَهم، أي: الرجل الذي كَان العلامة التي تَدلُّ عَليهم، ولما بحثوا عنه في القَتلىٰ وجدوا أنه علىٰ الوَصف الذي جاء في كلامِ الرَّسول ﷺ، ولما رآه علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كبَّر شكرًا لله، وسرورًا بأنهم الذين وصفهم الرسول ﷺ في حديثه، وإليكم تصوير الموقف:

عندما سَار النَّبيّ ﷺ لقتَال هَوازن وثَقيف يَوم حُنين كَان معه عددٌ مِن زعماء مكَّة وزُعماء القبائل العربية، وكان بَعضُهم قد آمن بالإِسْلام إيمانًا ضعيفًا، وبعضُهم لم يؤمن بعد، فلَمَّا نصر الله نبيه ﷺ علىٰ أعدائِه وظفر منهم بالغَنَائم العظيمة، أعطَىٰ عَددًا من وجوه بَعض القبائل العربِيَّة عطايا كبيرة يَتألفهم بذلك للإِسْلام.

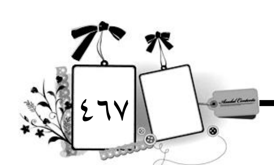
وقد ذكر ابن إسحاق عددًا أعْطاهم النَّبيّ ﷺ، فممَّن ذَكر من أشراف قريش: أبا سفيان بن حرب، وسُهيل بن عمرو، وصَفوان بن أمَيَّة، وممَّن أعطىٰ من زعماء القبائل العربية: عيينة بن حصن زعيم فَزارة، والأقرع بن حابس زعيم بنِي تميم، وعباس بن مرداس زعيم بن سليم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ جميعًا، أعطىٰ كل واحد منهم مائة من الإِبل، وأعطىٰ دون ذلك أناسًا آخرين (١).

ولم يعطِ رَسول الله ﷺ الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ شيئًا، فوجدوا في أنفسهم، كما أخرج الشيخان عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال: «لما أفاء الله علىٰ رسُوله ﷺ يوم حنين، قسَّم في الناس في المؤلفة قلُوبهم، ولم يعط الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ شيئًا، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس».

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بعثَ إلَىٰ النَّبيّ ﷺ بذهيبَة فَقسَّمها بَين أربعة»، وعنه أيضا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بعثَ عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو باليمَن إلىٰ النَّبيّ ﷺ

---

(١) «سيرة ابن هشام»: (٤/ ١٧٨ ـ ١٧٩).



بذهيبة[١] في تربتها فقَسَّمها بين الأقرع بن حابس الحنظلي، ثم أحد بني مجاشع، وبين عيينة بن بدر الفزاري، وبين علقمة بن علاثة العامري، ثمَّ أحَد بني كلاب، وبين زيد الخيل الطائي، ثم أحد بني نبهان.. فتغيَّظت قريش والأنصار فقَالوا: يعطيه صناديد أهل نَجد ويدعنا. قال: «إِنَّمَا أَتَأَلَّفُهُمْ»، فأقبل رجل غائر العَينين، ناتئ الجبين، كث اللِّحية، مشرف الوجْنَتين، محلوق الرأس، فقال: يا محمَد، اتق الله. فقال النَّبيّ ﷺ: «فَمَنْ يُطِيعُ اللهَ إِذَا عَصَيْتُ، فَيَأْمَنُنِي عَلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ وَلَا تَأْمَنُونِي»، فسأل رجل من القوم قَتلَه، أراه خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فمنعَه النَّبيّ ﷺ.

فلما ولى قال النَّبيّ ﷺ: «إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ[٢] هَذَا قَوْمًا يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرِقُونَ مِنَ الإِسْلام مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلام وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[٣].

فرسول الله ﷺ هنا ذَكر ما يَمنعه من اتِّخاذ ما يجازيهم به! من أنَّه يَخشى أن يتحدث النَّاس أن محمدًا ﷺ يقتلُ أصحابه، وذكر ﷺ أنه إن بقي ليقتلنهم قتلَ عاد، فهذه سياسته ﷺ تراعي المصالح والأحوالَ، وتَرصد لكل حال حكْمه وحكمَته، فالحكم هنا واضِح أن من شأنه التغير والتبديل تبعًا للحال والمصلحة.

وبعد هذا العرض يتبيَّن أنَّ سياسة توزيع المال وقسمَته يجب ألا تَكون خاضعة لأهْواء من يعترضونَ أو لسَبق من يتكلمون، وإنَّما مردُّ ذَلك إلى مصالح تراعى وأهداف ترتجى مع توخي العدل والإنصاف، ويا عجبًا كيف يعترض مثل هذا

---

(١) هي تصغير ذهب، وقيل: تصغير ذهبة على نية القطعة منها. «النهاية»، لابن الأثير: (١/ ٦١٦).

(٢) يريد أنه يخرج من عقبه ونسله. «النهاية»، لابن الأثير: (٢/ ٦٦).

(٣) البخاري، ك التوحيد، ب/ قول الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [سورة المعارج: ٤]، ح: (٧٤٣٢)، ومسلم بنحوه، ك الزكاة، ح: (٢٤٤٨).

على قسمة النَّبيّ ﷺ وهو عدل كله وبصرٌ وبصيرة، ناهيك عن كونه مسدَّد بالوحي صلوات ربي وسلامه عليه.

ما يستفاد من القاعدة:

١. سياسة توزيع المال يجب ألا تكون خاضِعَة لأهوَاء المُعترضين أو الانتهازِيين، وإنَّما مردَّ ذلكَ إلى مصالح تراعى تَخدم الإِسْلام وأهلَه مع توخي العدل والإنصاف.

٢. في قصة ذي الخويصرة معْجِزة من معجِزات النَّبيّ ﷺ وصدق نبوته.

٣. مراعاة النَّبيّ ﷺ لمصلَحَة الإِسْلام العامَّة ألا يتحدث الناس أن محمدًا ﷺ يقتل أصحابه.

القاعدة السابعة: عدم قبول إسهامات المنافقين في المشاريع الخيرية.

المجتمع المسلم مجتمع مبني على التآخي والتآزر بَين أفراده، يُعين فيه القويُ الضعيفَ ويواسي فيه الغنيُ الفَقير، وبالتالي فإنَّ ثَروة الغنى -في حَقيقة الأمْر- لَم تعد ملكًا له وحدَه بل أصبح لمجتمعه نصيبٌ مِنها -برضا نَفس وطيب خاطِر- فَهو يُنفق في سبل الخير المتعددة، ويدعم جِهاد إخوانه المسلمين أينما كانوا، ويصل به إلى ذوي الفقر والعوز والحاجة.

ولئن كانَ هَذا العمل فيه نفْع عظيم للفقراءِ والُمحتاجين، وكذا للمشروعات الخيريَّة في المجتمع المسلم، إلا أنَّ فيهِ أيضًا إسعادًا للغني وصاحب المَال، وإشعارًا له بأنه جزء لا يتجزأ عن مجتمعه وأمته، وبالتَّالي فإنه يقف منتظرًا ثواب الله له على أعماله التي قصد بها وجهه ونفع بها عباده، فيعيشُ -نتيجَة لذَلِك- في سَعادة وهناء بمالِه الذي أشعره بِعمق الانتماء إلى قَومه، مستشعرًا قوله تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ﴾ [سورة القصص: ٧٧]، وقول النَّبيّ ﷺ: «إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ عَنْ أَهْلِهَا

حَرَّ القُبُورِ، وَإِنَّمَا يَسْتَظِلُّ الْمُؤْمِنُ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ»(١).

ولا ريب أن المنافق يتمنَّىٰ -في حَالات كثِيرة- أن يَكون من أهل العون والنَّجدة والبَذل والإنفاق في المُجتمع، وأن يتصَدَّر اسمه المجالس، ويطرق الأسماع مقترنًا بمدحه والثناء عليه، واعتباره من أفاضِل المؤمنين وأخيارهم، فإنَّ ذَلك سيخدم هدفَه الذي نافق لأجله، وسيمعن في إخفاء ما يكنُّ صَدره عَن الناس، لكن المنافق يصطدم عِند رغبته في تحقيق مراده -من بَذل المال وإنفاقه في سَبيل الخير- بشيئين هما:

١. البخل والشح المتَأصِّلان في نفسه: ﴿أَشِحَّةً﴾، فطمع الدنيا وحبُّ المَال ممَّا ينازعه في عدم البذل والنفقة.

٢. النصُّ القُرآني القاطع الذي يخبرُ بِعدم قبول نفقاتهم عندَ الله تعالىٰ لمَا يعلمه سبحانه من كفرهم به وبرسوله ﷺ ولخبثِ مَقصدهم، وسوء نيَّتهم الدافعة لهم علىٰ الإنفاق والعطاء.

من أجل ذلك سيشْعُر المنافق بأنَّه قَد أُلحق بالكافرين حتَّىٰ في هذا المجال الذي تَحصُل منه الفائدة لأهل الإسْلام، فكما أن الله تعالىٰ قال عن الكافرين: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [سورة الفرقان: ٢٣]، فأبطلَ أعمالهَم وجعلها هباءً، فكذلك كَان الحال مع المنافقين من حيث عدم قبول عَمله ونفقته وحرمانه الأجر والمَثوبَة عليها؛ لعدم توفر شرط الإخلاص فيها، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير»: (١٧/ ٢٨٦) (٧٨٨)، عن عقبة بن عامر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. انظر «السلسلة الصحيحة»: (٣٤٨٤).

وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾ [سورة التوبة: ٥٣-٥٤]، فمهما أنفق المُنافق طائعًا أو مكرهًا فنفقتُه مردودة عليه، ولن يستفيد مِنها عند الله شيئًا، فهو عَمل غير صالح، كما أنه لن يستفيدَ مِنها عند المسلمين في إبراز نفسِه وكسب رضا النَّاس؛ لأن الله سيُظهر أمره، ويكشف دواخلَهم ويفضح نفاقه، وقد جاء في الحديث الصحيح: «إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»(١).

وبذلك فإنَّ كُلَّ مُساهمة يقدموها فهي مَردودة عليه، مما يُشعره بالغُربة ورفض المجتمع له، واعتباره نبتَة خبيثة منبوذة علىٰ قَارعة الطريق.

هذا التعامل مع المنافقين الذي جاء به المَنهج القرآني، يُضيِّق الخِناق عليهم، ويجعل كل ذي بقية قَلب منهم يُراجع حساباته ويتساءل مع نفْسه عن حاله ومآله، مما يرجىٰ معه أن يعود تائبًا إلىٰ خالقه وبارئه.

وهذا هو المقصودُ الأكبر الذي نلمِسُه من أسلوب القرآن الكريم ومنهجه في التعامل مع المنافقين، إنَّه الزجر والوعظ الذي يدفع كلَّ مَن بقي في قلبه بصيص من الإيمان إلىٰ مراجعة النفس، والعدول عن هذا المسلك الخبيث(٢).

والمنافق إن أنفق طواعية فتقية، وإن أنفق كرهًا فخوف العُقوبة، وفي كلا الحالين لن يُقبل منه، ما دامَ علىٰ شكٍّ ممَّا جاء به رسول الله ﷺ من أمر الدين(٣).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، حديث رقم: (٦٥). وأخرجه الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة البقرة، حديث رقم: (٢٩٨٩)، وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٨)، وأخرجه الدارمي في «سننه»، كتاب الرقاق، باب في أكل الطيب، حديث رقم: (٢٧١٧).

(٢) هذه القاعدة استفدتها من رسالة «دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة»، د/ عادل الشدِّي من: (٣٤٠ ـ ٣٤٢).

(٣) «تفسير المنار»: (١٠/ ٤١٥).



وهل المنافق لا تقبل منه نفقة بإطلاق؟.

الظاهرُ -والله أعلم- أن مردَّ ذلكَ إلىٰ المصلحة المقدَّرة والمعتبرة؛ لأنَ مُقتضىٰ إجراء أحكام الشريعة عليهم كما الشَّأن مع المسلمين أن تُقبل نفقاتهم وتؤخذ منهم زكاتُهم، إلا أن يُوجد مانع خاص في شأن بعضهم(١).

﴿قُلْ أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة التوبة: ٥٣-٥٤]، في هَذه الآية يُعلِّم الله رسوله ﷺ وكُل مؤمن كَيف يغيظون المُنافقين في شأن النَّفقات الإِسْلامية التِي ينفقونها مضطرِّين كارهين، لستر نفقاتهم ببذلها كما يبذلها أهل الإيمان وهي قسمان:

القسم الأوَّل: النفقات الوَاجبة التي تؤخذ منهم بِسلطان الدولة الإِسْلامية؛ كالزَّكاة وهذه يبذلونها أو تؤخَذ منهم علىٰ سبيل الإكراه.

القسم الثاني: النفقَات غير الواجبة التي يَبذلونَها طائعين كما يبذُل المؤمنون الصادقون، ولكنهم لا يبذلونها إيمانًا مُحتسبين عند الله أجرهم عليها، بل يبذلونها تقية وَليحققوا ببذلها مصالح لهم عند الرسول ﷺ أو جماعة المؤمنين، كالمَعونات التي يقدِّمونها للجهاد في سبيلِ الله، وكالصدقات التي يُندب المسلمون لبذلها من أجل الفقراء والمساكين أو المصالح العامة.

وإغاظة المنافقين بشأن ما ينفقون مِن أمْوال طَائعين أو مكرهين، تكون بإعلامهم أنها تؤخذ منهم بحسب ظاهر إِسْلامهم، ثم لا تكون لها ثمرة عند الله، لأن الله لا يقبلها منهم، ولا يُثيبهم عليها.

---

(١) «تفسير المنار»: (١٠/ ٤١٥).

قال شيخ الإِسْلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ التَّوحيد هو المصحِّح للأعمال، فمَن كان من أهل التَّوحيد صحَّت أعماله وقُبلت، ومن كان من أهلِ النِّفاق والكفر بَطلت أعماله ورُدَّت، فأي موحِّد أخلص عمله قُبل مِنه ولو كان عاصيًا، فالعَاصي نقول له: صَلاتك صحيحة، أو زَكاتك صحيحة، ولو كان عندَه بعض المعَاصي، كعقوق الوالِدَين أو قطيعة الرحم، أو شُرب الخمر أو الدخان، أو حَلق اللحية، فهذه المعاصي لا تمنَع من قبول عباداته إذا كان موحدًا.

لكن الكافر لا يُقبل منه أي عمل؛ لأنَّه ليس عنده توحيد، بل أشركَ بالله، فلا تقبل عباداته؛ لأن المصحح للأعمال كلها هو التوحيد، والمُبطل للأعمال كلها هو الشرك والكفر، ولهذا بين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سبب عدَم قَبول الصلاة والزكاة فقال: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ [سورة التوبة: ٥٤]، فهَذا هو المانع المُبطل لأعمالهم، وفي هذا تَحذيرٌ للمُؤمن من أن يتَّصف بِصفات المنافقين، فإن إتيَان الصلاة عن كسل، والإنفاق مع الإكراه وصف نفاق، والمُؤمن ينفق مع النشاط والطواعية وانشراح الصدر، لا كارهًا متبرمًا، بخلاف المنافق؛ لأنه ليس عنده إيمان»(١).

ما يستفاد من القاعدة:

١. الأصلُ في المنافقين الشُّحُّ والبخل ولمز المطوِّعين من المؤمنين في الصدقات.

٢. عدم قبول نَفقات المنافقين إن هُم أنفقوا؛ لأن الله يعلم سبحانه فَساد طويتهم وخبث سريرتهم، فلن يستفيدوا منها عند الله أجرًا ولا مثوبة.

---

(١) «شرح كتاب الإيمان الأوسط»، لشيخ الإِسْلام ابن تيمية، للشيخ عبد الله الغنيمان: صـ (٧٨).



٣. لعلَّ هذا التعامل الحازم مع المنافقين يَجعل بعضهم يراجع نَفسه ويصلح حاله ونيَّته وينزع عما هو فيه.

٤. المنَافق معلوم أنَّه إن أنفَق طواعية فتقية، وإن أنفق كرهًا فخوف العقوبة.

٥. هل المنافق لا تقبل منه نفقة مطلقًا؟ جَاء الجواب في هذه القاعدة بما يغني عن تكراره.

القاعدة الثامنة: المنافق يرث ويورث إلا...

يقول شيخ الإسْلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المنافقون الذين قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ٨]، هُم في الظَّاهر مؤمنون، يصلُّون مع الناس، ويصُومُون، ويحجُّون، ويغزون، والمُسلمون يناكحونهم ويوارثونهم.

كما كان المُنافقون على عهْد رَسول الله ﷺ، ولم يَحكم النَّبيّ ﷺ في المُنافقين بحكم الكفار المُظهرين للكفر، لا في مُناكحتهم ولا موارثتهم ولا نحو ذلك، بَل لَمَّا مات عبد الله بن أبي بن سلول -وهُو من أشهر الناس بالنفاق- وَرِثَه ابنه عبد الله وهو من خيار المؤمنين، وكذلك سَائر من كان يموت منهم يرثه ورثته المؤمنون، وإذا مات لأحدهم وارث ورّثوه المسلمين.

وقد تنازع الفقهاء في المُنافق الزنديق(١) الذِي يكتم زندقته، هل يرث ويورث؟ على قولين، والصحيح أنه يرثُ ويُورث وإن علم في الباطن أنه منافق، كما كان الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ على عهد النَّبيّ ﷺ؛ لأنَّ الميراث مبناه على المُوالاة الظاهرة، لا على المحبة التي في القلوبِ، فإنه لو علق بذلك لم تمكن معرفته.

---

(١) والمقصود هنا أن الزنديق في عرف هَؤُلاءِ الفقهاء: هو المنافق الذي كان على عهد النَّبيّ ﷺ. وهو أن يظهر الإسْلام ويبطن غيره، سواء أبطن دينًا من الأديان ـ كدين اليهود والنصارىٰ أو غيرهم أو كان معطلًا جاحدًا للصانع، والمعاد، والأعمال الصالحة.

والحِكمة إذا كانت خَفيَّة أو منتشرة علق الحكم بمظنتها، وهو مَا أظهره من موالاة المسلمين، فقول النَّبيّ ﷺ: «لَا يَرِثُ المُسْلِمُ الكَافِرَ وَلَا الكَافِرُ المُسْلِمَ»(١).

ومِن الناس من يقول: الزِّنديق: هو الجَاحد المعطل. وهذا يسمَّىٰ الزنديق في اصطلاح كثير من أهل الكَلام والعامة، ونقلة مقالات الناس، ولكنَّ الزنديق الذي تكلَّم الفُقهاء في حكمه: هو الأول؛ لأنَّ مَقصودهم هو التَّمييز بين الكافر وغير الكافر، والمُرتد وغير المرتد، ومن أظْهر ذلك أو أسره، وهذا الحُكم يشترك فيه جميع أنواع الكفَّار والمرتدين، وإن تفاوتت درجاتُهم في الكفر والرِّدَّة، فإن الله أخبر بزيادة الكفر كما أخبر بزيادة الإيمان، بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ [سورة التوبة: ٣٧]، وتارك الصَّلاة وغيرها من الأركان، أو مرتكبي الكبائر، كما أخبر بزيادة عذاب بعضِ الكُفَّار علىٰ بعض في الآخرة بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [سورة النحل: ٨٨].

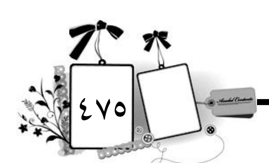
فهذا أصل ينبغي معرفته، فإنه مهم في هذا الباب. فإنَّ كثيرًا ممن تكلم في مسائل الإيمان والكفر -لتكْفِير أهل الأهْوَاء- لَم يلحظوا هذا الباب، ولم يمَيِّزوا بين الحكم الظاهر والباطن، مع أنَّ الفرق بين هذا وهذا ثابتٌ بِالنصوص المتواترة، والإجماع المعلوم، بل هو معلوم بالاضطرار من دين الإِسْلام، ومَن تدبَّر هذا، علم أن كثيرًا من أهل الأهواء والبدع قد يكون مؤمنًا مخطئًا جاهلًا ضالًّا عن بعض ما جاء به الرسول ﷺ، وقد يكون منافقًا زنديقًا يظهر خلاف ما يبطن»(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الطَّبقة الخامسة عشرة: طَبقة الزَّنادقة، وهم قوم أظهروا

---

(١) متفق عليه: البخاري، ك الفرائض، باب (لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم: برقم (٦٧٦٤)، ومسلم، ك الفرائض: برقم (١٦١٤).

(٢) «الإيمان الأوسط»، لشيخ الإِسْلام ابن تيمية: (١/ ٨٨-٨٩).



الإِسْلام ومتابعة الرُّسل عليهم صلوات الله وسلامه، وأبطنوا الكُفر ومعاداة الله ورسله عليهم صلوات الله، هَؤُلاءِ المُنافقون وهم في الدَّرك الأسفل من النار»(١).

لم يدخل فيه المنافقون وإن كانوا في الآخرة في الدرك الأسفل من النار، بل كانوا يورثون ويرثون وكذلك كانوا في الحقوق والحدود كسائر المسلمين، وقد أخبر الله عنهم أنهم يصلون ويزكون ومع هذا لم يقبل ذلك منهم فقال: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ﴾ [سورة التوبة: ٥٤]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٤٢](٢).

وقد استدَّل بعضُ العلماء علىٰ أن المنافق يَرث ويورث، أن النَّبيّ ﷺ لم يأخذ من تركة منافق شيئًا ولا جعله فيئًا، فعُلم أن التَّوارث مداره علىٰ أن اسْم الإِسْلام يجري عليه في الظاهر إجماعًا، وهذا بلا شك مالم يظهر منه ردة أو كفر بواح.

ما يستفاد من القاعدة:

١ - هذه القاعدَةُ أصل في أنَّ التعامل مع المنافقين بناءً علىٰ ظاهرهم وهو الإِسْلام.

---

(١) «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، لابن القيم: (٤٦١)، تحقيق عبد الكريم الفضلي - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ط ١٤٢٣هـ، ولمزيد اطلاع راجع «النفاق والزندقة وأثرهما في مواجهة الدعوة الإِسْلامية قديمًا وحديثًا»، رسالة ماجستير ١٣٩٩ - ١٤٠٠ من جامعة أم القرىٰ للباحث عطية بن عتيق الزهراني.

(٢) كتاب «الإيمان»، لشيخ الإِسْلام: (ص ١٦٦ ـ ١٦٧).

المبحث الثالث

قواعد عامة

القاعدة التاسعة: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [سورة المنافقون: ٤].

إن هذه القاعدة لِمن أهَمِّ القواعد التي يلزم المؤمنين الأخذ بها، يقول ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ٨]: «ولهذا نبَّه الله سبحانه عَلى صفات المُنافقين، لئلا يغترَّ بِظاهر أمْرِهم المؤمنون، فيقع بذلك فساد عريض من عدم الاحتِراز منهم، ومن اعتِقَاد إيمانهم وهم كفار في الأمْر نَفسه، وهذا من المَحذورات الكبار، أن يُظن بأهل الفجور خير»(١).

قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [سورة المنافقون: ٤]، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مثل هذا اللَّفظ يَقتضي الحصرَ، أي: لا عدو إلا هم، ولكن لم يرد هَا هُنا حصر العداوة فيهم، وأنهم لا عدو للمُسلمين سِواهم، بل هذا من إثبات الأولويَّة والأحقيَّة لهم في هذا الوصف، وأنه لا يتوهم بانتسابهم إلى المُسلمين ظاهرًا وموالاتهم لهم ومخالطتهم إياهم أنهم ليسوا بأعدائهم، بل هُم أحقُّ بالعداوة ممن باينهم في الدار، ونصَب لهم العداوة وجاهرهم بها، فإن ضررَ هَؤُلاءِ المخالطين لهم المعاشرين لهم وهم في الباطن على خلاف دينهم، أشدُّ عليهم من ضرر من جاهرهم بالعداوة وألزم وأدوم؛ لأنَّ الحرب مع أولئك ساعة أو أيامًا ثم ينقضي ويعقبه النصر والظفر، وهَؤُلاءِ معهم في الديار والمنازل صباحًا ومساءً يدلّون العدو على عوراتهم ويتربّصون بهم الدوائر، ولا يمكنهم مناجزتهم، فهم أحق

---

(١) «تفسير ابن كثير»: (١/ ٥١).

بالعداوة من المباين المجاهر، فلهذا قيل: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [سورة المنافقون: ٤] لا على معنى أنه لا عدوَّ لكم سواهم، بل على معنى أنهم أحق بأن يكونوا لكم عدوا من الكفار المجاهرين»(١).

وقال الشنقيطي موضحًا حقيقة هذا الحصر في الآية: «فيه ما يُشعر بحصر العداوة في المُنافقين مع وجُودها في المشركين واليهود، ولكنَّ إظهَار المشركين شركِهم، وإعْلان اليهود كُفرهم مدعاة للحَذر طبعًا، أمَّا هَؤُلاءِ فادِّعاؤهم الإيمان وحلفهم عليه قد يوحي بالرُّكون إليهم ولو رغبة في تألِيفِهم، فكانوا أولى بالتحذير منهم لِشدَّة عداوتهم ولقوَّة مداخلتهم مع المسلمين، ممَّا يمكِّنهم من الاطلاع على جميع شؤونهم»(٢).

وقد امتثل النَّبيّ ﷺ هذا الأمرَ، فكانَ شَديد الحذر من هَذهِ الشِّرذمة المندسَّة في الصف المُسلم، ومن ذلك أنَّه كان إذا أراد غَزوَة ورَّى بغيرها(٣)، ومن تأمَّل كلمة: ﴿فَٱحْذَرْهُمْ﴾، علم أنها شَاملة كل حذَر واحتياط ورقابة، وهي وإن كَان المخاطب بها النَّبيّ ﷺ إلا أنَّ دخول المؤمنين فيها من بَاب أولى، إذْ العبرةُ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

---

(١) «طريق الهجرتين وباب السعادتين»، لابن القيم: (ص ٣٧٤).

(٢) «أضواء البيان»: (٨/ ١٩٨).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من أراد غَزوَة فورَّى بغيرها: ح (٢٩٤٧)، ومسلم في كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ: ح (٢٧٦٩)، عن كعب بن مالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

والتورية هي: أن يظهر غير ما يريد، قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُٱللَّهُ: والتورية أن يذكر لفظًا يحتمل معنيين أحدهما أقرب من الآخر، فيوهم إرادة القريب وهو يريد البعيد. «فتح الباري»: (٨/ ١١٧)، وينظر «شرح السنة النبوية»، للبغوي: (١١/ ٤٢).

ولأهمية هذه القاعدة فسأذكر الأسْباب الدَّاعية لهذا الحذر عَلىٰ وجه موجز، وإلا فسَائر المباحث كانت في بَيان أهمية هذا المعنىٰ وضرورة أخذِه بعين الاعتبار، فليحذر المؤمنون من المنافقين وليحترزوا منهم لأنهم:

١. أهل كذب وخداعٍ ومراوغَةٍ وخِيانة وغدر ودسيسة، إلىٰ غير ذلك من الأوصاف والطباع الدنيئة المنكرة.

٢. لاستهزائهم وازدِرَائهم ولمزِهم وقذفهم للمؤمنين.

٣. لتمنِّيهم لحوق الضرر بالمُؤمنين، وتربصهم بهم الدوائر وتجسسهم عليهم.

٤. لإرجافهم المؤمنين وتخْذِيلهم لهم، وبثهم للشائعات بينهم.

٥. لموالاتهم أعداء الدِّين وسَعيهم بالفساد في الأرض.

٦. لترددهم وعدَم انبعَاثهم للجهاد في سبيل الله.

من أجل ذلك وغيرِه كَثير وجب أخذُ الحَيطة والحذر ممَّن تلك أوصافه وهاتيك نواياه وفعاله.

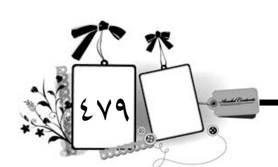
○ ما يستفاد من القاعدة:

١- كما أن الأصْل في التَّعامل مع المنافقين هُو ظاهرهم، إلا أنَّ هَذه القاعدة تشير إلىٰ غاية التوقِّي منهم والحذر من مكرهم، والاحتياط المتيقظ حال التعامل معهم، وعَدم اتخاذ أحدٍ مِنهم ظهيرًا ولا وزيرًا ولا مشيرًا: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [سورة المنافقون: ٤].

٢- ومقتضىٰ هذه القاعدة عدم الثِّقة فيهم، والتاريخ خير شاهد. وقد سبق في ثنايا الرسالة وما سَيأتي ذكره شواهد علىٰ مدارِ التاريخ القديم والمعاصر.

القاعدة العاشرة: الحذر على العلماء وقيادات العمل الإسلامي خصوصًا والناس عمومًا من المنافقين.

لم ينفك المُنافقون عن العمَلِ بكلِّ وسيلة من شأنها الصدُّ عنْ سبيل الله ومراغمة



المؤمنين، وتجفيف منابع الخير والإصلاح؛ ومن ذلك -في زعمهم- التَّعذيب والسجن والتهجير ثم القَتل -كدأب إخوانهم من قبل اليهود والمشركين- كما قال تعالى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [سورة البقرة: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ٢١-٢٢].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٣]، وقال سُبحانه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [سورة غافر: ٦٢]، وقال سُبحَانه: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٣٠].

هذا في شأنِ القَتل، أمَّا الإخراج من الديار والنفي بعيدًا، فمن شواهده قوله سبحانه: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [سورة النمل: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة إبراهيم: ١٣].

ولقد حاولَ المنافقون كما حاول اليَهود قتلَ النَّبيّ ﷺ؛ فمن ذلك: لَمَّا قفَل رسول الله ﷺ عائدًا من تبوك، بعد أن منَّ الله عليه بالنَّصر وزاده تأييدًا من قبائل الشام؛ وبينما هو في الطريق إلى المدينة همَّ بعض المنافقين بالفتك به، ففكروا في خُطَّة ظنوا أنَّهم فاعلوها، ولكن اللهَ كان من وراء مكرِهم وكيدهم بالمرصاد، فقد

كَانت خطتهم تتركز في مزاحمة الرَّسول ﷺ وطرحه أرضًا من فَوق قمة جبل فيموت، وبهذا يتَحقَّق حلمهم الواهي. وهُو مقصود قولِه تعالىٰ: ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمۡ يَنَالُواْۚ﴾ [سورة التوبة: ٧٤].

وها هو حذَيفَة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ يسرد قِصَّة هذه الخيانة التي ما بعدها خيانة:

قال حذيفة: «كُنت آخذًا بخطَام ناقة رسول الله ﷺ أقُود به وعمَّار يسوق الناقة؛ حتَّىٰ إذا كنا بالعَقَبة إذا باثنَي عشَر رجلًا قد اعتَرضُوه فيها، قال حذيفة: فأنبَهت رسول الله ﷺ فصَرخ بهم فولَّوا مُدبرين، فقال لنَا رسول الله ﷺ: «هَلْ عَرَفْتُمُ القَوْمَ؟»، قُلنا: لا يا رسول الله، قد كانوا متلثِّمين، ولكنا قد عرفنا الرِّكاب، قال: «هَؤُلاءِ المُنَافِقُونَ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ مَا أَرَادُوا؟»، قُلنا: لا، قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «أَرَادُوا أَنْ يَزْحَمُوا رَسُولَ اللهِ فِي العَقَبَةِ فَيُلْقُوهُ فِيهَا»، قال حذيفة: يَا رسول الله أو لا تَبعَث إلىٰ عشائرهم حتَّىٰ يبعث إليك كلُّ قَوم برأس صاحبهم؟ قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «لَا، أَكْرَهُ أَنْ يَتَحَدَّثَ العَرَبُ بَيْنَهَا أَنَّ مُحَمَّدًا قَاتِلٌ لِقَوْمِهِ» حَتَّىٰ إذا أظفره اللهُ بهم أقبل عليهم يقتلهم»(١).

وفي رواية عروة: «أنَّه سمَّاهم لعمَّار وحذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا، فقَالا: يا رسول الله أفلا تَأمر بقتلهم؟ قالَ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «أَكْرَهُ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا قَتَلَ أَصْحَابَهُ»(٢).

---

(١) قال الهيثمي في «المجمع»: (٦/ ١٩٥): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح، ورواه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة»، برواية قريبة من هذه وقال: إسنادها صحيح: (٣/ ٢٨٤)، وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة»: (٥/ ٢٦١)، وصححه السيوطي في «الخصائص»: (١/ ٤٦٣)، ويعضد هذه الرواية روايات أسانيدها قد حكم بتحسينها إبراهيم العلي في «صحيح السيرة النبوية»: (٦٠٥)، ومهدي رزق الله في «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية»: (٢/ ٢١٤)، وغيرهما.

(٢) انظر «البداية والنهاية»: (٥/ ١٩ ـ ٢٠).



وتدور الأيام دورتها حتى إذا ما جاءت خلافة عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حدَّثتنا كتُبُ التاريخ عن مقتله الأليم في صَلاة الفجر، بيد الغدرِ واللُّؤم والخيانة (أبي لؤلؤة المجوسي) هُو ومَن وراءه من خفافيش الظلام[١] الذينَ أرَادوا الخلاص ممَّن فتح الله عليه الأمصار وخصوصًا دولة الفرس عبدة النار.

ثم تمضي بنا الأيام إلى خلافَةِ ذي النورين عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في قِصَّة من أظهروا الإِسْلام واستبطنوا الغَدر والحقد والدسيسة والمكر، حتَّى آل بهم بغيهم أن تسوَّروا عليه داره ونزلوا بسَاحة منزله فقَتلوه بيد الظُّلم والعدوان[٢]. وقَد وصفهم شيخ الإِسْلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ بأنَّهم خوارج مفسدونَ وضالون وبَاغون ومعتدون[٣]، أما الإمام الذهبي فينعَتُهم بأنهم رؤوسُ شَر وجفاء[٤] قطَعوا عن عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الماء وحبَسُوا عنه الطعام.

وهذا شَأن المنافقين دائمًا متى ما تمكَّنُوا وكانت لهم الصولة والجولة.

أخرج الإمام أحمد باسناد صحيح، عن عمرة بنت أرطأ العدوية قالت: «خرجتُ مَع عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا سنَة قتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إلى مكَّة، فمررنا بالمدينة ورأينا المصحف الذي قُتل وهُو في حجره رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فكانَت أوَّل قطرة قطرت منْ دمه على هذه الآية ﴿فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سورة البقرة: ١٣٧]، قالتْ عمرة: فما مات منهم رجل سويًا»[٥].

---

(١) انظر المرجع السابق: (٤/ ١٤١ ـ ١٤٢).

(٢) وقد سلف تفصيل هذه الحادثة: (صـ١٨٩) فلتراجع.

(٣) «منهاج السنة النبوية»: (٣/ ١٨٩ ـ ٢٠٦).

(٤) «دول الإِسْلام»: (١/ ١٢).

(٥) أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة»: (١/ ٥٠١)، قال المحقق: إسناده صحيح، وأخرجه أيضًا في «الزهد»: (ص ١٢٧).

ولأن أصل هذه القَاعدة قائمٌ على الخِيانة، كان من الحسن ذكر شيء من معانيها.

من معاني الخيانة في القرآن ما يلي:

١. المعصية: قالَ تعالَى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧]، قال ابن قُتَيبة: «تخونونها بالمعصية»(١).

٢. نقضُ العَهد: قالَ تعالَى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [سورة الأنفال: ٥٨].

٣. ترك الأمَانة: قَال تعالَى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٠٥].

٤. المخالفة في الدين: قَال تَعالَى: ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [سورة التحريم: ١٠](٢).

٥. الزنا: قَال تَعالَى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [سورة يوسف: ٥٢]، قال ابن سلاّم هو الزنا(٣).

ومن تأمل في أوصَاف المُنافقين التي سبق ذِكرُها وجد هذه المَعاني المتعددة للخيانة هي من نعوت المنافقين وأخلاقِهم، والمنَافِق من نعوته الخيانة، قال ﷺ: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ؛ إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أؤتُمِنَ خَانَ»(٤)، ومَن تأمل هذا الحديث وجَد أن الخيانة ليست في الأمانة فحَسب، بل الكذب خيانة وإخلاف الوعد خيانة، بل إن خيانة المنافق تمثّلت في كل شيء.

---

(١) «تأويل مشكل القرآن»، لابن قتيبة: (ص ٤٧٨).

(٢) «نزهة الأعين النواظر»، لابن الجوزي: (٢٨١ ـ ٢٨٣).

(٣) «التصاريف»، لابن سلام: (١٧٨).

(٤) رواه البخاري: (١/ ٢٧)، ك الإيمان، باب علامة المنافق، ومسلم: (١/ ٨٧٨)، ك الإيمان، باب بيان خصال المنافق.

١-خان ابتداءً نفسَه فلوَّثها ودنَّسها في ظلمات المعَاصي والتكذيب لله ولِرسوله ﷺ.

٢-خانَ أمتَه فكان آمرًا بالمنكر ناهيًا عن المعروف ساعيًا بالفحشاء والرذيلة جاسوسًا عليها.

٣-خان ضميره ومَبادئه يوم أن عَادىٰ المؤمنين ووالىٰ أعداء الدين.

٤-خان أخلاقهُ وقِيمه يوم أن اتَّصفَ بكل خلَّة دنيئة ومنقصة قبيحة، قد أناخ رحله في مرتع قبيح ومنزل وخيم، قال ﷺ: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ»(١). وقال عليه الصلاة والسلام: «لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ إِسْتِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»(٢)، وقال ﷺ: «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»(٣).

وقال ﷺ: «سَتكُونُ أَئِمَّةٌ مِنْ بَعْدِي يَقُولُونَ فَلا يُرَدُّ عَلَيْهِمْ قَوْلُهُمْ، يَتَقَاحَمُونَ فِي النَّارِ كَتَقَاحُمِ القِرَدَةِ»(٤)، وقد استعاذ ﷺ من الخيانة فقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيع، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ البِطَانَةَ»(٥).

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ سِنَين خَدَّاعَةً يُصَدَّقُ فِيهَا الكَاذِبُ، وَيُكَذَّبُ فِيهَا الصَّادِقُ، وَيُؤْتَمَنُ فِيهَا الخَائِنُ، وَيُخَوَّنُ فِيهَا الأَمِينُ، وَيَنْطِقُ فِيهَا الرُّوَيْبِضَةُ»، قيل: وَما الرُّويبِضَة؟ قَالَ: «المَرْءُ التَّافِهُ يَتكَلَّمُ فِي أَمْرِ العَامَّةِ»(٦)، قال ابن قدامة: «وحَدَّثني يحيىٰ بن سعيد الأنصاري

---

(١) رواه أحمد: رقم (١٢٥٦٧)، وابن حبان: رقم (١٩٤)، وهو في «صحيح الترغيب»: برقم (٣٠٠٤).

(٢) رواه مسلم: ح (١٧٣٦).

(٣) رواه البخاري: ح (٥٩).

(٤) رواه أبو يعلى، والطبراني في «الكبير»، عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع»: (٣٦٠٩).

(٥) «صحيح الجامع»: ح (٢١٦٣).

(٦) ابن ماجه: (٤٠٣٦)، وأحمد: (٢/ ٢٩١)، وهو في «صحيح الجامع»: (٣٦٥٠)، وفي «السلسلة الصحيحة»: (٢٢٥٣).



عن المقْبُري قالَ: وَتَشيعُ فِيها الفَاحِشَةُ»[(١)].

عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال حدثنا رسول الله ﷺ: «إِنَّ الأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جِذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ القُرْآنُ فَعَلِمُوا مِنَ القُرْآنِ وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ».

ثُمَّ حدثنا عن رفْع الأمانة قال: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلُ الوَكْتِ[(٢)]، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلُ المَجْلِ[(٣)]، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفَطَ[(٤)]، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا[(٥)] وَلَيْسَ فِيهِ شَيءٌ، ثُمَّ أَخَذَ الحَصَى فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ، فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ، حَتَّى يُقَالُ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، حَتَّى يُقَالُ للرجل: مَا أَجْلَدَهُ! مَا أَظْرَفَهُ! مَا أَعْقَلَهُ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ... » الحديث[(٦)]. وإن كانَ ما ورد له صلته بالنفاق العمَلي، إلا أنه كذلك موصوف به من باب الأولى من نافقوا نفاقًا عقديًّا.

ومن شواهد التاريخ على غدر المنافقين بالعلماء ودعاة الخير وقادة الإصلاح والأمة جمعاء:

١. خيانة المنافِقَيْن ابن العلقمي ونُصير الدين الطوسي لأمتهم.

---

(١) راوه الحاكم في «المستدرك»: (٤/ ٥١٢)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

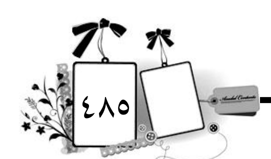
(٢) الأثر اليسير، وقيل: سواد يسير.

(٣) هو التنفُّط يصير في اليد من العمل بالفأس ونحوه. ٩) نفطت يده نفطًا من باب تعب، ونفيطًا إذا صار بين الجلد واللحم ماء.

(٤) النَفَطُ بالتحريك: المَجلُ. وقد نفطتْ يده نَفْطًا ونَفيطًا، وتَنَفَّطَتْ، والنِفْطُ والنَفْطُ: دُهْنٌ، والكسر أفصحُ. ونَفَطَتِ العنزُ تَنْفِطُ نَفيطًا، إذا نثرت بأنفها. ينظر «الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية»: (٣/ ١١٦٤).

(٥) منتبرًا: مرتفعًا ومنه المنبر لارتفاعه. ١١) البخاري: (٦٤٩٧)، ومسلم: (١٤٣).

(٦) رواه أبو داود: (١٥٤٧)، وقال عنه الألباني في «صحيح أبي داود»: حسن: (١٣٦٨)، وقال محقق «جامع الأصول»: حسن: (٤/ ٣٥٧).



فقد قام الوزير ابن العلْقَمي يوم غزو التَّتار، بتسريح الجُند وإغراق السُّفن، وأوهم الخليفة ومعه سَبعمائة راكب من القُضاة والعلماء والأمراء والأعيان أنَّ مَلك التَّتار يريد مصالحته على أن يكون له نصفُ خَراج العراق وللمُسلمين النصف الآخر، حتى إذا حضروا إيوان ملك التَّتار وتمكَّن منهم قتلهم جميعًا.

أما نُصير الكفر الطوسي فقد استصحبه هُولاكو في خدمته لما فتَح القلاع؛ حيث مال بجنوده على البلد فقتَلُوا جميع من قدروا عليه كبيرًا أو صغيرًا(١).

٢. خيانة الخليفة إسماعيل المسَّمى بالصالح للعالم الجليل العزِّ بن عبد السلام.

حيث إنَّه قد نشأ خلاف واشتَدَّ، منذرًا بالكيد والحَربِ بين الأخوين، سلطان الشام الملك الصالح إسماعيل وسلطان مصر الصَّالح نجم الدين أيوب، وقد أوجَسَ إسماعيل خيفة من نجم الدين أيُّوب، فاستعان بالصليبيين أعداء الإِسْلام، وتحالف معهم على قِتَال أخيه، وأعطاهم مقابل ذَلكَ مدينة صيدا -على رِوَاية السُّبكي- وكذلك قَلعة صفد وغَيرها -على رواية المَقريزي وغيره-.

وأمعَن إسماعيلُ في هَذه الخيانة، فسمح للصليبيين أن يدخلوا دمشق ويَشتروا منها السلاح وآلات الحَرب وما يريدون، وأثار هذا الصُّنيع المنكر استياء المسلمين وعلمائهم، فهب الشيخ العزُّ وَاقفًا في وجه الخيانة والخائنين، وأفتَى بتحريم بيع السلاح لهم، وصعَد على منبر الجامع الأموي بدمَشق في يوم الجمعة؛ حَيث كان خطيبه الرسمي وأعلن الفتوى وشَدَّد في الإنكار على السلطان وفعلته المُنكرة وخيانته العظيمة للأمة الإِسْلامية.

وقطع من الخطبة الدُّعاء للسلطان إسماعيل، وهو بمثابة الإعلان بنزع البَيعة ورفع الولاء عن السلطان يومئذ، وصار يدعو بدعاء منه: «اللَّهُمَّ أَبرِمْ لِهَذِهِ الأُمَّةِ

---

(١) انظر تفصيل ذلك: (١/ ٢٧٠).

إِبْرَامَ رُشْدٍ يُعَزُّ فِيهِ أَوْلِيَاؤُكَ، وَيُذَلُّ فِيهِ أَعْدَاؤُكَ، وَيُعْمَلُ فِيهِ بِطَاعَتِكَ، وَيُنْهَىٰ فِيهِ عَنْ مَعْصِيَتِكَ»، والمصلون يضجون بالتأمين علىٰ دعائِه، ولم يكن السلطان حاضرًا تلك الخطبة، إذْ كان خارج دمشق، ولما أعلمه رجاله بذَلكَ أمر بعزل الشيخ عن خطبة الجمعة واعتقاله مع صاحبه الشيخ ابن الحاجب المالكي لاشتراكه معه في هذا الإنكار.

وكان من أنصار الشيخ من قد أشاروا عليه بأنْ يُغادر البلاد وينجو بنفْسِه من يد السلطان، وأعدُّوا له وسائل الهرب، ولكنَّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ أبىٰ ذلك وألحُّوا عليه، فأصرَّ علىٰ الإباء، فعرضوا عليه بأن يختَبئ في مكان أمين لا يهتدي إليه السلطان ورجاله، فرَفَض هذا العرض أيضًا وَقال: والله لا أهْرب ولا أخْتبيء، وإنَّما نحن في بداية الجِهاد ولم نعمل شيئًا بعد، وقد وطَّنتُ نفسي علىٰ احتمال ما ألقىٰ في هذا السَّبيل، والله لا يضيع عمل الصابرين.

ثم لما قدم إسماعيل إلىٰ دمشق أفرَج عنهُما بعد الاعتقال، وأمر العز بن عبد السلام بملازمَةِ داره، وأن لا يفتي ولا يجتمع بأحد ألبَتَّة، فاستأذنَه في صلاة الجمعة مؤتمًّا بإمامها، وأن يعيد إليه الطَبيب والمزين (حلاق) إذا احتاج إليهما، وأن يدخل الحمام، فأذن له في ذلك.

ومرت الأيام والشَّيخ في إقامته الجبرِيَّة، وقد منع من الإفتاء والاتصال بِأحد من إخوانه أو طلابه، وتعَطَّلت هوايته المفضلة، وواجِبُه المقدس؛ الأمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر، فطلب الهجرة من دِمشق قاصدًا مصر، وأفرج عنه بعد محاورات ومُراجعات، فأقام بدمشق ثُم انتزع منها إلىٰ بَيت المقدس، فوافاه المَلك الناصر داود في الفَور فقطع عليه الطريق، وأخَذه وأقام بنابلس مُدَّة وجدت له معه خُطوب، ثم انتقل إلىٰ بَيت المقدس حيث أقام مُدَّة.

ثم جاء الصالح إسماعيل والملك المنصور صاحب حمص وملوك الفرنج



بعساكرهم وجيوشهم إلىٰ بيت المقدس يقصدون الدِّيار المصرية، فسيَّر الصالح إسماعيل بعض خواصه إلىٰ الشيخ بمنديله، وقال لهُ: تدفع منديلي إلىٰ الشَّيخ وتتلطف له غاية التَّلطف وتستنْزَله وتعده بالعودة إلىٰ منَاصبه علىٰ أحسن حال، فإن وافقَك فتدخل به علي، وإِن خالفك فاعتقلْه في خيمة إلىٰ جانب خَيمتي، فلما اجتمع الرَّسول بالشيخ، شرع في مُسايسته وملاينته، ثم قال له: بَينك وبين أن تعود إلىٰ مَناصبك وما كنت عَليه زيادة، أن تَنكسر للسلطان وتقبِّل يده لا غير، فقال الشيخ: والله يا مسكين ما أرضاهُ أن يقبل يدي، فضْلًا عن أن أقبِّل يده، يا قوم أنتُم في واد وأَنا في وادٍ، الحمد لله الذي عَافاني مما ابتلاكم به، فقال الرسول: يا شَيخ قد رسم لي أن تُوافق علىٰ ما يطلب وإلا اعْتقلتك، فقال الشيخ: افعَلوا ما بدا لكم، فأَخذَه واعتقله في خيمة إلىٰ جَانب خيمة السلطان، وكان الشيخ يقرأ القرآن في معتقله والسُّلطان يسمعه، قال يومًا لملوك الفرنج: تسمعون هذا الشَّيخ الذي يقرأ القرآن؟ قالوا: نعم قال: هذا أكبر قسوس المُسلمين، قد حبَسته لإنكاره علىٰ تسلِيمي لكم حصون المُسلمين وعزلته عن الخطَابَة بدمشق وعن مناصبه ثُم أخرجته، فجاء إلىٰ القدس وقد جدَّدت حبسه واعتقاله لأجلكم، فقالت له ملوك الفرنج: لو كَان هذا قسيسنا لغَسلنا رجلَيه وشربنا مرقَتها[1].

٣. خيانة الفاطميين[2][3].

---

(١) «النجوم الزاهرة»، لابن تغري بردي: (٥/ ١٤٧).

(٢) سبق بيان شأن هذه الطائفة ومن شابهها من الطوائف الباطنية: (١/ ١٢٩).

(٣) وقد يتساءل البعض فيقول هل العبيديون الفاطميون منافقون؟ والجواب: نعم بل شر طوائف النفاق هم وسائر الفرق الباطنية التي تتظاهر بالإِسْلام زورًا وتستبطن الكفر المحض، قال شيخ الإِسْلام ابن تيمية في تقرير هذه المسألة: «والمقصود هنا أن الظاهر لا بد له من باطن يحققه ويصدقه ويوافقه، فمن قام بظاهر الدين من غير تصديق بالباطن فهو منافق، ومن ادعىٰ باطنًا =



في الوقْتِ الحَرج الذي هدَّد فيه الصليبيونَ بِلاد الشَّام والعالم الإِسْلامي، وكانت أقطَار المسلمين في مَسيس الحاجةِ إلَىٰ جهد كل مخلِص لِتوحيد المُسلمين في وجه الصليبيين، في هذا الوقت كانَت الخلافة الفاطِميَّة صامتة متفَرجةٌ حتىٰ عجب ابن تغري بَردي من موقف الخليفة المسمَّىٰ بالأفضل فقال: لم يَنهض الأفضل بإخراج عسكَر مصر، وما أدري ما كان السبب في عدم إخْراجه مع قدرته علىٰ المال والرِّجال(١). ولكن إذا عُرف السبب بطل العَجب، فهذا الموقف المتحَالف مع الصليبيين كان يهدف إلىٰ ضرب السلاجقة السنِّيينَ في الشام والقضاء عليهم.

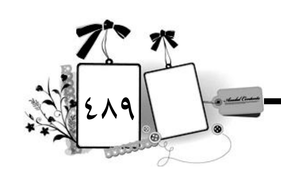
قال وليم الصوري فيما نقله عنهُ يُوسف غوانمه: إنَّ مُحاصرة الصليبيين لأنطاكية أثلجت صدر الأفضل، واعتبر أن خسَارة الأتراك السلاجقة السُّنِّيين لأي جُزء من أملاكهم إنما هو نصر له نفسه(٢).

بل تخلَّص الخلفاء الفاطميون مِن أي وزيرٍ يُنادي بفكرة الجهاد، فلمَّا أتىٰ أسد الدين شيركوه إلىٰ مِصر استنجد ضرغام وزير الفاطِميين بالقائد الصليبي عمُّوري ببيت المقدس وتعهَّد له في مقابل مساعدته أن يعقد له مُعاهدة صلح تصبح مصر بِمقتضاها تابعة للصليبيين، لكن أسَد الدين شيركوه عاجَل جيش ضرغام وانتَصر عليه في الدلتا في (تل بسطة)، زد علَىٰ ذلك لَمَّا تولىٰ صلاح الدين الأيوبي الإسكندرية نائبًا عن عمّه سار إليه الفاطميون فحاصروها برًا بينما كان

= يخالف ظاهرًا فهو كافر منافق، بل باطن الدين يحقق ظاهره ويصدقه ويوافقه وظاهره يوافق باطنه ويصدقه ويحققه، فكما أن الإنسان لا بد له من روح وبدن وهما متفقان، فلا بد لدين الإنسان من ظاهر وباطن يتفقان فالباطن للباطن من الإنسان والظاهر للظاهر منه». «مجموع الفتاوىٰ»: (١٣/ ٢٨٦).

(١) «النجوم الزاهرة»، لابن تغري بردي: (٥/ ١٤٧).

(٢) «دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين»: (ص ١٢٤).



الصليبيون يحاصروها بحرًا(١).

إن الفرق الباطنية بمَجموعها من فاطميين وعبيدِيين وحشاشين وقرامِطة وإسماعيلية ومن بعدهم الدروز والنصيرية لهم من الخيانَات مالا حصر له، فكم قتلوا من علماء المسلمين وقادتهم الصادقين خيانة منهم وغدرًا، بل كم تواطؤا على قتل اللاجئين الفلسطينيين في مخيمات جنوب لبنان.

وقد نصح شيخ الإِسْلام فأبلغ النصح حين قال: «وأمَّا استِخدَام مثل هَؤُلاءِ (أي النصيريين) في ثُغور المسلمين أو حصونِهم أو جُندهم؛ فإنَّه من الكبائر وهو بمنزلة من يستخدم الذئاب لِرَعي الغنم، فإنَّهم من أغش الناسِ للمُسلمين ولولاة أمورهم، وهم مِن أحرص النَّاس على تسليم الحصون إلى عدو المسلمين، وعلى إفساد الجند على ولي الأمر...»(٢)(٣).

ويكفي في فضْح أحْوالِهم مَا ارتَكبُوه من جَرائم يشيب لِهولِها الولدان في أرض الشَّام: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [سورة إبراهيم: ٤٢-٤٣].

وإنْ كَان كلام شيخ الإِسْلام عن النُّصيرية، إلا أنه يُمكن تعميمه على سائر الفرق الباطنية الذين يُظهرون الإِسْلام ويبطنون الكفر الصراح.

---

(١) «الروضتان»، لأبي شامة: (١/ ١٦٩)، و«التاريخ الباهر»، لابن الأثير: (ص ١٣٣).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ»: (٣٥/ ١٥٥ ـ ١٥٦).

(٣) ولمزيد اطلاع على ما اقترفته هذه الفرقة الباطنية انظر صـ، ثم يرجع لرسالة الماجستير التي بعنوان «أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين»، للشيخ يوسف الزاملي. وهي موجودة على الشبكة.

٤. خيانة فيروز أيام الخليفة المستعلي.

كانت أوَّل حَركة للفرنج لأخذ السَّواحل وخروجهم إليها في سَنة تسعين وأربعمائة فساروا إليها فَأول ما أخذوا نيقية، وهو أول بَلد فتحوه وأخذوه من المُسلمين، ثم فتحوا حصون الدروب شيئًا بعد شيء، ووصلوا إلى البَارة وجبل السمَّاق وفامية وكفر طاب ونواحيها، وفي سنة إحدى وتسعين وأربعمائة سَاروا إلى أنطاكية ولم ينازلوها، وجاؤوا إلى المعرة فنصبوا عليها السلالم، فنزلوا إليها فقتلوا من أهلها مائة ألف إنسان، قاله أبو المظفر سبط ابن الجوزي، قال: وسبوا مثلها ثُمَّ دخلوا كفر طاب وفَعلوا مثل ذلك، وعادوا إلى أنطاكية، وكان بها الأمير شعبان، وقيل: شقبان، وقيل: في اسمه غير ذلك، وكان على الفرنج صنجيل فحاصرها مدة **فنافق رجل من أنطاكية يقال له: فيروز**، وفتح لهم في الليل شبَّاكا فدخلوا منه ووضعوا السيف، وهرب شعبان وترك أهله وأمواله وأولاده بها، فلما بَعُد عن البلد ندم على ذلك، فنزل عن فرسه فحثى التراب على رأسه وبكى ولطم، وتفرق عنه أصحابه وبقي وحده، فمرَّ بهِ رجل أرمني حطَّاب فعرفه فقتله، وحمل رأسه إلى صنجيل ملك الفرنج(١).

أما الخيانات في عصرنا فحدِّث عن زعامات ووزراء وعملاء علمنة وتغريب:

١- خيانة كمال أتاتورك (الرجل الصنم) لأمته:

أقدم أتاتورك وزَبانِيته على هدم الخلافة الإِسْلامية، واستبدَال الحُروف العربيَّة بحروف لاتينيَّةٍ، وأمر الناس بحَلق لِحاهم، كما أمر النساء بخَلع الحجاب، ونكَّل بالعلماء والدعاة إلى الله، ومنعَ الأذان بالعربية، وبعد هلاك الطاغية كمال أتاتورك

(١) ينظر «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»: (٥/ ١٤٦).

سَار إخوانه وتلامذته من الاتحاديين وقادة الجيش وصنائع الغرب على نهجه[١]..

لقد تحول اللَّدودُ إلى إلغاء كل مَعالم التَّمسُّك بالدين عند الشَّعب التركي المتدين بطبعه، فحوَّل أوقاف المسلِمين إلى أملاك الدَّولة لتنفقها في غير ما أوقفت له، وحوَّل المعاهد الدِّينية إلى مدارس تدرِّس المناهج العلمانية، وألغى المَحاكم الشرعية بعد أن أوقَف العمل بأحكام الشريعة.

ثم طوَّر مسيرته الإجرامية بمِزيد من الخطوات القسْرية التي تهدف إلى طمس الهَويَّة لشعب عريق في تَديُّنه ومحبته للدين، فألغى حجاب المرأة، وأمر بحظر تعدُّد الزوجات، ومنع الرجال من لبس غطاء الرَّأس الشرقي (العمامة والطربوش) واعتمد لهم (القبعة) الأوروبية، وحتى الكلام... حظر التحدث فيه بالعربِيَّة، بعد أن أرغم الناس على كتابة اللغة التركية بالحروف اللاتينية، واستمرأ ذلك الطاغوت سكوت الناس فأمرهم بتغييرأسمائهم وكناهم إذا كانت عربية، لتحل محلها أسماء وكُنى طورانية!.. وويل للمغلوب إذا غزاه الغالب.

وكان لا بد من خُطوات تضمن الإبقاء على إلغاء كل ما يتعلَّقُ بِالإِسْلام بقُوَّة القوانين الجائرة، فعدل الدُّستور ليرفع منه العبارة التي تنص على أن الإِسْلام دِين الدَّولة، وأن الشريعة الإِسْلامية هي مصْدَر التشريع، وكان ذلك في عام ١٩٢٨م، بعد أربعة أعْوام من إلغاء منصب الخلافة، ثُمَّ خطا خطوة أكبر فألغى تدريس العلوم الدينيَّة سنة ١٩٢٩م، ثم أصدر تعليماته بألا تمارس الشعائر في المساجد إلا باللغة التركية بما فيها الأذان، وحتى القرآن أمر بكتابته باللغة التركية وحروفها اللاتينية.

ولم يأت عام ١٩٣٢م إلا والأذان يرفع باللغة التركية، وألغى أتاتورك كذلك الأقسام الشرعية بالجامعات التركية.

---

(١) «مجلة البيان»: (٥/ ٨٩).

ولم يكتف ذلك الذئب الأغبر بإيقاف العَمل بأحكام الشريعة، حتى أعطى لنَفسِه الحق في تبديلها وتغييرها، فأصدر مرسومًا بمساواة الرجل والمرأة في الميرَاث، وأجرى تغييرات كثيرة في القوانين المتعلقة بالأحوال الشخصية؛ لتتلائم مع القوانين الأوروبية التي أحلها محل الأحكام الإِسْلامية، واستورد للمسلمين القوانين الكفرية، السويسرية والإيطالية وغيرها.(١)

ولقد كانت خاتِمة هذا الطاغية عبرة لمن يعتبر، فقد أحاط نفسه لما نزل به المَرض واشتد بكبَار الأطباء الذين لم يكتشفوا أنه كان مريضًا بالكبد، حتى بلغ مرحلة التليف، ممَّا أصابه بالاستسقاء، واحتاج إلى سحب الماء من بطنه بالإبر، ثمَّ أصَابه الله بمرض الزهري نتيجة شذوذه وفحشِه، ثم ابتلاه الله بحشرات صغيرة حمراء لا ترى بالعين سَبَّبت له الحكة والهرش، حتى أمام زواره من السفراء والكبراء حتى ظهرت على وجهه، ويَكتشف الأطباء أن وراء ذلك نوع من النمل الأحمر لا يوجد إلا في الصين! فسبحان من الصين إلى تركيا ليذل الله هذا المجرم الهالك: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ﴾ [سورة المدثر: ٣١]، ويظل الرجل الصنم قرابة السنتين يصارع أوجاع وآلام المرض حتى هلك في شعبان ١٣٥٨هـ.(٢)

٢- حدِّث عن خيانة محمد علي باشا الذي كان:

- أول من أسسَّ دولة مدنية بمصر (علمانية)، كانت مقدمة لاحتلال الأجانب لها.

- وأعلن الحرب على الدولة العُثمانِيَّة؛ ممَّا جعلها ضعيفة في نظر دول أوروبا وجرأهم على التدخل في سياساتها الداخلية.

---

(١) مجلة «البيان»: (العدد ١٩٤/ ١٨).

(٢) «المسألة الشرقية»، محمود ثابت الشاذلي: (ص٢٤٢)، نقلًا عن جريدة «الوفاء المصرية»، بتاريخ ٢٩ أغسطس ١٩٨٥م..

– وحارب الدَّعوة الإصلاحية بالجزيرة.

– وملأ مصر بالأجَانب والدُّخلاء وجعلهم متنفذين في أجهزة الدولة، وسلَّطَهم على الشعب المصري يقهرونهم ويستذلونهم.

– وكان من أعظم موبقاتِه وطوامِّه أنه أول من سن القوانين الوضعية بدلا من الشريعة الإِسْلامية[١].

٣- خيانة فاروق للمجاهدين الصادقين:

ملك اسمه فاروق يَقوم بسحب تشكيلاتِ المُجاهدين من الإخوان المُسلمين من فلسطين ومن ثم أودعهم السجون والمعتقلات.

ملك يزوِّد جَيشه بالأسلحة الفاسدة، ويحرِمُه من تبني المَنْهَج الإِسْلامي في العسكرية الإِسْلامية[٢].

٤- خيانة عبد الناصر زعيم القومية العربية لأمته:

تزعم الحركة القومية العربيَّةَ، وقَد نشأت في ظل حكمه، واشتقت اسمَها من اسْمه وتبنت الأفكار التي كان يُنادي بها وهي: الحريَّة والاشتراكِيَّة والوحدة، وهي نفس أفكار الأحزاب القومية اليَساريَّة العربية الأخرى، خانَ الإخوان المسلمين يوم أن أقْسم إن هم دعموه وكَانوا معه أن يكون أوَّل عمل يقوم به بعد توليه الرئاسة أن يحفَظ القُرآن، وأن يطبق الإِسْلام، فلمَّا تولى الحكم ذكروه وعده، فقال: هل تريدون أن نرجع إلى حكم الحمير، وغدر بهم.

ففي ٨ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٤م (١٢ ربيع الآخر ١٣٧٤هـ) نفذ حكم الإعدام في ستَّة من قادة جماعة الإخوان المسلمين، منهم عبد القادر عودة، مؤلف

(١) انظر كتاب «أعلام وأقزام»: (صـ٩ وما بعدها)، للشيخ السيد العفاني.

(٢) المرجع السابق.

«التشريع الجنائي في الإِسْلام». فضْلًا عن الاعتقالات التي شَملت الآلاف من أعضاء جَماعة الإخوان المسلمين؛ وذلك بعد اتهامهم بالتّآمر علىٰ قتله في حَادث المنشية بالإسكندرية (في نفس العام)، والتي قيل بأنها مسرحية دبرها عبد الناصر معَ المخابرات المركزية؛ للتَّخلص من الإخوان المسلمين الذين كانوا يشكلون عَقَبة كبيرة لحكمه الفَردي البعيد عن الدين، ولتلميع شخصيته كزعيم وطني حتَّىٰ تتعلق به الجماهير.

وفي عام ١٩٦٥م أقدم عبد الناصر عَلىٰ إعدام ثلاثة من كبار الإخوان المسلمين، منهُم سيد قطب مؤلف «في ظلال القرآن»، وقَد شفع له الملك فيصل ملك السُّعودية ألا يقتَل فلم تقبل شفاعته.

في العام نفسه صَدر القرار الجمهوري (نيسان ـ أبريل ـ ١٩٦٥م) بالعَفو الشامل عن جَميع العقوبات الأصليَّة والتبعية ضد الشُّيوعيين في مصر، ودخل المَاركسيون في جميع مجالات الحياة في مصر بعد ذلك.

ـ في عام ١٩٦٧م كانت النكبة الثانية للعرب والمُسلمين، فقد احتلت دولةُ اليَهود في فلسطين ثلاثة أمثال ما اغْتَصبوه عام ١٩٤٨م (سيناء والجولان والضفة الغربية)، وسَقطت القدس بلا قتال، وهلك عبد النَّاصر سنة ١٩٧٠م بعد أن غَرقت مصر في الديون، وبعْد أن خرَّب مصر سياسيًّا واقتصاديًّا وأخلاقيًّا، وملأ العالم العربي بالشعارات الجوفاء.

من أسس الناصرية أيضًا: أن الدين ليس له علاقة بالمُجتمع وقوانينه ونظام حياته، وإنَّما هو طقوس تعبدية في المسجد فحسب.

(حمزة البسيوني، وصلاح نصر) كانا من أبرز جُنود (جمال عبدالناصر)، مارسوا علىٰ الدعاة إلىٰ الله من الظلم والعذاب ما تقشعر له الأبدان.



ولكن: كَيف كَانت حياتهم؟ لقد كانت شر حياة.

أما حمزة البسيُوني فقد بلغ به التجبر والطغيان إلىٰ حدِّ أنه كان يقول للمؤمنين – وهو يعذبهم حينما يَستغيثون باللهِ– يقول: أين إلهكم لأضعه في الحديد!

وأما صلاح نصر فقد كان يعقد علىٰ زَوجات الناس عقُودًا وهمية، وهُنَّ في عصمة رجال آخرين، ويتزوجهن!! لكن كيف كانت نهاية أولئك الطغاة؟

حمزة البسيوني اصطدمت سيارته، وهو خارج من القَاهرة إلىٰ الإسكندرية، بشَاحنة تحمل حديدًا، فدخل الحديد في جِسمه، من أعلىٰ رأسه إلىٰ أحْشائه، وعجز المنقذون أن يخرجوه إلا قطعًا.

وأما صلاح نصر فقد أصِيب بأكثر من عشرة أمراض مُؤلمة، مزمنة، عاش عِدَّة سنوات من عمره في تعاسة، ولم يجد له الطب علاجًا، حتىٰ مات سجينًا، مزجوجًا به في زنزانات زعمائه الذين كان يخدمهم، إن الله ليملي للظالم، حتىٰ إذا أخذه لم يفلته[(١)].

٥- خيانة بائع الجولان والقنيطرة وسفاح مخيم تلِّ الزعتر وحماة وحلب:

الذي قام سنة ١٩٨٣ بدكِّ مدينَة حَماة، وقتل حوالي ٣٠ ألفًا من سكانها وهَدم مساجدها، وأقام النظام علىٰ أنقَاضِ بَعضها كنيسة كاثُوليكية، إضَافة إلىٰ معهد رياضي للبَنات وبركة سباحة مختلطة، وكانَت له المذابِح المروعة في جسر الشغور وحلب وسجن تدمر سنة ١٩٨٠ وفي مدينة حماة سنة ١٩٨٢. وفي العام نفسه كَانت القوات التابعة لرِفعت أسَد شَقيق رئيس الجمهورية تُجبر المسلمات علىٰ نزع حجابهن[(٢)].

أما سقوط الجولان فَقد صدرت أوامر وزير الدِّفاع السُّوري إلىٰ قوات الجيش السوري بالانسحاب من هضبة الجولان قبل الهُجوم اليهودي عليها، بل أخلتها من

(١) «مجلة البحوث والمقالات الإِسْلامية»: (العدد ٥).

(٢) السابق.

سكانها يوم ٥/يونيو/١٩٦٧م، وحينما اتَّصل وزير الصحة السوري: عبد الرحمن الأكتَع -وكان بالقرب من فيق- بِحافظ الأسد الخائن قَال له: أنا قرب فيق والقنيطرة لم تَسقط في يد اليهود، فردَّ عليه وزير الدفاع السوري بالشتائم الهابطة، وعرَف الناس أن بيان سقوط القنيطرة مدبَّر ومخطط له(١).

٦- خيانة قادة العرب لجيوشها ١٩٤٨م:

حينَما كانت الجيوش العربية تَشد رِحَالها ميممة شطر فلسطين في عام ١٩٤٧م، كان العديدُ مِن القادة العسكريين المخلصين يدرِكُون حجم الخطيئة التي ارتكبتها القِيادات السياسيَّة يومئذٍ بحق هذه الجيوش وبحق فلسطين ومقدساتها، يوم أن أسلمت قيادتها للإنجليزي الصهيوني جلوب باشا(٢)

٧- خيانة قادة العرب الذين وقعوا وثيقة كامب ديفيد:

لما تمَّ توقيع اتفاق كامب ديفيد كان من الطبيعي جدًّا أن تُضرب الحركة الإِسْلامية بلا هوادة؛ لأنَّها هي المعوق الرئيس أمَام الاتفاقية والتطبيع، فكَان ما كان من أحداث دامية واعتقالات واسعة للمسلمين!

فهي تتعدىٰ كَونها معاهدة سلام إلىٰ معاهدة يتمُّ بِموجبها فتح المنطقة أمَام النفوذ والسيطرة اليهودية، ويمكن تلخيص مظاهر التطبيع بالآتي:

١- التطبيعُ السِّياسي؛ حيث أرسِيت علاقات دبلوماسية كاملة مع إسْرائيل ولقاءات قمة متبادلة.

٢- التطبيع الاقتصادي؛ حيثُ تمَت إزالَة جميع الحواجز بل أصبحت (إسرائيل) الدولة الأولىٰ بالرعاية.

---

(١) «مجلة البيان»: (٢٧/ ٢١١).

(٢) «مجلة البيان»: (٤٧/ ٥٣).

٣- التَّطبيع الثقافي؛ حيثُ ينظر اليهود إليه على أنه الدعامة الرئيسة لبقاء السلام وبموجبه يتمُّ نزع العداء لليهود من العقل العربي.

ومن مظاهر التطبيع يتبين لنا أهمِّية التطبيع الكبيرة بالنسبة للكيان اليهودي، حيث يتم كسر الحاجز النفسي بين المسلمين واليهود، وتَنتهي المقاطعة العربية مما يفتح المجال لتوسع اقتصادي كبير في (إسرائيل) نتيجة فتح الأسواق العربية، وهناك أمر آخر هو أهمها وهو أن الاستقرار الأمني في المنطقة سيؤدي إلى سيل كثيف من هجرة اليهود إلى (إسرائيل)، مما يقرب اليهود من تحقيق حلم (إسرائيل) الكبرى.

كِلَابٌ لِلأَعَاجِمِ هُمْ وَلَكِنْ ... عَلَى أَبْنَاءِ جِلْدَتِهِمْ أُسُودُ

٨- خيانة زعيم تونس «أبو رقيبة»:

ما شَهدته تُونس من حرب ضدَّ الإِسْلام، في عهدي بورقيبة، وبن علي، لم تبلغهُ فَترة الاحتلال الفرنسي المباشر لتونس، (١٨٨١ / ١٩٥٦)؛ فالحرب ضد الزيتونة، وضد صيام التوانسة لِرمضان، وضد الحِجاب، وضد العلماء، والتَّهكم بكل ذلك، حقائِق معروفة في عهد بورقيبة (١٩٠٣ / ٢٠٠٠ م)، فمنذ وصوله للسلطة وهو لم يتوقَّف عَن حرب الإِسْلام المتمثلة في شعائره وعقائده ورجالاتِه، بل طال بطشُه جميع المعارضين من مختلف الطيف السياسي التونسي، سواء في الستينات التي قمع فيها اليوسفيين، أو بعد إعلان نفسه رئيسا مدى الحياة في سنة ١٩٧٥ م.

❍ إغلاق جامع الزيتونة:

أعلن بورقيبة الحرب على الإِسْلام، من خلالِ إغْلاق جامع الزَّيتونة، الذي كَان منارة إِسْلامية منذ تأسِيسه عام ٧٩ هجرية على يد حسَّان بن النعمان، لَيس في تونس فحَسب، بل في المغرب الإِسْلامي، والأندلُس، بل أن أحد شيوخه تولى مشْيَخة الأزهر وهو الشيخ محمد الخضر حسين رَحِمَهُ اللَّهُ، وفِيه درس ابن خلدون،

وإبراهيم الرياحي، وشاعر المسلمين أبو القاسم الشابي، وغيرهم رحمهم الله، ولم يكن الإمام سحنُون، وابن عرفة، وأبي زيد القيرواني بعيدين عنه، فضلًا عن المعاصرين علماء آل النيفر، والثعالبي، وابن عاشور، وعبد الرحمن خليف وغيرهم رحمهم الله جميعًا.

ترك الحجاب التقليدي:

ودعا بورقيبة إلى ترك الحجاب التقليدي، والمعروف في تُونس بـ «السفساري»، وهُو غطاء تتلَحَّف به المرأة عند الخروج، ويغطي رأسها حتى كعبيها، ولم تَكن النِّساء التونسيات يخرُجن دونه، وتعرض «السفساري» لحَملة إعلامية مكثَّفة تتحدث عن سلبياته، وتزين السفور، وقام بورقيبة بنفسه في مسرحية معدَّة سلفًا بإلقاء «السفساري» من على رأس إمرأة، وسط تصفيق بعض زبانيته.

وبعد ٢٠ سنة من حكمه، وفي مقابلة مع صحيفة، لومند الفرنسية، الصادرة بتاريخ ٢١ مارس ١٩٧٦، قال بورقيبة مفتخرًا في رده على سؤال حول إنجازاته: (أعتز بثلاث قضايا، أغلقت جامع الزيتونة، وحرَّرت المرأة، وأصدرت قانون الأحوال الشخصية الذي يقطع علاقة الأسرة بالإِسْلام).

منع استخدام التاريخ الهجري:

حيث أصدر قانونًا في سنة ١٩٦٠ م يمنع استخدام التاريخ الهجري، ولا يعرِف الكثيرون أنه في عهد بورقيبة وتحديدًا سنة ١٩٦١ م تم تأميم أكثر من ٢٠٠ مسجد، ومِن ثمَّ بيعها، لتتحول إلى مساكن، وحوَّل مسجدًا في مدينة بنزرت إلى مرقص، وحوَّل مسجدًا إلى خمارة، وحوَّل مسجدا إلى متحف روماني.

العدوان على شعائر الإِسْلام:

وتمادى بورقيبة في العدوان على شعائر الإِسْلام، فأعلَن مَنع الصوم في

رمضان، سنة ١٩٦٢ م، وعزَل المفتي الفاضل ابن عاشور الذي عارض النَّزق البورقيبي، وقَام بنفسه باحتساء كوب من المَاء في شهر رمضان أمام شَاشة التلفزيون، ونظمت حَملات لإجبار الموظفين والعمال وقوات الجيش وجميع أطياف الشعب التونسي على الإفطار في رمضان، والكثير من الناس فقدوا وظائفهم جرَّاء ذلك.

تجاوز بورقيبة كل الحدود، فألغى الأوقاف، والمَحاكم الشرعِيَّة، وأعلن مرَّة أخرى أن في القرآن تنَاقضات، وأن الرسول ﷺ كان يقول الخرافات، وقال في نَدوة أقيمت في القصر الرئاسي سنة ١٩٧٤ م أنه لا يؤمن بالمُعجزات ويقول: القُرآن الذي تعلمونه للشَّباب ملئ بالخرافات، أسمعتم أن شخصًا ينام ٣٠٠ سنة، فكيف تقبلون بقول محمد أن عصا تحولت إلى ثعبان. يعني قصة موسى عليه الصلاة والسلام.

هل خيانات للدين والأمة أعظم من هذه الكفريات؟![1].

٩- خيانة السيسي قائد الانقلاب الدموي في مصر العزيزة:

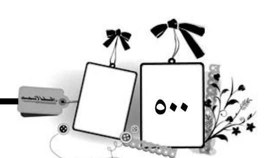
لا يشك أحد أن من مدحهُ الأعدَاء وأثنوا عليه ورضوا عنْه ودعموه ماديًّا ومعنويًّا واستبشروا بمقدمه، لن يكون إلا خائنًا لدينه ومبادئه وأمتِه مِصداقا لقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [سورة البقرة: ١٢٠].

ومن باب العدل والإنصاف، فهَذه شهادات إسرائيلية تفَاخر بالسيسي وتطرب لتوليه الرئاسة في مصر:

١- العنوان الرئيس لصحيفة معاريف اليهودية بعد الانقلاب ٤ / ٧/ ٢٠١٣م.
السيسي البطل استطاع استِعَادة مصر من قبضة الإِسْلاميين إلى أحضاننا من جديد.

٢- وفي صحيفة هاآرتس الإسرائيليَّة كذلك، كتب المحلِّل السياسيِّ الإسرائيليِّ

(١) انظر أعداد «مجلة البيان»: (٢٩/ ٧ -٤٠/ ١٠٣ - ٥٧/ ٧٠ - ٨١/ ١٠٧)، ومجلة «الجامعة الإِسْلامية»: (٨/ ٤٥١)، و«موسوعة البحوث والمقالات العلمية»: (١- ٦- ١٤).



آري شافيت يوم ١١ يوليو في مقالة تحت عنوان (الشوق الإسرائيليّ للسِّيسي)، كتب شافيت يقول: **البطل الإسرائيليّ الجديد هو بطل مصريٌّ**: الجنرال عبد الفتّاح السِّيسي. لا يجب أن تتمعّن بدقّة كي تكتشف التأييد العميق والإعجاب السريّ لدى النخبة الإسرائيليّة بقائد القوّات المسلّحة للجارة الجنوبيّة الكبيرة، الذي حبس الرئيس الذي عيّنه في موقعه.

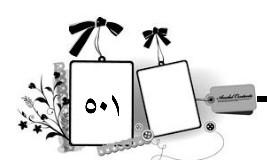
ليس هناك شكٌّ أو تردُّد في إسرائيل، فكلُّنا مع السِّيسي وكلُّنا مع الانقلاب العسكريِّ، كلُّنا مع حقِّ الجنرالات حالقي اللِّحى الذين تربَّوا في أمريكا في القضاء على سلطة رئيس ملتحٍ منتخب.

عندما ننظر إلى الخارج، نبحث عن دكتاتوريِّين، ليبسُطوا سيطرتهم على الشعوب العربيَّة المحيطة بنا والمعادية لنا.

٣- أما نخبة الوسط يسار الإسرائيليّة فترى أنَّ الخلاص (لإسرائيل) يتمثَّل بالجنرالات والجواسيس والشرطيِّين البارزين، الذين يلبسون الزيَّ (العسكريَّ) ويحملون نفس الـ (دي. إن. إيه) الفكريِّ الذي نحمله نحن، فهم الذين سيحمون الوطن من الحكومات المنتخبة التي أتت بها الجماهير الحمقى.

٤- كما كتب المحلِّل العسكريُّ والباحث في معهد (بيغين- سادات) عامير رابابورت في مقال له بموقع معاريف يوم ٦ يوليو -٢٠١٣ تحت عنوان (على إسرائيل أن تكون راضية بعزل مرسي)، إنَّ الجيش الإسرائيليّ يعتبر السيسي بطلًا وعبقريًّا.

٥- وقال المحلل العسكري الإسرائيلي روني دانئيل علَى القناة العبرية الثانية بأن وزِير الدفاع المصري السيسي أبلغ (إسرائيل) بالانقلاب العسكري قبل ثلاثة أيام مِن وقوعه، كما طلب من (إسرائيل) مرَاقبة حركة المقاومة الفلسطينية حماس.



وشدد دانئيل على أن الانقلاب العسكري جيد لـ (إسرائيل)، بل كان مطلبًا ملحًّا لها ولأمنها، مشيرًا إلى وجود اتصالات مكثفة منذ فترة بين السيسي ود. محمد البرادعي من جهة والحكومة الإسرائيلية من جهة أخرى!

٦- كما أعلنت إسرائيل على لسان رئيسِها شيمعون بيريس، أن ما تحقق لها من الانقلاب في مصر من مكاسِبه يفوق ما حققته إسرائيل من مكاسب في حرب عام ١٩٦٧.

٧- السيسي: بالفيديو يقول لوفد من الصهاينة: إسرائيل تساعدنا جدًّا، وهي أقل مصادر قلقنا.

٨- السيسي: سعى لفشل صفقة الصواريخ من روسيا، والتي سعى إليها مرسي.

٩- السيسي: زج بالكَثير من ضباط الجيش في السجون، لأنهم أطلقوا اللحية، فتم الحكم عليهم بالحبس ثلاث سنوات، وطردٍ من الجيش.

١٠- السيسي: مسؤول عسكري إسرائيلي يقول: السيسي يتصدي لأعداءنا بالمنطقة.

١١- السيسي: ومن خلال الفيديوهات المسرَّبة تستمر فضائح السيسي، حيث يقول أنا لا أعرف شيئًا اسمه مجانيًّا، ولا بد لكل مصري أن يتعود على دفع ثمن كل خدمة تقدم له، ولو كان باستطاعتي لجعلت المصريين يدفعون ثمن استقبَال الهاتف، بذلك يزداد دخلنا القومي.

١٢- السيسى: أكد من خلال فيديو مسرَّب أكد صحته ضباطه، أنَّه أبلغ كل الجنود والضباط بأن يضربوا بالغَاز وبالقنابل وبالخراطيش، ولايهمهم إذا مات أحد أو أصيب فى عينه، فإن أيّ أحد لن يُحاكم بعد الآن.

١٣- وقد سطرت صحيفة فيترانس توداي الأمريكية مقالا لها عن مصر

بعنوان (السيسي يهودي، ومصر الآن تحت الاحتلال الصهيوني).

ولفتت صحيفة فيترانس توداي الأمريكية إلى أن المشروع الصهيوني الكبير –وهو مخطط صهيوني طويل الأمد لسرقة جميع الأراضي الواقعة بين النيل والفرات– بات في منتصف الطريق، قائلة: (يتحقق فقط بمجرد الاستيلاء على النيل).

وأضافت أن المشكلة تكمن في أن سفَّاح مصر الجديد، الجنرال عبد الفتاح السيسي، القائد العام للقوات المسلحة، يهودي الجنسية، مشيرَة إلى أن والدته مليكة تيتاني يهودية مغربية من آصفي، الأمر الذي يجعل السيسي يهودي الجنسية وبشكل تلقائي مواطن صهيوني.

المفكر الصهيوني ايدر يكتب: مَع كل الألم، يجِب أن يغض الغرب الطرف عن مجازر السيسي ضد شعبه لأنها السبيل لمنع دولة إِسّلامية.

١٤– أما وزير الحرب الصهيوني الأسبق بن اليعازر: مصلحتنا القومية تقتضي الإبقاء على حكم العسكر في مصر.

١٥– وقد ذكرت وسائل إعلام غربية، أن وزير الدفاع المصري عبد الفتاح السيسي، قائد الانقلاب الدموي، حصَل على موافقة إسرائيل عَلى الإطاحة بمرسي، وقيام الفريق السيسي بزيارة تل أبيب قبل الإطاحَة بالرئيس المعزول محمد مرسي، بثلاثة أيام، التقى فيها رئيس الوزراء الإسرائيلي، في زيارة استغرقت خمس ساعات فقط.

١٦– أما المجازر التي نشرتها وسائل الإعلام ومواقع الإنترنت، والتِي طالت المتظاهرين بل والمُصلين، ممَّا ذهب ضحيتها أعداد كبيرة من المصريين غير المعتقلين والمعتقلات، ممن نالهم من التعذيب والاعتداء على الأعراض فأمر يشيب لهوله الولدان، كل ذلك موثق بالصوت والصورة، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

زعيم الانقلاب السيسي تولى الحكم في مصر على جماجم المصلين وأشلاء المتظاهرين. تقصفهم الدبابات ويطالهم رصاص الغدر والخيانة، ثم تجرى انتخابات جائرة مزورة باطِلة، ليكون بعد ذلك الرئيس المُلهم والمنقذ، ثم نجد من هم محسوبون على الصف الإِسْلامي يبشرون بِمقدمه ويدعمون توجُّهاته، بل ويعقدون المؤتمرات تأييدًا لفخامة الرئيس وانتخابًا له.

ما ذُكر من الشواهد والأمثلة على من خفروا ذممهم، وخَانوا أماناتهم وغدروا بأمتهم ما هو إلا نزر يسير، وإلا ففي سالف الأمة وحاضرها منافقون كثير تشابهت قلوبهم، قاتلهم الله أنَّى يؤفكون.

ما يستفاد من القاعدة:

شأن العلماء والدعاة والمخلصون لأمتهم والأوفِياء لها عظيم، من أجل ذلك لزم حياطتهم وحمايتهم من أن تمتدَّ يَد منافق غادر أو لسانه أو قلمه... إليهم بسوء وحوادث التاريخ شاهدة.

القاعدة الحادية عشرة: دعوة المنافقين ووعظهم.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة المؤمنون: ٧٣]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٤٥-٤٦]، لقد تطلَّب النَّبيّ ﷺ بدعوته حدبًا منهُ على أمته وحرصًا على هدايتهم كلَّ أحد؛ صغيرهم وكبيرهم، شَيبهم وشبابهم، سَادتهم وفقرائهم، رِجالهم ونسائهم، حتَّى إنَّه ليحضر مجامعهم وأوسواقهم وحجهم ونواديهم، يَهوديهم ونصرانيهم ومشركهم ومنافقهم، حتَّى إنه ليُدرك بعضهم، وهم على فُرش موتهم كما في قصة عمِّه أبي طالب وقصة الغلام



اليهودي(١)... همُّه وهجيراه استنقاذهم وهدايتهم.

ومن ذلك مَا كان من شأن دعوته للمُنافقين بشتَّى الوسائل ترغيبًا وترهيبًا تصريحًا وتلويحًا، حتى إنه ليغتمَّ ويهتمَّ إذا قوبل بالإعْراضِ والصدود، فنزل عليه قوله سبحانه: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٦].

١- فقد ذكَّرهم الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٦] الآية.

٢-ووعظَهم: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [سورة النساء: ٦٣].

٣- ولم يُعنتهم أو يوبخهم بادي الأمر، بل دَعاهم إلى تدبر القرآن: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [سورة محمد: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [سورة النساء: ٨٢].

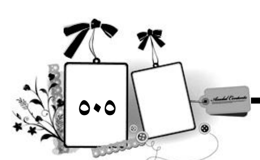
٤- ورهَّبهم من عذاب الله: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٣٨].

٥- وذكرهم بأسْمَاء الله وصفاته، ولم يقَنِّطهم من رحمته، بل فَتح لهم باب التوبة ودعاهم ليستغفر لهم، وربَّما استغفر لهم قبل أن يُنهى عنه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [سورة المنافقون: ٥].

٦- ودعاهم إلى التوبة النَّصوح الصادقة بشروطها: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟

---

(١) عنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: كان غلام يهودي يخدم النَّبيّ ﷺ فمرض فأتاه النَّبيّ ﷺ يعوده فقعد عند رأسه فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلم فخرج النَّبيّ ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار». رواه البخاري: ح (١٣٥٦).



وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء: ١٤٦].

٧- بل أعطاهم الفُرصة وفتح لهم باب الأمل لعلهم يعقلون: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [سورة الفتح: ١٦] الآية.

٨- بل إنك تَجد القرآن كثيرًا ما يعبر عن المنافقين باسم الموصول فيقول مثلًا: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ [سورة البقرة: ٨-٩] الآية، وذَلك كَثير، لأن التعبير بالموصول يخفي تحته اسم المذنب، وفي ذلك من الرجاء في هدايته ما ليس في إفشاء سره وفضحه.

٩- كما كان يقول: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [سورة التوبة: ٦١]، فلم يذكر أسماءهم مَع أنهم معروفون، أملًا في الرجوع إلى الصَّواب والعودة إلى طريق الرَّشاد حتى لا يكون في ذكر اسْمِهم إلحاق العار بهِم، وإلصاق الخزي بأعيانهم.

وإذا كان هناك ذمٌّ لهم في القرآن، فإنَّما هو لبيان حقيقة حَالهم وقبح تصرفهم، لقَصد الوعظ والإنذار: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [سورة طه: ١١٣]، فالذم لم يكن لأشخاص محددين، وإنما كان بأسْماء عامَّة، كالمنافقين والظالمين والفاسقين والمجرمين.

ولسرٍّ يَفهمه أولو النُّهى ذكر اسم أبي لهب -عم النَّبيّ ﷺ- وامرأته حمالة الحطب وآزر -والد إبراهيم عليه الصلاة والسلام - لِيشير بذلك إلى قاعدة هامة، وهِي أن مبنى الحكم هو الأعمال الصالحةِ، لا الأنساب والقرابات، وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات: ١٣][1].

---

(١) «لغة المنافقين في القرآن»، د/ عبد الفتاح لاشيد ١/ ١٤١، دار الرائد العربي، بيروت، ط، الأولى ١٤٠٥هـ.

عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا قالت: «استَأْذَن رجُلٌ علىٰ رسول الله ﷺ فقال: «ائذَنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ أَو ابْنِ العَشِيرَةِ»، فلمَّا دَخل ألان له الكَلام. قلتُ: يا رسول الله، قُلت الذِي قلتَ، ثمَّ ألَنْتَ له الكلامَ. قَال: «أَي عَائِشَة إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ»[(١)]».

قال ابن حجر في شرح الحديث: «تقدَّم بيانُ مَوضع شرحِه في باب ما يَجوز من اغتياب أهل الفساد، والنُّكتة في إيراده هنَا التَّلميح إلىٰ ما وقع في بعضِ الطرق بلفظ المداراة»[(٢)].

١٠- محاورتهم وكشف شبههم: الحِوار مع المنافقين سمَة بارزة في القرآن: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ﴾ [سورة البقرة: ١١]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [سورة البقرة: ٣١]، ومعَ وَصف الله تَعالىٰ لهم بالسَّفه إلا أنه لم يترك أفكارهم، بل ذكرها وفندها وأبطلها فقال سبحانه:[(٣)] ﴿وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلۡحَرِّۗ قُلۡ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرّٗاۚ لَّوۡ كَانُواْ يَفۡقَهُونَ﴾ [سورة التوبة: ١٨].

وقال تعالىٰ: ﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٥ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾

---

(١) البخاري، ك الأدب، باب المداراة مع الناس: ويذكر عن ابي الدرداء: إنا لنكشر في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم، ح: (٦١٣١)، ومسلم، ك/ البر والصلة والآداب، ح: (٦٥٣٩)، ومعنىٰ الكشر: ظهور الأسنان، وأكثر ما يطلق عند الضحك، والاسم الكشرة كالعشرة. ينظر «فتح الباري»: (١٣/ ٧٠٢).

(٢) وهو عند الحارث بن أبي أسامة من حديث صفوان بن عسال نحو حديث عائشة وفيه: فقال: إنه منافق أداريه عن نفاقه وأخشىٰ أن يفسد علىٰ غيره. ينظر «فتح الباري»: (١٣/ ٧٠٣).

(٣) انظر مرجعًا في: «بحث السياسة الشرعية في التعامل مع المنافقين»: (ص ٦٦ ـ ٦٧ ـ ٦٨).



[سورة التوبة: ٩٥-٩٦]، وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [سورة الفتح: ١١-١٢](١).

أمَّا أحاديث المصطفى ﷺ، فقد جاءت موضِّحة لهديه في دعوتهم ووعظهم ونصحهم، فعن بريدة بن الحصيب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: صلَّينا الظُّهرَ خَلف رسول الله ﷺ، فلمَّا انفتل(٢) من صلاتِه أقبل علينا غضبَانًا، فنادى بصوت أسمعَ العواتق(٣) في أجواف الخدور(٤) فقال: «يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ، لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَطْلُبُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبُ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ هَتَكَ اللهُ سِتْرَهُ وَأَبْدَى عَوْرَتَهُ وَلَوْ كَانَ فِي سِتْرِ بَيْتِهِ»(٥).

وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قام رسول الله ﷺ فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يُخْلِصِ الإِيمَانُ إِلَى قَلْبِهِ، حَتَّى أَسْمَعَ العَوَاتِقَ فِي خُدُورِهِنَّ،

---

(١) راجع: «المعوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف الإسلام منهم»، لسميرة محمد عمر جمجوم: (ص ٣٢٨، ٣٤٠)، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٠٤ ـ ١٤٠٥هـ.

(٢) انظر مرجعًا في «بحث السياسة الشرعية في التعامل مع المنافقين»: (ص ٦٦ ـ ٦٧ ـ ٦٨).

(٣) العواتق: جمع عاتق وهي الشابة أول ما تُدرك، وقيل: هي التي لم تبن من والديها ولم تتزوج وقد أدركت وشبت. انظر «النهاية»: (٣/ ١٧٨، ١٧٩).

(٤) الخدور: واحدها خدر وهو ناحية في البيت يترك عليها ستر فتكون فيه الجارية البكر. السابق: (٢/ ١٣).

(٥) رواه أبو داود في «سننه»: (٥/ ١٩٤، ١٩٥)، ك الأدب، باب في الغيبة، وأحمد في «المسند»: (٤/ ٤٢٠، ٤٢٤، بنحوه وأبو يعلى في «مسنده»: (١٣/ ٤١٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»: (٢/ ١٣٢٣).

لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَبَّعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ حَتَّىٰ يَخْرِقَهَا عَلَيْهِ فِي بَطْنِ بَيْتِهِ»(١).

وفي هذه النصوص من الفوائد ما يحسن الوقوف عندها وتدبرها فمن ذلك:

١. مداومة نصح ووعظ المنافِقين: «فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمُرُ النَّعَمِ»(٢)، والوَاقع يَشهد بذَلك، فكم هدىٰ الله من علماني ورافضي وليبرالي وشيوعي وغيرهم.

٢. نصحهم بنداءات عَامَّة دون ذكر الأسماء.

٣. يتم وعظهم ضمن موعِظَة الناس جميعًا.

٤. تنويع أسلوب دعوتهم وتذكِيرهم ترغيبًا وترهيبًا ملاطفة وتقريعًا.

وقد تعدَّدت في زماننا الوسائل التي يمكن من خلالها بعث رسائل الوعظ والنصح عبر وسائل التقنية الحديثة.

٥. الدعوة الفردية... فها هو عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يسلك طريق الموعظة والدعوة الفردية مع رأس المنافقين في المدينة عبد الله بن أبيِّ متمثلًا قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سورة سبأ: ٤٦] الآية.

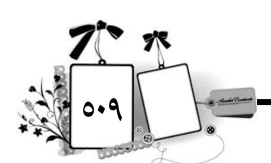
عن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «دخَل رسول الله ﷺ علىٰ عبد الله بن أبيِّ يعوده في مرضه الذي مَات فيه، فلما عرف فيهِ الموتَ قالَ رسول الله ﷺ: «أَمَا وَاللهِ إِنْ كُنْتُ لَأَنْهَاكَ عَنْ حُبِّ يَهُود»، فقال: قد أبغضهم أسعد بن زرارة فمه؟»(٣).

---

(١) «صحيح الجامع»: (١٣٩٤٤).

(٢) «صحيح البخاري»: رقم (٤٢١٠)، ومسلم: (٢٤٠٦).

(٣) رواه أبو داود: رقم (٣٠٩٦)، والطبراني، والبيهقي في «الدلائل»، وهذا لفظه، وله أصل في الصحيح، وهو في «المستدرك»: برقم (١٢٦٢)، وقال محققه: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه، وقال عنه الأرناؤوط في تحقيقه لمسند الصحابة في الكتب التسعة: برقم (٢١٨٠٧): عن أحمد في المسند هذا حديث صحيح، وإسناده ضعيف.



ويظهر هذا الحديث أنه عليه الصلاة والسلام كان يتخوَّل عبد الله بن أبيٍّ بالموعظة والنصيحة الفردية... وهكذا الدعوة يجب أن تكون مع من يُعتقد أنهم رؤوس الضلالة والنفاق، فتُؤثر فيهم الدعوة الفرديَّة أعظم تأثير، بمقابل موعظة الأتباع والرِّعاع جماعيًّا، فالدعوة الفردية تكون أصرح وأوضح وفي الغالبِ لها تأثير إيجابيٌّ كبير على كبار القوم والمتبوعين، وهذا من إنزال الناس منازلهم وتخولهم بالموعظة زمانًا ومكانًا وخلوة بهم.

والموعظة العامة دون ذكرهم أو التشهير بالمنافقين أيضًا لها آثار إيجابية على مجتمع الإيمان ومجتمع النفاق، فهي تنقي الأول وتنصحه، وتهز موقف الأخير وتفضحه، وتجعله يرجع القهقرى[١].

بل كان ﷺ يدعو لِمن جاء منهم كما في رواية الحافظ ابن عساكر، عن أبي الدرداء: «أن رجلًا يقال له: حرملة، أتى النَّبيّ ﷺ فقال: الإيمان هَاهُنا... وأشار بيده إلى لسانِه.. والنفاق هَا هنا.. وأشار بيده إلى قَلبِه... ولم يذكر الله إلا قَليلًا، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَل لَهُ لِسَانًا ذَاكِرًا وَقَلْبًا شَاكِرًا وَارْزُقْهُ حُبِّي وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّنِي وَصَيِّرْ أَمْرَهُ إِلَى خَيْر»، فقال: يا رسول الله، إنه كان لي أصحاب من المنافقين وكنت رأسًا فيهم، أفلا آتيك بهم؟ قال: «مَنْ أَتَانَا اسْتَغْفَرْنَا لَهُ، وَمَنْ أَصَرَّ فَاللهُ أَوْلَى بِهِ، وَلَا تَخْرِقَنَّ عَلَى أَحَدٍ سِتْرًا»[٢].

ما يستفاد من القاعدة:

ورد ذكر خمس فوائد في سياق القاعدة لا حاجة لتكرارها.

---

(١) ينظر «النفاق والمنافقون في ضوء السنة النبوية المطهرة»: (٢٨٠ ـ ٢٨٢).

(٢) رواه الطبراني في «الكبير»: (٤/ ٥، ٦) وقال الهيثمي في «المجمع»: (٩/ ٤١٠): رجاله رجال الصحيح، وقال ابن حجر في «الإصابة في تمييز الصحابة»: (٢/ ٢٢٧): إسناده لا بأس به.

القاعدة الثانية عشرة: مجاهدتهم والإغلاظ عليهم.

ولا تعارض بين هذه القاعدة والتي سبقتها لاعتبارين.

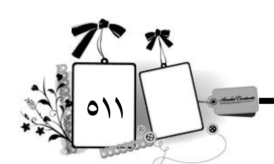
١. تقديرُ المصالح والمَفاسد، فقد يصلح في حِين التلطف والنصح والموعظة بالتي هِي أحسن، ولا يصلح في حينٍ آخر إلا الزَّجر والردع والصدع والتبكيت والتقريع... والموفَّق من وفَّقه الله.

٢. أن حَال التلطف والتودُّد كان في أول العهد النبوي، أما وقد فشت قبائح القوم وتكررت واستبانت خباياهم وظهرت خزاياهم، فليسَ إلا الإغلاظ والقول البليغ، ولذلك جاء قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [سورة التوبة: ٧٣]، في آخر سورة نزلت كاملة وهي سورة (التوبة).

بل إن هذه الآية تكرَّرت مرتين هنا وفي سورة (التحريم)، يقول د. الميداني: ونَتساءل عن الحكمة من إعادة تنزيلها دُون تغيير في أيِّ لفظ من ألفاظها؟ الذي يظهَر لي -والله أعلم- ما يلي:

أنَّ الجهاد المأمور به في القرآن ذو مُستويات بعضها أشدُّ من بعض، وهُو بالنسبة إلى جهاد الكفار الصُّرحَاء يبدأ بجهاد الدعوة، فجهاد الجدَال بالتي هي أحسن، فجهاد الصبر على أذاهم، فجهاد مضايقتهم بما يكرهون، فجهاد عدم التغاضي عن سيئاتهم بالعقاب عند القدرة على ذلك، وهَكذا حتى جهاد قتالهم قتالًا عامًّا، مع جهاد تأليف قلوبهم بالمال.

أما المُنافقون فإن جهادهم يتَّخذ في مراحله الأولى أسلوبًا غير أسلوب الكافرين الصرحاء، وهو الأسلوب الذي اتبّضعه الله معهم والذي تدلُّ عليه نجوم التنزيل التي عالجت أمورهم ومشكلاتِهم ومكايدهم ونفوسهم وأفكارِهم منذ بدء المرحلة المدنية، ويظهر في هذا الأسلوب كشْف صفاتهم دون تحْديد أشخاصهم ومعالجتها



بالبَيان والإقناع والإنذار مع الإغضاء وعدم تَنفيذ العقوبات التي تقتضيها بعض أعمالهم، ما داموا يتسترون ويتذرّعون بالمعاذير والأكاذيب ويشاركون في ظواهر الأعمال الإِسّلامية الجماعية، ويحلفون الأيمان بالله على الكذب لستر مكايدهم وتغطية نفاقهم المحشوّ بالكفر، ثم إبَّان نزول سورة التحريم في أوائل الثلث الأخير من العهد المدني، اقتضت الحكمة الربانية التوجيه لمجاهدتهم مثل مجاهدة الكفار المجاهرين بكفرهم فأشركهم الله مع الكفار في توجيه النَّبيّ ﷺ لمجاهدتهم.

ولما استمر بعضُ أهل النفاق يمارسون أعمالهم الكيدية، واقتربت مهمة الرسول ﷺ تنتهي في الحياة الدنيا، وكان هذا إبَّان نزول سورة (التوبة) اقتضت الحكمة تكرير إنزال هذه الآية بنّصها دون تغيير في أيَّ لفظ من ألفاظها.

وفي تكرير هذا الإنزال إشارة إلى أن الوقت قد حان لاتخاذ بعض أساليب القوة والعنف ضد المنافقين، تحت عنوان الجهاد المأمور به بشكل عام، لأنه يشمل كلَّ مستوياته.

وهذا يؤذن بأنه إذا اقتضت الحكمة معاقبتهم ولو بالقتل فإنهم يعاقبون بذلك، ويبقى اختيار معاملتهم بما تقتضيه أحوالهم متروكًا للرسول ﷺ فخلفائه من بعده ولأمراء المؤمنين ما دام للمسلمين دولة قائمة، تعمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ(١).

قال الشيخ السعدي عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣﴾ [سورة التوبة: ٧٣]: «أي: بالغ في جهادهم والغلظة عليهم حيث اقتضت الحال الغِلظة عليهم، وهذا الجهاد يَدخل فيه الجهاد باليَد، والجهاد بالحجة واللسان، فمن بَارز منهم بالمحاربة فيُجاهد باليد واللسان والسيف والبيان، ومن كان مذعنًا للإِسّلام بذمة أو عهد فإنَّه يجاهد بالحجة والبرهان

(١) «ظاهرة النفاق»: (٢/ ٣١٣ ـ ٣١٤)، للميداني.

ببيان محاسن الإسلام ومساوئ الشرك والكفر فهذا لهم في الدنيا، وأما في الآخرة فـ: ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾، مقرُّهم لا يخرجون منها: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾»(١).

وقال ابن كثير: «عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال: بُعث رَسول الله ﷺ بأربعة أسياف: سَيف للمُشركين: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة التوبة: ٥]، وسيف لكفار أهل الكتاب: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [سورة التوبة: ٢٩]، وسيف للمنافقين: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ٧٣]، وسيف للبغاة: ﴿فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الحجرات: ٩]، وهذا يَقتَضي أنهم يجَاهدون بالسيوف إذا أظْهروا النِّفاق وهو اختيار ابن جرير، وقال ابن مسعود في قوله تعالىٰ: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ٧٣]، قال: بيدِه فإن لم يستطع فَليكفَهر في وجهه، وقال ابن عباس: أمَره الله تعالىٰ بجهاد الكُفَّار بالسيف والمنافقين باللِّسان وأذهب الرفق عنهم.

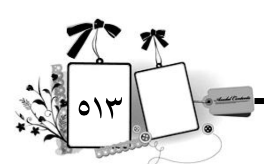
وقال الضحاك: جاهد الكفار بالسَّيف واغلظ علىٰ المنافقين بالكَلام وهو مجاهدتهم، وعن مقاتل والربيع مثله، وقال الحسن وقتادة ومجاهد: مجاهَدتهم إقامة الحدود عليهم، وقد يقال إنه لا منافاة بين هذه الأقوال لأنه تارة يؤاخذهم بهذا وتارة بهذا بحسب الأحوال والله أعلم»(٢).

والذي ذكره ابن كثير مرويًّا عن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ واختاره ابن جرير هو الصواب بإذن الله، لأنَّ الأمر صدر عنه ﷺ دون تفرقة بَين كافر ومنافق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ

---

(١) «تفسير السعدي»: (٣/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧).

(٢) «تفسير ابن كثير»: (٢/ ٣٧١).



جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ [سورة التوبة: ٧٣]، والذين فرَّقوا بين مجاهدة الكفار والمنافقين هو منهم من باب التحكم الذي لا يؤيدهم فيه دليلٌ من الشرع أو اللغة.

والآية لم تذكر أن جهاد الكفار يكون بالسيف وجهاد المنافقين يكون بغير ذلك من الوسائل، بل إن جهادهم جميعًا بالسيف لا فرق في ذلك بين كافر ومنافق.

ولذلك كان رسول الله ﷺ وهو المؤيد بالوحي يلجأ في بعض الأحيان، بل في كثيرها إلى العنف والشدة مع هَؤُلاءِ القوم حتى يثوبوا إلى رُشدهم ولا يعودوا إلى غيهم، أو على الأقل حتى يعلموا أن المسلمين ليسوا بالعاجزين عن إيقاف تياراتهم الخبيثَةِ والقضاء على قلاقلهم الوضيعة، ولقد حدث هذا بالفعل، فبعض مواقف الضرب على أيدي هَؤُلاءِ العابثين المستهترين كانت بأمره ﷺ والأخرى كانتْ على مرأى منه ومسمع لم ينكرها على المسلمين ولم ينههم عنها، وإليكم بعض ما ورد في ذلك:

١. قال ابن إسحاق: «وكانَ هَؤُلاءِ المنافقون يحضرون المسجد فيستمعون أحاديث المسلمين ويسخرون ويستهزئون بدينهم، فاجْتمع يومًا في المسجد منهم أناس فَرآهم رسول الله ﷺ يتحدثون بينهم خَافضي أصواتهم، قد لصق بعضهم ببعض، فأمرَ بهم رسول الله ﷺ فأُخرجوا من المسجد إخراجًا عنيفًا، فقام أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب إلَى عمرو بن قيس أحد بني غنيم بن مالك بن النجار -كان صاحب آلهتهم في الجَاهلية- فَأخذ برجله فسحَبَه حتى أخرجه من المسجد وهُو يقول: أتخرجني يا أبا أيوب مِن مربد بني ثعلبة! ثُمَّ أقبل أبو أيوب أيضًا إلى رافعِ بن وديعة أحد بني النجار فلبَّبه بردائه ثم نتره[1] نترًا شديدًا ولطَم وجهه ثُمَّ أخرجه من المسجد، وأبو أيوب يقول له: أفٍ لك منافقًا خبيثًا! أدراجك[2] يَا

(١) نتره: جذبه.

(٢) أدراجك: أي ارجع من الطريق التي جئت منها.

منافق من مسجِد رسول الله ﷺ. وقَام عمارة بن حزم إلى زيد بن عمرو، وكان رجلًا طويل اللحية، فأخذ بلحيته فَقاده بها قودًا عنيفًا حتى أخرجه من المسجد، ثم جمع عمارة يديه فلدمه بهما في صدره لدمة(١) خرَّ منها قال: يقول: خدشني يا عمارة، قال أبعدك الله يا منافق فما أعد الله لك من العذاب أشد من ذلك، فلا تقربن مسجد رسول الله ﷺ. وقام أبو محمد -رجل من بني النجار كان بدريًّا- وأبو محمد مسعود بن أوس بن زيد بن أصْرم ابن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار إلى قيس بن عمرو بن سهل، وكان قيس غلامًا شابًا، وكان لا يُعلم في المنافقين شاب غيره، فجعل يدفع قفاه حتى أخرجه من المسجد.

وقام رجل من رهط أبي سعيد الخدري يقال له: عبد الله بن الحارث -حين أمَرَ رسول الله ﷺ بإخراج الْمُنافقين من المسجد- إلى رَجل يقال له: الحارث بن عمرو، وكان ذا جمَّة، فأخذ بجمته فسحبَه بها سحبًا عنيفًا عَلى ما مرَّ به من الأرض حتَّى أخرجه من المسجد، قال: يقُول المنافق: لقد أغلظت يا ابن الحارث، فقال له: إنَّك أهل لذلك أي عدو الله لما أنزل الله فيك، فلا تقربن مسجد رسول الله ﷺ فإنك نجس.

وقام رجل من بني عمرو بن عوف إلى أخيه زوي بن الحارث فأخرجه من المسجد إخراجًا عنيفًا وأفف(٢) منه وقال: غلب عليك الشَّيطان وأمره، فهَؤُلاءِ من حضر المسجد يومئذ من المنافقين وأمر رسول الله بإخراجهم»(٣).

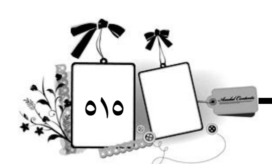
٢. قال السدي: عن أبي مالك، عن ابن عباس قال: «قامَ رَسول الله ﷺ خطيبًا يوم الجمُعَة فقال: «أُخْرُجْ يَا فُلَانُ إِنَّكَ مُنَافِقٌ، وَاخْرُجْ يَا فُلَانُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ»،

---

(١) اللدم: الضرب ببطن الكف.

(٢) أفف منه: أي قال له: أف.

(٣) «سيرة ابن هشام»: (٢/ ١٧٦)، و«الروض الأنف»: (٢/ ٣٨٥)، و«الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء»: (١/ ٢٨٨).



فَأَخْرَجَ مِنَ المَسْجِدِ نَاسًا مِنْهُمْ فَضَحَهُمْ، فجاء عمر وهم يُخرجون من المسجد فاختبأ منهم حياء أنه لم يشهد الجُمُعة، وظن أن الناس قد انْصَرفوا، واختبئوا هُم من عمر، ظنُّوا أنَّه قد علم بأمرهم، فَجاء عمر فدخل المسجد، فإذا الناس لم يُصلوا، فقال له رجل من المسلمين: أَبْشر يَا عمر قد فضح الله المنافقين اليَوم»(١).

٣. قال ابن هشام: وحدثني الثقة عمَّن حدَّثه عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة عن أبيه عن جده قال: «بَلغ رَسول الله ﷺ أن ناسًا من المنافِقين يَجتمعون في بيت سويلم اليهودي -وكَان بيته عند جاسوم(٢) ـ يُثبطُون الناس عن رسول الله ﷺ في غَزوَة تبوك، فبعَثَ إليهم النَّبيّ ﷺ طلحَة بن عبيد الله في نَفر من أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأمَره أن يُحرّق عليهم بيت سوَيلم.

ففعل طلحة فاقتَحَم الضحاك بن خليفة مِن ظهر البيت، فانكسرت رجله واقتحم أصحابه فأفلتوا، فقال الضحاك في ذلك:

كَادَتْ وَبَيْتِ اللّهِ نَارُ مُحَمّدٍ ... يَشِيطُ بِهَا الضّحّاكُ وَابْنُ أُبَيْرِقِ

وَظَلْتُ وَقَدْ طَبّقْتُ كِبْسَ سُوَيْلِمٍ ... أَنُوءُ عَلَى رِجْلِي كَسِيرًا وَمِرْفَقِي

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا ... أَخَافُ وَمَنْ تَشْمَلْ بِهِ النّارُ يُحْرَقِ

٤- عن وحشِي بن حرب، أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عقد لخالد بن الوليد على قتال أهل الرِّدة وقال: إنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نِعْمَ عَبْدُ اللهِ وَأَخُو العَشِيرَةِ

---

(١) «تفسير ابن كثير»: (٢/ ٣٨٤)، و«تفسير الطبري»: (١٤/ ٤٤١)، و«تفسير أبي حاتم»: (٦/ ١٨٧٠)، و«فتح القدير»: (٢/ ٥٨١).

(٢) جاسوم: اسم موضع.

خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ سَلَّهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَىٰ الكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ». (١)

٤- وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «جاهدوا المنافقين بأيديكم، فَإِن لم تستطيعوا فبِألسِنَتكم، فإن لم تستطيعُوا إلا أن تكفهروا في وجوههم فاكْفَهروا في وجُوههم»(٢)، وفي رواية عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لمَّا نَزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ﴾ [سورة التوبة: ٧٣]، أمر رَسول الله ﷺ أن يُجاهد بيدِه، فإن لم يستطع فبلسانه، فإنْ لم يستطع فعَليه بوجه مكفهر(٣)، وفي رواية أخرىٰ: «إِذَا لَقِيتَ الفَاجِرَ فَلَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تُغَيِّرَ عَلَيهِ فَاكْفَهِر فِي وَجْهِهِ»(٤)

٥- قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ عند قولِه تعالىٰ: ﴿جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ﴾ [سورة التوبة: ٧٣]، قال: «جَاهد الكفَّار بالسيف، والمنافقين بالحُدود، أقم عليهم حدود الله»(٥).

٦- قال الشيخ محمد رشيد رضا: وهذِه الغلظة الإرادية (أي غير الطبيعية) تربيَة وعقوبَة للمنافقين، يرجىٰ أن تكون سببًا لهداية من لم يطبع الكفر علىٰ قلبه، وتحيط به خطايا نفاقه، فإن اكفِهراره ـ ﷺ ـ في وجوههم تحقِير لهم يتبعه فيه المؤمنون، وبه وبِما سيأتي يفقدون جميع منافع إظهار الإِسْلام الأدبيَّة، ومظاهر أخوة الإيمان وعطفه.

فمن رأىٰ أنَّه محتَقر بين قومه وأبناء جنْسه، من الرَّئيس والإمام الأعظم وغيره يَضيق صدره، ويَرجع إلىٰ نفسه بالمحاسبة، فيراها إذا أنْصَف وتدبر مليمة مذنبة فلا يزال ينحي

---

(١) رواية ابن هشام فيها انقطاع فهي ضعيفة، قاله محقق «سيرة ابن هشام»: (٤/ ٢١٧)، وكذا قاله د/ مهدي رزق في كتابه «السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية»: (٢/ ١٩٩)

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد»: (٤٨٥).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان»: (٧/ ٣٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره»: (١٠/ ١٢٦).

(٥) رواه عبد الرزاق في «مصنفه»: (٢/ ٢٨٣)، والطبري في «تفسيره»، واللفظ له: (١٠/ ١٢٦).

عليها باللائمة حتى تعرف ذنبها، وتثوب إلى رشدِها، فتثوب إلى ربها، وهي سياسة حكمة كانت سبب توبة أكثر المنافقين وإِسْلام ألوف الألوف من الكافرين(١).

هذه بعض وقائع تشير بمجموعها إلى أن الظروف أحيانًا لا يتأتى معها إلا التعامل معهم بالشدة والقسوة حين يتأكد أن سلامة الإِسْلام والمسلمين، إنَّما تحتاج إلى هذا النوع من المعاملة ليُضرب على أيدي بغاة الفتنة وطلاب الثورة، ويُرهب الساعين لإشاعة الفشل بين المسلمين والمجتهدين لإحداث القلائل بين صفوفهم، وفي المثل المشهور: (آخر العلاج الكي).

هذا وإن معاشرة الرئيس من إمام وملك وأمير لمنافقي قومه بمثل ما يعاشر به المخلصين منهم، فيه توطين لأنفسهم على النفاق، وحمل لغيرهم على الشقاق، فكيف إذا وضع المحاسنة موضع المخاشنة، والإيثار لهم حيث تجب الأثرة عليهم، وبالغ في تكريمهم بالحباء والاصطفَاء، لمبالغتهم في التملق له، ودهان الدهاء، والإطراء في الثناء؟ فإن هذه المعاملة مفسدة لأخلاق الدهماء، ومثيرة لحفائظ المخلصين الفضلاء، وكم أفسدت على الملوك الجاهلين أمرهم، وكانت سببا لإضاعة ملكهم(٢)، كما أفسد ابن العلقمي ملك آخر ملوك بني العباس.

٧- قال ابن القيم: «فَجِهادُ المنافقين أصعبُ مِن جهاد الكفار، وهو جِهادُ خَواصِّ الأمة، وورثةِ الرُّسل عليهم الصلاة والسلام والقائمون به أفرادٌ في العالَم، والمشارِكُون فيه والمعاونون عليه وإن كانوا هُم الأقلين عددًا، فهم الأعظمون عند الله قدرًا»(٣).

---

(١) «تفسير المنار»: (١٠/ ٥٥١).

(٢) المرجع السابق.

(٣) «زاد المعاد»: (٣/ ٥).

وما كان ليغيب عنه ﷺ وهو المشمُول برعاية ربِّه أن هنالك صنفًا من الناس خبثت سرائرهم وفسدت قلوبهم، يحسبون التَّسامح ضعفًا، ويظنون اللين جبنًا، ويعتقدون المنحة غنيمة، وهذا الصنف من الناس لن تُتَاح لهم اليقظة إلا بعد أن يروا وميض السُّيوف وبريق الحراب، ومن ثم لم تكن هنالك مَندوحة من أن يلجأ ﷺ إلى هذا السبيل ويطرق هذا الباب(١)، وما هدم مسجد الضرار من هذا ببعيد.

وأمَّا الإغلاظ علَيهم فيكون بالكلام الغليظ؛ كشدَّة الانتهار ونحوه، كما قال غير واحد من السلف(٢). وقال ابن مسعود: «بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيَكْفَهِرَّ فِي وَجْهِهِ!»(٣).

والسرُّ في الإغلاظ على المنافقين -والله تعالى أعلم-؛ أنَّهم قوم في غاية اللؤم والجبن والخسَّة، واللئيم إن أحسنْتَ إليه ولاطفته ازداد لؤمًا وشرًّا، وإن أغلظت عليه وزجرته، كُفيت شرَّه، ولم يجرؤ على إظهار شيء مما يبطنه من الشرِّ والفساد والتشكيك في الدين والمؤمنين.

ما يستفاد من القاعدة:

١. لا تعارض بين هذه القاعدة وسابقتها من جانبين:

أ) تقدير المصالح والمفاسد، فقد يصلحُ في حِينٍ التلطف والنصح بالحكمة والموعظة الحسنة، وفي حين لا يجدي إلا الزجر والتقريع، والموفق من وفقه الله: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [سورة البقرة: ٢٦٩].

ب) أن حال التلطف والتودُّد كَان في أول العهد النبوي، أما وقد فشت قبائح

---

(١) «المنافقون وشعب النفاق»: (٢٤٨ ـ ٢٥٥)، لحسن عبد الغني.

(٢) «زاد المعاد في هدي خير العباد»: (٣/ ٥).

(٣) ينظر «زاد المسير»: (٣/ ٤٧٠).

القوم وظهرت خزاياهم فليس إلا الإغلاظ والقول البليغ.

٢. مجاهدة المنافقين يجبُ أن تَكون بكل وسيلة ممكنة، كلٌ بحسبه فيحاصروا من كل جانب ويُشرَّد بهم من خلفهم هتكًا لأستارهم وفضحًا لمكائدهم... الخ.

٣. ولربما اجتمع في التعامل مع بعض المنافقين الحالتان، حال التودد والملاينة واللطف لعلهم يعودون ويتوبون، وفي حال أخرىٰ لا يحسن معهم إلا الإغلاظ والتعنيف بحسب الأحوال والمصالح والمفاسد.

القاعدة الثالثة عشرة: تحقيرهم والنهي عن مدحهم وتعظيمهم.

عن بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ: سَيِّدًا، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّوَجَلَّ»(١)، وفي رواية: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِلْمُنَافِقِ: يَا سَيِّدُ، فَقَدْ أَغْضَبَ رَبَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ»(٢).

إن المُنافق مهما علَتْ مَرتبتُه عند الناسِ، ومَهما أوتي مِن أسْبَاب القوَّة والجَبروت، فهو حقير عند ربهِ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة النساء: ١٤٥]، ولِذا كَان الواجب أن يكون محتقرًا من المسلمين مهانًا بينهم(٣).

يقول ابن القيم: «فَمَا أكثرَهُم! وهم الأقَلُّون، وما أجْبَرهم! وهُم الأذلُّون، وما أجْهلَهم! وهم المُتعالِمون، وما أغَرَّهُم بالله! إذ هُم بِعظمته جاهِلون، ويحلِفُون بالله إنَّهم لمنكم وما هم منكُم ولكنهم قوم يفرقون»(٤).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده»: (٥/ ٣٤٦)، وأبو داود في «سننه»، ك الأدب، باب: لا يقول المملوك ربي: برقم (٤٩٧٧)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة»: (٣٧١).

(٢) أخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان»: (٢/ ١٩٨)، والحاكم: (٤/ ٣١١)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة»: رقم (٣٧٠).

(٣) ينظر «المنافقون وشعب النفاق:» (٢٥٥).

(٤) ينظر «مدارج السالكين»، لابن القيم: (١/ ٣٥٤).

بل إن الواجب على قادة المُجتمع المسلم في كل زَمان ومكان أنْ يخطو خطوة أبعَد من هذه، بأن يُعمد إلى جَعل دَور كل أحدٍ ظهرت عليه علامات النفاق هامشيًّا في المجتمع، لا وزنَ له ولا تأثير، حمايةً للمسلمين من شرُورهم وإشعارًا لهم بَعدم الرضا عنهم، وتعزيرًا لهم على أفعالِهم، وردعًا لكل من تسوِّل له نفسه سلوك سبيلِهم، وهذا الفعل يؤدي إلى سلبِهم الوجاهة التي يعشقونها، والجَاه الذي يتطلعون إليه، يدلُّ لذلِك عموم النصوص القرآنية التِي تأمر بعدم الرِّضا عنهم، وتحثُّ على الإعراض عنهم، وتَنهى عن خروجهم مع المسلمين وتَنهى عن تولِّيهم ومحبتهم، وهذا صنيع النَّبيّ ﷺ وسيرته في المنافِقين، إذ لم يُنقل أنه أعطى لأي أحدٍ مِنهم منزلة بارزة عنده، أو ولاه على سرية من سراياه أو مجموعة من أصحابه[١].

○ من فوائد هذا الحديث:

١. تحذيرُ النَّبيّ عليه الصلاة والسلام أمته من احترَامِ المنافق وتبجيله وتعظيمه.

٢. مشروعيةُ قول سيد للمَؤمن الذي يسود قومه.

٣. لا يجوز تسْويدُ المنافقين على المؤمنين، ويُؤيد هذا ما رواه جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلَمَةَ؟». قُلنا: جَدُّ بنُ قَيس، على أَنَّا نُبخِّله، قالَ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى[٢] مِنَ الْبُخْلِ؟ بَلْ سَيِّدُكُمْ عَمْرُو بْنُ الجَمُوحِ».

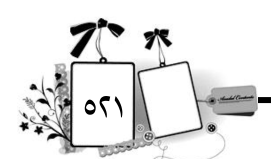
وكان عمرو عَلى أصنَامِهم في الجاهِليَّة، وكان يولم عَن رسول الله ﷺ إذا تزوج[٣].

---

(١) ينظر «النفاق وأثره في حياة الأمة»: (ص ٤٧٤).

(٢) أدوى: أي أقبح، «النهاية»: (٢/ ١٤٢).

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد»: (ص ٧١)، واللفظ له، وعزاه ابن حجر في «الإصابة»: (٧/ ٩٥) =



وقد رفض النَّبيّ ﷺ تسويد الجدِّ بن قيس على قومه بِسبب بخْله، وقَد يكون بسبب ما ظَهر من نفاقه أيضًا -والله أعلم-.

٤. براءة النَّبيّ الكريم ﷺ من النفَاق وأهلِه، وعدمُ موالاته للمُنافقينَ، وهَكذا يجب على الأمة أن تمتثل أمر الرسول ﷺ.

٥. تحريم قول سَيِّد للمُنافق، لأنه منهي عنهُ، والأصل في النهي التحريم، بالإضافة إلى أنه قد يُعدُّ من الكبائر لقوله عليه الصلاة والسلام في آخر الحديث: «أَسْخَطْتُمْ رَبَّكُمْ عَزَّوَجَلَّ»، وهَكذا مما يحمل معنى الوعيد.

٦. غضبُ الله تعالى وسخَطُه عند احترام المنافق، والرَّضا بتسويد من عُلم نفاقه.

٧. من مفهوم الحديث محبَّةُ الله تعالى ورضاه عن المُؤمن إذا لم يحترم المنافق ويسوِّده.

٨. لا يَجوز للمؤمنِ أن يُشارك في تسْوِيد المنافق على المؤمنين؛ لا بِترشِيحه لسُلطة أو منصب أو تزكيته له، أو إعِطَائه صوته في الانتخابات، فضلًا عن الانضمام إلى حزبه.

٩. في احتِرام المنافق وتبجِيله وتسويده تلبيسٌ على العامَّة في نفاقه، وتزكية له، وإعانة له ومن على شاكلته على التمادي في الكيد والنفاق، وتشجيع له على الاستهانة بمن يسوده.

١٠. إذا كان النَّهي عن قول سيِّد للمنافق، فمن باب أولى توليته ما يتسيَّد به على المسلمين.

= إلى السراج، والبيهقي في «شعب الإيمان»: (٧/ ٤٣١)، وغيرهما، وله شاهد عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مختصرًا عند أبي الشيخ والحسين بن سفيان في «مسنده»، وعن أبي هريرة رواه البيهقي في «شعب الإيمان»: (٧/ ٤٣٠)، قال ابن حجر: بإسناد غريب، وروى مرسلًا عن حبيب ابن أبي ثابت والشعبي رحمهم الله تعالى، انظر «الإصابة»: (٧/ ٩٦٩٥). وقال عنه الألباني: صحيح: رقم (١٢٥).

١١ ليس المقصود ذات العِبارة، بل كل ما فيه تعظيم للمنافق فالمردُّ إلى العلَّة التي يدور معها الحكم.

ما يستفاد من القاعدة:

قد يسر الله ذكر إحدى عشرة فائدة في ثنايا القاعدة.

القاعدة الرابعة عشرة: هدم مقارِّهم وكسر معاولهم.

وهذه القاعدة قد يسر الله بحثَها والإتيان على شيءٍ من جوانبها في مبحث هدم مسجد الضرار، فليراجع في موضعه إذ لا حاجة لتكراره هنا(١).

ما يستفاد من القاعدة:

أما الدروس والعبر وبعض المسائل الفقهية فكثيرة، من أبرزها:

ما ذكره الشيخ عبد الرحمن السعدي حول آيات هذه الحادثة:

١- أن العمل وإن كان فاضلًا تغيِّره النِّيةُ فينقلب منهيًّا عنه.

٢- أن كل حالٍ يحصل بها التَّفريق بين المؤمنين فإنَّها من المعاصي التي يتعيَّن تركها وإزالتها.

٣- كما أن كل حالٍ مشروعة يحصُل بها جمع المؤمنين وائتلافُهم يتعيَّن اتباعها والأمر بها والحث عليها؛ لأنَّ الله علل اتخَاذهم لمسجد الضرار بهَذا المقصد الموجب للنَّهي عنه كما يُوجب ذلك الكُفر والمحاربة لله ورسوله ﷺ، ومنهَا أن المعصية تؤثِّر في البقاع كَما أثرت معصية المنافقين في مسجد الضِّرار، ونُهي عن القيام فيه وكذلك الطاعة تؤثر في الأماكن كما أثَّرت في مسجد قباء، حتى قال الله فيه:

---

(١) انظر (١/ ٣٨٠).

﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ﴾ [سورة التوبة: ١٠٨](١). اهـ

كما أن المَعصية تؤثِّر في الجمادات، قال ﷺ: «كَانَ الحَجَرُ الأَسْوَدُ أَشَدَّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ حَتَّى سَوَّدَتْهُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ»(٢).

٤- ومنها النَّهي عن الصلاة في أماكن المعصية والبُعد عنها وعن قربها.

٥- من الدروس العظيمة في حَادثة مسجد الضرار، أنَّ الكفر وإن اختلفَتْ مشاربه واتجاهاته، إلا أنه يظل بسَائر أطيافه لحمة واحَدة لحرب هذا الدين.

كما قَال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٌ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٌ﴾ [سورة الأنفال: ٧٣].

فما هُو إلا أن رَحل أبو عامر الفاسق إلىٰ هرقل ملك الروم مُستنصرًا حتىٰ وجد الترحاب والحفاوة والوعد بالمؤازرة.

٦- التعصُّب الأعمىٰ: فأبُو عامر الراهب قد قَرأ علم أهل الكتاب، وعَلِمَ ببشارات قرب ظهور المصْطَفىٰ ﷺ، والتقىٰ به بعد بعثته عليه الصلاة والسلام وسمع منه القُرآن الكريمَ، وقامت عليه الحجة البَالغَةُ، فأبىٰ إلا الجحود والمحاربة لله ولرسوله ﷺ: ﴿فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأنعام: ٣٣].

وهناك مساجد ضرار من نَوع آخر يصلح أن يطلق عَليها مجالس الضرار؛ لأنَّ دَورها وخطرها يشبِه تمامًا مساجد الضِّرار، ذلك أن هذه المَجالس وما تشتمل علَيهِ من غيبة ونميمة، وهتك للحرمات وتتبع للعَثرات، وقدح في عُلماء الأمة ودعاتها، يقومون بالتحذير من حضور دروس ومحاضرات علمَاء ودُعاة ومشايخ، مع تماديهم في لَمز هَيئات خيرية واتهام مؤسسات دعوية؛ هي في حقِيقَتِها مؤدية

---

(١) انظر مبحثًا عن مسجد الضرار (١/ ٣٨٠).

(٢) صححه الشيخ الألباني في «صحيح الجامع»: رقم (٤٤٤٩).

للنَّتيجة نفْسِها وللغاية ذاتها.

فجلَّاسُها يتأولون الأقوال، ويتهمون النِّيات، ويتصيدونَ العَثرات، قد سلم مِنهم اليهود والنَّصارىٰ والهندوس والعَلمانيون وغيرهم، ونَالوا بالتجريح والتنقُّص والذم أهل الإِسْلام والإيمان، أليسَ مِن ثمرات ذلك التفريق بين المُؤمنين وذهاب قوَّتهم وتمكين الأعداء وتسليط الأدعياء، بَل كان من نتائج ذلك تشويهُ صُورة العمل الإِسْلامي وتعويق مسيرته.

والمُشكلة أن من هَذا مسلكه وتلكَ طَريقته إذا ما تَتبعتَ أحْواله وجدته خلوًا مِن كل مشاركة هادفة وبَذل مبارك وجهدٍ موفق وعمل مثمر... هدانا الله وإياهم والمسلمين للحق والهدىٰ(١).

يقول سيِّد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا المسجد -مسجد الضرار- الذِي اتُّخِذ علىٰ عهد رسول الله ﷺ مكِيدة للإِسْلام والمسلمين، هذا المَسجد ما يَزال يتخذ صورًا شتَّىٰ:

- يُتخذ في صُورة نشاطٍ ظاهِرُه الإِسْلام وباطنه سحق الإِسْلام أو تشويهه.

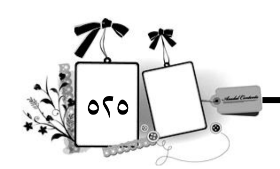
- ويُتخذ في صُورة أوضاع ترفع لافتة الدِّين عليها لتتترَّس وراءها، وهي ترمي هذا الدين في صورة تشْكِيلات وتنظيمات وكتب وبحوث تتحدَّث عن الإِسْلام؛ لتخدِّر القلقين الذين يريدون الإِسْلام يُذبح ويمحق فتخدِّرهم هَذه التشكيلات وتلك الكُتب، بما توحيه لهم من أن الإِسْلام بخير وأنه لا داعي للخوف أو القلق عليه(٢).

ولذا يُلحظ أنَّ المُنافقين حرصوا علىٰ إضفاء الشرعية علىٰ هذا البناء؛ ليأْخُذ بافتتاح النَّبيّ له ﷺ وصلاته فيه الصِّبغة الرسمية؛ وهذا أسلوب ماكر خبيث قد

---

(١) انظر موقع الباحث الإِسْلامي ـ مجالس الضرار.

(٢) «في ظلال القرآن»: (٣/ ١٧١٠ - ١٧١١).



ينطلي على كثير من الناس(١).

وهذا الأسلوب يَتكرَّرُ في مَواقف المُنافقين كثيرًا عبر الأزمان، فما أن يَنتهوا من إنشاء معْقِل لهم أو مؤسَّسَة أو مقرٍّ ممَّا ظاهره الخير والإصْلاح إلا ويقومون باسْتضافَة أحد العلَماء أو المشايخ لافتتاحه، حتَّى يجِدَ لَه لدى الناس قَبولًا وطمأنينة وشرعية، بَل يجندون بعْضَهم بالمال وبمغريات أخرى.

الجواب: أمَّا المَنهج الشرعي في التَّعامل مع مسْجِد الضرار وما أشبهه فيتلخص فيما يلي:

١- الهدم والإتلاف: ورد في الحَديث أن الرسول ﷺ دعا مَالك بن الدُخشم أخا بني سالم بن عوف ومعن بن عدي العجلاني فَقال لهما: «انْطَلِقَا إِلَى هَذَا المَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ فَاهْدِمَاهُ وَحَرِّقَاهُ». فخرجا مسرعَين حتَّى أتيا بني سالم بن عوف، وهُم رهطُ مَالك بن الدخشم، فقال مالك لمعِن: انظُرني حتى أُخْرُج إليك بنَار من أهْلي، ودخل إلى أهله فأخذ سعفًا من النخل فأشعل فيهِ نارًا، ثم خرجا يشتدَّانِ حتى دخلاه وفيه أهلُه، فحرَّقاه وهدَّمَاه فتفرقوا عنه(٢).

وقد بيَّن عَددٌ من العلماء أنَّ المسلَك الشرعي هو هدمُ مَساجد الضرار وَما كان علَى غرَارِها؛ كمَشاهد الشرك وأماكن المَعاصي، وقد أراق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اللَّبنَ

---

(١) «السيرة النبوية»: (٥٥٨)، لعلي محمد الصلابي.

(٢) رواه ابن إسحاق معلقًا، ورواه ابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وسعيد بن جبير وقتادة. وانظر «الدر المنثور»: (٣/ ٢٧٦-٢٧٧)، ورواه الطبري في «تفسيره»: (١١/ ٢٣) ولم يصرح ابن إسحاق عنده بالسماع. ورواه البيهقي في «الدلائل»: (٥/ ٢٦٢-٢٦٣)، من غير طريق ابن إسحاق بسند منقطع فيكون ضعيفًا، انظر «السيرة النبوية»، لابن هشام: (٤/ ٢٣٦).

الذي شيب بالماء، واستدلوا على ذلك بتحريق العجل (عجل بني إسرائيل)[(١)]، ومن ذلك إرَاقة وشَقُّ وكَسر آنية الخمر، ولا يضمنها، وكذلك إتلاف آلة السحر وعزائمه والأوثان والخنزير وكتب المبتدعة ونحوها[(٢)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومنها تحريقُ أمكِنَة المَعصية التي يُعصىٰ اللهُ ورسوله ﷺ فيها وهدمُها، كما حرّق رسول الله ﷺ مسْجِد الضِّرار وأمَر بِهدمِه، وهو مسجد يُصلَّىٰ فيه ويُذكر اسم الله فيه، لَمَّا كان بناؤه ضرارًا وتفريقًا بين المؤمنين ومأوىً للمُنافقين، وكل مكان هذا شأنه فَواجبٌ علىٰ الإمام تعطيلُه، إمَّا بهدم وتحريق، وإمَّا بتغيير صورته وإخراجه عما وُضع له.

وإذا كان هذا شأن مسجد الضرار، فَمشاهِدُ الشِّرك التِي يدعو سدَنَتُها إلىٰ اتِّخاذ من فيها أندادًا من دون الله أحقُّ بِالهدم وأوجب، وكَذلك محالُّ المَعاصي والفسوق كالحانات وبيوت الخمارين وأرباب المنكرات، وقد حرَّق عمر قرية بكَاملها يباع فيها الخمر وحرَّق حانوت رويشد الثقفي وسمَّاه فويسقًا. الخ[(٣)]

ودونك هذا الاستدراك الكريم المسدَّد من الشيخ عبد الكريم زيدان؛ حيث قال في تقرير قاعدة: ما يلحق بمسجد الضرار: «كُلُّ ما يُتخذ مما هو في ظاهره مَشروع ويريد متخذوه غرضًا غَير مشروع فهو مُلحق بمسْجِد الضرار؛ لأنه يحمل روحَهُ وعناصرَه، وإذا أردنا الإيجازَ قُلنا في هذه القاعدة: كل ما كان ظاهره مَشروعًا ويريد متخذُوه الإضرار بالمُؤمنين فهو ملحقٌ بمسجد الضرار، وبناءً علىٰ هَذه القاعدة يخرج من نِطاق مسجد الضرار، وما يلحق به ما ذكره الإمام ابن

---

(١) «الفروع»: (٤/ ٣٩٣)، للإمام شمس الدين محمد بن مفلح المقدسي.

(٢) ينظر «كشاف القناع عن متن الإقناع»: (٤/ ١٣٣).

(٣) ينظر «زاد المعاد»: (٣/ ٥٧١).



القيم وغَيره من مشاهد الشِّرك وأماكن المعاصي والفسوق وحانات الخَمر والمنكرات ونَحو ذلك؛ لأنَّ هذه المنكرات ظاهرها غير مَشروع فلا تلحق به، وإن استحقت الإزالة كمسجد الضرار باعتبارها منكرات ظاهرًا وباطنًا»(١).

وقد يقولُ قَائل لِمَ الهدم والتحريق؟ إنَّه مبنى لا ينفع ولا يضرُّ، لو حيل بين مؤسسيه وبين ما يشتهون، ولربما كان في بقائه كسبًا ماديًّا للمسلمين؟.

ربما خطرَ هَذا على بال بَعض المُسلمين الذين يَقيسون الأمور بظواهِرها، ويَزِنُونها بنظرٍ أكثر سطحيَّة... لكن من يتأمَّل خَطر هذه المواقع وكونها وعاء ورمزًا لمن اتخذها، يعلم أن في إزالتها اقتلاعًا لجُذوره واستئصالًا لأرومته(٢).

وقد أحرق النَّبيّ ﷺ نخيلَ بَني النضير، وكانَ بإمكانه الاستفادةُ منها: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [سورة الحشر: ٥]، فقَد كَان قطع النخل وعقر الشَّجر بأمر الله وخزيًا لهم(٣).

٢- مراعاة المصالح والمفاسد والنظر في المآلات.

من الضَّرورةِ بِمكانٍ مراعاة جانب المصالِح والمفاسد عند الإقدام عَلى خطوة هدمِ مقارِّ الكفْرِ وبؤر النفاق ومؤسساته وجمعياته، وأضرِحَة المَوتىٰ ومزارات الشِّرك ونحو ذلك... فتحريرُ هَذه الخطوة بتوقيتها المُناسب وظرفها المُلائم مع استصحاب أنَّ مَا قد يصلح في مَكان الآن قد لا يَصلح في مكان آخر، فالبِيئات مُختلفة والأحوال متَجَدِّدة، وهذا ولله الحمد والمنة لَيس بمعجز ولا عَسر إذا تمت فيه مشَاورة العُلماء وذوي الرأي والمَشورة من أهل الحل والعقد.

---

(١) ينظر «المستفاد من قصص القرآن»، بتصرف يسير: (٢/ ٥٠٦- ٥٠٧)، للشيخ عبد الكريم زيدان.

(٢) ينظر «موقف القرآن من النفاق والمنافقين»: (٩٨)، لأحمد جهان الفورتيه.

(٣) «الدر المنثور»: (١٤/ ٣٨٤).

(إِنَّ الاجْتهَاد الذي يهمل ملاحَظة مقاصِد الشَّريعة ولا يلقي بَالًا لمآلات التَّصرُّفات هو في حقيقته جهد غَير مكتمل قد يقع صاحِبُه في مناقضة مَقاصد الشرع، ويتسبب في إحداث المفاسد التي تنزَّهت الشريعة المُطَهَّرة عنها)(١).

وقد هدمت بَعض أضرحة في أَنْحَاء من العالم الإِسْلامي، ثمَّ أُعيد تشييدُها كَأفضل ممَّا كانت عليه من قبل الدول التِي هي فيها، أو من قبل منظمات دولية ونحوها.

وما حَصَل في (نواكشوط) بمَدينة تمبكتو في الشَّمال المالِي مِن عملية إعَادة بناء أول ضرِيحَين مدرجَين فِي قائمَةِ التراث العالمي، قد دُمِّرا في أثناء احْتِلال الجماعات المسلحة لمنطَقَة إقْليم أزواد شاهد علىٰ ذلك، وقالت مُنظمة اليونسكو التِي قامت بتمويل عملية إعادة بناء الأضرحة عن طريق مساهمات مالية من مملكة البحرين وكرواتيا وموريشيوس وجمهورية مالي، إنه من المتوقع أن تَستمر هذه العملية لمدة شَهر.

وشارك في احْتِفَال إعادة البناء كبارُ الشَّخصيات من السلك الدبلوماسي من فرنسا وسويسرا والاتحاد الأوروبي، فضلا عن جنوب أفريقيا(٢).

٣. لا تقم فيه أبدًا:

جاء في شَرح كتاب التوحيد أنَّ حَاصل كلام المفسرين في الآية أنَّ اللهَ نَهىٰ رسوله ﷺ أن يقوم في مسجد الضِّرار بصلاة أبدًا، والأمة تبعًا له في ذلك، ثمَّ حثَّه عَلىٰ الصلاة في مسجد قباء الذي أُسس من أول يوم بُني فيه علىٰ التقوىٰ، وهي طاعة الله ورسوله ﷺ وجمعًا لكلمة المؤمنين ومعقلًا ومنزلًا للإِسْلام وأهله(٣)، وقد قاس شيخ

---

(١) ينظر «اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات»، رسالة جامعية للشيخ/ عبد الرحمن بن معمر السنوسي: (٤٦٨- ٤٦٩).

(٢) موقع صدىٰ البلد وغيره من المواقع علىٰ الشبكة.

(٣) «تيسير العزيز الحميد»: (١/ ١٦٣).

الإِسْلام بن تيمية على ذلك المكث والمقامِ والصَّلاة في أماكن من عُذِّبوا مثل أرض الحِجر وأرض بابِل، والسنَّة الإسراع حال المرور بها، فَقد روى ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، أنَّ رسول الله ﷺ لَمَّا مرَّ بالحجر قَال: «لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ؛ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ الذِي أَصَابَهُمْ» ثم قنع رسول ﷺ رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي(١).

وقد كان عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يُسرع السَّير بوادي محسر صَبيحة مزدلفة، وسنَّ للحجيج الإسراع فيه لأنه المكان الذي نزل على أهل الفيل فيه العذاب... الخ(٢).

يتضح مما سبق كيف جاء الوحي بِتشريع حاسِمٍ لا هوادة فيه ولا مجاملة في التعامل مع من أقاموا مسجد الضِّرار؛ إذْ لا تنفع معهم المعالجة بِمسكِّنات ومهدِّئات، لذا كان لهذا التصرف ثماره اليانعة وآثاره المباركة(٣).

القاعدة الخامسة عشرة: النهي عن المجادلة والمدافعة عنهم.

يقول تعالى: ﴿وَلَا تُجَـٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ﴾[سورة النساء: ١٠٧]، إلى قوله: ﴿ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ جَـٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَـٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ [سورة النساء: ١٠٩].

نزلت هذه الآيات في رَجُلٍ من المنافقين سَرق متاعًا ودرعًا... فَقد رَوى الترمذي في «سننه»، عن قَتادة بن النعمان قال: «كانَ أَهْل بَيتٍ منَّا يقال لهم: بنو أبيرق: بشرٌ وبشيرٌ ومبشر، وكانَ بَشير رجلًا مُنافقًا يقول الشعر، يهجو به أصحاب رسول الله

(١) رواه البخاري، ك: الأنبياء عليهم الصلاة والسلام باب: وإلى ثمود أخاهم صالحا ح (٣٢٠٠)، والنسائي، ك: التفسير باب: سورة إبراهيم ح (١١٢٧٠).

(٢) «شرح العمدة في الفقه»، لشيخ الإِسْلام ابن تيمية: (٤/ ٥٠٨).

(٣) «السيرة النبوية»: (٥٥٨- ٥٥٩)، لعلي بن محمد الصلابي.

ﷺ، ثم ينحِله بعض العرب، ثمَّ يَقول: قال فلان: كذا وكذا، قال فلان: كذا وكذا، فإذا سمع أصحاب رسولِ الله ﷺ ذلك الشِّعر، قالوا: والله ما يقول هذا الشِّعر إلا هذا الخبيث، أو كما قالوا، وقالوا: ابن الأبيرق قالها. قال: وكَان أهل بيتِ حاجةٍ وفاقة في الجَاهليَّة والإِسْلام، وكان الناس إنَّما طعامهم بالمدينة التَّمر والشعير، وكان الرجل إذا كَان له يسار، فقدمت ضافطة[1] من الشَّام من الدَّرمك[2] ابتاع الرجل منها فخصَّ بها نفسَه، وأما العيال فإنَّما طعامهم التمر والشعير.

فقدمت ضافطة من الشَّام فابتاع عمِّي رفاعة بن زيد حملًا من الدَّرمك فجعله في مشربةٍ[3] له وفي المشرَبَة سلاح ودرع وسيف، فعُدي عَليه من تحت البيت، فنُقِبت المشربة وأُخذ الطعام والسِّلاح، فلما أصبح أتاني عمِّي رفاعة فقال: يا ابن أخي، إنَّه قد عدِي عَلينا في ليلتنا هَذه، فنُقبت مشربتنا فذهب بطعامنا وسلاحنا.

قال: فتحسَّسْنا في الدار وسألنا، فقيل لنا: قَد رأينا بني أبَيرق استوقدوا في هذِه الليلة، ولا نرىٰ فيما نرىٰ إلا علىٰ بَعض طَعَامكم، قال: وكان بَنو أبيرق قالوا: ونحن نسأل في الدار، والله ما نُرىٰ صاحبكم إلا لُبيد بن سهل؛ رجل منَّا له صلاح وإِسْلام.

فلمَّا سمع لُبيد اخترط[4] سيفَه وقال: أنا أسْرِق؟! فوالله ليُخالطنكم هذا السَّيفُ أو لتبيننَّ هذه السرقة، قالوا: إليك عنا أيها الرجل فما أنت بصاحبها.

---

(١) الضَّافِط والضَّفَّاط: الذي يجلب الميرة والمتاع إلىٰ المدن، والمكاري الذي يكري الأحمال، قوم من الأنباط يحملون إلىٰ المدينة الدقيق والزيت وغيرهما. وتطلق الضفاطة علىٰ ضعف الرأي والجهل. ينظر «النهاية في غريب الحديث والأثر»: (٣/ ٩٥).

(٢) الدرمك: الدقيق الأبيض الحواري. ينظر «النهاية في غريب الحديث والأثر»: (٢/ ١١٤).

(٣) المشربة: الغرفة، وهي عِليّة تبنىٰ في الأعلىٰ فوق سطح المبنىٰ الملاصق للأرض، وجمعها: مشربات ومشارب.

(٤) اخترط السيف: إذا سله من غمده ليقاتل به.

فسألنا في الدَّار حتى لم نشك أنهم أصحابها -أي: بنو أبيرق- فقال لي عمِّي: يا ابن أخي، لو أتيتَ رَسول الله ﷺ فذكرت له ذَلك.

قال قتادَةُ: فأتيت رسولَ الله ﷺ فقلت: إِنَّ أهْلَ بَيت منَّا أهْل جفَاء[1] عمدوا إلى عمِّي رفاعة بن زيد فنَقَبوا مشربة له، وأخذوا سلاحَه وطعَامه، فليردوا علينا سلاحَنا، فأمَّا الطعام فلاحاجة لنا فيه.

فقال النَّبيّ ﷺ: «سَآمُرُ فِي ذَلِكَ»، فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلًا منهم يقال له: أسيد ابن عروة، فكلموه في ذَلكَ، فاجتمع في ذلك ناسٌ مِن أهل الدار، فقالوا: يَا رسول الله، إنَّ قتادة بن النعمان وعمه عمدا إلى أهل بيت منَّا أهل إِسْلام وصلاح، يرمونهم بالسرقة من غير بينةٍ ولا ثبت[2].

قال قتادة: فأتَيتُ رسولَ الله ﷺ فكلَّمتُه، فقال: «عَمَدْتَ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ ذُكِرَ مِنْهُمْ إِسْلام وَصَلَاحٌ تَرْمِيهِمْ بِالسَّرِقَةِ عَلَى غَيرِ ثَبْتٍ وَلا بَيِّنَةٍ؟!».

قال: فَرجعْتُ، ولوددت أني خرجت من بعضِ مالي وَلم أكلم رسول الله ﷺ في ذلك، فأتَاني عمي رفاعة فقال: يا ابْن أخِي، ما صنعت؟ فأخبَرتُه بما قال لي رسول الله ﷺ، فقال: الله المستعانُ، فلم يلبث أنْ نزل القرآن: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ [سورة النساء: ١٠٥]، بني أبيرق: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ﴾، أي مما قلت لقتادة.

فلما نَزل القرآن أتى رسول الله بالسِّلاح فردَّه إلى رفاعة، فقال قتادة: لَمَّا أتيت عمِّي بالسلاح وكان شيخًا قد عسي[3] أو عشي في الجاهِليَّة، وكنت أرى إِسْلامه

(١) أهل جفاء: أي أهل سوء خلق.

(٢) الثبت: الحجة.

(٣) عَسِي: أي كبرت سنُّه.

مدخولًا، فلما أتيته بالسلاح قال: يا ابن أخِي هُو في سبيل الله، فعَرفت أن إسْلامه كان صحيحًا.

فلمَّا نَزل القرآن لحِقَ بشير بالمُشركين، فنزل على سلافة بنت سعد بن سمية، فأنْزَل الله: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء: ١١٥-١١٦].

فلما نزل على سلافة رمَاها حسان بن ثابت بأبيات من شِعْره، فأخذت رحْلَه فوضعته على رأسها، ثمَّ خَرجت به فرمت به في الأبطح، ثُمَّ قَالت: أهديت لي شعر حسان، ما كنت تأتيني بخير»(١).

﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ١٠٧ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلًا ١٠٩ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ١١٠﴾ [سورة النساء: ١٠٦-١١٠]، أي: لو استغفروا الله لغفر لهم، ﴿وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمًا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ١١١ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمًا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنًا وَإِثۡمًا مُّبِينًا ١١٢﴾ [سورة النساء: ١١١-١١٢].

قوله للبيد: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ

---

(١) رواه الترمذي: برقم (٣٠٣٩)، في التفسير، باب (ومن سورة النساء)، وأخرجه الطبري: برقم (١٠٤١١)، والحاكم في المستدرك: (٤/ ٣٨٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وأقره الذهبي وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي»: برقم (٣٠٣٦).



وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيۡءٖۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴿١١٣﴾ ۞لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١١٤﴾﴾ [سورة النساء: ١١٣- ١١٤]، ﴿وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ [سورة النساء: ١٠٥].

في هذِه الآيَةِ العظيمة نهيٌ صريح عن المجادلة عن أهل النفاق، والدِّفاع عنهم لما جُبلوا عليه من الكذب والخديعة وقلب الحقائق وخيانة الأمانات، لاسيما في مواجَهَة المؤمنين الصادقين أصحابِ القُلوب الطاهرة والسرائر النظيفة.

وقد تحْمِل القرابة أو العَصبيَّة القَبلية بعض ضعاف الإيمان على الوُقوف مع المنافقين والمجادلة عنهم، وذلك قد ينفعُهم في الدُّنْيا، ولكنه لن ينفعَهم يوم الدين يوم لا تَخفى من الناس خافية، ولهذا قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال العلماء: لا ينْبَغي إذا ظهر للمُسلمين نفاقُ قَوم أن يجادل فريق منْهُم فريقًا عنهم ليحمُوهم ويدفعوا عنهم، فإنَّ هَذا قد وقع على عهد النَّبيّ ﷺ وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ [سورة النساء: ١٠٥]»(١).

وما أكثر اليوم من يُجادل عن أهل النفاق إمَّا بحسن نية وطهارة قلب، -لَمَا بَرع فيه أهل النفاق من التلوُّنِ والتَّمويه والخداع-، وإمَّا بسوء نيَّةٍ وفَساد طويَّة، كفَانا الله شرّ النفاق وأهله.

بل وجد في زمانِنا مَن يدافعون عن اللِّيبراليين والعَلمانيين وأعداء الدِّين ممَّن ينتسبون إلى السلفية -والسلف منْهُم براءٌ- أما ألسنتهم الحِداد فعَلى العلماء والدُّعاة وذَوي البذل والعطاء في مجَالات العمل الدعوي والخيرِي، قد غَمسوا ألسنتهم في

(١) «الجامع لأحكام القرآن»: (٥/ ٣٥٧).

ركَام من الأوهام والآثام، ثم بَسطوها بإصدار الأحكام عليهم، والتَّشكيك فيهم، وخدشهم، وإلصَاق التهم بهم، وطَمس محاسنهم، والتشهير بهم، وتوزيعهم أشتاتًا وعزين في عقائدهم، وسلوكهم، ودواخل أعمالهم، وخَلجَات قلوبهم، وتفسِير مقاصدهم، ونياتهم...

كل ذلك وأضعاف ذلكَ مِمَّا هنالك من الوَيلاتِ، يَجري على طرفي، التَّصنيف: الدِّيني، واللاديني. فترى وتسمَعُ رَمي ذاك، أو هذا بأَنَّه: خارجي، معتزلي، أشعَرِي، طرقي، إخواني، تبليغي، مقَلِّد متعصب، متطرف، متزَمِّت، رجعي.. وفي السلوك: مُداهن، مراءٍ، من علماء السلطان، من علماء الوضوء والغسل[(١)].

قال الرَّازي: «واعلم أنَّ في الآية تهديدًا شَديدًا، وذلك لأنَّ النَّبيّ عليه الصلاة والسلام لما مال بِطَبعه قليلًا إلى جانب طعمة، وكَان في علم الله أنَّ طعمة كان فاسقًا، عاتَبه على ذلك القدر من إعَانة المذنب، فكيف حَال من يعلم من الظالم كونه ظالمًا ثُم يعينه على ذلك الظلم، بل يحمله عليه ويرغبه فيه أشدَّ الترغيب»[(٢)].

قال ﷺ: «مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا بِبَاطِلٍ لِيَدْحَضَ بِبَاطِلِهِ حَقًّا فَقَدْ بَرِئَ مِنْ ذِمَّةِ الله عَزَّوَجَلَّ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ»[(٣)]، كالذين يصدرون الفتاوى للحكام الظلمة والطغاة الفَسقة يُبررون لهم بها جرائمهم المنكرة وفسادهم الذريع.

فإن قيل: لِمَ قَال: ﴿لِّلْخَآئِنِينَ﴾ و﴿يَخْتَانُونَ﴾، مع أن الخائن واحدٌ فقط؟ فالجواب: بأنه جمع لِيتناول طعْمة وكلَّ مَن خان مثل خيانته، أو ليَتناوله وقَومَه الذين شاركوه في الإثم حين شَهدوا على براءته وخَاصموا عنه وهم يعلمون خيانته[(٤)].

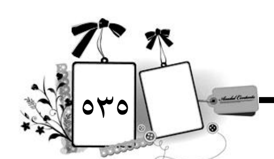
---

(١) ينظر «تصنيف الناس بين الظن واليقين»: (ص: ٩)، للشيخ بكر أبو زيد

(٢) «مفاتيح الغيب»: (١١/ ٢٨)، وطعمة هو ابن أبيرق وهو السارق الذي نزلت فيه الآيات.

(٣) «صحيح الجامع»: (١٠٢٠).

(٤) «تفسير السراج المنير»، للشربي: (١/ ٢٦٥).



وفي هذه القصة تتجلَّى عَظمةُ الإِسْلام دين العدل والإنصاف، فكفر هَذا اليهودي -مَع مَا عُرف عن اليهود من عَداوتهم للإِسْلام وتربُّصهم به- لم يمنع أن تنزل هذه الآيات البينات في إحقاق الحقِّ وتبرئة هذا اليهودي المظلوم ممَّنْ ظَلمه، حتَّى ولو كان الظالم منتسبًا إلى الإِسْلام ظاهرًا، فلله الحمد والمنَّة.

وهكذا يلزم أهل الإِسْلام أن يَكونوا مقيمين للعدل، متحلِّين بالإنْصافِ ولو مع الأعداء، لا سيما إذا كانوا في مجتمع واحد وفي هذا يقول الله عَزَّوَجَلَّ مؤكدًا هذا المعنى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة المائدة: ٨][١]

يقول الميداني: «وهَذا النهي، أي: المدافعة عن الخائنين يَشمَلُ بعمومه ولوازم دلالته عدَّة صور:

الصورة الأولى: نهى كُلِّ مؤمن عن أن يدافع عن الخائِنينَ، ويجادل لتبرئتهم، سَواء أكان قاضيًا أو وسيطًا أو شفيعًا أو وكيلًا أو محاميًا أو شاهدًا أو حَكمًا أو غير ذلك، فالدِّفاع عن الخائن والمجادلة لتبرِئتِه خيانة ومعصية، من الكبائر، لأنها تساعد على إبطال الحق وإحقاق الباطل.

الصورة الثانية: نُهي القاضي أو الحاكم المُؤمن عن أن يتأثر بعاطِفة مَا، فينحاز إلى أحد الخصمين ويُجادل عنه ظانًّا أنه صاحب حق، فيقع في احتمال أن يكون للخائِنين خَصيمًا.

الصورة الثالثة: نُهي القاضي أو الحَاكم المُؤمن عن أن يتسرَّع في حُكمه أو إبداء رأيِه في إدانة أو تبرئة أحدِ الخَصمين قبل استكمال أصول وقواعد الحُكم بين الناس

(١) هذه المعاني مستفادة من بحث «التعامل مع المنافقين دراسة موضوعية قرآنية»: ص (١٧٥ ـ ١٧٦).

بالحق والعدل، التي أبانها الله عَزَّوَجَلَّ، لأنَّ ذلك مظنَّة الوقوع في احتمال أن يكون للخائنين خصيمًا، فنُزِّلت مظنَّة الوقوع في تبرئة الخَائن منزلة المخاصمة الفعْلِيَّة عَنه، والمجادلة من أجله. وقد وجد في قصة السَّارق من بني أبيرق من جعل نفسه خصيمًا لأجلهم مُدافعًا عن مجرمهم»[1].

ومِمَّا هو داخلٌ تَحت أروِقَة هذه القاعدة، ما يَتعلَّق بشَأنِ التَّقريع والزَّجرِ لَمن يدافع عن المنافقين، قالَ رسول الله ﷺ -في مُنَاسبة الإفك- وهُو على المنبر: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي؟ فَوَ الله مَا عَلِمْتُ فِي أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي»، فَقَام سعد بن معاذ الأنصارِيُّ فَقَال: أنا أَعْذُرك منه يا رَسُول الله، إن كان من الأوس ضَرَبْنا عنقه، وإنْ كان من إخوانِنا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمْرَك.

قالت -أي عائشة-: فقَام سَعْد بْنُ عُبادة وهو سَيِّد الخزرج وكان رجلًا صالحًا، ولَكن اجتهلته الحمِيَّة، فقال لسَعْد بن معاذ: كَذبتَ لَعَمر الله لا تقتله، ولا تقدر عَلى قَتْله، فَقَام أسيد بن حضير، وهو ابن عَمِّ سعد بن معاذ، فقال لسَعد بن عبادة: كذَبت لعمر الله لنقتلنَّه فإنَّك منَافقٌ تُجادل عن المنافقين، فثَار الحيَّان الأوس والخزرج حتى همُّوا أن يقتتلوا، ورسوله الله ﷺ قائمٌ على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا[2].

قال النووي: «فيه جَوازُ سَبِّ الْمُتعصب المبطل كما سبَّ أُسيد سعد بن عبادة

---

(١) «ظاهرة النفاق»: (١/ ٥٩٨).

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب حديث الإفك: رقم (٤١٤١)، ومسلم في التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف: رقم (٢٧٧٠)، والترمذي في التفسير، باب ومن سورة النور، حديث رقم: (٣١٨٠)... الخ.

لتَعصُّبه للمنافق، وقال: إنَّكَ مُنافق تجادل عن المنافقين، وأراد أنَّك تفعل فعل المُنافقين، ولم يرد النِّفاق الحقيقي»(١)(٢).

ما يستفاد من القاعدة:

قد يسر الله ذكر عدد من الفوائد في ثناياها.

القاعدة السادسة عشرة: عدم مشاركتهم في مجالسهم ونواديهم إل للإنكار عليهم.

لنا في هَدْي القرآن والسُّنَّة وما كان عليه سَلفُ الأمة ما يكفِي ويَشْفي، فَها هُم السَّلَف رحمهم الله ينْهَون عن مُخالطَةِ أهل البِدَع والجُلوس معهم، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٦٨].

وكمثل قوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [سورة النساء: ١٤٠].

وفي هَاتَين الآيتين مَوعظَةٌ عَظيمة لمن يتَسمَّح بِمُجالسة المُبتَدِعة الذين يحرِّفون كلام الله، ويَتَلاعبون بكتابِهِ وسنَّةِ رَسوله ﷺ، ويردُّون ذَلك إلى أهوائِهم المُضِلَّة وبِدَعهم الفاسدة... ومن عَرَف هذِه الشَّريعة المطَهَّرة حَقَّ مَعرفتها علم أن مجالسة أهل البِدع فيها من المَفاسد أضعَاف أضعَاف ما في مجالسة من يعصي الله بفعل شيء مِن المحَرَّمات -وإن كانَتْ كُلها شر-، ولا سِيَّما لمن لم يكن لَه قدمٌ رَاسخة في علم الكِتَاب والسنة، فإنَّه ربَّما يُنفق عَليه من كذباتهم وهَذيانِهم ما هو من البطلان بأوضح مَكان،

(١) ينظر «شرح النووي على مسلم» عند شرحه لحديث رقم (٢٧٧٠).

(٢) ينظر «المنافقون في الكتابة والسنة»: (٦٦)، د/ محمد موسى نصر.

فينقدح في قَلبه ما يصعُب عِلاجه ويعسر دفعه، فيعْمَل بذلك مدَّة عُمره، ويلقى الله به معتقدًا أنَّه من الحق وهو –والله– من أبطل الباطل وأنكر المنكر[(١)].

وقال أبو قلابة الجرميُّ التَّابعي: «لا تُجالِسوا أهل الأهواء ولا تُجادلُوهُم؛ فإنِّي لا آمن أن يَغمِسُوكم في الضلالة، أو يُلبِسوا عَليكم في الدين بعض ما لُبِّس عليهم»[(٢)].

وقال الشيخ موفق الدين ابن قدامة: «كانَ السَّلف ينهون عن مُجَالسة أهل البدع والنَّظر في كتبهم والاستماع لكلامِهم»[(٣)].

وقال أبو الوفاء بن عقيل[(٤)]: «وكان أصْحَابنا الحنَابِلة يريدون منِّي هجران

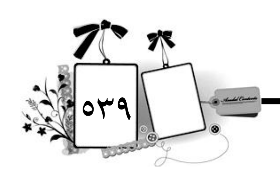
---

(١) «فتح القدير»، للشوكاني: (٢/ ١٢٨).

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة»: (١/ ١٣٧)، والدارمي في «السنن»: (١/ ٩٠)، والآجري في «الشريعة»: (١/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦)، وغيرهم بإسناد صحيح.

(٣) ينظر «الآداب الشرعية»، لابن مفلح: (١/ ٢٥١).

(٤) هو: علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله، الإمام أبو الوفاء البغدادي، الظفري، [المتوفى: ٥١٣ هـ]، شيخ الحنابلة، ومصنف التصانيف. كان يسكن الظفرية، ومسجده بها معروف، ولد سنه إحدى وثلاثين وأربع مائة، وتفقه على القاضي أبي يعلى، وعلى الموجودين بعده، وقرأ علم الكلام على أبي علي بن الوليد، وأبي القاسم ابن التبان البغداديين صاحبي القاضي أبي الحسين البصري. قال السلفي يقول: ما رأت عيني مثل الشيخ أبي الوفاء بن عقيل الفقيه، ما كان أحد يقدر أن يتكلم معه لغزارة علمه، وحسن إيراده، وبلاغة كلامه، وقوة حجته. قال الذهبي: وكان إماما مبرزا، مناظرا، كثير العلوم، له يد طولى في علم الكلام. وكان يتوقد ذكاء، له كتاب "الفنون" لم يصنف في الدنيا أكبر منه، حدثني من رأى منه المجلد الفلاني بعد الأربع مائة يحكي فيه بحوثا شريفة ومناظرات وتواريخ ونوادر، وما قد وقع له. وقال: عصمني الله في شبابي بأنواع من العصمة، وقصر محبتي على العلم، وما خالطت لعابا قط، ولا عاشرت إلا أمثالي من طلبة العلم، وأنا في عشر الثمانين، أجد من الحرص على العلم أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين، وبلغت لاثنتي عشرة سنة، وأنا اليوم لا أرى نقصا في الخاطر والفكر والحفظ، وحدة النظر بالعين لرؤية الأهلة الخفية، إلا أن القوة ضعيفة. قال ابن الجوزي: وكان =



جماعَة مِن العلماء، وكان ذلك يحرمني علمًا نافعًا».

فعلَّق الذَّهبي قائلًا: «قلت: كَانوا ينهونه عَن مجالسَةِ المُعتزلة، ويأبىٰ حتىٰ وقَع في حبائلهم، وتجاسر علىٰ تأويل النصوص، نسأل الله السلامة»[(١)].

وعن أبي أميَّة اللخمي،[(٢)] أن رسُولَ الله ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ ثَلَاثًا، وَاحِدَتُهُنَّ أَنْ يُلْتَمَسُ العِلْمُ عِنْدَ الأَصَاغِرِ»[(٣)].

= دينا، حافظا للحدود، توفي له ولدان، فظهر منه من الصبر ما يتعجب منه، وكان كريما ينفق ما يجد، وما خلف سوىٰ كتبه وثياب بدنه، وكانت بمقدار. وتوفي بكرة الجمعة ثاني عشر جمادىٰ الأولىٰ، وكان الجمع يفوت الإحصاء. قال شيخنا ابن ناصر: حزرتهم بثلاث مائة ألف. قال الذهبي: رأيت شيخنا وغيره من علماء السنة والأثر يحطون علىٰ ابن عقيل لما تورط فيه من تأويلات الجهمية، وتحريف النصوص، نسأل الله الستر والسلامة، وقد توفي في سادس عشر جمادىٰ الآخرة، وقيل في جمادىٰ الأولىٰ، فالله أعلم. وقال أبو الفرج ابن الجوزي فيه: فريد دهره، وإمام عصره، وكان حسن الصورة، ظاهر المحاسن. قرأ بالروايات علىٰ أبي الفتح بن شيطا، وأخذ النحو عن أبي القاسم بن برهان. وقال ابن الأثير في تاريخه: كان قد اشتغل بمذهب المعتزلة في حداثته علىٰ أبي علي بن الوليد، فأراد الحنابلة قتله، فاستجار بباب المراتب عدة سنين، ثم أظهر التوبة. من تصانيفه: «الفنون»؛ و«الواضح في الأصول»؛ و«الفصول في الفقه». ينظر «تاريخ الإِسْلام»، للذهبي: (١١/ ٢٠٣)، و«البداية والنهاي»: (١٢/ ١٨٤)، و«الذيل علىٰ طبقات الحنابلة»: (١/ ١٧١).

(١) ينظر «سير أعلام النبلاء»، للذهبي (١٩/ ٤٤٧).

(٢) أبو أمية اللخمي، وقيل: الجهني، وقيل: الجمحي، يعد في المصريين روىٰ عن النَّبيِّ ﷺ، روىٰ عنه بكر بن سوادة. وقال ابن عبد البر لا أعرفه بغير هذا الحديث، ذكره بعضهم فِي الصحابة، وفيه نظر. وفي الصحابة من بني جمح من يكنىٰ أبا أمية صفوان بْن أمية، وعمير بْن وهب كلاهما يكنىٰ أبا أمية. ينظر «معرفة الصحاب»، لأبي نعيم: (٥/ ٢٨٢٦)، و«الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر: (٤/ ١٦٠٣)، و«أسد الغابة»، لابن الأثير: (٦/ ١٧)، و«الإصابة في تمييز الصحابة»: (٧/ ١٩).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد»: (٦١)، والطبراني في «الكبير»: (٢٢/ ٣٦١ ـ ٣٦٢)، وغيرهما، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة»: (٦٩٥).

قال ابن المبارك[١]: «الأصاغر أهل البدع»[٢].

﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [سورة النساء: ١٤٠].

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيرها[٣]: «وفي هذه الآية الدِّلالة الوَاضِحَة على النَّهي عَن مجالسة أهْلِ الباطل من كُلِّ نَوع من المُبتَدعة والفَسقَة عند خوضهم في باطلِهم»، وقد حذر الرسول ﷺ من مجالستهم فقال: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي نَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ»[٤].

وعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «تلا رَسُول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي

---

(١) هو عبد الله بن المبارك، أبو عبد الرحمن، الحنظلي بالولاء، المروزي أمه خوارزمية وأبوه تركي. كان إمامً فقيهًا ثقة مأمونًا حجة كثير الحديث. صاحب أبا حنيفة وسمع السفيانين وسليمان التيمي وحميدًا الطويل، حدث عنه خلق لا يحصون من أهل الأقاليم منهم عبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل عدّ جماعة من أصحابه خصالة فقالوا: جمع العلم والفقه والأدب والنحو واللغة والشعر والزهد والفصاحة والورع وقيام الليل والعبادة والسداد في الرواية وقلة الكلام فيما لا يعنيه وقلة الخلاف على أصحابه. كانت له تجارة واسعة وكان ينفق على الفقراء في السنة مائة ألف درهم. مات بهيت (على الفراش) منصرفًا من غزو الروم. من تصانيفه: «تفسير القرآن»، و«الدقائق في الرقائق»، و«رقاع الفتاوى». ينظر «الجواهر المضية»: (١/ ٢٨١)، و«تذكرة الحفاظ»: (١/ ٢٥٣)، و«شذرات الذهب»، لابن العماد الحنبلي: (١/ ٢٩٥).

(٢) «ذم الكلام وأهله»، للهروي: (٥/ ٧٦).

(٣) «تفسير الطبري»: (٤/ ٣٢٨).

(٤) «صحيح مسلم»: برقم (٧) المقدمة، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء

ﭐلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [سورة آل عمران: ٧]، قالت: قَال رَسُول الله ﷺ: «فَإِذَا رَأَيتَ الذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الذِينَ سَمَّىٰ اللهُ فَاحْذَرْهُمْ»(١).

وعن أَبِي هُريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النَّبيّ ﷺ قال: «الرَّجُلُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»(٢).

وفي مقاطعة أهل الأهواء: قال الإمام مالك رَحِمَهُٱللَّهُ: «لا تَسلِّم عَلىٰ أهلِ الأَهْوَاء وَلا تُجَالسهم إلا أنْ تَغلُظ عَليِهم، ولا يُعاد مريضُهم، ولا تُحدِّث عنْهم الأحاديث»(٣). وقال أبو توبة الحلبي(٤): «حدثَنَا أصحابنا: أنَّ ثورًا لقي

---

(١) «صحيح البخاري»، ك التفسير، باب ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥]: رقم (٤٥٤٧)، و«صحيح مسلم»، ك العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن: رقم (٢٦٦٥).

(٢) رواه الترمذي، ك الزهد، باب مثل ابن آدم وأهله وماله وعمله: رقم (٢٣٧٨)، وأبو داود، ك الأدب، باب من يؤمر أن يُجالس: رقم (٤٨٣٥). وقد حسنه الألباني.

(٣) ينظر «كتاب الجامع»، لابن أبي زيد القيرواني: (١٥٧)، ط دار الغرب الإسلامي، وينظر «مجموع مؤلفات عقائد الرافضة والرد عليها»: (٢٤/ ٩٣)، و«الاعتصام»، للشاطبي: (١/ ٢٣٠).

(٤) هو: الربيع بن نافع الإمام، الثقة، أبو توبة الحلبي، الحافظ، بقية المشايخ، أبو توبة الربيع بن نافع الحلبي، نزيل طرسوس التي هي اليوم من بلاد الأرمن. مولده: في حدود الخمسين ومائة. سمع من: معاوية بن سلام، ومحمد بن مهاجر، وابن المبارك، وأبي المليح الرقي، وعبيد الله بن عمر، وإبراهيم بن سعد، وأبي الأحوص، وطبقتهم. ووعىٰ علما جما، وعمر دهرا، وارتحلوا إليه. حدث عنه: أبو محمد الدارمي، وأبو حاتم، ومن أقرانه: أحمد بن حنبل، وغيره. قال أبو حاتم: ثقة، حجة. وقال أبو داود: قدم أبو توبة الكوفة، ولم يرحل إلىٰ البصرة، وكان يحفظ الطوال يجيء بها، ورأيته يمشي حافيا وعلىٰ رأسه الطويلة. قال: وكان يقال: إنه من الأبدال رَحِمَهُٱللَّهُ. وقال أبو بكر الأثرم: سمعت أبا عبد الله، وذكر أبا توبه، فأثنىٰ عليه وقال: لا أعلم إلا خيرا. وقال أبو حاتم: ثقة صدوق حجه. وقال الفسوي: كان لا بأس به، توفي سنة إحدىٰ وأربعين ومائتين. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»،: (٩/ ١٠٣)، و«سير أعلام النبلاء»، للذهبي: (١٠/ ٦٥٣).

الأَوْزَاعي فمَدَّ يده إليه، فأبىٰ الأوزاعي أن يَمدَّ يَده إليه، وقال: يا ثَور[١]، لو كانت الدنيا لكَانت المقاربة، ولكنَّه الدِّين»[٢].

إذا كانَ هَذا هُو المَنْهَج الأقوم في التَّعامُل مع المبْتَدعة ومن شاكَلَهم، فلشَّأنُ مَع المُنافِقِين من بَاب أولىٰ وأحرىٰ.

مِن المعلوم لكل ذي لبٍّ مِن المسلمين علماء وعامَّة أنَّ مَن سَخِرَ بآيات الله أو استهزأ بشيءٍ مِن الدين أنه كافر مرتد منافق كذَّاب، لأنَّ الإيمان يستلزم التَّصديقَ والاعتقاد والانقياد، والمُستهزئ مكذِّب في البَاطن وإن زعم التسْلِيم في الظاهر.

ومَوقف المسْلِم الحق مِن كُلِّ مستهزئ الهجر والتشريد به ونَبذه واطِّراحه، فإن اجتمع به فلأجل الإنكَار عَليهِ والإغلاظ فحسب، وإلا كَان هو وهم في مَنزِلة

---

(١) هو: ثور بن يزيد أبو خالد الكلاعي المحدث، الفقيه، عالم حمص، أبو يزيد الكلاعي، الحمصي. حدث عن: خالد بن معدان، وراشد بن سعد، وعطاء بن أبي رباح، وحبيب بن عبيد، ونافع، والزهري، وعمرو بن شعيب، في خلق كثير، كان من أوعية العلم لولا بدعته. حدث عنه: ابن إسحاق - رفيقه - وسفيان الثوري، والمعافىٰ بن عمران، وابن المبارك وعدة. قال يحيىٰ القطان: ما رأيت شاميا أوثق من ثور، كنت أكتب عنه بمكة في ألواح. وعن وكيع: كان ثور أعبد من رأيت. وكان جد ثور بن يزيد قد شهد صفين مع معاوية، وقتل يومئذ، وكان ثور إذا ذكر عليا قال: لا أحب رجلا قتل جدي. قال الذهبي: كان ثور عابدا، ورعا، والظاهر أنه رجع، فقد روىٰ أبو زرعة عن منبه بن عثمان، أن رجلا قال لثور: يا قدري. قال: لئن كنت كما قلت إني لرجل سوء، وإن كنت علىٰ خلاف ما قلت إنك لفي حل. قال إسماعيل بن عياش: نفىٰ أسد بن وداعة ثورا. وقال عبد الله بن سالم: أخرجوه وأحرقوا داره لكلامه في القدر. قال ابن سعد، وخليفة: توفي ثور سنة ثلاث وخمسين ومائة. وقال يحيىٰ بن بكير: سنة خمس وخمسين. وقال ابن سعد: توفي ببيت المقدس. «سير أعلام النبلاء»، للذهبي: (٦/ ٣٤٤)، و«تهذيب الكمال في أسماء الرجال»،: (٤/ ٤١٨)، «تاريخ الإِسْلام»، للذهبي: (٤/ ٣٢).

(٢) ينظر «سير أعلام النبلاء»، للذهبي: (٦/ ٣٤٥)، وكان ثور يرىٰ القدر، وليس به بأس. قاله أحمد.

واحِدَة، وهذا الذي أصابَ بَعض علماء بني إسرائيل؛ حَيث كان الواحدُ مِنهم يلقىٰ أخَاه علىٰ المُنكر فيُنكر عليه، ثُمَّ يأتيه في الغد فَيلقاه علىٰ حاله الأوَّل فلا يمنعه ذلك أن يكون جَليسه وأكيله وشريبه، فضَرب الله قلوب بعضهم ببعض، وقال فيهم سبحانه: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾ [سورة المائدة: ٧٨-٧٩].

فالإيمان يَطلب من أهله ألا يَركَنوا إلىٰ المنافقين الكَفرة، ولا يَتَّخذوهم أصْدِقاء وجلساء، وإلا كانُوا عِند الله سواء، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [سورة النساء: ١٤٠].

فانْظُر رحمك الله كَيف نهىٰ الله عن القُعود مع المستهزئين بآياتِ الله، وجعل الجالس معهُم علىٰ سبيل المودَّة وترك الإنكار مثلهم في الجُرم سواء بسواء، وقدم المُنافقين علىٰ الكافرين وألبَس المُستهزئين ثياب الكفر والنفاق، وجمعهم جميعًا علىٰ السخرية بدينه وأهل طاعته.

والنَّهيُ عَن مجالستهم وغشيانهم في نَواديهم خشيَة التَّأثُّر بِهم والانخداع بما يُثيرون من شكوك وشبهات(١)... ومَن تَأَمَّل حادثة الإفك يجِدُ أن بعض من زلَّتْ بِه قدم في شأن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنهَا، إنَّما كَان من جرَّاء ما أزبد به وأرعَد وأرْجَف

(١) وما ظاهرة الإلحاد التي جاهر بها بعض أفراد مجتمعنا في بلاد الحرمين، فأصبح لهم مواقع علىٰ الإنترنت ومجاميع ومنتديات وملتقيات إلا من جراء القراءة والاطلاع في كتب وروايات وأشعار الملاحدة ومن شابههم، وهذا من أهم أسباب بروز هذه الفئة وإلا فهناك أسباب أخرىٰ. ومن أشهر مواقعهم الشبكة الليبرالية السعودية. انظر علىٰ الشبكة «فتوىٰ الشيخ البراك في الإلحاد». وكذلك «حتىٰ لا يصبح الإلحاد ظاهرة بيننا»، لخالد الشهري.

المنافقون وخصوصًا ابن سلول، الذي تولَّىٰ كِبره منهم، مع العِلم أن هذين الصحابيين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لم يجالسا القوم ولم يَحضُرا مَجامعهُم، وإنَّما سَمِعا كما سمع الناس فكان منهما ما كان، وأقيم عليهما مع إحدىٰ الصحابيات رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُن الحدُّ تَطهيرًا لهم في الدنيا ودرءًا للجزاء الأخروي عنهم.

وهنا استدرَاك يحسُنُ أخذه بعين الاعتبارِ، ألا وَهُو: أن مَن آتاه الله علمًا وحُجَّة وبيانًا وقدرة علَىٰ ردِّ بَاطلهم والتصدِّي لدحض شبهاتهم، فهو مستثنىٰ من القاعدة عبر الوسائل الممكنة والطرق المناسبة.

ما يستفاد من القاعدة:

١. إذا تقرَّر نَهي السلف رحمهم الله عن مُجالسة أهل البِدَع فمن باب أولىٰ مجالَسَة المنافقين، ووجه النَّهي حتىٰ لا يتأثر بمقولاتهم وشبهاتهم.

٣. يستَثنَىٰ مِن هَذا النهي أهلُ العِلم والبيان والحجة، الذين يقدرونَ علَىٰ مقارعتهم والردِّ علىٰ شبهاتهم.

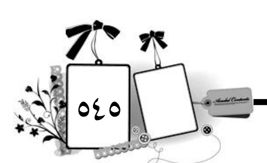
القاعدة السابعة عشرة: عدم السماع لهم، بل والإعراض عنهم.

إن هذِه القَاعدة لها صِلَة وثيقة بما قبلها، فكأنما نُهي في تلْكَ عَن مخالطتهم ومجالستهم، فكذَلكَ النَّهيُ هُنا عن إفراغ الأذُن سَماعًا لأباطِيلِهم وإنصاتًا لشبههم، والذِي قَد يقعُ دُون ضرورة المُجالَسة، وبخَاصَّة في زَماننا الذي تَعدَّدت فيهِ وَسائل التَّلقي إعلاميًّا عبرَ القَنوات ونحوها، وكذلك عبرَ تَغذية الاتصال، والتِي تَزدادُ فُروعها وأدواتها يومًا بعد يوم.

يقول الله تعالىٰ: ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة التوبة: ٤٧][1]، أي: فِيكم أيُّها المؤمنون من يستجيب لهم، ويتأثَّرُ بِما يبثونه من

---

(١) انظر «المنافقون في الكتاب والسنة»: (٤٢ ـ ٤٣).



الشكوك والشبهات ويقبلُها، وهذا أحد القولين في الآية(١)، وهُو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإنه في قولِه تعالىٰ: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٤٧]، إنَّما عدَّاه باللام لأنه متضمِّن معنىٰ القبول والطاعة، كما قال الله علىٰ لسان عبده: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، أي: استَجاب لِمَن حَمِده، وكَذلك: ﴿سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ أي: مُطيعُون لهُم(٢).

وقال الحافظ ابن كثير: «﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٤٧] أي: مُطيعُون لهم، ومستحسِنُون لحدِيثِهم وكَلامِهم، يَستنْصِحُونهم وإنْ كَانوا لا يَعلَمون حَالَهم، فيؤدي إلىٰ وقُوع شرٍّ بَين المؤمنين وفساد كبير»(٣).

والمقصود: أنَّ هَذا خبر في مَعنىٰ النَّهي، أي: لا تَسمَعوا هم، ولا تَقبَلوا ما يبثُّونَه من شُكوك وشُبهَات حول الدِّين والدَّعوة وخُلَّصِ المؤمنين ليوقعوا الفتنة بينكم.

---

(١) اختاره الواحدي في «الوجيز»: (١/ ٤٦٦)، وابن كثير: (٢/ ٤٧٥)، والبقاعي في «نظم الدرر»: (٣/ ٣٢٩)، والشوكاني: (٢/ ٤١٨)، والسعدي: (٣/ ٢٤٤)، القول الثاني: أن المراد بقوله ﴿سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ نقل الأخبار إليهم بمثابة الجواسيس، واختاره الطبري: (٦/ ٣٨٤)، والقرطبي: (٨/ ١٥٧، وغيرهما، وحجتهم أن الأغلب من كلام العرب في قولهم (سمَّاع) أن يصفوا به من يسمع الكلام لغيره، والقول الأول الذي اختاره شيخ الإسلام هو الراجح، لدلالة السياق عليه، فإن سياق الآيات كله في المنافقين وفضح أحوالهم وخباياهم، فلمّا قال سبحانه: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ دلّ علىٰ أن هَؤُلاءِ السمّاعين ليسوا منهم، ويؤيد هذا المعنىٰ أن المنافقين ليسوا بحاجة إلىٰ من يسمع لهم، فهم مندسون في الصف المسلم يسمعون بأنفسهم ما يجري. ينظر «اختيارات ابن تيمية وترجيحاته في التفسير»، لمحمد المسند: (صـ ٥١٧ ـ ٥١٩)، وقد أكد ذلك شيخ الإسلام بقوله: وبعض الناس يظنّ أن المعنىٰ: سمّاعون لأجلهم بمنزلة الجاسوس أي: يسمعون ما يقول وينقلونه إليهم حتىٰ قيل لبعضهم: أين في القرآن (الحيطان لها آذان)؟ قال في قوله: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ وكذلك قوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة: ٤١] أي: ليكذبوا: اللام لام التعدية لا لام التبعية وليس هذا معنىٰ الآيتين وإنّما المعنىٰ: فيكم من يسمع لهم: أي يستجيب لهم ويتبعهم. «مجموع الفتاوىٰ»: (٢٨/ ١٩٤).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ»: (٢٥/ ١٢٩).

(٣) «تفسير القرآن العظيم»: (٢/ ٤٧٥).

فإن قيل: كيفَ يَجُوز ذَلك على المؤمنين مَع مَا عَلِموه من التَّحذِير من المنافقين؟ فالجواب: أنَّ ذَلك قد يَحصُل إمَّا لحَداثة عهدِهِم بالإسْلام، أو لِقَرابة تُوجِب حسنَ الظَّنِّ، لا سيما مع تفنُّن المُنافقين في الخدَاع والتَّمويهِ والتَّظاهر بالصَّلاح والتُّقى، ممَّا قَد ينطلي على بَعض المُؤمنين الطيبين[1]، ومِن ذَلك أنهم -أي: المُنافِقون- قَد يحلفون الأيمانَ المغَلَّظة على أنهم ما أرَادوا إلا الخير، كَما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [سورة التوبة: ١٠٧]، فأي تَزييفٍ أَعظم من هَذا التَّلبيس![2].

ولقد أمرَ اللهُ تَعالى رسوله عليه الصلاة والسلام بالإعْراض عَن المنافقين؛ وهاهي النصوص الواردة في موضوع الإعراض عن المنافقين:

١. يقولُ رَبُّنا سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ ﴿٦٢﴾ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾ [سورة النساء: ٦١-٦٣].

٢. ويقولُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾ [سورة النساء: ٨٠].

٣. ويقولُ جلَّ شأنه: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) انظر «اللباب في علوم الكتاب»: (١٠/ ١٠٩).

(٢) ينظر «التعامل مع المنافقين»: (١٧٢ ـ ١٧٤).

جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ [سورة النساء: ١٤٠].

٤. وقالَ الله تعالى ذِكْره: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة التوبة: ٩٣-٩٥].

٥. عَن كعب بْنِ مَالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «لمَّا قَدِمَ رسول الله ﷺ من تبوك وجَلس لِلنَّاس، فلما فعل ذلك، جَاء المخلفون فَطَفِقوا يعتذرون إليهِ، ويَحْلِفون له، وكانوا بضعة وثَمانين رجلًا، فقَبِل منهم رسول الله ﷺ علانِيَتهم وبايعهم واسْتَغْفر لهم، ووكلَ سَرائرَهم إلى الله، وصدقته حَديثي، فقال كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والله مَا أنعم الله عليَّ مِن نعمة قط بعد أنْ هَداني للإِسْلام أعظَمُ في نفسي من صِدق رَسُول الله ﷺ أن لا أكُون كَذبته فأهلَكَ كَما هلك الذين كذبوا، إن الله قَال للذين كذَبوا حين أنزل الوَحي شر ما قال لأحد: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [سورة التوبة: ٩٥-٩٦](١).

١. ذهَب بَعضُ المُفسرين إلى تفسير الإعراض عن المنافِقين بالصفح والعفو عنهم في الدنيا.

---

(١) رواه البخاري: رقم (٤٤١٨)، ومسلم: رقم (٢٧٦٩).

٢. كما ذهب آخرون إلى تَفسِيره بعدم مُعاقَبتِهم بالقتل أو الجَلدِ أو سائر الحدود ونحوها.

٣. وقال فريق: الإعْرَاض عنهم بإهْمَالهم ومُقَاطعتهم وهَجْرهم بترك الكلام معهم والسلام عليهم

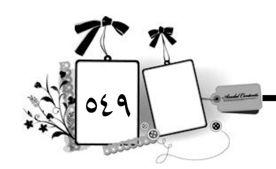
٤. وهناك قول رابع: هو تَرك اسْتِصْلاحهم ومُعَاتبتهم، لأنها لا تنفع فيهم ولا تصلحهم(١).

ويَبدُو -واللهُ أعلم- أنَّ هَذه الأقوال كلها تَصلُح لتفسير الإعراض عن المنافقين، بعد البيان ونَصحهم وتحذيرهم: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا﴾ [سورة التوبة: ٧٤].

كما أنَّ الأحْوَال الزَّمانِيَّة والمَكانية التي تَمرُّ بِها الأمَّة الإِسْلاميَّة لهَا كَبير الأثر والصِّلة في العمل ببَعضٍ مَا ذكر دون بعض؛ بالإضافة إلى النَّظر إلَى عِظَم الجرم

---

(١) انظر على سبيل المثال: «تفسير الطبري»: (٥/ ١٥٦، ١٧٩، ٦/ ٤٤٩)، و«تفسير القرطبي»: (٥/ ٢٦٥، ٢٩٠، ٨/ ٢٣١)، و«تفسير الرازي»: (١٠/ ١٥٨، ١٥٩، ١٩٥، ١٦/ ١٦٤)، و«الكشاف»: (١/ ٥٢٧، ٥٣٩، ٢/ ٣٠٧)، و«تفسير أبي حيان»: (٣/ ٢٩٣، ٣١٧، ٥/ ٩٣)، و«زاد المسير»: (٢/ ١٢٢)، و«تفسير البغوي»: (٤/ ٨٥)، و«تفسير ابن كثير»: (١/ ٥٣٢، ٥٤١، ٢/ ٣٩٧)، و«تفسير أبي السعود»: (٢/ ١٩٦، ٢٠٧، ٤/ ٩٤)، و«تفسير البيضاوي»: (١/ ٤٨٨)، و«تفسير الواحدي»: (٢/ ٥١٨)، و«تفسير الخازن»: (٢/ ٣٩٧»، و«تفسير السمرقندي»: (٢/ ٦٩)، و«روح المعاني»: (٥/ ٩٢، ١١/ ٣)، و«فتح القدير»: (١/ ٤٨٣، ٤٩٠، ٢/ ٣٩٥)، و«تفسير القاسمي»: (٨/ ٢٩٦، ٢٩٧)، و«فتح البيان»: (٤/ ١٨١)، و«روح البيان»: (٣/ ٤٨٨)، و«تفسير المنار»: (١١/ ٤)، و«تيسير الكريم الرحمن»: (٢/ ٢٧٧، ٢٧٨)، و«تفسير المراغي»: (١١/ ٥)، و«في ظلال القرآن»: (٢/ ٦٩٥، ٧٢٠، ٣/ ١٦٩٦)، و«التحرير والتنوير»: (٥/ ١٣٦، ١٠٨)، و«التفسير المنير»: (١١/ ١٠، ١١) و«التيسير في أحاديث التفسير»: (٣/ ١٣).



المُرْتَكَبُ من المنافقين من صغره.

-أسباب الإعراض عن المُنافِقين كثيرة منها:

١. أن اللهَ تَعالىٰ سيتولىٰ عِقَابهم في الدنيا والآخرة(١).

٢. ومنها خُبث طَوِيَّتِهم ورِجس أفْكَارهم وضلال اعْتِقَاداتهم، فهذا يَقتَضِي الاحتراز منهُم خوفًا من التَّأَثُّر بأعْمَالهم والميل إلىٰ طبائعهم، وهُم غالبًا لا يَقبلون التطهير(٢)، قَال سبحانه: ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [سورة التوبة: ٩٥].

٣. ومنهَا أنَّ المؤمن مشْتَغل بصنُوف العبَادات الكثيرة وأعبَاء الدَّعوة التي قَد يشغله عنها عدم الإعراض عن المنافقين؛ قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾[سورة النساء: ٨١]، وقال ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [سورة الأعراف: ١٩٩].

٤. ومنها أنَّ عَدم الإعْراضِ عَنهم غالبًا قد يُسبِّبُ مُجاهرتهم بالعَداوة بعد إخفَائها، أو قد يسَبِّب عظم الشرِّ والمَكر والكيد لهذا الدين وأهله(٣).

٥. ومنها أن تهمِيشَهم وعدمَ الاكتراثِ بِهم ممَّا يوغر صدورهم ويغِيظُهم، وقد يكون سببًا في ردهم إلىٰ دائرة الإيمان والتقوىٰ.

٦. ومنها التَّشريع لهذهِ الأُمَّة لهجر المُنافق ومن يتمادىٰ في ذنبه ولا يرعوي(٤).

٧. في أسْلُوب الإعْراض عنِ المُنافِقين والإغضاءِ عَنهم سِياسة حكِيمَة كانَتْ

---

(١) انظر «الكشاف»: (٢/ ٣٧)، و«تفسير القاسمي»: (٨/ ٢٩٦، ٢٩٧).

(٢) انظر «تفسير البيضاوي»: (١/ ٤٨٨)، و«تفسير أبي السعود»: (٤/ ٩٤)، و«التفسير المنير»: (١١/ ١٠، ١١).

(٣) انظر «تفسير أبي حيان»: (٣/ ٣١٧)، و«تفسير الرازي»: (١٠/ ١٥٨، ١٥٩).

(٤) انظر «روح البيان»: (٣/ ٤٨٨).

مُتَّبعة في ذلك العَصر(١)، أمرَ بِها الرَّسول ﷺ لفائِدَتها وأثَرِها على المُجتَمع المُسلِم وعَلى مَن ابتلوا بداءِ النفاق... فمن آثارها وفوائدها أنها مشتملة على:

١. تأدِيبُ المُنافقين وتعزيرهم(٢).

٢. فضحهم لَدى مَعاشر المُؤمنين الذين شَهِدوا نزول الوَحي بالإعراض عن المنافقين ومواقع الإعراض عنهم.

٣. احتقارهم وإهانَتُهم مِن قبل المُعرضِين عنهم، وجعلهم بِهذا الأسْلوبِ لا يَستطيعون عرض شُبَهِهم؛ حيث لا يجدون طالبًا أو راغبًا، وهي خطَّة قَتلتهم في النهاية وأضعفتهم، وجعلت بقاياهم تتَوارى ضعفًا وخجلًا(٣) وفي المقابل فإن المؤمنين قد تفرغوا لأداء الواجبات الأخرى المُناطَة بهم.

٤. كما أن بعضًا من المُنافقين قد قاده الإعْراض عنه وعن عمله إلى توبة وخلوص من النفاق.

٥. ومن آثارها وفَوائِدها مقاطعة المُنافقين وهجرهم وزجرُهم؛ ممَّا حَمى أفراد الأمة وجماعاتها من التَّأثُّر بِهم أو الميل إلى طِبَاعهم، فهم منبوذون خارج الجماعة الإسْلامية(٤)، وبالجُملَة فإن هذا الأسلُوب كَان هو المصلحَة الشرعية التي جَلبت كَثيرًا من المصَالح المتحققَةِ، ودفَعَت مفاسد متيقنة يدركها أهل العلم والإيمان.

٦. يشمل الإعراض عن المُنافقين مقاطعتهم وهجْرُهم ومُفارقتهم -كَما سَبَق ذِكره- وقَد خَصصت هضذه النقطة بالحَديث دون وجوه الإعْراض المتبقية

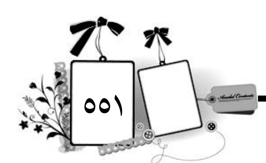
---

(١) انظر «في ظلال القرآن»: (٢/ ٦٩٥).

(٢) انظر «تفسير أبي حيان»: (٣/ ٢٩٣).

(٣) انظر «في ظلال القرآن»: (٢/ ٧٢٠).

(٤) انظر في «التيسير في أحاديث التفسير»: (٣/ ١٣).



لأهميتها، ولمَسِيس الحَاجة إلى العمل بها، وخصوصًا ما نَجِده من إقبال كثير من أهل الإيمان على معسكر النفاق وأهله.

ودونك بعض الآثار المترتبة على مخالطة المنافقين فمن ذلك:

١. تورثُ مَرض النفاق في القلب.

٢. ووحشة مِن الإيمَان.

٣. وإلفًا للمُنافقين ومُنكرَاتهم.

٤. إنْ كَان المُخالط لهم مِمَّن يُقتدىٰ به فخطره متعد وشره أعظم.

٥. بالإضافة إلى أن هذا الفِعل نُزول في مواطِن التُّهم، ممَّا يجلب عليه سوء ظن المؤمنين الأغيار به.

وللعِلم فَيلزم من الإعراض عن المنافقين ووعْظُهم وإرشَادُهم بالقول البليغِ، قال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلَۢا بَلِيغًا﴾[سورة النساء: ٦٣].

ويجِب عَلى عُلماء الأُمَّة ودُعاتها الذين يدركون مكائدَ المُنافقين ودسائسهم أن يُبَصِّروا الناس بها. ولا يصحُّ دُخول من لا يدرك مزَالق المُنافقين ومخَادَعاتهم في حِوارات معهم أو مُناظرات، فبدلًا من أن يكون حربًا عليهم وإذا به أحد رجلين:

١) إما مغلوبًا بحُجَجِهم منكسِرًا أمَام باطلهم، فيضل كَثيرًا مِن العامَّة الذين سيذهبون وراء من غلب بحجته واستعلى برايته.

٢) وإما يتراجع عَن قَناعَاته ويتنازل عن مبَادِئه ومسلماتِه بسبب تلبيسهم عليه، فيصبح مدافعا عنهم ملتمسًا الأعذار لَهم بعدَما كان واعظًا لهم ومحذرا منهم.

ما يستفاد من القاعدة:

ورد في ثنايا هذه القاعدة ولا سيما في آخرها ما يُغني عن تكرار ما يستفاد منها.

القاعدة الثامنة عشرة: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [سورة الأحزاب: ٤٨].

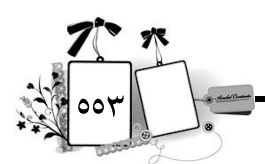
إذا نُهي المُؤمنون عَن مجالسة ومُخالطة المنافقين في مَجالسهم ومنتدياتهم بل وعن الإصغاء، لهم فممَّا لا شَكَّ فيه عدم طاعتهم من بَابِ أولى، كيف يُطاعون وهم أهل غدر وختل وكذب وإرجاف؟!.

كيف يطاعون ودَيدَنُهم السخرية والاستِهزاء بالمؤمنين، بل يُذيعون أسرَارَهم ويتطلبون عورَاتهم ويوَالُون أعداءهم ويأمُرون بالمنكر وينهون عن المعروف؟!.

كيف يُطاعون وهم من أسَاؤوا ظَنَّهم بربِّهم، وفوق ذلك أعرضوا عن شرعه واستكبروا عن قبول الحق وتَاجروا بعقيدتهم وفرُّوا من مواطن الجهاد؟!: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة النساء: ١٤٢].

من هذه بَعضُ مَخازيه وقبائِحِه، وتِلك غَدراته وفجراته، هل يُعتدُّ بهِ فِي رَأي أو يُعتمد عليه في مشورة أو يستأمن على مصلحة من مصالح المسلمين؛ وصَدَق الله إذ جَاء نهيه لِنبيِّه ﷺ مكررًا -وهُو نهي لأمَّتِه من ورائه- عَن طاعتِهم، فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [سورة الأحزاب: ١]، ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [سورة الأحزاب: ٤٨]، ومَا ذاك إلا لعظم خطرهم وشدَّة ضررهم.

فأَما عَدَم طاعتهم فواضحٌ، فَإنَّهم لا يأمرون -في الغَالِب- إلا بِمَا فيه ضرر على الإِسْلام والمسلمين، وأما ترك أذاهم فيحتمل معنيين كما ذكر المفسرون:



أحدهما: الصبرُ عَلىٰ أذاهم وتحمُّل ما يصدر منهم من عداوة.

الثاني: ترك مجازاتهم عَلىٰ الأَذَىٰ الصادِرِ مِنهم، وأن يَكِل أمْرَهم إلىٰ الله فَهُو كافيه سبحانه، وهذا الثَّاني هُو الأظهر وهُو الذي يدلُّ عَليه السياق، فإن هذا الأمر جاء بعد الإشارة بأنه مبعوث بالبِشارة قبل النذارة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٤٥]، ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٤٧]، وهذا يقتضي الصفحَ والتَّجَاوز، ثم خَتَم الآية بقوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾ [سورة الأحزاب: ٤٨]، وهو مناسبٌ لِترك أذىٰ هَؤُلاءِ، فإنَّهُ وإن ترك أذاهم عَلَىٰ سبيل المقابلة فلن يضرُّوه شَيئًا إذا كان الله وكِيله وكافيه، وهَذا لا ينافي ما سَبق من الأمر بالإغلاظ عليهم، فإن ذلِكَ حسب ما يقتضيه الحَال أحيانًا، لكن يبقىٰ تَرك أذاهم هو الأصل والغالب في التعامل معهم، أمَّا تَرك الأذىٰ فجاء في معناه: بأنْ لا يُعاقبهم، إمَّا ابتداءً وإمَّا علىٰ وجه المقابلة.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: دع أن تُؤذيهم مُجَازاة علىٰ إذايَتِهم إيَّاك، فأمره تبارك وتعالىٰ بِتَرك معاقبتهم...»(١)، وهكذا قال غيره(٢).

وفسَّر مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣) تركَ الأَذَىٰ بِالإعراض، وهو عَلَىٰ سبيل تقريب المَعنىٰ، وإلا فإنَّ الإعْراض أعمُّ من ترك الأذىٰ كما هو ظاهر -والله تعالىٰ أعلم-.

فإن قيل: فكيفَ يدع أذَاهم وهو مَأمورٌ بِقتالهم لا سيَّما الكفَّار؟ وهَل هَذا مَنسوخٌ بِآية السَّيف؟ فالجواب: أن هذَا إعْرَاض خاصٌّ لا عُموم له، وذلِكَ بأن يترفَّعَ عَن

(١) «الجامع لأحكام القرآن»: (١٤/ ١٧٩).

(٢) ينظر «معالم التنزيل للبغوي»: (١/ ٣٦١)، و«الوجيز»، للواحدي: (١/ ٨٦٩)، و«زاد المسير»، لابن الجوزي: (٦/ ٤٠٠).

(٣) ينظر «جامع البيان»: (١٠/ ٣٠٧)، و«معاني القرآن»، للنحاس: (٥/ ٣٥٩).

مؤاخذتهم على ما يَصدُر منهم في شأنه، من مِثل السِّباب والشَّتائم ونَحو ذلك ممَّا لا ضرر فيه على الدولة الإِسْلامية، فليست آيات القتال بناسخة له(١)(٢).

ثم إن الأمْرَ بِترك أذاهم لِيكمل للمُؤمنين أجْرَهم، ويزاد عَلى المنافقين عَذابهم في الآخرة فالعقوبة هناك أشدُّ وأنكى.

ما يستفاد من القاعدة:

١. عدم طاعةِ المُنافقين وقبولِ مَشورتهم، ولئن نَهَانا الشارعُ الحَكيم عن مُجالستهم بل والإصغاء إليهم، فمن بابِ أَوْلى النهي عن طاعتهم والانصياع لهم.

٢. وإذا كان النَّبيّ ﷺ قد نُهي عَن طَاعتهم وهُوَ من يُوحى إليه، فَمِن باب أولى أمته من بعده.

٣- الإعراض عن مُجَازاتهم على أذِيَّتِهم للمؤمنين يَختلف باختلاف الأحْوَال والظروف والنَّظر في نوع الأذى، ومن لحقَ بِه ومن صدر منه، فليسَ بإطلاق الإعراض هوَ الأسلم ولا المجازات بإطلاق هي الأفضل ولكن لكل حالٍ حكمها.

○ القاعدة التاسعة عشرة: الرد على شبهاتهم وتكذيب مقولاتهم.

هذه القاعدة سِمَة بَارزة من سماتِ القُرآن في تعامله مع المنافقين، وهذا ما يلزم علماء الأمة الراسخين تِجَاه هذه الطَّائِفة التي قال الله عنها: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [سورة البقرة: ١١]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٣].

ومع وصف الله تعالَى لَهُم بالسَّفهِ، إلا أنه عَزَّوَجَلَّ لم يتْرُك أفكارَهم ولا ادِّعاءاتِهم

(١) ينظر «التحرير والتنوير»: (٢١/ ٢٨٥).

(٢) «التعامل مع المنافقين دراسة موضوعية قرآنية»: (١٦٤ ـ ١٦٥).

الباطلة، بل ذكَرها وفندها وأبطلها[١]: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾ [سورة التوبة: ٨١].

﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ٩٥-٩٦].

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الفتح: ١١-١٢].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة البقرة: ١٤٢]، ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الفتح: ٥١]، كما نبَّه الله على استشرافهم الخاطئ، فقال سبحانه: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [سورة النساء: ٩٣١].

أما تكذيب مقولاتهم فمَواضِعُها في القرآن الكريم لَيسَت بالقليلة عددًا فمن ذلك:

١. قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ

---

(١) راجع: المعوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف الإسلام منهم، لسميرة محمد عمر جمجوم: (ص ٣٢٨ ـ ٣٤٠)، رسالة دكتوراه جامعة أم القرى ١٤٠٤ ـ ١٤٠٥هـ.

لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [سورة المنافقون: ١].

٢. وقال سبحانه: ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ [سورة التوبة: ٧٧].

٣. وقال عزوجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة المجادلة: ١٤].

٤. وقال تعالىٰ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٧].

٥. وقال تعالىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ٨٦١].

٦. وقال تعالىٰ: ﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ ﴾ [سورة التوبة: ٧٤].

٧. وقال تعالىٰ: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النور: ٤٧].

٨. وقال تعالىٰ: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب: ١٣-١٤].

إن المُتأمِّل لمجمُوع هذه الآيات ويتدَّبر دِلالاتها، يَجِد أن عقدها يَنتَظم في تكذيب المُنافقين والرَّدِّ علىٰ شبهة أو دعوىٰ باطِلَة، أو تزييف حقائق، أو إِرْجاف بالمؤمنين، أو نحو ذلك مما طفح به كيل أكاذيبهم، وفَاض به صَاعُ تدليسهم وتزييفهم... الخ.

ثُمَّ تَأَمَّل أَسْلُوب القرآن في كَشفِ خَباياهم وفَضح سَرائرهم، مرة بالحوار

الهاديء، ومَرَّة بالتهديد والوعيد، ومَرَّة بشهادة الله إنهم لكاذبون وهكذا.

ومن تأمل القُرآنَ في فَضحِه لمخطط مسجِد الضرار، عرف المنهج الذي يلزم التعامل به مع مثل هذا الطابور الخامس، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٠٧ لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨﴾ [سورة التوبة: ١٠٧-١٠٨].

فالغاية من بنائه:

١. المضارَّة للمُؤمِنين.

٢. الكُفر بِالله لأنَّهم أرادوا ببنائِه تقوية أهل النفاق وشدَّ أزرهم.

٣. التَّفريقُ بَين المؤمنين.

٤. مرصدًا ووكرًا تُعدُّ فيه الخُطط وتبرم فيه الأحابيل لمحاربة الله ورسوله ﷺ(١).

وإنَّنا لَفي زمن شاعَت فيهِ عبر وَسَائل الإعلام والمؤتَمرات والنَّدوات والمُؤلَّفات والرِّوايات وغيرها ممَّا حشوه الشبهات والشهوات.

إنَّها حرب فِكريَّة زَعزَعت محكمات شرعِيَّة في نُفوس كثير من الناس، حتى ظهر بين ظهراني المسلمين من يستعلن بالسُّخرِية بالله والاستهزاء برسوله ﷺ، ويَسخَر ببعض شرائع الدِّين، ناهيك عن التَّهكُّم بمظهر المتدينين، وحِجاب المسلمات، بل تَمادى بعضهم في الغي فتَطاولوا على الذَّات الإلهية، من أجل ذَلك وجب النهوض بِواجب الردِّ عليهم من أهل العلم الأثبات.

---

(١) ينظر «السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث»: (٢/ ٥٥٦)، للصلابي.

ما يستفاد من القاعدة:

١- اتباعُ مَنهج القُرآن الكَريم في الرَّدِّ عَلىٰ شبه القوم وكَشف أكاذيبهم بشتىٰ الوسائل وعلىٰ جميع الأصعدة.

٢- ألا يتصَدَّىٰ لِمُقارعتهم ومُنَاظرتهم وبيانِ أكَاذيبهم وكشْفِ زَيفهم إلا أهل العلم والبصيرة والنظر الثاقب.

القاعدة العشرون: استثمار المواقف والمناسبات لفضح المنافقين.

جرتْ عَادَة القُرآن الكريم في تَعامُله مع المُنافقين أن يَكشِف خباياهم ويَهتِك أستارهم ويفضح مخطَّطَاتهم ويُبيِّنُ عن مقاصدهم، وخصُوصًا حال الأزمَات والمناسبات، وهذا بلا شَكٍّ له نِكايته العظيمة في نفوسهم وَوقع أليم في صُدورهِم، ولئن كان هَذا منهج قرآني فَهُو كذلك هدي نبويٌّ حَريٌ أن يُحتذىٰ وجدير أن يقتفىٰ، وسيتم عرض نماذج من ذلك لا علىٰ سبيل الحصر وإنما كشواهد علىٰ ذلك:

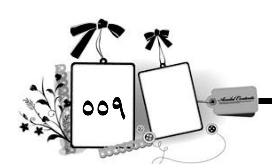
١. فرحُهم بِمقعدِهِم خلافِ رسول الله ﷺ ففضحهم الله.

عن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه: «أنَّ رجَالًا من المنافقين كَان إذا خَرج رَسُول الله ﷺ إلىٰ الغَزو تخلَّفوا عنهُ، وفَرحوا بمقعَدِهم خلاف رسُول الله ﷺ، وإِذَا قدم رسولُ الله ﷺ اعتذَروا إليهِ وأحَبُّوا أن يُحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٨]»(١)، قال أبو حيان: «نزلَتْ فِي المنافقين كَانوا يتخلَّفون عَن رسول الله ﷺ في الغَزو، فَإذا جَاء استعْذَروا له، فيُظهر القَبول ويستغفر لهُم، ففضحهم الله بهذه الآية»(٢).

---

(١) «صحيح البخاري»: (٨/ ٢٣٣)، ومسلم: (١٧/ ١٢٣).

(٢) ينظر «البحر المحيط»: (٣/ ١٤٣).



وليس هَذا الطَّبع مِن أهل النفاق بِمُستغرب، فلم يسلكوا مَسْلك النفاق إلا عِصْمة لأنفسهم من القَتْل، فمن باب أولَى ألا يَحْضروا ميدانَ الجِهاد وألا يشارِكُوا في مواطنه، فإذا وَضَعت الحرب أوزارَهَا تراهم يُبدعون في تطلُّب الأعذار ونسج الأكاذيب، وحَلف الأيمان الغَموس أنهم إنَّما حبسهم العذر: ﴿قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٧]، ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [سورة الأحزاب: ١٣].

٢. ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾[سورة المنافقون: ٧].

عن زيد بن أرقم قال: «كنتُ في غَزاةٍ، فَسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تنْفِقُوا علىٰ من عند رَسُول الله حتىٰ ينفضوا من حَولِه، ولئن رجَعنا من عنده ليُخرجن الأعزُّ منْهَا الأذلُّ، فذَكرت ذلك لعمِّي أو لعمر، فذكره للنبي ﷺ، فدَعاني فحَدَّثْته، فأرسل رسولُ الله ﷺ إلىٰ عبد الله بن أبيِّ وأصحابه، فحلفُوا مَا قالوا، فكذَّبَني رسول الله ﷺ وصدقه، فأَصَابني همٌّ لم يصبني مثله قط، فَجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلىٰ أن كذَّبكَ رسول الله ﷺ ومقتك، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ﴾ [سورة المنافقون: ١]، فَبعث إليَّ النَّبيّ ﷺ فقرأ فقالَ: «إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ»(١)».

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه: «لَمَّا قَال عبد الله بن أبَيِّ: لا تُنفِقوا علىٰ من عند رسول الله، وقال أيضًا: لئن رجَعْنا إلىٰ المدينة، أَخْبَرت به النَّبيّ ﷺ، فلامني الأَنْصَار، وحلف عبد الله بن أبيِّ ما قال ذلك، فرجَعْت إلىٰ المنزل فنِمتُ، فدعاني رسول الله ﷺ فأتيته، فقال: «إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ وَنَزَّلَ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ﴾ [سورة المنافقون: ٧] الآية»(٢)».

---

(١) رواه البخاري: (١٠/ ٢٩٦)، ومسلم: (١٧/ ١٢٠)، وغيرهما.

(٢) رواه البخاري: (١٠/ ٢٧٢)، وأخرجه الترمذي: (٤/ ٢٠١)، وقال: هذا حديث حسن =

لقد فضح اللهُ رأسَ المُنافقين وكَبيرهم، وهتَك أستاره وأبَان عَن كذبه في آيات تُتلى إلى يوم القيامةِ، ولم يَذكُر تعالى اسمه ولا أسْماء من مَعه مِن أصحابه؛ لأنَّ لَه ذرية وأحفادًا يتعاقبون عبر القُرون والأزمانِ، يَنتهجون المسلك ذاته، فيُشَغِّبون على حِلَق القرآن والجمعيَّات الخيريَّةِ والمراكز الدعوية والبرامج التَّربويَّة ودور الإغاثة الإِسْلامية، ويقولون لِلنَّاس عبر أبواقهم الإعلامية ووسائل الاتِّصال الاجتماعية، وحِواراتهم وندواتهم ومؤامراتهم: لا تَدعَموا ولا تتبرعوا لهَؤُلاءِ ولا لمنَاشِطهم، بحُجَّة أن هَذه المراكز المباركة تفرِّخ الإرهَاب أو تدعم الإرهابِيين، أو يزعمون أن هَذِه القطاعات المثمرة لهَا ظاهر هو الإصلاح ولها باطن، هُو زعزعة الأمن والسعي في الاستيلاء على السلطة... الخ.

فلا هُم الذِين أنفقوا وأسهموا -وأنَّى لهم ذلك- ولا هُم الذين تَركوا الناس وما يتقَرَّبون به إلى الله تعالى، بل: ﴿يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ [سورة التوبة: ٧٩](١)، فنَزلت عليهم صاعقةٌ من السماء زلزلتْ عَرشَهم، وقوَّضت أركانهم ودمدمت عليهم، تمثلت في قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَـٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ [سورة التوبة: ٤٥-٥٥].

٣. فضْحُ نَواياهم في بنائِهم لمسْجِد الضرار.

لقَد كَان فَضح المُنافِقين وهتك أسْتَارهم في شأن مَسْجد الضِّرار وأهدافهم

= صحيح، وعزاه المباركفوري إلى أحمد، وأخرجه ابن جريرك (ج ٢٨ ص ١٠٩ وص ١١٣)، من حديث ابن أبي ليلى عن زيد بن أرقم.

(١) وقد سبق تفصيل شئ من ذلك في مبحث التعامل المالي مع المنافقين.



الدَّنيئَة المَاكرة من أعظم الضَّربات القَاصِمة لظهورهم المزلزلة لقواعدهم، بل لم يقْتَصر الحال على إبراز نَواياهم الخَبيثة ومآلات غاياتِهم القريبة والبعيدة، بل تجاوزه إلى هدمه على رؤوسهم حتى خرَّ عليهم سقفه من فوقهم(١).

لمّا كان المنافق لا يُقيم في نفسه وزنًا لغَضَب الله والخَوف من عذابه، فقد جاء التعامل معه حسيًّا ومباشرًا بما يخاف مِنه ومَا يحذره، فهو يَخْشَى المسلمين أشدَّ مِن خشيته لله، وبالتَّالي فإنه يخاف الفضِيحَة بينهم بانكشاف أمرِه وظُهور ما يخفيه، وهو يَخْشى العذاب الدنيوي -مِن قَتل وسبْي- ولا يخشى عذاب الآخرة والذي توعَّده الله به(٢).

ولذا فقد جَاء التَّهديد للمنَافِقين بما يرهَبونه ويخافونه، وباللُّغَة التي يفهمونها ويُجيدون حساباتها، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة محمد: ٢٩-٣٠]، فهو يهددُهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بما يَخافونه ويرتَعِبون منه، فإنه لم يكن شيءٌ أخْوَف للمنافقين من افْتِضاح أمرهم، وظُهور ما أخفوه من العَورات والسَّوءات؛ ولذلك قال الله عنهم: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ﴾ [سورة التوبة: ٦٤].

ثم أمَرَ رَسُوله ﷺ بتخويفِهم بأن مَا يُحاذرونه ويخشونه فإنَّه واقعٌ بهم، فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ [سورة التوبة: ٦٤].

ولهذا سَمَّى جَماعة من أهل العِلم سُورة (براءة): بالفَاضحة والمُبعثِرة؛ لِفضْحِها

---

(١) روى الدولابي في «الكنى»: (١/ ١٨٩)، عن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف قال: رأيت عمر أحرق بيت رويشد الثقفي حتى كأنه جمرة أو حمة وكان جارنا يبيع الخمر، سنده صحيح، ورواه عبد الرزاق عن صفية بنت أبي عبيدة كما في «الجامع الكبير»: (٣/ ٢٠٤/ ١)، وأبو عبيد في «الأموال»: (ص ١٠٣)، عن ابن عمر وسنده صحيح أيضًا.

(٢) انظر «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد»: (ص ٤٩)، للألباني.



أحوال المنافقين وأقوالهم وأعمالِهم، بل لقد أَنْزَل الله سورة باسمهم -سورة (المنافقون) - تُتلىٰ إلي يَوم القِيامَة، فيها من أخبَارِهم وأقوالهم وأحكَامِهم ما كانوا يحذرونه ويخْشَونه، ولقد كان السَّببُ الأكبر من خوْفِهم هو افتضاح أمرِهم وانكشاف ستْرِهم أمام المُسلمين أن يُقاتلوا ويُطاردوا ويُسبوا، فيكون التَّعامل معهم بمَا هُم أهل له في حقيقة القلوب والضمائر، لا بما يُظهرون أمامَ الخَلق، ولذا فقد اسْتَمر التهديد الذي يرعبهُم ويخوفهم كسبيل لمواجَهَة ظاهرتهم ومعالجَة مشكلتهم: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ وَقُتِّلُواْ تَقْتِيلًا﴾ [سورة الأحزاب: ٦٠-٦١].

جاء التَّهديدُ لَهم إن هم لمْ يَنتهوا عمَّا هُم فيه بتسليط رسوله ﷺ عليهم -ومَن يحمل ميراثه مِن بَعده- فيُجليْهم ويُعمل فيهم السَّيف تقتيلًا وتشريدًا، جَزاء يتلاءم وقبيح فعالهم التي أصرُّوا عليها وتمسكوا بها رغم التهديد والوعيد(١).

قال الشيخ الألباني: «مَفهوم هذا أن ذَلكَ لا يَجبُ علىٰ غير الإمام، ومِثله مَن ينوب عنه، وهذا هُوَ الذي يقتضِيه النَّظر الصَّحيحُ؛ لأنه لو قامَ بهِ غَيره لترتب علىٰ ذَلك مَفاسد وفتن بين المسلمينَ، قَد تكون أكبر من المصلحة التي يراد جلبها»(٢).

إن هذا الأسلوب القُرآني في فَضحِ المُنافِقين منْهجٌ قَويم يجب علىٰ الدُّعاةِ، وَقبل ذلك العلماء وغَيرهم العَمل بهِ مع علمانيي زَماننا وَمن هُم علىٰ شاكِلَتهم من ليبراليين وحداثيين ورافضة وصوفية، وغَيرهم ممَّن قَد يظهرون الإِسْلام ويُبطنون الكُفر، فتُفضح مخططاتهم، وتُهتك أستارهم وتُبرَز مثالبهم ومَواقفهم المخزية ضدَّ

---

(١) ينظر «دراسة قرآنية في ظاهرة النفاق»: (٣١٦ ـ ٣١٧)، د/ عادل الشدِّي.

(٢) ينظر «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد»: (١/ ٤٩).



الإِسْلام والمسلمين، وتُعرَّىٰ ولاءاتهم لأعداء المِلَّةِ عَبر كل وسيلة ممكِنَةٍ وطَريقة متأتية. ثمَّ إنَّ من تأمل سورة (التوبة) يجد أنها قد أبانت عوارَهم وأظْهَرت مكنونات صدورهم، ولذا جاءَت تسميتها بعدة أسماء، ومن أشهرها الفاضحة.

ما يستفاد من القاعدة:

كما أنَّ المُنافقين ينتهزونَ كُلَّ فُرصة تتاح وكُلَّ حَدث يقع في الولوج من خِلاله للصدِّ عَن دين الله، فكذَلكَ الشَّأن في حال المؤمنين، لا بُدَّ أن يستثمروا كل حدَث ويُوظفوا كل مناسبة لهتك أستارهم وفضح مخططاتهم، وهذا منهج قرآني ورد له أمثلة عديدة في ثنايا هذه القاعدة(١).

القاعدة الحادية والعشرون: رصد تحركاتهم ومخططاتهم.

لقد ظلَّ القُرآن في تعامله مع المُنافِقين يرصد تحركاتِهم ويفضح مخططاتهم، وقد تمثَّل ذلك في العدِيدِ مِن المواقف، منها: سأذكرها هنا باختصار مع ملاحظة أن هذه القاعدة متلازمة مع قاعدة فضح المنافقين.

١. مسجد الضرار:

الذي ظَاهرُه فيهِ الرَّحمة وباطنه من قِبَلِهم المَكرُ والخديعة ونَسج المؤامرات والمكائد، فأظْهَرَ القرآن خبِيئَتَهم وأبان عمَّا انطوت عليه نفوسهم: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [سورة التوبة: ١٠٧] الآية(٢).

(١) انظر لمزيد اطلاع «حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة»، للشيخ سيد سعيد عبدالغني لتتعرَّف علىٰ من خفروا ذممهم، وقبل ذلك خانوا أمانتهم وغروا بأمتهم، وكانوا عملاء أوفياء لأعداء الملة ينفذون مخططاتهم وأجندتهم. وأيضا رسالة «الموالاة والمعاداة في الشريعة الإِسْلامية»، للشيخ محماس الجلعود.

(٢) انظرمزيد تفصيل: (١/ ٣٨٠).

٢. رصد موالاتهم لليهود:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [سورة الحشر: ١١]، قال ابن الجوزي: «﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ﴾ في الدِّين لأَنَّهم كفار مِثلهم وَهُم اليهود»(١).

وقد بعث المُنافقون إلى يَهود بني النَّضير حين حاصَرَهم جيشُ المُسلمين لَمَّا نقضوا العَهدَ، فعزم النَّبيّ ﷺ على إجْلائِهم يَقُولون لهم: اثبُتُوا في معاقلكم فإنَّا معكم(٢)، ثم يأتي تكذيبُ الله لهم في جَميع ما زعمُوه مِن نصْرَتِهم والخروج معهم والمُقاتلة في صفِّهم: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [سورة الحشر: ١٢].

٣. رصد مكنونات صدورهم وفضحها:

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ [سورة محمد: ٢٩]، ولذلك خافوا وَوجلُوا وظَلُّوا مُترقِّبين حذرين لسورَة تنزَّل علَيهم تعرِّي مَا انطوت عليه قلوبهم، قال سبحَانَه: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ [سورة التوبة: ٦٤].

جاءت آيَاتٌ تَهتك أستار وأسْرار هذه القُلوب المسودَّة بِظلمة النفاق والكفر، وكَفَى بسورة (التوبة) في هَذا الشأن دليلًا إذْ سمِّيت بالفاضحة والمقشقشة والمبعثرة والبحوث(٣)... الخ.

---

(١) «زاد المسير»: (٨/ ٢١٧).

(٢) «التحرير والتنوير»: (٢٨/ ٩٩)، مع تصرف يسير.

(٣) «الجامع لأحكام القرآن»: (٨/ ٤٠).

=

فمن ذلك: قَوله تعالى: ﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [سورة التوبة: ٨]، وقال سبحانه: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [سورة التوبة: ٧٧]، وجَاء في سورة (آل عمران) قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٧].

٤. رصد تربّصهم بأحوال المسلمين نصرًا أو هزيمة:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النساء: ١٤١]، قال القرطبي في قَولِه تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ﴾ [سورة النساء: ١٤١]: «هُم المنَافِقون، أي: ينتظرون بكُم الدَّوائر».

وقال الفخر الرازي: «أي: ينتَظِرون ما يَحدُث من خيرٍ أو شَرٍّ، فَإن كان لكم فتح، أي: ظهور على اليهود، قالُوا للمؤمنين: ألم نكُن معكم، أي: فأعْطُونا قسمًا من الغَنِيمة، وإن كان لِلكَافرين -يعْنِي اليَهُود- نَصيب، أي: ظفَرٌ عَلى المسلمين، قالوا: ألم نستحوذ عليكم، يقال: استحوذ على فلان أي غلب عليه».

قال الرازي: «وفي تفسير هذه الآية وجهان:

الأول: أن يكُون بِمَعنى: ألم نَغلِبْكم ونَتمَكّن مِن قتلكم وأسرِكُم، ثم لَم نَفعل شيئًا من ذلك، ونمنَعكم من المُسلمين بأن ثَبَّطْناهم عَنكم، وخيَّلنا لهم ما ضعفت به قُلوبهم، وتَوانَينا في مظاهرتهم علَيكُم، فهاتوا لنا نصيبًا مما أصبتم.

الثاني: أن يكونَ المَعنى: أن أولَئكَ الكُفَّار واليهود كانوا قد همُّوا بالدُّخول في الإِسْلام، ثم إن المُنافقين حذَّروهم من ذلك، وبالغُوا في تنفيرهم عنه وأطمعُوهم

=

أنَّه سيضعف أمر محمَّد وسَيقوىٰ أمركم.

فإذا اتَّفَقت لهم صولة علىٰ المُسلمين قال المنافقون: ألَسنَا غلبناكم علىٰ رأيكم في الدُّخول في الإِسْلام ومنعْنَاكم منه، وقلنا لكم بأنه سيضعف أمره ويقوىٰ أمركم، فلما شاهَدتم صِدق قَولِنا فَادفعوا إلينا نَصيبًا مما وجدتم، والحاصل أن المنافقين يمنون علىٰ الكافرين بأنَّا نَحن الذين أرشدناكُم إلىٰ هَذه المصالح، فادفعوا إلينا نصيبًا مما وجدتم»(١).

وهذه الصورة تبيِّن حَقيقة أن المنافقين لا مَبدأ لهم ولا وجهة، يمِيلُون مع كل ريح تبعًا لمصالحِهم الدُّنيويَّة ومآرِبهم الشخْصِية، ولذلك فهُم يَتربَّصون بالمؤمنين (يلقون المسلمين بِوجْه، ويلقَون الكفَّار بِوجه، ويُمسِكون العصا من وَسَطها ويتلوَّن كالديدان والثعابين)(٢)، وقد أخبَر اللهُ تَعالىٰ أن من الأعْرَاب من يتربَّصُ بِالمؤمنين الدوائر، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾ [سورة التوبة: ٩٨]، أي: ينتظر بكُم الحَوادث والآفات(٣)، والدَّوائِر: جمع دائرة، وهي الحَالُ المُنقلبة عن النعمة إلَىٰ البليَّة، وأصلها: ما يُحيط بالشيءِ، ودَوائر الزَّمان: نوبه وتصاريفه ودوله، وكأنها لا تستعمل إلا في المكروه(٤).

فهَؤُلاءِ المنافقون ينتظرون محِن الزَّمان ونوَّبه أنْ تُصيب المُؤمنين، لِتَنكسر شوكتهم وتضعف دولتهم، ولكن غَاب عن هَؤُلاءِ أن كلَّ بَلاء وفتنة هم أحق بها وأهلها، ولذَلكَ قال تعالىٰ: ﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [سورة التوبة: ٩٨]، أي: هَذه

---

(١) «التفسير الكبير»: (١١/ ٦٥ ـ ٦٦).

(٢) «في ظلال القرآن»: (٢/ ٧٨١).

(٣) «تفسير ابن كثير»: (٢/ ٤٢١).

(٤) «فتح القدير»: (٢/ ٥٧٥).



المحن والبَلايا التي يَنتَظرون إصابة المُؤمنين بها مُنْعَكسة عليهم لأنَّهم أشرار، وهَذِه سنة الله في أهل الشر والفساد.

ويَوم القيامة يُنادي المنَافِقون المؤمنين: ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ﴾ [سورة الحديد: ١٤]، ألَمْ نكن معكم في الدنيا، نُصلِّي كما تصلون، ونصوم كما تصومون ونَتصدَّق ونُجاهد ونحج كما كنتم تفعلون؟ فلماذا كان مآلنا إلى النار -وبِئس القَرار- وأَنْتُم في جنات ونعيم؟

وهُم يحسبون أنَّ حالَهم لا زال خافيًا على المؤمنين كما كان الأمر في الدنيا، فيجيبهم المؤمنون: ﴿قَالُواْ بَلَىٰ﴾، لقَد كُنتُم معنا كذلك في الظَّاهر، إلا أنَّ قلُوبكم لم تؤمن، بلْ كُنتم تفعلون هذا الذي ذَكرتم تقية ونفاقًا، وأما قولهم: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [سورة الحديد: ١٤]، أي: تربصتم بالنَّبيّ ﷺ، الموت وبالمؤمنين الدوائر(١).

ولقد أمَرَ اللهُ نبيَّه ﷺ أن يواجه القَوم بحقيقَتِهم وهي التَّربُّص بالمؤمنين الدوائر، وانتظار قوارع الدهر أن تصيبهم، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [سورة التوبة: ٥٢].

٥. رصد حربهم النفسية وخطواتهم في تخذيل المؤمنين:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [سورة الأحزاب: ١٣].

وقال سبحانه: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [سورة الأحزاب: ١٨]، وقال عزَّوجلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا

---

(١) «تفسير القرطبي»: (١٧/ ٢٤٦ ـ ٢٤٧).

مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٨]، وقال سبحانه: ﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [سورة الأحزاب: ٦٠].

هَذه الآيَات وَغيرُها تُشير إلىٰ رصد القرآنِ لهَذه الصفة المَقِيتة للمنافقين والمُتمثِّلة في التخذيل والتَّشكيك، وزعزعَة الصَّف وإيهان العزائم، وبث روح الانْهِزَامية ونشر الأراجيف والمعوِّقات، واختلاق العقبات ونحو ذلك، ممَّا مؤداه حرب نفسية تمارس علىٰ المؤمنين، وما حال المنافقين في زَمَاننا ببعيد عمَّا كان عليه أجدادهم، خصوصًا عبر وسائل الإعلام وغيرها: ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [سورة الأنفال: ٣٠]، ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾ [سورة التوبة: ٧٨].

وخيرُ شاهدٍ الجامعة العربية ومواقِفها السقيمة وأدوارُها العَقيمة تجاه قضايا المسلمين؛ ابتِدَاء من قضية فِلَسطين مرورًا بالعراق ثم بسوريا، وما بين ذلك من أحْدَاث وقعت للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

٦. رصد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لشأن المنافقين وإبلاغهم العاجل عن بعض مواقفهم:

لم يكن صَحابَة رسول الله ﷺ مُتقاعسين عن رصْدِ تحركات ولقَاءَات وتصريحات المنافقين، وسرعة إبلاغ النَّبيّ عنها ﷺ لاتخاذ ما يلزم حيالها فمن ذلك:

١- قال الأموي في مغازيه: «حدثَنَا محمد بن إسحاق، عن الزُّهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه، عن جده قال: لمَّا قَدم رسول الله ﷺ، أخذني قَومِي فقالوا: إنَّك امرؤ شَاعر، فَإن شئت أنْ تَعتذر إلىٰ رسول الله ﷺ بِبَعض العلة ثم يكون ذنبًا تستَغْفِر الله منه... وذكر الحديث بطوله، إلىٰ أن قال: وكَان ممَّن تخلَّف من المنافقين ونزل فيهم قرآن يتلىٰ: الجلاس بن

سويد بن الصامت، وكان على أم عمير بْن سَعد، وكان عمير في حِجره، فلما نزل القُرآن وذكَرهم الله بما ذكَر ممَّا أنزل في المنافقين، قال الجلاس: والله لئن كَان هذا الرجل صادقًا فيما يقول لَنَحن شرٌّ مِن الحمير، فسمعها عُمير بن سعد فقال: والله -يا جلاس- إنك لأحب الناس إلي، وأحسنهم عِندي بلاء وأعزهم عليَّ أن يصله شيءٌ يكرهه، ولقد قلت مقالة لئن ذكَرتُها لتفضحنَّك ولئن كتمتها لتهلِكَنِّي، ولإحداهما أهون عليَّ من الأخرى، فمشى إلى رسول الله ﷺ فذكر له مَا قال الجلاس، فلمَّا بَلغ ذلك الجلاس خرج حتى يأتي النَّبيّ ﷺ، فحلف بالله ما قال عمير بن سعد ولقَد كذب علي، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ فيه: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ﴾ [سورة التوبة: ٧٤] إلى آخر الآية، فوقفه رسول الله ﷺ عليها، فزعموا أن الجلاس تاب فحَسُنَت توبته ونزع فأحسن النزوع»(١)، هكذا جَاء (مدرجًا) في الحديث متصلًا به، وكأنه -والله أعلم- من كلام ابن إسحاق نفسه، لا من كلام كَعب بن مالك، إن هذا الموقف الشجاع من الغُلام ليظهر مدى رصد الصِّغار والكبار لتحركات وأقوال المنافقين وهتك أستارهم وسرعة الإبلاغ عنهم(٢).

٢- عن زيد بن أرقم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كنْتُ في غزاة، فسمعت عبد الله بن أبيِّ يَقُول: لا تنفقوا على من عند رَسُول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئنْ رَجعنا من عنده ليخرجَنَّ الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي، أو لعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فذكَره للنبي ﷺ، فدعاني فحدثته، فأرسَلَ رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبيِّ وأصحابه، فحلفوا ما قالوا فكذبني رَسُول الله ﷺ وصدقه، فأصابني همٌّ لم يصبني مثلُه قط،

---

(١) «تفسير الطبري»، الأثر (١٦٩٦٨) ـ (١٤/ ٣٦٢).

(٢) ينظر «سيرة ابن هشام»: (٢/ ٥١٧)..

فجلسْتُ فِي البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك، فَأَنْزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [سورة المنافقون: ١]، فبعث إليَّ النَّبيّ ﷺ فقرأ فَقَال: «إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ»(١)».

إن هذا شَابٌّ قَد استشعر واجِبَه وتحمَّل أمَانته ورصد هذه المَقُولة الآثمة، فَمَا كَان منه إلا أن أَبْلَغ بها نبيه ﷺ عاجِلًا غير آجل، غَير آبه بلَوم لائِمٍ أو عتب عاتب، إنَّهَا اليَقظة والشَّجاعة والإحساس بالتَّبعيَّة الفردية، حتى يشعر كل منافق بأن المجتمع المسلم محاصر له، ومضيقٌ عليه، فعين الرقيب من كل مؤمن تلحظ تصرفاته وتنقل وتفضح أخباره.

وهذا يدلُّ على مراقبة المُسلِمين الدقيقة، ومَعرفتهم بأَحْوَال المنافقين واليهود، فقد كانت عُيون المسلمين يقِظَة تراقب تحركات اليهود والمنافقين واجْتِمَاعاتهم وأوكارهم، بل كانوا يَطَّلِعون فيهَا عَلى أدقِّ أَسْرَارهم واجتماعاتهم، ومَا يدور فيها من حبك المُؤامرات، وابتكارِ أسَاليب التَّثبيط، واختِلَاق الأسباب الكاذِبَة لإقناع الناس بعدم الخُروج للقتال، وقد كان علاج رسولِ الله ﷺ لدُعَاة الفتنة وأوكارها حاسمًا، وهذا منهج نبويٌّ كَريم يتعلم منه كل مَسئول في كل زمان ومكان، كَيف يقف من دعاة الفتنة ومراكز الشَّائعَات المضللة التي تلحق الضَّرر بالأفراد والمجتمعات والدول، لأن التردد في مثل هذه الأمور يعرض الأمن والأمان إلى الخطر وينذر بزوالها(٢).

إن هذه المواقف بمَجمُوعها وغيرها لتُعْطي منهَجًا يجب على المؤمنين التَّعامل به مع سائر طَوائف المنافقين رصدًا لِمخطَّطاتهم وإظهارًا لخباياهم وتتبعًا للقاءاتهم

---

(١) الحديث رواه البخاري: (١٠/ ٢٧١، ٢٧٣)، وأخرجه مسلم: (ج ١٧/ ص ١٢٠).
(٢) «السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث»: (٤/ ١٦١).



ومعرفة بأحوالهم، حتَّىٰ لا يغتر بهم من قَد يغتر من المسلمين لقوله تعالىٰ: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٤٧].

ما يستفاد من القاعدة:

١. منهج قُرآني يتكرر في مواضِع عَديدة متضمنًا رَصد تحركات المنافقين وفضح مخططاتهم، فحريٌ بالمؤمنين أن يَسلكوا هذا المنهج ويتعامَلُوا مع المنافقين علىٰ ضَوئه، وقد ورد في القاعدة أمثلة تشير إلىٰ ذلك وتؤيده.

٢. من يلحظ الأمثِلَة الواردة يَجِد أن تنوُّعَ الرَّصد فيها سمة بارزَة، وهكذا الشأن يجب أن يكون مع المنَافِقين في كل زَمانٍ ومكان، ترصد كتابَاتِهم وحواراتهم ومؤلفَاتِهم وتصريحاتهم ومنتدياتهم ومواَقِعهم علىٰ الشبكة، وترصد لقاءاتهم السرية والعلنية مع أسيادهم من أعداء الملة... الخ.

٣. إننا في زَمن أصْبَحت الحقائق وتوثِيق المَعلُومات من أقوىٰ أسلِحَة كشف زيفهم وبَيان عوارِهم وهَتكِ مُخطَّطاتهم بالأدِلَّة الدامغة والحُجَج البالغة، من أجل ذَلك حَذِرَ المنافقون من أن تنزَّل سَورة تُنبئهم بما في قلوبهم، وتُظهِر ما انطوت عليه صدورهم، لأنه الصدق والحق الذي لا مرية فيه.

٤. من اللَّوازم المُهمَّة بعد الرصد، سرْعَة التعامل مع كل حدَث رُصد عليهم بما يناسبه، لإبْطَال مكائدهم ووأد تدبيرَاتِهم في مهدها، كما فعل النَّبيّ ﷺ في شأن مسجد الضرار لمَّا علم بأنه وكرٌ يجتمع فيه المنافقون.

٥. من فَوائد الرَّصد أنَّ مَن يتمكن من مُحاورتهم أو مُناظرتهم أو بَيان ما عليه حالُهم من الخيانة والغدر والتَّدليس والمراوغة، يكون بين يَديه من الوثائق ما تجْعَله يلجمهم بالحجةِ وَيدمغهم بالبرهان ويعريهِم بالحَقائِق، ويكشف مخبوء قلوبهم بالبَيِّنات الواضحات، عندها لا يجدون محيصًا ولا محيدًا.



القاعدة الثانية والعشرون: لا يُوثق في حديثهم ولا يُصدقون في ادعاءاتهم.

لقد أوضح القُرآن في مَواضع عديدة هذه القَاعدة، بل كذَّبهم في مواطن كثيرة، فمن ذلك:

أ) حلفهم الأيمان الكاذبة.

ب) قَال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [سورة المنافقون: ٢]، قَال الإمام الشوكاني: «أي: جعَلُوا حلفهم الذِي حَلَفوا لكم، إنَّهم لَمِنْكم، وإنَّ محمَّدًا لَرَسول الله، وقايَةً تَقيهم منكم، وسترة يستَتِرون بها من القتل والأسر»(١).

وهذا حال علمانيي زَمَاننا إذا ضُيّق عَليهم الخِنَاق، تظاهروا بِنُصرة الدين، وخِدْمة الإِسْلام، حتَّى إذا ما أصابَ المُؤمنين شيءٌ مِن الضعف خرجوا من جُحورهم ونادوا بتبديل الشَّريعة وتغريب البلاد، وكانوا عملاء لتنفيذ بنود اتفاقيات الغرب الآثمة والتي من أمثلتها:

١- اتفَاقيَّةُ مُنظمة التجارة العالمية.

٢- اتفاقِيَّة والسيداو.

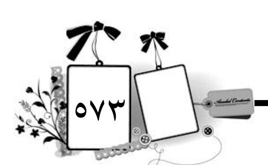
وهذه إلمَاحة حَول منظمة التجارة العالمية وآثارها الثقافية.

أ) تعريف عام بالمنظمة:

نشأت المُنظَّمة مع نهاية الجَولة الثامنة من مفاوضات اتفاقِيَّة الجات GATT (جولة الأورجواي: ١٩٨٦ ـ ١٩٩٤م)، والتِي انْتَهت في مراكش لتَبْدأ عملها في ١/ ١/ ١٩٩٥م باسم منظمة التجارة العالمية (WTO)، فهي الورِيثُ الحَقيقي لاتفاقية الجَات (الاتفاقية العامة للتعريفات الجمركية والتجارة)، التي نَشأت عام

---

(١) «فتح القدير»: (٥/ ٢٦٥).



١٩٤٧م، فأَصْبَحت المنظمة الجديدة هي المَنَظِّم والمنفذ والمراقب الوحيد لأحكَام والتِزَامات واتفاقيات التجارة الدولية.

ب) تَهدف المنظمة إلىٰ تَحرير التجارة الدولِيَّة بواسطة إيجاد نظام تجَاري دولي متعدد الأطرَافِ، معتمد علىٰ قوىٰ السُّوق (العرض والطلب)، من خِلال إزالة القيود والعوائق التي تمنع تدفق حركة التجارة عبر الدول، معتمدة علىٰ مبادئ رئيسة هي:

١- تجارة دونَ تمّييز (شرط المعاملة الوطنية، شرط الدولة الأولىٰ بالرعاية).

٢- تجارةٌ حُرة من خلال التَّفاوض (خفض أو إلغاء الرسوم الجمركية والقيود الكمية وفتح الأسواق).

٣- تَعامُل تجاريٌّ قَابل للتوقع (تثبيت الالتزامات والشفافية).

ج) تغطي المَنظَّمة بأحكامها واتِّفاقياتِها مجالات وأنشطة كَثيرة ومتنوعة أكثَر ممَّا كانت اتفاقية الجات تُغطيها، وهي: تجارة السلع وعددها / ٧١٧٧ / سلعة وتحكمها اتفاقية الـ (GATT٩٤)، وتجارة الخَدَمات، وتَشّمل ١٢ قطاعًا رئيسيًّا و١٥٥ قطاعًا فرعيًّا وتحكمها اتفاقية الـ (GATS)، وحقُوق الملكية الفكريَّة المُتَّصلة بالتجارة بالإحَالة إلىٰ أربع اتفاقيات رئيسَة متعلقة بهذه الحقوق من خلال اتفاقية الـ (TIPS) وهذه الاتفاقيات الثلاث هي محور اتفاقات منظمة التجارة العالمية (WTO).

* يحتوي النظامُ الأسَاسيُّ للمُنظَّمة علىٰ أكثر من ٦٠ اتفاقية ومَبدأ وملحق ومذَكِّرة تفاهم (مطبوعة حاليًا في ٣٤ مجلدًا)، وأهَمُّها اتفاقية متعددة الأطراف تشمل: (في مجَال السلع: الزراعَة، المَنسوجات والملابس، العَوائِق الفنِّيَّة أمام التجارة، الصِّحة والصحة النباتية، الفَحص قبل الشحن، شهَادَات المنشأ، تَراخيص الاستيراد، الإجْرَاءات الوقائِيَة الخاصَّة، مُكافحة الإغراق، التِّجارة،



وفي مجال الخدمات (٦ اتفاقيات)، وكَذلك مجال حقوق الملكية الفكرية المتصلة بالتجارة وغيرها.

د) منظمة مستَقِلَّة وليْسَت إحدىٰ منظمات الأمم المتحدة، يحْكُمُها أعضاؤها، ومقَرُّها الرئيسي في جِنيف وليس لها فروع، ويعْمَل فيها حاليًا (٦٠٠) موظف، وميزانيتها السنوية تتجاوز / ١٦٠/ مليون فرنك سويسري (حوالي ١٣٠ مليون دولار)، ويتم تمويلها من خلال اشتراكات الدول الأعضاء.

هـ) يبلغ عددُ الأعْضَاء الحاليين ١٥٠ دولة، منْها ١٢٧ دولة، كانت أعضاء في اتفاقية الجات، و٢٣ دولة انضَمَّت فيما بعد وفْقَ أسلوب التفاوض، وآخِر دولتين انضَمَّتا قبل توقيع المملكة هُما نيبال وكمبوديا، وآخِر دولة انضمت للمنظمة بعد المَمْلكة هي مملَكة تنجا في قارة أوقيانا، هذا عام ١٤٢٧هـ فكيف بها الآن[1].

٤- اتفاقية السيداو

(كم مِن المصائب ترتَكَبُ باسمك أيتها الحقوق المنْسُوبة للإنسان!)؛ فَوراء ذلك الشِّعار البرَّاق يَقوم الغرب بعملية غَزو فكري منَظَّم تم التخْطِيط لَه بعنَاية لضرْبِ منجزات البشَريَّة في المجال الأخلاقِي والاجتماعي، ولمَحْو الثقافات المُخالفة للثَّقَافة الغربية بدعوىٰ العَولمَة والقرية الكَونية الوَاحدة، ويتخذ هذَا الغَزو من حقُوق المرأة وحُقوق الطفل ستارًا لفَرض مَنظومة القيم الغربية الغازية. وتَتخذ المنظَّمات النسائِيَّة الغربية ذات التوجه العلْماني من الأمم المتحدة غطاءً لهَا في سعيها لفرض منظومتها الإباحية علىٰ العالم، وكانت وراء ذلك الاهتمام المبالَغ فيه دوليًا بقضايا حقوق المرأة.

---

(١) انظر كتاب «منظمة التجارة العالمية وآثارها الثقافية وموقف المملكة فيها»، د. إبراهيم الناصر – فهو موجود علىٰ الشبكة.



١- فكان المؤتمر الدَّولي الأوَّلُ للمَرأة في المكسيك عام ١٩٧٥م.

٢- ثم المؤتمر الثَّاني في كوبنهاجن عام ١٩٨٠م.

٣- والثالثُ في نيروبي عام ١٩٨٥م.

٤- والرابعُ في بكين عام ١٩٩٥م.

٥- إضافة إلىٰ مجموعة مؤتمرات أخرَىٰ لَها صلة بقضايا المرأة؛ مثل مؤتمر السكان والتنمية في القاهرة ١٩٩٤م.

وتسعَىٰ المُنظَّمات الغربية من خِلال الأمم المتحدة إلىٰ فَرض مَنظُومة القيم الغربية في مَجالات الحياة المُختَلفة اجتماعيًّا واقتصادِيًّا وثَقافيًّا، والخروج بوثيقَة دولية ملزِمَة لكل دول العَالم فيما يسمَّىٰ بحقوق النساء. ضارِبَة عرض الحائط بخصوصيات الشُّعوب وعقائدها، وكانت اتِّفاقية القضاء علىٰ جميع أشكال التمييز ضد المرأة (السيداو) هي خلاصة تلك الجهود.

وقامت (السيداو) بِدَمج حقوق المرأة في حُقوق الإنسان؛ ممَّا جَعلها بمثابة إعلان عالَمِي بحقوق المرأة، ودعت الاتِّفاقِيَّة إلىٰ المساواة التامة في الحقوق بين المرأة والرجل في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والمدنية.

وتُعدُّ الاتِّفاقية ملزمة قانونيًّا لِلدول التي صادقت عليها، وتَتَعهد هذه الدولُ بِإلغاء كل التَّشريعات والقوَانين المحلية التي تُعتَبر تمييزًا ضد المرأة. وتَم تشكيلُ لِجان دولية باسْم لجان (السيداو)، مهمتها مراجَعَة ما تمَّ إنْجَازه في كل دولة عضو في هذا المَجال كل عدة أشهر.

فعلىٰ سبيل المثال: تَقُول المادة رقم (٢) بِضَرورة تجسيد مبْدَأ المساواة بين الرجل والمرأة في دَسَاتير الدول الوطنية أو تشريعاتها المناسبة الأخرىٰ، كما تنُصُّ عَلىٰ اتخاذ التَّدابير المناسبة، بما في ذلِكَ التشريع لتعديل أو إلْغَاء القوانين والأنظمة والأعْرَاف

والمُمارسات القائمة التي تُشكِّل تَمييزًا ضد المرأة.

وأخطر هَذه المَواد هي المادة رقم (١٦) التي تَنُص عَلىٰ ضرورة اتِّخاذ الدول الأطراف جمِيع التَّدابير المُناسبة للقَضاء علىٰ التَّمييز ضد المرأة في كَافَّة الأمور المتعلقة بالزواج والعلاقات الأسرية، والتِي تَضمَن تساوي المرأة بالرجل في عَقد الزواج واختيار الزَّوج والحقوق والمسؤوليات في أثْنَاء الزواج وعند فسخه، وفيما يتعلق بالولاية والقوامة والوصاية علىٰ الأطفال وتبنِّيهم!

ومن تأمَّل بُنود هذه المادة من الاتِّفاقية يجد أنَّهَا تتعارض مع قاعدة ولِي الزَّوجَة عند عقد الزواج، ومع المَهر، وقوامة الرَّجل علىٰ المرأة داخل الأسرة، وتَعدد الزوجات، ومنع زواج المسْلِمة من الرجل غير المسلم، وأحْكَام الطلاق والعدة، وعدَّة الوفاة، وحضانة الأولاد.

والغريب أن الاتِّفاقية تحْظُر علىٰ الدول المُوقِّعة عليها أن تتحفَّظ علىٰ تِلْك المادة!. إلىٰ جانب أنَّها تُعدُّ تَدخلًا سافرًا في سيادة الدَّولة علىٰ قوانينها ودَساتيرها؛ فهي تفرض عليهَا تغيير دساتيرها وقَوانينها التَّفصيليَّة بما يتفق مع المَفاهيم التي تعرفها (السيداو) حتىٰ ولَو تَعارضت مع القيم والعَقَائد والخصوصياتِ الثَّقافية للشعوب؛ باعتِبَار (السيداو) هي المرجعية القانونية لكل دَساتير الدولِ، وليس الدين أو الثقافة الوطنية.

ويأتي مَفْهوم الجندر (النوع الاجتماعي) لِيُشكل الأداة الرَّئيسَة لهدم كل الثوابت العقَائِديَّة والأخلاقية التِي تَعتزُّ بهَا شُعوب العالم؛ فهذَا المَفهوم يمثل حَجَر الزاوية في اتِّفاقية (السيداو)؛ فقَدْ وَرد في المادة (٥) مِن الاتفاقية تحت عنوان (تغيير الأنماط الاجتماعية والثقافية لدور كل من الرجل والمرأة).

فالأمُومَة ليست صفة بيولُوجية فسيولوجية لدَىٰ المرأة، ولكنَّها وِفقًا لهذه المَادة

هي وظيفة اجتماعِيَّة يمكن أن يؤديها أي شَخص حتى ولو كان هَذا الشَّخص هو الرجل نفسه!

ويفتح المفهوم الباب لكُلِّ من يريد تَغيير نوعِه من ذكر إلى أنثى أو العكس باعتبار ذلك حقًّا من حقوق الإنسان، ويفْتَح الباب أيضًا لما تُسميه الاتفاقية بالأنماط الجديدة للأسرة التي تتكون مِن رَجُلين أو امرأتين، ولَيس المفهوم المتعارف عضليه على مدى التاريخ البَشري للأسرة الذي يَتكون من رجل وامرأة، يَربط بينهما ربَاط الزَّوجِيّضة بهدف إنجاب الأطفال والمحافظة على النوع البشري.

وفي الوَقتِ الذي تعلن فيهِ المُنظمات الغربِيَّة العلمانِيَّة الحرب على الزَّواج المبكر، فإنَّها تدعو إلى حقِّ المُراهقين في ممَارَسَة الجنس، وتُعتَبر ذلك حقًّا أساسيًّا من حقوقهم، وهي بذلك ترفض ممارسة الجنس في إطار الزَّواج الشرعي الذي يحفظ حقوق الفتاة، وتبيح هذه الممارسة ذاتها خارج النطاق الشرعي![(١)]

ب) وقال سبحانه: ﴿ وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴾ [سورة التوبة: ٦٥]، لقد كان القرآن لهم بالمرصاد يُكذب ادعاءاتهم ويشهد على بواطنهم مما يخالف ظاهر أقوالهم ويفضحهم ويهتك أستار كذبهم.

ج) قال عزّ في علاه: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن

---

(١) «مجلة البيان»، (عدد ١٦٥صـ ٥٢ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ)، «حقوق المرأة والطفل بين الحقيقة والادعاء» بقلم علي عليوة. انظر لمزيد اطلاع رسالة الدكتوراة التي بعنوان «العدوان على المرأة في المؤتمرات الدولية»، للدكتور فؤاد بن عبدالكريم حصل عليها من جامعة الإمام محمد بن سعود الإِسْلامية بالرياض فهي جديرة بالقراءة والاطلاع.. وهناك ضمن سلسلة كتاب الأمة الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإِسْلامية بقطر كتاب «وثيقة مؤتمرالسكان والتنمية رؤية شرعية»، للدكتور/ الحسيني سليمان جاد. وانظر كذلك: «وقفات حول معاناة الأيدي العاملة الناعمة» من (٣١-٤٠). لخالد الشايع.

يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ﴾ [سورة التوبة: ٢٦]، كَان الأحرَىٰ بِهِم والأولَىٰ إرضَاء الله ورسوله ﷺ بتخلِّيهم عن نفاقهم ودخولهم في الإيمان لكنهم جبناء خورة.

د) قال عزَّوَجلَّ: ﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدۡ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلۡكُفۡرِ وَكَفَرُواْ بَعۡدَ إِسۡلَٰمِهِمۡ﴾ [سورة التوبة: ٧٤].

هذا شَأنُهم إذا دخلوا في نَواديهم النِّفاقيَّة ومجالسهم المستترة عن أنظار وأسماع المؤمنين، يَتكلَّمون بالكفر ويتواطؤون علىٰ النفاق، فإذا مَا أصبَح عليهم النهار وتمَّت مساءلتهم عما كَانوا عليه لجئوا إلىٰ أيمانهم الفاجرة يتخذونها وقاية.

وقد أكَّد القُرآن أن حلفهُم الدَّائم علىٰ الكذب، إنَّما هو عن سبق إصرار وترصُّد وعن علم ويقين: ﴿وَيَحۡلِفُونَ عَلَى ٱلۡكَذِبِ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [سورة المجادلة: ١٤].

هـ). قال سبحانه: ﴿وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة التوبة: ٤٢]، قال الشيخ السعدي: سيحلفون لتخلّفهم عن الخروج أنّ لهم عذرًا وأنهم لا يستطيعون ﴿يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ﴾ بالقعود والكذب والإخبار بغير الواقع ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة التوبة: ٤٢](١).

أما ادِّعاءاتِهم الكاذبة فحدِّث عَن ذلك ولا حرج فمنها:

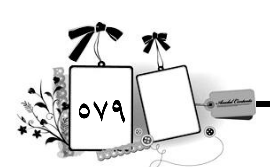
أ). قال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة البقرة: ٨]، وقال ابن جُريج: «هذا المُنافق يخَالِف قولُه فعلَه وسرُه علانيتَه ومدخلُه مخرجَه، ومشهدُه مغيبَه»(٢).

ب). قال سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ﴾ [سورة البقرة: ١١-١٢]، كيف يدَّعون

---

(١) «تفسير السعدي»: (٣/ ٢٤١).

(٢) «جامع البيان»: (١/ ١٤٩ ـ ١٥٠).



الإصلاحَ والنِّفاق الذي تلبَّسوا به من أعظم الإفساد، قال الإمام الشوكاني: «والمُراد: لا تفسدوا في الأرْضِ بالنفاق بمُوالاتِكُم الكفار، وتَفريق النَّاس عن الإيمان بمحَمَّد ﷺ والقرآن، فإنَّكُم إذا فعلْتُم ذلك فَسَد ما في الأرض بهلاك الأبْدَان، وخراب الديار، وبطلان الزرائع كما هو مشاهد عند ثوران الفتن والتنازع»(١).

ج). قال سبحانه: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ﴾ [سورة الفتح: ١١]، قال ابن جرير الطبري: «هَذا خِطاب مِن الله لِنبيه محمد ﷺ: سَيقول لك يا محَمَّد الذِين خلَّفهم الله في أهليهم عن صحْبَتِك والخرُوجِ مَعك في سفرك الذي سافرْتَ ومَسيرك الذي سرت إلىٰ مكَّةَ معتمرًا زائرًا بيت الله الحرام، إذا انْصَرفت إليهم فعاتَبْتَهم علىٰ التخلُّف عَنك: شغَلَتْنا عن الخروج مَعَك معالجة أموالنا، وإصلاح معَايشنا وأهْلِينا، فاستغفر لنَا ربنا لتخلُّفنا عنك.

قال الله جل ثناؤه مُكذِّبًا لهم قيلهم ذلك: يقُول هَؤُلاءِ الأعراب المخلَّفون عَنك بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، وذلِكَ مسألتهم رَسُول الله ﷺ الاستغفار لهم، يقول: يَسألُونَه بغير توبة منهم، ولا نَدم علىٰ ما سلف منهم من معصِيَة الله في تخلُّفهم عن صحبة رسول الله ﷺ والمسير معه»(٢).

فهَؤُلاءِ غير صادقين في أعْذَارهم ولا في طَلَبهم استغفار رَسُول الله ﷺ لهم، إذ لو كَانُوا صادقين لقدَّموا بين يدي نجواهُم صدقة من النَّدَم والعزْمِ علىٰ عدم العود، ولا يكون ذلِكَ إلا بعد الاعتراف بالخطأ والتقصير، وهذا ما لم يفعله هَؤُلاءِ، إذ قدموا بين يَدي نجواهم عذرهم الواهي ودعواهم الكاذبة ﴿شَغَلَتْنَآ

---

(١) «فتح القدير»: (١/ ٤٢).

(٢) «جامع البيان»: (١١/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠).

أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ [سورة الفتح: ١١].

وفريق من هَؤُلاءِ يدَّعون الغيرة على الحِريم والأهل، أو الخوفِ على الأموال من الضَياع، ويعتذرون بذلك عن الخروج مع النَّبيّ ﷺ والمؤمنين وهم لا يريدون إلا فرارا(١).

د) قال عزَّ في علاه: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ [سورة الأحزاب: ١٣]، قال ابن عاشور: «جيء هُنا بالفِعل المضارع للإشارَةِ إلى أنهم يُلحُّون في الاستئذان ويكرِّرونَه ويُجدِّدونه، والعورة: الثَّغر بين الجبلين الذي يتمكَّن العدو أن يتسرَّبَ مِنه إلى الحي، قال لبيد: وأجنُّ عورات الثغور ظلامُها».

والاستئذان: طلب الإذن، وهَؤُلاءِ رَاموا الانْخِذال، ولَم يذكر المفسرون أن النَّبيّ ﷺ أذن لهم، وقد ذكر ابن حَزم: أن عبد الله بن أبي بن سَلول نزل بعَسكره بناحية غازيًا مع رسول الله ﷺ، فكان عسكره فيمَا يَزعُمُون ليس بأقل العسكرين؛ وهذا بَاطلٌ، لأنه لم يتخلف معه إلا مَا بين السبعين إلى الثَّمانين فقط، وإنَّما وَقع هذا في يوم أحد، وفيهِ أيضًا نظر؛ وقد قيل: إنَه لَم يكن يومئذ من مَعه أقل العَسكرين. والصحيح: أنَّه كَان في دون ما معه ﷺ يوم أحد.

وأما من كان مع عبد الله بن أبي في غَزوَة تبوك، ممن تخلف معه بعد مسيره عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فأهل النفاق وأصحاب الريب في العدة المذكورة(٢).

وهذا يقْتضِي أنَّه لَم يَأذن لهُم، وإلا لما ظهر تميزهم عن غيرهم، وأيضًا فإن في

---

(١) «دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة»: (٢٣٠).

(٢) منهم ابن ابن حزم في كتابه «جوامع السيرة»، المحقق: إحسان عباس الناشر: دار المعارف – مصر الطبعة: ١، ١٩٠٠م: (صـ ٢٥١).

الفعل المضارع من قوله: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ﴾، إيماء إلى أنَّهُ لم يأذن لهم، فهذا الفَريق منهم يتعلَّلُون بأن منازلهم بَعيدة عن المدينة وآطامها.

والتَّأكيد بحرف (إنَّ) في قولهم: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [سورة الأحزاب: ١٣]، تمويه لإظهار قولهم: ﴿بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾، في صورة الصدق.

ولَمَّا عَلموا أنهم كاذبون، وأنَّ النَّبيّ ﷺ يعلم كذبهم؛ جَعلوا تكذيبه إيَّاهُم فى صورة أنه يَشكُّ في صِدقهم، فأكدوا الخبر، فقوله ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾ [سورة الأحزاب: ١٣]، تكذيب لهم، فالمَدينَة كَانت محَصَّنَة يومئذ بخَندق، وكان جَيش المُسلمين حارسها. ولم يقرن هَذا التكذيب بمُؤكد لإظْهار أن كذبهم واضح غير محتاج إلى تأكيد(١).

وقال ابن الجوزي: «قولُه تعالى: ﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ [سورة الأحزاب: ١٣]، فيهِ قَولان:

أحدُهُما: أنَّهم بَنُو حارثة، قاله ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وقال مجاهد: «بنو حارثة بن الحارث بن الخزرج»، وقال السدي: «إنما استأذنه رجلان من بني حارثة».

والثانى: بنو حَارثة وبنو سلمة بن جشم، قاله مقاتل.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ [سورة الأحزاب: ١٣]، قَال ابن قتيبة: «أي: خَالِيَة، فَقَد أمكن من أَرَاد دُخُولها، وأصْلُ العَورَة: ما ذهب عنْهُ السِّتر والحفظ، فكأنَّ الرِّجَال ستر وحِفظ للبيوت، فَإذا ذهبوا أعورَّت البيوت، تقول العرب: أعورَّ مَنْزِلى: إذا ذَهَب ستره، أو سقط جداره، وأعور الفارس: إذا بَان منه مَوضع خلل للضرب والطعن، قال تعالى: ﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾ [سورة الأحزاب: ١٣]؛ لأنَّ اللهَ يحفظها، ولكن يريدون الفرار».

وقال الحسن ومجاهد: «قالوا: بُيوتنا ضَائعة نَخْشى عليها السُرَّاق»، وقال قتادة:

---

(١) «التحرير والتنوير»: (٢١/ ٢٨٥ ـ ٢٨٦).

«قالوا: بُيوتُنا ممَّا يلي العدو، ولا نأمن علَىٰ أهْلِنا، فكذبهم الله وأعلم أن قصدهم الفرار»(١).

ثم يبين القرآنُ أنَّ هَؤُلاءِ جبناء، يخافُون مِن خطرٍ متوقع، فكيْفَ يَكون موقفهم إذا داهمهم الخَطرُ وحلَّ بساحهم ما يخشون؟ قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ١٤]، ذلِكَ كَان شأنهم والأعداء خَارج المدينة ولم تُقتَحم عليهم بعد، ومَهما يَكُن الكرب والفَزع فَالخطر المتوقع غير الخطر الواقع، فأمَّا لَو وقع واقتحمت عليهم المدينة مِن أطرافها: ﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ﴾ [سورة الأحزاب: ١٤]، وطلبت إليهم الرِّدَّة عن دينهم: ﴿لَـَٔاتَوْهَا﴾، سِراعًا غير متلبِّثين ولا مترددين: ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾، من الوَقت أو إلا قليلًا منهُم يتلبثون شيئًا ما قَبل أن يستجيبوا ويستسلموا ويرتدوا كفارًا، فهي عقيدة واهية لا تثبت، وهو جبن هالع لايقاوم(٢).

هـ) وقد بلغ من إسفاف القوم وَخُذلانُهم وتقديمهم لأوهىٰ المَعَاذير وأبطل الحيل ما حكاه الله تعالىٰ عنهُم في قوله: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [سورة التوبة: ٤٩]، وقد ذكر المفسرون أن الجدَّ ابن قيس سألَ النَّبيّ ﷺ القُعود عن الجهادِ، واعْتَذر بأنه إذا رأىٰ نِساء الروم افتُتِن فَهو لا يصبر عند رؤيتهن! وهُوَ عذر واهٍ أيضًا، لأنه وإِنَ كان كما ذكر لا يصْبِر علىٰ نساء بني الأصفر، فإنَّ سَاحات القتال وما يحْدُث فيها من تلاحم بين الصُّفوف وتراشُق بالسهام وضَرب بالسيوف، كفيلةٌ بِأن تنسيه ذلك كله، ثُم إن الإنفراد بالنساء في هذه المواقف أمْرٌ عَسير إلا علىٰ من ملأ المرض قلبَه، وتمكَّن الداء من نفسه.

---

(١) «زاد المسير»: (٦/ ٣٠٦ ـ ٣٦١).

(٢) «في ظلال القرآن»: (٥/ ٢٨٣٩).

أما قعوده في المدينة ولا يُوجد في بيوتها إلا النِّساء وبَعض ذوي الأعذار من الشيوخ والولدان والمرضى والفقراء، فالافْتِتَان بالنساء هنا أقرب إليه مِن هنالك، من أجل ذَلِك لم يقبل الله تعالىٰ عُذْره، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة التوبة: ٤٩]، فَلَو أن هذا المُنافق صادق الإيمان والتَّوجه والولاء، لوَاجه الفتنة اليَسيرة فرارًا من الفِتْنة العظيمة، وهي فتنة الكفر والنفاق التي توصله إلىٰ جهنم وبئس القرار(١).

والخلاصة: أنَّ مَن هَذا شَأْنُهم في حلف الأيمان الغَموس الفاجرة، وهَذا دَيدَنُهم في اختلاق الادعاءات الكاذِبَة الواهية، كيفَ نَثِق في حديثهم؟ وكَيف نُصدِّق مزاعمهم؟ بل كيف تنطلي علينا أيمانهم؟.

ما يستفاد من القاعدة:

١. الأصْلُ في حَديث المُنَافق الكذب، وفي حَلِفه الافْتِراء، وفي عَهْده الغَدرُ، وفي وَعْده الإخْلَاف، ولذلك وصفهمُ القرْآنُ في مواضع بالكذب، وفي أخرىٰ بالإفْكِ، وفي ثالثة بالافتراء.

٢. عدم الاغْتِرار بِمَعْسُول أقوالهم، وتَنْمِيق عِباراتِهم، فَقَد أخبر اللهُ عن طائفة من المؤمنين هذا شأنهم: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة التوبة: ٤٧].

القاعدة الثالثة والعشرون: عدم الرضا عنهم مهما حلفوا من أيمان.

قال تعالىٰ: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْاْ عَنْهُمْۖ فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ٩٦]، وفي آية أخرىٰ يقول المولىٰ: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾ [سورة التوبة: ٦٢].

---

(١) «دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة»: (٢٣٢ ـ ٢٣٣).

فأنكر الله عليهم ذلك بقوله في تمام الآية: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [سورة التوبة: ٦٢]، وهذه الأيمان في الحالين تدلُّ على اضطراب المنافقين في المُجتَمع المسلم، وسعيهم الحثيث لِحماية مَصالحهم الشَّخصيَّة والشَّهوانيَّة بهذا الأسلوب الرَّخيص من الأيمان الكاذبة، ذلك بأنَّهم يشعرون بالغُربة الشديدة في المجتمع المسلم المحافظ، فلا يَملِكُون إلا الكذب والنفاق، وقد كشف الله حقيقتهم بقوله في موضع آخر: ﴿وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ ٥٦ لَوۡ يَجِدُونَ مَلۡجَـًٔا أَوۡ مَغَٰرَٰتٍ أَوۡ مُدَّخَلٗا لَّوَلَّوۡاْ إِلَيۡهِ وَهُمۡ يَجۡمَحُونَ﴾ [سورة التوبة: ٥٦-٥٧]، أبَعْدَ هذا يرضى المؤمنون عنهم؟!.

قال البيضاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ﴾ [سورة التوبة: ٩٦]: «والمَقصودُ مِن الآية النَّهيُّ عَن الرضا عنهُم والاغترار بِمَعاذيرِهم بعد الأمرِ بالإعْراض وعدم الالتفات نحوهم»(١).

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهَذا تحذِيرٌ لِلمسلمين منَ الرِّضى عن المنافقين بطَرِيق الكناية، إذْ قَد علم المُسلِمون أن ما لا يرضى اللهُ لا يكون للمسلمين أن يرضوا به»(٢).

وقال أبو السعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ(٣): «والمُراد بهِ نَهي المُخَاطبين عن الرِّضا عَنهُم

(١) «أنوار التزيل»: (١٦٧٠).

(٢) «التحرير والتنوير»: (١/ ١٩٠٠).

(٣) هو: محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبو السعود: مفسر شاعر، من علماء الترك المستعربين. ولد بقرب القسطنطينية، ودرس ودرس في بلاد متعددة، وتقلد القضاء في بروسة فالقسطنطينية فالروم ايلي. وأضيف إليه الإفتاء سنة ٩٥٢ هـ وكان حاضر الذهن سريع البديهة: (كتب الجواب مرارا في يوم واحد على ألف رقعة) باللغات العربية والفارسية والتركية، تبعا لما يكتبه السائل. وهو صاحب التفسير المعروف باسمه وقد سماه: إرشاد العقل السليم إلى مرايا الكتاب الكريم، ومن كتبه تحفة الطلاب في المناظرة، وغيرها وشعره جيد خلص كثير منه من =

والاغترار بمعاذيرهم الكاذبة على أبلغ وجه وآكده، فَإِنَّ الرِّضا عمَّن لا يرضى عنه الله تعالى ممَّا لا يكاد يصدر عن المؤمن، وقيل: إنَّما قيل ذلك لئلا يتوهَّم مُتوهم أن رضا المؤمنين من دواعي رضا الله تعالى(١).

والآية محتَمِلة للمَعنيين حَسب حال المُؤمنين مِن عِلْمِهم بحال أولَئكَ المُنافقين أو جَهلِهم به، فَفِي حال العلم يتوجَّب عدم الرضا عنهم، وفي حَال الجهل فإن رضا المؤمنين لا ينفعهم -والله تعالى أعلم-.

فإن قيل: فما الفرق بين عدَمِ الرضا وبين الإعراض عنهم كما سبق في المَعْلَم الأوَّل؟

فالجواب: أن عدم الرِّضا عنهُم لا يقتضي الإعراض على المَعْنَى الراجح، وهو عدم الحُزن من صدودهم، فقَد لا يرضى عنهم، ويظلُّ حَزينًا من صدودهم وإعراضهم.

ومما يدُلُّ عَلى الفرق: أن الله عَزَّوَجَلَّ ذكرَ الأمْرَين في آيتين متتابعتين، فقال في الأولى: ﴿فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٌۖ﴾ [سورة التوبة: ٩٥]، وقال في الثانية: ﴿فَإِن تَرۡضَوۡاْ

= ركاكة العجمة. وكان مهيبا حظيا عند السلطان، يؤخذ عليه الميل الزائد إلى أرباب الرئاسة ومداهنتهم. وهو مدفون في جوار مرقد أبي أيوب الأنصاري. قال الغزي: الإمام العلامة، المحقق المدقق الفهامة، العلم الراسخ، والطود الشامخ، المولى أبو السعود العمادي الحنفي مفتي التخت السلطاني وهو أعظم موالي الروم، وأفضلهم لم يكن له نظير في زمانه في العلم، والرئاسة، والديانة أخذ عن علماء عصره. وفي بالقسطنطينية في الثلث الأخير من ليلة الأحد خامس جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وكانت جنازته حافلة وصلي عليه في حرم جامع السلطان محمد الكبير في ملأ عظيم، وجمع كثير. ينظر «الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة»، المؤلف: نجم الدين محمد بن محمد الغزي (المتوفى: ١٠٦١هـ)، المحقق: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م: (٣/ ٣١)، و«الأعلام»، للزركلي: (٧/ ٥٩).

(١) ينظر «إرشاد العقل السليم»: (٤/ ٩٤ ـ ٩٥).

عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ٩٦]، ولو كان الإعْرَاض هو عدَمُ الرِّضا لاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر، -والله تعالى أعلم-(١).

ما يستفاد من القاعدة:

١- من الغَايات التِي يسْعَى لها المنافقون رضَى المُؤمنين عنْهُم إذا تخلَّفوا عما يعاب عليهم وخُصوصًا حال نكوصهم عن الجهاد، فيأتي نَهي الشارع الحكيم بعدم الرضى عنهم وإن حلفوا الأيمان المغلظة.

٢- بل ولا يؤذن لَهُم بمشاركة المُؤمنين في غزوٍ ولا مَشْروع ولا شأن مِن شؤون المسلمين: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة التوبة: ٨٣].

القاعدة الرابعة والعشرون: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٤٧].

قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة التوبة: ٤٧]، أي: فِيكم أيُّها المؤمنون من يستجيبُ لَهُم، ويتأثَّرُ بما يبثُّونه من الشكوك والشبهات ويقبلها، **وهذا على أحد القولين** في الآية(٢)، وهو اختيار شيخ الإِسْلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإنه قالَ في قوله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٤٧]: «وإنَّما عدَّاه باللام، لأنَّه متَضمِّن معنى القبول والطاعة، كما قال الله علَى لِسان عبده:

---

(١) هذه القاعدة بمجموعها مستفادة من بحث بعنوان «التعامل مع المنافقين دراسة موضوعية قرآنية»: ص (١٧٠ ـ ١٧١ ـ ١٧٢).

(٢) اختاره الواحدي في «الوجيز»: (١/ ٤٦٦)، وابن كثير: (٢/ ٤٧٥)، والبقاعي في «نظم الدرر»: (٣/ ٣٢٩)، والشوكاني: (٢/ ٤١٨)، والسعدي: (٣/ ٢٤٤).

«سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، أي: استجاب لمن حَمِدَه، وكذلك ﴿سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ أي: مطيعُون لَهُم»(١).

القول الثاني: أن المراد بِقوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾: نقلُ الأخبَار إليهم بِمَثابة الجواسيس، واختاره الطبري والقرطبي وغيرهما(٢) وحجَّتُهم أن الأغلب مِن كلام العرب في قولهم (سمَّاع) أن يصفوا به مَن يسمع الكلَام لِغَيره.

والقول الأول الذي اختاره شيخ الإِسلام هو الراجح، لدِلالَة السِّياق عليه، فإن سياق الآيات كلّه في المُنافقين، وفضح أحوالهم وخباياهم، فلمَّا قال: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْۗ﴾ [سورة التوبة: ٤٧]، دلَّ علىٰ أنَّ هَؤُلاءِ السمَّاعين ليسوا منهُم، ويؤيد هذا المعنىٰ أنَّ المُنافقين ليسوا بحاجةٍ إلَىٰ مَن يسمع لهم، فهم مُندَسُّون في الصف المسلم، يَسمعون بأنفسهم ما يجري(٣).

وقد أكَّد ذلك شيخ الإِسلام بقوله: «وبَعضُ النَّاس يَظنُّ أَنَّ المعنىٰ: سمَّاعون لأجلهم بمَنزِلَة الجاسوس: أي يسمَعُون ما يقول وينقلونه إلَيهم حتىٰ قيل لبعضهم: أَيْنَ في القرآن (الحيطان لها آذان)، قال في قولِه: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْۗ﴾ [سورة التوبة: ٤٧]، وكَذَلك قوله: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾، ليَكذِبوا: أن اللام لام التَّعديَة لا لام التَّبعية، وليس هَذا معنىٰ الآيتين، وإنَّما المعنىٰ: فيكم من يسمَعُ لهم، أي: يستجيب لهم ويتبعهم»(٤).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْۗ﴾ [سورة التوبة: ٤٧]، أي: مُطِيعون لهُم ومستحسنون لحَدِيثهم وكَلامهم يَستنصِحُونهم، وإن كانوا لا يَعلَمُون

(١) ينظر «مجموع الفتاوىٰ»: (٢٥/ ١٢٩).
(٢) واختاره الطبري: (٦/ ٣٨٤)، والقرطبي: (٨/ ١٥٧).
(٣) ينظر «اختيارات ابن تيمية وترجيحاته في التفسير»، لمحمد المسند: ص (٥١٧ ـ ٥١٩).
(٤) ينظر «مجموع الفتاوىٰ»: (٢٨/ ١٩٤).

حالهم، فَيُؤدي إلى وقُوع شَرٍّ بَين المؤمنين وفساد كبير»(١).

والمقصود: أن هذا خبَر في مَعْنى النَّهي، أي: لا تَسمَعوا لهم، ولا تَقبَلوا ما يَبثُّونَه من شُكوك وشبهات حَول الدين والدَّعوة وخُلَّص المؤمنين ليوقعوا الفتنة بينكم.

فإن قيل: كيف يجوز ذلك على المؤمنين مع ما علموه من التحذير من المنافقين؟.

فالجواب: أن ذلكَ قَد يحصل:

١- إمَّا لِحداثة عهد بالإِسْلام.

٢- أو لقرابَة تُوجِب حسن الظنِّ والتقدير.

أو لِغَفلة وسَذاجة وجهل بالواقِع مِن قبل بعضِ المُؤمنين، لاسيَّما مع تفنُّنِ المُنافقين في الخِدَاع والتمويه والتظاهر بالصلاح والتقى، ممَّا قَد يَنْطلي على بعض المؤمِنين الطَّيبينَ.

ومِنَ ذلك أنهم -أي: المُنافقون- قَد يحلفون الأيمان المغلَّظَة على أنهُمْ مَا أرادوا إلا الخَير كما أخبر الله عَنهُم بقوله: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [سورة التوبة: ١٠٧]، فأي تلبِيسٍ أَعْظَم من هذا التلبيس!(٢).

ما يستفاد من القاعدة:

١- نَهي المُؤمنين عن مُجرَّد الاسْتِماع لأكاذيب وتضليلات المنافقين، وما قد يُروِّجُون له من افتراءات وشائعات واتهامات بَاطلة، ناهيك عن طاعتهم وتكثير سوادهم.

---

(١) الخب: الماكر الفاجر. «إكمال الأعلام بتثليث الكلام»، لمحمد بن عبد الله الطائي الجياني تحقيق سعد بن حمدان الغامدي $ الناشر جامعة أم القرى ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م مكان النشر مكة المكرمة - عدد الأجزاء ٢، و«تفسير القرآن العظيم»: (٢/ ٤٧٥).

(٢) هذه القاعدة مستفادة من بحث «التعامل مع المنافقين دراسة موضوعية قرآنية»: (١٧٢ ـ ١٧٣ ـ ١٧٤).

٢- الحذرُ مِن أن يُخترق الصَّفُّ الإِسْلامي بمن هو سمَّاع للمنافقين -جَاسُوس- أو مَن شَابههم من أعْدَاء المِلَّة، وهُو التفسير الآخر للآية، وأحيَانًا قد نكون ممَّن يُحسِن الظن كثيرصا، فمن الضرورة ألا يكون أحدنا خبًّا[1] ولا الخب يخدعه.

٣- خطورَة الإعْلام وتَقنية التَّواصُل الحديثة وغيرها، ممَّا هُو مسخر في غالبه لتَشويهِ الحَقائِق وزعزعةالمُحكمات، وإضفاء جوانب العظمة والبُطولة على منافقين خونة وطغاة ظلمة. بل يُبجَّل ويُلمَّع ويُحاط بهالة من الألْقَاب المزيفة والأوصاف الكاذبة مَن قد عُرف بعلمانيته وليبراليته وعمالته للغَرب.

وللأسف يخدع بهم كَثير من الناس وينسَاقُون وراء أبَاطيلهم، فبِالله مَن كان يظن أن أحدنا رزقه الله عينين تبصران وقلبًا يدرك أن يخدع بأمثال سفاح الشام بشَّره الله بجهنم-بشار الأسد-، أو بحِزب الشَّيطان الصفوي، أو بزَعيم الانقلاب السيسي القَادم للحكم في مِصر على جماجم المُصلين وأشلاء المُتظاهرين. تَقصفهم الدبابات ويَطالُهم رصاص الغدر والخيانة، ثُم تُجرى انتخابات جائرة مزورة باطِلة، ليكون بعد ذلك الرئيس الملهم والمنقذ، ثم نجد من هم محَسوبون على الصف الإِسْلامي يُبشرون بمقدمه ويدعمون توجُّهاته، بل ويعقدون المؤتمرات تأييدًا لفخامة الرئيس وانتخابًا له.

القاعدة الخامسة والعشرون: لا نخدع بمظاهرهم ولا بأموالهم ولا بمعسول قوله..

١. عدمُ الاغْتِرار بِحُسن مظهرهم ولا بمعْسُول قولهم.

---

(١) الخبُّ هو: الماكر الفاجر. «إكمال الإعلام بتثليث الكلام»: (١/ ١٧٣)، لمحمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني، تحقيق سعد بن حمدان الغامدي الناشر جامعة أم القرى سنة النشر ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.

المُنافق قد يكون حَسن المَظهَر، جميل الثِّياب، سويُّ الهِندام، فصيح اللسان، يُعجِبُ السامعين قولُه، ويهتز له الحضور طربًا، ومع ذَلك فهو خبيثُ النفس، سيءُ الطَّبع، قلبه خاوٍ من الفضائل، مظلم بالشهوات والشبهات، قفرٌ إلا من الخبائث والرذائل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [سورة المنافقون: ٤].

قال ابن كثير: «أي: وكَانوا أشكالًا حَسَنة وذوي فصاحة وألسنة، وإذا سَمِعَهم السامع يُصغي إلى قولهم لبلاغتهم، وهُوَ مَع ذلك في غاية الضعف، والخور، والهلع والجزع والجبن»(١).

وقال الرازي في تفسيره: «اعلَمْ أنَّ قَوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾، يعني: عبد الله بن أبي، ومغيث بن قيس، والجد بن قيس، كانت لهُم أجْسَام ومنظر، تُعجبك أجسامهم لحسنها وجمالها، وكان عبد الله بن أبي جَسِيمًا صبيحًا فصيحًا، وإذَا قَال سمع النَّبيّ ﷺ قولَه، وهَوُ قوله تعالى: ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [سورة المنافقون: ٤]، أي: ويقُولوا: إنَك لرسول الله تسمع لقولهم، وقرئ يُسمع على البناء للمفعول.

ثم شبههم بالخُشُب المُسَنَّدَة، والخُشُب لا تعقل ولا تفهم، فكَذلك أهل النفاق كأنهم في ترك التَّفَهُّم والاستبصَار بمنزلة الخُشُب، وأما المسندة يقال: سَند إلى الشَّيء، أي: مَال إليه، وأسنده إلى الشيء أي: أمَالَه فهو مسند، والتشْدِيد للمبالغة، وإنَّمَا وصف الخشب بها، لأنَّها تُشبِه الأشْجَار القائمة التي تَنمو وتثمر بوجهٍ ما، ثم نسبهم إلى الجبن وعابهم به»(٢).

---

(١) ينظر «تفسير القرآن العظيم»: (٤/ ٣٨٩).

(٢) ينظر «التفسير الكبير»: (٣٠/ ١٤).

وفي «صحيح مسلم»(١) قوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [سورة المنافقون: ٤] قال: «كانُوا رِجالًا أجمل شيءٍ كَأنهم خُشُب مسندة، شَبَّههم بخشب مسندة إلى الحَائط، لا يَسمعون ولا يعقلون، أشباحٌ بِلا أرواح، وأجسام بلا أحلام، وقيل: شَبَّهم بالخُشب التي قد تآكلت فِهي مسندة بغيرها لا يعلم ما في بطنها»(٢).

وقد أخبر الله تعالى نبيه ﷺ بذلك، لئلا يَغترَّ بِتلك الصورة، ولا يعوَّل على هذه المظاهر، فإنَّها مَظاهر كاذبة وصور خداعة، لا تلبث إلا قليلًا حتى تعرى ويبين زيفها.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٤]، قال الطبري: «وَهَذا نَعتٌ مِن الله تبارك وتَعَالى للمنافقين، يَقُول جلَّ ثَناؤُه، ومِنَ النَّاس من يعجبك يا محمَّد ظَاهر قوله وعلانيته، ويَستَشهد الله على ما في قلبه وهو ألدُّ الخصام، جدلٌ بالباطل»(٣).

وروى ابن جرير عن السدي قال: «نزَلَت في الأخْنَس بن شريق الثقفي -وهُو حليف لبني زهرة- وأقبل إلَى النَّبيّ ﷺ بالمدِينَة فأظهر له الإِسْلام، فأعجب النَّبيّ ﷺ ذلك منه، وقال: إنَّما جِئت أريد الإِسْلام، واللهُ يَعلم أني صادق، وَذلك قوله: ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٤]، ثُمَّ خَرج من عندِ النَّبيّ ﷺ فمرَّ بِزرع لقومٍ مِن المسلمين وحُمُر، فأحْرَق الزرع وعقر الحمر، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٥]»(٤).

---

(١) «صحيح مسلم»، كتاب صفات المنافقين، باب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث رقم: (١)، وأخرجه البخاري أيضًا، كتاب التفسير، باب ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ حديث رقم: (٤٩٠٣).

(٢) ينظر «تفسير القرطبي»: (١٨/ ١٢٥).

(٣) ينظر «جامع البيان»: (٢/ ٣٢٤).

(٤) ينظر «جامع البيان»: (٢/ ٣٢٤).

وقال آخرون: بل نزل ذلك في قوم. وقال آخرون: بل نزل ذلك في قَوم من أهل النفاق، تكلموا في السَّرية التي أصيبت لرَسُول الله ﷺ بالرَّجيع كما روي ذلك عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأنزَل الله هذه الآيات في ذَمِّ المنافقين ومدح هذه السَّرية التي أصيبت في سبيل الله(١).

قال ابن كثير: «وقيل: بل ذلِكَ عامٌّ فِي المنافقين كلهم، وفي المؤمنين كُلِّهم، وهَذا قول قتادة ومجاهد والربيع بن أنس وغير واحد، وهو الصحيح»(٢).

قال سيد قطب مصورًا هذه الشخصية العجيبة: هذا المخلوق الذي يَتحدَّث فَيصور لك نفسه خلاصَة من الخير، ومن الإخلاص ومِن التَّجرُّد، ومِن الحب ومن التَّرفُّع، ومِن الرغبة في إفَاضَة الخير والبر والسعادة والطَّهارة على الناس، هذا الذي يُعجِبُك حديثه، تعْجِبُك ذلاقة لسَانِه، وتعجبك نبرةُ صَوته، ويعجبك حديثه عن الخير والبر والصلاح: ﴿وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٤]، زيادَة في التَّأثير والإيحاء، وتوكيدًا للتجرد والإخلاص، وإظهارًا للتقوى وخشية الله: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٤]، تزدحم نفسه باللَّدَد والخصومة، فلا ظل فيها للودِّ والسَّماحة، ولا موضع فيها للحب والخير ولا مكان فيها للتجمل والإيثار.

هذا الذي يتناقضُ ظَاهرُه وباطنه ويتنافر مظْهَره ومخبره، هذا الذِي يُتقن الكذب والتَّمويه والدَّهاء حتى إذا جاء دورُ العَمل ظهر المخبوء وانْكَشف المستُور وفضح بما فيه من حقيقة الشَّرِّ والبغي والحقد والفساد: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [سورة البقرة: ٥٠٢].

وإذا انصرف إلى العَمل، كَانت وجهَتُه الشر والفساد، في قَسوة وجَفْوة ولدد،

---

(١) ينظر «جامع البيان»: (٢/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥)، و«الدر المنثور»: (٤٢٧)، و«تفسير ابن كثير»: (١/ ٦٣).

(٢) ينظر «تفسير ابن كثير»: (١/ ٢٦٣).



تَتمثَّل في إهلاك كلِّ حَي من الحرث الذي هو موْضِع الزرع والإنْبَات والإثمار، ومِن النَّسل الذي هو امتدَاد الحياة بالإنسال، وإهْلاك الحياة على هذا النَّحو كناية عمَّا يَعتمل في كيان هذا المخلُوق النَّكد مِن الحقد والشر والغدر والفساد؛ ممَّا كَان يستره بذلاقة اللسان، ونعومة الدهان، والتَّظاهر بالخير والبِر والسَّماحة والصَّلاح: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [سورة البقرة: ٢٠٥]، فما أبعد البون بين أقوال هَؤُلاءِ وأفعالهم! وما أشدَّ التغاير بين عالم الصُّورِ وعَالم الحقيقة! ففي عالم الصُّوَر يظهر المنافق جميلًا شجاعًا ذا هيبَةٍ ووقار، ولكنه في عالم الحقيقة قزمٌ قبيحٌ مموهٌ لا قيمة له ولا وزن(١).

ومن قول ابن كثير السابق عن المنافقين: «وكَانوا أشكالًا حسَنَة وذوي فَصَاحة وألسنة»، سيجد من نظر إليهم في زَمَاننا وجد أنهم كذلك، إذْ لا يَخْرُج أحدهم في نَدوة أو مُشاركة إعلامية أو احتِفَالية إلا وقَد ظهر في أحسَنِ صُورة، ناهيك عن عمليات المَكياج والتجميل، فإذا تكلم أو نطق سمعت العجب العجاب.

ولقد كان النَّبيّ ﷺ يخَافُ عَلى أمته خوفًا شديدًا من المُنافِقين، وعلى الأخَصِّ من فتنة المنافق ذي اللسان الذي يَسْبي القلوب بمنطِقِه وبيانه، فعن عمْرَان بن حصين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رَسُول الله ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمُ اللِّسَانِ»(٢)، وفي رِوَاية عند أبي نُعَيم(٣) عن الأحنف(٤) قال: سَمِعْت

---

(١) ينظر «في ظلال القرآن»: (١/ ١٨١).

(٢) رواه أحمد في «مسنده»: ح (١٤٣)، وقال محققه الأرناؤوط: إسناده قوي، والضياء في «المختارة»: (١/ ٣٤٤)، وقال محققه: حديث حسن، أخرجه الفريابي في كتابه «صفة النفاق وذم المنافقين»: (٢٣).

(٣) أخرجه في «صفة النفاق ونعت المنافقين»: برقم (١٤٩) عن الحسن، عن الأحنف، قال: سمعت عمر، يقول: كنا نتحدث إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم اللسان.

(٤) هو: الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين التميمي السعدي، أبو بحر البصري، ابن أخي =

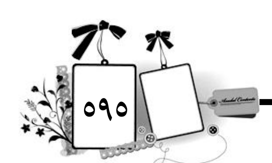
عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يُحدِّث: «إنَّما يُهلِكَ هَذِه الأمَّة كُلُّ مُنافق عليم اللسان».

٢- عدم الاغترار بما حباهم الله من أموال وأولاد.

فإن المؤمِنَ إذَا رأىٰ ما يشتمل عليه كَثير من المُنافقين من أموال تغدق عَليهم فينعمون بها فيمَا يَظهر للنَّاس من مراكبهم ولباسهم ومساكنهم، إضَافَة إلىٰ نعمة الأولاد، فإنَّه قد يظن ذلك دلِيلًا علىٰ الرضا والعطاء من الله لهم، فيغترُّ بِذلك ويعجب به؛ ولذَا فقد جاء التأكيد علىٰ أن ما قَد يُظن أنه نعمة لهم إنَّما هو نقمة عليهم، ومَا قد يُظن أنه منْحَة لهم انقلب محنة عليهم، قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [سورة التوبة: ٥٥].

فهذِهِ النِّعم إنَّما تَتمُّ وتَكتَمل لأهل الإيمانِ الصَّادق والمبدأ الحق، الذِين يسخِّرُون ما آتاهم اللهُ مِن نعمة المال والوَلدِ لِخدمة المبدأ الذي آمَنُوا به وقدَّموه علىٰ ما يملكون.

= صعصعة بن معاوية، والأحنف لقب، واسمه الضحاك، وقيل: صخر، كان سيد تميم، أدرك زمان النَّبيّ ﷺ. ولم يره. وقال الحسن: ما رأيت شريف قوم أفضل من الأحنف. وقال ضمرة بن ربيعة، عن السري، عن يحيىٰ: عاشت بنو تميم بحلم الأحنف أربعين سنة. وقال أبو مسلم عبد الرحمن بن يونس: قال سفيان: ما وزن عقل الأحنف بعقل إلا وزنه. ومغيرة: قال الأحنف: ذهبت عيني منذ أربعين سنة ما شكوتها إلىٰ أحد. وقال ابن شوذب: وفد الأحنف علىٰ عمر، فاحتبسه بالمدينة سنة، ثم أذن له. قال: تدري لم حبستك؟ قال: لا، قال: لأني كنت، يعني - أخاف أن تكون منافقا عليم اللسان، فإذا أنت مؤمن عليم اللسان. وقال العجلي: بصري تابعي ثقة، وكان سيد قومه. وقال يعقوب بن شيبة: كان جوادا حليما، وكان رجلا صالحا، أدرك أمر الجاهلية، وذكر للنبي ﷺ، فاستغفر له. قال ابن سعد: كان ثقة، مأمونا، قليل الحديث، وكان صديقا لمصعب بن الزبير، فوفد عليه إلىٰ الكوفة، فمات عنده. وذكر الحاكم أبو عبد الله: أنه هو الذي افتتح مروالروذ. قيل: مات سنة سبع وستين. وقيل: سنة اثنتين وسبعين بالكوفة. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»،: (٢/ ٢٨٢)، «سير أعلام النبلاء»، للذهبي: (٤/ ٨٦).



أمَّا أولئك الذين يعِيشُون بلا مبدأ ولا إيمان، فَقد جعلوا هذه النعم غاية يعيشون لأجلها فاسْتَعبدتهم واستذلتهم، فأفنَوا أعْمارهم في خدمتها وتقطعت قلوبهم خوفًا على فقدها، ثُمَّ لم تُغن عنهم شيئًا، وهذا الشأن يذكِّرُنا بقصة موسى عليه الصلاة والسلام حيثُ قال سبحانه: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [سورة يونس: ٨٨].

ويذكِّرُنا بقوله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [سورة الكهف: ٤٦]، وقد صَحَّ الحديث عن النَّبيّ ﷺ الذي قال فيه: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةٌ وَإِنَّ فِتْنَةَ أُمَّتِي المَالُ»(١)، قال الدكتور/ عادل الشدي: وفي رَأيي أن التحذِيرَ مِن الاغترار بظواهرهم قد اقترن أيضًا ببَيَان نجاسة دواخِلِهم وعدم طهارَةِ قُلوبهم من الأدران والأوساخ المعنوية، ليطَّلِع المُؤمن على ذلك فيزداد نفورًا منهم وبعدًا عنهم، قال تعالى عن المنافقين: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة المائدة: ٤١].

وفي عقيدة أهْلِ الإِسْلام لا مَكان في القلوب لِمُوالاة أهل القُلُوب النجسة الخَرِبَة التي أعرضت عن نورِ الحَق والإيمان، فانْعَدمت الطَّهارة منها وتلاشت، وبالتَّالي فإن اقتران هذا البَيان لحقيقَة ما في قلوبهم بالتَّحذير من الاغترار بِظَواهرهم، يقطعُ الطَّرِيقَ أمام أي تأثير مُحْتمل لحسن ظواهرهم وحَلاوة المنطق على نفوس أهل الإيمانِ، الذين يستجيبون لتوجيه القرآن وينْتَهِجُون منهجه في مواجَهَةِ النفاق وأهله(٢).

---

(١) رواه الترمذي برقم: (٢٣٣٧)، في الزهد، باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة المال، وقد صححه الشيخ الألباني، وقال محقق جامع الأصول: وإسناده حسن، برقم (٤٥٥).

(٢) ينظر «النفاق وأثره في حياة الأمة»، د/ عادل الشدي: (٣٣٧ ـ ٣٣٨)، وللعلم فهذه القاعدة =



وسُبحان الله من تأمَّل يَجِد أن غالب أحْوَال المنافقين على مرِّ العُصور والأزمان فيها من الثَّراء وبسطة الرِّزق وترف النعيم ما الله بهِ عَليم؛ لذَا قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [سورة طه: ١٣١].

وقال عزَّ في علاه: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾[سورة التوبة: ٥٥]، أي: بالمصَائبِ، فَهِي لهم عذاب وهي للمؤمنين أجر(١).

القاعدة السادسة والعشرون: ضبط سياسة التعامل معهم من خلال تقدير المصالح والمفاسد.

جاءت الشَّريعَة الإِسْلاميَّة لجلب المصالح وتكميلها ودفع المفاسد وتقليلها.

هذه القَاعِدَة قد جاء ذكرها في مقدمةِ القَواعد الشرعية بما يغني عن تكرارها هنا(٢).

القاعدة السابعة والعشرون: جهاد المنافقين نفاقا أكبر مقدم على المنافقين نفاقا أصغر.

هذِهِ القاعدة تأْتي متجَانسة مع أصل مِن الأصول الشرعية، قد عُلم بالضَّرورَة معناه ولزم العمل به ألا وهو:

١. الموازنة بَين المَصالح:

حيث تقدَّم المصلحة المتيَقَّنَة على المظنونة أو المتوهَّمة، وتقدم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد، وتقدَّم المَصلحَة الدَّائمة على العَارِضَة أو المنقطعة، ومن تأمل حياة

= بمجموعها مستفادة من رسالة الشيخ من: (٢٢٩ ـ ٣٠٢)، ومن: (٣٣٥ ـ ٣٣٨).

(١) ينظر «الدر المنثور»: (٤/ ٢١٨).

(٢) انظر للأهمية: (ص: ٣١٦).



النَّبيّ ﷺ وجد ذلك جليًا في حوادث عديدة منها:

أ) ما كان من شُروط صُلحِ الحُديبِيَة.

ب) عدم قَتْلِ عبد الله بن أبي بن سلول.

ج) تألُّفه ﷺ في تَوزِيع غنائم خَيبر لحديثي العهد بالإِسْلام علَى السَّابقين. كل هذه وغيرها كثير مما يؤكد على هذا المعنى.

٢- كما أنَّ مِن المطلوب الموازنة بينَ المَضارِّ أو المفاسد:

ـ فتدفع المُفسَدة الكبرى قبلَ الصُّغرى، ويُقدَّم دفع المفْسَدَة ذات الضَّرر العَام على ذات الضرر الخاص.

ـ وتدفع المَفْسَدة التي تأتي عَلى أصل الدِّين عَلَى التي تأتي على المَال أو النفس.. الخ(١).

وهنَا تَنبيهٌ يَحسن الوقوفُ مَعَه، ألا وهو أن هذه القَاعِدة (جهاد المنافقين نفاقًا أكْبَر قبل من تلبس بالنِّفاق الأصغر)، لا تلْغِي مُعالجة النِّفاق الأصغر، فالأَنبِيَاء عليهم الصلاة والسلام مع مُعَالجتهم لقضيَّة الشِّرك الأكبر لم ينفكُّوا عَن نهي أقوامهم عن تطفِيفِ المكيال والميزان وعَن الفواحش ونحو ذلك، ولأنَّ دَفع النفاق الأكبر متحتِّم قبل الأصغر.

ومن تأمَّل آيات القُرآن الكريم التي تَنَاولت شأن النِّفاق والمنافقين وصفاتهم ومَواقفهم، يجد أنَّها لَم تَكُن إلا في شأن النِّفاق الأكبر، وهذا فيه دِلالَةٌ عَلى معالجة المشكلات الكبرى قبل الصغرى، من أجل ذَلكَ قَد يحصل التوفيق بين مُعالجَةِ النفاقين أكبره وأصغره، وذلك إذا أمْكَن مُعالجة الأصْغَر بما لا يُؤثر سلبًا على معالجة الأكبر(٢).

---

(١) انظر مزيد تفصيل في «الموافقات»، للشاطبي: (٣/ ٨٩).

(٢) هذا المعنى استفدته من كتاب «دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة»: (ص ٤٦ ـ ٤٧) بتصرف.

قال الإمام العزُّ بن عبد السلام: «واعْلَم أن تقْدِيم الأصلَحَ فالأصْلَح ودرء الأفْسَد فالأفْسَد مَركوز في طَبَائع العِبَاد نظرًا لهم من رب الأرباب، كما ذكَرْنا في هذا الكتاب فَلو خيَّرت الصبِي الصَّغِير بين اللذيذ والألذِّ لأختار الألَذَّ، ولَو خيِّر بَين الحسن والأحسن لاختار الأحسن... إلى أن قال: ولا يُقدَّم الصالح على الأصلَح إلا جاهل بفَضْل الأصلح أو شَقي مُتجاهل لا ينظر إلى ما بين المَرتبتين من التفاوت»(١).

وكذلك يُقال في شَأن النِّفاق الأكبر والأصغر مِثل هَذا، فيُدفع الأكبر قَبل الأصْغَر والمخرج من الملَّة قَبلَ الذِي هو كبيرة من كبَائر الذنوب، ومن تَأمَّل وجد أنَّ جَميع آيات الكِتاب العزيز التي تناولت النِّفاق وصفات أهله وأحكَامِهم في الدنيا والآخرة إنَّما تَناولت النوع الأكبر من النفاقِ وهُوَ الاعتقادي، دون الأصغر وهو العملي.

ولمَّا كان تركيز القرآن الكَريم عَلى النِّفاق الأكبر دون الأصغر، فَإنَّ ذَلك يعطينا معلمًا عظيمًا من مَعَالم المنهج الصَّحيح في التَّعامُل مع الأخطار المحَدِّقة بمعالجَة المشكلات الكبرى بِكلِّ الوسْعِ والطَّاقة قبل الخوض فيما دونها من المشكلات الصغرى(٢) والثمرة من هذا التقعيد هو:

١. أن بعض المنَافِقِين المُندَسِّين بين الصَّفِّ قَد يُشغلوا العلماء والدُّعاة بطرح قضَايا تَافهة سطحية أو شُبهات ساقطة؛ ليَتَسنَّى لَهم تمرير مخططات أكبَر وتَغريب للأمة أعظم، فلنكن من ذلك على حذر.

٢. قد يطرح بَعضُ هَؤُلاءِ المنافقين قَضايا ساذجة ويُثيروا مسائل لا اعتبار لها، حتى نُعدُّ العدَّة للردِّ علَيها، مع أن الأصل مناقشتهم ابتداءً في أصل عقِيدَتهم، وهل هم من أهل الإِسْلام أم مرَدُوا على النفاق، وهذا ممَّا يُظهرُ للناس عوارهم ويفضح

---

(١) ينظر «قواعد الأحكام في مصالح الأنام»: (١/ ٥ ـ ٧).

(٢) ينظر «دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة»: (٤٦ ـ ٤٧)، للشدي.

حالهم، فإذا مكروا فلنكن من وراء مكرهم.

٣. بل إنَّ جِهاد المنافقين مُقدَّمٌ على جهاد الكفار:

قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «ومِنْ أفضل الجِهادِ جِهاد المنافقين في زَمَن الغُربَة»(١).

وقال ابن القيم: «فقوامُ الدِّين بالعِلمِ والجِهَاد؛ ولهذا كان الجهاد نوعين: جِهَاد باليد والسِّنَان وهذا المشارك فيه كثير.

والثَّاني: الجِهَاد بالحُجَّة والبَيَان وهَذا جهاد الخَاصَّة مِن أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو جهاد الأئمة وهو أفضل الجهادين لعظم منفَعَتِه وشدة مؤنته وكثْرَة أعدائه، قال تعالى في سورة (الفرقان)، وهي مكية: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الفرقان: ٥١-٥٢]، فهَذا جِهَادٌ لَهم بالقرآن وهو أكبرُ الجِهادين، وهُوَ جِهاد المنافقين أيْضًا، فإنَّ المُنافقين لم يكونُوا يُقاتِلُون المُسلِمِين، بَل كَانوا معَهُم في الظَّاهِر، ورُبَّما كَانوا يُقَاتلون عدوَّهُم معهم، ومَعَ هَذا فقد قال تعَالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ﴾ [سورة التوبة: ٧٣]، ومعلوم أن جهاد المُنافِقين بالحُجَّة والقرآن»(٢).

القاعدة الثامنة والعشرون: الأصل ستر أسماء المنافقين إلا...

قد سبَقَ ولله الحَمد حديث موسَّعٌ عَن هذه القاعدة في مبحث مضى(٣) بما لا حاجة لتكرَار ما ذُكر هنَاك، إلا أنَّ بعض الإيضاح لا بد من ذكره هنا عبر نقاط هي:

لم يُثْبت لدي خِلال بحثي -المتواضع- أنَّ النَّبيّ ﷺ قد صرَّح بأسماء المنافقين إلا في مواضع:

---

(١) ينظر «الرسائل الشخصية»: (الرسالة ٤٢) (١/ ١٧١).

(٢) ينظر «مفتاح دار السعادة»: (١/ ٢٧١).

(٣) انظر المبحث: (صـ: ٨٣٣).

١. ما كان مِن ذِكرِه لأسماء بعْضِهم لأمين سرِّه حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٢. عن ابن عمرَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمع رسول الله ﷺ قال في صَلاة الفجر حين رفع رَأسهُ مِن الركعة، قال: «رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ» في الركعة الآخرة، ثُمَّ قال: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا»، دَعا على ناس من المُنافقين، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٦١ ﴾ [سورة الأنعام: ١٦١](١).

٣. عن عائِشَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: قَال النَّبيّ ﷺ: «مَا أَظُنُّ فُلَانًا وَفُلَانًا يَعْرِفَانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئًا». قال الليث: «كانا رَجُلَين من المُنافقين»(٢).

٤. عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَال: «إِنَّهُم غزو غزاة بَين مكة والمدينة، فَهَاجت بهم ريحٌ شدِيدَة دفنت الرِّجال، فقال النَّبيّ ﷺ: «هَذَا لِمَوْتِ مُنَافِقٍ»، قَال: فقدمنا المدينةَ فَوجَدنا مُنافقًا عظيم النفاق قد مات يومئذ(٣).

٥. عن عَائشَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: «كانَ رَسُول الله ﷺ سُحر حتَّى كان يَرى أنه يأتِي النِّساء ولا يَأتِيهن، فقال: «يَا عَائِشَة، أَعَلِمْتِ أَنَّ اللهَ قَدْ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؟ أَتَانِي رَجُلَانِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلِي، فَقَالَ الذِي عِنْدَ رَأْسِي لِلآخَرِ: مَا بَالُ الرَّجُل؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ، قَالَ: وَمَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لُبَيْدُ بْنُ الأَعْصَمِ» ، رَجل من بني زريق حَليف ليهود كان منافقًا»(٤).

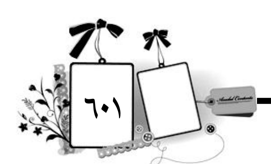
---

(١) قال المحقق أحمد شاكر: إسناده صحيح، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، رقم: (٦٣٤٩).

(٢) رواه البخاري، ك الأدب، باب ما يجوز من الظنِّ: (ح ٦٠٦١).

(٣) رواه أحمد في «المسند»: ح (١٤٦٧٦)، قال الأرناؤوط: صحيح، وصححه الألباني في «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان»: ح (٦٤٦٦).

(٤) رواه البخاري: ح (٣٢٦٨)، ك بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، ورواه مسلم: ح (٢١٨٩)، ك السلام باب السحر.



هذه بعض الأحاديث التي عَثُرت عليها مما صحَّ ممَّا يُشير إلى بيان أشخاص هم من المنافقين بأعيانهم.

أحاديث ضعيفة ومنكرة:

١- حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «قامَ فِينا رسول الله ﷺ يوم جُمُعَة خطيبًا فقال: «قُمْ يَا فُلَانُ فَاخْرُجْ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ، اخْرُجْ يَا فُلَانُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ»، فأخرجهم بأسمائهم فَفَضَحهم، ولم يكن عُمَر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شَهِد تلك الجُمُعة لِحَاجة كَانَت له، فلَقِيَهم عمر وهُمْ يَخرجون من المسْجِد فاختبَأ منهم استحياءً أنَّه لم يشهد الجمعة، وظَنَّ الناس قد انصرفوا واخْتَبئوا هم من عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَظَنُّوا أنه قد علم بأمْرِهم، فدخل عمرُ المَسجِد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإذا النَّاس لم ينصرفوا، فقَال لَه رَجُل: أبشر يَا عمر، فَقد فَضَح الله المنافِقِين اليَوم، فهذا العَذاب الأوَّلُ، والعذاب الثاني عذاب القبر»(١). وهذ لم يثبت برواية صحيحة.

٢- وكذلِكَ حدِيث ابْنُ مَسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «خَطَبَنا رَسُول الله ﷺ، فَذَكر في خُطبَتِه ما شاء الله عَزَّوَجَلَّ، ثم قَال: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مَنْكُمْ مُنَافِقِينَ، فَمَنْ سَمَّيْتُ فَلْيَقُمْ، قُمْ يَا فُلَانُ، قُمْ يَا فُلَانُ، حَتَّى عَدَّ سِتَّةً وَثَلَاثِينَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ فِيكُمْ أَوْ إِنَّ مِنْكُمْ فَسَلُوا اللهَ العَافِيَةَ»، قال: فمرَّ عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برجُل متقنع قد كَان بينه وبينَهُ معرفة، فقال: ما شَأنك؟ فأَخبَرَه بما قال رسول الله ﷺ فقال: بُعدًا لك سائر اليوم»(٢).

---

(١) رواه ابن جرير الطبري: ح (١٧١٢٢)، و«تفسير ابن كثير»: (٢/ ٣٨٤). و«تفسير الطبري»، (١٤/ ٤٤١). و«تفسير أبي حاتم»: (٦/ ١٨٧٠). و«فتح القدير»: (٢/ ٥٨١)، والهيثمي في «المجمع»: (٧/ ٣٣)، والطبراني في «الأوسط». وهذه الرواية لم تثبت صحتها ففي سندها الحسين بن محمد بن عمرو العنقري، قال عنه أبو زرعة الرازي: كان لا يصدق. «المغني في الضعفاء»: (١/ ١٧٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده»: رقم (٢٢٣٨٤)، قال محققه الأرناؤوط: إسناده ضعيف ومنكر.

وهنا سؤال: لماذا حرص النَّبيّ ﷺ على إخفاءِ أسْمَائهم إلا من ذُكر؟ والجواب: لأسباب منها:

١. ليكونَ ذَلكَ أدْعَى للتَّوبَة من النِّفاق وقَد تَاب بعض المنافقين.

٢. ليَبْتَلي الله المُؤمنِينَ بالمنافقين(١).

٣. لكي لا ينحصر شأنُ النِّفاقِ في أذْهَان بعضِ المُسلمين على من ذُكرت أسْمَاؤهم، بَل هم أكثَر مِن ذلك، لا كَثَّرَهُم اللهُ، يتعاقبون عبر القرون والأزمان جيلا بعد جيل.

٤. وفي هذا تأكيدٌ لِقاعدة الأخذ بالظَّاهر وإيكال سرائرهم إلى الله.

وهُنا سؤال أيضًا: لماذا أخْبَرَ النَّبيّ ﷺ حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأسمائهم(٢).

والسُّؤال الآخَر: ما الأحْوَال التي يجب فيهَا التَّعامل مع المُنافقين بإشهار أسْمَائهم لبيان عوارهم وفضائحهم؟.

لا أظن أحد أبدًا يعترض على أنَّ المُنافِق إذا عظم البلاء به نِكَاية في المسلمين، بما يُورِده من شبهٍ، أو يَنشُره من أكاذيب، أو يُدلِّس به من حوارات، أو يبثه من مؤلفات، أو يحيك من مؤامرات، أو ينفِّذُه من مخططات الأعدَاءِ في بلاد المسلمين، أنه لا بُدَّ والحالُ هذه من هتك أسْرَاره وفضح أخباره، ونَشر خَزاياه وتعرِيَته أمام الملأ، والرَّد عليه باسْمِه وصفته ورسمه وشأنه كلِّه.

وسأكتفي هُنَا بِضَرب أمْثِلة عَلى من يجب ذكر أسمَائِهم وتعرية أدوارهم، ممَّن قَادوا مسيرة من مسيرات التغريب: (تَغريبُ المرَأة المُسْلمة)، وكَانوا سببًا في فسادها وتحللها من قيمها وأحكام دينها:

---

(١) ينظر «الإجابات الجلية عن الشبهات الرافضية»: (١/ ٤٤)، لعبد الرحمن السحيم.

(٢) أحببت ألا أذكر الجواب هنا لحاجة الرجوع إلى مبحث موسع: (٣٩٨).



١ـ قاسم أمين:

الذي رَحَل إلى فرنسا ليتمَّ تَعليمه هناكَ، وانبهَر بالحَياة في أوربا، حتَّى أنَّه صرح بأن: أكْبَر الأسباب في (انحطاط) الأمَّة المصرية تأخرها في الفنون الجميلة التمثيل والتصوير والموسيقى(١).

وهو القائل:... ولهذا كانَ أمَامها -أي مصر- طريقان: العودَة إلَى تَقاليد الإِسْلام أو محاكاة أوربا؛ وقَد اختارت الطريق الثان، إنَّها قَد خطت اليوم بعيدًا في هذا الطَّريق حتى ليصعب علَيهَا الارتداد عنه، إن مِصر تَتحوَّل إلى بلد أوربي بطريقَةٍ تُثير الدهشة، وقَد أخذت إدارتُها وأبنيتها وآثارها وشَوارعُها وعاداتها ولغَتُها وأدبها وذوقها وغذَاؤها وثيابها تتَّسمُ كُلُّها بطابع أوربي..

لقد اعْتَاد المصريون قضاء الصيف في أوربا (؟!) كَما اعتاد الأوربيون قضاء الشتاء في مصر، فلَعلَّ أوربا تقدِّر لِمصر مسيرتها، ولعلها ترد لها يومًا بعْضَ هذا الود الكبير الذي تكنه لها مصر(٢).

وألف كتابه «تحرير المرأة» سنة (١٨٩٩ م)، ودعَا فيه إلى ما دعا إليهِ الصَّليبي (مرقص فهمي) المُحامي في كتابه «المرأة في الشرق»، الذي نادى فيه صراحَةً وللمَرَّة الأولى في تاريخ المرأة المُسلِمة إلى تحقيق أهداف خمسة محددة وهي:

١ - القضاء على الحِجَاب الإِسْلامي.

٢- إباحة اختِلاط المَرأة المسلمة بالأجانب.

٣- تقييد الطلاق وإيجَاب وقوعِه أمام القاضي.

---

(١) كتاب «كلمات»، تأليف قاسم أمين: ص (٢٤).

(٢) «قاسم أمين - الأعمال الكاملة»، تحقيق دكتور محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٦: (ج ١/ ص ٢١٧).

٤- منع الزواج بأكثَر مِن واحدة.

٥- إباحة الزَّواج بين المسلمات والأقباط(١)، إلا أن قاسم أمين لم يتعرض لمسألة زواج المسلمات من الأقباط(٢).

ثم أصْدَر كتابه «المرأة الجديدة»، الذي نادىٰ فيه بالاتِّجاه الأعمىٰ إلىٰ تقْلِيد الغرب فكريًّا واجتماعيًّا، و(المرأة الجديدة) التِي قَصدها (قاسم أمين) هي المَرأة الأوربية التي أراد من المصرية أن تَتحوَّل إليها وتتخذها مثلًا أعلىٰ، قال قاسم:

(هَذا التَّحوُّل هُو كل ما نقصد، وغاية ما نسعىٰ إليهِ هُو أن تصل المرأة المِصرية إلىٰ هذا المقام الرفيع، وأن تخطو هذهِ الخُطوة إلىٰ سُلَّم الكمالِ، وأنْ تَكُون مثلها تحررًا، فَالبنات في سن العشرين يتركن عائِلاتهن ويُسافرن من أمريكا إلىٰ أبعد مكان في الأرض وحدَهُن، ويقْضِين الشُّهور والأعوام متَغيِّبات في السياحَة، متنقلات من بلد إلىٰ أُخرىٰ، ولم يخطر علىٰ بالِ أحَدٍ مِن أقاربهن أن وحْدَتهن تعرضهن إلىٰ خَطر ما، وكان من تحررها أن يكون لها أصحاب غير أصحْاب الزوج، والرجل يرىٰ أن زوجته لها أن تَميل إلىٰ ما يوافق ذَوقها وعقلها وإحساسها، وأن تعيش بالطريقة التي تراها مستحسنة في نظرها)(٣).

وعلىٰ دربه سار: سعيد عقل، ولويس عوض، ولطفي السيد، ونجيب محفوظ، وعدد من أعضاء المحفل الماسوني، ومن الشُّعَراء صادق الزهاوي، ونزار قباني وغيرهم(٤).

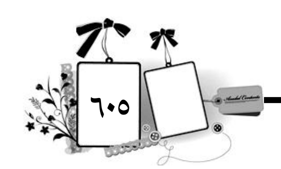
---

(١) «تاريخ الإمام محمد عبده»، للشيخ محمد رشيد رضا: (١/ ٦٢٠- ٦٢١).

(٢) (٤٥) مجلة الهلال - العدد الماسي: ص (٢٢٥) من الهلال: (ج ٧ م ٦٦).

(٣) «آثار باحثة البادية»: ص (٢٧٤).

(٤) «مجلة البيان»: (١٤٩/ ٦٢).



٢ـ سعد زغلول:

كان لا يقل تحمسًا لتَحريرِ المَرأة عن شيخه الشيخ (محمد عبده)، وصَديقُه (قاسم أمين) إن لم يكن أكثر حماسًا وفاعلية مِنهُما؛ فهُوَ الرجل الذي قُدِّر له أن يقرر تاريخ مِصر طوال العقد الثالث من هذا القرن.

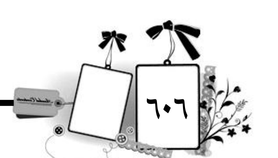
وللعلم فهو ممَّن تَخرَّجوا من الأزهر الشريفِ، ودَرَسوا الحقوق، واحترفوا المحاماة، واتصل برجالِ تُركيا الفَتاة الذين قضوا على الخِلافة الإِسْلامية في تركيا، وكانت الأميرة (نازلي فاضل) تُؤيِّد أفكارهم، فالتقَتْ فِكريًّا بسعد زغلول، وعَهِدت إليه بالإشراف على ممتَلكَاتها، وعن طريق منتداها بدأ نجْمُه يبزغ في ظِلِّ نجم الأميرة ونجْم الشَّيخ (محمد عبده)، ثُمَ سطع نجمه عندمَا مَثل أول أدواره السياسِيَّة بوصفه صهر (مصطفى فهمي باشا) رَئيس الوزراء المصري، وأَحدُ المقربين إلى اللورد (كرومر) سنة ١٩٠٧.

ثمَّ عنْدَما أسسَ حِزب الأمة الذي باركَ اللورد كرومر تكوينه؛ راجيًا أن يَحُدَّ بِهِ من نفوذ الحزب الوطني ذي النَّزعة الإِسْلامية بقيَادة مصطفى كامل، ثُمَّ أسند اللورد لسَعد زغلول نظارة وزارة المَعارف مكافأة له علَى خدماته قبل أن تتغير الاتجاهات السياسية في مصر في نهاية الحرب العالمية الأولى وثورة سنة ١٩١٩)[1].

وكان أول وزير مِصري في ظل الاحتِلال: لقَدَ بدأ (الزعيم) حَياتَه السياسية صديقًا للإنْكلِيز، وختمها كذلك صديقًا للإنكلِيز، وبَدأها بمصاهرة أشْهَر صديق للإنكليز عَرفته مصر في تاريخ الاحتلال الإنكليزي من أوله إلَى آخِره، وهو (مصطفى فهمي باشا) أول رئيس وزراء في مصر بعد الاحتلال.

---

(١) «المؤامرة على المرأة المسلمة»: ص (١٩ – ٢٠).



وقد اختار اللورد (كرومر) سعدًا وزيرًا للمعارف فَحاوَل بمجرد تعيينه إحباط مشروع الجَامِعة المصرية، وتصدىٰ للجمعية العمومية حينما طالبت الحكومة في مارس ١٩٠٧ بجعل التعليم في المدارس الأميرية باللغَةِ العَربية، وكان وقتئذ بالإنكليزِيَّة، وكان الاحتلال هو الذي أحل اللغةَ الإنكليزية محل العربية في التدريس[١]، ولمَّا تولىٰ سعد زغلول زعامة الشعب في عام ١٩١٩ اشترط علىٰ السِّيدَات اللواتي يحضرن سَمَاع خطبه أن يزحن النِّقاب عما سمح اللهُ بِه من وجوههن، وكانت هذه أول مرحلة عملية للسفور[٢]. أ. هـ.

ولما قدم سَعد مِن مَنفَاه، هيئ الجَو في الإسكندرية لاستقباله وأُعدَّ سُرادق كبير للرجال وآخر للنِّساء المحجبات، وأقيمت الزِّينات في كل مكان، ونَزل (سعد) مِن البَاخِرة وعلىٰ استقبال حَافل وهتافات أخذ طريقها إلَىٰ سُرادق النِّساء -دون سرادق الرجال-، فلما دخل علىٰ النِّساء المحجبات استقبلته (هدىٰ شعراوي) بحجابها، فمد يَدَه -يا ويله- فنزع الحجاب عَن وجْهِها تبعًا لخُطَّة معينة وهو يضحك.. فصَفَّقَت هدىٰ، وصفَّقَت النِّساء لهذا الهتك المشين، ونَزعنَ الحِجَاب.

ومن ذلك اليوم أَسْفَرت المرأة المصرية استجابة لـ (رجل الوطنية) سعد، وأصبح الحجاب نشازًا في حياة المسلمة المصرية، لقد فعل (سعد) بيده ما دعا إليه اليهودي القديم بلسانه فكلفه دمه[٣]؟!

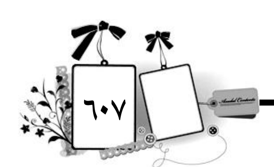
سعد زَغْلول الذي صَحِبَته زوجته صفية زغلول في باريس لِحُضور مؤتمر

---

(١) «مصطفىٰ كامل»، للرافعي: ص (٢٣٩، ٤٣١)، وانظر مواقفه (الوطنية)! المماثلة في «الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر»، للدكتور/ محمد محمد حسين: (٢/ ٣٧٣ - ٣٩٣).

(٢) «الأخوات المسلمات»: ص (٢٥٥).

(٣) «عودة الحجاب»: (١/ ٧٣).



الصلح سنة ١٩٢٠م لعرض القضية المصرية، وقد مَكَثت صفية ترتدي الحجاب إِلَى أَنْ عَادت مع سعد زغلول إلى مصر بَعد عودته من مَنْفاه، وعلى ظهر الباخِرَة التي نقلتْهُما إلى الاسكندرية وجد سَعْد البحر وقد امتَلَئ بأُلُوف المخدوعين يستقبلونه بالقَوارب، وقالَ سَعد لصفية: (ارفعي الحجاب)، وتدَخَّل (علي الشمسي)، و(واصف بطرس)! -مِن أَعْضَاء الوفد- وعارضا في ذلك، فقَال سعد زغلول: (المَرأة خرجت إلى الثورة بالبُرقع، ومِن حَقِّها أن ترفع الحجاب اليوم)، ورَفعَت صفية زغلول الحجاب، ثُمَّ وَقفت إحدى صنائع الاستعمار تَخطُب في القاهرة في احتفال الشَّعب المخدوع بقدوم (الزعيم)، وطلب منها رفع الحجاب وعندئذ رفعت الحاضرات الحجاب[1] اهـ

وقد نشرت مجلة (المصور) في عدَدِها الخاص الصادر في ٢٣ ديسمبر ١٩٢٧ بعد وفاة سعد زغلول صورَة جنازته، وقد كُتِب تحتها: (الأمة والحكومة تشيعان الفقيد العظيم) وتَحتَ الصُّورة مباشرة كتبت العبارة التالية: (وفد البنائين الأحرار - الماسون - في تشييع جنازة الزعيم الكبير، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ قطبًا من أقطاب الماسونية).

ومن قبل ذلك نشَرَت جريدة (المقطم) في عددها الصادر يوم الجمعة ٢٦ أغسطس في الصفحة الأولى العبارة التالية: (حداد الماسونية على فقيد البلاد الأعظم.. فقدت الماسونية المصرِيَّة بفقد سعد العظيم الخالد، عضدًا كبيرًا وفضلًا كثيرًا وذخرًا وفيرًا كانت تعتز بفضله.. وستقام حفلة جنازٍ ماسونية للفقيد الأعظم يعلن موعدها فيما بعد) اهـ.

---

(١) «الأخوات المسلمات»: ص (٢٥٥).

٣ـ هدى شعراوي:

من رواد الانعِتَاق من القيم والتَّحلل من أحكَامِ الشرعِ، ممَّن تَحمَّل وزرها ووِزْر من ساروا علىٰ خُطَاها إلىٰ يوم القيامة، داعية الاختِلاط ونَازعة الحِجَاب التي أخذت تؤسِّسُ الجماعات وتقيم الحَفَلات، وتعقد الندوات والمحاضرات، زعيمة (الحركة النسوية).

التِي تَجرَّأت علىٰ ما لم تتجرأ عليه امرأة مُسلمة مِن قَبل، فسافرت إلىٰ بَاريس، وإلىٰ أمريكا لدراسة شئون المَرأة، وأخذت تلقي بالتصريحات والأحاديث لمندوبي الصحف وغيرهم واحدا تلو الآخر.

قائدة المظاهرة النسائية في مَارس عام ١٩١٩م مع زوجة سَعد زغلول (صفية زغلول) التي طافت شوارع القاهرة هاتِفَة بالحرية في طريقها إلىٰ دار المُعتمد البريطَاني لتُقدِّم إليه احتجاجا مكتوبًا علىٰ تعسف سلطات الاحتلال، وقد كان عدد المتظاهرات يربو علىٰ الثلاثمائة، تقول صفية زغلول في مذكراتها:

(وبينما كنت أتأهب لمغادَرِة مَنزلي في ذلك اليوم للاشتراك في المُظاهرة، بادرني زوجي بالسؤال: إلىٰ أين تذهبينَ والرَّصَاص يدوي ويَتساقط في أنحاء المدينة؟ فأجبتُ: للقيام بالمظاهرة التي قرَّرَتها اللجنة! فأرادَ أن يمنعني، فقلت له: هل الوطنية مقصورة عَليكُم معشر الرجال فَقط وليس للنساء نصيب فيها؟ فأجابني: هل يُرضيك إذا تَحرَّش بكن الإنجليز أن يفْزَع بعض النساء ويولولن (يا أمي... يا لهوتي!). فَقلت لَه: إن النساء لسن أقل منكم شَجَاعة ولا غيرة وقومية أيها الرجال، وتركتُه وانصرفتُ لألحق بالسيدات اللاتي كن في انتظاري...)[(١)]، هذه المُظاهرة هي التي قال فيها (حافظ إبراهيم) يصف تعرض الجيش البريطاني لها متهكمًا:

---

(١) «عودة الحجاب»: (١/ ١٠٠).



خَرَجَ الغَوَانِي يَحْتَجِجْنَ وَرُحْتُ أَرْقُبُ جمعهنه ... فَإِذَا بِهِنَّ تَخِذْنَ مِنْ سُودِ الثِّيَابِ شِعَارَهُنَّه

وَظَلَلْنَ مِثْلَ كَوَاكِبٍ يَسْطَعْنَ فِي وَسَطِ الدجنه ... وَأَخَذْنَ يَجْتَزْنَ الطَّرِيقَ وَدَارَ سَعْدٍ قصدهنه

يَمْشِينَ فِي كَنَفِ الوَقَارِ وَقَدْ أَبَنَّ شُعُورَهُنَّه ... وَإِذَا بِجَيْشٍ مُقْبِلٍ وَالخَيْلُ مُطَلَقَةُ الأَعِنَّه

وَإِذَا الجُنُودُ سُيوفُها قَدْ صُوِّبَتْ لِنُحُورِهِنَّه ... وَإِذَا المَدَافِعُ وَالبَنَادِقُ وَالصَّوَارِمُ وَالأَسِنَّه

وَالخَيْلُ وَالفِرْسَانُ قَدْ ضَرَبَتْ نِطَاقًا حولهنه ... وَالوَرْدُ وَالرَّيحَانُ فِي ذَاكَ النَّهَارِ سِلَاحُهُنَّه

فَتَطَاحَنَ الجَيْشَانِ سَاعَاتٍ تَشِيبُ لَهَا الأجنه ... فَتَضَعْضَعَ النِّسْوَانُ وَالنِّسْوَانُ لَيْسَ لَهُنَّ مُنَّه(١)

ثُمَّ انْهَزَمْنَ مُشَتَّتَاتُ الشَّمْلِ نَحْوَ قُصُورِهِنَّه ... فَلْيَهْنَأ الجَيْشُ الفَخُورُ بِنَصْرِهِ وَبِكَسْرِهِنَّه

فَكَأَنَّمَا الأَلْمَانُ قَدْ لَبِسُوا البَرَاقِعَ بِينَهُنَّه ... وَأَتَوا بِهِنْدِنْبِرْج(٢) مُخْتَفِيًا بِمِصْرَ يَقُودُهُنَّه

فَلِذَاكَ خَافُوا بَأْسَهُنَّ ... وَأَشْفَقُوا مِنْ كَيْدِهِنَّه(٣)

وتشكَّلت لَجنة الوفد من السَّيدات اللاتي اجتمعن برئاسة (هدىٰ شعراوي) بالكَنِيسة المرقصية (يوم ٨ يناير سنة ١٩٢٠)، ومُنذُ ذلك التاريخ انتقل التَّنظيم النِّسائي إلىٰ مرحلة العمل المنظم علىٰ أساس أنَّه هَيئة مستقلة حرَّة مُعترف بها، لها الحق في أن تشارك في مجريات الأحداث التي تمر بها البلاد(٤).

وَقد ذكرت (صافي ناز كاظم) أن: (هُدىٰ شعراوي وسيزا نبراوي ألقتَا حجابهما وداستاه بأقدامهما فور وصولهما من مؤتمر النِّساء الدولي الذي عقد بروما صيف ١٩٢٣ م)(٥). أ. هـ.

---

(١) أي: قوة.

(٢) هو رئيس الجمهورية الألمانية وقائد جيشها، انظر «الموسوعة العربية الميسرة»: ص (١٩٠٥).

(٣) (المصور) ٢٢ يناير ١٩٨٢ م ص (٧٥).

(٤) «عودة الحجاب»: (١/ ٧٢).

(٥) «مسألة السفور والحجاب»: ص (٩)، وانظر «المرأة المصرية»، لدرية شفيق: ص (١٣٤ - ١٣٥).

لقاء (هدىٰ) و(أتاتورك):

عقد المؤتمر النِّسائي الدَّولي الثاني عشر في استانبول في ١٨ إبريل ١٩٣٥ م، وكَانت هدىٰ شعراوي رئيسة وفْد من اثْنَتي عشر سيدة، وقَد انتخب المؤتمر (هدىٰ) نائِبَةً لِرئيسة الاتحاد النسائي الدولي، تقول (هدىٰ) في مذكراتها:

(وبعد انتِهَاء مؤتمر استَانبول وصلتنا دعوة لحُضُور الاحتفال الذي أقامه (مصطفىٰ كمال أتاتورك)، مُحرِّر تركيا الحديثة.. وفي الصَّالون المجاور لمكتبه وقَفَت المندوبات المدعوات علىٰ شكلِ نِصف دائرة، وبعد لحظات قليلة فتح الباب ودخل (أتاتورك) تحيطه هالة من الجلال والعظمة، وسَادنا شعور بالهيبة والإجلال،... وعِندَما جاء دوري تحدثت إليهِ مُباشرة من غير ترجمان، وكَان المنظر فريدًا أن تقف سَيِّدة شرقية مسلمة وكيلة عن الهيئَة النسائية الدولية وتُلقي كلمة باللغة التركية، تعبر فيها عن إعجاب وشُكر سيدات مصر بحركة التَّحرير التي قادها في تركيا[١]، وقلت: إنَّ هَذا المثل الأعلىٰ من تركيا الشَّقيقة الكبرىٰ للبلاد الإِسْلامية شجَّعَ كل بلاد الشرق علىٰ محاولة التَّحرُّر والمطالبة بحقوق المرأة.

وقلت: إذا كانَ الأتراك قد اعتَبروكَ عَن جدارة أباهم، وأسموك (أتاتورك)، فأنا أقول إنَّ هذا لا يكفي، بل أَنْتَ بالنسبة لنا (أتاشرق)، فتأَثَّر كثيرًا بهذا الكلام الذي تفرَّدْتُ به، ولم يصدر معناه عن أية رئيسة وفد، وشَكرني كثيرًا في تأثر بالغ، ثُمَّ رَجوته في إهدائنا صورة لفخَامَته لنشرها في مجلة (الإجيبسيان)، وذكرت هدىٰ في حديث لها مع جريدة المقطم بعد عودتها إلىٰ مصر ما معناه: إن ما أحدثه الغازي العظيم بلا ريب من نعمة الأقدار علىٰ أخواتنا في استانبول)[٢].

---

(١) «عودة الحجاب»: (١٩٣: ٢٠٢).

(٢) (حواء)، العدد: (١٢٥٦)، (١٨ أكتوبر ١٩٨٠ م): ص (١٦)

٤- درية شفيق:[(١)]

تلميذة وفيَّة من تلميذات (لطفي السيد) رَحَلت وحدها -بمجَرَّد تخرجها- إلىٰ فرنسا لتحصل علىٰ الدكتوراة، ثُمَ تعود لتشكل حزب (بنت النيل)، ثم ترحل إلىٰ إنكلترا حيث تُقابل بحفاوة بالغة، قيل: أنَّه لم ينل مثلها كثيرٌ مِن رؤساء الدول وزعمائها، ورحَّبَت بها الصحف البريطانية دون استثناء، ونشَرت عنها الأحاديث العَديدة التي تصورها بصورة الدَّاعية الكبرىٰ إلىٰ تحرير المرأة المِصريَّة من أغلال الإِسْلام وتقاليده.. أغْلال الحجاب والطلاق وتعدُّد الزوجات، ومن هذه الأحَادِيث ما كتبه مراسل جريدة الـ (سكتشمان) يقول: (إنَّ الأَهْدَاف المباشرة لحزب بنت النِّيل هِي كما أوضحتها الدكتورة (درية شفيق) : منح المرأة حق الاقترَاعِ وَحق دُخول البرلمان، والمَطمَع الثاني الذي تهدف الدكتورة لتحقيقه هو إلغاء تعدُّد الزَّوجات وإدخال قوانين الطلاق الأوربية في مصر) اهـ.

ولما عادت إلىٰ مِصر عَظم نَشاطها وتوفرت لها أَسْبَاب الحماية والحرية، وتهيأت لها عوامل النشرِ والإذَاعة، حتَّىٰ لَقد حيل بين أهل الرأي ودعَاة الدين وحُمَاته،

---

(١) درية شفيق من رواد حركة تحرير المرأة في مصر في النصف الأول من القرن العشرين، وينسب لها الفضل في حصول المرأة المصرية علىٰ حق الانتخاب والترشح في دستور مصر العام ١٩٥٦، ومؤسسة لدوريات أدبية وباحثة ومناضلة ضد الوجود البريطاني في مصر. ولدت في مدينة طنطا في دلتا النيل العام ١٩٠٨، درست في مدرسة البعثة الفرنسية في طنطا، تم ارسالها ضمن أول فوج طالبات من قبل وزارة المعارف المصرية للدراسة في جامعة السوربون في باريس علىٰ نفقة الدولة، وهي نفس الجامعة التي حصلت منها علىٰ درجة الدكتوراة في الفلسفة العام ١٩٤٠، وكان موضوع الرسالة «المرأة في الإِسْلام»؛ حيث أثبتت في رسالتها أن حقوق المرأة في الإِسْلام هي أضعاف حقوقها في أي تشريع آخر. ينظر «مصرية خالدة – درية شفيق»، بنت النيل «أخبار اليوم – تاريخ الوصول ١٤ يوليو–٢٠٠٨.

وبينَ الرَّد علىٰ دعوتها التي وصفتها هِي نفسها بأنها تريدُ للمَرأة (حقًا في الحرية، الحرة المطلقة من كل قيد)(١).

وقد أعلنت المَندُوبة الإسرائيلية المَذكورة ارتياحها بالمَندوبة المصرية بلنْدَن ومصاحبتها لهَا إلىٰ نابولي، حيث قَالت فيما نشرته الصحف الإيطالية والفرنسية: إنني أهَنئ نفسي بهذا الاتصال الذي ربط بيني وبينَ السيدة (درية شفيق)، وإنني أعلن لعضوات المؤتمر السادس عشر في نابولي أني عقَدتُ آمَالي علىٰ الزعيمة المصرية لحَلِّ جميع المشكلات بين البلدين: إسرائيل ومصر، وقد نَشرت مجلة نسوية مصرِيَّة الصور المختلفة لدرية شفيق مع رئيسَة وفد إسرائيل نقلًا عن الصحف الإيطالية، كما نشرت صورة زنكوغرافية لمقال نَشَرته بعض الصحف الإسرائيلية الصادرة في (تل أبيب) باللغة العبرية وكانت صورة (درية شفيق) وهِي تُحادث مندوبة إسرائيل تزين (!) المقَال المذكور، وقَد جاء في هَذا المقال بعد ترجمته: إنَّ تَل أبيب تتوقع أن الحَوادث المقبلة ستزيد مكانة (درية شفيق) شأنًا ورفعة(٢). اهـ.

وتجهر (درية شفيق) بالدَّعوة إلىٰ التَّبعيَّة المطلقة للغرب ولبريطانيا التِي كانت تحتل مصر آنذاك علىٰ وجه الخصوص، فتقول: مشيدة بجهود (طه حسين) ومَدرسته من أصدقائه وتلامذته في القضاء علىٰ ما أسمته (التقاليد السخيفة) حتَّىٰ أَخَذ الناس بِفَضْلها يتسابقُون في تحرير بناتِهم ثُمَ تقول: وكان من نتيجة هذه الجهود مجتمعة أن تيسر تحقيق حلم الخديوي إسماعيل القديم وهو اعتبار مصر جزءًا من أوربا(٣)

---

(١) «تطور النهضة النسائية»: ص (٦٠).

(٢) نقلًا عن: «الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار والصهيونية العالمية»، محمد فهمي عبدالوهاب: (٢٨ - ٥٠) باختصار.

(٣) ينظر «تطور النهضة النسائية في مصر»: (ص: ١٥).

هذه المرأة هي التي قادت مُظاهرة الجامعة الأمريكية في إبريل سنة (١٩٥١ م) بتحريض من وزير الشئون الاجتماعية البريطانية (سمر سكيل) حين اجتمعت به في مصر.

وقادت الإضراب عن الطعام والاعتصام بنقابة الصحافيين في (١٢ مارس ١٩٥٤ م)؛ مطالِبَة بحقوق المرأة المزعومة(١).

ولذلك لم يُعْجِب هَؤُلاءِ الذين استمعوا إلى المذيع البريطاني المذكور حينَما تكلم إلى بلاده حينذاك قائلًا ما ملخصه: (جاءتْنِي الدكتورة (درية شفيق) زَعيمة حزب بنت النيل وقَد شكت إليَّ من أن الجهات المسئولة في مِصر تعارض بشدة مطالبتها بحقوق المرأة السياسية، وكفاحها من أجل تمثيل المَرأة داخل البرلَمان المصري، وطلبت منِّي أن أناشد الصحف البريطانية كي تؤازرها بِكلِّ ما تستطيعُه، وأن تضغط على الدَّوائر المصرية حتى تكُف عن معارضتها القائمة).

ثم أوصى (حضرته) في رسالته: (بضرورة مؤازرة هذه الزعيمة في دَعوتِها إلى تحرير المرأة المِصريَّة؛ عملًا بميثاق هيئة الأمم المتحدة الذي تحتكم إليه الزعيمة، والذي ينص على تطبيق مبدأ المساواة في الحقوق السياسية والاجتماعية بين الرجال والنساء في الدول الأعضاء والتي من بينها مصر)(٢). اهـ.

وفي عهد وزارة (علي ماهر) إذا به يَسمح لها بالسفر إلى لَندن لحُضُور المؤتمر النسائي الدولي هُناك، ثم تنتقل بعد ذلك على الفورِ بِصحبة مندوبة إنكلترا لحُضُور المؤتمر النِّسائي في نابولي، وقد استقبلتها الصحف الإنجليزية جميعها على عادتها استقبالًا حارًّا علقت عليه بعض الصحف المصرية -في دهشة- بأنه استقبال لم يحدث له مثيل.

---

(١) السابق: ص (٤٥ - ٤٦).

(٢) انظر تفاصيل تلك المهزلة في كتابها «المرأة المصرية»: ص (٢٠١ - ٢٠٨).



وفي أثناء انعِقاد المُؤتمر اتصلت بوفد إسرائيل ورئيسته المذكورة طوال الأيام التي مكثتها هناك، ونَشَرت الصحف الأوربية وبعضُ المجلات النسَويَّة المصرية الصور الكثيرة التي بدت فيها الدكتورة (درية شفيق) في أحاديث هامة وأوضاع شتىٰ مع هذه الإسرائيلية الخطيرة[(١)].

٥- سيزا نبراوي:[(٢)]

التِي تقُول في مذكراتها: (وعندما عدْتُ من الخارج؛ حيثُ عِشت حتىٰ بلغت الثامنة عشرة من عمري، كنتُ متَحرِّرة متحمِّسة، ولهَذا رفضت لبس البرقع، وأصررتُ عَلىٰ لبس القبعة، وبحكم الصداقة التي كانت بين والدتي وبين هدىٰ شعراوي أَخذَت تهدِّئ من ثورتي وتقنعني بأن الظروف غير مواتية للحصول علىٰ حقوقِ المَرأة مرة واحدة، وأنَّ المُطالبة بها في هدوء يجنبنا ثورة الرجال الذين كانوا كل شيء في ذلك الوقت)[(٣)].

(ولما تقدم الفنان مُصَطفىٰ نجيب للزواج منهَا قالت: إنَّها لا تستطيع أن ترتبط بحياة يكون من حقِّ أحَد طرفيها فقط أن يتخلىٰ عن التزَامِه فيها بالطلاق في أي

---

(١) نقلًا عن «الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار والصهيونية العالمية»، محمد فهمي عبدالوهاب: (٢٨ - ٥٠) باختصار.

(٢) سيزا نبراوي (واسمها الأصلي زينب محمد مراد)، وهي صديقة هدىٰ شعراوي في المؤتمرات الدولية والداخلية. وهما أول من نزع الحجاب في مصر بعد عودتهما من الغرب إثر حضور مؤتمر الاتحاد النسائي الدولي الذي عقد في روما ١٩٢٣م. ينظر «الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة»، المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإِسْلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د/ مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٠ هـ: (١/ ٤٥٤).

(٣) (مجلة حواء)، العدد ٢١/ ١٢/ ١٩٥٧ م.



وقت يشَاء، فتزوجها على أن تكون العصمة في يَدِها ولم يدم الزواج أكثر من أربع سنوات)[(١)].

(وفي أثناء مرور (غاندي) بمصْرَ عَائدًا إلى الهند بعد حُضُوره مؤتمر المائدة المُستديرة بلندن في ديسمبر ١٩٣١ م، فكرَت الهَيئات في إرسال وفودٍ عَنها لتحيته والتعبير عن مَشاعر المصريين نحوه، وقد سافر (محمود فهمي النقراشي) مندوبًا عن (الوفد)، والآنسة (سيزا نبراوي) مندوبة عن (الاتحاد النسائي)، وقد طلبت منه سيزا أن يوجه كلمة للسيدات المصريات، فكَتَب بالإنكليزية ما ترجمته بالعربية: (أرجُو أن تَلعَب الأخت المصرية نفْس الدَّور الذي تلعبه أخواتُها الهنديات في حركة تحرير أراضِيهم المحترمة؛ لأنِّي أعْتَقد أن عدم القسوة هو امتياز المرأة)[(٢)] اهـ.

٦- ماري إلياس زيادة:[(٣)]

(الأديبة السُّورية الأصل التي اشتهرت فيما بعد (بالآنسة مي)، وكان لها محفل يشبه مَحافل الباريسيات، يَجْتَمع فيه الرجال والنساء، وكَانت (مي) سَافرة

(١) ينظر «الأخوات المسلمات»: ص (٢٥٨ - ٢٥٩).

(٢) (مجلة حواء)، العدد ٤ أكتوبر ١٩٨٠ م، رقم: (١٢٥٤)، ص (١٦ - ١٧).

(٣) ماري إلياس زيادة (١٨٨٦ ـ ١٩٤١م)، نصرانية من الناصرة بفلسطين هاجرت للبنان ثم مصر، درست في مدارس الراهبات في لبنان وأتقنت عددًا من اللغات كان آخرها العربية، واشتغلت في صحيفة (المحروسة) التي أسسها أبوها بمصر، وكان لها صالون (اجتماع في بيتها) كل يوم ثلاثاء يأوي إليه كل (من هب ودب) كما يصف أنيس منصور، وكانت نصرانية متدينة تهتم بما عرف وقتها بقضايا المرأة، وتحاول زحزحة العقاد عن موقفه من المرأة وعن تراجعه عن نصرة النسويين، أحاط بها عددٌ من مفكري مصر؛ منهم العقاد ولطفي السيد وطه حسين، وراودها بعضهم عن نفسها وبعضهم اكتفى بالتغزل فيها والكتابة إليها، وكانت تقف قريبًا من الجميع، وكانت تحب خليل جبران وتراسله سرًّا، ثم ماتت كمدًا وحسرة بعد رحلة مع الجنون. احتلت مي زيادة مكانة بين الأدباء والشعراء، وصارت حدثًا في التاريخ الفكري في مصر والشام.

متحررة، يَجْتَمع في دارها في هَذا المحفل الذي أَسَّسَته سنة ١٩١٣م[١] أهل الأدبِ والسِّياسة والفَن ورجَال الأعمال والصَّحافيون، وكان المحفل يضم رجالًا ونساءً مِن طُرزٍ مُختلفة من الأوربيين والمصريين والعرب المقيمين بمصر، خاصة النصارىٰ منهم، وكان يؤمه من الشُّيوخ الأزهريين الشيخ مصْطَفىٰ عبد الرزاق، وكان يَضُم طائفة من العلمانيين واللادينيين والليبراليين والماسونيين أمثال: يعقوب صروف، وشبلي شميل، وأنطوان فرح، وإدريس راغب وغيرهم، وكانت (مي) غالية في تحررهَا، وقَد انْعَكس تأثير محْفَلِها علىٰ طبقة محصُورَة من الرِّجال والنساء الأوربيين والمِصريين، دون أن ينعكس انعكاسًا مباشرًا علىٰ أغلبية نِساء المجتمع المصري، وإنْ ظَلَّ يُؤرخ له علىٰ أنه أحد العوامل المساعدة في سَير الحركة النسائية نحو التحرر)[٢].

٧- **أمينة السعيد**:

وقَد تواتر لدىٰ الجميع أنَّها تُهاجم الحجاب الإِسْلامي بكل جَرأة، وهي -وإن كانت تلقفت الراية من (الزعيمات) السابقات- إلا أنَّها تَفوقت عَلىٰ كل اللائي سَبَقنها في باب التَّجرُّد من الآداب والأخلاق والقيم، إذ إنَّها لا تألو جهدًا في الصَّدِّ عن سبيل الله والاستهزاء بشَرعِه عَزَّوَجَلَّ، حتىٰ وصل بها الأمْرُ إلىٰ أن قالت: (كيف نَخضَع لفقهاء أربَعة وُلِدوا في عصر الظلام ولدينا المِيثاق؟)، وقالت: (إنَّني لا أطمئن علىٰ حقوق المرأة إلا إذا تساوت مَع الرجل في الميراث)[٣].

وهي المَرأةُ التِي أَزْعَجَتها ظاهرة (عودة الحِجاب) إلىٰ المجتمع المصري،

---

(١) وأسس هذا المحفل -فيما بعد- بصورة رسمية سنة ١٩١٤، وذلك بجهود البرنس (أولفادي لبيدف).

(٢) انظر «رجال عرفتهم»، لعباس محمود العقاد، (الهلال ١٩٦٣)، فصل: «رجال حول مي»، و«المؤامرة علىٰ المرأة المسلمة»، للدكتور السيد أحمد فرج: ص (٢١).

(٣) السابق (ص ٢٦٨ - ٢٦٩) نقلًا عن (المصور).

فجَرَّدت قَلمها المسموم لتُوَاجه هذه الظاهرة (المقلقة)، وَوصفت الحجاب بأنه: (كفن ككفن الموتى).

وهي التي قالت في إحدى جولاتها ضد الحجاب:

(إن هَذِه الثياب المَمجُوجة قشرة سطحَية لا تكفي وحدها لفَتحِ أبْوَاب الجنة أو اكتساب رضا الله، فَتيات يخرجن إلى الشارع والجَامعات بملابس قَبيحَة المنظر يزعمن أنها (زي إسْلامي)، لم أجد ما يعطيني مبررًا منطقيًّا معقولًا لالتجاء فتيات على قدر مذكُور من التعليم إلى لَفِّ أجسادهن من الرأس إلى القدمين بزي هو والكفن سواء)[1]. اهـ.

وقالت أيضًا مستنكرة:

(هل مِن الإِسْلام أن ترتَدِي البنات في الجامعة مَلابس تغطيهن تمامًا وتَجعَلهن كالعفاريتِ، وهَل لا بد من تكفين البَناتِ بالملابس وهن على قَيد الحياة حتى لا يرى منها شيء وهي تسير في الشارع؟)[2].

وقالت أيضًا: عَجبت لِفتيات مثقفات! كيف يلبسن أكفان الموتى وهن على قيد الحياة؟![3][4].

إنهم منافقُون ومُنافقات من بني جِلدتنا ويَتكلمون بألسنتنا، مِنهُم ومِنهُنَّ العَلماني والليبرالي والتغريبي، بَل والشُّيوعِي والقومي، خَليطٌ من عفونات الأفكار والمذاهب الضَّالَّة والمناهج المنحرفة، يعْمَلون فلا يفترون، ويَسْعَون فلا يتوقفون

(١) مجلة (حواء)، تاريخ ١٨ نوفمبر ١٩٧٢ م.

(٢) (المصور)، ٢٢ يناير ١٩٨٢ م: ص (٧٥).

(٣) نقلًا عن (الولاء والبراء في الإِسْلام)، لمحمد بن سعيد بن سالم: ص (٤٠٤).

(٤) لم يذكر هنا إلا أمثلة يسيرة، لكن من أراد التوسع فليرجع إلى الكتاب الماتع «عودة الحجاب»، للشيخ محمد إسماعيل.

في الزَّجِّ بِشعوبهم ومجتمعاتهم في براثن العَلمَنة والتغريب والتحلل من أحكام الشريعة والأخلاق، يتلقون دعْمَهُم من أسيادهم هناك في أمريكا والغرب، ويطلُبُون منهم التدخل في شؤونِ بِلادهم، ويوحون إليهم بمُمارسة الضغوط والتهديدات لتحقيق أطماعهم ومآربهم.

لذلك كان لزامًا هَتك أستار هَؤُلاءِ والتَّشهِيرُ بأسمائهم حتى لا ينخدع بهم من لا يعرف حقيقتهم ولا يعلم علاقاتهم لأعداء الدين والملة.

ولا أحْسبُ إلا أن هذا المَعْنى هو الذي تعامل به عُلماءُ المُسلمين مع رؤوس الفرق الضَّالَّةِ، ومُؤسسي المذاهب الهدَّامَة، وأصْحَاب الطرق المُنحَرفَة الذين يظهرون الإِسْلام ويبطنون الكفر، ومن هنا قِيل: إن النَّبيّ ﷺ إنَّما أخْبَر حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأسمائهم حتَّى إذا ما حاول هَؤُلاءِ المُنافقون إثَارة فِتنة أو إحداث زوبعة، أو مَارسوا الخديعة على المسلمين، فإذا به يعرِّيهم ويفضحهم بأسمائهم.

القاعدة التاسعة والعشرون: التثبت عند إطلاق تسمية النفاق أو الكفر على أحد.

إن من القواعد المقرَّرة شَرعًا في هذا الباب: حُرمَة أعراض المسلمين من أن تقذف أو تتهم أو تلمز أو تغمز، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب: ٥٨] وقال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [سورة الحجرات: ١٢]، عن إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللَّهُ(١): «أنَّه أضَاف

---

(١) هو: إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر القدوة، الإمام، العارف، سيد الزهاد، أبو إسحاق العجلي - وقيل: التميمي - الخراساني، البلخي، نزيل الشام. مولده: في حدود المائة. وذكر المفضل الغلابي: أنه هرب من أبي مسلم، صاحب الدعوة. قال النسائي: هو ثقة، مأمون، =

أناسًا، فلمَّا قَعدوا على الطعام جَعَلوا يتناولون رجلًا، فقَال إبراهيم: إنَّ الذين كانوا قبْلَنا كانوا يأكلون الخُبزَ قبل اللَّحمَ، وأنتم بدأتم باللَّحم قَبل الخُبز»(١)

قال الفضيل: «سَمعْتُ سفيان يقول: لأن أرْمِي رَجلًا بسَهْم أحب إليَّ من أنْ أرمِيه بلساني»(٢)، وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ فَقَالَ: هَؤُلاءِ الذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»(٣).

ولأن الحُكْم عَلى الناس بالتَّكفِير والتفسيق والنِّفَاق أمره عظِيمٌ عِند الله، فقد وضع له أهْلُ السنة والجماعة ضَوابط وقيودًا وأصولًا، حتَّى يَكون إطلاق ذلِكَ صوابًا، بعيدًا عن الإفراط والتفريط، لما لذلك من آثار سيئة على الفرد والمجتمع، ويحسن هنا التنبيه على أمور قبل الكلام عن هذه الضوابط، فمن ذلك:

= أحد الزهاد. وقال الدارقطني: إذا روى عنه ثقة، فهو صحيح الحديث. وعن الفضل بن موسى، قال: حج والد إبراهيم بن أدهم وزوجته، فولدت له إبراهيم بمكة. وعن يونس البلخي، قال: كان إبراهيم بن أدهم من الأشراف، وكان أبوه كثير المال والخدم، والمراكب والجنائب والبزاة، فبينا إبراهيم في الصيد على فرسه يركضه، إذا هو بصوت من فوقه: يا إبراهيم! ما هذا العبث؟ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [سورة المؤمنون: ١١٥]، اتق الله، عليك بالزاد ليوم الفاقة. فنزل عن دابته، ورفض الدنيا. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»،: (٢/ ٢٧)، و«سير أعلام النبلاء»، للذهبي: (٧/ ٣٨٧).

(١) «تنبيه الغافلين»: (١/ ١٧٦)، للسمرقندي.

(٢) رواه البيهقي في «الشعب»: (٥/ ٣١٦).

(٣) أخرجه أحمد: (٣/ ٢٢٤)، وأبو داود برقم: (٤٨٧٨) (٤٨٧٩)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» برقم: (١٦٥)، وأبو الشيخ في «التوبيخ» برقم: (٢٠١)، وصححه الألباني على شرط مسلم كما في «الصحيحة» برقم، (٥٣٣).

١- أهل السُّنَّة إنَّما يُحذِّرون من الإفراط أو التفريط في هذِهِ الأحكام، أمَّا إذا كان الحكم الصادر من العالم المتأهِّل لذَلِك، قد رُوعيتْ فيه ضوابطه وأصولُه؛ فإنَّهم لا يمنعون من جواز إطلاق الحكم حينئذٍ، بل يتقربون إلى الله تعالى بذلك، وإلا وقعوا في الحكم بغير ما أنزل الله.

٢- إنما يذمون التجاوز للحَدِّ، أو التَّقصِير عَنه، ولذا فَهُم يذمون منهج الفِرَق المُفْرِطة في ذلك كالخوارج، والمُعتزلَة، والرافضة، وغيرهم، كما يذُمُّون مَنهج الفرق المُفَرِّطة في ذلك كالمرجئة، فإن كلا طرفَيْ قَصْدِ الأمورِ ذميمُ.

ثم إن الخَلَل في هَذا الباب الخطير يؤدِّي إلَى فَوضى عارِمَة من استحلال للدماء واستباحة للأعراض والأموال، بل ويُقطِّع أوصَال المُجتَمع المسلم، وهذا مما يُريدُه الشيطان وحزبه، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٩] وقال تَعالَى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣]، وقالَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾ [سورة الشورى: ١٣]، وقال جَل وعلا: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓاْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ﴾ [سورة الأعراف: ٣٧].

عن عَبد الله بْنِ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عنِ النَّبيّ ﷺ قال: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»(١)، فلا بد من تحرير هذه الضوابط، ومراعاتِها بِدقَّة؛ حتى لا تصل الأمة إلى هذا الحد المدمِّر من فَساد ذات البين، وحتى يحافظوا على وَحدتهم، وأُلْفتهم، وقوتهم.

---

(١) رواه البخاري، ك الديات، باب من حرم قتلها إلا بحق: ح (٦٨٦٨)، ورواه مسلم، ك الإيمان، باب لا ترجعوا بعدي كفارًا: ح (٦٦).



فهذه بعض الضَّوابط والأصول التي أكَّدَ عليها علماء السُّنَّة، في مسائل التكفير والتبديع والنفاق؛ إذ الناس في هذا الباب طرفان ووسط، وإن شئت فقل: هم بين الجافي والغالي:

١- التَّكفير والتَّفسيقُ أمْرٌ أو حُكْم شرعي، وهو كغيرِهِ مِن الأحكام الشرعية من هذه الجهة، لكِنَّه من أهم الأحكام التي يَجبُ الرجوع فيها إلى دليلٍ مِن الكتاب والسنة، فلا يجوز أن يَكُون التكفير، أو التفسيق، أو التبديع أو التضليل راجعًا إلى هوى، أو عصبية، أو ذوق، أو عادة، أو سياسة، أو منام، أو انتقام وانتصَار للنفس أو غير ذلك؛ لأنَّ الحاكم بشيءٍ مِمَّا سبق مُبَلِّغ عن الله عَزَّوَجَلَّ، فلا بد أن يستند في كلامه إلى نص شرعي، والأدلة على ذلك كثيرة، منها:

أ- قولُه تَعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأعراف: ٣٣]، ويقول تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [سورة الإسراء: ٣٦]، ويقول سبحانه: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [سورة النور: ١٥] وغير ذلك من آيات.

ثُمَّ زِد على ذلك أن العلماء قد ردُّوا علَى من خالفهم، وما تَركُوا لهم شاذَّة ولا فاذَّة إلا ورجموها بشُهب الأدِلَّة الساطعة، وحذَّروا مِنْ طُرُق أهل الغواية والضلالة المكفِّرين لعلماء السنة؛ إلا أنه لم يُشْهَر عنهم -مع كثرتهم وتطاول القرون- أنهم كَفَّروا أحدًا ممن كفَّرهم بدون دليل شرعي، أو من باب رَدَّة الفعل، والانتقام للنفْس، ولا يلزم الإصابة في كل الحالات، إلا أن الإصابة فيهم أكثر، وهم بين أجر وأجرين؛ ولذا شاع عن أهل السنة أنهم يُخطِّئون ولا يكفِّرون.

فقد قال شيخ الإِسْلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن عُيوب أهل البِدَع تكفير بعضهم بعضًا، ومن ممَادِح أهل العلم أنهم يُخطِّئون ولا يُكَفِّرون...الخ[1]»، وهذا محَمُولٌ علىٰ من كان خطؤه ليس كفرًا صريحًا، أو من وقَع في الكفر الصريح لكن عن خطأ، أو تأوُّل، أو جهل، ونحو ذلك، فكانوا حقًّا: أعلم النَّاس بالحَقِّ، وأرحم الناس بالخلق، ولا يلزَمُ من ذلك أنه لا يوجد فيهم من هو خلاف ذلك، كلا، إلا أنهم ينكرون علىٰ من خالف ذلك منهم، وإن كَانَ من أئمتهم، فضلًا عمن هو دونه، وهم علىٰ ما فيهم في الجُملة أفضل من غيرهم من الطوائف، فما كانَ فيهم من شر -مَع إنكاره علىٰ القَريب والبعِيد- فَهُو في غيرهم أكثر، وما كان عند غيرهم من خير فهو فيهم أكثر، فلله دَرُّهم، وعلىٰ الله أجرهم.

٢- أنَّ الأحكام عَلىٰ الناس لا تُقْبل إلا مِن أَهْلِ العِلم الشرعي، كالعُلَماء الكبار والقُضاة المختصين، أما المُبتدئون في الطلب، والخُطَباء المتحمسون بلا زمام ولا خطام، والكُتَّاب الذين اختلطت مشاربهم، والطُّلاب الذين لم يتأهلُوا لذلك؛ فليس لهم الحَقُّ في الخَوض في الأحكام علىٰ الأفراد، وإلا كَان إفسادهم أكثر من إصْلَاحهم، والواقع يشهدُ بِذلك، فقد كفَّر بعضهم بعضًا بعد تَكفيرهم للأفراد ثُمَّ المُجتمعات، فلما اختلَفوا في بعض المخالفين لهم؛ رَجع بعضهم علىٰ بعض بالتكفير، وهَذا من شؤم الغلو والإفْرَاط والقول علىٰ الله بلا علم! ولو فُتح هذا الباب لمن دبَّ ودرج لأفسد أمة بأسْرها!

ومن العجب أنَّك تَجد بعض الطلاب إذا سُئل عن أحكام المَسحِ عَلىٰ الخفين، أو الشُّفْعة، أو الكَفَّارات؛ قال: لا أدري، اسْألُوا العلماء -ويُشْكر علىٰ ذلك- فإذا سُئل عن مسائل الكفر والإيمان، ومسْح الرِّقاب، وإزهاق الأنفس؛ أفتىٰ في

---

(١) ينظر «منهاج السنة النبوية»، لشيخ الإِسْلام ابن تيمية: (٥/ ١٧١)، و«شرح الطحاوية»: (٢/ ٢٥٣).



المجتمعات والأفراد بجسارة لا توصف! فهلا تورَّع عن العظيم الخطير، كما تورع عن القليل اليسير؟! ألا يسعه في الثانية ما وسعه في الأولى، فيقول: لا أدري استفتوا العلماء؟!.

٣- الحكمُ علىٰ الناس -لاسِيَّما في أمر التكفير- يَجب أنْ يكون بعَدْلٍ وورع قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨﴾ [سورة المائدة: ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُۖ﴾ [سورة الشورىٰ: ١٥]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ﴾ [سورة الأنعام: ١٥٢] وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [سورة النحل: ٩٠].

ومن الصور المنافية للعدل:

أ- إطلاق الحُكم علىٰ الجميع لخطأ فَرد من جماعة أو طائفة، دون النظر إلىٰ مَوقِع هذا المخطئ في هذه الطائفة؟ وهل هذا قول كبارها وأئمتها، أو قول أحد علمائها، أو مجرد أحد أفرادها؟

ب- الأحكام بِوَكْسٍ أو شَطَطٍ علىٰ المُخَالف والموافق، وانظر مَوقِف اليهود من إِسْلام عبد الله بن سلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(١).

(١) روىٰ البخاري، عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمع عبد الله بن سلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بقدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض يَخْتَرِفُ، فأتىٰ النَّبيّ ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي فما أول أشراط الساعة وما أول طعام أهل الجنة وما ينزع الولد إلىٰ أبيه أو إلىٰ أمه؟ قال: «أخبرني بهن جبريل آنفًا»، قال: جبريل، قال: «نعم». قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة: ٩٧]، «أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلىٰ المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة نزعت»، قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله يا رسول الله، إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن يعلموا بإِسْلامي قبل أن =

جـ- عدم أَخْذ كلام الرجل جميعه، وحَمْل بعضه على بعض لمعرفة حقيقة قوله، قبْل تحميله ما لم يدُرْ بخَلَده من عقائد ومقالات.

د- نسبة القول المَنسُوخ أو الخطأ إلى الرجل مع العِلْم بتراجعه عنه.

هـ- إغفالُ القَرائن التي تحُفُّ الكَلام فتزيل مشكله، وتوضح غامضه، سواء كان ذلك في السياق والسباق واللحاق، الذي لا يَتجرَّد عنه كلام العقلاء، أو كان ذلك مما لا يُفْهَم إلا من خلال معرفة المَنهَج العام للرجل في غير هَذا الموضع المُشْكِل المُوهِم، فالكلمة الواحدة يقولها رجلان، فتكون ذَمًّا في حق بعضهم، ومدحًا في حق الآخر، باعتبار منهجه العام الذي يسير عليه.

ففي «مدارج السالكين» ذَكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلامًا لأَبِي إسماعيل الهروي الملقب بـ (شيخ الإِسْلام)، ظاهره القَول بالاتحاد، وهذا قول فرقَة ضلَّت ضلالًا بعيدًا، ومع ذلك فقد حَمَله على محملٍ حسن -مَع تخطئته إياه في العبارة- ثمَّ قَال: «والكَلمَة الواحدة يقولها اثْنَان، يريد بها أحدُهُما أعظم الباطل، ويُريد بها الآخر محضَ الحَقِّ، والاعتبار بطريقة القائل، وسِيرته، ومذهبه، وما يدعو إليه، ويناظر عليه، وقد كان شيخ الإِسْلام -قدّس الله روحه- راسخًا في إثبَات الصفات، ونَفْي التعطيل، ومُعاداة أهله، وله في ذلك كُتُبٌ، مثل كتاب «ذم الكلام»، وغير ذلك مما يخالف طريقة المعطلة والحلولية والاتحادية...»[1] الخ. اهـ.

= تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود فقال النَّبيّ ﷺ: «أي رجل عبد الله فيكم؟»، قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا. قال: «أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام»، فقالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه، قال: فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله. أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب من كان عدوا لجبريل: (٤٤٨٠). قوله: **يَخْتَرِفُ**: أَي يجتني الثَّمَرَة. ينظر «تفسير غريب ما في الصحيحين»، للحميدي: (ص: ٢٦١).

(١) «مدارج السالكين»: (٢/ ٥٢١).



٤- مَنْ ثَبَتَ إِسْلامه بيقين؛ فَلا يزول عنه إلا بِيَقين، وإلا كان تركًا لليقين وعملًا بالشك، وهذا معيب عند العقلاء، فضلًا عن العلماء.

والأدِلَّة التي سبقت في عدَمِ إخراج المسلم من الإِسْلام لِمجرَّد إتيانه بمُكفِّر لوجود شبهة تمنع تكفِيرِه داخلة في هذا الأصل أيضًا.

وقد يُعبِّر بعضُهم عن ذلك بقولهم: لا تَكفير من الاحتمال أو الشبهة، ولأنَّ التَّكفير بأمر يحتمل التكفير وغيره: جُرْأَة في أمر يجب فيه التورع والأخذ بالأحوط، والله أعلم.

٥- الأحكام في الدُّنيا تجري على الظَّاهر للعِبَاد، والله يتولى السَّرائر، أما في الآخرة فعلَى ما في عِلْم الله عَزَّوَجَلَّ، كما أنَّ الأحكَام على آخر ما عليه الرجل لا أَوَّله.

وهذه قاعِدَة لا شك فيها، لأنَّ تكلف غير الظاهر مُتعسِّر أو متعذِّر، إذ لا يَعْلَم ما في القلوب إلا الله عَزَّوَجَلَّ، والأدِلَّة على هذه القاعدة كثيرة، منها:

أ- قَوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا؛ فَهُوَ المُسْلِمُ: لَهُ مَا لِلمُسْلِمِينَ، وَعَلَيهِ مَا عَلَى المُسْلِمِينَ»(١).

ب- وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَإِذَا قَالُوهَا؛ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلام، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ»(٢)، أي: ولستُ مُكَلَّفًا أن أطالبهم وأعاقبهم على غير ما يلزمهم في الظاهر.

جـ- وقَوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أُنَقِّبَ عَنْ قُلُوبِ

---

(١) رواه البخاري، ك الصلاة، باب فضل استقبال القبلة: ح (٣٩١).

(٢) رواه البخاري، ك الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٥﴾ [سورة التوبة: ٥]: ح (٢٥).

النَّاسِ، وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ»(١).

قول عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إن أناسًا كانوا يُؤاخذون بالوَحي في عَهدِ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وإِنَّ الوَحي قد انقطع، وإنَّما نأخذكم الآن بِمَا ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظْهَرَ لَنا خيرًا؛ أمِنَّاه وقَرَّبْناه، وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسبه في سريرته، ومن أظهر لنا سوءًا؛ لم نأمَنْه، ولم نُصَدِّقْه، وإن قال: إن سريرته حسنة»(٢).

ومن الأدلة على أن الحكم على ما مات علَيهِ الرَّجلُ، أي على آخر الأمرين منه، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٩١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٦١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾ [سورة البقرة: ٢١٧]، وحديث: «إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا»(٣).

ولو آخذنا النَّاس بالمنسوخ من أقوالهم، وبعقائدهم التي تابُوا منْهَا؛ للزم تكفير الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين أخْرَجهم الإِسْلام من الكفر إلى الإيمان، وهذا قول

---

(١) رواه البخاري، ك المغازي، باب (بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إلى اليمن قبل حجة الوداع): ح (٤٣٥١)، ورواه مسلم، ك الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم: ح (١٠٦٤).

(٢) رواه البخاري، ك الشهادات، باب الشهداء العدول: ح (٢٦٤١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: ٣٠]: ح (٣١٥٤)، ومسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته: ح (٢٦٤٣).



لا يشك في بطلانه عاقل!

٦- ومن ضوابِط وأصول التَّكفير: أنه لا يُحْكم عَلىٰ الرجل بلازِم كلامه أو مآله، إلا إذا عُرض علَيهِ لازمُ قَوله والتزمه، وأقرَّ بأنه قاله، وإنما يُحكم عليه بصريح كلامه.

وقد يقول بعضهم: لا يلزم مِن الكفر في المآل الكفْرُ في الحال، أو لازم القَول ليس بقول إلا إذا التزمه. وهذا من رحمة الإِسْلام وعَدْله؛ فقَد يتكلم المرء بكلام لا يستحضر لوازمه وما يؤول إليه.

فتحميله هذِه اللَّوازم مباشرةً دون معرفة رضاه بِها أم لا؛ ليس من الرَّحمة التي جاء بها هذا الدين، لكن إذا عُرض عليه كلامه، وأُخْبِر بلوازمه الفاحشة التي لا تنفك عنه، فإن قَبِلَها؛ فيُحكم عليه بما يستحق، وإلا كان متناقضًا، ولا يلزم من تناقضه أن يكون كافرا، فإن التناقض شيء، والكفر شيء آخر.

وقد قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ(١): «والذِي كُنَّا نَسمعه من الشيوخ، أنَّ مَذهب

(١) هو: إبراهيم بن موسىٰ بن محمد، أبو إسحاق، اللخمي الغرناطي، الشهير بالشاطبي، من علماء المالكية. كان إمامًا محققًا أصوليًا مفسرًا فقيهًا محدثًا نظارًا ثبتًا بارعًا في العلوم. أخذ عن أئمة منهم ابن الفخار وأبو عبد البلنسي وأبو القاسم الشريف السبتي، وأخذ عنه أبو بكر بن عاصم وآخرون. له استنباطات جليلة وفوائد لطيفة وأبحاث شريفة مع الصلاح والعفة والورع واتباع السنة واجتناب البدع. وبالجملة فقدره في العلوم فوق ما يذكر وتحليته في التحقيق فوق ما يشهر. من تصانيفه: «الموافقات في أصول الفقه» (أربع مجلدات)، و«الاعتصام»، و«المجالس» شرح به كتاب البيوع في «صحيح البخاري» . ينظر «نيل الابتهاج بتطريز الديباج»، المؤلف: أحمد بابا التنبكي المتوفىٰ: ٩٦٣ هـ، إشراف وتقديم: عبدالله الهرامة، الناشر: كلية الدعوة بطرابلس، الطبعة: الأولىٰ ١٩٨٩م: (ص: ٤٨)، و«شجرة النور الزكية في طبقات المالكية»، المؤلف: محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (المتوفىٰ: ١٣٦٠هـ)، علق عليه: عبد المجيد خيالي، الناشر: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م: (ص: ٢٣١)، و«الأعلام»، للزركلي: (١/ ٧١).

المحققين من أهل الأصول: أنَّ الكُفر بالمآل لَيس بكفر في الحَال، كيف والكافر ينكر ذلك أشد الإنكار، ويرمي مخَالِفه به»(١). أهـ.

٧- لا يلزم من نفي الإيمانِ عَمَّن قال كذا، أو فَعَل كذا وقوع الكفر أصلًا، فقد يكون هذا لنفي الكَمَال الواجب للإيمان، لا لنَفْي أصل الإيمان، ومن ذَلِك عن أبي شريح أن النَّبيّ ﷺ قال: «وَالله لَا يُؤمِنُ، وَالله لَا يُؤمِنُ، وَالله لَا يُؤمِنُ!»، قيل: وَمَن يا رسول الله؟ قَال: «الذِي لَا يَأمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ»(٢).

ونحو ذلك ما ورد في الأحاديث: «لَيْسَ مِنَّا... »، أو «... فَهُوَ مِنْهُمْ»، أو «لَا يَدْخُلِ الجَنَّةَ ...»، أو «... فَهُوَ فِي النَّارِ»، أو «... فَقَدْ كَفَرَ»، أو «... فَقَدْ أَشْرَكَ»، ونَحو هذا، فلابد مِن معرفة المراد بهذه النصوص: هل المراد نَفْي أَصْل الإيمان، أو كماله الواجب؟ ولا يصِحُّ حَمْلها أو حَمْل بعضها على نفي المستحب؛ لأن تارك المستحب لا يقال في حقه: «لَيْسَ مِنَّا»، أو: «لَا يُؤمِنُ» ...الخ، ولو تأكدنا من أن المراد نفْي أصل الإيمان؛ فبقي مراعاة الشروط والموانع الأخرى.

الثامن: الكفرُ مُضادٌّ للإيمان، فيكون بالقَول والعمل والاعتقاد، كَما أن الإيمان قَولٌ وعمل واعتقاد، والكُفر له أصول وشُعب، كما أن الإيمان له أصول وشُعب، فإذا كان القول أو الفِعل أو الاعتقاد يُنافي أصل الإيمان، ويُوافق أصل الكفر؛ فهو كُفر أكبر، وإذا كان ينافي بعض شُعب الإيمان وواجباته، ويوافق بعض شُعب الكفر -التي لم تبلغ إلى درجة أصول الكفر- فَهذا نَقْصٌ -بالصاد المهملة- في الإيمان، ونَفْيٌ لكماله الواجب لا أصل الإيمان.

---

(١) «الاعتصام»، للشاطبي: (٢/ ١٩٧).

(٢) رواه البخاري، ك الأدب، باب إثم من لا يأمن جارُهُ بوائقه: ح (٦٠١٦).



٩- الكُفر كُفران: أكبر وأصغر، وبَعضهم يقول: كفر اعتقادي، وكفر عملي، وليسَ ذَلك دقيقًا، فالكفر العَملي منه ما هو أكبر وأصغر أيضًا، ومِنْه ما يدلُّ على اعتقاد أمر مكفِّر، ومنه دون ذلك، وهناك أمور مكفرة سواء دَلَّت على اعتقاد أمرٍ مُكَفِّرٍ أم لا، ولا يُشترط معرفة اعتقاد المرء فيها، إنَّما هي كفْر مجرد، كمن سجد لصنم، أو سب الرب عَزَّوَجَلَّ، أو رسوله – صلى الله عليه وعلى آله وسلم–، وادعى أنه فعل ذلك إغاظة لفلان، أو تقليدًا لفلان، وإلا فهو لا يعتقد ذلك، فلا يُقبل منه هذا، ويُحكم بكفره وإن أصرَّ على ذلك بعد مراعاة الشروط والموانع.

وكذا الشِّرك شركان: أكبر وأصغر، والنفاق نفاقان: اعتقادي وعملي، أو أكبر وأصغر، والفسق فسقان، والظلم ظلمان، والذنب ذنبان، والمعصية معصيتان، والبدعة بدعتان، والجهل جهلان، والضلال ضلالان، ...الخ، ولا بد من الرجوع في تفصيل ذلك إلى سياق الأدلة، والجمع بينها، وشُروح العُلَماء، وإلا فهذا مَظِنة مزلة أقدام، وضلال أفهام، والله المستعان.

١٠- المعلومُ مِن الدين بالضرورة أَمْرٌ إضافي نِسبي، يتغير من زمنٍ إلى زَمَن، ومن مكان إلى مكان، ومِن شخص إلى آخر، فَقد يكون أحد الوَاجبات معلومًا في زمَن مَا، أو مكان ما، أو لشخص ما، ولا يكُون كذلك الأمر نفسه في زَمن آخر، أو مكان آخر، أو لشَخص آخر.

ولذلك لا يُطبق كلُّ ما يُقرأ عن العلماء في هذا المعنى في أي زمان، أو مكان، أو عَلى أي شخص حتى يُنظر: هل خالَف المعلوم بالضرورة من الدين عنده، أو عِند أهل زمانه وأمثاله، أم لا؟

وحديث حذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «يَدْرُسُ الإِسْلام كَمَا يَدْرُسُ وَشْيُ الثَّوْبِ، حَتَّى لا يُدْرَى مَا صِيَامٌ، وَلَا صَلَاةٌ، وَلَا

نُسُكٌ، وَلَا صَدَقَةٌ، وَلَيُسْرَىٰ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي لَيْلَةٍ، فَلَا يَبْقَىٰ فِي الأَرْضِ مِنْهُ آيَةٌ، وَتَبْقَىٰ طَوَائِفُ مِنَ النَّاسِ: الشَّيْخُ الكَبِيرُ، وَالعَجُوزُ، يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ هَذِهِ الكَلِمَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَنَحْنُ نَقُولُهَا»، فَقَال صلة بن زفر[1] لحذيفة: مَا تُغْنِي عنهم لا إله إلا الله، وَهُم لا يدرون ما صلاة، ولا صيام، ولا نسك، ولا صدقة؟! فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ثلاثًا، كل ذَلك يُعْرِض عنه حذيفة، ثم أَقْبَل عليه في الثَّالثة، قال: يا صلة، تنجيهم من النار، تنجيهم من النار، تنجيهم من النار»[2].

فهذا دليلٌ علىٰ أنَّ هُناك طوائف قد تجْهَل وجوب الصلاة والصِّيام والزكاة والحج، بل وبقِيَّة الواجبات إلا كلمة التوحيد، وهل هُنَاك معلوم من الدين بالضَّرورة أشهر من هذه الأمور التي جهِلَتها هذه الطوائف؟ فالمَسألَة نسبية إضافيَّة، تختلف من شخص لآخر، ومن زمن لآخر، ومن بلد لآخر، والله أعلم.

١١- الحكم المُطْلَق أو العام لا يستلزم الحكم علىٰ المـُعيَّن بذلك:

فالعلماء يُقَرِّرون أن هناك فَرْقًا بين الحكم العام، والحكم علىٰ الشخص، فَفَرق بين الحكم علىٰ القول أو الفعل أو الاعتقاد، وبين الحكم علىٰ القائل أو الفاعل أو المعتقِد، وليس كل من وقع في الكفر أو البدعة، وقع عليه الكفر أو البدعة.

---

(١) هو: صلة بن زفر العبسي، أبو العلاء، ويقال: أبو بكر الكوفي. قال ابن خراش: كوفي ثقة. وذكره ابن حبان في كتاب "الثقات". وقال أبو بكر الخطيب: كان ثقة. وقال زيد بن يحيىٰ الأنماطي، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن صلة، عن حذيفة: قلب صلة من ذهب. قال الذهبي: تابعي كبير، ثقة، فاضل، مخرج له في الكتب كلها، توفي في زمن مصعب، وولايته علىٰ العراق. قال خليفة بن خياط: مات في ولاية مصعب بن الزبير. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»،: (١٣/ ٢٣٣)، و«سير أعلام النبلاء»، للذهبي: (٤/ ٥١٧).

(٢) رواه البخاري، ك التوحيد، باب ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين: ح (٧٤٥٤)، ورواه مسلم، ك القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه: ح (٢٦٤٣).



ومع ذلك فإن إطلاق الحكم العام فيه فوئد منها:

أ- بيان حكم الشَّرع في الأقوال والأفعال والعقائد، ولا شَكَّ أن في هذا فائدة نشر العلم، وبيان أحكام الشريعة، وفي هذا صيانة لها من الاندثار والضياع.

ب- رَدْعُ وزَجْرُ النَّاس عن الوقوع في المكفرات أو المفسِّقات، وفي ذَلك فائدة عظيمة، وهي صيانة المُجتمع المسلم من الحـوْم حول مَا حرم الله، ولو لم يسْمَع الناس تحذير الشرع من القَول أو الفعل الفلاني لتقحَّموا فيهِ عَن جهل، فظَهر أن إطلاق الحُكمِ العَامِّ بين الناس فيه صيانة للشَّريعَة من الاندثار، وصِيانة للمجتمع من المعاصي المفضية للدمار.

لكن إنزال الحكم العام على المعيَّن لا يكون إلا بعد استيفاء الشروط، وانتقاء الموانع، فإذا تخلَّف شرط من شروط التكفير أو التَّفسيقِ أو التبديع، أو بقي مانع من موانع هذا الحكم على المعيَّن؛ فلا يُحكم على المعين بشيءٍ مِن ذلك، والأصل أن يبقى المرء على ما هو عليه قبل إتيانه بما أتى به، حتى يتم استيفَاءُ جَميع الشروط فيه، وانتِفَاءُ جميع الموانع عنه.

فإن قيل: ما الشُّروطُ الواجب توافرها، والمَوانِع الواجب انتفاؤها قبل الحُكم على المعيَّن؟.

فالجواب: أن هذه الشروط والموانع هي:

١- العقل، ومُقابِله الجنون، فالعَقلُ شَرط، والجنون مانع، فلا تكليف مع الجنون، لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النَّبيّ ﷺ أنه قال: «رُفِعَ القَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ، وَعَنِ المَجْنُونِ حَتَّى يَعْقِلَ أَوْ يَفِيقَ»[1].

---

(١) «صحيح سنن الترمذي»: ح (١٤٢٣)، و«صحيح سنن أبي داود»: ح (٤٤٠٢)، و«صحيح سنن النسائي»: ح (٣٤٣٢).

٢- البلوغ، ومقابله الطُّفولة أو الصِّبا، وللبُلوغ ثَلاث علامات مشتركة بين الذكر والأنثى:

أ- الاحتِلامُ.

ب- نبات الشَّعر الخَشن حول العانة.

ج- بلوغ خمس عشَرة سنة.

د- وتختص الأنثى بأمر رابع وهو: الحيض.

٣- العلم، ومقابِلُه الجهل، سواء كان الجَهل بمعنى خُلُوِّ النَّفس من العلم، وهو الجهل اليسير، أو بمعنى اعتقاد الشيء بِخِلاف ما هو عليه، وهو من الجهل المرَكَّب.

ومن الأدلة علَى أنَّ الجَهل عُذْر: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة التوبة: ١١٥]، ومع أنَّ سَبب النُّزول كان في قوم استغفروا لأقَاربهم المشركين، ولم يَكُن قد نزل نَهْي عن ذلك؛ إلا أنَّ العِبرة بعموم المعنى لا بخصُوص السبب، والجاهِلُ بالحكم في حُكم من لَم يعلم به أصلًا، ومن لم يعلم بالحكم -مع عَدم تفريطه- في حُكم من لم يُنَـزَّل عَليه الحكم أصلًا، ولا تكليف إلا بعد العلم والبلاغ، والآية عامة في كل ما يُحكم به على المخالف بالضلال، بعد أن عُدَّ في جملة المهتدين، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [سورة التوبة: ١١٥].

ومن الأحاديث:

أ- قصة الرجل الذي أوصى بَنِيه بإحراقه، والتِي رواها أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ لِأَهْلِهِ إِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ ثُمَّ أَذْرُوا[١]

---

(١) مأخوذ من أذروته، أي: طيَّرته. «لسان العرب»: (١٤/ ٢٨٣).

نِصْفَهُ فِي البَرِّ وَنِصْفَهُ فِي البَحْرِ، فَوَ اللهِ لَئِنْ قَدَرَ اللهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لَا يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ، فَلَمَّا مَاتَ الرَّجُلُ فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ، فَأَمَرَ اللهُ البَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ البَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ هَذَا. قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ يَا رَبُّ وَأَنْتَ أَعْلَمُ، فَغَفَرَ اللهُ لَهُ»(١).

قال شيخ الإِسْلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَهذا الرَّجلُ ظَن أن الله لا يَقدر عليه إذا تفرَّق هذا التفرُّق، فَظنَّ أَنَّه لا يعيده إذا صار كَذلك، وكل واحد: مِن إنكاره لقُدْرَة الله، وإنكاره مَعاد الأبدان وإن تَفَرَّقَتْ؛ كُفْر، لَكِنَّه كان مع إيمانه بالله، وإيمانِهِ بأمره، وخشيته مِنهُ جَاهلًا بذلك، ضالًّا في هذا الظن مخطئًا، فغفر الله له ذلك»(٢).

ب-وعن عبد الرحمن بن وعلة السبئي(٣)، من أهل مصر، أنه سأل عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عما يُعصر من العنب، فقال ابن عباس: «إنَّ رَجُلًا أهدىٰ لرسول الله

---

(١) رواه البخاري، ك التوحيد، باب (يريدون أن يبدلوا كلام الله): ح (٧٥٠٥)، ورواه مسلم، ك التوبة، باب سعة رحمة الله: ح (٢٧٥٦).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ»: (١١/ ٤٠٩).

(٣) هو: عبد الرحمن بن وعلة ويقال: ابن أسميفع، ويقال: ابن السميفع بن وعلة السبئي المصري. روىٰ عن: عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب. روىٰ عنه: جعفر بن ربيعة، وزيد بن أسلم. قال إسحاق بن منصور، وثقه يحيىٰ بن معين، والعجلي، والنسائي. وقال أبو حاتم: شيخ. وقال أبو سعيد بن يونس: عبد الرحمن بن أسميفع بن وعلة السبئي كان شريفا بمصر في أيامه، وله وفادة علىٰ معاوية وصار إلىٰ أفريقية وبها مسجده ومواليه. وقال في حرف الألف: أسميفع بن وعلة بن يعفر بن سلامة بن شرحبيل بن علقمة السبئي، وأسميفع هذا آخر ملوك سبأ عليه قام الإِسْلام، هاجر في خلافة عمر بن الخطاب، وشهد الفتح بمصر واختط بها. روىٰ له الجماعة سوىٰ البخاري. وذكره يعقوب بن سفيان فى ثقات التابعين من أهل مصر. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي: (١٧/ ٤٧٨)، و«تهذيب التهذيب»، لابن حجر: (٦/ ٢٩٤)، و«تاريخ الإِسْلام»، للذهبي: (٢/ ١١٣٤).

ﷺ راوية خمر، فقال له رسول الله ﷺ: هل علمت أنَّ الله قد حرمها؟ قال: لا، فسارَّ إنسانًا، فقال له رسول الله ﷺ: «بِمَ سَارَرْتَهُ؟»، فقال: أمرتُهُ ببيعِهَا. فقال: «إِنَّ الذِي حَرَّمَ شُرْبَهَا حَرَّمَ بَيْعَهَا»، قال: ففتح المزاد حتى ذهب ما فيها»(١)، هذا والخمرُ حُرمتها أكيدة، ولكن الجاهل له حكم آخر.

ج- قصة ذات أنواط: فعن أبي واقد الليثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢): «أن رسول الله ﷺ لمَّا خَرج إلى حنين مرَّ بشَجرة للمشركين يقال لها: ذات أنواط، يُعلِّقون عَليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله، اجعَل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقَال النَّبيّ ﷺ: «سُبْحَانَ الله هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَة، وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»(٣)».

---

(١) رواه مسلم، ك البيوع، باب تحريم بيع الخمر: ح (١٥٧٩).

(٢) هو: أبو واقد الليثي صاحب رسول الله ﷺ، قيل: اسمه الحارث بن مالك، وقيل: الحارث بن عوف، وقيل: عوف ابن الحارث بن أسيد بن جابر بن عويرة بن عبد مناة بن شجع بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن علي بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان المدني. قيل: إنه شهد بدرا. وقال البخاري وابن حبان: شهد بدرا. وقال ابن عبد البر: قيل: إنه شهد بدرا، وتوفي وسنه خمس وثمانون سنة. ذكر أبو حسان الزيادي أنه ولد في العام الذي ولد فيه ابن عباس، وفي ذلك وفي شهوده بدرا نظر. وقال الواقدي: توفي سنة ثمان وستين وهو ابن خمس وستين. وقال يحيى بن بكير: توفي سنة ثمان وستين وسنه سبعون سنة. وكذلك قال محمد بن عبد الله بن نمير، وهارون بن عبد الله الحمال، وغير واحد في تأريخ وفاته. وقال غيرهم: جاور بمكة سنة، ومات بها سنة ثمان وستين، وهو ابن خمس وسبعين سنة، ودفن في مقبرة المهاجرين. روى له الجماعة. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي: (٣٤/ ٣٨٦)، و«تهذيب التهذيب»، لابن حجر: (١٢/ ٢٧٠).

(٣) رواه أحمد في «مسنده»: ح (٢١٨٩٧)، قال الأرناؤوط إسناده صحيح على شرط الشيخين، ورواه الترمذي في «سننه» ح (٢١٨٠) وصححه الألباني.



فهاهم بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قد اعتَقَدُوا أن هذا جَالبٌ للنَّصر علىٰ عدوهم، وهذا اعتِقَاد مكَفِّر، وكانوا حُدثاء عهد بالإِسْلام؛ عَذَرهم رسُولُ الله صلىٰ الله عليه وعلىٰ آله وسلم، ولَم يَحكُم بكفرهم واستتابتهم، إنَّما حَذَّرهم من هذه المقولة المشابهة لمقولة بني إسرائيل لموسىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ .

د- عدم تكفير الأئِمَّة وجماهير السَّلف لأهل الأهواء، رغم ما يَنتحِلُونه من عقائد تصادم أصول الدين وقواعده، وذلك للتأويل الذي زاغوا بسببه.

٤- ومن شروط التكفير: قَصْد الفعل أو القَول أو الاعتقاد المُكَفِّر، وإن لم يَعْلم المَرء أنه كُفْر، لأنه لا يُشترط في التكفير أن يقصد الكافر فعل الكُفر فيما يَراه هو، لأنَّه لو كان كذلك لما كفر اليهود والنصارىٰ، فإن أكثرهم كَفَرَ وهو يظن أنه يحسن صنعًا، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الكهف: ١٠٣-١٠٤]، وقال تعالىٰ: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٣٠]، فمن قَصد الفِعلَ المكفِّر - وإن لم يعلم أنه كُفْر- وعلم بأنَّه مَنهِي عنه، فقد توافر فيه شرطُ القَصد، ثم إذا ظهر أنه جاهل يُعَلَّم، فإن أصرَّ كَفَرَ بهذا، ويُنظر في بقية الشروط والموانع.

أي أنه إذا بلغه حكم الله فيما أتىٰ فلا يُشترط أن يُسلِّم لمن يُقيم عَليه الحجة بذلك، شريطة ألا يَكُون المحكوم عليه عالمًا؛ لاحتمال أنه اجتهد ورأىٰ في حُكْم المَسألة خلاف ما يرىٰ العالم الذي يقيم عليه الحجة -وهذا لا يكون في المَسَائل المجْمَع عليها-.

والخلاصة: أنه لا يُشترط أن يقولَ: نَعم أنا أفعل الكفر، وسأَسْتَمر علىٰ ذلك، إنَّما يُشترط أن يُبَلَّغ حكم الله ممَّن تقوم به الحجة، وأن يُخْبرَ أن ما هو عليه كُفْرٌ أكبر،

فإن أصر وعاند كَفَرَ، بعد مراعاة بقية الشروط والموانع، والله أعلم.

٦- ومن شروط التكفير: الاختيارُ، ومُقابله الإكراه، وفي كَلام بعضهم جَمْع بين القصد والاختيار، وله وجْه، إذ لا يُتصور أن رجلًا يختارُ فعلًا وهو غير قاصِدٍ له، وعلى كل حال فالإكراه مانِعٌ مِن موانع التكفير والتفْسِيق وغيرهما.

والإكراه: هو حَمْلُ الغير قهرًا على ما يُنافي رضاه واختياره، أو إلزام الغير بما لا يريده، وله شروط:

أ) أن يكون المكْرِه -بكسر الراء- قادرًا على إنفاذ وعيده.

ب) أن يكون المكرَه - بفتح الراء- عاجزًا عن دفع الضرَرِ عَن نفسه، ولو بالفرار.

جـ) أن يغلِبَ على ظن المكرَه -بفتح الراء- وقوعُ ما هُدِّد به.

د) أن يكون الضرر المترَتِّب عَلى عصيان المكرِه -بكسر الراء- كبيرًا: كقتْل، أو قطْع عضو، أو ضرْب شديد، أو حبْس طويل، أو قطْع رزق يتضرر بقطعه.

ومن الأدلة على أن الإكْرَاه عُذْرٌ قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [سورة النحل: ١٠٦]، والمَشْهورُ في كتب التفسير أنها نزلَتَ في عمار بن ياسر والمؤمنين الذين عُذِّبوا في مكة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

ب- قوله صَلى الله عليه وعلى آله وسلم: «رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي الخَطَأ، وَالنِّسْيَانُ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»(١).

---

(١) «صحيح ابن ماجة»: ح (١٦٦٢)، صححه الألباني، و«صحيح ابن حبان»: (٧٢١٩)، صححه الألباني، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

٧- ومن شروط التكفير: القدرةُ، ومقابِلُها العجز، ولا شكَّ أنَّ مناط التكليف الاستطاعة، فقد قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ﴾ [سورة الحج: ٧٨]، وقال سبحانه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٦] وقال عزَّوَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ﴾ [سورة الطلاق: ٧]، ويقُول عزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾ [سورة النساء: ٩٨-٩٩].

وهذا النجاشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد عجزَ عَن الهجرة إلى الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وفاتتهُ أحكَامٌ كثيرة، لم يعلم بها بِسبَب عدم قدرته على الهِجْرة، ومع ذلك أثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وصلَّى عليه لما مات صلاة الغائب.

فهذه شروط التكفير التي يجب توافرها، وهذه موانِعُه التِي يجب انتفاؤها قبل الحُكم على المعين بالتَّكفير أو النفاق أو التفسيق أو نحوها.[١]

ومع لُزوم الحَذر عِندَ إطْلَاق هذه الألفاظ على أحَد، إلا أنه في المُقابل يلزم أن يُوصف بها من ثبت شرعًا استحقاقه لَها ليستبين حالُه وتظهر حقِيقَته، فَهاهم الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ جاء عنهم من الآثار والمواقف ما يجلِّي مِثل هذا المعنى ويوضِّحه.

أ). فعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَال: «لم نكنْ نُسمِّي المنافقين كفَّارًا على عهد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٢]، فَمن أطْلَق عليه بعض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ النِّفاق من الأفراد والجماعات

---

(١) وقد استفدت كثيرًا من بحث بعنوان: «ضوابط التكفير والنفاق عند أهل السنة»، لأبي الحسن مصطفى بن إسماعيل السليماني، دار الحديث بمأرب، وفي البحث نفائس لم آت عليها فيحسن الرجوع إليه فهو موجود على الشبكة. في هذا المبحث رسائل جامعية منها: «منهج ابن تيمية في مسألة التكفير»، د/ عبد المجيد المشعبي، ورسالة «ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة»، د/ عبد الله بن محمد القرني.

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده»: برقم (٢١١٥)، وقال محققه: رجاله رجال الصحيح.

أَناس من العرب أسلموا ثمَّ أركسوا[(١)].

والمعنى -والله أعلم-: أنَّهُم لا يكفرونهم كالكُفَّار، ولكِن يتركونهم على ظَاهِرهم للمعنى السابق من القاعدة، ولِدُخولهم تحت عموم الإِسْلام ظاهرًا، لشهودهم الجمع والجماعات.

ب). عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن قومًا من العَربِ أتوا رسول الله ﷺ المدينة فأسْلَموا وأصابهم وباءُ المَدينة -حُمَّاها- فأُركسوا فخرجُوا من المدينة، فاسْتَقبلهم نفرٌ من أصحابه -يعني أصحاب النَّبيّ ﷺ- فَقالوا لهم: مَا لَكُم رَجَعتم؟ قَالوا: أصَابنا وباء المدينَة فاجتوينا[(٢)] المدِينَة، فقالوا: أمَا لَكُم في رسول الله أسوة؟ فقَال بعضهم: نافَقُوا، وقال بعضهم: لم يُنافقوا، هم مسلمون، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟﴾ [سورة النساء: ٨٨]»[(٣)].

ج) كما أطلق بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ النِّفاق عَلى رَجلٍ يُجالس ويخالط المنافقين، وكَان مِن أنبل الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فبرَّأه الرَّسول ﷺ.

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن محمود بن الربيع[(٤)]، عَن عتبان بن مالك قال[(٥)]: «لقِيتُ

---

(١) الركس: قلب الشيء على رأسه وردَّ أوَّله إلى آخره، والمعنى: ارتدوا. انظر «مفردات الراغب»: (٢٠٨).

(٢) اجتوينا: أي أصابنا الجوى: وهو المرض وداء الجوف إذا تطاول فكرهوا المقام في المدينة. انظر «النهاية»: (١/ ٣١٨).

(٣) رواه أحمد في «المسند»: (١/ ١٩٢)، وقال الهيثمي في «المجمع»: (٧/ ٧): وفيه ابن إسحاق وهو مدلس، وأبو سلمة لم يسمع من أبيه، وسكت عنه الحافظ في «الفتح»: (٧/ ٣٥٦)، وقال السيوطي في «الدر المنثور»: (٢/ ١٩٠): فيه انقطاع، وصحح إسناده أحمد شاكر «المسند بتحقيقه»: (٣/ ١٣١ ـ ١٣٢)، وله شاهدان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن مرسلًا عند بن أبي حاتم، انظر «الفتح»: (٧/ ٤١٣)، وعن السدي مرسلًا عند الطبري في «التفسير»: (٥/ ١٩٤).

(٤) هو: محمود بن الربيع بن سراقة بن عمرو بن زيد الأنصاري الخزرجي، سكن المدينة، وأدرك النَّبيّ ﷺ وهو ابن خمس سنين، مات سنة تسع وتسعين. انظر «الإصابة»: (٩/ ١٣٦ ـ ١٣٧).

(٥) القائل هو أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما في رواية أحمد في «المسند»: (٤/ ٤٤، ٥/ ٤٤٩).



عتبَان بعد ذلك فحَدَّثني فأعجَبَني، فقلت لابني: اكْتُبه، فكتبه، فقالَ عتبَان، وقد كان ذهب بصره: قلت: يا نَبيَّ الله، لو أتيتَني فصليت عندِي في مكان أتخِذُه مَسْجِدًا، قال: فجَاء رسول الله فجَعل يُصلِي، وجعل أصحابه يتَحدَّثون بينهم، قال: فذَكرنا ما يلقون من المُنافِقين من الأذىٰ، فجعلوا عظم ذلك عَلىٰ مالك بن دخشم، وكانَ يُعجبهم أن يحملوا النَّبيّ ﷺ فيدعو عليه فيُهلكه الله، فَقالوا: يا نبي الله، إنَّ أمْرَه كذا وكذا، فقال النَّبيّ ﷺ: «أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ الله؟»، قَالوا: إنَّما يقول ذلك بلسَانِه، وليسَ لَه هيئة فِي قَلبه، فَقال النَّبيّ ﷺ: «لَا يَشْهَدُ أَحَدٌ أَلا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ الله، فَيُدْخِلُهُ اللهُ، أَوْ قَالَ، فَتَطْعَمُهُ النَّارُ أَبَدًا»»(١).

د) ويحكمُ حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه علىٰ أشْخَاص بالنِّفاق فيقُول: «ما بَقِي من المنافقين إلا أربَعَة: أحدُهم شيخٌ كبير لا يجد برد المَاء من الكبر، قال: فقَال له رجل: فَمَن هَؤُلاءِ الذين ينقبون بُيوتنا ويسرقون علائقنا؟(٢) قال: ويحك! أولئك الفُساق»(٣).

وهذا يدُلُّ علىٰ ديمومة إلحاق المُنافقين الأذىٰ بالمؤمنين، هذا في زمن الرعيل الأول فكيف بزماننا؟.

هـ) وكذلك يحكم كَعب بْنُ مَالك بذلك علىٰ كثيرٍ ممَّن تَخلَّف عن رسول الله ﷺ في

---

(١) رواه البخاري: (١/ ١٥٤ ـ ٣٦٥ ـ ٣٦٦) (٣/ ٤٣٦)، ك الصلاة باب المساجد في البيوت، وفي ك التهجد باب صلاة النوافل جماعة، وك الأطعمة، باب الجزيرة، ورواه مسلم: (١/ ٦١ ـ ٦٢ ـ ٤٥٥ ـ ٤٥٦)، ك الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، وك المساجد مواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر ورواه غيرهما.

(٢) علائقنا: أي نفائس أموالنا وإحداها عِلق بالكسر، قيل سُمّي به لتعلق القلب به: (النهاية ٣/ ٢٩٠).

(٣) رواه البخاري: (٣/ ٢٣٥)، ك التفسير، باب (فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم)، ووكيع في «الزهد»: (٣/ ٧٩٢)، واللفظ له، وابن أبي شيبه في «المصنف»: (١٥/ ١٠٨)، والبيهقي في «سننه»: (٨/ ٢٠٠)، ك المرتد، باب ما يحرم به الدم.

غزاة تَبوك؛ فها هو يقول: «وتخلَّفتُ عَن رسول الله ﷺ، فجَعَلتُ أَمشي في الأسواق وأطُوف بالمدينَة، فيحزنني أني لا أرىٰ أحدًا، إلا رجلًا مَغموصًا عليه في النفاق.

وكان ليس أحَد تخلَّف إلا رأىٰ أن ذلك سيخفىٰ لَه، وكَان النَّاس كثيرًا لا يجمعهم ديوان، وكان جميعُ مَن تخلَّف عن النَّبيّ ﷺ بضعة وثمانين رجلًا»(١).

و) وقد حَكمَ أميرُ المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علىٰ أقوامٍ بِالنِّفاق؛ منهم عبد الله بن أبي(٢)، والمعترض علىٰ رسول الله ﷺ في قِسْمَة الغنائم حينَ مُنصرفه من غَزوَة حنين(٣)، وذلك أمام رسول الله ﷺ، فأقَرَّه علىٰ إطلاق الحكم عليهما بالنِّفاق ومنع من قتلهما للمفسدة المترتبة علىٰ ذلك، بينَما حكم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرة ثالثة علىٰ الصَّحابي البدري الجليل حاطب بن أبي بلتعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالنفاق، فلَم يُقرُّه علىٰ حكمه فيه.

وقصته أنه لما تهيأ ﷺ إلىٰ الخرُوج لِفَتح مكة، أرسل حاطب بن أبي بلتعة البدري كتابًا مع امْرَأةٍ إِلىٰ ناسٍ بِمكَّةَ من المشركين، يخبرُهُم ببعض أمرِ رسول الله ﷺ،

---

(١) رواه البخاري: (٣/ ١٧٦ ـ ١٨٠)، ك المغازي، باب حديث كعب بن مالك، رواه مسلم: (٤/ ٢١٢٠ ـ ٢١٢٨)، ك التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(٢) رواه البخاري: (٣/ ٣١٠ ـ ٣١١)، ك تفسير القرآن، سورة (المنافقون)، باب قوله تعالىٰ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ﴾، ورواه مسلم: (٤/ ١٩٩٨ـ١٩٩٩)، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالمًا أو مظلومًا واللفظ له ورواه غيرهما.

(٣) رواه مسلم في «صحيحه»: (٢/ ٧٤٠)، ك الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، وأحمد: (٣/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤ ـ)، ٣٥٥ واللفظ له، وابن ماجه: (١/ ٦١)، المقدمة، باب في ذكر الخوارج، والحميدي: (٢/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥)، وابن الجارود في «المنتقيا: ص (٣٦٣ ـ ٣٦٤)، وابن عاصم في «السنة»: (٢/ ٤٥٩ ـ ٤٦٠)، والطبراني في «الكبير»: (٢/ ٢٠٠ ـ ٢٠١)، والبيهقي في «الدلائل»: (٥/ ١٨٥ ـ ١٨٦)، وأصل الحديث في «الصحيحين»، عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر «صحيح البخاري»: (٤/ ٣٨٩ ـ ٣٩٠)، ك التوحيد، باب قول الله تعالىٰ ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾، و«صحيح مسلم»: (٢/ ٧٤١)، ك الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

فبعث النَّبيّ ﷺ عليًا والزُّبير والمقداد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ في أثرها، وقال لهم: «انْطَلِقُوا حَتَّىٰ تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةٌ مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ مِنْهَا»، وَعِنْدَمَا أَدْرَكُوهَا فِي المَكَانِ المُشَارِ إِلَيْهِ، طَلَبُوا مِنْهَا إِخْرَاج الكتاب فأنْكَرت وجوده معها، فقالوا لها: لتُخرِجنَّ الكِتابَ أو لنلقين بالثياب، فأخْرَجته من عقاصها (ضفائر شعرها)، فأرسل الرسول ﷺ إلىٰ حاطب فَقال له: «يَا حَاطِبُ مَا هَذا؟»، قال: يا رسول الله لا تعجل عليَّ، إني كُنت امرءًا مُلصقًا في قُريش حليفًا، ولم أكُن من أنْفُسها، وكان من معك مِن المهاجرين ممَّن لَهُم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم، فأحْببتُ إِذ فاتني ذلك النَّسبُ فِيهم أن اتَّخذ عندهم يدًا يحمُون بها قرابتي، ولم أفْعَله ارتدادًا عن دِيني ولا رضا بالكفْرِ بعد الإسْلام.

فقال رسول الله ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ»، فقال عمر: يا رسول الله، دَعني أضْرِب عنق هذا المنافق، فقَال النَّبيّ ﷺ: «إِنَّهُ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَىٰ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا وَقَال: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ».

فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [سورة الممتحنة: ١]، وفي رواية: فدمعت عينا عمر، وقال: الله ورسوله أعلم(١).

قال ابن القيم مبنيًا فائدة من الحديث وهي: «أنَّ الرَّجلَ إذا نسب المُسلم إلىٰ النِّفاق

(١) البخاري، «الفتح»: (١٦/ ١٠٩ - ١١٠ ح ٤٢٧٤)، ومسلم: (٤/ ١٩٤١ - ١٩٤٢ ح ٢٤٩٤)، ذكر ابن إسحاق أن شيخه ابن جعفر زعم أن المرأة من مزينة، وزعم له غيره أن اسمها سارة ابن هشام: (٤/ ٨٥) بإسناد حسن لذاته.

والكفر متأوِّلًا أو غضبًا لله ورسوله ﷺ ودينهِ، لا لهواه وحظه، فإنه لا يكفر بذلك بل لا يأثم به، بل يثاب على نيتِه وقَصده، وهو بخلاف أهْلِ الأهْواء والبدع، فإنَّهم يُكفِّرون ويُبدِّعون لمخالفة أهوائهم ونِحلهم وهُم أولى بذلك ممن كفروه وبدَّعوه(١).

وهذا معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحكُم على رجل بالنِّفاق حين قطع صلاته لحاجة، فَينكر عليه النَّبيّ ﷺ تطويله الصَّلاة، عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أنَّ معاذ بن جبَل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يصلي مَع النَّبيّ ﷺ، ثُمَّ يأتي قومَه فيُصلي بهم الصَّلاة، فقرأ بهم البقرة، قَال: فَتجوَّز(٢) رجل فصلَّى صلاة خفيفة، فَبلغ ذَلك معاذًا، فقَال: إنَّه منافق، فبَلغ ذَلك الرَّجل، فأتَى النَّبيّ ﷺ فقَال: يا رسُول الله ﷺ، إنَّا قوم نَعمل بأيدينا ونسقي بنواضحنا(٣)، وإنَّ مُعاذًا صلى بنا البَارحة فقرأ البقرة، فتَجوّزت، فَزعم أنِّي مُنافق، فقَال النَّبيّ ﷺ: «يَا مُعَاذُ، أَفتَّانٌ أَنْتَ؟ ثَلاثًا اقرأ: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾، و﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [سورة الأعلى: ١]، ونحوهما»(٤)».

إن إطلاق الحُكمِ بالنِّفاق عَلى كثير من الأعْمال التي هي شُعب النِّفاق أو النِّفاق عَينه يقترفها بَعضُ القَوم أصاب فيه كل الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فيما وقَفت عَليه من نصوص واردة عَنهم، غير أنه قَد لا يُصيب إصدَار الحكم بالنفاق على بعض الأشخاص بسبب أمور عديدة:

١) منها أن حسنَات بَعض الرجال ترجح على سيئاتهم وتغمرها.

---

(١) ينظر «زاد المعاد»، لابن القيم: (٣/ ٤٢٣).

(٢) تجوَّز في صلاته: أي خففها وقللها. انظر «النهاية»: (١/ ٣١٥).

(٣) النواضح: جمع ناضح وهي الإبل التي يُستقى عليها، انظر السابق: (٥/ ٦٩).

(٤) رواه البخاري في «صحيحه»: (٤/ ١١١)، ك الأدب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولًا أو جاهلًا، واللفظ له، ومسلم في «صحيحه»: (١/ ٣٣٩، ٣٤٠)، ك الصلاة، باب القراءة في العشاء.



٢) ومنها أن بعضهم قد يرتكب بعْض هَذه الشعب متأولًا أو جاهلًا، أو مُضطرًا ومكرهًا وهكذا.

وهذه موانع تمنع من انْطِباق الحُكم بالنِّفاق ونحوه على الشخص، ومِنَ العدل أن نذكر أن إصدار الحكم بالنِّفاق على أشخاص قد أصاب فيه بعض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وأقرهم المصطفى ﷺ على ذلك.

ما يستفاد من القاعدة:

١. وجُوب الحَذر عندَ إطْلاق الأحكام الشرعية على المخالفين.

٢. وجوب التأكد التام من أن الأعمال التِي يُراد الحُكم عَليهَا مخالفة للكتاب والسنة.

٣. لا يقودنا الحَذرُ مِن إطلاق الأحكام الشرعية على المُخالفين أن تعطل الأحكام ولكن

لابد عِندئِذٍ مِن توفر الشروط اللازمة في الشخص للحكمِ عَليه وانتفاء الموانع عنه.

٤. وجوب التزَام نَص الحُكم فيمَن توفرت فيه الشُّروط وانتفت عَنه الموانع، فلا يُعتدى على الحكم الثَّابت بلفظ أكبر وأشَد منه؛ فَلا يقال للظالم كافر، ولا لِمَن اقترف شعب النفاق كافر، وهَكذا، وبالمُقابل لا تميَّع ألفاظ الأحكام الشرعية من حُكم كَبير إلى ألفاظ شرعية أخرى دونها، قد لا يتضح المقصودُ مِنهَا، وقد تكون موهمة أو حمَّالة وجوه، فكيف باستبدالها بكلِمَات ومعان غير شرعية أصلًا؟. فبَعضُ الكَبائر عندهم تسمَّى بغير اسمها: فالخَمر مشروبات روحية، والزنَا عَلاقات خارج إطار الزوجية، والربا فوائد استثمارية.... الخ

٥. وهُنا كلامٌ نَفيس ذكره الشيخ عبد اللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ في رده على من خَاض في قضايا التكْفِير دون أهلية قال: «لا يَتكلَّم فِيها إلا

العلماء من ذوي الألبابِ، ومن رُزق الفهم عن اللهِ وأوتي الحكمة وفصل الخِطَاب.

والكلام في هذا يَتوقف عَلىٰ معرفة ما قدمناه، ومَعرفة أصول عامَّةٍ كُليَّة لا يجوز الكلام في هذا الباب -وفي غيره- لَمن جَهلَها وأعرض عنها وعن تفاصيلها»(١).

ولابد عند حديثنا عما سبق من حُكمِ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ علىٰ أشخاص أو أعمال بالنِّفَاق، أو نُعرِّج علىٰ آثار وردَت عنهم رضوان الله عليهم، يبرؤون فيها أقوامًا أو أشخاصًا من النفاق، وهي تحمل في طيِّها ردودًا علىٰ من تَجَاوز الحكم الشرعي (النفاق) فأطلَقَه علىٰ من لا ينطبق عليه، وكذا الرَّدُّ عَلىٰ من رمىٰ نفسه بالنِّفَاق وهو ليس من أهله كقِصَّة حنظلة ومن معه مِن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

عن أبي عثمان النهدي، عَن حنظلة الأسيدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان من كتَّاب رسول الله ﷺ، قال: «لقِيَني أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقَال: كَيفَ أَنتَ يَا حنظلة؟ قال: قلت: نَافَق حَنظَلة، قَال: سبْحَان الله! ما تَقُول؟ قالَ: قُلتُ: نَكُون عِندَ رَسول الله ﷺ يذكِّرنا بالنَّار والجَنَّة حتَّىٰ كأَنَّا رأي عَين، فَإِذا خرجنا من عِند رَسُول الله ﷺ عَافَسنَا الأزواجَ والأولادَ والضَّيعات فَنسينا كثيرًا، قال أبو بكر: فوالله إنَّا لَنلقىٰ مثل هذا، فانْطَلقت أنا وأبو بكر حتَّىٰ دخَلنا علىٰ رسول الله ﷺ، قُلت: نَافق حنظلة يا رسُول الله، فَقال رسول الله ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟»، قلتُ: يَا رسول الله، نَكُون عندك تذكِّرنا بالنَّار والجنة حتىٰ كأَنَّا رَأي عَين، فإذا خرجنا من عِندك عافَسنَا الأزواج والأولاد والضَّيعات فَنسينا كثيرًا، فقال رسول الله ﷺ: «وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَىٰ مَا تَكُونُونَ عِنْدِي وَفِي الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ المَلَائِكَةُ عَلَىٰ

---

(١) ينظر «مجموع مؤلفات عقائد الرافضة والرد عليها»، الجزء: (٨٥/ صـ ٧٠).



فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً. ثَلَاث مَرَّات»[١]».

عن أبي المحياه[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن أبيه[٣] قال: «قدمْتُ مَكَّة بَعد صلب أو قتل ابْن الزبير بثلاثة أيام، فكلمتْ أمُه أسماءُ بنتُ أبي بكر الحجاجَ فقَالت: أما آنَ لهَذا الراكب أن ينزل؟ قال: المنافِقُ، قالت: لا والله مَا كان مُنافقًا، ولقد كان صَوامًا قَوامًا.

قال: اسكتي فإنك عَجوز قد خرَفت، قالت: ما خَرفت مُنذُ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفَ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ» [٤]، فأمَّا الكَذَّاب فقد رأيناه -تعني المختار-[٥]، وأما المبير فأنت. فقال الحجاج: مبير للمنافقين»[٦].

وهذا أثرٌ مَرويٌّ عَن علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يُبريء فيهِ مَن قاتله يوم الجمل[٧] منَ النِّفَاق، عن أبي البختري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «سُئل علي عن أهل الجَمَل، قال: قيل: أمشْرِكُون هم؟ قال: مِن الشِّرك فرُّوا، قيل: أمُنافقون هم؟ قال: إنَّ

(١) رواه مسلم، ك التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة: ح (٢٧٥٠).

(٢) هو أبو المحيا يحيىٰ بن يعلي التيمي الكوفي، ثقة من الثامنة. «التقريب»: (ص: ٥٩٨).

(٣) هو يعلي بن حرملة التيمي، وثقه ابن حبان. انظر «الثقات»، له: (٥/ ٥٥٦).

(٤) مبير: مُهلك يسرف في قتل الناس. ينظر «النهاية»: (١/ ١٦١).

(٥) هو المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب، كان من كبراء ثقيف، ادعىٰ أن الوحي يأتيه وأنه يعلم الغيب وضع السيف في هذه الأمة فقتل منهم فئامًا كثيرة، أسلم والده في حياة النَّبيّ ﷺ ولا يُعلم له صحبة، انظر «السيرة»: (٣/ ٥٣٨ ـ ٥٤٤).

(٦) رواه أحمد: (٢/ ٨٧،)، ٩٢ والترمذي: (٤/)، ٤٩٩ ك الفتن، باب ما جاء في ثقيف كذاب ومبير، و(٥/ ٧٢٩)، ك المناقب، باب مناقب في ثقيف وبني حنيفة، وقال: حسن غريب، وقد حكم بصحة إسناده الألباني وأبو يعلىٰ: (١٠/ ١٢٥، ١٢٦)، وقد حسن إسناده الأرناؤوط في «جامع الأصول»: (٧٥٦٧).

(٧) يوم الجمل: هي وقعة حدثت في عام ٣٦هـ في العراق بين علي بن أبي طالب ومن معه وعائشة وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله عن الجميع، وهي فتنة حدثت ابتداء من قتل عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وخرج كل منهم يبتغي الحق. انظر «البداية والنهاية»، لابن كثير: (٧/ ٢٣٠ ـ ٢٤٥).



المُنافقين لا يذكرون الله إلا قليلًا، قيل: فما هم؟ قال: إخوانُنا بَغوا عَلينا»[١].

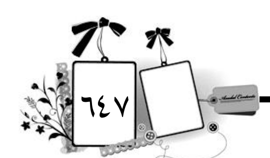
وهذا عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يسْمَع مَن يطْعَن في أهل الشام قَاتَلوا عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في صفين[٢] يقول: «لا تَقُولوا: كفر أهلُ الشَّام، ولكن قولوا: فسقوا أو ظلموا»[٣].

---

(١) اشتهر عند كثير من الباحثين أن عليا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال عن الخوارج الذين خرجوا عليه «إخواننا بغوا علينا»، وهذا القول إنما قاله علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في أهل الجمل، فقد روى ابن أبي شيبة والبيهقي عن أبي البختري أنه قال: سئل علي عن أهل الجمل أمشركون هم؟. قال: من الشرك فروا. قيل: أمنافقون هم؟. قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا. قيل: فما هم؟. قال: «إخواننا بغوا علينا». وأبو البختري سعيد بن فيروز كوفي ثقة مات سنة ٨٣ وروايته عن علي مرسلة]. ورواه البيهقي عن عبد الملك بن سلع عن عبد خير أنه قال: سئل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن أهل الجمل فقال: إخواننا بغوا علينا، فقاتلناهم، وقد فاؤوا، وقد قبلنا منهم. عبد الملك بن سلع كوفي صدوق فيه لين. عبد خير بن يزيد كوفي ثقة]. وهذا الإسناد عن علي حسن بمجموع الطريقين وبما له من القرائن. والذي قاله علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الخوارج هو: «قوم بغوا علينا»، ولم يقل فيهم: «إخواننا». فقد روى ابن أبي شيبة ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة عن طارق بن شهاب أنه قال: كنت عند علي فسئل عن أهل النهر أمشركون هم؟. قال: من الشرك فروا. قيل: فمنافقون هم؟. قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا. قيل له: فما هم؟. قال: قوم بغوا علينا. أهل النهر هم أهل النهروان وهم الحرورية وهم الخوارج الذين قاتلهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقتلهم. وسند الرواية صحيح. ورواه محمد بن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» عن وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن حكيم بن جابر عن علي بنحوه، وفيه أنه قال في أهل النهروان: قوم حاربونا فحاربناهم وقاتلونا فقاتلناهم. وهذا إسناد جيد. ورواه البيهقي ومحمد بن نصر من طريقين عن مسعر بن كدام عن عامر بن شقيق عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن علي بنحوه، وفيه أنه قال في أهل النهروان: قوم بغوا علينا فقاتلناهم فنـُصرنا عليهم. عامر بن شقيق كوفي لين، وهذا الطريق يتقوى بما قبله. ورواه عبد الرزاق في «المصنف»، عن معمر عمن سمع الحسن عن الحسن عن علي أنه قال في الحرورية: قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها وصموا. وهذا الطريق ضعيف، ويتقوى بما قبله.

(٢) صفين: وقعة حدثت سنة ٣٧هـ قرب الفرات بين علي بن أبي طالب ومن معه ومعاوية بن أبي سفيان ومن معه رضي الله عن الجميع، وهي فتنة حدثت ابتداء من قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. انظر أحداثها في «البداية والنهاية»: (٧/ ٢٥٨)، وما بعدها.

(٣) رواه البيهقي في «سننه»: (٨/ ١٤٧)، ك قتال أهل البغي باب الدليل على أن الفئة الباغية منهما وسنده حسن.



وقد التزم صحابة رسول الله ﷺ العدل أيضًا في تبرِئَة خُصوم قد خالفوا المَنهج الاعتقادي لأهل السُّنَّة والجماعة من الشرك والنفاق.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال رسول الله ﷺ: «الْمُؤمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنَ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ»(١).

وعن معاذ بن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَمَى مُؤمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ -أُراه قال-: بَعَثَ اللهُ مَلَكًا يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ»(٢) الحديث.

وعن أسماء بنت يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قَال رَسُول الله ﷺ: «مَنْ ذَبَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بِالغَيبَةِ، كَانَ حقًّا عَلَى الله أَنْ يَعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ»(٣)، وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رسول الله ﷺ: «مَنْ نَصَرَ أَخَاهُ بِالغَيْبِ نَصَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»(٤)، وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ، رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ»(٥).

وعن جابر بن عبد الله، وأبي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قالا: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ

---

(١) رواه أبو داود: (٢/ ٣٠٤)، ك الأدب، باب في النصيحة والحياطة، والبخاري في «الأدب المفرد»: رقم (٢٣٩)، وحسنه الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: (٢/ ١٦٠)، وأقره المناوي، وانظر «السلسلة الصحيحة»: رقم (٩٢٦).

(٢) رواه أبو داود رقم: (٤٨٨٣)، وحسنه الألباني في «صحيح أبي داود»: رقم (٤٠٨٦) ك/ الأدب، باب من رد عن مسلم غيبة.

(٣) رواه الإمام أحمد: (٦/ ٤٦١)، وقال الهيثمي في «المجمع»: (٨/ ٩٥): رواه أحمد والطبراني وإسناد أحمد حسن. اهـ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع»: (٥/ ٢٩٠)، رقم: (٦٢٤٠).

(٤) عزاه في «السلسلة الصحيحة»: رقم (١٢١٧)، إلى الدينوري في المجالسة، والبيهقي في «الشعب»، والضياء في «المختارة»، ك البر والصلة باب: الذب عن عرض المسلم.

(٥) أخرجه الإمام أحمد: (٦/ ٤٥٠)، والترمذي: (٤/ ٣٢٧)، وحسنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع»: (٥/ ٢٩٥)، رقم: (٦٢٦٢).



امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَءًا مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، إِلَّا خَذَلَهُ اللهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنْ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ، إِلَّا نَصَرَهُ اللهُ فِي مَوطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ»(١).

وهذا ما التزمه صحابة رسول الله ﷺ ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في حق إخوانهم: فقد سمِعَ عمَّار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رجلًا ينالُ من أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقال له: «اسكُتْ مَقبوحًا مَنْبوحًا، فأشْهَد أنَّها زَوجة رسول الله ﷺ في الجَنَّة»، وفي رواية: «اغرُبْ مَقْبوحًا، أتؤذي محبوبَة رَسُول الله ﷺ؟!»(٢).

وعن كعب بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حدِيثِه الطَّويل في قصة تَوبتِه قَال: «قالَ النَّبيّ ﷺ وهوَ جَالس في القوم بتبوك: «مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟»، فقال رجل من بَنِي سَلمة: يَا رسول الله، حَبَسه بُرداه والنَّظر في عطفيه(٣) -أي جانبيه-، فَقَال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بئسَ مَا قُلت، وَالله يا رسول الله مَا عَلِمنَا عليه إلا خَيرًا، فسكتَ رَسُول الله ﷺ»(٤)، أي: سكت مقَرًّا لإنكَار مُعاذ علىٰ من فعل غِيبة أو تَلبَّس بها، وتَشريعًا لمثله بالرد علىٰ المغتاب.

وكان بينَ سَعد وخالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كلامٌ، فَذَهب رجل يقع في خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عندَ سَعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: «مه! إنَّ ما بيننا لم يبلغ دِيننا»(٥).

---

(١) رواه أبو داود: (٤/ ٢٧١)، ك الأدب، باب من ردَّ عن مسلم غيبة، وأحمد: (٤/ ٣٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع»: (٥/ ١٦٠).

(٢) أخرجه ابن عساكر كما في «الكنز»: (٣/ ١١٦)، وابن سعد: (٨/ ٦٥).

(٣) وهذه إشارة إلىٰ إعجابه بنفسه.

(٤) رواه البخاري: (٥/ ١٣٠)، ك الجمعة، باب من انتظر حتىٰ تدفن، ومسلم: (٤/ ٢١٢٢)، وأحمد: (٣/ ٤٥٧)، ك التوبة/ باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت»: رقم (٢٤٦)، وأبو نعيم في «الحلية»: (١/ ٩٤).

عن ابن عون قال: «كانُوا إذا ذَكروا عند محمَّد -أي ابن سيرين- رجلًا بسيئة ذَكرَه هو بأحسن ما يعلم»(١).

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلَم أنَّه يَنبغِي لِمَن سمع غيبَة مُسلِمٍ أَن يردها، ويزجُر قائلها، فإن لَم ينزَجِر بالكلام زَجَره بيده، فإن لم يَستَطع باليد ولا باللِّسان فارق ذلك المجلس، فإن سَمِع غيبة شيخِه أو غيره ممَّن له عَليه حقٌّ أو من أهل الفضل والصلاح كانَ الاعتناء بما ذكرناه أكثر»(٢).

القاعدة الثلاثون: حرمانهم من الفرص التي يحققون من خلالها مآربهم.

لابد من الحيلولة دون الفرص التي يستثمرها المنافقون لتحقيق شهواتهم ومايشبعون به نزواتهم، وعدم تكليفهم بما يرغبونه من المهام السهلة التي يكون غنمها أكبر من غرمها، ذرونا نتبعكم: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الفتح: ١٥].

وينبغي وضعهم في امتحانات كاشفة تكشف صدقهم من كذبهم: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾ [سورة الفتح: ١٦]، من أجل ذلك أمر النَّبيّ ﷺ بهدم مسجد الضرار وأُمر بألا يسمح لهم بالخروج معه ناهيك عن أن من أوجب الواجبات على من ولّاه الله شيئا من أمور المسلمين ألا يمكّن للمنافقين في شئ من إدارات وقطاعات ومراكز وجمعيات

(١) «السير»: (٤/ ٦٢٠).

(٢) «الأذكار النووية»: ص (٢٩٤).



المسلمين ونحو ذلك مما يفوّت عليهم فرصا كثيرة يرغبونها ويسعون في اغتنامها، فإن عيّن منهم أحدا وهو يعلم، فقد خان الله ورسوله ﷺ وأمانته.

ما يستفاد من القاعدة:

١- المنافقون لا يعيشون إلا لتلبية شهواتهم فيمضون في اغتنامها ويسعون في إشاعة المنكر بها وترويجها، وواجب المؤمنين الحيلولة بينهم وبين ما يشتهون.

٢- لا يُمكّنون من سائر ولايات المسلمين، لأنهم إن كانوا في شئ من ذلك فسدوا وأفسدوا، والتاريخ خير شاهد.

القاعدة الواحدة والثلاثون: قمع وتحطيم رموز النفاق وزعاماته.

إن اسْتهدَاف رموز النفاق وزَعامَاتهِ بِالفضح والتعرية بشَتَّى الوسائل وعلى كافة الأصعِدَة لمنَ الأمور المهمة جدًّا؛ ا خُصوصًا وأن هذه القيادات هي القُوَّة المَركزية والموجِّهُ الحَركيّ لِجماعتهم وجمهورهم، وكلما كان لهذه الجماعة والجمهور ثقة برُموزها وتقديس لقيادَتِها وارتباط وثيق بها، صَعُب اختراقها ما لم تظهر هذه الرموز على حقيقتها.

وكشف مؤامرات هذه الرموز وما تنطوي عليه خبَايا قُلوبهم يؤدي إلى تحطيمِهَا وتدمير الثقة بها، وعَزلِ تَأثيرها؛ ولذَا تتركز الحملَةُ الإعلامية في القرآن على رُموز الجريمة والعدوان وأربابِ الزَّيغ والفساد، لهدم شخصيَّاتهم والإجهاز على دورهم القيَادي، وتحطيم الثقة فيهم بين أتباعهم، فقال تعالى: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾ [سورة التوبة: ١٢]، وقَال سبْحَانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ

مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ [سورة النور: ١١].

أجمع المفسرون على أنَّ المُراد بالذي تولى كبرَ الإفك هو عبد الله بن أبي بن سلول، وفي هذا تأكيدٌ عَلى المعنى الذي نَصَّتْ عَليه القاعدة مِن أن توجيه السِّهام لزعامات النفاق ومن على شاكلتهم من أهم وسَائلِ جِهادهم والإغلاظ عليهم وزعزعة ثقة أتباعهم بهم.

إنَّهم المَلأ رؤوس النفاق والكُفر زعامات مضَتْ فِي عداء الدين وأهْلِه، فيا تُرى من هم؟ الملأ هم: الرُّؤساء، سُمُّوا بذلك لأنهم مِلاءٌ بما يُحتاج إليه، وقيل: أشْرَاف القوم ووجوههم ورؤساؤهمْ ومُقدَّموهم الذين يُرجع إلَى قَولهم ويصدر القرار من قِبَلِهم(١).

وقد اسْتخدم أولئك الملأ كل مَا يَملكون من أَساليبَ ووسَائل لصرف النَّاس عن عبادة الله، وصدِّهم عن سبيله.

وقيل: إنَّ الملأ هُمْ بِطانة الحكَّام الظالمين وأعوانُهم، وأصحاب المَصالح والأغنياء المترفون، وزعماء المناطق والقبائل(٢).

قال عليه الصلاة والسلام: «مَا مِنْ وَالٍ إِلَّا وَلَهُ بِطَانَتَانِ؛ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُ عَنِ المُنْكَرِ، وَبِطَانَةٌ لَا تَأْلُوهُ خَبَالًا، فَمَنْ وُقِيَ شَرَّهَا فَقَدْ وُقِيَ، وَهُوَ مِنَ التِي تَغْلِبُ عَلَيْهِ مِنْهُمَا»(٣).

ومن سننِ الله الثَّابتة في خلقهِ أنْ يَكون هَؤُلاءِ جميعًا في طَليعة مَن يتصدَّى

(١) ابن منظور في «لسان العرب»: (١/ ١٥٨).

(٢) «دور الملأ في الصد عن سبيل الله»، مقال بقلم: فهد بن ناصر الجديد في مجلة «البيان»: (٤٦/٩٨).

(٣) «صحيح الجامع»: (٢٦٨٦)، و«السلسلة الصحيحة»: (٢٢٧٠).

لأنبياءِ الله عليهم صلواتُ الله وسلامُه ودعاة الإصلاح؛ لأنَّ نُفوسهم امتلأت بحبِّ المَالَ والجاه، وقلوبهم قد أُشربت كُره كُلِّ مَن يدعو إلىٰ دِين الله.. وهم الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [سورة سبأ: ٣٤][(١)].

إنَّنا عنْدَما نتبين معالم شَخصيَّة هَؤُلاءِ (الملأ) الذين أكثر القُرآن الكريم من ذِكرهم، وبيَّن مواقفهم وأساليبُهم المتنوعة التي يُحاربون بها كلمَةَ الحَقِّ وَيصدون عن دين الله عَلىٰ مدار التاريخ، ثُم نلتَفتُ إلىٰ الحَاضر لنرىٰ هل كَانت مواقفُ المَلأ تلكَ فَلتة عابرَةً أو أمرًا طارئًا، أم أنَّ الأمرَ سُنَّة إلهية ومنهج ثابت في الدعوات؟، وعندئذ يَنبَغي للعَاملين في حقل الدَّعوة ألا يغيب ذلك عن بَالِهم وأن يعرفوا: أنَّ المَلأ هم الملأ في كل زمانٍ وفي كل مكان وأمام كل دعوةٍ.. يَقفون المواقف ذاتها، قَال تَعالىٰ: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ٧﴾ [سورة ص: ٦-٧].

ما يستفاد من القاعدة:

١) يَجبُ اسْتهداف رُؤوس النفاق وتعْرِيتُهم أمام الملأ، كَما يستهدفون هم العلماء والمصلحين بالتُّهمِ الباطلة والأكاذيب الممجوجة.

٢) رصد مكائدهم وفضَائحهم حتَّىٰ تستثمر في بيان عَوارهم وسوء طويَّاتهم في الوقت المناسب.

---

(١) «مواقف الملأ من الدعوة إلىٰ الله»، مقال للشيخ/ عثمان جمعة ضميرية في مجلة «البيان»: (٣/ ٤٤).

القاعدة الثانية والثلاثون: عدم قتل المنافقين إلا...

قد استأذن بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في مواقف بدرت من بعض المنافقين النَّبيّ ﷺ بقتلهم، لكن المصطفى ﷺ كان موقفه واحدًا لم يتغير: «دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»(١). فمن هذه المواقف:

١- ما رواه جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كُنَّا في غزاةٍ، فكسع(٢) رجلٌ من المُهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا لِلأنصار! وقال المهاجِريُّ: يَا للمهاجرين، فسمَّعها اللهُ رسولَهُ ﷺ قال: «مَا هَذَا؟»، فقالوا: كَسَع رجلٌ من المهاجرين رجلًا من الأنصار، فقال الأنصَارِيُّ: يَا للأنصار! وقال المُهاجري: يَا للمُهاجرين! فقَال النَّبيّ ﷺ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتِنَةٌ!». قال جابر: وكَانت الأَنصَار حين قدِمَ النَّبيّ ﷺ أكثر، ثُمَّ كثر المُهاجرين بعد، فقال عبد الله بن أبي: أوَقَد فعلوا؟ والله لَئِن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دعني يا رسول الله أضربُ عُنق هذا المنافق! قال النَّبيّ ﷺ: «دَعْهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»(٣)».

٢- عَن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «بينَا رَسُول الله ﷺ ذاتَ يَوم يقسم مالًا؛ إِذْ أتاه ذو الخويصرة، رَجُل من بَني تميم، فَقال: يَا مُحَمَّد! اعْدِل فوالله مَا عدلت منذُ اليَوم! فقَال النَّبيّ ﷺ: (فذكره) ثلاث مرات، فَقَال عمر: يَا رسول الله! أتَأذن لي فأضْرب عنُقَه؟ فقال: «لَا، إِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ...» الحديث(٤).

---

(١) رواه البخاري: ح (٤٩٠٥)؛ ورواه مسلم: ح (٢٥٨٤).

(٢) الكسع هو: أن تضرب بيدك أو برجلك على دبر إنسان. ينظر «لسان العرب»: (٨/ ٣٠٩).

(٣) ينظر «السلسلة الصحيحة»: (٣١٥٥).

(٤) «السلسلة الصحيحة»: (٢٤٠٦).

٣- وفي حادثة الإفْك: صَعد رسول الله ﷺ المنبر فَقَال: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي»، فقام سعد بن معاذ الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يَا رَسولَ الله، أَنَا أعذُرك منهُ، إنْ كَان من الأوس ضَربتُ عنقه، وإن كانَ منْ إخْوانِنا من الخزرَج أمرتَنا ففَعلنا فيه أمْرَك.

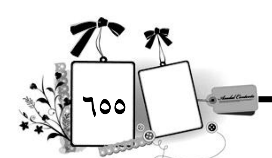
قالت: فقام سعدُ بنُ عُبادة وهُو سيد الخزرج رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وَكانَ قَبل ذلك رَجُلًا صالحًا وَلَكن اجتهلَتْه الحمية- فَقال لسعد: كَذبتَ لَعمر الله لا تَقتُله ولا تقدر على قَتله، فقام أسَيد بن حُضَير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو ابن عَم سَعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقَال لسعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَذبت لعمر الله لنَقتُلنه، فَإنَّك منافق تجادلُ عَن المنافقين، فتثاور الحيَّان الأوس والخزرج حتى همُّوا أن يقتتِلُوا ورسول الله ﷺ قائمٌ على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفِّضهم حتى سكتوا وسكت(١).

إنَّ قَتل المنافقين واستئصَالَهم فيه مصلحَةٌ ظَاهرة للمسلمين وتطهير لصفِّهم من أن تتدسَّس إليه عناصر التخذيل والإفساد، لكن لمَّا كان في ذلك هزُّ الثقة بالمسلمين وإشاعة لقالة السُّوء عَنهم؛ بحيث ينتشر في النَّاس أن النَّبيّ ﷺ يعامل الذين يعْتَنقون دينه بالقتل والتصفية الجَسديَّة، فإن الأمر تغيَّر وأصبح التغاضي عن قَتْلهم مصلحة أعلى وأولى من المَصالح الأخرى التي تتأتى من تخليص العباد والبلاد منهم.

ومع إن في بقَاء المُنافقين من المَفاسِد المُحقَّقة ما لا ينكره عاقل، إلا أنَّ في القضاء عليهم مفَاسِد تفوق مفسدة بقائِهم؛ لذا اقتضت حكمة المصطفى ﷺ أن تُدفع أعظم المفسدتين بأدناهما.

---

(١) رواه مسلم: ك التوبة، باب حديث الإفك: ح (٢٧٧٠).



ومع ذلك، فَقد يتفق رأي عُلماء الأمة وأهل الحَلِّ والعقد فيها على قتل منافق أو منافقين إذا تحققت الدواعي وانتفت الموانع.

والدليل على ذلك:

١- أن النَّبيّ ﷺ بَعث سَريَّة سَالم بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١) لقتل أبي عفك. قَال ابن إسحاق: وسالم بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لقتل أبي عَفك أحد بني عَمرو بن عوف، ثُمَّ بني عبيدة، وكَان قد نجم نِفَاقه حين قتل رسول الله ﷺ الحارث ابن سويد بن صامت فقال:

لَقَدْ عِشْتُ دَهْرًا وَمَا إنْ أَرَى ... مِنْ النّاسِ دَارًا وَلَا مَجْمَعًا
أَبَرّ عُهُودًا وَأَوْفَى لِمَنْ ... يُعَاقِدُ فِيهِمْ إذَا مَا دَعَا
مِنْ أَوْلَادِ قَيْلَةَ فِي جَمْعِهِمْ ... يَهُدّ الْجِبَالَ وَلَمْ يَخْضَعَا
فَصَدّعَهُمْ رَاكِبٌ جَاءَهُمْ ... حَلَالٌ حَرَامٌ لِشَتّى مَعًا
فَلَوْ أَنّ بِالْعِزّ صَدّقْتُمْ ... أَوْ الْمُلْكِ تَابَعْتُمْ تُبّعَا

فقال رَسُول الله ﷺ: «مَنْ لِي بِهَذَا الخَبِيثِ»، فَخَرج سَالم بن عمير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخو بني عمرو بن عوف، وهُوَ أحد البكائين فقتله، فقالت أمامة المزيرية في ذلك:

تُكَذّبُ دِينَ اللّهِ وَالْمَرْءَ أَحْمَدَا ... لَعَمْرُ الّذِي أَمْنَاكَ أَنْ بِئْسَ مَا يُمْنِي
حَبَاكَ حَنِيفٌ آخِرَ اللّيْلِ طَعْنَةً ... أَبَا عَفَكٍ خُذْهَا عَلَى كِبَرِ السّنّ(٢)

(١) هو: سالم بن عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس بن ثعلبة. ويقَالَ: سالم بن عمير بن ثابت بن كلفة بن ثعلبة بن عمرو بن عوف، شهد بدرًا، وأحدًا، والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وتوفي في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وهو أحد البكَّاءين. قال فيه موسى ابن عقبة: سالم بن عبد الله. ينظر «الاستيعاب في معرفة الأصحاب»، لابن عبد البر: (٢/ ٥٦٧)، و«الإصابة في تمييز الصحابة»: (٣/ ٨)، و«معرفة الصحابة»، لأبي نعيم: (٣/ ١٣٦٦)، و«الطبقات الكبرى»، لابن سعد: (٣/ ٤٨٠).

(٢) «البداية والنهاية»: (٥/ ٢٢١)، و«الروض الأنف»: (٤/ ٤١٧)، و«السير الحلبية»: (٣/ ١٤٦). =

٢- أما رواية قتل الخطمى عصماء بنت مروان لأنَّها نافقت فلا تثبت أبدًا.(١)

= لم ترد في خبر هذه السرية روايات مسندة صحيحة أو حسنة، فكان الاعتماد على روايات أهل المغازي فتقارن مع بعضها مع الأخذ بأوثقها قدر المستطاع، ذكره صاحب الرسالة الجامعية: «السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة»، بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري المحقق: أكرم ضياء العمري الناشر: دار ابن الجوزي الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

(١) وقصتها أنه لما قتل أبو عفك نافقت الخطمي عصماء بنت مروان، وهي من بني أمية بن زيد، فذكر عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه قال: وكانت تحت رجل من بني خطمة يقال له: يزيد بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقالت: تعيبُ الإِسْلام وأهله:

باسْتِ بَنِي مَالِكٍ وَالنَّبِيّتِ	وَعَوْفٍ وَباسْتِ بَنِي الْخَزْرَجِ
أَطَعْتُمْ أَتَاوِيّ مِنْ غَيْرِكُم	فَلَا مِنْ مُرَادٍ وَلَا مَذْحِجِ
تَرْجُونَهُ بَعْدَ قَتْلِ الرّءُ	كَمَا يُرْتَجَى مَرقَ الْمُنْضِجِ
أَلَا أَنِفٌ يَبْتَغِي غِرّةً	فَيَقْطَعَ مِنْ أَمَلِ الْمُرْتَجِي

قَالَ فَأَجَابَهَا حَسّانُ بْنُ ثَابِتٍ، فَقَالَ:

بَنُو وَائِلٍ وَبَنُو وَاقِفٍ	وَخَطْمَةَ دُونَ بَنِي الْخَزْرَجِ
مَتَى مَا دَعَتْ سَفَهًا وَيْحَهَا	بعَوْلَتِهَا وَالْمَنَايَا تَجِي
فَهَزّتْ فَتًى مَاجِدًا عِرْقُهُ	كَرِيمَ الْمُدَاخِلِ وَالْمَخْرَجِ
فَضَرّجَهَا مِنْ نَجُعْ الدِمَا	ءِ بَعْدَ الْهُدُوّ فَلَمْ يَحْرَجْ

فقال رسول الله ﷺ حين بلغه ذلك:» ألا آخذ لي من ابنة مروان؟»، فسمع ذلك من قول رسول الله ﷺ عمير بن عدي الخطمي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو عنده، فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها في بيتها فقتلها، ثم أصبح مع رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إني قد قتلتها، فقال:» نصرت الله ورسوله يا عمير»، فقال: هل علي شيء من شأنها يا رسول الله؟ فقال: «لا ينتطح فيها عنزان». فرجع عمير إلى قومه وبنو خطمة يومئذ كثير موجهم في شأن بنت مروان ولها يومئذ بنون خمسة رجال، فلما جاءهم عمير بن عدي من عند رسول الله ﷺ قال: يا بني خطمة أنا قتلت ابنة مروان فكيدوني جميعًا ثم لا تنظرون، فذلك اليوم أول ما عز الإِسْلام في دار بني خطمة وكان يستخفي بإِسْلامهم فيهم من أسلم، وكان أول من أسلم من بني خطمة عمير بن عدي، وهو الذي يدعى القارئ وعبد الله بن أوس وخزيمة بن ثابت، وأسلم يوم قتلت ابنة مروان رجال من بني خطمة =

ما يستفاد من القاعدة:

١- يقول ابن القيم: «وأمَّا سِيرته في المُنافِقِين، فإنَّه أُمِرَ أن يَقبل مِنهُم عَلانيتهم، ويَكل سَرائرَهُم إلى الله، وأن يجَاهِدَهم بالعلم والحجة، وأمَرَهُ أن يعرض عَنهُم، ويغلظ عَليهِم، وأن يبلغ بالقَول البليغ إلى نفُوسهم، ونهاه أنْ يصَلِّي عليهم، وأن يقوم على قُبورهم، وأخبر أنه إن استغفر لهم، فلنْ يغفر الله لهم، فهذه سيرته في أعدائه من الكفار والمنافقين»[(١)].

٢- من ثبت عليه -أي من المنافقين- فِعلٌ يَظهر بهِ نِفاقه وتكذيبه فهُوَ في حُكم المرتد عن الإِسْلام -في حكمه- وإن كان باقيًا على لفظه الاصطلاحِي، فَيسَمى منافقا باعتبار ما فعلَ، ويكون قتله وقتاله واجبًا على خليفة المسلمين إذا قامت الحجة وانتفت الموانع[(٢)].

٣- قد يحتج أحدهم بأن المنَافِقين في زمن النَّبيّ ﷺ قد صدر من بَعضِهم من الأفعال والأقوال ما يستَوجِب قتلهم، ومع ذلك لم يأمر بقتلهم، والجواب:

أ) أن المنافقين كانوا يأتُون مُعتذرين عمَّا صَدر منهم، ممَّا لازمه الكفر ويظهرون توبتهم.

ب) ثم إن بعضَهُم كانوا يَحلفون الأيمان المُغلَّظَة ما قالوا، وما عملوا، فيقبل منهم ﷺ ظاهرهم.

= لما رأوا من عز الإِسْلام. فهذه الرواية وغيرها من الروايات التي ذكرت القصة أسانيدها لا تخلو من منكر الحديث ووضَّاع ومتهم بالكذب ومجاهيل، وممن ذكر ذلك الشيخ الألباني وغيره. ينظر «السلسلة الضعيفة»: (٦٠١٣).

(١) ينظر «زاد المعاد»: (٢/ ٨٢).

(٢) «دراسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة الأمة»: (٣٤٢).

ج) أن سورة (التوبة) جاءت وغيرُها مِن السور بهتْكِ أستارهم وفضح خباياهم، لكنها كانت على صيغة: ﴿وَمِنْهُم﴾ ﴿وَمِنْهُم﴾، دون تحديد.

د) ثم إنَّهم يُظهرون الإِسْلام ويؤدون الشعائر حقْنًا لدمائهم وأموالهم.. وإنْ كانوا في حقيقة أمرهم منافقون، بَل مردوا على النفاق، لذا قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَشُقَّ قُلُوبَ النَّاسِ وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ»(١).

وقد أشير في غَير ما موضع من هذا البَحث عن السَّبب الرئيس الذي رَدَّده النَّبيّ ﷺ في أكثر مِن مناسبة: «لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»(٢).

وقد بيَّن شَيخُ الإِسْلام ابن تيمية سَببينِ عَن هَؤُلاءِ الذين يُظهرون الخير والصلاح، ويبطنون النفاق:

١- نقْبَل علانيتهم، ونَكلُ سَرائرهم إلى الله، فإذا كانت هَذه حَال من ظهر نِفاقُه بغير البيِّنة الشرعيَّة، فكيف حال من لم يظهر نفاقه؟، ولهَذا قَال عليه الصلاة والسلام: «إِنِّي لَمْ أُومَرْ أَنْ أَشُقَّ قُلُوبَ النَّاسِ وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ»، لما استُؤذن في قتلِ ذِي الخويصرة، وقَتل رَجل آخر من المنافقين قال: «أَلَيْسَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟»، قِيل: بلى، قال: «أَلَيْسَ يُصَلِّي؟». قيل: بَلى، قال: «أُولَئِكَ الذِينَ نَهَانِي اللهُ عَنْ قَتْلِهِمْ»، فَأخبر ﷺ أنه نُهي عَن قَتل من أظهَرَ الإِسْلام من الشَّهادتين والصلاة، وإن ذُكر بالنفاق ورُمِي به وظَهرت عليه دلالاته إذا لم يثبت بِحجَّة شرعية أنه أظهر الكفر.

وكذلك قوله في الحديث الآخر: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا

---

(١) سبق تخريجه: (صـ: ٦٢٦).

(٢) سبق تخريجه: (صـ: ٤٠٤).

وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ»، معناه: أَنِّي أمرت أن أقبل منهُمْ ظَاهر الإِسْلام، وأكِلُ بَواطنهم إلىٰ الله، والزِّنديق والمنافق إنَّما يقتل إذا تكلم بكَلِمة الكفر وقامَتْ عَليه بذلك بَيِّنة، وهَذا حكمٌ بالظَّاهر لا بالباطن، وبهذا الجواب يظهر فقه المسألة.

٢- الوجهُ الثاني: أنَّه عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَان يخاف أن يتولَّد من قتلِهم من الفساد أكثر ممَّا في استبقائهم، وقد بين ذلك حين قال: «لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»، وقال: «إِذًا تَرْعَدُ لَهُ آنُفٌ كَثِيرَةٌ بِيَثْرِبَ»، فَإنه لو قتلهم بما يعلَمه من كفرهم لأوشك أن يظن الظَّانُّ أنَّه إنما قتلهم لأغراض وأحقاد، وإنَّما قصده الاستعانة بهم علىٰ الملك كما قال: «أَكْرَهُ أَنْ تَقُولَ العَرَبُ: لَمَّا ظَفَرَ بِأَصْحَابِهِ أَقْبَلَ يَقْتُلُهُم»، وأن يخاف من يريد الدخول في الإِسْلام أن يقتل مع إظهاره الإِسْلام كما قتل غيره.

وقد كان أيضًا يغضب لقتل بَعضِهم قبيلتُه وأناس آخرون، فيكون ذلك سببًا للفِتنَة.

واعتبر ذلك بما جرىٰ في قصة عبد الله بن أبي لَمَّا عرض سعد بن معاذ بقتله خاصم له أناس صالحون، وأخذتهم الحمية حتىٰ سكتهم رسول الله ﷺ، وقد بَيَّن ذلك رسول الله عَلَيهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَمَّا استأذنه عمر في قتْلِ ابن أبي. قال أصحابنا: ونَحنُ الآن إذا خفنا مثل ذلك كففنا عن القتل[1].

ومن أهم ما تجدُر الإشَارة إليهِ هُنا، هو أن استحقاق المُنافق للقَتل إنَّما هو من اختصاص أهل العِلم والحل والعقد ممَّن تَبرأ بهم الذمة وتقُوم بهم الحجة، حتىٰ لا يشيع بين المسلمين القتل وسفك الدماء لكل من هبَّ ودبَّ.

من الملاحظ أيضًا أن النَّبيّ ﷺ قد تعرض لمحَاوَلة قتل من مجموعة من المنافقين وهُو عائد من غَزوَة تبوك، ومع ذلك لم يثبت أنَّه ﷺ حمل عليهم سلاحًا، أو جهز

---

(١) استطرد شيخ الإِسْلام ابن تيمية في «الصارم المسلول علىٰ شاتم الرسول»: (٣٥٧)، فلينظر ففيه فوائد جمّة تحقيق: محمد محيىٰ الدين عبد الحميد.

لملاقاتهم جيشًا، بل ولم يأمر بِقتلِهم، بل كان يُستأذن في قتْل بَعضهم فَلا يأذن لِحِكَمٍ كثيرة قد أشير إليها في ثنايا البحث، ولكن يحْسُن هنا الإلماح إلى أن من الدَّواعي التي تحاشا النَّبيّ ﷺ من أجلها إعمال السيف في رقابهم هو هوانهم وذلتهم بحيث يُكتفى في حقهم (بالإعراض، والإقصاء...).

القاعدة الثالثة والثلاثون: تقبل توبة المنافق مع أخذ الحيطة والحذر.

باب التوبَةِ المفتوح قد اتَّسع لكثير ممن كانوا مُنافقين ثم آمنوا واستقاموا، ولقد تَوافرت نصوص من الكتاب والسنة، وعن سلف الأمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في موضوع توبة المنافقين، فمن ذلك:

١- قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [سورة النساء: ١٤٥-١٤٦].

٢- وقال عز من قائل: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة التوبة: ٦٤-٦٦].

٣- وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ

وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ [سورة التوبة: ٧٣-٧٤].

٤ -وقال سبحانه في المنافقين: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [سورة التوبة: ١٢٦].

٥ -وقال تعالى: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٢٤].

أما نُصوص السُّنَّة: فمنها ما ورد عن الأسود رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «كنَّا في حَلقة عبد الله -أي ابن مسعود- فجاء حذيفة(١) حتى قامَ علينا فسلَّم، ثمَّ قَال: لقَد أُنزل النفاق على قَومٍ خَير منكم. قال الأسود: سبحان الله! إنَّ اللهَ يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة النساء: ١٤٥]، فتبسم عبد الله وجلس حذَيفَة في ناحية المسجد، فقام عَبد الله، فتفَرَّق أصحابه، فرَماني بالحَصا فأتيته، فقال حذيفة: عَجبت من ضَحكِه وقد عرف ما قلْتُ: لقد أنزل النِّفاق على قوم كانوا خيرًا منكم ثُمَّ تابوا، فتاب الله عليهم»(٢). وعن علقمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ نحوه(٣).

وعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كنت جالسًا عند النَّبيّ ﷺ إذ جاءه رَجُل -حرملة بن زيد الأنصاري أحدُ بني حارثة- فَجلس بين يدي رسول الله فقال: يَا رسول الله الإيمان، هَهُنا وأشار بيده إلى لسانه، والنفاق ههنا ووضع يده على صدره، ولا يذكر الله إلا قليلًا، فَسكتَ رسول الله ﷺ وَرَدَّ ذلك حرملة، فأَخَذَ رسول الله ﷺ بطَرف لسان حرملة، فقال: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ لِسَانًا صَادِقًا وَقَلْبًا

(١) هو حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» برقم: (٤٣٢٦).

(٣) رواه الطبراني في «تفسيره»: (٥/ ٣٩٩)، ورواه البيهقي في «سننه»، وهو شاهد لما سبق.

شَاكِرًا، وَارْزُقْهُ حُبِّي وَحُبَّ مَنْ أَحَبَّنِي، وَصَيِّرْ أَمْرَهُ إِلَىٰ خَيْرٍ»، فقال له حرملة: يا رسول الله، إن لِي إخْوانًا منافقين كنتُ فيهم رأسًا، أفلا أدلك عليهم، فقال رسُول الله ﷺ: «مَنْ جَاءَنَا كَمَا جِئْتَنَا اسْتَغْفَرْنَا لَهُ كَمَا اسْتَغْفَرْنَا لَكَ، وَمَنْ أَصَرَّ عَلَىٰ ذَلِكَ فَاللهُ أَوْلَىٰ بِهِ، وَلَا تَخْرِقْ عَلَىٰ أَحَدٍ سِتْرًا»(١).

وقال ابن شهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «... وقال الجلاس بن سويد حين سمع ما أنزل الله عَزَّوَجَلَّ في المخلفين(٢): والله لَئن كان محمد صادقًا لنحْنُ شرٌّ من الحمير، فقال له عامر بن قيس(٣) وهو ابن عمِّه: والله إن محمدًا لصادقٌ، ولأنتُمْ شَرٌّ من الحمير، ويلك تخلَّفت عن رسول الله ﷺ ونافقت، والله ما أراه ينبغي لي أن أسْكُت عن هذا الحديث.

وكان رسول الله ﷺ قد أعطىٰ سويد بن صامت(٤) عقلًا(٥)، وأعطَاهُ من الصدقة، فانطلق عامر بن قَيس إلىٰ رسول الله ﷺ فحدَّثه بما قال الجلاس، فأرْسَل إليه رسول الله ﷺ فحلف بالله ما تكلم به قط، ولقدْ كَذب عليَّ عامر بن قيس، فقال عامر: اللهم أنْزِل علىٰ رسولك بيانًا شافيًا، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ [سورة التوبة: ٧٤] إلىٰ قوله: ﴿وَمَا لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة التوبة: ٧٤]، واستتيب ممَّا قال، فتاب، واعترف بذنبه...»(٦).

---

(١) رواه الطبراني وأبو نعيم واللفظ له، وانظر «كنز العمال»: (٤/ ٢٦٧، ٢٦٨)، وهو حديث حسن وله شواهد. قال ابن حجر في «الإصابة»: إسناده لا بأس به (٢/ ٢٢٧).

(٢) هي الآية: (٩٣) من سورة (التوبة)، وما بعدها.

(٣) هو: عامر بن قيس الأنصاري ابن عم الجلاس بن سويد، وأنه أحد من سمع الجلاس بن سويد يقول... انظر «الإصابة في تمييز الصحابة»: (٥/ ٢٩٥).

(٤) هو: سويد بن الصامت بن حارثة بن عدي بن قيس الأنصاري، شهد أحدًا. انظ: «الإصابة في تمييز الصحابة»: (٤/ ٣٠٠).

(٥) العقل: الدية. ينظر «النهاية»: (٣/ ٣٧٨).

(٦) قال ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٥١٩): وأصل الحديث في «صحيح البخاري»: (٣/ ٣١١).

وعن عروة بن الزُّبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ ورضي عن أبيه في قوله: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ﴾ [سورة التوبة: ٧٤]، قال: «قال الجلاس: قد استثنى الله لي التَّوبة، فأنا أتوب، فقبل منه رسول الله ﷺ»(١).

وعن قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٤]، قال: «إن شَاء أخرجهم من النفاق إلى الإيمان»(٢).

ومن هَؤُلاءِ الذين تابوا كما ذكر ابن الأثير مُجمع ويزيد ابنا جارية بن عامر(٣).

ما يستفاد من القاعدة:

١- من المنافقين من تابَ فحَسُنَتْ توبته وصدَق الله في أوبته، وإقلاعِه عمَّا كان فيه، ممَّا يدلُّ على أن باب التوبة مفتوح: ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡۖ﴾ [سورة التوبة: ٧٤].

٢- إن خصلة التوبة مِن النفاق محمَدَة ولَيست مذمة يُذم بِها مَن رَمَى بالنِّفاق وراء ظهره مقبلًا على الله تعالى منيبًا إليه.. وإن تَوبة العَبد من الذنب أو المعصية تُعدُّ في مناقبه ومحاسن أفعاله.. ولذا جاء الثناء في الوحيين على التائبين.

٣- يُشار هنا إلى ما يجب اتِّخاذه تِجاه من نافق بدعوته إلى الإيمان الصَّحيح والإعراض عما هو عليه من مرض النِّفاق، والعَاقل يهتدي ببصيرته إلى الهدَى والإيمَان، ولا ينبغي للأمة المسلمة أن تتخَلّى عن دعوة هَؤُلاءِ القَوم لَما أصابهم من نفاق، بَل يجب أن ينفر لذَلكَ طَائفة ممن يَحميها إيمانها من النِّفاق مترسة بتَقْوى الله تعالى وإخلاص العَمل له، عالمة بأدواء ووَاقع القوم ومكائدهم، فَيهتدي منهم من

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره»: (١٠/ ١٨٨)، وهو مرسل جيد يشهد له ما تقدم تخريجه: (صـ: ٥٦٨).

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره»: (٢/ ١١٥)، ورواه الطبراني في «تفسيره»: (٢١/ ١٤٨) واللفظ له.

(٣) ينظر «جامع الأصول»، لابن الأثير: (١١/ ٥٧٤ – ٥٧٥). انظر مبحث من تاب من المنافقين: (صـ: ١٤٨).

يهديه الله سبحانه ويتوب الله على من تاب منهم.

٤- إن واجب العلماء وبقية الأمة تبع لهم، تَصديقُ تَوبة من تاب مِن النفاق، مع الحذر الشديد من أفْعَاله حتى تثبت قدمه على الهُدى والإيمان. وقد يُعتَرض هنا بأن المنافق إذا تاب كيف نصدِّق توبته، وهُو يكتم الكفر أو الشر في قلبه ويُظهر الإيمان والخير، وقد جُرِّب عليه النفاق من قبل؟

فنقول: نَعم إن من جُرِّب عليه الكذب لا يُصدَّق -من أول وهلة- بمجرد ادعَائِه التوبة والصدق، فكيف بمن نافق، ولكنَّا أُمرنا معشر المؤمنين أن نتأسى بالنَّبيّ ﷺ، فقد قبل وصدَّق عليه الصلاة والسلام توبة من نافق -كما سبق في الآثار المتقدمة-، وهَذا مع القيد الذي ذُكِر سابقًا، وهو الحذر الشديدُ حِياله؛ فلا تُفتح له الأبواب كلها -مثلًا- على أسرار الأمة ومقدراتها، ولا يُفسح له المجال في مقامات توجيه المؤمنين، حتى تثبُتَ قَدمُه على الإيمان بعد فترة من الزمن بعلامات تعرف من التائب وخصوصًا التائب من النفاق بصدقه وإخلاصه وإصلاحه واعتصامه بالله.

٥- يشترط في قبول توبة المنافق:

أ-الإصلاح: وهو ضِدُّ الإفساد: وقد وسمهُمُ الله بالإفساد في أول سورة (البقرة)، فقال عز شأنه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة البقرة: ١١-١٢]، فلا بد للمنافق عند توبته إصلاح ما أفسد، وذلك يكون بإصلاح نفسه وإصلاح ما أفسده من حوله، ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٤٦].



❑ فأما إصلاح نفسِه فَيشمل إصْلاح ما أفسده من سرِّه ونِيَّته وحاله وقوله وعمله، فيعمل بما أمَرَه الله به ويؤدي فرائضه وينتهي عمَّا نهاه عنه، وينزجِرُ عن معاصيه، فيجْتَهد في أعمال الإيمان التِي تغسل ما تلوثت به نفسه من أعمَالِ النفاق، كأن يلتَزِم الصدق والنَّصيحة لله ولرسوله ﷺ ولأئمةِ المُسلمين وعامتهم، والأمانة التامة والوفاء، وإقامة الصلاة بالخشوع والحضور ومراقبة الله تعالىٰ وما أشبه ذلك.

❑ وأما إصلاح ما أفْسَد حوله فيَشمَل إصلاح ما أفسَده من قلوب ضعَفَاء المؤمنين بإغرائهم بالنِّفاق، وكراهية الحقِّ وأوليائه، وتشكيكهم في أمر الله، فيُصلح ذلك كله بما يعود علىٰ الأمة بإصلاح ما فسد من قلوب العباد وأعمالهم.

❑ كما أن إصلاحَهُ يَشمل ذكر من كان يبغِضُه أو يغتابه أو يَتآمر عليه –وهو من أولياء الله– بالذكر الحَسن ونحو ذلك.

❍ قال ابن القيم: «كما شُرط في توبة المنافقين الذين كَان ذَنبُهم إفساد قلوب ضعفاء المؤمنين، وتحيُّزهم واعتصامهم باليهود والمشركين أعداء الرسول ﷺ، وإظهارهم الإِسْلام رياءً وسمعَةً، أن يُصلحوا بدل إفسَادِهم، وأن يعتصموا بالله بدل اعتِصَامهم بالكفار من أهل الكتَاب والمشركين، وأن يخلصُوا دِينهم للهِ بدل إظهارهم له رياء وسمعة»(١).

ب–الاعتصام بالله: أي التمسك بعَهدِه وميثاقه الذي عهِدَ في كتابه إلىٰ خلقِه من طاعته وتركِ معْصِيته في كل الأمُور، بدل تمسكهم بأهواء وآراء القوم وأنظمتِهم، وهو التعلق أيضًا بالله، فيجعله ملجأً ومعاذًا لَه، وهو الوثوق به وبوعده كما يثق المؤمنون الخلَّص بدل التحيز والاعتصام والاعتزاز بالكفار من أهل الكتاب والمشركين والمناوئين.

(١) ينظر «عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، لابن القيم: (١/ ٥٥).

ت-إخلاص الدينِ لله: أي لا يَبتَغون بطاعته إلا وجْهَ الله ورضاه، لا رياءَ النَّاس ودفع الضرر عنهم؛ سواء كان معنى الدين هنا الإِسْلام وإخْلاصه لله تعالى، أو كان بمعنى العمل، وإخلاصه برفع شوائب النفاق والرياء عنه.

والخلاصة: أَنَّهم لا يُشركون شركًا أكْبَر ولا شركًا أصغر، مُخلصين في التَّوبة، مقرين بالتَّوحيد، عازمين على سلوك طريق: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥﴾ [سورة الفاتحة: ٥].

٦- لا بد أن تحمل التَّوبة في قلب الْمُنافق وعمله مَعاني عظيمة؛ منها النَّدم على ما كان منه في مَاضي النفاق، وترْك مَا كان يفْعَله، والعزم عَلى مفارقته وعَدم العَودَة إليه في المستقبل، وهَذه هي شروط التَّوبة الثلاثة في الجمْلَة لكل من أراد التَّوبة من الذنوب والمعاصي.. ويضيف إليها أهلُ العلم شرطًا رابعًا: وهُو ردُّ مظالم العباد إن كان ذنبه متعلقًا بحقوق العباد(١).

٧- وهناك علامات للتَّوبة المقبولة يَعلمها التائبُ من نَفسه؛ لأنَّ صَاحب البيت أدرى بما فيه، فمنها:

أ) أن يكون بعد التَّوبة خَيرًا مما كان عليه قبلها.

ب) وألَّا يَزال الخوف مصاحبًا له لا يأمن مكر الله طرفة عين، فخوفُه مستمر إلى أن يبشر بقوله تعالى: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠﴾ [سورة فصلت: ٣٠]، فَهناك يَزولُ وجَلُه ويذهب خوفه.

---

(١) انظر «تفسير الطبري»: (٥/ ٣٩٩)، و«تفسير القرطبي»: (٥/ ٤٢٦)، و«تفسير ابن كثير»: (١/ ٥٨٣)، و«تفسير الرازي»: (١١/ ٨٨)، و«عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، لابن القيم: (ص: ٦٨)، و«الكشاف»: (١/ ٥٨١)، و«زاد المسير»: (٢/ ٢٣٤، ٢٣٥)، و«فتح القدير»، للشوكاني: (١/ ٥٣٠)، و«روح المعاني»: (٥/ ١٧٨)، و«تفسير المنار»: (٥/ ٤٧٤، ٤٧٥)، و«التحرير والتنوير»: (٥/ ٢٤٤).

جـ) ومنها انخلاع قلبه وتقَطُّعُه ندمًا وخوفًا، ومن لم يَجد ذلك منهُ فَليتهم توبتَه وليرجع إلى تصْحِيحها؛ فما أصْعب التوبة الصحيحة وما أسهلها باللسان والدعوى(١).

٨- إن تحقق شروط التَّوبَة من النفاق وتَوفُّر معالمها دليلٌ على صدق توبة المنافق وسلوكه الصراط المستقيم، أما إن فُقدت بَعض هذه الشروط أو جُلها فإنَّ هَذا يدل على أن إعلان التوبة من قِبل المنافق كان نفاقًا أيضًا وطلبًا لمصلحة الوقت، وتغييرًا للخطة التي يسير عليها.

وهذا يَدعونا للحَذَر وأخذ الحيطة مع مَن يُعلِن التوبة منهم، حتى تظهر الدلائل الواضحة على صدق إيمانه والله أعلم.

٩- يستفاد من النُّصوص السابقة صحَّة تَوبة المنافق، وأنها مقبولة على ما يراه جمهور أهل العلم(٢).

١٠- لا تُقبل توبة المُنافق عند ظهور نِفَاقه وقيام البينة الشرعية بِثُبوت نفاقه عنْدَ الحاكم حتى يكون للجهاد موضع وللتَّوبة موضع، وإلا فقَبُول التوبة الظاهرة في كل وقْتٍ يَمنع الجهاد لهم بالكلية(٣). بِالإضافة إلى أنَّه لم يمكن أن يُتربص بِهم أن يصِيبَهم الله تعالى بعذاب من عنده أو بأيدِينا(٤) لأنَّا كلما أردْنا أن نعذبهم على ما

(١) انظر «مدارج السالكين»: (١/ ٢٠٦ - ٢٠).

(٢) انظر «المغني»، لابن قدامة: (١٠/ ٧٨-٨٠)، و«المحلى»، لابن حزم: (١١/ ٢٠١-٢٢٧)، و«أحكام القرآن»، لابن العربي: (٢/ ٩٧٩)، و«أحكام القرآن»، للجصاص: (٣/ ٢٧٣)، و«الصارم المسلول»: (ص: ٣٢٧، ٤٦٧)، و«فتح الباري»: (٨/ ٢٦٧).

(٣) إشارة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [الآية (٧٣): من سورة التوبة].

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ٥٢﴾ [سورة التوبة: ٥٢].

أظهروه أظهروا التَّوبة وهكذا.. فيحكم عليهِ بالقتل إذ لم تقبل توبته لما تقدم، ولو جاء المنافق مظهرًا لنفاقه ولتوبته منه من غير أن تقوم عليه بينة بالنفاق قبلت توبته على القول المختار(١).

وقال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمَّا قبول الله تَعالى لتوبة الزِّنديق في البَاطن، وغفرانه لمن تاب وأقلع ظاهرًا أم باطنًا فلا خلاف فيه»(٢).

قال الشيخ محمد العثيمين:

اتفقَ العُلماء على أنَّ كُلَّ مَن تاب من كفر فإنَّه يقبل منه، ويرتَفِع عنهُ القَتل؛ لعموم قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [سورة الزمر: ٥٣](٣)، وهذهِ الآيَة نَزلت في التَّائبين، فكُلُّ ذَنب يتوب الإنسان منه فإنَّ الله تعالى يتوب عليه.

كذَلكَ الزِّنديق، والزِّنديق هو المَارِقُ عَن الدين كُلِّه، وقيل: الزِّنديق هُو المنافق، ولعل الزِّنديق أشَدُّ من المنَافق؛ لأن المنَافق ربَّما يتصنع للمُسلمين ويُظهر أنه مسلم، كما هو الشأن في المنافقين في عهد الرسول ﷺ.

قوله: (وَسَائر الطَّوائف المُنافِقة) أي: الدُّروز والزَّنادقة وَغيرهم، (وكل دَاعٍ لابْتَداع) أي: كُل إنْسَان يدعو للبِدعَة، والمُراد البدعة المكفرة، (يقتل) وَهَذا مقول القول، يعني يقْتَل ولو تاب، فإنَّها لا تقبل توبته، (كَمَن تكرر نكثه لا يقبل)، يَعنِي: تَكرَّرت ردته، بحيث يرتد ثم يَتوب، ويرتد ثم يتوب؛ ويرتد ثم يتوب، وهكذا. قَالوا: هذا لا تقبل توبَتُه لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ

(١) انظر «الصارم المسلول»: (ص ٢٤٠، ٣٤٥، ٤٦٧، ٤٦٩).

(٢) ينظر «المغني»: (١٠/ ٨٠).

(٣) سبق إيضاح الفرق بين المنافق والزنديق (صـ: ٤٧٣).

ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾ [سورة النساء: ١٣٧]، وهذا يقتضي أنه لا تقبل توبتهم.

قوله: (لأَنَّه لم يبد منْه إيمانه) لأنه: الضَّميرُ يعود على هَؤُلاءِ باعتبار الجنس، (لم يَبد منه إيمانه إلا الذِي أذاع من لسانه) أذاع: يَعني أظْهر من لسانه، فالمُنافق مثلًا إذا قلنا: إنَّه يجب قتله، فقالَ: أنا مسلم أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأصَلِّي مَعكم وأزكي، نقول: ولو كُنتَ كَذلك، فإذا قال: أنا تَائبٌ، فَنقول: ولو تبتَ نَقتلك؛ لأن قولكَ الآن أنك تائبٌ وتُصلي وتزكي هو قولكَ أولًا لأنك تنافقنا، فلم يبد من إيمانك إلا ما أذاعه لسانك، وما أذعته اليوم كالذي أذعته بالأمس، أنت تنافقنا فلا نقبل منك.

ولكِنَّ الصحيح أن المُنافق تقبل توبَته لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [سورة النساء: ١٤٥-١٤٦]، وهذه الآية صريحة في أنه تقْبَل توبة المنافق، ولكنَّ الله ذَكر شروطًا لا بد منها، حيثُ قال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ [سورة النساء: ١٤٦]، وذلك حتى نعرف إصلاحهم.

والذين علَّلُوا عدم قبول تَوبَة المنافقين، يقولون: إنَّ مَن تكرر نكثه فإنَّنَا لا نقبل توبته، للآية التي ذَكَرْناها، ولأَنَّنَا لو قبلنا إِسْلامه اليومَ فَسوف يرتد غدًا؛ لأن هذه عادته؛ يؤمن ويكفر، ويؤمن ويكفر، فلا نثق به فنقتله، ولكننا نقول إن الله تعالى يقول في الآية الكريمة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾﴾ [سورة النساء: ١٣٧]، فكانَت نِهايتهم الزيادة في الكفر، ولم تَكن نهايتهم التوبة، وعلى هذا فإذا تابُوا وعرفنا أن

تَوبتُهم صحيحة باستقامة أحوالهم، فالصحيح أنها تقبل(١)(٢).

القاعدة الرابعة والثلاثون: الحُكم على المنافق من خلال استقراء تاريخه حتى لا نخدع بمشاريعه وأطروحاته.

إن مَن يتأمَّل السِّيرة الذاتيَّة لهؤُلاءِ الذين تَزعَّمُوا بناء مَسجد الضرار؛ يجِدُ أن لهم مواقف نفاقِيَّة عبْرَ أحداث السِّيرة، من تَخَلُّفٍ عن الجهاد، وتعويقٍ للمُشاركة فيه، ولَمْزٍ للمطوعين في الصدقات، واستهزاء وسخرية بالمؤمنين، وأمر بالمنكر ونهيٍ عن المعروف، والوقوع في أعرَاض المُؤمنين والإرجاف بهم، مع استِصْحاب الكذب مطية، والأيمان الفاجرة تقية، والموالاة لأعداء الدين والسعي في الأرض بالفساد سجيَّة.. الخ.

لذا كَان من أقوىٰ الضرَبَات الموجعة للمُنافقين الحاصدة لخَضْرائهم الفاضحة لمقاصدهم وأهدافهم هِي عرض سجل تاريخهم الحالك سوادًا: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة محمد: ٣٠]، وما كان المُنافقون يخشون زَمَن النبوة من شَيء خَشيتهم من نزول آيات تفضح سرائرهم وتظهر مخبوء قلوبهم، ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة التوبة: ٦٤].

قال الشيخ السعدي: «لا بُدَّ أن يظهر ما في قلوبهم، ويَتبيَّن بِفلتات ألسنتهم، فإن الألْسُن مغارف القلوب، يظْهر منها ما في القلوب من الخير والشر»(٣).

---

(١) ينظر «شرح العقيدة السفارينية»، لابن عثيمين: (١/ ٢٩٧).

(٢) استفدت فيما يتعلق بهذه القاعدة كثيرًا من رسالة شيخي عبد الرحمن القصاص، «النفاق والمنافقون في ضوء السنة النبوية»: (ص: ٣٨٤ – ٣٨٨)، (ص: ٤٤٥-٤٥٢).

(٣) تفسير السعدي: (١/ ٧٨٩)، وقد سبق مزيد إيضاح لهذه الآية: (صـ:٥٦١).

إنه المسلك الذي يهتك أستارهم ويعرِّي غَاياتهم بفتْحِ ملفات خزاياهم وتصريحاتهم وندواتهم وحواراتهم وعلاقاتهم بِسَدنتهم من أعداء الملة. وبِهذا نختصر كثيرًا من الطريق في الرد على شبهاتهم وأطروحاتهم، فينقلبوا خائبين مدحورين.

ما يستفاد من القاعدة:

من الأَهَمِّيَّة بمكان رصد جميعِ مَا لَهُ صِلة بالمُنافقين؛ وخصوصًا زعاماتهم وتوثيق ذلك حتى يستثمر في الوَقتِ المُناسب للإتيان على بُنيانِهم من القواعد فيخر عليهم السقف من فوقهم.

القاعدة الخامسة والثلاثون: استثمار وسائل الإعلام في جهاد المنافقين كما يستثمرونها[1].

قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [سورة النساء: ١١٢]، جاء في سَببِ نُزولها: أنَّ قَتادة بن النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «كانَ أَهْلُ بيت منَّا يقَال لهم: بنو أبيرق؛ بشر وبشير ومبشر، وكان بَشير رَجلًا منافقًا، يقول الشعر يهجو به أصحاب رسول الله ﷺ، ثم يُنحِلُه لبعض العرب، ثم يقول: قال فلان: كذا وكذا وقال فلان: كذا وكذا، فإذا سَمِع أصحاب رسولِ الله ﷺ ذلك الشعر قَالوا: والله ما يقُول هَذا الشعر إلا هَذا الرَّجل الخَبيث، أو كما قال الرَّجل، وقالوا: ابن الأبيرق قالها فلمَّا نزل القرآن لحق بَشير بالمشركين، فنزل على سلافة بنت سعد بن سمية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فأنزل الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ

---

(١) انظر مبحث «موالاة المنافقين لإخوانهم الذين كفروا»: (١/ ٣١٨).



ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [سورة النساء: ١١٥-١١٦]، فلما نزل على سلافة رماها حسان بن ثابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بأبياتٍ مِن شعر، فَأَخذت رحله فوضعته على رأسها -وفي رواية: على رأسه- ثُمَّ خرجت به فرمت به في الأبطح، ثم قالت: أهديت لي شعر حَسَّان ما كنت تأتيني بخير(١).

ما يستفاد من القاعدة:

١- معرفةُ الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ للمُنافقين وتَمييزهم لمَواقفهم، ويَبرزُ هَذا من خلال قَولهم: واللهِ مَا يقول هذا الشعر إلا هذا الخَبيث، على الرَّغم من أن المنافق كان ينسبه لغيره من الشعراء.

٢- من أساليب المُنافِقين في إيذاء أوْلِياء الله سبحانه، هِجَاؤهم من خلال الأدَبِ العربي، شعرًا كان أو نثرًا، ومن ثم نسبته إلى أدباء آخَرين أو نشره بأسماء مستعارة.

وبين الأدب والإعلام بوسَائِلها المتعددة حَبلٌ وصيل؛ ولِذَا نرى هذا الأسلوب النفاقي قد انتشر في إعلامنا.

٣- إنَّ نِسبَة ما يقوله المُنافق (الأديب) مِن هِجاء للإِسْلام وأهله إلى غيره فَيتَحاشى ذكر اسْمه يُشعرنا بمدى جبن المُنافقين وضعفهم، وانفِصَام شخصياتهم، وتَردُّدهم وعدم ثباتهم... بيد أن هذا التَّصَرُّف من المنافق يكون حين يَشتد عود الإِسْلام، وتكون الصَّولَةُ والغلبة للمسلمين، وحينما يخشى من أعيُنِ أهل الإيمان التي تلحظه وتراقبه وتحصي عليه أنفاسه لتقهره.

---

(١) حسن هذه الرواية الشيخ الألباني في «صحيح سنن الترمذي»: (٣٠٣٦)، وانظر الرواية بتمامها ومزيد تخريج لها: (٥٣٢).



فتَجد أنَّ بعض هَؤُلاءِ العلْمانيين أو الملحدين أو اللِّيبراليين قد يطرح ما يَعتَقده عبر رواية يكتُبُها، ويجعل ذلك منْسُوبًا إلىٰ رموز الرواية ممَّا هُو كفر وإلحاد، حتَّىٰ إذا ما حُوكم وثُرِّبَ عليه وهُوجم، قال: هذِه رواية وليست حقيقة، بل تَجدُ أن ما يطبعه مِن كتب خارج بلاده يُصرِّح فيها بما في نفسه، ما يقُوم بحذفه لو طبعَهَا في بلده، بل تجِدُ أن أمثال هَؤُلاءِ يتنفسون الصَّعداء إذا ما كَانت حواراتهم الإعلامية عَبر قنوات غرْبِيَّة وغَيرها، بخلاف ما يَتَّخذه من حيطة وحَذر عندما يُحَاور في بلده، وهكذا يتلونون تارة وتارة.

فإذا أمِنَ السَّبيل فلا يبالي بنسبة ما يقوله إلىٰ نَفسِه، أو التَّصريح باسمه، أو الافتخار بمن يهاجمون الإِسْلام والمسلمين، وربَّما غاير في منهَجه فيوم هنَا ويَومٌ هُناك، أو كَان هذا دوره، والدور الآخر لأخيه، وهكذا من باب تبادل الأدوار وتوزيعها.

٤- أثر الأدَبِ الإِسْلامي في نُصرة الدعوة، وبثِّ الرعب في قلوب المنافقين، والتَّضييقِ عليهم، كما أثَّر شعر حسان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في سلافة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا، فألْقت رحل المنافق الضيف تعبِيرًا عن رفضها لضيافَتِه، ومن ثمَّ رَحل الخبيث وفارق الجماعة حتىٰ هلك(١)

٥- لا بد مِن إعلام هادفٍ يُعنىٰ بهتك أسْتَار المنافقين، وتعرية وجوههم الكالحة وفضح مخططاتهم.

٦- الإفادَةُ من وسائل التِّقنيَة الحديثة التي تنشر بالصوت والصورة تَوثيق مَا عليه حَالهم من خزايا وفضائح ومؤمرات، حتَّىٰ يَدمغوا بذلك ويستبين للناس عوارهم.

---

(١) ينظر رسالة «النفاق والمنافقون في ضوء السنة النبوية»: (٣٤٧-٣٤٨).

القاعدة السادسة والثلاثون: لا نستغفر للمنافقين ولانصلي عليهم ولا نشيّع جنائزهم ولا...

قد سَبقَ في مبحث وفاة زَعيم المنافقين ابن سلول ما كان من شَأنِ النَّبيّ ﷺ في الصلاة عليه وتكفينه في قمِيصِه، وما نزل بعد ذلك من قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة التوبة: ٨٤]، ومعلوم ما كَان كذلك مِن شَأن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وعَدم صَلاته علىٰ من أخبره النَّبيّ ﷺ بأسمائهم من المنافقين.

فعن حُذيفَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «مرَّ بي عُمرُ بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأنَا جالسٌ في المَسجِد، فقال لي: يا حذَيفَة، إنَّ فلانًا[1] قد مَات فاشهده، ثُمَّ مَضىٰ حتىٰ إذا كاد أن يخرج من المسجد التَفتَ إليَّ، فَرآني وأنا جَالسٌ، فعرف فرجع إليَّ، فَقال: يا حذيفة أنشدك الله أمن القوم أنا؟ قلت: اللَّهمَّ لا، ولنْ أبرِّئ أحدًا بعدك، فرأيت عيني عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ جادتا»[2].

وعن زَيد بن وَهب رحمها الله قال: «سَمعت حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يَقُول: مَات رجل من المُنافقين فلم أصَلِّ عليه، فقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: مَا منَعك أن تُصلِّي عَليه؟ قلت: إنَّه منهم، قال: أبِالله مِنهم أنا؟ قلت: لا، قال: فبكىٰ»[3].

وعن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «دُعِي عُمر لجنازة، فَخرجَ فِيها أو يريدُها فتعلَّقتُ

---

(١) لم يذكر اسمه علىٰ قاعدة الستر، ولكن ذكر أنه جار لحذيفة كما في رواية الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند الخرائطي في مساوئ الأخلاق: (١/ ٢٧/ ب/ ٢٨/ أ).

(٢) رواه وكيع في «الزهد»، وابن عساكر، واللفظ له، وهو صحيح.

(٣) رواه البزار، ورجاله ثقات: (١/ ٣٩١، ٣٩٢)، في باب النهي عن الصلاة علىٰ المنافقين رواه ابن أبي شيبة ويعقوب بن سفيان واللفظ له، وإسناده صحيح.



بِهِ، فقلت: اجْلِس يا أمير المؤمنين، فإنَّه من أولئك، فقال: نَشدتُك باللهِ أنا منهم؟ فَقلت: لا، ولا أبرئ أحدًا بعدك»(١).

وفي هذه الآثار الثلاثة عدة فوائد وأحكام منها:

١- ترك بعضِ أصْحَاب النَّبيّ ﷺ الصَّلاة على المنافقين، كما فعل حذيفة وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٢- خوفُ عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النِّفاق على نَفسِه، فكيف بمن بعده؟.

٣- عدمُ نَهي عامَّة المُسلمِين مِن الصَّلاة عَلى المُنافِقين، إن كان المُنافق ممن لا يُعرف بذلك عندَ العَامَّة؛ لما يترتَّبُ عَلى ذَلك من مفاسد متحَققَة، ولكِن ينهى خاصَّة المسلمين من الصلاة عَليهم كما فعل حذيفة مع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

٤- لعله يُشرع نهي عَامَّة المُسلمين من الصلاة على المنَافِقين إن كانوا ممَّن أظْهَروا نفاقهم وعَظُم خطرهم.

٥- يجب على العَامَّة والوُلاة اتِّباع العُلماء فيمن يُصلى عَليه أو لا، كَما اقتدى عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -على فَضله في الإِسْلام- بعالمِ حَال المنافقين وأشخاصهم حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وامتثاله لرأيه.

٦- قد يُبَرَّر سُكوت حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عنْدَ نَهيه لِعُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من الصلاةِ عَلى المنافقين -كما في الأثرين الأولين- بأنَّه مُؤتمن على سر أسْماء المُنافقين الذي أودعه إيَّاه رسول الله ﷺ، أو لتَقدِيره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المصلحة والمفسدة ونحو ذلك -والله أعلم-.

٧- تبرئَة حُذيفة للفَاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا من النفاق.

---

(١) رواه البزار في «كشف الأستار»: (١/ ٣٩١، ٣٩٢)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٤٢): ورجاله ثقات.

٨- عَزمُ حُذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على عَدم تَبرئَة أحَد بَعد عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من النفاق لَيس لأنَّ غَيره واقع فيه، وإنَّما جَاءت العزيمة منه كفًّا للسَّائلين؛ كما فعل رسول الله ﷺ مَع من سأله بعد عُكاشة(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بقوله عليه الصلاة والسلام: «سَبقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ»(٢)، وكتمانًا للسر المودع لديه.

٩- مشروعيَّة مُخالفة أمر الأمير أو الوَالي في الصلاة على جنائز المنافقين.

١٠- مبدأ حَثِّ الأمَّة وخصوصًا أفاضلها على الصلاة على المسلمين من الأمور المندوب إليها.

١١- من عَلم بِنِفاق رجل أو قَوم وثبت لدَيهِ ذَلك؛ فَلا يجوز له أن يصَلي عَليه ولا عليهِم، بَل يوكل الأمر إلى غيره إن كان إمامًا للمسلمين، ويبرئ ذمَّته ودينه بالترك.

القاعدة السابعة والثلاثون: فضح ولاءاتهم لأعداء الله.

كَم هي الآيات التي فَضحَت ولاءات المُنافقين لأعداء الله ووثيق صلتهم بهم، فمن ذلك:

١- ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة الحشر: ١١]، لقد تعجَّب تعالى من حَال المنافقين، الذين طمَّعوا

---

(١) هو عكاشة -بضم أوله وتشديد الكاف وتخفيفها- ابن محصن بن حُرثان بن قيس بن مرة الأسدي من السابقين درًا، قيل: قتله طليحة بن خويلد الذي تنبأ أيام قتال أهل الردة. انظر «الإصابة في تمييز الصحابة»: (٧/ ٣٢).

(٢) جزء من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رواه البخاري في «صحيحه»: (٤/ ٥٩)، كتاب اللباس، باب البرود والحبر، ومسلم: (١/ ١٩٧، ١٩٨) كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب.



إخوانهم من أهل الكتاب، في مناصرتِهم، وموالاتهم على المُؤمنين، وأنَّهُم يقولون لهم: ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ [سورة الحشر: ١١]، أي: لا نُطيع في عدم نصرتكم أحدًا يعذلنا أو يخوفنا، ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ﴾ [سورة الحشر: ١١]، في هذا الوَعدِ الذِي غروا به إخوانهم.

ولا يستكْثَر هَذا عَليهم، فإن الكَذِب وصفهم، والغُرور والخدَاع مُقارِنُهم، والنِّفاق والجُبن يَصحبُهم، ولهذا كذَّبَهم الله بقوله، الذي وجد مخبره كما أخبر الله به، ووقع طبق ما قال، فقال: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا﴾، من ديارهم جلاء ونفيًا: ﴿لَا يَخْرُجُونَ﴾، لمحبتهم للأوطان، وعدم صبرهم على القتال، وعدم وفائِهم بوعْدِهم: ﴿وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ﴾ [سورة الحشر: ١٢]، بل يستولي عليهم الجبن، ويبؤون بالخِزْي، ويخذلون إخوانهم، أحوج ما كانوا إليهم.

﴿وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ﴾، على الفَرْضِ والتَّقدير[1]: ﴿لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ [سورة الحشر: ١٢]، أي: ليحصُل مِنهُم الإدبار عن القِتَال، ولا يحصل لهم نصر من الله.

والسَّببُ الذي أوجب لهُمْ ذَلك[2] أنَّكم -أيُّها المؤمنُون-: ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ﴾ [سورة الحشر: ١٣]، فخافوا منكم أعظَم مِن مخافتهم مِن الله، وقَدَّموا مخافة المخلوق الذي لا يملك لِنَفسه ولا لغيره نفعًا ولا ضرًّا، عَلى مخافة الخالق، الذي بيده الضر والنفع، والعطاء والمنع.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [سورة الحشر: ١٣]، مراتب الأمور، ولا يَعرِفُون حقائق الأشياء، ولا يَتصوَّرون العَواقب، وإنما الفِقهُ كلُّ الفِقهِ، أن يكون خوف

---

(١) ينظر «تفسير السعدي»: (٧/ ٣٣٨).

(٢) المرجع السابق.

الخالق ورجاؤه ومحبته مقدمة على غيرها، وغيرها تبعا لها(١).

٢-وقال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ [سورة النساء: ١٣٨-١٣٩].

قال الإمام البغوي: «ثُمَّ وَصف المنافقين فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ [سورة النساء: ١٣٩]، يعْني: يَتَّخذون اليهودَ أوليَاء وأَنْصارًا أو بطانة: ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ [سورة النساء: ١٣٩]، أي: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ [سورة النساء: ١٣٩]، يعني: يتخذون اليهودَ أولياء وأنصارًا أو بطانة: ﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾ [سورة النساء: ١٣٩]، أي: المَعُونة والظُّهور على محمد ﷺ وأصحابه: وقيل: أَيطلبون عندهم القوة والغلبة، ﴿فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ﴾، أي: الغلبة والقوة والقدرة، ﴿لِلَّهِ﴾»(٢).

٣-وقال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [سورة المائدة: ٥٢].

في قوله يسارعون فيهم ثلاثة أقوال:

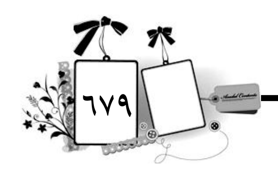
١- يسارعون في مُوالاتهم ومُناصَحتهم، قاله مجاهد وقتادة.

٢- يسَارعُون في رضَاهم، قاله ابن قتيبة.

---

(١) المرجع السابق

(٢) «تفسير البغوي»: (٢/ ٣٠٠).



٣- يسَارعونَ في مُعاونتهم علىٰ المسلمين، قاله الزجاج.

وفي المراد بالدائرة قولان:

أحدهما: الجَدب والمَجاعةُ، قاله ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال ابن قتيبة: «نَخْشىٰ أن يدُور عَلينا الدَّهر بِمكروه يعنون الجَدب فلا يبايعونا، ونَمتار فِيهم فلا يمِيرونا، بمَعْنىٰ نشتري منهم فلا يبيعوننا».

والثاني: انقِلابُ الدولة لليَهود علىٰ المُسلمين، قاله مقاتل.

وفي المراد بالفتح أربعة أقوال:

١- فتحُ مكَّة، قاله ابن عباس والسدي.

٢- فتح قرىٰ اليَهود، قاله الضحاك.

٣- نصر النَّبيّ ﷺ علىٰ من خالفهُ، قاله قتادة والزجاج.

٤- الفرج، قاله ابن قتيبة[1]

فهذه بَعض آيَات تَفضح جسور التَّواصل والتَّلاحم بَين المنافقين وإخْوانِهم الذين كفروا من اليهود والنصارىٰ وسائر أعداء الملة، ومن تَدبَّر القرآن لربما وجد غيرها.

أمَّا السيرة النبوية فشَواهد هذه الموالات فيها عديدة منها:

١- قال محمد بن إسْحَاق في سرده لقِصَّة جلاء بني قينقاع: «فكانَت أوَّل قبيلة من اليهودِ نَقضت ما بينها وبين رسولِ الله ﷺ، قال: فحَاصَرهُم رسول الله ﷺ حتىٰ نزَلُوا علىٰ حكْمِه، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول، حين أمْكَنه الله منهم، فقال: يَا محَمَّد، أحسن في مَوَالي. وكانوا حلفاء الخَزرج، قال: فأبطأ علَيهِ رسول الله ﷺ، فقال: يَا محمد، أحسِن في مَوالي، قال: فأعرض عَنه، فأدخل يده في جَيب

---

(١) ينظر «زاد المسير»: (٢/ ٣٧٨).



دِرع رسول الله ﷺ، فقال لَه رسول الله ﷺ: «أَرْسِلْنِي». وغضب رسول الله ﷺ حتى رُئي لوجْهِه ظللًا ثُمَّ قال: «وَيْحَكَ أَرْسِلْنِي»، قال: لا والله لا أرسِلُك حتى تحسن في مَوَالي، أربعمائة حاسر، وثلاثمائة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود، تحْصُدهم: في غداة واحدة؟! إني امرؤٌ أخشى الدوائر، قال: فقال رسول الله ﷺ: «هُمْ لَكَ»»(١).

إنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَنْزَلَ: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة المائدة: ٤٤] ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [سورة المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة المائدة: ٤٧]، قال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنزلَها اللهُ في الطَّائفتين من اليهود، وكانت إحداهما قد قَهرت الأخرى في الجاهلية حتى ارتَضوا أو اصطلحوا على أن كل قتيل قَتله العزيزة من الذليلة فديَتُه خمسون وسقًا، وكل قتيل قتله الذليلة من العزيزة فديتُه مائة وسقٍ، فكانوا على ذلك حتى قدم النَّبيّ ﷺ المدينة، فذلت الطائفتان كلتاهما لمقدم رسول الله ﷺ، ويومئذ لم يظهر ولم يوطئهما عليه، وهو في الصُّلح فقتلت الذليلة من العَزيزَة قتيلًا، فأرسلت العزيزة إلى الذليلة أن ابْعثُوا إلينا بمائة وسقٍ، فقالت الذليلة: وهل كَان هذا في حيين قَط دِينهما واحد ونسَبُهما واحد وبلدهما واحد، دِية بَعضهم نصف دية بعض، إنا إنَّما أعطَيناكم هذا ضيمًا منكم لنا وفرقًا منكم، فأمَّا إذ قدم محمد فلا نعطيكم ذلكَ.

فكادت الحَرب تهيجُ بينهما، ثم ارتَضوا عَلى أن يجْعلوا رسول الله ﷺ بينهم، ثمَّ

---

(١) ينظر «سيرة ابن إسحاق»، برقم: (٤٩٨) ط، المغرب.



ذكرت العزيزة فقالت: والله ما محمد بِمُعطيكم منهم ضِعف ما يعطيهم منكُم، ولقد صدقوا ما أعطونا هذا إلا ضيمًا منَّا وقهرًا لهم، فدسُّوا إلى محمد من يخبر لكم رَأيه، إن أعطاكم ما تريدون حكَّمتُموه، وإن لم يُعطِكم حذرتم فلم تحكِّموه، فدسوا إلى رسول الله ﷺ ناسًا من المنافقين ليخبروا لهم رأي رَسُول الله ﷺ -وفي رواية: فدسُّوا إلى النَّبيّ ﷺ إخْوَانهم من المنافقين- فلمَّا جاء رسول الله ﷺ، أخبر الله رسوله ﷺ بأمرهم كله وما أرادوا، فأنزل الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾[سورة المائدة: ٤١]إلى قوله: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[سورة المائدة: ٤٧]، ثُمَّ قال فيهما: والله نزلت وإياهما عنى الله عَزَّوَجَلَّ(١).

من أعظم فِتن المُنافقين التِي طمَّت وعمَّتْ في أكثر بلدان المسلمين، مُوالاة المنافقين للكفار، وبخاصَّةٍ اليهود والنصارى، والإعجَاب بِنظم الغرب وتقاليده، وفَتح الباب لفسادهم وأفكارهم، مُستخدمين في ذلك الخداعَ والتَّلبيس على الناس، بدعْوَى المداراة وتحقيق المَصلحة ودرء المَفاسد، إلى آخر هذه التأويلات التي يُخادعون بها لتسويغ تولِّيهم للكفار(٢).

عملاء لأسْيَادهم من اليهود والنَّصارى وغيرهِم، قد رضوا بالقوادة بدل القيادة، وبالتبعية بدلًا من العزة.

لسان حالهِم وَواقعهم يقول: نحْنُ جُنودكم، نخوضُ البَحر من أجلكم، ونَتسلَّق

(١) روه أحمد رقم: (٢٢١٢)، وحسن إسناده الأرناؤوط، ورواه أبوداود، وهو في «السلسلة الصحيحة» للشيخ الألباني برقم (٢٥٥٢).

(٢) بحث بعنوان: (خطر المنافقين وظهورهم): (صـ٣): (موسوعة البحوث والمقالات العلمية).

الجِبال طاعة لَكُم، نحن عيُونُكم، نتجسَّسَ عَلىٰ إخوتنا وأصدقائِنا وأقاربنا، لترضوا عنا. ونسّجِنهم ونعذِّبهم ونَقتلَهُم قرابين لكم فقط لكي ترضوا عنا.

ونطمئنكم، فلا تخشوا عساكرَ حُكوماتنا ولا شرْطَتهم ولارجال أمنهم، لقد درَّبنَاهم علىٰ الطاعة العمياء لنا... لقَد أصبح الكثير منهم مرتزقة يعيشون ويتصرفون بعقلية ونفسية المرتزقة الذين يَعْبُدون السلطان.

لقد اختصرنا لهم الإلهَ والدِّين والوطن والشَّرفَ والعرض في السلطان الذي يجب أن يطاع فَلا يعصىٰ ويأمر فلا يعارض، بل يُقدِّر ويُحترم قبل كل شيء، وبعد كل شيء، بذلك يسهل علينا كثيرًا أن نُقنعهم من هو السُّلطان الأكبر الذي يجب أن يَعبُدوه ويسهروا علىٰ العمل لإرضائه.

يسهلُ عَلينا أن نقنعهم بأنَّنا وإيَّاهم عبيد لكم، ومن مَصلحَتُنا جميعًا الإخلاص في العبادة لكي تتوالىٰ التَّرقِيات والرُّتب والدرجات، وتتوالىٰ النياشين والمزايا والهبات.

سنزرع الفِتن بين شعوبنا بكل الوسائل المُمكنة لِنمنع توحدهم وتعاونهم ضدكم، ونمنعهم من تَحقيق أهدافهم المريبة، ونُمهِّد الطريق لحوارييكم لتحكموا بهم العالم كما تشاؤون.

كن مطمئنَّ البَال يا سيدي، نحن جنودُك الأوفياء، في العَلنِ وفي الخَفَاء، نغير ما تشاء كما تشاء، نحن عبيدك نكره من يكرهك، ونحب من يحبك.

هذا هو لسانُ حَال الخونة والمارقين.

فماذا بقي لهؤُلاءِ من الإسْلام؟!

وماذا بقي لَهم من الشَّرف؟!

بل ماذا بقي لهم من الإنسانية؟![1]

---

(١) مقال بعنوان: «لسان حال الخونة المارقين» (بتصرف يسير): موسوعة البحوث والمقالات العلمية.



الفصل الثاني

القواعد الشرعية في التعامل مع المنافقين حال القتال

المبحث الأول

التعامل مع المنافقين قبل القتال

تمهيد

الجِهاد هُو الصَّخرَة التي تَتهاوىٰ عليها معاوِلُ المنافقين، وترتَدُّ خَاسئة ذليلة أكاذيب وأعذار المعوقين والمُثبِّطين، الجهاد الذي لن يَحمل فيه أَحَدٌ رُوحه علىٰ راحَتِه وفي نفسه خور أو نفاق، لأنه مُهج تَبذُل ودِماءٌ في سبيل الله تُراق، وأرواحٌ طلبًا لمرضاة الله تزهَقُ، الجهاد الذي لا يستَظِلُّ تَحت غبار نقعه ولا ظلال سُيوفِه إلا الصادقون المخلصون: ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٢٣-٢٤].

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [سورة التوبة: ١١١].

إنَّ الدُّخول في الإِسْلام صَفقة بَين متبايعين؛ الله -سبحانه- فيها هو المُشتَري والمؤمن فيها هو البائع. فَهي بيعة مَع الله لا يبقىٰ بعْدَها للمؤمن شَيءٌ في نَفسِه ولا

في ماله يحتجزه دون الله -سُبحَانه- ودون الجهاد في سبيله لتَكُون كلمة الله هي العُليا، وليكون الدِّين كله لله. فَقد باع المؤمن لله في تلك الصفقة نَفسه وماله مقابل ثَمن محدد معلوم، هو الجنة: وهو ثمن لا تعدله السلعة، ولكنه فضل الله ومَنُّه[1].

---

(١) «في ظلال القرآن»: (٤/ ٨٣).



القاعدة الثامنة والثلاثون: ﴿فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا﴾ [سورة التوبة: ٨٣].

كَان المُنافِقون في بدايات العَهدِ المَدني يُدعَونَ إلى الجِهَاد لأنهم بين المسلمين، ومعهم في مجامعهم وملتقياتهم، فلمّا كَان منهم ما كان من التَّخذيل والإرجَاف والتثبيط والانسحاب والقعود، جاء أمرُ الله بعدم الإذن لهم، فقال سبحانه: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ۝٨٣﴾ [سورة التوبة: ٨٣].

مِن أجل ذلك قال في «المغني»: «ولا يَستصحب الأمير مَعه مخذِّلًا، وهو الذي يثبط الناسَ عِن الغزو ويُزهِّدهم في الخروج إليه، مِثل أن يقول: الحَرُّ أو البردُ شَديد، والمشقة شديدَةٌ، ولا تؤمن هزيمة هذا الجيشِ، وأشباه هذا، ولا مرجِفًا، وهو الذي يقول: قد هَلكت سَريَّة المسلمين ومَا لَهم مَددٌ، ولا طاقةَ لهم بالكفار، والكُفَّار لَهم قوة ومددٌ وصبر، ولا يثبت لهُم أحَدٌ، ونحو هذا، ولا من يعين على المُسلِمين بالتَّجسُّس للكفار وإطلاعهم على عورات المسلمين ومكاتَبتِهم بأخبارهم، ودلالتهم على عوراتهم، أو إيواء جواسيسهم، ولا من يُوقع العداوة ويَسعَى بالفساد بين المسلمين؛ لقول الله تعالى: ﴿۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ۝٤٦ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٧﴾ [سورة التوبة: ٤٦-٤٧]، ولأنَّ هَؤُلاءِ مضرة عَلى المسلمينَ، فَيلزمه منعهم وإن خَرجوا مَعه»[1]، وكيف يُرجى أو يؤمِّل من هذه حاله وتلك أوصافه نصر أو بذل مهج ودماء، وهم لم ينافقوا ابتداء إلا لتُعصم دماؤهم وأموالهم ونساؤهم وذراريهم!.

---

(١) «المغني»: (١٠/ ٣٦٦).

ما يستفاد من القاعدة:

١- لا يؤذن للمُنافِقين بالمُشاركة في الغزو؛ لأنَّهم كما وصف الله: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [سورة المنافقون: ٤].

٢- فإن خرجوا لسبَبٍ أو لآخر، فَلا يؤمَّروا على سرية، ولا على ميمنة للجيش ولا ميسرة.

٣- وإن انْخذلُوا وفرُّوا بعد خروجهم، وانْسَحبوا بعد قدومهم لأرْضِ المَعركة، فلا يُدعون ولا يسأل عنْهُم ولا يؤبه بهم، بل لرُبَّما كان الخير في نكوصِهم، والتوفيق في فرارهم: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة التوبة: ٤٧].

القاعدة التاسعة والثلاثون: التورية بجهة الغزو.

المُنافقون داءٌ لا يؤمن جانبه، فهُم أهل غدْرٍ وخِيانة وخديعة ومكر، ولَهم صِلاتهم المشبوهة وعلاقاتهم الحميمة بأعداء الله.

من أجل ذَلكَ وغَيره أوْرد ابن حجر في الفتح أنه: «لم يَكنْ رَسُول الله ﷺ يريدُ غَزوَة إلا ورَّىٰ بغيرها، أي: أوْهَم غيرها، والتَّورِيَة أن يذكر لفْظًا يحتمل معنيين؛ أحدُهُما أقرب من الآخر، فيُوهم إرادة القريب وهو يُريد البعيد[(١)].

قال الإمام النووي: «أنَّه يَنبغِي لأمير الجَيش إذا أرَاد غَزوَة أن يورِّي بِغيرها؛ لئَلَّا يَسبقه الجواسيس ونحوهم بالتَّحذير إلا إذا كانت سَفْرَة بَعيدة فيستحب أن يُعرّفهم البعد ليتأهبوا»[(٢)].

---

(١) ينظر «فتح الباري»: (٩/ ٥٦٥).

(٢) ينظر «شرح مسلم»: (١٧/ ١٠٠).



إن مَنْ ولاؤهُم لأعْداء الله، لنْ يَنفَكُّوا عَن كونهم أعيُن وجَواسيس لِكُل من عَادىٰ الدين وأهْله، فلا يجوز أبدا إطلاعهم علىٰ خطط المسلمين ولا تحركاتهم: ﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ﴾ [سورة المنافقون: ٤][(١)].

ما يستفاد من القاعدة:

١- التوَقِّي والحَذر مِن تمكِين المُنافقين من أية مَعلُومة يصلون إليَها؛ لأنَّهم جَواسيس لأعداء المِلَّة والدِّين، وعليه فلا يُتخذ منهم مستشارين ولا مقربين ولا بطانة.... الخ.

٢- اتِّخاذ جَميع التَّدابير والاحترازات الآمِنَة -بإذْنِ الله- التِي تَحجُب عَن المنافقين كل خبر وشأن للمُسلمين فيه مَصْلحة للأمة، حتىٰ لا يعكروا علىٰ المؤمنين صفوه وثمرته.

---

(١) يحسن الرجوع إلىٰ مبحث موقف المنافقين من الجهاد: (١/ ٦٠٠)

القاعدة الأربعون: مقاومة تخذيل المنافقين وإرجافهم بالحث على الجهاد والترغيب فيه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [سورة الأنفال: ٦٤-٦٦]، من أجل ذلك كان القُرآن يتنزَّل بالآيات العظيمة في الحث على الجهاد بالنفس والنفيس:

١- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الصف: ١٠-١٣].

٢- وقال عزَّ في علاه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٦٩-١٧٢].

٣- وقال سُبحانه: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [سورة النساء: ٩٥-٩٦].

٤- وفي مُقابل فِرار المنافقين ينهى اللهُ المؤمنين بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦﴾ [سورة الأنفال: ١٥-١٦].

٦- وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾ [سورة الأنفال: ٤٥].

وكذا النَّبيّ ﷺ حثَّ المُؤمنين ورغبهم في الجِهاد في سَبيل الله، فقال:

١- «مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ الله، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ، كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ الدَّائِمِ الذِي لَا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ وَلَا صَدَقَةٍ حَتَّى يَرْجِعَ، وَتَوَكَّلَ اللهُ تَعَالَى لِلمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ إِنْ تَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ أَوْ يُرْجِعَهُ سَالِمًا مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ»[1].

٢- وعن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبيّ ﷺ قال: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالغَزْوِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ»[2].

٣- وعن عبد الرحمن بن جَبر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3] قَالَ: قَال رسول الله ﷺ: «مَا

---

(١) ينظر «صحيح الجامع»: (١٠٧٩٠).

(٢) ينظر «صحيح سنن أبي داود»: (٢٥٠٢).

(٣) هو: عبد الرحمن بن جبر - بفتح أوله وسكون الموحدة - بن عمرو بن زيد بن جشم بن حارثة بن الحارث ابن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس، قيل: اسمه عبد الله، وعبد الرحمن أصح. قيل: كان اسمه في الجاهلية عبد العزى فسمي في الإِسْلام عبد الرحمن، أبو عبس الأنصاري، غلبت عليه كنيته، شهد بدرا وكانت سنه إذ شهدها ثمانيا وأربعين سنة أو نحوها. ويقال: إنه كان يكتب بالعربي قبل الإِسْلام، وكان فيمن قتل كعب بن الأشرف، وكان كعب بن الأشرف وأبو رافع بن أبي الحقيق اليهوديان يؤذيان رسول الله ﷺ، فأذن الله في قتلهما، وذلك قبل نزول سورة براءة. توفي أبو عبس بن جبر الأنصاري سنة أربع وثلاثين، وهو ابن سبعين سنة. =

أُغْبِرَتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ الله فَتَمَسُّهُ النَّارُ»[(١)].

٤- عن سهل بن حُنَيْف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[(٢)] قال: قَال رَسُول الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإِنْ مَاتَ عَلَىٰ فِرَاشِه»[(٣)].

وكان المُسلِمون في مَعارِكِهم يتلو أحَدُهم سُورة (الأنفال) وآيَات الجِهَاد علىٰ المُقاتلين، فها هو خَالدُ بن الوليد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في وَقعة أجْنَادين مَعَ الروم قد خرج في ستَّةٍ وَثلاثين كردوسًا إلىٰ الأربعين كل كردوس ألف رَجُل عليهم أمير، وجَعل أبا عبيدة في القلب، وعلىٰ الميمَنَة عمْرو بن العاص ومعه شُرحبيل بْن

= روىٰ عنه عباية بن رفاعة بن رافع بن خديج. قال البخاري: له صحبة. قال الذهلي قال ابن بكير مات سنة أربع وثلاثين سنه سبعون سنة صلىٰ عليه عثمان بن عفان وقال خليفة مات سنة أربع وثلاثين. ينظر «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر: (٢/ ٨٢٧)، و«الإصابة في تمييز الصحابة»، لابن حجر: (٤/ ٢٤٩)، و«تهذيب الكمال في أسماء الرجال»، للمزي: (٣٤/ ٤٦).

(١) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من اغبرت قدماه في سبيل الله: ح (٢٦٥٦).

(٢) هو: سهل بن حُنَيْفٍ -بضم الحاء وفتح النون- بن واهب بن العكيم بن ثعلبة بن مجدعة بن الحارث بن عمرو بن خنساء، ويقال: خناس بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، أبو ثابت، ويقال: أبو سعيد: ويقال أبو سعد، ويقال: أبو عبد الله، ويقال: أبو الوليد، المدني، أخو عثمان بن حنيف، ووالد أبي أمامة بن سهل بن حنيف. شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلىٰ اله عليه وسلم. روىٰ عن: النَّبيّ ﷺ، وعن زيد بن ثابت. روىٰ عنه: ابنه أبو أمامة أسعد بن سهل بن حنيف، وأبو وائل. قال أبو عمر بن عبد البر: شهد بدرا والمشاهد كلها، وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد. وكان بايعه يومئذ علىٰ الموت، فثبت معه حين انكشف الناس عنه، وجعل ينضح يومئذ بالنبل عن رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: نبلوا سهلا فإنه سهل: ثم صحب عليا من حين بويع، وإياه استخلف علي حين خرج من المدينة إلىٰ البصرة. ثم شهد مع علي صفين، وولاه علىٰ فارس، وأخرجه أهل فارس، فوجه علي زيادا فأرضوه وصالحوه وأدوا الخراج. ومات سهل بن حنيف بالكوفة سنة ثمان وثلاثين، وصلىٰ عليه علي وكبر ستا. روىٰ له الجماعة. «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»،: (١٢/ ١٨٤)، و«تهذيب التهذيب»: (٤/ ٢٥١).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالىٰ: ح (١٩٠٩).

حسنة(١)، وعلى الميسرة يَزيد بن أبي سفيان(٢).

وأمَّر على كل كردوس أميرًا، وعلى الطلائع قُبَاثُ(٣) بن أشيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٤)

---

(١) هو: شرحبيل بن عبد الله بن المطاع بن قطن، من الغوث بن مر الغوثي. وقيل غير ذلك في نسبه. وهو شرحبيل ابن حسنة أخو عبد الرحمن بن حسنة، كنيته أبو عبد الله، ويقال: أبو عبد الرحمن، ويقال: أبو واثلة، حليف بني زهرة، له صحبة. روى عن: النَّبيّ ﷺ، وعن عبادة بن الصامت. روى عنه: ابنه ربيعة بن شرحبيل بن حسنة. وحسنة التي ينسب إليها هو وأخوه، قيل: أنها أمهما، وقيل: بل تبنتهما فنسبا إليها، وهي مولاة لمعمر بن حبيب بن وهب الجمحي، وهي من أهل عدول التي تنسب إليها السفن العدولية وهي من ناحية البحرين. وكان شرحبيل من مهاجرة الحبشة، وهو أحد أمراء الأجناد الذين بعثهم أبو بكر الصديق لفتح الشام. وقال ابن زبر: هو الذي افتتح طبرية. قال أحمد بن عبد الله العجلي: شرحبيل بن حسنة مضري، وحسنة أمه لها صحبة. وقال أحمد بن عبد الله بن البرقي: كانت من مهاجرة الحبشة وشرحبيل أيضا من مهاجرة الحبشة، وهو شرحبيل بن عبد الله بن المطاع أحد الغوث بن مر أخي تميم بن مر، ويقال: إنه من كندة، وكان واليا على الشام لعمر بن الخطاب على ربع من أرباعها، توفي بالشام سنة ثماني عشرة وهو ابن سبع وستين فيما يقال. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»،: (١٢/ ٤٢٥)، و«تهذيب التهذيب»: (٤/ ٣٢٥)، و«معجم الصحابة»، للبغوي: (٣/ ٣٠١).

(٢) هو: يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية الأموي، أخو معاوية من أبيه. ويقال له: يزيد الخير. وأمه: هي زينب بنت نوفل الكنانية، وهو أخو أم المؤمنين أم حبيبة. كان من العقلاء الألباء، والشجعان المذكورين، أسلم يوم الفتح، وحسن إِسْلامه، وشهد حنينا. فقيل: إن النَّبيّ ﷺ أعطاه من غنائم حنين: مائة من الإبل، وأربعين أوقية فضة. وهو أحد الأمراء الأربعة الذين ندبهم أبو بكر لغزو الروم، عقد له أبو بكر، ومشى معه تحت ركابه يسايره، ويودعه، ويوصيه، وما ذاك إلا لشرفه، وكمال دينه، ولما فتحت دمشق أمره عمر عليها.. توفي يزيد في الطاعون، سنة ثماني عشرة، ولما احتضر استعمل أخاه معاوية على عمله، فأقره عمر على ذلك احتراما ليزيد، وتنفيذا لتوليته. ينظر «سير أعلام النبلاء»، للذهبي: (١/ ٣٢٨ - ٣٣٠)، «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»،: (٣٢/ ١٤٥ - ١٤٦).

(٣) قال ابن ماكولا: قباث بقافٍ مضمومة وباء معجمة بواحدة مخففة وآخره ثاء معجمة بثلاث. وقال الحافظ ابن حجر: بتخفيف الموحدة وبعد الألف مثلثة، والمشهور فتح أوله، وقيل بالضم، وبه جزم ابن ماكولا. «الإصابة في تمييز الصحابة»: (٥/ ٣١٠)، «الإكمال»، لابن ماكولا: (٧/ ٧٣).

(٤) هو: قُبَاثُ بن أَشْيَمَ بن عامر بن المُلَوِّحِ بن يَعْمَرَ وهو الشُّدَّاخُ بن عوف بن كعب بن عامر بن =

وعلى الأقباط عبد الله بن مسعود، والقاضي يومئذ أبو الدرداء، وقاصُّهم الذي يعظهم ويحثهم على القِتال أبو سفيان بن حَرب، وقارِئهم الذِي يَدور على الناس فيقرأ سورة (الانفال) وآيات الجهاد المقداد[1] بن الأسود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[2].

= ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الكنائي الليثي. له صحبة. هكذا نسبة خليفة بن خياط، ومحمد بن سعد، وابن البرقي، وغير واحد. وقال خليفة: أمه البرصاء بنت ربيعة بن ذي البردين من بني هلال: وقيل: إنه كندي، وقيل: تميمي، والأول أكثر وأشهر. شهد اليرموك، وكان أميرا على بعض الكراديس، وسكن حمص ودمشق. روى عن: النَّبيّ ﷺ. روى عنه: خالد بن دريك. قال البخاري: وقال بعضهم: قباث بن رستم، وهو وهم. وقال محمد بن سعد: شهد بدرا مع المشركين، وكان له فيها ذكر، ثم أسلم بعد ذلك، وشهد مع النَّبيّ ﷺ بعض المشاهد وكان على مجنبة أبي عبيدة يوم اليرموك. وقال دحيم: مات بالشام، وأدركه عبد الملك بن مروان، فسأله عن سنه، فقال: أنا أسن من رسول الله ﷺ. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»،: (٢٣/ ٤٦٦)، و«تاريخ الإِسْلام» للذهبي: (٢/ ٦٩٤)، و«الطبقات الكبرى»، لابن سعد: (٧/ ٤١١)، و«معرفة الصحابة»، لأبي نعيم: (٤/ ٢٣٥٧)، و«التاريخ الكبير»، للبخاري: (٧/ ١٩٢).

(١) هو: المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن ثمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن دهير بن لؤي ابن ثعلبة بن مالك الشريد بن هول، ويقال: ابن أبي أهون بن فايش بن حزن، ويقال: ابن دريم، بن القين بن الغوث، ويقال: ابن أهوذ بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة الكندي البهراني، أبو الأسود، ويقال: أبو عمرو، ويقال: أبو معبد، المعروف بالمقداد بن الأسود، صاحب رسول الله ﷺ. وقد قيل غير ذلك في نسبه. وكان أبوه حليفا لكندة، وكان هو حليفا للأسود بن عبد يغوث الزهري، وكان الأسود قد تبناه، فلذلك قيل له ابن الأسود، ويقال: كان في حجره. ويقال: كان من حضرموت، يقال: كان عبدا حبشيا للأسود بن عبد يغوث فاستلاطه وألزقه به، فقيل له: ابن الأسود لذلك. وقال عبد الله بن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عبد الرحمن بن شماسة المهري، عن سفيان بن صهابة المهري: كنت صاحب المقداد بن الأسود في الجاهلية، وكان رجلا من بهراء، فأصاب دما، فهرب إلى كندة، فحالفهم، ثم أصاب فيهم دما، فهرب إلى مكة فحالف الأسود بن عبد يغوث. شهدا بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وكان فارسا يوم بدر، ولم يثبت أنه شهدها فارسا غيره، وقد قيل: إن الزبير ابن العوام كان فارسا يومئذ أيضا، وكذلك مرثد بن أبي مرثد الغنوي، فالله أعلم. روى عن: النَّبيّ ﷺ. روى عنه: أنس بن مالك. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»،: (٢٨/ ٤٥٢)، و«تهذيب التهذيب»: (١٠/ ٢٨٦)، و«معرفة الصحابة»، لأبي نعيم: (٥/ ٢٥٥٢).

(٢) «البداية والنهاية»: (٧/ ١١).

ما يستفاد من القاعدة:

مدافَعة مكَائد ومُخطَّطَات المنافقين بما يُحبطها ويقطع الطريق عليها، فإذا نمَّقوا الشبه دمغت بما يردها، وإذا أرجفوا بالمُسلِمين كان الترغيب لهم والحَثُّ على نيل مرضات الله، وإذا أرادوا الاسْتِعلاء والظهور كبتوا كما كُبت الذين من قبلهم، وإذا خَذَّلوا وأرجفوا وثبطوا عن الجهادِ قُرئت عليهم سورة (الأنفال)، و(التوبة)، وإذا طمعوا في الغنائم قوبِلُوا بالمنع والحرمان، وهكذا يَقظةٌ دَائمة لكل خطوة لمواجهتها بما يردُّ مدبريها على أعقابهم خاسئين.

المبحث الثاني
التعامل مع المنافقين في أثناء القتال

القاعدة الواحدة والأربعون: عدم توليتهم لشيء من رايات الجيش أو سراياه

لم يَثبت عَن النَّبيّ ﷺ أنه ولَّى أحدًا من المنافقين في غَزوَة من الغزوات، ولا سَريَّة مِن السرايا، ولا استخلفه من بعدِه في المَدينة، وأنَّى لَهم ذلك وهم المرجِفُون المخذلون، المُنسحبون المروِّجون للشائعات، المتطلبون للأعذار الكاذبة فِرارًا من الموت أو القتل.

وهنا سؤال يحسن الجواب عليه، ألا وهو:

لماذا أذِنَ النَّبيّ ﷺ للمُنافقين بالخروج إلى الغَزوِ، وهذا حالهم وتلك مواقفهم؟ والجواب:

١- أن هذا الإِذن كَان في مرحلة مِن مَراحل تَعامُل النَّبيّ ﷺ معهم، ذَلك أنَّ بَقاءهم في المدينة يُشكِّل خطرًا على المسلمين، إذْ لا يُؤمن جانبهم في قيامِهم بإحداث أمورٍ مُنكرة أو اعتداء على عورات المسلمين، أو بتحالفهم مع اليَهود لتدبير مكائد أو إنفاذ مخططات أو نحو ذلك.

٢- فلمّا أن قَويت شوكة المسلمين وأصْبَح لهم شأن ومنعَة، أنزل الله قوله تعالى بعد عوده ﷺ من غزوَة تبوك: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [سورة التوبة: ٨٣].

ما يستفاد من القاعدة:

شأنُ المُنافقين شرٌ كله، إن أهْمِلوا وعُزلوا عن المشاركة في الجهاد فيُخشى من غوائلهم ومكائدهم، وإن استُصْحِبوا وخرجوا مع المسلمين: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا

زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ [سورة التوبة: ٤٧].

١- الأصل عدم الإذن بخروج المنَافِقين للجهاد مع المسلمين، إلا إذا كَان في بقائهم مفسدة أكبر من خروجهم.

٢- إذا كان الشَّارعُ الحَكيم جاء أمره بِمنْعِهم من الخروج للجِهَاد مع المسلمين، فكذلك يُمنَعوا من مشاركتِهم في دوائر القَرار ومجالس الإداراتِ وقطاعات التعليم وغُرف العمليات وغيرها، تهميشًا لهم واتقاءً لشرهم ودسائسهم.

القاعدة الثانية والأربعون: ترسيخ وحدة الصف وعدم إقامة الحدود على المنافقين حال الغزو.

عن جابر بن عَبدِ الله رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: «غزَونَا مع النَّبيّ ﷺ وقد ثَاب معه نَاسٌ مِن المهاجرين حتَّى كَثروا، وكَان من المُهاجرين رجل لعاب، فكسع أنصاريًّا -أي ضربه على دبره- فغَضب الأنصاري غضبًا شديدًا حتى تداعوا، وقال الأنصاريُّ: يا للأنصار. وقال المهاجريُّ: يا للمُهاجرين، فخرج النَّبيّ ﷺ فقَال: «مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الجَاهِلِيَّةِ؟». ثم قال: «مَا شَأْنُهُمْ؟»، فأخبر بكَسعة المهاجري الأنصاري، قَال: فقال النَّبيّ ﷺ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ»، وقال عبد الله بن أبي ابن سلول: أقد تداعوا علينا، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل».

عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: «كنْتُ في غزاة، فَسمعت عبد الله بن أبي يَقول: لا تُنفِقوا على من عند رسول الله حتَّى ينفضوا من حوله، ولئِن رَجعنا من عنده ليُخرجن الأعزُّ مِنها الأذَلَّ، فذكرت ذلك لعمي، أو لعمر، فذكره للنبي ﷺ فدَعَاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه، فحلفُوا مَا قالوا، فكذَّبَني رسول الله ﷺ وصدقه، فأَصَابني همٌّ لم يُصبني مثله قطُّ، فجلست

في البَيتِ، فقال لي عمي: ما أَردْتَ إلى أن كذبك رسولُ الله ﷺ ومقتك، فأنزل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [سورة المنافقون: ١] فبعث إلي النَّبيّ ﷺ فقرأ قال: «إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ»[١].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي الحَديث من الفَوائد: تَرك مُؤاخذة كبراء القَوم بالهفوَاتِ لئَلا يَنفر أتباعهم، والاقْتصَار على معاتَبتِهم وقبول أعذارهم وتصديق أيمانهم، وإنْ كَانت القرائن تُرشد إلى خلاف ذلك؛ لِمَا في ذلك من التَّأنيس والتَّأليفِ[٢]، بل لا يُقام عليهم الحدُّ مطلقًا في الجهاد، ويُؤجَّل حتى الرجوع إلى دِيار المسلمين، فعن زيد بن ثابت: لا تُقام الحدود في دار الحَربِ مخافة أن يلحق أهلها - من اقترفوا ما يوجب الحدَّ- بالعدو»[٣].

ما يستفاد من القاعدة:

❑ فقه تَقديرِ المَصالح والمفاسد، وتَمييز رجحان أحدِهما عَلى الآخر من ضَرورات العلم لِمَن يريد التعامل بحكمة وعَدل مع المنافقين وغيرهم.

القاعدة الثالثة والأربعون: إذا انسحبوا من الجيش فلا يدعون لملاقاة العدو.

لم يثبتْ عَن النَّبيّ ﷺ أنَّه التَفتَ إلى المُنافقين عند انْسَحابهم من الجَيش يوم أُحُد، ولا يوم الأحْزاب، ولا يوم تبوك، بَل لم يُلق لهم بالًا وَلم يحزن على انصرافِهم غير مأسوف عليهم، بل لرُبَّما كان أحب إليه، لأنهم: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة التوبة: ٤٧].

---

(١) «صحيح البخاري» رقم: (٤٩٠٠).

(٢) ينظر «فتح الباري»: (١٠/ ٧٠٣).

(٣) ينظر «سنن البيهقي الكبرى»: (٩/ ١٠٥)، «إعلام الموقعين»، لابن القيم: (٢/ ٢١٨).

ولنستحضر في هذا المقَام موقف الصحابي الجليل عَبد الله بن حرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم أحد، فقَد أورد ابن إسحاق حادثته فقال: «حتَّىٰ إذا كانوا بالشَّوط بين المدينة وأحد، انخزَل عن النَّبيّ ﷺ عبد الله بن أبي بن سلول بثُلث الناس، وقال: أطاعَهُم وعصاني، ما نَدري علام نَقتُل أنفسنا هَا هنا أيها الناس، فَرجع بِمن اتبعه من قومِه من أهل النفاق والريب، واتبعهم عبد الله بْن عمرو بن حرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخو بني سلمة، يَقول: يا قوم أذكِّركم الله ألا تَخذلوا قومكم ونَبيِّكم عند من حَضر من عدوهم، فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لما أَسْلَمْنَاكم، ولكنا لا نرىٰ أنه يَكون قتال، قال: فلمَّا استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم، قال: أَبْعَدكم الله أعداء الله فَسَيُغني الله عنكم نبيه»[(١)].

وقد بين القرآنُ الكريمُ أنَّ انسحاب ابن سلول بالمنَافِقين إنَّما هو تنقية لِصفِّ المؤمنين وتمييز لَهم، فلا يبْقَىٰ فيهم من يرجف ويخذل، قال تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٧٩]، ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٦٦-١٦٧][(٢)].

وقد تكرَّر من المنافقين انْصرافُهم عن المسلمين ونُكُوصهم يوم الأحزاب، فَلَم يشاركوا في حفر الخَندقِ ولا في الثبات مع النَّبيّ ﷺ والمؤمنين في ملاقاة العدو:

---

(١) ينظر «السيرة النبوية دراسة تحليلية»، د/ محمد عبدالقادر أبوفارس: (ص: ٥٩٨).

(٢) ينظر «السيرة النبوية الصحيحة»: (٢/ ٣٨١-٣٨٢).

﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: ١٢-١٧].

لقد عاودَ ابن سلول الكَرَّة وانسحَبَ ببعض الجيش في غزوَة تبوك، كما فعل في غزوَة أحد؛ حيثُ عَسكر في ضاحية بالمدينة مع فِئام مِن أصحابه وحلفائه، فلما سار النَّبيّ ﷺ تخلَّف بكل من معه(١).

ما يستفاد من القاعدة:

١- في المُنافقين شبه مِن يهود: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [سورة البقرة: ٩٦]، ولذَلكَ يَنكصون عند أدنى موَاجَهة، ويتقهقَرُون إذا حانت ساعة الجهاد.

٢- الأصلُ عَدم الإذن للمُنافقين بالمُشاركة في الغزَوات، فَإن خَرجوا مَع المُؤمنين فلا يقامُ لَهم وزنٌ، وَلا يلقى لهم أدْنى اعْتبَار، ولا يُثرَّب عليهم إذا نكصوا وولوا مدبرين.

وسبحان الله! ما أشْبَه الليلة بالبارحة؛ فَمُنافقوا زماننا هُم كذلك، ألسنٌ حداد وأقلام شداد فَي الوقيعة بالعلماء والدعاة وأهل الإصلاح، ولكن ما أجبنهم عند النِّزال ومقارعة الأسِنَّة! ففي مخابئهم يستترُون، وفي جحُورهم ينخذلون.

---

(١) ينظر «السيرة النبوية دراسة تحليلية»، د/ محمد عبدالقادر أبوفارس: (ص: ٥٩٨).



المبحث الثالث

القواعد الشرعية في التعامل مع المنافقين بعد القتال

القاعدة الرابعة والأربعون: لا يُعطون من الغنائم.

لَم يثبُتُ عَن النَّبيّ ﷺ أنَّه أعْطَى المنافقين من الغنائم، وأنَّى لَهم ذلك! وهم المتخلفون عن الغزو، المتطلبون للأعذار، والمعوقون عن المشاركة فيه.

فعلى سبيل المثال:

١- قال اللهُ تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾ [سورة الفتح: ١٥]، يقول تعالى مخبرًا عن الأعرابِ الذِين تخلفوا عن النَّبيّ ﷺ في غَزوَة الحديبية، إذْ ذَهب النَّبيّ ﷺ وأصحَابه إلَى خَيبر يفتتحونها: أنَّهم يسألون أن يخرجوا معَهُم إلى المغنم، وقد تخلَّفوا وقت محاربة الأعداء ومُجالدتهم ومصابرتهم، فأمرَ اللهُ رَسوله ﷺ ألا يأذن لهُم في ذلك، معاقبة لهُم من جنس ذنبهم. فَإنَّ الله تعالى قد وعد أهْلَ الحديبية بمغانم خَيبر وحدهم، لا يشركهم فيها غيرُهم مِن الأعراب المتخلفين، فلا يقع غير ذلك شرعًا وقدرًا؛ ولهذا قال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [سورة الفتح: ١٥][(١)].

المُنافقون أجبنُ النَّاس عند ملاقاة العدو: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ﴾ [سورة الأحزاب: ١٩]، فإذا حَان توزيعُ الغَنائم بها شرع الله، قَالوا: ألم نكن معكم، **يقلُّون عند الفزع ويكثرون عند الطمع**.

إن قلوبهم تكتَوي بنَار الحسرة والندم، يتمَنَّون أن لو شارَكُوكم في الغزوات

---

(١) «تفسير ابن كثير»: (٧/ ٣٣٧).

التي لا قِتَال فيها ليحْظَوا بِشيءٍ مِن غنَائِمها؛ لأنَّهم عبَّاد دِرهم ودينار، ولسان حاله ومقاله: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾ [سورة النساء: ٧٣].

أمَّا المُؤمنون الصادقون فعلى على خلاف ذلك، عن شداد بن الهاد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(١): «أنَّ رَجلًا من الأعراب جاء إلى النبي ﷺ فآمَنَ واتَّبعه فقال: أهاجر مَعَك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه. فلمَّا كانَتْ غَزوَة خيبر غنم رَسُول الله ﷺ شيئًا، فقسم وقسم له فأعطى أصحابه ما قسم له، وكان يرعى ظَهرهم، فلما جَاء دفعوه إليهِ، فقال: ما هذا؟ قال: قسم قسمه لك، فَأَخَذه فجاء به النبي ﷺ فقال: مَا هذا يا محمد؟ قال: «قَسْمٌ قَسَمْتُهُ لَكَ». قال: مَا عَلى هَذا اتَّبعتك، ولكني اتَّبعتُك عَلى أن أرْمَى ها هنا، وأشارَ إلى حلقه، بِسهمٍ فأموت فأدخل الجنة. فَقال: «إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ». ثم نهضوا إلى قتال العَدو، فأُتِي به النبي ﷺ يُحْمَل وَقَد أصابه سهمٌ حَيث أشار. فقال النبي ﷺ: «هُوَ هُوَ؟». قَالوا: نَعم. قال: «صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ». فكفَّنَه النبي ﷺ في جُبَّته، ثُمَّ قَدَّمه وصلى عليه، فكان ممَّا ظهر من صلاة النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ هَذَا عَبْدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ، قُتِلَ شَهِيدًا أَنَا عَلَيْهِ شَهِيدٌ»(٢).

---

(١) هو: شداد بن الهاد الليثي المدني، والد عبد الله بن شداد بن الهاد، من بني ليث بن بكر بن عبدمناة بن علي بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر. قيل: اسمه أسامة بن عمرو، وشداد لقب، والهاد هو عمرو. وقال خليفة بن خياط: شداد بن الهاد، واسم الهاد أسامة بن عمرو بن عبد الله بن جابر بن بشر بن عتوارة بن عامر بن مالك بن ليث بن بكر. وقال غيره: إنما قيل له: الهاد لأنه كان يوقد النار بالليل لمن سلك الطريق للأضياف. وقال مسلم بن الحجاج: شداد بن الهاد الليثي يقال: اسم الهاد أسامة بن عمرو بن عبد الله بن بر بن عتوارة بن عامر بن ليث. روى عن: النَّبيّ ﷺ، وعن عبد الله بن مسعود. ينظر «تهذيب الكمال في أسماء الرجال»: (١٢/ ٤٠٥)، و«تهذيب التهذيب»: (٤/ ٣١٩)، و«معرفة الصحابة» لأبي نعيم: (٣/ ١٤٥٧).

(٢) ينظر «صحيح الترغيب والترهيب»: (١٣٣٦)، و«صحيح الجامع»: (٣٧٥٦).



٢ -قال تعالىٰ: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [سورة التوبة: ٥٨].

قال ابن كثير عند قوله تعالىٰ: ﴿وَمِنْهُم﴾: «أي: ومِنَ المنافقين: ﴿مَّن يَلْمِزُكَ﴾، أي: يَعيبُ عليكَ فِي قَسْم الصَّدَقَاتِ إذا فرقتها، ويتَّهِمُك في ذلك، وهم المتَّهَمُون المأبونون»(١)، وهُم مع هذا لا ينكرون للدِّين، وإنما ينكرون لحظ أنفسهم؛ ولهذا إن: ﴿أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾[سورة التوبة: ٥٨]، أي: يغضبون لأنفسهم.

روىٰ الشيخان من حديث الزهري، عن أبي سلمة عن أبي سعيد في قصة ذي الخُوَيصرة -واسمه حُرْقوص-: لما اعترض على النَّبيّ ﷺ حِين قَسَّم غنائم حنين، فقال له: اعْدِل، فإنك لم تعدلْ.

فقال: «لَقَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ». ثم قال رسُول الله ﷺ وقد رَآه مقفيًا: «إِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّهُمْ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ» وذكر بقية الحديث(٢).

ثم قالَ تَعَالىٰ مُنبِّهًا عَلىٰ ما هو خير لهم من ذلك، فقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ [سورة التوبة: ٥٩]، فتضمنت هذه الآية الكَريمَة أدبًا عظيمًا وسرًّا شريفًا؛ حيث جعل الرضا بما آتاه الله ورسوله ﷺ والتوكل على الله وحده، وهو قوله: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا﴾، وكذلك الرغبة إلى الله وحده في التوفيق لطاعةِ

---

(١) المأبون: هو المعيب. ينظر «الزاهر في معاني كلمات الناس»: (١/ ٣٥٢).

(٢) رواه البخاي برقم: (٣٣٤٤)، ورواه مسلم برقم: (١٠٦٤).

الرسول ﷺ وامتثال أوامره، وترك زواجره، وتصديق أخباره، واقتفاء آثاره.(١).

ما يستفاد من القاعدة:

١- الغَنَائم حقٌّ يؤتَاه من ذكر الله في كتابه حين قال سبحانه: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾ [سورة الأنفال: ٤١]، أما المنافقون فلا حَظَّ لهم فيها ولا يقربون.

٢- توخي العدل والإنْصَاف في الأمُور كلِّها رضي من رضي وسخط من سخط.

القاعدة الخامسة والأربعون: قبول أعذارهم وأيمانهم الفاجرة مع عدم الرضا عنهم.

قد سبق في قاعِدَتين مضتا التَّنصيصُ على أنه:

أ) لا يُوثق بِحديثهم ولا يصدقون في ادِّعاءاتهم.

ب) عدمُ الرِّضا عنهم مهما حلفوا من أيمان.

جرت عادة المنافِقِينَ بَعد كلِّ غَزوَة مسارعتهم إلى النَّبيِّ ﷺ يَحلِفون له أن تَخلُّفَهم إنَّما كان عن عذر لهم فيه عند الله حجة وبرهان.

وقد يسَّر اللهُ فِيما مضى من البحْثِ أن جُمعت بَعضُ أعذار المنافقين التي أوردها المنافقون لتخلفهم عن الجهاد هذا مختصرها:

١- زعمُهم أن بيوتهم عورة: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [سورة الأحزاب: ١٣].

---

(١) «تفسير ابن كثير»: (٤/ ١٦٤).

٢- زعمهم أنَّ المؤمنين لن يلقوا عدوًا: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُواْۖ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ١٦٧﴾ [سورة آل عمران: ١٦٧].

٣- زعمهم أنَّهم يخافون على أنفسهم فتنة النساء: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ٤٩﴾ [سورة التوبة: ٤٩].

٤- زعمهم أنَّه لا مَال عندهم وإلا لشاركوا في الجهادِ: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ٤٢﴾ [سورة التوبة: ٤٢].

٥- زعمهُمْ أنَّ أموالهُم وأهليهم قدْ شَغلتهم عن الخروج للجهَادِ: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًاۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ١١﴾ [سورة الفتح: ١١].

لم يكن النَّبيّ ﷺ ليتخذ أدنى عُقوبة يفرضها على المنافقين مع تكرُّر كَذبهم وفجورهم في أيمانهم لسببين فيما أعلم:

١- لأنه عليه الصلاة والسلام كانَ يَتعامل معهم على ظَاهرهم، فهم يدَّعُون الإِسْلام ويصلون مَع المسلمين، وقد يُؤدُّون بعْض شعائر العبادات الأخرى حتى يأمنوا على أنفسهم وأموالهم.

٢- لقد كانت مَواقفُ تخلُّفهم وتَولِّيهم يوم الزحف مرارًا كافية في كشف

حقيقتهم وبَيان نفاقهم وفضحهم بين النَّاس، بما يغني عن مؤاخذتهم وإنزال العقوبة بهم ودونك هذا الموقف:

قال ابن إسحاق: «لَمَّا قَدم رَسول الله ﷺ المدينة، وكان عبدُ الله بن أَبي بن سلول، كما حدَّثني ابن شهاب الزهري، له مَقام يقومه كل جُمُعَة لا ينكر شرفًا له في نفسه وفي قومه وكان فيهم شريفًا، إذا جلس رسول الله ﷺ يوم الجُمُعة وهو يخطب النَّاس قامَ فَقال: أيُّها الناس، هذا رسول الله ﷺ بين أظْهُركم، أكرَمَكُم الله وأعزكم به، فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا، ثُمَّ يجلس، حتى إذا صنع يوم أحد ما صَنع ورجع بالنَّاس، قام يفعل ذلك كمَّا كان يفعلُه، فأخذ المسلمون بثِيَابه من نواحيه وقالوا: اجلس أي عدو الله لست لذلك بأهل، وقد صَنعت ما صنعت، فخَرَج يتخطى رقاب الناس وهو يَقُول: والله لكأنَّما قلتُ بجرًا، إن قمت أشدد أمره، فلقِيَه رجلٌ مِن الأنصار بباب المسجد، فقال: ما لك ويلك؟ قال: قُمت أشدد أَمْرَه فَوثب علي رجال من أصحابه يجذِبونني ويعنفونني، لكأنما قلت بجرًا أن قمت أشدد أمره، قال: ويلك ارْجِع يستغفر لكَ رسول الله ﷺ، قال: والله ما ابتغي أن يستغفر لي[(١)].

إنه لخزي ما آلَه على نَفسِه، وعَار ما أشده على فُؤاده، ومذلَّة ما أعْظَمها على شخصيته وسمعته ومكانته بين قومه.

ومع ذلك كُلِّه فَقَد كان الشأن من النَّبيّ ﷺ في آخر سِني حيَاتِه أن امتثل أمر ربه سبحانه حين قال سبحانه: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ

---

(١) بجرا: البجر الأمر العظيم والبجاري: الدواهي. ينظر «الروض الأنف»: (٣/ ٢٩٣)، وفي «سيرة ابن هشام»: (٢/ ١٠٢).

ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا وَلَا تَقُمۡ عَلَىٰ قَبۡرِهِۦٓۖ إِنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة التوبة: ٨٣-٨٤]، إنها المُفاصلة الحَازمة والمُواجهة الحاسمة التي جاءت بعد أن طفح الكيل وبلغ السيل الزبى.

ختام هذه القواعد:

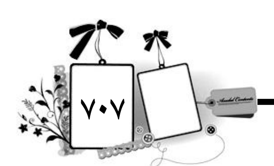
القاعدة السادسة والأربعون: الصبر والتقوى على مواجهة حزب النفاق.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة آل عمران: ١١٨-١٢٠].

ذكر عَددٌ مِن المفسرين؛ كابن كثير، وابن أبي حاتم، والسعدي وغيرهم، أنَّ المُراد بالبطانة المنهي عن اتِّخاذها إنَّما هم المنافقون، وعليه فقد جَاء هذا التنوير، وهَذا التَّحذير، يبصِّرُ الجماعة المسلمة بحقيقة الأمر، ويوعِّيها لكيد أعدائها الطَبيعيين، الذين لا يخلِصون لها أبدًا، ولا تغسل أحقَادهم مودة من المسلمين وصحْبَة. ولم يجيء هَذا التنوير وهذا التحذير ليكون مقْصُورًا على فترة تاريخية معينة، فهو حقيقة دائمة، تواجه وَاقعًا دائمًا؛ ض كما نرى مصداق هذا فيما بين أيدينا من حاضر مكشوف مشهود.

والمسْلِمون في غفلة عن أمر ربهم: ألا يَتَّخذوا بطانَة من دونهم، بِطانة من نَاس هم دونهم في الحقيقة والمنهج والوَسِيلة، وألا يجعلوهم موضع الثقة والسر والاستشارة.

المسلمون في غفلة عن أمر ربهم هذا يتخذونَ مِن أمثال هَؤُلاءِ مرجعًا في كل أمر، وكل شأن، وكل وضع، وكل نظام، وكل تصور، وكل منهج، وكل طريق!



والمسلمون في غفلة من تحْذِير الله لهم، يُوادُّون مَن حادَّ الله ورسوله ﷺ؛ ويفتحُون لهم صدورهم وقلوبهم، والله سبحانه يقول للجماعة المسلمة الأولى كما يقول للجماعة المسلمة في أي جيل: ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١١٨].

والله سبحانه يقول: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾ [سورة آل عمران: ١١٩]، والله سبحانه يقول: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا﴾ [سورة آل عمران: ١٢٠].

ومرة بعد مَرَّة تصْفَعنا التجارب المُرَّة، ولكننا لا نفيق، ومَرة بَعد مرَّة نكتشف أن المكيدة والمؤامرة تلبس أزياء مختلفة ولَكنَّا لا نعتبر. ومرَّة بَعد مرة تنْفَلت ألسنتهم فتنُمُّ عن أحقادهم التي لا يَذهب بها ودٌّ يبذله المسلمون، ولا تغْلِسها سماحة يتعامل بها معهم، ومَع ذلك نعود، فنفتح لَهم قلوبنا ونتخذ منْهُم رفقاء في الحياة والطريق! وتَبلُغ بنا المجاملة، أو تبلغ بنا الهَزيمة الروحِيَّة أن نجاملهم في عقيدتنا فنتحاشى ذكرها، وفي منهج حياتِنَا فلا نقيمه على أسَاسِ الإِسْلام، وفي تزوير تاريخِنا وطمس معالمِهِ كَي نتقي فيه ذِكر أي صدام كان بين أسلافنا وهَؤُلاءِ الأعداء المتربصين! ومن ثم يحل علينا جزاء المخالفين عن أمر الله.

ومن هنا نذِل ونضْعُف ونستخذي، ومن هنَا نلقى العَنت الذي يودُّه أعداؤنا لنا، ونلقى الخبال الذي يدسونه في صفُوفِنا، وها هو ذا كتاب الله يعلِمُنا -كما علَّم الجماعة المسلمة الأولى- كيفَ نَتَّقي كيدهم، وندْفَع أذاهم، ونَنجُو من الشر الذي تُكنُّه صُدورهم، وتبوح ألسنتهم منه بشواظ: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة آل عمران: ١٢٠].

فهو الصَّبر والعَزمُ والصُّمود أمام قوَّتهم إن كانوا أقوياء؛ وأمَام مكْرِهم وكيدِهم إن سلكوا طَريق الوقيعة والخداع، الصَّبر والتماسك لا الانهيار والتخاذل؛ ولا التنازل عن العقيدة كلها أو بعضها اتِّقاء لشرهم المتوقع أو كسبا لودهم المدخول، ثم هي التقوىٰ: الخوف من الله وحده ومراقبته دون من سواه.

هي تَقوىٰ الله التي تَربط القلوب بالله، فلا تلتَقي مع أحد إلا في مَنهَجِه، ولا تعتصم بحبل إلا حبلهِ.. وحِين يَتَّصل القلب بالله فإنه سيَحقِّر كُل قوة غير قوته؛ وستَشد هَذه الرابطة من عزيمتهُ، فلا يستسلم من قريب، ولا يوادَّ من حَادَّ الله ورسوله ﷺ، طلبًا للنجاة أو كسبًا للعزة!

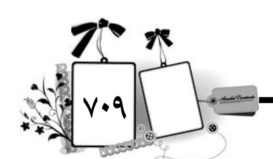
هَذا هو الطريق: الصبر والتقوىٰ، التَّماسُكُ والاعتصام بحبل الله. ومَا استمسك المسلمون في تاريخهم كلِّه بعروة الله وحدها، وحَقَّقوا منهج الله في حياتهم كلها، إلا عزوا وانتصروا، ووقَاهُم الله كيد أعدائهم، وكانت كلمتهم هي العليا. وما استمسك المسلمون في تاريخهم كلِّه بِعُروة أعدائهم الطبيعيين، الذينَ يُحاربون عقيدتهم ومنهجهم سرًّا وجهرًا، واستمعوا إلىٰ مشورتهم، واتخذوا منهم بطانة وأصدقاء وأعوانًا وخبراء ومستشارين، إلا كتَبَ الله عليهم الهزيمة، ومكَّن لأعدائهم فيهم، وأذَلَّ رقابهم، وأذاقهم وبال أمرهم، والتَّاريخ كلُّه شاهد علىٰ أن كلمة الله خالدة؛ وأنَّ سنَّةَ الله نافذة. فمَن عمي عن سنة الله المشهودة في الأرض، فلن ترىٰ عيناه إلا آيات الذلة والانكسار والهوان..(١)

ما يستفاد من القاعدة:

١- المَنهج القُرآني يوصي المُؤمنين بالصبر علىٰ المُنافقين، وعدم التَّسرُّع بمقارعتهم مقارعة علنية واضِحة كمقارعة الكافرين، ذَلك لأنَّهم لم يعلنوا الكُفر صراحة، بل

---

(١) ينظر «في ظلال القرآن»: (١/ ٤٥٢ - ٤٥٣)، بتصرف يسير.



اقتصرت دلائل كفرهم ونفَاقهم علىٰ أمارات لم تَصل إلىٰ درجة الإدانَة القضائية بالكفر والرِّدَّة، ولذلك أمرنا بالتعامل مع ظهرهم والصبر عليهم لعلهم يهتدون.

٢- الصبر المُراد هُنا بمفهومه الشَّامل الذي ينمي عملًا وَيبعث همة، لا صبر العاجز والمتخاذل.

فنصْبِر عَلىٰ المنافقين مع سَبر لأحْوَالهم، ونصبر علىٰ المُنافقين مع رصد لتحركاتهم، ونَصبِر عَلىٰ المنافقين مع فَضح لمخططاتهم وهتك لأستارهم، وفي هذا إعمال للمنهج القرآني المتكامل، فالقرآنُ الذي يوصينا بالصبرِ عَلىٰ المنافقين هو هو الذي تنزَّلت عدد من سوره بكشف نواياهم وبيان دسائسهم وعلاقاتهم بأعداء الدين.

٣- الأمر بالتقوىٰ والمشتملة علىٰ معنيين:

أ) اتقاء سَخط الله وعَذابه بفعل ما أمر بهِ واجتنابِ مَا نهىٰ عنه، ولا سيما في التزام نهيه عن أن نتخذ منهم بطانة.

ب) اتقاء مكرهم والحذر منهم، وبِوَضعهم موضع المُراقبة الدَّائمة ممَّا يقتضي عدم مخاللتهم أو مصادقتهم أو توليتهم علىٰ مرافق المسلمين إلىٰ غير ذلك.

ج) التَّوكل عَلىٰ الله عدة المؤمن وعَتَاده، فهو المحيط سبحانه بمخططاتهم فيفشلها والمحيط بمكرهم وكيدهم فيحبطه ويبطله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ [سورة الأنفال: ٤٧][1].

---

(١) ينظر «ظاهرة النفاق»: (١/ ٣١٠- ٣٠٢)، د/ عبدالرحمن الميداني.

ملاحق

الردُّ على شُبهة أن المنافقين قد حظوا في زمنِ النبوة الأول بهامش واسع من الحرية:

أحببْتُ أن أختم بمبحثين جيِّدين: أحدهما للشَّيخ / د. إبراهيم السكران، والآخر للشيخ/ محمد بن صالح العجلان
وقد نقلتُهما دون تصرف فيهما.

شبهة حريَّة المنافقين: الشيخ الدكتور إبراهيم بن عمر السكران، ٢٤ جمادىٰ الآخرة ١٤٣١هـ.

مدخل:

الحمد لله وبَعد، تتمتع شُبهة ترك الرسول ﷺ للمُنافقين بتاريخ متَقدِّم نسبيًّا، حيث كانتَ تستعمل هذه الشبهة كواحدة من أهمِّ الأدوات لتعطيل العقوبات الشرعية، والتَّشويش علىٰ جهود المصلحين والمحتسبين.

ومن أئمة الدِّين الذين تمت مواجهتُهم بهذه الشُّبهة؛ الإمام محمد بن عبدالوهاب، حَيث كان هناك طالبُ علمٍ يقال له: (أحمد بن عبد الكريم)، وهُو من أهل الأحساء، وفي بدايَة أمره نصر التَّوحيد وعارض سدنَةَ القُبور، ثم إن عددًا من دعاة الشِّركيَّات أغرَوه بِشيءٍ من الدنيا فانْتكَس، ثم راسل الشيخ محمد بن عَبد الوهاب يخبره بتراجُعِه عن مواقفه الأولىٰ، واحتج بجملة أمورٍ؛ منهَا أن النَّبيّ ﷺ تركَ المُنافقين، فرَدَّ عليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب برسالَةٍ مَوجودة في الرسائل الشَّخصيَّة للشيخ، وهي الرسالة الثالثة والثلاثون، يقول الشيخ محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ولكِنَّ العَجب من دلائِلك التي ذكرت، كأنَّها أتَت ممَّن لا يسمع ولا يبصر، أمَّا استِدلالُك بترك النَّبيّ ﷺ ومن بَعده تكفير المُنافقين وقتلهم؛ فقد عَرف الخاص



والعام ببَديهَة العقل أنَّهم لو يظهرون كلمةً واحدة أو فعلًا واحدًا مِن عبادة الأوثان، أو مسبة التَّوحيد، أنهم يُقتلون أشرَّ قِتلة، فإن كُنت تزعم أنَّ الذينَ عِندكم أظهروا اتِّباع الدين ولم يبقَ إلا أشياء خفيَّة تظهر على صفحات الوجْهِ أو فلتة لسان في السر، وقد تَابوا من دينهم الأول، وقتلوا الطَّواغيت، وهدموا البيوت المعبودة؛ فقل لي». [الرسائل الشخصية: الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص (٢١٥)].

وفي عَصرِنا هذا أخذَت شُبهَة تَرك المنافقين بعدًا آخر، فإنَّ غالِب مَن كتب عن حرية الرأي، أو شَرْعنَة الديمقراطية وحقوقِ الإنسان، أو إنْكَار حد الرِّدة، تحت ضغوط الآيديولوجيا الغربية؛ فإنَّك تجده يحتج بشبهة ترك النَّبيّ ﷺ للمنافقين، ولا يُمكن عرض كل من استعمل هذه الشبهة، لكن يمكن لنَا أن نشير لبعض النماذج:

من الوَاضح أن هذه الشبهة طرحت وراجت مُبكرًا منذُ أيام ما يسمى برموز النَّهضة الأوائل كالأفغاني وعبده، والعَامل الذي يوحي بذلك أنَّنا نَجد الأستاذ رشيد رضا (ت١٩٣٥م) يرد على هذه الشبهة في مَواضع من تفسيره، ومن نماذج ذلك قول الأستاذ رشيد رضا:

«فإن قيل: إنَّ مقتضى حرية الدين التِي امتاز بها الإِسْلام في معَاملَة أهل الكتاب أن يسمَحَ للمُنافقين بأن يظهروا كفرهم! قُلنَا: إن الجَمع بين إظهار كفرِهم وحُسبانهم من المسلمين، لَهم ما لهم من الحقوق وليس عليهم ما عليهم من الواجِباتِ؛ تناقضٌ لا يقول به عاقل..، فإنْ قيلَ: إن القرآن قد فضَح بعض المنافقين في هذه السُّورة وحكم بكفرهم، ولم ينفذ النَّبيّ ﷺ عليهم أحكَام المُرتدين عن الإِسْلام، بَل بقي يعامِلُهم هو وأصحابه معاملة المسلمين! قُلنا: إنَّ مَا بيَّنَه الله تعالى من حال المُنافقين إنما كان وصفًا لأناس غير معينين بأشخاصهم..، وكانَ الذين عرف النَّبيّ ﷺ وبعضُ أصحابه أشخاصهم قليلين جدًّا». [«تفسير المنار»: التوبة، (١٢٩)].

ومن أوائل من استعمل هذه الشُّبهَة -أيضًا- الشَّخصيَّة الأزهرية الجدلِيَّة عبد المُتَعال الصعيدي (ت١٩٦٦م) فِي كِتابه «الحُرية الدينِيَّة في الإِسْلام»، وقَد لاحظت أن عددًا من مؤرخي الفكر السياسي العربي اعتنوا بأطروحات الصعِيدي، لكن اللافِت أنَّ الصعيدي نفسه في كتابه الآخر «السياسَةُ الإِسْلامية في عَهد الخلفاء الراشدين» المنشور ١٩٦١م، دَافع فيه دفاعًا مستميتًا عن حرب أبي بكر للمُرتدين (ص٦٠).

وممن استعْمَل هذه الشبهة -أيضًا- الدكتور المِصري المعروف أحمد صبحي منصور، وهُو من غلاة العلمانيين، وكان مدرِّسًا بجامعة الأزهر، ثُمَّ طرح عدة كتب تضمَّنت إنكار السنة النبوية، فجَرت بينه وبين علماء الأزهر سجالات انتهَت بفصله من الوظيفة عام ١٩٨٧م، وكَان لهذه الحادِثة دوي وضجيج في الساحة الفكرية المِصريَّة، فاستمر حانقًا على علماء الأزهر.

وفي عام ١٩٩٤م نشر دِراسة بعنوان «حرية الرأي بين الإِسْلام والمسلمين»، وحَاول أن يؤسِّس فيها مفهوم الحرية بناء على آيات المنافقين، ويقول الدكتور في إشارة لمن انْتَقده: (رددتُ عَليه بأنَّنى استشهد بآيات القرآن الكريم، وهى التى تضمَّنتْ تَقريرًا كاملًا عن حرية المنافقين القولية والفعلية، وأمر النبى ﷺ والمؤمنيين بالإعراض عنهم).

وقد استمر الدكتور أحمد صبحي منصور في عرض هذه الشُّبهَة في كتبه الأخرى، ومنها كتابه عن «الحسبة»، الذي نشره عام ١٩٩٥م حيث يقول فيه:

(كان تآمر المنافقين يبلغ درجة الخيانة العظْمَى؛ حيثُ كانوا يتحَالفون مع أعداء الدولة، أو يَتآمرون معهم ضدَّ المسلمين وقت الحرب، أي أنه كَانت للمنافقين كأفْرَاد وجماعات حريةُ المُعارضة للدِّين والدولة كيفما شاؤوا، وكانَ القرآن ينزل



يحكم بكفرهم، ويفْضَح تآمرهم، ولكن يأمر النَّبيّ ﷺ والمؤمنين بالإعراض عنهم، اكتفاء بما ينتظرهم من مصير بائس يوم القيامة) [«الحسبة»: دراسة أصولية تاريخية، د. أحمد صبحي منصور، ص (٦١)].

وفي عام (٢٠٠٣م) نشر الدكتورحاكم المطيري كتابه ذائع الصيت «الحرية أو الطوفان»، لكنَّه في سَبيل شرعنَتِه لَمفهُوم الحرية الغربي، فإنّضه لم يشر إلا إشَارة عابرة لكون النَّبيّ ﷺ لم يتعرض للمُنافقين [«الحرية أو الطوفان»، ص (٦١)]، بينما كثف تأصيله على ماذكره الفقهاء من الحالات التي لا يقاتل فيها البُغاة والخَوارج، وبعج هذه الحالَات ومطَّطَها وأخرجها عن سياقها ليركُز فوقها مفهُوم الحرية الغربي.

والحقيقة أن الدكتور حاكم بعد كتابه الأخير «الفرقان بين حقائق الإيمان وأباطيل الشرك والطغيان» المَنشور في ٢٠١٠م، اتَّضح فيه بشكلٍ حاد مناقضته الجوهرية لتيَّار التنويريين والإصلاحيين في مسائل (التكفير والخروج)، واقترابه من لغة عبدالسلام فرج صاحب الفريضة الغائبة.

وفي عام ٢٠٠٦م نشر الدكتور طه جابر العلواني بحثًا بعنوان «لا إكراه في الدين»، احتَجَّ فيه على الحرية وتعطيل حدِّ الردة بجملة أمور، منها ترك النَّبيّ ﷺ قتل المنافقين.

ثم إن الكاتب الإنترنتي المعروف زائر الوسطية (=سَعيد الكثيري) قامَ بتصميم كتاب نشَره قبل عدَّة سنوات على شبكة الإنترنت اسمه «تجديد فهم الوحي» (www.tajdeedat.com) وقد رأيته أول مرة على الشبكة عام ٢٠٠٧م.

ولا أدري هل وجد قبل ذلك أم لا، وذَكر فيه آيات النفاق محتَجًّا بها على الحرية، وكان يستل منهُ أجزاءً ويعيد حقنها في المنتديات الحوارية بشكلٍ دوري، ويستغل غالبًا أي جدل يثار هنا أوهناك في المنتديات الحواريَّة ليَدخُل في الجدل ويقحم

أجزاءً من مادة كتابه. (انظر مثلًا ذات آيات النفاق نشرها بمنتدىٰ محاور بتاريخ ٢١/ ٤/ ٢٠٠٧م).

ثم في فترة لاحقَةٍ قامت الشبكة العربية للأبحاث والنشر بطِباعة هذا الكتاب بنفس العنوان «تجديد فهم الوحي»، لكن وضعوا للمؤلف اسمًا مستعارًا آخر وهو (إبراهيم الخليفة).

وسأعرض جزءًا مختصرًا مما قاله الأستاذ ابراهيم الخليفة (=زائر الوسطية) في كتابه هذا حول دِلالة آيات النفاقِ عَلىٰ الحرية، يقول المؤلف:

(لقد قَال المُنافقون في عهد الرسول ﷺ وفعَلُوا أسوأ مما قاله وفعله الكَثيرُ من المخالفين للدين في عصرنا. ماذا كانَ يقول المنافقون في عهد الرسول ﷺ عن أنفسهم وعن الصحابة؟!.

كانوا يقولون إنَّهم مصلحون، ويصفون الصحابة بأنهم سفهاء: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ﴾ [سورة البقرة: ١٣].

المنافقون كانوا يبغضون مجتَمَع المُؤمنين ويحملون العداء لأهله: ﴿قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ [سورة آل عمران: ١١٨].

المنافقون كانوا يدعمون أعداء مجْتَمعهم ولو بالأقوال والآراء والوعود: ﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ﴾ [سورة الحشر: ١١].

كان المُنافقون يكذِبُون علىٰ الرَّسول: ﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة المنافقون: ١]، كانوا كافرين بالفعل ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾ [سورة المنافقون: ٣].

كانوا يَرفضون استغفار الرَّسول لهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ﴾ [سورة المنافقون: ٥].

كانوا يتآمرونَ علىٰ فقراء الصَّحابة ليتفرقوا عن الرسول: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ [سورة المنافقون: ٧].

في قلب الأزمَات كَانوا يستخفُون ويستهزئون بوعود الرسول لهم: ﴿وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأحزاب: ١٢].

كانوا يَخذلون الرَّسول والصحابة في أحلك الظروف، ويَسعَون إلىٰ اسْتِثَارة النزعات وتفريق صفوف المسْلمين: ﴿وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴿١٣﴾ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ﴿١٤﴾﴾ [سورة الأحزاب: ١٣-١٤].

بعض المنافقين لم يَكونوا يشكِّكون في نزاهة الصحَّابة أو العلماء والقضاة، بل كانوا يشككون في نزاهة الرسول: ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة التوبة: ٥٨].

بعض المنافقين كَانوا يؤذون النَّبيّ ويصفونه بأنه جاسوس: ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ﴾ [سورة التوبة: ٦١]؟.

هل يتحمَّل المَوقف من قيمة الحرِّيَّة أي اختلاف أو توقف أو تحفظ؟. وهل تكفي الآيات التي تَمَّ عرضها لإثبات مشروعية وضرورة إعادة ترتيب سلم القيم؟!.)/ [«تجديد فهم الوحي»، ابراهيم الخليفة، ص (٤٤٧)، مع حذف بعض الفقرات].

قصة المادة المستعارة:

وممن تَابع هذا الاتجاه الأسْتاذ نواف القديمي، حيث أعاد عَرض ذات المَادَّة التي صاغها زائر الوسطية -مَع شيءٍ من الاختصار- في ثلاثة مواضع: في كِتابه أشوَاق الحُريَّة (ص٥٦)؛ حيث استعارها القديمي للرَّدِّ علىٰ موقف السلفية من

الدِّيمقراطية، ثُمَّ استعار ذات المادة مرةً أُخْرَىٰ في مقالته: (علىٰ هامش فتوىٰ البراك)، وكَانت ردًّا علىٰ فضيلة الشيخ الإمام عبد الرحمن البراك، ثم استعارها مرةً ثالثة في مقالته: (هامش الحرية والورطة أمام النص الشرعي)، للردِّ عَلىٰ المشايخ الفضلاء: (فهد العجلان، محمد القصاص، بدر باسعد، عبداللطيف التويجري). وفي كل المواضع الثلاث لم يشِر الأستاذ القديمي للمصدر الذي استعار منه هذه المادة.

وقد وقعت لي قِصَّة طريفة مع هذه المادة، ذَلك أَنَّني حين قرأت كتاب الأسْتَاذ القديمي (أشواق الحرية) فور صدوره مر بِي قول الأستاذ:

(وكَانوا يؤذون النَّبيّ ﷺ ويصفونه بالتَّجسُّس: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾ [سورة التوبة: ٦١]). [«أشواق الحرية»، القديمي، (٥٧)].

وهي العبارَةُ نفسُها التِي أعادها في مقالته في الرَّدِّ علىٰ البراك، فتوقفت محتارًا أمام هَذا التفسير، حَيث فسر الأستاذ القديمي قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾، بأنه اتِّهام للنبي ﷺ بالتجسس، بينما كنت أتَذكَّر أنه قد أشكل علي مَعنىٰ الآية قبل سنوات، فَراجعت عَلىٰ عجل تفسير ابنِ كثير، فوجدت المعنىٰ أنَّ العرب تقول للشخص (أذن)، أي: يقبَلُ ويصدِّق كل ما يقالُ لَه، لكني تهيبت أن أخطِّئه وقلت في نفسي: لعله اطلع علىٰ هذا المعنىٰ في أحد كتب التَّفسير الموسعة.

ثم بعد فترة راجَعت التَّفاسير العشرين المشهورة: الطبري، وابن أَبي حاتم، والبغوي، وابن كثير، وابن عطية، وابن الجوزي، والزمخشري، والرازي، والقرطبي، وأبو حيان، والخازن، والبيضاوي، والنسفي، وابن جزي، وأبوالسعود، والشوكاني، والقاسمي، والألوسي، والسعدي، وابن عاشور.

وفي كل هذه التفاسير العشرين لم أجد أحدًا مِن أهْلِ العلم قال أن معنىٰ: ﴿هُوَ



أُذُنٌۚ﴾، أي: جاسوس، وإنما كلُّهم يُؤكِّدون أن معناها أنه يُصدِّق ويقبل ما يقال له، أي: أرادو تنقصه ﷺ بالانخداع والاغترار والغَفلَة، وهذا معنىٰ لاصلة له بالجاسوسية!

ومع ذلك بقيت متحيِّرًا من أين أتىٰ الأستاذ القديمي بهذا التفسير لعبارة: ﴿هُوَ أُذُنٌۚ﴾، بأنها التجسس؟

ولما أعدْتُ قبل أمس مطالعة كتاب زَائر الوسطية وجدت المفتَاح، حيث وجدْت زَائر الوسطية (=ابراهيم الخليفة) يقول في كتابه ذات العبارة:

(كان بعض المنافقين يؤذون النَّبيّ ﷺ ويصفونه بأنه جاسوس: ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ﴾ [سورة التوبة: ٦١]).[«تجديد فهم الوحي»، ابراهيم الخليفة، (٤٥٢)].

وكانت هذه الواقعة بالنسبة لي نموذجًا جديدًا لمخَاطر القَص واللَّصق، سيما بلا عزو ولا نسبة.

وظني أن سبب خطأ (زائر الوسطية) في هَذا التفسير هو أنه رأىٰ بَعض أهل اللغة يقولون أن وصف من يسمع ويصدِّق ما يقال له بأنه ﴿أُذُنٌۚ﴾، يشبه وصف الجاسوس بأنَّه (عين)، فكلاهما سمي بالجارحة المنَاسِبة.

فاختلطت الأُمور عند زائر الوسَطيَّة فسمىٰ من يُصدق ما يقال له جاسُوسًا، أي أنه سَمَّىٰ الأذن عينًا! والوَاقع أن هذا تشبيه للعَلاقة بالعلاقة لا تَشبيه للجارحة بالجارحة!

ولما قرأت قول الأستاذ القديمي في كتابه ومقالته عن المنافقين:

(وكانوا يُظهرون البغضاء للمؤمنين: ﴿قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ﴾ [سورة آل عمران: ١١٨]).

توقفت أيضًا، لأن هَذه الآية يذكرها أهْلُ العلم في باب الولاء والبراء عن أهل الكتاب، وأول الآية: ﴿بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾ [سورة آل عمران: ١١٨]، وأتْبَعها بقوله: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٩]، بما يؤكِّدُ هذا المعنى أنَّها في أهل الكتاب، لكن قُلت في نَفسي: لعل الأستاذ القديمي يجعل هذا الصنف من أهل الكتاب من المُنافِقين، سيما أن هناك من أهْلِ العلم من ذهب لذلك.

لكن لَمَّا طالعت كتاب زَائر الوسطية ووجدت ذاتِ العِبارة فيه، استبانَ لي أن الأمر لا يعدو كونه قص ولصق، يقول زائر الوسطية في كتابه:

(المُنافقون كانوا يُبغضون مجتمع المؤمِنين ويحملون العداء لأهله: ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [سورة آل عمران: ١١٨]. [«تجديد فهم الوحي»: ابراهيم الخليفة، (٤٤٧)].

ولما قرأت في كتاب الأستاذ القديمي ومقالته قوله:

(وكانوا يَتآمرون على رسول الله: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ [سورة المنافقون: ٧]).

لم تتضح لي العلاقَة! فالمُنافقون يرفضون الإنفاق على: ﴿مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾، وليَس علَى (رَسُول الله)، فلا أدْري لماذا جعلَها مؤامرة على الرَّسول ﷺ، ولَم يجعلها مؤامرة على الصحابة الذين عند رسول الله ﷺ؟

ولما قرأت كتاب زائر الوسطية تَبيَّن لي أن عملية الاختصار هذه المرة كانت عاجلة بالشكلِ الذي سبب هذا القفز في المعنى، حيث يقول زائر الوسطية:

(كانوا يتآمرون عَلى فقراء الصحابة ليتفرَّقوا عن الرسول: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ [سورة المنافقون: ٧]). [«تجديد فهم الوحي»: إبراهيم الخليفة، (٤٤٨)].



ثم استَمر الأسْتاذُ القديمي في استعارة المادة، بذاتِ آياتِها، وبِذَات وجوه الاستدلال مِن كل آية، مع شَيءٍ من الاختصار والتصرف أحيانًا، ومن ذلك مثلًا:

يقول زائر الوسطية:

(كانوا يخذلُون الرَّسول والصحابة في أحلَكِ الظروف، ويَسعون إلى استثارة النزعات وتفريق صفوف المُسلمين: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [سورة الأحزاب: ١٣])

ويتابعه الأستاذ القديمي:

(وكانوا يخذِلون المُجتمع المسلم في أحلك ظروفِه وأزماتِه: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾ [سورة الأحزاب: ١٣].

ويقول زائر الوسطية:

(كانوا يسْتخِفون ويستهزئون بوعود الرسُول لهم: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأحزاب: ١٢]).

ويتابعه الأستاذ القديمي:

(بل ويكفُرُون بموعودِ الله وحديث رسوله: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأحزاب: ١٢])

بل ومِن الطَّريف أن الأستاذ القديمي حَافظ على ترتيب أكثر الآيات كما رَتَّب عرضها زائر الوسطية في كتابه المشار إليه.

والحقيقة أنَّني لَم أكن أستبعد أن يَستفيد الأستاذ القديمي من كتاب زائر الوسطية (=ابراهيم الخليفة) المُسمى تجديد فهم الوحي، لأنَّ الأستاذ القديمي هو

الذي قَام علىٰ طبع الكتَاب عَبر مُؤسَّسته الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ومنَ الطَّبيعي أن يكون طَالع الكتاب قبل نَشره بمدَّة كافية، لكنَّني كُنت آمل أن لايَنسب هذه المادة لِنفسه ويستعملها في ثلاثةِ مَعارك، دُون أن يشير ولو إشارة بسِيطَة إلىٰ أنه نقل المادة من كتاب زائر الوسطية (=ابراهيم الخليفة).

ومن جَانب آخر، فإنَّني أعْتِب علىٰ الأستاذ القديمي؛ كَيف يخوض في تَفسير القرآن بُناءً علىٰ قص ولصق من كتاب زائر الوَسَطية، والجَميع يعرف أن زائر الوسطية صَاحب تفكير غرائبي لا عقلاني، فَهو مَهجوس بتأويل النُّبوءات، مثل حَماسه لإثْبات أن المسيح الدجال هو الحضَارة الغربية، وخوضه سجَالات إلكترونية كثيرَة لإثبات ذلك، ومن ذَلك قوله: (فإنَّنا لا نتردد في الزَّعم بأن المسيح الدجال هو الغَربُ الحديث أو الحضارة الغربية). (انظر: موقع تجديد فهم الوحي).

ومنْ أفْكَاره الخرافية أن فْتنَة قرن الشيطان هي دَعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كَما يقول في كتابه: (في أفكار الشيخ وفي جهوده جَوانب غُلو حقيقية ومؤكدة، تدور حول مسائل التَّكفير والعنف، وهذه في تَقديرنا هي المقصودة بنبوءة قرن الشيطان). [«تجديد فهم الوحي»: ص (٩١)].

ومن أفكَاره التي طرحها -أيضًا- القَول بجواز إلْغَاء حدِّ رجم الزاني المحصن وجَلد شارب الخمر [«تجديد فهم الوحي»، ص (١٤٩، ١٥٠)]، بَل والأكثر إضحاكًا من ذَلكَ أنَّه يعتقد أن الصَّلوات المفروضة الواجبة إنَّما هي الصلوات الجْهرِيَّة (المغرب، الفجر، العشاء)، أما صلوات النهار (الظهر، العصر) فَيرىٰ أنَّها مستحبة فقط؛ فيقول: (إن الصلوات الجهرية تَدخُل في إطار الوَاجبات الثابتة والمُستمرة، أمَّا بقية الصلوات فتَدخُل ضمن قسم التزكية). (ص١٦٠).

ثمَّ شرح اسْتنباطَاته العجائِبيَّة التي أوصلته لهذه النَّتيجة، وله من أمْثَال هذه



التقليعات اللاعقلانية الكثير فكتَاباته تحمل على محمل الطرافة والتسلية والفُكاهة وليست بحوثًا علمية!

بل كنتُ أتساءل كيف تطبع (الشبكة العربية للأبحاث والنشر) مثل هَذا الكِتاب الذي يجحد فَرضين من الصلوات الخمس التي هي عُمودُ الإِسْلام، ويجحدُ جُملة مِن الحُدود الجنائية الشرعية، ويجعَل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب قرن الشيطان؟! ثمَّ يَقولوا نحن من أهل السنة الحَريصون عليها؟! هل رأيتم في حَياتكم رجلًا ملتزمًا بأُصُول أهل السنة يروج لكتَاب ينكر صلاتين من الفرائض الخَمسة ويجحد حدود الله ورسوله، ويتهم أئمة الإِسْلام بأنهم قرون الشيطان؟!

على أيَّة حَال.. كان من الخطأ الفَادح أن يُعتمَد على صياغة مِثل هذا الرجل الغريب الأطوار -أعني زائر الوسطية- وتفسِيره لآيات النفاق ووجه دلالتها على هامش الحُرِّية، ثم تستعمل هذه المادة المُستعارة في ثلاث معارك ضد السَّلفية، والإمام عبد الرحمن البراك، وجملة من طلبة العلم! فهذا ما كان تَحاشيه خير من تقحُّمه، لكن قدر الله وماشاء فعل.

سُنيَّة نتائج الشبهة:

قبل أن نُناقش هذه الشُّبهة كما صاغها زائر الوسطية واستعارها الأستاذ القديمي، دعونا نسلط الضوء على هذه القضية من زاوية أخرى.

كنت أسمَعُ التنويريين والإصلاحيين يردِّدون بأنهم ملتزمون بأُصول أهل السنة، ويُبدون انزعاجهم وتبرُّمهم من أي رجل يَضعهم في مواجهة أصول أهل السنة وجهًا لوجه.

حسنًا.. دعونا نخْتَبر صحة دعوى تمسكِ التَّنويريين والإصلاحيين بأُصول أهل السنة، لن نختبر هذه الدَّعوى بتمحيص جميع مقالاتهم وأفْكارهم، بل سنختبرها

علَىٰ ضوء فكرة واحدة فقط من أفكارهم، وهي (شُبهة حرية المنافقين)، ولاحظ معي أنها مجرد فكرة واحدة فقط من أفكارهم.

اتفقَ أهل السنة بِجميع طوائفهم علىٰ عقوبة سابِّ النَّبيّ ﷺ، والجُمهور يبلغون بالعقوبَة القَتل، قَال ابن المنذر: «أجْمَع عوام أهل العِلم علىٰ أن من سَبَّ النَّبيّ ﷺ يقتل». بينما أصحاب شبهة (حرية المنافقين) يقولون: لا يعاقَبُ سَابُّ النَّبيّ ﷺ شرعًا.

واتفق أهل السنة بجميع طوائفهم علىٰ عقوبَةِ المُرتَد (وان اختلفوا في بعض التفاصيل)[«بداية المجتهد»: (٢/ ٤٥٩)]، ولكن أصحاب شبهة حرية المنافقين يقولون لايعاقب المرتد شرعًا.

وهكذا تأمَّل في العُقوبات الشَّرعيَّة التي ذكرها أهل السنة، مثل: عقُوبة الداعيَة إلىٰ البدعة، وعقوبة الجاسوس، عقُوبَة من يقذف الصحابة، وعقُوبَة المُفطر في نهار رمضان جهارًا، عقُوبة أية طائِفة تمتنع عن شريعة من شرائع الإِسْلام كالأذان، الخ.

وقارنْهَا بمدرسة حرية المنافقين، تجدُ أنَّ أصحاب هذا المذهب يَؤول كلامهم إلىٰ جحدِ كُلِّ العقوبات من حيث أصل وضعها الشَّرعي؛ لأَنهم أتَاحوا الحُرية لأغلظ أنواع الكفر، وصارو يَقولون أنَّ ما دون ذَلك فهو أولىٰ بالحرية.

فآل هذا القول إلىٰ إلغاء كافة العُقوبات الشَّرعيَّة من حيث أصل وضعها الشرعي، فهذا يعني أن أبواب الحدود في الفقه الإِسْلامي كانت تضييعًا للوقت!

هذا اللازم الذِي تورطت به هذه المَدرسة يقودنا إلىٰ اكتِشَاف خطأ فرضيَّات هذه المَدرسة في تفسيرها لآيات أفْعَال المنافقين، إذ لو كَانت فرضيتهم التَّفسيرية لآيَات أفعال المنافقين صحيحَة لما أدَّت لهذه النتيجة الكارثِيَّة التي تلغي عشرات النصوص والتشريعات الأخرىٰ.



وهذه طريقة أهل السُّنَّة في تحليل تفسيرات النصوص، فإنَّهم يَدرسون لوازم وآثار التَّفسيرات المطروحة، فَإذا انسجمت مع بَقيَّة النصوص علموا صحتها، وإذا أدت للوازم فاسدة علموا بطلان هذا التفسير، ولذلك يقُول الإمام ابن تيمية في مواضع كثيرة من كتبه: «فساد اللازم يستلزم فساد الملزوم»، وهي آلِيَّة عقلية استعملها القرآن كثيرًا، وأخبر الناس بها أهل السنة.

وهذا اللازِم (إلغاء العقوبات الشرعية) لَيس لَهم إلا أنْ يَتَراجعوا عنه، ويُقرُّوا بالعقوبات الشَّرعيَّة التي قرَّرها أهل السنة، ويَنقضوا تفسيرهم الشَّاذ لآيات أفعال المنافقين، وإمَّا أن يواصلوا تمسُّكَهم بهذا اللازم، فعَليهم ها هُنا أن يكونوا صُرحاء مع أنفسهم، ويَعترفوا أنَّهم مفارقين لجملة من أصُول أهل السنة، وعلى رأسها -في هَذه المَسألة- أصول أهْل السُّنَّة في العقوبات والإنكار والحسبة، وهي أصول كلية إجماعية وليست مسائل اجتِهَادية يغمض مأخذها ولا يثرب فيها على المخالف.

الجواب الإجمالي عن الشبهة:

إذا كان تفْسِير آيات أفعَال المنافقين بهذِه الصُّورة يؤول إلى إلْغَاء العقوبات الشرعية وشَعيرة الحسبة والإنكار، فما هُو التفسير الصَّحيح لهذه الآيات التي سرَدها هَؤُلاءِ إذن؟

هذا السُّؤال يقودنا الآن إلى الجُزء الرئيس أو العَمود الفقري لهذه المقالة، والحَقيقة أن تفسير آيَات أفعال المنافقين يحتاجُ إلى مُستويين من الجواب: الجوابُ الإجْمالي، والجواب التفصيلي عن أفراد تِلك الآيات التي استدلو بها آيةً آية.

فأما الجَوابُ الإجمَالي عن هذه الشبهة: فَهو أن أقوال وأفعال المُنافقين، أو المُخالفة للشَّرع بشكلٍ عام، ليست على حالٍ واحدة؛ فهي إمَّا أن تكون سِرًّا يتداولونها بينهم -وهذا هو الأصل والغالِبُ-، وإمَّا أن تكون ظَهرت ونقلت

للرسول ﷺ لكنهم أنكروها أو تابوا وتراجعوا عنها.

وإمَّا أنْ تَكون نقلت للرسول ﷺ ولم ينكروها ولم يتوبوا عنها، لكن الرسول ﷺ ترك إيقاع العُقوبة لمانعٍ شَرعي راجح، وإمَّا أن تكون نقلت للرسول ﷺ ولم ينكروهَا ولم يقم مانع وتم إيقاع العقوبة.

فأما المَرتبة الأولى وهي كَون أقوالهم وأفعَالِهم يُسرِّون ويجتهدون في التستر بها؛ فَهي الغالب على المنافقين، ولذلك قال تعالى عنهم: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾ [سورة التوبة: ١٠١]، فبين أنَّ النَّبيّ ﷺ لا يَعلَمُهم كلهم بأعيانهم، وأنَّ الأَصْلَ فيهم التستر بأفعالهم.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ﴾ [سورة محمد: ٣٠]، فبين أنَّ الله لم يره إياهم، وإنَّما يمكن التعرف إليهم بالقرائن لا صراحة.

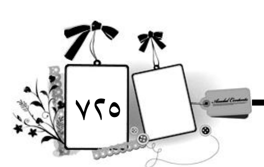
وقال تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة التوبة: ٦٤].

فأشارت هذه الآيةُ إلَى اجْتهَادهم في ستر نفَاقهم في قلوبهم حتى خافوا أن تفضحه الآيات.

ولو قيل لأي مسلم: مَن أعْلم أمَّة محمَّد بالمنافقين؟ لقال على الفور: حُذيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فاسمع مَا يقول حذيفة في «صحيح البخاري» : «إِنَّ المُنافقين اليوم شرٌّ مِنهم على عهد النَّبيّ ﷺ، كانوا يومئذ يسرون، واليوم يجهرون». [«البخاري»: (٧١١٣)].

وبِسبب كون الأصل فيهِم الإسْرَار فَلذَلك استحَقُّوا هَذا اللقب (المنافقين) والذي تميزوا به عن عامة الكفار.



وأما الحال الثَّانية، وهِي حال إنْكَار المنافقين مايُنسب إليهم، وحَلفهم الأيمان بجحْدِه، فهي كثيرة، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُواْ عَنْهُمْ﴾ [سورة التوبة: ٩٥]، وقَوله تعالىٰ: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ﴾ [سورة التوبة: ٧٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾ [سورة التوبة: ٥٦].

وقوله تعالَىٰ: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [سورة التوبة: ٦٢].

بل أخبرَ الله عَن هذه الوسيلة عندهم كقاعدة عَامَّة في قوله تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [سورة المجادلة: ١٦]، أي ترسًا ووقاية يَستجنون بها، فيَتفوَّهون بالعبارَات المُصادمة للشَّريعة، فإذا بلغت الرَّسول ﷺ حلفوا ماقالوا وأنكروا وجحدوا!

والباحث المَوضوعي الصادق في البحْثِ عن الحقائق الشرعِيَّة يسأل نفسه: لَماذا كان المنافقون يحلفون في إنكار ما يُنسب إليهم؟ لو كان الأمر متروكًا لهُم علىٰ سبيل الحُريَّة فهل كانو بحاجة إلىٰ الحلف والإنكار؟ وكونُهم يحلفون منكرين جاحدين، هذا يعْنِي أن هناك (حَال اسْتِدعاء ومساءلة وتَحقيق) مسبقة اضطرتهم إلىٰ الحلف والإنكار.

وأما حالُ الإقرار بِالفِعل والاعتذار عنه فَهِي كثيرة أيضًا، ومِن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ [سورة التوبة: ٩٤]، وقَوله تعالىٰ: ﴿لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [سورة التوبة: ٦٦].

والبَاحث الموضوعي يسألُ نَفسه ها هُنا -أيضًا-: لَماذا يعتَذرون عن ما تَثبت نسبته إليهم؟ هل لَو كانَ الأمْر علىٰ سبيل الحريَّة الشخصية الواسعة احتاجوا للاعتذار؟

وفِي بعض الأحوال قد تَتحقَّقُ شُروط العقوبة، لَكن يمنع من إقامتها مانعٌ



شرعي راجح، وهو قيام فتنة أعظم، وهذا ممَّا كان يراعيه رسول الله ﷺ مع ابن أبي خُصوصًا، فإنَّه بقي في بعض القلوب حَمية لَه لأجل مركزه السيادي السَّابق بين الأوس والخزرج.

وأما إذا تحققت شُروط العقُوبَة وانتفت موانعُها الرَّاجحة، فإنَّ النَّبيّ ﷺ كان يأمُر بإنْفَاذ العقوبَة، ولذلك عَاقب الثَّلاثة الذين خُلِّفوا، ولما فتح النَّبيّ ﷺ مكَّة أمَّن الناس جميعًا إلا تسعة نَفر، فإنَّه أراق دماءَهم، وكان منهم: عبدُ الله بن سعد بن أبي السرح، ومقيس بن صبابة، وهذين كَانا مسلمين ثم ارتدَّا. فلم يقل النَّبيّ ﷺ لهم حرية الرأي!

وكذلك أصحاب النَّبيّ ﷺ حينَ قَاتل أبو بَكر المرتدين، وقَتل أبو بكر أم قرفة لما ارتَدَّت بمحضر الصحابة، وقتَل أبو موسىٰ ومعاذ بن جبل اليهودي الذي أسلم ثم ارتَدَّ كما في «الصحيحين».

بل إنَّ عُمر جلد صبيغ لَمَّا سَأل عن متشابه القرآن، ولَم يقل هامش حرية الرأي!

وفي «صَحيح البُخارِي»، عن عكرمة قال: أتي عَلي بزنادقة فأحْرَقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقَال: لو كنتُ أنا لم أحْرِقهم، لنَهي رسول الله ﷺ، ولقتلتُهم لقول رسول الله: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ».

فهل هَذِه الأقضية النَّبويَّة والراشدِيَّة كلها لم تفهم آيات أفْعال المنافقين، بَينَما فهمها مجمُوعَة من المُنتسبين للفكر المُعاصر الذين لَيس لهم عبوديَّة الصَّحابة ولا عمق عِلمهم بالشَّريعة؟! أفهذا من العَقل والعقلانية في شيء؟!

وبَعض هَؤُلاءِ يحتج ويقول: إنَّ النَّبيّ ﷺ يعلم بعض أسماء المنافقين؛ حيثُ أطْلَعه الله علىٰ ذلك؟ والحقيقَة أنَّ هَذا المعترض لم يسْتَوعب أن أحكَام الإِسْلام يجريها النَّبيّ ﷺ علىٰ الظَّاهر، ولذلك يقول الإمام الشَّافعي في كتابه «الأم»: «قد عَلم رسُول الله ﷺ أنَّ المُنافقين كاذِبُون وحَقن دماءهم بالظاهر». [«الأم»: الشافعي، (٤/ ٢٦٤)].



الجواب التفصيلي عن الشبهة:

ما مضىٰ هوَ الجَواب الإجمالي عن الشبهة؛ وهِي تَراوح حَالاتهم بين الإِسْرارِ -وهو الأصل والغالب-، وبَين الإنكار أو الاعْتِذار أو ترك العقوبة لمَانعٍ راجح، أو الأمْر بإنفاذِهَا إذَا استوفت شُروطها وانتَفت مَوانعها.

دعونا الآن ننتقل للجَواب التَّفصيلي عن الآيات التي استدلوا بِها آيةً آية، والحقيقة أنَّ المادة المستعارة في الرَّدِّ علىٰ الشيخ البراك تضمنت (١١) آية، وهي كالتالي:

١ - الآية الأولىٰ: يقولُ الكاتب: كَانوا يصفون الصحَابة بالسفهاء: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ [سورة البقرة: ١٣].

الجواب: هَذه الآيةُ في سياقها ذاتهِ نَقيض ما احتَجُّوا به، لنَقرأ الآية في سِياقها ونَنظُر الآية التي تعقبها مباشرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [سورة البقرة: ١٣-١٤].

فبين الله أنَّهم إذا لَقوا الذين آمنو لم يُظهروا مَقالتهم هذه، بل يُظهرون ضد ذلك، ولم يظهروا ضد ذلك إلا لأنَّ الأمر ليس علىٰ سبيل الحرية.

٢ - الآية الثانية: يقولُ الكَاتب: وكانوا يحرِّضُون الكفار علىٰ مُجتمعهم، ويدعونهم لحرب المُسلمين: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة الحشر: ١١].

الجواب: قبل أنْ نَقرأ سياق الآية، كُنت أقول في نفسي: ألمْ يَتأمل هذا المحتَجُّ مَاذا يعني احتجاجه هذا؟!

هذا يعنِي أنه لَو وجدنا رجلًا يُحرض أمريكا علىٰ غزوِ دِيارنا واحتلال حقُول النفط، أو يحرِّض إيران علىٰ العَبثِ بأمن الحجيج في بلادنا، أو رَجلًا يتعاون مع الحوثِيين ضد جنودنا في الجَنوب، أو وجد إخْوَاننا في حماس رجلًا يحَرِّض الصهاينة علىٰ أهل غَزَّة ويدعوهم لحربهم، الخ. فإِنَّه في كل ذلك لا يَجوز شرعًا معاقبة هذا المُحرض والمؤلب علىٰ حرب المسلمين، بَل يجب أن تحْفَظ له حريته، وهذا حَقٌ لَه لايجوز الاعتداء عليه! أي شرع هذا؟! وما هذا الاستنباط الذي يكفي تصوره لإبطاله!

يالله العَجب كَيف يَذهل كثير من الكَتبة عن نتائج خَطيرة في سِياق مشاحنتهم لأهل العلم والسُّنَّة، هذا المَوضع فقط كافٍ لكشف التخبط العميق في تفسيرهم لآيات أفعال المنافقين.

المهم.. دعونا نعودُ للآية، وقصَّة هذه الآية أن نفرًا مِن المنافقين انطلقوا إلىٰ بَني النضير ووعدوهم بنُصرَتهم ضدَّ المسلمين، ففَضَح الله المؤامرة دُون تعيين القائلِ ولا تسْمِيته بل بقيت في القُرآن مكتومة مطْويَّة، فغاية ما في الآية مؤامرة كشفت أوصافها وليست حرية رأي!

٣ - الآية الثالثة: يقولُ الكَاتب: وكانوا يكذبون علىٰ الله ورسوله: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [سورة التوبة: ٤٢].

الجواب: ما قَاله الكاتب ها هُنا هو عين ما نُريد إثبَاته، فقد كفَانا إياه جزاه الله خيرًا!، فَنحن نقول إنَّ المُنافقين يظهرون بخلاف حقيقتهم، ويعتذرون لِرسولِ الله ﷺ أعْذارًا يكذبون فيها، بل ويحْلِفون في هذه الأعذار كما ذكرت هذه الآية، فأذن لَهم الرَّسول ﷺ لما حلفوا له معاملةً لهم بظاهرهم، فبالله عَليكم أية دلالة في اعتذار المنافقين علىٰ حرية الرأي المزعومة؟! بل هذا يفيد نقيض كلامهم وهو أن

المنافقين لم يكونوا مجابهين بمصادمة الشرع بل يتدسسون ويعتذرون!

٤ - الآيةُ الرابعة: يقولُ الكاتِب: وكانوا يلمِزون الرسول عليه الصلاة والسلام: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [سورة التوبة: ٥٨].

الجواب: أصل اللَّمز هُو ما يكون من التَّنقُّص فِي خَفاء، كما يقول ابن عطية في «تفسيره»: «يلمِزُك: معناه يَعيبُك ويأخذ منك في الغيبة»، وحكي في الآية أَسْبَاب نزول غاية مَا فيها أن بعضهم قال للنَّبي ﷺ: (اعدل).

وقيل في الآية أن: ﴿يَلْمِزُكَ﴾، أي: يَسألك ويطلُبُ مِنك إذا أتتك الصدقات. والمُراد: أنَّ كون المنافقين غَاية ما استطاعوا هو اللَّمز الذي فَضح الله وصفه دون أعْيان قائِله، هذا دليلٌ على ضد مقصود أصحاب حرية الرأي.

٥ - الآية الخَامسَةُ: يقول الكاتب: وكانُوا يؤذون النَّبيّ ﷺ ويصفونه بالتجسس: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [سورة التوبة: ٦١].

الجواب: سبقت الإشارة إلى أن معنى: ﴿أُذُنٌ﴾، ليس هو التجسس، وإنَّما الاغتِرَار بمَا يقال، وأن هَذا التفسير الخاطئ انتقل مع المادَّةِ المُستعارة كما هو. لكن لمَاذا قال المُنافقون عن النَّبيّ ﷺ أنه أذُن؟ يقُول الإمام البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نَزلت في جَماعة مِن المُنافقين كانُوا يؤذون النَّبيّ ﷺ ويقولون ما لا ينبغي، فَقال بَعضُهم: لا تَفعَلوا، فإنَّا نخاف أن يبلغه ما تقُولون فيقع بنا، فقال الجلاس بن سويد منهم: بلْ نَقول ما شئنَا ثُمَّ نأتيه فننكر ما قُلنا ونَحلف فيصدِّقُنا بما نقول، فإنَّما محمد أُذُن».

وهذا يعني أن المنافقين يَعتذرون عن أقوالهم إذا بلغت النَّبيّ ﷺ، وليسوا يمنَحون عنها حرية الرأي! ولذلكَ عَقَّب القرآن بعد هذه الآية مباشرة بقولِه عنهم: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾ [سورة التوبة: ٦٢].

٦ - الآيةُ السَّادِسة: يقول الكَاتب: وكَانوا يُظهرون البغضاء للمؤمنين: ﴿قَدْ



بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [سورة آل عمران: ١١٨]).

الجواب: سَبقت الإشارَةُ إلى أن هذه الآية الأشْبه أن تكون في أهْلِ الكتاب، وهو مَا مَال إليه جَماهير المفسرين، وأنَّ صِياغة الشُّبهة بهذا الشكلِ، الأرْجح عندي أنَّه ممَّا تسرب مع عملية الترحيل الغامضة من كتاب زائر الوسطية.

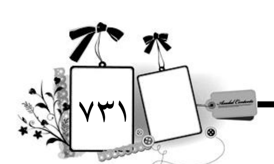
٧ - الآيةُ السَّابعة: يقول الكاتب: وكانُوا يصدُّون عن رسول الله ﷺ ويستكبرون عليه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة المنافقون: ٥].

الجواب: يقولُ ابنُ كَثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سياق هذه الآيات: «وَقد ذكر غير واحد من السَّلف أن هَذا السياق كُلَّه نزل في عبد الله بن أبي بن سلول». وقد أنكر ابن أبي مَا نقل عنهُ لِرسول الله ﷺ كما يقول قتادة: «فدعاه رسول الله ﷺ، فإِذا هو يحْلِف بالله ويتبرأ من ذَلك».

وابن أبي عمومًا كما جاء في الخبر: «كانَ إذا جلس النَّبيّ ﷺ يومَ الجُمُعة وهو يخطُب الناس، قام فقال: أيُّها النَّاس، هَذا رسول الله ﷺ بينَ أظْهُركم، فانصروه وعزروه، واسَمعوا له وأطيعوا».

ثمَّ إن سياق الآيات التي سَبقت هذه الآية تُشير لذلك حيث جاء فيها: ﴿قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [سورة المنافقون: ١] ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾﴾ [سورة المجادلة: ١٦]، ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [سورة المنافقون: ٤].

ثمَّ إن ابن أبي لَمَّا خَشي النَّبيّ ﷺ وقوع الفتنة بقتلِه بِسبب كونه سيِّدًا في قومه قبل الإِسْلام صَار هذا مانعًا شرعيًا راجحًا في ذلك الظَّرف الزمني المؤقت. والخُلاصة أن هذه الواقعة التي حكاها القرآن لا صِلَة لها بحريَّة الرَّأي المزعومة، بل واقعة لها ملابساتها الخاصة المختلفة.



٨ - الآيةُ الثَّامنة: يقولُ الكَاتب: وكانوا يتآمرون على رسولِ الله: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ [سورة المنافقون: ٧]).

الجوابُ: وَاضح قطعًا أنَّ الكاتب لم يُراجع أي كتاب تَفسير حين احتجَّ بهذه الآية! ذلِكَ أن النَّبيّ ﷺ لما نُقِلت له مقالة المنافقين هَذه قام بعملية تحقيق، واسْتَدعى الأطراف المبلغ عنهُم، لكن المنافقين أنْكَروا وجحدوا.

روى البخاري في «صحيحه» قال: «عن زَيد بْن أَرْقم قال: كُنتُ في غزاة، فَسَمعتُ عَبد الله بن أبي يقول: ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ [سورة المنافقون: ٧]، ولَو رَجعنا مِن عنده ليخرجَنَّ الأعزُّ منها الأذَلُّ، فذكرت ذلك لعَمِّي، أو لعمر، فذكره للنَّبي ﷺ فدعاني فحدَّثته، فأَرْسَل رسول الله إلى عبد الله بن أبي وأصحابِه، فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله ﷺ وصدَّقه، فأَصَابني هم لم يصبني مثله قط، فَجلست في البيت، فقال لي عمي: مَا أردت إلى أنْ كَذَّبك رسول الله ﷺ ومقتك؟، فأَنْزَل الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [سورة المنافقون: ١]، فبعَثَ إلي النَّبيّ ﷺ فقرأ فَقَال: «إِنَّ اللهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدُ»».

وكون النَّبيّ ﷺ يَستدعي الأطراف ويحَقِّق معهم، فهذا يعْنِي أن هذه الآية دليلٌ على المساءلة والتَّحقيق في الأقوال المخالفة للشريعة، وليسَت دليلًا على حريَّة الكُفر، ولكن النَّبيّ ﷺ لما أنكروا عاملهم بظاهرهم.

٩ - الآية التَّاسعة: يقول الكاتب: بل ويكفُرُون بموعود الله وحديث رسوله: ﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾ [سورة الأحزاب: ١٢].

الجواب: هَذه الوَاقِعة لا صلَة لها بِحريَّة الرَّأي المزعومة، بل هي مجرَّد حال خور في لحظة حرب مفزعة كما ينبئ عن ذلك سياق الآيات، قَال تعالى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن

فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾ ﴾ [سورة الأحزاب: ١٠-١٢].

ومِن الطبيعي أن لا يَتَّخذ النَّبيّ ﷺ أي إجْراء عقابي في لحظَة الحرب، وهذا نظِير تَرك الحدُود في الغَزو الذي رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه»، عَن ثلاثة من الصَّحابة: عمر وأبي الدرداء وحذيفة، فضْلًا عن أنه لم يُقم أي دَليل على أن هذه العبارة بلغت النَّبيّ ﷺ عن قائل معين، والقُرآن نقلها عن غير معيَّن كما هي عادة القرآن في أفعال المنافقين.

١٠ - الآية العاشرة: يقول الكاتب: وكَانوا يخذِلون المُجتمع المُسلم في أحلك ظروفه وأزماتِه: ﴿ **وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴿١٣﴾ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ﴿١٤﴾** ﴾ [سورة الأحزاب: ١٣].

الجوابُ: هذه الآية حَكى الله فيها مقالتين، المقالة الأولى: ﴿ **يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ** ﴾ [سورة الأحزاب: ١٣]، وفِيها وجهان: أنَّ أوس بن قيظي قالها لقومِه، والثاني: أنَّ اليَهود قالوها لعبد الله بن أبي، وعلى كِلا الوجهين لم تستوف شروط العقوبَة الشَّرعية، ومع ذلك فالقرآن حكى هذه المقالة عن غَير معين.

وأما المقالة الثانية فَهي: ﴿ **وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ** ﴾ [سورة الأحزاب: ١٣]، وهذَا استئذانٌ للنَّبي ﷺ لاصلة له بموضوع الحرية.

١١ - الآية الحادية عشَرَة: يقول الكاتب: وكَانوا أشحَّة على الخير، ويقْذفون الصحابة بألسنة حِداد: ﴿ **أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ** ﴾ [سورة الأحزاب: ١٩].

الجواب: أكثر أهل التَّفسير على أنَّ قوله تعالى: ﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [سورة الأحزاب: ١٩]، أي: معْنَاها الإلحَاح بالكلام المُستكره طلبًا للغنيمة، وقِيل في معناها أقوال أخرى.

لكنَّها على كل الأحوال إذا وصلت إلى القذف، فالقذف له عقوبته الشرعية، فأما إن كان الكاتب يَظنُّ أنَّ السلق هنا يصل للقذفِ، وعطل الشارع حد القذف فهذا ضرب للنصوص ببعضها.

هذا مَا يتعلق بالجواب عن أعيان الآيات التي احتجوا بها آيةً آية.

والحقيقة أنَّني مَكثت مرةً أتأمل: لمَاذا يفصل أصحاب هذا الطَّرح بين الحريَّة السلوكية والحرية العقدية؟ فتَجدُ أكثر حديثهُم عَن الحرية العَقدِيَّة، فيرون الحريَّة للكفر والزندقة والنِّفاق، لكن لو قلت لهم: هَل هذه الحرية مكفولةٌ لِمن يزني ويشرب الخمر؟ قالوا: لا!. فكنت أتسَاءل وأقول: كَيف يصبح المرتد مكفُول الحرية، والزاني وشارب الخمر يُعاقب؟ إذا كان الرسول ﷺ أتاحَ الحُريَّة للرِّدَّة كما يقررون، فما دون الردة من الجرائم أولى بالحرية!

فانظر كَيف أن هذهِ الطَّوائف الفكريَّة المتعلقة بشُبهَة حرية المنافِقين خالفت أهْل السُّنَّة في أصولِ العُقوبات الشرعية، كل ذَلك في شُبهَة واحدة فقط من شُبهاتهم، فكيف لَو تتبَّع الباحث بقِيَّة شبهاتِهم في أصولِ التَّلقي والاستدلال، والمَوقف من المُخالف، ومَنزلة الدُّنيا، وأحكام المَرأةِ، ومنهج الفُتيا، وفِقه السياسة الشرعية ونحو ذلك، ثم يأتونك مستغربين ويقولون: لمَاذا تجعلوننا مُخالفين لأهل السنة؟ يالله العَجب كَيف لا تُبصر العيون كل هذه الانشقاقات عن مذهب أهل السنة والجماعة؟!

وكون هَؤُلاءِ وافَقُوا أهل السُّنَّة في بقية أصول السنةِ هَذا لا يمنع كُونهم من أصحاب المحدثات، فإن كثيرًا من القَدريَّة (المُنكرين لكون الله يقدِّر المعاصي

كونًا)، وافَقوا أهل السنة في بقِيَّة أصول الإيمان؛ كالإيمان بالله ومَلائكَتِه وكتبِه ورسُله واليَوم الآخر، وفي تقدِير الطَّاعات والصحَابة ونَحو ذلك، ولكنهم خَالفوا أهلَ السُّنَّة في جزء من القَدر وهو تقدير المعاصي، ومَع ذلك عدَّهم السلف من أهل الأهوَاء وأهل البدع وأهل المحدثات في دين الله، وهَكذا فإن هذه الطوائف الفكرية برغم كَونِها وافقت أهلَ السُّنَّةِ فِي بعض أصول الدين، لكنَّها خالفت أهلَ السنة في عدَّةِ أصول من أصولِ التَّلقي والاستدلال وبعض الأصول التشريعية، وهذه العقوبات الشرعية التي أنكروها مجرد نموذج لذلك، فهم أهل إحداث وابتداع في دينِ الله، وأهل أهواء.

وبعض هَؤُلاءِ الذين يحتجُّون بهذِه الشبهة يقولون: إذا اخْتَار المجتمع هذهِ العُقوبات الشرعيَّة فَيجب تطبيقها، يَظنون بذلك أنَّهم يتخلصونَ مِن شناعة قولهم، وما عَلموا أن هذا أفظع شَناعة، فإنَّ هذه العقوبات الشرعية حين أَتَت بِكتاب الله وسنَّة نبيه ﷺ رَدُّوها واستثقلوها، ورأوا أن فيها تقييدًا للحرية وضيق أفق، وحينَ أقرها المجتمع التزموا بهَا، فصار تَشريع الشعب فوق تشريع الله ورسوله ﷺ.

وَهَذا هو مؤدىٰ مفهُوم الديمقراطية الذي حذَّر منه الرَّبَّانيونَ مِن أهل العلم، وقد كان الدِّيمقراطيون يُنكرُونه نظريًّا لكنهم الآن يعلنونه عمليًّا، أعني كون مصدر التشريع هو الشعب وليس رب الشعوب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ثم إنَّه من الغرائب أن يُقال: إنَّ المجتمع إذا اختار حماية عقيدته فيجب الالتزام بِخِيار المجتمع، فكيف يضيِّق المجتمع علىٰ الحرِّيَّات التي كفلها الشرع في نظركم؟ أنتم ترون النَّبيّ كفل الحرية للكفر والقذف والزندقة والردة والتأليب علىٰ المسلمين، فكيف يسوغ للمجتمَع أن يضيق هذِه الحريات التي كفَلها رسول الله؟! هل نحن أغير علىٰ العقيدة من رسول الله ﷺ؟!

وأما قول القائل: (أنتُم في ورطَة مع النُّصوص الشرعية)، فَهذا قَلَب المشكلة، بل الذِي في ورطة مع النُّصوص الشرعية هو من فَسَّرها بما يؤول إلى إلغاء العُقُوبات الشرعِيَّة وشَعيرة الحسبة والإنكار، وأما من فَسَّرها بشكلٍ يتَّسق مع بقية النصوص الأخرى، ويَتَّسقُ مع فقه أصحاب النَّبيّ وأئمَّة أهل السنة؛ فهذا في راحة وانسجام، وليس في ورطة.

ويَشهدُ اللهُ وحده أنه لما نشرت «مجلة العصر» المقالة التي تشوش على فُتْيا الشيخ الإمام عبد الرحمن البراك في خالص جلبي، فإنَّه قد نازعتني نفْسِي في الرد، لكِنِّي توقفت لاعتبارات نفسِيَّة معينة كنت أداريها، ولكن لَمَّا صدرت الآن المقالة الثانية قبل أمس في «مجلة العصر»، فصارَ كِتابُ «أشواق الحرية» والمقالتان اللتان أعقبتاه كلُّها تكرر نفس الشُّبهة (حرية المنافقين)، والمُستعارة من دردشات زائر الوسطية بذات أخطائها؛ شعرت حينذاك بأن الشبهة بحاجة لتفكيك علمي وأنه لا مكانَ للمُجاملات في دين الله.

لكني لا أناقش إلا شيئًا منشورًا ولا أستغل -بإذن الله- ما أَفْضَى به إلي صديقٌ بشَكلٍ خاص في الرد عليه، فالعلاقات الشخصية شيء، والأقوال المنشورة شيء آخر، وهذا مبدأ من مبادئ المروءة أتمنى أن أبقى عليه ما حييت.

والحقيقَة أنَّه من أكْثَر ما آلمني أنَّني ألاحِظ اليوم تقصِير النظام السياسي الحَالي في الأخذ على يَدِ السفهاء؛ لردعهم عن العَبث بالأحكام الشرعية في قنواتنا وصَحافتنا، فلا أعرف حكمًا شرعيًّا يتعارض مع الثقافة الغَربيَّة إلا وقد كتبت صحافتنا المَحلية في تنقصه وتسفيهه وتحريفه، ومع ذلك لا يزال النِّظام السياسي المحلي لم يتخذ بِحقِّ هَؤُلاءِ الروادع الشرعية المطلوبة، ثم يأتينا الآن من يسمُّون أنفسهم التنويريين والاصلاحيين ويقدمون للسياسي شرعنة للمزيد من حرية الزندقة! وكأننا سننهض إذا أتحنا المزيد للكفر وسب الرسول وشتم الصحابة!

هذه الكتابات التي تسمي نفْسَها تنويرًا وإصلاحًا لم تصلح الخلل السياسي، ولم تدع الشريعة في حالها.... والله أعلم.

مقالة الشيخ / فهد بن صالح العجلان المحاضر بجامعة الملك سعود بالرياض

وهو يرد على شبْهة يُثيرُها بعض من أعرضوا عن الكِتَاب والسُّنَّة، وإن استشهدوا بنصوص منهما على غير وجهها، يزعُمُون أن المُنافقين قد حَظوا في زمن النُّبوَّة الأول بهَامش واسع من الحرية، وهذِه الشُّبهة أصبَحَت كواحدة من أهَمِّ الأدوات لتعطيل العقوبات الشرعية، والتشويش على جهود المصلحين والمحتسبين.

ومن أئمَّةِ الدين الذين تَمت مُواجهتهم بهذه الشبهة: الإمام محمد بن عبد الوهاب؛ حيث كان هناك طالبُ علم يقال له: (أحمد بن عبدالكريم)، وهُو من أهل الأحساء، وفي بدايَةِ أمره نصر التوحيد وعارَضَ سدنة القبور، ثم إنَّ عددًا من دعاة الشركيات أغروه بشيء مِن الدنيا فانتكس، ثم راسل الشيخ محمد بن عبدالوهاب يخبره بتراجعه عن مواقفه الأولى.

ومن الواضحِ أنَّ هذه الشبهة طُرحت وراجت مبكرًا منذُ أيام ما يُسمى برموز النهضة الأوائل؛ كالأفغاني، وعَبده، والعامل الذِي يوحِي بذلك أننا نجِدُ الأستاذ رشيد رضا (ت١٩٣٥م) قد رد على هذه الشبهة في مواضع من «تفسيره».

ومن أوَائل مَن استعْمَل هذه الشُّبهة -أيضًا- الشَّخصيَّة الأزهرية الجدلية عبد المُتَعال الصعيدي (ت١٩٦٦م) في كتابه «الحرية الدينية في الإِسْلام».

وممن اسْتَعمَل هذه الشبهة -أيضًا- الدُّكتور المِصري المَعرُوف أحمد صبْحِي منصور وهو من غُلاة العلمانِيين، وكان مدرسًا بجامعة الأزْهَر، ثم طرح عدة كتب تضمنت إنكار السنة النبوية، فجرت بينه وبين علماء الأزهر سجالات انتهت بِفصله من الوظيفة عام ١٩٨٧م، وكان لهذه الحادِثَة دَوي وضجيج في

السَّاحة الفكرية المصْريَّة، فاستمر حانقًا على علماء الأزهر.

وفي عام ١٩٩٤م نشر دِراسة بعنوانَ: «حرية الرأي بين الإِسْلام والمسلمين»، وحَاول أن يؤسس فيها مفهوم الحرية بناء عَلى آيات المنافقين، ويقول الدُّكتور في إشارة لمن انتقده: (رددت عَليه بأنَّني استشهد بآيات القرآن الكريم، وَهِي التِي تَضمَّنَت تقريرًا كاملًا عن حريةِ المُنافقين القولية والفعلية، وأُمر النبي ﷺ والمؤمنون بالإعراض عنهم).

وقد استمر الدكتور أحمد صبحي منصور في عرض هذه الشُّبهَة في كتبه الأخرى، ومنها كتابه عن «الحسبة»، الذي نشره عام ١٩٩٥م حيث يقول فيه:

(كان تآمُر المُنافقين يبلغ دَرَجة الخيانَة العُظمى؛ حيثُ كانوا يَتحالفون مع أعْدَاء الدولة، أو يتَآمرون معهُم ضِدَّ المسلمين وقت الحَرب، أي أنه كَانت للمنافقين كأفراد وجَماعات حرية المعَارضة للدِّين والدولة كيفما شاؤوا، وكان القُرآنُ يحكم بكفرهم، ويفضح تآمرهم، ولكِن يؤمر النَّبيّ ﷺ والمؤمنون بالإعراض عنهم، اكتفاء بما ينتظرهم من مصير بائس يوم القيامة)[1].

وفي عام (٢٠٠٣م) نشر الدكتور حاكم المطيري كِتابَه ذائع الصيت «الحرية أو الطوفان»، لكنَّه في سَبيل شرعنَتِه لمفهوم الحرية الغَربي فإنه لم يُشر إلا إشارة عابرة لكَونِ النَّبيّ ﷺ لم يتعرض للمنَافِقين، بينَما كثَّفَ تَأصيله على ما ذَكره الفُقهاءُ مِن الحالات التي لا يُقاتل فيها البُغاة والخوارج، وبعَّج هذه الحالات ومطَّطها وأخرجها عَن سياقها ليركُز فوقها مفهوم الحرية الغربي[2].

وفي عام ٢٠٠٦م نشر الدكتور طه جابر العلواني بحثًا بعنوان: «لا إكراه في

(١) ينظر «الحسبة: دراسة أصولية تاريخية»، د/ أحمد صبحي منصور: (ص٦١).

(٢) ينظر «الحرية أو الطوفان»: (ص: ٦١).

الدين»، احتج فيه على الحرية وتعطيل حَدِّ الردة بجملة أمور منها ترك النَّبيّ ﷺ قتل المنافقين.

ثم إن الكاتب الإنترنِتي المَعروف زائر الوسطية (=سعيد الكثيري) قَام بتصميم كتاب نشره قبل عدة سنوات على شبَكَة الإنترنت اسمه «تجديد فهم الوحي» (www.tajdeedat.com) وقد رأيته أوَّل مَرَّة على الشبكة عام ٢٠٠٧م، ولا أدري هل وجد قَبل ذلك أم لا، وذكَر فيه آيات النِّفاق محتجًّا بها على الحرية، وكان يَستلُّ مِنه أجزاء ويُعيد حقْنَها في المنتديات الحوارِيَّة بشكل دوري، ويستغل غالبًا أي جَدل يثار هنا أو هناك في المنتدَيات الحوارِيَّة ليدخل في الجدلِ وَيقحم أجزاءً من مادة كتابه. [انظر مثلًا ذات آيات النفاق نشرها بمنتدى محاور بتاريخ ٢١/ ٤/ ٢٠٠٧م][(١)].

قال الشيخ فهد بن صالح العجلان:

في ردِّه عَلى واحد من أولئكَ النَّفر واسمه نَوَّاف، وهذا الرَّدُّ يَنسحب على كل من ذهب لذلك الرأى وتلك المزاعم الواهية.

وحين نظرتُ في سيرة النَّبيّ ﷺ، وحال المنافِقين في عصره الشريف، وجدتُ أن الصُّورة مختلفة تمامًا عمَّا التقطه الكاتب، بل إني أحْسَبها منكشِفَة لحدِّ الوضوح التامِّ الذي لا تحتاج فيه لمزيد تأمُّل، مقصودي هنا تحديدًا هو بَيان الخطأ المنهجي في طريقَة الاستدلال التي بَنى عليها أخونا نواف مقالته، وهُو خطأ له ما بعده، فهو استدلال يشكِّل منظارًا يعتمد عليه في الحكم على كثير من القضايا المتعلّقة بالحريّات والحقوق المعاصرة.

---

(١) ما سبق ذكره من نقولات مستفادة من البحث الجيد للشيخ إبراهيم السكران بعنوان: «شبهة حرية المنافقين».



اعتمد الكاتب في مقالته على أمرين:

الأول: موقِفُ المنافقين في حياة النَّبيّ ﷺ، وكيف كانوا يهزؤون بالرسول عليه الصلاة والسلام، ويعْلِنون كثيرًا من مواقفهم المؤذية للنبيِّ ﷺ، وقد ساق في ذلك نصوصًا كثيرة توضِّح كثيرًا من تفاصيل هذه المواقف.

الثاني: نصوص منتَقَاة من كلام شيخ الإِسْلام تُراعي حال المجتهد والمُتأوِّل، وأنه معذور عند الله.

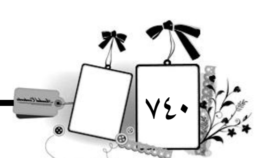
لنسلِّط القراءة المتفحِّصة على كلّ واحدة مما ذكره الكاتب.

الأمر الأول:

هل تدرون ما معنى أن يكون فِعلُ المُنافقين في مجاهرتهم لعداء الرسول ﷺ وإعلانهم للكفر، دليلًا عَلى مستوى الحرية الموجود في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ؟

معناه: أنَّ هذا أمر مشروعٌ وجَائز، وقد أقرَّه الرَّسول عليه الصلاة والسلام، وسكت عَنهُ، وبالتالي فلا حَرج في النِّظام الإِسْلامي أن يعْلِن شخص شتمَه للرسول عليه الصلاة والسلام ويَقول عنه: (إنَّه غير عادل)، و(أنَّه لم يتق الله)، ومن الحرية الشرعيَّة في النظام السياسي أن يُحفظ حقُّ مَن يطعن في ذات الرسول ﷺ ويعلن استهزاءه به وتنقصّه من ذاته الشريفة.

فإذا كان فعل المُنافقين في عَهد الرَّسول ﷺ دليلًا على مستوى الحُرية، فعلينا أن نقتدي بالرسول عليه الصلاة والسلام فنسيرُ عَلى هدي ما كان عليهِ مِن هامش الحريَّة، وبالتالي فلا معنى لاستنكار الرُّسوم المسيئة التي ظهرت في أقصا الدُّنيا، لأنَّ هامش الحريَّة في نظامنا السياسي الإِسْلامي سَيسمح لمن شاء أن يسخر بالرسول عليه الصلاة والسلام ولو في عقر ديار التَّوحيد، اقتداء بالنَّبيّ ﷺ حين أقرَّ المنافقين؟



هذا هو معنى هذا الاستدلال ولازمه، فإذا كانُوا يستدلُّون بفعل المنافقين في عَهد الرِّسالة على أنه من هامش الحريَّة الذي أقرَّته الشريعة، فعليهم أن يحفظوا لمن يعتدي على الرسول ﷺ ويطعن في الذَّات الإلهية ويعطوه من الحريَّة ما كان موجودًا في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، وهو لازمٌ شنيع ومريع، ولا أظنُّ أحدًا مهما بالغ في هامش الحريَّة أن يقرَّه أو يرضى عنه.

هذا هو معنى هذا الاستدلال ولازمه، ولا يمْكِن فهم هذا الاستدلال إلا عبر هذه الكيفِيَّة. المنافقون حسب عدسة الكَاتب: (يَسخرون من الصحابة)، و(يحرِّضون الكفَّار على مجتمعهم)، و(يَكذبون على الله ورسوله ﷺ)، و(يَلمزون ويؤذون الرسول ﷺ)، و(يُظهِرون البغضاء للمؤمنين)، و(يَصدُّون عن الرسول ﷺ ويستكبِرُون عنه)، و(يَخذِلون المجتمع)، و(يَسلقون الصحابة بألسِنَة حداد)، و(يشتُمُون الرَّسول ﷺ)، ويَقولون عنه: (لَم تَعدِل) و(مُمَاطل).

فَيا لله، هل هذا كلُّه مجرَّد هامش؟ وهل يُراد منَّا أن نقرَّ بكلِّ هذا الهامش من الحريَّة؟ وهل يتخيَّل أن يقوم مُجتمع مسلم يَشيع فيه كلُّ هذا، وهو يعتقد أنَّه مجرَّد متبع لما كان عليه الحال في عهد النَّبيّ ﷺ؟

إذن.. ما التَّفسير الشرعي الصحيح لما كان يفعله المنافقون في عهد رسول ﷺ؟

تفسيره: أنَّ ما كانوا يفعلونه له حالان:

الحال الأولى:

أنَّ ذلك كانَ يتمُّ في السِّرِّ والخفاء، وبين أصحابِهِم وأتباعهم، ولم يَكونوا يظهرونَه عند أحد، وإنما فَضحهم الله تعالى به، وأظهَرَ خَفاياهم ومكنونات صُدورِهم، وإلا فلو كَانوا يظهرون كُفرهم فما حاجتهم لأنْ يَكونوا منافقين من الأساس، فالتجَاؤهُم للنِّفاق مع ما فيهِ مِن مخالفة للضمير، ومهَانة للنَّفس، وإذلال للكَرامة، دليلٌ عَلى عدم

قدرتهم على إظهار ما لديهم، ولو كان يستطيعون لما احتاجوا للنفاق أصلًا.

ومن جهة أخرى فَوجودُ النِّفاق بحدِّ ذاته دلِيلٌ على انحسار هامش الحريَّة وانغلاقه عليهم فاضطرُّوا من أجله إلى سلوك طريق النفاق.

الحال الثانية:

أنَّهم أظهروه وبَدر منهم علنًا وجهارًا، فعَفا عنهم النَّبيّ ﷺ، فهو من قبيل الجريمة التي يعفى عنها، ومجرَّد العَفو عَنها لا يُحيلها أمرًا طبيعيًا، فشَتْم الرَّسول عليه الصلاة والسلام والطَّعن في عَدَالته وأمانته جريمة قَد عفا عنها الرسول عليه الصلاة والسلام، وهو حقٌّ مِن حقوقه عليه الصلاة والسلام وقد تَنازل عنه، لكنَّ هذا لا يعني أنَّها حريَّة مشروعة وجائزة مطلقًا.

وفرق بين العفو عن (الجَريمة)، وبين تشْرِيع (الجريمة) واعْتَبارها هامشًا مشروعًا ومقبولًا، ففِي القرآن مشروعية العفو عن القصاص: ﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [سورة البقرة: ١٧٨]، ولن يفهَم مِنه أحَدٌ مَشروعية الاعتداء على الناس ابتداءً، وفي القُرآن العفو عمن قُذف في عرضه: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النور: ٢٢].

ولا يعني هَذا جواز قذْفِ النَّاس في أعراضهم، كما أنَّ المَشروع في حقِّ كلِّ أحد أن يعفو عن من ظلَمَه أو شتَمَه أو اعتدى على مَالِه، فهل يكون هذا دليلًا على مَشروعية الظلم والشتم والاعتداء على الأموال؟

وهكذا فما حصل من المُنافقين هو جريمة قَد عفا عنها النَّبيّ ﷺ، وأقْصَى ما يمكن أن يستدلُّ بها إذا تجوَّزنا في الاستدلال أن يعفو النظام السياسي الإِسْلامي عن بعض الانحرافات والجرائم لمصلحة راجحة، ولا يمْكِن أن يكون هذا سببًا لكون ما عفي عنه أمرًا مشروعًا.



خذ مثلًا: مَشروعِيَّة العَفو عن التعزير، فمن الأحكَام الشرعية المقرَّرة مشْرُوعية التعزير والتأديب على الجَرائم والمعاصي التي لم تضع الشَّريعة لها حدًّا مقرَّرًا، ويرجع في تحديد ذلك إلى القضاء بما يراه مَصلحة، ومن الصلاحية الشرعيَّة أن تُسقط العقوبات عن بعض من استحقَّها لأي سبب معتبر شرْعًا، لكن هذا لا يجوز أن يؤدِّي إلى أن يُقرِّر النظام التجاوز عن فعل هذه الجريمة مطلقًا، والإذن بها، وعدم ترتيب أية عُقوبة أو منع لها، لأنَّ الأمر حينئذ يصل لحدِّ تحليل ما حرَّم الله وإباحة لما حرم الله.

إنَّ من يقرأ مقالة الكاتب يتصوَّر المنافقين في عهد النَّبيّ ﷺ وكأنَّهم جماعة ظاهِرَة، تقول كلمتها بوضوح، وتعلِنُ عن حربها لله ورسوله ﷺ في رائعة النَّهار، وتحرِّض على المؤمنين، وتسخر من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.. مع أنَّ الصورة الحقيقة لواقع المنافقين أنَّ الصحابة لم يكونوا يعرفونهم أصلًا، وكلُّ من قرأ شيئًا من السيرة يعرف أنَّ صحابيًّا واحدًا هو الذي كان يعرف أسماء المنافقين وهو (حذيفة بن اليمان) رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ولأجله سمِّي بصاحب سرِّ الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وأمَّا بقية الصحابة فلم يكن أحدٌ مِنهم يعرف المنافقين بأسمائهم وأشْخَاصهم، وبالتالي فهم قَوم يُضمرون كفرهم، ويَستترون بأقوالهم وسخريتهم، بل إنَّ حَالهم لم يكن فقط التستُّر عَلى كفرهم وقبائحهم، بل إنَّهُم يُظهرون الطاعات والعبادات، فهُم يَشهدون الصلاة: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [سورة النساء: ١٤٢]، ويجُاهدون في سبيل الله ويقتلون: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ﴾ [سورة آل عمران: ١٦٨]، ويُنفقون في سَبيل الله: ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ٥٤﴾ [سورة التوبة: ٥٤]، ويحضرون المَغَازي والمشاهد مع

رَسول الله ﷺ: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة المنافقون: ٨].

فأنت أمَام فِئَةٍ تَضطرُّ أَن تحضر الصلاة جَماعة، وتحضر مشاهد القَتل وسَفك الدِّماء، وتنفق من حرِّ مَالها، أتراهم سيفعلون هذا لو كان لهم هامش حريَّة فعلًا!

وتقرأ في القرآن فَتجد الآيات المُتكرِّرة في بيان صِفات المنافقين حَتَّىٰ شَقشقت سورة (التوبة) قلوبهم وأرعدت صدُورَهم رعبًا وذعرًا بعد تَوالي الآيات التي تحدِّد صفاتهم: (وَمِنهم)، (وَمِنهم).

ولو كَانوا يُمارسون هامِش حريَّتهم ويظهرون سخرِيَتهم وكُفرِهم لما كان ثَمة حَاجة لهذه الآيات؛ لأنَّ الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ يكونون حِينها قد سمعوها مِنهُم مباشرة، فأية فَضيحة جاءت بها سورَة (التوبة) حَتَّىٰ سميت فاضحة ومشقشقة، مَا دام المنافقون يظهرون كفرهم وسخريتهم؟!

ستفهم هَامش الحريَّة حقًّا حين تجد المُنافقين يأتون إلىٰ رَسُول الله ﷺ فَيحلفون أغلظ الأيمان أنهم ما قالوا كلمة، نقلها بعض الصَّحابة إلىٰ رسول الله ﷺ: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ [سورة التوبة: ٧٤].

فيَا لها من حُريَّة ما أوسعها حيثُ يَضطرُّ أن يَحلف بأغلظ الأيمان أنَّه لم يسبق له أنْ قَال كلمة قالها في مجلس مختَصر يَضمُّ أقاربه وأصفياءه ولم يشهد عليهِ بها إلا صحَابيٌّ وَاحد لم يتجاوز سنَّ البلوغ بعد! وتجد التحذير لهم: ﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾ [سورة الأحزاب: ٦٠-٦١].

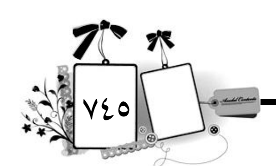
وكانوا يترقَّبون وجلًا من: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيۡهِمۡ سُورَةٞ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمۚ قُلِ ٱسۡتَهۡزِءُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مُخۡرِجٞ مَّا تَحۡذَرُونَ ٦٤﴾ [سورة التوبة: ٦٤]، فحتَّى ما في قلوبهم ممَّا قد أسرُّوه وكتموه كانوا في ترقُّب ووجل أن تأتي الآيات فتظهره للناس.

وحين يطلب من الرسول ﷺ أن يقتُل المُنافقين يقول: «لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»، مما يعني أن الناس لم يكونوا يفرِّقون بين المُنافقين والصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، لخفاء أمر المنافقين وإظهارِهم لِمَا يُظهره الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ولو كانوا يعيشون هامش حريّتهم كما يصوِّره الأُستاذ لما كان ثمَّة خفاء لحال المنافقين.

بل إنَّ المُنافقين مضطرُّون للمُشاركة في الجِهاد في سبيل الله، مع ما في الجِهاد من تضحيةٍ وبَذل وإقحامٍ لِلنفس في الشدائد والمَهالك التي يضعف عنها بَعض أهل الإيمان، فَما بالك بأهل النِّفاق.

ومع ذلك فلم يكُن ثمَّة هامش للحريَّة للمنافقين للتخلُّف -مجرَّد تخلُّف- عَن المشاركة في الجهاد، فكَانوا يَختلقون المعاذير ويبذلون أغلظ الأيمان لعلّ ذلك أن يدفع عنهم: ﴿وَسَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسۡتَطَعۡنَا لَخَرَجۡنَا مَعَكُمۡ يُهۡلِكُونَ أَنفُسَهُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ﴾ [سورة التوبة: ٤٢]، وقد تجَاوز عنهم النَّبيّ ﷺ فعاتبه الله في ذلك: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ﴾ [سورة التوبة: ٤٣]، وهذا كلّه حتى يسلموا من المؤمنين ﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٩٥﴾ [سورة التوبة: ٩٥].

أفترون هَؤُلاءِ يَعِيشون في هَامش من الحريَّة يُتيح لهم السخرية والطَّعن في رَسول الله ﷺ وهم عاجِزُون عن مجرَّد إبداء السبَبِ الحقيقي لتخلُّفهم ليس عن صلاة



الجماعة في المسجد، بل عن المشاركة بالنفس والمال وإزهاق الروح في سبيل الله!

ولو كان المنافقون يَعِيشون هذا الهَامش فعلًا ويظهرُون سخريتهم وشتِيمَتهم للرسول ﷺ لَمَا قَامت عمليَّة اغْتيال تحت إشراف الرَّسول ﷺ ليهودي يعِيشُ خَارج المدينة (كعب بن الأشرف) بخطَّة مُحكمة أتت على كلِّ احتياطاته بِسببِ مَا كان يظْهره من هِجاء للنبي ﷺ وأصحَابِه، وكان يحرضُ عَليهم كفار قريش[١].

وجَاءت بعده عملية أخرَىٰ سال فيها دَم ابن أبي الحقيق[٢] وأريقَت دماء أقوام ولو تعلَّقوا بأستار الكعبة، لما كانوا عَليه من سبٍّ وَإساءَة للرسول عليه الصلاة والسلام، أفيراق دمُ الكَافر البعيد لأجل شَتمه للرسولِ عليه الصلاة والسلام ويُترك المنافق الذي يتقلَّب بين ظهراني أصحاب محمد ﷺ؟

أو تحسب أنَّ الصَّحابة -رضوان الله عليهم- يتخطَّفون قادة الكُفر المتحصِّنينَ خَارج أسوار المدينة لشَتمِهم الرسول ﷺ ويَتركُون المنافقين في المَدينَة يسخرون ويَمرحون!

ثمَّ كيف يتمُّ تفسير معنىٰ قول النَّبيّ ﷺ في الحدِيث الصحيح: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»[٣].

- عن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: «لَمَّا كَان يوم فتْحِ مَكَّة أمَّن رَسول الله ﷺ النَّاس إلا أربعة نفر وامرأتين، وقالَ: «اقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الكَعْبَةِ»: عَكرمة بن أبي جهل، وعبدِ الله بن خطل، ومقيس بن صبابة، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، فأمَّا عبَد الله بن خطل فأُدرك وهُو مُتعلق بأستار الكعبة فاستبقَ إليه سَعيد بن حريث وعَمَّار، فسَبق سعيد عمارًا، وَكان أشب

---

(١) روىٰ قصته البخاري: ح (٤٠٣٧)، ورواها مسلم: ح (١٨٠١).

(٢) «صحيح سنن أبي داود»: ح (٣٠٠٦)، قال عنه الألباني: حسن الإسناد.

(٣) رواه البخاري: (٦٩٢٢).

الرجلين فقتَله، وأما مقيس بن صبابة فأدْرَكه الناس في السُّوق فقتلوه، وأما عَكرمة فركب البحر فأصابَتهم عَاصف، فقال: أصحاب السَّفينة لأهل السفينة: أخلصوا، فإن آلهتكم لا تُغني عنكم شيئًا ها هنا، فقال عكرمة: والله لئن لم ينجيني في البَحر إلا الإخلاص ما ينجيني في البر غَيره، اللَّهم إنَّ لك عهدًا إن أنت عافيتني ممَّا أنا فيه أني آتي محمَّدًا حتى أضع يدي في يده فلأجِدَنه عفوًّا كريمًا، قال: فجاء وأسلم، وأمَّا عبد الله بن سَعد بن أبي سرح فإنه اختبأَعِند عثمان، فلما دعا رَسول الله ﷺ الناس للبيعة جاء به حتى أوقفه على النَّبيّ ﷺ، فقال: يا رَسول الله، بايع عَبد الله، قال: فرَفَع رأسه فنظر إليه ثلاثًا كل ذلك يأبى فبايَعه بعد الثلاث، ثمَّ أقْبلَ على أصحابه، فقال: «مَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِيَ عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلَهُ؟»، قالوا: وما يدرينا يا رَسولَ الله مَا في نفسك، ألا أومَأت إلينا بِعينِك، قال: «إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ أَعْيُنٍ»(١).

- وفي الحديث الصحيح الآخر: «لَا يَحِلُّ دَمِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: - وَذَكَرَ مِنْهَا- التَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلجَمَاعَةِ»(٢)، فالحكم هنا قد تجاوز مرحلة المنع والإنكار إلى إقَامة جزاء في أقصى درجَاتِه (القتل) لمن يُبدِّل دِينه، وقد اعتضد هَذا الحكم بتطبيق الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ له عمليًّا كما صحَّ عَن علي بن أبي طالب، وابن عبَّاس، ومعاذ، وأبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

واتفقت كلمة الفقهاء كافَّة عَلى حكمه، ونصَّت عَليه كتب المذَاهبِ الأربعة جميعًا، ونقل الإجماع عليه عشَرات العلماء عبر أزمنة مُتفاوتة، وحتَّى لو اعتبرنا رأي النخعي والثوري في استتابة المُرتد بأنه (يستتاب أبدًا)، بأنَّه رأي آخر في

---

(١) رواه النسائي: ح (٤٠٦٧)، وصححه الشيخ الألباني.

(٢) رواه مسلم: ح (١٦٧).



المسألة فَهُو في النهاية لم يعطِ المرتدَّ إلا هامشًا من الحريَّة في تخفيف العقوبة عليه من القتل إلى الاستتابة المتلاحقة حتى يتوب ويقلع، فَهُو حكم خانق للحريِّة وهامشها.

فهل يُقبل عقلًا وفقهًا أن يكون هَؤُلاءِ الفقَهاء كلهم لا يدرون عمَّا كَان عليه حال المنافقين في عصر الرسول ﷺ من إعلان للردَّة والكفر؟ وهل يخفى عليهم (هامِش) حريَّة المنافقين الذي ساق فيه الكاتبُ عَشرات الآيات كلُّها في شَتم وعيب وإيذاء الرسول ﷺ؟ وتجد في سنَّة وسِيرة النَّبيّ ﷺ جلد من يرتكب الزِّنا ويَشرب الخمر، ورجم المُحصن من الرجال والنساء، فهل يتصوَّر أن لا يكون ثمَّة هامش من الحرية في أفعال سلوكيَّة اختياريَّة من شرب الخمر والزنا، ويتمدَّد الهَامشُ في شتم الرسول ﷺ والطعنِ في عدالته ورسالته مما هو أشدُّ ذنبًا وأعظم خطرًا وضررًا؟.

ومما لا شَكَّ فيهِ أن استدلال من استدل على تمتع المنافقين بهامش الحريَّات في زمن النبوة، قائمٌ على تصوِّر خاطئ لواقع المنافقين في عصر الرسالة، ويتضمَّن - من جِهَة أخرى- إشكاليَّة في الضابط الشرعيِّ المُحدِّد لحدود الحريَّات في النظام السياسي الإِسْلاميِّ، فكيف نطالب بهامش للحريَّة وسنستدلُّ على هامش الحريَّة هذا بشتم الرسول ﷺ؟

ليس فينا من ينازع في وجود هامش حريَّة في الفِكرِ الإِسْلامي، لكنَّ هَذه الهامشية إطلاق عائم، ووصفٌ غَير منضبط ولا يتحدَّد منهُ ضابطٌ شرعيٌّ يُمكن الاتفاق عليه، والاستدلال له بواقعة المنافقين المُتضمنة لشَتمِ الرسول ﷺ والطعن في عدالَتهِ والإساءة لمقامه الشريف لا يبشِّر بخير، وحتَّى لو قيل بعده بأن الحريَّات ستكون حسب الضَّوابط والقيم الشرعيَّة، فإنَّ هذا الاستدلال سيبقى عالقًا ومشكلًا، فأي حدٍّ وأي ضابط معتبر بعد أن يتمَّ تشريع شتم الرسول ﷺ؟!.

وأما المُستند الثاني لبعض من ذهبوا إلى القول بهامش حرية المنافقين، فهي نصوص قد تصيدوها من كلام شيخ الإسْلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- ولَيت هَؤُلاءِ الأساتذة يومَ أن عَزموا على أن ينقلوا من نصوص العلماء، ليتَهُم اختاروا أحدًا غير شيخ الإِسْلام، لأنَّ ابن تيمية في هذا الباب صارخٌ في الوضوح والجلاء، ولا أبالغ إن قلت: لو مدَّ أحدُهم يده، فتناول أي جزء من أجزاءِ فتاوى الشيخ الـ (٣٥)، وفَتح على أية صفحة منها، فإنه لَن يقرأ عشر صفحات أو عشرين حتى يَقع على عبارة يطالب فيها الشيخ بـ (تأديب) عَاصٍ، أو (استتابة) قائل، أو (تعزير) مخالف، أو (ردع) مبتدع، مما يعرف معه أي هامش للحريَّة لدى هذا الإمام.

خذ مثلًا هذه النصوص:

هنا: دعوةٌ للاسْتتابَة والقتل لمن يقُول قولًا قد شَاع في كتب كثير من المتصوِّفَة (١١/ ٤٧): وأمَّا من قال: إن أحدًا من الصحابة أهل الصُّفَّة أو غيرهم أو التَّابعين أو تابعي التابعين قاتَل مع الكفار أو قاتلوا النَّبيّ ﷺ أو أصْحَابه، أو أنهم كانوا يستحلُّونَ ذلك، أو أنه يجوز ذلك. فهذا ضالٌ غاو؛ بل كافر يَجب أن يستتاب من ذلك فإن تاب وإلا قتل.

وهنا: يقرِّر عقوبة من (يردُّ) على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر (٢٢/ ٢٠٣): (ومَن لم يَأتمر بما أمَرَه الله به ويَنتَهِ عما نهى الله عنه، بل يَردُّ عَلى الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، فإنَّه يُعاقب العقوبة الشرعية التِي توجب له ولأمثاله أداء الوَاجبات وترك المحرمات).

وندخل في التَّفاصيل أكثَر؛ فَنجده يقرِّر تَأديب من يفعل أمرًا فقهيًّا في شَأن

عباديٍّ خاصٍّ، وقَد قال به بعض الفقهاء (٢٢/ ٢١٨): (والجَهرُ بالنِّية لا يجب ولا يستحب باتفَاقِ المسلمين، بل الجَاهر بالنية مبتدع مخَالفٌ للشَّريعة، إذا فعل ذلك معتقدًا أنه من الشرع فهو جاهل ضال يستحق التعزيز).

وكذلك (٢٣/ ٢١٨): (وكانَ عُمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يَضرب مَن يصلي بعد العَصر، فمَن فعل ذلك فإنَّه يُعزر اتِّباعًا لما سنَّه عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ)..

ويقرِّر أنَّ كلَّ من فعل محرَّمًا أو ترك واجِبًا فَهو مستحقّ للعقوبة -لاحِظ عموم القاعدة- (٢٨/ ٢٧٩): (وَهَذا أصل متفَقٌ عَليه، أن كل من فَعل محُرمًا أو ترك واجبًا استحق العقوبة، فَإنْ لم تكن مقدرة بالشرع كان تعزيرًا يجتهد فيه ولي الأمر).

ويقرِّرُ مشروعية عقوبة العالم إذا خَالف الكتاب والسنَّة -انتبه في هذه العُقوبة ستكون لمن؟- (٣٥/ ٢٨٢): (وليسَ لأحَد أن يحكم عَلى عالم بإجماع المسلمين، بل يُبين له أنه قد أخطَأ، فإن بيَّن لَه بالأدلة الشرعية التي يجب قَبولها أنه قد أخطأ وظهر خَطؤه ولم يرجع، بل أصرَّ على إظهار ما يخالف الكتاب والسنة ودعا إلى ذَلك، وجب أن يُمنع من ذلك ويعاقب إن لم يمتنع، وأما إذا لم يبين له ذلك بالأدلةِ الشَّرعيَّة لم تجز عقوبته باتفاق المسلمين).

فإذا كانت نُصوص (الاستتابة)، و(التَّعزير)، و(العقوبة) حاضرة في خطابِ شيخ الإِسلام ابن تيمية، ومتقرِّرة حتَّى في المسائل الفقهية، والخلافيَّة، فهل ترى مثل هذا الخطاب يصلح لأن يكون شاهدًا على هَامش حريَّة لمثل فكر خالص جلبي؟ وهَل يناسب أن يؤتى بشيخ الإِسلام كشَاهد لما كان موجودًا لدى المنافقين من هامش حريَّة للكفر والطعن في الرسول ﷺ وشتمه وعيبه؟.

فهذه النصُوص توضِّح منهج شيخ الإِسلام ابن تيمية، وأنَّه بعيد من السياق

الذي وضعه فيه الكاتب، وأما مجِيئه بعد حكاية حريَّة المنافقين، فلَيس بينه وبين ابن تيمية إلا بُعد المشرقين، وإن كان ولا بدَّ مِن حضور لاسم شيخ الإِسْلام ابن تيمية في موضوع الحريَّات، فهو وإن قلبته على أي اتجاه لن يكون إلا (عقبة)، و(مشكلة) في طريق الحريَّات على مفهومها المعاصر[١].

وقع شيء من التصرف اليسير على البحث.

فهد بن صالح العجلان

محاضر بجامعة الملك سعود مجلة العصر

---

(١) بحث الشيخ فهد بن صالح العجلان المحاضر بجامعة الملك سعود، نشر في مجلة العصر، وهو موجود على الشبكة. بتصرف يسير.



الخاتمة

أحمد الله عزَّ في عُلاه، وأُثْنِي عليه بِما هُو أهلُه أنْ مَنَّ عليَّ بإتمام هذا البَحث: «القَواعِد الشَّرعيَّةُ في التَّعامُل مَع المنافِقِين».

وباختِصَارٌ هَذه بعضُ النَّتائِج والتَّوصيات التِي خَلُصت إليها وخَرجْتُ بها مِن هذه الرِّسالة على النحو التالي:

١. يظلُّ النِّفَاق مُتجددًا في كل عصرٍ، وطابورًا في كل مِصر، يَنخرُ في كيان الأمة، يَهدم بنيانها، يقوِّض أركانها، يهوِّن من عزائمها، يعوِّق مسيرتها، يخبوا حينًا ويظهر أحيانًا كالحرباء، يتلوَّن في كل شأنٍ ومرحَلةٍ بما يناسبها، لا ينفك عن المُراوغة ولا يَنزع عن الكيدِ والمُخاتلة.

٢. من أعظَمِ النَّتائج: حَميم الصِّلة وَوشيج الرَّابطة ووَثِيق اللُّحمة والآصرة بين المنافقين وأعْداءِ الله من كل نحلة وملَّة، لا يرعوون عن مُساندة كل خائِنٍ، ولا يفترون عن مُساعدة كُلِّ بَاغ، ولا يترددون عن مدِّ يدِ العون لأعداء الدِّين تناصرًا معهم وتعاضدًا لحرب الإِسْلام والمسلمين، وهذا ديدَنُهم في كل زمان ومكان وصفحات التاريخ شاهِدة ناطقَةٌ.

٣. للمنافقين أدوارهُم المعلُومَةُ ومواقفُهُم المُخزيَةُ ووقائعُهُم المُشينة؛ ممَّا يشي بمجموعِه إلى أنَّ وراء ذلك كلِّه عُقولًا تنظِّم، وغرف عمليات تنَسِّق، ولقاءات سريَّةٌ تُعقد للتَّخطيط وتوزيع الأدوَارِ وتَحديد المهام. لهُم نَاديهم الذِي يُماثل نَادي زعامَات الكُفر بِمكَّة، إلا أنَّ ذَلك مُعلنٌ وَهذا خفيٌّ، ذاكَ واضِحٌ وهَذا مستترٌ. أما في زمانِنا فكَثيرٌ مِنها معلن ومكشوف.

٤. قد أبرمَ المُنافقون أمْرَهم وشيَّدوا بُنيانهم؛ ليكُون مَسجد الضِّرار مُباءة لتَآمُرهم وجُنَّةً لبَعثِ سَراياهم وإرسَالِ وُفودهم المُفسدة في الأرْضِ، إلا أنَّ اللهَ

خيَّب ظنَّهم وردَّ كيدَهم وهدمه علىٰ رؤسهم. فلتكن الأمَّة علىٰ حذر من مُؤسَّسات ومراكز ودُور ومُنتديات وشبَكَات وقَنوات الضِّرار التي كثرت في زماننا.

٥. المُنافقات وما أدراك ما المُنافِقَات؟ إنهنَّ والمُنافقون بعضُهُم من بَعض تآزرًا عَلىٰ الباطِل، وتعاضُدًا علىٰ الإثم، وتواصيًا بالمُنكَر، وتناهيًا عن المعروف..

وهكَذا المَرأة علىٰ صَعيد كُلِّ فرقة ضالَّة ونِحلة كَافرة.. تظَلُّ طَابورًا مفسدًا بيد من سخروها لِخدمَة أغراضهم وتحقيق مَآربهم، تظلُّ عمْلَة رائِجة وسِلعة رَابحَةً وسِلاحًا أمضَىٰ وكيدًا أعظم.. يستَثْمرُها كُلُّ دَعيٍّ وَيُوظِّفها كلُ خَؤون ليبلُغ هَؤُلاءِ أهدافهم ويحقِّقوا مآرِبَهم.. ولئِن كانَ شَأن المُنافقَات في الزَّمن الأوَّل لَه أدواره الخفيَّة ومواقفُه المُستَرَة، إلا أن شأنهنُّ في زمانِنا قَد استعلن، ووجُوهُهنَّ الكَالحَة قد ظَهرت عبر مشاركات رسمِيَّة وإعلامية، وحضورٍ فَاعل في مؤتمرات محلية وعالمية، قد نادين بالتَّحلُّل والسُّفور والمُساواة والتَّحرر من كل أحكام الشريعة.

٦- نحن اليوم نعِيش حَرب الغَرب علىٰ الإِسْلام، وبالتَّحديدِ علىٰ أهْل السُّنَّة مُنذ عقُودٍ طَويلة في الكثيرِ من بِلدان المُسلمين؛ حيث نابَ ولا يَزال ينوب عَنهُم فيها مُنافقُون ظَاهرون، أو مُستخفُون مُستترون، يُحاربون الدِّين وأهْلَه تَارة باسم الحرب علىٰ الرَّجعيَّة، وتارة علىٰ أعداء التَّقدُّميَّة، وتارات ضد المُتطرفين والظَّلاميين والمَهووسين الدِّينيين والأصُوليين، وأخيرًا استقر اصطلاح المُجرمين علىٰ تَسمية الحرب ضِدَّ الإِسْلام بالحرب علىٰ الإرهاب.

ومن هَؤُلاءِ المنافقين الذين خَدموا الكُفَّار في حملتهم علىٰ أهْلِ السنة: المُنافقون من الرَّافضة البَاطنيَّة، وزنادِقَة المُتصوِّفة والعَلمانِيين الحَداثيين في كلِّ بَلد، وهذا لا نَقُوله جزافًا، بل هو ما اعْتَرف به الكفار أنفُسُهم في مراكز أبحاثِهم وفي علاقاتهم بهَؤُلاءِ المنافقين.

ومن هذه المصَادر مَا ورد في خطَّة رَاند المشُهورة في حربها للإِسْلام الحَقِّ وأهله، فلقد أسهمَتْ هَذه المؤسَّسَة الكُفريَّة المفسدة في فضح عملائِها من المنافقين من بني جلدتِنَا المُتعاونين معها في تنفيذ مُخطَّطاتِها، وسواء شعرت هذه المُؤسَّسة بأنها أسْهمت في فضح عمَلائِها المُنافقين أم لم تشعر، فإنَّها قد أسْدت خِدمة كَبيرة للدُّعاة الصادقين في فضحِ أعْدائهم المُنافقين، الذين يعِيشون بينهم، وجَلت لهم أمرهم[1].

أما التوصيات العامة لهذا الموضوع فمنها:

لكنَّ الذي يَحسُن ذكره هنا مجملًا وباختصار يتلخص في قضيتين:

١- الحذر.. الحذر من مكائِد المُنافقين، وأخْذ الحَيطَة مِن مصائِدِهم وعَدم مَنحِهم الثِّقَة حَال التَّعامُل مَعَهم، وعَدم الرُّكون إلَيهِم والاغْترار بِمُخادعَاتِهم وتَلبيسَاتهم، وألا يُتَّخذ مِنهم مُستشَار ولا وزير ولا عِيبة نصح ولا بطانَة. فهمُ العَقربُ السَّامَّة والحَيَّة اللُّدُوغ..

٢- يجب على المسلمين رصدُ تَحركاتِهم ولقَاءاتِهم وتَوثيقِ مُؤمراتهم ومُؤتَمراتهم وخصوصًا ما له علاقة بِتواصُلهم مع أعداء المِلَّة والدِّين، فهُم أذرُعَته وجنُوده وعملاؤه الأوفياء.. حتَّى بإذْن الله يُحبط لهم كل تَخطيط ويعوِّق لهم كل تآمر.

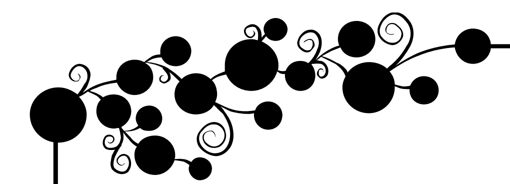
٣- وكما أنه يلزَمُنا الحَذر منهم، فكذَلك يجب علينا التَّحذير منهم في كل مَحفل ومناسبَةٍ وَعلى صَعيد كل وسَيلة ونافِذة؛ بِهتكِ أسْتَارهم، وكَشف خَباياهم، وإيضَاح طرقِ كيدِهم، وإظهار صفَاتِهم، وبَيَان أساليبهم حتَّى لا يَنخدعَ بهم غَافل وَيعْرف حقِيقَتهم الجَاهل ويحتاط منهم المتعامل.

والله من وراء القصْدِ وهو يهدي السبيل

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبينا محمدٍ، وعلى آلِه وصحبِه أَجمعين

---

(١) انظر مقال «رايات النفاق والحرب المعلنة على الإِسْلام»، لعبد العزيز كامل: «مجلة البيان»: العدد (١٧٣).



الفهارس العامة

وتشتمل على الفهارس الآتية:

١ - فهرس الآيات القرآنية.

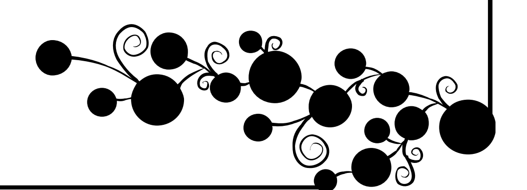
٢ - فهرس الأحاديث النبوية.

٣ - فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤ - ثبت المصادر والمراجع.

٥ - فهرس الموضوعات.





فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾	١١-١٢	١/ ٣١٣، ٥٦٩| ٢/ ٢٩٢، ٦٦٤
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾	١٣	١/ ٨٧، ٣١٣| ٢/ ٥٠٦، ٧٢٧، ٥٥٤، ٧١٤
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾	١٣-١٤	١/ ٢٤٣| ٢/ ٧٢٧
﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾	١٤	١/ ١٢٨، ٣١٩، ٣٣٦، ٥٤٤
﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾	١٤	١/ ٢٢٨، ٣٢١| ٢/ ٢٤٦، ٢٦٧، ٢٤٨، ١٢٣، ٢٩٦
﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	١٤-١٥	١/ ١١٣، ٣١٢
﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	١٥	١/ ٥٧٩
﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾	١٧	١/ ٥٣٩، ٥٤١
﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾	١٧	١/ ٥٣٩
﴿ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾	١٧	١/ ٥٤٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩ يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ ...﴾	١٩–٢٠	١/ ٥٤٢
﴿كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ﴾	٢٠	١/ ٥٥٤
﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ...﴾	٢٧	١/ ٤٧٣
﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ﴾	٤٠	١/ ٤٧٣
﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾	٤٢	١/ ٤٢٨
﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾	٥٥	١/ ٢٩٥
﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ﴾	٧٢	١/ ٢٩٥
﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ ...﴾	٧٤	١/ ٤٥٤، ٤٥٥
﴿۞أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾	٧٥	١/ ٤٩٥ | ٢/ ٧٧
﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ...﴾	٧٦	١/ ٣٤٣ | ٢/ ٢٤٧، ٢٧٤
﴿وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ﴾	٧٦	٢/ ٢٤٠
﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾	٧٧	١/ ٥٠٣
﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ﴾	٧٩	١/ ٤٦٢
﴿لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ﴾	٧٩	١/ ٤٦٤

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ﴾	٧٩	١/ ٤٦٢
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا ...﴾	٨٣	١/ ٤٧٤، ٤٧٧
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾	٨٤	١/ ٤٧٤، ٤٧٧
﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ﴾	٨٥	١/ ٤٧٨
﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾	٨٥	١/ ٤٧٩
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِ﴾	٨٦	١/ ٤٦٣
﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾	٨٧	٢/ ٤٧٩
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾	٩٣	١/ ٤٧٤
﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾	٩٣	١/ ٤٧٦
﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾	٩٦	٢/ ٢٩٨، ٦٩٨
﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾	٩٧	١/ ٤٤٧
﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾	٩٧–٩٨	١/ ٤٤٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُمۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾	١٠٠	١/ ٤٧١، ٤٧٣
﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٠١﴾	١٠١	١/ ٤٢٢
﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ...﴾	١٠٩	١/ ٢٠٦، ٣٥٠
﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ ...﴾	١١١	١/ ٣٥٩
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ﴾	١١٨	٢/ ١٤٦
﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ﴾	١١٨	٢/ ٢٦٦
﴿تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾	١١٨	١/ ١٦٧
﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ﴾	١٢٠	١/ ٢١٠| ٢/ ٤٩٩
﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾	١٢٧	١/ ٣٠
﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾	١٣٧	١/ ٦٥٢| ٢/ ٤٨١
﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ ...﴾	١٤٢	٢/ ٥٥٥
﴿۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٤٢ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ...﴾	١٤٢-١٤٣	١/ ١١٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ﴾	١٤٣	١/ ١١٩
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾	١٦١	٢/ ٦٢٦
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ﴾	١٧٠	١/ ١٩٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾	١٧٢	١/ ٥٠٤
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾	١٧٥	١/ ٤٦٣
﴿فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ﴾	١٧٨	٢/ ٧٤١
﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾	١٨٧	٢/ ٤٨٢
﴿وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾	٢٠٠	١/ ٥٦٢
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾	٢٠٤	٢/ ٥٩١، ٥٩٢
﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾	٢٠٥	٢/ ٥٩٢، ٣٧٣، ٥٩١
﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾	٢٠٥	٢/ ٥٩٣، ٦٧٧
﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٢١٦	١/ ١٩٩
﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ ...﴾	٢١٧	٢/ ٦٢٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾	٢٢١	٢/ ٢٩٢
﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ﴾	٢٤٩	١/ ٣٠٢
﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾	٢٥٦	١/ ٥٥٦
﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ﴾	٢٦١	١/ ٥٥٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾	٢٦٤	١/ ٥٤٧
﴿عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ﴾	٢٦٤	١/ ٥٤٧
﴿لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾	٢٦٤	١/ ٥٤٧
﴿يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ ...﴾	٢٦٩	٢/ ٥١٨
﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾	٢٧٥	١/ ٥١٣
﴿ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾	٢٧٦	١/ ٥١٣
﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾	٢٨٤	٢/ ٤٩، ٥٠٤
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾	٢٨٦	٢/ ٦٣٧
٣- آل عمران		
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ ...﴾	٧	٢/ ٥٤١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾	٨	٢/ ١٦٧
﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾	١٢	١/ ٤٨٢
﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾	١٢-١٣	١/ ٦٢٢
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	٢١	١/ ٣٧٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ...﴾	٢١-٢٢	٢/ ٤٧٩
﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٣١	٢/ ١٢٥
﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾	٣٢	٢/ ١٢٥
﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾	٦٩	١/ ٢٠٧
﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	٧٢	١/ ١١٣ | ٢/ ٢٤١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ...﴾	٧٥	١/ ٩٣| ٢/ ٢٥٠
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	٧٥	٢/ ٢٧٢
﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ...﴾	٧٨	١/ ٤٢٥
﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	٧٨	١/ ٤٢٦
﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ...﴾	٨٦	٢/ ١٤١
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ...﴾	٩١	٢/ ٦٢٦
﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾	١٠٣	٢/ ٦٢٠
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾	١١٠	١/ ٣٦٦
﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾	١١٣	١/ ٩٣| ٢/ ٢٤٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾	١١٨	٢/ ٤١٩، ٤٢١، ٤٤٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ ...﴾	١١٨	٢/ ٤١٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا﴾	١١٨	١/ ٢١٤
﴿قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ﴾	١١٨	١/ ٢١٦
﴿وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ﴾	١١٨	١/ ٢١٦
﴿قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾	١١٨	٢/ ٧١٤
﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾	١١٨	١/ ٤٤٥| ٢/ ٧١٨، ٧٠٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ١١٨ هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١١٩ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ ...﴾	١١٨–١٢٠	١/ ٢١١| ٢/ ٤٣٠، ٧٠٦
﴿قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ﴾	١١٩	١/ ٢١٧
﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا ...﴾	١١٩	١/ ٤٤٥| ٢/ ٧٠٧
﴿وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ﴾	١١٩	١/ ٢١٦، ٣٤١| ٢/ ٢٤٧
﴿عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ﴾	١١٩	١/ ٢١٦| ٢/ ٢٤٨
﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾	١٢٠	١/ ٢١٨، ٣٥٣، ٤٥٢| ٢/ ٨١، ٧٠٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا﴾	١٢٠	٢/ ٧٠٧
﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾	١٢٠	١/ ٢١٩
﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾	١٢٠	١/ ٢١٩
﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾	١٢٢	١/ ١٥٤
﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾	١٢٢	٢/ ٣١، ١٥٩، ١٦٩، ١٨٤
﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾	١٢٨	٢/ ٣٩٤
﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾	١٣٩–١٤٠	١/ ١٢٠
﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ...﴾	١٥٤	١/ ٥٧٨، ٢٢٠، ٢٢٣ ٢/ ١٣٨
﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾	١٥٤	١/ ٥٧٨
﴿يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾	١٥٤	١/ ٥٧٨
﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ﴾	١٥٤	١/ ٢٢١
﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾	١٥٤	١/ ٢٢١، ٥٧٨
﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾	١٥٤	١/ ٥٧٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	١٥٤	١/ ٥٧٨
﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ...﴾	١٦٦–١٦٧	١/ ١٢٠| ٢/ ٢٩، ٦٩٧
﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ ...﴾	١٦٦– ١٦٨	١/ ٦٠٣
﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾	١٦٧	١/ ٨٩، ٢٨٢، ١٥٣، ٢٨٦| ٢/ ٧٠٣، ٥٥٦
﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ﴾	١٦٧	١/ ١٢١
﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ﴾	١٦٧	١/ ٩٠| ٢/ ٥٥٩
﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ﴾	١٦٧	١/ ١٢١
﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾	١٦٧	٢/ ٥٦٥
﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ﴾	١٦٨	١/ ٦٠٣| ٢/ ٧٤٢
﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ﴾	١٦٨	١/ ٢٢٢
﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾	١٦٨	١/ ٩٠، ٢٩٩| ٢/ ٥٥٦، ٣٣، ٥٦٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾	١٦٩-١٧٢	٢/ ٦٨٨
﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾	١٧٣	١/ ٢٩٤، ٥٩١، ٦٠٤
﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾	١٧٣	١/ ٢٩٥
﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾	١٧٣	١/ ٣٠٢
﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	١٧٦	٢/ ٥٠٤
﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ...﴾	١٧٩	١/ ٦٠٠| ٢/ ٦٩٧، ٣٤
﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾	١٨٣	٢/ ٤٧٩
﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾	١٨٧	١/ ٤٧٤، ٤٧٧، ٤٦٠
﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾	١٨٨	١/ ٤٦٤| ٢/ ٣٩١، ٥٥٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾	١٨٨	١/ ٤٦٥
٤- النساء		
﴿وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا﴾	٢٧	١/ ١٤
﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا (٢٧) يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا (٢٨)﴾	٢٧-٢٨	٢/ ٢٩٢
﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ﴾	٣٧	١/ ٤٦٩، ٦٠٥
﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا﴾	٣٨	٢/ ٣٦٨
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ (٤٤)﴾	٤٤	١/ ٦٣٢
﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾	٤٦	١/ ٣٥٥، ٤٢٥
﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾	٤٦	١/ ٤٢٤
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا (٥١)﴾	٥١	١/ ٤٣٣
﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾	٥٨	١/ ٥١٩، ٥٢٠
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ﴾	٦٠	١/ ١٨٨
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾	٦٠	١/ ١٨٧، ٤٢١، ٤٣٨، ٥٩٤| ٢/ ١٤٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾	٦١	١/ ١٨٣، ١٩١ ٢/ ٤٥٤
﴿يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾	٦١	١/ ١٩٠
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلَۢا بَلِيغًا ﴾	٦١–٦٣	٢/ ٥٤٦
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلَۢا بَلِيغًا ﴾	٦٣	١/ ٤٥٣
﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلَۢا بَلِيغًا ﴾	٦٣	٢/ ٥٠٤، ٥٥١
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴾	٦٤	١/ ١٨٣، ٣٦١
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾	٦٥	١/ ١٩١
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾	٦٥	١/ ١٩٢، ٤٣٩ ٢/ ٤٥٣
﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾	٧٢–٧٣	١/ ٤٦٩
﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾	٧٣	٢/ ٧٠٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾	٧٤	١/ ٢٤٠
﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا﴾	٧٨	١/ ١٥٨
﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ﴾	٧٨	١/ ١٥٨
﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ...﴾	٨٠–٨١	٢/ ٥٤٦
﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ...﴾	٨١	١/ ١٨٤، ١٥٥، ٣٦٢| ٢/ ٢٤٨
﴿فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ﴾	٨١	١/ ١٨٤
﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ﴾	٨١	١/ ١٨٤
﴿وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ﴾	٨١	١/ ١٥٥، ١٨٤
﴿فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ﴾	٨١	٢/ ٥٤٩
﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾	٨١	١/ ٣٦٢
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾	٨٢	٢/ ٥٠٤
﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ...﴾	٨٣	١/ ٣٠٠
﴿۞ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ﴾	٨٨	١/ ٢٠٧
﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾	٨٨	١/ ٢٠٨| ٢/ ٦٣٨، ٣٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾	٨٨	١/ ٥٥٨
﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءًۖ ...﴾	٨٨–٨٩	١/ ٢٠٧، ٣٥٢
﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْۖ﴾	٨٩	١/ ٢٠٩
﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةًۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةًۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾	٩٥–٩٦	٢/ ٦٨٨
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْۖ﴾	٩٧	١/ ٩٥| ٢/ ٧
﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾﴾	٩٨–٩٩	٢/ ٦٣٧
﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾	١٠٢	١/ ٥٩٥
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾	١٠٥	١/ ٢٤٠| ٢/ ٥٣١
﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾	١٠٥	٢/ ٤٨٢، ٥٣٣
﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ﴾	١٠٦	٢/ ٥٣١، ٥٨٧، ٦٤٢
﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾	١٠٦–١٠٧	١/ ٢٤٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ١٠٨ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ١٠٩ وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١١٠﴾	١٠٦–١١٠	٢/ ٥٣٢
﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ﴾	١٠٧	٢/ ٥٢٩
﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ...﴾	١٠٨	٢/ ٢٤٠، ٢٥٠، ٢٤٥
﴿إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾	١٠٨	٢/ ٢٤٤
﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا﴾	١٠٩	٢/ ٥٢٩
﴿وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ﴾	١١١	١/ ٢٤٠
﴿وَمَن يَكۡسِبۡ إِثۡمٗا فَإِنَّمَا يَكۡسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١١ وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ١١٢﴾	١١١–١١٢	٢/ ٥٣٢
﴿وَمَن يَكۡسِبۡ خَطِيٓـَٔةً أَوۡ إِثۡمٗا ثُمَّ يَرۡمِ بِهِۦ بَرِيٓـٔٗا فَقَدِ ٱحۡتَمَلَ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا﴾	١١٢	١/ ٢٣٨| ٢/ ٦٧١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ...﴾	١١٣–١١٤	٢/ ٥٣٣
﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ...﴾	١١٤	٢/ ٢١١
﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾	١١٤	٢/ ٢١١
﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ...﴾	١١٥–١١٦	١/ ٢٤١| ٢/ ٥٣٢، ٦٧٢
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًۢا﴾	١٣٧	١/ ١٠٩، ٥٧١| ٢/ ٦٦٩
﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	١٣٨	١/ ٥٧١، ٥٨٠، ٥٩٢| ٢/ ٥٠٤
﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾	١٣٨–١٣٩	١/ ٣١٨، ٣٣٧، ٥٠١| ٢/ ٦٧٨
﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾	١٣٩	٢/ ٦٧٨
﴿مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ﴾	١٣٩	٢/ ٦٧٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾	١٣٩	٢/ ٥٥٥
﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ...﴾	١٤٠	٢/ ٥٣٧، ٥٤٠، ٥٤٣، ٥٤٧
﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾	١٤٠	١/ ٢٤٤| ٢/ ٣٤٥
﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ...﴾	١٤١	١/ ٢٢٣، ٣٠٤| ٢/ ٥٦٥
﴿وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا﴾	١٤١	١/ ٢٢٩
﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾	١٤٢	١/ ٣١٠، ٥٨٢
﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	١٤٢	١/ ٧٨، ٣١٢| ٢/ ٤١٥، ٤٧٥
﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ...﴾	١٤٢	٢/ ٥٥٢، ٣٤٩، ٧٤٢
﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾	١٤٢	٢/ ٣٥٠
﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ١٤٣﴾	١٤٣	١/ ٢٢٣، ٥٥٣، ٥٥٦، ٣٢٠، ٥٥٤، ٥٥٥| ٢/ ١٢٣، ٤٢٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينًا﴾	١٤٤	٢/ ٤٤٨
﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥﴾	١٤٥	١/ ٥٥٧، ٤١، ٤٥٨، ٥٩٢| ٢/ ٢٩٣، ٣٤٤
﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾	١٤٥	١/ ١٢٣، ٥٥٧| ٢/ ٤٢٦، ٥١٩، ٦٦١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾	١٤٥-١٤٦	١/ ١٢٢| ٢/ ٦٦٠، ٦٦٩
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾	١٤٦	٢/ ٦٦٩
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾	١٤٦	١/ ٥٩٣| ٢/ ٥٠٥
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾	١٤٦-١٤٧	٢/ ٦٦٤
﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾	١٥٤	١/ ٤٨١
﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ﴾	١٦٠-١٦١	١/ ٥٠٦
٥- المائدة		
﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	٥	٢/ ٢٩٣
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ ...﴾	٨	٢/ ٦٢٣، ٥٣٥
﴿۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ ...﴾	١٢	١/ ٤٧٤، ٤٧٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً...﴾	١٣	١/ ٣٥٥، ٤٢٤، ٤٥٥، ٤٥٨، ٤٧٢
﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾	١٥	١/ ١٧٢
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾	١٨	١/ ٣٥٩
﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾	٢٧	١/ ٨٢
﴿وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا﴾	٣٣	١/ ٤٤٠
﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾	٣٧	٢/ ٣٤٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ...﴾	٤١	١/ ٢٦٦، ٤٦٥، ٥٧٢، ٤٢٧| ٢/ ٦٨١
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	٤١	٢/ ٥٩٥
﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾	٤٢	١/ ٥٠٧
﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	٤٤	١/ ١٦١، ١٩٢، ٤٢٦| ٢/ ٦٨٠
﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾	٤٥	٢/ ٦٨٠
﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾	٤٧	١/ ٤٢٧، ٤٢٦| ٢/ ٦٨٠، ٦٨١
﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	٥٠	١/ ١٦١، ١٨٧| ٢/ ٤٥٥، ٤٥٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٥١	١/ ٣١٤، ٣٢٦، ٦٢٤| ٢/ ٤٢١
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾	٥١–٥٢	١/ ٤٨٥
﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ...﴾	٥٢	١/ ٣٠٢، ٣٢٠، ٥٠٣، ٥٧٣، ٦٢٥، ٣٢٢| ٢/ ٤٢٥، ٦٧٨، ٢٤٣
﴿يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ﴾	٥٢	١/ ٦٢٦
﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾	٥٢	١/ ٦٢٧
﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	٥٤	٢/ ٤٤٩
﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾	٥٥–٥٦	١/ ٣١٤
﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾	٥٦	١/ ٦٢٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾	٥٧	٢/ ٢١، ٢٧، ٤٢٣، ٤٢٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾	٥٩	١/ ٤٤٥
﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُوا۟ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا۟ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ﴾	٦١	١/ ٣٤١
﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾	٦٣	١/ ٣٦٧
﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ...﴾	٦٤	١/ ٤٤٠
﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ﴾	٦٤	١/ ٣٧١| ٢/ ٢٧٣
﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾	٧٧	١/ ٢٥٥
﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾	٧٨-٧٩	١/ ٣٦٦| ٢/ ٥٤٣
﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾	٧٩	١/ ٣٦٧
٦- الأنعام		
﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ﴾	٢٥	٢/ ١٢٣
﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ﴾	٢٥	١/ ٥٩١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾	٣٣	١/ ٣٩٨، ٥٩٨، ٥٢٣
﴿فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾	٣٥	١/ ٣٤
﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ...﴾	٥٢	١/ ٢٤٤
﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾	٥٥	١/ ٢١٥| ٢/ ٤٣٤
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا﴾	٦٨	١/ ٥٩٦
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٦٨	١/ ٥٩٥| ٢/ ٥٣٧
﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًاۖ...﴾	٩١	١/ ٤٢٥
﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ...﴾	٩٣	٢/ ٣٢٤
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ﴾	٩٣	٢/ ١٢٣
﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ﴾	٩٣	٢/ ١٢٣
﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۗ﴾	١٠٨	٢/ ٤٠٣
﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّۖ﴾	١١٤	١/ ٥٩٨
﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ﴾	١٥٢	٢/ ٦٢٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾	١٥٩	٢/ ٦٢٠
﴿دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾﴾	١٦١	٢/ ٦٠٠
٧- الأعراف		
﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ﴾	٢٧	١/ ٥٣٠
﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ﴾	٣٠	٢/ ٦٣٥
﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾	٣٣	٢/ ٦٢١
﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمۡ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِۖ...﴾	٣٧	٢/ ٦٢٠
﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ﴾	٤٠	٢/ ٣٢٥
﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾	٦٥-٦٦	١/ ٨٦
﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ...﴾	٧٥	١/ ٨٧
﴿وَمَا وَجَدۡنَا لِأَكۡثَرِهِم مِّنۡ عَهۡدٖۖ وَإِن وَجَدۡنَآ أَكۡثَرَهُمۡ لَفَٰسِقِينَ﴾	١٠٢	١/ ٤٧٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾	١٣٠	١/ ١٥٩
﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾	١٥٧	١/ ٣٦٦
﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾	١٦٣	١/ ٥٠٩
﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾	١٦٣	١/ ٥٠٨
﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾	١٦٩	١/ ٥٦٢
﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾	١٦٩	١/ ٤٧٤، ٤٧٦
﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	١٧٦	١/ ٥٤٧، ٥٦٧
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا...﴾	١٧٩	١/ ١٥٧، ٣٥٥
﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾	١٧٩	١/ ٤٥٧



الآية	رقمها	الصفحة
﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾	١٩٩	٢/ ٥٤٩
٨- الأنفال		
﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	٢	١/ ٥٩١
﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾	٥–٧	٢/ ٥
﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	٧	٢/ ٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾	١٥–١٦	٢/ ٦٨٩
﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	١٨	١/ ٢١٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٢٧	٢/ ٤٤٧
﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾	٢٨	٢/ ٤٤٧، ٥٢٣
﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾	٣٠	٢/ ٤٧٩
﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾	٣٠	٢/ ٥٦٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾	٣٦	١/ ٢١١
﴿۞ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ...﴾	٤١	٢/ ٧٠٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾	٤٥	٢/ ٦٨٩
﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	٤٦	١/ ٦٣١
﴿وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾	٤٧	٢/ ٧٠٩
﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	٤٩	١/ ٦٠٢، ٦١٩| ٢/ ٥
﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْۗ﴾	٤٩	١/ ٢٩٤، ٦١٩| ٢/ ٦
﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾	٥٠	٢/ ٣٢٤
﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾	٥٥-٥٦	١/ ٤٧٣
﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾	٥٨	١/ ٤٨٣، ٦٢٣| ٢/ ٤٨٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾	٥٨	
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ...﴾	٦٤-٦٦	٢/ ٦٨٨
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾	٧٣	١/ ٣٩٨| ٢/ ٥٢٣
﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾	٧٥	١/ ٣٢٦
٩- التوبة		
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ...﴾	٤-٥	٢/ ٤١٠
﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾	٥	٢/ ٥١٢
﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾	٨	١/ ٤٩٩| ٢/ ٤٢٧
﴿يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾	٨	٢/ ٥٦٥
﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾	١٢	٢/ ٦٥٠
﴿فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾	١٢	١/ ١٢٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾	٢٩	٢/ ٥١٢
﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾	٣٠	١/ ١٦٧، ٥٤٧
﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾	٣١	١/ ٤٢٨
﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَـٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ﴾	٣٤	١/ ٤٦٠
﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ﴾	٣٧	٢/ ٤٧٤، ٧٢٥
﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ ...﴾	٣٨	٢/ ٩٤، ١٠٤
﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	٤١	٢/ ٩٤
﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾	٤٢	١/ ٢٨٧
﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴾	٤٢	١/ ٢٨٦، ٢٨٧
﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَـٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ ﴾	٤٢	٢/ ١٠٩
﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَـٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾	٤٢	٢/ ٧٠٣، ١٠٥

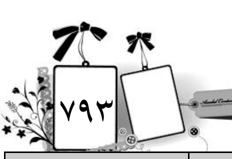
الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾	٤٢	٢/ ١١٩، ٥٧٨، ٧٤٤، ٧٢٨
﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ﴾	٤٢	٢/ ٥٧٨
﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾	٤٢	٢/ ١٢٢، ٥٧٨
﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾	٤٣	١/ ٦٠٠
﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾	٤٣	٢/ ١١١، ٧٤٤
﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾	٤٥	١/ ١١٠
﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥) ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾	٤٥-٤٦	١/ ٢٨٢
﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾	٤٦	٢/ ١٠٤، ١٠٩
﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾	٤٦	١/ ٦٠٤ | ٢/ ١٠٩
﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ (٤٦) لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ (٤٧)﴾	٤٦-٤٧	٢/ ٦٨٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٤٧	١/ ٦٠٤| ٢/ ٣٢، ٦٨٦، ٦٩٥، ٥٨٣، ٥٨٦، ٦٩٦
﴿وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ﴾	٤٧	٢/ ٣٢
﴿يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٤٧	٢/ ٥٤٤
﴿وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ﴾	٤٧	١/ ١٩٨| ٢/ ٥٤٥، ٥٧١، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٦
﴿وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٤٧	١/ ٥٧٠
﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ﴾	٤٩	١/ ١٢
﴿وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	٤٩	١/ ٢٨٦| ٢/ ١٠٦، ١٣٨، ٥٨٢، ٧٠٣
﴿ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓۚ﴾	٤٩	٢/ ١٠٥
﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	٤٩	١/ ٢٨٧| ٢/ ٥٨٣
﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ وَيَتَوَلَّواْ وَّهُمۡ فَرِحُونَ﴾	٥٠	١/ ٢٠٤
﴿قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا﴾	٥٠	٢/ ٤٥٤، ٥٩٢
﴿قُلۡ هَلۡ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحۡدَى ٱلۡحُسۡنَيَيۡنِۖ وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ أَوۡ بِأَيۡدِينَاۖ فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾	٥٢	١/ ٢٢٦| ٢/ ٥٦٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ﴾	٥٢	١/ ٢٢٧
﴿فَتَرَبَّصُوٓاْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾	٥٢	١/ ٢٢٧
﴿قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾	٥٣–٥٤	٢/ ٤٧٠| ٢/ ٤٧١
﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾	٥٤	٢/ ٤٧٢
﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾	٥٤	١/ ٢٣٤| ٢/ ٣٥١، ٤١٤، ٤٧٥، ٧٤٢
﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ﴾	٥٤	٢/ ٣٦٧
﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾	٥٤–٥٥	٢/ ٥٦٠
﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾	٥٥	١/ ١٠٧
﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾	٥٥	٢/ ٥٩٤، ٥٩٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ﴾	٥٦	٢/ ٧٢٥
﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾	٥٦	٢/ ٣٣١، ٥٧٧
﴿وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾	٥٦–٥٧	١/ ٢٨٣| ٢/ ٢٩٨، ٥٨٤
﴿لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾	٥٧	١/ ٢٨٤
﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾	٥٧	١/ ١٨١
﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾	٥٨	١/ ١٢، ١٧٦، ٥٦٦| ٢/ ٤٦٥، ٦٢٣، ٧٢٩
﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾	٥٨	١/ ١٧٣، ١٨٢| ٢/ ٤٦٠، ٧٠١، ٧١٥
﴿فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟﴾	٥٨	١/ ١٨٢
﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾	٥٨	١/ ١٨٢
﴿وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾	٥٨	٢/ ٧٠١
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾	٥٩	١/ ١٨٢
﴿سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾	٥٩	١/ ١٨٢
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾	٥٩	٢/ ٧٠١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾	٦٠	٢/ ٤٦٣
﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾	٦٠	٢/ ٤٦٣
﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ﴾	٦١	١/ ١٦٤، ٥٦٦
﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ﴾	٦١	١/ ١٢، ١٦٣| ٢/ ١٤٢، ٧١٥، ٧١٧، ٧٢٩، ٥٠٥
﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾	٦١	١/ ١٦٣
﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ﴾	٦١	١/ ١٦٣
﴿قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾	٦١	١/ ١٦٥| ٢/ ١٤٢
﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	٦١	١/ ١٦٥
﴿وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡۚ﴾	٦١	١/ ١٦٥
﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾	٦١	١/ ١٦٥
﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ﴾	٦٢	٢/ ٥٨٣
﴿يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾	٦٢	٢/ ٧٢٥، ٧٢٩، ٥٧٨
﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾	٦٢	٢/ ٥٨٤
﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدٗا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡخِزۡيُ ٱلۡعَظِيمُ﴾	٦٣	٢/ ٣٤٣



الآية	رقمها	الصفحة
﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾	٦٤	٢/ ٦٦، ٥٦١
﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾	٦٤	١/ ٤٥٣، ٥٩٩| ٢/ ٦٧٠، ٧٣٤، ٧٤٤، ٥٦٤
﴿قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾	٦٤	١/ ٢٤٦| ٢/ ٥٦١
﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ (٦٤) وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥)﴾	٦٤–٦٥	٢/ ١١٢
﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ (٦٤) وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦)﴾	٦٤–٦٦	٢/ ٦٦٠
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾	٦٥	١/ ١٦٨، ٢٩٢
﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (٦٥)﴾	٦٥	١/ ٥٧٩| ٢/ ١١٨
﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾	٦٥	١/ ١٦٨
﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾	٦٥	٢/ ١٣٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾	٦٥	١/ ٢٤٣، ٢٤٥| ٢/ ١١٢
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ﴾	٦٥-٦٦	١/ ٥٩٥، ١٣ | ٢/ ١١٢، ١٣٩
﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ﴾	٦٦	٢/ ٧٢٥
﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾	٦٦	٢/ ١١٣
﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾	٦٦	٢/ ١١٣
﴿ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾	٦٧	١/ ٣١٢، ٣٦٨| ٢/ ١٥٠، ١٥٦
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ﴾	٦٨	١/ ٥٨٠
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾	٦٨	١/ ٤٥٨، ٤٥٩، ٥٩٢| ٢/ ٢٩٣، ٣٤٥، ٣٤٧
﴿هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ﴾	٦٨	٢/ ٣٤٧، ٥٤٥
﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ﴾	٦٨	٢/ ٣٤٧
﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾	٦٨	٢/ ٣٤٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾	٧١	١/ ٣٣١
﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾	٧١	١/ ٣٦٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾	٧٣	٢/ ٥١٦، ٥٩٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾	٧٣	١/ ٥٩٢| ٢/ ٥١٠، ٥١١
﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾	٧٣	٢/ ٥١٢
﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾	٧٣	٢/ ٥١٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ...﴾	٧٣-٧٤	٢/ ٦٦١
﴿ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ...﴾	٧٤	١/ ٣٤٨، ٥٧٤| ٢/ ١١٥، ٧٤٣، ٥٥٦، ١٤٩، ٣٣١، ٥٦٩، ٥٧٨، ٥٥٢، ٧٣٥
﴿وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾	٧٤	٢/ ٤٨٠
﴿فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾	٧٤	٢/ ٦٦٣
﴿فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾	٧٤	٢/ ٥٤٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾	٧٤	٢/ ٦٦٢
﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾	٧٥	١/ ١٢
﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ﴾	٧٥	١/ ٥٦٦
﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾	٧٥–٧٧	١/ ٣٣٥
﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾	٧٥–٧٨	١/ ٥٨٤
﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾	٧٧	١/ ٤٥٨| ٢/ ٥٥٦، ٥٦٥
﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ ﴾	٧٩	٢/ ١١٠، ١٠٩
﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	٧٩	١/ ٢٣٧، ٣١٢، ٥٧٩، ٦٠٥| ٢/ ١٠٨
﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ...﴾	٨٠	١/ ١٨٤، ٥٧٣، ٥٩٢| ٢/ ١٣٠، ٣٠٩، ٥٦٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾	٨٠	١/ ٥٧٤
﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ...﴾	٨١	١/ ٢٩١، ٢٨٠| ٢/ ١٠٤
﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾	٨١	١/ ٨| ٢/ ١٠٥، ٥٠٦، ٥٥٥
﴿لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ﴾	٨١	١/ ٣٦٩| ٢/ ١١٠
﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾	٨١–٨٢	٢/ ٣٤٦
﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا﴾	٨٢	٢/ ٣٤٦
﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ﴾	٨٣	١/ ٢٨٢، ٣٠٤، ٦٠٤| ٢/ ١٢٠، ٥٨٦، ٦٨٥، ٦٩٤
﴿فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾	٨٣	٢/ ٦٨٥
﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾	٨٣–٨٤	٢/ ٧٠٥، ٤٥٩
﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾	٨٤	١/ ٥٥٨، ٥٧٣، ٥٩٢| ٢/ ٦٧٤، ٢٩٩، ١٣٠، ٣٠٩

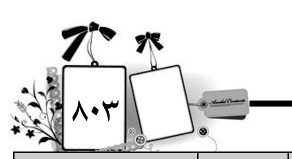
الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾	٨٤	١/ ٥٧٤
﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾	٨٦	١/ ٢٨٧
﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾	٨٧	١/ ٤٦٠
﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (٨٧)﴾	٨٧	٢/ ١٢٠
﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩١) وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ (٩٢)﴾	٩١-٩٢	٢/ ٩٣
﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ (٩٢) ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ...﴾	٩٢-٩٣	١/ ٢٨١
﴿تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ (٩٢)﴾	٩٢	٢/ ٩١، ٥٦٨
﴿۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٩٣	١/ ٢٨٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾	٩٣-٩٥	٢/ ٥٤٧
﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ﴾	٩٤	٢/ ١٢٠
﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ﴾	٩٥	٢/ ٧٢٥
﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ...﴾	٩٥	٢/ ٣٤٣، ٥٤٩، ٧٤٤
﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾	٩٥-٩٦	٢/ ٥٤٧، ٥٥٥
﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ﴾	٩٥	٢/ ٥٨٥
﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ﴾	٩٦	١/ ١٥٢| ٢/ ٥٨٤
﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾	٩٦	٢/ ٥٨٣

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾	٩٦	٢/ ٥٨٦
﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا﴾	٩٨	٢/ ٣٦٨، ٤٥٤، ٤٥٦
﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ﴾	٩٨	١/ ٢٢٥| ٢/ ٥٦٦
﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾	٩٨	١/ ٢٢٦، ٢٢٠، ١٠٦| ٢/ ٥٦٦
﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ...﴾	١٠١	١/ ١٠٦| ٢/ ٣٢٦، ٣٨٩، ٨٠، ٧٢٤
﴿مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾	١٠١	٢/ ٨٠، ٢١٩
﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾	١٠١	٢/ ٣٢٦
﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾	١٠١	٢/ ٣٢٦
﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾	١٠٣	١/ ٥٩٥
﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾	١٠٦	١/ ١٤١، ١٤٢
﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا﴾	١٠٧	١/ ٣٨٣
﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾	١٠٧	١/ ٣٨٢
﴿وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ﴾	١٠٧	١/ ٣٨٤
﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾	١٠٧	١/ ٣٨٥| ٢/ ٥٤٦، ٥٨٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾	١٠٧	٢/ ٣٣١، ٤٥٠
﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾	١٠٧	١/ ٣٨٥، ٦٢٩
﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ...﴾	١٠٧–١٠٨	٢/ ١٢٢، ١٣٤، ٥٥٧
﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾	١٠٨	٢/ ٤٥١
﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾	١٠٨	١/ ٣٩٨
﴿۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ۚ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾	١١١	١/ ٤٦٨ | ٢/ ٦٨٣
﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾	١١٣	١/ ٥٧٣
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾	١١٥	٢/ ٦٣٢
﴿لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾	١١٧	٢/ ٨٤
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾	١٢٣	٢/ ٨٦
﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ﴾	١٢٤	٢/ ٣٦٦
﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا ۚ﴾	١٢٤	١/ ٥٩٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ (١٢٤) وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾	١٢٤-١٢٥	١/ ٥٩٠| ٢/ ٢٩٩
﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ﴾	١٢٥	١/ ٥٧٤
﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾	١٢٦	١/ ٤٥٩| ٢/ ٦٦١
﴿أَوَلَا يَرَوۡنَ أَنَّهُمۡ يُفۡتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٖ مَّرَّةً أَوۡ مَرَّتَيۡنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمۡ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦)﴾	١٢٦	
﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ﴾	١٢٧	٢/ ٣٦٦
﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾	١٢٧	١/ ٥٨٩
﴿نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ﴾	١٢٧	١/ ٥٨٩
﴿هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ﴾	١٢٧	١/ ٥٨٩
١٠- يونس		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۖ﴾	٢٣	١/ ٤٧٢
﴿قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ﴾	٥٩	٢/ ١٩٣
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾	٨١	٢/ ٧٦



الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ...﴾	٨٨	٢/ ٥٩٥
١١- هود		
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	١٥-١٦	١/ ٨٠
﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	١٨	١/ ٥٩٣| ٢/ ٣٣٤
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾	٢٥	١/ ٨٦
﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾﴾	٤٥	١/ ٣٣١
١٢- يوسف		
﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾	٦	٢/ ١٢٦
﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾	١٨	١/ ٦٥٤، ٤١٦
﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٢١	١/ ٢٤٣
﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾	٥٢	٢/ ٤٨٢
﴿فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ﴾	٨٠	٢/ ٢٣٣
١٣- الرعد		
﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾	١٥	٢/ ٣٧٤
﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾	٢٨	١/ ٤٥٨

الآية	رقمها	الصفحة
١٤- إبراهيم		
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ...﴾	٥	١/ ٤٥٦
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ...﴾	١٣	٢/ ٤٧٩
﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾	١٥-١٦	١/ ٣٦٤
﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ...﴾	١٨	١/ ٥٤٨
﴿وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَـٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾	٢١	١/ ٨٥
﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾	٤٢	٢/ ٣٣٣
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾﴾	٤٢	٢/ ٣٣٣
١٦- النحل		
﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾	٢٦	١/ ٣٠
﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَـٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ﴾	٨٨	٢/ ٤٧٤، ٧١٤
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ﴾	٩٠	٢/ ٢٣١
﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾	١٠٦	١/ ٩٧| ٢/ ٦٣٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾	١٠٨	١/ ١٥٦
﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	١١٠	١/ ٩٥| ٢/ ٧
١٧- الإسراء		
﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾	٩	١/ ٥٦١
﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾	٣٦	٢/ ٦٢١
﴿ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾	٧٤	٢/ ١٦٧
﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾	٩٧	٢/ ٣٣٤
﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾	٩٧	٢/ ٣٣٩
﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾	١٠٢	١/ ٥٩٨
١٨- الكهف		
﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾	٥	١/ ٦٤٨
﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾	٤٦	٢/ ٥٩٥
﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾	١٠٣-١٠٤	٢/ ٦٣٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ...﴾	١١٠	١/ ٧٨
١٩- مريم		
﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾	٨٨-٩٣	١/ ٥٨٥
﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا﴾	٩٠-٩١	٢/ ٣٧١
٢٠- طه		
﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَىٰ﴾	٦٢	٢/ ٢٤٠
﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ...﴾	١٠٨	٢/ ٣٣٤
﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا﴾	١١٣	٢/ ٥٠٥
﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا...﴾	١٢٤	٢/ ٣٣٤
﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرۡتَنِيٓ أَعۡمَىٰ وَقَدۡ كُنتُ بَصِيرٗا ١٢٥﴾	١٢٤-١٢٥	٢/ ٣٣٩
﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ﴾	١٣١	٢/ ٥٩٦
٢١- الأنبياء		
﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾	١٦	١/ ٣١٢

الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ...﴾	٩٠	١/ ٥٧٣
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾	١٠٧	٢/ ١٢٩
٢٢- الحج		
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ...﴾	١٨	٢/ ٣٧٤
﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾	٣١	٢/ ٣٢٥
﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ﴾	٧٨	٢/ ٦٣٧
٢٣- المؤمنون		
﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ﴾	٣٤	١/ ٨٦
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ﴾	٥١	١/ ٥٠٤
﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَـٰبِقُونَ﴾	٦١	١/ ٥٧٣
﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	٧٣	٢/ ٥٠٣
٢٤- النور		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ﴾	١١	١/ ٦٤٤، ٦٥٩
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	١١	١/ ١٩٩| ٢/ ٦٥١

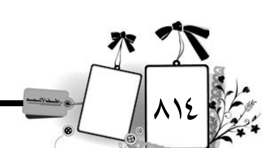
الآية	رقمها	الصفحة
﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾	١١	١/ ٦٤٢، ١٩٧
﴿وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	١١	١/ ٦٤٤| ٢/ ٤٠٩
﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١) لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ (١٢) لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ (١٣) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ (١٥) وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا﴾	١١-١٦	١/ ٤١٨
﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾	١٢	١/ ٦٤٣
﴿لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾	١٣	١/ ٦٤٦
﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾	١٣	١/ ٦٦٠
﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾	١٥	٢/ ٦٢١
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ...﴾	١٩	١/ ٢٧٣، ٤٢٠
﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...﴾	٢٢	١/ ٤١٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ...﴾	٦٣	١/ ٢٨٤| ٢/ ٥٣
﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾	٦٣	١/ ٦٤٢
٢٥- الفرقان		
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾	٤-٦	١/ ٦٥٠
﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾	٢٣	٢/ ٤٦٩
﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾	٣٠	١/ ٥٦٤، ٥٩٤
﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾	٤٤	١/ ٥١١
﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾	٥١-٥٢	٢/ ٥٩٩
﴿وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾	٦٤	٢/ ٢٥٠
٢٦- الشعراء		
﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾	١١١	١/ ٢٤٤
٢٧- النمل		
﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾	١٤	١/ ٥٩٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾	٥٦	٢/ ٤٧٩
٢٨- القصص		
﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ﴾	٧٧	٢/ ٤٦٨
٢٩- العنكبوت		
﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ...﴾	٢-٣	١/ ٩٤، ٥٠٢| ٢/ ٦
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾	١٠	١/ ٩٥| ٢/ ٧
﴿وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْۚ﴾	١٠	٢/ ٨، ٧١٧، ٧٣٠
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾	١٠-١١	١/ ٩٤، ٩٦| ٢/ ٧
﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾	١١	١/ ٥٠٢
﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾	٥٥	١/ ٢٩٦
٣٠- الروم		
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٧	١/ ٢٢٩
٣٢- السجدة		
﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾﴾	١٦	٢/ ٢٥٠

الآية	رقمها	الصفحة
٣٣- الأحزاب		
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾	١	١/ ٣٢٥| ٢/ ١٢٤، ٥٥٢
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ...﴾	٩-١٠	١/ ٢٩٦
﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾	١٠	١/ ٢٢١
﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١)﴾	١٠-١١	٢/ ٥٢
﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢)﴾	١٠-١٢	٢/ ٧٣٢
﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾	١١	١/ ٢٢٢
﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾	١٢	١/ ١٥٣، ١٦٣، ٢٢٢، ٥٧٦| ٢/ ٥٦، ٦٦، ١٣٨، ٧١٥، ٧١٩، ٧٣١
﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾	١٢	١/ ١٦٣، ٦٠٤، ٢٩٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾	١٢–١٧	٢/ ٦٩٨
﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ... ﴾	١٣	١/ ٦٣١، ٣٧٠ | ٢/ ٦٦، ١٣٦
﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾	١٣	٢/ ٢٩، ٥٤، ٧٠٢، ٧١٩، ٢٩٨، ٥٦٧
﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ ﴾	١٣	٢/ ٥٧
﴿ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾	١٣	١/ ٢٩٧، ٣٠٢ | ٢/ ٧٣٢
﴿ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾	١٣	٢/ ٥٧
﴿ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ ﴾	١٣	٢/ ٥٨١
﴿ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ ﴾	١٣	٢/ ٧٣٢
﴿ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾	١٣	١/ ١٥٣، ٢٨٦، ٢٨٦ | ٢/ ٥٨٠، ١٣٦



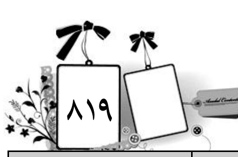
الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾	١٣	٢/ ٥٥٩، ٧١٦
﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾	١٣	٢/ ٥٨١
﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾	١٣	٢/ ٥٨١
﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾	١٣	٢/ ١٣٦
﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤)﴾	١٣–١٤	٢/ ٧١٥، ٧٣٢
﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾	١٣–١٤	٢/ ٥٥٦
﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾	١٤	٢/ ٥٤، ٥٨٢
﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥)﴾	١٥	٢/ ٥٦
﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥) قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧)﴾	١٥–١٧	٢/ ٥٩
﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦)﴾	١٦	٢/ ٥٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ١٦﴾	١٦	٢/ ٦٠
﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾	١٨	١/ ٤٥٢| ٢/ ٦٠، ٦٦
﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾	١٨	١/ ٢٩٠| ٢/ ٦٦
﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	١٨	١/ ٩٠، ٦٠٢| ٢/ ٦٠، ١٠٥، ٥٦٧
﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾	١٨	٢/ ٦١
﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾	١٨	٢/ ٦١
﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	١٨	١/ ٢٩٠| ٢/ ٦١، ٣٥١، ٣٦٢
﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ١٨ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ...﴾	١٨–١٩	١/ ٢٧٨، ٢٨٩| ٢/ ٦٠، ٢٩٨
﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ...﴾	١٩	١/ ٣٠٥، ٦٠٠، ٢٨٣| ٢/ ٧٣٢، ٦٢
﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾	١٩	١/ ٥٨١| ٢/ ٦٩٩
﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾	١٩	٢/ ٦٢، ٦٣
﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾	١٩	٢/ ٧٣٣
﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾	١٩	١/ ٦٠١| ٢/ ٦٣
﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾	١٩	١/ ٢٧٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ﴾	٢٠	١/ ٢٨٣| ٢/ ٦٤، ٦٧
﴿وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾	٢٠	٢/ ٦٤
﴿يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ﴾	٢٠	٢/ ٦٤، ٦٥
﴿وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا﴾	٢٠	١/ ٢٨٣
﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ...﴾	٢٢	١/ ٥٧٦
﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾	٢٣-٢٤	٢/ ٦٨٣
﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾	٢٤	٢/ ٦٦١
﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾	٢٤	٢/ ٦٦٣
﴿تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾	٣٢	١/ ٢٥٨
﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ...﴾	٣٢-٣٣	١/ ٦٣
﴿وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ﴾	٣٣	١/ ٦٣
﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ﴾	٣٣	١/ ٥٢٨

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾	٣٤	١/ ٦٣
﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾	٣٧	٢/ ١٦٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾	٤٥	٢/ ٥٥٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾	٤٥–٤٦	٢/ ٥٠٣
﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴾	٤٧	٢/ ٥٥٣
﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾	٤٨	٢/ ٥٥٢
﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾	٤٨	٢/ ٥٥٣
﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ ﴾	٥٨	١/ ٦٣٩، ٢٩٢، ٢٣٧ ٢/ ٣٤٦، ٦١٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	٥٩	١/ ٢٥٩
﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ﴾	٥٩	١/ ٢٥٧
﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾	٥٩	١/ ٢٥٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾	٥٩–٦٢	١/ ٢٥٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ...﴾	٦٠	١/ ٢٥٧| ٢/ ٥٦٨
﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾	٦٠-٦١	١/ ١٢٤| ٢/ ٧٤٣
﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾	٦٧-٦٨	١/ ٨٥
﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا ﴾	٧٢	١/ ٥١٩
﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾	٧٣	٢/ ١٥٠
٣٤- سبأ		
﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٢٠	١/ ٤٢١
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾	٣٤	٢/ ٦٥٢
﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ ﴾	٤٦	٢/ ٥٠٨
٣٥- فاطر		
﴿ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾	١٠	١/ ٧٨



الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾	٤٣	١/ ١٨٦، ٤٧٢
٣٦- يس		
﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾	٦٥	٢/ ٣٣٦
٣٧- الصافات		
﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾	١٧١–١٧٣	١/ ٢٢٩
٣٨- ص		
﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾	٦–٧	٢/ ٦٥٢
٣٩- الزمر		
﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾	٩	٢/ ٢٥٠
﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾	٥٣	٢/ ٦٦٨
﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾	٥٣–٥٤	١/ ١٠٣

الآية	رقمها	الصفحة
٤٠- غافر		
﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾	٢٥	١/ ٢١٩
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾	٢٦	٢/ ٤٧٩
﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾	٤٥-٤٦	٢/ ٣٢٧
﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾	٥١	١/ ٢٢٢، ٢٤٣
٤١- فصلت		
﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾	١٧	١/ ٣٥٥
﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾	١٧	١/ ٥٤، ٣٥٣
﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ...﴾	١٩-٢١	٢/ ٣٣٦
﴿أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾	٣٠	٢/ ٦٦٦
﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ﴾	٤٤	١/ ٥٦٢
٤٢- الشورى		
﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾	١٣	٢/ ٦٢٠
﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ﴾	١٥	٢/ ٦٢٣



الآية	رقمها	الصفحة
٤٣- الزخرف		
﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾	١٩	١/ ٦٣٩
﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾	٤٠	١/ ٢٥٥
﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾	٧٧	٢/ ٣٤٧
٤٥- الجاثية		
﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾	٢٣	١/ ١٧٢، ٤٢١
٤٧- محمد		
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾	١١	١/ ٦٢٦
﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾	١٦	١/ ٥٩٠
﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾	١٦	١/ ٣٥٦ | ٢/ ١٢٣
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾	١٦	١/ ١٥٦، ٣٥٦
﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ﴾	١٦	١/ ١٥٦
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾	١٦	١/ ٤٦٠
﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ﴾	٢٠	١/ ٥٨١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ مُّحۡكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ﴾	٢٠	١/ ٦٠١
﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٌۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ مُّحۡكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوۡلٌ مَّعۡرُوفٌۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۡ ﴿٢١﴾ فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾	٢٠-٢٤	١/ ١٥٨
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾	٢٣	١/ ٧
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾	٢٤	٢/ ٣٦٦، ٥٠٤
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَى ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾	٢٥	٢/ ٣٠٣
﴿سَنُطِيعُكُمۡ فِي بَعۡضِ ٱلۡأَمۡرِۖ﴾	٢٦	١/ ٣١٩
﴿فَكَيۡفَ إِذَا تَوَفَّتۡهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾	٢٧-٢٨	٢/ ٣٠٣
﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾	٢٩	١/ ٤٥٣ | ٢/ ٢٩١، ٥٦٤
﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ﴿٢٩﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٠﴾﴾	٢٩-٣٠	٢/ ٥٦١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَأَرَيۡنَٰكَهُمۡ فَلَعَرَفۡتَهُم بِسِيمَٰهُمۡۚ وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾	٣٠	١/ ١٣| ٢/ ٦٧٠، ٧٢٤
﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾	٣٠	١/ ٢١٥| ٢/ ٣٨٨
٤٨- الفتح		
﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾	١	٢/ ١٣٦، ٤١٣، ٥١٣
﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ٣﴾	١-٣	٢/ ١٣٦
﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ﴾	٢	٢/ ١٣٦
﴿وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ﴾	٥	٢/ ١٣٦
﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ...﴾	٦	١/ ٢٢٠، ٥٧٥| ٢/ ١٣٦، ١٥١، ٣٤٣
﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ﴾	٦	١/ ٢٢٠
﴿وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا﴾	٦	١/ ٢٢٠
﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ﴾	١٠	١/ ٤٧٢
﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ...﴾	١١	١/ ٢٨٨| ٢/ ٧٠٣، ٥٧٩
﴿شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ﴾	١١	٢/ ٥٨٠
﴿يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ﴾	١١	١/ ٢٨٨



الآية	رقمها	الصفحة
﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًاۢۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ...﴾	١١-١٢	٢/ ٥٥٥، ٥٠٧
﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾	١٢	١/ ٢٢٠
﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُۖ...﴾	١٥	١/ ٥٢٢| ٢/ ٧٨، ٧٩، ٦٤٩، ٦٩٩، ٥٥٥
﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْۖ﴾	١٥	٢/ ٧٨
﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ﴾	١٥	٢/ ٦٩٩
﴿بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾	١٥	٢/ ٧٩
﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًاۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	١٦	١/ ١٢٥| ٢/ ٦٤٩، ٥٠٥
﴿وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾	٢٠	٢/ ٧٧
﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ...﴾	٢٩	١/ ٥٥٢
﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ﴾	٢٩	١/ ٣٥٠، ٢٤٦

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ...﴾	١٣-١٤	٢/ ٤١٣
﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ...﴾	١٣-١٥	٢/ ٣٤٢
﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ﴾	١٤	١/ ٢٢٦| ٢/ ٥٦٧
﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾	١٤	٢/ ٥٦٧
﴿وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾	١٤	١/ ٢٢٦| ٢/ ٥٦٧
﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾	٢٤	٢/ ٥٨، ١٠٥
٥٨- المجادلة		
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾	٨	١/ ١٩٤
﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ﴾	٨	١/ ١٦٥
﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ...﴾	٨	١/ ١٦٥
﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾	٨	١/ ١٦٥

الآية	رقمها	الصفحة
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ...﴾	١٤	١/ ٥٠١، ٣١٩، ٣٣٧| ٢/ ٥٥٦
﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾	١٤	١/ ٣٢٠
﴿مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	١٤	١/ ٣٤٧
﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	١٤	٢/ ٥٧٨
﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾	١٦	١/ ١٥٢| ٢/ ٧٢٥
﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٦)﴾	١٦	٢/ ٧٣٠
﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٦) لَّن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا...﴾	١٦–١٧	٢/ ٣٤٣
﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾	١٧	٢/ ٣٤٦
﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾	١٨	١/ ٣١١
﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾	١٨	١/ ٣٠٩، ٥٨٢، ٥٨٣| ٢/ ٣٣٤
﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾	١٨	١/ ٥٨٣
﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾	١٨	١/ ٥٨٣
﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾	١٩	٢/ ٣٦٣
﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ...﴾	١٩	٢/ ٣٦٣
﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾	٢٢	١/ ٣١٤| ٢/ ٤٥

الآية	رقمها	الصفحة
٥٩- الحشر		
﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾	٥	٢/ ٥٢٧
﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾	٦	٢/ ٤٩
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾	١١	١/ ٦٢٩
﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾	١١	١/ ٣١٨، ٤٦٨، ٤٨٨، ٥٠٠، ١٢٢، ٣٣٦، ٦٢٨ ٢/ ٢٤٢، ٧٢٧، ٧١٤، ٦٧٦، ٥٦٤، ٥٠
﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾	١١	١/ ٦٢٨
﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾	١١	١/ ٦٣٠ | ٢/ ٦٧٧
﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾	١١	١/ ٦٢٩
﴿وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾	١١	١/ ٦٢٩
﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾	١١	١/ ٦٢٩ | ٢/ ٦٧٧
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾	١١-١٢	١/ ١١٣، ٥٨٣، ٣٠٦ | ٢/ ٢٩٩

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١١ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾	١١-١٢	١/ ٦٣٠
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخۡوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَئِنۡ أُخۡرِجۡتُمۡ لَنَخۡرُجَنَّ مَعَكُمۡ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمۡ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلۡتُمۡ لَنَنصُرَنَّكُمۡ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١١ لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ١٢ لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٌ لَّا يَفۡقَهُونَ ١٣ لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٌۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٌ لَّا يَعۡقِلُونَ ١٤ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَرِيبًاۖ ذَاقُواْ وَبَالَ أَمۡرِهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٥ كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾	١١-١٦	١/ ٥٤٤
﴿لَئِنۡ أُخۡرِجُواْ لَا يَخۡرُجُونَ مَعَهُمۡ وَلَئِن قُوتِلُواْ لَا يَنصُرُونَهُمۡ وَلَئِن نَّصَرُوهُمۡ لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾	١٢	١/ ٣١٩| ٢/ ٥٦٤، ٥٠
﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾	١٢	٢/ ٦٧٧
﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾	١٣	٢/ ٦٧٧
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٌ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾	١٣	٢/ ٦٧٧
﴿بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٌۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ﴾	١٤	١/ ٦٣١
﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ﴾	١٤	١/ ٥٥٣
﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ﴾	١٦	٢/ ٢٣٠

الآية	رقمها	الصفحة
﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	١٦	١/ ٥٤٥
٦٠- الممتحنة		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ ...﴾	١	٢/ ٦٤١، ٤٠٥
﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ...﴾	٤	١/ ٣٣١| ٢/ ٤٠٥
﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ ...﴾	٨-٩	٢/ ٤٠٩
٦١- الصف		
﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾	٨	١/ ٢١١| ٢/ ٣٩٧
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣﴾	١٠-١٣	٢/ ٦٨٨
٦٢- الجمعة		
﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٥	١/ ٣٥٣

الآية	رقمها	الصفحة
٦٣- المنافقون		
﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ﴾	١	١/ ١٤٨
﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾	١	١/ ١٤٨| ٢/ ٥٥٦، ٣٩
﴿قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ﴾	١	١/ ٥٤٦| ٢/ ٧٣٠
﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾	١	٢/ ٢٩٦
﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾	١	١/ ١٤٨، ٥٠٢، ٥٤٦| ٢/ ٧١٤
﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾	٢	٢/ ٥٧٢
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ﴾	٣	٢/ ٧١٤
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾	٣	١/ ٤٦٠
﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌۖ﴾	٤	١/ ٥٦٩، ٥٨١، ٦١٧| ٢/ ٥٩٠
﴿ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾	٤	١/ ٥٤٥
﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْۖ﴾	٤	٢/ ٥٩٠، ٧٣٠
﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌۖ﴾	٤	٢/ ٥٩١

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ﴾	٤	١/ ٥٥٠، ٥٧٠
﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ﴾	٤	١/ ٥٥٢
﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ﴾	٤	٢/ ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٦٨٦
﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾	٤	١/ ٩| ٢/ ٢٨٤
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ...﴾	٥	٢/ ٥٠٤
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوۡاْ رُءُوسَهُمۡ وَرَأَيۡتَهُمۡ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ﴾	٥	١/ ١٨٣، ٣٦١| ٢/ ٧٣٠
﴿تَعَالَوۡاْ يَسۡتَغۡفِرۡ لَكُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾	٥	١/ ١٨٣
﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ لَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾	٦	١/ ١٨٤، ٣٦٢
﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ﴾	٧	٢/ ٥٥٩
﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ...﴾	٧	١/ ٣٦٩، ٢٣٠| ٢/ ٥٥٩، ٧١٥، ٧١٨، ٧٣١، ٧٣١، ٧١٨
﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ﴾	٧	١/ ٣٥٧
﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ...﴾	٨	٢/ ٧٤٣
﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾	٨	١/ ٣٥٧

الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ...﴾	٩	٢/ ٣٦٢
٦٥- الطلاق		
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ﴾	٧	٢/ ٦٣٧
٦٦- التحريم		
﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾	١	٢/ ١٦٧
﴿تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾	١	٢/ ١٧٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾	٩	٢/ ٣٤٣
﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمۡرَأَتَ نُوحٖ وَٱمۡرَأَتَ لُوطٖۖ...﴾	١٠	١/ ٢٠٠، ٦٥٣، ٦٥٥
﴿كَانَتَا تَحۡتَ عَبۡدَيۡنِ مِنۡ عِبَادِنَا صَٰلِحَيۡنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾	١٠	٢/ ٤٨٢
٦٨- القلم		
﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ...﴾	٤٢-٤٣	٢/ ٣٤٢
٧٠- المعارج		
﴿يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ﴾	٤٣	٢/ ٣٣٣
٧٢- الجن		
﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا﴾	٣	١/ ٥٨٥
٧٤- المدثر		

الآية	رقمها	الصفحة
﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا﴾	١٦-١٧	١/ ٣٦٤
﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾	٣١	٢/ ٣٧٢
﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾	٣١	٢/ ٣٣١، ٣٧٠، ٤٩٢
٧٥- القيامة		
﴿يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾	١٠-١٢	٢/ ٣٣٥
٨٠- عبس		
﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾	٤٠-٤٢	٢/ ٣٣٣
٨٣- المطففين		
﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾	٤-٦	١/ ٦٣٩
٨٥- البروج		
﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾	٨-٩	١/ ٢٤٣
٨٧- الأعلى		
﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾	١	٢/ ٦٤٢
٩٨- البينة		
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾	٦	٢/ ٢٩٣



فهرس الأحاديث النبوية



فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس المصادر والمراجع

١- **الإبانة الكبرى**، المؤلف: أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ)، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، الناشر: دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، عدد الأجزاء: ٩.

٢- **أبجد العلوم**، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ).

٣- **ابن سبأ حقيقة لا خيال**، المؤلف: سعدي الهاشمي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ).

٤- **الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر**، المؤلف: د. محمد محمد حسين، بيروت، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة، سنة (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

٥- **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**، المؤلف: الإمام أحمد البصيري الناشر: دار الوطن – الرياض، الطبعة: الأولى (١٤٢٢هـ - ١٩٩٩م).

٦- **الإتقان في علوم القرآن**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: (١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م).

٧- **آثار باحثة البادية**، المؤلف: ملك حفني ناصف، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر (١٩٦٢م)، - ٣٦٤ من الصفحات.

٨- **أثر الأسفار المقدسة في انحراف اليهود**، موقع على الإنترنت .www. ebnmaryam com/holyasfar/three. htm-٢٣k

٩- **أثر الإمامة في الفقه الجعفري**، المؤلف: علي أحمد السالوس، الناشر: الدوحة، دار الثقافة، (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م).

١٠- **أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين**، المؤلف: يوسف إبراهيم الشيخ عيد، الناشر: دار المعالي- عمان، سنة النشر: (١٤١٩هـ – ١٩٩٨م)، عدد الأجزاء: ١، الطبعة الأولى.

١١- **أثر اليهود والنصارىٰ والمجوس في التشيع**، المؤلف: أبو علي المرتضىٰ بن سالم الهاشمي، الناشر: بدون، الطبعة الأولىٰ.

١٢- **الإجابات الجلية عن الشبهات الرافضية**، المؤلف: عبد الرحمن السحيم.

١٣- **الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة علىٰ الصحابة**، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (المتوفىٰ: ٧٩٤هـ)، تحقيق وتخريج: د. رفعت فوزي عبد المطلب، أستاذ الشريعة بجامعة القاهرة، الناشر: مكتبة الخانجي – القاهرة، الطبعة: الأولىٰ، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).

١٤- **اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غزو المعطلة والجهمية**، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولىٰ، سنة (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م).

١٥- **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها**، المؤلف: حبنكة الميداني، طبعة. دار القلم. بيروت. دمشق (١٣٩٥هـ).

١٦- **الإحاطة في أخبار غرناطة**، المؤلف: محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الغرناطي، الأندلسي، أبو عبد الله، الشهير بـ: لسان الدين ابن الخطيب (المتوفىٰ: ٧٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ، (١٤٢٤هـ).

١٧- **أحجار علىٰ رقعة الشطرنج**، المؤلف: وليم جاي كار، ترجمه: سعيد جزائرلي ـ وراجعه وحرره: م. بدوي، دار النفائس، الطبعة: ٩، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

١٨- **أحقاد وأطماع**، المؤلف: محمد الغزالي، الطبعة الثانية، الناشر: الدار السعودية للنشر، جدة، (١٣٨٩هـ).

١٩- **أحكام القرآن**، المؤلف: أبو بكر ابن العربي، تحقيق: محمد بن عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، سنة (١٤٢٤هـ).

٢٠- **أحكام القرآن**، المؤلف: أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر، دار إحياء التراث العربي - بيروت، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، سنة (١٤٠٥هـ).

٢١- **أحكام أهل الذمة**، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: رمادىٰ للنشر - دار ابن حزم - الدمام - بيروت، الطبعةالأولىٰ: (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)،

تحقيق: يوسف أحمد البكري - شاكر توفيق العاروري عدد الأجزاء: ٣.

٢٢- **الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام**، المؤلف: العلامة شهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس القرافي المالكي، تحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، طبعة مكتب المطبوعات الإسلامية حلب (١٤١٦هـ).

٢٣- **أحوال أهل السنة في إيران**، المؤلف: عبد الله الغريب، ولمزيد اطلاع فدونك بعض مواقع الإنترنت، كموقع البرهان، وشبكة الدفاع عن السنة وغيرهما.

٢٤- **أخبار القضاة**، المؤلف: أبو بكر محمد بن خلف بن حيان بن صدقة الضبي البغدادي الملقب بـ: «وكيع»، صحَّحه وعلق عليه وخرَّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى، بشارع محمد علي بمصر لصاحبها: مصطفى محمد، الطبعة الأولى، سنة (١٣٦٦هـ-١٩٤٧م).

٢٥- **أخبار المدينة = تاريخ المدينة**، المؤلف: عمر بن شبة، واسمه: زيد بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (المتوفى: ٢٦٢هـ)، حققه: فهيم محمد شلتوت، طبع على نفقة: السيد حبيب محمود أحمد – جدة، عام النشر: (١٣٩٩هـ).

٢٦- **اختيارات ابن تيمية وترجيحاته في التفسير.** من أول سورة المائدة إلى آخر سورة الإسراء جمعًا ودراسة، المؤلف: عبد العزيز المسند.

٢٧- **الأخلاق الإسلامية وأسسها**، المؤلف: عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الناشر: دمشق؛ بيروت، دار القلم، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

٢٨- **الآداب الشرعية والمنح المرعية**، المؤلف: شمس الدين أبي عبدالله بن محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي، الناشر: مؤسسة قرطبة – القاهرة.

٢٩- **أدونيس منتحلًا:** دراسة في الاستحواذ الأدبي وارتجالية الترجمة، المؤلف: كاظم جهاد، الناشر: القاهرة - مكتبة مدبولي، الطبعة: الثانية (١٩٩٣م).

٣٠- **الأذكار النووية**، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، طبعة جديدة منقحة، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

٣١- **الأربعين النووية**، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)،



عُنِيَ بِهِ: قصي محمد نورس الحلاق، أنور بن أبي بكر الشيخي، الناشر: دار المنهاج للنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، عدد الأجزاء: ١.

٣٢- **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، المؤلف: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ).

٣٣- **الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد والرد على أهل الشرك والإلحاد**، المؤلف: صالح بن فوزان الفوزان، دار ابن خزيمة -الرياض.

٣٤- **الإرشاد في معرفة علماء الحديث/ انتخاب أبي طاهر السلفي**، المؤلف: أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني (المتوفى: ٤٤٦هـ)، المحقق: د. محمد سعيد عمر إدريس، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة: الأولى، (١٤٠٩هـ)، عدد الأجزاء: ٣.

٣٥- **أسباب النزول = أسباب نزول القرآن**، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح - الدمام، الطبعة: الثانية، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).

٣٦- **الاستبصار**، المؤلف: أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: حسن الخرسان، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران، الطبعة الثانية - (١٣٩٠هـ).

٣٧- **الاستثمار الأجنبي المباشر في الدول الإسلامية في ضوء الاقتصاد الإسلامي**، المؤلف: محمد بن عبد العزيز بن عبد الله، الناشر: دار النفائس - الأردن، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م).

٣٨- **الاستقامة**، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ) عدد الأجزاء: ٢.

٣٩- **الاستهزاء بالدين أحكامه وآثاره**، المؤلف: أحمد بن محمد القرشي، الناشر: دار ابن الجوزي - الدمام،الطبعة الأولى، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

٤٠- **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي،

الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، عدد الأجزاء: ٤.

٤١- **أسد الغابة**، المؤلف: ابن الأثير، تحقيق: محمد بن إبراهيم البنا وآخرين، دار الفكر، بيروت مصورة من طبعة دار الشعب بالقاهرة.

٤٢- **الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة**، المؤلف: القارئ الملا علي بن سلطان بن محمد (ت ١١٠٤هـ)، تحقيق: محمد الصباغ، دار الأمانة، بيروت - مؤسسة الرسالة (١٣٩١ هـ - ١٩٧١م).

٤٣- **إسرائيل والتلمود دراسة تحليلية**، المؤلف: المؤلف: إبراهيم خليل أحمد، القاهرة، الناشر: دار المنار للنشر والطبع والتوزيع، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

٤٤- **أسس التقدم عند مفكري الإسلام**، المؤلف: فهمي جدعان، دار الشروق عمان، الطبعة الثالثة، سنة (١٩٨٨م).

٤٥- **الأسس القرآنية للتقدم**، المؤلف: محمد أحمد خلف، الناشر: مطبعة إخوان مورافتلي، الطبعة الأولى (١٩٨٤م).

٤٦- **إسعاف المبطأ برجال الموطأ**، المؤلف: عبدالرحمن ابن أبي بكر أبو الفضل السيوطي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر، (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م).

٤٧- **الإسلام والحداثة**، المؤلف: عبد المجيد الشرفي، الناشر: تونس، دار الجنوب للنشر (١٩٩٨م).

٤٨- **الإسلام والسلطة الدينية**، المؤلف: محمد عمارة، طبعة: دار الشروق، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م).

٤٩- **الإسلام وقضايا العصر**، المؤلف: محمد عمارة، طبعة: دار الوحدة ـ بيروت - لبنان، الطبعة الأولى (١٩٨٠م).

٥٠- **الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة**، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: د. عز الدين علي السيد، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة، مصر.

٥١- **الإصابة في تمييز الصحابة**، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي - تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى.

٥٢- **إصلاح غلط المحدثين**، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي

المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، المحقق: د/ حاتم الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثانية، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، عدد الأجزاء: ١.

٥٣- **أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية**، المؤلف: سفر الحوالي، طبعة: دار طيبة الخضراء (١٤٢٩هـ).

٥٤- **أصول الكافي**، المؤلف: ثقة الاسلام الكليني الناشر: دار المرتضى للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت لبنان، الطبعة: الأولى (٢٠٠٥م).

٥٥- **أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية**، المؤلف: الدكتور: ناصر القفاري. لم يذكر اسم الدار ولا البلد - الطبعة الأولى (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

٥٦- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، المؤلف: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

٥٧- **أضواء على اليهودية من خلال مصادرها**، المؤلف: د. محمد أحمد دياب عبد الحافظ، ط دار المنار (١٤٠٦هـ -١٩٨٥م).

٥٨- **اعتبار المآلات ومراعاة نتائج التصرفات**، المؤلف: د. عبد الرحمن بن معمر السنوسي، رسالة جامعية، الناشر: دار ابن الجوزي - الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ).

٥٩- **الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار**، المؤلف: أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، زين الدين (المتوفى: ٥٨٤هـ).

٦٠- **الاعتصام**، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن عفان، السعودية، الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، عدد الأجزاء: ١.

٦١- **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**، المؤلف: ابن الخطيب فخر الدين بن محمد الرازي، راجعه: علي سامي النشار، نشر مكتبة: النهضة المصرية، وطبع في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بتاريخ: (١٣٥٦هـ - ١٩٣٨م).

٦٢- **إعلام الموقعين عن رب العالمين**، المؤلف: ابن قيم الجوزية، تحقيق: أبي عبيدة مشهور حسن آل سلمان، شاركه في التخريج: أبو عمر أحمد عبد الله أحمد، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، رجب (١٤٢٣هـ).

٦٣- **أعلام وأقزام**، المؤلف: الشيخ السيد العفاني (ص٩) وما بعدها.

٦٤- **الأعلام**، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر، (أيار، مايو ٢٠٠٢م).

٦٥- **الأعمال الشعرية الكاملة**، المؤلف: نزار قباني، الناشر: بدون تاريخ النشر: (١٩٩٩م) الطبعة الأولى، ٤ أجزاء.

٦٦- **الأعمال الشعرية**، المؤلف: أدونيس، الناشر: دار العودة، بيروت، الطبعة الثالثة، (١٩٨٧م).

٦٧- **إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان**، المؤلف: محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم الجوزية - تحقيق محمد عفيفي، المكتب الإسلامي-بيروت، ومكتبة الخاني- الرياض، الطبعة الثانية، بتاريخ (١٤٠٩هـ - ١٩٩٢م).

٦٨- **أغلوٌ في بعض القرابة وجفاء في الأنبياء والصحابة**، المؤلف: عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، الناشر: دار المغني، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م).

٦٩- **الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام**، المؤلف: عبد الله التل، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية.

٧٠- **إقامة الدليل على إبطال التحليل = بيان الدليل على بطلان التحليل**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: المكتب الاسلامي، الطبعة: الأولى، تاريخ الطبعة: (١٩٩٨م)، عدد الأجزاء: ١.

٧١- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م).

٧٢- **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء**، المؤلف: أبو الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميري الكلاعي البلنسي الأندلسي المالكي المعروف: بابن سالم (المتوفى: ٦٣٤هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٢٠هـ)، عدد الأجزاء: ٢.

٧٣- **الإكليل في استنباط التنزيل**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، عدد الأجزاء: ١.

٧٤- **إكمال الأعلام بتثليث الكلام**، المؤلف: محمد بن عبد الله الطائي الجياني، تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي رحمه الله، الناشر: جامعة أم القرى (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، مكة المكرمة - عدد الأجزاء٢.

٧٥- **إكمال الإكمال**، المؤلف: محمد بن عبد الغني بن أبي بكر بن شجاع، أبو بكر، معين الدين، ابن نقطة الحنبلي البغدادي (المتوفى: ٦٢٩هـ)، المحقق: د. عبد القيوم عبد ربِّ النبي، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، (١٤١٠هـ).

٧٦- **الإكمال في ذكر من له رواية في مسند الإمام أحمد من الرجال سوى من ذكر في تهذيب الكمال**، المؤلف: شمس الدين أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسن بن حمزة الحسيني الدمشقي الشافعي (المتوفى: ٧٦٥هـ)، حققه ووثقه: د. عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: منشورات جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي - باكستان، عدد الأجزاء: ١.

٧٧- **الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب**، المؤلف: سعد الملك، أبو نصر علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا (المتوفى: ٤٧٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.

٧٨- **إمتاع الأسماع بما للرسول في الأبناء والأموال والحفدة والمتاع**، المؤلف: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، صححه وشرحه: محمود محمد شاكر، مطبعة لجنة التأليف للترجمة والنشر-القاهرة، طبع سنة (١٩٤١).

٧٩- **الأمثال في القرآن الكريم/ أنواعها، موضوعاتها، أسلوبها**، المؤلف: د. حمد بن عبد الله المنصور.

٨٠- **الإملاء المختصر في شرح غريب السير**، المؤلف: مصعب بن محمد أبي بكر بن مسعود الخشني الجياني الأندلسي، أبو ذر، ويعرف كأبيه، بابن أبي الركب (المتوفى: ٦٠٤هـ)، استخرجه وصححه: بولس برونله، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

٨١- **الأموال**، المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلَّام بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، المحقق: خليل محمد هراس، الناشر: دار الفكر – بيروت، عدد الأجزاء: ١.

٨٢- **إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ**، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، سنة (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).

٨٣- **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، المؤلف: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية -بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٢م)، عدد الأجزاء: ٤.

٨٤- **الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار**، المؤلف: يحيى العمراني، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، الناشر: أضواء السلف، (١٩٩٩م) الرياض.

٨٥- **الانتصار للصحب ولآل من افتراءات السماوي الضال**، المؤلف: إبراهيم بن عامر بن عليّ الرّحيلي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، عدد الأجزاء: ١.

٨٦- **الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرهم دراسة نقدية شرعية**، دكتوراه للأستاذ الدكتور: سعيد الغامدي، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولي، سنة (١٤٢٤هـ)-٢٠٠٣).

٨٧- **أنساب الأشراف**، المؤلف: أحمد بن يحي البلاذري - تحقيق: محمد بن حميد الله، دار المعارف، سنة (١٣٧٩هـ - ١٩٨٧م).

٨٨- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ).

٨٩- **أنوار القرآن**، المؤلف: مصطفى الحمصي، الناشر: مكتبة الغزالي، دمشق الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ)، (ص ٨٩ - ٩٢) ورتل القرآن ترتيلًا، د. أنس بن أحمد كرزون، الناشر: مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر، الطبعة الثانية (١٤٠٨هـ).

٩٠- **الأنوار النعمانية**، المؤلف: نعمة الله الموسوي الجزائري، مطبعة: شركة جاب تبريز- إيران.

٩١- **إيران والإمبراطورية الشيعية الموعودة**، المؤلف: لبيب بن سعيد المنور.

٩٢- **أيسر التفاسير**، المؤلف: أبو بكر الجزائري.

٩٣- **الإيمان الأوسط**، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني أبو العباس تقي الدين، المحقق: محمود أبو سن أبو يحيى، الناشر: دار طيبة، (١٤٢٤هـ)،

عدد المجلدات: ١، الطبعة: الأولى.

٩٤- **الإيمان**، المؤلف: ابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الرابعة (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م).

٩٥- **الباعث على إنكار البدع**، المؤلف: عبد الرحمن بن إسماعيل أبو شامة، الناشر: دار الهدى – القاهرة، الطبعة الأولى، (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) تحقيق: عثمان أحمد عنب.

٩٦- **بحث الشيخ فهد بن صالح العجلان**، المؤلف: المحاضر بجامعة الملك سعود بالرياض نشر في مجلة العصر، وهو موجود على الشبكة.

٩٧- **بحر العلوم**، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي - تحقيق: د. محمود مطرجي، دار النشر: دار الفكر – بيروت - عدد الأجزاء: ٣.

٩٨- **البحر المحيط**، المؤلف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

٩٩- **البحر المديد**، المؤلف: أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس، الطبعة الثانية، سنة (١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م).

١٠٠- **البدء والتاريخ**، المؤلف: المطهر بن طاهر المقدسي (المتوفى: نحو (٣٥٥هـ)، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، عدد الأجزاء: ٦.

١٠١- **بداية المجتهد و نهاية المقتصد**، المؤلف: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ)، الناشر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة: الرابعة، (١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م).

١٠٢- **البداية والنهاية**، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، دققه جمعٌ من العلماء، الناشر: دار الريان للتراث (١٤٠٨هـ- ١٩٩٩م)، عدد المجلدات: ٨.

١٠٣- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: محمد بن محمد زبارة، دار المعرفة - بيروت.

١٠٤- **بذل المجهود في إفحام اليهود = إفحام اليهود**، المؤلف: السموأل بن يحيى بن عباس



المغربي (المتوفى: نحو ٥٧٠هـ)، الناشر: دار القلم - دمشق، الدار الشامية - بيروت، قدم له وخرج نصوصه وعلق عليه: عبد الوهاب طويلة، الطبعة الأولى، (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م)، عدد الأجزاء: ١.

١٠٥-**بذل المجهود في مشابهة الرافضة لليهود**، المؤلف الشيخ: عبد الله الجميلي، المدينة النبوية - مكتبة الغرباء الأثرية - الطبعة الثانية (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م).

١٠٦-**براءة الصحابة من النفاق**، المؤلف: منذر الأسعد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م).

١٠٧-**البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان**، المؤلف: عباس بن منصور السكسي، تحقيق: خليل بن أحمد بن إبراهيم الحاج، دار التراث العربي الطبعة الأولى (١٩٨٠م).

١٠٨-**بروتوكولات حكماء صهيون**، ترجمة: محمد خليفة التونسي -الطبعة الرابعة، أول ترجمة عربية.

١٠٩-**بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية**، المؤلف: محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمي الحنفي (المتوفى: ١١٥٦هـ).

١١٠-**بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد صلى الله عليه وسلم**، المؤلف: أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار، الناشر: من منشورات الأعلمي - طهران، طبعة: (١٣٦٢هـ).

١١١-**بطانة السوء ودورها في فساد الحاكم**، المؤلف: د. عادل عامر (مقال على الشبكة).

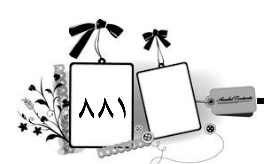
١١٢-**البطانـــــة والمـــلأ**، الكاتب أسرة البلاغ (مقال على الشبكة).

١١٣-**بعض أنواع الشرك الأصغر**، المؤلف: د. عواد بن عبد الله المعتق، رسالة جامعية - مكتبة الرشد - الرياض، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٠هـ)-١٩٩٩م).

١١٤-**بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية**، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: د. موسى سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ) (١/ ٣٤١).

١١٥-**بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر المكتبة العصرية - لبنان - صيدا.

١١٦-**بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، تهذيب لكتاب شعب الإيمان للبيهقي**، المؤلف هذَّبه: محمد خلف سلامة.



١١٧-**البهائية: نقد وتحليل**،المؤلف: إحسان إلهي ظهير، الناشر: لاهور، إدارة ترجمان السنة (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، الطبعة السابعة.

١١٨-**البيان والتبيين**، المؤلف: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة - الطبعة الأولى (١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م).

١١٩-**البيوع والمعاملات المالية**، المؤلف: د. محمد يوسف موسى، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، مصر، (١٣٧٣هـ-١٩٥٤م).

١٢٠-**تاج التراجم لابن قطلوبغا**، المؤلف: أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني) الجمالي الحنفي (المتوفى: ٨٧٩هـ)، المحقق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار القلم –دمشق، الطبعة الأولى، (١٤١٣هـ).

١٢١-**تاج العروس من جواهر القاموس**، المؤلف: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو لفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

١٢٢-**التاريخ = تاريخ خليفة بن خياط**، المؤلف: العصفري خليفة بن خياط (٢٤٠هـ)، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، نشر: دار القلم - دمشق، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م).

١٢٣-**تاريخ ابن خلدون = ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، المحقق: خليل شحادة، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، عدد الأجزاء: ١.

١٢٤-**تاريخ ابن معين (رواية الدوري)**، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء، البغدادي (المتوفى: ٢٣٣هـ)، المحقق: د. أحمد محمد نور سيف، الناشر: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، عدد الأجزاء: ٤.

١٢٥-**تاريخ ابن معين = معرفة الرجال عن يحيى بن معين** رواية أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز، وفيه عن علي بن المديني، وأبي بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبد الله بن نمير

وغيرهم، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء، البغدادي (المتوفى: ٢٣٣هـ)، المحقق: الجزء الأول: محمد كامل القصار، الناشر: مجمع اللغة العربية - دمشق، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)، عدد الأجزاء: ٢.

١٢٦-**تاريخ ابن معين رواية عثمان الدارمي**، المؤلف: أبو زكريا يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن المري بالولاء، البغدادي (المتوفى: ٢٣٣هـ)، المحقق: د. أحمد محمد نور سيف، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، عدد الأجزاء: ١.

١٢٧-**تاريخ أصبهان = أخبار أصبهان**، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، المحقق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، عدد الأجزاء: ٢.

١٢٨-**تاريخ الأدب العربي**، المؤلف: كارل بروكلمان، نقله إلى العربية: د. عبد الحليم النجار، طبعة: دار المعارف، الطبعة الخامسة.

١٢٩-**تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ).

١٣٠-**تاريخ الإسلام: السياسي الديني الثقافي الاجتماعي**، المؤلف: د. حسن إبراهيم حسن، الطبعة: ١٥، مجلدات: ٤، الناشر: دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، تاريخ النشر: (٠١/ ١٠/ ٢٠٠١م).

١٣١-**التاريخ الإسلامي مواقف وعبر**، المؤلف: د. عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، الناشر: دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

١٣٢-**تاريخ الإمام محمد عبده**، المؤلف الشيخ: محمد رشيد رضا، دار الفضيلة، الطبعة الثانية (مصورة)، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م).

١٣٣-**التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية**، المؤلف: محمد بن محمد الأثير الجزري، المحقق المترجم: عبد القادر أحمد طليمات، الناشر: دار الكتب الحديثة - القاهرة – تاريخ النشر: (١٩٦٣م).

١٣٤-**تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**، المؤلف: حسين بن محمد الديار بكري، الناشر:

مؤسسة شعبان – بيروت، (١٢٨٣هـ - ١٨٦٢م).

١٣٥- **تاريخ الشعر العربي الحديث**، المؤلف: أحمد بن قبش، الناشر: دار الجبل - بيروت – (١٤٠٠هـ - ١٩٨٤م).

١٣٦- **التاريخ الصغير**، المؤلف: البخاري، تحقيق محمود بن إبراهيم بن زايد، فهرس أحاديثه يوسف المرعشي دار المعرفة بيروت - لبنان.

١٣٧- **تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري**، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، الناشر: دار التراث – بيروت، الطبعة الثانية (١٣٨٧هـ)، عدد الأجزاء: ١١.

١٣٨- **التاريخ الكبير**، المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري، دراسة: عادل بن عبد الشكور الزرقي، دار طويق- الرياض، سنة (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

١٣٩- **تاريخ المذاهب الإسلامية**، المؤلف: محمد أبو زهرة، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميزت.

١٤٠- **تاريخ المساجد الشهيرة**، المؤلف: عبد الله سالم نجيب.

١٤١- **تاريخ بغداد = تاريخ مدينة السلام وأخبار مُحَدِّثيها وذكر قُطَّانِها العلماء من غير أهلها ووارديها**، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق الدكتور: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، عدد الأجزاء: ١٦.

١٤٢- **تاريخ جرجان**، المؤلف: أبو القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمي القرشي الجرجاني (المتوفى: ٤٢٧هـ)، المحقق: تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة الرابعة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، عدد الأجزاء: ١.

١٤٣- **تاريخ دمشق**، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، عدد الأجزاء: ٨٠ (٧٤ و ٦ مجلدات فهارس).

١٤٤- **تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار**، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، الناشر: دار الجيل – بيروت – عدد الأجزاء: ٣.

١٤٥-**تأملات في قصة الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك**، المؤلف: زيد عبد الكريم الزيد.

١٤٦-**تأويل مختلف الحديث**، تأليف: ابن قتيبة أبو محمد بن عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، صححه وضبطه: محمد زهري النجار.

١٤٧-**تأويل مشكل القرآن**، المؤلف: الإمام أبو محمد عبد اللهَّ بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المتوفى سنة (٢٧٦هـ)، شرحه ونشره: السيد أحمد صقر، غير محدد الطبعة أو تاريخها، المكتبة العلمية بيروت.

١٤٨-**التبشير والاستشراق**، المؤلف: محمد عزت الطهطاوي، الطبعة الأولى الزهراء للإعلام العربي (١٤١١هـ).

١٤٩-**التبشير والاستعمار في البلاد العربية**، المؤلف: مصطفى الخالدي وعمر فروخ، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، (١٩٨٣م).

١٥٠-**التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين**، المؤلف: تأليف: الإسفرايني أبي المظفر شاهفور بن طاهر بن محمد (ت ٤٧١)، علق على حواشيه: محمد بن زاهد الحسن الكوثري، الناشر: مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد عام (١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م).

١٥١-**تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري**، المؤلف: الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر الدمشقي، دار الكتاب العربي - بيروت، طبعة مصورة (١٣٩٧هـ- ١٣٩٩هـ).

١٥٢-**تثبيت دلائل النبوة**، المؤلف: عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، حققه: عبد الكريم بن عثمان، الناشر: دار العربية – بيروت.

١٥٣-**تجربتي الشعرية**، المؤلف: عبد المهاب البياتي، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، الطبعة: ٧ (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).

١٥٤-**تحاسد العلماء**، المؤلف: عبد المهاب البياتي، الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت، الطبعة: ٧ (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م).

١٥٥-**تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد**، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الرابعة، عدد الأجزاء: ١.

١٥٦-**تحرير الوسيلة**، المؤلف: الخميني، الناشر: سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية

بدمشق، الطبعة الأولى (١٩٩٨م).

١٥٧-**التحرير والتنوير**، المؤلف: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - (١٩٩٧م)، عدد الأجزاء: ٣٠.

١٥٨-**تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، المؤلف: المباركفوري، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

١٥٩-**تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الإمام الطبري والمحدثين**، المؤلف الدكتور: محمد أمحزون، الناشر: دار السلام، سنة النشر: (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ٢.

١٦٠-**تحكيم القوانين**، المؤلف الشيخ العلامة: محمد بن إبراهيم آل الشيخ، مفتي الديار السعودية سابقًا.

١٦١-**تخريج أحاديث إحياء علوم الدين**، المؤلفون: العِراقي (٧٢٥ - ٨٠٦هـ)، ابن السبكي (٧٢٧ - ٧٧١هـ)، الزبيدي (١١٤٥ - ١٢٠٥هـ)، استِخرَاج: أَبي عبد اللَّه مَحْمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد (١٣٧٤ هـ -؟)، الناشر: دار العاصمة للنشر - الرياض، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)، عدد الأجزاء: ٧ (٦ ومجلد للفهارس).

١٦٢-**تخريج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن، لسيد قطب رحمه الله**، المؤلف: علوي بن عبد القادر السَّقَّاف، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)، عدد الأجزاء: ١.

١٦٣-**تذكرة الحفّاظ**، المؤلف: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م).

١٦٤-**تذكرة الموضوعات**، المؤلف: محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي (المتوفى: ٩٨٦هـ)، الناشر: إدارة الطباعة المنيرية، الطبعة الأولى، (١٣٤٣هـ)، عدد الأجزاء: ١.

١٦٥-**التربية القيادية**، المؤلف: منير الغضبان، دار الوفاء، المنصورة، مصر (١٤١٨هـ-١٩٩٨م).

١٦٦-**ترتيب أحاديث صحيح الجامع الصغير وزيادته**، المؤلف: عوني نعيم الشريف - علي حسن علي عبد الحميد، الناشر: مكتبة المعارف-الرياض، سنة النشر: (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

١٦٧-**الترهيب في الدعوة في القرآن والسنة أنواعه**، المؤلف: - مجالاته - تأثيره، المؤلف: د. رقية

بنت نصر الله بن محمد نياز، الناشر: دار إشبيليا الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م).

١٦٨-**التساهل مع غير المسلمين مظاهره وآثاره**، المؤلف: عبد الله بن إبراهيم بن علي الطريقي، الناشر: دار الوطن للنشر.

١٦٩-**تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك**، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي، الناشر: دار النهضة العربية - بيروت، سنة النشر: (١٩٨١م)، عدد الأجزاء: ١.

١٧٠-**التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه**، المؤلف: يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: ٢٠٠هـ)، قدمت له وحققته: هند شلبي الناشر: الشركة التونسية للتوزيع عام النشر: (١٩٧٩م).

١٧١-**تصنيف الناس بين الظن واليقين**، المؤلف الشيخ: بكر أبو زيد، الناشر: دار العاصمة، رقم الطبعة: ١، تاريخ الطبعة: (١٤١٤هـ).

١٧٢-**تطور النهضة النسائية في مصر من عهد محمد بن علي إلى عهد فاروق**، المؤلف: إبراهيم بن عبده و درية شفيق، الناشر: مكتبة الآداب -القاهرة (١٣٦٥هـ- ١٩٤٥م).

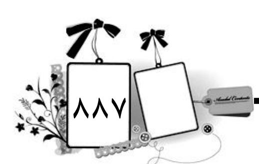
١٧٣-**التعامل مع المنافقين دراسة موضوعية قرآنية**، المؤلف: د. محمد المسند. بحث نشر في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية العدد (٨).

١٧٤-**التعامل مع غير المسلمين أصول معاملتهم واستعمالهم دراسة فقهية**، المؤلف: أ. د. عبد الله بن إبراهيم الطريقي، دار الفضيلة - الرياض، ودار الهدي النبوي مصر، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م).

١٧٥-**التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم داخل دولة واحدة**، المؤلف: سو رحمن هدايات، (ص٢٢٢)، دار السلام، القاهرة الطبعة الأولى (١٤٢١هـ).

١٧٦-**تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة**، المؤلف: ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، مطبعة مجلس إدارة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن (١٣٢٤هـ).

١٧٧-**تعريف الملأ في الفكر الإسلامي**، المؤلف: مقالتين للشيخ عثمان جمعة ضميرية في **مجلة البيان** في العددين (٤ - ٥).



١٧٨- **التعريفات**، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦)، الناشر: المطبعة الوهبية بمصر عام (١٢٨٣هـ).

١٧٩- **تعظيم قدر الصلاة**، المؤلف: محمد بن نصر بن الحجاج المروزي أبو عبد الله، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: مكتبة الدار - المدينة المنورة، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ)، عدد الأجزاء: ٢.

١٨٠- **التعليق على السياسة الشرعية**، المؤلف: ابن عثيمين رحمه الله تعالى.

١٨١- **تغليق التعليق على صحيح البخاري**، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: سعيد عبد الرحمن موسى القزقي، الناشر: المكتب الإسلامي، دار عمار - بيروت، عمان - الأردن، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ)، عدد الأجزاء: ٥.

١٨٢- **تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم**، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، عدد الأجزاء: ٨.

١٨٣- **تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، المؤلف: محمد بن محمد العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي - بيروت، عدد الأجزاء: ٩.

١٨٤- **تفسير البحر المحيط**، المؤلف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ: علي محمد معوض، دار الكتب العلمية - لبنان - بيروت (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).

١٨٥- **تفسير البيضاوي**، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى - (١٤١٨هـ).

١٨٦- **تفسير الثعلبي = تفسير الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد الثعالبي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت.

١٨٧- **تفسير الخازن المسمى: لباب التأويل في معاني التنزيل**، المؤلف: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير: بالخازن، دار الفكر - بيروت - لبنان، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

١٨٨- **تفسير السراج المنير**، المؤلف: محمد بن أحمد الشربيني، شمس الدين، دار الكتب العلمية -بيروت.

١٨٩- **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ).

١٩٠- **تفسير العياشي**، المؤلف: محمد بن مسعود العياشي - حققه: هاشم المحلاتي.

١٩١- **تفسير القاسمي = محاسن التأويل**، المؤلف: محمد بن محمد سعيد بن قاسم، القاسمي، المؤلف المشارك: محمد فؤاد عبد الباقي؛ محقق، المؤلف المشارك: هشام سمير البخاري؛ مصحح، الناشر: بيروت، دار إحياء التراث العربي، (١٤١٥هـ -٩٤-١٩٩٥).

١٩٢- **تفسير القرآن**، المؤلف: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، سنة الولادة: (٤٢٦هـ)، سنة الوفاة: (٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن - الرياض، سنة النشر: (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

١٩٣- **تفسير القمي**، المؤلف: علي بن إبراهيم القمي، تصحيح وتعليق: طيب الموسوي الجزائري، الطبعة الحجرية، الطبعة الثالثة - بيروت.

١٩٤- **تفسير القمي**، المؤلف: علي بن إبراهيم القمي، تصحيح وتعليق: طيب الموسوي الجزائري، الطبعة الثانية - بيروت (١٣٨٧هـ)، شارك في التحقيق: د. زكريا عبد المجيد النوقي، د. أحمد النجولي الجمل.

١٩٥- **تفسير الكشف والبيان**، المؤلف: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان - (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، الطبعة الأولى، عدد الأجزاء: ١٠، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي.

١٩٦- **تفسير المراغي**، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، (١٣٦٥هـ - ١٩٤٦م).

١٩٧- **تفسير المنار = تفسير القرآن الحكيم**، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: (١٩٩٠م)، عدد الأجزاء: ١٢ جزءًا.



١٩٨-**تفسير النكت والعيون**، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، عدد الأجزاء: ٦.

١٩٩-**تفسير الهرري**، المؤلف: الإباضي.

٢٠٠-**تفسير سورة النور**، المؤلف: شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: عبد العلي بن عبد الحميد بن حامد، طبعته: الدار السلفية - بومباي - الهند، الطبعة الأولى - (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م).

٢٠١-**تفسير عبد الرزاق**، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٩هـ)، عدد الأجزاء: ٣.

٢٠٢-**تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم**، (ص٣٢٧)، المؤلف: محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر (المتوفى: ٤٨٨هـ).

٢٠٣-**تفسير فرات الكوفي**، المؤلف: فرات بن إبراهيم الكوفي، الناشر: المطبعة الحيدرية - النجف - ونشره: مكتبة الداوردي - قم - إيران.

٢٠٤-**تفسير مجاهد بن جبر**، المؤلف: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة الأولى، (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م)، عدد الأجزاء: ١.

٢٠٥-**تفسير مقاتل بن سليمان**، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (المتوفى: ١٥٠هـ)، المحقق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ).

٢٠٦-**تقريب التهذيب**، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار الرشيد – سوريا، الطبعة الأولى، (١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م)، عدد الأجزاء: ١.

٢٠٧-**تقرير الفجوة**، المؤلف: الصادر عن برنامج الأمم المتحدة للإيدز لعام (٢٠١٤م).

٢٠٨-**تكملَة مُعجم المُؤلفين، وَفيات (١٣٩٧ - ١٤١٥هـ) = (١٩٧٧ - ١٩٩٥م)**، المؤلف:

محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، عدد الأجزاء: ١.

٢٠٩- **التكميل في الجرح والتعديل ومعرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل**، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، دراسة وتحقيق: د. شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، الناشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، اليمن، الطبعة الأولى، (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).

٢١٠- **التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ). (١٩٨٩م)، عدد الأجزاء: ٤.

٢١١- **تلخيص المتشابه في الرسم**، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سُكينة الشهابي، الناشر: طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة الأولى، (١٩٨٥م).

٢١٢- **التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة**، المؤلف: الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب (٤٠٣)، تعليق: محمود بن محمد الخضيري، محمد بن عبد الهادي أبو ريدة، الناشر: دار الفكر العربي، مطبعة: لجنة التأليف والترجمة والنشر (١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م).

٢١٣- **التمهيد والبيان في مقتل الشهيد عثمان**، المؤلف: محمد بن يحي بن أبي بكر الأشعري المالقي، تحقيق: د. محمد يوسف زايد، نشر: دار الثقافة - بيروت، الطبعة الأولى (١٩٦٤م).

٢١٤- **التمويل الأجنبي وموقف الإسلام منه**، المؤلف: رسالة دكتوراه للباحث د. أحمد بن سعد الخطابي الحربي، الناشر: دار الهدي النبوي - مصر، ودار الفضيلة - السعودية - الطبعة الأولى.

٢١٥- **تنبيه الغافلين**، المؤلف: نصر بن محمد السمرقندي، تحقيق: عبدالعزيز الوكيل، الناشر: دار الشروق الطبعة الثالثة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م).

٢١٦- **التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع**، تأليف: أبي الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملطي الشافعي (ت ٣٧٧) هـ، تقديم وتعليق: محمد بن زاهد الكوثري، الناشر: مكتبة المثنى ببغداد ومكتبة المعارف ببيروت - طبع عام (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م).

٢١٧- **تنقيح المقال في أحوال الرجال**، المؤلف: عبد الله بن محمد المامقاني، الناشر: المطبعة



المرتوضية - النجف (١٣٤٨هـ).

٢١٨-**تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، المؤلف: عبد الله بن عباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه. دار الجيل- بيروت.

٢١٩-**تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار**، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، الناشر: مطبعة المدني – القاهرة.

٢٢٠-**تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد**، المؤلف: شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي، ضبطه وصححه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد جعفر شمس الدين الناشر: دار التعارف للمطبوعات - بيروت -لبنان، الطبعة الأولى (١٩٩٢م).

٢٢١-**تهذيب الأسماء واللغات**، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، يطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، عدد الأجزاء: ٤.

٢٢٢-**تهذيب التهذيب**، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، (١٣٢٦هـ)، عدد الأجزاء: ١٢.

٢٢٣-**تهذيب السيرة = السيرة النبوية**، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ).

٢٢٤-**تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، المؤلف: يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٠هـ– ١٩٨٠م).

٢٢٥-**تهذيب اللغة**، المؤلف: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، حققه: د. عبد الحليم النجار - وراجعه: الأستاذ محمد بن علي النجار، الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة، بدون رقم طبع أو سنة نشر.

٢٢٦-**التوبيخ والتنبيه**، المؤلف: عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، وُلد (٢٧٤هـ)، وتوفي (٣٦٩هـ)، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، الناشر: مكتبة الفرقان - القاهرة، عدد

الأجزاء: ١.

٢٢٧-**التوحيد**، المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة، (١٤٢٣هـ)، عدد الصفحات: ١٧٣، عدد الأجزاء: ١.

٢٢٨-**توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم**، المؤلف: محمد بن عبد الله (أبو بكر) بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بابن ناصر الدين (المتوفى: ٨٤٢هـ)، المحقق: محمد نعيم العرقسوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٩٣م)، عدد الأجزاء: ١٠.

٢٢٩-**التوضيح لشرح الجامع الصحيح**، المؤلف: ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الشافعي المصري (المتوفى: ٨٠٤هـ)، المحقق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: دار النوادر، دمشق – سوريا، الطبعة: الأولى، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)، عدد الأجزاء: ٣٦.

٢٣٠- **التوقيف على مهمات التعاريف**، المؤلف: محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي، المناوي، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب القاهرة، سنة (١٤١٠هـ- ١٩٩٠م).

٢٣١-**تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد**، المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، الناشر: مكتبة الرياض الحديثة – الرياض، عدد الأجزاء: ١.

٢٣٢-**تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).

٢٣٣-**التيسير في أحاديث التفسير**، المؤلف: محمد المكي الناصري (المتوفى: ١٤١٤هـ)، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، عدد الأجزاء: ٦.

٢٣٤-**الثابت والمتحول: الأصول - تأصيل الأصول - صدمة الحداثة**، المؤلف: أدونيس، الناشر: بيروت، دار العودة، (١٩٨٢م)، الطبعة الثالثة.

٢٣٥- **الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة**، المؤلف: أبو الفداء زين الدين قاسم بن قُطْلُوْبَغَا السُّوْدُوْنِي

(نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني) الجمالي الحنفي (المتوفى: ٨٧٩هـ)، دراسة وتحقيق: شادي بن محمد بن سالم آل نعمان، الناشر: مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة صنعاء، اليمن، الطبعة الأولى، (١٤٣٢هـ - ٢٠١١م).

٢٣٦-**الثقات**، المؤلف: أبو حاتم محمد بن حبان البستي، الناشر: دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولى (١٣٩٥هـ).

٢٣٧-**ثواب الأعمال وعقاب الأعمال**، المؤلف: الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الناشر: دار طليعة نور، الطبعة الخامسة، عدد الصفحات: ٣٦٨.

٢٣٨-**جامع الأصول في أحاديث الرسول**، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى.

٢٣٩-**جامع التحصيل في أحكام المراسيل**، المؤلف: صلاح الدين أبو سعيد خليل بن كيكلدي بن عبد الله الدمشقي العلائي (المتوفى: ٧٦١هـ)، المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: عالم الكتب -بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٧هـ -١٩٨٦م)، عدد الأجزاء: ١.

٢٤٠-**الجامع الصحيح = سنن الترمذي**، المؤلف: محمد بن عيسى، أبو عيسى، الترمذي السلمي، (ت: ٢٧٩هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، عدد الأجزاء: ٥.

٢٤١-**جامع العلوم والحكم**، المؤلف: أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٨هـ).

٢٤٢-**الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي الفرقان = تفسير القرطبي**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الثانية، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).

٢٤٣-**جذور البلاء**، المؤلف: عبد الله التلّ، الناشر: المكتب الإسلامي (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م).

٢٤٤-**جرائم الرافضة عبر الأزمنة والعصور**، المؤلف: (قرص) (فلم وثائقي).

٢٤٥-**جرائم الرافضة في المدينة النبوية**، المؤلف: (قرص) (عبد الله السلفي).

٢٤٦-**الجرح والتعديل**، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، الناشر: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بحيدر آباد الدكن – الهند، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، (١٢٧١هـ - ١٩٥٢م).

٢٤٧-**الجزاء من جنس العمل**، المؤلف: السيد العفاني، الناشر: مكتبة ابن تيمية القاهرة، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ).

٢٤٨-**الجمل = النصرة في حروب البصرة**، المؤلف: الشيخ المفيد الطبعة الثانية، المطبعة الحيدرية، النجف.

٢٤٩-**جمهرة اللغة**، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري، المعروف: بابن دريد، مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، سنة (١٣٤٥هـ).

٢٥٠-**جمهرة أنساب العرب**، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣هـ)، عدد الأجزاء: ١.

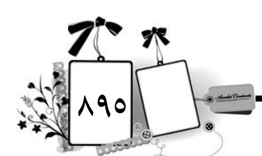
٢٥١-**الجمهورية الثانية = إيران بعد سقوط الخميني**، المؤلف: د. موسى الموسوي، المؤلف المشارك: سمير عبد الحميد إبراهيم؛ مترجم، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م).

٢٥٢-**الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي = الداء والدواء**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة - المغرب، الطبعة الأولى، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

٢٥٣-**جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم**، المؤلف: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، الأندلسي، الظاهري - المحقق: إحسان عباس، دار المعارف - مصر - الطبعة الأولى، (١٩٠٠م).

٢٥٤-**الجواهر المضية في طبقات الحنفية**، المؤلف: عبد القادر بن محمد بن محمد، القرشي، المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو؛ الناشر: القاهرة، هجر، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، الطبعة الثانية.

٢٥٥-**حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع**، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي (المتوفى: ١٣٩٢هـ)، الطبعة: الأولى - (١٣٩٧هـ)، عدد الأجزاء: ٧ أجزاء.



٢٥٦-**حاشية السندي على النسائي**، المؤلف: محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو الحسن، نور الدين السندي (المتوفى: ١١٣٨هـ)، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة الثانية، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، عدد الأجزاء: ٨.

٢٥٧-**الحداثة في ميزان الإسلام**، المؤلف: عوض القرني، دار هجر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٤هـ - ١٩٨٨م).

٢٥٨-**حديث الإفك كما جاء في سورة النور وأثر المنافقين فيه**، المؤلف: عبد الحكيم العبد اللطيف، من إصدارات نادي القصيم الأدبي ببريدة، الطبعة: ١.

٢٥٩-**حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم**، المؤلف الدكتور: محمد بكر آل عابد.

٢٦٠-**حركات الشيعة المتطرفين**، المؤلف: محمد جابر عبد العال، (مطبعة السنة المحمدية (١٣٧٣هـ).

٢٦١-**الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار والصهيونية العالمية**، المؤلف: محمد فهمي عبد الوهاب، الناشر: دار الاعتصام.

٢٦٢-**حركة التشيع في الخليج العربي**، المؤلف: دراسة تحليلية نقدية (دكتوراه)، (١٣٩١ - ١٤٣١هـ)، (١٩٧١ - ٢٠١٠م)، د. عبد العزيز بن أحمد البداح، المركز العربي للدراسات الإنسانية، القاهرة، الطبعة الأولى، (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، ٥٠٢ صفحة.

٢٦٣-**الحرية أو الطوفان دراسة موضوعية للخطاب السياسي الشرعي ومراحله التاريخية**، المؤلف: حاكم المطيري، بدون طبعة سنة النشر: (٢٠٠٣م).

٢٦٤-**حزب البعث تاريخه وعقائده**، المؤلف الشيخ: سعيد بن ناصر الغامدي، طبعته: دار الوطن (١٤١١هـ)، (ص ٩، ١٤).

٢٦٥-**حزب الله وسقط القناع**، المؤلف: أحمد فهمي، الناشر: المنتدى الإسلامي، الطبعة الأولى، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م).

٢٦٦-**الحسبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين**، المؤلف: د. فضل إلهي، إدارة ترجمان الإسلام سي/٣٣٦، ستيلائيت تاؤن ججرا نواله/ باكستان، الطبعة الثانية، سنة (١٤١٩هـ - ١٩٩٨هـ).

٢٦٧-**الحسبة: دراسة أصولية تاريخية**، المؤلف: د. أحمد صبحي منصور.

٢٦٨-**حصوننا مهددة من الداخل**، المؤلف الدكتور: محمد محمد حسين، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة.

٢٦٩-**الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل** جمع وإعداد: الباحث في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود.

٢٧٠-**حقيقة إسرائيل**، المؤلف: محمد عمر الحاجي، الناشر: دمشق، دار المكتبي، (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).

٢٧١-**حقيقة الإسلام أصول الحكم**، وهو من تصنيف الشيخ: محمد بخيت المطيعي أحد كبار علماء الأزهر، ومفتي الديار المصرية.

٢٧٢-**حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر**، المؤلف: أحمد عبد الوهاب، الناشر: مكتبة وهبة، تاريخ الطبعة: (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، عدد صفحات الكتاب: (٢٢٤ صفحة).

٢٧٣-**حقيقة الشيوعية**، المؤلف: أمين شاكر، سعد العريان، علي أدهم، الناشر: دار المعارف - القاهرة، تاريخ النشر: (١٩٥٥م)، عدد الصفحات: (١٩٨).

٢٧٤-**حقيقة الليبرالية وموقف الإسلام منها**، المؤلف الشيخ د. عبد الرحيم بن صمايل السلمي (ص ١٠١ - ١٠٢).

٢٧٥-**حقيقة الولاء والبراء في معتقد أهل السنة والجماعة**، المؤلف الشيخ: سيد سعيد عبد الغني، طبع دار ابن حزم، الطبعة الأولى، (١٤١٩هـ)، بيروت.

٢٧٦-**حكايات من حسن الخاتمة**، المؤلف: منصور بن ناصر العواجي – فقد أورد عددًا من قصص السابقين والمعاصرين ممن حسنت خاتمتهم.

٢٧٧-**حكم الزنا في القانون وعلاقته بمبادئ حقوق الإنسان في الغرب**، المؤلف: د. عابد السفياني، الطبعة الأولى: مكة المكرمة – (١٤١٨هـ).

٢٧٨-**الحكم بغير ما أنزل الله**، المؤلف: د. عبد الرحمن المحمود، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

٢٧٩-**الحكومة الإسلامية**، المؤلف: الزعيم الهالك الخميني، طبعة وزارة الإرشاد بجمهورية إيران.

٢٨٠-**حكومة العالم الخفية**، المؤلف: شيريب سبيريدوفيتش، ترجمة: مأمون أسعد، الناشر: دار

النفائس- بيروت، الطبعة التاسعة.

٢٨١-**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، (١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م)، ثم صورتها عدة دور.

٢٨٢-**حمّى (سنة ٢٠٠٠م)**، المؤلف: عبد العزيز مصطفى كامل من (ص١٦٦ - ١٧٠)، الناشر: المنتدى الإسلامي.

٢٨٣-**الحيوان**، المؤلف: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الجيل، مكان النشر: لبنان - بيروت (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، عدد الأجزاء: ٨.

٢٨٤-**الخصائص الكبرى**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، عدد الأجزاء: ٢.

٢٨٥-**خطر المنافقين وظهورهم**، المؤلف: موسوعة البحوث والمقالات العلمية.

٢٨٦-**خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**، المؤلف: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (المتوفى: ١١١١هـ).

٢٨٧-**خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، المؤلف: الحافظ صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري، المطبعة الميرية الكبرى ببولاق مصر المغزية سنة (١٣٠١هـ)، الطبعة الأولى.

٢٨٨-**الخلاصة في بيان رأي شيخ الإسلام ابن تيمية في الرافضة**، المؤلف: علي الشحود.

٢٨٩-**دارسة قرآنية في النفاق وأثره في حياة**، المؤلف: د. عادل الشدّي، دار الوطن للنشر، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م).

٢٩٠-**دائرة المعارف الإسلامية**، المؤلف: م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان، المحقق: إبراهيم زكي خورشيد - أحمد الشنتناوي - عبد الحميد يونس - حسن حبشي - عبد الرحمن الشيخ - محمد عناني، الطبعة الأولى، الناشر: مركز الشارقة للإبداع الفكري.

٢٩١-**الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، المؤلف: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، دار الفكر - بيروت، (١٩٩٣م).

٢٩٢-**دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين في العصر الإسلامي**، المؤلف: يوسف غوانمة،

طبعة: دار الفكر عمان الأردن (١٩٨٣م).

٢٩٣-**الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، المؤلف: علماء نجد الأعلام، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، عدد الأجزاء: ١٦.

٢٩٤-**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، المؤلف: ابن حجر العسقلاني، حققه وقدم له ووضع فهارسه: محمد سيد جاد الحق، الطبعة الثانية (١٣٨٥هـ-١٩٦٦م)، دار النشر: دار الكتب الحديثة - القاهرة.

٢٩٥-**الدروس الدعوية في غزوة بني المصطلق**، المؤلف: محمد سعيد القرافي بحث غير منشور.

٢٩٦-**دروس في الكتمان من الرسول القائد صلى الله عليه وسلم**، المؤلف: محمود شيت خطاب، الناشر: مؤسسة الرسالة -بيروت، سنة النشر: (١٣٩٥هـ-١٩٧٥م)، عدد المجلدات: ١.

٢٩٧-**درية شفيق بنت النيل**، المؤلف: أخبار اليوم - تاريخ الوصول (١٤ يوليو-٢٠٠٨م).

٢٩٨-**دفاع عن الحديث النبوي والسيرة**، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، عدد الأجزاء: ١.

٢٩٩-**دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى - (١٤٠٥هـ)، عدد الأجزاء: ٧.

٣٠٠-**دمروا الإسلام أبيدوا أهله**، المؤلف: جلال العالم، دار النشر: دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة التاسعة (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).

٣٠١-**دور الملأ في الصد عن سبيل الله**، مقال بقلم: فهد بن ناصر الجديد في مجلة البيان.

٣٠٢-**دول الإسلام**، المؤلف: الإمام الذهبي، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية -حيدر آباد، الطبعة الثانية (١٣٦٤هـ)، (ج ١/ ١٢).

٣٠٣-**الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط**، المؤلف: عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، الناشر: دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، الطبعة: الأولى، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)، عدد الأجزاء: ١.

٣٠٤-**الديباج على مسلم بن الحجاج**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، حقق أصله وعلق عليه: أبو إسحاق الحويني الأثري، نشر:

دار ابن عفان للنشر والتوزيع - المملكة العربية السعودية - الخبر، الطبعة الأولى، (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م).

٣٠٥-**ديوان الأعشى الكبير**، شرح وتعليق: د. محمد محمد حسين. مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة السابعة (١٩٨٣م).

٣٠٦-**ديوان محمد الفيتوري**، المؤلف: محمد الفيتوري، الناشر: دار العودة، طبعة: (١٩٧٩م).

٣٠٧-**ديوان نازك الملائكة**، المؤلف: نازك الملائكة، الناشر: دار العودة.

٣٠٨-**الذخيرة في إصلاح السريرة**، المؤلف: وليد محمد العباد، دار بلنسية – الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ).

٣٠٩-**ذم الكلام وأهله**، المؤلف: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (المتوفى: ٤٨١هـ)، المحقق: عبد الرحمن عبد العزيز الشبل، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (١٤١٨هـ -١٩٩٨م)، عدد الأجزاء: ٥.

٣١٠-**الذهب المسبوك في تحقيق مرويات غزوة تبوك**، المؤلف: عبد القادر حبيب الله السندي، الناشر: مطابع الرشيد، عدد المجلدات: ٢.

٣١١-**ذو النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه**، المؤلف: محب الدين الخطيب، الناشر: المطبعة السلفية ومكتبتها، الطبعة الأولى (١٣٩٤هـ)، (ص ٣١).

٣١٢-**ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد**، المؤلف: محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (المتوفى: ٨٣٢هـ).

٣١٣-**ذيل تاريخ بغداد**، المؤلف: محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن، أبو عبد الله، محب الدين بن النجار، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، (١٤١٧هـ).

٣١٤-**ذيل طبقات الحفاظ**، المؤلف: أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دراسة وتحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية، عدد المجلدات: ١.

٣١٥-**ذيل طبقات الحنابلة**، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة الأولى،

(١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م)، عدد الأجزاء: ٥.

٣١٦-**الرافضة عبر التاريخ**، المؤلف: (قرص).

٣١٧-**رايات النفاق والحرب المعلنة على الإسلام**، المؤلف: عبد العزيز كامل، المؤلف: مجلة البيان: العدد: (١٧٣).

٣١٨-**رأيهم في الاسلام**، المؤلف: لوك باربولسكو، و فيليب كاردينال، المؤلف المشارك: ابن منصور العبد الله؛ مترجم، الناشر: لندن، دار الساقي، (١٩٩٠م) - الطبعة: ٢.

٣١٩-**رجال الكشي**، المؤلف: أبو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي، قدم له وعلق عليه: أحمد الحسيني، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - كربلاء.

٣٢٠-**رجال عرفتهم**، المؤلف: عباس محمود العقاد، الهلال (١٩٦٣م).

٣٢١-**الرجعة**، المؤلف: أحمد بن زين الدين الأحسائي، متوفى سنة (١٢٤١هـ)، الطبعة الثانية، منشورات مكتبة العلامة الحائري العامة، كربلاء.

٣٢٢-**الرجل الصنم**، المؤلف: عبد الله عبد الرحمن، مترجم، الناشر: بيروت، مؤسسة الرسالة، (١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م) الطبعة الرابعة.

٣٢٣-**الرحيق المختوم**، المؤلف: صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، الناشر: دار الهلال - بيروت (نفس طبعة وترقيم دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع)، الطبعة الأولى، عدد الأجزاء: ١.

٣٢٤-**الرّد الوافر**، المؤلف: محمد بن عبد الله- أبو بكر- بن محمد بن أحمد بن مجاهد القيسي الدمشقي الشافعي، شمس الدين، الشهير بـ: ابن ناصر الدين (المتوفى: ٨٤٢هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣هـ)، عدد الأجزاء: ١.

٣٢٥-**الرد على المنطقيين**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان، عدد الأجزاء: ١.

٣٢٦-**الرد على مَن أجاز تهذيب اللحية**، المؤلف: حمود عبد الله التويجري، دار النشر: مكتبة المعارف – الرياض (١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م).

٣٢٧-**رسالة التقية ضمن الجزء الثاني من رسائل الخميني**، المؤلف: الخميني، دار النشر: المطبعة العلمية – (١٣٨٥هـ).

٣٢٨-**رسالة التقية**، المؤلف: مرتضى الأنصاري.

٣٢٩-**رسالة الطريق إلى ثقافتنا**، المؤلف: محمود محمد شاكر، إصدار دار المدني، جدة، مكتبة الخانجي، مصر، (١٤٠٧هـ).

٣٣٠-**رسالة إلى حواء**، المؤلف: محمد العويد، الكويت، مكتبة السندس، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

٣٣١-**رسالة في الرد على الرافضة**، المؤلف الشيخ: محمد بن عبد الوهاب.

٣٣٢-**الرسائل الشخصية**، المؤلف: الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء السادس، المحقق: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، محمد بن صالح العيلقي، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، عدد الأجزاء: ١.

٣٣٣-**الرسول القائد**، المؤلف: محمود شيت خطاب (المتوفى: ١٤١٩هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة السادسة (١٤٢٢هـ)، عدد الأجزاء: ١.

٣٣٤-**رفاق سبقوا حكايات مع الأدباء**، المؤلف: ياسين رفاعيه، الناشر: لندن، رياض الريس للكتب والنشر، (١٩٨٩م).

٣٣٥-**رهبان الليل**، المؤلف: السيّد العّفاني، الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

٣٣٦-**روح البيان**، المؤلف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.

٣٣٧-**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ) المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ).

٣٣٨-**الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**، المؤلف: عبد الرحمن السهيلي، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة.

٣٣٩-**الروضتين = عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**، المؤلف: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (المتوفى: ٦٦٥هـ)، المحقق: إبراهيم الزيبق، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، عدد الأجزاء: ٥.

٣٤٠-**زاد المسير في علم التفسير**، المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة، سنة (١٤٠٤هـ).

٣٤١-**زاد المعاد في هدي خير العباد**، المؤلف: ابن القيم الجوزية، تحقيق: شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، دار النشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، (١٤٠٦هـ -١٩٨٦م).

٣٤٢-**الزهد**، المؤلف: عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، عدد الأجزاء: ١.

٣٤٣-**الزواجر عن اقتراف الكبائر**، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، عدد الأجزاء: ٢.

٣٤٤-**الزينة في الكلمات الإسلامية العربية**، المؤلف: أبو حاتم بن أحمد بن حمدان (ت: ٣٢٢)، تحقيق: د. عبد الله سلوم السامرائي جعله ملحقًا لكتابه (الغلو والفرق الضالة)، الناشر: دار الحرية للطباعة – مطبعة الحكومة، بغداد عام (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م).

٣٤٥-**سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد = السيرة الشامية**، المؤلف: محمد بن يوسف الشامي، تحقيق: عادل بن أحمد، وعلي بن معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - (١٤١٤هـ).

٣٤٦-**سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك**، المؤلف: الشيخ حمد بن علي بن عتيق، دار القرآن الكريم - بيروت، الطبعة الخامسة (١٤٠٠هـ).

٣٤٧-**سراج الملوك**، المؤلف: أبو بكر محمد بن محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي (المتوفى: ٥٢٠هـ)، الناشر: من أوائل المطبوعات العربية – مصر، تاريخ النشر: (١٢٨٩هـ، ١٨٧٢م)، عدد الأجزاء: ١.

٣٤٨- **السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة**، المؤلف: بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري

المحقق: أكرم ضياء العمري الناشر: دار ابن الجوزي، الطبعةالأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).

٣٤٩- **السرائر**، المؤلف: محمد بن إدريس الحلي، دار النشر: المطبعة العلمية - قم، الطبعة الثانية (١٣٩هـ).

٣٥٠- **سلالة الفوائد الأصولية والشواهد والتطبيقات القرآنية والحديثية للمسائل الأصولية في أضواء البيان**، المؤلف: د. عبد الرحمن السديس، طبعته: دار الهجرة وغيرهما.

٣٥١- **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، (لمكتبة المعارف)، عدد الأجزاء: ٦،، عام النشر: (جـ ١ - ٤) (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، (جـ ٦) (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، (جـ ٧) (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).

٣٥٢- **السلسلة الصحيحة**، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، دار النشر: الدار السلفية - الكويت (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م).

٣٥٣- **السلسلة الضعيفة**، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض.

٣٥٤- **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي**، المؤلف: مصطفى السباعي، دار النشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية (١٣٩٦هـ)

٣٥٥- **السنة**، المؤلف: أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال أبو بك - تحقيق: د. عطية الزهراني، الناشر: دار الراية - الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٠هـ)، عدد الأجزاء: ٣.

٣٥٦- **السنن = سنن أبي داود**، المؤلف: سليمان بن الأشعث، أبو داود، السجستاني الأزدي، (ت: ٢٧٥هـ)، دار النشر: دار الفكر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، عدد الأجزاء: ٤.

٣٥٧- **السنن الكبرى**، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنات، الطبعة الثالثة، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

٣٥٨- **السنن**، المؤلف: عبد الله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي (ت: ٢٥٥هـ)، دار النشر: دار الكتاب العربي-بيروت، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، سنة النشر: (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م)، عدد الأجزاء: ٢.

٣٥٩-**السنن،** المؤلف: محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (ت: ٢٧٥هـ)، دار النشر: دار الفكر- بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، عدد الأجزاء: ٢.

٣٦٠-**سياحة في عالم التشيع،** المؤلف: الإمام محب الدين الكاظمي.

٣٦١-**السيادة العربية والإسرائيليات في عهد بني أمية،** المؤلف: فان فلوتن، ترجمه عن الفرنسية وعلق عليه: د. حسن بن إبراهيم بن حسن ومحمد بن زكي بن إبراهيم، الناشر: مكتبة النهضة المصرية – الطبعة الثانية (١٩٦٥م).

٣٦٢-**السياسة الشرعية في تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع المنافقين،** المؤلف: د. عبد العزيز بن حمد الداود، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وهو غير منشور.

٣٦٣-**السياسة الشرعية،** المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، الناشر: دار المعرفة، عدد الأجزاء: ١.

٣٦٤-**سير أعلام النبلاء،** المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، حققه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، سنة (١٤١٠هـ- ١٩٩٠م).

٣٦٥-**سير السلف الصالحين،** المؤلف: إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب: بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ).

٣٦٦-**السير ة النبوية من البداية والنهاية،** المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت –لبنان، عام النشر: (١٣٩٥هـ - ١٩٧٦م).

٣٦٧-**سيرة ابن إسحاق = السيرة = كتاب السير والمغازي،** المؤلف: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني، (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)، عدد الأجزاء: ١.

٣٦٨-**السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون،** المؤلف: علي بن برهان الدين الحلبي ولد (٩٧٥هـ)، وتوفي: (١٠٤٤هـ)، تحقيق: دار المعرفة، سنة النشر (١٤٠٠هـ) بيروت، عدد الأجزاء: ٣.

٣٦٩-**السيرة النبوية = تهذيب السيرة = سيرة ابن هشام،** المؤلف: عبد الملك بن هشام بن



أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة، ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، (١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م).

٣٧٠-**السيرة النبوية الصحيحة**، المؤلف: د. أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة الثالثة (١٤١٨هـ-١٩٩٨م).

٣٧١-**السيرة النبوية دراسة تحليلية**، المؤلف: د. محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان للنشر والتوزيع، سنة (١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

٣٧٢-**السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث**، المؤلف الدكتور: علي بن محمد الصلابي مصر - القاهرة - دار التوزيع والنشر الإسلامية. الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ).

٣٧٣-**السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة**، المؤلف: أبو شهبة، دمشق – دار القلم، الطبعة السابعة (١٤٢٤هـ).

٣٧٤-**السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية**، المؤلف: د. مهدي رزق الله، دار إمام الدعوة للنشر والتوزيع، (١٤٢٤هـ)، الطبعة الثانية.

٣٧٥-**السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة قراءة جديدة**، المؤلف: أبو عمر، محمد بن حمد الصوياني، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)، عدد الأجزاء: ٤.

٣٧٦-**السيرة النبوية وأخبار الخلفاء**، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، صحَّحه، وعلق عليه الحافظ: السيد عزيز بك وجماعة من العلماء، الناشر: الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة الثالثة (١٤١٧هـ)، عدد الأجزاء: ٢.

٣٧٧-**شبهات حول السنة ورسالة الحكم بغير ما أنزل الله**، المؤلف للشيخ: عبد الرزاق عفيفي، دار الفضيلة، الطبعة الأولى، (١٤١٧هـ).

٣٧٨-**شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المؤلف: محمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم مخلوف (المتوفى: ١٣٦٠هـ).

٣٧٩-**شذرات الذهب**، المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن العماد العكري، دار المسيرة - بيروت،

سنة (١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م).

٣٨٠-**شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه،** المؤلف: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني الشافعي، زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م).

٣٨١- **شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية،** المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (المتوفى: ١١٢٢هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى (١٤١٧هـ)-١٩٩٦م، عدد الأجزاء: ١٢.

٣٨٢-**شرح السنة،** المؤلف: الإمام الفقيه الحين بن مسعود البغوي، تحقيق/ شعيب الأرناؤوط ومحمد بن زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: ٢ - ١٤٠٣- ١٤٠٧.

٣٨٣-**شرح العقيدة السفارينية – الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية،** المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ، عدد الأجزاء: ١.

٣٨٤-**شرح العقيدة الطحاوية،** الشيخ: سفر، أشرطة كاسيت.

٣٨٥-**شرح العقيدة الطحاوية،** المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، خرج أحاديثها الشيخ الألباني رحمه الله، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى (١٣٩٢هـ).

٣٨٦-**شرح العقيدة الواسطية،** المؤلف: الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين – تحقيق: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، الناشر: مكتبة طبرية – الرياض، الطبعة: ١... - ١٤١٢ – ١٩٩٢م.

٣٨٧- **شرح العقيدة الواسطية، ويليه ملحق الواسطية،** المؤلف: محمد بن خليل حسن هرّاس (المتوفى: ١٣٩٥هـ)، ضبط نصه وخرَّج أحاديثه ووضع الملحق: علوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع –الخبر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٥ هـ، عدد الأجزاء: ١.

٣٨٨-**شرح العمدة في الفقه،** المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى:

٧٢٨هـ)، المحقق: خالد بن علي بن محمد المشيقح، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، (١٤١٨هـ)/ ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: ١.

٣٨٩-**شرح رياض الصالحين**، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ، عدد الأجزاء: ٦.

٣٩٠-**شرح صحيح البخاري**، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)، عدد الأجزاء: ١٠.

٣٩١-**شرح صحيح مسلم = إكمال المُعْلِم بفوائد مسلم**، المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، المحقق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٣٩٢-**شرح صحيح مسلم = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، (١٣٩٢هـ)، عدد الأجزاء: ١٨ (في ٩ مجلدات).

٣٩٣-**شرح كتاب الإيمان الأوسط لشيخ الإسلام ابن تيمية**، المؤلف: عبد الله الغنيمان.

٣٩٤-**شرح مختصر خليل للخرشي**، المؤلف: محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله (المتوفى: ١١٠١هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة - بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ، عدد الأجزاء: ٨.

٣٩٥-**شرح مشكل الآثار**، المؤلف: أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ، ١٤٩٤ م، عدد الأجزاء: ١٦ (١٥ وجزء للفهارس).

٣٩٦-**الشريعة**، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، الناشر: دار الوطن - الرياض، السعودية، الطبعة الثانية، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، عدد الأجزاء: ٥.

٣٩٧-**الشطار = حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي**، المؤلف: محمد رجب النجار،

الناشر: الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، (١٤٠١هـ- ١٩٨١م).

٣٩٨-**شعب الإيمان**، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م، عدد الأجزاء: ١٤ (١٣، ومجلد للفهارس).

٣٩٩-**الشفا بتعريف حقوق المصطفى مذيلًا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء**، المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: ٥٤٤هـ)، الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمني (المتوفى: ٨٧٣هـ)، الناشر: دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: (١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م)، عدد الأجزاء: ٢.

٤٠٠- **شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل**، المؤلف: ابن القيم الجوزية – خرّج أحاديثه: مصطفى أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي –جدة، الطبعة: ١، ١٤١٢ – ١٩٩١.

٤٠١-**الشهب الحارقة على الشيعة المارقة**، المؤلف: ممدوح الحربي، الطبعة الأولى (١٤٢٧هـ).

٤٠٢-**الشيعة الإمامية الإثني عشرية**، المؤلف: ربيع السعودي.

٤٠٣-**الشيعة والتصحيح**، المؤلف: د. موسى الموسوي، من غير ذكر اسم سنة الطبع ولا الدار الناشرة.

٤٠٤-**الصارم المسلول على شاتم الرسول**، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، تحقيق: محمد عبد الله عمر الحلواني، محمد كبير أحمد شودري، طبعته: دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٧هـ).

٤٠٥-**الصحوة الإسلامية**، المؤلف: أنور الجندي، الناشر دار الاعتصام.

٤٠٦-**صحيح البخاري = الجامع الصحيح المختصر**، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، (ت: ٢٥٦)، دار النشر: دار ابن كثير، اليمامة، مراجعة: د. مصطفى ديب البغا، بلد النشر: بيروت، سنة النشر: (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م)، عدد الأجزاء: ٦.

٤٠٧-**صحيح الترغيب والترهيب**، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتَبة

المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٣.

٤٠٨-**صحيح الجامع الصغير وزيادته**، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، عدد الأجزاء: ٢.

٤٠٩-**صحيح السيرة النبوية**، المؤلف: إبراهيم العلي، الطبعة ٥ - دار النفائس - الأردن - ١٤٢١ - ٢٠٠٠م.

٤١٠-**الصحيح المسند من أسباب النزول**، المؤلف: مقبل بن هادي الوادعي، مكتبة ابن تيمية القاهرة، سنة (١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

٤١١-**الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم**، المؤلف: زين الدين محمد علي بن يونس العاملي النباطي، الناشر: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية - مطبعة حيدري.

٤١٢-**الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الاقطار الإسلامية**، المؤلف: أبو الحسن علي الحسيني الندوي، بيانات النشر: الكويت، دار القلم، (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة.

٤١٣-**الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث**، المؤلف: محمد الكتاني، الناشر: دار الثقافة - الدار البيضاء (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).

٤١٤-**الصراع مع الصليبيين**، المؤلف: محمد عبد القادر أبي فارس.

٤١٥-**الصراع مع اليهود - في ظلال السيرة النبوية**، المؤلف: محمد بن عبد القادر أبو فارس، الناشر: دار الفرقان - عمان، الطبعة الثانية سنة (١٤٠٨هـ).

٤١٦-**صفة الصفوة**، المؤلف: ابن الجوزي، تحقيق: محمود فاخوري، الناشر دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية، سنة (١٣٩٩-١٩٧٩م).

٤١٧-**صفة النفاق وذم المنافقين**، المؤلف الحافظ: أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن الفريابي، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: المكتبة التجارية - مكة المكرمة - دار الحديث القاهرة، تحقيق: محمد عبد الحكيم القاضي سعيد عبد المجيد.

٤١٨-**صفة النفاق ونعت المنافقين من السنن المأثورة**، المؤلف الإمام الحافظ: أبو نعيم

الأصبهاني – مخطوط، الناشر: المكتبة الظاهرية – دمشق.

٤١٩- **الصلاة وحكم تاركها**، المؤلف: ابن قيم الجوزية، دار ابن كثير،دمشق - بيروت، الطبعة الثالثة (١٤١٩هـ-١٩٩٨م).

٤٢٠- **الصمت وآداب اللسان**، المؤلف: عبد الله بن محمد بن عبيد بن أبيس الدنيا أبو بكر، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى، (١٤١٠هـ)، تحقيق: أبو إسحاق الحويني، عدد الأجزاء: ١.

٤٢١- **الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة**، تأليف: أحمد بن حجر الهيثمي المكي، تقديم وتعليق: عبد الوهاب بن عبد اللطيف، الناشر: مكتبة القاهرة، طبع دار الطباعة المحمدية - القاهرة (١٣٧٥هـ).

٤٢٢- **صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة**، المؤلف: محمد فوزي فيض الله، الناشر: دار القلم - دمشق، الدار الشامية – بيروت، سنة النشر: (١٤١٦هـ – ١٩٩٦م).

٤٢٣- **صيد الخاطر**، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ).

٤٢٤- **ضحايا بريئة للحرب العالمية على الإرهاب**، المؤلف: د. محمد السلومي.

٤٢٥- **ضحى الإسلام**، المؤلف: أحمد أمين، نشر: مكتبة النهضة المصرية – الطبعة الثامنة.

٤٢٦- **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت، عدد الأجزاء: ٦.

٤٢٧- **طبقات الحفاظ**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي. طبعة دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ).

٤٢٨- **طبقات الحنابلة**، المؤلف: أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: ٥٢٦هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، عدد الأجزاء: ٢.

٤٢٩- **طبقات الشافعية الكبرى**، المؤلف الإمام العلامة: تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ود. عبد الفتاح محمد الحلو، دار النشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع - (١٤١٣هـ)، الطبعة الثانية.

٤٣٠- **طبقات الشافعية**، المؤلف: أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (المتوفى: ٨٥١هـ)، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ)، عدد الأجزاء: ٤.

٤٣١- **طبقات الشافعيين**، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: د. أحمد عمر هاشم، د. محمد زينهم محمد عزب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، تاريخ النشر: (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، عدد الأجزاء: ١.

٤٣٢- **طبقات الفقهاء الشافعية = طبقات ابن الصلاح**، المؤلف: عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين المعروف بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣هـ)، المحقق: محيي الدين علي نجيب، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة الأولى، (١٩٩٢م)، عدد الأجزاء: ٢.

٤٣٣- **طبقات الفقهاء**، المؤلف: أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، هذبهُ: محمد بن مكرم ابن منظور (المتوفى: ٧١١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الرائد العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، (١٩٧٠م).

٤٣٤- **طبقات القراء**، المؤلف: محمد بن أحمد بن عثمان، الذهبي، محقق: أحمد خان، الناشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) - الرياض.

٤٣٥- **الطبقات الكبرى = طبقات ابن سعد**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، دار صادر - بيروت.

٤٣٦- **طبقات المفسرين**، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. تحقيق: علي محمد عمر. طبعة: مكتبة وهبة - القاهرة. الطبعة الأولى، سنة: (١٣٩٦م).

٤٣٧- **طبقات المفسرين**، المؤلف: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: ٩٤٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، عدد الأجزاء: ٢.

٤٣٨- **طبقات خليفة بن خياط**، المؤلف: أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (المتوفى: ٢٤٠هـ)، رواية: أبي عمران موسى بن زكريا بن يحيى التستري (ت ق ٣هـ)، محمد بن أحمد بن محمد الأزدي (ت ق ٣هـ)، المحقق: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سنة النشر: (١٤١٤هـ -

١٩٩٣م)، عدد الأجزاء: ١.

٤٣٩-**طبقات علماء الحديث**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد الدمشقي - تحقيق: إبراهيم الزيبق، الناشر مؤسسة الرسالة - بيروت (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).

٤٤٠-**طبقات فحول الشعراء**، المؤلف: محمد بن سلَّام (بالتشديد) بن عبيد الله الجمحي بالولاء، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٣٢هـ).

٤٤١-**الطرق الحكمية في السياسة الشرعية**، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: د. محمد جميل غازي، مطبعة المدني- القاهرة.

٤٤٢-**طريق الهجرتين وباب السعادتين**، المؤلف: ابن القيم، ٤٦١ تحقيق عبد الكريم الفضلي - المكتبة العصرية - صيدا - بيروت ط (١٤٢٣هـ)، ولمزيد اطلاع راجع النفاق والزندقة وأثرهما في مواجهة الدعوة الإسلامية قديمًا وحديثًا رسالة ماجستير (١٣٩٩ - ١٤٠٠هـ) من جامعة أم القرى للباحث: عطية بن عتيق الزهراني.

٤٤٣-**الطريق إلى جماعة المسلمين**، المؤلف: حسين بن محمد بن علي جابر، الكتاب في الأصل رسالة نال بها المؤلف درجة الماجستير بامتياز.

٤٤٤-**طهارة بيت النبي صلى الله عليه وسلم**، المؤلف: خالد الشايع.

٤٤٥-**ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ**، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).

٤٤٦-**ظاهرة النفاق وخبائث المنافقين في التاريخ**، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، دار القلم دمشق، الطبعة الأولى (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).

٤٤٧-**ظاهرة اليسار الإسلامي دراسة تحليلية نقدية لأطروحات**، المؤلف: محسن الميلي، دار النشر الدولي بالرياض (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م).

٤٤٨-**ظهر الإسلام**، المؤلف: أحمد أمين، تحقيق: شفيق البساط، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة الأولى (٢٠٠٦م) مجلد واحد.

٤٤٩-**عارضة الأحوذي**، المؤلف: كان ثاقب الذهن عذب المنطق مقبلًا على نشر العلم وتدوينه، توفي سنة (٥٤٣هـ) بمدينة فاس.

٤٥٠-**العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي**، المؤلف: أنور الجندي،



الطبعة الأولى، دار المعرفة، (١٩٧٠م).

٤٥١-**عبد الله بن سبأ ودوره في أحداث الفتنة في صدر الإسلام**، المؤلف: د. سليمان بن حمد العودة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

٤٥٢-**العبر في خبر من غبر**، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، (ج ١/ ٣٦).

٤٥٣-**العبودية**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي –بيروت، الطبعة السابعة، سنة (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م).

٤٥٤-**عبير المسك في غزوة بني المصطلق وحادثة الإفك**، بحث غير مطبوع: لمحمد بن محسن أبي طالب.

٤٥٥-**العثمانية**، المؤلف: الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، مطابع دار الكتاب العربي بمصر (١٣٧٤هـ - ١٩٤٩م)، (ص ٢٤٦).

٤٥٦-**العجاب في بيان الأسباب**، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: عبد الحكيم محمد الأنيس، الناشر: دار ابن الجوزي، عدد الأجزاء: ٢.

٤٥٧-**عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق - بيروت، مكتبة: دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، (١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م)، عدد الأجزاء: ١.

٤٥٨-**العدوان على المرأة في المؤتمرات الدولية**، المؤلف: د. فؤاد بن عبد الكريم، رسالة دكتوراه حصل عليها من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

٤٥٩-**عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين**، المؤلف: أكرم بن ضياء العمري، الناشر: مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة الأولى، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، عدد الأجزاء: ١.

٤٦٠-**العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب**، المؤلف: محمد بن حامد الناصر،

الناشر: مكتبة الكوثر، الرياض شارع العليا، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ- ١٩٩٦م).

٤٦١-**عقائد الإمامية،** المؤلف: محمد رضا المظفر، عني بتحقيقه والتعليق عليه: محمد جواد الطريحي.

٤٦٢-**عقائد الشيعة الإثني عشرية، سؤال وجواب،** المؤلف: عبد الرحمن بن سعد الشثري، الناشر: مكتبة الرضوان، الطبعة الرابعة (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) البحيرة.

٤٦٣-**العقد الثمين في تخريج أحاديث الوصاية لأمير المؤمنين،** المؤلف: تخريج الباحث: خليفة بن ارحمة بن جهام آل جهام الكواري.

٤٦٤-**عقد الجمان،** المؤلف: محمود بن أحمد بن موسى العيني، مخطوط في دار الكتب المصرية برقم: ١٥٨٤.

٤٦٥-**العقد الفريد،** المؤلف: ابن عبد ربه أحمد بن محمد (ت: ٣٢٨)، تحقيق: محمد سعيد العريان، نشر: الدار السعودية، الكبعة الثانية (١٣٥٩هـ، ١٩٤٠م).

٤٦٦-**عقيدة الدروز،** المؤلف: د. محمد بن أحمد الخطيب - رسالة ماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة من جامعة: الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٤٦٧-**علل وأدوية،** المؤلف: محمد الغزالي، دمشق، دار القلم، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

٤٦٨-**العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة،** المؤلف: د. سفر الحوالي – دار مكة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).

٤٦٩-**علوم الحديث،** المؤلف: ابن الصلاح، (نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة) (ص٢٩٠، ٢٩١).

٤٧٠-**عمدة القاري شرح صحيح البخاري،** المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، عدد الأجزاء: (٢٥ ج، ١٢ مجلد).

٤٧١-**العهد والميثاق في القرآن الكريم: دراسة موضوعية،** المؤلف: ناصر بن سليمان العمر، الناشر: الرياض، دار العاصمة – (١٤١٣هـ).

٤٧٢-**العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم،** تأليف: ابن العربي أبي بكر محمد بن عبد الله، تحقيق: محب الدين الخطيب، الناشر: الدار

السعودية، الطبعة الثانية (١٣٨٧هـ).
٤٧٣-**عودة الحجاب**، المؤلف: محمد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، الناشر: دار طيبة – الرياض، الطبعة الثالثة (١٤٠٨ هـ – ١٩٩٨م).
٤٧٤-**عون المعبود شرح سنن أبي داود**، المؤلف: محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، دار الكتب العلمية – بيروت - الطبعة الثانية (١٤١٥هـ).
٤٧٥-**عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**، المؤلف: محمد بن محمد بن سيد الناس، تحقيق: محمد الخضراوي ومحيي الدين نتو، المدينة النبوية – دار ابن كثير (١٤١٣هـ) لابن سيّد الناس.
٤٧٦-**عيون الأخبار**، المؤلف: ابن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، سلسلة (تراثنا) (١٩٦٣م).
٤٧٧-**عيون التواريخ**، المؤلف: محمد بن شاكر بن أحمد الكتبي، عني بتحقيق النص وتحرير الحواشي: حسام الدين المقدسي، نسق مقدمته: الشيخ أبو منصور الحافظ، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، عدد الصفحات: (٥٥٢).
٤٧٨-**غاية النفع في شرح تمثيل المؤمن بخامة الزرع ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي**، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: أبو مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: (جـ ١، ٢) الطبعة الثانية، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، (جـ ٣) الطبعة الأولى، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، (جـ ٤) الطبعة الأولى، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، عدد الأجزاء: ٤.
٤٧٩-**الغرباء الأولون أسباب غربتهم ومظاهرها**، المؤلف: الشيخ سلمان بن فهد العودة، الناشر: مكتبة ابن الجوزي - الدمام.
٤٨٠-**غريب الحديث**، المؤلف: أبو عبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـ)، المحقق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد- الدكن، الطبعة الأولى، (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م).
٤٨١-**غريب الحديث**، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي

(المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).

٤٨٢- **غريب القرآن**، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، المحقق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية (لعلها مصورة عن الطبعة المصرية)، السنة: (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م).

٤٨٣- **غزوة أحد دراسة دعوية**، المؤلف: محمد بن عيظة بن سعيد بامدحج، دار إشبيليا - الرياض، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

٤٨٤- **غزوة الأحزاب في ضوء القرآن الكريم عرض وتحليل**، المؤلف: أ. د. سعود بن عبد الله الفنيسان، طبعة: دار أشبيليا، الطبعة الأولى: (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

٤٨٥- **غزوة الأحزاب**، المؤلف: محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م).

٤٨٦- **غزوة تبوك**، المؤلف: محمد أحمد باشميل، الناشر: دار الفكر الطبعة الثانية، سنة الطبع: (١٣٩٨هـ).

٤٨٧- **غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة**، المؤلف: أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال الخزرجي الأنصاري الأندلسي (المتوفى: ٥٧٨هـ)، المحقق: د. عز الدين علي السيد، محمد كمال الدين عز الدين، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ).

٤٨٨- **الفائق في غريب الحديث والأثر**، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة - لبنان، الطبعة الثانية.

٤٨٩- **الفتاوى**، المؤلف: اللجنة الدائمة لهيئة كبار العلماء ببلاد الحرمين.

٤٩٠- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار المعرفة - بيروت، سنة (١٣٧٩هـ).

٤٩١- **فتح القدير**، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)،



الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى - (١٤١٤هـ).

٤٩٢-**فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي (المتوفى: ١٢٨٥هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مطبعة السنة، المحمدية، القاهرة، مصر، الطبعة السابعة، (١٣٧٧هـ- ١٩٥٧م).

٤٩٣-**الفتنة ووقعة الجمل = كتاب النصرة لسيد العشرة في حرب البصرة**، المؤلف: الشيخ محمد بن محمد بن النعمان (٤١٣)، المطبعة الحيدرية - النجف، الطبعة الثانية.

٤٩٤-**فتياتنا بين التغريب والعفاف**، المؤلف: د. ناصر العمر، دار الوطن، الرياض، الطبعة التاسعة، (١٤٢٥هـ).

٤٩٥-**الفرق الإسلامية**، المؤلف: محمود البشبيشي، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى بمصر، الطبعة الأولى (١٣٥٠هـ- ١٩٣٢م).

٤٩٦-**الفرق الإسلامية، ذيل كتاب شرح المواقف**، المؤلف: الكرماني، تحقيق: سليمة عبد رب الرسول، مطبعة الإرشاد - بغداد (١٩٧٣م).

٤٩٧-**فرق الشيعة**، المؤلف: أبو محمد الحسن بن موسى النوبختي (ت: ٣١٠هـ)، تصحيح: هـ. ريتر، الناشر: مطبعة الدولة، (١٩٣١م) - إستانبول،.

٤٩٨-**الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية**، المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي أبو منصور، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة الثانية، (١٩٧٧م)، عدد الأجزاء: ١.

٤٩٩-**الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد بن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: مكتبة دار البيان، دمشق، (١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م)، عدد الأجزاء: ١.

٥٠٠-**فروع الكافي**، المؤلف: الكليني والاستبصار، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، تحقيق: حسن الخرسان، الناشر: دار الكتب الإسلامية - طهران، الطبعة الثانية - (١٣٩٠هـ).

٥٠١-**الفروع، ومعه تصحيح الفروع، وحاشية ابن قندس** المؤلف على الترتيب: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي (ت: ٧٦٣هـ)، علاء الدين أبو الحسن علي بن

سليمان المرداوي (ت (٨٨٥هـ)، تقي الدين أبو بكر بن إبراهيم بن يوسف البعلي (ت (٨٦١هـ)، المحقق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - دار المؤيد، الطبعة الأولى - (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

٥٠٢-**الفسق والنفاق**، المؤلف: د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، مدار الوطن للنشر - الرياض - الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

٥٠٣-**الفصل في الملل والأهواء والنحل**، المؤلف: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبو محمد، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة - عدد الأجزاء: ٥.

٥٠٤-**فضائح الباطنية**، المؤلف: أبو حامد الغزالي، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، الناشر: مؤسسة دار الكتب الثقافية - الكويت - حولي، (٣٢).

٥٠٥-**فضائل الصحابة**، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: د. وصي الله محمد عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، عدد الأجزاء: ٢.

٥٠٦-**فضح التلمود - تعاليم الحاخامين السرية**، المؤلف: آي. بي. براانايتس، إعداد: زهدي فاتح، دار النفائس.

٥٠٧-**الفقه الإسلامي وأدلته**، المؤلف: أ. د. وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، أستاذ ورئيس قسم الفقه الإسلاميّ وأصوله بجامعة دمشق - كلّيَّة الشَّريعة، الناشر: دار الفكر - سوريَّة - دمشق، الطبعة الرَّابعة، المنقَّحة المعدَّلة بالنِّسبة لما سبقها (وهي الطبعة الثانية عشرة لما تقدمها من طبعات مصورة) عدد الأجزاء: ١٠.

٥٠٨-**فقه السيرة النبوية**، المؤلف: محمد الغزالي، دار إحياء التراث العربي - بيروت-لبنان، بدون رقم طبعة ولا تاريخ.

٥٠٩-**فقه السيرة النبوية**، المؤلف: منير محمد غضبان، الناشر: جامعة أم القرى، سنة النشر: (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، عدد المجلدات: ١، رقم الطبعة: ٢.

٥١٠-**فقه السيرة**، المؤلف الدكتور: زيد الزيد. الرياض - الطبعة الأولى - (١٤٢٤هـ).

٥١١-**الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار**، المؤلف: محمد البهي، الطبعة الرابعة، مكتبة وهبة، القاهرة (١٣٨٤هـ).



٥١٢-**الفكر الصوفي**، المؤلف: مكتبة ابن تيمية، الكويت، الطبعة الثالثة، (١٤٠٦هـ).
٥١٣-**فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، المؤلف: عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية، سنة (١٩٨٢م).
٥١٤-**فوات الوفيات**، المؤلف: محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب: بصلاح الدين (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، (الجزء: ١ – ١٩٧٣م)، (الجزء: ٢، ٣، ٤- ١٩٧٤م)، عدد الأجزاء: ٤.
٥١٥- **الفوائد = فوائد تمام**، المؤلف: أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد الله بن الجنيد البجلي الرازي ثم الدمشقي (المتوفى: ٤١٤هـ)، المحقق: حمدي عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة الرشد –الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ)، عدد الأجزاء: ٢.
٥١٦-**في ظلال السيرة النبوية – غزوة الأحزاب**، المؤلف: د. محمد بن عبد القادر أبو فارس، الناشر: دار الفرقان – عمان – الطبعة الأولى – سنة الطبع: (١٤٠٣هـ).
٥١٧-**في ظلال القرآن**، المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاذلي (المتوفى: ١٣٨٥هـ) الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة السابعة عشر (١٤١٢هـ).
٥١٨-**في منزل الوحي**، المؤلف: محمد حسين هيكل، المطبعة: دار المعارف بمصر، الطبعة السادسة، سنة (١٩٧٤م).
٥١٩-**فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المؤلف: المناوي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).
٥٢٠-**القاديانية**، المؤلف: أبو الحسن بن علي الحسني الندوي، وأبي الأعلى المودودي، ومحمد الخضر حسين.
٥٢١-**القاديانية**، المؤلف: محمد إبراهيم الحمد، دار القاسم –الرياض (١٤١٧هـ-١٩٩٦م).
٥٢٢-**قاسم أمين – الأعمال الكاملة**، تحقيق دكتور: محمد عمارة المؤسسة العربية للدراسات والنشر (١٩٧٦م).
٥٢٣-**القاموس المحيط**، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي

(المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، (١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م)، عدد الأجزاء: ١.

٥٢٤-**القدر**، المؤلف: أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المُسْتَفاض الفِرْيابِي (المتوفى: ٣٠١هـ)، المحقق: عبد الله بن حمد المنصور، الناشر: أضواء السلف – السعودية، الطبعة الأولى، (١٤١٨هـ – ١٩٩٧م)، عدد الأجزاء: ١.

٥٢٥-**قصة الأدب في الحجاز**، المؤلف: عبد الله عبد الجبار - محمد عبد المنعم خفاجي، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية.

٥٢٦-**قصيدة للشاعر: عبد الرحمن العشماوي**، نشرها في إحدى الصحف السعودية بتاريخ: (١٣/ ١/ ١٤١٩هـ).

٥٢٧-**قضايا الشعر الحديث**، المؤلف: جهاد فاضل، الناشر: دار الشروق الطبعة الأولى –(١٩٨٤م).

٥٢٨-**القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب**، المؤلف الدكتور: محمد بن عبد الله السلومي.

٥٢٩-**قواعد الأحكام في مصالح الأنام**، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب: بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، المحقق: محمود بن التلاميد الشنقيطي، الناشر: دار المعارف بيروت – لبنان.

٥٣٠-**القواعد والضوابط الفقهية عند ابن تيمية في فقه الأسرة**، المؤلف الشيخ: محمد بن عبد الله الصواط، مكتبة دار البيان الحديثة – الطائف، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م).

٥٣١-**القول المبين في حكم المعاملة بين الأجانب والمسلمين**، المؤلف: محمد حسنين مخلوف، تحقيق: حسن أبو الأشبال، مكتبة الحرمين للعلوم النافعة، القاهرة، (١٣٢ صفحة).

٥٣٢-**القول المفيد على كتاب التوحيد**، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، طبعة ابن الجوزي الطبعة الثالثة (١٤١٩هـ-١٩٩٩م).

٥٣٣-**القيادة العسكرية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم**، المؤلف: د. عبد الله محمد الرشيد، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، (١٤١٠هـ – ١٩٩٠م).

٥٣٤-**الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز شمس الدين الذهبي. تحقيق: محمد عوامة، طبعة دار القبلة للثقافة

الإسلامية، مؤسسة علو - جدة، الطبعة الأولى، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م).

٥٣٥-**كامل الزّيارات**، المؤلف: أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه. طبعة: إيران.

٥٣٦-**الكامل في التاريخ**، المؤلف: ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، مطبعة دار صادر للطباعة والنشر بيروت (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م).

٥٣٧-**الكامل في ضعفاء الرجال**، المؤلف: أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، شارك في تحقيقه: عبد الفتاح أبو سنة، الناشر: الكتب العلمية - بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، (١٤١٨هـ- ١٩٩٧م).

٥٣٨-**كتمان السر وإفشاؤه في الفقه الإسلامي**، المؤلف: شريف بن أدول بن إدريس، طبعة: دار النفائس (١٩٩٧م).

٥٣٩-**الكراديب**، المؤلف: تركي الحمد، طبعته: دار مدارك السلسلة - مجلد واحد، الطبعة السابعة (٢٠١٢م).

٥٤٠-**كشاف القناع عن متن الإقناع**، المؤلف: منصور بن يونس بن إدريس البهوتي، تحقيق: هلال مصيلحي مصطفى هلال، الناشر: دار الفكر - بيروت (١٤٠٢هـ) - عدد الأجزاء ٦.

٥٤١-**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي - تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي-بيروت.

٥٤٢-**كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة**، المؤلف: محمد بن مالك بن أبي الفضائل اليماني، تقديم: محمد بن زاهد الكوثري، الناشر: مطبعة الأنوار (١٣٥٧م).

٥٤٣-**كشف الأستار عن زوائد البزار**، المؤلف: نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، عدد الأجزاء: ٤.

٥٤٤-**كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، المؤلف: إسماعيل بن محمد العجلوني الجراحي (المتوفى: ١١٦٢هـ)، الناشر: مكتبة القدسي، لصاحبها: حسام الدين القدسي - القاهرة، عام النشر: (١٣٥١هـ).

٥٤٥-**كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، المؤلف: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة، أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ)، الناشر:

مكتبة المثنى - بغداد (وصورتها عدة دور لبنانية، بنفس ترقيم صفحاتها، مثل: دار إحياء التراث العربي، ودار العلوم الحديثة، ودار الكتب العلمية)، تاريخ النشر: (١٩٤١م)، عدد الأجزاء: ٦ (١، ٢ كشف الظنون، و٣، ٤ إيضاح المكنون، و٥، ٦ هداية العارفين).

٥٤٦-**كلمات**، المؤلف: قاسم أمين، منشور ضمن الأعمال الكاملة لقاسم أمين، تحقيق: د. محمد عمارة، ط٢، دار الشروق (١٩٨٩م).

٥٤٧-**كلهم سلمان رشدي**، المؤلف: أحمد الدوسري النجدي - مكتبة الروضة.

٥٤٨-**كنز العمال**، المؤلف: علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري (المتوفى: ٩٧٥هـ)، المحقق: بكري حياني - صفوة السقا، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الخامسة، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).

٥٤٩-**الكنز المرصود**، المؤلف: - ترجمة من اللغة الفرنسية، د. روهلنج، يوسف حنا نصر الله، الطبعة الثانية - بيروت (١٣٨٨هـ-١٩٦٨م).

٥٥٠-**الكنى والأسماء**، المؤلف: أبو بِشْر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصاري الدولابي الرازي (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار ابن حزم - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، عدد الأجزاء: ٣.

٥٥١-**الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**، المؤلف: نجم الدين محمد بن محمد الغزي (المتوفى: ١٠٦١هـ)، المحقق: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

٥٥٢-**كيف دخل التتار بلاد المسلمين**، المؤلف: د. سليمان بن حمد العودة، الناشر: دار طيبة - الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).

٥٥٣-**اللباب في علوم الكتاب**، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ)، المحقق الشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ: علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، عدد الأجزاء: ٢٠.

٥٥٤-**لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ**، المؤلف: أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد ابن فهد الهاشمي المكي، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، عدد المجلدات: ١.

٥٥٥-**لسان العرب**، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤١٤هـ).

٥٥٦-**لسان الميزان**، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: دائرة المعارف النظامية – الهند، الطبعة الثالثة، (١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م).

٥٥٧-**لسان حال الخونة المارقين**، مقال- موسوعة البحوث والمقالات العلمية.

٥٥٨-**اللغات السامية**، المؤلف: أ. ولفنسون، الناشر: بيروت، دار القلم، (١٩٨٠م).

٥٥٩-**لغة المنافقين في القرآن**، المؤلف: د. عبد الفتاح لاشيد، دار الرائد العربي، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ).

٥٦٠-**لله ثم للتاريخ = كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار**، المؤلف: السيّد حسين الموسوي، الناشر: دار الأمل، الطبعة الرابعة، عدد الأجزاء: ١.

٥٦١-**ماذا تعرف عن حزب الله في لبنان**، المؤلف: علي الصادق، الطبعة الأولى – (١٤٢٧هـ).

٥٦٢-**المال المأخوذ ظلمًا**، المؤلف: د. طارق الخويطر الأردن – دار النفائس – الطبعة الأولى (١٤١٨هـ-١٩٩٨م).

٥٦٣-**المجتبى من السنن = سنن النسائي**، المؤلف: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، (ت: ٣٠٣هـ)، دار النشر: مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، عدد الأجزاء: ٨.

٥٦٤-**المجتمع الإسلامي**، المؤلف: أكرم ضياء العمري.

٥٦٥-**المجتمع المدني في عهد النبوة الجهاد ضد المشركين**، المؤلف: د. أكرم ضياء العمري، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م).

٥٦٦-**المجددون في الإسلام من القرن الأول الهجري إلى الرابع عشر (١٠٠- ١٣٧٠هـ)** المؤلف: عبد المتعال الصعيدي، توفي بعد (١٣٧٧هـ)، الناشر: مكتبة الآداب ومطبعتها بمصر، دار الحمامي للطباعة.

٥٦٧-**المجروحين**، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي - تحقيق: محمود بن إبراهيم بن زايد، الناشر: دار الواعي - سوريا - حلب (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م).

٥٦٨- **مجمع الأمثال**، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، الناشر: دار المعرفة – بيروت، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، عدد الأجزاء: ٢.

٥٦٩- **مجمع البحرين في زوائد المعجمين المعجم الأوسط والمعجم الصغير للطبراني**، المؤلف: علي بن أبي بكر الهيثمي نور الدين، المحقق: عبد القدوس محمد نذير، الناشر: مكتبة الرشد، سنة النشر: (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، عدد المجلدات: ٩.

٥٧٠- **مجمع الزوائد**، المؤلف: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، الناشر: دار الفكر، بيروت (١٤١٢هـ)، عدد الأجزاء: ١٠.

٥٧١- **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**، المؤلف: جمال الدين، محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي (المتوفى: ٩٨٦هـ)، الناشر: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الثالثة، (١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م)، عدد الأجزاء: ٥.

٥٧٢- **مجموع الفتاوى = الفتاوى**، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: أنور الباز - عامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، الطبعة الثالثة، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م).

٥٧٣- **مجموع الفتاوى**، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر، الناشر: دار القاسم للنشر، عدد الأجزاء: ٢٤ جزء.

٥٧٤- **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٢٠هـ)، عدد الأجزاء: ٢.

٥٧٥- **محاضرات في الاستعمار**، المؤلف: مصطفى الشهابي، دار المتنبي للطباعة والنشر والتوزيع، (١٩٥٦م)، ٢١٩ صفحة.

٥٧٦- **محاضرات في النصرانية**، المؤلف: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، (١٩٧٢م)، ١٧٥ صفحة.

٥٧٧- **محاكمة طه حسين**، المؤلف: أنور الجندي، دار: الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع، (١٩٨٥م) ٣٦٨ صفحة.

٥٧٨- **المحبّر**، المؤلف: ابن حبيب أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية الهاشمي (ت: ٢٤٥هـ)،

اعتنت بتصحيحه الدكتورة: إيلزه ليختن شتيتر، منشورات، دار الآفاق الجديدة - بيروت.
٥٧٩-**المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي - تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م) الطبعة الأولى، عدد الأجزاء: ٥.
٥٨٠-**المحكم والمحيط الأعظم**، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، المحقق: عبد الحميد هنداوي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، عدد الأجزاء: ١١.
٥٨١-**المحلَّى**، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
٥٨٢-**محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم منهج ورسالة**، المؤلف: محمد صادق عرجون: دار القلم - دمشق - الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م).
٥٨٣-**المحن**، المؤلف: محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي، أبو العرب (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. عمر سليمان العقيلي، الناشر: دار العلوم - الرياض – السعودية، الطبعة الأولى، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، عدد الأجزاء: ١.
٥٨٤-**مختار الصحاح**، المؤلف: محمد بن أبي بكر الرازي، دار الكتاب العربي - بيروت لبنان، سنة (١٤٠١هـ-١٩٨١م).
٥٨٥-**المختارة = الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما**، المؤلف: ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي (المتوفى: ٦٤٣هـ)، دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، الناشر: دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، عدد الأجزاء: ١٣.
٥٨٦-**مختصر التحفة الإثني عشرية**، المؤلف: شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي، اختصره: السيد محمود شاكر الألوسي، وحققه: محب الدين الخطيب، الناشر: المطبعة السلفية (١٣٧٣هـ).
٥٨٧-**مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة**، المؤلف: محمد بن محمد بن

عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، (١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م)، عدد الأجزاء: ١.

٥٨٨- **مختصر الفتاوى المصرية**، المؤلف: بدر الدين أبو عبد الله محمد بن علي الحنبلي البعلي، سنة الوفاة (٧٧٧هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار ابن القيم، سنة النشر: (١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م)، مكان النشر: الدمام – السعودية.

٥٨٩- **المختصر في أخبار البشر**، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن علي بن محمود، الناشر: مكتبة المتنبي - القاهرة.

٥٩٠- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية، سنة (١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م).

٥٩١- **المدينة بين الماضي والحاضر**، المؤلف: مؤرخ المدينة الشريف إبراهيم بن علي العياشي (ت: ١٤٠٠هـ)، طبعة: المكتبة العلمية بالمدينة المنورة - لصاحبها محمد سلطان النمنكاني، الطبعة الأولى (١٣٩٢هـ).

٥٩٢- **المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها**، المؤلف الدكتور: عبد الرحمن عميرة.

٥٩٣- **مذاهب فكرية معاصرة**، المؤلف: محمد قطب، دار الشروق للنشر والتوزيع، (١٩٩٣م) – ٦٦٠ صفحة.

٥٩٤- **مذكرة الرافضة في بلاد التوحيد**، المؤلف الدكتور: ناصر العمر.

٥٩٥- **مذهب الإسلاميين**، المؤلف: عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، (١٩٩٧م).

٥٩٦- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان**، المؤلف: عبد الله بن سعد بن علي، اليافعي، تحقيق: عبد الله الجبوري؛ الناشر: بيروت، مؤسسة الرسالة، (١٤٠٥هـ).

٥٩٧- **مرآة العصر**، المؤلف: إلياس زخورة، المطبعة العمومية، (١٨٩٧هـ) - ٥٦٤ صفحة.

٥٩٨- **المرأة بين البيت والعمل**، المؤلف: سليمان بن فهد العودة، دار المسلم، الطبعة الأولى، سنة (١٤١٣هـ).

٥٩٩- **المرأة بين تكريم الإسلام ودعاوى التحرير**، المؤلف: محمد بن ناصر العريني، دار

سفير، الطبعة الثانية، سنة (١٤٢٠هـ).

٦٠٠-**المرأة وكيد الأعداء** المؤلف: د. عبد الله بن وكيل الشيخ، الناشر: دار إشبيليا - الرياض، الطبعة الثانية (١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م).

٦٠١-**المرجفون**، المؤلف: أحمد بن ناصر الخطاف، طبعة: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ).

٦٠٢-**مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، عدد الأجزاء: ٩.

٦٠٣-**مروج الذهب**، المؤلف: علي بن حسين المسعودي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، (٢٠٠٥م).

٦٠٤-**مرويات تاريخ يهود المدينة**، المؤلف: أكرم السندي، ماجستير غير منشورة، قدمت للجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - قسم السنة.

٦٠٥-**مرويات غزوة بني المصطلق**، المؤلف: إبراهيم القريبي. لبنان – بيروت – مؤسسة الكتب الثقافية – الطبعة الأولى (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).

٦٠٦-**مسألة السفور والحجاب**، المؤلف: صافي ناز كاظم، الناشر: مكتبة وهبة للطباعة والنشر، تاريخ النشر: (١٩٩٥م).

٦٠٧-**المسألة الشرقية**، المؤلف: محمود ثابت الشاذلي، نقلًا عن جريدة الوفاء المصرية بتاريخ: ٢٩ أغسطس (١٩٨٥م).

٦٠٨-**مساوئ الأخلاق ومذمومها**، المؤلف: أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ)، حققه وخرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى بن أبو النصر الشلبي، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، الطبعة الأولى، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، عدد الأجزاء: ١.

٦٠٩- **مسائل الإمامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات**، المؤلف: الناشئ الأكبر، تحقيق وتقديم: يوسف فان اس، الناشر: دار فرانتس شتاينر بقيسبادن - بيروت (١٩٧١م).

٦١٠-**مستخرج أبي عوانة**، المؤلف: أبو عوانة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم النيسابوري

الإسفراييني (المتوفى: ٣١٦هـ)، تحقيق: أيمن بن عارف الدمشقي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، عدد الأجزاء: ٥.

٦١١-**المستدرك على الصحيحين،** المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١١هـ – ١٩٩٠م)، عدد الأجزاء: ٤.

٦١٢-**المستفاد من قصص القرآن،** المؤلف: عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

٦١٣-**مستقبل الثقافة في مصر،** المؤلف: طه حسين، مطبعة المعارف- مصر، سنة (١٩٣٨م).

٦١٤-**مسند الشهاب،** المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (المتوفى: ٤٥٤هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٧ – ١٩٨٦م)، عدد الأجزاء: ٢.

٦١٥-**المسند،** المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م).

٦١٦-**المسند،** المؤلف: أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم الحنظلي المروزي المعروف بـ«ابن راهويه» (المتوفى: ٢٣٨هـ)، المحقق: د. عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي، الناشر: مكتبة الإيمان - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (١٤١٢هـ – ١٩٩١م)، عدد الأجزاء: ٥.

٦١٧-**المسند،** المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المُثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى، (١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م)، عدد الأجزاء: ١٣.

٦١٨-**مشارق الأنوار على صحاح الآثار،** المؤلف: عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ).

٦١٩-**مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار،** المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن

حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، حققه ووثقه وعلق عليه: مرزوق على إبراهيم، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع – المنصورة، الطبعة الأولى (١٤١١هـ - ١٩٩١م)، عدد الأجزاء: ١.

٦٢٠-**المشتبه في الرجال أسمائهم وأنسابهم**، المؤلف: الإمام الذهبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، علي بن محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى (ت١٩٦٢م).

٦٢١-**مشكاة المصابيح**، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة – (١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م).

٦٢٢-**المصارعة**، المؤلف: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني طبعته: دار النمير للطباعة والنشر - الطبعة الأولى - مجلد واحد.

٦٢٣-**مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**، المؤلف: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن سليم بن قايماز بن عثمان البوصيري الكناني الشافعي (المتوفى: ٨٤٠هـ)، المحقق: محمد المنتقى الكشناوي، الناشر: دار العربية – بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٣هـ)، عدد الأجزاء: ٤.

٦٢٤-**المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت، عدد الأجزاء: ٢.

٦٢٥-**مصرية خالدة درية شفيق «بنت النيل»**، أخبار اليوم - تاريخ الوصول (١٤ يوليو-٢٠٠٨م).

٦٢٦-**مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية**، المؤلف: عبد الرحمن الرافعي، الناشر: دار المعارف، تاريخ النشر: (١٩٩٨م).

٦٢٧-**المصنف**، المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي- الهند، الطبعة الثانية، (١٤٠٣هـ)، عدد الأجزاء: ١١.

٦٢٨-**المصنف**، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، (١٥٩ - ٢٣٥هـ)، الناشر: دار القبلة.

٦٢٩-**المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، المحقق: (١٧) رسالة علمية قدمت لجامعة

الإمام محمد بن سعود، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري، الناشر: دار العاصمة، دار الغيث – السعودية، الطبعة الأولى، (١٤١٩هـ)، عدد الأجزاء: ١٩.

٦٣٠- **مطالع الأنوار على صحاح الآثار**، المؤلف: إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهراني الحمزي، أبو إسحاق ابن قرقول (المتوفى: ٥٦٩هـ)، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - دولة قطر، الطبعة الأولى، (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م)، عدد الأجزاء: ٦.

٦٣١- **مع الشيعة الإمامية**، المؤلف: محمد بن جواد مغنية، الناشر: مكتبة الأندلس - بيروت، الطبعة الأولى (١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م).

٦٣٢- **مع المصطفى**، المؤلف: بنت الشاطئ، الناشر: دار المعارف- القاهرة، (١٩٧٣م).

٦٣٣- **المعارف**، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: ثروت عكاشة، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية، (١٩٩٢م)، عدد الأجزاء: ١.

٦٣٤- **معالم التنزيل- تفسير البغوي**، المؤلف: الإمام أبو محمد الحسن بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق: خالد بن عبد الرحمن العك ومروان سوار، دار المعرفة – بيروت.

٦٣٥- **المعالم الجغرافية في السيرة النبوية**، المؤلف: عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي (المتوفى: ١٤٣١هـ)، الناشر: دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، عدد الأجزاء: ١.

٦٣٦- **معاني القرآن**، المؤلف: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (المتوفى: ٣٣٨هـ)، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: جامعة أم القرى - مكة المكرمة، الطبعة الأولى، (١٤٠٩هـ).

٦٣٧- **معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي.

٦٣٨- **المعجم الأوسط**، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة، عدد الأجزاء: ١٠.

٦٣٩- **معجم البلدان**، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى:

٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، (١٩٩٥م)، عدد الأجزاء: ٧.

٦٤٠-**المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين**، المؤلف: أعضاء ملتقى أهل الحديث، مصدر الكتاب: ملتقى أهل الحديث، أعده للموسوعة الشاملة خالد لكحل.

٦٤١-**معجم الصحابة**، المؤلف: أبو الحسين عبد الباقي بن قانع بن مرزوق بن واثق الأموي بالولاء البغدادي (المتوفى: ٣٥١هـ)، المحقق: صلاح بن سالم المصراتي، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية - المدينة المنورة، الطبعة الأولى، (١٤١٨هـ)، عدد الأجزاء: ٣.

٦٤٢-**معجم الصحابة**، المؤلف: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المَرْزُبان بن سابور بن شاهنشاه البغوي (المتوفى: ٣١٧هـ)، المحقق: محمد الأمين بن محمد الجكني، الناشر: مكتبة دار البيان -الكويت، الطبعة الأولى، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، عدد الأجزاء: ٥.

٦٤٣-**المعجم الفلسفي**، المؤلف: د. جميل صلبيا، طبعته: دار الكتاب اللبناني، بيروت- عام (١٩٧١م).

٦٤٤-**المعجم الكبير**، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، الطبعة الثانية، عدد الأجزاء: ٢٥، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقًا المحقق الشيخ: حمدي السلفي من المجلد ١٣ (دار الصميعي - الرياض، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م).

٦٤٥-**المعجم المختص بالمحدثين**، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، تحقيق: د. محمد الحبيب الهيلة، الناشر: مكتبة الصديق، الطائف، الطبعة الأولى، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، عدد الأجزاء: ١.

٦٤٦-**معجم المطبوعات العربية والمعربة**، المؤلف: يوسف بن إليان بن موسى سركيس (المتوفى: ١٣٥١هـ)، الناشر: مطبعة سركيس بمصر (١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م)، عدد الأجزاء: ٢.

٦٤٧-**معجم المؤلفين**، المؤلف: عمر رضا كحالة، الناشر: دار إحياء التراث العربي - دمشق - بيروت (١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م).

٦٤٨-**المعجم الوسيط**، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

٦٤٩- **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، المؤلف: عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي أبو عبيد، تحقيق: مصطفىٰ السقا، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٠٣هـ).

٦٥٠- **معجم مقاييس اللغة**، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفىٰ: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، عدد الأجزاء: ٦.

٦٥١- **معرفة أخبار الرجال**، المؤلف: محمد عمر بن عبد العزيز الكشي، المطبعة الصفوية ببلدة بمبني باي دهوني.

٦٥٢- **معرفة الصحابة**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيىٰ بن مَنْدَه العبدي (المتوفىٰ: ٣٩٥هـ)، حققه وقدم له وعلق عليه الأستاذ الدكتور: عامر حسن صبري، الناشر: مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، الطبعة: الأولىٰ، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، عدد الأجزاء: ١.

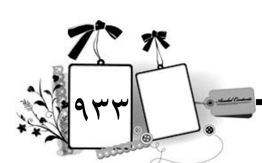
٦٥٣- **معرفة الصحابة**، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسىٰ بن مهران الأصبهاني (المتوفىٰ: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر- الرياض، الطبعة الأولىٰ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م).

٦٥٤- **معرفة علوم الحديث**، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفىٰ: ٤٠٥هـ)، المحقق: السيد معظم حسين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية، (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م)، عدد الأجزاء: ١.

٦٥٥- **المعرفة والتاريخ**، المؤلف: يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي الفسوي، أبو يوسف (المتوفىٰ: ٢٧٧هـ)، المحقق: أكرم ضياء العمري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠١هـ- ١٩٨١م)، عدد الأجزاء: ٣.

٦٥٦- **المعوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف الإسلام منهم**، المؤلف: سميرة محمد عمر جمجوم، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرىٰ، (١٤٠٤هـ - ١٤٠٥هـ).

٦٥٧- **المغازي النبوية**، المؤلف: محمد بن عمر الواقدي، عالم الكتب، الطبعة الثالثة، (١٤٠٤هـ).



٦٥٨-**المغازي النبوية**، المؤلف: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري (المتوفى: ١٢٤هـ)، الناشر: دار الفكر، دمشق، الطبعة: (١٤٠١هـ - ١٩٨١م).

٦٥٩-**مغازي**، المؤلف: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي – بيروت، الطبعة الثالثة (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، عدد الأجزاء: ٣.

٦٦٠-**المغني في الضعفاء**، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور نور الدين عتر.

٦٦١-**المغني ويليه الشرح الكبير**، المؤلف: موفق الدين بن قدامة، وشمس الدين بن قدامة المقدسيان، دار الكتاب العربي ودار الريان للتراث بيروت -لبنان (١٤٠٣هـ -١٩٨٣م).

٦٦٢-**مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ).

٦٦٣-**مفتاح دار السعادة**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، الناشر: الرياض، دار نجد (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).

٦٦٤-**المفردات في غريب القرآن**، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق- بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٢هـ).

٦٦٥-**المفصل في أحكام الهجرة**، المؤلف: جمع وإعداد الباحث في القرآن والسنة: علي بن نايف الشحود.

٦٦٦-**مفهوم النص**، المؤلف: نصر حامد أبي زيد، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثانية.

٦٦٧-**مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين**، المؤلف: علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، تحقيق: هلموت ريتر، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الثالثة.

٦٦٨-**المقالات والفرق**، المؤلف: القمي أبو خلف سعد بن عبد الله الأشعري، صححه وقدم له وعلق عليه: د. محمد جواد مشكور، مؤسسة مطبوعاتي عطائي - طهران (١٩٦٣م).

٦٦٩-**المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد**، المؤلف: إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد بن مفلح، أبو إسحاق، برهان الدين (المتوفى: ٨٨٤هـ).

٦٧٠- **المقصد العلي في زوائد أبي يعلى**، المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، تحقيق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، عدد الأجزاء: ٤.

٦٧١- **مكايد يهودية**، المؤلف: عبد الرحمن حبنكة الميداني، الطبعة الخامسة (١٤٠٥هـ)، الناشر: دار القلم – دمشق.

٦٧٢- **ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي**، المؤلف: إبراهيم عكاشة، إصدار: إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٤٠٧هـ).

٦٧٣- **الملل والنحل**، المؤلف: الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت، الطبعة الثانية (١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م).

٦٧٤- **من أسرار التعبير في القرآن: الفاصلة القرآنية**، المؤلف: عبد الفتاح لاشين، الرياض دار المريخ، (١٤٠٢هـ -١٩٨٢م).

٦٧٥- **من لا يحضر الفقيه**، المؤلف: أبو جعفر بن علي بن الحسين الصدوق.

٦٧٦- **من معين السيرة**، المؤلف: صالح الشامي. بيروت – المكتب الإسلامي - الطبعة الثالثة (١٤٢٢هـ).

٦٧٧- **من يحكم واشنطن وموسكو**، المؤلف: بنامين فريدمان، عرّبه: زهدي عبد الفتاح.

٦٧٨- **المنافقون في القرآن الكريم**، المؤلف: د. عبد العزيز بن عبد الله الحميدي، دار المجتمع، الطبعة الأولى، سنة (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).

٦٧٩- **المنافقون في الكتاب والسنة**، المؤلف: د. محمد موسى نصر.

٦٨٠- **المنافقون وشعب النفاق**، المؤلف: حسن عبد الغني.

٦٨١- **المنافقون ومواقفهم تجاه الأمة الإسلامية**، المؤلف: هالة الشريف.

٦٨٢- **مناقب الإمام أحمد**، المؤلف: أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع بمصر، الطبعة الثانية (١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م).

٦٨٣- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، المؤلف: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو



الفرج، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى (١٣٥٨هـ).

٦٨٤- **المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال**، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: محب الدين الخطيب، عدد الأجزاء: ١.

٦٨٥- **منظمة التجارة العالمية وآثارها الثقافية وموقف المملكة فيها**، المؤلف: د. إبراهيم الناصر – فهو موجود على الشبكة.

٦٨٦- **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية**، المؤلف: شيخ الإسلام ابن تيمية، الطبعة الأولى، الطبعة الأميرية الكبرى، بولاق، مصر (١٣٢١هـ).

٦٨٧- **منهج التربية الإسلامية**، المؤلف: محمد قطب، بيروت: دار الشروق (١٤٠١هـ-١٩٨١م).

٦٨٨- **المنهج الحركي للسيرة النبوية**، المؤلف: منير بن محمد الغضبان، دار الوفاء، الطبعة العاشرة، سنة (١٤١٩هـ- ١٩٩٨م).

٦٨٩- **منهج القاصدين**، المؤلف: فتح الله الكاشاني.

٦٩٠- **المهذب في فقة الإمام الشافعي**، المؤلف: أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، عدد الأجزاء: ٣.

٦٩١- **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، المؤلف: المقريزي: أبو العباس أحمد بن علي، دار الطباعة المصرية، بولاق، وأعاد طبعه بالأفست مكتبة المثنى بغداد، سنة (١٩٧٠م).

٦٩٢- **الموافقات**، المؤلف: الشاطبي (٢/ ٤٦٧)، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن القيم، الرياض، ودار ابن عفان، القاهرة، الطبعة الثانية (١٤٢٧هـ).

٦٩٣- **مواقف الملأ من الدعوة إلى الله**، مقال للشيخ: عثمان جمعة ضميرية في مجلة البيان (٣/ ٤٤).

٦٩٤- **الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية**، المؤلف الشيخ: محماس الجلعود.

٦٩٥- **المؤامرة على المرأة المسلمة**، المؤلف: د. السيد أحمد فرج.

٦٩٦- **المؤتلف والمختلف**، المؤلف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، (١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م)، عدد الأجزاء: ٥ (٤ ومجلد فهارس).

٦٩٧-**مؤتمرات مكسيكو**، ورسالته: **المساواة والتنمية والسلم**، وهو أول مؤتمر عن المرأة عام (١٩٧٥م).

٦٩٨-**موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر (١٤١٧هـ)**، المؤلف: أحمد معمور العسيري، الناشر: غير معروف، الطبعة الأولى، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).

٦٩٩-**الموسوعة المرئية لكشف حقيقة الشيعة**، المؤلف: (قرص) (فيلم وثائقي).

٧٠٠-**الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، المؤلف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، (١٤٢٠هـ).

٧٠١-**موضح أوهام الجمع والتفريق**، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: د. عبد المعطي أمين قلعجي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٧هـ)، عدد الأجزاء: ٢.

٧٠٢-**الموطأ = موطأ الإمام مالك**، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، صححه ورقَّمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، عام النشر: (١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م)، عدد الأجزاء: ١.

٧٠٣-**موقف الإسلام من السحر**، المؤلف: حياة سعيد عمر، دار المجتمع – جدة، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).

٧٠٤-**موقف القرآن من النفاق والمنافقين**، المؤلف: أحمد جهان الفورتيه، الناشر: الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).

٧٠٥- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق الشيخ: علي محمد معوض، والشيخ: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية- بيروت.

٧٠٦- **النبي صلى الله عليه وسلم ويهود المدينة**، المؤلف: الدكتور/ محمد بن فارس الجميل بدراسة الروايات الخاصة بالعدد المقتول في كتابه: الطبعة الأولى، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م).

٧٠٧-**النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، المؤلف: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله



الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ).

٧٠٨-**نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، المؤلف: جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، دار النشر: مؤسسة الرسالة - لبنان - بيروت (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، الطبعة الأولى، عدد الأجزاء: ١.

٧٠٩-**نزهة الألباب في الألقاب**، المؤلف: أحمد بن علي بن محمد المشهور بابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز محمد بن صالح السديري، مكتبة الرشد – الرياض، سنة (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).

٧١٠-**نسب قريش**، المؤلف: مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، أبو عبد الله الزبيري (المتوفى: ٢٣٦هـ)، المحقق: ليفي بروفنسال، أستاذ اللغة والحضارة بالسوربون، ومدير معهد الدروس الإسلامية بجامعة باريس – سابقًا، الناشر: دار المعارف، القاهرة، الطبعة الثالثة، عدد الأجزاء: ١.

٧١١-**نصب الراية**، المؤلف: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ)، قدم للكتاب: محمد يوسف البَنُوري، صححه ووضع الحاشية: عبد العزيز الديوبندي الفنجاني، إلى كتاب الحج، ثم أكملها محمد يوسف الكاملفوري، المحقق: محمد عوامة، الناشر: مؤسسة الريان للطباعة والنشر - بيروت - لبنان، دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة –السعودية، الطبعة الأولى، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، عدد الأجزاء: ٤.

٧١٢-**النصيرية**، المؤلف: سهير محمد علي الفيل، الناشر: دار المنار للطبع والنشر، (١٩٩٨م)، مجلد واحد.

٧١٣-**نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم**، المؤلف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ: صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الرابعة، عدد الأجزاء: ١٢.

٧١٤- **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، المؤلف: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) عدد الأجزاء: ٨.

٧١٥-**النفاق وأثره في حياة الأمة**، المؤلف: د. عادل الشدي.

٧١٦-**النفاق والمنافقون في ضوء السنة النبوية المطهرة**، المؤلف: – رسالة لم تطبع بعد– للشيخ: عبد الرحمن القصاص.



٧١٧-**النفاق والمنافقون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم**، المؤلف: إبراهيم بن علي سالم، دار الشعب – القاهرة.

٧١٨-**النفاق وخطره على العقيدة**، المؤلف: د. عبد العزيز الشهوان.

٧١٩-**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، المؤلف: أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: د. إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت (١٣٨٨هـ).

٧٢٠-**نقد الفكر الديني**، المؤلف: صادق جلال العظم، الناشر: دار الطليعة - بيروت، الطبعة التاسعة (٢٠٠٣م).

٧٢١-**نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج**، المؤلف: شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة الرملي المنوفي المصري الأنصاري الشهير بالشافعي الصغير، الناشر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر (١٣٥٧هـ – ١٩٣٨م).

٧٢٢-**النهاية في غريب الحديث والأثر**، المؤلف: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري بن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت.

٧٢٣-**النهاية، الفتن والملاحم**، المؤلف: الحافظ إسماعيل بن كثير، تحقيق: د. طه زيني، دار النصر للطباعة، الناشر: دار الكتب الحديثة، مصر، الطبعة الأولى.

٧٢٤-**نهج البلاغة**، المؤلف: ابن أبي محمد المعتزلي، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى – دار الجيل.

٧٢٥-**النور السافر عن أخبار القرن العاشر**، المؤلف: محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس (المتوفى: ١٠٣٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، (١٤٠٥هـ).

٧٢٦-**نونية القحطاني**، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني، المعافري الأندلسي المالكي (المتوفى: ٣٧٨هـ)، المحقق: عبد العزيز بن محمد بن منصور الجربوع، الناشر: دار الذكرى، الطبعة الأولى، عدد الأجزاء: ١.

٧٢٧-**نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، المؤلف: أحمد بابا التنبكي المتوفى: (٩٦٣هـ)، إشراف وتقديم: عبد الله الهرامة، الناشر: كلية الدعوة بطرابلس، الطبعة: الأولى (١٩٨٩م).

٧٢٨-**نيل الأوطار**، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى:

١٢٥٠هـ)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، عدد الأجزاء: ٨.

٧٢٩-**هجر القرآن أنواعه وأحكامه**، المؤلف: د. محمود بن أحمد الدوسري، دار ابن الجوزي.

٧٣٠-**هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**، المؤلف: ابن القيم الجوزية، تحقيق: مصطفى أبو النصر الشلبي، مكتبة الوادي – جدة، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).

٧٣١-**هدي السيرة النبوية**، المؤلف: حنان اللحام، الناشر: دار الفكر المعاصر.

٧٣٢-**هم العدو فاحذرهم**، المؤلف الشيخ: عبد العزيز الجليل.

٧٣٣-**الوابل الصيب من الكلم الطيب**، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة الثالثة، (١٩٩٩م).

٧٣٤-**الوافي بالوفيات**، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، عام النشر: (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م).

٧٣٥-**واقدساه**، المؤلف: سيد حسين العّفاني، مصر – بني سويف – مكتبة: معاذ بن جبل رضي الله عنه، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ - ٢٠٠١م).

٧٣٦-**وآمحمداه (إن شانئك هو الأبتر)**، المؤلف: د.سيد بن حسين العفاني، الناشر: دار العفاني – مصر، الطبعة الأولى (١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م)، ٤ مجلدات.

٧٣٧-**الوثائق السياسية في عهد النبوة والخلافة الراشدة**، المؤلف: محمد حميد الله الحيدر آبادي الهندي (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، الناشر: دار النفائس - بيروت، الطبعة السادسة (١٤٠٧هـ).

٧٣٨-**وثيقة مؤتمر السكان والتنمية رؤية شرعية**، المؤلف الدكتور: الحسيني سليمان جاد، سلسلة كتاب الأمة - الطبعة الأولى (١٤١٧هـ) قطر.

٧٣٩-**وجاء دور المجوس الأبعاد التاريخية والعقائد السياسية للثورة الإيرانية**، المؤلف: عبد الله بن محمد الغريب، الطبعة الأولى (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م).

٧٤٠-**وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه**، المؤلف الشيخ: عبد العزيز بن باز، طبعته: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، الطبعة الخامسة (١٤٠٩هـ).

٧٤١- **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار النشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـ)، عدد الأجزاء: ١.

٧٤٢- **الورع**، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، رواية: أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروزي (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: سمير بن أمين الزهيري، الناشر: دار الصميعي - الرياض - السعودية، الطبعة الأولى، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، عدد الأجزاء: ١.

٧٤٣- **وسائل الشيعة**، المؤلف: الحرّ العاملي.

٧٤٤- **الوشيعة في نقد عقائد الشيعة**، المؤلف: محمد سهيل - لاهور - باكستان (١٣٩٩هـ).

٧٤٥- **الوشيعة في نقد عقائد**، المؤلف: الشيعة لموسى الجار الله. تحقيق: جماعة من كبار العلماء - مكتبة الكليات الأزهرية.

٧٤٦- **وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى صلى الله عيه وسلم**، المؤلف: العلامة السمهوري، تحقيق: محمد بن محي الدين بن عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٧٤٧- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان - المحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت.

٧٤٨- **وقعة صفين**، المؤلف: نصر بن مزاحم المنقري، المتوفى سنة (٢١٢هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى: (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م).

٧٤٩- **وقفات تربوية من السيرة النبوية**، المؤلف: أحمد فريد، دار العقيدة، مصر، الطبعة الأولى، (٢٠٠٩م)، ٤٠٠ صفحة.

٧٥٠- **وقفات حول معاناة الأيدي العاملة الناعمة**، المؤلف: خالد الشايع، خالد بن عبد الرحمن الشايع، دار بلنسية، الطبعة الأولى، سنة (١٤٢٥هـ).

٧٥١- **الولاء والبراء بين أهل السنّة ومخالفيهم**، المؤلف الدكتور: إبراهيم بن عثمان بن محمد الفارس.

٧٥٢- **الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف**، المؤلف: محمد بن سعيد بن سالم القحطاني، تقديم: فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي، الناشر: دار طيبة، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، عدد الأجزاء: ١.

٧٥٣-**الولاء والعداء**، المؤلف الدكتور: عبد الله بن إبراهيم الطريقي، إصدار معهد العلوم الإسلامية والعربية في واشنطن- أمريكا.

٧٥٤-**ويل للعرب مغزى التقارب الإيراني مع الغرب والعرب**، المؤلف: عبد المنعم شفيق، الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م)، الناشر: مكتب الطيب – مصر.

٧٥٥-**يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: د. مفيد محمد قمحية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، عدد الأجزاء: ٤.

٧٥٦-**اليهود إخوان الخنازير والقرود**، المؤلف: السيد العفاني. مصر – بني سويف – مكتبة: معاذ بن جبل رضي الله عنه الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م).

٧٥٧-**اليهود تاريخ إفساد وانحلال ودمار**، المؤلف: توفيق يوسف الواعي، الناشر: بيروت، دار ابن حزم، (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م).

٧٥٨-**اليهود في السنة المطهرة**، المؤلف: د. عبد الله بن ناصر الشقاري، طبعة: دار طيبة للنشر والتوزيع - مجلدان، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م).

٧٥٩-**اليهود وراء كل جريمة**، المؤلف: وليم كار، شرح وتعليق: خير الله الطفاح.

٧٦٠-**اليهودي العالمي**، المؤلف: هنري فورد، عرَّبه: خيري حمّاد.

المجلات والمواقع والصحف:

١- جريدة السياسة الكويتية.

٢- جريدة الشرق الأوسط.

٣- جريدة المسلمون.

٤- جريدة المصور.

٥- صحيفة الشهاب اللبنانية.

٦- صحيفة معاريف اليهودية.

٧- صحيفة هاريس اليهودية.

٨- مجلة البحوث الإسلامية الصادرة من دار الإفتاء بالرياض.

٩- مجلة البحوث والمقالات الإسلامية.

١٠- مجلة البيان.



١١- مجلة الجامعة الإسلامية.
١٢- مجلة الدعوة المصرية.
١٣- مجلة الشقائق.
١٤- مجلة المجتمع الكويتية.
١٥- مجلة الناقد.
١٦- مجلة الهلال.
١٧- مجلة اليمامة السعودية.
١٨- مجلة حواء.
١٩- مقالة بعنوان: أحزاب في سرداب الحوثي، المؤلف: سمير رشاد اليوسفي.
٢٠- منتديات الحصن النفسي بعنوان: (لا عهد لليهود)- الشبكة العنكبوتية.
٢١- منتديات مكتوب، الاحتلال يشجع الشيعة على ترويج المتعة واللواط، ٢٦ سبتمر بتاريخ (١٧/ فبراير / ٢٠٠٧م).
٢٢- موسوعة الشيعة الكبرى، المؤلف: (قرص) (للشيخ ممدوح الحربي).
٢٣- موقع آسية على الإنترنت.
٢٤- موقع أفق على الإنترنت (السحر والأسطورة في الفكر اليهودي) لعباس الحسيني.
٢٥- موقع الإسلام اليوم.
٢٦- موقع الباحث الإسلامي، مجالس الضرار.
٢٧- موقع البرهان والدفاع عن السنة على الإنترنت.
٢٨- موقع المجلس اليمني- الشبكة العنكبوتية.
٢٩- موقع أنا المسلم.
٣٠- موقع شبكة الدفاع عن السنة.
٣١- موقع صدى البلد وغيره من المواقع على الشبكة.
٣٢- موقع صيد الفوائد، قلم: محمد بن حسن بن يوسف.
٣٣- موقع عثمان الخميس.
٣٤- موقع علي الكاش، بعنوان: الدور التخريبي الإيراني في العراق.
٣٥- موقع عن الشيعة عبر الشبكة العنكبوتية.

فهرسة الجزء الثاني